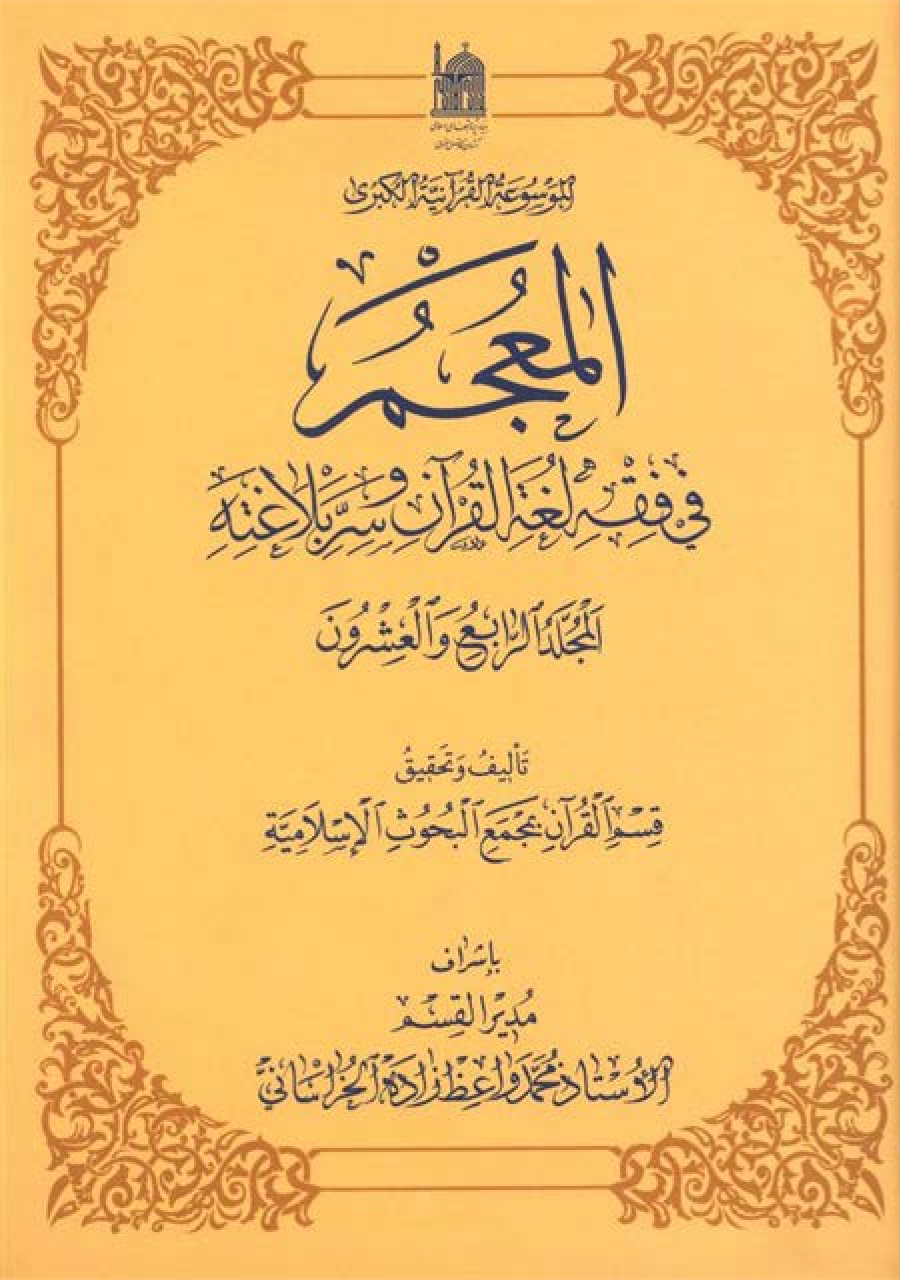

الموسوعة القرآنية الكبرى
المعجم
في فقه لغة القرآن وسرّ بلاغته
المجلد الرابع والعشرون
تأليف وتحقيق
قسم القرآن بمجمع البحوث الإسلامية
بإشراف
مدير القسم
الأستاذ محمد واعظ زاده الخراساني

بسم الله الرحمن الرحيم

الموسوعة القرآنية الكبرى

المعجم

في فقه لغة القرآن وسرّ بلاغته

المجلد الرابع والعشرون

تأليف وتحقيق

قسم القرآن بمجمع البحوث الإسلامية

بإشراف

مدير القسم

الأستاذ محمد واعظ زاده الخراساني

المعجم في فقه لغة القرآن و سرّ بلاغته / تأليف و تحقيق قسم القرآن في مجمع البحوث الإسلاميّة؛ بإرشاد و إشراف محمّد واعظزاده الخراسانيّ. - مشهد: مجمع البحوث الإسلاميّة، ١٤٢٠ق. = ١٣٧٨ش.
ج.
ISBN 978-964-971-629-9(ج٢٤)
ISBN set 978-964-444-179-0
فهرستنويسى بر اساس اطلاعات فيپا.
عربي.
١.قرآن - - واژه‌نامه. ٢. قرآن - - دايرة المعارف. الف. واعظزاده خراسانى، محمّد، ١٣٠٤ ب. بنياد پژوهشهاى اسلامى.
BP ٦٦ / ٤ / م٥٧ ٢٩٧/١٣
كتابخانه ملّى جمهورى اسلامى ايران ٨٦٩٧-٧٨م



المعجم في فقه لغة القرآن و سرّ بلاغته

المجلّد الرّابع و العشرون

تأليف و تحقيق: قسم القرآن في مجمع البحوث الإسلاميّة
إشراف: الأستاذ محمّد واعظزاده الخراسانيّ

الطّبعة الأولى ١٤٣٤ق / ١٣٩٢ش
١٠٠٠ نسخة / الثّمن: ٢٥٠٠٠٠ريال

الطّباعة: مؤسّسة الطّبع والنّشر التّابعة للآستانة الرّضويّة المقدّسة

مجمع البحوث الإسلاميّة، ص.ب ٣٦٦-٩١٧٣٥
هاتف و فاكس وحدة المبيعات في مجمع البحوث الإسلاميّة: ٢٢٣٠٨٠٣
معارض بيع كتب مجمع البحوث الإسلاميّة، (مشهد) ٢٢٣٣٩٢٣، (قم)٧٧٣٣٠٢٩

www.islamic-rf.ir info@islamic-rf.ir

المؤلّفون

الأُستاذ محمّد واعظ زاده الخراسانيّ

ناصر النّجفيّ

قاسم النّوريّ

محمّد حسن مؤمن زاده

حسين خاكشور

السيّد عبدالحميد عظيمي

السيّد جواد سيّدي

السيّد حسين رضويان

علي رضا غفراني

محمّدرضا نوري

السيّد علي صبّاغ دارابي

أبو القاسم حسن پور

و قد فُوّض عرض الآيات و ضبطها إلى أبي الحسن الملكيّ و مقابلة النّصوص إلى خضر فيض الله و عبدالكريم الرّحيميّ و تنضيد الحروف إلى المؤلّفين

كتاب نخبة

مؤتمر تكريم خدمة القرآن الكريم في ميدان الأدب المصنّف.	١٤٢١ ق
الكتاب النُّخبة في الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة.	١٤٢٢ ق
مؤتمر الكتاب المنتخب الثّالث للحوزة العلميّة في قم.	١٤٢٢ ق
الدّورة الثّانية لانتخاب و عرض الكُتب والمقالات الممتازة في حقل القرآن.	١٤٢٦ ق
الملتقى الثّاني للكتاب النُّخبة الّذي يعقد كلّ سنتين في محافظة خراسان الرّضويّة.	١٤٢٦ ق
ملتقى تكريم نخبة الحوزة العلميّة في خراسان الرّضويّة.	١٤٣١ ق

المحتوَيَات

ر خ و

رُخاءً

لفظ واحد، مرّة واحدة، في سورة مكّيّة

النُّصوص اللُّغويّة

الخَليل: الرَّخْوُ والرُّخْوُ لغتان، وفيه رَخاوَة.

والرُّخاء: سَعَة العيش. يقال: هو في عَيْش رَخِيٍّ، وهو رَخيُّ البال، أي في نعمة.

واستَرْخَتْ به حاله، أي وقع في حال حَسَنة بعد الضّيق.

وفعله: رَخا يَرْخُو رَخاءً، وهو رَاخي البال.

وتَراخى فلان عنّي، أي أبطأ.

والمُراخاة: أن تُراخي رباطًا أو زناقًا، وأرْخَيْتَ له الحَبْل.

والإرخاء: عَدْوٌ فوق التّقريب.

وناقةٌ مِرْخاء في سيرها.

والرُّخاء من الرّياح: اللّيّنة السّريعة الّتي لاتُزَعْزِع. (٤: ٣٠٠)

اللّيث: التّراخي: هو التّقاعُس عن الشّيء.

وأرْخَتِ النّاقة إرْخاءً، وإرخاؤها هو استرخاء صَلَوَيْها، فهي مُرْخ. (الأزهَريّ ٧: ٥٤١)

أبو عمرو الشّيبانيّ: الرُّخاء من الأرض: الرِّخْوَة. (١: ٢٩٢)

الرُّخاء: الرّيح اللّيّنة. (١: ٣١٢)

الفَرّاء: ﴿رُخاءً﴾: ليّنةً من الرّخاوَة. (الحَرْبيّ ٢: ٦٨٠)

اللُّغة الجيّدة: الرِّخْوُ بكسر الرّاء، والرَّخْوُ بفتح الرّاء مولَّد، والأُنثى: بالهاء.

مثله الأصمَعيّ. (الأزهَريّ ٧: ٥٤٠)

أبو عُبَيْدَة: الإرخاء: شدّة العَدْو، وهي الخيل المَراخي. (الأزهَريّ ٧: ٥٤٢)

أبو عُبَيْد: الإرخاء: أن تُخَلّيَ الفرَس وشهوته في

العَدْو غير مُتْعِب له. يقال: فرس مِرْخاءٌ من خيل مَراخٍ.

و أتانٌ مِرْخاءٌ: كثيرة الإرْخاء في العَدْو.

(الجَوهَريّ ٦: ٢٣٥٤)

ابن أبي اليمان: الرُّخاء: ضدّ الشدّة. و الرُّخاء: الرّيح السّهلة، قال الله جلّ ذكره: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ ص: ٣٦. (٤٣)

ابن دُرَيْد: الرَّخاء: ضدّ الشّدّة.

و الرُّخاء: الرّيح السّهلة الهبوب.

و الإرخاء: من رَكْض الخيل بالحُضْر المُلْهَب، فرس مِرْخاء من خيل مَراخٍ. [ثمّ استشهد بشعر إلى أن قال:]

و أرْخَيْتُ السّتر فهو مُرْخًى، إذا أسبلته.

و فلان رخيّ البال. (٣: ٢٣٧)

الأزهَريّ: يقال: إنّه في عيش رَخيّ، و هو رخيّ البال، إذا كان ناعِمَ الحال.

و يقال: إنّ ذلك الأمر ليَذْهَب منّي في بال رَخيّ، إذا لم يُهتَمّ له.

و يقال: رَخِيَ يَرْخَى رَخاءً فهو رخيٌّ، أي ناعم.

و هو راخِي البال.

يقال: راخِ له من خِناقه، أي رَفِّهْ عنه.

و أرْخِ له قَيدَه، أي وَسِّعْه و لا تضيّقه.

و يقال: أرْخِ له الحبل، أي وَسِّعْ عليه الأمر في تصرّفه حتّى يذهب حيث شاء.

و قال غيره [غير أبي عُبَيْدَة]: فرس مِرْخاءٌ، و الإرْخاء الأعلى: أشدّ الحُضْر. و الإرْخاء الأدنى: دون الأعلى.

قال اللّيث: و أرْخَيْتُ الفرس، و تَراخَى الفرس.

قلت: لا يقال: أرْخَيْتُ الفرس، و لكن يقال: أرْخَى الفرس في عَدْوه، إذا أحضَر.

و لا يقال: تراخى الفرس إلّا عند فتوره في حُضْره.

و الّذي حكاه اللّيث لا أدري ما هو. و إرخاء الفرس مأخوذ من الرّيح الرُّخاء، و هي السّريعة مع لين. و جائز أن يكون من قولهم: «أرْخى به عنّا»، أي أبعَدَه عنّا، و «هو متراخٍ عنّا» أي بعيد عنّا.

[و استشهد بالشّعر مرّتين] (٧: ٥٤٠)

الصّاحِب: الرِّخْو و الرَّخْو: شيءٌ فيه رَخاوَة.

و الرِّخْوة: الرُّخاء في العيش. و قالوا: حَجَر رُخْوٌ بالضّمّ.

الرُّخاء: سَعَة العيش. و عَيشٌ رَخِيّ.

و فلان رخيّ البال، إذا كان في نعمة، و راخي البال.

و الرُّخاء من الرّياح: اللّيّنة السّريعة.

و التراخي: التّقاعُس عن الشّيء، و الإبطاء.

و استَرْخى به الأمر.

و استَرْخَتْ حاله، إذا حَسُنَت بعد ضيقٍ.

و المُراخاة: أن تُراخِيَ رِباطًا. و أرْخَيْتُ له الحَبْل.

و الإرْخاء من العَدْو: فوق التّقريب، ناقةٌ مِرْخاءٌ في سيرها، و أرْخَيْتُها أنا، و تَراخى هو. و هو في النّاقة: استرخاء صَلاها فهي مُرْخًى عنه.

و رَخّى الشّيء بالشّيء: خلَط. (٤: ٤٠٥)

الجَوهَريّ: شيء رَخْوٌ و رِخْوٌ، بكسر الرّاء

و فتحها، أي هَشٌّ. و رَخِيَ الشّيء يَرْخَى، و رَخُوَ أيضًا يَرْخُو، إذا صار رِخْوًا.

و فرس رِخْوَة، أي سهلة مُسترْسِلة.

و أرْخَيْتُ السِّتْر و غيره، إذا أرسلته.

و هذه أُرْخِيَّة: لما أرْخَيْتَ من شيء. و قد استرْخى الشّيء.

و أرْخَتِ النّاقة، إذا استرْخى صَلاها.

و الإرْخاء: ضرب من العَدْو.

و تراخى السّماء: أبطأ المطر.

و رجل رَخِيّ البال، أي واسع الحال بيّن الرَّخاء، ممدود.

و رُخاء بالضمّ: الرّيح اللّيّنة. [و استشهد بالشّعر مرّتين] (٦: ٢٣٥٤)

ابن فارس: الرّاء و الخاء و الحرف المعتلّ أصل، يدلّ على لِين و سخافة عقل. من ذلك: شيء رِخْوٌ بكسر الرّاء. قال الخليل: رُخْوٌ أيضًا، لغتان. يقال منه: رَخِيَ يَرْخَى، و رَخُوَ، إذا صار رِخْوًا.

و يقال: أرْخَتِ النّاقة، إذا استرْخى صَلاها.

و فرسٌ رِخْوٌ، إذا كانت سهلة مُسترْسِلة. [ثمّ استشهد بشعر]

و يقال: استرْخى به الأمر و استرْخت به حاله، إذا وقع في حال حَسَنة غير شديدة.

و تراخى عن الأمر، إذا قعد عنه و أبطأ.

و من الباب: الرُّخاء، و هي الرّيح اللّيّنة. قال الله تعالى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ ص: ٣٦.

و الإرْخاء من رَكْض الخيل ليس بالحُضْر المُلْهِب. يقال: فرس مِرْخاءٌ من خَيْل مَراخٍ، و هو عَدْوٌ فوق التّقريب.

و هذه أُرْخِيَّة، لما أرْخَيْتَ من شيء. (٢: ٥٠١)

الهَرَويّ: في الحديث: «ليس كلّ النّاس مُرْخًى عليه»، أي موسّع عليه. (٣: ٧٣١)

الثّعالبيّ: في تقسيم اللّين على ما يوصف به: ريح رُخاء. (٦٦)

أبو سَهْل الهَرَويّ: أرْخَيْتُ السِّتْر فهو مُرْخًى، إذا أسبلته. (التّلويح: ٢٦)

هو في رَخاء من العيش، بالفتح و المدّ، أي سَعَة و لين. (التّلويح: ٤٣)

تقول: الشّيء رِخْوٌ، أي مُسترْخٍ ليِّنٌ. (التّلويح: ٥٠)

ابن سيده: الرِّخْوُ، و الرَّخْوُ، و الرُّخْوُ: الهَشّ من كلّ شيء، و الأنثى: بالهاء.

رَخُوَ رَخاءً، و رَخاوةً، و رِخْوَة، الأخيرة نادرة، و رَخِيَ، و استرخى.

و أرْخى الرِّباط، و راخاه: جَعَله رِخْوًا.

و فيه رِخْوَة، و رُخْوَة، أي استرخاء.

و قولهم في الآمِن المُطمئنّ: أرْخى عمامته، لأنّه لا تُرْخى العمائم في الشّدّة.

و أرْخى الفرس، و أرْخى له: طوّل له من الحَبْل.

و الحروف الرِّخْوَة: ثلاثة عشر حرْفًا، و هي: الثّاء و الحاء، و الخاء، و الذّال، و الزّاي، و الظّاء، و الصّاد، و الضّاد، و الغين، و الفاء، و السّين، و الشّين، و الهاء.

و الحرف الرّخو: هو الّذي يجري فيه الصّوت. ألا ترى أنّك تقول: المَسّ، و الرّشّ، و السّحّ، و نحو ذلك، فتجد الصّوت جاريًا مع السّين و الشّين و الحاء.

و الرَّخاء: سَعَة العيش. و قد رَخُوَ، و رَخا يَرْخُو و يَرْخَى، فهو راخٍ و رَخِيّ.

و هو رَخِيّ البال، إذا كان في نَعْمَة.

و ريح رُخاء: طيّبة ليّنة، و في التّنزيل: ﴿تَجْرِى بِاَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ اَصَابَ﴾ ص: ٣٦، أي حيث قصد و أراد.

و استَرْخى به الأمر: وقع في رَخاء بعد شدّة.

و أرْخت النّاقة: استَرْخى صلاها.

و راخت المرأة: حان ولادها.

و تَراخَى عنّي: تقاعَس.

و راخاه: باعَدَه.

و تَراخَى عن حاجتي: فتَر.

و الإرْخاء: شدّة العَدْو. و قيل: هو فوق التّقريب.

فرس مِرْخاء، و ناقة مِرْخاء.

و أرْخَى الدّابّة: سار بها الإرخاء. [و استشهد بالشّعر مرّتين] (٥: ٢٩٥)

الرّاغِب: الرُّخاء: اللّينة، من قولهم: شيء رِخْوٌ، و قد رَخِيَ يَرْخَى، قال تعالى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِى بِاَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ اَصَابَ﴾ ص: ٣٦. و منه: أرْخَيْتُ السِّتر. [ثمّ استشهد بشعر]

و قيل: فرس مِرْخاء، أي واسع الجري من خيل مراخٍ، و قد أرْخَيْتُه: خلّيتُه رِخْوًا. (١: ١٩٢)

المَدينيّ: في الحديث: «استَرْخيا عنّي»، أي انبسطا.

و الرُّخاء: السّعَة و اللّين، و شيء رِخْوٌ: ليّن.

و استَرْخَتْ حاله: حَسُنَت بعد ضيق. (١: ٧٤٨)

ابن بَرّيّ: و الأراخيّ: جمع أُرْخِيّة، لما استَرْخى من شَعَر و غيره. (ابن منظور ١٤: ٣١٤)

ابن الأثير: في حديث الدّعاء: «اذكُر الله في الرّخاء يَذْكُرك في الشّدّة».

و الحديث الآخر: «فلْيُكثِر الدّعاء عند الرّخاء».

«الرّخاء»: سَعَة العيش.

و الحديث الآخر: «استَرخيا عنّي» أي انبسطا و اتّسعا. (٢: ٢١٢)

الفَيُّوميّ: الرّخو: بالكسر اللّيّن السّهل. يقال: حَجَر رِخْوٌ، و قال الكلابيّون: رُخْوٌ، بالضّمّ. و الفتح لغة. قال الأزهَريّ: الكسر كلام العرب، و الفتح مولَّد.

و رَخِيَ و رَخُوَ من بابي: «تعِب» و «قرُبَ»، رَخاوةً بالفتح، إذا لانَ. و كذلك العيش رَخِيَ و رَخُوَ، إذا اتّسع، فهو رَخِيّ على فعيل؛ و الاسم: الرَّخاء.

و زيد رَخِيّ البال، أي في نعمة و خِصْب.

و أرْخَيْتُ السِّتْر بالألف فاستَرْخَى.

و تَراخَى الأمر تراخيًا: امتدّ زمانه.

و في الأمر تراخٍ، أي فُسْحَة. (١: ٢٢٤)

الفيروزاباديّ: الرّخو مثلّثة: الهَشّ من كلّ شيء، و هي بهاء: رَخُوَ كَكَرُم و رضيَ رَخاءً و رَخاوةً و رِخْوةً بالكسر: صار رِخْوًا كاستَرْخى.

و أرْخاه و راخاه: جعله رِخْوًا.

و فيه رُخْوَة بالكسر و الضّمّ: استَرْخاء.

و أرْخى عمامته: أمِنَ و اطمأنّ. و الفرَس و له: طَوّل له من حبله. و السِّتْر: أسْدَلَه.

و الحروف الرِّخْوَة: سِوَى لم يَرْعَوْنا.

و الرُّخاء بالضّمّ: الرّيح اللّيّنة. و بالفتح: سَعَة العيش. رَخُو ككَرُم. و دَعا و رَعا و رضِيَ، فهو راخٍ و رَخِيّ.

و راخت: حانَ ولادها.

و تراخى: تقاعَس.

و راخاه: باعَدَه.

و الإرخاء: شدّة العَدْو أو فوق التّقريب.

و أرْخى دابّته: سارها كذلك، فهي مِرْخاء بالكسر. و النّاقة: استرْخى صلاها.

و تَراخَى السّماء: أبطأ المطر.

و الأرْخِيّة كأُثفيّة: ما أرْخِيَ من شيء. (٤: ٣٣٥)

الطُّرَيحيّ: في الحديث: «المؤمن شكور عند الرّخاء». و أراد بالرّخاء: سَعَة العيش و لينه، و يقابله الشّدّة. يقال: زيد رَخِيّ البال، أي في نعمة و خِصْب.

و منه: «راخِ الإخوان في الله» بالخاء المعجمة من المُراخاة، و هي ضدّ التّشدّد.

و منه: «لاتملك المرأة من أمرها ما جاوز نفسها، فإنّه أرْخى لبالها و أدْوَم لحسنها و جمالها. فإنّ المرأة ريحانة ليست بقهرمانة».

و أرْخى الشّيء بين كتفيه: سَدَلَه و أرسله.

و أرْخَيْت السِّتْر و غيره: أرسلته.

و شيء رِخْو بكسر الرّاء و فتحها، أي هَشّ.

و فرَس رِخْوَة بالكسر، أي سهلة.

و رَخِيَ الشّيء و رَخُو، من باب «تعب» و «قرب» رَخاوَة بالفتح.

و تَراخى الأمر: امتدّ زمانه.

و في الأمر تراخٍ، أي فُسْحَة. (١: ١٨٠)

مَجْمَعُ اللُّغة: رَخُو يَرْخُو و رَخِيَ يَرْخى رَخاءً و رُخاءً: كان في نعمة و سَعَة عيش.

و ريح رُخاء: ليّنة سريعة لاتُزَعْزِع شيئًا.

(١: ٤٦٧)

العَدْنانيّ: الرِّخو، الرَّخو، الرُّخو

و يخطّئون من يسمّي الهَشّ اللّيِّن من كلّ شيء رُخْوًا، و يقولون: إنّ الصّواب هو الرَّخو و الرِّخو، اعتمادًا على ما جاء في الصّحاح، و المختار، و دُوزيّ.

و الحقيقة هي أنّ راء الرُّخو مثلّثة، كما قال معجم مقاييس اللّغة الّذي ذكر الفتح في الهامش، و المحكم، و الأساس، و اللّسان، و المصباح، و القاموس، و التّاج، و المدّ، و محيط المحيط، و أقرب الموارد، و المتن الّذي قال: إنّ كسر الرّاء أفصح. و قال الأزهَريّ: إنّ الكسر هو كلام العرب.

و اكتفى المرزوقيّ في «شرح الحماسة» و مفردات الرّاغب الأصفهانيّ بكسر الرّاء.

أمّا ضمّ الرّاء «الرُّخو» فقد أُخذ عن الكلابيّين.

و ذكر اللّسان، و التّاج، و المتن، أنّ فتح الرّاء «الرَّخو» مُوَلَّد. (٢٥٧)

محمّد إسماعيل إبراهيم: رخا العيش رَخاءً: اتّسع و صار هنيئًا و لينًا، و رَخُو و رَخِيَ المرء رَخاءً: صار في نعمة و سَعَة عيش.

و الرُّخاء: ريح ليِّنة غير عاصفة، مُريحة في هبوبها و سيرها. (١: ٢١٧)

المُصْطَفَويّ: و التحقيق: أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو ما يقابل الشدّة، و يعبّر عنه بالفارسيّة بكلمة «سُسْتى»، و الفرق بينها و بين موادّ اليُسْر و الضّعف و اللّين و السّهل و الفُسْحة و الوُسْعة و الرّحْب: أنّ اليُسْر ضدّ العُسر، و الضّعف ضدّ القوّة، و اللّين ضدّ الخشُونة، و السّهل ضدّ الصّعوبة، و السّعة و الرّحْب و الفُسْحة في مقابل المضيقة.

فالرّحْب سَعَة في محلّ، و السّعة أعمّ من أن يكون في محلّ أو موضوع آخر مادّيًّا أو معنويًّا، و التّفسّح هو التّوسّع فيما يكون في محلّ، و يعبّر عنه بالفارسيّة بكلمة «گشايش». راجع: «الرّحب».

و يدلّ على مفهوم المادّة: استعمال الرّخاء في الآية الكريمة: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِى بِاَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ اَصَابَ﴾ ص: ٣٦، متعلّقًا بالرّيح، و المناسب بها هو الجريان في مقابل الشّدّة، لاما يقابل الصّعوبة و العُسر و القوّة و الخشونة و الضّيق. و قد استُعمل الشّدّة متعلّقًا بالرّيح في آية: ﴿اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ إبراهيم: ١٨.

فظهر لطف التّعبير بالمادّة دون نظائرها في الآية الكريمة، فتنبّه.

ثمّ إنّ التّفسير باللّين و السّهولة و الاسترسال و الضّعف و الفتور و التّأخّر و الاتّساع و التّنفيس و السّدل و التّباعد و التّباطؤ و الفُسْحة و الامتداد و الفكّ و غيرها: كلّها لتقريب الحقيقة باختلاف موارد استعمالها متناسبًا لها.

و المفهوم الحقيقيّ هو ما قلناه، و إذا رأيت إشكالًا في التّطبيق في مورد من موارد استعمال المادّة: فهو من المجاز قطعًا. (٤: ١٠١)

النُّصوص التّفسيريّة

رُخَاءً

فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِى بِاَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ اَصَابَ. ص: ٣٦

ابن عبّاس: ليّنة. (٣٨٢)

مطيعة له. (الطّبَريّ ١٠: ٥٨٤)

مثله الضّحّاك، و الحسن. (الطّبَريّ ١٠: ٥٨٤)

مُجاهِد: طيّبة. (الطّبَريّ ١٠: ٥٨٣)

الحسَن: ليست بعاصفة، و لا الهيّنة، بين ذلك رُخاء. (الطّبَريّ ١٠: ٥٨٣)

قَتادَة: سريعة طيّبة، ليست بعاصفة و لا بطيئة. (الطّبَريّ ١٠: ٥٨٣)

السُّدّيّ: طوعًا. (٤١٣)

ابن زَيْد: الرّخاء: اللّيّنة. (الطّبَريّ ١٠: ٥٨٣)

الفَرّاء: الرُّخاء: الرّيح اللّيّنة الّتي لا تعصف. (٢: ٤٠٥)

نحوه الواحديّ (٣: ٥٥٦)، و البغويّ (٤: ٧٣).

ابن قُتَيْبَة: أي رخوةً ليّنةً. (٣٧٩)

الطّبَريّ: يعني: رخوة ليّنة، و هي من الرّخاوة.

و اختلف أهل التّأويل في معنى الرّخاء، فقال فيه بعضهم نحو الّذي قلنا فيه.

و قال آخرون: معنى ذلك: مطيعة لسليمان. (١٠: ٥٨٣)

الزّجّاج: ﴿رُخاءً﴾ ليّنة، و قيل: ﴿تَجْرى بِاَمْرِهِ﴾ ليست بشديدة كما يجب. (٤: ٣٣٣)

الثّعلبيّ: ليّنة رطبة. (٨: ٢١٠)

الطّوسيّ: الرّخاء: الرّيح اللّيّنة، و هو رخاوة المرور سهولته، و وُصفت باللّين، لأنّها إذا عصفت لم يتمكّن منها، و إذا لانت أمكنت. (٨: ٥٦٤)

الزّمخشريّ: ليّنة طيّبة لاتُزعزع، و قيل: طيّعة له [مطيعة له] لاتمتنع عليه. (٣: ٣٧٥)

نحوه البيضاويّ (٢: ٣١١)، و أبو السّعود (٥: ٣٦٣)، و شبّر (٥: ٢٨٦).

ابن عطيّة: هي اللّيّنة القويّة المتشابهة، لاتأتي فيها دفع مفرطة فتحمله. (٤: ٥٠٦)

القرطبيّ: أي ليّنة مع قوّتها و شدّتها حتّى لاتضرّ بأحد، و تحمله بعسكره و جنوده و موكبه. (١٥: ٢٠٥)

الفخر الرّازيّ: رَخاء، أي رخوة ليّنة، و هي من الرّخاوة، و الرّيح إذا كانت ليّنة لاتُزعزع، و لاتمتنع عليه كانت طيّبة.

فإن قيل: أليس أنّه تعالى قال في آية أُخرى: ﴿وَ لِسُلَيْمٰنَ الرِّيحَ عاصِفَةً تَجْرى بِاَمْرِهِ﴾ الأنبياء: ٨١؟

قلنا: الجواب من وجهين:

الأوّل: لامنافاة بين الآيتين، فإنّ المراد أنّ تلك الرّيح كانت في قوّة الرّياح العاصفة، إلاّ أنّها لمّا جرت بأمره كانت لذيذة طيّبة، فكانت رُخاء.

و الوجه الثّاني من الجواب: أنّ تلك الرّيح كانت ليّنة مرّة و عاصفة أُخرى، و لامنافاة بين الأمرين. (٢٦: ٢١٠)

نحوه النّيسابوريّ (٢٣: ٩٤)، و البُروسويّ (٨: ٣٦)، و الآلوسيّ (٢٣: ٢٠٢)، و المَراغيّ (٢٣: ١٢١).

النّسَفيّ: ليّنة طيّبة لاتُزعزع، و هو حال من ضمير ﴿تَجْرى﴾. (٤: ٤٢)

الشّربينيّ: أي حالة كونها ليّنة غاية اللّين، منقادة، يُدرك بها ما لاتدركه الخيل، غدوّها شهر و رواحها شهر. (٣: ٤١٧)

ابن عاشور: الرُّخاء: اللّيّنة الّتي لازعزعة في هبوبها. و انتُصب ﴿رُخاءً﴾ على الحال من ضمير ﴿تَجْرى﴾ أي تجري بأمره ليّنة مساعدة لسير السّفن. و هذا من التّسخير، لأنّ شأن الرّيح أن تتقلّب كيفيّات هبوبها، و أكثر ما تهبّ أن تهبّ شديدة عاصفة، و قد قال تعالى في سورة الأنبياء: ٨١، ﴿وَ لِسُلَيْمٰنَ الرِّيحَ عاصِفَةً﴾.

و معناه: سخّرنا لسليمان الرّيح الّتي شأنها العصوف، فمعنى ﴿فَسَخَّرْنا لَهُ﴾: جعلناها له رُخاء. فانتُصب ﴿عاصِفَةً﴾ في آية سورة الأنبياء على الحال من ﴿الرِّيحَ﴾ و هي حال منتقلة. و لمّا أعقبه بقوله: ﴿تَجْرى بِاَمْرِهِ﴾ علم أنّ عصفها يصير إلى لين بأمر سليمان، أي دعائه، أو بعزمه، أو رغبته، لأنّه لاتصلح له أن تكون عاصفة بحال من الأحوال. فهذا وجه دفع التّنافي بين الحالين في الآيتين. (٢٣: ١٥٩)

مَغْنيّة: أي طيعة. (٦: ٣٧٩)

الطّباطبائيّ: الرُّخاء: بالضّمّ اللّيّنة، و الظّاهر أنّ

المراد بكون الرّيح تجري بأمره رخاءً، مطاوعتها لأمره وسهولة جريانها على ما يريده عليه السلام، فلا يرد أنّ توصيف الرّيح هاهنا بالرُّخاء يناقض توصيفه في قوله: ﴿وَلِسُلَيْمٰنَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ﴾ الأنبياء: ٨١، بكونها عاصفة.

وربّما أُجيب عنه: بأنّ من الجائز أن يجعلها الله رخوةً تارةً وعاصفةً أُخرى، حسب ما أراد سليمان عليه السلام. (١٧: ٢٠٥)

مكارم الشّيرازيّ: هنا يُطرح سؤال، وهو: كيف يمكن أن تتطابق عبارة ﴿رُخَاءً﴾ الواردة في هذه الآية، والّتي تعني اللّين مع عبارة ﴿عَاصِفَةً﴾ والّتي تعني الرّياح الشّديدة، والواردة في الآية: ٨١، من سورة الأنبياء: ﴿وَلِسُلَيْمٰنَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾.

لهذا السّؤال جوابان:

الأوّل: وصف الرّياح بالعاصفة لبيان سرعة حركتها، ووصفها بالرُّخاء لبيان حركتها الهادئة والرّتيبة، أي إنّ سليمان وأصحابه لم يكونوا يشعرون بأيّ انزعاج من جرّاء حركة الرّياح السّريعة، فهي كالوسائل السّريعة السّير الموجودة حاليًا، الّتي يشعر الإنسان معها، كأنّه جالس في إحدى غرف بيته، بينما تسير به تلك الوسيلة بسرعة عالية جدًّا.

وقد ذكر بعض المفسّرين جوابًا آخر على ذلك السّؤال، وهو: أنّ هاتين الآيتين تشيران إلى نوعين من الرّياح سخّرهما الله سبحانه وتعالى لسليمان، إحداهما: كانت سريعة السّير، والثّانية: بطيئة. (١٤: ٤٦٣)

فضل الله: أي تتحرّك بإرادته واختياره بسهولةٍ ولينٍ من دون أيّة مشكلة؛ وذلك على سبيل الكناية في التّعبير عن مطاوعتها له وانقيادها لرغبته، في كلّ مشاريعه المتحرّكة في التّنقّل من مكان إلى مكان بسرعة، ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾ أي حيث أراد ممّا يقصده، ويريد الوصول إليه من أهداف، لذا فلامنافاة بين هذه الكلمة في توصيف الرّيح بالرُّخاء وبين التّعبير عن الرّيح بأنّها عاصفةً في قوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمٰنَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ﴾ الأنبياء: ٨١، لأنّ التّعبيرين واردان على سبيل الكناية؛ إذ يراد من الرُّخاء الانقياد، ومن العاصفة السّرعة، والله العالم. (١٩: ٢٦٤)

الأُصول اللّغويّة

١ ـ الأصل في هذه المادّة الرَّخْو: الهشّ من كلّ شيء، وهو الرِّخْو والرُّخْو أيضًا. يقال: رَخُوَ الشّيء يَرْخُو رَخَاءً ورَخَاوَةً ورِخْوَةً، ورَخِيَ يَرْخَى واسترْخَى، أي صار رِخْوًا. وفيه رِخْوَةٌ ورُخْوَة: استِرْخاء.

والرَّخاء من الأرض: الرَّخْوَة.

والرُّخاء: الرّيح السّهلة الهبوب واللّيّنة.

وأرْخَى الرِّباط وراخاه: جعله رخوًا.

وأرْخَى الفرس وأرْخَى له: طوّل له الحبل.

وفرس رِخْوَة: سهلة مسترسلة.

وأرْخيتُ الشّيء وغيره، إذا أرسَلتَه.

وأرْخيتُ السّتر فهو مرخى، إذا أرسلته وأسبلته.

وهذه أُرخيّة: لما أرخيتَ من شيء، كالسّتر وغيره؛ والجمع: الأراخيّ.

وأرْختِ النّاقة إرخاءً: استرْخى صلاها، فهي مُرْخٍ.

وراختِ المرأة: حان ولادها، لاسترخاء فرجها.

ويقال مجازًا: أرْخِ له الحبل، أي وَسِّعْ عليه الأمر في تصرّفه حتّى يذهب حيث شاء.

وراخِ له من خناقه: رَفِّهْ عنه.

ومن أمثال العرب: «أرْخِ يديك واسترْخِ، إنّ الزّناد من مَرْخٍ»، يُضرَب لمن طلب حاجة إلى كريم، يكفيك عنده اليسير من الكلام.

ويقال في الآمن المطمئنّ: أرْخى عمامته، لأنّه لا تُرْخى العمائم في الشّدّة.

والتّراخي: التّقاعد عن الشّيء. يقال: تراخى عن حاجته، أي فتر.

وتراخى فلان عنّي: تقاعس وأبطأ عنّي.

وتراخى السّماء: أبطأ المطر.

والحرف الرّخْو: هو الّذي يجري فيه الصّوت.

والحروف الرِّخْوة ثلاثة عشر حرفًا، وهي: الثّاء، والحاء، والخاء، والذّال، والزّاي، والظّاء، والصّاد، والضّاد، والغين، والفاء، والسّين، والشّين، والهاء.

ومنه أيضًا: الرُّخاء: سعة العيش، وقد رَخُوَ ورَخا يَرْخُو ويَرْخى رَخًى، فهو راخٍ ورَخِيٌّ، وإنّه في عيش رَخِيٍّ، أي ناعم.

وفي حديث الإمام عليّ عليه السلام في الدّنيا: «لا يدوم رخاؤها، ولا ينقضي عناؤها»[1]

واسترْخى به الأمر واسترْخَتْ به حاله، إذا وقع في حال حسنة بعد ضيق وشدّة.

واسترْخى به الخطب: أرخاه خطبه ونعّمه، وجعله في رخاء وسعة.

والإرخاء: شدّة العَدْو. يقال: أرْخى الفرس في عَدْوه، إذا أحضر. قال الأزهريّ: «مأخوذ من الرّيح الرُّخاء، وهي السّريعة مع لين».

والإرخاء: أن تُخلّي الفرس وشهوته في العَدْو غير متعب له. يقال: فرس مِرْخاء من خيل مَراخٍ.

وأتان مِرْخاء: كثيرة الإرخاء. يقال: فرس مِرْخاة وناقة مِرْخاء في سيرهما.

وأرْخى الدّابّة: سار بها الإرخاء.

٢ ـ واستعمل المولّدون بعض مشتقّات هذه المادّة في معان مختلفة، ومنها قولهم: استِرْخاء العضلات، أي هُزالها. والصّواب: ضمور العضلات، لأنّ الاسترْخاء خلاف الشّدّ، وكلاهما عامل طبيعيّ. وأمّا ضمورها فهو عامل مرضيّ يصيب عضلات الرِّجْلين لدى الذّكور والإناث في العقد الرّابع.

وقولهم: أرْخى عينيه بالدّموع، والمأثور عن العرب: أذْرَى دمُوعه، وأسبل عبرته، ونحوهما.

وطقس رَخْوٌ، أي جوّ معتدل، ولا توصف حالة الجوّ بالرُّخاوة والشّدّة، وإنّما توصف الرّيح بالرُّخاء، فيقال: ريح رُخاء، أي ليّنة. ويقال لها أيضًا: نسيم،

---

(١) نهج البلاغة ـ الخطبة: (٢٣٠).

و رادة، و مريضة.

الاستعمال القرآنيّ

جاء منها المصدر مرّة واحدة، في آية واحدة:

﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ ص: ٣٦.

يلاحظ أوّلًا: أنّها فريدة في القرآن، جاءت في سورة مكّيّة، و لعلّها كانت خاصّة بها، و فيها بحوث:

١ ـ هذه من الآيات في قصّة سليمان من سورة ص، بدءً من الآية: ٣٠، ﴿وَ وَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمٰنَ﴾ و ختمًا بالآية: ٤٠، ﴿وَ إِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفٰى وَ حُسْنَ مَـاٰبٍ﴾.

٢ ـ و اختلفت الأقوال في معنى ﴿رُخَاءً﴾: ليّنة، مطيعة، طيّبة، ليست بعاصفة، و لاهيّنة بين ذلك، سريعة طيّبة، ليست بعاصفة و لابطيئة، طوعًا، الرّيح اللّيّنة الّتي لاتعصف، مطيعة لسليمان و نحوها، و هي من الرّخاوة بمعنى سعة العيش.

٣ ـ و لهم بحث طويل في الفرق البيّن بين هذه الآية و الآية: ٨١، من سورة الأنبياء: ﴿وَ لِسُلَيْمٰنَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِ...﴾، فإنّ اللّيّنة ضدّ العصوف. و قد جمعوا بينهما بوجهين:

الأوّل: أنّه لامنافاة بينهما، فإنّ المراد أنّ تلك الرّيح كانت في قوّة الرّيح العاصفة، إلّا أنّها لمّا جرت بأمر سليمان عليه السلام كانت لذيذة طيّبة، فكانت رُخاءً.

الثّاني: أنّ تلك الرّيح كانت ليّنة مرّةً و عاصفةً أخرى، و لامنافاة بين الأمرين.

٤ ـ و قال ابن عاشور: «و معناه: سخّرنا لسليمان الرّيح الّتي شأنها العصوف، فمعنى ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ﴾ جعلناها له رُخاء. فانتُصب ﴿عَاصِفَةً﴾ في آية سورة الأنبياء على الحال من ﴿الرِّيحَ﴾ و هي حال منتقلة. و لمّا أعقبه بقوله: ﴿تَجْرِى بِأَمْرِهِ﴾ علم أنّ عصفها يصير إلى لَيْن بأمر سليمان، أي دعائه، أو بعزمه، أو رغبته، لأنّه لاتصلح له أن تكون عاصفة بحال من الأحوال، فهذا وجه دفع التّنافي بين الحالين في الآيتين»، و لاحظ سائر النّصوص.

و ثانيًا: أنّها قصّة مكّيّة كأكثر القصص القرآنيّة.

و ثالثًا: ليس لهذه المادّة نظائر في القرآن.

ر د أ

ردءًا

لفظ واحد، مرّة واحدة، في سورة مكّيّة

النُّصوص اللُّغويّة

الخليل: الرِّدْءُ مهموز، و تقول: رَدَأتُ فلانًا بكذا أو كذا، أي جَعَلتُه قوّة له و عمادًا، كالحائط تَرْدَؤُه برِدْءٍ من بناء تُلزِقه به.

و أرْدَأتُه، أي أعَنتُه، و صِرت له رِدْءًا، أي مُعينًا.

و الرُّدُوء: الأعوان، و تَرادَأوا، أي تعاونوا.

و قد أرْدَأ هذا الأمر على غيره، أي زاد، يُهْمَز و يُليَّن، و أرْبَأ و أرْمَأ مثله. [ثمّ استشهد بشعر]

و الرَّداءَة: مصدر الشّيء الرّديء، و قد رَدُؤَ الشّيء يَرْدُؤُ رَداءَةً.

و إذا أصَبْتَ شيئًا أو فعَلتَه فِعلًا رديئًا فأنتَ مُرْدِئٌ. (٨: ٦٧)

الضّبّيّ: أرْدَأتُ الحائط بهذا المعنى. [الدّعم بخشب]

و الأرْداء: الأعدال الثّقيلة، كلّ عِدْل منها رِدْءٌ.

و قد اعتَكَمْنا أرْداءً لنا ثقالًا، أي أعدالًا.

(الأزهَريّ ١٤: ١٦٧)

الكِسائيّ: أرْدَيْتُ على الخمسين، أي زدت عليها. [ثمّ استشهد بشعر] (الأزهَريّ ١٤: ١٦٧)

ابن شُمَيْل: رَدَأتُ الحائط أرْدَؤُه، إذا دعَمتَه بخشب أو كَبْس يدفعه أن يسقط.

(الأزهَريّ ١٤: ١٦٧)

أبوعمرو الشّيبانيّ: أرْدَأتُه: سكّنتُه و آنسته، الولد و غيره. (١: ٢٨٨)

النّاقة تألف الأباعر فتتبعها حتّى تجرّ حملًا فيُردّها ما في بطنها: يُسكّنها. (١: ٢٨٩)

الفَرّاء: الصّخرة يقال لها: رَداة؛ وجمعها: رَدَيات. [ثمّ استشهد بشعر] (الأزهريّ ١٤: ١٦٨)

ابن الأعرابيّ: أبوك رداؤك، ودارك رداؤك، وكلّ ما زيّنك فهو رداؤك. [ثمّ استشهد بشعر]

(الأزهريّ ١٤: ١٦٩)

وأردَأ على السّتّين: زاد عليها، مهموز.

(ابن سيده ٩: ٣٧٥)

ابن السِّكّيت: وهو شيء رديء بيّن الرَّداءة، ولا تقل: الرّداوة. (إصلاح المنطق: ١٤٩)

وقد أردَأتُ الرّجل، إذا أعنته، قال الله جلّ وعزّ: ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا﴾ القصص: ٣٤.

وقد أردَيتُه إذا أهلكته. (إصلاح المنطق: ١٥٥)

فلان غَمْر الرّداء، إذا كان كثير المعروف واسعه وإن كان رداؤه صغيرًا. [ثمّ استشهد بشعر]

(الأزهريّ ١٤: ١٦٩)

ابن أبي اليمان: الرِّدْء: الرّجل المعتمَد عليه، قال الله جلّ ثناؤه: ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي﴾ القصص: ٣٤، وكلّ معتمَد عليه فهو رِدْء. (٩٦)

الزّجّاج: رَدُؤ الرّجل فهو رديء.

وأردَأتُ الرّجل بنفسي إرداءً، أي أعنته وكنت له رِدْءًا. (فعلت وأفعلت: ١٩)

ابن دُرَيْد: رَدُؤ الشّيء رداءةً، إذا صار رديئًا؛ والاسم: الرَّداءة. (٣: ٢٤١)

أردَأتُ الرّجل بنفسي إرداءً، إذا كنتَ له رِدْءًا وهو العون. (٣: ٢٦٩)

ورَدُؤ الشّيء رَداءة، إذا صار رديئًا فاسدًا. (٣: ٢٨٢)

القاليّ: الرِّدْء: العون، قال الله عزّ وجلّ: ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي﴾ القصص: ٣٤. (١: ٩٥)

العرب تقول: فدًى لك ردائي، وفدًى لك ثوبي، يريدون البدن. (٢: ٢٩٥)

الأزهريّ: فلان رِدْء لفلان، أي ينصره ويَشُدّ ظهره.

وتقول: أردَأتُ فلانًا، أي رَدَأتُه.

وصرت له رِدْءًا، أي معينًا. الرِّدْء: المعين، وترادأوا، أي تعاونوا.

وقال اللّيث: لغة للعرب: أردأ على الخمسين، إذا زاد.

قلت: لم أسمع الهمز في «أردى» لغير اللّيث، وهو غلط منه.

وروي عن عليّ أنّه قال: من أراد البقاء ولا بقاء فليباكر الغداء وليُخفّف الرّداء.

قالوا له: وما تخفيف الرّداء في البقاء؟ فقال: قلّة الدَّين.

قلت: ويسمّى الدَّين رداء، لأنّ الرّداء يقع على المَنْكِبَيْن ومجتمع العنُق، والدَّين أمانة، والعرب تقول في ضمان الدَّين: هذا لك في عنقي ولازمُ رقبتي، فقيل للدَّين: رداء، لأنّه لزم عنُق الّذي هو عليه، كالرّداء الّذي يلزم المَنْكِبَيْن إذا تَرَدَّى به.

و منه قيل للسّيف: رداء، لأنّ متقلّدَه بحمائله متَـردٍ به.

و يقال للوشاح: رداء، و قد تَرَدّت الجارية، إذا توشّحت. [و استشهد بالشّعر مرّتين] (١٤: ١٦٧)

الصّاحِب: الرِّدْءَة مهموزة، من قولهم: رَدَأتُه بكذا، أي جَعَلتُه قوّةً له و عمادًا تُرْدَؤُه به.

و أرْدَأتُ فلانًا: أعَنتُه و صرت له رِدْءًا، أي معينًا. و تَرادأوا: تعاونوا.

و الرِّدْء: العِدْل الثّقيل، و جمعه: أرْداء، بوزن أذراع.

و أرْدَأ هذا الأمر على غيره مهموزٌ، أي زاد، و منهم من يُليّنه.

و أرْدَأتُ السِّتر: أرخيتُه، و الحائط: دعَمْتُه بخشب أو بناء، و كذلك رَدَأتُه.

و أرْدَأ الشّيخ إلى الوسادة: أسنَد ظهره إليه.

و أرْدَأت إلى قوله: سكنت إليه.

و الرّاعي يَرْدَأ الإبل، أي يُحسن القيام عليها.

و رَدَأوا علينا رَدْءًا: و هو أن يتحمّل قوم على إبل ثمّ يَرْدَأوا على قوم آخرين ليتحمّلوا.

و الرَّداءة: مصدر الشّيء الرّدىء، رَدُؤَ يَردُؤُ. و هو مُرْدِئٌ، إذا فعل رديئًا، و إذا أصاب شيئًا رديئًا. (٩: ٣٥٠)

الجَوهَريّ: رَدُؤَ الشّيء، يَرْدُؤ رَداءةً، فهو رَديءٌ، أي فاسد. وأرْدَأتُه: أفسَدتُه.

و أرْدَأتُه أيضًا بمعنى أعَنتُه. تقول: أرْدَأتُه بنفسي، إذا كنت له رِدْءًا، و هو العون، قال الله تبارك و تعالى: ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي﴾. (١: ٥٢)

ابن فارس: الرّاء و الدّال و الياء أصل واحد يدلّ على رَمْيٍ أو تَرام و ما أشبه ذلك. [إلى أن قال:]

فأمّا المهموز فكلمتان متباينتان جدًّا. يقال: أرْدَأتُ: أفسَدْت. و رَدُؤَ الشّيء فهو رديء.

و الكلمة الأُخرى: أرْدَأتُ، إذا أعَنتَ، و فلان رِدْء فلان، أي معينه، قال الله جلّ جلاله في قصّة موسى عليه السلام: ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي﴾. (٢: ٥٠٦)

أبوسَهْل الهَرَوي: و قد رَدُؤَ الشّيء بضمّ الدّال و الهمز، فهو رديءٌ على فعيل، أي فسَد. (التّلويح: ٢٨)

ابن سيده: الرِّدْء: العون و المادّة.

و رَدَأ الشّيء بالشّيء: جعله له رِدْءًا.

و أرْدَأه: أعانه.

و تَرادَأ القوم: تعاونوا.

و رَدَأ الحائط ببناء: ألزَقه به.

و رَدَأه بحَجَر: رماه، كرَداه.

و رَدُؤَ الشّيء رَداءةً، فهو رديء: فسَد.

و رجل رَديءٌ كذلك من قوم أرْدِءاء، بهمزتين عن اللِّحيانيّ وحده.

و أرْدَأ الرّجل: فعل شيئًا رديئًا، أو أصابه.

و أرْدَأ هذا الأمر على غيره: أربى، يُهمَز و لا يُهمَز.

و الّذي حكاه أبوعُبَيْد: أرْدَيْت. [ثمّ استشهد بشعر] (٩: ٣٧٤)

الرّاغِب: الرِّدْء: الّذي يتّبع غيره معينًا له. قال تعالى: ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي﴾ و قد أرْدَأه.

و الرّديء في الأصل مثله، لكن تُعُورف في المتأخّر المذموم. يقال: رَدُؤ الشّيء رَداءَة، فهو رَديء. (١٩٣)

ابن الأثير: في وصيّة عمر عند موته: «و أُوصيه بأهل الأمصار خيرًا، فإنّهم رِدْء الإسلام و جباة المال». الرِّدْء: العون و النّاصر. (٢: ٢١٣)

الفَيُّوميّ: رَدُؤ الشّيء بالهمز رَداءةً فهو رديءٌ على فعيل، أي وضيع خسيس.

و الرِّداء بالمدّ ما يُتَردّى به، مذكّر، و لا يجوز تأنيثه، قاله ابن الأنباريّ. و التّثنية: رداءان بالهمز. و ربّما قلبت الهمزة واوًا، فقيل: رداوان.

و ارْتَدَى بردائه، و هو حسَن الرِّدْيَة بالكسر؛ و الجمع: أرْدِيةٌ بالياء، مثل سلاح و أسلحةٍ.

و الرِّدْء مهموز، وزان حِمْل: المعين. و أرْدَأتُه بالألف: أعَنْتُه. (١: ٢٢٥)

الجُرْجانيّ: الرِّداء: في اصطلاح المشايخ، ظهور صفات الحقّ على العبد. (٤٨)

الفيروزاباديّ: الرِّدْء، بالكسر: العَون، و المادّة و العِدْل الثّقيل.

و رَدَأه به، كمنعه: جعله له رِدْءً و قوّةً و عمادًا، و الحائط: دعَمَه، كأرْدَأه، و بحَجَر: رماه به، و الإبل: أحسن القيام عليها.

و أرْدَأه: أعانه، و على مائة: زاد، و السِّتر: أرخاه و سكّنه، و أفسده، و أقرّه، و فعل رديئًا، أو أصابه.

و رَدُؤ، كـ«كَرُم» رَداءَةً: فسَد، فهو رديء من أرْدِئاء، بهمزتين. (١: ١٦)

الطُّرَيحيّ: قوله تعالى: ﴿رِدْءًا يُصَدِّقُنِي﴾ أي معينًا. يقال: رَدَأتُه على عدوّه، أي أعَنْتُه عليه.

و الرِّدْء: العَوْن، فِعْل بمعنى مفعول، كالدِّفْء لما يُدْفأ به.

و في الحديث: «الكبرياء ردائي و العظمة إزاري». و المعنى على ما نُقل عن بعض العارفين: إنّهما صفتان لله اختصّ بهما، و ضرب الرِّداء و الإزار مثلًا، أي لا يشركني في هاتين الصّفتين مخلوق، كما لا يشرك الإنسان فيما هو لابسه من الإزار و الرِّداء أحد.

و ذلك من مجازات العرب و بديع استعاراتها، يُكنّون عن الصّفة اللّازمة بالثّوب، يقولون: «شعار فلان الزّهد، و لباسه التّقوى».

و فيه تنبيه على أنّ الصّفتين المذكورتين لا يدخلهما المجاز، كما يدخل في ألفاظ بعض الصّفات، مثل الرّحمة و الكرم.

و مثله في التّوجيه: «العزّ رداء الله و الكبرياء إزاره». و الرِّداء بالكسر: ما يستر أعالي البدن فقط؛ و الجمع: أرْدِيَة، مثل سلاح و أسلحة.

و إن شئت قلت: الرِّداء: الثّوب الّذي يُجعَل على العاتقين و بين الكتفين فوق الثّياب، و التّثنية: رداآن، و إن شئت رداوان، قاله الجوهَريّ و غيره.

و هو حسَن الرِّدْيَة بالكسر كالجلسة.

و في حديث علي عليه السلام: «من أراد البقاء و لابقاء فليباكر الغداء، و ليجوّد الحذاء، و ليخفّف الـرّداء، و ليُقِلّ مجامعة النّساء. قيل: و ما خفّة الرّداء؟ قال: قلّة الدَّين». قيل: سمّي رداء لقولهم: «دَينُك في ذمّتي و في عنُقي و لازم في رقبتي» و هو موضع الرّداء.

و عن الفارسيّ: يجوز أن يقال: كُنّي بالرّداء عن الظّهر، لأنّ الرّداء يقع عليه، فمعناه: فليُخفّف ظهره و لايُثقله بالدَّين.

و رَدُؤَ الشّيء بالهمز يَرْدُؤ كحَسُن يَحسُن رَداءةً بالمدّ: فسَد.

و الرّديء على وزن فعيل: الفاسد.

و رجل رَديء، أي وضيع خسيس. (١: ١٨١)

مَجْمَعُ اللُّغة: رَدَأ الشّيء بالشّيء يَرْدَؤه رَدْءً: جعله قوّةً له و عمادًا، و الرِّدْء: العَون. (١: ٤٦٧)

محمّد إسماعيل إبراهيم: رَدَأته على عدوّه: أعَنتُه عليه، و رَدَأتُ الحائط: دعَمتُه بخشبة حتّى لا يسقط.

و الرِّدْء: النّاصر و المعين و بمعنى العَوْن. (٢١٧)

محمود شيت: رَدَأ الجيش قُوّات المجاهدين: دعَمَها و قوّاها.

تَرادَأ الجيش: تعاونت صنوفه.

الرِّدْء: القوّة الاحتياطيّة. يقال: سَريّة الرِّدْء: سَريّة الاحتياط، لأنّها معين الفوج و عماده.

(١: ٢٨٦)

المُصْطَفَويّ: التّحقيق: أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو صيرورة شيء ظهيرًا لشيء آخر، حتّى يجبر استرخاءه و سقوطه، و يكون عمادًا له. فيقال أرْدَأت الحائط، أي أدْعَمتُه بخشَب، و أرْدَأتُه بنفسي، إذا جعَلتَ نفسك ظهيرًا و قوّةً و ناصرًا و عمادًا له.

فالإعانة و النّصرة و التّقوية المطلقة ليست بمفهوم حقيقيّ للمادّة، بل في مورد شدّ الظّهر و الإدعام و التّعميد بشيء.

و أمّا مفهوم الفساد أو الخسّة أو الوضع أو الكراهة: فإنّها من لوازم الأصل، فإنّ في الإدعام نوع استرخاء و ضَعَة و ضعف و فساد، و يكون العماد و الظّهير تابعًا للشّيء المسترخَى، و يُجعَل قوّته مصروفة في إعانته، فهو ساقط و مسترخى بالتّبع و في المرتبة الثّانية.

و أيضًا إنّ مادّة الرّدي: سيجيء أنّ الأصل الواحد فيها هو الضّعة و السّقوط، و بين المادّتين اشتقاق أكبر، و لايخلو أحدهما من التّأثّر من مفهوم الآخر، و قد يُختلَط بين المفهومين في الاستعمال، و نظائره كثيرة.

و أمّا الرّداء: فهو في الأصل مصدر مجرّد أو من رادأ مُرادَءَةً و رداءً، فكأنّ لبس الرّداء و الارتداء به جعله رِدْءً و ناصرًا و جابرًا للضّعف، فإنّه ساتر جميل، و في ذيله يحمل الإنسان ما يحمل، و في ظاهره وقار و عظمة.

و لايخفى من الاشتقاق بينها و بين موادّ الرّدع: المنع، و الرّدغ: الاسترخاء، و الرّدف: الإتباع و اللّحوق، و الرّدم سَدّ ثلمة. و يجمعها معنى الجبر

و الاسترخاء و اللّحوق.

﴿وَاَخِي هٰرُونُ هُوَ اَفْصَحُ مِنّي لِسَانًا فَاَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي﴾ القصص: ٣٤، أي بأن يكون ظهيرًا لي يشدّ ظهري و يجبر ضعفي.

فظهر لطف التعبير بالكلمة، دون الإعانة و التّعميد و الإدعام و النّصر و التّقوية، و أمثالها: فإنّ خصوصيّة مادّة الرّدء غير ملحوظة في سائر الموادّ، و هي كما قلنا: ظهور ضعف و استرخاء في شيء، ثمّ صيرورة شيء آخر ظهيرًا له حتّى يجبر استرخاءه.

و أمّا النّصر و الإعانة و التّقوية: فهي تدلّ على مطلق مفهومها، و التّعميد و الإدعام أيضًا مطلقة من تلك الحيثيّة، مع وجود قيد آخر في المادّة و هو الضّعف و الاسترخاء. (٤: ١٠٣)

النّصوص التّفسيريّة

رِدْءًا

وَاَخِي هٰرُونُ هُوَ اَفْصَحُ مِنّي لِسَانًا فَاَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي اِنّي اَخَافُ اَنْ يُكَذِّبُونِ. القصص: ٣٤

ابن عبّاس: معينًا. (٣٢٦)

مُجاهِد: عَونًا.

مثله قَتادَة. (الطّبَريّ ١٠: ٧٢)

الفَرّاء: الرِّدْء: العَون. تقول: أرْدَأْتُ الرّجل: أعنته. و أهل المدينة يقولون: (رِدًا يُصَدِّقُني)، بغير همز. (٢: ٣٠٦)

ابن قُتَيْبَة: أي معينًا. يقال: أرْدَأْتُه على كذا، أي أعَنْتُه. (٣٣٣)

الطّبَريّ: الرِّدْء في كلام العرب هو العَون. يقال منه: قد أرْدَأْتُ فلانًا على أمره، أي أكفيتُه و أعنتُه. (١٠: ٧٢)

الزّجّاج: الرِّدْء: العَون. تقول: رَدَأْتُه أرْدَؤُه رَدْءًا، إذا أعنته، و الرِّدْءُ: المعين. (٤: ١٤٤)

نحوه مكارم الشّيرازيّ. (١٢: ٢٠٩)

الثّعلبيّ: معينًا، يقال: أرْدَأْتُه، أي أعنتُه، و ترك همزه عيسى بن عمر و أهل المدينة طلبًا للخفّة. (٧: ٢٤٩)

الماوَرْديّ: فيه وجهان:

أحدهما: [قول مُجاهِد]

الثّاني: زيادة، و الرِّدْء: الزّيادة، و هو قول مسلم ابن جُنْدَب. [ثمّ استشهد بشعر] (٤: ٢٥٢)

الطُّوسيّ: قرأ نافع (رِدًا) بفتح الدّال من غير همز منوّنًا. و قرأه أبو جعفر بألف بعد الدّال من غير همز و غير تنوين. الباقون بسكون الدّال و بعدها همزة مفتوحة منوّنة. (٨: ١٤٧)

الواحديّ: عَونًا، يقال: فلان رِدْءٌ لفلان، إذا كان ينصره و يشدّ ظهره، يقال: أرْدَأْتُ فلانًا، إذا أعَنْتَه. (٣: ٣٩٩)

نحوه الطُّبْرِسيّ. (٤: ٢٥٣)

البغَويّ: عَونًا. يقال: رَدَأْتُه، أي أعنتُه. قرأ نافع: (رِدًا) بفتح الدّال من غير همز طلبًا للخفّة، و قرأ الباقون بسكون الدّال مهموزًا. (٣: ٥٣٤)

نحوه شُبَّر (٥: ٢٢)، و الآلوسيّ (٢٠: ٧٧).

الزَّمَخْشَريّ: يقال: رَدَأتُه: أعَنْتُه، و الـرِّدْء: اسم ما يُعان به، فِعْل بمعنى مفعول به، كما أنّ الدِّفْء اسم لما يُدْفأ به. [ثمّ استشهد بشعر]

و قـرئ (ردًا) علـى التّخفيـف، كمـا قـرئ (الخَبَ) النّمل: ٢٥. (٣: ١٧٦)

نحوه الفَخْر الرّازيّ (٢٤: ٢٤٩)، و البَيْضـاويّ (٢: ١٩٣)، و النَّيسابوريّ (٢٠: ٤٢)، و الشِّـربينيّ (٣: ٩٩)، و أبو السُّـعود (٥: ١٢٣)، و البُرُوسَـويّ (٦: ٤٠٤).

ابن عَطيّة: قرأ الجمهور ﴿رِدْءًا﴾ بالهمز، و قرأ نافع وحده (ردًا) بتنوين الـدّال دون همـز، و هـي قراءة أبي جعفر و المدنيّين، و ذلك على التّخفيف من ردء.

و الرِّدْء: الوزر المعين و الّـذي يُسـنَد إليـه في الأمر. و ذهبت فرقة إلى أنّهـا مـن معـنى الزّيـادة. [ثمّ استشهد بشعر] (٤: ٢٨٨)

نحوه القُرطُبيّ. (١٣: ٢٨٦)

النَّسَفيّ: حال، أي عَوْنًا، يقال: رَدَأتُه: أعَنْتُه، و بلاهمز مدنيّ. (٣: ٢٣٦)

أبو حَيّـان: قـرأ الجمهـور: ﴿رِدْءًا﴾ بـالهمز، و أبو جعفر و نافع و المدنيّان بحـذف الهمـزة، و نَقـل حركتها إلى الدّال، و المشهور عن أبي جعفر بالنّقل: و لاهمز و لاتنوين، و وجهـه أنّـه أجـرى الوصـل مجرى الوقف. (٧: ١١٨)

ابن عاشور «ردي» بالتّخفيف مثـل «ردء» بـالهمز في آخـره: العَـوْن. قـرأه نـافع و أبـو جعفر (ردي) مخفّفًا. و قرأه الباقون ﴿رِدْءًا﴾ بالهمز علـى الأصل. (٢٠: ٥٢)

مَغْنيّة: ﴿رِدْءًا﴾: معينًا لي على بـثّ الـدّعوة، و فيه إيماء إلى أنّه لابدّ لكلّ دعـوة مـن أنصـار، و أنّ العلم وحـده لايكفي لإثبـات الدّفـاع عـن الحقّ، ما لم تقترن الحجّة بطلاقة اللّسـان و فصـاحة البيان. (٦: ٦٤)

فضل الله: أي ناصرًا ينصرني و يشدّ ظهري. (١٧: ٢٩٣)

الأُصول اللُّغويّة

١ ـ لهذه المادّة أصلان: الأوّل: الرِّدْء، أي العون و النّصـرة. يقـال: رَدَأ الحـائط ببنـاء يَـرْدَؤه ردءً، و أرْدأه، أي ألزقه به.

و الرِّدْء: المعين. يقال: فلان ردء لفلان، أي معين ينصره و يشدّ ظهره.

و رَدَأتُ فلانًا بكذا و كذا، أي جعَلتُـه قـوّةً لـه و عمادًا، كالحائط تُرْدَؤه من بناء تلزقه به.

و أرْدَأتُ فلانـا: رَدَأتُـه و صـرت لـه ردءً، أي معينًا.

و ترادأ القوم: تعاونوا.

و الرِّدْء: العدل الثّقيـل؛ و الجمـع: أرْداء، لأنّـه ينصر العـدل الآخـر و يسـاويه في العمـل. يقـال: اعتكمنا أرْداء لنا ثقالًا، أي أعدالًا.

و منه: الرِّداء: الّذي يُلبَس، و تثنيتـه رداءان أو رداوان؛ و جمعه: أرْدية على التّسهيل، وهو الرِّداءة،

و قد تَرَدّى و ارْتَدى، أي لبس الرِّداء، لأنّه يلزق بالجسم و يشدّه. يقال: إنّه لحسن الرِّدْيَة، أي الارتداء، و رَدَّيْتُه أنا تَرْدِيةً.

و الرِّداء: الغطاء الكبير، و الوشاح، و قد تَرَدَّت الجارية، إذا توشّحت.

و امرأة هيفاء المُرَدّى: ضامرة موضع الوشاح.

و الرِّداء: السّيف، على التّشبيه بالرِّداء من الملابس، و قد تَرَدّى به وارْتَدى.

و الرِّداء: القوس، لأنّها تُحمَل موضع الرِّداء من العاتق.

و الرِّداء: الدَّيْن، لأنه يلزم عنق الّذي هو عليه، كالرِّداء الّذي يلزم المنكبين إذا تُرُدِّي به. و في حديث الإمام عليّ عليه السلام: «من أراد البقاء و لابقاء، فليباكر الغداء، و ليُخفِّف الرِّداء، و ليقلّ غشيان النّساء» قالوا له: و ما تخفيف الرِّداء في البقاء؟ فقال: «قلّة الدَّيْن».

و الرِّداء: العقل، و كلّ ما زيّنك، حتّى دارك و ابنك. يقال: أبوك داؤك، و دارك رداؤك، و بُنَيّك رداؤك.

و الرِّداء: الشّباب، و هو حسنه و غضارته و نعمته.

و رجل غمر الرِّداء: واسع المعروف و إن كان رداؤه صغيرًا.

و عيش غمر الرِّداء: واسع خصيب.

و أرْدأ على السّتّين: زاد عليها، و أرْدَى غير مهموز أيضًا.

و الثّاني: الرَّداءة، أي النُّكر و الفساد. يقال: رَدُؤَ الشّيء يَرْدُؤ رَداءةً فهو رديء، أي فسد.

و هذا شيء رَدِيء بيّن الرَّداءة، و قد أرْدَأْتُه، أي أفسَدْتُه و جعلته رديئًا.

و يقال أيضًا: رجل رَدِيء، من قوم أرْدِئاء.

و أرْدأ: فعل شيئًا رديئًا أو أصابه، فهو مُردِئ.

٢ ـ و لعلّ الرِّدْء مقلوب الدَّرْء، أي الدّفع. قال ابن دُرَيْد: «دَرَأْته بحجر، إذا رميته به، و دَرَيْته، بغير همز»[1] و جاء في لسان العرب[2] أيضًا: «دَرَأ الحائط ببناء: ألزقه به، و دَرَأه بحجر: رماه، كرَدَأه».

و لسنا منه على يقين.

و ممّا جاء مهموزًا و معتلًّا قولهم: أرْدأ هذا الأمر على غيره، و أرْدَى: أرْبَى و زاد.

و أرْدأ على السّتّين، و أرْدَى على الخمسين و الثّمانين: زاد. قال الخليل: «يُهمَز و يليّن».

و تعقّبه الأزهريّ بقوله: «لم أسمع الهمز في «أرْدَى» لغير اللّيث، و هو غلط منه». و لكنّ ابن الأعرابيّ ذكر لغة الهمز أيضًا، و كلاهما ـ أي الخليل و ابن الأعرابيّ ـ شافه الأعراب، فهما حجّة عليه، لأنه لم يشافههم.

الاستعمال القرآنيّ

جاء منها المصدر (رِدْءًا) مرّة في آية واحدة:

(١) الجمهرة: (٣: ٢٤١).

(٢) مادّة (د ر أ).

﴿وَ أَخِي هٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾

القصص : ٣٤

يلاحظ أوّلًا أنّ فيها بُحوثًا:

١ـ هذه من جملة قصص موسى عليه السلام في سورة القصص بدءً من الآية : ٣، ﴿نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، و ختمًا بالآية : ٤٦، ﴿وَ مَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا...﴾ و هي من أطول قصص موسى و فرعون في القرآن.

٢ـ و قبلها آيات في قصّته بجانب الطّور و ما أمره الله به من ذهابه إلى فرعون؛ حيث قال موسى لله تعالى: ﴿رَبِّ إِنّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ * وَ أَخِي هٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنّي لِسَانًا...﴾، فقال الله له: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ...﴾.

٣ـ و قال الطّبرسيّ (٤ : ٢٥٣) ﴿وَ أَخِي هٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنّي لِسَانًا...﴾: «و إنّما قال ذلك لعقدة كانت في لسانه، و قد مرّ فيما مضى ذكر سببها، و قد كان الله تعالى أزال أكثرها، أو جميعها بدعائه.

﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا﴾ أي معينًا لي على تبليغ رسالتك. يقال: فلان ردْء لفلان: إذا كان ينصره، و يشدّ ظهره...».

و ثانيًا: إنّها من جملة القصص في سورة مكّيّة، و أكثرها كذلك.

و ثالثًا: من نظائر هذه المادّة في القرآن:

المعاونة: ﴿قَالَ مَا مَكَّنّي فِيهِ رَبّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾

الكهف : ٩٥

المناصرة: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾

الصّافّات : ٢٥

المؤازرة: ﴿...وَ مَثَلُهُمْ فِي الْاِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْئَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوىٰ عَلىٰ سُوقِهِ...﴾

الفتح : ٢٩

المعاضدة: ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمٰوَاتِ وَ الْاَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَ مَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلّينَ عَضُدًا﴾ الكهف : ٥١

المظاهرة: ﴿وَ أَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَ قَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَ تَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ الأحزاب : ٢٦

ر د د

٣٧ لفظًا، ٦٠ مرّة: ٣٥ مكّيّة، ٢٥ مدنيّة
في ٤٠ سورة: ٣٠ مكّيّة، ١٠ مدنيّة

رَدّ ١ : ـ ١
رَدّها ١ : ١
رَدُّوا ١ : ١
رَدُّوه ١ : ـ ١
رَدَدْنا ١ : ١
رَدَدْناه ٢ : ٢
رُدُّوا ٤ : ٣ ـ ١
رُدُّوه ١ : ـ ١
رُدُّوها ٢ : ١ ـ ١
رُدَّت ٢ : ٢
رُدِدْتُ ١ : ١
يَرُدُّونكم ١ : ١
يَرُدُّوكُم ٣ : ـ ٣
فتَرُدّها ١ : ـ ١

يُرَدّون ٢ : ـ ٢
تُرَدّ ١ : ـ ١
تُرَدّون ٣ : ـ ٣
نُرَدّ ٣ : ٣
رادّ ١ : ١
لَرادّك ١ : ـ ١
رادّي ١ : ١
رادّوه ١ : ١
مَرْدُود ١ : ١
لَمرْدُودون ١ : ١
مَرَدّ ٤ : ٣ ـ ١
مَرَدّنا ١ : ١
مردًّا ١ : ١
رَدّها ١ : ١

يُرَدّ ٦ : ٤ ـ ٢
ارْتَدّ ١ : ١
ارْتَدّا ١ : ١
ارْتَدُّوا ١ : ـ ١
يَرْتَدّ ٣ : ٢ ـ ١

برَدّهنّ ١ : ـ ١
يَرْتَدِد ١ : ـ ١
تَرْتَدّوا ١ : ـ ١
يَتَرَدَّدُون ١ : ـ ١

النُّصوص اللُّغويّة

الخليل: الرّدّ: مصدر رَدَدْتُ الشّيء.

و رُدُود الدّراهم: واحدها: رَدٌّ، و هو ما زُيّف فـرُدَّ على ناقده بعد ما أُخذ منه.

و الرِّدّ: ما صار عِمادًا للشّيء الّذي تَدفَعُه و تَرُدُّه.

و الرِّدّة: مصدر الارتداد عن الدّين.

و الرِّدَّة: تقاعُسٌ في الذَّقَن.

و إن كان في الوجه بعض القباحة و يعتريه شـيء

من جَمال، يقال: هي جميلة، و لكنّ في وجهها بعضَ الرَّدّة.

و رَدّاد: اسم الرّجل المُجَبِّر، يُنسَب إليه المُجَبِّرون، لأنّه يَرُدّ العَظمَ المُنكَسِر إلى موضعه. (٨: ٧)

الكِسائيّ: ناقة مُرْمِدّ على مثال مُكْرِم، و مُرِدّ مثال مُقِلّ، إذا أشرق ضَرْعها و وقع فيه اللّبن.

(الأزهَريّ ١٤: ٦٤)

أبوعمرو الشّيبانيّ: الرُّدّى: المرأة المردودة المُطلّقة. (الأزهَريّ ١٤: ٦٤)

الأصمَعيّ: المردودة من النّساء: المُطلّقة.

(الأزهَريّ ١٤: ٦٤)

و الرِّدّة: امتلاء الضّرع من اللّبن قبل النّتاج. [ثمّ استشهد بشعر]

و تقول منه: أرَدّتِ الشّاة و غيرها فهي مُرِدّ، إذا أضْرَعَت.

و جاء فلان مُرِدّ الوجه، أي غَضْبان.

و رجل مُرِدّ، أي شَبِق.

و بَحْرٌ مُرِدّ، أي كثير الموج. (الجَوهَريّ ٢: ٤٧٣)

أبو عُبَيْد: في حديث النّبيّ ﷺ أنّه قال لسُراقة ابن جُعْشُم: «ألا أدلّك على أفضل الصّدقة: ابنتك مردودة عليك ليس لها كاسب غيرك».

قال الأصمَعيّ: المردودة: المُطلّقة. و إنّما هذا كناية عن الطّلاق، و كذلك حديث الزّبير رضي الله عنه: إنّ الزّبير جعل دُوْرَه صدقة، و للمردودة من بناته أن تسكن غير مضرّة و لا مضرّ بها، فإن استغنت بزوج فلا شيء لها.

(١: ٢٤٩)

الرَّدِّيدى: من الرّدّ في الشّيء. (الأزهَريّ ١٤: ٦٤)

ابن الأعرابيّ: يقال للإنسان إذا كان فيه عيب: فيه نَظْرة و رَدّة و خَيْلَة. (الأزهَريّ ١٤: ٦٣)

الرُّدُدُ: القِباح من النّاس. يقال: في وجهه رَدّة و هو رادٌّ.

و ارتدّ الرّجل عن دينه ردّة، إذا كفر بعد إسلامه.

و أمر الله لا مَرَدّ له، انتهى. و الله أعلم.

(الأزهَريّ ١٤: ٦٥)

أبو الهَيْثَم: قال أبو ليلى: في فلان رَدّة، أي يَرْتدّ البصر عنه من قُبْحِه. (الأزهَريّ ١٤: ٦٣)

كُراع النّمل: و الرّدّ: الكهف. (ابن سيده ٩: ٢٦٨)

ابن دُرَيْد: رَدَدْتُ الشّيء أرُدّه رَدًّا فهو مردود.

و في وجه الرّجل رَدّة، إذا كان قبيحًا.

و الرِّدّة: الرّجوع عن الشّيء، و منه: الرِّدّة عن الإسلام.

و أرَدّتِ النّاقة، إذا وَرِمَت أرفاغها و حَياؤها من كثرة شرب الماء، فهي مُرِدّ، و الاسم: الرِّدّة.

و ناقة مُرِدّ أيضًا، إذا بركت على ندى فانتفخ ضَرْعُها و حَياؤها. [ثمّ استشهد بشعر]

و يقال: جاء فلان مُرِدّ الوجه، إذا جاء غضبان، أو وَرِمَ وجهُه من بُكاء.

و أرَدّ البحر، إذا كثرت أمواجه و هاج. (١: ٧٢)

أرَدّت النّاقة، إذا وَرِم ضَرْعُها. (٣: ٤٨١)

الأزهَريّ: روي عن النّبيّ ﷺ أنّه قال لسُراقة بن مالك: «ألا أدُلّك على أفضل الصّدقة: ابنتُك مَرْدُودة عليك لا كاسب لها غيرك». أراد أنّها مُطلّقة من

زوجها، فأُنفِقْ عليها.

ناقة مُرِدّ، إذا شربت الماء فورَم ضَرْعُها و حياؤها من كثرة الشّرب. يقال: نُوق مَرادٌّ، و كذلك الجِمال إذا أكثَرَتْ من الشّرب فثَقُلَت.

و رجل مُرِدّ، إذا طالت عُزْبَتُه فترادّ الماء في ظهره.

و يقال: بَحْرٌ مُرِدّ، أي كثير الماء.

و روي عن عُمر بن عبد العزيز أنّه قال: «لا رِدِّيدَى في الصّدقة». يقول: لا تُرَدّ.

أبو تراب عن زائدة: يقال: رَدّه عن الأمر ولَدّه، أي صرفه عنه برفق. قال: و الرِّدّ: الظّهر و الحَمُولة من الإبل.

قلت: سمّيت رِدًّا، لأنّها تُرَدّ من مرتعها إلى الدّار إذا احتمل أهلها. [و استشهد بالشعر مرّتين] (١٤ : ٦٣)

الصّاحِب: الرّدّ: مصدر رَدَدْتُ، و اسم لما رُدّ بعد أخذه؛ و الجميع: الرُّدُود. و يقال: رَدَدْتُ الشّيء و أرْدَدْتُه.

و ليس لأمر الله مَرَدّ و لا مَرْدُود، أي رَدّ.

و كلام ليست له رادّة و لا مَرِدَّة، أي فائدة و مرجوع.

و الرِّدّ: شبه الرَّيْع، و كذلك المَرَدّ. و يجوز أن يكون قوله عزّ و جلّ: ﴿وَ خَيْرٌ مَرَدًّا﴾ مريم: ٧٦، من هذا.

و الرِّدّ: ما تُرِدّه الحَمُولَة من الإبل و الظّهر.

و امرأة مَرْدُودَة، أي مُطلّقة.

و الرِّدّ: ما صار عمادًا للشّيء يَرُدّه و يدفعه.

و الصِّناعَة يُحبَسُ بها الماء؛ و جمعه: رُدُود.

و الرِّدّة: مصدر الارتداد، و الصّوت يرجع إليك من الجبل، و الفُضَيْلَة البقيّة من الشّيء، و تقاعُسٌ في الذّقَن. و أن تشرَب الإبل الماء عَلَلًا. و أن ترتدّ الألبان في ضُرُوعها.

و بحر مُرِدّ: كثير الماء.

و شاة مُرِدّ، إذا اجتمع اللّبَن في ضَرْعها. أرَدّتْ إرْدادًا.

و الإرْداد: أن يَرِم ضَرْع النّاقة عن شرب الماء فيَثْقُل بدنُها؛ و نُوق مَرادّ. من قولهم: رَدّ وجهُه، أي وَرِم.

و رجل مُرِدّ: طالت عُزُوبَتُه فتَرَدّد ماء ظهره في صُلْبه و كثُر.

و رَدّاد: اسم رجل مُجبِّر.

و الرِّدِيد: الجَفْل من السّحاب. (٩ : ٢٥٧)

الجَوهَريّ: رَدّه عن وجهه يَرُدّه رَدًّا و مَرَدًّا: صَرَفه، و قال الله تعالى: ﴿فَلَا مَرَدَّ لَهُ﴾ الرّعد : ١١.

و رَدّ عليه الشّيء، إذا لم يَقبَلْه، و كذلك إذا خطّأه.

و تقول: رَدّه إلى منزله. و رَدّ إليه جوابًا، أي رجع.

و المَرْدُودَة: المُطلّقة، و المُرْدُودَة: المُوسى، لأنّها تُرَدّ في نصابها.

و المَرْدُود: الرّدّ، و هو مصدر، مثل المَحْلُوف و المعقول. [ثمّ استشهد بشعر]

و شيء رَدّ، أي رديء.

و في لسانه رَدّ، أي حُبْسَة.

و في وجهه رَدّة، أي قُبحٌ مع شيء من الجمال.

و رَدّدَه ترديدًا و تَرْدادًا فتَرَدّد.

و رجل مُرَدّد: حائر بائر.

و الارتداد: الرّجوع، و منه المُرْتَدّ.

و استَرَدّه الشّيء: سأله أن يَرُدّه عليه.

و الرِّدِّيدَى: الـرّدّ. و في الحـديث: «لا رِدّيـدَى في الصّدقة».

و رادّه الشّيء، أي رَدّه عليه.

و هما يَترادّان البيع، من الرّدّ و الفَسْخ.

و هذا الأمر أرَدُّ عليه، أي أنفع له.

و هذا أمر لا رادّة له، أي لا فائدة له و لا رجوع.

و الـرِّدّة بالكسـر: مصـدر قولـك رَدّه يَـرُدّه رَدًّا و رِدّة.

و الرِّدّة: الاسم من الارتداد. (٢: ٤٧٣)

ابن فارس: الرّاء و الدّال أصـل واحـد مطّـرد منقاس، و هو رَجْع الشّيء. تقول: رَدَدْتُ الشّيء أرُدّه رَدًّا.

و سمّي المُرتدّ، لأنّه رَدّ نفسه إلى كفره.

و الرِّدّ: عماد الشّيء الّذي يَرُدّه، أي يَرْجعُـه عـن السّقوط و الضّعف.

و المَرْدُودة: المرأة المُطلّقة. و منه الحديث: أنّه قـال لسُـراقة بن مالك: «ألا أدُلّـك علـى أفضـل الصّـدقة: ابنَتُك مَرْدُودةً عليك، ليس لها كاسب غيرك».

و يقال: شاة مُرِدّ و ناقة مُرِدّة، و ذلك إذا أضْرَعَتْ، كأنّها لم تكن ذات لبن فَرَدّ عليها، أو رَدّت هي لبنها.

و يقال: هـذا أمـر لا رادّة لـه، أي لا مرجـوع لـه و لا فائدة فيه.

و الرِّدّة: تقاعُسٌ في الذّقَن، كأنّه رُدّ إلى ما وراءه.

و الرِّدّة: قُبحٌ في الوجه مع شيء من جمـال، يقـال: في وجهها رِدّة، أي إنّ ثَمّ ما يَـرُدّ الطّـرف، أي يَرْجعُـه عنها.

و المتَرَدّد: الإنسان المجتمع الخَلْق، كـأنّ بعضه رُدّ على بعض. و يقال: و فيه نظـر إنّ المَـرْدُودة المُوسـى، و ذلك أنّها تُرَدّ في نصابها.

و يقال: نهر مُرِدّ: كثير الماء. و هذا مشتقّ مـن رِدّة الشّاة و النّاقة.

و من الباب: رجل مُرِدّ، إذا طالت عُزْبَتُـه، و هـو من الّذي ذكرناه من رِدّة الشّاة، كأنّ ماءه قد اجتمع في فِقْرته. [و استشهد بالشّعر مرّتين] (٢: ٣٨٦)

أبو هِلال: الفرق بين الرّدّ و الرّجْع: أنّه يجـوز أن ترجعه من غير كراهة له، قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ رَجَعَكَ اللّٰهُ إِلَىٰ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ﴾ التّوبة: ٨٣، و لا يجوز أن تردّه إلّا إذا كرهت حاله، و لهذا يسـمّى البـهرج رَدًّا و لم يُسَـمّ رَجْعًا، هذا أصله ثمّ ربما اسـتُعملت إحـدى الكلمـتين موضع الأخرى لقرب معناهما.

الفرق بين الرّدّ و الرّفع: أنّ الـرّدّ لا يكـون إلّا إلى خلف، و الرّفع يكون إلى قُدّام و إلى خلف جميعًا. (٩٢)

الهَرَويّ: في الحديث: «و لا القصير المتَردِّد» كأنّه تردّد بعض خلقه على بعض.

و في الحديث: «رُدُّوا السّائل و لو بظِلْفٍ مُحْـرَق» أراد برُّوه بشيء و لم يُرِد الحرمان، و هو كقولـك: سَـلّم فرَدَدتُ عليه، أي أجَبْتُه، و كلّمني فمـا رَدَدتُ عليـه سَوْداء و لا بيضاء.

و في الحديث: «لا رِدّيدَى في الصّدقة» أي لا تـردّ الّتي تُؤخذ في السّنة مرّتين. (٣: ٧٣٣)

ابن سيده: الرّدّ: صرف الشّيء و رَجْعُه، رَدّه يَرُدّه

رَدًّا و تَرْداداً، و هو بناء للتّكثير.

قال سيبَوَيه: هذا باب ما تُكثِّر فيه المصدر من «فعَلْتُ» فتُلحِق الزّوائد، و تَبْنيه بناءً آخر، كما أنّك قلت في فعَلْتُ: فَعّلْتُ حين كثّرت الفعل. ثمّ ذكر المصادر الّتي جاءت على «التَّفعال» كالتَّرْداد، و التَّلْعاب، و التَّهْذار، و التَّصْفاق و التَّقْتال، و التَّسْيار، و أخواتها.

قال: و ليس شيء من هذا مصدر فَعَّلْتُ، و لكن لـمّا أردتَ التّكثير بنيت المصدر على هذا، كما بَنيتَ فعَلْتُ على فعَّلتُ.

و المَرَدّ كالرّدّ.

و ارتَدّه كرَدّه.

و في التّنزيل: ﴿مِنْ قَبْلِ اَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللهِ﴾ الشّورى: ٤٧. قال ثَعْلَب: يعني يوم القيامة، لأنّه شيء لا يُرَدّ.

و شيء رديد: مردود.

و قد ارْتَدّ، و ارتَدّ عنه: تحوّل. و في التّنزيل: ﴿مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾ المائدة: ٥٤؛ و الاسم: الرِّدّة، و منه الرِّدّة عن الإسلام، أي الرّجوع عنه.

و استَرَدّ الشّيء، و ارْتَدّه: طلب رَدّه عليه.

و الاسم: الرُّدّاد، و الرِّدّاد.

و رُدُود الدّراهم: ما رُدّ: واحدها: رَدّ، و كلّ ما رُدّ بعد أخذه: رَدّ.

و الرِّدّ: ما كان عماداً للشّيء، يدفعه و يَرُدّه.

و المَرْدُودة: المُطلّقة، و كلّه من الرّدّ. و في حديث النّبيّ ﷺ، أنّه قال لسُراقة بن مالك بن جُعْشُم: «ألا أدلّك على أفضل الصّدقة: ابنتك مردودة عليك ليس لها كاسب غيرك».

تَرَدّد و تَرادّ: تراجع.

و ما فيه ردّيدَى، أي احتباس و لا تَرْداد.

و رجل مُتَرَدِّد: مجتمع قصير، ليس بسَبْط الخَلْق.

و عُضو رديد: مُكتنز مُجتمع.

و الرُّدَد، و الرُّدّة: أن تشرب الإبل الماء عَلَلًا، فتَرتدّ الألبان في ضُرُوعها.

و كلّ حامل دَنَتْ ولادتها، فعظم بطنها و ضرعها: مُرِدّ.

و الرُّدّة: أن يُشْرِق ضَرْع النّاقة، و يقع فيه اللّبن، و قد أرَدّتْ، و هي مُرِدّ.

و أرَدّت النّاقة: بَرَكَتْ على نَدًى، فورِم ضرعها و حياؤها، و قيل: هو وَرَم الحياء من الضّبَعَة.

و قيل: أرَدّت النّاقة و هي مُرِدّ: وَرِمَتْ أرفاغُها و حياؤُها من شرب الماء.

و الرُّدَد، و الرُّدّة: وَرَمٌ يصيبها في أخلافها، و قيل: هو وَرَمُها من الحَفَل.

و أرَدّ الرّجل: انتفخ غضبًا، حكاها صاحب الألفاظ. قال أبو الحسَن: و في بعض النّسخ: ارْبَدّ.

و الرِّدّة: البقيّة.

و أرَدّ البحر: كثُرت أمواجه و هاجَ.

و رَدّاد: اسم، و رُئي رجل يوم الكُلاب يَشُدّ على قوم، و يقول: أنا أبو شدّاد، ثمّ يَرُدّ عليهم و يقول: أنا أبو رَدّاد.

و رجل مِرَدّ: كثير الرّدّ و الكَرّ. [و استشهد بالشّعر

٩مرّات]　　　(٩: ٢٦٦)

الرّاغِب: الرّدّ: صرف الشّيء بذاته، أو بحالة من أحواله. يقال: رَدَدتُه فارتدّ، قال تعالى: ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ يوسف: ١١٠.

فمن الرّدّ بالذّات قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ الأنعام: ٢٨، ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ﴾ الإسراء: ٦، وقال: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾ ص: ٣٣، وقال: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ﴾ القصص: ١٣، ﴿يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ﴾ الأنعام: ٢٧.

ومن الرّدّ إلى حالة كان عليها، قوله: ﴿يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ آل عمران: ١٤٩، وقوله: ﴿وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ يونس: ١٠٧، أي لا دافع ولا مانع له، وعلى ذلك: ﴿عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ هود: ٧٦.

ومن هذا الرّدّ إلى الله تعالى، نحو قوله: ﴿وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ الكهف: ٣٦، ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ الجمعة: ٨، ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللهِ مَوْلَيهُمُ الْحَقِّ﴾ الأنعام: ٦٢، فالرّدّ كالرّجع في قوله: ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ البقرة: ٢٨.

ومنهم من قال: في الرّدّ قولان:

أحدهما: ردّهم إلى ما أشار إليه بقوله: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ طٰه: ٥٥.

والثّاني: ردّهم إلى الحياة المشار إليها بقوله: ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ طٰه: ٥٥، فذلك نظر إلى حالتين كلتاهما داخلة في عموم اللّفظ.

وقوله تعالى: ﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾ إبراهيم: ٩، قيل: عضّوا الأنامل غيظًا، وقيل: أومؤوا إلى السّكوت وأشاروا باليد إلى الفم.

وقيل: ردّوا أيديهم في أفواه الأنبياء فأسكتوهم، واستعمال الرّدّ في ذلك تنبيهًا أنّهم فعلوا ذلك مرّة بعد أخرى.

وقوله تعالى: ﴿لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا﴾ البقرة: ١٠٩، أي يرجعونكم إلى حال الكفر بعد أن فارقتموه، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ آل عمران: ١٠٠.

والارتداد والرّدّة: الرّجوع في الطّريق الّذي جاء منه، لكن الرّدّة تختصّ بالكفر، والارتداد يستعمل فيه وفي غيره. [ثمّ ذكر الآيات وأضاف:]

ويقال: رَدَدْتُ الحكم في كذا إلى فلان: فوّضتُه إليه، قال تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾ النّساء: ٨٣، وقال: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ﴾ النّساء: ٥٩.

ويقال: رادّه في كلامه.

وقيل في الخبر: «البيّعان يترادّان» أي يردّ كلّ واحد منهما ما أخذ.

وردّة الإبل: أن تتردّد إلى الماء، وقد أردّت النّاقة.

واستردّ المتاع: استرجعه.　　　(١٩٢)

الزّمَخْشَريّ: ردّ السّائل وردّه عن حاجته.

وردّ عليه الهبة. وردّ عليه قوله. وردّ إليه جوابًا.

و هذا مَرْدُود قولك و رديده، كقولك: مرجوعه.

و ارْتَدّ عن سفره و عن دينه، و هو من أهل الرِّدّة.

و ارْتدّهبته: ارتجعها، سمعته منهم سماعًا واسعًا.

و ليس لأمر الله مردود، أي رَدّ.

و استَرَدّه الشّيء: سأله أن يَرُدّه عليه.

و رَدّد القول: كرّره. و لاخير في القول المردّد.

و رادّه القول: راجعه إيّاه و ترادّا القول.

و رادّه البيـع: قايلـه و تـرادّا.

و ترادّ المـاء: ارْتدّ عن مجراه الحاجز.

و تردّد في الجواب، و تعثّر لسانه.

و هو يتَرَدّد بالغدَوات إلى مجالس العلم و يختلـف إليها.

و من المجاز: امرأة مردودة: مُطلّقة، لأنّـه يردّهـا إلى بيت أبويها.

و ما يَرُدّ عليك هذا، أي ما ينفعك.

و هذا أمر لارادّة فيه: لافائدة.

و ضَيعَة كثيرة الرّدّ و المَرَدّ، و هو الرّيع.

و رجل مُرَدّد: حائر بائر شديد الحيرة.

و طمّ شعره بالمردودة، و هي الموسى، لأنّها تُرَدّ في نصابها.

و فـي ذَقَنه رَدَة: تقاعُسٌ.

و هي جميلة و لكن في وجههـا رَدَة، و هـي بعـض القبح.

و لاتُعطني من رُدُود الدّراهم، و هي الّتي لاتروج.

و هذا درهم رَدٌّ.

و سمعت رِدّة الصّدَى، و هي مـا يُـرَدّ عليـك مـن الصّوت. [ثمّ استشهد بالشّعر ٤ مرّات]

(أساس البلاغة : ١٥٩)

[في حديث]: «و يَـرُدّ علـيهم أقصـاهم »، أي إذا دخل العسكر دار الحرب فوجّـه الإمـام سَـريّة، فمـا غنمت جعل لها ما سمّي لها، و رُدّ الباقي على العسكر، لأنّهم ردْءٌ للسّرايا. (الفائق ٣: ٢٦٥)

النّبيّ ﷺ في صفته عن باب مدينـة العلـم عليه السلام: «لم يكن بالطّويل المُمَغّط و لاالقصير المتَرَدِّد...».

المُتَرَدِّد: الّذي تُرَدّد بعض خلقه علـى بعـض فهـو مجتمع. (الفائق ٣: ٣٧٧)

المَدينيّ: في حديث القيامة: «يقال: إنّهم لم يزالـوا مُرْتـدّين علـى أعقـابهم» أي مـتخلّفين عـن بعـض الواجبات، و لم يُرد ردّة الكفر و لهذا قيّـده بأعقـابهم، لأنّه لم يَرْتدّ أحد من الصّحابة، و إنّما ارتـدّ قـوم مـن جُفاة الأعراب.

قوله: «لاتَرُدّوا السّائل و لو بظِلْف»، و في روايـة: «رُدّوا الـسّائل و لو بظِلْف».

و معناها: شيء واحـد، و لـيس يُضـادّ أحـدهما الآخر، أي لاتردّوهم بلاشيء، واصرفوهم و لوبظِلْف.

في حديث الزّبير: «أنّه وقف دارًا علـى المـردودة من بناته.».

قال الأصمَعيّ: هي المُطلّقة، فأمّا الّتي مات زوجها فيقال لها: فاقد. و يشهد لقول الأصمَعيّ حديثـه حـين ذكر الصّدقة، فقال: «و ابنتك مردودة إليك لـيس لهـا كاسب غيرك»، و لأنّ الّتي مات زوجها ربما أصابها من الميراث ما تحصل منه مسكنًا و غير ذلك.

فأمّا المُطلّقة، فإذا سرّحها زوجها فلامسكن لها في الغالب، لأنّ الإنسان في العادة إذا جهّز بنتًا أعطى غيرها من الأولاد بقدر ما جهّزها به، فإذا رجعت كان قد أحرز إخوتها أنصباءهم فلا يكون لها شيء.

و في حديث عمر بن عبد العزيز: «لا ردِّيدَى في الصّدقة» أي لا ثِنْي فيها، و نحوه في المصادر قِتِّيتَى و نمِّيمَى.

و في حديث أبي إدريس الخَولانيّ قال لمعاوية: «إن كان داوى مرضاها، و ردّ أولاها على أخراها»، أي إذا تقدّمت أوائلها، و تباعدت عن الأواخر لم يَدَعْها تتفرّق، و لكن يَحبِس المتقدّمة حتّى تصل إليها المتأخّرة. (١: ٧٤٩)

ابن الأثير: فيه: «رُدّوا السّائل و لو بظِلْفٍ مُحْرَق» أي أعطوه و لو ظِلْفًا مُحْرَقًا، و لم يُرِد ردّ الحرمان و المنع، كقولك: سلّم فردّ عليه، أي أجابه.

و في حديث آخر: «لا تَرُدّوا السّائل و لو بظِلْفٍ مُحْرَق» أي لا تَرُدُّوه ردّ حِرْمان بلا شيء، و لو أنّه ظِلْف.

و في حديث القيامة و الحَوْض: «فيقال: إنّهم لم يزالوا مُرتدّين على أعقابهم» أي متخلّفين عن بعض الواجبات، و لم يُرِد رِدّة الكفر، و لهذا قيّده بأعقابهم، لأنّه لم يَرْتدّ أحد من الصّحابة بعده، و إنّما ارتدّ قوم من جُفاة الأعراب.

و في حديث الفِتن: «و يكون عند ذلكم القتال رَدّة شديدة» هو بالفتح، أي عَطْفة قويّة.

و في حديث ابن عبد العزيز: «لا ردِّيدَى في الصّدقة». ردِّيدَى بالكسر و التّشديد و القصر: مصدر من ردّ يَرُدّ، كالقِتِّيتَى و الخِصِّيصَى. المعنى: أنّ الصّدقة لا تؤخذ في السّنة مرّتين، كقوله عليه الصّلاة و السّلام: «لا ثِنْيَ في الصّدقة». (٢: ٢١٣)

الفَيُّوميّ: رَدَدْتُ الشّيء ردًّا: منعتُه، فهو مردود. و قد يوصف بالمصدر، فيقال: فهو ردّ.

و رَدَدْتُ عليه قوله، و رَدَدْتُ إليه جوابه، أي رَجَعْتُ و أرْسَلتُ، و منه: رَدَدْتُ عليه الوديعة.

و رَدَدْتُه إلى منزله فارْتدّ إليه. و تَرَدّدتُ إلى فلان: رَجَعتُ إليه مرّة بعد أخرى.

و ترادّ القوم البيع: ردّوه.

و قول الغزاليّ: إلّا أن يجتمع متَرادّان، مأخوذ من هذا، كأنّ الماء يَرُدّ بعضه بعضًا إذا كان راكدًا.

و ارتدّ الشّخص: ردّ نفسه إلى الكفر، و الاسم: الرِّدّة. (١: ٢٢٤)

الفيروزاباديّ: ردّه ردًّا و مَرَدًّا و مَرْدُودًا و ردِّيدَى: صرفه، و الاسم: كسحاب و كتاب.

و عليه: لم يقبله، و خطّأه.

و المردودة: الموسى لردّها في نصابها، و المُطلّقة، كالرُّدّى، كالحُمّى.

الرَّدّ: الرّديء، و في «اللّسان»: الحُبْسة، و بالكسر: عماد الشّيء.

و الرَّدّة: القبح، و بالكسر: الاسم من الارتداد، و امتلاء الضّرع من اللّبن قبل النّتاج، و تقاعُسٌ في الذّقَن، و صَدَى الجبَل، و أن تشرب الإبل عَلَلًا.

و التَّرْداد: التّرديد. و المُرَدّد: الحائر البائر.

و الارتداد: الرّجوع.

و رادّه الشّيء: ردّه عليه.

و هذا أردّ: أنفع.

و لارادّة فيه: لافائدة، كلامَرَدّة.

و المُردّ: الشّبقُ، و المَوّاج، و الغضبان، والطّويل العُزُوبة أو الغُرْبَة، كالمردود، و ناقة انتفخ ضرعها و حياؤها لبُرُوكها على نَدًى، و شاة أضرعَتْ، و جمل أكثر من شرب الماء فثقُل؛ جمعه: مَرادّ.

و الرُّدُد كعُتُق: القباح من النّاس.

و كأمير: السّحاب هُرَيق ماؤه.

و استرَدّه: طلبه، و سأله ردّه.

و ردّاد: اسم مُجَبّر معروف، يُنسب إليه، فيقال لكلّ مُجَبّر: ردّاديّ.

و الرّادّة: خشبة في مقدّم العَجَلَة، تُعَرّض بين التّبْعَين. (١: ٣٠٤)

الطُّريحيّ: و الرِّدّيدى: الرّدّ، و منه الخبر: «لارِدِّيدَى في الصّدقة» أي لاردّ فيها.

و في الحديث: «لايَرُدّ القضاء إلّا الدّعاء» أي لايصرفه و يدفعه و يهونه إلّا الدّعاء.

و فيه: «لاتَرُدّوا السّائل و لو بظِلْف» أي لاتَرُدّوه ردّ حرمان بلاشيء و لو أنّه ظِلْف.

و رَدّ عليه الشّيء، إذا لم يقبله.

و أمْرٌ رَدّ: أي مردود.

و تردّ بها الفتى، أي تجمع ما ألفته من الأهل و الوطن، و الأليف: الصّاحب.

و «رُدّتْ عليه الشّمس مرّتين» قيل: رُدّتْ له صبيحة الأسراء، و في الخندق، و رُدّت على عليّ مرّتين أيضًا، و هو مشهور متواتر.

و التّرَدّد في الأمر: معلوم.

و في الحديث القُدسيّ: «ما تَرَدّدتُ في شيء أنا فاعله كتَرَدُّدي في قبض روح عبدي المؤمن، إنّني لأُحبّ لقاءه و يكره الموت فأصرفه عنه».

و حيث إنّ التّرَدّد في الأمر من الله محال، لأنّه من صفات المخلوقين، احتيج في الحديث إلى التّأويل، و أحسن ما قيل فيه هو أنّ التّردّد و سائر صفات المخلوقين كالغضب و الحياء و المكر إذا أُسندت إليه تعالى، يراد منها الغايات لا المبادئ، فيكون المراد من معنى التّردّد في هذا الحديث: إزالة كراهة الموت عنه. و هذه الحالة يتقدّمها أحوال كثيرة من مرض و هرم و زمانة و فاقة و شدّة بلاء، تُهون على العبد مفارقة الدّنيا و يقطع عنها علاقته، حتّى إذا أيس منها، تحقّق رجاؤه بما عند الله، فاشتاق إلى دار الكرامة، فأخذ المؤمن عمّا تشبّث به من حبّ الدّنيا شيئًا فشيئًا بالأسباب الّتي أشرنا إليها، فضاهى فعل التّردّد من حيث الصّفة، فعبّر به عنه.

و في حديث الفطرة: «يُعطي بعض عياله ثمّ يُعطي الآخر عن نفسه يردّدونها بينهم»، أي يكرّرونها على هذه الصّفة.

و «يُرَدّد عليه قل هو الله أحد» أي يكرّرها.

و لم يردّ عليه شيئًا، أي لم يردّ عليه جوابًا.

و استرَدّه الشّيء: سأله أن يَرُدّه عليه.

و المُرتَدّ: من ارتدّ عن الإسلام إلى الكفر، و هو

نوعان: فطريّ و ملّيّ.

و في الحديث: «كلّ مسلم بين مسلمين ارتدّ عن الإسلام و جحد محمّدًا ﷺ نبوّته و كذّبه، فإنّ دمه مباح لكلّ من سمع ذلك منه، و امرأته بائنة منه، فلاتقربه، و يُقسّم ماله على و رثته، و تعتدّ امرأته عدّة المتوفّى عنها زوجها، و على الإمام أن يقتله إن أُتي به إليه و لايستتيبه».

و فيه عن الباقر ﷺ: «إنّ المرتدّ عن الإسلام تُعْزَل عنه امرأته و لاتؤكل ذبيحته و يُستتاب ثلاثًا، فإن رجع و إلّا قُتل». قال الصّدوق ﷺ: يعني ذلك المرتدّ الّذي ليس بابن مُسلمَيْن.

و عن الصّادق ﷺ في المرتدّة عن الإسلام؟ قال: «لاتُقتَل و تُستَخدَم خدمةً شديدةً و تُمنَع من الطّعام و الشّراب إلّا ما تُمْسك به نفسها و تُلبَس أخشن الثّياب، و تُضرب على الصّلوات».

و في حديث آخر: «لم تُقتَل و لكن تُحبَس أبدًا».

و الرّدّة بالكسر و التّشديد: اسم من الارتداد.

وأصحاب الرّدّة على ما نقل كانوا صنفين:

صنف ارتدّوا عن الدّين و كانوا طائفتين: إحداهما: أصحاب مسيلمة، و الأُخرى: ارتدّوا عن الإسلام و عادوا إلى ما كانوا عليه في الجاهليّة. و اتّفقت الصّحابة على قتالهم و سبيهم، و استولد عليّ منهم الحنفيّة.

و الصّنف الثّاني لم يرتدّوا عن الإيمان، و لكن أنكروا فرض الزّكاة، و زعموا أنّ ﴿خُذْ مِنْ اَمْوَالِهِمْ﴾ التّوبة: ١٠٣، خطاب خاصّ بزمانه ﷺ. (٣: ٤٨)

مَجْمَعُ اللُّغة: ١ـ رَدّ الشّيء يَرُدّه رَدًّا و مَرَدًّا.

أ ـ رجعه.

ب ـ صرفه.

و رَدّ التّحيّة: أجاب بمثلها. و رَدّه: صيّره.

و ردّه على عقبيه: رجعه إلى مكان ماكان عليه، و يُستَعمل هذا في الشّرّ و الذّمّ.

٢ـ تَرَدّد يتردّد تَرَدّدًا: تراجع.

و التّردّد: الذّهاب و المجيء، و يراد به التّحيّر، كنايةً أو مجازًا، لأنّ المتحيّر لايقرّ في مكان.

٣ـ ارتدّ يرتدّ ارتدادًا: رجع و عاد و تحوّل؛

و الرّدّة: اسم منه، و تختصّ بالكفر بعد الإسلام.

و الارتداد: يُستعمل في الكفر و غيره

و ارتدّ على دبره: رجع إلى ما كان عليه، و يُستَعمل في الشّرّ. (١: ٤٦٨)

العَدْنانيّ: تَرَدّد إلى المكتبة

و يقولون: تَرَدّد على المكتبة، و الصّواب: تَرَدّد إليها، أي جاءها المرّة بعد أُخرى.

و قد جاء في «الأساس»: و هو يَتَرَدّد بالغَدَوات إلى مجالس العلم، و يختلف إليها. و قال المصباح: «ترددت إلى فلان: رجعتُ إليه مرّة بعد أُخرى».

راجع مادّتي «لايخفى على القرّاء» و «اعتقد».

ردّه إلى منزله

و يقولون: ردّه لمنزله، و الصّواب: ردّه إلى منزله، جاء في الآية ٥٩، من سورة النّساء: ﴿فَرُدُّوهُ اِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ﴾ و في الآية ٧٠، من سورة النّحل: ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ اِلٰى اَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾.

راجع: مادّتي «لايخفى على القرّاء» و «اعتقد».

رَدَدْتُ على فلان قوله

و يقولون: رَدَدْتُ على قول فلان، و الصّواب: رَدَدْتُ على فلان قوله، لأنّك لاتَرُدّ على القول، فالقول لاعقل له حتّى تردّ عليه، بل تَرُدّ على القائل ماقاله.

ذكر نهج البلاغة كتابًا للإمام عليّ [عليه السلام] إلى الحارث الهمدانيّ، جاء فيه: «و لاتَرُدّ على النّاس كلّ ما حدّثوك به، فكفى بذلك جهلًا».

(معجم الأخطاء الشّائعة: ١٠٢)

محمّد إسماعيل إبراهيم: رَدّه عن كذا: صرفه و أرْجَعَه. و رَدّ فلانًا: خطّأه.

و تَرَدّد يَتَرَدّد في الأمر: اشتبه فيه فلم يثبت.

ارْتدّ على أمره: رجع على عقبه، و ارْتدّ عن دينه: رجع عنه.

و رادّه الشّيء: أرْجَعَه إليه.

و المَرَدّ: المرجع و المصرف.

و رَدّوا أيديهم في أفواههم، أي عضّوا على أناملهم غيظًا، أو رَدّوا نعمة الرّسالة الّتي جاء بها الرّسل إلى أفواههم، كناية عن رفضها. (١: ٢١٧)

محمود شيت: ١ ـ المِرَدّ: الكثير الرّدّ و الكرّ و حَبْل طويل تُرَدّ به الماشية.

٢ ـ أ ـ رَدّ الجيش الأعداء: أرجعهم على أعقابهم.

ب ـ ارْتدّ العَدُوّ: تراجع.

ج ـ اسْتَرَدّ: استرجع. يقال: استَرَدّ اللّواء مواضعه: استرجعها.

د ـ الرّادّة: جزء من حديد في مقدّم العَجَلَة، سيّارة أو مُدَرّعة أو دبّابة، تصونها من الإصدام من الأمام. و هناك رَدّادة خلفيّة و رَدّادة أماميّة.

هـ ـ الرِّدّة: هيئة الارتداد و التّراجع و الانسحاب.

و ـ و المِرَدّ: الحاجز الّذي يمنع من دخول الثّكنات أو المعسكرات. (١: ٢٨٧)

المُصْطَفَوِيّ: و التّحقيق: أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو مطلق المنع على عقبه، و قد سبق في مادّة دَرَأ: أنّ الدّفع مطلق الرّدّ، سواء كان على العقب أو على جهة أُخرى. و المنع في مقابل الفعل و الإيجاد، أي إيجاد ما يتعذّر به الفاعل في العمل. و سبق في مادّة «رجع»: أنّها عَوْد إلى مطلق ما كان عليه من قبل مكانًا أو غير مكان.

فتفسير الرّدّ بالمنع أو الرّجع أو الاسترسال أو الدّفع: تفسير تقريبيّ.

ثمّ إنّ الرّدّ إمّا أن يكون كلّ من المردود و المردود إليه جسمانيًّا أو روحانيًّا، فيصير على أربعة أقسام:

١ ـ ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ﴾ القصص: ١٣، فهما جسمانيّان.

٢ ـ ﴿لَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي﴾ الكهف: ٣٦، ﴿يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ﴾ البقرة: ٢١٧، فالمردود جسمانيّ.

٣ ـ ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ فصّلت: ٤٧، فهما روحانيّان.

٤ ـ ﴿وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ هود: ٧٦، فالمردود إليه جسمانيّ.

﴿مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾ المائدة: ٥٤، ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى﴾ محمّد: ٢٥، الافتعال للمطاوعة، فيدلّ على اختيار الفعل.

ثمّ إنّ مفهوم الرّدّ هو الدّفع إلى جهة العقب في الجملة، و إذا أُريد الرّدّ إلى العقب تفصيلًا، فلازم أن يصرّح به، كما في ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ﴾ محمّد: ٢٥، ﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ الأنعام: ٧١، ﴿إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ آل عمران: ١٤٩. (٤: ١٠٥)

النّصوص التّفسيريّة

رَدَّ

وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا.

الأحزاب: ٢٥

الواحديّ: أي صدّهم و منعهم عن الظّفر بالمسلمين، يعني الأحزاب. (٣: ٤٦٦)

رَدُّوا

... فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ.

إبراهيم: ٩

ابن مَسعود: عَضّوا عليها تغيُّظًا.

نحوه الثّوريّ. (الطّبريّ ٧: ٤٢٢)

[و في رواية أُخرى]: عضّوا على أصابعهم.

[و في رواية]: عَضّوا على أطراف أصابعهم.

[و في رواية]: أن يجعل إصبعه في فيه.

[و في رواية أُخرى]: و ضع شُعبة أطراف أنامله اليُسرى على فيه. (الطّبريّ ٧: ٤٢٢)

ابن عبّاس: على أفواههم، يقول: ردّوا على الرّسل ما جاؤوا به.

و يقال: وضعوا أيديهم على أفواههم، و قالوا للرّسل: اسكتوا و إلّا سُكّتم. (٢١١)

لـمّا سمعوا كتاب اللّه عجبوا و رجعوا بأيديهم إلى أفواههم. (الطّبريّ ٧: ٤٢٣)

مُجاهِد: ردّوا عليهم قولهم و كذّبوهم.

(الطّبريّ ٧: ٤٢٣)

ردّوا نعمتهم بأفواههم. (الطّوسيّ ٦: ٢٧٨)

الحسَن: إنّهم كانوا يضعون أيديهم على أفواه الرّسل ردًّا لقولهم. (الماورديّ ٣: ١٢٥)

قَتادَة: يقول: قومهم كذّبوا رسلهم و ردّوا عليهم ما جاؤوا به من البيّنات، و ردّوا عليهم بأفواههم، و قالوا: ﴿إِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾.

(الطّبريّ ٧: ٤٢٣)

الكَلْبيّ: وَضْع الأيدي على الأفواه: إشارة إلى الرّسل أن اسكُتوا. (الواحديّ ٣: ٢٥)

مُقاتِل: يقول: وضع الكفّار أيديهم في أفواههم ثمّ قالوا للرّسل: اسكُتوا، فإنّكم كذَبة، يعنون الرّسل، و أنّ العذاب ليس بنازل بنا في الدّنيا. (٢: ٣٩٩)

ابن وَهْب: قال ابن زيْد: في قوله: ﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾، فقرأ: ﴿عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ

﴿الْغَيْظِ﴾ آل عمران: ١١٩، قال: هذا، ردُّوا أيديهم في أفواههم، و قال: أدخلوا أصابعهم في أفواههم. و إذا اغتاظ الإنسان عَضّ يده. (الطّبَريّ ٧: ٤٢٣)

أبو عُبَيْدَة: مجازه مجاز المثَل، و موضعه موضع كَفّوا عمّا أُمروا بقوله من الحقّ، و لم يؤمنوا به، و لم يُسلِموا. و يقال: رَدّ يَدَه في فمه، أي أمسك إذا لم يجب. (١: ٣٣٦)

نحوه الأخفش. (الثّعلبيّ ٥: ٣٠٧)

ابن قُتَيْبَة: قال أبو عُبَيْدَة: «تركوا ما أمروا به و لم يُسلِموا». و لا أعلم أحدًا قال: رَدّ يَدَه في فيه، إذا أمسك عن الشّيء، و المعنى: ردّوا أيديهم في أفواههم، أي عضّوا عليها حنقًا و غيضًا. [ثمّ استشهد بشعر] (٢٣٠)

الطّبَريّ: اختلف أهل التّأويل في تأويل ذلك؛ فقال بعضهم: معنى ذلك: فعضّوا على أصابعهم، تغيُّظًا عليهم في دعائهم إيّاهم إلى ما دَعَوْهم إليه.

و قال آخرون: بل معنى ذلك: أنّهم لمّا سمعوا كتاب الله عجبوا منه، و وضعوا أيديهم على أفواههم.

و قال آخرون: بل معنى ذلك: أنّهم كذّبوهم بأفواههم. [و نقل كلام مُجاهِد و قَتادَة ثمّ قال:]

و كأنّ مجاهدًا وجّه قوله: ﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾، إلى معنى ردُّوا أيادي الله الّتي لو قبلوها كانت أيادي و نعمًا عندهم، فلم يقبلوها. و وجّه قوله: ﴿فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾، إلى معنى: بأفواههم، يعني بألسنتهم الّتي في أفواههم.

و قد ذُكر عن بعض العرب سماعًا: أدخلك الله بالجنّة، يعنون: في الجنّة. [ثمّ استشهد بشعر]

و قال آخرون: بل معنى ذلك: أنّهم كانوا يضعون أيديهم على أفواه الرّسل ردًّا عليهم قولهم، و تكذيبًا لهم.

و قال آخرون: هذا مثَل، و إنّما أُريد أنّهم كفُّوا عمّا أُمروا بقوله من الحقّ، و لم يؤمنوا به و لم يُسلِموا. و قال: يقال للرّجل إذا أمسك عن الجواب فلم يجب: رَدّ يَدَه في فمه. و ذكر بعضهم أنّ العرب تقول: كلّمت فلانًا في حاجة فردّ يَدَه في فيه، إذا سكت عنه فلم يجب.

و هذا أيضًا قول لا وجه له، لأنّ الله عزّ ذكره، قد أخبر عنهم أنّهم قالوا: ﴿إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ﴾ فقد أجابوا بالتّكذيب.

وأشبه هذه الأقوال عندي بالصّواب في تأويل هذه الآية، القول الّذي ذكرناه عن عبد الله بن مَسعود: أنّهم ردُّوا أيديهم في أفواههم، فعَضّوا عليها، غيظًا على الرّسل، كما وصف الله جلّ و عزّ به إخوانهم من المنافقين، فقال: ﴿وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾ آل عمران: ١١٩، فهذا هو الكلام المعروف، و المعنى المفهوم من ردّ اليد إلى الفم. (٧: ٤٢١)

الزّجّاج: قيل: أومأوا إلى الرُّسل أن اسكُتوا، و قيل: ردّوا أيديهم، الهاء و الميم يرجعان على الرّسل، المعنى: ردّوا أيدي الرّسل، أي نعَم الرّسل، لأنّ مجيئهم بالبيّنات نعَم، تقول: لفلان عندي يَدٌ، أي نعمة. و معنى ﴿فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾ بأفواههم، أي ردّوا تلك النّعم بالنّطق بالتّكذيب لما جاءت به الرّسل، و المعنى: أنّ الرّدّ جاء في هذه الجهة و في معناها، كما تقول: جلست في البيت

و جلست بالبيت. (٣: ١٥٦)

القُمّيّ: يعني في أفواه الأنبياء. (١: ٣٦٨)

الثّعلبيّ: تقول العرب للرّجل إذا أمسك عن الجواب فلم يجب و سكت: قد ردّ يده في فيه.

قال القيسيّ: إنّا لم نسمع واحدًا من العرب يقول: ردّ يده في فيه، إذا ترك ما أمر به، و إنّما المعنى: إنّهم عضّوا على الأيدي حيفًا و غيظًا. [ثمّ استشهد بشعر] (٥: ٣٠٧)

الماوَرْديّ: فيه سبعة أوجه:

أحدها: [قول ابن مَسعود المتقدّم]

الثّاني: [قول ابن عبّاس المتقدّم]

الثّالث: معناه: أنّهم كانوا إذا قال لهم نبيّهم إنّي رسول الله إليكم، أشاروا بأصابعهم إلى أفواههم بأن اسكُت، تكذيبًا له و ردًّا لقوله، قاله أبو صالح.

الرّابع: [قول مُجاهِد المتقدّم]

الخامس: [قول الحسَن المتقدّم]

السّادس: أنّ الأيدي هي النّعم، و معناه: أنّهم ردّوا نعمهم بأفواههم جحودًا لها.

السّابع: أنّ هذا مثل أريد به أنّهم كفّوا عن قبول الحقّ و لم يؤمنوا بالرّسل، كما يقال لمن أمسك عن الجواب: ردّ في فيه (٣: ١٢٤)

الطُّوسيّ: قيل في معناه خمسة أقوال:

أحدها: [قول ابن مَسعود و ابن زَيْد المتقدّم]

و ثانيها: [قول الحسَن المتقدّم]

و ثالثها: [قول مُجاهِد المتقدّم]

و رابعها: [قول ابن عبّاس المتقدّم]

و خامسها: قال قوم: ردّوا ما لو قبلوه لكانت نعمة عليهم. ﴿فِى اَفْوَاهِهِمْ﴾، أي بأفواههم و ألسنتهم، كما يقولون: أدخلك الله بالجنّة، يريدون في الجنّة، و هي لغة طيّء. [ثمّ استشهد بشعر] (٦: ٢٧٨)

الواحديّ: و المعنى: أنّهم تقل عليهم مكان الرّسل، فعضّوا على أصابعهم من شدّة الغيظ. (٣: ٢٥)

الزّمَخْشَريّ: غيظًا و ضجرًا ممّا جاءت به الرّسل، كقوله: ﴿عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْاَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾ آل عمران: ١١٩، أو ضحكًا و استهزاءً كمن غلبه الضّحك، فوضع يده على فيه. أو أشاروا بأيديهم إلى ألسنتهم و ما نطقت به، من قولهم: ﴿اِنَّا كَفَرْنَا بِمَا اُرْسِلْتُمْ بِهِ﴾ أي هذا جوابنا لكم ليس عندنا غيره إقناطًا لهم من التّصديق. ألاترى إلى قوله: ﴿فَرَدُّوا اَيْدِيَهُمْ فِى اَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا اِنَّا كَفَرْنَا بِمَا اُرْسِلْتُمْ بِهِ﴾ و هذا قول قويّ. أو وضعوها على أفواههم يقولون للأنبياء: أطبقوا أفواهكم و اسكُتوا. أو ردّوها في أفواه الأنبياء يُشيرون لهم إلى السّكوت. أو وضعوها على أفواههم يُسكّتونهم، و لايذرونهم يتكلّمون. (٢: ٣٦٩)

نحوه البُرُوسَويّ (٤: ٤٠٢) و القاسميّ (١٠: ٣٧١٢).

ابن عَطيّة: [و نقل قول ابن مَسعود و ابن عبّاس ثمّ قال:]

و ممّا ذُكر أن يكون المعنى: أنّهم ردّوا أيدي أنفسهم في أفواه أنفسهم: إشارة على الأنبياء بالسّكوت، و استبشاعًا لما قالوا من دعوى النّبوّة. و ممّا ذكر أن يكون المعنى: ردّوا أيدي أنفسهم في أفواه الرّسل

تسكيتًا لهم و دفعًا في صدر قولهم. قاله الحسَن. و هذا أشنع في الرّدّ و أذهب في الاستطالة على الرّسل، و النّيل منهم. (٣: ٣٢٦)

الطَّبْرِسيّ: اختلفوا في معناه على أقوال: [إلى أن ذكر قول الكَلْبيّ و قال:]

فيكون على هذا القول الضّميران للكفّار.

و رابعها: أنّ كلا الضّميرين للرّسل، أي أخذوا أيدي الرّسل فوضعوها على أفواههم ليسكتوهم، و يقطعوا كلامهم فيسكتوا عنهم، لـمّا يئسوا منهم. هذا كلّه إذا حُمل معنى الأيدي و الأفواه على الحقيقة.

و من حملها على التّوسّع و المجاز، فاختلفوا في معناه، فقيل: المراد باليد: ما نطقت به الرّسل من الحُجَج، و المعنى: فردّوا حُجَجهم من حيث جاءت، لأنّ الحُجَج تخرج من الأفواه، عن أبي مسلم.

و قيل: إنّ المعنى ردّوا ما جاءت به الرّسل و كذّبوهم، عن مُجاهِد، و قَتادَة.

و قيل: معناه تركوا ما أُمروا له، و كُفّوا عن قبول الحقّ، عن أبي عُبَيْدَة، و الأخفش.

قال القُتَيبيّ: و لم يسمع أحد أنّ العرب تقول: ردّ يده في فيه، بمعنى ترك ما أُمر به، و إنّما المعنى: أنّهم عَضّوا على الأيدي حنقًا و غيظًا.

وقيل: المعنى ردّوا بأفواههم نعم الرّسل، أي وعظهم و بيانهم، فوقع في موقع الباء، عن مُجاهِد.

[و استشهد بالشّعر مرّتين] (٣: ٣٠٥)

الفَخْر الرّازيّ: و في معناه قولان: الأوّل: أنّ المراد باليد و الفم: الجارحتان المعلومتان.

و الثّاني: أنّ المراد بهما: شيء غير هاتين الجارحتين، و إنّما ذكرهما مجازًا و توسّعًا.

أمّا من قال بالقول الأوّل: ففيه ثلاثة أوجه:

الوجه الأوّل: أن يكون الضّمير في ﴿اَيْدِيَهُمْ﴾ و ﴿اَفْوَاهِهِمْ﴾ عائدًا إلى الكفّار، و على هذا ففيه احتمالات. [ثمّ نقل قول ابن عبّاس و ابن مَسعود و الكَلْبيّ و أضاف:]

و الرّابع: أنّهم أشاروا بأيديهم إلى ألسنتهم و إلى ما تكلّموا به، من قولهم: ﴿اِنَّا كَفَرْنَا بِمَا اُرْسِلْتُمْ بِهٖ﴾، أي هذا هو الجواب عندنا عمّا ذكرتموه، و ليس عندنا غيره إقناطًا لهم من التّصديق. ألا ترى إلى قوله: ﴿فَرَدُّوا اَيْدِيَهُمْ فِى اَفْوَاهِهِمْ وَ قَالُوا اِنَّا كَفَرْنَا بِمَا اُرْسِلْتُمْ بِهٖ﴾. [ثمّ أدام الكلام في مرجع الضّميرين و الوجوه المتفرّعة عليها] (١٩: ٨٩)

البَيْضاويّ: فعضّوها غيظًا ممّا جاءت به الرّسل عليهم الصّلاة و السّلام، كقوله تعالى: ﴿عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْاَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾ آل عمران: ١١٩، أو وضعوها عليها تعجّبًا منه، أو استهزاءً عليه، كمن غلبه الضّحك، أو إسكاتًا للأنبياء عليهم الصّلاة و السّلام، و أمرًا لهم بإطباق الأفواه.

أو أشاروا بها إلى ألسنتهم و ما نطقت به، من قولهم: ﴿اِنَّا كَفَرْنَا﴾ تنبيهًا على أن لا جواب لهم سواه. أو رَدُّوها في أفواه الأنبياء يمنعونهم من التّكلّم، و على هذا يحتمل أن يكون تمثيلًا. (١: ٥٢٦)

شُبَّر: قوله تعالى: ﴿فَرَدُّوا اَيْدِيَهُمْ فِى اَفْوَاهِهِمْ﴾ عَضّوا على أصابعهم من شدّة الغيظ، لأنّه ثقل عليهم

مكان الرّسول، كقوله: ﴿عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾، أو جعلوا أيديهم في أفواه الأنبياء تكذيبًا و تسكيتًا لهم، و ردًّا لما جاؤوا به، أو أمرًا لهم بإطباق الأفواه.

أو وضعوا أيديهم في أفواههم مومئين بذلك إلى الرّسل أن اسكتوا عمّا تدعوننا اليه، أو وضعوها عليها تعجّبًا و استهزاءً، كمن غلبه الضّحك، أو وضعوا أيدي الرّسل على أفواههم ليقطعوا كلامهم.

أو أريد بالأيدي النّعم، و هي ما نطقت به الرّسل من الحُجَج، أي ردّوا حججهم في حيث جاءت بأن كذّبوها. (٣: ٣٤٨)

الآلوسيّ: أي أشاروا بأيديهم إلى ألسنتهم و ما نطقت به. [إلى أن قال:]

و الرّدّ مجاز عن الإشارة، و هي تحتمل المقارنة و التّقدّم و التّأخّر.

و قال أبو صالح: المراد أنّهم وضعوا أيديهم على أفواههم، مُشيرين بذلك للرّسل عليهم السلام أن يكفّوا و يسكتوا عن كلامهم، كأنّهم قالوا: اسكتوا فلا ينفعكم الإكثار، و نحن مصرّون على الكفر، لانقلع عنه.

* فكم أنا لاأصغي و أنت تطيل *

فالضّميران للكفّار أيضًا، و سائر ما في النّظم على حقيقته.

و عن ابن مَسعود رضي الله تعالى عنه: أنّ المراد أنّهم عَضّوا أيديهم غيظًا من شدّة نفرتهم من رؤية الرّسل و سماع كلامهم، فالضّميران أيضًا كما تقدّم، و اليد و الفم على حقيقته.

و الرّدّ كناية عن العضّ، و لاينافي الحقيقة كون المعضوض الأنامل، كما في قوله تعالى: ﴿عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾ آل عمران: ١١٩، فإنّ مَن عضّ موضعًا من اليد يقال حقيقة: إنّه عَضّ اليد. (١٣: ١٩٢)

المَراغيّ: أي عضّوا بنان النّدم غيظًا لما جاءهم به الرّسل، و ضجر لنفرتهم من استماع كلامهم: إذ سفّهوا أحلامهم، و شتموا أصنامهم، و قد فعلت العرب مثل ذلك مع النّبيّ ﷺ كما قال سبحانه: ﴿عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾ آل عمران: ١١٩، و قال أبو عُبَيْدَة و الأخفش ـ و نعمّا قالا ـ: هو مثَل، و المراد: أنّهم لم يؤمنوا و لم يجيبوا، و العرب تقول للرّجل إذا أمسك عن الجواب و سكت: قد ردّ يَدَه في فيه. (١٣: ١٣٣)

ابن عاشور: يحتمل عدّة وُجُوه، أنهاها في «الكشّاف» إلى سبعة، و في بعضها بُعْدٌ، و أولاها بالاستخلاص أن يكون المعنى: أنّهم وضعوا أيديهم على أفواههم إخفاءً لشدّة الضّحك من كلام الرّسل، كراهية أن تظهر دواخل أفواههم: و ذلك تمثيل لحالة الاستهزاء بالرّسل.

و الرّدّ: مستعمل في معنى تكرير جعل الأيدي في الأفواه، كما أشار إليه «الرّاغِب». أي وضعوا أيديهم على الأفواه ثمّ أزالوها، ثمّ أعادوا وضعها، فتلك الإعادة رَدّ.

و حرف (في) للظّرفيّة المجازيّة، المراد بها التّمكين، فهي بمعنى «على» كقوله: ﴿أُولٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ الزّمر: ٢٢، فمعنى ﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾ جعلوا أيديهم على أفواههم.

و عطفه بفاء التّعقيب مشير إلى أنّهم بادروا بردّ أيديهم في أفواههم بفور تلقّيهم دعوة رسلهم، فيقتضي أن يكون ردّ الأيدي في الأفواه تمثيلًا لحال المتعجّب المستهزئ، فالكلام تمثيل للحالة المعتادة، و ليس المراد حقيقته، لأنّ وقوعه خبرًا عن الأمم مع اختلاف عوائدهم و إشاراتهم، و اختلاف الأفراد في حركاتهم عند التعجّب قرينة على أنّه ما أُريد به إلّا بيان عربيّ.

و نظير هذا، قوله تعالى حكاية عن أهل الجنّة: ﴿وَ قَالُوا الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَ أَوْرَثَنَا الْأَرْضَ﴾ الزّمر: ٧٤، فميراث الأرض كناية عن حسن العاقبة، جريًا على بيان العرب عند تنافس قبائلهم، أنّ حسن العاقبة يكون لمن أخذ أرض عدوّه. (١٢: ٢٢٨)

مَغْنِيَّة: الضّمير يعود إلى قوم نوح و من بعدهم ممّن تقدّم ذكرهم، و ردّ اليد إلى الفم كناية عن شدّة الغيظ و الإمعان في الإعراض، و مثله: ﴿عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾ آل عمران: ١١٩. (٤: ٤٢٩)

الطَّباطَبائيّ: و قوله: ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾ الظّاهر أنّ المراد به: أنّ رسلهم جاؤوهم بحُجَج بيّنة تبيّن الحقّ و تُجلّيه من غير أيّ إبهام و ريب، فمنعوهم أن يتفوّهوا بالحقّ، و سدّوا عليهم طريق التكلّم.

فالضّميران في ﴿أَيْدِيَهُمْ﴾ و ﴿أَفْوَاهِهِمْ﴾ للرّسل، و ردّ أيديهم في أفواههم كناية عن إجبارهم على أن يسكتوا و يكفّوا عن التّكلّم بالحقّ. كأنّهم أخذوا بأيدي رسلهم و ردّوها في أفواههم، إيذانًا بأنّ من الواجب عليكم أن تكفّوا عن الكلام، و يؤيّده قوله بعد: ﴿وَ قَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَ إِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ فإنّ دعوى الشّكّ و الرّيب قبال الحجّة البيّنة و الحقّ الصّريح الّذي لا يُبقي مجالًا للشّكّ لا تتحقّق إلّا من جاحد مُكابر متحكّم مجازف، لا يستطيع أن يسمع كلمة الحقّ، فيجبر قائلها على السّكوت و الصّمت. (١٢: ٢٤)

فضل الله: تعبيرًا عن الغيظ، فقد ذكر أنّ ردّ اليد إلى الفم يمثّل مظهرًا حيًّا للإعراض و لشدّة الغيظ. (١٣: ٨٦)

رَدُّوهُ

﴿وَ إِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَ لَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَ إِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَ لَوْ لَا فَضْلُ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ النّساء: ٨٣

الطَّبَريّ: يقول: و لو سكتوا و ردّوا الحديث إلى النّبيّ ﷺ و إلى أولي أمرهم حتّى يتكلّم هو به. (٤: ١٨٤)

الطُّوسيّ: بمعنى لو ردّوه إلى سنّته. (٣: ٢٧٣)

ابن عَطيّة: و الضّمير في ﴿رَدُّوهُ﴾ عائد على الأمر. (٢: ٨٤)

البَيْضاويّ: و لو ردّوا ذلك الخبر. (١: ٢٣٣)

نحوه البُرُوسَويّ. (٢: ٢٤٦)

و لاحظ: أ م ر: «الأمر».

رَدَدْنَا

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَ أَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَ بَنِينَ وَ جَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ الإسراء: ٦

ابن عبّاس: قتل داود جالوت و عاد ملكهم كما كان. و الكرّة معناها: الرّجعة و الدّولة.

(الواحديّ ٣: ٩٧)

الفرّاء: يعني على بُخْتُنَصَّر، جاء رجل بعثه اللّه عزّ و جلّ على بُخْتُنَصَّر فقتله، و أعاد اللّه إليهم مُلكهم و أمرهم، فعاشوا، ثمّ أفسدوا و هو آخر الفسادين.

(٢: ١١٦)

أبو عُبَيْدَة: أعقبنا لكم الدّولة. (١: ٣٧١)

ابن قُتَيْبَة: أي الدّولة. (٢٥١)

نحوه الزّجّاج (٣: ٢٢٨)، و الثّعلبيّ (٦: ٨٥)، و البغويّ (٣: ١٢٢)، و البَيْضاويّ (١: ٥٧٨)، و النّسَفيّ (٢: ٣٠٧)، و الكاشانيّ (٣: ١٧٨)، و شُبّر (٤: ٨).

الطّبَريّ: يقول تعالى ذكره: ثمّ أدلناكم يا بني إسرائيل على هؤلاء القوم الّذين وصفهم جلّ ثناؤه أنّه يبعثهم عليهم، و كانت تلك الإدالة و الكرّة لهم عليهم، فيما ذكر السُّدّيّ في خبره أنّ بني إسرائيل غزوهم و أصابوا منهم، و استنقذوا ما في أيديهم منهم.

و في قول آخرين: إطلاق المَلِك الّذي غزاهم ما في يديه من أسراهم، و ردّ ما كان أصاب من أموالهم عليهم من غير قتال.

و في قول ابن عبّاس الّذي رواه عَطيّة عنه: هي إدالة اللّه إيّاهم من عدوّهم جالوت حتّى قتلوه، و قد ذكرنا كلّ ذلك بأسانيده فيما مضى. (٨: ٢٩)

الماوَرْديّ: يعني الظّفر بهم، و في كيفيّة ذلك ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنّ بني إسرائيل غزوا مَلِك بابل واستنقذوا ما في يديه من الأسرى و الأموال.

الثّاني: أنّ مَلِك بابل أطلق من في يده من الأسرى، و ردّ ما في يده من الأموال.

الثّالث: أنّه كان بقتل جالوت حين قتله داود.

(٣: ٢٣٠)

الطُّوسيّ: يعني الرّجعة و النّصرة عليهم.

(٦: ٤٤٩)

الزّمَخْشَريّ: أي الدّولة و الغلبة على الّذين بُعثوا عليكم حين تُبتم و رجعتم عن الفساد و العلوّ.

قيل: هي قتل بُخْتُنَصَّر و استنقاذ بني إسرائيل أسراهم و أموالهم، و رجوع الملك إليهم.

و قيل: هي قتل داود جالوت. (٢: ٤٣٩)

ابن عَطيّة: الآية عبارة عمّا قاله اللّه لبني إسرائيل في التّوراة، و جُعل ﴿رَدَدْنَا﴾ موضع نَرُدُّ، إذ وقت إخبارهم لم يقع الأمر بعد، لكنّه لمّا كان وعد اللّه في غاية الثّقة أنّه يقع، عبّر عن مستقبله بالماضي.

و هذه الكرّة هي بعد الجولة الأُولى لما وصفنا، فغلبت بنو إسرائيل على بيت المقْدِس و ملكوا فيه، و حسنت حالهم بُرْهَة من الدّهر، و أعطاهم اللّه الأموال و الأولاد، و جعلهم إذا نفروا إلى أمر أكثر النّاس.

(٣: ٤٣٩)

الطَّبْرِسيّ: أي رددنا لكم يا بني إسرائيل الدّولة، و أظهرناكم عليهم، و عاد ملككم على ما كان عليه.

(٣: ٣٩٩)

الفَخْر الرّازيّ: أي أهلكنا أعداءكم، و رددنا الدّولة و القوّة عليكم. (٢٠: ١٥٦)

القُرطُبيّ: أي الدّولة و الرّجعة؛ و ذلك لمـا تبـتم و أطعتم. ثمّ قيل: ذلـك بقتـل داود جـالوت، أو بقتـل غيره، على الخلاف في من قتلهم. (١٠: ٢١٧)

البُرُوسَويّ: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا﴾: أعَدْنا ﴿لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾، أي الدّولة و الغلبة، على الّذين فعلوا بكم ما فعلوا بعد مائة سنة، حين تُبتم و رجعتم مـن الإفسـاد و العلوّ، تلخيصه: بعد ظفرهم بكم أظفرنا كم بهم.

و ﴿الْكَرَّةَ﴾ في الأصل: المرّة، و ﴿عَلَيْهِمْ﴾ متعلّق بها، لأنّه يقال: كرّ عليه، أي عطف.

حكي أنّ كورش الهمذانيّ غزا أهل بابـل، فظهـر عليهم، و سكن الدّار، فتزوّج امرأة من بني إسـرائيل، فطلبت من زوجها أن يردّ قومها إلى أرضـهم، فـردّهم إلى أرضهم بيـت المَقْـدِس. فــ ﴿الْكَـرَّةَ﴾ هـي قتـل بُخْتُنَصَّر، و استنقاذ بني إسرائيل أُسـراءهم، و رجـوع الملك إليهم فمكثوا فيها، فرجعوا إلى أحسن ما كـانوا عليه، ثمّ عادوا فعصوا الثّانية. (٥: ١٣٣)

الآلوسـيّ: ﴿الْكَـرَّةَ﴾، أي الدّولـة و الغلبـة، و أصل معـنى الكـرّ: العطـف و الرّجـوع. و إطـلاق ﴿الْكَرَّةَ﴾ على ما ذكر مجاز شائع، كما يقـال: تراجـع الأمر، و لام ﴿لَكُمْ﴾ للتّعدية، و قيل: للتّعليل.

و قوله تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أي الّذين فعلوا بكم مـا فعلوا، متعلّق بـ ﴿الْكَـرَّةَ﴾ لما فيها من معنى الغلبـة، أو حال منها، وجُوّز تعلّقه بـ ﴿رَدَدْنَا﴾ و هذا على مـا في «البحر» إخبار منه تعالى في التّوراة لبني إسرائيل، إلّا أنّه جعل ﴿رَدَدْنَا﴾ موضع نُردّ، لتحقّق الوقوع. و كان بين البعث و الرّدّ على ما قيل مائة سنة؛ و ذلك بعـد أن تابوا و رجعوا عمّا كانوا عليه.

و اختُلف في سبب ذلك، فروي أنّ أردشير بهمـن ابن اسفنديار بن كشتاسف بـن لهراسـف لـمّا ورث المُلك من جـدّه كشتاسـف، ألقـى الله تعـالى في قلبـه الشّفقة على بني إسرائيل، فردّ أُسراءهم الّذين أتى بهم بُخْتُنَصَّر إلى بابل و سيّرهم إلى أرض الشّـام، و ملّـك عليهم دانيال، فاستولوا على مَن كان فيها مـن أتبـاع بُخْتُنَصَّر، و جعل بعضهم مـن آثـار هـذه الكـرّة قتـل بُخْتُنَصَّر، و لم يثبت. و في «البحر» أنّ ملكًا غـزا أهـل بابل، و كان بُخْتُنَصَّر قد قتل من بني إسـرائيل أربعـين ألفًا ممّن يقرأ التّوراة، و أبقى عنده بقيّة في بابـل، فلمّـا غزاهم ذلك الملك و غلب عليهم، تزوّج امرأة من بـني إسرائيل، فطلبت منه أن يردّ بني إسرائيل إلى ديـارهم ففعَل، و بعد مدّة قامـت فـيهم الأنبيـاء و رجعـوا إلى أحسن ما كانوا.

و قيل: ردّ الكـرّة بـأن سـلّط الله تعـالى داود عليه السّلام فقتـل جـالوت، و تعقّـب بـأنّـه يـردّه قولـه تعـالى ﴿وَ لِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ...﴾ الإسراء: ٧، فـإنّ المـراد بـه بيت المَقدِس، و داود عليه السّلام ابتدأ بُنيانه بعد قتل جـالوت و إيتائه النّبوّة، و لم يتمّه و أتـمّه سليمان عليه السّلام، فلم يكن قبل داود عليه السّلام مسجد حتّى يدخلوه أوّل مـرّة. و دُفـع بأنّ حقيقة المسجد: الأرض لا البناء، أو يحمـل قولـه تعالى: ﴿دَخَلُوهُ﴾ على الاستخدام، و هو كما ترى.

و الحقّ أنّ المسجد كـان موجـودًا قبـل داود عليه السّلام كما قدّمنا. (١٥: ١٨)

القاسميّ: أي بعد هذه المؤاخذة الشّـديدة، رددنـا

عند توبتكم، لكم الغلبة الّتي كانت لكم في الأصل عليهم. (١٠ : ٣٩٠٣)

ابن عاشور: ﴿ثُمَّ﴾ تُفيد التّراخي الرّتبيّ و التّراخي الزّمنيّ معًا، و الرّدّ: الإرجاع، و جيء بفعل ﴿رَدَدْنَا﴾ ماضيًا، جريًا على الغالب في جواب ﴿إِذَا﴾ كما جاء شرطها فعلًا ماضيًا في قوله: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَيهُمَا بَعَثْنَا﴾ الإسراء: ٥، أي إذا يجيء يُبعَث.

و ﴿الْكَرَّةَ﴾: الرّجعة إلى المكان الّذي ذهب منه.

فقوله: ﴿عَلَيْهِمْ﴾ ظرف مستقرّ هو حال من ﴿الْكَرَّةَ﴾، لأنّ رجوع بني إسرائيل إلى أورشليم، كان بتغلّب ملك فارس على ملك بابل.

و ذلك، أنّ بني إسرائيل بعد أن قضوا نيّفًا و أربعين سنة في أسر البابليّين، و تابوا إلى الله و ندموا على ما فرط منهم، سلّط الله ملوك فارس على ملوك بابل الآشوريّين، فإنّ الملك «كورش» ملك فارس حارب البابليّين و هزمهم، فضعُف سلطانهم، ثمّ نزل بهم «داريوس» ملك فارس و فتح بابل سنة: ٥٣٨، قبل المسيح، و أذن لليهود في سنة: ٥٣٠، قبل المسيح أن يرجعوا إلى أورشليم و يجدّدوا دولتهم. و ذلك نصر انتصروه على البابليّين؛ إذ كانوا أعوانًا للفرس عليهم.

و الوعد بهذا النّصر ورد أيضًا في كتاب أشعياء في الإصحاحات العاشر، و الحادي عشر، و الثّاني عشر، و غيرها، و في كتاب أرميا في الإصحاح الثّامن و العشرين و الإصحاح التّاسع و العشرين. (١٤ : ٢٧)

مكارم الشّيرازيّ: يستفاد من ظاهر قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَ أَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَ بَنِينَ وَ جَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ أنّ الإفساد الأوّل على الأقلّ و الانتقام الإلهيّ من بني إسرائيل كان قد وقع في الماضي. (٨ : ٣٦١)

فضل الله: فهزمتموهم كما هزموكم، و دمّرتموهم و استبحتم ديارهم و نهبتم أموالهم، كما فعلوا معكم في ما رزقكم الله من نعمه العظيمة، و أغدق عليكم رحمته من جديد. (١٤ : ٣٥)

رَدَدْنَاهُ

ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ. التّين : ٥

راجع: س ف ل: «أَسْفَل».

رُدُّوا

١ ـ سَتَجِدُونَ اٰخَرِينَ يُرِيدُونَ اَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَ يَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا اِلَى الْفِتْنَةِ اُرْكِسُوا فِيهَا... النّساء : ٩١

أبو العالية: كلّما ابتلوا بها، عَمُوا فيها.
(الطّبريّ ٤ : ٢٠٣)

قَتادَة: كلّما عرض لهم بلاء هلكوا فيه.
(الطّبريّ ٤ : ٢٠٣)

السُّدّيّ: أي دعوا إلى الشّرك.
(الآلوسيّ ٥ : ١١١)

الطّبَريّ: اختلف أهل التّأويل في الّذين عنوا بهذه الآية:

فقال بعضهم: هم ناس كانوا من أهل مكّة أسلموا، على ما وصفهم الله به من التّقيّة و هم كفّار، ليأمنوا على أنفسهم و أموالهم و ذراريهم و نسائهم. يقول الله: ﴿كُلَّ مَا رُدُّوا اِلَى الْفِتْنَةِ اُرْكِسُوا فِيهَا﴾، يعني كلّما

دعـاهم قـومهم إلى الشـرك بـالله، ارتـدّوا فصـاروا مشركين مثلهم، ليأمنوا عند هؤلاء و هـؤلاء. [ثمّ نقـل بعض الأقوال و أضاف:]

فتأويل الكلام: كلّما رُدّو إلى الاختبار ليرجعـوا إلى الكفر و الشّرك، رجعوا إليه. (٤: ٢٠٤)

الثّعلبيّ: يعني إذا دعوا إلى الشّرك رجعوا و عادوا إليه و دعوا عليه. (٣: ٣٥٨)

نحوه البغويّ. (١: ٦٧٤)

المـاوَرْديّ: أي كلّمـا رُدّوا إلى المحنـة في إظهـار الكفر رجعوا فيه. (١: ٥١٧)

الواحديّ: كلّما رُدّوا إلى الشّرك دخلوا فيه. (٢: ٩٣)

الزّمَخْشَـريّ: كلّمـا دعـاهم قـومهم إلى قتـال المسلمين. (١: ٥٥٢)

نحوه الفَخْرالرّازيّ (١٠: ٢٢٥)، و البَيْضاويّ (١: ٢٣٦)، و النّسَفيّ (١: ٢٤٢)، و أبوالسُّعود (٢: ١٧٧)، و البُرُوسَويّ (٢: ٢٥٨)، و الشّوْكانيّ (١: ٦٣٣).

الكاشانيّ: دعوا إلى الكفر و إلى قتال المسلمين. (١: ٤٤٦)

نحوه شُبّر. (٢: ٨١)

القاسميّ: أي دعوا إلى الارتداد أو الشّرك. (٥: ١٤٤١)

٢ ـ بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَـوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ. الأنعام: ٢٨

قَتادَة: لو وصل الله لهم دنيًا كدنياهم، لعـادوا إلى أعمالهم أعمال السّوء. (الطّبَريّ ٥: ١٧٦)

الطّبَريّ: يقول: و لو رُدّوا إلى الدّنيا فأُمهلوا. (٥: ١٧٦)

الزّجّاج: قال بعضهم: لو رُدّوا و لم يعاينوا العذاب، لعادوا، كأنّه يذهب إلى أنّهم لم يشاهدوا ما يضـطرّهم إلى الارتداع، و هذا ـ عَلَّهُ ـ بيّن، لأنّ هذا القول منـهم بعد أن بُعثوا و عَلِموا أمر القيامة، و عاينوا النّار.

فالمعنى: أنّ أكثر من عاين من اليهود و المشـركين قد علـم أنّ أمـر الله حـقّ، فـركَن إلى الرّفاهيَـة، و أنّ الشّيء متأخّر عنه إلى أمد، كما فعل إبليس الّذي قـد شاهد من براهين الله ما لاغايـة بعـده، فـأعلم الله عـزّ و جلّ أنّهم لـو رُدّوا لعـادوا، لأنّهـم قـد كفـروا بعـد وجوب الحجّة عليهم.

و قال بعض المفسّرين: إنّ النّبيّ ﷺ سُئل فقيل له: ما بال أهل النّار عملوا في عمر قصير بعمل أهل النّـار فخُلّدوا في النّار، و أهل الجنّـة عملـوا في عمـر قصـير بعمل أهل الجنّة، فخُلّدوا في الجنّة؟ فقال: إنّ الفـريقين كان كلّ واحد منهما على أنّه لو عاش أبدًا عمل بذلك العمل. (٢: ٢٤٠)

الثّعلبيّ: إلى الدّنيا. (٤: ١٤٣)

نحوه الواحديّ (٢: ٢٦٣)، و البغـويّ (٢: ١١٩)، و الزّمَخْشَريّ (٢: ١٣)، و البُرُوسَويّ (٣: ٢١).

الماوَرْديّ: يعني و لو رُدّوا إلى ما تمنّوا من الـدّنيا، لعادوا إلى ما نهوا عنه من الكفر. (٢: ١٠٦)

الطُّوسـيّ: قـال بعضـهم: لـو رُدّوا و لم يعـاينوا العذاب لعادوا، كـأنّـه ذهـب إلى أنّهـم لم يشـاهدوا

مايضطرّهم إلى الارتداع. و هذا ضعيف، لأنّ هذا القول يكون منهم بعد أن يُبعثوا و يعلموا أمر القيامة و يعاينوا النّار، بدلالة قوله: ﴿وَ لَوْ تَرٰى اِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ﴾ الأنعام: ٢٧، و هذه الآيات كلّها في المعاندين، لأنّه قال في أوّلها: ﴿اَلَّذِينَ اٰتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ اَبْنَاءَهُمُ اَلَّذِينَ خَسِرُوا...﴾ ثمّ قال بعد ذلك: ﴿وَاِنْ يَرَوْا كُلَّ اٰيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾.

و قال أبوعليّ الجُبّائيّ: الآية مخصوصة بالمنافقين، و ظهر لهم ماكانوا يخفونه من كفرهم الّذي كانوا يضمرونه.

قال: و الآية الأولى و إن كان ظاهرها يقتضي جميع الكفّار، و المنافقون داخلون فيهم، فيجوز أن يُخبر عنهم بهذا الحكم.

قال: و يحتمل أن يكون أراد بها الكافرين الّذين كان النّبيّ يُخوّفهم بالعذاب على كفرهم، فلم يؤمنوا بذلك، لكن دخلهم الشّكّ و الخوف و أخفوه عن ضعفائهم و عوامهم، فإذا كان يوم القيامة ظهر ذلك و إن أخفوه في الدّنيا، فيتمنّون حينئذ الرّدّ إلى حال الدّنيا. و قيل: ﴿بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ﴾ معنى: ﴿يُخْفُونَ﴾: يجدونه خافيًا. و معنى: ﴿بَلْ بَدَا﴾ ليس تمنّيهم الرّجعة و إظهار الإنابة حقًّا للإيمان الصّحيح، بل لما شاهدوه من العذاب الأليم.

و قوله: ﴿وَ لَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ معناه: إنّهم لو رُدّوا إلى حال التّكليف و إلى مثل ماكانوا عليه في الدّنيا من المهلكة، و التّمكين من الإيمان و التّوبة و القدرة على ذلك، لعادوا لمثل ماكانوا عليه من الكفر الّذي نُهوا عنه. (٤: ١١٩)

ابن عَطيّة: إخبار عن أمر لايكون كيف كان يوجد، و هذا النّوع ممّا استأثر الله بعلمه، فإن أعلم بشيء منه علم، و إلّا لم يتكلّم فيه. (٢: ٢٨٢)

الطَّبْرِسيّ: أي لو رُدُّوا إلى الدّنيا، و إلى حال التّكليف كما طلبوه، لعادوا إلى ما نُهوا عنه من الكفر و التّكذيب. (٢: ٢٨٩)

القُرطُبيّ: قيل: بعد معاينة العذاب، و قيل: قبل معاينته. (٦: ٤١٠)

البَيْضاويّ: أي إلى الدّنيا بعد الوقوف و الظّهور. (١: ٣٠٧)

نحوه الكاشانيّ. (٢: ١١٥)

أبوالسُّعود: أي من موقفهم ذلك إلى الدّنيا، حسبما تمنّوه، و غاب عنهم ما شاهدوه من الأهوال. (٢: ٣٧١)

نحوه القاسميّ. (٦: ٢٢٨١)

ابن عاشور: ارتقاء في إبطال قولهم حتّى يكون بمنزلة التّسليم الجدليّ في المناظرة، أي لو أُجيبت أمنيّتهم و رُدّوا إلى الدّنيا لعادوا للأمر الّذي كان النّبيّ ينهاهم عنه، و هو التّكذيب و إنكار البعث. وذلك لأنّ نفوسهم الّتي كذّبت فيما مضى تكذيب مكابرة بعد إتيان الآيات البيّنات، هي النّفوس الّتي أرجعت إليهم يوم البعث، فالعقل العقل و التّفكير التّفكير. و إنّما تمنّوا ما تمنّوا من شدّة الهول، فتوهّموا التّخلّص منه بهذا التّمنّي، فلو تحقّق تمنّيهم و رُدّوا و استراحوا من ذلك الهول، لغلبت أهواؤهم رُشدهم فنسوا ما حلّ بهم،

و رجعوا إلى ما ألفوا من التّكذيب و المكابرة.

و في هذا دليل على أنّ الخواطر النّاشئة عن عوامل الحسّ دون النّظر و الدّليل، لاقرار لها في النّفس، و لاتسير على مقتضاها، إلّا ريثما يدوم ذلك الإحساس، فإذا زال زال أثره. فالانفعال به يُشبه انفعال العجماوات من الزّجر و السّوط و نحوهما، ويزول بزواله حتّى يعاوده مثله. (٦: ٦٢)

الطَّباطَبائيّ: تذكير لفعل ما تقرّر في نفوسهم من الملكات الرّذيلة في نشأة الدّنيا، فإنّ الّذي بعثهم إلى تمنّي الرّجوع إلى الدّنيا و الإيمان فيها، بآيات الله، و الدّخول في جماعة المؤمنين، إنّما هو ظهور الحقّ المتروك بجميع ما يستتبعه من العذاب يوم القيامة، و هو من مقتضيات نشأة الآخرة المستلزمة لظهور الحقائق الغيبيّة ظهور عيان. (٧: ٥٤)

٣ـ ثُمَّ رُدُّوا اِلَى اللهِ مَوْلٰيهُمُ الْحَقِّ اَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ اَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ. الأنعام: ٦٢

الطَّبَريّ: يقول تعالى ذكره: ثمّ ردّت الملائكة الّذين توفّوهم فقبضوا نفوسهم و أرواحهم، إلى الله سيّدهم الحقّ. (٥: ٢١٦)

الثّعلبيّ: يعني الملائكة، و قيل: يعني العباد. (٤: ١٥٥)

نحوه البغويّ. (٢: ١٣٠)

الماوَرْديّ: في متولّي الرّدّ قولان:

أحدهما: أنّهم الملائكة الّتي توفّتهم.

و الثّاني: أنّه الله بالبعث و النّشور.

و في ردّهم إلى الله وجهان:

أحدهما: معناه ردّهم إلى تدبير الله وحده، لأنّ الله دبّرهم عند خلقهم و إنشائهم، مكّنهم من التّصرّف فصاروا في تدبير أنفسهم، ثمّ كفّهم عنه بالموت فصاروا في تدبير الله كالحالة الأُولى، فصاروا بذلك مردودين إليه.

و الثّاني: أنّهم رُدّوا إلى الموضع الّذي لايملك الحكم عليهم فيه إلّا الله، فجعل الرّدّ إلى ذلك الموضع ردًّا إليه. (٢: ١٢٤)

الطُّوسيّ: بيّن أنّ هؤلاء الّذين تتوفّاهم رسلنا يُرَدّون بعد الوفاة إلى الله، فيردّهم إلى الموضع الّذي لايملك الحكم عليهم فيه إلّا الله، و لايملك نفعهم و لاضرّهم سواه، فجُعل ردّهم إلى ذلك الموضع ردًّا إلى الله. (٤: ١٧١)

الواحديّ: يعني العباد يردّون بالموت إلى الله. (٢: ٢٨١)

الزَّمَخْشَريّ: أي إلى حكمه و جزائه. (٢: ٢٥)

نحوه البَيْضاويّ (١: ٣١٤)، و النَّسَفيّ (٢: ١٦)، و الكاشانيّ (٢: ١٢٦).

ابن عَطيّة: رجّح اللّفظ في قوله: ﴿رُدُّوا﴾ من الخطاب إلى الغيبة، و الضّمير في ﴿رُدُّوا﴾ عائد على المتقدّم ذكرهم، و يظهر أن يعود على العباد، فهو إعلام بردّ الكلّ. (٢: ٣٠١)

الطَّبْرِسيّ: أي إلى الموضع الّذي لايملك الحكم فيه إلّا هو. (٢: ٣١٣)

القُرطُبيّ: أي ردّهم الله بالبعث للحساب. (٧: ٧)

البُرُوسَويّ: أي إلى حكمه و جزائه في موقف الحساب، فالرّدّ إلى الله ليس على ظاهره، لكونه تعالى متعاليًا عن المكان و الجهة، بل هو عبارة عن جعلهم منقادين لحكم الله تعالى، مطيعين لقضائه بأن يُساقوا إلى حيث لا مالك و لا حاكم فيه سواه. (٣: ٤٦)

شُبَّر: إلى حكمه و جزائه في المواضع الّذي لا يملك الحكم غيره. (٢: ٢٦٩)

الآلوسيّ: عطف على ﴿تَوَفَّتْهُ﴾ الأنعام: ٦١، و الضّمير كما قيل: للكلّ المدلول عليه بـ ﴿أَحَدَ﴾، و هو السّرّ في مجيئه بطريق الالتفات و الإفراد أوّلًا، و الجمع آخرًا، لوقوع التوفّي على الانفراد و الرّدّ على الاجتماع.

و ذهب بعض المحقّقين: أنّ فيه التفاتًا من الخطاب إلى الغيبة و من التكلّم إليها، لأنّ الرّدّ يناسبه الغيبة بلا شبهة و إن لم يكن الرّدّ حقيقة، لأنّهم ما خرجوا من قبضة حكمه سبحانه طرفة عين. و نقل الإمام القول بعود الضّمير على الرّسل، أي إنّهم يموتون كما يموت بنو آدم. و الأوّل هو الّذي عليه غالب المفسّرين، و المراد: ثمّ ردّوا بعد البعث و الحشر أو من البرزخ إلى الله، أي إلى حكمه و جزائه، أو إلى موضع العرض و السّؤال. (٧: ١٧٧)

المَراغيّ: أي ثمّ يُرَدّ أولئك الّذين تتوفّاهم الرّسل إلى الله الّذي هو مولاهم و مالك أمورهم، و هو الحقّ الّذي لا يقضي إلّا بالعدل، ليحاسبهم و يجازيهم على أعمالهم.

و في الآية إيماء إلى أنّ ردّهم إليه حتم، لأنّه سيّدهم الّذي يتولّى أمورهم، و يحكم بينهم بالحقّ. (٧: ١٠٢)

ابن عاشور: و الضّمير في قوله: ﴿رُدُّوا﴾ عائد إلى ﴿أَحَدَ﴾ باعتبار تنكيره الصّادق بكلّ أحد، أي ثمّ يُرَدّ المتوفّون إلى الله. و المراد: رجوع النّاس إلى أمر الله يوم القيامة، أي رُدّوا إلى حكمه من نعيم و عذاب، فليس في الضّمير التفات. (٦: ١٤٣)

٤ ـ ﴿هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَ رُدُّوا إِلَى اللهِ مَوْلَيهُمُ الْحَقِّ وَ ضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾.

يونس: ٣٠

الطَّبَريّ: فإنّه يقول: و رجع هؤلاء المشركون يومئذ إلى الله الّذي هو ربّهم و مالكهم، الحقّ لا شكّ فيه، دون ما كانوا يزعمون أنّهم لهم أرباب من الآلهة و الأنداد. (٦: ٥٥٨)

الطُّوسيّ: فالرّدّ هو الذّهاب إلى الشّيء بعد الذّهاب عنه، فهؤلاء ذهبوا عن أمر الله فأُعيدوا إليه. و الرّدّ و الرّجْع نظائر، و يجوز أن يكون الرّدّ بمعنى النّشأة الثّانية، و هو الأليق هاهنا. (٥: ٤٢٥)

الواحديّ: إلى حكمه، فينفرد فيهم بالحكم. (٢: ٥٤٦)

ابن عَطيّة: قرأ يحيى بن وثّاب (وَ رِدُّوا) بكسر الرّاء، و الجمهور ﴿وَ رُدُّوا إِلَى اللهِ﴾ أي رُدّوا إلى عقاب مالكهم وشديد بأسه، فهو مولاهم في الملك والإحاطة، لا في الرّحمة و النّصر و نحوه. (٣: ١١٧)

الطَّبْرِسيّ: و رُدّوا إلى جزاء الله و إلى المواضع

الّذي لايملك أحد فيه الحكم إلّا الله الّذي هو مالكهم و سيّدهم و خالقهم. (٣: ١٠٦)

نحوه شبّر. (٣: ١٥٤)

الفخر الرّازيّ: فاعلم أنّ الرّدّ عبارة عن صرف الشّيء إلى الموضع الّذي جاء منه، و هاهنا فيه احتمالات:

الأوّل: أن يكون المراد من قوله: ﴿وَ رُدُّوا اِلَى اللهِ﴾ أي و رُدّوا إلى حيث لاحكم إلّا لله، على ما تقدّم من نظائره.

و الثّاني: أن يكون المراد: ﴿وَ رُدُّوا﴾ إلى ما يظهر لهم من الله من ثواب و عقاب، مُنبّهًا بذلك على أنّ حكم الله بالثّواب و العقاب لايتغيّر.

الثّالث: أن يكون المراد من قوله: ﴿وَ رُدُّوا اِلَى اللهِ﴾ أي جعلوا مُلجئين إلى الإقرار بإلهيّته، بعد أن كانوا في الدّنيا يعبدون غير الله تعالى، و لذلك قال ﴿مَوْلٰيهُمُ الْحَقِّ﴾ أعني أعرضوا عن المولى الباطل و رجعوا إلى المولى الحقّ. (١٧: ٨٥)

البَيْضاويّ: إلى جزائه إيّاهم بما أسلفوا. (١: ٤٤٦)

البُرُوسَويّ: الضّمير للّذين أشركوا على أنّه معطوف على ﴿زَيَّلْنَا﴾ يونس: ٢٨، و ما عطف عليه. (٤: ٤١)

الآلوسيّ: عطف على ﴿زَيَّلْنَا﴾ و الضّمير للّذين أشركوا، و ما في البين اعتراض في أثناء الحكاية مقرّر لمضمونها، و المعنى: رُدّوا إلى جزائه و عقابه أو إلى موضع ذلك، فالرّدّ إمّا معنويّ أو حسّيّ. و قال الإمام: المعنى جعلوا ملجئين إلى الإقرار بألوهيّته سبحانه و تعالى. (١١: ١٠٩)

القاسميّ: الضّمير للّذين أشركوا، أي رُدّوا إلى الله المتولّي جزاءهم بالعدل و القسط. (٩: ٣٣٤٤)

ابن عاشور: ﴿وَ رُدُّوا اِلَى اللهِ مَوْلٰيهُمُ الْحَقِّ﴾ يجوز أن تكون معطوفة على جملة: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَا اَسْلَفَتْ﴾ فتكون من تمام التّذييل، و يكون ضمير ﴿رُدُّوا﴾ عائدًا إلى ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾. و يجوز أن تكون معطوفة على قوله: ﴿وَ يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ يونس: ٢٨، الآية فلاتتّصل بالتّذييل، أي و نردّهم إلينا، و يكون ضمير ﴿رُدُّوا﴾ عائدًا إلى الّذين أشركوا خاصّة. و المعنى: تحقّق عندهم الحشر الّذي كانوا ينكرونه. و يناسب هذا المعنى قوله: ﴿مَوْلٰيهُمُ الْحَقِّ﴾، فإنّ فيه إشعارًا بالتّورّك عليهم بإبطال مواليهم الباطلة.

و الرّدّ: الإرجاع، و الإرجاع إلى الله: الإرجاع إلى تصرّفه بالجزاء على ما يُرضيه و ما لايُرضيه، و قد كانوا من قبل حين كانوا في الحياة الدّنيا، ممهلين غير مجازين. (١١: ٧٠)

رُدُّوهُ

يَا اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا اَطِيعُوا اللهَ وَ اَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ اُولِى الْاَمْرِ مِنْكُمْ فَاِنْ تَنَازَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ اِلَى اللهِ وَ الرَّسُولِ اِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَ الْيَوْمِ الْاٰخِرِ ذٰلِكَ خَيْرٌ وَ اَحْسَنُ تَاْوِيلًا. النّساء: ٥٩

مُجاهِد: يعني: إلى كتاب الله و سنّة رسوله.

مثله قَتادَة. (الماوَرْديّ ١: ٥٠٠)

الرّدّ إلى الله، هو النّظر في كتابه العزيز، و الرّدّ إلى الرّسول، هو سؤاله في حياته و النّظر في سنّته بعد وفاته ﷺ.

مثله الأعمش و قَتادَة و السُّدّيّ.

(ابن عَطيّة ٢: ٧١)

ابن قُتَيْبَة: بأن تَرُدّوه إلى سنّته. (١٣٠)

الطَّبَريّ: يعني بذلك: فارْتادُوا معرفة حكم ذلك الّذي اشتجرتم أنتم بينكم، أو أنتم و أولوا أمركم فيه من عند الله، يعني بذلك من كتاب الله فاتّبعوا ما وجدتم. (٤: ١٥٣)

الطُّوسيّ: معنى الرّدّ إلى الله، هو إلى كتابه، و الرّدّ إلى رسوله، هو الرّدّ إلى سنّته. و هو قول مُجاهِد، و قَتادَة، و ميمون بن مهران، و السُّدّيّ. و الرّدّ إلى الأئمّة يجري مجرى الرّدّ إلى الله و الرّسول، و لذلك قال في آية أخرى ﴿وَ لَوْ رَدُّوهُ اِلَى الرَّسُولِ وَ اِلٰى اُولِى الْاَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ النّساء: ٨٣، و لأنّه إذا كان قولهم حجّة من حيث كانوا معصومين حافظين للشّرع، جروا مجرى الرّسول في هذا الباب. (٣: ٢٣٦)

الواحديّ: فردّوا الحكم فيما تنازعتم فيه إلى كتاب الله و سنّة رسوله. (٢: ٧٢)

نحوه الزَّمَخْشَريّ. (١: ٥٣٥)

ابن عَطيّة: [نقل كلام مُجاهِد و أضاف:]

و هو الصّحيح.

و قال قوم: معناه: قولوا الله و رسوله أعلم، فهذا هو الرّدّ. (٢: ٧١)

الطَّبْرِسيّ: معناه: فإن اختلفتم في شيء من أمور دينكم، فردّوا التّنازع فيه إلى كتاب الله و سنّة الرّسول، و هذا قول مُجاهِد، و قَتادَة، و السُّدّيّ.

و نحن نقول: الرّدّ إلى الأئمّة القائمين مقام الرّسول بعد وفاته، و هو مثل الرّدّ إلى الرّسول في حياته، لأنّهم الحافظون لشريعته، و خلفاؤه في أمّته، فجروا مجراه فيه. (٢: ٦٥)

الفَخْر الرّازيّ: اعلم أنّ قوله: ﴿فَاِنْ تَنَازَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ اِلَى اللهِ وَ الرَّسُولِ﴾ يدلّ عندنا على أنّ القياس حجّة، و الّذي يدلّ على ذلك أنّ قوله: ﴿فَاِنْ تَنَازَعْتُمْ فِى شَىْءٍ﴾ إمّا أن يكون المراد: فإن اختلفتم في شيء حكمه منصوص عليه في الكتاب أو السّنّة أو الإجماع، أو المراد: فإن اختلفتم في شيء حكمه غير منصوص عليه في شيء من هذه الثّلاثة.

و الأوّل باطل، لأنّ على ذلك التّقدير وجب عليه طاعته، فكان ذلك داخلًا تحت قوله: ﴿اَطِيعُوا اللهَ وَ اَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ اُولِى الْاَمْرِ مِنْكُمْ﴾، و حينئذ يصير قوله: ﴿فَاِنْ تَنَازَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ اِلَى اللهِ وَ الرَّسُولِ﴾ إعادة لعين ما مضى، و إنّه غير جائز. و إذا بطل هذا القسم تعيّن الثّاني، و هو أنّ المراد: فإن تنازعتم في شيء حكمه غير مذكور في الكتاب و السّنّة و الإجماع، و إذا كان كذلك لم يكن المراد من قوله: ﴿فَرُدُّوهُ اِلَى اللهِ وَ الرَّسُولِ﴾ طلب حكمه من نصوص الكتاب و السّنّة.

فوجب أن يكون المراد: ردّ حكمه إلى الأحكام

المنصوصة في الوقائع المشابهة له، و ذلك هو القياس؛ فثبت أنّ الآية دالّة على الأمر بالقياس.

فإن قيل: لِمَ لايجوز أن يكون المراد بقوله: ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ﴾ أي فوّضوا علمه إلى الله و اسكتوا عنه و لاتتعرّضوا له؟ و أيضًا فلِمَ لايجوز أن يكون المراد: فردّوا غير المنصوص إلى المنصوص في أنّه لايحكم فيه إلّا بالنّصّ؟ و أيضًا لِمَ لايجوز أن يكون المراد: فردّوا هذه الأحكام إلى البراءة الأصليّة؟

قلنا: أمّا الأوّل فمدفوع، و ذلك، لأنّ هذه الآية دلّت على أنّه تعالى جعل الوقائع قسمين: منها ما يكون حكمها منصوصًا عليه، و منها ما لايكون كذلك، ثمّ أمر في القسم الأوّل بالطّاعة و الانقياد، و أمر في القسم الثّاني بالرّدّ إلى الله و إلى الرّسول. و لايجوز أن يكون المراد بهذا الرّدّ السّكوت، لأنّ الواقعة ربما كانت لاتحتمل ذلك، بل لابدّ من قطع الشّغب والخصومة فيها بنفي أو إثبات. و إذا كان كذلك امتنع حمل الرّدّ إلى الله على السّكوت عن تلك الواقعة، و بهذا الجواب يظهر فساد السّؤال الثّالث.

(١٠: ١٤٦)

القُرطُبيّ: أي ردّوا ذلك الحكم إلى كتاب الله أو إلى رسوله بالسّؤال في حياته، أو بالنّظر في سنّته بعد وفاته ﷺ. هذا قول مُجاهِد و الأعمش و قَتادَة، و هو الصّحيح. و من لم ير هذا اختلّ إيمانه، لقوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾. و قيل: المعنى قولوا الله و رسوله أعلم، فهذا هو الرّدّ. و هذا كما قال عمر بن الخطّاب: الرّجوع إلى الحقّ خير من التّمادي في الباطل.

و القول الأوّل أصحّ، لقول عليّ رضي الله عنه: ما عندنا إلّا ما في كتاب الله و ما في هذه الصّحيفة، أو فَهْمٌ أُعطيَه رجل مسلم. و لو كان كما قال هذا القائل لبطل الاجتهاد الّذي خصّ به هذه الأُمّة و الاستنباط الّذي أُعطيها، و لكن تُضرب الأمثال و يُطلب المثال حتّى يخرج الصّواب. قال أبوالعالية: و ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ النّساء: ٨٣. نعم، ما كان ممّا استأثر الله بعلمه و لم يطّلع عليه أحدٌ من خلقه، فذلك الّذي يقال فيه: الله أعلم. (٥: ٢٦١)

البَيْضاويّ: فراجعوا فيه إلى الله إلى كتابه، و الرّسول بالسّؤال عنه في زمانه، و المراجعة إلى سنّته بعده. و استدلّ به منكرو القياس، و قالوا: إنّه تعالى أوجب ردّ المختلف إلى الكتاب و السّنّة دون القياس.

و أُجيب بأنّ ردّ المختلف إلى المنصوص عليه إنّما يكون بالتّمثيل و البناء عليه و هو القياس، و يؤيّد ذلك الأمر به بعد الأمر بطاعة الله و طاعة رسوله، فإنّه يدلّ على أنّ الأحكام ثلاثة: مثبت بالكتاب و مثبت بالسّنّة و مثبت بالرّدّ إليهما، على وجه القياس.

(١: ٢٢٦)

النّسَفيّ: أي ارجعوا فيه إلى الكتاب و السّنّة.

(١: ٢٣٢)

نحوه البُرُوسَويّ (٢: ٢٢٨)، و القاسميّ (٥: ١٣٤٦).

شُبّر: إلى محكم كتابه. (٢: ٥٨)

ابن عاشور: لـمّا كانت الحوادث لاتخلو من حدوث الخلاف بين الرّعيّة و بينهم و بين ولاة أُمورهم، أرشدهم الله إلى طريقة فصل الخلاف بالرّدّ إلى الله و إلى الرّسول. و معنى الرّدّ إلى الله: الرّدّ إلى كتابه، كما دلّ على ذلك قوله في نظيره: ﴿وَ اِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا اِلٰى مَا اَنْزَلَ اللهُ﴾ المائدة: ١٠٤.

و معنى الرّدّ إلى الرّسول: إنهاء الأُمور إليه في حياته و حضرته، كما دلّ عليه قوله في نظيره: ﴿اِلَى الرَّسُولِ﴾ النّساء: ٨٣. فأمّا بعد وفاته أو في غيبته، فالرّدّ إليه: الرّجوع إلى أقواله و أفعاله، و الاحتذاء بسُنّته. روى أبو داود عن أبي رافع عن النّبيّ ﷺ أنّه قال: «لا أُلفِيَنّ أحَدَكم متّكئًا على أريكته يأتيه الأمر ممّا أمرت به أو نهيت عنه» فيقول: لا ندري، ما وجدنا في كتاب الله اتّبعناه.

و في روايته عن العرباض بن سارية أنّه سمع رسول الله يخطب، يقول: أيحسب أحدكم وهو متّكئ على أريكته، و قد يَظُنّ أنّ الله لم يحرّم شيئًا إلّا ما في هذا القرآن، ألا و إنّي و الله قد أمرت و وعظت ونهيت عن أشياء إنّها لمثل القرآن أو أكثر. و أخرجه التّرمذيّ من حديث المقدام. و عرض الحوادث على مقياس تصرّفاته و الصّريح من سنّته. [إلى أن قال:]

و الرّدّ هنا مجاز في التّحاكم إلى الحاكم، و في تحكيم ذي الرّأي عند اختلاف الآراء. و حقيقته: إرجاع الشّيء إلى صاحبه مثل العارية و المغصوب، ثمّ أُطلق على التّخلّي عن الانتصاف بتفويض الحكم إلى الحاكم، و عن عدم تصويب الرّأي بتفويض تصويبه إلى الغير، إطلاقًا على طريق الاستعارة. و غلب هذا الإطلاق في الكلام حتّى ساوى الحقيقة. [إلى أن قال:]

و ذكر الرّدّ إلى الله في هذا، مقصود منه مراقبة الله تعالى في طلب انجلاء الحقّ في مواقع النّزاع، تعظيمًا لله تعالى، فإنّ الرّدّ إلى الرّسول يحصل به الرّدّ إلى الله؛ إذ الرّسول هو المنبئ عن مراد الله تعالى، فذكر اسم الله هنا هو بمنزلة ذكره في قوله: ﴿فَاَنَّ لِلّٰهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ﴾ الأنفال: ٤١، الآية.

ثمّ الرّدّ إلى الرّسول في حياة الرّسول و حضوره ظاهر، و هو المتبادر من الآية. و أمّا الرّدّ إليه في غيبته أو بعد وفاته، فبالتّحاكم إلى الحكّام الّذين أقامهم الرّسول أو أمّرهم بالتّعيين، و إلى الحكّام الّذين تصبهم ولاة الأُمور للحكم بين النّاس بالشّريعة، ممّن يظنّ به العلم بوجوه الشّريعة و تصاريفها. فإنّ تعيين صفات الحكّام و شروطهم و طرق توليتهم -فيما ورد عن الرّسول- من أدلّة صفات الحكّام، يقوم مقام تعيين أشخاصهم. و بالتّأمّل في تصرّفاته و سنّته، ثمّ الصّدَر على ما يتبيّن للمتأمّل من حال يظنّها، هي مراد الرّسول لو سئل عنها في جميع أحوال النّزاع، في فهم الشّريعة و استنباط أحكامها المسكوت عنها من الرّسول، أو المجهول قوله فيها. (٤: ١٦٦)

فضل الله: ميزان فضّ المنازعات في الإسلام

﴿فَاِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ...﴾ فقد يتنازع المؤمنون في قضاياهم الفكريّة و الاجتماعيّة و السّياسية و الاقتصاديّة و نحوها، فكيف يجب أن

يعالجوا أمثال هذه المنازعات؟ و مَن هو المرجع؟

إنّ الآية تحدّد لنا الميزان الّذي يزن لنا الحقيقة، فيعرّفنا الخطّ الفاصل بين الحقّ و الباطل فليرجعوا إلى الله من خلال كتابه المجيد الّذي لا يأتيه الباطل من بين يديه و من خلفه، و ليهتدوا بهدي رسول الله ﷺ و سنّته، في ما لا يستطيعون فهمه من القرآن، فهمّا المصدران المعصومان اللّذان نستطيع من خلالهما الوقوف عند الحقّ لنعمل به، و الانطلاق ضدّ الباطل لنجتنبه، و ذلك هو دليل الإيمان بالله و اليوم الآخر، في ما يفرضه على الإنسان من الالتزام بكتاب الله و سنّة نبيّه لأنّ الإنسان الّذي لا يسير على هذا الخطّ هو إنسان لا يعيش الانتماء إلى خط الله و رسوله، لما يعنيه الانتماء من الابتعاد عن كلّ خطّ آخر غيره، سواءً كان من وحي نفسه أو من وحي الآخرين.

و ربّما كان من الضّروريّ لهذا الحديث، الإشارة إلى أنّ الآية توجّهنا إلى السّير في هذا الخطّ في اتّجاهين: الاتّجاه الفكريّ، و الاتّجاه العمليّ.

فإذا اختلفنا في الخطوط الفكريّة السّياسيّة و الاجتماعيّة و الاقتصاديّة الّتي يرتكز عليها نظام المجتمع، فيجب علينا الانطلاق إلى الله و الرّسول، لنرسم الخطّة على أساس المفاهيم و الأحكام و الوسائل الّتي يتضمّنها الكتاب و السنّة، لنحدّد الخطّ الإسلاميّ من غيره عند ما تشتبك الخطوط أمامنا و تشتبه، فهذا هو الّذي يحفظ للرّؤية الإسلاميّة وضوحها و سلامتها من الانحراف و الخلل، و هذا هو الّذي يؤكّد للمسيرة الإسلاميّة أصالتها و ثباتها و توازنها، و لهذا حضّت الكثير من الأحاديث المسلمين على ضرورة تقديم الأساس بين صحيح الحديث و باطله، ممّا يروى عن رسول الله ﷺ و أئمّة أهل البيت عليهم السّلام، بإرجاعه إلى كتاب الله و سنّة نبيّه ﷺ، مؤكّدة هذه الرّوايات بأنّ «كلّ حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف»[1] أو باطل، و ما إلى ذلك من الكلمات الّتي تقترب من بعضها البعض.

و هذا ما ينبغي لنا مواجهته في ما يخوضه المفكّرون المسلمون من صراعات فكريّة، يتحرّك بعضها في نطاق الإصرار على الرّجوع إلى المصادر الأصيلة للإسلام في الفكر و التّشريع و التّخطيط و بناء الدّولة و إقامة النّظام، و يتحرّك بعض آخر، ليوفّق بين مفاهيم الإسلام القرآنيّة و النبويّة، و بين المفاهيم الحديثة الّتي انطلقت في تفكير الفلاسفة الأوروبيّين، و ذلك من أجل المحافظة على تحديث الإسلام و عصريّته حتّى ينسجم مع مسيرة العصر الحضارية، و ربما يتحرّك في كلا الاتّجاهين متطرّفون هنا و هناك، ليتجمّد هؤلاء على النّص في لفظه بعيداً عن روحه، و ليتحرّر أولئك فيتركوا النّص تمامًا ليستلهموا روحه بطريقة مائعة، و قد أثار هذا الاختلاف جوّاً سلبيًّا في السّاحة الإسلاميّة على مستوى الفكر و العمل.

و الآية الّتي نحن بصددها ليست إلّا نوعًا من التّذكرة، بأنّ النّزاع في فهم الفكرة، و في طبيعة الخطّ،

---

(١) البحار، ٢: ٢٤٢، باب: ٢٩ رواية: ٣٧.

قد يكون له مبرراته الدّاخليّة و الخارجيّة. و لكن ذلك لا يتأتّى بطريقة ذاتيّة، بل بالرّجوع إلى القواعد الفكريّة القرآنيّة و النبويّة لتكون هي الميزان في الفكر الإسلاميّ الصّحيح، في مواجهة الفكر الزّائف فإنّ ذلك هو علامة الإيمان الحقّ. أمّا في الجانب التّطبيقيّ الّذي يحكم المسيرة، فالأمر لا يختلف عن الجانب الفكريّ لأنّ قضيّة الإسلام ليست الإيمان بالفكرة على أساس المعرفة فحسب، بل العمل على خطّ الإيمان في حركة الواقع، فلا يكفي في سلامة المسيرة أن يكون الفكر صحيحًا، بل ينبغي أن يكون التّطبيق سليمًا، لتتكامل الشّخصية الإسلاميّة و تتوازن. و في ضوء ذلك، لا بدّ أن تحلّ مشاكل الاختلاف في التّطبيق على هدى القرآن و السّنّة، ليعرف الإنسان المؤمن أنّ حياته لم تبتعد عن فكره و إيمانه. (٧: ٣٢٦)

رُدُّوهَا

١ ـ وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا. النّساء: ٨٦

راجع: ح ي ي: «حُيِّيتُمْ».

٢ ـ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ. ص: ٣٣

السُّدّيّ: الخيل. (الطّبريّ ١٠: ٥٧٩)

الطّبريّ: يقول: رُدّوا عليّ الخيل الّتي عرضت عليّ، فشغلتني عن الصّلاة فكرّوها عليّ. (١٠: ٥٧٩)

الماوَرْديّ: يعني الخيل، لأنّها عرضت عليه، فكانت تجري بين يديه، فلا يستبين منها شيء، لسرعتها، و هو يقول: اللّهمّ أغضّ بصري، حتّى غابت الحجاب، ثمّ قال: رُدّوها عليّ. (٥: ٩٣)

الطّوسيّ: يعني الخيل، فلمّا رُدّت عليه ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾.

و قيل: إنّ الخيل هذه حربها من غنيمة جيش، فتشاغل باعتراضها حتّى غابت الشّمس و فاتته العصر.

قال الحسن: كشف عراقيبها و ضرب أعناقها. و قال: لا تشغلني عن عبادة ربّي مرّة أُخرى.

و قيل: إنّه إنّما فعل ذلك على وجه القربة إلى الله تعالى، بأن ذبحها ليتصدّق بلحومها لا لعقوبتها بذلك. و إنّما فعل ذلك، لأنّها كانت أعزّ ماله، فأراد بذلك ما قال الله تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ آل عمران: ٩٢. (٨: ٥٦١).

الواحديّ: أي أعيدوها عليّ. (٣: ٥٥٢)

الزّمَخْشَريّ: فإن قلت: بمَ اتّصل قوله: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾ قلت: بمحذوف، تقديره: قال: رُدّوها عليّ فأضمر، و أضمر ما هو جواب له، كأنّ قائلًا قال: فماذا قال سليمان، لأنّه وضع مقتض للسّؤال اقتضاء ظاهرًا، و هو اشتغال نبيّ من أنبياء الله بأمر الدّنيا حتّى تفوته الصّلاة عن وقتها. (٣: ٣٧٤)

الطَّبْرِسيّ: أي قال لأصحابه: رُدّوا الخيل عليّ، عن أكثر المفسّرين. و قيل: معناه: أنّه سأل الله تعالى أن يردّ الشّمس عليه، فردّها عليه حتّى صلّى العصر. فالهاء في ﴿رُدُّوهَا﴾ كناية عن الشّمس، عن عليّ بن

أبي طالب عليه السلام. (٤ : ٤٧٥)

الفخر الرّازيّ: قال تعالى: ﴿حَتَّى تَوَارَتْ﴾ أقول: الضّمير في قوله: ﴿حَتَّى تَوَارَتْ﴾، و في قوله: ﴿رُدُّوهَا﴾ يحتمل أن يكون كلّ واحد منهما عائدًا إلى الشّمس، لأنّه جرى ذلك ماله تعلّق بها، و هو العشيّ. و يحتمل أن يكون كلّ واحد منهما عائدًا إلى ﴿الصَّافِنَاتُ﴾، و يحتمل أن يكون الأوّل متعلّقًا بالشّمس، و الثّاني بـ ﴿الصَّافِنَاتُ﴾، و يحتمل أن يكون بالعكس من ذلك، فهذه احتمالات أربعة لامزيد عليها:

فالأوّل: أن يعود الضّميران معًا إلى ﴿الصَّافِنَاتُ﴾ كأنّه قال: حتّى توارت الصّافنات بالحجاب ردّوا الصّافنات عليّ.

و الاحتمال الثّاني: أن يكون الضّميران معًا عائدَين إلى الشّمس، كأنّه قال: حتّى توارت الشّمس بالحجاب رُدّوا الشّمس، و روي أنّه عليه السلام لمّا اشتغل بالخيل فاتته صلاة العصر، فسأل الله أن يردّ الشّمس، فقوله: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾ إشارة إلى طلب ردّ الشّمس، و هذا الاحتمال عندي بعيد، و الّذي يدلّ عليه وجوه:

الأوّل: أنّ ﴿الصَّافِنَاتُ﴾ مذكورة تصريحًا، و الشّمس غير مذكورة، و عود الضّمير إلى المذكور أولى من عوده إلى المقدّر.

الثّاني: أنّه قال: ﴿إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ ص: ٣٢، و ظاهر هذا اللّفظ يدلّ على أنّ سليمان عليه السلام كان يقول: إنّي أحببت حبّ الخير عن ذكر ربّي، و كان يعيد هذه الكلمات إلى أن توارت بالحجاب، فلو قلنا: المراد حتّى توارت الصّافنات بالحجاب كان معناه أنّه حين وقع بصره عليها حال جريها، كان يقول هذه الكلمة إلى أن غابت عن عينه، و ذلك مناسب، و لو قلنا: المراد حتّى توارت الشّمس بالحجاب كان معناه أنّه كان يعيد عين هذه الكلمة من وقت العصر إلى وقت المغرب، و هذا في غاية البُعْد.

الثّالث: أنّا لو حكمنا بعود الضّمير في قوله: ﴿حتّى تَوَارَتْ﴾ إلى الشّمس، و حملنا اللّفظ على أنّه ترك صلاة العصر، كان هذا منافيًا لقوله: ﴿أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي﴾، فإنّ تلك المحبّة لو كانت عن ذكر الله لما نسي الصّلاة، و لما ترك ذكر الله.

الرّابع: أنّه بتقدير أنّه عليه السلام بقي مشغولًا بتلك الخيل حتّى غربت الشّمس و فاتت صلاة العصر، فكان ذلك ذنبًا عظيمًا و جُرمًا قويًّا، فالأليق بهذه الحالة التّضرّع و البكاء و المبالغة في إظهار التّوبة. فأمّا أن يقول على سبيل التّهوّر و العظمة لإله العالم و ربّ العالمين: رُدّوها عليّ بمثل هذه الكلمة العارية عن كلّ جهات الأدب عقيب ذلك الجُرم العظيم، فهذا لايصدر عن أبعد النّاس عن الخير، فكيف يجوز إسناده إلى الرّسول المطهّر المكرّم.

الخامس: أنّ القادر على تحريك الأفلاك و الكواكب هو الله تعالى، فكان يجب أن يقول: ردّها عليّ و لايقول: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾. فإن قالوا: إنّما ذكر صيغة الجمع للتّنبيه على تعظيم المخاطب، فنقول:

قوله: ﴿رُدُّوهَا﴾ لفظ مشعر بأعظم أنواع الإهانة، فكيف يليق بهذا اللّفظ رعاية التّعظيم.

السّادس: أنّ الشّمس لو رجعت بعد الغروب لكان ذلك مشاهدًا لكلّ أهل الدّنيا، و لو كان الأمر كذلك لتوفّرت الدّواعي على نقله و إظهاره، و حيث لم يقل أحد ذلك علمنا فساده.

السّابع: أنّه تعالى قال: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ﴾ ص: ٣١، ثمّ قال: ﴿حَتّٰى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ و عود الضّمير إلى أقرب المذكورين أولى، و أقرب المذكورين هو ﴿الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ﴾. و أمّا ﴿الْعَشِيِّ﴾ فأبعدهما، فكان عود ذلك الضّمير إلى ﴿الصَّافِنَاتُ﴾ أولى، فثبت بما ذكرنا أنّ حمل قوله: ﴿حَتّٰى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ على تواري الشّمس، و أنّ حمل قوله: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾ على أنّ المراد منه طلب أن يردّ الله الشّمس بعد غروبها، كلام في غاية البُعد عن النّظم. (٢٦: ٢٠٤)

القُرطُبيّ: قد قيل: إنّ الهاء في قوله: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾ للشّمس لا للخيل.

قال ابن عبّاس: سألت عليًّا عن هذه الآية، فقال: ما بلغك فيها؟ فقلت سمعت كعبًا يقول: إنّ سليمان لمّا اشتغل بعرض الأفراس حتّى توارت الشّمس بالحجاب و فاتته الصّلاة، قال: ﴿إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي...﴾ أي آثرت حبّ الخير عن ذكر ربّي، ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾ يعني الأفراس، و كانت أربع عشرة، فضرب سوقها و أعناقها بالسّيف، و أنّ الله سلبه ملكه أربعة عشر يومًا، لأنّه ظلم الخيل.

فقال عليّ بن أبي طالب: كذب كعب، لكن سليمان اشتغل بعرض الأفراس للجهاد حتّى توارت، أي غربت الشّمس بالحجاب، فقال بأمر الله للملائكة الموكّلين بالشّمس: ﴿رُدُّوهَا﴾ يعني الشّمس فردّوها حتّى صلّى العصر في وقتها، و أنّ أنبياء الله لا يظلمون، لأنّهم معصومون.

قلت: الأكثر في التّفسير أنّ الّتي توارت بالحجاب هي الشّمس، و تركها لدلالة السّامع عليها بما ذُكر ممّا يرتبط بها و متعلّق بذكرها، حسب ما تقدّم بيانه، و كثيرًا ما يُضمرون الشّمس. [ثمّ استشهد بشعر]

و الهاء في ﴿رُدُّوهَا﴾ للخيل و مسحها، قال الزُّهريّ و ابن كيسان: كان يمسح سوقها و أعناقها، و يكشف الغبار عنها حبًّا لها، و قاله الحسَن و قَتادَة و ابن عبّاس.

و في الحديث: أنّ النّبيّ ﷺ رؤي و هو يمسح فرسه بردائه، و قال: «إنّي عُوتبت اللّيلة في الخيل»، خرّجه الموطّأ عن يحيى بن سعيد مرسلًا، و هو في غير الموطّأ مسند متّصل عن مالك عن يحيى بن سعيد عن أنس. و قد مضى في الأنفال قوله ﷺ: «و امسحوا بنواصيها و أكفالها» و روى ابن وَهْب عن مالك أنّه مسح أعناقها و سوقها بالسّيوف.

قلت: و قد استدلّ الشّبليّ و غيره من الصّوفيّة في تقطيع ثيابهم و تخريقها بفعل سليمان هذا، و هو استدلال فاسد، لأنّه لا يجوز أن يُنسَب إلى نبيّ معصوم أنّه فعل الفساد.

و المفسّرون اختلفوا في معنى الآية، فمنهم من قال:

مسح على أعناقها و سوقها إكرامًا لها، و قال: أنت في سبيل الله، فهذا إصلاح. و منهم من قال: عرقبها ثمّ ذبحها، و ذبْح الخيل و أكل لحمها جائز، و قد مضى في النّحل بيانه. و على هذا فما فعل شيئًا عليه فيه جناح. فأمّا إفساد ثوب صحيح لا لغرض صحيح، فإنّه لايجوز، و من الجائز أن يكون في شريعة سليمان جواز ما فعل و لا يكون في شرعنا. و قد قيل: إنّما فعل بالخيل ما فعل بإباحة الله جلّ و عزّ له ذلك.

و قد قيل: إنّ مسحه إيّاها وسمها بالكيّ و جعلها في سبيل الله، فالله أعلم. و قد ضعف هذا القول من حيث إنّ السّوق ليست بمحلّ للوَسْم بحال. و قد يقال: الكيّ على السّاق علاط، و على العنق وثاق. و الّذي في الصّحاح للجَوهَريّ: علط البعير علطًا: كوّاه في عنقه بسمة العلاط، و العلاطان: جانبا العنق.

قلت: و من قال: إنّ الهاء في ﴿رُدُّوهَا﴾ ترجع للشّمس، فذلك من معجزاته. و قد اتّفق مثل ذلك لنبيّنا ﷺ.

خرّج الطّحاويّ في مشكل الحديث عن أسماء بنت عميس من طريقين: أنّ النّبيّ ﷺ كان يوحى إليه و رأسه في حِجْر عليّ، فلم يصلّ العصر حتّى غربت الشّمس، فقال رسول الله ﷺ: «أصلّيتَ يا عليّ» قال: لا، فقال رسول الله ﷺ: «اللّهمّ إنّه كان في طاعتك و طاعة رسولك فارْدُد عليه الشّمس» قالت أسماء: فرأيتها غربت ثمّ رأيتها بعدما غربت طلعت على الجبال و الأرض، و ذلك بالصّهباء في خيبر.

قال الطّحاويّ: و هذان الحديثان ثابتان، و رواتهما ثقات. (١٥: ١٩٦)

النّسَفيّ: أي قال للملائكة: رُدّوا الشّمس عليّ لأُصلّي العصر، فرُدّت الشّمس له و صلّى العصر، أو رُدّوا الصّافنات. (٤: ٤١)

أبو حَيّان: من غريب القول أنّ الضّمير في ﴿رُدُّوهَا﴾ عائد على الشّمس. (٧: ٣٩٧)

البُرُوسَويّ: في «الفتوحات المكّيّة» معنى الآية: أحببت الخير عن ذكر ربّي، الخير بالخيريّة فأحببته لذلك، و الخير هي الصّافنات الجياد من الخيل.

و أمّا قوله: ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا﴾ أي يمسح بيده على أعناقها و سوقها فرحًا و إعجابًا بخير ربّه لا فرحًا بالدّنيا، لأنّ الأنبياء منزّهون عن ذلك، و هذه تُشبه ما وقع لأيّوب ﷺ حين أرسل الله له جرادًا من ذهب، فصار يحثو في ثوبه منه، و يقول: لا غنًى لي عن بركتك يا ربّ. فما أحبّ سليمان الخير إلّا لكونه تعالى أحبّ حبّ الخير، و لذلك اشتاق إليها لـمّا توارت بالحجاب، يعني الصّافنات الجياد، لكونه فقد المحلّ الّذي أوجب له حبّ الخير عن ذكر ربّه، فقال: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾.

و ليس للمفسّرين الّذين جعلوا التّواري للشّمس دليلًا، فإنّ الشّمس ليس لها هنا ذكر و لا الصّلاة الّتي يزعمون، و مساق الآية لا يدلّ على ما قالوه بوجه ظاهر ألبتّة، انتهى كلام الفتوحات.

و عن عليّ ﷺ اشتغل سليمان ﷺ بعرض الأفراس للجهاد حتّى توارت بالحجاب، أي غربت الشّمس، فقال بأمر الله للملائكة الموكّلين بالشّمس: رُدّوها، يعني الشّمس، فردّوها إلى موضع وقت العصر

حتّى صلّى العصر في وقتها، فذلك من معجزات سليمان عليه السلام. [إلى أن قال:]

و اعلم أنّ حبس الشّمس و ردّها وقع مرارًا، و معنى حبسها: وقوفها عن السّير و الحركة بالكلّيّة، أو بطؤ حركتها، أو ردّها إلى ورائها. و معنى ردّها: إعادتها بعد غروبها و مغيبها، فقد حُبست لداود عليه السلام و ذلك في رواية ضعيفة، و رُدّت لسليمان على ما قُرّر. و حُبست أيضًا لخليفة موسى عليه السلام و هو يوشع بن نون، فإنّه سار مع بني إسرائيل لقتال الجبّارين و كان يوم الجمعة، و لمّا كاد يفتحها كادت الشّمس تغرب، فقال للشّمس: أيّتها الشّمس إنّك مأمورة و أنا مأمور بحرمتي عليك ألّا ركدت. أي مكثت ساعة من النّهار. و في رواية اللّهمّ أحبسها عليّ، فحبسها الله حتّى افتتح المدينة. و إنّما دعا بحبسها خوفًا من دخول البيت المحرّم عليهم فيه المقاتلة.

و رُدّت أيضًا لعليّ عليه السلام بدعاء نبيّنا صلى الله عليه و آله على ما سبق، و حُبست أيضًا عن الغروب لنبيّنا صلى الله عليه و آله، و ذلك أنّه أخبر في قصّة المعراج أنّ عير قريش تقدّم يوم كذا، فلمّا كان ذلك اليوم أشرفت قريش ينتظرون ذلك، و قد ولّى النّهار حتّى كادت الشّمس تغرب، فدعا الله تعالى، فحبس الشّمس عن الغروب حتّى قَدِمت العير، و في بعض الرّوايات حبست له عن الطّلوع، لأنّه صلى الله عليه و آله قال: «و تطلع العير عليكم من الثّنيّة عند طلوع الشّمس» فحبس الله الشّمس عن الطّلوع حتّى قَدِمت العير. و حُبست أيضًا له صلى الله عليه و آله في بعض أيّام الخندق إلى الاحمرار و الاصفرار، و صلّى حينئذ، و في بعضها لم تُحبس، بل صلّى بعد الغروب، و إليه الإشارة بقوله صلى الله عليه و آله: «شغلونا عن الصّلاة الوسطى» أي عن صلاة العصر.

و في كلام سبط بن الجوزيّ: إن قيل: حبسها و رجوعها مشكل، لأنّها لو تخلّفت أو رُدّت لاختلّت الأفلاك و فسد النّظام.

قلنا: حبسها و ردّها من باب المعجزات، و لا مجال للقياس في خرق العادات. (٨: ٢٩)

شُبّر: أي الشّمس ﴿عَلَيَّ﴾ أيّها الملائكة الموكّلون بها بأمر الله، فرُدّت فصلّى، كما رُدّت ليوشع و عليّ عليه السلام، أو الضّمير للخيل. (٥: ٢٨٥)

الآلوسيّ: الضّمير المنصوب في قوله تعالى: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾ لـ ﴿الصَّافِنَاتُ﴾ على ما قال غير واحد، و ظاهر كلامهم أنّه لـ ﴿الصَّافِنَاتُ﴾ المذكور في الآية، و لعلّك تختار أنّه للخيل الدّالّ عليها المشاهدة، أو ﴿الْخَيْرِ﴾ في قوله: ﴿إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ﴾ لأنّ ﴿رُدُّوهَا﴾ من تتمّة مقالته عليه السلام و ﴿الصَّافِنَاتُ﴾ غير مذكورة في كلامه بل في كلام الله تعالى لنبيّنا صلى الله عليه و آله.

و الكلام على ما قال الزّمَخْشَريّ: على إضمار القول، أي قال ردّوها عليّ، و الجملة مستأنفة استئنافًا بيانيًّا، كأنّه قيل: فماذا قال سليمان؟ فقيل: قال: ردّوها. و تعقّبه أبوحيّان بأنّه لايحتاج إلى الإضمار؛ إذ الجملة مندرجة تحت حكاية القول في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ إِنِّي...﴾، و الفاء في قوله تعالى: ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا﴾ فصيحة مُفصِحة عن جملة قد حُذفت ثقة بدلالة الحال

عليها، و إيذانًا بغاية سرعة الامتثال بالأمر، كما في قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ البقرة: ٦٠. أي فردّوها عليه.
(٢٣: ١٩٢)

ابن عاشور: الخطاب في قوله: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾ لسواس خيله، و الضّمير المنصوب عائد إلى الخيل بالقرينة. أي ارجعوا الخيل إليّ. و قيل: هو عائد إلى الشّمس و الخطاب للملائكة، و هذا في غاية البُعد. و لولا كثرة ذكره في كتب المفسّرين، لكان الأولى بنا عدم التّعرّض له. و أحسن منه على هذا الاعتبار في مُعاد ضمير الغيبة أن يكون الأمر مستعملًا في التّعجيز، أي هل تستطيعون أن تردّوا الشّمس بعد غروبها.
(٢٣: ١٥٣)

الطّباطبائيّ: قيل: الضّمير في ﴿رُدُّوهَا﴾ للشّمس، و هو أمر منه للملائكة بردّ الشّمس ليصلّي صلاته في وقتها. [إلى أن قال:]

و قيل: الضّمير للخيل، و المعنى قال: رُدّوا الخيل، فلمّا رُدّت شرع يمسح مسحًا بسوقها و أعناقها، و يجعلها مُسبّلة في سبيل الله، جزاء ما اشتغل بها عن الصّلاة.

و قيل: الضّمير للخيل، و المراد بمسح أعناق الخيل و سوقها: ضربها بالسّيف و قطعها، و المسح: القطع، فهو عليه السلام غضب عليها في الله، لما شغلته عن ذكر الله، فأمر بردّها، ثمّ ضرب بالسّيف أعناقها و سوقها، فقتلها جميعًا.

و فيه: أنّ مثل هذا الفعل ممّا تتنزّه ساحة الأنبياء عليهم السلام عن مثله، فما ذنب الخيل لو شغله النّظر إليها عن الصّلاة حتّى تؤاخذ بأشدّ المؤاخذة، فتُقتل تلك القتلة الفظيعة عن آخرها، مع ما فيه من إتلاف المال المحترم.

و أمّا استدلال بعضهم عليه برواية أُبيّ بن كعب عن النّبيّ صلّى الله عليه و آله في قوله تعالى: ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ قطع سوقها و أعناقها بالسّيف، ثمّ أضاف إليها، و قد جعلها بذلك قربانًا لله، و كان تقريب الخيل مشروعًا في دينه، فليس من التّقريب ذكر في الحديث و لا في غيره.

على أنّه عليه السلام لم يشتغل عن العبادة بالهوى بل شغلته عبادة عن عبادة، كما تقدّمت الإشارة إليه.

فالمعوّل عليه هو أوّل الوجوه إن ساعده لفظ الآية، و إلّا فالوجه الثّاني. (١٧: ٢٠٣)

مكارم الشّيرازيّ: استمرّ سليمان عليه السلام ينظر إلى خيله الأصيلة المستعدّة لجهاد أعداء الله، و هو يعيش حالة من السّرور، حتّى توارت عن أنظاره ﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾.

كان هذا المشهد جميلًا و لطيفًا لقائد كبير مثل سليمان، بحيث أمر بإعادة عرض الخيل مرّة أُخرى ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾. و عندما نفّذت أوامره بإعادة الخيل، عمد سليمان عليه السلام إلى مسح سوقها و أعناقها، ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾. [إلى أن قال:]

إذا انتهينا من هذا، فهناك إشكالات أُخرى وردت بشأن هذا التّفسير:

١ ـ كلمة الشّمس لم تأت بصورة صريحة في

الآيات، في حين أنّ الخيل ﴿الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ﴾ جاء ذكرها صريحًا، و نرى من المناسب أن تعود بالضّمير على شيء صرّحت به الآيات.

٢ ـ عبارة ﴿عَنْ ذِكْرِ رَبّي﴾ ظاهرها يعني أنّ حُبّ هذه الخيل إنّما هو ناشئ من ذكر و طاعة أمر الله، في حين ـ طبقًا للتفسير الأخير ـ تُعطي كلمة (عَنْ) معنى «على» و يكون معنى العبارة، إنّي آثرت حُبّ الخيل على حبّ ربّي، و هذا المعنى مخالف لظاهر الآية.

٣ ـ الأعْجَب من كلّ ذلك هي عبارة ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾ الّتي تحمل صفة الأمر، فهل يمكن أن يخاطب سليمان الباري عزّو جلّ أو ملائكته بصيغة الأمر، أن رُدّوا عليّ الشّمس، كما يخاطب عبيده أو خدمه.

٤ ـ قضيّة ردّ الشّمس، رغم أنّها في مقابل قدرة الباري عزّو جلّ تُعَدّ أمرًا يسيرًا، إلّا أنّها تواجه بعض الإشكالات؛ بحيث جعلتها أمرًا لايمكن قبوله من دون توفّر أدلّة واضحة عليها.

٥ ـ الآيات المذكورة أعلاه تبدأ بمدح و تمجيد سليمان، في حين أنّ التّفسير الأخير لها يُعطي معنى الذّمّ و التّحقير.

٦ ـ إذا كانت الصّلاة المتروكة واجبة، فتعليلها يُعَدّ أمرًا صعبًا، أمّا إذا كانت نافلة فلاداعي لردّ الشّمس.

السّؤال الوحيد المتبقّي هنا، هو أنّ هذا التّفسير ورد في عدّة روايات في مصادر الحديث، و إذا دقّقنا جيّدًا في إسناد هذه الأحاديث، يتّضح لنا أنّها جميعًا تفتقد السّند الموثوق المعتبر، و أنّ أكثر هذه الرّوايات موضوعة.

أليس من الأفضل صرف النّظر عن تلك الرّوايات غير الموثوقة، و إرجاع علمها إلى أصحابها، و تقبُّل كلّ ما يبيّنه ظاهر الآيات بذهنيّة صافية و متفتّحة، لنريح أنفسنا من عناء الإشكالات الفارغة.

(١٤: ٤٥٤)

فضل الله: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾ أي الخيل ـ على ما هو الظّاهر ـ في عمليّة استعادة للاستعراض، و لكن بروحيّة أُخرى ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ قيل: في معناه: أنّه شرع يمسح بيده مسحًا بسوقها و أعناقها، و يجعلها مُسَبّلةً في سبيل الله، جزاء ما اشتغل بها عن الصّلاة.

و قيل: المراد بمسح أعناق الخيل و سوقها: ضربها بالسّيف و قطعها، و المسح: القطع، فهو غضب عليها في الله، لما شغلته عن ذكره، فأمر بردّها ثمّ ضرب بالسّيف أعناقها و سوقها، فقتلها جميعًا.

و يُعلّق صاحب الميزان على هذا الوجه، بأنّ «مثل هذا الفعل ممّا تتنزّه ساحة الأنبياء عليهم السلام عن مثله، فما ذنب الخيل لو شغله النّظر إليها عن الصّلاة حتّى تؤاخذ بأشدّ المؤاخذة فتُقتل تلك القتلة الفظيعة عن آخرها، مع ما فيه من إتلاف المال المحترم».

و يذكر في موضع آخر: أنّ الرّوايات الّتي تؤكّد هذه القصّة بهذا الشّكل تنتهي إلى كعب الأحبار، بالإضافة إلى الإغراق في التّفاصيل الّتي تدخل في دائرة الأعاجيب.

أمّا تعليقنا على ذلك، فإنّ الظّاهر من الآية قد يؤكّد فكرة ضرب أعناقها و سوقها، لأنّ مسألة

تسبيلها في سبيل الله لايتوقّف على « ردّها عليه »، كما أنّه لايفسّر مسح أعناقها و سوقها، فإنّ من المتعارف مسح الخيل على نواصيها، كما أنّ هذه الرّوايات تلتقي مع ظهور الآية في ردّ الفعل الّذي قام به سليمان، إزاء انشغاله بها عن الصّلاة، ممّا جعله يفكّر بالخلاص منها بقتلها، من غير ضرورة لأن يكون ذلك على سبيل الانتقام منها، أو إتلافها كمال محترم لايجوز إتلافه، بل قد يكون ذلك بمثابة ضغط على نفسه بُغية إيلامها، لأنّها أحبّت الخيل و بهذه الطّريقة، مع ملاحظة أنّ ذلك حلال في شريعته، لأنّ الخيل كانت تُذبح كالأنعام للطّعام، و الله العالم. (١٩ : ٢٦١)

رُدَّتْ

وَ لَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَ نَمِيرُ أَهْلَنَا وَ نَحْفَظُ أَخَانَا وَ نَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ.

يوسف : ٦٥

الزّجّاج: تُقرأ (رِدَّتْ) بكسر الرّاء، و الأصل رُدِدَتْ، فأُدغمت الدّال الأولى في الثّانية، و بقيت الرّاء مضمومة، و من كسر الرّاء جعل كسرتها منقولة من الدّال، كما فُعل ذلك في « قيل و بيع » لتدلّ أنّ أصل الدّال الكسر. (٣ : ١١٨)

الثّعلبيّ: ﴿وَ لَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ﴾ الّذي حملوه من مصر ﴿وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ﴾ ثمن الطّعام ﴿رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي﴾ أي ماذا نبغي؟ و أيّ شيء نطلب و راء هذا، أوفى لنا الكيل و ردّ علينا الثّمن؟ أرادوا بذلك أن يُطيّبوا نفس أبيهم. و (مَا) استفهام في موضع نصب و يكون معناه جحدًا، كأنّهم قالوا: لسنا نُريد منك دراهم. (٥ : ٢٣٦)

الماوَرْديّ: قوله عزّ و جلّ: ﴿وَ لَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ﴾ أي وجدوا الّتي كانت بضاعتهم، و هو ما دفعوه في ثمن الطّعام الّذي امتاروه.

﴿هٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾ احتمل أن يكون قولهم ذلك له تعريفًا، و احتمل أن يكون ترغيبًا، و هو أظهر الاحتمالين. (٣ : ٥٧)

الطُّوسيّ: أخبر الله تعالى عن إخوة يوسف أنّهم لمّا فتحوا متاعهم، و المتاع: مبيع التّجّار ممّا يصلح للاستمتاع. فالطّعام متاع، و البرّ متاع، و أثاث البيت متاع. و المراد به هاهنا: أوعية الطّعام. ﴿وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ﴾ أي أصابوا بضاعتهم الّتي كانوا و زنوها بشري الطّعام، قد جُعلت في وسط أمتعتهم، فلمّا رأوا ذلك قالوا: ﴿يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي﴾.

و قيل: في معناه قولان:

أحدهما: قال قتادة: مانطلب؟ على وجه الاستفهام.

و الثّاني: قال الجُبّائيّ: ﴿مَا نَبْغِي﴾ فيما أخبرناك به عن ملك مصر ليس بالكذب. و دليله أنّ ﴿هٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾ و أجاز الفرّاء، و الزّجّاج كلا الوجهين. (٦ : ١٦٥)

الواحديّ: (مَا) استفهام، و المعنى: أيّ شيء تريد و قد رُدّت علينا بضاعتنا ؟و يجوز أن يكون نفيًا كأنّهم

قالوا: ما نبغي شيئًا ﴿هٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾ أي لسنا نطلب منك دراهم نرجع بها إليه، بل تكفينا في الرّجوع إليه بضاعتنا هذه، و أرادوا بهذا الكلام أن يُطيّبوا نفس أبيهم على الإذن لهم بالمعاودة. (٢: ٦٢١)

نحوه البغويّ. (٢: ٥٠١)

الزّمَخْشَريّ: قُرئ (رِدَّتْ إِلَيْنَا) بالكسر، على أنّ كسرة الدّال المُدْغَمَة نُقلت إلى الرّاء، كما في «قيل و بيع»، و حكى قُطْرُب ضِرب زيد على نقل الكسرة الرّاء فيمن سكّنها إلى الضّاد. (٢: ٣٣١)

نحوه الفَخْر الرّازيّ. (١٨: ١٧٠)

ابن عَطيّة: قرأ جمهور النّاس ﴿رُدَّتْ﴾ بضمّ الرّاء على اللّغة الفاشية عن العرب، و تليها لغة من يشمّ، و تليها لغة من يكسر. و قرأ علقمة و يحيى بن وثّاب (رِدَّتْ) بكسر الرّاء، على لغة من يكسر، و هي في بني ضبّة.

قال أبوالفتح: و أمّا المعتلّ نحو «قيل و بيع» فالفاشي فيه الكسر ثمّ الإشمام ثمّ الضّمّ، فيقولون: «قول و بوع» قال الزّجّاج: من قرأ (رِدَّتْ) بكسر الرّاء جعلها منقولة من الدّال، كما فعل في «قيل و بيع» لتدلّ على أنّ أصل الدّال الكسرة. (٣: ٢٦٠)

الطّبْرِسيّ: أي ما نطلب في منع أخينا عنه.

و قيل: معناه: ما نطلب بما أخبرناك عن ملك مصر الكذب.

و قيل: معناه: أيّ شيء نطلب وراء هذا، أوفى لنا الكيل، و ردّ علينا الثّمن، عن قتادة. و أراد أن تطيّب نفس يعقوب فيبعث ابنه معهم. و تمّ الكلام، ثمّ قالوا ابتداء: ﴿هٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾ أي فلا ينبغي أن نخاف على أخينا ممّن قد أحسن إلينا هذا الإحسان.

و قيل: المراد ما نريد منك دراهم تُعطيناها نرجع بها إليه، بل تكفينا في الرّجوع إليه بضاعتنا هذه، فإنّ الملك إذا فعلنا ما أمرنا به في أخينا، يفي بما وعدنا، و أرسله معنا. (٣: ٢٤٨)

البَيْضاويّ: [نحو الزّمَخْشَريّ و أضاف:]

﴿هٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾ استئناف موضّح لقوله: ﴿مَا نَبْغِي... وَ نَمِيرُ أَهْلَنَا﴾ معطوف على محذوف، أي رُدّت إلينا فنستظهر بها و نمير أهلنا بالرّجوع إلى الملك. (١: ٥٠١)

نحوه النّسَفيّ. (٢: ٢٣٠)

أبوالسُّعود: ﴿وَ لَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ﴾ أي تفضّلًا، و قد علموا ذلك بما مرّ من دلالة الحال. و قُرئ بنقل حركة الدّال المُدْغَمَة إلى الرّاء، كما قيل: في «قيل و كيل». [إلى أن قال:]

و قوله تعالى: ﴿هٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾ جملة مستأنفة موضّحة لما دلّ عليه الإنكار من بلوغ اللّطف غايته، كأنّهم قالوا: كيف لا، و هذه بضاعتنا ردّها إلينا تفضّلًا من حيث لاندري، بعدما منّ علينا من المنن العظام، هل من مزيد على هذا فنطلبه. و لم يريدوا به الاكتفاء بذلك مطلقًا، أو التّقاعد عن طلب بنظائره، بل أرادوا الاكتفاء به في استيجاب الامتثال لأمره، و الالتجاء إليه في استجلاب المزيد، كما أشرنا إليه.

و قوله تعالى: ﴿رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾ حال من ﴿بِضَاعَتُنَا﴾ و العامل معنى الإشارة، و إيثار صيغة البناء للمفعول،

للإيذان بكمال الإحسان النّاشئ عن كمال الإخفاء، المفهوم من كمال غفلتهم عنه؛ بحيث لم يشعروا به و لابفاعله. (٣: ٤١٠)

البُرُوسَوِيّ: ﴿رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾ أي حال كونها مردودة إلينا تفضّلًا من حيث لاندري، بعد ما منّ علينا بالمنن العظام، هل من مزيد على هذا فنطلبه، أرادوا الاكتفاء به في استيجاب الامتثال لأمره، و الالتجاء إليه في استجلاب المزيد. (٤: ٢٩١)

رُدِدْتُ

وَ مَا اَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَ لَـئِنْ رُدِدْتُ اِلٰى رَبّـِي لَاَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا. الكهف: ٣٦

الطَّبَريّ: رجعت إليه، و هو غير موقن أنّه راجع إليه. (٨: ٢٢٤)

الزّجّاج: دلّ على أنّ صاحبه المؤمن قد أعلمه أنّ السّاعة تقوم و أنّه يُبعث، فأجابه بأن قال له: ﴿وَ لَـئِنْ رُدِدْتُ اِلٰى رَبّـِي﴾ كما أعلمتني أن أُبعث ليُعطيني في الآخرة خيرًا ممّا أعطاني في الدّنيا، لأنّه لم يعطني هذا في الدّنيا إلّا و هو يزيدني إن كان الأمر على هذا في الآخرة. (٣: ٢٨٥)

الثّعلبيّ: صرفت. (٦: ١٧٠)

الزّمَخْشَريّ: إقسام منه على أنّه إن رُدّ إلى ربّه على سبيل الفرض و التّقدير، و كما يزعم صاحبه، ليجدنّ في الآخرة خيرًا من جنّته في الدّنيا، تطمّعًا و تمنّيًا على الله، و ادّعاء لكرامته عليه و مكانته عنده، و أنّه ما أولاه الجنّتين إلّا لاستحقاقه و استئهاله له، و أنّ معه هذا الاستحقاق أينما توجّه، كقوله: ﴿اِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنٰى﴾ فصّلت: ٥٠، ﴿لَاُوتَيَنَّ مَالًا وَ وَلَدًا﴾ مريم: ٧٧. (٢: ٤٨٤)

الطَّبْرِسيّ: معناه: و لئن كانت القيامة و البعث حقًّا كما يقوله الموحّدون، لأجدنّ خيرًا من هذه الجنّة. [ثمّ نقل كلام الزّجّاج و أضاف:]

و قيل: معناه: لأكتسبنّ في الآخرة خيرًا من هذه الّتي اكتسبتها في الدّنيا. (٣: ٤٦٨)

القُرطُبيّ: أي و إن كان بعث فكما أعطاني هذه النّعم في الدّنيا فسيُعطيني أفضل منه لكرامتي عليه، و هو معنى قوله: ﴿لَاَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾، و إنّما قال ذلك لمّا دعاه أخوه إلى الإيمان بالحشر و النّشر. (١٠: ٤٠٤)

البَيْضاويّ: بالبعث كما زعمت. (٢: ١٣)

نحوه الكاشانيّ (٣: ٢٤٢)، و الآلوسيّ (١٥: ٢٧٦).

أبو السُّعود: بالبعث عند قيامها، كما تقول: ﴿اِلٰى رَبّـِي لَاَجِدَنَّ﴾. (٤: ١٨٩)

البُرُوسَوِيّ: و الله لئن رجعت ﴿اِلٰى رَبّـِي﴾ بالبعث على الفرض و التّقدير كما زعمت، فليس فيه دلالة على أنّه كان عارفًا بربّه، مع أنّ العرفان لاينافي الإشراك، و كان كافرًا مشركًا.

قال في «البرهان»: قال تعالى: ﴿وَ لَئِنْ رُدِدْتُ اِلٰى رَبّـِي﴾ و في حم: ﴿وَ لَئِنْ رُجِعْتُ اِلٰى رَبّـِي﴾ لأنّ الرّدّ عن الشّيء يتضمّن كراهة المردود، و لمّا كان في الكهف تقديره: و لئن رددت عن جنّتي هذه ـ الّتي

أظنّ أن لاتبيد أبدًا ـ إلى ربّي، كان لفظ الرّدّ الّذي يتضمّن الكراهة أولى، و ليس في حم، ما يدلّ على كراهته، فذُكر بلفظ الرّجع ليقع في كلّ سورة ما يليق بها. (٥: ٢٤٦)

شُبّر: فرضًا كما تزعم. (٤: ٧٧)

يَرُدُّوكُمْ

١ ـ ...وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ... البقرة: ٢١٧

الثّعلبيّ: يصدّوكم و يصرفوكم. (٢: ١٤١)

الطّوسيّ: قال الجُبّائيّ: هو مجاز هاهنا، لأنّ حقيقته: حتّى ترتدّوا بإلجاءهم إيّاكم إلى الارتداد. والأولى أن يكون حقيقة ذلك بالعرف. (٢: ٢٠٨)

الواحديّ: الإسلام إلى الكفر. (١: ٣٢٢)

البغويّ: يصرفوكم. (١: ٢٧٦)

الزّمخشريّ: إخبار عن دوام عداوة الكفّار للمسلمين، و أنّهم لاينفكّون عنها حتّى يردّوهم عن دينهم. و ﴿حَتَّى﴾ معناها التّعليل، كقولك: فلان يعبد الله حتّى يدخل الجنّة، أي يقاتلونكم كي يردّوكم. (١: ٣٥٧)

نحوه البيضاويّ. (١: ١١٥)

ابن عَطيّة: ﴿يَرُدُّوكُمْ﴾ نصب بـ ﴿حَتَّى﴾ لأنّها غاية مجرّدة. (١: ٢٩١)

مثله القُرطُبيّ. (٣: ٤٦)

الطّبْرِسيّ: أي يصرفكم عن دين الإسلام و يلجئوكم إلى الارتداد. (١: ٣١٣)

الفخر الرّازيّ: أي إلى أن يردّوكم، و قيل: المعنى: ليردّوكم. (٦: ٣٧)

البُرُوسَويّ: أي كي يصرفوكم عن دينكم الحقّ إلى دينهم الباطل. (١: ٣٣٥)

٢ ـ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ. آل عمران: ١٤٩

الإمام عليّ عليه السلام: نزلت في المنافقين إذ قالوا للمؤمنين يوم أُحد عند الهزيمة: ارجعوا إلى إخوانكم و ارجعوا إلى دينهم. (الطّبْرِسيّ ١: ٥١٨)

السُّدّيّ: يقول: إن تطيعوا أباسفيان، يردّكم كفّارًا. (الطّبَريّ ٣: ٤٦٧)

ابن إسحاق: أي عن دينكم، فتذهب دنياكم و آخرتكم. (الطّبَريّ ٣: ٤٦٧)

الطّبَريّ: يقول: يحملوكم على الرّدّة بعد الإيمان، والكفر بالله و آياته و برسوله بعد الإسلام. (٣: ٤٦٧)

الواحديّ: أي يرجعوكم إلى أوّل أمركم الشّرك بالله. (١: ٥٠٢)

نحوه البغويّ (١: ٥٢١)، و النّسفيّ (١: ١٨٧).

الزّمخشريّ: إلى دينهم. و قيل هو عامّ في جميع الكفّار، و إنّ على المؤمنين أن يجانبوهم و لايطيعوهم في شيء، و لاينزلوا على حكمهم و لاعلى مشورتهم، حتّى لايستجرّوهم إلى موافقتهم. (١: ٤٦٩)

نحوه البَيْضاويّ. (١: ١٨٦)

الطّبْرِسيّ: أي يُرجعوكم كفّارًا كما كنتم. (١: ٥١٨)

الفخر الرّازيّ: يعني يردّوكم إلى الكفر بعد الإيمان، لأنّ قبول قولهم في الدّعوة إلى الكفر كفر. (٩: ٣٠)

أبو السُّعود: جوابًا للشّرط، مع كونه في قوّة أن يقال: إن تُطيعوهم، في قولهم: ارجعوا إلى إخوانكم و ادخلوا في دينهم، يدخلونكم في دينهم، باعتبار كونه تمهيدًا لقوله تعالى: ﴿فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾. (٢: ٤٧)

البُرُوسَويّ: يدخلوكم في دينهم، أضاف الرّدّ إليهم لدعائهم إليه، و الارتداد على العقب علَم في انتكاس الأمر و مثَل في الحور بعد الكور. (٢: ١٠٨)

الآلوسيّ: أي يُرجعوكم إلى أوّل أمركم، و هو الشّرك بالله تعالى، و الفعل جواب الشّرط، و صحّ ذلك بناءً على المأثور عن عليّ كرّم الله تعالى وجهه، مع أنّ الكلام معه في قوّة ﴿إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في قولهم: ارجعوا إلى إخوانكم وادخلوا في دينهم يدخلوكم في دينهم، و يؤول إلى قولك: إن تدخلوا في دينهم تدخلوا في دينهم، و فيه اتّحاد الشّرط و الجزاء، بناءً على أنّ الارتداد على العقب علَم في انتكاس الأمر، و مثَل في الحور بعد الكور. (٤: ٨٧)

ابن عاشور: و الرّدّ على الأعقاب: الارتداد، و الانقلاب: الرّجوع، و قد تقدّم القول فيهما عند قوله: ﴿أَفَائِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ آل عمران: ١٤٤، فالظّاهر أنّه أراد من هذا الكلام تحذير المؤمنين من أن يُخامرهم خاطر الدّخول في صلح المشركين و أمانهم، لأنّ في ذلك إظهار الضّعف أمامهم و الحاجة إليهم، فإذا مالوا إليهم استدرجوهم رُوَيْدًا رُوَيْدًا، بإظهار عدم كراهية دينهم المخالف لهم، حتّى يردّوهم عن دينهم، لأنّهم لن يرضوا عنهم حتّى يرجعوا إلى ملّتهم.

فالرّدّ على الأعقاب على هذا يحصل بالإخارة و المآل، و قد وقعت هذه العبرة في طاعة مسلمي الأندلس لطاغية الجلالقة. و على هذا الوجه تكون الآية مشيرة إلى تسفيه رأي من قال: «لو كلّمنا عبد الله بن أُبيّ يأخذ لنا أمانًا من أبي سفيان» كما يدلّ عليه قوله: ﴿بَلِ اللهُ مَوْلَيكُمْ﴾ آل عمران: ١٥٠.

و يحتمل أن يراد من الطّاعة طاعة القول و الإشارة، أي الامتثال؛ و ذلك قول المنافقين لهم: لو كان محمّد نبيًّا ما قُتل، فارجعوا إلى إخوانكم و ملّتكم. و معنى الرّدّ على الأعقاب في هذا الوجه أنّه يحصل مباشرة في حال طاعتهم إيّاهم. (٣: ٢٤٧)

فَنَرُدَّهَا

يَاءَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ اٰمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ اَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلٰى اَدْبَارِهَا اَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا اَصْحَابَ السَّبْتِ وَ كَانَ اَمْرُ اللهِ مَفْعُولًا. النّساء: ٤٧

راجع: ط م س: «نَطْمِسَ».

يُرَدُّ

١ ـ فَاِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ. الأنعام: ١٤٧

الطُّوسيّ: معناه لايمكن أحدًا أن يردّه عنهم،

و هو أبلغ من قوله: بأسه نازل بالمجرمين، لأنّه دلّ على هذا المعنى، و على أنّ أحدًا لايمكنه ردّه. (٤: ٣٣٣)

الواحديّ: عذابه إذا جاء الوقت. (٢: ٣٣٣)

مثله الفخر الرّازيّ. (١٣: ٢٢٤)

الطّبرسيّ: أي لايدفع عذابه إذا جاء وقته. (٢: ٣٧٩)

مثله شبّر. (٢: ٣٣٠)

القرطبيّ: قيل: المعنى: و لايردّ بأسه عن القوم المجرمين إذا أراد حلوله في الدّنيا (٧: ١٢٨)

البيضاويّ: ﴿وَلَايُرَدُّ بَأْسُهُ﴾ لتضمّنه التّنبيه على إنزال البأس عليهم، مع الدّلالة على أنّه لازب بهم لايمكن ردّه عنهم. (١: ٣٣٦)

الآلوسيّ: أي لايدفع عذابه بالكلّيّة. (٨: ٤٩)

٢ ـ حَتّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَايُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ. يوسف: ١١٠

الواحديّ: لايمنع عذابنا عن المشركين إذا بلغوا الأجل. (٢: ٦٣٨)

و لاحظ: ب أ س: «بأسُنا».

٣ ـ وَاللهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفّيكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَايَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ. النّحل: ٧٠

راجع: ر ذ ل: «أرْذَل».

٤ ـ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا. الكهف: ٨٧

الطّبريّ: ثمّ يرجع إلى الله تعالى بعد قتله. (٨: ٢٧٥)

الثّعلبيّ: في الآخرة. (٦: ١٩١)

مثله البغويّ (٣: ٢١٣)، و البُرُوسَويّ (٥: ٢٩٣).

الواحديّ: بعد قتلي إيّاه. (٣: ١٦٥)

مثله الطّبرسيّ. (٣: ٤٩٠)

القرطبيّ: أي يوم القيامة. (١١: ٥٢)

و لاحظ: ن ك ر: «نُكْرًا»

٥ ـ ...وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا... الحجّ: ٥

راجع: ر ذ ل: «أرْذَل».

٦ ـ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا. فصّلت: ٤٧

راجع: ع ل م: «عِلْم»، و: ك م م: «أكْمامِها».

يُرَدُّونَ

١ ـ ...أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيمَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ. البقرة: ٨٥

الثّعلبيّ: قرأ أبو عبد الرّحمان السّلميّ و أبو رجاء و الحسن (تُرَدُّونَ) بالتّاء. (١: ٢٣١)

الطّوسيّ: أي أسوأ العذاب، يعني بعد الخزي

الّذي يحلّ بهم في الدّنيا. يردّهم لله إلى أشدّ العذاب الّذي أعدّه الله لأعدائه.

و قال بعضهم: يردّهم يوم القيامة إلى أشدّ العذاب، يعني أشدّ من عذاب الدّنيا. و الأوّل أقوى: إنّه من أشدّ العذاب، يعني أشدّ جنس العذاب؛ و ذلك يقتضي العموم و لا يخصّ إلّا بدليل. [إلى أن قال:]

و قوله: ﴿وَيَوْمَ الْقِيٰمَةِ يُرَدُّونَ﴾ فالرّدّ إلى هذا أقرب من قوله: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتٰابِ﴾ فاتّباع الأقرب أولى من إلحاقه بالأوّل. و الكلّ حسن.

و المعنى: و ما الله بساهٍ عن أعمالهم الخبيثة بل هو مُحْصٍ لها و حافظ لها حتّى يجازي عليها (١ : ٣٣٧)

الواحديّ: يرجعون. (١ : ١٧٠)

القُرطُبيّ: ﴿يُرَدُّونَ﴾ بالياء قراءة العامّة، و قرأ الحسَن (تُرَدُّونَ) بالتّاء على الخطاب. (٢ : ٢٣)

نحوه شُبّر. (١ : ١١٩)

البُرُوسَويّ: أي يرجعون، و الرّدّ: الرّجع بعد الأخذ. (١ : ١٧٥)

الآلوسيّ: أي يصيرون إليه، فلا يلزم كينونتهم قبل ذلك في أشدّ العذاب. و قد يراد بالرّدّ الرّجوع إلى ما كانوا فيه، كما في قوله تعالى: ﴿فَرَدَدْنٰاهُ إِلىٰ أُمِّهِ﴾ القصص: ١٣، و كأنّهم كانوا في الدّنيا أو في القبور. [إلى أن قال:]

و ضمير ﴿يُرَدُّونَ﴾ راجع إلى (مَنْ) و أوثر صيغة الجمع نظرًا إلى معناها بعد ما أوثر الإفراد، نظرًا إلى لفظها، لما أنّ الرّدّ إنّما يكون بالاجتماع...

و قرأ الحسَن و ابن هرمز باختلاف عنهما و عاصم في رواية المفضّل (تُرَدُّونَ) على الخطاب، و الجمهور على الغيبة، و وجه ذلك أنّ ﴿يُرَدُّونَ﴾ راجع إلى ﴿مَنْ يَفْعَلُ﴾، فمن قرأ بصيغة الغيبة نظر إلى صيغة (مَنْ) و من قرأ بصيغة الخطاب نظر إلى دخوله في ﴿مِنْكُمْ﴾، لأنّ الضّمير حينئذ راجع إلى (كم) كما و هم. (١ : ٣١٤)

ابن عاشور: [نقل القراءات نحو الآلوسيّ و أضاف:]

و قد دلّت هذه الآية على أنّ الله يعاقب الحائدين عن الطّريق بعقوبات في الدّنيا و عقوبات في الآخرة. (١ : ٥٧٣)

٢ ـ ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرٰابِ مُنٰافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفٰاقِ لاٰ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلىٰ عَذٰابٍ عَظِيمٍ﴾. التّوبة: ١٠١

راجع: ع ذ ب: «عذاب».

تُرَدُّونَ

١ ـ ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللّٰهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلىٰ عٰالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهٰادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. التّوبة: ١٠٥

الطَّبَريّ: يوم القيامة. (٦ : ٤٦٧)

الطُّوسيّ: معناه سترجعون إلى الله الّذي يعلم السّرّ و العلانية. (٥ : ٣٤١)

نحوه الطَّبْرِسيّ. (٣ : ٦٩)

ابن عَطيّة: يريد البعث من القبور. (٣ : ٨٠)

البَيْضاويّ: بالموت. (١ : ٤٣١)

نحوه أبوالسُّعود (٣: ١٨٩)، و البُرُوسَويّ (٣: ٥٠١)، و الآلوسيّ (١١: ١٦)، و القاسميّ (٨: ٣٢٥٨).

ابن عاشور: جملة: ﴿وَ سَتُرَدُّونَ إِلىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ﴾ من جملة المقول، و هو وعد و وعيد معًا على حسب الأعمال، و لذلك جاء فيه ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. (١٠: ١٩٩)

٢ ـ ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. الجمعة: ٨

قَتَادَة: إنّ الله أذلّ ابن آدم بالموت، لاأعلمه إلّا رفعه. (الطّبريّ ١٢: ٩٣)

مُقَاتِل: في الآخرة. (٤: ٣٢٧)

الطَّبَريّ: ثمّ يردّكم ربّكم من بعد مماتكم إلى عالم الغيب و الشّهادة، عالم غيب السّماوات و الأرض. (١٢: ٩٣)

الطُّوسيّ: معناه ثمّ ترجعون إلى الله تعالى يوم القيامة الّذي يعلم سرّكم و علانيتكم و ظاهركم و باطنكم، لايخفى عليه شيء من أحوالكم. (١٠: ٧)

الزَّمَخْشَريّ: ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ﴾ إلى الله فيجازيكم بما أنتم أهله من العقاب. (٤: ١٠٣)

البُرُوسَويّ: الرّدّ: صرف الشّيء بذاته أو بحالة من أحواله، يقال: رَدَدْتُه فارْتَدّ، و الآية من الرّدّ بالذّات، مثل قوله تعالى: ﴿وَ لَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ و من الرّدّ إلى حالة كان عليها قوله تعالى: ﴿يَرُدُّوكُمْ عَلىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ آل عمران: ١٤٩. (٩: ٥٢٠)

المَراغيّ: أي ثمّ ترجعون بعد مماتكم إلى عالم غيب السّماوات و الأرض. (٢٨: ١٠٠)

نُرَدُّ

١ ـ ﴿وَ لَوْ تَرىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَ لَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَ نَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾. الأنعام: ٢٧

الطَّبَريّ: فقال هؤلاء المشركون بربّهم إذ حُبسوا في النّار: ﴿يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ﴾ إلى الدّنيا، حتّى نتوب، و نراجع طاعة الله. (٥: ١٧٤)

الزَّجّاج: المعنى أنّهم تمنّوا الرّدّ و ضمنوا أنّهم لايكذّبون، المعنى: ياليتنا نردّ، و نحن لانكذّب بآيات ربّنا رُددنا أم لم نردّ، و نكون من المؤمنين، أي قد عاينّا و شاهدنا ما لانكذّب معه أبدًا. (٢: ٢٣٩)

نحوه الواحديّ. (٢: ٢٦٢)

الماوَرْديّ: تمنّوا الرّدّ إلى الدّنيا الّتي هي دار التّكليف، ليؤمنوا و يصدّقوا، و التّمنّي لايدخله صدق و لاكذب، لأنّه ليس بخبر. (٢: ١٠٥)

الطُّوسيّ: فإن قيل: كيف يجوز أن يتمنّوا الرّدّ إلى الدّنيا و قد علموا عند ذلك أنّهم لايُردّون؟ قيل: عن ذلك أجوبة:

أحدها: قال البلخيّ: إنّا لانعلم أنّ أهل الآخرة يعرفون جميع أحكام الآخرة، و إنّما نقول: إنّهم يعرفون الله بصفاته معرفة لايتخالجهم فيها الشّكّ، لما يشاهدونه من الآيات و العلامات الملجئة لهم إلى المعارف. و أمّا التّوجّع و التّأوّه و التّمنّي للخلاص

و الدّعاء بالفرج، يجوز أن يقع منهم و أن تدعوهم أنفسهم إليه.

و قال أبو عليّ الجُبّائيّ و الزّجّاج: يجوز أن يقع منهم التّمنّي للرّدّ، و لأن يكونوا من المؤمنين، و لامانع منه.

و قال آخرون: التّمنّي قد يجوز لما يعلم أنّه لايكون، ألاترى أنّ المتمنّي يتمنّى أن لايكون فعل ماقد فعله و مضى وقته، و هذا لاحيلة فيه، فعلى هذا قوله في الآية الثّانية: ﴿وَ اِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ الأنعام: ٢٨، يكون حكاية حال منهم في دار الدّنيا، كما قال: ﴿وَ كَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ﴾ الكهف: ١٨، و كما قال: ﴿وَاِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ﴾ النّحل: ١٢٤، و إنّما هو حكاية للحالة الآتية. [إلى أن قال:]

و استدلّ أبو عليّ بهذه الآية: على أنّ القدرة قبل الفعل خلافًا للمجبّرة، بأن قال: تمنّوا الرّدّ إلى دار الدّنيا إلى مثل الحالة الّتي كانوا عليها. و لايجوز من عاقل أن يتمنّى أن يُرَدّ إلى الدّنيا و يخلق فيه القدرة الموجبة للكفر، لأنّ ذلك لايخلّصه من العذاب بل يؤدّيه إلى حالته الّتي كان عليها.

و هذا ضعيف، لأنّ لقائل أن يقول: إنّهم تمنّوا الرّدّ و رفع التّكذيب و حصول الإيمان بأن تحصل لهم قدرة الإيمان، و لاتحصل لهم قدرة التّكذيب، و ليس في الآية أنّهم سألوا الرّدّ إلى الحالة الّتي كانوا عليها، فلامتعلّق في ذلك. و استدلّ أيضًا على أنّه إذاكان المعلوم من حال الكافر أنّه يؤمن، وجب تبقيته، بأن قال: أخبر الله أنّه إنّما لم يردّهم، لأنّهم ﴿وَ لَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ الأنعام: ٢٨، و ظاهر ذلك يقتضي أنّه لوعلم أنّه لو ردّهم لآمنوا، لوجب أن يردّهم، و إذا وجب أن يردّهم إذا علم أنّهم يؤمنون، بأن يجب تبقيتهم إذا علم أنّهم يؤمنون أولى.

و هذا أيضًا ضعيف، لأنّ الظّاهر أفاد أنّهم لو رُدّوا لعادوا لما نُهوا عنه، و ليس فيه أنّهم لو رُدّوا لآمنوا أو ماحكمهم، بل هو موقوف على الدّلالة، لأنّه دليل الخطاب. على أنّ غاية مافيه أنّه يفيد أنّه لوعلم من حالهم أنّه متى ردّهم آمنوا يردّهم، فمن أين أنّ ذلك واجب عليه؟! و هل هذا إلّا كقوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتّٰى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ الإسراء: ١٥، في أنّه لاخلاف بين أهل العدل أنّه كان يجوز له أن يعذّب و إن لم يبعث رسولًا، بأن لاتقتضي المصلحة بعثته، و يقتصر بهم على التّكليف العقليّ؟ فإنّهم متى عصوا كان له أن يعذّبهم، فلاشبهة في الآية. (٤: ١١٦)

الزّمخشريّ: تمّ تمنّيهم. ثمّ ابتدأوا ﴿وَلَانُكَذِّبَ بِاٰيَاتِ رَبِّنَا وَ نَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ واعدين الإيمان، كأنّهم قالوا: و نحن لانكذّب و نؤمن على وجه الإثبات. و شبّهه سيبويه بقولهم: دَعْني و لاأعود، بمعنى: دَعْني و أنا لاأعود، تركتني أو لم تتركني. و يجوز أن يكون معطوفًا على ﴿نُرَدُّ﴾ أو حالًا على معنى يا ليتنا نُرَدّ غير مكذّبين و كائنين من المؤمنين، فيدخل تحت حكم التّمنّي.

فإن قلت: يدفع ذلك قوله: ﴿وَ اِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ لأنّ المتمنّي لايكون كاذبًا.

قلت: هذا تمنٍّ قد تضمّن معنى العِدة، فجاز أن

يتعلّق به التّكذيب، كما يقول الرّجل: ليت الله يرزقني مالًا فأُحسن إليك و أكافئك على صنيعك، فهذا متمنّ في معنى الواعد، فلو رُزق مالًا و لم يُحسن إلى صاحبه و لم يكافئه كذب، كأنّه قال: إن رزقني الله مالًا كافأتك على الإحسان.

و قرئ (وَ لَانُكَذِّبَ وَ نَكُونَ) بالنّصب بإضمار أن على جواب التّمنّي، و معناه: إن رددنا لم نكّذب و نكُن من المؤمنين. (٢: ١٢)

ابن عَطِيّة: قرأ ابن كثير و نافع و أبوعمرو و الكِسائيّ و عاصم في رواية أبي بكر (و لَا نُكَذِّبُ و نكُونُ) بالرّفع في كلّها، و ذلك على نيّة الاستئناف، و القطع في قوله: (وَ لَانُكَذِّبُ وَ نَكون) أي يا ليتنا نُـردّ و نحن على كلّ حال لانكذّب و نكون، فأخبروا أنفسهم بهذا، و لهذا الإخبار صحّ تكذيبهم بعد هذا. و رجّح هذا سيبوَيه و مثّله بقولك: دَعْني و لاأعود، أي و أنا لاأعود على كلّ حال، و يخرج ذلك على قول آخر، و هو أن يكون (و لانكذّب، و نكون) داخلًا في التّمنّي على حدّ ما دخلت فيه. ﴿نُرَدُّ﴾ كأنّهم قالوا: يا ليتنا نُرَدّ و ليتنا لانكذّب، و ليتنا نكون.

و يعترض هذا التّأويل بأنّ من تمنّى شيئًا لايقال: إنّه: كاذب، و إنّما يكذب من أخبر.

و ينفصل عن هذا الاعتراض بأن يكون قوله: ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ الأنعام: ٢٨، حكاية عن حالهم في الدّنيا كلامًا مقطوعًا ممّا قبله. و بوجه آخر و هو أنّ المتمنّي إذا كانت سجيّته و طريقته مخالفة لما تمنّى بعيدة منه، يصحّ أن يقال له: كذبت، على تجوّز، و ذلك أنّ من تمنّى شيئًا فتمنّيه يتضمّن إخبارًا أنّ تلك الأمنيّة تصلح له و يصلح لها. فيقع التّكذيب في ذلك الإخبار الّذي يتضمّنه التّمنّي، و مثال ذلك: أن يقول رجل شرير: ليتني أحُجّ و أجاهد و أقوم اللّيل، فجائز أن يقال لهذا على تجوز: كذبتَ، أي أنت لاتصلح لهذا، و لايصلح لك. و روي عن أبي عمرو أنّه أدغم باء ﴿نُكَذِّبَ﴾ في الباء الّتي بعدها.

و قرأ ابن عامر و حمزة و عاصم في رواية حفص و ﴿لَانُكَذِّبَ﴾ و ﴿نَكُونَ﴾ بنصب الفعلين، و ذلك كما تنصب الفاء في جواب التّمنّي، فالواو في ذلك و الفاء بمنزلة، و هذا تقدير ذكر مصدر الفعل الأوّل، كأنّهم قالوا: يا ليتنا كان لنا ردّ و عدم تكذيب و كون من المؤمنين.

و قرأ ابن عامر في رواية هشام بن عمّار عن أصحابه عن ابن عامر (وَ لَانُكَذِّبُ) بالرّفع و (نَكُونَ) بالنّصب، و يتوجّه ذلك على ما تقدّم في مصحف عبد الله بن مَسعود (يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ فَلَانُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ) بالفاء. و في قراءة أُبيّ بن كعب (يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ فَلَانُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا أَبَدًا وَنَكُونَ). و حكى أبوعمرو أنّ في قراءة أُبيّ (بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَحْنُ نَكُونَ) و قوله: ﴿نُرَدُّ﴾ في هذه الأقوال كلّها معناه: إلى الدّنيا. و حكى الطّبَريّ تأويلًا آخر، و هو: يا ليتنا نردّ إلى الآخرة، أي نُبعَث و نوقف على النّار الّتي وقفنا عليها مكذّبين، ليت ذلك، و نحن في حالة لانكذب و نكون، فالمعنى: يا ليتنا نوقف هذا الوقوف غير مكذّبين بآيات ربّنا، كائنين من المؤمنين. و هذا التّأويل يضعف من غير

وجه، و يُبطله قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ و لايصحّ أيضًا التّكذيب في هذا التّمنّي، لأنّه تمنّي ما قد مضى، و إنّما يصحّ التّكذيب الّذي ذكرناه قبل هذا، على تجوّز في تمنّي المستقبلات. (٢: ٢٨١)

الطَّبْرِسيّ: إلى الدّنيا. (٢: ٢٨٩)

نحوه البُرُوسَويّ (٣: ٢١)، و شُبّر. (٢: ٢٤٨).

الفَخْرالرّازيّ: ففيه مسائل:

المسألة الأولى: قوله: ﴿يَالَيْتَنَا نُرَدُّ﴾ يدلّ على أنّهم قد تمنّوا أن يُرَدّوا إلى الدّنيا.

فأمّا قوله: ﴿وَلَانُكَذِّبَ بِاٰيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ففيه قولان:

أحدهما: أنّه داخل في التّمنّي، و التّقدير: أنّهم تمنّوا أن يُرَدّوا إلى الدّنيا و لايكونوا مكذّبين، و أن يكونوا مؤمنين.

فإن قالوا: هذا باطل، لأنّه تعالى حكم عليهم بكونهم كاذبين بقوله في آخر الآية: ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ و المتمنّي لايوصف بكونه كاذبًا.

قلنا: لانسلّم أنّ المتمنّي لايوصف بكونه كاذبًا، لأنّ من أظهر التّمنّي فقد أخبر ضمنًا كونه مريدًا لذلك الشّيء، فلم يبعد تكذيبه فيه، و مثاله أن يقول الرّجل: ليت الله يرزقني مالًا فأحسن إليك، فهذا تمنّ في حكم الوعد، فلو رُزق مالًا و لم يُحسن إلى صاحبه لقيل: إنّه كذب في وعده.

القول الثّاني: أنّ التّمنّي تمّ عند قوله: ﴿يَالَيْتَنَا نُرَدُّ﴾ و أمّا قوله: ﴿وَلَانُكَذِّبَ بِاٰيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فهذا الكلام مبتدأ، و قوله تعالى في آخر الآية[1]: ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ عائد إليه، و تقدير الكلام: ياليتنا نُرَدّ، ثمّ قالوا: و لو رددنا لم نكذّب بالدّين و كنّا من المؤمنين، ثمّ إنّه تعالى كذّبهم و بيّن أنّهم لو رُدّوا لكذّبوا و لأعرضوا عن الإيمان.

المسألة الثّانية: قرأ ابن عامر (نُرَدُّ وَنُكَذِّبُ) بالرّفع فيهما و ﴿نَكُونَ﴾ بالنّصب، و قرأ حمزة و حفص عن عاصم ﴿نُرَدُّ﴾ بالرّفع و ﴿نُكَذِّبَ﴾ و ﴿نَكُونَ﴾ بالنّصب فيهما، و الباقون بالرّفع في الثّلاثة، فحصل من هذا أنّهم اتّفقوا على الرّفع في قوله: ﴿نُرَدُّ﴾؛ و ذلك لأنّه داخلة في التّمنّي لامحالة.

فأمّا الّذين رفعوا قوله: (وَلَانُكَذِّبُ وَنَكُونُ) ففيه وجهان:

الأوّل: أن يكون معطوفًا على قوله: ﴿نُرَدُّ﴾ فتكون الثّلاثة داخلة في التّمنّي، فعلى هذا، قد تمنّوا الرّدّ و أن لايكذّبوا، و أن يكونوا من المؤمنين.

و الوجه الثّاني: أن يقطع (وَلَانُكَذِّبُ) و ما بعده عن الأوّل، فيكون التّقدير: يا ليتنا نُرَدّ و نحن لانكذّب بآيات ربّنا، و نكون من المؤمنين، فهم ضمنوا أنّهم لايكذّبون بتقدير حصول الرّدّ، و المعنى: يا ليتنا نُرَدّ و نحن لانكذّب بآيات ربّنا رددنا أو لم نردّ، أي قد عاينّا و شاهدنا ما لانكذّب معه أبدًا. قال سيبَوَيه: و هو مثل قولك: دَعْني و لاأعود، فهاهنا المطلوب بالسّؤال تركه.

فأمّا أنّه لايعود فغير داخل في الطّلب، فكذا هنا

---

[1] هذه في آية أخرى و ليست آخر الآية الأولى.

قوله: ﴿يَالَيْتَنَا نُرَدُّ﴾ الدّاخل في هذا التّمنّي الرّدّ. فأمّا ترك التّكذيب و فعل الإيمان، فغير داخل في التّمنّي، بل هو حاصل سواء حصل الرّدّ أو لم يحصل. و هذان الوجهان ذكرهما الزّجّاج.

و النّحويّون قالوا: الوجه الثّاني أقوى، وهو أن يكون الرّدّ داخلًا في التّمنّي، و يكون ما بعده إخبارًا محضًا. و احتجّوا عليه بأنّ الله كذّبهم في الآية الثّانية، فقال: ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ و المتمنّي لايجوز تكذيبه، و هذا اختيار أبي عمرو. و قد احتجّ على صحّة قوله بهذه الحجّة، إلّا أنّا قد أجبنا عن هذه الحجّة، و ذكرنا أنّها ليست قويّة.

و أمّا من قرأ ﴿وَلَانُكَذِّبَ وَنَكُونَ﴾ بالنّصب ففيه وجوه:

الأوّل: بإضمار «أنْ» على جواب التّمنّي، و التّقدير: يا ليتنا نُردّ و أن لانكذّب.

و الثّاني: أن تكون الواو مبدلة من الفاء، و التّقدير: يا ليتنا نردّ فلانكذّب، فتكون الواو هاهنا بمنزلة الفاء في قوله: ﴿لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ الزّمر: ٥٨. و يتأكّد هذا الوجه بما روي أنّ ابن مسعود كان يقرأ (فَلَانُكَذِّبَ) بالفاء على النّصب.

و الثّالث: أن يكون معناه الحال، و التّقدير: يا ليتنا نُردّ غير مكذّبين، كما تقول العرب: «لاتأكل السّمك و تشرب اللّبن» أي لاتأكل السّمك شاربًا للّبن.

و اعلم أنّ على هذه القراءة تكون الأمور الثّلاثة داخلة في التّمنّي. و أمّا أنّ المتمنّي كيف يجوز تكذيبه، فقد سبق تقريره. و أمّا قراءة ابن عامر، و هي أنّه كان يرفع (وَلَانُكَذِّبُ) و ينصب ﴿وَنَكُونَ﴾ فالتّقدير: أنّه يجعل قوله: (وَلَانُكَذِّبُ) داخلًا في التّمنّي، بمعنى أنّا إن رددنا غير مكذّبين نكن من المؤمنين، و الله أعلم.

المسألة الثّالثة: قوله: ﴿فَقَالُوا يَالَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَانُكَذِّبَ﴾ لاشبهة في أنّ المراد تمنّي ردّهم إلى حالة التّكليف، لأنّ لفظ الرّدّ إذا استُعمل في المستقبل من حال إلى حال، فالمفهوم منه الرّدّ إلى الحالة الأُولى.

و الظّاهر أنّ من صدر منه تقصير ثمّ عاين الشّدائد و الأحوال بسبب ذلك التّقصير، أنّه يتمنّى الرّدّ إلى الحالة الأُولى، ليسعى في إزالة جميع وجوه التّقصيرات.

و معلوم أنّ الكفّار قصّروا في دار الدّنيا فهم يتمنّون العود إلى الدّنيا، لتدارك تلك التّقصيرات؛ و ذلك التّدارك لايحصل بالعود إلى الدّنيا فقط، و لابترك التّكذيب، و لابعمل الإيمان، بل إنّما يحصل التّدارك بمجموع هذه الأمور الثّلاثة، فوجب إدخال هذه الثّلاثة تحت التّمنّي.

فإن قيل: كيف يحسن منهم تمنّي الرّدّ مع أنّهم يعلمون أنّ الرّدّ يحصل ألبتّة.

و الجواب من وجوه:

الأوّل: لعلّهم لم يعلموا أنّ الرّدّ لايحصل.

و الثّاني: أنّهم و إن علموا أنّ ذلك لايحصل، إلّا أنّ هذا العلم لايمنع من حصول إرادة الرّدّ كقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ﴾ المائدة: ٣٧، و كقوله: ﴿أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ﴾ الأعراف: ٥٠. فلمّا صحّ أن يريدوا هذه الأشياء مع

العلم بأنّها لاتحصل، فبأن يتمنّوه أقرب، لأنّ باب التّمنّي أوسع، لأنّه يصحّ أن يتمنّى ما لا يصحّ أن يريد من الأمور الثّلاثة الماضية. (١٢: ١٩١)

نحوه القرطبيّ (٦: ٤٠٨)، و أبو السّعود (٢: ٣٧١).

البَيْضاويّ: تمنّيًا للرّجوع إلى الدّنيا. (١: ٣٠٧)

نحوه النّسفيّ. (٢: ٨)

ابن عاشور: معنى ﴿نُرَدُّ﴾ نرجع إلى الدّنيا، و عطف عليه (وَلَانُكَذِّبُ بِاٰيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) برفع الفعلين بعد (لَا) النّافية، في قراءة الجمهور، عطفًا على ﴿نُرَدُّ﴾، فيكون من جملة ما تمنّوه، و لذلك لم يُنصَب في جواب التّمنّي؛ إذ ليس المقصود الجزاء، و لأنّ اعتبار الجزاء مع الواو غير مشهور، بخلافه مع الفاء، لأنّ الفاء متأصّلة في السّببيّة، و الرّدّ غير مقصود لذاته، وإنّما تمنّوه لما يقع معه من الإيمان و ترك التّكذيب. و إنّما قدّم في الذّكر ترك التّكذيب على الإيمان، لأنّه الأصل في تحصيل المتمنّي على اعتبار الواو للمعيّة واقعة موقع فاء السّببيّة في جواب التّمنّي. (٦: ٦١)

الطَّباطَبائيّ: قوله: ﴿يَالَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَانُكَذِّبَ بِاٰيَاتِ رَبِّنَا...﴾، على قراءة النّصب في ﴿نُكَذِّبَ﴾ و ﴿نَكُونَ﴾ تمنّ منهم للرّجوع إلى الدّنيا، و الانسلاك في سلك المؤمنين، ليخلصوا به من عذاب النّار يوم القيامة. و هذا القول منهم نظير إنكارهم الشّرك باللّه، و حلفهم باللّه على ذلك كذبًا من باب ظهور ملكاتهم النّفسانيّة يوم القيامة، فإنّهم قد اعتادوا التّمنّي فيما لاسبيل لهم إلى حيازته، من الخيرات و المنافع الفائتة عنهم، و خاصّة إذا كان فوتها مستندًا إلى سوء اختيارهم و قصور تدبيرهم في العمل. و نظيره أيضًا ما سيجيء من تحسّرهم على ما فرّطوا في أمر السّاعة.

على أنّ التّمنّي يصحّ في المحالات المتعذّرة كما يصحّ في الممكنات المتعسّرة، كتمنّي رجوع الأيّام الخالية، و غير ذلك. [ثمّ استشهد بشعر] (٧: ٥٢)

مكارم الشّيرازيّ: يقظة عابرة عقيمة

في هاتين الآيتين إشارة إلى بعض مواقف عناد المشركين، و فيهما يتجسّد مشهد من مشاهد نتائج أعمالهم، لكي يُدركوا المصير المشؤوم الّذي ينتظرهم فيستيقظون، أو تكون حالهم -على الأقلّ- عبرة لغيرهم، فتقول الآية: ﴿وَلَوْ تَرٰى اِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ﴾ لتبيّن لك مصيرهم السّيّئ المؤلم.

إنّهم في تلك الحال على درجة من الهلع؛ بحيث إنّهم يصرخون: ليتنا نرجع إلى الدّنيا لنعوّض عن أعمالنا القبيحة، و نعمل للنّجاة من هذا المصير المشؤوم، ونصدّق آيات ربّنا، و نقف إلى جانب المؤمنين ﴿فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَانُكَذِّبَ بِاٰيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، و الآية التّالية تؤكّد أنّ ذلك ليس أكثر من تمنّ كاذب، و إنّما تمنّوه لأنّهم رأوا في ذلك العالم كلّ ما كانوا يُخفونه -من عقائد و نيّات و أعمال سيّئة- مكشوفًا أمامهم، فاستيقظوا يقظة مؤقّتة عابرة: ﴿بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ﴾ الأنعام: ٢٨.

غير أنّ هذه اليقظة ليست قائمة ثابتة، بل إنّها قد

حصلت لظروف طارئة، و لذلك فحتّى لو افترضنا المستحيل و عادوا إلى هذه الدّنيا مرّة أُخرى، لفعلوا ما كانوا يفعلونه من قبل، و ما نُهوا عنه، ﴿وَ لَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ الأنعام: ٢٨، لذلك فهم ليسوا صادقين في تمنّياتهم و مزاعمهم ﴿وَ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾.

(٤: ٢٣٧)

فضل الله: ﴿فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَ لَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَ نَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ و لكن هل هذا الموقف ناتج عن قناعة مرتكزة على أساس ثابت، بعيدًا عن الأجواء الطّارئة الضّاغطة على المشاعر، أم أنّ الموقف هو موقف الصّدمة المفاجئة الّتي تهزّ المشاعر، حتّى إذا أفاق الإنسان منها رجع إلى مواقعه السّابقة، كما لو لم يكن حصل أيّ شيء في حركة الموقف، و في مستوى المسؤوليّة؟!

قدلا تستطيع الحالة السّريعة أن تُعطينا فكرةً عن هذا أو ذاك، و لكن ما يكمن في خلفيّة الشّخصيّة و عُمقها و امتدادها، يمكن أن يكشف عن الحقيقة الكامنة في الدّاخل، فنكتشف من خلالها أنّ هؤلاء لا يعيشون الجدّيّة في مواجهة المسؤوليّة، بل يقابلونها باللّامبالاة الوجدانيّة، و لذلك جمّدوا فكرهم أمام كلّ مواقع الإثارة الفكريّة و العمليّة، فلم يتوقّفوا عند علامات الاستفهام العريضة الّتي كانت تخاطب فكرهم عندما كانوا في الدّنيا، بالرّغم من كلّ المؤثّرات و الدّلائل الّتي كانت تفرض التّوقّف عندها، بل كلّ ما فعلوه أنّهم خضعوا للأجواء المثيرة المنفعلة بالجوّ الطّارئ فيما يوحيه و يُثيره، حتّى إذا ابتعد عنهم ـ من جديد ـ أو ابتعدوا عنه، عادوا إلى سيرتهم الأُولى.

وهذا ما أوضحه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ﴾ الأنعام: ٢٨، فهم لم يكتشفوا في ما شاهدوه شيئًا جديدًا، بل كانوا يتوهّمون الحقائق قبل ذلك و يخفونها، لئلّا تقوم عليهم الحجّة أمام الآخرين، فينكرونها من موقع القناعة بها، ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ لأنّهم لم ينحرفوا لشبهةٍ عرضت لهم، و لا لخطإ وقعوا فيه، بل كان ذلك لاستسلامهم أمام شهواتهم و أطماعهم، بما كان يدفعهم إلى الإنكار في مواقع الحقيقة، و إلى التّمرّد في مقتضيات الطّاعة، و إلى التّسويف في مواقف التّوبة، و لذلك فإنّ الصّدمة أمام أهوال النّار سوف تتضاءل عندما ينفصلون عن الجوّ تدريجيًّا، و يبتعدون عن تهاويله في الزّمان و المكان، فيرجعون إلى ما كانوا عليه، لأنّ شخصيّتهم لا تحتمل التّأثّر بالفكرة العميقة، بل تتحرّك تبعًا لظروف الجوّ و مزاجيّة الرّأي.

و قد يكون هذا اللّون من أوضاع الشّخصيّة الإنسانيّة، يمثّل طبيعة الظّاهرة في أكثر من مجتمع، سواء في ذلك مجتمع الكافرين أم المجتمع الّذي يتبنّى الإيمان كعقيدة. فقد نلجأ في حالات المرض و الخوف إلى الله، و نتوب إليه ممّا أسلفنا من ذنوبنا، و نعزم على تصحيح الموقف أملًا في الشّفاء من المرض، و الأمن من الخوف، فإذا كشف الله عنّا ذلك كلّه، نسينا كلّ ما التزمنا به لله من موقف أو عمل، و عُدْنا إلى ما كنّا فيه.

إنّ القضيّة الّتي تحكم هذه الظّاهرة في الوجه السّلبيّ أو الإيجابيّ منها، هي أنّ هناك فرقًا بين أن

تكون خطوات الإنسان العمليّة منطلقةً من قاعدة أساسيّة، في طريقة التّفكير و الانتماء و العمل، و بين أن تكون خاضعة للأجواء الطّارئة الّتي يعيشها الإنسان. ففي الحالة الأولى، نجد الثّبات و الصّلابة و التّركيز في الفكر و الموقف، بالرّغم من كلّ ما يهزّ الفكر أو يُثير الشّعور؛ حيث يزداد الموقف في هذا الحال قوّة في الأجواء الملائمة، و يزداد توتّرًا في الأجواء غير الملائمة، فيشعرهم بالحاجة إلى مواجهة التّحدّي بقوّة ضاغطة.

و في الحالة الثّانية، نجد الاهتزاز و الضّعف و الانسحاق أمام أيّة حالة جديدة، ممّا يُوحي إليهم بالانتقال إلى مواقع جديدة مضادّة لمواقعهم الحقيقيّة، في الفكر و الانتماء و العمل.

و ربّما كان من الضّروريّ للإنسان المؤمن أن يختبر نفسه، ليعرف في أيّ اتّجاه يسير، و من أيّة قاعدة ينطلق، ليحدّد لنفسه و للآخرين مسارّ تنمية القدرة الرّوحيّة و العمليّة في الخطّ الصّحيح، فإنّ إهمال ذلك قد يجعل الرّؤية غير واضحة، و ينتهي بالموقف إلى غير وجهته الطّبيعيّة في الحياة. إنّ علينا أن ندخل هذا الجانب في حركة بناء الشّخصيّة الإنسانيّة، فلا نتعلّق بالسّطح الظّاهر، بل نحاول دائمًا النّفاذ إلى الأعماق، فإنّ الله يريد منّا صناعة الشّخصيّة الّتي تخلق الأجواء، و لا تحاول الخضوع للأمر الواقع، و تبرّره مهما كان لونه. (٩: ٧٠)

٢ ـ قُلْ أَنَدْعُوا مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَايَنْفَعُنَا وَ لَايَضُرُّنَا وَ نُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَ أُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ

الأنعام: ٧١

الكَلْبيّ: نُرَدّ وراءنا إلى الشّرك بالله.

(الواحديّ ٢: ٢٨٧)

أبو عُبَيْدَة: يقال: رُدّ فلان على عقبيه، أي رجع و لم يظفر بما طلب، و لم يُصب شيئًا. (١: ١٩٦)

الطَّبَريّ: يقول: و نُردّ إلى أدبارنا، فنرجع القهقرى خلفنا، لم نظفر بحاجتنا.

و إنّما يراد به في هذا الموضع: و نُردّ من الإسلام إلى الكفر. (٥: ٢٣١)

الزّجّاج: أي نرجع إلى الكفر، و يقال لكلّ من أدْبَر: قد رجع إلى خلف، و رجع القهقرى. (٢: ٢٦٢)

الثّعلبيّ: إلى الشّرك ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللهُ﴾.

و تقول العرب لكلّ راجع خائب لم يظفر بحاجته: رُدّ على عقبيه، و نكص على عقبيه، فيكون مثله ﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ﴾ أي أضلّته. (٤: ١٥٩)

الطُّوسيّ: ﴿وَ نُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا﴾ بعد الهدى و الرّشاد، و بعد معرفتنا بالله و تصديق رسله في الضّلال، و ذلك مثَل، يقال فيمن رجع عن خير إلى شرّ: رجع على عقبيه، و كذلك إذا خاب من مطلبه، يقال: رُدّ على عقبيه. (٤: ١٨٣)

البغَويّ: إلى الشّرك مرتدّين. (٢: ١٣٤)

الزّمَخشَريّ: راجعين إلى الشّرك بعد إذ أنقذنا

الله منه و هدانا للإسلام. (٢: ٢٨)

نحوه البيضاويّ (١: ٣١٦)، و النّسفيّ (٢: ١٨).

ابن عَطيّة: تشبيه؛ و ذلك أنّ المردود على العقب هو أن يكون الإنسان يمشي قُدمًا و هي المشية الجيّدة، فيُردّ يمشي القهقرى و هي المشية الدّنيّة، فاستُعمل المثَل بها فيمن رجع من خير إلى شرّ. و وقعت في هذه الآية في تمثيل الرّاجع من الهدى إلى عبادة الأصنام.

(٢: ٣٠٦)

الطّبْرسيّ: هذا مثَل، يقولون لكلّ خائب لم يظفر بحاجته: رُدّ على عقبيه، و نكص على عقبيه، و تقديره: أنرجع القهقرى في مشيتنا؟ و المعنى: أنرجع عن ديننا الّذي هو خير الأديان؟. (٢: ٣١٩)

الفَخْر الرّازيّ: اعلم أنّ المقصود من هذه الآية الرّدّ على عبدة الأصنام، و هي مؤكّدة لقوله تعالى قبل ذلك: ﴿قُلْ اِنّي نُهيتُ اَنْ اَعْبُدَ الَّذينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ الأنعام: ٥٦، فقال: ﴿قُلْ اَنَدْعُوا مِنْ دُونِ اللهِ﴾ أي أنعبد من دون الله النّافع الضّارّ ما لا يقدر على نفعنا و لا على ضرّنا، و نُرَدّ على أعقابنا راجعين إلى الشّرك بعد أن أنقذنا الله منه، و هدانا للإسلام؟ و يقال لكلّ من أعرض عن الحقّ إلى الباطل: إنّه رجع إلى خلف، و رجع على عقبيه، و رجع القهقرى.

و السّبب فيه أنّ الأصل في الإنسان هو الجهل، ثمّ إذا ترقّى و تكامل حصل له العلم. قال تعالى: ﴿وَاللهُ اَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ اُمَّهَاتِكُمْ لَاتَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْاَبْصَارَ وَالْاَفْئِدَةَ﴾ النّحل: ٧٨، فإذا رجع من العلم إلى الجهل مرّة أُخرى، فكأنّه رجع إلى أوّل مرّة، فلهذا السّبب يقال: فلان رُدّ على عقبيه. (١٣: ٢٩)

القُرطُبيّ: أي نرجع إلى الضّلالة بعد الهُدى. يقال: رجع فلان على عقبيه، إذا أدْبَرَ. (٧: ١٧)

أبو حَيّان: [نحو الفَخْر الرّازيّ و أضاف:]

و جوّز أبو البقاء أن تكون الواو فيه للحال، أي و نحن نُرَدّ. أي أيكون هذا الأمر في هذه الحال؟ و هذا فيه ضعف لإضمار المبتدإ، و لأنّها تكون حالًا مؤكّدة، و استُعمل المثَل بها فيمن رجع من خير إلى شرّ.

(٤: ١٥٦)

السّمين: قوله: ﴿وَنُرَدُّ﴾ فيه وجهان، أظهرهما: أنّه نسق على ﴿نَدْعُوا﴾ فهو داخل في حيّز الاستفهام المتسلّط عليه القول.

و الثّاني: أنّه حال على إضمار مبتدإ، أي و نحن نُرَدّ. قال الشّيخ بعد نقله هذا عن أبي البقاء: «و هو ضعيف لإضمار المبتدإ، و لأنّها تكون حالًا مؤكّدة». و في كونها مؤكّدةً نظر، لأنّ المؤكّدة ما فُهم معناها من الأوّل، و كأنّه يقول: من لازم الدّعاء من دون الله الارتداد على العقب. (٣: ٩٣)

أبو السُّعود: ﴿نُرَدُّ عَلٰى اَعْقَابِنَا﴾ عطف على ﴿نَدْعُوا﴾ داخل في حكم الإنكار و النّفي، أي و نُرَدّ إلى الشّرك. و التّعبير عنه بالرّدّ على الأعقاب، لزيادة تقبيحه بتصويره بصورة ما هو علم في القُبح، مع ما فيه من الإشارة إلى كون الشّرك حالة قد تُركت و نُبذت وراء الظّهر، و إيثار ﴿نُرَدُّ﴾ على «نَرْتَدّ» لتوجيه الإنكار إلى الارتداد بردّ الغير، تصريحًا بمخالفة

المضلّين، و قطعًا لأطماعهم الفارغة، و إيذانًا بأنّ الارتداد من غير رادّ ليس في حيّز الاحتمال، ليحتاج إلى نفيه و إنكاره. (٢: ٤٠٠)

الكاشانيّ: نرجع عن دين الإسلام إلى الشّرك. (٢: ١٢٩)

نحوه البُرُوسَويّ. (٣: ٥٢)

الآلوسيّ: في الآية تغليب: إذ لا يتصوّر الرّدّ على العقب المراد به: الرّجوع إلى الشّرك منه ﷺ. و المعنى: أيليق بنا معشر المسلمين ذلك.

و قيل: الرّدّ على الأعقاب: بمعنى الرّجوع إلى الضّلال و الجهل شركًا أو غيره. و الجمهور على الأوّل، والتّعبير عن الرّجوع إلى الشّرك بالرّدّ على الأعقاب ـ كما قال شيخ الإسلام ـ لزيادة تقبيحه بتصويره بصورة ما هو علَم في القبح، مع ما فيه من الإشارة إلى كون الشّرك حالة قد تركت و نبذت وراء الظّهر، و إيثار ﴿نُرَدُّ﴾ على «نرتدّ» لتوجيه الإنكار إلى الارتداد بردّ الغير، تصريحًا بمخالفة المضلّين، و قطعًا لأطماعهم الفارغة، و إيذانًا بأنّ الارتداد من غير رادّ ليس في حيّز الاحتمال، ليحتاج إلى نفيه و إنكاره. (٧: ١٨٨)

ابن عاشور: قوله: ﴿و نُرَدُّ عَلٰى اَعْقَابِنَا﴾ عطف على ﴿نَدْعُوا﴾ فهو داخل في حيّز الإنكار. و الرّدّ: الإرجاع إلى المكان الّذي يؤتى منه، كقوله تعالى: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾ ص: ٣٣.

و الأعقاب: جمع عقب، و هي مؤخّر القدم، و عقب كلّ شيء: طرفه و آخره. و يقال: رجع على عقِبه و على عَقِبَيه، ونكص على عقبيه، بمعنى رجع إلى المكان الّذي جاء منه، لأنّه كان جاعلًا إيّاه وراءه فرَجَع.

و حرف (عَلٰى) فيه للاستعلاء، أي رجع على طريق جهة عقبه، كما يقال: رجع وراءه، ثمّ استُعمل تمثيلًا شائعًا في التّلبّس بحالة ذميمة، كان فارقها صاحبها، ثمّ عاد إليها و تلبّس بها: و ذلك أنّ الخارج إلى سفر أو حاجة فإنّما يمشي إلى غرض يريده، فهو يمشي القُدُميّة، فإذا رجع قبل الوصول إلى غرضه فقد أضاع مشيه، فيمثّل حاله بحال من رجع على عقبيه.

و في الحديث: «اللّهمّ امض لأصحابي هِجْرتهم و لا ترُدّهم على أعقابهم» فكذلك في الآية، هو تمثيل لحال المرتدّ إلى الشّرك بعد أن أسلم، بحال من خرج في مهمّ، فرجع على عقبيه، و لم يقض ما خرج له. و هذا أبلغ في تمثيل سوء الحالة من أن يقال: و نرجع إلى الكفر بعد الإيمان. (٦: ١٦١)

مَغْنِيّة: الرّدّ على الأعقاب: كلمة تقال لمن يرجع القهقرى، و لا أحد أكثر تأخّرًا، و رجوعًا إلى الوراء ممّن أعرض عن الحقّ إلى الباطل، و عن التّوحيد إلى الشّرك. (٣: ٢٠٩)

الطَّباطَبائيّ: و الرّدّ على الأعقاب: كناية عن الضّلال و ترك الهدى، فإنّ لازم الهداية الحقّة الوقوع في مستقيم الصّراط و الشّروع في السّير فيه، فالارتداد على الأعقاب: ترك السّير في الصّراط، و العود إلى ما خلف من المسير و هو الضّلال، و لذا قال: ﴿وَ نُرَدَّ عَلٰى اَعْقَابِنَا بَعْدَ اِذْ هَدٰينَا اللّٰهُ﴾، فقيّد الرّدّ بكونه بعد الهداية الإلهيّة. (٧: ١٤٣)

حسنين مخلوف: أي نرجع إلى الشّرك الّذي كنّا فيه، يقال لمن ردّ عن حاجته و لم يظفر بها: قد ردّ على عقبيه، مثل رجع القهقرى. (١: ٢٢٨)

مكارم الشّيرازيّ: كان المشركون يصرّون على دعوة المسلمين إلى العودة إلى الكفر و عبادة الأصنام، فنزلت هذه الآية، تأمر النّبيّ ﷺ بالرّدّ عليهم ردًّا يدحض رأيهم، و يفنّد دعوتهم، في جواب بصيغة الاستفهام الاستنكاريّ، أتريدون منّا أن نشرك مع الله ما لا يملك لنا نفعًا فنعبده لذلك، و لا يملك لنا ضررًا فنخافه؟! ﴿قُلْ اَنَدْعُوا مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾.

هذه الآية تشير إلى أنّ أفعال الإنسان تنشأ عادة عن دافعين، فهي إمّا أن تهدف إلى استجلاب منفعة مادّيّة كانت أم معنويّة، و إمّا إلى دفع ضرر مادّيًّا كان أم معنويًّا، فكيف يُقدم الإنسان على أمر ليس فيه أيّ من هذين العاملين؟

ثمّ يأتي باستدلال آخر على المشركين، فيقول: إذا عُدْنا إلى عبادة الأصنام بعد الهداية الإلهيّة، نكون قد رجعنا القهقرى، و هذا يناقض قانون التّكامل الّذي هو قانون حياتيّ عامّ ﴿وَنُرَدُّ عَلَى اَعْقَابِنَا بَعْدَ اِذْ هَدٰينَا اللهُ﴾.

ثمّ يضرب مثلًا لتوضيح الأمر، فيقول: إنّ الرّجوع عن التّوحيد إلى الشّرك أشبه بالّذي أغوته الشّياطين، أو غيلان البوادي الّتي كان عرب الجاهليّة يعتقدون، أنّها تكمن في منعطفات الطّرق، و تغوي السّابلة و تضلّهم عن الطّريق، فتاه عن مقصده و ظلّ حيرانًا في البادية ﴿كَالَّذِى اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِى الْاَرْضِ حَيْرَانَ﴾ بينما له رفاق يُرشدونه إلى الصّراط السّويّ المستقيم و ينادونه: هَلُمّ إلينا، و لكنّه من الحيرة و التّيه بحيث لا يسمع النّداء، أو إنّه غير قادر على اتّخاذ القرار ﴿لَهُ اَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ اِلَى الْهُدَى ائْتِنَا﴾. (٤: ٣١٥)

فضل الله: و هل يمكن للإنسان الّذي أبصر الهدى بعينين مفتوحتين، أن يعيش الضّلال في أفكاره و خطواته؟ و قد لا يكون من المفروض أن تكون الآية دليلًا على وجود ضلال سابق على الهدى لهؤلاء القائلين، لأنّ الفقرة واردة على سبيل الكناية في التّعبير عن طبيعة الضّلال الّتي تمثّل خطوة تراجعيّة، في مقابل الإيمان الّذي يمثّل خطوة متقدّمة. (٩: ١٦٠)

٣ـ ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ اِلَّا تَاْوِيلَهُ يَوْمَ يَاْتِى تَاْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا اَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا اَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾.
الأعراف: ٥٣

ابن عبّاس: إلى الدّنيا. (١٢٩)

نحوه مُقاتِل (٢: ٤١)، و الثّعلبيّ (٤: ٢٣٨)، و الواحديّ (٢: ٣٧٥)، و البغويّ (٢: ١٩٦)، و الطّبْرسيّ (٢: ٤٢٦)، و الكاشانيّ (٢: ٢٠٣)، و البُرُوسَويّ (٣: ١٧٢)، و شُبّر (٢: ٣٧١).

الفرّاء: قوله: ﴿اَوْ نُرَدُّ﴾ ليس بمعطوف على ﴿فَيَشْفَعُوا﴾، إنّما المعنى: و الله أعلم: أو هل نُردّ فنعمل

غير الّذي كنّا نَعْمَل؟ و لـو نصـبت ﴿نُـرَدُّ﴾ علـى أن تجعل (أوْ) بمنزلة «حتّى»، كأنّه قال: فيشفعوا لنا أبدًا حتّى نردّ فنعمل، و لانعلم قارئًا قرأ به. (١: ٣٨٠)

الطَّبَريّ:... أو نُرَدّ إلى الدّنيا مرّة أُخرى، فنعمـل فيها بما يرضيه و يُعْتِبُه من أنفسنا؟ [إلى أن قال:]

إنّما رُفع قوله: ﴿أَوْ نُرَدُّ﴾ و لم يُنصَب عطفًا علـى قوله: ﴿فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾، لأنّ المعنى هل لنا مـن شـفعاء فيشفعوا لنا، أو هل نردّ فنعمل غير الّذي كنّـا نعمـل؟ و لم يُرَد به العطف على قوله: ﴿فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾.

(٥: ٥١٣)

الطُّوسيّ: ﴿أَوْ نُرَدُّ﴾ عطف بالرّفع على تأويـل هل يشفع لناشافع ﴿أَوْ نُرَدُّ﴾ و لونُصب (أَوْ نُرَدَّ) كان جائزًا. و معناه: فيشفعوا لنا إلّا أن نُرَدّ، و ماقرئ به.

(٤: ٤٥٠)

الزّمَخْشَريّ: ﴿نُرَدُّ﴾ جملة معطوفة على الجملة الّتي قبلها، داخلة معها في حكم الاستفهام، كأنّه قيـل: هل لنا من شفعاء أو هل نردّ؟ و رافعـه وقوعـه موقعًـا يصلح للاسم، كما تقول ابتـداء: هـل يُضْـرَب زيـد؟ و لايُطلَب له فعل آخر يُعطف عليه. فلايقدّر هل يشفع لنا شافع أو نردّ؟

و قرأ ابن أبي إسحاق: (أَوْ نُـرَدَّ) بالنّصـب عطفًـا على ﴿فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾ أو تكون (أَوْ) بمعنى «حتّى أنْ»، أي يشفعوا لنا حتّى نُرَدّ فنعمل. و قرأ الحسَـن بنصـب (نُرَدَّ) و رفع (فَنَعْمَلُ) بمعنى فنحن نعمل. (٢: ٨٢)

نحوه النّسَفيّ. (٢: ٥٦)

الفَخْرالرّازيّ: و المعنى: إنّـه لاطريـق لنـا إلى الخلاص ممّا نحن فيه مـن العـذاب الشّـديد، إلّا أحـد هذين الأمرين: و هو أن يشفع لنا شفيع، فلأجل تلـك الشّفاعة يزول هـذا العـذاب، أو يردّنـا الله تعـالى إلى الدّنيا حتّى نعمل غير ما كنّا نعمـل، يعـني: نوحّـد الله تعالى بدلًا عن الكفر، و نطيعه بدلًا عن المعصية.

(١٤: ٩٥)

البَيْضاويّ: ﴿أَوْ نُرَدُّ﴾ أو هل نُـرَدّ إلى الـدّنيا؟ و قرئ بالنّصب عطفًا علـى ﴿فَيَشْـفَعُوا﴾ أو لأنّ (أَوْ) بمعنى «إلى أنْ»؛ فعلى الأوّل المسؤول أحد الأمـرين: الشّفاعة أو ردّهم إلى الدّنيا، و على الثّـاني أن يكـون لهم شفعاء: إمّا لأحد الأمرين، أو لأمـر واحـد، و هـو الرّدّ. (١: ٣٥١)

نحوه أبو السُّعود. (٢: ٤٩٧)

أبوحَيّان: قرأ الجمهور ﴿أَوْ نُـرَدُّ﴾ برفـع الـدّال ﴿فَنَعْمَلَ﴾ بنصب الـلّام، عطـف جملـة فعليّـة علـى جملةاسميّة، و تقدّمهما استفهام فانتصب الجوابـان، أي هل شفعاء لنا فيشفعوا لنا في الخلاص من العـذاب، أو هل نُرَدّ إلى الدّنيا، فنعمل عملًا صالحًا. و قـرأ الحسَـن ـ فيما نقل الزّمَخْشَريّ ـ بنصب الدّال و رفع الـلّام، و قرأ الحسَن فيما نقل ابن عَطيّة و غيره برفعهما، عطـف ﴿فَنَعْمَلُ﴾ علـى ﴿نُـرَدُّ﴾. و قـرأ ابـن أبي إسـحاق و أبوحَيْوَة بنصـبهما، فنصـب (أَوْ نُـرَدَّ) عطفًـا علـى ﴿فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾ جوابًا على جواب، فيكون «الشّفعاء» في أحد أمرين: إمّا في الخلاص من العـذاب، و إمّـا في الرّدّ إلى الدّنيا، لاستـئناف العمـل الصّـالح، و تكـون الشّـفاعة قـد انسـحبت علـى الـرّدّ أو الخـلاص.

و ﴿فَنَعْمَلَ﴾ عطف على ﴿أَوْ نُرَدُّ﴾.

و يحتمل أن يكون ﴿أَوْ نُرَدُّ﴾ من باب لألزمنّك، أو تقضيني حقّي، على تقدير من قدّر ذلك: حتّى تقضيني حقّي، أو كي تقضيني حقّي، فجعل اللّزوم مغيًّا بقضاء حقّه، أو معلولًا له لقضاء حقّه، و تكون الشّفاعة إذ ذاك في الرّدّ فقط. و أمّا على تقدير سيبَوَيه: ألا إنّي لألزمنّك إلّا أن تقضيني، فليس يظهر أنّ معنى (أَوْ) معنى «إلّا» هنا؛ إذ يصير المعنى: هل تشفع لنا شفعاء إلّا أن نُردّ، و هذا استثناء غير ظاهر. (٤: ٣٠٦)

نحوه السّمين. (٣: ٢٧٩)

الآلوسيّ: ﴿أَوْ نُرَدُّ﴾ عطف على الجملة قبله، داخل معه في حكم الاستفهام، و (من) مزيدة في المبتدإ. و جُوّز أن تكون مزيدة في الفاعل بالظّرف، كأنّه قيل: هل لنا من شفعاء، أو هل نُردّ إلى الدّنيا، و رافعه وقوعه موقعًا يصلح للاسم، كما تقول ابتداء: هل يُضرَب زيد. و لايُطلَب له فعل آخر يُعطَف عليه، فلايُقدّر هل يشفع لنا شافع أو نُرَدّ؟ قاله الزّمَخْشَريّ، و أراد كما في «الكشف» لفظًا، لأنّ الظّرف مقدّر بجملة، و (هَلْ) ممّا له اختصاص بالفعل، و العدول للدّلالة على أنّ تمنّي الشّفيع أصل و تمنّي الرّدّ فرع، لأنّ ترك الفعل إلى الاسم مع استدعاء (هَلْ) للفعل يفيد ذلك. فلو قُدّر لفاتت نكتة العدول معنًى مع الغنى عنه لفظًا.

و قرأ ابن أبي إسحاق (أَوْ نُرَدَّ) بالنّصب عطفًا على ﴿فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾ المنصوب في جواب الاستفهام، أو لأنّ (أَوْ) بمعنى «إلى أن» أو «حتّى أن» على ما اختاره الزّمَخْشَريّ، إظهارًا لمعنى السّببيّة. قال القاضي: فعلى الرّفع المسؤول أحد الأمرين: الشّفاعة أو الرّدّ إلى الدّنيا. و على النّصب المسؤول أن يكون لهم شفعاء: إمّا لأحد الأمرين من الشّفاعة في العفو عنهم و الرّدّ إن كانت (أَوْ) عاطفة، و إمّا لأمر واحد إذا كانت بمعنى «إلى أن» إذ معناه: حينئذ يشفعون إلى الرّدّ، و كذا إذا كانت بمعنى «حتّى أن» يشفعون حتّى يحصل الرّدّ ﴿فَنَعْمَلَ﴾ بالنّصب جواب الاستفهام الثّاني، أو معطوف على ﴿نُرَدُّ﴾ مسبّبٌ عنه، على قراءة ابن أبي إسحاق.

و قرأ الحسن بنصب (نُرَدَّ) و رفع (نَعْمَلُ) أي فنحن نعمل ﴿غَيْرَ الَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ أي في الدّنيا من الشّرك و المعصية. (٨: ١٢٨)

المَراغيّ: أي إنّهم يتمنّون الخلاص بكلّ وسيلة ممكنة: إمّا بشفاعة الشّفعاء، و إمّا بالرّجوع إلى الدّنيا ليعملوا فيها، غير ما كانوا يعملون في حياتهم الأُولى، فيكونوا أهلًا لمرضاة ربّهم.

و إنّما تمنّوا الشّفعاء و تساءلوا عنهم، من حيث كان من أُسُس الشّرك أنّ النّجاة عند الله إنّما تكون بوساطة الشّفعاء، و عند ما يستبين لهم الحقّ الّذي جاءت به الرّسل، و هو أنّ النّجاة إنّما تكون بالإيمان الصّحيح و العمل الصّالح، يتمنّون لو يُردّون إلى الدّنيا، ليعملوا بما أمرهم به الرّسل. (٨: ١٦٧)

ابن عاشور: عطف فعل ﴿نُرَدُّ﴾ بـ(أَوْ) على مدخول الاستفهام، فيكون الاستفهام عن أحد الأمرين، لأنّ أحدهما لايجتمع مع الآخر، فإذا حصلت

الشّفاعة فلاحاجة إلى الرّدّ، وإذا حصل الرّدّ استُغني عن الشّفاعة.

و إذ كانت جملة ﴿لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ﴾ واقعة في حيّز الاستفهام، فالّتي عطفت عليها تكون واقعة في حيّز الاستفهام، فلذلك تعيّن رفع الفعل المضارع في القراءات المشهورة، و رفعه بتجرّده عن عامل النّصب و عامل الجزم، فوقع موقع الاسم، كما قدّره الزّمخشريّ تبعًا للفرّاء، فهو مرفوع بنفسه من غير احتياج إلى تأويل الجملة الّتي قبله، بردّها إلى جملة فعليّة، بتقدير: هل يشفع لنا شفعاء؟ كما قدّره الزّجّاج، لعدم الملجئ إلى ذلك، و لذلك انتصب ﴿فَنَعْمَلَ﴾ في جواب ﴿نُرَدُّ﴾ كما انتصب ﴿فَيَشْفَعُوا﴾ في جواب ﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ﴾. (٨: ١٢٠)

مكارم الشّيرازيّ: إذا لم يكن هناك شفعاء لنا، أو إنّنا لانصلح أساسًا للشّفاعة، أفلايمكن أن نرجع إلى الدّنيا و نقوم بأعمال غير ما عملناه سابقًا، و نسلّم للحقّ و الحقيقة. ﴿أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾.

و لكن هذا التّنبيه جاء ـ و للأسف ـ متأخّرًا جدًّا، فلاطريق للعودة، و لاصلاحيّة لهم للشّفاعة، لأنّهم قد خسروا كلّ رؤوس أموالهم، و تورّطوا في خسران جميع وجودهم ﴿قَدْ خَسِرُوا اَنْفُسَهُمْ﴾. (٥: ٦٤)

فضل اللّه: هل من شفعاء للّذين نسوا اللّه في الدّنيا؟

﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾ كما كنّا نفعل في الدّنيا، إذا أخطأنا و واجهنا حساب المسؤوليّة، كنّا نلجأ إلى الوسطاء الّذين تربطنا بهم قرابة أو صداقة أو مصلحة، فيشفعون لنا لدى أولي الأمر، و نتخلّص بذلك من النّتائج السّلبيّة لأعمالنا. فهل هناك وسطاء و شفعاء في الآخرة ليشفعوا لنا. ﴿أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ فيعطينا اللّه فرصة ثانية للعمل، من أجل أن نصحّح هذا الخطأ، و نقوّم هذا الانحراف، و نغيّر المنهج و البرنامج كلّه، لتكون حياتنا وفقًا لأمر اللّه و نهيه، لنحصل من خلال ذلك على رضاه، فيدخلنا في رحمته و رضوانه؟ و لكن اللّه يرفض هذه التّمنّيات، لأنّ الشّفعاء لايملكون ذاتيّة التّصرّف في هذه الأُمور. (١٠: ١٣٧)

رَادٌّ

وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ. يونس: ١٠٧

الطّبريّ: يقول: فلايقدر أحد أن يحوّل بينك و بين ذلك، و لايردّك عنه و لايحرمكه، لأنّه الّذي بيده السّرّاء و الضّرّاء، دون الآلهة و الأوثان، و دون ما سواه. (٦: ٦١٨)

الثّعلبيّ: فلامانع لرزقه. (٥: ١٥٤)

مثله البغويّ (٢: ٤٣٧)، و شبّر (٣: ١٩٢).

الطّوسيّ: و المعنى أنّه لارادّ لما يريد اللّه بخلقه، فإن أراد بهم سوءً لايقدر على دفعه أحد، و إن أراد هم بخير فلايقدر أحد على صرفه عنهم، ﴿يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ يعني بالخير. (٥: ٥٠٨)

نحوه الطّبرسيّ. (٣: ١٣٩)

الواحديّ: لامانع لما تفضّل به عليك من رخاء

و نعمة. (٢: ٥٦١)

البَيْضاويّ: لادافع. (١: ٤٥٩)

مثله البُرُوسَويّ. (٤: ٨٧)

لَرَادُّكَ

إِنَّ الَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْاٰنَ لَرَادُّكَ اِلٰى مَعَادٍ قُلْ رَبِّى اَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدٰى وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَالٍ مُبِينٍ. القصص: ٨٥

راجع: ع و د: «معاد».

رَادِّى

وَاللّٰهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلٰى بَعْضٍ فِى الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّى رِزْقِهِمْ عَلٰى مَا مَلَكَتْ اَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ اَفَبِنِعْمَةِ اللّٰهِ يَجْحَدُونَ. النّحل: ٧١

السُّدّيّ: فكما لايردّ أحدكم على مملوكه ممّا رزقه حتّى يكون مثله، فكذلك لايكون الله و الصّنم الّذي هو من خلقه و ملكه سواء. (الواحديّ ٣: ٧٣)

الطَّبَريّ: يقول: بمشركي مماليكهم فيما رزقهم من الأموال و الأزواج. (٧: ٦١٥)

الواحديّ: يقول: لايردّ المولى على ما ملكت يمينه ممّا رزق شيئًا، حتّى يكون المولى و المملوك في المال سواء. و هذا مثل ضربه الله للمشركين في تصييرهم عبادًا له شركاء له، فقال: إذا لم يكن عبيدكم معكم سواء في الملك، فكيف تجعلون عبيدي معي سواء. (٣: ٧٣)

الزَّمَخْشَريّ: قيل: المعنى أنّ الموالي و المماليك أنا رازقهم جميعًا، فهم في رزقي سواء، فلاتحسبنّ الموالي أنّهم يردّون على مماليكهم من عندهم شيئًا من الرّزق، فإنّما ذلك رزقي أجريه إليهم على أيديهم. (٢: ٤١٩)

الفَخْرالرّازيّ: فيه قولان:

القول الأوّل: أنّ المراد من هذا الكلام تقرير ما سبق في الآية المتقدّمة، من أنّ السّعادة و النّحوسة لايحصلان إلّا من الله تعالى. و المعنى: أنّ الموالي و المماليك أنا رازقهم جميعًا، فهم في رزقي سواء، فلايحسبنّ الموالي أنّهم يردّون على مماليكهم من عندهم شيئًا من الرّزق، و إنّما ذلك رزقي أجريته إليهم على أيديهم.

و حاصل القول فيه: أنّ المقصود منه بيان أنّ الرّازق هو الله تعالى، وأنّ المالك لايرزق العبد بل الرّازق للعبد و المولى هو الله تعالى.

و تحقيق القول: أنّه ربما كان العبد أكمل عقلًا و أقوى جسمًا و أكثر وقوفًا على المصالح و المفاسد من المولى؛ و ذلك يدلّ على أنّ ذلّة ذلك العبد و عزّة ذلك المولى من الله تعالى، كما قال: ﴿وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾ آل عمران: ٢٦.

و القول الثّاني: أنّ المراد من هذه الآية الرّدّ على من أثبت شريكًا لله تعالى، ثمّ على هذا القول، ففيه وجهان:

الأوّل: أن يكون هذا ردًّا على عبدة الأوثان و الأصنام، كأنّه قيل: إنّه تعالى فضّل الملوك على مماليكهم، فجعل المملوك لايقدر على ملك مع مولاه، فلمّا لم تجعلوا عبيدكم معكم سواء في الملك، فكيف تجعلون هذه الجمادات معي سواء في المعبوديّة؟

و الثّاني: قال ابن عبّاس رضي الله عنهما: نزلت

هذه الآية في نصارى نجران حين قالوا: إنّ عيسى بن مريم ابن الله، فالمعنى: أنكم لاتشركون عبيدكم فيما ملكتم فتكونوا سواء، فكيف جعلتم عبدي ولدًا لي وشريكًا في الإلهيّة؟ (٢٠ : ٧٩)

القُرطُبيّ: [اكتفى بنقل كلام الطّبَريّ وشأن النّزول، كما تقدّم] (١٠ : ١٤١)

البَيْضاويّ: بمعطي رزقهم. (١ : ٥٦٣)

البُرُوسَويّ: أي بمعطي رزقهم الّذي رزقهم إيّاه. أصله: رادّين، سقط النّون للإضافة. (٥ : ٥٧)

نحوه الآلوسيّ. (١٤ : ١٨٨)

ابن عاشور: قوله تعالى: ﴿فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا﴾ نفي، و(ما) نافية، والباء في ﴿بِرَادِّي رِزْقِهِمْ﴾ الباء الّتي تزاد في خبر النّفي بـ(ما) و(ليس).

والرّادّ: المعطي، كما في قول النّبيّ ﷺ: «والخُمس مردود عليكم» أي فما هم بمعطين رزقهم لعبيدهم إعطاء مشاطرة، بحيث يسوّونهم بهم، أي فما ذلك بواقع.

وإسناد الملك إلى اليمين مجاز عقليّ، لأنّ اليمين سبب وَهْميّ للمِلك، لأنّ سبب الملك إمّا أسر وهو أثر للقتال بالسّيف الّذي تُمسكه اليد اليمنى، وإمّا شراء ودفع الثّمن، يكون باليد اليمنى عرفًا، فهي سبب وهميّ ناشئ عن العادة. (١٣ : ١٧٣)

رَادُّوهُ

وَاَوْحَيْنَا اِلٰى اُمِّ مُوسٰى اَنْ اَرْضِعِيهِ فَاِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَاَلْقِيهِ فِى الْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِى اِنَّا رَادُّوهُ اِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ. القصص: ٧

مُقاتِل: إلى أهل مصر، فصدقت بذلك، ففعل الله عزّ وجلّ ذلك به، وبارك الله تعالى على موسى عليه السلام ـ وهو في بطن أُمّه ـ ثلاثمئة وستّين بركة. (٣ : ٣٣٧)

نحوه القُرطُبيّ. (١٣ : ٢٥٢)

الطّبَريّ: يقول: إنّا رادّو ولدكِ إليكِ للرّضاع، لتكوني أنتِ ترضعيه، وباعثوه رسولًا إلى من تخافينه على أن يقتله، وفعل الله ذلك بها وبه. (١٠ : ٣٠)

الطُّوسيّ: وعدها بأنّه يردّه عليها بقوله: ﴿اِنَّا رَادُّوهُ اِلَيْكِ﴾. (٨ : ١٣٢)

الواحديّ: لتمام رضاعه، لتكوني أنتِ ترضعينه. (٣ : ٣٩١)

نحوه الفَخْر الرّازيّ. (٢٤ : ٢٢٧)

الطَّبْرِسيّ: سالمًا عن قريب. (٤ : ٢٤٠)

البَيْضاويّ: عن قريب، بحيث تأمنين عليه. (٢ : ١٨٧)

مثله أبو السُّعود (٥ : ١١٣)، والكاشانيّ (٤ : ٨١).

النَّسَفيّ: بوجه لطيف لتربيته. (٣ : ٢٢٦)

الآلوسيّ: عن قريب، بحيث تأمنين عليه ويومئ إلى قرب السّياق. وقيل: التّعبير باسم الفاعل لأنّه حقيقة في الحال، ويُعتبر لذلك في قوله سبحانه: ﴿وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ولا يضرّ تفاوت القُربَين. والجملة تعليل للنّهي عن الخوف والحزن. وإيثار الجملة الاسميّة وتصديرها بحرف التّحقيق، للاعتناء بتحقيق مضمونها، أي إنّا فاعلون ردّه، وجعله من المرسلين لامحالة. (٢٠ : ٤٥)

المَراغيّ: أي إنّا رادّوه ولدك إليك للرّضاع، وتكونين أنت مرضعه، وباعثوه رسولًا إلى هذا الطّاغية، وجاعلو هلاكه ونجاة بني إسرائيل ممّا هم فيه من البلاء على يديه.

وهذه الآية اشتملت على أمرين: ﴿أَرْضِعِيهِ﴾ و﴿أَلْقِيهِ﴾، ونهيين: ﴿وَلَاتَخَافِي وَلَاتَحْزَنِي﴾، وخبرين: ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ﴾ وبشارتين في ضمن الخبرين: وهما الرّدّ والجعل من المرسلين. (٢٠: ٣٧)

ابن عاشور: [نحو المَراغيّ وأضاف:]

وجملة ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ﴾ في موقع العلّة للنّهيين، لأنّ ضمان ردّه إليها يقتضي أنّه لايهلك، وأنّها لاتشتاق إليه بطول المغيب. (٢٠: ١٧)

الطَّباطَبائيّ: قوله: ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ﴾ تعليل للنّهي في قوله: ﴿لَاتَحْزَنِي﴾ كما يشهد به أيضًا قوله بعد: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ القصص: ١٣. (١٦: ١٠)

مَرْدُود

يَا إِبْرٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هٰذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ. هود: ٧٦

الطَّبَريّ: يقول: إنّ قوم لوط نازل بهم عذاب من الله غير مدفوع. (٧: ٧٩)

الثّعلبيّ: غير مدفوع، ولاممنوع. (٥: ١٨٠)

الطُّوسيّ: أي غير مدفوع، والرّدّ: إذهاب الشّيء إلى حيث جاء منه. تقول: ردّه يردّه ردًّا، فهو رادّ، والشّيء مردود. والرّدّ والدّفع واحد، ونقيضه الأخذ.

والفرق بين الدّفع والرّدّ، أنّ الدّفع قد يكون إلى جهة القدّام والخلف، والرّدّ لايكون إلّا إلى جهة الخلف. (٦: ٣٧)

البَغَويّ: أي غير مصروف عنهم. (٢: ٤٥٨)

الطَّبْرِسيّ: يعني غير مدفوع عنهم، أي لايقدر أحد على ردّه عنهم. (٣: ١٨١)

الفَخْرالرّازيّ: أي عذاب لاسبيل إلى دفعه وردّه. (١٨: ٣١)

البَيْضاويّ: [غير] مصروف بجدال ولادعاء ولاغير ذلك. (١: ٤٧٥)

نحوه النّسَفيّ (٢: ١٩٨)، وأبوالسُّعود (٣: ٣٣٥)، والكاشانيّ (٢: ٤٦١)، والبُرُوسَويّ (٤: ١٦٥)، وشُبّر (٣: ٢٣٥)، والقاسميّ (٩: ٣٤٦٨).

الآلوسيّ: أي لابجدال ولابدعاء ولابغيرهما؛ إذ حاصل ذلك حينئذ شارفهم ثمّ وقع بهم. وقيل: لاحاجة إلى إعتبار المشارفة، والتّكرار مدفوع بأنّ ذاك توطئة، لذكر كونه غير مردود. (١٢: ١٠٤)

المَراغيّ: أي يا إبراهيم أعرض عن الجدال في أمر قوم لوط، والاسترحام لهم، إنّه قد نفذ فيهم القضاء، وحقّت عليهم الكلمة بالهلاك، وحلول البأس الّذي لايردّ عن القوم المجرمين، وإنّهم آتيهم عذاب لاسبيل إلى دفعه وردّه بجدل، ولاشفاعة ولابغيرهما. (١٢: ٦٢)

الطَّباطَبائيّ: أي غير مدفوع عنهم بدافع. (١٠: ٣٢٧)

فضل الله: فلامدفع له، و لامحال معه، لجدال مجادل، أو شفاعة شافع. (١٢: ١٠٠)

لَمَرْدُودُونَ

يَقُولُونَ ءَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ. النّازعات: ١٠

راجع: ح ف ر: «الحافرة».

مَرَدّ

١ ـ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَامَرَدَّ لَهُ مِنَ اللهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ. الرّوم: ٤٣

مُقاتِل: يعنى لايقدر أحد على ردّ ذلك اليوم. (٣: ٤١٧)

نحوه الواحديّ (٣: ٤٣٦) و البغويّ (٣: ٥٨٠)، و البَيْضاويّ (٢: ٢٢٣) و أبو السُّعود (٥: ١٧٩) و المَراغيّ (٢١: ٥٦).

الطّبَريّ: يقول تعالى ذكره: من قبل مجيء يوم من أيّام الله لامَرَدّ له لمجيئه، لأنّ الله قد قضى بمجيئه، فهو لامحالة جاء. (١٠: ١٩٣)

الزّمَخْشَريّ: ﴿مِنَ اللهِ﴾ إمّا أن يتعلّق بـ ﴿يَأْتِيَ﴾ فيكون المعنى: من قبل أن يأتي من الله يوم لايردّه أحد، كقوله تعالى ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا﴾ الأنبياء: ٤٠، أو بـ ﴿مَرَدَّ﴾ على معنى لايردّه هو بعد أن يجيء به، و لاردّ له من جهته. و المَرَدّ: مصدر الرّدّ. (٣: ٢٢٥)

نحوه النّسفيّ (٣: ٢٧٤)، و أبو حَيّان (٧: ١٧٦).

ابن عَطيّة: معناه: ليس فيه رجوع لعمل و لا لرغبة، و لاعنه مدخل. و يحتمل أن يريد لايردّه رادّ حتّى لايقع، و هذا ظاهر بحسب اللّفظ. (٤: ٣٤١)

الطَّبْرِسيّ: أي لايردّه أحد من الله. (٤: ٣٠٧)

الفَخْر الرّازيّ: يحتمل وجهين:

الأوّل: أن يكون قوله: ﴿مِنَ اللهِ﴾ متعلّقًا بقوله: ﴿يَأْتِيَ﴾.

و الثّاني: أن يكون المراد ﴿لَامَرَدَّ لَهُ مِنَ اللهِ﴾ أي الله لايردّ، و غيره عاجز عن ردّه، فلابدّ من وقوعه. (٢٥: ١٢٩)

القُرطُبيّ: أي لايردّه الله عنهم، فإذا لم يردّه لم يتهيّأ لأحد دفعه. و يجوز عند غير سيبَوَيه: لامَرَدٌّ له، و ذلك عند سيبَوَيه بعيد، إلّا أن يكون في الكلام عطف. و المراد: يوم القيامة. (١٤: ٤٢)

السّمين: المَرَدّ: مصدر رَدّ، و ﴿مِنَ اللهِ﴾ يجوز أن يتعلّق بـ ﴿يَأْتِيَ﴾ أو بمحذوف يدلّ عليه المصدر، أي لايردّه من الله أحد. و لايجوز أن يعمل فيه ﴿مَرَدَّ﴾ لأنّه كان ينبغي أن ينوّن؛ إذ هو من قبيل المطوّلات. (٥: ٣٨٠)

البُرُوسَويّ: لايقدر أحد على ردّه، و لاينفع نفسًا إيمانها حينئذ. ﴿مِنَ اللهِ﴾ متعلّق بـ ﴿يَأْتِيَ﴾ أو بـ ﴿مَرَدَّ﴾ لأنّه مصدر على معنى لايردّه الله تعالى، لتعلّق إرادته القديمة بمجيئه، و قد وعد و لاخلف في وعده. (٧: ٤٧)

نحوه الشّوْكانيّ. (٤: ٢٨٦)

ابن عاشور: و المَرَدّ: مصدر ميميّ من الرّدّ، و هو الدّفع، و (لَهُ) يتعلّق به، و ﴿مِنَ اللهِ﴾ متعلّق

بـ ﴿يَـأْتِيَ﴾ و (مِنْ) ابتدائيّة. و المراد بـ «اليَوْم» يـوم عذاب في الدّنيا، و أنّه إذا جاء لايردّه عن المجازيـن[1] به رادّ، لأنّه آت من الله. و الظّاهر أنّ المراد به: يوم بدر. (٢١: ٦٨)

و جاء بهذا المعنى

٢ ـ اِسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ اَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَامَرَدَّ لَهُ مِنَ اللهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَاٍ يَوْمَئِذٍ وَ مَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ. الشّورى: ٤٧

٣ ـ وَ مَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَ تَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَاَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ اِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ. الشّورى: ٤٤

السُّدّيّ: يقول: إلى الدّنيا. (الطّبريّ ١١: ١٥٨)

نحوه الثّعلبيّ (٨: ٣٢٤)، و الواحديّ (٤: ٥٩)، و البغويّ (٤: ١٥١)، و البَيْضاويّ (٢: ٣٦٠)، و النّسفيّ (٤: ١١٠)، و أبوالسُّعود (٦: ٢٢)، و البُرُوسَويّ (٨: ٣٣٨)، و الآلوسيّ (٢٥: ٥٠).

الطُّوسيّ: إخبار منه تعالى إنّك يا محمّد ترى الظّالمين إذا شاهدوا عذاب النّار يقولون: هل إلى الرّجوع و الرّدّ إلى دار التكليف من سبيل، تمنّيًا منهم لذلك، و التجاءً إلى هذا القول لما ينزل بهم من البلاء، مع علمهم بأنّ ذلك لايكون، لأنّ معارفهم ضروريّة. (٩: ١٧١)

الطَّبْرسيّ: أي رجوع و ردّ إلى دار الدّنيا. (٥: ٣٤)

القُرطُبيّ: يطلبون أن يُردّوا إلى الدّنيا ليعملوا بطاعة الله فلايجابون إلى ذلك. (١٦: ٤٥)

القاسميّ: أي رجعة إلى الدّنيا؛ و ذلك استعتاب منهم في غير وقته. (١٤: ٥٢٥٢)

المَراغيّ: أي و ترى الكافرين بالله حين يعاينون العذاب يوم القيامة، يتمنّون الرّجعة إلى الدّنيا و يقولون: هل من رجعة لنا إليها؟

و نحو الآية قوله: ﴿وَ لَوْ تَرَى اِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَالَيْتَنَا نُرَدُّ وَ لَانُكَذِّبَ بِاٰيَاتِ رَبِّنَا وَ نَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ...﴾ الأنعام: ٢٧. (٢٥: ٥٨)

عزّة دروزة: ﴿مَرَدٍّ﴾ هنا بمعنى رجعة أو عودة إلى الدّنيا. (٥: ١٨٩)

ابن عاشور: و المَرَدّ: مصدر ميميّ للرّدّ، و المراد بالرّدّ: الرّجوع، يقال: ردّه، إذا أرجعه. و يجوز أن يكون ﴿مَرَدٍّ﴾ بمعنى الدّفع، أي هل إلى ردّ العذاب عنّا الّذي يبدو لنا سبيل، حتّى لانقع فيه، فهو في معنى ﴿اِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ * مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ﴾ الطّور: ٧، ٨. (٢٥: ١٨٢)

الطَّباطَبائيّ: قوله: ﴿لَامَرَدَّ لَهُ مِنَ اللهِ﴾ (لَا) لنفي الجنس، و ﴿مَرَدَّ﴾ اسمه، و (لَهُ) خبره، و ﴿مِنَ اللهِ﴾ حال من ﴿مَرَدَّ﴾، و المعنى: يوم لاردّ له من قبل الله، أي إنّه مقضيّ محتوم لايردّه الله ألبتّة، فهو في معنى ما تكرّر في كلامه تعالى من وصف يوم القيامة، بأنّه لاريب فيه. (١٨: ٦٧)

مكارم الشّيرازيّ: فقد تحدّث القرآن المجيد عدّة مرّات عن طلب الكافرين و الظّالمين العودة، فأحيانًا عند الموت، مثل الآية ٩٩ و ١٠٠، من سورة

---

[1] كذا و الظّاهر المُجازين.

المؤمنون ﴿حَتّیٰ إذَا جَاءَ أحَدَهُمُ المَوتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ✽ لَعَلّي أعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾. و أحيانًا عند القيامة عندما يقتربون من الجحيم، كما تقول الآية ٢٧، من سورة الأنعام: ﴿وَلَو تَرىٰ إذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَالَيتَنَا نُرَدُّ وَلَانُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ المُؤمِنِينَ﴾.

و لكن مهما كانت هذه الطّلبات، فإنّها ستواجه بالرّفض، لأنّ العودة غير ممكنة أبدًا. و هذه سنّة إلهيّة لاتقبل التّغيير، فكما أنّ الإنسان لايمكنه الرّجوع من الكهولة إلى الشّباب، أو من الشّباب إلى الطّفولة، أو من الطّفولة إلى عالم الأجنّة، كذلك يستحيل الرّجوع إلى الوراء و العودة إلى الدّنيا من عالم البرزخ أو الآخرة. (١٥: ٥١٥)

فضل الله: هذا هو الخطّ الإلهيّ الحاسم الّذي يدعو الله فيه عباده، ليستجيبوا لدعوته في الأخذ بوحيه كمنهج لهم في الحياة، و كدستور لما يفعلونه، أو لما يتركونه، ممّا يصلح حياتهم أو يفسدها، و ليتّبعوا رسله في تحريك الموقف، في تنظيم شؤونهم العامّة و الخاصّة، و تتحرّك الدّعوة لتطلب منهم الإسراع قبل فوات الأوان، عندما يأتي يوم القيامة الّذي لامجال لردّه، لأنّه آت لاريب فيه. (٢٠: ١٩٩)

مَرَدَّنَا

﴿لَاجَرَمَ أنَّمَا تَدْعُونَنِي إلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الآخِرَةِ وَأنَّ مَرَدَّنَا إلَى اللهِ وَأنَّ المُسْرِفِينَ هُمْ أصْحَابُ النَّارِ﴾. المؤمن: ٤٣

الطّبريّ: يقول: و إنّ مرجعنا و منقلبنا بعد مماتنا إلى الله. (١١: ٦٤)

الزّجّاج: وجب مردّنا إلى الله. (٤: ٣٧٦)

نحوه الطّوسيّ. (٩: ٨١)

الثّعلبيّ: مرجعنا. (٨: ٢٧٧)

مثله البُرُوسَويّ (٨: ١٨٧)، و شُبَّر (٥: ٣٤٩).

الماوَرْديّ: مرجعنابعد الموت إلى الله، ليجازينا على أفعالنا. (٥: ١٥٨)

نحوه الواحديّ (٤: ١٥)، و البغويّ (٤: ١١٣)، و الطّبْرسيّ (٤: ٥٢٥).

الفخر الرّازيّ: فإنّ مردّنا إلى الله، العالم بكلّ المعلومات، القادر على كلّ الممكنات، الغنيّ عن كلّ الحاجات، الّذي لايبدّل القول لدَيه و ما هو بظلّام للعبيد، فأيّ عاقل يُجوّز له عقله أن يشتغل بعبادة تلك الأشياء الباطلة، و أن يعرض عن عبادة هذا الإله الّذي لابدّ، و أن يكون مردّه إليه؟ (٢٧: ٧١)

البَيْضاويّ: و أنّ مردّنا إلى الله بالموت. (٢: ٣٣٧)

النّسَفيّ: و أنّ رجوعنا إليه. (٤: ٨٠)

أبوالسُّعود: أي بالموت، عطف على ﴿أنَّمَا تَدْعُونَنِي﴾ داخل في حكمه. (٥: ٤٢١)

نحوه الآلوسيّ. (٢٤: ٧٢)

فضل الله: ﴿وَأنَّ مَرَدَّنَا إلَى اللهِ﴾ فهو الّذي بدأ الخلق، فوُجدوا من موقع إرادته، و هو الّذي يعيدهم ليقفوا أمامه، ليحاسبهم على أعمالهم، و يدخل الّذين آمنوا و اتّقوا منهم في رحمته، فيكونوا من أصحاب الجنّة. (٢٠: ٤٧)

مرَدًّا

وَيَزِيدُ اللهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا مريم: ٧٦

مُقَاتِل: يعني أفضل مرجعًا من ثواب الكافر النّار، و مرجعهم إليها. (٢: ٦٣٧)

الطُّوسيّ: أي خير نعيمًا تردّه الباقيات الصّالحات على صاحبه، كأنّه ذاهب عنه لفقده له، فتردّه عليه حتّى يجده في نفسه. (٧: ١٤٦)

الواحديّ: المَرَدّ هاهنا: مصدر مثل الرّدّ، و المعنى: و خير ردّ للثّواب على عامليها، ليس كأعمال الكفّار الّتي خسروها فبطلت. و يقال: هذا الأمر ردّ عليك، أي أنفع لك، و المعنى: أنّه يردّ عليك ما تريد. (٣: ١٩٤)

نحوه القُرطُبيّ. (١١: ١٤٥)

الزّمَخْشَريّ: أي مرجعًا و عاقبةً، أو منفعةً، من قولهم: ليس لهذا الأمر مَرَدّ. (٢: ٥٢٢)

الطَّبْرسيّ: أي خير عاقبة و منفعة. يقال: هذا الشّيء أردّ عليك، أي أنفع و أعود عليك، لأنّ العمل الصّالح ذاهب عنه بفقده له، فيردّه الله تعالى عليه بردّ ثوابه إليه، حتّى يجده في نفسه. (٣: ٥٢٨)

النّسَفيّ: أي مرجعًا و عاقبة، تهكّم بالكفّار، لأنّهم قالوا للمؤمنين: ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ مريم: ٧٣. (٣: ٤٤)

البُرُوسَويّ: مرجعًا و عاقبة، لأنّ مآلها رضوان الله و النّعيم الدّائم، و مآل هذه، السّخط و العذاب المقيم. (٥: ٣٥٣)

الآلوسيّ: أي مرجعًا و عاقبة، لأنّ عاقبتها المسرّة الأبديّة و النّعيم المقيم، و عاقبة ذلك الحسرة السّرمديّة و العذاب الأليم. و في التّعرّض لعنوان الرّبوبيّة مع الإضافة إلى ضميره صلّى الله تعالى عليه و سلّم من اللّطف و التّشريف ما لايخفى. (١٦: ١٢٨)

بِرَدِّهِنَّ

...وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ البقرة: ٢٢٨

ابن عبّاس: مراجعتهنّ. (٣١)

يقول: إذا طلّق الرّجل امرأته تطليقةً أو تنتين و هي حامل، فهو أحقّ برجعتها ما لم تضع.

(الطّبريّ ٢: ٤٦٤)

عِكْرِمَة: و ذلك أنّ الرّجل كان إذا طلّق امرأته كان أحقّ برجعتها، و إن طلّقها ثلاثًا، فنسخ ذلك فقال: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ﴾ البقرة: ٢٢٩.

(الطّبريّ ٢: ٤٦٥)

مثله الحسَن. (الطّبريّ ٢: ٤٦٥)

الضّحّاك: ما كانت في العِدّة، إذا أراد المراجعة.

(الطّبريّ ٢: ٤٦٥)

قَتَادَة: أي في القروء في الثّلاث حيض، أو ثلاثة أشهر، أو كانت حاملًا، فإذا طلّقها زوجها واحدة أو اثنتين راجعها إن شاء، ما كانت في عدّتها.

[و في رواية] كانت المرأة تكتم حملها حتّى تجعله لرجل آخر، فنهاهنّ الله عن ذلك، و قال: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذٰلِكَ﴾ أحقّ برجعتهنّ في العِدّة.

(الطّبَريّ ٢: ٤٦٥)

السُّدّيّ: يقول: أحقّ برجعتها، صاغرة عقوبة لما كتمت زوجها من الحمل. (الطّبَريّ ٢: ٤٦٥)

الرّبيع: يقول: في العدّة ما لم يطلّقها ثلاثًا. (الطّبَريّ ٢: ٤٦٥)

مُقاتِل: يقول: الزّوج أحقّ برجعتها وهي حُبْلى، نزلت في إسماعيل الغفاريّ وفي امرأته لم تشعر بحبلها. (١: ١٩٤)

ابن زَيْد: أحقّ برجعتهنّ ما لم تنقض العِدّة. (الطّبَريّ ٢: ٤٦٥)

الفَرّاء: في قراءة عبد الله (بردِّهِنَّ). (١: ١٤٥)

ابن قُتَيْبَة: يريد الرّجعة ما لم تنقض الحيضة الثّالثة. (٨٧)

الطّبَريّ: فإن قال لنا قائل: فما للزوج طلّق واحدة أو اثنتين بعد الإفضاء إليها، عليها رجعة في أقرائها الثّلاثة، إلّا أن يكون مريدًا بالرّجعة إصلاح أمرها وأمره؟

قيل: أمّا فيما بينه وبين الله تعالى، فغير جائز، إذا أراد ضرارها بالرّجعة ـ لا لإصلاح أمرها وأمره ـ مراجعتُها.

وأمّا في الحكم، فإنّه مقضيّ له عليها بالرّجعة، نظير ما حكمنا عليه بطول رجعته عليها، لو كتمته حملها الّذي خلقه الله في رحمها أو حيضها، حتّى انقضت عِدّتها ضرارًا منها له، وقد نهى الله عن كتمانه ذلك، فكان سواءً في الحكم، في بطول رَجْعَة زوجها عليها، وقد أثمت في كتمانها إيّاه ما كتمته من ذلك، حتّى انقضت عدّتها، هي، والّتي أطاعت الله بتركها كتمان ذلك منه، وإن اختلفا في طاعة الله في ذلك ومعصيته.

فكذلك المراجع زوجته المطلّقة واحدة أو ثنتين بعد الإفضاء إليها وهما حرّان، وإن أراد ضرار المُراجعة برجعته فمحكوم له بالرّجعة، وإن كان آثمًا بريائه في فعله، ومُقدِمًا على ما لم يُبحه الله له، والله وليّ مجازاته فيما أتى من ذلك.

فأمّا العباد، فإنّهم غير جائز لهم الحول بينه وبين امرأته الّتي راجعها بحكم الله تعالى ذكره له، بأنّها حينئذ زوجتُه. فإن حاول ضرارها بعد المراجعة بغير الحقّ الّذي جعله الله له، أُخِذ لها بالحقوق الّتي ألزم الله تعالى ذكره الأزواج للزّوجات، حتّى يعود ضرر ما أراد من ذلك عليه دونها.

وفي قوله: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذٰلِكَ﴾، أبين الدّلالة على صحّة قول من قال: إنّ المُولي إذا عزم الطّلاق فطلّق امرأته الّتي آلى منها، أنّ له عليها الرّجعة في طلاقه ذلك. وعلى فساد قول من قال: إنّ مضيّ الأشهر الأربعة عزم الطّلاق، وإنّه تطليقة بائنة، لأنّ الله تعالى ذكره إنّما أعلم عباده ما يُلزمُهم إذا آلَوا من نسائهم، وما يلزم النّساء من الأحكام في هذه الآية بإيلاء الرّجال وطلاقهم، إذا عزموا ذلك وتركوا الفيء. (٢: ٤٦٥)

الزّجّاج: معنى ﴿فِي ذٰلِكَ﴾ أي في الأجل الّذي أُمِرْنَ أن يتربّصن فيه، فأزواجهنّ قبل انقضاء القروء الثّلاثة أحقّ بردّهنّ إن ردّوهنّ على جهة الاصلاح؛ ألا ترى قوله: ﴿إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾. (١: ٣٠٦)

الثّعلبيّ: أي برجعتهنّ. (٢: ١٧٢)

الماوَرْديّ: أي برجعتهنّ، و هذا مخصوص في الطّلاق الرّجعيّ دون البائن. (١: ٢٩٢)

الطّوسيّ: يعني أزواجهنّ أحقّ برجعتهنّ، و ذلك يختصّ بالرّجعيّات، و إن كان أوّل الآية عامًّا في جميع المطلّقات الرّجعيّة و البائنة. (٢: ٢٤٠)

القُشَيْريّ: يعني من سبق له الصّحبة فهو أحقّ بالرّجعة، لما وقع في النّكاح من الثّلمة. (١: ١٩٣)

الواحديّ: أي إلى النّكاح و الزّوجيّة، يعني أحقّ بمراجعتهنّ. (١: ٣٣٣)

البغويّ: أولى برجعتهنّ إليهم. (١: ٣٠٠)

نحوه المَيْبُديّ. (١: ٦١٠)

الزّمَخْشَريّ: برجعتهنّ، في قراءة أُبيّ (بِرَدّتِهِنَّ). (١: ٣٦٦)

ابن العَرَبيّ: فيه ثلاث فوائد:

الفائدة الأولى: أنّ قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ﴾ عامّ في كلّ مطلّقة فيها رجعة أو لا رجعة فيها.

الثّانية: أنّ قوله تعالى: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ﴾ يقتضي أنّهنّ أزواج بعد الطّلاق. و قوله تعالى: ﴿بِرَدِّهِنَّ﴾ يقتضي زوال الزّوجيّة، والجمع بينهما عسير. إلّا أنّ علماءنا قالوا: إنّ الرّجعيّة محرّمة للوطء، فيكون الرّدّ عائدًا إلى الحلّ. و أمّا اللّيث بن سعد و أبو حنيفة و من يقول بقولهما: في أنّ الرّجعيّة محلّلة الوطء، فيرون أنّ وقوع الطّلاق فائدته تنقيص العدد الّذي جُعل له، و هو الثّلاثة خاصّة، و أنّ أحكام الزّوجيّة لم ينحلّ منها شيء و لا اختلّ، فيعسر عليه بيان فائدة الرّدّ. لكونهم قالوا: إنّ أحكام الزّوجيّة و إن كانت باقية، فإنّ المرأة ما دامت في العِدّة سائرة في سبيل الرّدّ، و لكن بانقضاء العدّة فالرّجعة ردّ عن هذه السّبيل الّتي أخذت في سلوكها، و هو ردّ مجازيّ، و الرّدّ الّذي حكمنا به ردّ حقيقيّ؛ إذ لابدّ أن يكون هناك زوال منجّز يقع الرّدّ عنه حقيقة.

الفائدة الثّالثة: قوله تعالى ﴿فِى ذٰلِكَ﴾: يعني في وقت التّربّص، و هو أمد العِدّة. (١: ١٨٦)

ابن عَطيّة: قرأ ابن مَسعود (بِرَدّتِهِنَّ) بزيادة تاء، و قرأ مبشّر بن عُبَيْد (بِرَدُّهُنَّ) بضمّ الهاء، و نصّ الله تعالى بهذه الآية على أنّ للزّوج أن يرتجع امرأته المطلّقة ما دامت في العِدّة. (١: ٣٠٥)

الطَّبْرِسيّ: يعني أنّ أزواجهنّ أولى بمراجعتهنّ، و هي ردّهنّ إلى الحالة الأولى في ذلك الأجل الّذي قُدّر لهنّ في مدّة العِدّة، فإنّه ما دامت تلك المدّة باقية، كان للزّوج حقّ المراجعة، و يفوت بانقضائها. و في هذا ما يدلّ على أنّ الزّوج ينفرد بالمراجعة، و لا يحتاج في ذلك إلى رضاء المرأة، و لا إلى عقد جديد، و إشهاد. و هذا يختصّ بالرّجعيّات، و إن كان أوّل الآية عامًّا في جميع المطلّقات الرّجعيّة و البائنة.

﴿إِنْ اَرَادُوا اِصْلَاحًا﴾ لا إضرارًا، و ذلك أنّ الرّجل كان إذا أراد الإضرار بامرأته طلّقها واحدة و تركها، حتّى إذا قرب انقضاء عدّتها راجعها و تركها مدّة، ثمّ طلّقها أخرى، و تركها مدّة كما فعل في الأولى، ثمّ راجعها و تركها مدّة، ثمّ طلّقها أخرى، فجعل الله الزّوج أحقّ بالمراجعة على وجه الإصلاح، لا على

وجه الإضرار.

و إنّما شرط الإصلاح في إباحة الرّجعة لا في ثبوت أحكامها، لإجماع الأمّة، على أنّ مع إرادة الإضرار يثبت أحكام الرّجعة. (١: ٣٢٦)

ابن الجوزيّ: خاصّ في الرّجعيّات (١: ٢٦١)

الفخر الرّازيّ: فالمعنى أحقّ برجعتهنّ في مدّة ذلك التّربّص، و هاهنا سؤالات:

السّؤال الأوّل: ما فائدة قوله: ﴿أَحَقُّ﴾ مع أنّه لاحقّ لغير الزّوج في ذلك. [ثمّ أجاب عنه بتفصيل لاحظ: ح ق ق: «أَحَقُّ»]

السّؤال الثّاني: ما معنى الرّدّ؟

الجواب: يقال: رَدَدْتُه، أي رجعته، قال تعالى في موضع: ﴿وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلٰى رَبّى﴾ الكهف: ٣٦، و في موضع آخر: ﴿وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلٰى رَبّى...﴾ فصّلت: ٥٠

السّؤال الثّالث: ما معنى الرّدّ في المطلّقة الرّجعيّة؟ و هي ما دامت في العدّة، فهي زوجته كما كانت.

الجواب: أنّ الرّدّ و الرّجعة يتضمّن إبطال التّربّص و التّحرّي في العدّة، فهي ما دامت في العدّة كأنّه كانت جارية في إبطال حقّ الزّوج، و بالرّجعة يبطل ذلك، فلاجرم سمّيت الرّجعة ردًّا، لاسيّما و مذهب الشّافعيّ ﵁ أنّه يحرم الاستمتاع بها إلّا بعد الرّجعة، ففي الرّدّ على مذهبه شيئان:

أحدهما: ردّها من التّربّص إلى خلافه.

الثّاني: ردّها من الحرمة إلى الحلّ.

السّؤال الرّابع: ما الفائدة في قوله تعالى: ﴿فِى ذٰلِكَ﴾؟

الجواب: أنّ حقّ الرّدّ إنّما يثبت في الوقت الّذي هو وقت التّربّص، فإذا انقضى ذلك الوقت فقد بطل حقّ الرّدّ و الرّجعة. (٦: ٩٩)

القُرطُبيّ: فيه إحدى عشر مسألة:

الأولى: [في معنى ﴿بُعُولَتِهِنَّ﴾ لاحظ: ب ع ل: «بُعُولَتِهِنَّ»]

الثّانية: قوله تعالى: ﴿أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾ أي بمراجعتهنّ، فالمراجعة على ضربين: مراجعة في العدّة على حديث ابن عمر. و مراجعة بعد العدّة على حديث مَعْقَل، و إذا كان هذا، فيكون في الآية دليل على تخصيص ما شمله العموم في المسمّيات، لأنّ قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِاَنْفُسِهِنَّ ثَلٰثَةَ قُرُوءٍ﴾ عامّ في المطلّقات ثلاثًا، و فيما دونها لاخلاف فيه.

ثمّ قوله: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ اَحَقُّ﴾ حكم خاصّ فيمن كان طلاقها دون الثّلاث. و أجمع العلماء على أنّ الحرّ إذا طلّق زوجته الحرّة، و كانت مدخولًا بها تطليقةً أو تطليقتين، أنّه أحقّ برجعتها ما لم تنقض عدّتها، و إن كرهت المرأة، فإن لم يراجعها المطلّق حتّى انقضت عدّتها، فهي أحقّ بنفسها و تصير أجنبيّة منه، لاتحلّ له إلّا بخطبة و نكاح مستأنف بوليّ و إشهاد ليس على سنّة المراجعة، و هذا إجماع من العلماء.

قال المهلّب: و كلّ من راجع في العدّة فإنّه لايلزمه شيء من أحكام النّكاح، غير الإشهاد على المراجعة فقط، و هذا إجماع من العلماء، لقوله تعالى: ﴿فَاِذَا بَلَغْنَ اَجَلَهُنَّ فَاَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ اَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَاَشْهِدُوا ذَوَىْ عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ الطّلاق: ٢،

فذكر الإشهاد في الرّجعة و لم يذكره في النّكاح و لا في الطّلاق. قال ابن المنذر: و فيما ذكرناه من كتاب الله مع إجماع أهل العلم كفاية عن ذكر ما روي عن الأوائل في هذا الباب، و الله تعالى أعلم.

الثّالثة: و اختلفوا فيما يكون به الرّجل مراجعًا في العِدّة. [ثمّ بيّنه مع آراء الفقهاء]

الرّابعة: من قبّل أو باشر ينوي بذلك الرّجعة كانت رجعة، و إن لم ينو بالقُبْلة و المباشرة الرّجعة كان آثمًا و ليس بمراجع. [ثمّ بيّن آراء الفقهاء]

الخامسة: قال الشّافعيّ: إن جامعها ينوي الرّجعة أو لا ينويها فليس برجعة، و لها عليه مهر مثلها. [ثمّ ذكر آراء غيره]

السّادسة: و اختلفوا هل يسافر بها قبل أن يرتجعها؟ [ثمّ بيّن حكمه]

السّابعة: و اختلفوا هل له أن يدخل عليها و يرى شيئًا من محاسنها، و هل تتزيّن له و تتشرّف؟. [ثمّ بيّن آراء الفقهاء]

الثّامنة: أجمع العلماء على أنّ المطلّق إذا قال بعد انقضاء العدّة: إنّي كنت راجعتك في العِدّة و أنكرت... [ثمّ بيّن حكمها]

التّاسعة: لفظ الرّدّ يقتضي زوال العصمة، إلّا أنّ علماءنا قالوا: [ثمّ نقل أقوالهم]

العاشرة: لفظ ﴿اَحَقُّ﴾ يطلق عند تعارض حقّين، و يترجّح أحدهما، فالمعنى: حقّ الزّوج في مدّة التّربّص أحقّ من حقّها بنفسها، فإنّها إنّما تملك نفسها بعد انقضاء العدّة، و مثل هذا قوله ﷺ: «الأيّم أحقّ بنفسها من وليّها». و قد تقدّم.

الحادية عشرة: الرّجل مندوب إلى المراجعة، و لكن إذا قصد الإصلاح بإصلاح حاله معها، و إزالة الوحشة بينهما، فأمّا إذا قصد الإضرار و تطويل العِدّة، و القطع بها عن الخلاص من ربقة النّكاح فمحرّم، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا﴾ البقرة: ٢٣١، ثمّ من فعل ذلك فالرّجعة صحيحة، و إن ارتكب النّهي و ظلم نفسه، و لو علمنا نحن ذلك المقصد طلقنا[1] عليه. (٣: ١٢٠)

البَيْضاويّ: إلى النّكاح و الرّجعة إليهنّ، و لكن إذا كان الطّلاق رجعيًّا للآية الّتي تتلوها، فالضّمير أخصّ من المرجوع إليه، و لا امتناع فيه، كما لو كرّر الظّاهر و خصّصه. (١: ١٢٠)

نحوه الكاشانيّ. (١: ٢٣٦)

أبو حَيّان: و المعنى: أنّ الأزواج أحقّ لمراجعتهنّ. وقرأ أُبَيّ: (بِرَدَّتِهِنَّ) بالتّاء بعد الدّال، و تتعلّق الباء، و (في) بقوله: ﴿اَحَقُّ﴾، و قيل: تتعلّق: (في) ﴿بِرَدِّهِنَّ﴾، و أشار بقوله: ﴿فِى ذٰلِكَ﴾، إلى الأجل الّذي أمرت أن تتربّص فيه، وهو زمان العِدّة، و قيل: في الحمل المكتوم. و الضّمير في ﴿بُعُولَتُهُنَّ﴾، عائد على ﴿الْمُطَلَّقَاتُ﴾، و هو مخصوص بالرّجعيّات، و فيه دليل على أنّ خصوص آخر اللّفظ لا يمنع عموم أوّله و لا يوجب تخصيصه، لأنّ قوله: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ﴾ عامّ في المبتوتات و الرّجعيّات، ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ اَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾،

---

(١) كذا؟!!

خاصّ في الرّجعيّات، و نظيره عندهم ﴿وَ وَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ العنكبوت : ٨، فهذا عموم، ثمّ قال: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ﴾ و هذا خاصّ في المشركين.

و الأولى عندي أن يكون على حذف مضاف دلّ عليه الحكم، تقديره: و بعولة رجعيّاتهنّ، و ﴿أَحَقُّ﴾ هنا ليست على بابها، لأنّ غير الزّوج لاحقّ له و لاتسليط على الزّوجة في مدّة العِدّة، إنّما ذلك للزّوج، و لاحقّ لها أيضًا في ذلك، بل لو أبَتْ كان له ردّها، فكأنّه قيل: و بعولتهنّ حقيقون بردّهنّ. و دلّ قوله: ﴿بِرَدِّهِنَّ﴾ على انفصال سابق، فمن قال: إنّ المطلّقة الرّجعيّة محرّمة الوطء، فالرّدّ حقيقيّ على بابه، و من قال: هي مباحة الوطء، و أحكامها أحكام الزّوجة، فلمّا كان هناك سبب تعلّق به زوال النّكاح عند انقضاء العدّة، جاز إطلاق الرّدّ عليه؛ إذ كان رافعًا لذلك السّبب. [ثمّ أدام نحو القرطبيّ] (٢: ١٨٨)

السّمين: قوله: ﴿بِرَدِّهِنَّ﴾ متعلّق بـ ﴿أَحَقُّ﴾. و أمّا ﴿فِي ذٰلِكَ﴾ ففيه وجهان:

أحدهما: أنّه متعلّق أيضًا بـ ﴿أَحَقُّ﴾، و يكون المشار إليه بذلك على هذا العدّة، أي تستحقّ رَجْعَتَها ما دامَتْ في العدّة، و ليس المعنى: أنّه أحقّ أن يَرُدَّها في العدّة، وإنّما يردّها في النّكاح أو إلى النّكاح.

و الثّاني: أن تتعلّق بـ«الرّدّ» و يكون المشار إليه بذلك على هذا النّكاح. قاله أبو البقاء. (١: ٥٥٦)

أبو السُّعود: إلى ملكهم بالرّجعة إليهنّ. (١: ٢٧١)

البُرُوسَويّ: إلى النّكاح و الرّجعة إليهنّ. (١: ٣٥٤)

شُبّر: إلى النّكاح و الرّجعة إليهنّ. فـ(أفعل) بمعنى الفاعل. ﴿فِي ذٰلِكَ﴾ في زمان التّربّص. (١: ٢٢٩)

الشّوكانيّ: أي برجعتهنّ، و ذلك يختصّ بمن كان يجوز للزّوج مراجعتها، فيكون في حكم التّخصيص لعموم قوله: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ﴾ أو لأنّه يعمّ المثلّثات و غيرهنّ، و قوله: ﴿فِي ذٰلِكَ﴾ يعني في مدّة التّربّص، فإن انقضت مدّة التّربّص فهي أحقّ بنفسها، و لاتحلّ له إلّا بنكاح مستأنف بوليّ و شهود و مهر جديد، و لاخلاف في ذلك، و الرّجعة تكون باللّفظ و تكون بالوطء، و لايلزم المراجع شيء من أحكام النّكاح بلاخلاف. (١: ٣٠٠)

الآلوسيّ: إلى النّكاح و الرّجعة إليهنّ، و هذا إذا كان الطّلاق رجعيًّا للآية بعدها، فالضّمير بعد اعتبار القيد أخصّ من المرجوع إليه، و لاامتناع فيه، كما إذا كُرّر الظّاهر. و قيل: بعولة المطلّقات ﴿أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾ و خُصّص بالرّجعيّ. (٢: ١٣٤)

نحوه القاسميّ. (٣: ٥٨٣)

رشيد رضا: قال الأستاذ الإمام قدّس الله روحه: «هذا لطف كبير من الله سبحانه و تعالى، و حرص من الشّارع على بقاء العصمة الأولى. فإنّ المرأة إذا طُلّقت لأمر من الأمور سواء كان بالإيلاء أو غيره، فقلّما يرغب فيها الرّجال، و أمّا بعلها المُطلّق فقد يندم على طلاقها، و يرى أنّ ما طلّقها لأجله لايقتضي مفارقتها دائمًا، فيرغب في مراجعتها، و لاسيّما إذا كانت العشرة السّابقة بينهما جرت على طريقتها الفطريّة، فأفضى

كلّ منهما إلى الآخر بسرّه حتّى عرف عُجره و بُجره، و تمكّنت الأُلفة بينهما على علّاتهما.

و إذا كانا قد رُزقا الولد فإنّ التّدم على الطّلاق يُسرع إليهما، لأنّ الحرص الطّبيعيّ على العناية بتربية الولد و كفالته بالاشتراك، تغلب بعد زوال أثر المغاضبة العارضة على النّفس، و قد يكون أقوى إذا كان الأولاد إناثًا، لهذا حكم اللّه تعالى لُطفًا منه بعباده بأنّ بَعْل المُطلّقة، أي زوجها، أحقّ بردّها في ذلك، أي في زمن التّربّص و هي العدّة.

و في هذا بيان حكمة أُخرى للعدّة، غير تبيُّن الحمل أو براءة الرّحم، و هي إمكان المراجعة، فعُلم بذلك أنّ تربّص المطلّقات بأنفسهنّ فيه فائدة لهنّ و فائدة لأزواجهنّ. و إنّما يكون بعل المرأة أحقّ بها في مدّة العدّة، إذا قصد إصلاح ذات البين و حسن المعاشرة.

و أمّا إذا قصد مضارّتها و منعها من التّزوّج بعد العدّة، حتّى تكون كالمعلّقة، لا يعاشرها مُعاشرة الأزواج بالحُسنى، و لا يمكّنها من التّزوّج، فهو آثم بينه و بين اللّه تعالى بهذه المراجعة. فلا يباح للرّجل أن يردّ مُطلّقته إلى عصمته إلّا بإرادة إصلاح ذات البين، و نيّة المُعاشرة بالمعروف».

و إنّما قال الإمام: و إنّه آثم بينه و بين اللّه تعالى، لإفادة أنّ ذلك محرّم لأمر خفيّ يتعلّق بالقصد، فلم يكن شرطًا في الظّاهر لصحّة الرّجعة، و ما كلّ ما صحّ في نظر القاضي يكون جائزًا تدينًا بين الإنسان و ربّه، لأنّ القاضي يحكم بالظّاهر، و اللّه يتولّى السّرائر.

و الطّلاق الّذي تحلّ فيه الرّجعة قبل انقضاء العدّة يُسمّى طلاقًا رجعيًّا، و هناك طلاق بائن لا تحلّ مراجعة المطلّقة بعده. (٢: ٣٧٤)

نحوه المَراغيّ. (٢: ١٦٥)

ابن عاشور: قوله: ﴿فِي ذٰلِكَ﴾ الإشارة بقوله: ﴿ذٰلِكَ﴾ إلى التّربّص بمعنى مدّته، أي للبعولة حقّ الإرجاع في مدّة القروء الثّلاثة، أي لا بعد ذلك، كما هو مفهوم القيد. هذا تقرير معنى الآية، على أنّها جاءت لتشريع حكم المراجعة في الطّلاق ما دامت العدّة.

و عندي أنّ هذا ليس مجرّد تشريع للمراجعة، بل الآية جامعة لأمرين: حكم المراجعة، و تحضيض المطلّقين على مراجعة المطلّقات، و ذلك أنّ المتفارقين لابدّ أن يكون لأحدهما أو لكليهما رغبة في الرّجوع، فاللّه يُعلم الرّجال بأنّهم أولى بأن يرغبوا في مراجعة النّساء، و أن يصفحوا عن الأسباب الّتي أوجبت الطّلاق، لأنّ الرّجل هو مظنّة البصيرة و الاحتمال، و المرأة أهل الغضب و الإباء.

و «الرّدّ» تقدّم الكلام عليه عند قوله تعالى: ﴿حَتّٰى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ﴾ البقرة: ٢١٧، و المراد به هنا: الرّجوع إلى المعاشرة و هو المراجعة. و تسمية المراجعة ردًّا يُرجّح أنّ الطّلاق قد اعتبر في الشّرع قطعًا لعصمة النّكاح، فهو إطلاق حقيقيّ على قول مالك، و أمّا أبو حنيفة و من وافقوه، فتأوّلوا التّعبير بالرّدّ بأنّ العصمة في مدّة العدّة سائرة في سبيل الزّوال عند انقضاء العدّة. فسمّيت المراجعة ردًّا عن هذا السّبيل الّذي أخذت في سلوكه، و هو ردّ مجازيّ.

(٢: ٣٧٥)

مَغْنِيَّة: قوله: ﴿فِى ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى زمن التربّص، و هو أيّام العِدّة، و محصّل المعنى: أنّ الله سبحانه، بعد أن بيّن وجوب العدّة، ذكر في هذه الآية حقّ المطلّق في الرّجعة على مطلّقته ما دامت في العدّة إذا كان الطّلاق رجعيًّا، و هذا الحقّ ثابت له، سواء أرضيت أم لم ترض، و لاتحتاج الرّجعة إلى عقد و مهر، كما أنّها لاتحتاج إلى شهود عند فقهاء الإماميّة، و يأتي بيان ذلك مع دليلهم في سورة الطّلاق. (١: ٣٤٢)

الطَّباطَبائيّ: و الضّمير في ﴿بُعُولَتُهُنَّ﴾ للمطلّقات، إلّا أنّ الحكم خاصّ بالرّجعيّات، دون مطلق المطلّقات، الأعمّ منها و من البائنات، و المشار إليه بـ ﴿ذَٰلِكَ﴾ التّربّص الّذي هو بمعنى العدّة، و التّقييد بقوله: ﴿إِنْ أَرَادُوٓا إِصْلَٰحًا﴾ للدّلالة على وجوب أن يكون الرّجوع لغرض الإصلاح لا لغرض الإضرار المنهيّ عنه بعد بقوله: ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا...﴾ البقرة: ٢٣١.

و لفظ ﴿أَحَقُّ﴾ اسم تفضيل، حقّه أن يتحقّق معناه دائمًا مع مفضّل عليه، كأن يكون للزّوج الأوّل حقّ في المطلّقة و لسائر الخُطّاب حقّ، و الزّوج الأوّل أحقّ بها لسبق الزّوجيّة، غير أنّ الرّدّ المذكور لايتحقّق معناه إلّا مع الزّوج الأوّل.

و من هنا يظهر: أنّ في الآية تقديرًا لطيفًا بحسب المعنى، و المعنى: و بعولتهنّ أحقّ بهنّ من غيرهم، و يحصل ذلك بالرّدّ و الرّجوع في أيّام العدّة. و هذه الأحقّيّة إنّما تتحقّق في الرّجعيات دون البائنات الّتي لارجوع فيها، و هذه هي القرينة على أنّ الحكم مخصوص بالرّجعيّات، لأنّ ضمير ﴿بُعُولَتُهُنَّ﴾ راجع إلى بعض المطلّقات بنحو الاستخدام، أو ما أشبه ذلك.

و الآية خاصّة بحكم المدخول بهنّ من ذوات الحيض غير الحوامل، و أمّا غير المدخول بها و الصّغيرة و اليائسة و الحامل فلحكمها آيات أُخر. (٢: ٢٣١)

مكارم الشّيرازيّ: الحكم الثّالث المستفاد من الآية هو أنّ للزّوج حقّ الرّجوع إلى زوجته في عدّة الطّلاق الرّجعيّ، فتقول الآية: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا إِصْلَٰحًا﴾.

و بهذا يستطيع الزّوج استئناف علاقته الزّوجيّة بدون تشريفات خاصّة، إذا كانت المرأة في عدّة الطّلاق الرّجعيّ، فإذا قصد الرّجوع يتحصّل بمجرّد كلمة أو عمل يصدر منه بهذا القصد، و جملة ﴿إِنْ أَرَادُوٓا إِصْلَٰحًا﴾ في الحقيقة هي لبيان أنّ هدف الرّجوع يجب أن يكون بنيّة الإصلاح، لا كما كان عليه الحال في العصر الجاهليّ من أنّ الزّوج يستخدم هذا الحقّ لغرض الإضرار بالزّوجة؛ حيث يتركها في حالة معلّقة بين الزّواج و الطّلاق.

فهذا الحقّ يكون للزّوج في حالة إذا كان نادمًا واقعًا، و أراد أن يستأنف علاقته الزّوجيّة بجدّيّة، و لم يكن هدفه الإضرار بالزّوجة.

ضمنًا يستفاد ممّا ورد في ذيل الآية من مسألة الرّجوع، هو أنّ حكم العدّة و الاهتمام بحساب أيّامها يتعلّق بهذه الطّائفة من النّساء. و بعبارة أُخرى أنّ الآية تتحدّث بشكل عامّ عن الطّلاق الرّجعيّ، و لهذا

فلامانع من أن تكون بعض أقسام الطّلاق بدون عدّة أصلًا. (٢ : ٩٧)

فضل الله: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذٰلِكَ﴾ لأنّها لم تخرج من حكم الزّوجة، ممّا يجعل اختيار الزّوج للرّجعة، و العودة إلى الحياة الزّوجيّة من جديد تمامًا، كما لو أخرج الزّوجة من بيته ثمّ قرّر استعادتها إليه، لأنّ المبادرة في الطّلاق الرّجعيّ كانت من خلاله، فله أن يصحّح الخطأ الّذي وقع منه، و يتراجع عن القرار الّذي شعر بالنّدم عليه.

و هذا هو المنهج الإسلاميّ التّربويّ في العلاقات الإنسانيّة، الّذي يفتح أكثر من نافذة للإنسان، للتّراجع عن قراره الّذي يشعر بالخطإ فيه ﴿إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾ بحيث كان الأساس في الرّجوع إعادة الأمور إلى نصابها الصّحيح، من أجل إصلاح المسألة، إذا ما اكتشف الزّوج خطأه تجاه الزّوجة، أو اكتشفت الزّوجة خطأها تجاه الزّوج، سواء أكان ذلك بمبادرة ذاتيّة أم كان من خلال تدخّل المصلحين بينهما.

أمّا إذا كان الهدف من الرّجعة، أن يستزيد الزّوج في الإمعان في تعذيبها و إيلامها و إرباك حياتها، للإضرار بها، حتّى تبقى في حالة اهتزاز دائم، من أجل ابتزازها للحصول منها على تنازلات مادّيّة أو معنويّة، و كان الزّوج إنسانًا مضارًّا، فإنّ الظّاهر من الآية أنّ الحقّ الّذي للزّوج في الرّجعة، لن يكون له أيّة شرعيّة في حالة إرادة الإضرار، بحيث لاتصحّ الرّجعة من النّاحية الوضعيّة القانونيّة، كما لاتحلّ من النّاحية التّكليفيّة، و لكنّ الفقهاء لم يلتزموا بذلك، لأنّهم اعتبروا الزّوجة في العدّة زوجة أو بحكم الزّوجة، فتكون الحالة تمامًا كما هي حالة الزّوجة، إذا أراد الإضرار بها في نطاق الحياة الزّوجيّة. (٤ : ٢٨٢)

ارْتَدَّ

فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَيهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ.

يوسف : ٩٦

ابن عبّاس: انجلى البياض و ذهبت الظّلمة.

(الواحديّ ٢ : ٦٣٤)

الإمام الباقر عليه السلام: اذهبوا بقميصي هذا الّذي بلّته دموع عيني، فألقوه على وجه أبي يرتدّ بصيرًا لو قد شمّ ريحي، و أتوني بأهلكم أجمعين. و ردّهم إلى يعقوب في ذلك اليوم، و جهّزهم بجميع ما يحتاجون إليه. فلمّا فصلت عيرهم من مصر وجد يعقوب ريح يوسف، فقال لمن بحضرته من وُلده: إنّي لأجد ريح يوسف لولا أن تُفنّدون، و أقبل وُلده يحثّون السّير بالقميص فرحًا و سرورًا بما رأوا من حال يوسف، و الملك الّذي أعطاه الله و العزّ الّذي صاروا إليه في سلطان يوسف، و كان مسيرهم من مصر إلى يعقوب تسعة أيّام، فلمّا أن جاء البشير، ألقى القميص على وجهه فارتدّ بصيرًا، و قال لهم: ما فعل ابن يامين؟ قالوا: خلّفناه عند أخيه صالحًا، قال: فحمد الله يعقوب عند ذلك و سجد لربّه سجدة الشّكر، و رجع إليه بصره، و تقوّم له ظهره، و قال لولده: تحوّلوا إلى يوسف في يومكم هذا بأجمعكم، فصاروا إلى يوسف و معهم

يعقوب و خالة يوسف باميل. فحشّوا السّير فرحًا وسرورًا فساروا تسعة أيّام إلى مصر. (الكاشانيّ ۳: ٤٥)

الطّبريّ: يقول: رجع و عاد مبصرًا بعينيه بعد ما قد عمي. (۷: ۲۹۹)

ابن الأنباريّ: إنّما قال: ﴿ارْتَدَّ﴾ و لم يقل: رُدّ، لأنّ هذا من الأفعال المنسوبة إلى المفعولين، كقولهم: طالت النّخلة، و اللّه أطالها، و تحرّكت الشّجرة، و اللّه حرّكها. (ابن الجوزيّ ٤: ۲۸٦)

الثّعلبيّ: فعاد بصيرًا بعد ما كان عمي. (٥: ۲٥٦)

نحوه البغويّ. (۲: ٥١٤)

الماوَرْديّ: أي رجع بصيرًا، و فيه وجهان:

أحدهما: بصيرًا بخبر يوسف.

و الثّاني: بصيرًا من العمى. (۳: ۷۸)

الطّوسيّ: فالارتداد: انقلاب الشّيء إلى حال قد كان عليها، و هو و الرّجوع بمعنى واحد. (٦: ١٩٤)

الواحديّ: معنى الارتداد: انقلاب الشّيء إلى حال قد كان عليها، و المعنى: عاد و رجع إلى حال البصر. (۲: ٦۳٤)

الزّمَخْشَريّ: فرجع بصيرًا، يقال: ردّه فارتدّ، و ارتدّه إذا ارتجعه. (۲: ۳٤۳)

نحوه النّسَفيّ. (۲: ۲۳۷)

ابن عَطيّة: معناه: رجع هو، يقال: ارتدّ الرّجل، و ردّه غيره. (۳: ۲۸۰)

الطّبْرِسيّ: أي ألقى البشير قميص يوسف على وجه يعقوب فعاد بصيرًا (۳: ۲٦۳)

النّيسابوريّ: أي انقلب من العمى إلى البصر، أو من الضّعف إلى القوّة (۱۳: ٤٦)

المَراغيّ: أي فلمّا جاء البشير، و هو ابنه يهوذا الّذي يحمل القميص من يوسف، و هو الّذي حمل إليه قميصه الملطّخ بالدّم الكذب، ليمحو السّيّئة بالحسنة، ألقاه على وجه يعقوب، فعاد من فوره بصيرًا كما كان. بل قد قيل: إنّه عادت إليه سائر قُواه، و ليس ذلك بعجيب و لا منكر، فكثيرًا ما شفى السّرور من الأمراض، و جدّد قُوى الأبدان و الأرواح، و التّجارب و قوانين الطّبّ شاهد صدق على صحّة ذلك.

قال الدّكتور عبد العزيز إسماعيل باشا: لا تتحسّن أعراض مرض «الجولكوما» أو شدّة توتّر العين أو تقف شدّته إلّا بالعلاج، و منه العمليّات الجراحيّة، و لكن شفاء سيّدنا يعقوب بوضع القميص على وجهه هو معجزة من المعجزات الخارجة عن قدرة الإنسان، و ليس المهمّ هو القميص أو وضعه على وجهه، فقد كان ذلك لتسهيل وقع المعجزة على الحاضرين فحسب، و لكن المهمّ هو طريقة الشّفاء، و هي إرادة اللّه المنحصرة في ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾، و هي خارجة عن كلّ السّنن الطّبيعيّة الّتي أمر الإنسان أن يتعلّمها. فعظمة المعجزة ليست في النّتيجة فحسب، و لكن في طريق الشّفاء. و ما أعظم إعجاز القرآن الّذي وصف حالة مرضيّة خاصّة و بيّن سببها، و لم يكن يعلم العالم شيئًا عن هذا المرض في ذلك الوقت و لا بعده بزمن طويل، انتهى. (۱۳: ۳۷)

ابن عاشور: و ارتدّ: رجع، و هو «افتعال» مطاوع، ردّه، أي ردّ اللّه إليه قوّة بصره كرامة له

و ليوسف عليه السلام، و خارق للعادة. و قد أشرت إلى ذلك عند قوله تعالى: ﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ﴾ يوسف: ٨٤. (١٢: ١١٦)

فضل الله: عادت إليه نعمة البصر، و فرح الحياة في ما أراد الله أن ينعم به على يعقوب من فرحة الشّعور بحياة يوسف من جهة، و رؤيته إيّاه بردّ بصره، على وجه الإعجاز من جهة أُخرى. (١٢: ٢٦٥)

و راجع: ب ص ر: «بصيرًا».

ارْتَدَّا

قَالَ ذٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلٰى اٰثَارِهِمَا قَصَصًا.

الكهف: ٦٤

راجع: أ ث ر: «اٰثَارِهِمَا».

ارْتَدُّوا

اِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلٰى اَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَاَمْلٰى لَهُمْ. محمّد: ٢٥

ابن عبّاس: هم أهل النّفاق.

مثله الضّحّاك. (الطّبريّ ١١: ٣٢٢)

قتادة: هم أعداء الله، أهل الكتاب يعرفون بعث محمّد نبيّ الله ﷺ و أصحابه عندهم، ثمّ يكفرون به. (الطّبريّ ١١: ٣٢٢)

الطّبريّ: يقول الله عزّ و جلّ: إنّ الّذين رجعوا القهقرى على أعقابهم كفّارًا بالله من بعد ما تبيّن لهم الحقّ و قصد السّبيل، فعرفوا واضح الحجّة، ثمّ آثروا الضّلال على الهدى عنادًا لأمر الله تعالى ذكره من بعد العلم.

و قال آخرون: عنى بذلك أهل النّفاق.

و هذه الصّفة بصفة أهل النّفاق عندنا أشبه منها بصفة أهل الكتاب؛ و ذلك أنّ الله عزّ و جلّ أخبر أنّ ردّتهم كانت بقيلهم: ﴿لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْاَمْرِ﴾ محمّد: ٢٦، و لو كانت من صفة أهل الكتاب، لكان في وصفهم بتكذيب محمّد ﷺ الكفاية من الخبر عنهم، بأنّهم إنّما ارتدّوا من أجل قيلهم ما قالوا. (١١: ٣٢٢)

نحوه المراغيّ. (٢٦: ٦٩)

الزّجّاج: المعنى: رجعوا بعد سماع الهدى و تبيّنه إلى الكفر. (٥: ١٣)

نحوه النّسفيّ. (٤: ١٥٤)

الطّوسيّ: أي رجعوا عن الحقّ و الإيمان من بعد ما تبيّن لهم الهدى، أي ظهر لهم الطّريق الواضح المفضي إلى الجنّة.

و ليس في ذلك ما يدلّ على أنّ المؤمن على الحقيقة يجوز أن يرتدّ، لأنّه لايمتنع أن يكون المراد: من رجع عن إظهار الإيمان بعد وضوح الأمر فيه، و قيام الحجّة بصحّته. (٩: ٣٠٣)

الواحديّ: رجعوا كفّارًا. (٤: ١٢٧)

مثله البغويّ. (٤: ٢١٧)

الطّبرسيّ: رجعوا عن الحقّ و الإيمان. (٥: ١٠٤)

البيضاويّ: أي إلى ما كانوا عليه من الكفر. (٢: ٣٩٦)

نحوه أبو السّعود (٦: ٩١)، و الكاشانيّ (٥: ٢٨)، و شبّر (٦: ٣٢)، و الآلوسيّ (٢٦: ٧٤).

البُرُوسَويّ: الارتداد و الرِّدَّة: الرّجوع في الطّريق الّذي جاء منه، لكن الرِّدّة تختصّ بالكفر، و الارتداد يُستعمل فيه و في غيره. (٨: ٥١٩)

الشَّوْكانيّ: أي رجعوا كفّارًا كما كانوا. قال قَتادة: هم كفّار أهل الكتاب كفروا بالنّبيّ ﷺ بعد ما عرفوا نعته عندهم، و به قال ابن جرير. و قال الضّحّاك و السُّدّيّ: هم المنافقون قعدوا عن القتال، و هذا أولى، لأنّ السّياق في المنافقين. (٥: ٤٨)

ابن عاشور: لم يزل الكلام على المنافقين، فالّذين ارتدّوا على أدبارهم منافقون، فيجوز أن يكون مرادًا به قوم من أهل النّفاق، كانوا قد آمنوا حقًّا، ثمّ رجعوا إلى الكفر، لأنّهم كانوا ضعفاء الإيمان قليلي الاطمئنان.

و هم الّذين مثّلهم الله في سورة البقرة: ١٧، بقوله: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِى اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ...﴾.

و الارتداد على الأدبار على هذا الوجه: تمثيل للرّاجع إلى الكفر بعد الإيمان، بحال من سار ليصل إلى مكان، ثمّ ارتدّ في طريقه. و لمّا كان الارتداد سيرًا إلى الجهة الّتي كانت وراء السّائر، جُعل الارتداد إلى الأدبار، أي إلى جهة الأدبار. و جيء بحرف (عَلى) للدّلالة على أنّ الارتداد متمكّن من جهة الأدبار، كما يقال: على صراط مستقيم. (٢٦: ٩٦)

الطَّباطَبائيّ: الارتداد على الأدبار: الرّجوع إلى الاستدبار بعد الاستقبال، و هو استعارة أُريد بها التّرك بعد الأخذ. (١٨: ٢٤١)

يَرْتَدَّ

١ـ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ... المائدة: ٥٤

ابن عبّاس: بعد موت النّبيّ ﷺ. (٩٦)

الطَّبَريّ: يقول: من يرجع منكم عن دينه الحقّ الّذي هو عليه اليوم، فيبدّله و يغيّره بدخوله في الكفر، أمّا في اليهوديّة أو النّصرانيّة أو غير ذلك من صنوف الكفر، فلن يضرّ الله شيئًا. (٤: ٦٢٢)

الزّجّاج: فيها من العربيّة ثلاثة أوجه: (مَن يَرْتَدِدْ) و ﴿مَنْ يَرْتَدَّ﴾ بفتح الدّال، و (مَنْ يَرْتَدِّ مِنْكُمْ) بكسر الدّال، و لايجوز في القراءة الكسر، لأنّه لم يُرْوَ أنّه قرئ به. و أمّا (مَن يَرْتَدِدْ) فهو الأصل، لأنّ التّضعيف إذا سكن الثّاني من المضعفين ظهر التّضعيف، نحو قوله: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ﴾، آل عمران: ١٤٠، و لو قرئت (يَمَسَّكُم قَرْحٌ)، كان صوابًا، و لكن لاتقرأنّ به لمخالفته المُصحف، و لأنّ القراءة سُنّة، و قد ثبت عن نافع و أهل الشّام (يَرْتَدِدْ) بدالين، و موضع ﴿يَرْتَدَّ﴾ جزم، و الأصل كما قلنا: (يَرْتَدِدْ)، و أُدغمت الدّال الأُولى في الثّانية و حُرّكت الثّانية بالفتح لالتقاء السّاكنين.

قال أبوعُبَيْد: إنّهم كرهوا اجتماع حرفين متحرّكين، و أحسبه غلط، لأنّ اجتماع حرفين متحرّكين من جنس واحد أكثر في الكلام من أن يُحصى، نحو «شَرَرٍ» و «مَدَدٍ»، و «قِدَدٍ» و «جُدَدٍ».

والكسر في قوله: ﴿مَنْ يَرْتَدَّ﴾ يجوز لالتقاء السّاكنين، لأنه أصل، والفاء جواب للجزاء، أي إن ارتدّ أحد عن دينه، أي الّذي هو الإيمان. (٢: ١٨٢)

نحوه ملخّصًا الواحديّ. (٢: ١٩٩)

أبوزُرْعَة: قرأ نافع وابن عامر (مَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ) بدالين، وحجّتهما إجماع الجميع في سورة البقرة: ٢١٧، ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ﴾ بدالين. وقرأ الباقون ﴿مَنْ يَرْتَدَّ﴾ بدال مشدّدة

اعلم أنّ الإظهار لغة أهل الحجاز وهو الأصل، لأنّ التّضعيف إذا سُكّن الثّاني من المضاعفين ظهر التّضعيف نحو قوله: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ﴾، آل عمران: ١٤٠، ولو قرئت (إِنْ يَمَسَّكُمْ قَرْحٌ) كان صوابًا، والإدغام لغة غيرهم. والأصل كما قلنا: (يَرْتَدِدْ) فأدغمت الدّال الأولى بالثّانية، وحُرّكت الثّانية بالفتح لالتقاء السّاكنين. (٢٣٠)

الثّعلبيّ: قرأ أهل المدينة والشّام (يَرْتَدِدْ) بدالين على إظهار التّخفيف ﴿مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾ فيرجع إلى الكفر، وهذا المجاز للقرآن وللمصطفى ﷺ إذ أخبر عن ارتدادهم، ولم يكن ذلك في عهده، وكان عهده، وكان على ما أخبره بعد مدّة. وأهل الرّدّة كانوا أحد عشر قومًا: ثلاثة على عهد رسول الله ﷺ في آخر عمره، وسبعة على عهد أبي بكر، وواحد في عهد عمر. [ثمّ سمّى كلّ واحد، فلاحظ] (٤: ٧٦)

نحوه الآلوسيّ. (٦: ١٦٠)

الطّوسيّ: قرأ نافع وأهل المدينة (يَرْتَدِدْ) بدالين، وبه قرأ ابن عامر، وكذلك هو في مصاحفهم. الباقون بدال واحدة مشدّدة، وكذلك هو في مصاحفهم. مَن أظهر ولم يُدغم قال: لأنّ الحرف المُدْغَم لايكون إلّا ساكنًا، ولايمكن الإدغام في الحرف الّذي يدغم حتّى يُسَكّن، لأنّ اللّسان يرتفع عن المُدْغَم والمُدْغَم فيه ارتفاعةً واحدةً. فإذا لم يُسَكّن لم يرتفع اللّسان ارتفاعةً واحدةً، وإذا لم يرتفع كذلك لم يمكن الإدغام، فإذا كان كذلك لم يسغ الإدغام في السّاكن، لأنّ المُدْغَم إذا كان ساكنًا والمُدْغَم فيه كذلك التقى ساكنان، والتقاء السّاكنين في الوصل في هذا النّحو ليس من كلامهم، فأظهر الحرف الأوّل في حركة وأسكن الثّاني من المثلين، وهذه لغة أهل الحجاز، فلم يلتق السّاكنان. وحجّة من أدغم أنّه لـمّا أسكن الحرف الأوّل من المثلين للإدغام لم يُمكّنه أن يُدغمه في الثّاني والثّاني ساكن، فحرّك المدغم فيه لالتقاء السّاكنين، وهذه لغة بني تميم. وفي القرآن نظيره قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ﴾، النّساء: ١١٥، وقال: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ الأنفال: ١٣. (٣: ٥٥٤)

الزّمخشريّ: قرئ ﴿مَنْ يَرْتَدَّ﴾ و(مَنْ يَرْتَدِدْ) وهو في الإمام[1] بدالين وهو من الكائنات الّتي أخبر عنها في القرآن قبل كونها. [ثمّ أدام نحو الثّعلبيّ] (١: ٦٢٠)

ابن عَطيّة: والإشارة بالارتداد إلى المنافقين، والمعنى: أنّ من نافق وارتدّ، فإنّ المحقّقين من الأنصار

---

(١) رسم المصحف.

يحمون الشّريعة، و يسدّ الله بهم كلّ ثلم. [ثمّ نقل القراءتين] (٢: ٢٠٨)

الطَّبْرِسيّ: لـمّا بيّن تعالى حال المنافقين، و أنّهم يتربّصون الدّوائر بالمؤمنين، و علم أنّ قومًا منهم يرتدّون بعد وفاته، أعلم أنّ ذلك كائن، و أنّهم لاينالون أمانيّهم، و الله ينصر دينه بقوم لهم صفات مخصوصة، تميّزوا بها من بين العالمين، فقال: ﴿يَاءَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾، أي من يرجع منكم، أي من جملتكم، إلى الكفر بعد إظهار الايمان. (٢: ٢٠٨)

الفَخْرالرّازيّ: فيه مسائل:

المسألة الأولى: [و ذكرت القراءات و كلام الزّجّاج، ثمّ ذكر نحو الثّعلبيّ] (١٢: ١٨)

القُرطُبيّ: قوله تعالى: ﴿مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾ شرط و جوابه ﴿فَسَوْفَ﴾، و قراءة أهل المدينة و الشّام (مَنْ يَرْتَدِدْ) بدالين. الباقون ﴿مَنْ يَرْتَدَّ﴾. و هذا من إعجاز القرآن، و النّبيّ ﷺ، إذ أخبر عن ارتدادهم، و لم يكن ذلك في عهده، و كان ذلك غيبًا، فكان على ما أخبر بعد مدّة، و أهل الرّدّة كانوا بعد موته ﷺ.

قال ابن إسحاق: لـمّا قُبض رسول الله ﷺ ارتدّت العرب إلّا ثلاثة مساجد: مسجد المدينة، و مسجد مكّة، و مسجد جؤاثى، و كانوا في ردّتهم على قسمين: قسم نبذ الشّريعة كلّها و خرج عنها، و قسم نبذ وجوب الزّكاة، و اعترف بوجوب غيرها. قالوا: نصوم و نصلّي و لانزكّي، فقاتل الصّدّيق جميعهم، و بعث خالد بن الوليد إليهم بالجيوش، فقاتلهم و سباهم، على ما هو مشهور من أخبارهم. (٦: ٢١٩)

البَيْضاويّ: قرأه على الأصل نافع و ابن عامر، و هو كذلك في الإمام، و الباقون بالإدغام. و هذا من الكائنات الّتي أخبر الله تعالى عنها قبل وقوعها، و قد ارتدّ من العرب في أواخر عهد رسول الله ﷺ ثلاث فرق، بنو مدلج، و كان رئيسهم ذا الخمار الأسود العنسيّ، تنبّأ باليمن و استولى على بلاده، ثمّ قتله فيروز الدّيلميّ ليلة قُبض رسول الله ﷺ من غدها، و أخبر الرّسول ﷺ في تلك اللّيلة فسرّ المسلمون، و أتى الخبر في أواخر ربيع الأوّل.

و بنو حنيفة أصحاب مسيلمة تنبّأ و كتب إلى رسول الله ﷺ «من مسيلمة رسول الله إلى محمّد رسول الله ﷺ أمّا بعد: فإنّ الأرض نصفها لي و نصفها لك» فأجاب: من محمّد رسول الله ﷺ إلى مسيلمة الكذّاب: «أمّا بعد: ﴿فَاِنَّ الْاَرْضَ لِلّٰهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾» الأعراف: ١٢٨، فحاربه أبوبكر بجند من المسلمين، و قتله وحشي قاتل حمزة.

و بنو أسد قوم طليحة بن خُوَيْلد تنبّأ، فبعث إليه رسول الله ﷺ خالدًا، فهرب بعد القتال إلى الشّام ثمّ أسلم و حسن إسلامه.

و في عهد أبي بكر رضي الله عنه سبع: فزارة قوم عيينة بن حصن، و غطفان قوم قرّة بن سلمة القشيريّ، و بنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل، و بنو يربوع قوم مالك بن نويرة، و بعض تميم قوم سجّاح بنت المنذر المتنبّئة زوجة مسيلمة، و كندة قوم الأشعث بن قيس،

و بنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطيم بن زيد. وكفى الله أمرهم على يده. و في إمارة عمر رضي الله تعالى عنه غسّان قوم جبلة بن الأيهم تنصّر و سار إلى الشّام. (١: ٢٧٩)

نحوه أبو السُّعود (٢: ٢٨٧)، و البُرُوسَوِيّ (٢: ٤٠٤).

النّسَفيّ: من يرجع منكم عن دين الإسلام إلى ما كان عليه من الكفر (يَرْتَدِدْ) مدنيّ و شاميّ. (١: ٢٨٨)

أبو حَيّان: ﴿مَنْ يَرْتَدَّ...﴾ ابن كعب و الضّحّاك و الحسَن و قَتادَة و ابن جُرَيْج و غيرهم: نزلت خطابًا للمؤمنين عامّة إلى يوم القيامة. و ﴿مَنْ يَرْتَدَّ﴾ جملة شرطيّة مستقلّة، و هي إخبار عن الغيب. و تعرّض المفسّرون هنا لمن ارتدّ في قصّة طويلة نختصرها. [ثمّ أدام الكلام نحو ما تقدّم عن البَيْضاويّ] (٣: ٥١٠)

السّمين: قوله تعالى: ﴿مَنْ يَرْتَدَّ﴾ (مَنْ) شرطيّة فقط لظهور أثرها، و قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ﴾ جوابها، و هي مبتدأة. و في خبرها الخلاف المشهور، و بظاهره يتمسّك من لا يشترط عود ضمير على اسم الشّرط من جملة الجواب، و من التزم ذلك قدّر ضميرًا محذوفًا، تقديره: فسوف يأتي الله بقوم غيرهم فـ«هم» في «غيرهم» يعود على (مَنْ) على معناها.

و قرأ ابن عامر و نافع (يَرْتَدِدْ) بدالين. قال الزّمَخْشَريّ: و هي في الإمام، يعني رسم المُصحف كذلك، و لم يبيّن ذلك.

ونقل غيره أنّ كلّ قارئ وافق مُصْحفَه، فإنّها في مصاحف الشّام و المدينة، (يَرْتَدِدْ) بدالين، و في الباقية: ﴿يَرْتَدَّ﴾، و قد تقدّم أنّ الإدغام لغة تميم، و الإظهار لغة الحجاز، و أنّ وجه الإظهار سكون الثّاني جزمًا أو وقفًا، و لا يُدغَم إلّا في متحرّك. و أنّ وجه الإدغام تحريك هذا السّاكن في بعض الأحوال، نحو: رُدّا، رُدّوا، رُدّي، و لم يَرُدّا، و لم يَرُدّوا، و ارْدُدِ القوم، ثمّ حُمِل لم يَرُدّ و رُدّ على ذلك، فكأنّ التّميميّين اعتبروا هذه الحركة العارضة، و الحجازيّين لم يعتبروها. (٢: ٥٤٧)

الشَّوْكانيّ: قرأ أهل المدينة و الشّام (يَرْتَدِدْ) بدالين بفكّ الإدغام، و هي لغة تميم، و قرأ غيرهم بالإدغام. و هذا شروع في بيان أحكام المرتدّين بعد بيان أنّ موالاة الكافرين من المسلم كفر، و ذلك نوع من أنواع الرِّدّة. (٢: ٦٥)

عزّة دروزة: و في هذه الآيات:

١ ـ نداء للمؤمنين، فيه تحذير من الارتداد عن دينهم و إنذار لهم، و هوان ذلك على الله إن هم فعلوه، فارتدادهم لن يضرّ الله و إنّما يضرّهم. و إن الله لقادر في مثل هذه الحالة على الإتيان بمؤمنين آخرين مخلصي الإيمان يحبّهم و يحبّونه، رحماء مشفقين على إخوانهم، أشدّاء قساة على أعدائهم. يجاهدون في سبيل الله و لا يخافون لومة لائم، و لا دوران دائرة.

٢ ـ و تقرير على سبيل التّعقيب على النّهي و التّحذير، وجّه فيه الخطاب إلى المؤمنين أيضًا، فلا يصحّ أن يكون لهم وليّ غير الله و رسوله، و المؤمنين المخلصين القائمين بجميع واجباتهم نحو الله و النّاس بالصّلاة و الزّكاة. فهم فقط أولياؤهم حصرًا.

و إنّ من يتولّى الله و رسوله و المؤمنين المخلصين هو من حزب الله، و إنّ حزب الله هو الغالب.

٣ ـ و نهي آخر موجّه للمؤمنين، كذلك بعدم اتّخاذ أهل الكتاب و الكفار الّذين يتّخذون دينهم هزوًا و لعبًا أولياء. و حثّ لهم على تقوى الله إن كانوا مؤمنين حقًّا و التزام أوامره و نواهيه.

٤ ـ و بيان تذكيري ببعض تصرّفات الّذين ينهون عن اتّخاذهم أولياء، فهم إذا أذّن المؤذّن إلى الصّلاة اتّخذوا ذلك وسيلة للسخريّة و الغمز، و هم إنّما يفعلون ذلك، لأنّهم قوم قد ضلّت عقولهم عن فهم الحقّ و اتّباعه، و الوقوف عنده. (١١: ١٣٢)

ابن عاشور: جملة ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ...﴾ معترضة بين ما قبلها و بين جملة ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ﴾ المائدة: ٥٥، دعت لاعتراضها مناسبة الإنذار في قوله: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ المائدة: ٥١، فتعقيبها بهذا الاعتراض إشارة إلى أنّ اتّخاذ اليهود و النّصارى أولياء ذريعة للارتداد، لأنّ استمرار فريق على موالاة اليهود و النّصارى من المنافقين و ضعفاء الإيمان، يخشى منه أن ينسلّ عن الإيمان فريق. و أنبأ المتردّدين ضعفاء الإيمان بأنّ الإسلام غنيّ عنهم إن عزموا على الارتداد إلى الكفر.

[ثمّ نقل القراءتين إلى أن قال:]

و الارتداد مطاوع الرّدّ، و الرّدّ هو الإرجاع إلى مكان أو حالة، قال تعالى: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾ ص: ٣٣.

و قد يطلق الرّدّ بمعنى التّصيير ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾ النّحل: ٧٠، و قد لوحظ في إطلاق اسم الارتداد على الكفر بعد الإسلام ما كانوا عليه قبل الإسلام من الشّرك و غيره، ثمّ غلب اسم الارتداد على الخروج من الإسلام، و لو لم يسبق للمرتدّ عنه اتّخاذ دين قبله. (٥: ١٣٤)

مَغْنِيَّة: الارتداد، هو الكفر بعد الإسلام، و ذكرنا المرتدّ و تقسيمه إلى مرتدّ عن ملّة و فطرة، و حكم كلّ منهما عند تفسير الآية ٢١٧، من سورة البقرة ج: ١ ص: ٣٢٥. و النّهي عن الارتداد بعد النّهي عن موالاة أعداء الدّين يشعر بأنّ هذه الموالاة قد تؤدّي إلى الارتداد عن الإسلام. و في الحديث: « لو أنّ راعيًا رعى إلى جنب الحمى لم يثبت غنمه أن يقع في وسطه ».

و قال أهل السّيَر و التّاريخ: أنّ ثلاثة ارتدّوا، و ادّعوا النّبوّة، على عهد رسول الله ﷺ بعد أن آمنوا به:

الأوّل: الأسود العنسيّ، تنبّأ في اليمن، و أخرج عمّال رسول الله ﷺ منها، و لكنّه قُتل قبل وفاة النّبيّ ﷺ بيوم واحد.

الثّاني: مُسيلمة الكذّاب، ادّعى النّبوّة، و كتب إلى محمّد ﷺ: « من مُسيلمة رسول الله إلى محمّد رسول الله، أمّا بعد: فإنّي شريك معك في الأمر، و الأرض بيننا مناصفة ». و قُتل في عهد أبي بكر.

الثّالث: طلحة بن خويلد، ادّعى النّبوّة، ثمّ عاد و أسلم.

أمّا سجاح فقد ادّعت النّبوّة في خلافة أبي بكر، و تزوّجها مسيلمة. [ثمّ استشهد بشعر]

و تسأل: أنّ بعض الشّيوخ لا تتوافر فيهم شروط

المجتهد الّذي عناه الإمام ﷺ بقوله: «صائنًا لنفسه، حافظًا لدينه، مخالفًا لهواه، مطيعًا لأمر مولاه»، و مع ذلك يدّعي النّيابة عن المعصوم في الفُتيا و القضاء، و أنّ الرّادّ عليه رادّ على الله، فهل حكم هذا ـ تمامًا ـ كحكم مُسيلمة الكذّاب، لأنّ كلًّا منهما يفتري على الله كذبًا؟

الجواب: يكون بحكم مسيلمة الكذّاب بشرطين: الأوّل: أن يدّعي النّيابة عن المعصوم، و هو يعلم بأنّه مفتر كذّاب، و أنّه ليس أهلًا لهذه الدّعوى.

الشّرط الثّاني: أن لايرى الاجتهاد و العدالة من الشّروط الأساسيّة للنّيابة عن المعصوم، مع علمه بأنّهما واجبان بحكم البديهة الدّينيّة، و هذا الفرض بعيد جدًّا، فإنّ من يدّعي النّيابة عن المعصوم يرى نفسه من أهل العدالة و الاجتهاد، حتّى و لو لم يكن مطيعًا لمولاه، و مخالفًا لهواه.

و ليس من شكّ أنّ هذا يفترق عن مُسيلمة الكذّاب من حيث الارتداد، و لكنّه يلتقي معه من حيث الكذب و الغُرور. و بديهة أنّ العلم و الغرور ضدّان لايجتمعان تمامًا كالكذب و العدالة، لأنّ الغرور يبعد صاحبه عن واقعه، و يفصله عن نفسه، و ينتقل به إلى عالم الأوهام و الأحلام. و من كان هذا شأنه فلايهتدي إلى صواب. (٣: ٧٦)

الطَّباطَبائيّ: ارتدّ عن دينه: رجع عنه، و هو في اصطلاح أهل الدّين الرّجوع من الإيمان إلى الكفر، سواء كان إيمانه مسبوقًا بكفر آخر، كالكافر يؤمن ثمّ يرتدّ، أو لم يكن، و هما المسمّيان بالارتداد الملّيّ و الفطريّ، حقيقة شرعيّة أو متشرّعيّة.

ربما يسبق إلى الذّهن أنّ المراد بالارتداد في الآية هو ما اصطلح عليه أهل الدّين، و يكون الآية على هذا غير متّصلة بما قبلها، و إنّما هي آية مستقلّة تحكي عن نحو استغناء من الله سبحانه، عن إيمان طائفة من المؤمنين بإيمان آخرين.

لكنّ التّدبّر في الآية و ما تقدّم عليها من الآيات، يدفع هذا الاحتمال، فإنّ الآية على هذا تذكّر المؤمنين بقدرة الله سبحانه على أن يُعْبَد في أرضه، و أنّه سوف يأتي بأقوام لايرتدّون عن دينه، بل يلازمونه، كقوله تعالى: ﴿فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ الأنعام: ٨٩، أو كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ آل عمران: ٩٧، و قوله تعالى: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا اَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْاَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ إبراهيم: ٨.

و المقام الّذي هذه صفته لايقتضي أزيد من التّعرّض لأصل الفرض، و هو الإخبار بالإتيان بقوم مؤمنين لايرتدّون عن دين الله. (٥: ٣٧٩)

مكارم الشّيرازيّ: بعد الانتهاء من موضوع المنافقين، يأتي الكلام ـ في هذه الآية الكريمة ـ عن المرتدّين الّذين تنبأ القرآن بارتدادهم عن الدّين الإسلاميّ الحنيف، و هذه الآية أتت بقانون عامّ يحمل إنذارًا لجميع المسلمين، فأكّدت أنّ من يرتدّ عن دينه، فهو لن يضرّ الله بارتداده هذا أبدًا، و لن يضرّ الدّين و لاالمجتمع الإسلاميّ أو تقدّمه السّريع، لأنّ الله كفيل بإرسال من لديهم الاستعداد في حماية هذا الدّين؛ حيث تقول الآية الكريمة: ﴿يَاءَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا مَنْ

يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ﴾. (٤٠:٤)

فضل الله: المؤمنون المخلصون واستبدالهم بالمرتدّين.

هل كان هناك حالة ارتداد عن الدّين، في مستوى الظّاهرة، ليأتي هذا النّداء الحاسم الّذي يوحي بالتهديد من جهة، والاستهانة من جهة أخرى؟ لأنّ هؤلاء الّذين يواجهون الموقف بهذا الأسلوب قد يتخيّلون أنّ ذلك يضعف الإسلام، ويوهن قوّة المسلمين، لما يرونه لأنفسهم من الأهمّيّة الكبرى في داخل المجتمع الإسلاميّ؛ بحيث لا يستطيع المجتمع أن يجد بديلًا عنهم، كالكثيرين من النّاس الّذين يُعطون لأنفسهم دورًا أكبر من دورهم، في ما يُخيّل إليهم من ضخامة شخصيّتهم، بالحجم الّذي لا يسدّ مسدّه أحد؟

وقد لا يكون من الضّروريّ أن يكون الموقف بهذه الخطورة، على هذا المستوى، بل قد تكون الآية تابعةً للجوّ الّذي انطلقت فيه الآيات السّابقة الّتي كانت تشير ـ بطريقة إيحائيّة وتقريريّة ـ إلى النّماذج الّتي تقدّم لغير المسلمين فروض الطّاعة والولاء، في أساليب متنوّعة تُمثّل التّنازل الفكريّ والعمليّ عن كثير من قضايا الإسلام المهمّة، ممّا يوحي بارتداد واقعيّ عن الخطّ الإسلاميّ، وبالتّالي ابتعاد عن الدّين. وقد يؤدّي ذلك إلى الخروج منه كلّيًّا بشكل رسميّ في الحالات الضّاغطة الّتي تفرض عليهم الاندماج في المجتمع الآخر، نظرًا إلى ضعف العقيدة والوازع الدّينيّ في أنفسهم، وقوّة الدّافع الذّاتيّ في نوازعهم. وربّما كان هذا أقرب إلى جوّ الآيات الّتي تعمل على أن تمارس ضدّ هؤلاء لونًا من ألوان الضّغط النّفسيّ، بالإيحاء لهم بأنّهم لا يُمثّلون الكثير من مواقع القوّة في المجتمع الإسلاميّ، بل هم مجرّد مرحلة تافهة، لا قيمة لها في جوانبها السّلبيّة والإيجابيّة!

فهناك أكثر من مرحلة من مراحل التّطلّع الإسلاميّ إلى المستقبل، في ما تُبشّر به خطوات الطّلائع الإسلاميّة الجديدة الّتي عاشت الإسلام في أعماقها الفكريّة والشّعوريّة حبًّا لله، وفناءً في طاعته، وخوفًا منه، وسارت على الخطّ المستقيم في الاتّجاه السّليم الّذي يؤدّي إلى رضوانه. وبذلك فلابدّ من أن يعرف هؤلاء، وغيرهم من الّذين يعتبرون الحياة خاضعة لمواقفهم السّلبيّة والإيجابيّة في وجودها وفنائها، أنّ الله سيأتي بقوم لا يشبهونهم في كلّ مواقف الاهتزاز والتّذبذب، بل يمثّلون الصّدق في العقيدة، والثّبات في الموقف، والاستقامة في الطّريق، والوضوح في الرّؤية. فهم قد حازوا محبّة الله لهم، لأنّهم أطاعوه حقّ طاعته، وعبدوه حقّ عبادته، وهم يحبّون الله حبًّا ملك عليهم فكرهم وشعورهم، لأنّهم عرفوه في آفاق عظمته ومواقع نعمه.

فإذا انطلقوا في الحياة الاجتماعيّة العمليّة، فإنّ مواقفهم تجاه الآخرين، تتحدّد بالخطّ الّذي يلتزم به هؤلاء الآخرون، فإذا كان الخطّ إيمانًا وسلامًا وصلاحًا، فهم المتواضعون الّذين يخفضون للمؤمنين جناح الذّلّ، من دون أن يعانوا أيّة عُقدة في ذلك كلّه، لأنّهم لا يعيشون المشاعر الذّاتيّة في علاقتهم بهؤلاء، لأنّ العلاقة بالله هي القاعدة الّتي يتمسّك بها الجميع،

و لأنّ الإسلام اعتبر أفراد المجتمع المؤمن كالجسد الواحد، فلااثنينيّة لتتحرّك النّوازع الفرديّة في نطاقها الذّاتيّ المعقّد. و إذا كان الخطّ كفرًا و فسادًا و ظلمًا و شرًّا، فهم الأعزّاء الّذين لايتنازلون بل يترفّعون، لأنّ القضيّة ليست قضيّة إنسانيّة تتحرّك في خطوات المشاعر، بل هي رساليّة تتميّز في حساب المواقف. فليس هنا إنسان يترفّع عن إنسان، بل عقيدة تعلو عقيدة، و حركة تواجه حركة، و رسالة ترتفع فوق استعراضات المنافع.

و من هنا جاء هذا النّداء الإلهيّ لهم: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ﴾ فإذا واجهوا التّحدّيات، و وقف الكفر في جانب ليحارب تعاليم الله و شرائعه، و يهاجم عقيدة الحقّ و رسالته، كانوا في المواقع الصّلبة الصّعبة شرارةً من نار، و يقظةً من نور، و حركةً من فكر، و صرخةً من حقّ، و موقفًا من عدل، و جهادًا في معركة، و انطلاقةً في سبيل الله، فهم الأشدّاء الثّابتون الّذين لايتزلزلون و لايرتبكون، و هم الواثقون بالحقّ ثقتهم بالله.

فقد يسمعون اللّائمين الّذين يأخذون عليهم قسوة موقفهم و صلابة رأيهم، و يطلبون منهم التّراجع عن ذلك ليحصلوا على رضى هذا الفريق و ذاك، و لكنّهم يرفضون ذلك بإباء و إيمان، لأنّ الموقف ليس ملك أيديهم، بل هو ملك الله، فلايملكون حرّيّة الانسحاب لو أرادت منهم أنفسهم ذلك، و لاتأخذهم في الله لومة لائم، و ذلك هو فضل الله عليهم، بأن مَنّ عليهم بهدى الإيمان و إشراقة الحقّ؛ بحيث يتحوّل الإنسان إلى ينبوع من النّور، يتدفّق بكلّ أريحيّات اللّطف الإلهيّ، و الله واسع في رحمته و لطفه و رضوانه و رعايته لعباده المؤمنين، عليم بما يحتاجون إليه في المراحل الصّعبة من جهادهم في طريق الله.

و لكن، هل تُشير الآية إلى جماعة معيّنة من هؤلاء المؤمنين المخلصين؟ ربّما كانت بعض الأحاديث أو التّفاسير تتضمّن الإشارة إلى ذلك، و لكنّ هذا داخل في عالم التّطبيق، على بعض الأفراد الطّليعيّين الّذين عاشوا في عصور الإسلام الذّهبيّة، في عهد الدّعوة و الجهاد، لأنّ الآية تسير مع الزّمن، لتوحي لكلّ جيل من أجيال المسلمين، أنّ الإسلام هو الرّسالة الّتي يجب عليه أن يحتضنها و يرعاها بكلّ قوّة، و أن يستمرّ عليها بكلّ إخلاص، و أنّ عليه أن يعي جيّدًا دوره، فلايغترّ أبدًا بحجم هذا الدّور بالمستوى الّذي يُخيّل إليه أنّ الإسلام سوف يموت و يزول إذا ابتعد ـ هو ـ عن السّاحة، فإنّ هناك أكثر من جيل في علم الله، ينتظر الفرصة الّتي ينتصر فيها للإسلام، بعيدًا عن كلّ زهو و عظمة و خيلاء.

و ربّما كان لنا أن نستوحي من هذه الآية، كيف يجب أن تتركّز التّربية الإسلاميّة في علاقة القيادة بالقاعدة و بالعكس، فلامجال للفكرة الّتي تقول إنّ غياب القيادة المعيّنة أو انحرافها أو ارتدادها، يُلغي الدّور المستقبليّ للإسلام، لأنّ هذه القيادة أو تلك، تُمثّل القاعدة الأساسيّة الّتي يرتكز عليها الإسلام. و لامجال ـ أيضًا ـ للفكرة المماثلة الّتي قد تُعتَبر اهتزاز القاعدة و ضياعها و ارتدادها، كفيلًا باهتزاز الإسلام

وسقوطه، لأنّ الله سبحانه هو الّذي يكفل مسيرة هذا الدّين، ويخلق له ـ في كلّ زمن ـ أناسًا مخلصين ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾، ليعرف كلّ إنسان وكلّ جيل حجمه الطّبيعيّ أمام الله وأمام رسالته. ﴿ذٰلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾. (٨: ٢٢٢)

٢ ـ ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤُسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ ابراهيم: ٤٣

ابن عبّاس: لا يرجع إليهم أبصارهم من الهول والفزع. (٢١٥)

شاخصة أبصارهم. (الطّبريّ ٧: ٤٧٠)

الطّبريّ: لا ترجع إليهم لشدّة النّظر أبصارهم. (٧: ٤٧٠)

الماوَرْديّ: أي لا يرجع إليهم طرفهم. (٣: ١٤١)

الطّوسيّ: لا ترجع إليهم أعينهم ولا يطبقونها. (٦: ٣٠٤)

نحوه الطّبْرسيّ. (٣: ٣٢١)

الواحديّ: لا ترجع إليهم أبصارهم من شدّة النّظر، فهي شاخصة. (٣: ٣٥)

نحوه البغويّ (٣: ٤٥)، والقُرطُبيّ (٩: ٣٧٧).

الزّمَخْشَريّ: لا يرجع إليهم أن يطرقوا بعيونهم، أي لا يطرفون، ولكن عيونهم مفتوحة ممدودة من غير تحريك للأجفان. أو لا يرجع إليهم نظرهم، فينظروا إلى أنفسهم. (٢: ٣٨٢)

البَيْضاويّ: بل بقيت عيونهم شاخصة لا تطرف، أو لا يرجع إليهم نظرهم فينظرون إلى أنفسهم. (١: ٥٣٤)

نحوه النّسَفيّ (٢: ٢٦٥)، والكاشانيّ (٣: ٩٥)، والمشهديّ (٥: ٢٠٩).

أبو السُّعود: أي لا يرجع إليهم تحريك أجفانهم، حسبما كان يرجع إليهم كلّ لحظة، بل تبقى أعينهم مفتوحة لا تطرف، أو لا ترجع إليهم أجفانهم الّتي هي آلة الطّرف، فيكون إسناد الرّجوع إلى الطّرف مجازيًّا، أو هو نفس الجفن. (٣: ٤٩٧)

نحوه البُرُوسَويّ (٤: ٤٣١)، والآلوسيّ (١٣: ٢٤٦).

شُبّر: لا يغمضون عيونهم بل هي شاخصة دائمًا. (٣: ٣٦٦)

ابن عاشور: لا يرجع إليهم، أي لا يعود إلى معتاده، أي لا يستطيعون تحويله. فهو كناية عن هول ما شاهدوه بحيث يبقون ناظرين إليه، لا تطرف أعينهم. (١٢: ٢٦٧)

مَغْنيّة: أبصارهم شاخصة لا تغمض ولا تطرف من الدّهشة والذّهول. (٤: ٤٥٥)

الطَّباطَبائيّ: أي لا يقدرون على أن يطرفوا من هول ما يشاهدونه. (١٢: ٨٢)

حسنين مخلوف: أي لا ترجع إليهم أجفانهم الّتي يكون فيها الطّرف، أي التّحريك. (١: ٤١٥)

مكارم الشّيرازيّ: لا يقدرون على أن يطرفوا من شدّة الهول، وكأنّ أعينهم كأعين الأموات عاطلة

عن العمل. (٧: ٤٦٧)

فضل الله: لا يطرفون بعيونهم من الخوف و الحذر. (١٣: ١٢٣)

٣ـ قَالَ الَّذِى عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ اَنَا اٰتِيكَ بِهِ قَبْلَ اَنْ يَرْتَدَّ اِلَيْكَ طَرْفُكَ... النّمل: ٤٠

ابن عبّاس: قبل أن يبلغ إليك الشّيء الّذي رأيته من بعيد. (٣١٨)

قبل أن يعود طرفك إلى مدّ بصرك.

مثله مُجاهِد. (الماوَرْديّ ٤: ٢١٣)

سعيد بن جُبَيْر: من قبل أن يرجع إليك أقصى من ترى، فذلك قوله: ﴿قَبْلَ اَنْ يَرْتَدَّ اِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾.

[و في رواية] ارفع طَرْفَك من حيث يجيء، فلم يرجع إليه طرفه حتّى وضع العرش بين يديه.

(الطّبَريّ ٩: ٥٢٤)

يعني قبل أن يرجع إليك أقصى من تركت، و هو أن يصل إليك من كان منك على مَدّ بصرك.

(الثّعلبيّ ٧: ٢١١)

مُجاهِد: إذا مدّ البصر حتّى يردّ الطّرف خاسئًا.

(الطّبَريّ ٩: ٥٢٤)

يعني مدّ بصرك ما بينك و بين الحيرة، و هو يومئذ في كندة. (الثّعلبيّ ٧: ٢١٢)

إنّ ذلك على وجه المبالغة في السّرعة.

(الطّوسيّ ٨: ٩٦)

وَهْب بن مُنَبِّه: تمدّ عينيك فلا ينتهي طرفك إلى مداه حتّى أُمَثّله بين يديك. (الطّبَريّ ٩: ٥٢٤)

قَتادَة: قبل أن يأتيك الشّخص من مدّ البصر.

(الطّبَريّ ٩: ٥٢٤)

هو أن يبعث رسولًا إلى منتهى طرفه، فلا يرجع حتّى يؤتى به. (الثّعلبيّ ٧: ٢١٢)

الفَرّاء: يقول: قبل أن يأتيك الشّيء من مَدّ بصرك. (٢: ٢٩٤)

ابن قُتَيْبَة: قيل في تفسير أبي صالح: قبل أن يأتيك الشّيء من مَدّ البصر. و يقال: بل أراد قبل أن تطرف.

(٣٢٤)

الطّبَريّ: اختلف أهل التّأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه: أنا آتيك به قبل أن يصل إليك من كان منك على مَدّ البصر.

و قال آخرون: بل معنى ذلك: من قبل أن يبلغ طرفك مَداه و غايته.

و أولى القولين في ذلك بالصّواب قول من قال: قبل أن يرجع إليك طرفك من أقصى أثره؛ و ذلك أنّ معنى قوله: ﴿يَرْتَدُّ اِلَيْكَ﴾: يرجع إليك البصر، إذا فتحت العين غير راجع، بل إنّما يمتدّ ماضيًا إلى أن يتناهى ما امتدّ نوره. فإذا كان ذلك كذلك، و كان الله إنّما أخبرنا عن قائل ذلك: ﴿اَنَا اٰتِيكَ بِهِ قَبْلَ اَنْ يَرْتَدَّ﴾ لم يكن لنا أن نقول: أنا آتيك به قبل أن يرتدّ راجعًا ﴿اِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ من عند منتهاه. (٩: ٥٢٤)

الزّجّاج: أي بمقدار ما يبلغ البالغ إلى نهاية نظرك ثمّ يعود إليك. و قيل: في مقدار ما تفتح عينك ثمّ تُطْرِف. و هذا أشبه بارتداد الطَّرْف، و مثله من الكلام: فعل ذلك في لحظة عين، أي في مقدار ما نظر نظرة واحدة.

(٤: ١٢١)

أبومسلم الأصفهانيّ: قبل الوقت الّذي تنتظر وروده فيه، من قولهم: أنا ممدّ الطّرف إليك، أي منتظر لك. (الماوَرْديّ ٤: ٢١٣)

الماوَرْديّ: فيه ستّة أوجه:

أحدها: [قول سعيدبن جُبَيْر]

الثّاني: [القول الثّالث من ابن عبّاس]

الثّالث: قبل أن يعود طرفك إلى مجلسك، قاله إدريس.

الرّابع: [قول أبي مسلم الأصفهانيّ]

الخامس: قبل أن يرجع طرف رجائك خائبًا، لأنّ الرّجاء يمدّ الطّرف، والإياس يقصر الطّرف.

السّادس: قبل أن ينقص طرفك بالموت، أخبره أنّه سيأتيه قبل موته. (٤: ٢١٣)

الطّوسيّ: قيل: في معناه قولان:

أحدهما: قال مُجاهِد: إنّ ذلك على وجه المبالغة في السّرعة.

الثّاني: قال قَتادَة: معناه: قبل أن يرجع إليك ما يراه طرفك. وقيل: قبل أن يرجع طرفك خاسئًا إذا فتحتها وأدمتَ فتحها. وقيل: قبل أن تفتحها وتطبقها. وقيل: حمل العرش من مَأرب إلى الشّام في مقدار رجع البصر. وقيل: شقّت عنه الأرض فظهر. وقيل يجوز أن يكون الله أعدمه ثمّ أوجده في الثّاني بلافصل، بدعاء الّذي عنده علم من الكتاب، وكان مستجاب الدّعوة، إذا دعا باسم الله الأعظم. ويكون ذلك معجزة له. وقال قوم: كان ذلك معجزة لسليمان. وفي الكلام حذف، لأنّ تقديره: أنا آتيك به قبل أن يرتدّ إليك طرفك فأتاه به. (٨: ٩٦)

الواحديّ: قال سعيد بن جُبَيْر: قال لسليمان: انظر إلى السّماء، فما طرف حتّى جاء به، فوضعه بين يديه. والمعنى: حتّى يعود إليك طرفك بعد مدّة إلى السّماء. وقال مُجاهِد: معنى ارتداد الطّرف، إدامة النّظر حتّى يرتدّ إليه طرفه خاسئًا. وعلى هذا معنى الآية أنّ سليمان يمدّ بصره إلى أقصاه، وهو يديم النّظر، فقبل أن ينقلب إليه بصره حسيرًا يكون قد أتي بالعرش.

قال محمّد بن إسحاق: انخرق مكان العرش حيث هو هناك، ثمّ نبع بين يدي سليمان. ونحو هذا روى عِكْرِمَة عن ابن عبّاس، قال: جرى تحت الأرض حتّى نبع بين يدي سليمان. وقال الكَلْبيّ: خرّ آصف ساجدًا ودعا باسم الله الأعظم، فغار عرشها تحت الأرض حتّى نبع عند كرسيّ سليمان.

وقال أهل المعاني: لاينكر من قدرة الله أن يعدمه من حيث كان، ثمّ يوجده حيث كان سليمان بلافصل، بدعاء الّذي عنده علم من الكتاب، ويكون كرامة للوليّ، ومعجزة للنّبيّ. (٣: ٣٧٨)

المَيْبُديّ: ارتداد الطّرف، أن يرجع إلى النّاظر من رؤية شيء كان ينظر إليه. (٧: ٢٢٣)

الزّمَخْشَريّ: معنى قوله: ﴿قَبْلَ اَنْ يَرْتَدَّ اِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ أي أنّك تُرسل طرفك إلى شيء، فقبل أن تردّه أبصرت العرش بين يديك. ويروى: أنّ آصف قال لسليمان ﷺ: مدّ عينك حتّى ينتهي طرفك، فمدّ عينيه فنظر نحو اليمين، ودعا آصف فغار العرش في

مكانه بمأرب، ثمّ نبع عند مجلس سليمان عليه السلام بالشّام بقدرة الله قبل أن يردّ طرفه.

و يجوز أن يكون هذا مثلًا لاستقصار مدّة المجيء به، كما تقول لصاحبك: افعل كذا في لحظة و في ردّة طرف، و التفت ترني، و ما أشبه ذلك، تريد السّرعة.

(٣: ١٤٩)

نحوه النّسفيّ. (٣: ٢١٣)

الطَّبْرسيّ: اختلف في معناه، فقيل: يريد قبل أن يصل إليك من كان منك على قدر مدّ البصر، عن قَتادَة. و قيل: معناه: قبل أن يبلغ طرفك مداه و غايته و يرجع إليك. قال سعيد بن جُبَيْر: قال: لسليمان انظُر إلى السّماء، فما طرف حتّى جاء به فوضعه بين يديه، و المعنى: حتّى يرتدّ إليك طرفك بعد مدّه إلى السّماء. و قيل: إرتداد الطّرف، إدامة النّظر حتّى يرتدّ طرفه خاسئًا، عن مُجاهِد.

فعلى هذا معناه: أنّ سليمان مدّ بصره إلى أقصاه، و هو يُديم النّظر، فقبل أن ينقلب بصره إليه حسيرًا، يكون قد أتى بالعرش. قال الكَلْبيّ: خرّ آصف ساجدًا، و دعا باسم الله الأعظم، فغار عرشها تحت الأرض، حتّى نبع عند كرسيّ سليمان.

و ذكر العلماء في ذلك وجُوهًا:

أحدها: أنّ الملائكة حملته بأمر الله تعالى.

و الثّاني: أنّ الرّيح حملته.

و الثّالث: أنّ الله تعالى خلق فيه حركات متوالية.

و الرّابع: أنّه انخرق مكانه حيث هو هناك، ثمّ نبع بين يدي سليمان.

و الخامس: أنّ الأرض طويت له، و هو المرويّ عن أبي عبد الله عليه السلام.

و السّادس: أنّه أعدمه الله في موضعه، و أعاده في مجلس سليمان. و هذا لا يصحّ على مذهب أبي هاشم، و يصحّ على مذهب أبي عليّ الجُبّائيّ، فإنّه يُجوّز فناء بعض الأجسام دون بعض. و في الكلام حذف كثير، لأنّ التّقدير: قال سليمان له: افعَل، فسأل الله تعالى في ذلك، فحضر العرش. (٤: ٢٢٣)

الفَخْرالرّازيّ: اختلفوا في قوله: ﴿قَبْلَ اَنْ يَرْتَدَّ اِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ على وجهين:

الأوّل: أنّه أراد المبالغة في السّرعة، كما تقول لصاحبك: افعل ذلك في لحظة، و هذا قول مُجاهِد.

الثّاني: أن نُجريه على ظاهره، و الطّرف تحريك الأجفان عند النّظر، فإذا فتحت الجفن فقد يُتوهّم أنّ نور العين امتدّ إلى المرئيّ، و إذا أغمضت الجفن فقد يُتوهّم أنّ ذلك النّور ارتدّ إلى العين، فهذا هو المراد من ارتداد الطّرف.

و هاهنا سؤال: و هو أنّه كيف يجوز و المسافة بعيدة أن ينقل العرش في هذا القدر من الزّمان، و هذا يقتضي إمّا القول بالطّفرة أو حصول الجسم الواحد دفعة واحدة في مكانين.

جوابه: أنّ المهندسين قالوا: كرة الشّمس مثل كرة الأرض مائة و أربعة و ستّين مرّة، ثمّ إنّ زمان طلوعها زمان قصير، فإذا قسمنا زمان طلوع تمام القرص على زمان القدر الّذي بين الشّام و اليمن، كانت اللّمحة كثيرة، فلمّا ثبت عقلًا إمكان وجود هذه الحركة

السّريعة، و ثبت أنّه تعالى قادر على كلّ الممكنات، زال السّؤال. (٢٤: ١٩٨)

البَيْضاويّ: و المعنى إنّك تُرسل طرفك نحو شيء، فقبل أن تردّه أحضر عرشها بين يديك، و هذا غاية في الإسراع و مثل فيه. (٢: ١٧٧)

أبو السُّعود: الطّرف: تحريك الأجفان و فتحها للنّظر إلى شيء، و ارتداده: انضمامها، و لكونه أمرًا طبيعيًّا غير منوط بالقصد أوثر الارتداد على الرّدّ.

و لـمّا لم يكن بين هذا الوعد و إنجازه مدّة كما في وعد العفريت، استغنى عن التّأكيد، و طُوي عند الحكاية ذكر الإتيان به، للإيذان بأنّه أمر متحقّق غنيّ عن الإخبار به، و جيء بالفاء الفصيحة ـ لا داخلة على جملة معطوفة على جملة مقدّرة دالّة على تحقّقه فقط، كما في قوله عزّ و جلّ: ﴿أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ﴾ الشّعراء: ٦٣، و نظائره ـ بل داخلة على الشّرطيّة، حيث قيل: ﴿فَلَمَّا رَاٰهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ﴾. (٥: ٨٥)

نحوه البُرُوسَويّ (٦: ٣٤٩)، و الآلوسيّ (١٩: ٢٠٤).

ابن عاشور: ارتداد الطّرف حقيقته: رجوع تحديق العين من جهة منظورة تحوّل عنها لحظة. و عبّر عنه بالارتداد، لأنّهم يعبّرون عن النّظر بإرسال الطّرف و إرسال النّظر، فكان الارتداد استعارة مبنيّة على ذلك. [إلى أن قال:]

و الظّاهر أنّ قوله: ﴿قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ﴾ و قوله: ﴿قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ مثلان في السّرعة و الأسرعيّة. (١٩: ٢٦٤)

الطَّباطَبائيّ: ارتداد الطّرف: وصول المنظور إليه إلى النّفس و علم الإنسان به، فالمراد أنا آتيك به في أقلّ من الفاصلة الزّمانيّة، بين النّظر إلى الشّيء و العلم به.

و قيل: الطّرف، تحريك الاجفان و فتحها للنّظر، و ارتداده، هو انضمامها، و لكونه أمرًا طبيعيًّا غير منوط بالقصد، أوثر الارتداد على الرّدّ، فقيل: ﴿قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ و لم يقل: قبل أن يردّ.

هذا و قد أخطأ، فالطّرف كالتّنفّس من أفعال الإنسان الاختياريّة، غير أنّ الّذي يبعث إليه هو الطّبيعة، كما في التّنفّس، و لذلك لايحتاج في صدوره إلى تروّ سابق، كما يحتاج إليه في أمثال الأكل و الشّرب، فالفعل الاختياريّ ما يرتبط إلى إرادة الإنسان، و هو أعمّ ممّا يسبقه التّرويّ. و الّذي أوقع هذا القائل فيما وقع ظنّه التّساوي بين الفعل الصّادر عن اختيار و الصّادر عن تروّ، و لعلّ النّكتة في إيثار الارتداد على الرّدّ، هي أنّ الفعل لعدم توقّفه على التّرويّ، كأنّه يقع بنفسه لاعن مشيّة من اللّاحظ.

و الخطاب في قوله: ﴿أَنَا اٰتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ لسليمان عليه السلام فهو الّذي يريد الإتيان به إليه، و هو الّذي يراد الإتيان به إليه.

و قيل: الخطاب للعفريت القائل: ﴿أَنَا اٰتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ﴾، و المراد بالّذي عنده علم من الكتاب ـ عند هذا القائل ـ هو سليمان، و إنّما قاله له إظهارًا لفضل النّبوّة، و أنّ الّذي أقدره الله عليه بتعليمه علمًا من الكتاب أعظم ممّا يتبجّح به العفريت

من القدرة. فالمعنى: قال سليمان للعفريت لمّا قال ما قال: أنا آتيك بالعرش قبل ارتداد طرفك.

و قد أصرّ في «التّفسير الكبير» على هذا القول، و أورد لتأييده وجوهًا، و هي وجوه رديئة، و أصل القول لايلائم السّياق، كما أومأنا إليه. (١٥: ٣٦٤)

مكارم الشّيرازيّ: حضور العرش في طرفة عين. [ثمّ نقل قصّة حضور العرش إلى أن قال:]

كما أنّ للمفسّرين احتمالات في جملة ﴿قَبْلَ اَنْ يَرْتَدَّ اِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ لكن بملاحظة الآيات الأخر من القرآن، يمكن معرفة حقيقتها، ففي الآية من سورة إبراهيم نقرأ ﴿لَايَرْتَدُّ اِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾.

و نحن نعرف أنّ الإنسان عندما يستوحش و يذهل، تبقى عيناه مفتوحتان على وتيرة واحدة، كأنّهما عينا ميّت لاتتحرّكان.

فبناءً على ذلك، فالمراد منه أنّي سأحضر عرش ملكة بلقيس قبل أن يتحرّك جفناك. (١٢: ٦٤)

يَرْتَدِدْ

... وَلَايَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتّٰى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ اِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَاُولٰئِكَ حَبِطَتْ اَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا... البقرة: ٢١٧

الطّبريّ: من يرجع منكم عن دينه، كما قال جلّ ثناؤه: ﴿فَارْتَدَّا عَلٰى اٰثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ الكهف: ٦٤، يعني بقوله: ﴿فَارْتَدَّا﴾: رجعا. و من ذلك قيل: استردّ فلان حقّه من فلان، إذا استرجعه منه.

و إنّما أظهر التّضعيف في قوله: ﴿يَرْتَدِدْ﴾ لأنّ لام الفعل ساكنة بالجزم، و إذا سُكّنت فالقياس ترك التّضعيف، و قد تُضعّف و تُدغم و هي ساكنة، بناء على التّثنية و الجمع. (٢: ٣٦٧)

الزّجّاج: ﴿يَرْتَدِدْ﴾ جُزم بالشّرط، و التّضعيف يظهر مع الجزم، لسكون الحرف الثّاني، و هو أكثر في اللّغة. و قرئ (يَاَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ) بالإدغام و الفتح، و هي قراءة النّاس إلّا أهل المدينة، فإنّ في مصحفهم ﴿مَنْ يَرْتَدِدْ﴾ و كلاهما صواب، و الّذي في سورة البقرة لايجوز فيه إلّا ﴿مَنْ يَرْتَدِدْ﴾ لإطباق أهل الأمصار على إظهار التّضعيف، و كذلك هو في مصاحفهم، و القراءة سنّة لاتُخالف، إذا كان في كلّ المصحف الحرف على صورة لم تجز القراءة بغيره.

و يجوز أن تقول: (مَنْ يَرْتَدِ) منكم فتكسر لالتقاء السّاكنين، إلّا أنّ الفتح أجود لانفتاح التّاء، و إطباق القرّاء عليه. (١: ٢٩٠)

الماورديّ: أي يرجع، كما قال تعالى: ﴿فَارْتَدَّا عَلٰى اٰثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ الكهف: ٦٤، أي رجعا، و من ذلك قيل: استردّ فلان حقّه. (١: ٢٧٥)

الطّوسيّ: فهو على إظهار التّضعيف، لسكون الثّاني. و يجوز (يَرْتَدَّ) بفتح الدّال على التّحريك، لالتقاء السّاكنين، و الفتح أجود. (٢: ٢٠٨)

الواحديّ: يعني يبقى على الرّدّة إلى أن يموت. (١: ٣٢٢)

الزّمخشريّ: و من يرجع عن دينه إلى دينهم و يطاوعهم على ردّه إليه. (١: ٣٥٧)

ابن العَرَبي: اختلف العلماء رحمة الله عليهم في المرتدّ، هل يحبط عمله نفس الرِّدّة أم لايحبط إلّا على الموافاة على الكفر؟

فقال الشّافعيّ: لايحبط له عمل إلّا بالموافاة كافرًا. و قال مالك: يحبط بنفس الرِّدّة. و يظهر الخلاف في المسلم إذا حجّ ثمّ ارتدّ ثمّ أسلم، فقال مالك: يلزمه الحجّ، لأنّ الأوّل قد حبط بالرِّدّة. و قال الشّافعيّ: لاإعادة عليه، لأنّ عمله باق.

و استظهر عليه علماؤنا بقول الله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ الزّمر: ٦٥، و قالوا: هو خطاب للنّبيّ ﷺ و المراد به أُمّته، لأنّه ﷺ يستحيل منه الرِّدّة شرعًا.

و قال أصحاب الشّافعيّ: بل هو خطاب للنّبيّ ﷺ على طريق التّغليظ على الأُمّة، و بيان أنّ النّبيّ ﷺ ـ على شرف منزلته ـ لو أشرك لحبط عمله، فكيف أنتم؟ لكنّه لايشرك لفضل مرتبته، كما قال الله تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ الأحزاب: ٣٠، و ذلك لشرف منزلتهنّ، و إلّا فلايتصوّر إتيان فاحشة منهنّ، صيانةً لصاحبهنّ المكرّم المعظّم.

قال ابن عبّاس، حين قرأ ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾ التّحريم: ١٠: و الله ما بغت امرأة نبيّ قطّ، و لكنّهما كفرتا.

و قال علماؤنا: إنّما ذكر الموافاة شرطًا هاهنا، لأنّه علّق عليها الخلود في النّار جزاءً، فمن وافى كافرًا خلّده الله في النّار بهذه الآية، و من أشرك حبط عمله بالآية الأُخرى، فهما آيتان مفيدتان لمعنيين مختلفين و حكمين متغايرين. و ما خوطب به النّبيّ ﷺ فهو لأُمّته حتّى يثبت اختصاصه به، و ما ورد في أزواجه ﷺ فإنّما قيل ذلك فيهنّ، ليبيّن أنّه لو تصوّر لكان هتكًا لحرمة الدّين و حرمة النّبيّ ﷺ و لكلّ هتك حرمة عقاب، و يُنزّل ذلك منزلة من عصى في شهر حرام، أو في البلد الحرام، أو في المسجد الحرام، فإنّ العذاب يضاعف عليه بعدد ما هتك من الحرمات، و لله الواقي لاربّ غيره. (١: ١٤٧)

ابن عَطيّة: أي يرجع عن الإسلام إلى الكفر. قالت طائفة من العلماء: يُستتاب المرتدّ، فإن تاب و إلّا قُتل. و قال عبيد بن عمير و طاووس و الحسن ـ على خلاف عنه ـ و الشّافعيّ في أحد قوليه: يُقتل دون أن يستتاب.

و روي نحو هذا عن أبي موسى الأشعريّ و معاذ بن جبل. و مقتضى قولهما: أنّه يقال له: للحين راجع، فإن أبى ذلك قُتل. و قال عطاء ابن أبي رباح إن كان المرتدّ ابن مسلمين قُتل دون استتابة، و إن كان أسلم ثمّ ارتدّ استُتيب؛ و ذلك لأنّه يجهل من فضل الإسلام ما لايجهل ابن المسلمين.

و اختلف القائلون بالاستتابة، فقال عمر بن الخطاب ﵁: يستتاب ثلاثة أيّام، و به قال مالك وأحمد و إسحاق و أصحاب الرّأي و الشّافعيّ في أحد قوليه. و قال الزّهريّ يُدعى إلى الإسلام، فإن تاب و إلّا قُتل.

و روي عن عليّ بن أبي طالب ﷺ أنّه استتاب مرتدًّا شهرًا فأبى، فقتله. و قال النّخعيّ و الثّوريّ: يُستتاب محبوسًا أبدًا. قال ابن المنذر: و اختلفت الآثار عن عمر في هذا الباب.

كان ﷺ يُنفّذ بحسب جرم ذلك المرتدّ أو قلّة جُرمه المقترن بالرّدّة و حبط العمل، إذا انفسد في آخر فبطل...

و قال عليّ بن أبي طالب و الحسن و الشّعبيّ و الحكم و اللّيث و أبو حنيفة و إسحاق بن راهويه: ميراث المرتدّ لورثته من المسلمين. و قال مالك و ربيعة و ابن أبي ليلى و الشّافعيّ و أبو ثور: ميراثه في بيت المال. و أجمع النّاس على أنّ ورثته من أهل الكفر لا يرثونه إلّا شذوذًا، روي عن عمر بن عبد العزيز و عن قتادة.

و روي عن عمر بن عبد العزيز خلافه. (١: ٢٩١)

الطَّبْرِسيّ: هذا تحذير عن الارتداد ببيان استحقاق العذاب عليه. (١: ٣١٣)

الفَخْر الرّازيّ: فيه مسائل:

المسألة الأُولى: قال الواحديّ: قوله: ﴿وَ مَنْ يَرْتَدِدْ﴾ أظهر التّضعيف مع الجزم لسكون الحرف الثّاني، و هو أكثر في اللّغة من الإدغام، و قوله: ﴿فَيَمُتْ﴾ هو جزم بالعطف على ﴿يَرْتَدِدْ﴾، و جوابه ﴿فَاُولٰئِكَ حَبِطَتْ اَعْمَالُهُمْ﴾.

المسألة الثّانية: لمّا بيّن تعالى أنّ غرضهم من تلك المقاتلة هو أن يرتدّ المسلمون عن دينهم، ذكر بعده وعيدًا شديدًا على الرّدّة، فقال: ﴿وَ مَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَ هُوَ كَافِرٌ فَاُولٰئِكَ حَبِطَتْ اَعْمَالُهُمْ فِى الدُّنْيَا وَ الْاٰخِرَةِ﴾ واستوجب العذاب الدّائم في النّار.

المسألة الثّالثة: ظاهر الآية يقتضي أنّ الارتداد إنّما يتفرّع عليه الأحكام المذكورة إذا مات المرتدّ على الكفر، أمّا إذا أسلم بعد الرّدّة لم يثبت شيء من هذه الأحكام.

و قد تفرّع على هذه النّكتة بحث أصوليّ و بحث فروعيّ:

أمّا البحث الأصوليّ فهو أنّ جماعة من المتكلّمين زعموا أنّ شرط صحّة الإيمان و الكفر حصول الموافاة، فالإيمان لا يكون إيمانًا إلّا إذا مات المؤمن عليه، و الكفر لا يكون كفرًا إلّا إذا مات الكافر عليه. قالوا: لأنّ من كان مؤمنًا ثمّ ارتدّ ـ و العياذ بالله ـ فلو كان ذلك الإيمان الظّاهر إيمانًا في الحقيقة، لكان قد استحقّ عليه الثّواب الأبديّ، ثمّ بعد كفره يستحقّ العقاب الأبديّ، فإمّا أن يبقى الاستحقاقان و هو محال، و إمّا أن يقال: إنّ الطّارئ يزيل السّابق، و هذا محال لوجوه:

أحدها: أنّ المنافاة حاصلة بين السّابق و الطّارئ، فليس كون الطّارئ مزيلًا للسّابق أولى من كون السّابق دافعًا للطّارئ، بل الثّاني أولى، لأنّ الدّفع أسهل من الرّفع.

و ثانيها: أنّ المنافاة إذا كانت حاصلة من الجانبين، كان شرط طريان الطّارئ زوال السّابق، فلو علّلنا زوال السّابق بطريان الطّارئ لزم الدّور، و هو محال.

و ثالثها: أنّ ثواب الإيمان السّابق و عقاب الكفر الطّارئ، إمّا أن يكونا متساويين أو يكون أحدهما

أزيد من الآخر، فإن تساويا وجب أن يتحابط كلّ واحد منهما بالآخر، فحينئذ يبقى المكلّف لا من أهل الثّواب و لا من أهل العقاب، و هو باطل بالإجماع.

و إن ازداد أحدهما على الآخر، فلنفرض أنّ السّابق أزيد، فعند طريان الطّارئ لا يزول إلّا ما يساويه، فحينئذ يزول بعض الاستحقاقات دون البعض، مع كونها متساوية في الماهيّة، فيكون ذلك ترجيحًا من غير مرجّح و هو محال.

أو لنفرض أنّ السّابق أقلّ، فحينئذ إمّا أن يكون الطّارئ الزّائد يكون جملة أجزائه مؤثّرة في إزالة السّابق، فحينئذ يجتمع على الأثر الواحد مؤثّرات مستقلّة و هو محال، و إمّا أن يكون المؤثّر في إزالة السّابق بعض أجزاء الطّارئ دون البعض، و حينئذ يكون اختصاص ذلك البعض بالمؤثّريّة ترجيحًا للمثل من غير مرجّح، و هو محال.

فثبت بما ذكرنا أنّه إذا كان مؤمنًا ثمّ كفر، فذلك الإيمان السّابق، وإن كُنّا نظنّه إيمانًا إلّا أنّه ما كان عند الله إيمانًا، فظهر أنّ الموافاة شرط، لكون الإيمان إيمانًا، و الكفر كفرًا. وهذا هو الّذي دلّت الآية عليه، فإنّها دلّت على أنّ شرط كون الرّدّة موجبة لتلك الأحكام، أن يموت المرتدّ على تلك الرّدّة.

أمّا البحث الفروعيّ: فهو أنّ المسلم إذا صلّى ثمّ ارتدّ ثمّ أسلم في الوقت، قال الشّافعيّ رضي الله عنه: لا إعادة عليه، و قال أبو حنيفة رحمه الله: لزمه قضاء ما أدّى، و كذلك الحجّ. حجّة الشّافعيّ رضي الله عنه، قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ شرط في حبوط العمل أن يموت و هو كافر، و هذا الشّخص لم يوجد في حقّه هذا الشّرط، فوجب أن لا يصير عمله محبطًا.

فإن قيل: هذا معارض بقوله: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الأنعام: ۸۸، و قوله: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾ المائدة: ٥. لا يقال: حمل المطلق على المقيّد واجب، لأنّا نقول: ليس هذا من باب المطلق و المقيّد، فإنّهم أجمعوا على أنّ من علّق حكمًا بشرطين، و علّقه بشرط، أنّ الحكم ينزل عند أيّهما وُجد، كمن قال لعبده: أنت حُرّ إذا جاء يوم الخميس، أنت حُرّ إذا جاء يوم الخميس و الجمعة، لا يبطل واحد منهما، بل إذا جاء يوم الخميس عُتق، و لو كان باعه فجاء يوم الخميس و لم يكن في ملكه، ثمّ اشتراه ثمّ جاء يوم الجمعة و هو في ملكه، عُتق بالتّعليق الأوّل.

و السّؤال الثّاني: عن التّمسّك بهذه الآية، أنّ هذه الآية دلّت على أنّ الموت على الرّدّة شرط لمجموع الأحكام المذكورة في هذه الآية و نحن نقول به، فإنّ من جملة هذه الأحكام: الخلود في النّار، و ذلك لا يثبت إلّا مع هذا الشّرط، و إنّما الخلاف في حبط الأعمال، و ليس في الآية دلالة على أنّ الموت على الرّدّة شرط فيه.

و الجواب: أنّ هذا من باب المطلق و المقيّد، لا من باب التّعليق بشرط واحد و بشرطين، لأنّ التّعليق بشرط و بشرطين إنّما يصحّ لو لم يكن تعليقه بكلّ واحد منهما مانعًا من تعليقه بالآخر. و في مسألتنا

لو جعلنا مجرّد الرّدّة مؤثّرًا في الحبوط، لم يبق للموت على الرّدّة أثر في الحبوط أصلًا في شيء من الأوقات، فعلمنا أنّ هذا ليس من باب التّعليق بشرط وبشرطين، بل من باب المطلق والمقيّد.

وأمّا السّؤال الثّاني: فجوابه: أنّ الآية دلّت على أنّ الرّدّة إنّما توجب الحبوط بشرط الموت على الرّدّة، وإنّما توجب الخلود في النّار بشرط الموت على الرّدّة، وعلى هذا التّقدير فذلك السّؤال ساقط. (٦: ٣٧)

القُرطُبيّ: أي يرجع عن الإسلام إلى الكفر، فأولئك حبطت، أي بطلت وفسدت، ومنه الحبط وهو فساد يلحق المواشي في بطونها من كثرة أكلها الكلأ، فتنتفخ أجوافها، وربّما تموت من ذلك، فالآية تهديد للمسلمين، ليثبتوا على دين الإسلام.

واختلف العلماء في المرتدّ، هل يستتاب أم لا؟ وهل يحبط عمله بنفس الرّدّة أم لا، إلّا على الموافاة على الكفر؟ وهل يورث أم لا؟ [ثمّ أدام البحث في نقل آراء الفقهاء، فلاحظ] (٣: ٤٦)

البَيْضاويّ: قيّد الرّدّة بالموت عليها في إحباط الأعمال، كما هو مذهب الشّافعيّ ﷺ تعالى، والمراد بها: الأعمال النّافعة. (١: ١١٥)

النّسَفيّ: من يرجع عن دينه إلى دينهم. (١: ١٠٨)

أبوحَيّان: ارْتدّ: «افتعل» من الرّدّ، وهو الرّجوع، كما قال تعالى: ﴿فَارْتَدَّا عَلٰى اٰثَارِهِمَا قَصَصًا﴾، وقد عدّها بعضهم فيما يتعدّى إلى اثنين، إذا كانت عنده بمعنى: صيّر، وجعل من ذلك قوله: ﴿فَارْتَدَّ بَصِيرًا﴾، أي صار بصيرًا، ولم يختلف هنا في فكّ المثلين، والفكّ هو لغة الحجاز. وجاء «افتعل» هنا بمعنى التّعمّل والتّكسّب، لأنّه متكلّف: إذ من باشر دين الحقّ يبعد أن يرجع عنه، فلذلك جاء «افتعل» هنا، وهذا المعنى ـ وهو التّعمّل والتّكسّب ـ هو أحد المعاني الّتي جاءت لها «افتعل». و ﴿مِنْكُمْ﴾ في موضع الحال من الضّمير المستكنّ في: ﴿يَرْتَدِدْ﴾ العائد على (مَن) و(مِن)، للتّبعيض، و ﴿عَنْ دِينِهِ﴾ متعلّق بـ ﴿يَرْتَدِدْ﴾، و «الدّين» هنا هو الإسلام، لأنّ الخطاب مع المسلمين، والمرتدّ إليه هو دين الكفر، بدليل أنّ ضدّ الحقّ الباطل، وبقوله: ﴿فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾ وهذان شرطان أحدهما معطوف على الآخر بالفاء المشعرة بتعقيب الموت على الكفر، بعد الرّدّة واتّصاله بها. [ثمّ أدام البحث في أثر هذين الشّرطين وأحكام المرتدّ، فلاحظ] (٢: ١٥٠)

السّمين: قوله: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ﴾ (مَنْ) شرطيّة في محلّ رفع بالابتداء، ولم يقرأ هنا أحد بالإدغام، وفي المائدة: ٥٤، اختلفوا فيه، فنؤخّر الكلام على هذه المسألة إلى هناك إن شاء الله تعالى.

و يَرْتَدِدُ يَفْتَعِل من الرّدّ وهو الرّجوع، كقوله: ﴿فَارْتَدَّا عَلٰى اٰثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ الكهف: ٦٤. قال الشّيخ: وقد عدّها بعضهم فيما يتعدّى إلى اثنين إذا كانت عنده بمعنى صيّر، وجعل من ذلك قوله: ﴿فَارْتَدَّ بَصِيرًا﴾ أي رجَع. وهذا منه سهو، لأنّ الخلاف إنّما هو بالنّسبة إلى كونها بمعنى صار أم لا، ولذلك مثّلوا بقوله: ﴿فَارْتَدَّ بَصِيرًا﴾ فمنهم من جعلها بمعنى صار، ومنهم من جعَل المنصوب بعدها حالًا، وإلّا فأين

المفعولان هنا؟

و أمّا الّذي عدّوه يتعدّى لاثنين بمعنى صَيّر، فهو «رَدّ» لا «ارْتَدّ»، فاشتبه عليه «رَدّ» بـ«ارْتَدّ». و«صَيّر» بـ«صار». (۱: ۵۳۳)

أبو السُّعود: تحذير من الارتداد، أي و من يفعل ذلك بإضلالهم و إغوائهم. (۱: ۲۶۱)

البُرُوسَويّ: إظهار التّضعيف، لسكون الدّال الثّانية، و بالفتح و الادغام على التّحريك لالتقاء السّاكنين بأخفّ الحركات. و الارتداد: النّكوص و هو تحذير من الارتداد، أي من يفعل ذلك بإضلالهم و إغوائهم. (۱: ۳۳۵)

القاسميّ: هو الإسلام، و بناء صيغة «الافتعال» من الرّدّة المؤذنة بالتّكلّف، إشارة إلى أنّ من باشر دين الحقّ يبعد أن يرجع عنه، فهو متكلّف في ذلك.

(۳: ۵٤۹)

مَغْنِيّة: هذا تحذير و تهديد من الله سبحانه، لمن يستجيب لأعداء الدّين و يرتدّ عن دينه، فإنّه بذلك يخسر الدّنيا و الآخرة، و مآله جهنّم و بئس المصير. و قوله تعالى: ﴿فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾ يدلّ بصراحة على أنّ المرتدّ إذا تاب قبل الموت يقبل الله منه، و يسقط العقوبة عنه، و العقل حاكم بذلك، و لكن فقهاء الشّيعة الإماميّة قالوا: إذا كان المرتدّ رجلًا، و كان ارتداده عن فطرة ثمّ تاب يسقط عنه العذاب الأخرويّ. أمّا العقوبة الدّنيويّة، و هي القتل فلا تسقط بحال. أمّا إذا تاب المرتدّ عن ملّة، فيسقط القتل عنه مستندين في هذا التّفصيل إلى روايات عن أهل البيت عليهم السّلام (۱: ۳۲۵)

تَرْتَدُّوا

يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْاَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللهُ لَكُمْ وَلَاتَرْتَدُّوا عَلٰى اَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ. المائدة: ۲۱

ابن عبّاس: أي لاترجعوا إلى خلفكم. (۹۱)

الجُبّائيّ: لاترجعوا عن طاعة الله إلى معصيته.

(الطّوسيّ ۳: ٤۸٤)

الطّبَريّ: هذا خبر من الله عزّ ذكره عن قيل موسى عليه السّلام لقومه من بني إسرائيل؛ إذ أمرهم عن أمر الله عزّ ذكره إيّاه بدخول الأرض المقدّسة، أنّه قال لهم: امضوا أيّها القوم لأمر الله الّذي أمركم به من دخول الأرض المقدسة، ﴿وَلَاتَرْتَدُّوا﴾ يقول: لاترجعوا القهقرى مرتدّين ﴿عَلٰى اَدْبَارِكُمْ﴾ يعني إلى ورائكم، و لكن امضوا قُدُمًا لأمر الله الّذي أمركم به، من الدّخول على القوم الّذين أمركم الله بقتالهم و الهجوم عليهم في أرضهم، و أنّ الله عزّ ذكره قد كتبها لكم مسكنًا و قرارًا. (٤: ۵۱٤)

الماوَرْديّ: فيه تأويلان:

أحدهما: لاترجعوا عن طاعة الله إلى معصيته.

و الثّاني: لاترجعوا عن الأرض الّتي أمرتم بدخولها. (۲: ۲۵)

نحوه الطّوسيّ (۳: ٤۸٤)، و الطّبْرسيّ (۲: ۱۷۸)، و القُرطُبيّ (٦: ۱۲٦).

القُشَيْريّ: الارتداد على قسمين: عن الشّريعة و إقامة العبوديّة، و ذلك يوجب عقوبة النّفوس بالقتل، و عن الإرادة، و ذلك يوجب الشّقوة الّتي هي

الفراق على القلوب. (٢: ١١١)

الواحديّ: لاترجعوا إلى دينكم الشرك بالله وإلى معصيته. (٢: ١٧٣)

الزّمخشريّ: ولا تنكصوا على أعقابكم مُدبرين من خوف الجبابرة جُبنًا وهلعًا. وقيل: لمّا حدّثهم النّقباء بحال الجبابرة، ورفعوا أصواتهم بالبكاء، وقالوا: ليتنا مُتنا بمصر. وقالوا: تعالَوا نجعل علينا رأسًا ينصرف بنا إلى مصر. ويجوز أن يراد: لاترتدّوا على أدباركم في دينكم، بمخالفتكم أمر ربّكم وعصيانكم نبيّكم. (١: ٦٠٣)

نحوه البَيْضاويّ (١: ٢٦٩)، والنّسفيّ (١: ٢٧٨).

ابن الجَوْزيّ: فيه قولان:

أحدهما: لاترجعوا عن أمر الله إلى معصيته.

والثّاني: لاترجعوا إلى الشّرك. (٢: ٣٢٤)

الفَخْر الرّازيّ: فيه وجهان:

الأوّل: لاترجعوا عن الدّين الصّحيح إلى الشّكّ في نبوّة موسى ﷺ، وذلك لأنّه ﷺ لمّا أخبر أنّ الله تعالى جعل تلك الأرض لهم، كان هذا وعدًا بأنّ الله تعالى ينصرهم عليهم، فلو لم يقطعوا بهذه النّصرة صاروا شاكّين في صدق موسى ﷺ، فيصيروا كافرين بالإلهيّة والنّبوّة.

والوجه الثّاني: المراد: لاترجعوا عن الأرض الّتي أُمرتم بدخولها إلى الأرض الّتي خرجتم عنها. يُروى أنّ القوم كانوا قد عزموا على الرّجوع إلى مصر. (١١: ١٩٨)

أبو حَيّان: [نحو الزّمخشريّ وأضاف:]

ويحتمل أن يراد: لاترتدّوا على أدباركم في دينكم، لمخالفتكم أمر ربّكم، وانقلابهم خاسرين. إن كان الارتداد حقيقيًّا وهو الرّجوع إلى المكان الّذي خرج منه، فمعناه: يصيرون إلى الذّلّ بعد العزّ والخلاص من أيدي القبط. وإن كان الارتداد مجازًا وهو ارتدادهم عن دينهم، فمعناه: يخسرون خير الدّنيا وثواب الآخرة. وحقيق بالخسران من خالف ما فرضه الله عليه من الجهاد وخالف أمره. (٣: ٤٥٤)

الكاشانيّ: لاترجعوا مدبرين. (٢: ٢٥)

شُبّر: لاترجعوا عن طاعة الله بعصيانكم. (٢: ١٦١)

الآلوسيّ: أي لاترجعوا عن مقصدكم منقلبين خوفًا من الجبابرة. وجُوّز أن يتعلّق بنفس الفعل. ويحتمل أن يراد بالارتداد: صرف قلوبهم عمّا كانوا عليه من الاعتقاد صرفًا غير محسوس، أي لاترجعوا عن دينكم بالعصيان وعدم الوثوق بالله تعالى، وإليه ذهب أبوعليّ الجُبّائيّ. (٦: ١٠٦)

المَراغيّ: أي لاترجعوا عمّا جئتكم به من التّوحيد والعدل والهدى، والرّشاد إلى الوثنيّة والفساد في الأرض، بالظّلم والبغي واتّباع الأهواء، فإنّ في هذا الرّجوع خسرانًا لكم؛ إذ تخسرون فيه هذه النّعم، ومنها الأرض المقدّسة الّتي ستعطونها جزاء شكركم، فتُحرَمون من خيراتها وبركاتها، وقد جاء في بعض أوصافها أنّها تفيض لبنًا وعسلًا، وتُعاقَبون بالتّيه أربعين سنة، ينقرض فيها المرتدّون على أدبارهم. (٦: ٩٠)

ابن عاشور: تحذير ممّا يوجب الانهزام، لأنّ ارتداد الجيش على الأعقاب من أكبر أسباب الانخذال.

و الارتداد «افتعال» من الرّدّ. يقال: ردّه فارتدّ. و الرّدّ: إرجاع السّائر عن الإمضاء في سيره و إعادته إلى المكان الّذي سار منه.

و الأدبار: جمع دُبُر، وهو الظّهر. و الارتداد: الرّجوع، و معنى الرّجوع على الأدبار، إلى جهة الأدبار، أي الوراء، لأنّهم يريدون المكان الّذي يمشي عليه الماشي، و هو قد كان من جهة ظهره، كما يقولون: نكص على عقبيه، و ركبوا ظهورهم، و ارتدّوا على أدبارهم، و على أعقابهم، فعُدّي بـ(عَلى) الدّالّة على الاستعلاء، أي استعلاء طريق السّير، نُزّلت الأدبار الّتي يكون السّير في جهتها، منزلة الطّريق الّذي يسار عليه. (٥: ٧٧)

يَتَرَدَّدُون

إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ. التّوبة: ٤٥

الإمام عليّ عليه السلام: من تردّد في الرّيب سبقه الأوّلون و أدركه الآخرون، و وطأته سنابك الشّياطين. (الكاشانيّ ٢: ٣٤٦)

ابن عبّاس: يتحيّرون. (١٥٨)

مثله البغويّ (٢: ٣٥٥)، و البيضاويّ (١: ٤١٧)، و الكاشانيّ (٢: ٣٤٦).

الطّبريّ: يقول: في شكّهم متحيّرون، و في ظلمة الحيرة متردّدون، لايعرفون حقًّا من باطل، فيعملون على بصيرة، و هذه صفة المنافقين. (٦: ٣٨٢)

الثّعلبيّ: متحيّرين و لو أرادوا الخروج إلى الغزو. (٥: ٥٠)

الطّوسيّ: معناه: فهم في شكّهم يذهبون و يرجعون. و التّردّد: هو التّصرّف بالذّهاب و الرّجوع مرّات متقاربة، مثل المتحيّر، رَدّه رَدًّا و رَدّده تَرْديدًا، و تَرَدّد تَرَدُّدًا و ارْتَدّ ارْتِدادًا، و رادّه مرادّة، و ترادّ القوم تَرْدادًا، و استَرَدّه استردادًا.

و قوله: ﴿فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ يدلّ على بطلان قول من يقول: إنّ المعارف ضرورة، لأنّه تعالى أخبر أنّهم في شكّهم يتردّدون، صفة الشّاكّ المتحيّر في دينه الّذي ليس على بصيرة من أمره. (٥: ٢٦٦)

نحوه الطّبرسيّ. (٣: ٣٤)

الواحديّ: في شكّهم يتمادّون. (٢: ٥٠١)

المَيْبُديّ: التّردّد: التّصرّف في الذّهاب مرّات متقاربة. (٤: ١٤١)

الزّمَخْشَريّ: عبارة عن التّحيّر، لأنّ التّردّد دَيْدَن المتحيّر، كما أنّ الثّبات و الاستقرار دَيْدَن المستبصر. (٢: ١٩٣)

نحوه النّسَفيّ (٢: ١٢٨)، و أبوالسُّعود (٣: ١٥٦)، و البُرُوسَويّ (٣: ٤٤٢).

ابن عَطيّة: أي يتحيّرون، لايتّجه لهم هُدى. و من هذه الآية نزع أهل الكلام في حدّ الشّكّ أنّه تردّد بين أمرَيْن. و الصّواب في حدّه أنّه توقّف بين أمرين. و التّردّد في الآية إنّما هو في ريب هؤلاء المنافقين؛ إذ

كانوا تخطر لهم صحّة أمر النّبيّ ﷺ أحيانًا، و أنّه غير صحيح أحيانًا، و لم يكونوا شاكّين طالبين للحقّ، لأنّه كان يتّضح لهم لو طلبوه، بل كانوا مُذبذبين لا إلى هؤلاء و لا إلى هؤلاء، كالشّاة الحائرة بين الغنمين. (٣: ٣٩)

الفَخْر الرّازيّ: معناه: أنّ الشّاكّ المرتاب يبقى متردّدًا بين النّفي و الإثبات، غير حاكم بأحد القسمين، و لا جازم بأحد النّقيضين.

و تقريره: أنّ الاعتقاد إمّا أن يكون جازمًا أو لا يكون، فالجازم إن كان غير مطابق فهو الجهل، و إن كان مطابقًا، فإن كان عن يقين فهو العلم، و إلّا فهو اعتقاد المقلّد. و إن كان غير جازم، فإن كان أحد الطّرفين راجحًا، فالرّاجح هو الظّنّ، و المرجوح هو الوهم. و إن اعتدل الطّرفان فهو الرّيب و الشّكّ، و حينئذ يبقى الإنسان متردّدًا بين الطّرفين. (١٦: ٧٧)

نحوه النّيسابوريّ. (١٠: ٩٧)

القُرطُبيّ: أي في شكّهم يذهبون و يرجعون. (٨: ١٥٦)

نحوه شُبّر. (٣: ٧٩)

أبوحَيّان: يتحيّرون، لا يتّجه لهم هُدى، فتارةً يخطر لهم صحّة أمر الرّسول، و تارة يخطر لهم خلاف ذلك. (٥: ٤٨)

نحوه الثّعالبيّ. (٢: ٥٢)

الشِّربينيّ: أي المنافقون يتحيّرون، لا مع الكفّار، و لا مع المؤمنين. (١: ٦١٨)

الآلوسيّ: أي يتحيّرون، و أصل معنى التّردّد: الذّهاب و المجيء، و أريد به هنا التّحيّر مجازًا أو كناية، لأنّ المتحيّر لا يقرّ في مكان. و الآية نزلت -كما روي عن ابن عبّاس رضي الله تعالى عنهما- في المنافقين حين استأذنوا في القعود عن الجهاد بغير عُذر، و كانوا -على ما في بعض الرّوايات- تسعة و ثلاثين رجلًا. (١٠: ١١٠)

القاسميّ: أي ليست لهم قدم ثابتة في شيء، فهم قوم حيارى هلكى، لا إلى هؤلاء، و لا إلى هؤلاء. (٨: ٣١٦٣)

رشيد رضا: متحيّرين في أمرهم، مذبذبين في عملهم. (١٠: ٤٦٩)

ابن عاشور: فرّع قوله: ﴿فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ على ﴿وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ تفريع المسبّب على السّبب، لأنّ الارتياب هو الشّكّ في الأمر بسبب التّردّد في تحصيله، فلتردّدهم لم يصارحوا النّبيّ ﷺ بالعصيان لاستنفاره، و لم يمتثلوا له، فسلكوا مسلكًا يصلح للأمرين، و هو مسلك الاستئذان في القعود، فالاستئذان مسبّب على التّردّد، و التّردّد مسبّب على الارتياب، و قد دلّ هذا على أنّ المقصود من صلة الموصول في قوله: ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ﴾ هو قوله: ﴿وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾. لأنّه المنتج لانحصار الاستئذان فيهم. [إلى أن قال:]

و التّردّد حقيقته ذهاب و رجوع متكرّر إلى محلّ واحد، و هو هنا تمثيل لحال المتحيّر بين الفعل و عدمه، بحال الماشي و الرّاجع. و قريب منه قولهم: يُقدّم رِجْلًا

و يؤخّر أخرى. و المعنى: أنّهم لم يعزموا على الخروج إلى الغزو.

و في هذه الآية تصريح للمنافقين بأنّهم كـافرون، و أنّ الله اطّلع رسوله عليه الصّلاة و السّلام و المؤمنين على كفرهم، لأنّ أمر استئذانهم في التّخلّف قد عرفه النّاس. (١٠: ١٠٩)

مَغْنيّة: أي إنّهم يتظاهرون بالإسلام، أمّا في الواقع فهم مُشكّكون لايجزمون بصدقه و لابكذبه. و هذا هو النّفاق، لأنّ الصّادق المخلص يتصرّف بما يُمليه عليه عقله، و يعلنه على الملإ شكًّا كان أو يقينًا. (٤: ٥٠)

مكارم الشّيرازيّ: و بالرّغم من أنّ الصّفات الواردة في الآيات آنفًا، جاءت بصيغة الفعل المضارع، إلّا أنّ المراد منها بيان صفات المؤمنين و صفات المنافقين و أحوالهم، و لافرق بين الماضي و الحال و الاستقبال في ذلك.

و على كلّ حال، فإنّ المؤمنين ـ بسبب إيمانهم ـ لديهم إرادة ثابتة و تصميم أكيد، لايقبل التّهاون و الرّجوع؛ حيث يرون طريقهم بجلاء و وضوح، فمقصدهم معلوم و هدفهم واضح، و لذلك فهم يمضون بخطى واثقة نحو الأمام، و لايتردّدون أبدًا.

أمّا المنافقون، فلأنّ هدفهم مُظلم و غير معلوم، فهم متردّدون حائرون ذاهلون، و يبحثون دائمًا عن الأعذار و الحُجج الواهية، للتّخلّص و الفرار من تحمّل المسؤوليّة الملقاة على عواتقهم.

و هاتان العلامتان لاتختصّان بالمؤمنين و المنافقين في صدر الإسلام، و معركة تبوك فحسب، بل يمكن في عصرنا الحاضر أن نميّز المؤمنين الصّادقين من المدّعين الكاذبين بهاتين الصّفتين.

فالمؤمن شجاع ذو إرادة و تصميم و خُطًى واثقة، و المنافق جبان و خائف و متردّد و حائر، و يبحث عن المعاذير دائمًا. (٦: ٦٣)

فضل الله: فلايسكنون إلى قاعدة و لايستريحون إلى حقيقة، بل هو الشّكّ و الحيرة و القلق و الضّياع. (١١: ١٢٧)

الأُصول اللُّغويّة

١ ـ الأصل في هذه المادّة: الرّدّ: صرف الشّيء و رجعه. يقال: ردّه عن وجهه يَرُدّه ردًّا و مَرَدًّا و تَرْدادًا، أي صرفه. و في الحديث: « يوم لامَرَدَّ له »، يعني يوم القيامة، لأنّه شيء لايُرَدّ.

و ارتدّه: ردّه.

و شيء رديد: مردود.

و ردّ عليه الشّيء، إذا لم يقبله، و كذلك إذا خطّأه.

و ردّه إلى منزله، و ردّ إليه جوابًا: رجع.

و استَرَدّ الشّيء و ارتدّه: طلب ردّه عليه. يقال: وهَبَ هبةً ثمّ ارتدّها، أي استردّها.

و المَرْدُودَة: المطلّقة، و هي الرُّدّى أيضًا.

و المَرْدُودَة: الموسى، لأنّها تُرَدّ في نصابها.

و المَرْدُود: الرّدّ، و هو مصدر، مثل: المحلوف و المعقول.

و الرِّدِّيدَى: الرّدّ، و هو مصدر أيضًا. يقال: ما فيه

رِدّيدَى، أي احتباس و لاتِرْداد.

و الرَّدّ: ما رُدّ من الدّراهم، و هو ما زيف فَرُدّ علـى ناقده بعد ما أخذه منـه. و كـلّ مـا رُدّ بغـير أخـذ رَدّ؛ و الجمع: رُدُود.

و رادّه الشّيء: رَدّه عليه. يقال: هما يترادّان البيع، أي من الرّدّ و الفسخ.

و تَرَدّدَ و ترادّ: تراجع.

و هذا الأمر أرَدّ عليه: أنفع له.

و هذا الأمر لارادّة له: لافائدة له و لارجوع.

و الرّدّة: تقاعس في الذّقن إذا كان في الوجه بعض القباحة، و يعتريه شيء من جمـال. يقـال: فيـه نظـرة و رَدّة و خيلة.

و يقال للمرأة إذا اعتراها شـيء مـن خيـال و في وجهها شيء من قباحة: هي جميلة، و لكن في وجههـا بعض الرّدّة.

و الرُّدُد: القباح من النّاس. يقـال: في وجهـه رَدّة، و هو رادّ.

و في لسانه رَدّ: حُبسَة.

و رجل متردِّد: مجتمع قصير ليس بسـبط الخلـق. و في صـفة الـنّبيّ ﷺ: «لـيس بالطّويـل البـائن و لاالقصير المتردِّد»، أي المتناهي في القصر، كأنّه تردّد بعض خلقه على بعض، و تداخلت أجزاؤه.

و عضو رِدِّيد: مكتنز مجتمع.

و رجل مُـردِّد: حـائر بـائر، و قـد ردّده ترديـدًا و تَرْدادًا فتردّد.

و الرَّدّاد: المُجبّر، لأنّـه يـردّ العظـم المنكسـر إلى موضعه.

و رجل مِرَدّ: كثير الرَّدّ و الكرّ.

و الرِّدّ: الظّهر و الحمولة من الإبل، سمّيت رِدًّا لأنّها تُرَدّ من مرتعها إلى الدّار يوم الظّعن.

و الرِّدّ: ما كان عمادًا للشّيء يدفعه و يَرُدّه.

و الرِّدّة: اسم من الارتـداد، و هـو الرّجـوع عـن الشّيء، و منه: الرِّدّة عن الإسلام. يقال: رَدّه يَـرُدّه رَدًّا و رِدّة.

و ارْتَدّ و ارتدّ عنه: تحوّل. يقال: ارتـدّ فـلان عـن دينه، إذا كفر بعد إسلامه، فهو مُرتَدّ.

و الرِّدّة و الرَّدَد: أن تشرب الإبل الماء عَلَلًا فترتـدّ الألبان في ضروعها.

و الرِّدّة: أن يشرق ضرع النّاقة و يقع فيـه اللّـبن، و قد أرَدّت فهي مُرِدّ.

و الرِّدّة و الرَّدَد: ورم يصـيب النّاقـة في أخلافهـا. يقال: أرَدّتِ النّاقة، أي ورمت أرفاغها و حياؤها مـن شرب الماء، فهي مُرِدّ ونوق مَرادّ. و كذلك الجِمـال إذا أكثرت من الماء فثقلت.

و المُرِدّ: كلّ حامل دنـت ولادتهـا، فعظـم بطنـها و ضرعها.

و رجل مُرِدّ، إذا طالت عزبته فترادّ الماء في ظهره، تشبيهًا برَدَد النّاقة.

و بَحْرٌ مُرِدّ: كثير الماء. يقال: أرَدّ البحر، أي كثرت أمواجه و هاج.

٢ ـ و الرّادود عند المولّـدين: مـن يرثـي الإمـام الحسين عليه السلام بنغمة، سمّوه رادودًا، لأنّـه يُـردّد بيتًـا أو

بيتين أو أبياتًا من القصيدة الّتي يقرأها. و لم يشتقّوا منه فعلًا، غير أنّهم إذا أرادوا ذلك، استعملوا فعلًا آخر في هذا المعنى، فقالوا: قرأ الرّادود قصيدة للشّاعر فلان، و إذا أرادوا التّعجّب من فعله قالوا: ما أقرأه!

كما أنّهم لم يُطلقوا على الرّثّاية: رادُودة ، بل قالوا: رَدّادة. قال صاحب «محيط المحيط»: «الرّدّادة عندهم الّتي تُجاوب النّائحة،فتنوح بعد سكوتها في كلّ دفعة».

الاستعمال القرآنيّ

جاءت من المجرّد الماضي معلومًا و مجهولًا، ١٣ مرّة، و المضارع معلومًا و مجهولًا أيضًا، ٩ مرّات، و الأمر، ٣ مرّات، و اسم الفاعل، ٤ مرّات، و اسم المفعول مرّتين، و المصدر (رَدّ) مرّتين، و المصدر الميميّ (مَرَدّ) ٦ مرّات.

و من المزيد باب التّفعّل: المضارع (يَتَرَدَّدُونَ) مرّة، و باب الافتعال: الماضي، ٣ مرّات، و المضارع، ٥ مرّات.

و يلاحظ أوّلًا: أنّ هذه المادّة تنقسم في الآيات ـ كما قلنا ـ إلى مجرّد و مزيد، و كلّ منهما جاء بصيغ و مواضيع مختلفة، و نبحثها حسب الصّيغ:

أمّا الماضي المعلوم ففي ١٦ آيات:

١ ـ ﴿وَ إِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَ لَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَ إِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَ لَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ النّساء: ٨٣

٢ ـ ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَ عَادٍ وَ ثَمُودَ وَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَ قَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَ إِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ إبراهيم: ٩

٣ ـ ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَ أَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَ بَنِينَ وَ جَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ الإسراء: ٦

٤ ـ ﴿وَ رَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَ كَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَ كَانَ اللهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ الأحزاب: ٢٥

٥ ـ ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَ لَا تَحْزَنَ وَ لِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ القصص: ١٣

٦ ـ ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ التّين: ٤، ٥

و في كلّ منها بحُوثٌ:

الأولى الآية: ٨٣، من سورة النّساء: ﴿وَ إِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ...﴾، و هي تُعَدّ من جملة آيات قبلها و بعدها في القتال، و قد جاءت عقيبها متفرّعة عليها: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ...﴾.

و هي انتقاد للنّاس و اعتراض عليهم، بأنّهم إذا أخبروا بشيء ممّا يوجب الأمن أو الخوف ـ يعني بخبر خير أو شرّ ـ أذاعوا به و أفشوه، و ينبغي أن لا يفشوه، بل يردّوه إلى النّبيّ و إلى أُولي الأمر، يعني الأئمّة المعصومين ـ على قولنا كما يأتي ـ أو أولياء القتال الّذين يستنبطون باتّخاذ النّظر أو العمل المقتضي

لذلك الخبر، فإنّ لكلّ حادثة من حوادث القتال ما يناسبها من التّدبير.

٢ ـ و قال الطّبْرسيّ (٢: ٨٢) ﴿وَاِذَا جَاءَهُمْ﴾: «يعني هؤلاء الّذين سبق ذكرهم من المنافقين.

و قيل: هم الّذين ذكرهم من ضعفة المسلمين.

﴿اَمْرٌ مِنَ الْاَمْنِ اَوِ الْخَوْفِ﴾ يريد ما كان يُرجَف به من الأخبار في المدينة: إمّا من قبل عدوّ يقصدهم ـ و هو الخوف ـ أو من ظهور المؤمنين على عدوّهم ـ و هو الأمن ـ ﴿اَذَاعُوا بِهِ﴾، أي تحدّثوا به، و أفشوه من غير أن يعلموا صحّته. كره الله ذلك، لأنّ من فعل هذا، فلايخلو كلامه من كذب، و لما يدخل على المؤمنين به من الخوف.

ثمّ قال: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ اِلَى الرَّسُولِ﴾ المعنى: و لو سكتوا إلى أن يُظهره الرّسول ﴿وَاِلٰى اُولِى الْاَمْرِ مِنْهُمْ﴾.

قال أبوجعفر ـ محمّد بن عليّ الباقر ـ عليه السلام: هم الأئمّة المعصومون. [و هذا لعلّه تأويل من حمل المطلق على أفضل مصاديقه، كما يأتي في الآية: ٥٩، من هذه السّورة]

و قال السُّدّيّ، و ابن زَيْد، و أبو عليّ، و الجُبّائيّ: هم أُمراء السّرايا و الولاة ـ و هو الحقّ عندنا تنزيلاً، كما أنّهم الأئمّة المعصومون تأويلاً ـ.

وقال الحسَن، و قَتادَة، وغيرهم: إنّهم أهل العلم و الفقه، الملازمون للنّبيّ، لأنّهم لو سألوه عن حقيقة ما أرجفوا به، لعلموه. و اختاره الزّجّاج، و أنكر أبو عليّ الجُبّائي هذا الوجه، و قال: إنّما يطلق «أولو الأمر» على من له الأمر على النّاس.

﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ﴾: أي لعلم ذلك الخبر الّذين يستخرجونه، عن الزّجّاج. و قيل: يتحسّسونه، عن ابن عبّاس، و أبي العالية. وقيل: يبتغونه و يطلبون علم ذلك، عن الضّحّاك. و قيل: يسألون عنه، عن عِكْرِمَة. قال: استنباطهم: سؤالهم الرّسول عنه. و جميع هذه الأقوال متقاربة المعنى.

﴿مِنْهُمْ﴾ قيل: إنّ الضّمير في ﴿مِنْهُمْ﴾ يعود إلى ﴿اُولِى الْاَمْرِ﴾ ـ و هو الأظهر ـ. و قيل: يعود إلى الفرقة المذكورة من المنافقين، أو الضّعفة...».

٣ ـ و سياق الآية هو وقوع حادثة في الحرب، تقتضي اتّخاذ ما هو المصلحة من قبل الولاة، و ليس السّؤال عن حكم حتّى يُرجَع إلى العالم والفقيه. فليس معنى ﴿يَسْتَنْبِطُونَهُ﴾ استنباط حكم من الفروع، كما يفعل الفقيه، بل هو جهد في العمل بما يقتضيه ذلك الخبر خيرًا أو شرًّا من التّدابير. [و سنبحثها في الآية: ٥٩، من هذه السّورة، و لاحظ: أ م ر: «اُولِى الْاَمْرِ»، و لاسيّما نصّ الطّباطَبائيّ و فضل الله]

و الثّانية: الآية: ٩، من سورة إبراهيم: ﴿...جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا اَيْدِيَهُمْ فِى اَفْوَاهِهِمْ...﴾:

١ ـ هذه أوّل آية ـ بعد ما سبقها من قصّة موسى عليه السلام ـ تُحدّث عن قوم نوح و عاد و ثمود، و تستمرّ إلى الآية: ١٨، ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ اَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ...﴾.

٢ ـ و قال الطّبْرسيّ (٣: ٣٠٥) ﴿فَرَدُّوا اَيْدِيَهُمْ فِى اَفْوَاهِهِمْ﴾: «اختلفوا في معناه على أقوال:

أحدها: أنّ معناه عَضّوا على أصابعهم من شدّة الغيظ، لأنّه ثقل عليهم مكان الرّسل، عن ابن مَسعود، و ابن عبّاس، و الجُبّائيّ.

و ثانيها: أنّ معناه جعلوا أيديهم في أفواه الأنبياء تكذيبًا لهم، و ردًّا لما جاؤوا به. فالضّمير في ﴿أَيْدِيَهُمْ﴾ للكفّار، و في ﴿أَفْوَاهِهِمْ﴾ للأنبياء، فكأنّهم لمّا سمعوا وعظ الأنبياء و كلامهم، أشاروا بأيديهم إلى أفواه الرّسل تسكيتًا لهم، عن الحسَن، و مُقاتِل.

و ثالثها: أنّ معناه وضعوا أيديهم على أفواههم مومين بذلك إلى الرّسل أن اسكتوا عمّا تدعوننا إليه، كما يفعل الواحد منّا مع غيره إذا أراد تسكيته، عن الكلْبيّ. فيكون على هذا القول الضّميران للكفّار.

و رابعها: أنّ كلا الضّميرين للرّسل، أي أخذوا أيدي الرّسل فوضعوها على أفواههم ليسكتوهم، ويقطعوا كلامهم فيسكتوا عنهم، لمّا يئسوا منهم.

هذا كلّه إذا حُمل معنى «الأيدي» و «الأفواه» على الحقيقة. و من حملها على التوسّع و المجاز، فاختلفوا في معناه:

فقيل: المراد باليد: ما نطقت به الرّسل من الحجج، و المعنى: فردّوا حججهم من حيث جاءت، لأنّ الحجج تخرج من «الأفواه» عن أبي مسلم.

و قيل: إنّ المعنى ردّوا ما جاءت به الرّسل، و كذّبوهم، عن مُجاهِد، و قَتادَة.

و قيل: معناه تركوا ما أُمروا له، و كفروا عن قبول الحقّ، عن أبي عُبَيْدَة، و الأخفش.

قال القُتَيْبيّ: و لم يسمع أحد أنّ العرب تقول ردّ يده في فيه، بمعنى ترك ما أمر به. و إنّما المعنى أنّهم عضّوا على الأيدي حنقًا و غيظًا، كقول الشّاعر:

* يردّون في فيه عشر الحسود *

يعني أنّهم يغيظون الحسود حتّى يعضّ على أصابعه العشر...

و قيل: المعنى ردّوا بأفواههم نعم الرّسل، أي وعظهم و بيانهم، فوقع في موقع الباء، عن مُجاهِد». ثمّ أدام الكلام فيه بذكر شعر أنشده الفرّاء...

٣ ـ فانظر إلى معنى جملة من القرآن كيف توسّعت إلى معان شتّى، و هذا من مختصّات القرآن.

و الظّاهر منها بقرينة ما بعدها: ﴿وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ﴾، أنّهم وضعوا أيديهم على أفواههم، تشديدًا و إنكارًا منهم عن الإجابة و التّسليم لما يدعوهم إليه، أي لانقول: نَعَم تقبل قولكم.

و الثّالثة: الآية: ٦، من سورة الإسراء: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ...﴾:

١ ـ هذه من جملة قصص موسى ﷺ بدء من ٢: ﴿وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ...﴾، و ختمًا بالآية: ٨، ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ...﴾.

٢ ـ و قد قال تعالى في ٤: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ...﴾، ثمّ قال في ٥: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولِيهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا...﴾، ثمّ قال: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ...﴾، فهذه نصر لهم بعد بأس شديد لهم.

٣ ـ و الآيات ـ كما جاء في النّصوص ـ تحكي

هجوم بُخت نصّر ملك بابل عليهم، ثمّ ردّهم إلى بيت المقدس بسيطرة «كورش،» الفارسيّ على بابل، فلاحظ.

٤ ــ و قال الطّبْرسيّ (٣: ٣٣٩) ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ...﴾: «أي رددنا لكم يا بني إسرائيل الدّولة، و أظهرناكم عليهم، و عاد ملككم على ما كان عليه...».

و الرّابعة: الآية: ٢٥، من سورة الأحزاب: ﴿وَرَدَّ اللهُ الَّذينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ...﴾:

١ ــ و هذه أيضًا مثل الآية الأُولى، من جملة آيات القتال في سورة الأحزاب الّتي سُمّيت بها، لاشتمالها على غزوة الأحزاب الّتي بدأت في العام الخامس الهجريّ، من قبل المشركين و اليهود القاطنين في المدينة جميعًا. و لكنّهم لم يقفوا أمام المسلمين، بل رجعوا إلى بلادهم، و منهم مشركو مكّة رجعوا إليها، كما قال تعالى فيها: ﴿وَرَدَّ اللهُ الَّذينَ كَفَرُوا...﴾، و ﴿وَ كَفَى اللهُ الْمُؤْمِنينَ الْقِتالَ...﴾.

٢ ــ و آيات القتال فيها بدأت بالآية: ٩، ﴿يا اَيُّهَا الَّذينَ اٰمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ اِذْ جاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَاَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ ريحًا وَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْها...﴾، و استدامت إلى الآية: ٢٧، ﴿وَ اَوْرَثَكُمْ اَرْضَهُمْ وَ دِيارَهُمْ...﴾.

و قد ذكر الله فيها موقف المؤمنين و ضعفة الإيمان و المنافقين أمام الأحزاب، و ختمها باليهود الّذين وافقوا المشركين في هذه الحرب؛ حيث قال فيهم: ﴿فَريقًا تَقْتُلُونَ وَ تَأْسِرُونَ فَريقًا * وَ اَوْرَثَكُمْ اَرْضَهُمْ وَ دِيارَهُمْ وَ اَمْوالَهُمْ...﴾.

٣ ــ و قد حكى الطّبْرسيّ (٤: ٣٤٠) قصّة «غزوة الخندق» ــ و هي نفس غزوة الأحزاب ــ نقلًا عن محمّد ابن كعب القُرَظيّ و غيره من أصحاب السِّير، فلاحظ.

٤ ــ و قال في معنى الآية: «يعني الأحزاب أباسفيان و جنوده و غطفان، و من معهم من قبائل العرب. ﴿بِغَيْظِهِمْ﴾ أي بغمّهم الّذي جاؤوا به، و حنقهم، لم يشفوا بنيل ما أرادوا و ﴿لَمْ يَنالُوا خَيْرًا﴾ أملوه، و أرادوه من الظّفر بالنّبيّ و المؤمنين. و إنّما سمّاه خيرًا لأنّ ذلك كان خيرًا عندهم.

و قيل: أراد بـ«الخير»: المال، كما في قوله: ﴿وَ اِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَديدٌ﴾ العاديات: ٨. ﴿وَ كَفَى اللهُ الْمُؤْمِنينَ الْقِتالَ﴾ أي مباشرة القتال بما أنزل الله على المشركين من الرّيح الشّديدة الباردة الّتي أزعجتهم عن أماكنهم، و بما أرسل من الملائكة، و بما قذف في قلوبهم من الرُّعب.

و قيل: بعليّ بن أبي طالب ﷺ، و قتله عمرو بن عَبْد وَد، و كان ذلك سبب هزيمة القوم، عن عبد الله بن مَسعود، و هو المرويّ عن أبي عبد الله ــ جعفر بن محمّد الصّادق ــ ﷺ...».

و الخامسة: الآية: ١٣، من سورة القصص: ﴿فَرَدَدْناهُ اِلٰى اُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُها وَ لا تَحْزَنَ...﴾:

١ ــ هذه من جملة قصّة موسى ﷺ في سورة القصص بدءً من الآية: ٣، ﴿نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَاِ مُوسٰى وَ فِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ...﴾، و ختمًا بالآية: ٤٦، ﴿وَ ما كُنْتَ بِجانِبِ الطُّورِ...﴾.

و قبلها آيات في أمّ موسى بدءً من الآية: ۷، ﴿وَ اَوْحَيْنَا اِلٰى اُمِّ مُوسٰى اَنْ اَرْضِعِيهِ...﴾، و آخرها هذه الآية.

٢ـ و قد أمر الله فيها أمّ موسى بأن تُرضعه و تُلقيه في اليمّ ففعلت، و التقطه آل فرعون فأصبحت أمّ موسى حزينة على ابنها، و حرّم الله المراضع عليه حتّى رجع إلى أمّه لئلّا تحزن، و لتعلم أنّ وعد الله بردّ ابنها إليها حقّ.

٣ـ و قال الطّبرسيّ (٤: ٢٤٢) ﴿فَرَدَدْنَاهُ اِلٰى اُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَ لَا تَحْزَنَ...﴾: «يعني عين أمّه. و انطلقت أخت موسى إلى أمّها، فجاءت بها إليهم. فلمّا وجد موسى ريح أمّه قبل ثديها، و سكن بكاؤه. و قيل: إنّ فرعون قال لأمّه: كيف ارتضع منك، و لم يرتضع من غيرك؟

فقالت: لأنّي امرأة طيّبة الرّيح طيّبة اللّبن، لاأكاد أوتي بصبيّ إلّا ارتضع منّي. فسُرّ فرعون بذلك. ﴿وَ لِتَعْلَمَ اَنَّ وَعْدَ اللّٰهِ حَقٌّ﴾ أراد به ما وعدها الله به في الآية المتقدّمة، لقوله: ﴿اِنَّا رَادُّوهُ اِلَيْكِ وَ جَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾...».

و السّادسة: الآية: ٥، من سورة التّين خلال الآيات ٤ ـ ٦: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْاِنْسَانَ فِى اَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْنَاهُ اَسْفَلَ سَافِلِينَ * اِلَّا الَّذِينَ اٰمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ اَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾:

١ ـ بيّن الله تعالى فيها أوّل خلقة الإنسان و آخره، حيث خلقه في أحسن تقويم، ثمّ ردّه إلى أسفل السّافلين.

٢ ـ و قال الطّبرسيّ (٥: ٥١١) ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْاِنْسَانَ فِى اَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾: « هذا جواب القسم، و أراد جنس الإنسان، و هو آدم و ذرّيّته، خلقهم الله في أحسن صورة، عن إبراهيم و مُجاهِد و قَتادَة.

و قيل: ﴿فِى اَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ أي منتصب القامة، و سائر الحيوان مُكبّ على وجهه إلّا الإنسان، عن ابن عبّاس.

و قيل: أراد أنّه خلقهم على كمال في أنفسهم، و اعتدال في جوارحهم، و أبانهم عن غيرهم بالنّطق و التّمييز و التّدبير، إلى غير ذلك ممّا يختصّ به الإنسان. و في ذلك إشارة أيضًا إلى حال الشّباب.

﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ اَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ يريد إلى الخرف، و أرذل العمر، و الهرم، و نقصان العقل. و السّافلون هم الضّعفاء و الزّمنى و الأطفال، و الشّيخ الكبير أسفل هؤلاء جميعًا، عن ابن عبّاس و إبراهيم و قَتادَة.

و قيل: معناه: ثمّ رددناه إلى النّار، عن الحسَن و مُجاهِد و ابن زَيْد و الجُبّائيّ. و المعنى: إلى أسفل الأسفلين، لأنّ جهنّم بعضها أسفل من بعض. و على هذا فالمراد به الكفّار، أي خلقناهم في أحسن خلقة أحرارًا عقلاء مكلّفين، فكفروا فرددناهم إلى النّار في أقبح صورة.

ثمّ استثنى فقال: ﴿اِلَّا الَّذِينَ اٰمَنُوا﴾ أي صدّقوا بالله. ﴿وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أي أخلصوا العبادة لله، و أضافوا إلى ذلك الأعمال الصّالحة، فإنّ هؤلاء لايردّون إلى النّار.

و من قال بالقول الأوّل قال: إنّ المؤمن لايردّ إلى

الخرف، و إن عمّر عمرًا طويلًا.

قال إبراهيم: إذا بلغ المؤمن من الكبر ما يعجز معه عن العمل، كتب له ما كان يعمل، و هو قوله: ﴿فَلَهُمْ اَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾.

و قال عِكْرِمَة: من رُدّ منهم إلى أرذل العمر، كُتب له صالح ما كان يعمل في شبابه، و ذلك ﴿اَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾».

٣ـ ثمّ أطال الكلام في نقل الأقوال و رواية الحديث، فلاحظ. هذا كلّه في الماضي المعلوم.

و أمّا الماضي المجهول فخمس آيات:

٧ـ ﴿سَتَجِدُونَ اٰخَرِينَ يُرِيدُونَ اَنْ يَاْمَنُوكُمْ وَ يَاْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّمَا رُدُّوا اِلَى الْفِتْنَةِ اُرْكِسُوا فِيهَا فَاِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَ يُلْقُوا اِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَ يَكُفُّوا اَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَ اقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَ اُولٰئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ النساء: ٩١

٨ ـ ﴿بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَ لَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَ اِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ الأنعام: ٢٨

٩ـ ﴿وَ هُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَ يُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتّٰى اِذَا جَاءَ اَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَ هُمْ لَا يُفَرِّطُونَ * ثُمَّ رُدُّوا اِلَى اللهِ مَوْلٰيهُمُ الْحَقِّ اَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَ هُوَ اَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ الأنعام: ٦١، ٦٢

١٠ـ ﴿وَ لَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ اِلَيْهِمْ قَالُوا يَا اَبَانَا مَا نَبْغِي هٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ اِلَيْنَا وَ نَمِيرُ اَهْلَنَا وَ نَحْفَظُ اَخَانَا وَ نَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾ يوسف: ٦٥

١١ـ ﴿وَ مَا اَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَ لَئِنْ رُدِدْتُ اِلٰى رَبِّي لَاَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ الكهف: ٣٦

و في كلّ منها بُحُوثٌ:

الأولى الآية: ٩١، من سورة النّساء: ﴿سَتَجِدُونَ اٰخَرِينَ يُرِيدُونَ اَنْ يَاْمَنُوكُمْ وَ يَاْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّمَا رُدُّوا اِلَى الْفِتْنَةِ...﴾:

١ ـ هذه من جملة الآيات في المنافقين و ضعفة الإيمان، جاءت قبلها و بعدها في السّورة. يقول الله تعالى في هذه: إنّ من هؤلاء الفرق جماعة يحبّون أن يأمنوكم و يأمنوا قومهم، لكنّهم إذا رُدّوا إلى الفتنة استسلموها. ثمّ أمر المؤمنين بقتال هؤلاء إن لم يعتزموا المؤمنين، و لم يلقوا إليهم السّلم.

٢ ـ و قال الطّبْرسيّ (٢: ٨٩) في النّزول: «اختُلف في من عُني بهذه الآية:

فقيل: نزلت في أناس كانوا يأتون النّبيّ، فيسلّمون رئاء، ثمّ يرجعون إلى قريش، فيرتكسون في الأوثان، يبتغون بذلك أن يأمنوا قومهم، و يأمنوا نبيّ الله، فأبى الله ذلك عليهم، عن ابن عبّاس، و مُجاهِد.

و قيل: نزلت في نُعيم بن مَسعود الأشجعيّ، كان ينقل الحديث بين النّبيّ و بين المشركين، عن السُّدّيّ.

و قيل: نزلت في أسد، و غطفان، عن مُقاتِل.

و قيل: نزلت في عيينة بن حصين الفزاريّ، و ذلك أنّه أجدبت بلادهم، فجاء إلى رسول الله، و وادعه على أن يقيم ببطن نخل، و لا يتعرّض له، و كان منافقًا ملعونًا، و هو الّذي سمّاه رسول الله ﷺ الأحمق المطاع في قومه، و هو المرويّ عن الصّادقين عليهم السّلام».

٣ـ و قال في المعنى: «ثمّ بيّن تعالى طائفة أخرى منهم فقال: ﴿سَتَجِدُونَ آخَرِينَ﴾ يعني: قومًا آخرين غير الّذين وصفتهم قبل ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ﴾ فيُظهرون الإسلام ﴿وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ﴾ فيُظهرون لهم الموافقة في دينهم، ﴿كُلَّمَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا﴾ المراد بـ ﴿الْفِتْنَةِ﴾ هنا: الشّرك، أي كلّما دعوا إلى الكفر، أجابوا و رجعوا إليه. و الفتنة في اللّغة: الاختبار، و الإركاس: الرّدّ. قال الزّجّاج: ﴿أُرْكِسُوا فِيهَا﴾: انتكسوا في عقدهم.

فالمعنى: كلّما رُدّوا إلى الاختبار ليرجعوا إلى الكفر، رجعوا إليه...»، ثمّ فسّر باقي الآية.

و الثّانية: الآية: ٢٨، من سورة الأنعام: ﴿... وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ...﴾، و قبلها: ﴿... فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ...﴾، فجاء فيها من هذه المادّة المضارع المجهول أيضًا، فنبحثهما معًا:

١ـ و هاتان الآيتان حجاج على المشركين كأكثر آيات هذه السّورة المكّيّة الّتي هي حجاج عليهم أيضًا: في المبدإ والمعاد و الرّسالة و غيرها، حتّى ما جاء فيها من قصص الأنبياء.

٢ـ ذكر الله تعالى فيهما أنّ المشركين لـمّا يقفون في جهنّم على النّار يقولون: ﴿يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، ثمّ قال: ﴿بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ﴾ ـ و هو العذاب ـ ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ ـ من الكفر ـ.

٣ـ و قال الطّبْرسيّ (٢: ٢٨٩) في الإعراب: «﴿وَلَوْ تَرَى﴾ جوابه محذوف، و تقديره: لرأيت أمرًا هائلًا، ونحوه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾ الرّعد: ٣١، يريد لكان هذا القرآن. و هذه الأجوبة إنّما تُحذَف لتعظيم الأمر و تفخيمه». [ثمّ استشهد بشعر]

٤ـ و قال في المعنى: «ثمّ بيّن سبحانه ما ينال هؤلاء الكفّار يوم القيامة من الحسرة، و تمنّي الرّجعة، فقال: ﴿وَلَوْ تَرَى﴾ يا محمّد، أو يا أيّها السّامع ﴿إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ﴾. فهذا يحتمل ثلاثة أوجه: جائز أن يكون المعنى عاينوا النّار، و جائز أن يكونوا عليها و هي تحتهم.

قال الزّجّاج: و الأجود أن يكون معناه: أُدخلوها فعرفوا مقدار عذابها، كما تقول في الكلام: قد وقفت على ما عند فلان، تريد: قد فهمته و تبيّنته.

و هذا و إن كان بلفظ الماضي، فالمراد به الاستقبال. و إنّما جاز ذلك، لأنّ كلّ ما هو كائن يومًا ممّا لم يكن بعد، فهو عند الله قد كان. [ثمّ استشهد بشعر]

﴿فَقَالُوا﴾ أي فقال الكفّار حين عاينوا العذاب، و ندموا على ما فعلوا ﴿يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ﴾ إلى الدّنيا، ﴿وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا﴾ أي بكتب ربّنا و رسله، و جميع ما جاءنا من عنده، ﴿وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني من جملة المؤمنين بآيات الله...» ثمّ فسّر باقي الآية.

و الثّالثة: الآية: ٦٢، من سورة الأنعام: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللهِ مَوْلَيهُمُ الْحَقِّ...﴾، و قبلها: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً...﴾.

١ـ و هاتان أيضًا كاللّتين قبلهما في التوحيد

و المعاد. فصدرهما: ﴿وَ هُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ توحيد، وذيلهما: ﴿وَ هُوَ اَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ معاد.

٢ ـ و قال الطَّبْرسيّ (٢: ٣١٢) ﴿وَ هُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾: «معناه: و الله المقتدر المستعلي على عباده، الّذي هو فوقهم، لابمعنى أنّه في مكان مرتفع فوقهم، و فوق مكانهم، لأنّ ذلك من صفة الأجسام؟ و الله تعالى منزّه عن ذلك. و مثله في اللُّغة: أمر فلان فوق أمر فلان، أي هو أعلى أمرًا، و أنفذ حكمًا. و مثله قوله: ﴿يَدُ اللهِ فَوْقَ اَيْدِيهِمْ﴾ الفتح: ١٠. فالمراد به أنّه أقوى و أقدر منهم، و أنّه القاهر لهم. و يقال: هو فوقه في العلم، أي أعلم منه، وفوقه في الجود، أي أجود، فعبّر عن تلك الزّيادة بهذه العبارة للبيان عنها»، ثمّ ذكر تفسيرها إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوا اِلَى اللهِ﴾، فقال: «أي إلى الموضع الّذي لايملك الحكم فيه إلّا هو ﴿مَوْلَيهُمُ الْحَقِّ﴾ قد مرّ معناه عند قوله: ﴿اَنْتَ مَوْلَانَا...﴾ البقرة: ٢٨٦.

و ﴿الْحَقِّ﴾: اسم من أسماء الله تعالى، و اختُلف في معناه:

فقيل: المعنى: أنّ أمره كلّه حقّ لايشوبه باطل، و جدّ لايجاوره هزل، فيكون مصدرًا وُصف به، نحو قولهم: رجل عدل. [ثمّ استشهد بشعر]

و قيل: إنّ ﴿الْحَقِّ﴾ بمعنى المحقّ، كما قيل: غياث بمعنى مُغيث.

و قيل: إنّ معناه: الثّابت الباقي الّذي لافناء له.

و قيل: معناه: ذو الحقّ، يريد أنّ أفعاله و أقواله حقّ.

﴿اَلَا لَهُ الْحُكْمُ﴾ أي القضاء فيهم يوم القيامة. لايملك الحكم في ذلك اليوم سواه، كما قد يملك الحكم في الدّنيا غيره بتمليكه إيّاه.

﴿وَ هُوَ اَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ أي إذا حاسب فحسابه سريع، و قد مضى معناه في سورة البقرة عند قوله: ﴿سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ البقرة: ٢٠٢». ثمّ ذكر حديثًا عن عليّ ﵇ في معناه.

و الرّابعة: الآية: ٦٥، من سورة يوسف: ﴿وَ لَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ اِلَيْهِمْ...﴾:

١ ـ هي من جملة الآيات من قصّة يوسف ﵇ الّتي شغلت أكثر هذه السّورة. و جاءت فيها ﴿رُدَّتْ﴾ مرّتين.

٢ ـ و هي تحمل قول إخوة يوسف لأبيهم ﵇ بعد رجوعهم من قبل يوسف إليه، حاملين طلب يوسف منهم بإتيانهم أخيه «بنيامين» في الآيتين ٥٩ و ٦٠. ﴿وَ لَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِاَخٍ لَكُمْ مِنْ اَبِيكُمْ...﴾، و ﴿فَاِنْ لَمْ تَاْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي﴾.

فإنّهم لـمّا فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم رُدّت إليهم، الّتي أمر يوسف فتيانه في الآية ٦٢، إذ قال لهم: ﴿اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا...﴾، فقالوا لأبيهم: ﴿يَا اَبَانَا مَا نَبْغِي هٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ اِلَيْنَا وَ نَمِيرُ اَهْلَنَا وَ نَحْفَظُ اَخَانَا...﴾.

٣ ـ و قال الطَّبْرسيّ (٣: ٢٤٨) ﴿هٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ اِلَيْنَا﴾: «أي فلاينبغي أن نخاف على أخينا ممّن قد أحسن إلينا هذا الإحسان.

و قيل: المراد: ما نريد منك دراهم تعطيناها نرجع

بها إليه، بل تكفينا في الرّجوع إليه بضاعتنا هذه، فإنّ الملك إذا فعلنا ما أمرنا به في أخينا، يفي بما وعدنا، و أرسله معنا.

﴿وَ نَمِيرُ أَهْلَنَا﴾ أي نجلب إليهم الطّعام ﴿وَ نَحْفَظُ أَخَانَا﴾ في السّفر حتّى نردّه إليك. ﴿وَ نَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾ لأجله، لأنّه كان يكال لكلّ رجل وقر بعير.

﴿ذٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾ أي ذلك كيل سهل، أي يسهل على الّذي يمضي إليه، عن الزّجّاج.

و المعنى: إنّه هيّن على الملك لا يصعب عليه، و لا يظهر في ماله.

و قيل: معناه: أنّ الّذي جئناك به كيل قليل، لا يقنعنا، فنحتاج أن نضيف إليه كيل بعير أخينا، عن الجُبّائيّ.

و قيل: يسير على من يكتاله، لامؤنة فيه، و لا مشقّة، عن الحسن.

و هذا كلّه تنبيه منهم على وجه الصّواب في إرساله معهم...».

و الخامسة: الآية: ٣٦، من سورة الكهف: ﴿وَ مَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَ لَئِنْ رُدِدْتُ إِلٰى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾:

١ـ و هي قول أحد رجلين، ذكرهما الله تعالى في سورة الكهف: الآيات ٣٢ إلى ٤٤ بدءه بـ: ﴿وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ...﴾، و ختمـا بـ: ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ...﴾.

٢ـ و أحد الرّجلين مؤمن و الآخر شاكّ أو كافر، و هذه قوله حيث شكّ في القيامة، و قال: ﴿وَ مَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾، و مع ذلك تمنّى أن يؤتيه الله في الجنّة خيرًا من جنّتيه في الدّنيا لو كانت السّاعة حقًّا.

٣ـ و قال الطّبرسيّ (٣: ٤٦٨) ﴿وَ مَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً...﴾: «أي و ما أحسب القيامة آتية كائنة على ما يقوله الموحّدون.

﴿وَ لَئِنْ رُدِدْتُ إِلٰى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ معناه: و لئن كانت القيامة و البعث حقًّا ـ كما يقوله الموحّدون ـ لأجدنّ خيرًا من هذه الجنّة.

قال الزّجّاج: و هذا يدلّ على أنّ صاحبه المؤمن قد أعلمه أنّ السّاعة تقوم، و أنّه يُبعث، فأجابه بأن قال له: ﴿وَ لَئِنْ رُدِدْتُ إِلٰى رَبِّي﴾ أي كما أعطاني هذه في الدّنيا، سيُعطيني في الآخرة أفضل منها، لكرامتي عليه. ظنّ الجاهل أنّه أُوتي ما أُوتي لكرامته على الله تعالى.

و قيل: معناه: لأكتسبنّ في الآخرة خيرًا من هذه الّتي اكتسبتها في الدّنيا.

و من قرأ: (مِنْهُمَا) ردّ الكناية إلى الجنّتين، تقدّم ذكرهما.

و في هذا دلالة على أنّه لم يكن قاطعًا على نفي المعاد، بل كان شاكًّا فيه».

و أمّا المضارع فجاء أيضًا معلومًا و مجهولاً:

أمّا المعلوم فخمس آيات:

١٢ـ ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَ اصْفَحُوا حَتّٰى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللهَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ البقرة: ١٠٩

١٣ ـ ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ البقرة: ٢١٧

١٤ ـ ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾

آل عمران: ١٠٠

١٥ ـ ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾.

آل عمران: ١٤٩

١٦ ـ ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولًا﴾ النساء: ٤٧

و في كلّ منها بحوث:

الأولى الآية: ١٠٩، من سورة البقرة: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ...﴾:

١ ـ هذه من جملة آيات كثيرة بشأن أهل الكتاب في هذه السّورة قبلها و بعدها. و محتواها أنّ كثيرًا من أهل الكتاب يودّون أن يردّون المؤمنين كفّارًا و نظيرها الآية: ٢١٧، منها ـ و سنبحثها ـ ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا...﴾.

٢ ـ و قال الطّبرسيّ (١: ١٨٤) في «النّزول»: «نزلت الآية في حيّيّ بن أخطب، و أخيه أبي ياسر بن أخطب، و قد دخلا على النّبيّ ﷺ حين قدم المدينة، فلمّا خرجا قيل لحييّ: أهو نبيّ؟ قال: هو هو. فقيل: فما له عندك؟ قال: العداوة إلى الموت، و هو الّذي نقض العهد، و أثار الحرب يوم الأحزاب، عن ابن عبّاس. و قيل: نزلت في كعب بن الأشرف، عن الزّهريّ. و قيل: في جماعة اليهود، عن الحسن. و هذا صريح الآية: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ...﴾».

و الثّانية: الآية: ٢١٧، من البقرة أيضًا: ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ...﴾:

١ ـ و قد جاءت فيها كلمتان من هذه المادّة: ﴿يَرُدُّوكُمْ﴾ و ﴿يَرْتَدِدْ﴾ فصدر الآية حكاية سؤالهم النّبيّ ﷺ عن القتال في الشّهر الحرام، و قد أكّد الله أنّه ذنب كبير و صدّ عن سبيل الله، و كفر به و بالمسجد الحرام، و أنّ إخراج أهله أكبر من القتال في الشّهر الحرام، و أنّ الفتنة أكبر من القتل.

٢ ـ ثمّ ينتقل إلى مسألة أخرى، و هي أنّ المشركين لايزالون يقاتلون المؤمنين حتّى يردّوهم عن دينهم إن استطاعوا. ثمّ ينتقل إلى ذمّ الارتداد بتعبير أكيد: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ...﴾. و سيأتي في آيات الارتداد.

٣ ـ و قال الطّبرسيّ (١: ٣١١) في «اللّغة»: «الصّدّ و المنع و الصّرف نظائر. يقال: صدّ عن الشّيء يصدّ صدودًا و صدًّا، إذا أعرض و عدل عنه. و صدّ غيره يصدّه صدًّا، إذا عدل به عنه و منعه. و الصّدد: ما

استقبلك، وصار في قبالتك، لأنّه يعدل إلى مواجهتك.

و الصّدّان: ناحيتا الشّعب و الوادي.

و الصّداد: ضرب من الجُرذان يعدلك لشدّة تحرّزه. و الصّداد: الوزغ، لأنّه يُعدَل عنه استقذارًا له.

و أصل الباب: العدول.

«لايزال» أصله من الزّوال: و هو العدول. و معنى لايزال: يدوم موجودًا. و ما زال، أي دام.

و حبط عمل الرّجل حَبْطًا، و حُبوطًا، و أحبطه الله إحباطًا.

و الحبط: فساد يلحق الماشية في بطونها، لأكل الحباط: و هو ضرب من الكلإ، يقال: حبطت الإبل تحبط حَبْطًا، إذا أصابها ذلك، ثمّ سمّي الهلاك حَبْطًا، و في الحديث: إنّ ممّا ينبت الرّبيع ما يقتل حبطًا، أو يلمّ».

٤ ـ و قال في «النّزول»: «قال المفسّرون: بعث رسول الله سريّة من المسلمين، و أمّر عليهم عبد الله بن جحش الأسديّ، و هو ابن عمّة النّبيّ ﷺ، و ذلك قبل قتال بدر بشهرين، على رأس سبعة عشر شهرًا من مقدّمه المدينة، فانطلقوا حتّى هبطوا نخلة، فوجدوا بها عمرو بن الحضرميّ في عير تجارة لقريش، في آخر يوم من جُمادى الآخرة، و كانوا يرون أنّه من جُمادى، و هو رجب، فاختصم المسلمون، فقال قائل منهم: هذه غرّة من عدوّ، و غنم رزقتموه، و لاندري أمن الشّهر الحرام هذا اليوم أم لا؟

و قال قائل منهم: لانعلم هذا اليوم إلّا من الشّهر الحرام، و لانرى أن تستحلّوه لطمع أشفيتم عليه. فغلب على الأمر الّذي يريدون عرض الحياة الدّنيا، فشدّوا على ابن الحضرميّ فقتلوه، و غنموا عيره، فبلغ ذلك كفّار قريش. و كان ابن الحضرميّ أوّل قتيل قُتل بين المشركين و المسلمين؛ و ذلك أوّل فيما أصابه المسلمون. فركب وفد كفّار قريش حتّى قدموا على النّبيّ ﷺ، فقالوا: أيحلّ القتال في الشّهر الحرام؟ فأنزل الله هذه الآية». ثمّ فسّر الآية، فلاحظ.

و الثّالثة: الآية: ۱۰۰، من سورة آل عمران خطابًا إلى المؤمنين: ﴿يَاۤ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا...﴾:

۱ ـ هذه جاءت بعد الآيتين ۹۸ و ۹۹: خطابًا إلى أهل الكتاب ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ...﴾، و ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ...﴾، و بعدها آيات كثيرة خطابًا إلى المؤمنين.

۲ ـ و المراد بهذه الآية و الّتي بعدها النّهي عن إطاعة أهل الكتاب، و أنّها كفر.

۳ ـ و قال الطّبرسيّ في «اللّغة» (۱ : ٤۸۰): «الطّاعة: موافقة الإرادة الجاذبة للفعل بالتّرغيب فيه، والإجابة: موافقة الإرادة الدّاعية إلى الفعل؛ و لذلك يجوز أن يكون الله مجيبًا إلى عبده إذا فعل ما دعا العبد به، و لم يجز أن يكون مطيعًا له.

و أصل الاعتصام: الامتناع، و عصمه يعصمه، إذا منعه. ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ﴾ هود : ٤۳، أي و لامانع.

و العِصام: الحبل، لأنّه يُعتصَم به. و العُصْم: الأوعال لامتناعها بالجبال».

٤ ـ و قال في «النّزول»: «نزلت في الأوس

و الخزرج لما أغرى قوم من اليهود بينهم بذكر حروبهم في الجاهليّة، ليفتنوهم عن دينهم، عن زَيْد بن أسلم و السُّدّيّ.

و قيل: نزل قوله: ﴿وَ كَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ في مشركي العرب، عن الحسَن». ثمّ فسّر الآيتين، فلاحظ.

و الرّابعة: الآية: ١٤٩، من سورة آل عمران أيضًا: ﴿يَاءَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾:

١ ـ و هي في المنع عن إطاعة الكفّار، و أنّهم لو أطاعوهم يردّوهم على أعقابهم كافرين.

و المراد بالكفّار هنا: المشركون كما جاء بعدها في الآية: ١٥١، ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا...﴾.

لكنّ الطَّبْرِسيّ (١: ٥١٨) قال في «النّزول»: «قيل: نزلت في المنافقين إذ قالوا للمؤمنين».

٢ ـ و قد ذكر في «اللُّغة» معنى الإطاعة مثل ما ذكره في تلك الآية، إلّا أنّه أضاف: «و في النّاس من قال: الطّاعة هي موافقة الأمر. و الأوّل أصحّ، لأنّ من فعل ما يقتضي العقل وجوبه أو حسنه كان مطيعًا لله، و إن لم يكن هناك أمر». ثمّ ذكر تفسيرها في «المعنى» فلاحظ.

و الخامسة: الآية: ٤٧، من سورة النّساء، خطابًا إلى أهل الكتاب: ﴿يَاءَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ...﴾:

١ ـ قد بيّن الله التّشريع من أوّل سورة النّساء إلى الآية: ٤٩، ثمّ بدأ الله الحديث عن أهل الكتاب و اليهود في الآية: ٤٦، ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ...﴾، و استدام الحديث عنهم إلى الآية: ٥٥، ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ بِهِ وَ مِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ...﴾، ثمّ رجع إلى التّشريع ـ و في خلالها آيات في المنافقين ـ إلى الآية: ١٥٢.

ثمّ بدأ الحديث مرّةً أخرى عن أهل الكتاب و لاسيّما عن اليهود بقوله: ﴿يَسْئَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ...﴾، إلى آخر السّورة. و في خلالها آيات في التّشريع أيضًا، و آخرها آية الكلالة، فلاحظ.

٢ ـ و قد ذكر في هذه الآية و بعدها خطابًا إلى المؤمنين، أنّ أهل الكتاب يريدون أن يُضلّوهم، و أنّ الله أعلم بأعدائهم و أنّه يكفيهم و ينصرهم.

٣ ـ و قال الطَّبْرِسيّ (٢: ٥٣) في «النّزول»: «نزلت في رفاعة بن زَيْد بن السّائب، و مالك بن دخشم، كانا إذا تكلّم رسول الله ﷺ لويا لسانهما، و عاباه، عن ابن عبّاس».

٤ ـ و قال في المعنى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ﴾: «أي ألم ينته علمك إلى الّذين أعطوا حظًّا من علم الكتاب ـ يعني التّوراة ـ و هم اليهود، عن ابن عبّاس.

﴿يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ﴾: أي يستبدلون الضّلالة بالهدى، و يكذّبون النّبيّ ﷺ بدلًا من التّصديق.

و قيل: كانت اليهود تُعطي أحبارها كثيرًا من أموالهم، على ما كانوا يضعونه لهم، فجعل ذلك اشتراء منهم، عن أبي عليّ الجُبّائيّ.

و قيل: كانوا يأخذون الرُّشى، عن الزّجّاج». ثمّ فسّر باقي الآيات.

و أمّا المضارع المجهول فإحدى عشرة آية:

١٧ ـ ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَ تُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَ الْعُدْوَانِ وَ إِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارٰى تُفَادُوهُمْ وَ هُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَ تَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذٰلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلٰى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَ مَا اللّٰهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ البقرة: ٨٥

١٨ ـ ﴿قُلْ أَنَدْعُوا مِنْ دُونِ اللّٰهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَ لَا يَضُرُّنَا وَ نُرَدُّ عَلٰى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدٰينَا اللّٰهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللّٰهِ هُوَ الْهُدٰى وَ أُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الأنعام: ٧١

١٩ ـ ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَ ضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾. الأعراف: ٥٣

٢٠ ـ ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللّٰهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَ سَيَرَى اللّٰهُ عَمَلَكُمْ وَ رَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلٰى عَالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ التوبة: ٩٤

٢١ ـ ﴿وَ مِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلٰى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ التوبة: ١٠١

٢٢ ـ ﴿وَ قُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللّٰهُ عَمَلَكُمْ وَ رَسُولُهُ وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ سَتُرَدُّونَ إِلٰى عَالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ التوبة: ١٠٥

٢٣ ـ ﴿وَ اللّٰهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفّٰيكُمْ وَ مِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلٰى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللّٰهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ النحل: ٧٠

٢٤ ـ ﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلٰى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا﴾ الكهف: ٨٧

٢٥ ـ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَ غَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَ نُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلٰى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَ مِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفّٰى وَ مِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلٰى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَ تَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَ رَبَتْ وَ أَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ الحجّ: ٥

٢٦ ـ ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَ مَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَ مَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثٰى وَ لَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَ يَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ﴾ فصّلت: ٤٧

٢٧ ـ ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلٰى عَالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ الجمعة: ٨

و في كلّ منها بحوث:

الأولى: الآية: ٨٥، من سورة البقرة: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ... وَ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلٰى أَشَدِّ

الْعَذَابِ...﴾:

١ ـ هذه من جملة الآيات الخمس و التسعين من قصص اليهود في سورة البقرة ـ و هي أطولها ـ بدءً من الآية: ٤٠، ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ...﴾، و ختمًا بالآية: ١٢٣، ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا...﴾، و قد ذمّ الله اليهود في هذه الآية و فيما قبلها، على قتل النّفس، و إخراج النّاس من ديارهم.

٢ ـ و قال الطّبرسيّ (١: ١٥٣) في «الإعراب»: قوله: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هٰؤُلَاءِ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنّ ﴿أَنْتُمْ﴾ مبتدأ، و ﴿هٰؤُلَاءِ﴾ منادى مفرد، تقديره: يا هؤلاء. و ﴿تَقْتُلُونَ﴾ خبر المبتدإ.

و ثانيها: أنّ ﴿هٰؤُلَاءِ﴾ تأكيد لـ ﴿أَنْتُمْ﴾.

و ثالثها: أنّه بمعنى «الّذين»، و ﴿تَقْتُلُونَ﴾ صلة له، أي أنتم الّذين تقتلون أنفسكم. فعلى هذا يكون ﴿تَقْتُلُونَ﴾ لا موضع له من الإعراب، و مثله في الصّلة قوله: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسٰى﴾ طٰه: ١٧، أي و ما الّتي بيمينك؟». [ثمّ استشهد بشعر]

٣ ـ و قال في معنى ﴿تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾: «أي يقتل بعضكم بعضًا، كقوله سبحانه: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلٰى أَنْفُسِكُمْ﴾ النّور: ٦١، أي ليُسلّم بعضكم على بعض. و قيل: معناه تتعرّضون للقتل»، ثمّ فسّر باقي الآية.

٤ ـ و قال: «و اختُلف فيمن عُني بهذه الآية. فروى عِكْرِمَة، عن ابن عبّاس أنّ قُرَيظة و النّضير كانا أخوين كالأوس و الخزرج، فافترقوا. فكانت النّضير مع الخزرج، و كانت قُرَيظة مع الأوس. فإذا اقتتلوا عاونت كلّ فرقة حلفاءها. فإذا وضعت الحرب أوزارها، فدوا أسراها تصديقًا لما في التّوراة. و الأوس و الخزرج أهل شرك، يعبدون الأوثان، لا يعرفون جنّة و لا نارًا، و لا قيامة و لا كتابًا، فأنبأ الله تعالى اليهود بما فعلوه»، ثمّ نقل أقوال أبي العالية و غيره تفصيلًا.

و الثّانية: الآية: ٧١، من سورة الأنعام: ﴿قُلْ أَنَدْعُوا مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلٰى أَعْقَابِنَا...﴾:

١ ـ هذه خطاب من الله إلى النّبيّ ﷺ بأن يقول للمشركين: أندعو الأصنام و نردّ على أعقابنا بعد أن هدانا الله؟ ثمّ قال له: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدٰى...﴾، و أدام الكلام إلى الآية: ٧٣، ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ...﴾.

٢ ـ و قال الطّبرسيّ (٢: ٣١٩) في «اللّغة» في ﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ﴾: «استهواه: من قولهم: هوى من حالق، إذا تردّى منه، و يُشبّه به الّذي زلّ عن الطّريق المستقيم، كما أنّ قوله: «زلّ» إنّما هو في المكان. قال: قام على مَنزعة زلخ فزلّ. ثمّ يشبّه به المُخطئ في طريقته، في مثل قوله: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ البقرة: ٣٦، فكذلك هوى و أهواه غيره، فيقال: أهويته و استهويته بمعنًى. كما يقال: أزلّه الشّيطان و استزلّه بمعنًى. و كذلك استجابه بمعنى أجابه، قال:

* فلم يستجبه عند ذاك مجيب *

و الحيران: المتردّد في أمر لا يهتدي إلى المخرج منه، و الفعل منه: حار يحار حيرة، و رجل حائر،

و حيران، و قوم حيارى». ثمّ حدّث عن الإعراب و المعنى في الآية، فلاحظ.

و الثّالثة: الآية: ٥٣، من سورة الأعراف: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ...أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾:

١ ـ و هذه تتمّة لما قبلها بشأن القرآن: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، ثمّ قال: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ...﴾ أي تأويل الكتاب، و المراد بالتّأويل: الآخرة، كما قال: ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ...﴾.

٢ ـ و قال الطَّبْرِسيّ (٢: ٤٢٦) في «اللُّغة» في الآيتين: «الكتاب: صحيفة فيها حروف مسطورة، تدلّ بتأليفها على معان مفهومة.

و التّفصيل، و التّبيين، و التّقسيم نظائر.

﴿يَنْظُرُونَ﴾ أي ينتظرون. و الانتظار هو الإقبال على ما يأتي بالتّوقّع له، و أصله الإقبال على الشّيء بوجه من الوجوه.

و التّأويل: ما يؤول إليه حال الشّيء.

و النّسيان: ذهاب المعنى عن النّفس. و اختلف المتكلّمون فيه:

فقال أبوعليّ الجُبّائيّ: إنّه معنى.

و قال أبوهاشم: ليس بمعنى، و إنّما هو من قبيل السّهو.

و قال القاضي: هو ذهاب العلم الضّروريّ، و إليه ذهب المرتضى».

٣ ـ و قال خلال تفسيرها: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾: «أي هل ينتظرون إلّا عاقبة الجزاء عليه، و ما يؤول مغبّة أمورهم إليه. عن الحسن، و قتادة، و مُجاهِد، و السُّدّيّ. و إنّما أضاف إليهم مجازًا، لأنّهم كانوا جاحدين لذلك، غير متوقّعين له. و إنّما كان ينتظر بهم المؤمنون لإيمانهم بذلك، و اعترافهم به.

و قيل: إنّ تأويله ما وُعدوا به من البعث و النّشور، و الحساب و العقاب، عن الجُبّائيّ.

﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾ أي يوم يأتي عاقبة ما وُعدوا به». ثمّ فسّر باقي الآية.

و الرّابعة، و الخامسة، و السّادسة: الآيات: ٩٤، و ١٠١ و ١٠٥ من سورة التّوبة:

١ ـ و قد جاء في الأُولى و الأخيرة بسياق واحد: ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ﴾، و ﴿وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، و جاء في الثّانية: ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾.

٢ ـ و الآيات الثّلاث جاءت خلال الآيات الّتي نزلت في المنافقين، فقد جاء في صدر الآية الثّانية: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ...﴾.

٣ ـ و قد قال الطَّبْرِسيّ ذيل الأُولى: «قيل: نزلت الآيات في جدّ بن قيس، و مُعتّب بن قشير، و أصحابهما من المنافقين، و كانوا ثمانين رجلًا، و لمّا قدم النّبيّ ﷺ المدينة راجعًا من تبوك، قال: لاتجالسوهم، و لاتكلّموهم، عن ابن عبّاس.

و قيل: نزلت في عبد الله بن أُبيّ، حلف للنّبيّ ﷺ أن لايتخلّف عنه بعدها، و طلب إلى النّبيّ ﷺ أن

يرضى عنه، عن مُقاتل».

و السّابعة: الآية: ٧٠، من سورة النّحل: ﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفّيكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ اِلىٰ اَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾:

١ ـ هذه من جملة آيات خاطب الله بها النّاس في هذه السّورة، بشأن المبدإ و المعاد و غيرهما. و بعدها: ﴿وَاللهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلىٰ بَعْضٍ...﴾، ﴿وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ اَنْفُسِكُمْ اَزْوَاجًا...﴾، و في الآية: ٨٠، ﴿وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا...﴾، و في الآية: ٨١، ﴿وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا...﴾.

٢ ـ و قال الطّبرسيّ (٣: ٣٧٢) في «المعنى» ﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ﴾: «أي أوجدكم، و أنعم عليكم بضروب النّعم الدّينيّة و الدّنيويّة.

﴿ثُمَّ يَتَوَفّيكُمْ﴾ و يقبضكم أي يميتكم.

﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ اِلىٰ اَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾ أي أدون العمر و أوضعه، أي يبقيه حتّى يصير الهرم و الخرف، فيظهر النّقصان في جوارحه، و حواسّه، و عقله.

و رووا عن عليّ عليه السلام: «إنّ أرذل العمر خمس و سبعون سنة. و روي مثل ذلك عن النّبيّ صلى الله عليه و آله، و عن قتادة: تسعون سنة.

﴿لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ أي ليرجع إلى حال الطّفوليّة بنسيان ما كان علمه، لأجل الكبر، فكأنّه لا يعلم شيئًا ممّا كان علمه. و قيل: ليقلّ علمه بخلاف ما كان عليه في حال شبابه...».

و الثّامنة: الآية: ٨٧، من سورة الكهف، حكاية عن ذي القرنين، جوابًا لله تعالى: ﴿قَالَ اَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ اِلىٰ رَبِّهِ...﴾، و قصّته جاءت في الآيات: ٨٣ إلى ٩٨، من سورة الكهف، و قبل هذه الآية حكاية عن الله: ﴿قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ اِمَّا اَنْ تُعَذِّبَ وَاِمَّا اَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا...﴾، و بعدها: ﴿وَاَمَّا مَنْ اٰمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ اَمْرِنَا يُسْرًا﴾.

١ ـ و قد استسلم ذو القرنين لقوله تعالى: ﴿اِمَّا اَنْ تُعَذِّبَ...﴾ فأعلن أنّه يتخذ في الظّالم و الصّالح منهما طريقة العدل، فيعذّب الظّالم، و يُجازي الصّالح.

٢ ـ و قال الطّبرسيّ (٣: ٤٨٠) ﴿اَمَّا مَنْ ظَلَمَ﴾: «أي أشرك، عن ابن عبّاس.

﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ﴾ أي نقتله إذا لم يرجع عن الشّرك.

﴿ثُمَّ يُرَدُّ اِلىٰ رَبِّهِ﴾ بعد قتلي إيّاه.

﴿فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا﴾ أي منكرًا غير معهود، يعني في النّار، و هو أشدّ من القتل في الدّنيا».

٣ ـ و قال: «و اختُلف فيه، فقيل: إنّه نبيّ مبعوث، فتح الله على يديه الأرض، عن مُجاهِد، و عبد الله بن عمر. و قيل: إنّه كان ملكًا عادلًا.

و روي عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام: إنّه كان عبدًا صالحًا، أحبّ الله، و أحبّه الله، و ناصح الله و ناصحه، قد أمر قومه بتقوى الله، فضربوه على قرنه ضربة بالسّيف، فغاب عنهم ما شاء الله. ثمّ رجع إليهم فدعاهم إلى الله، فضربوه على قرنه الآخر بالسّيف، فذلك قرناه، و فيكم مثله، يعني نفسه عليه السلام.

و في سبب تسميته بـ«ذي القرنين» أقوال أُخر».

و ذكرها.

و الحقّ أنّه «كورش ملك فارس» ـ كما جاء في العهد القديم ـ و هو الّذي هجم على بابل فأسقط ملكها، وأذن للإسرائيليّين بالرّجوع إلى بلدهم الأرض المقدّسة، فلاحظ.

و التّاسعة: الآية: ٥، من سورة الحجّ: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ.. وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ...﴾:

١ ـ و هذه من تتمّة الآيات قبلها، من أوّل السّورة بشأن المعاد. و قد جاء فيها الاحتجاج على البعث بخلقة الإنسان بمراحلها إلى الوفاة، فإنّ الّذي كان قادرًا على ذلك فهو قادر على البعث.

٢ ـ و قال الطّبرسيّ (٤: ٧٠) في «النّزول»: «قال عمران بن الحصين، و أبو سعيد الخدريّ: نزلت الآيتان من أوّل السّورة ليلًا في غزاة بني المصطلق، و هم حيّ من خزاعة...»، و شرحها.

٣ ـ و قال في المعنى: ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾: «أي أسوأ العمر و أخبثه عند أهله. و قيل: أحقره و أهونه، و هي حال الخوف. و إنّما صار أرذل العمر، لأنّ الإنسان لا يرجو بعده صحّة و قوّة، و إنّما يرتقب الموت والفناء، بخلاف حال الطّفوليّة و الضّعف الّذي يرجى له الكمال و التّمام بعدها».

و العاشرة: الآية: ٤٧، من سورة فصّلت: ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ...﴾:

١ ـ هذه ثانية الآيات في البعث بعد الآية قبلها: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾.

و ثالثتها: ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ﴾، ثمّ انتقل من البعث إلى الدّعاء، و قال: ﴿لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ...﴾.

٢ ـ و قال الطّبرسيّ (٥: ١٨) في ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾: «الّتي يقع فيها الجزاء للمطيع و العاصي، و هو يوم القيامة...».

و الحادية عشرة: الآية: ٨، من سورة الجمعة: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ...﴾:

١ ـ و هذه تتمّة الآيتين قبلها، في الأمر بطلب اليهود الموت إن زعموا أنّهم أولياء الله، و لكنّهم لا يطلبون الموت. فقال في هذه: إنّ الموت الّذي يفرّون منه فإنّه ملاقيهم.

٢ ـ و قال الطّبرسيّ (٥: ٢٨٧) في معناها: «أي إنّكم و إن فررتم من الموت و كرهتموه، فإنّه لابدّ أن ينزل بكم و يلقاكم و يدرككم، و لا ينفعكم الهرب منه».

٣ ـ ثمّ قال: «و إنّما قال: ﴿فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾ بالفاء ـ سواء فرّوا منه، أو لم يفرّوا منه، فإنّه ملاقيهم ـ مبالغةً في الدّلالة على أنّه لا ينفع الفرار منه، لأنّه إذا كان الفرار بمنزلة السّبب في ملاقاته، فلا معنى للتّعرّض للفرار، لأنّه لا يباعد منه. و إلى هذا المعنى أشار أمير المؤمنين عليه السلام في قوله: كلّ امرئ لاق ما يفرّ منه، و الأجل مساق النّفس، والهرب منه موافاته...». [ثمّ استشهد بشعر، و أدام في تفسير الآية]

و أمّا فعل الأمر، فجاء في ثلاث آيات:

٢٨ ـ ﴿يَاءَيُّهَا الَّذِينَ امَنُوا اَطِيعُوا اللهَ وَاَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاُولِي الْاَمْرِ مِنْكُمْ فَاِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ اِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ اِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْاخِرِ ذٰلِكَ خَيْرٌ وَاَحْسَنُ تَاْوِيلًا﴾ النّساء: ٥٩

٢٩ ـ ﴿وَاِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِاَحْسَنَ مِنْهَا اَوْ رُدُّوهَا اِنَّ اللهَ كَانَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾

النّساء: ٨٦

٣٠ ـ ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْاَعْنَاقِ﴾ ص: ٣٣

و فيها بُحُوثٌ:

الأولى الآية: ٥٩، من سورة النّساء: ﴿يَاءَيُّهَا الَّذِينَ امَنُوا اَطِيعُوا اللهَ وَاَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاُولِي الْاَمْرِ مِنْكُمْ فَاِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ اِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ...﴾، و قبلها: ﴿اِنَّ اللهَ يَاْمُرُكُمْ اَنْ تُؤَدُّوا الْاَمَانَاتِ اِلٰى اَهْلِهَا وَاِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ اَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ اِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ اِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾.

١ ـ و هذه الآية أمرت المؤمنين بإطاعة الله و إطاعة الرّسول، و إطاعة أولي الأمر منهم، بعد أن أمر بأداء الأمانات بالحكم بين النّاس بالعدل قبلها، إلّا أنّ الله كرّر ﴿اَطِيعُوا﴾ في كلّ من ﴿الله﴾ و ﴿الرَّسُول﴾، و لم يكرّرها في ﴿اُولِي الْاَمْرِ﴾ اهتمامًا بأمر الله و الرّسول، لأنّه وحي من الله تعالى، دون ما أمر به أولي الأمر، فإنّه حسب ما رأوه من المصلحة، بناءً على أن يراد بأولي الأمر منهم، ولاة الأمر في القتال و نحوه ـ و سنبحثها ـ.

٢ ـ و قال الطَّبْرسيّ (٢: ٦٤): «لـمّا بدأ في الآية المتقدّمة بحثّ الولاة على تأدية حقوق الرّعيّة، و النّصفة و التّسوية بين البريّة، ثناه في هذه الآية بحثّ الرّعيّة على طاعتهم، و الاقتداء بهم، و الرّدّ إليهم، فقال: ﴿يَاءَيُّهَا الَّذِينَ امَنُوا اَطِيعُوا اللهَ﴾: أي ألزموا طاعة الله سبحانه فيما أمركم به، و نهاكم عنه.

﴿وَاَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾، أي و ألزموا طاعة رسوله ﷺ أيضًا.

و إنّما أفرد الأمر بطاعة الرّسول ـ و إن كانت طاعته مقترنة بطاعة الله ـ مبالغةً في البيان، و قطعًا لتوهّم من توهّم أنّه لايجب لزوم ما ليس في القرآن من الأوامر.

و نظيره قوله: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ اَطَاعَ اللهَ﴾ النّساء: ٨٠، ﴿وَمَا اٰتيكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهٰيكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ الحشر: ٧، ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوٰى﴾ النّجم: ٣.

و قيل: معناه: أطيعوا الله في الفرائض، و أطيعوا الرّسول في السّنن، عن الكلبيّ. و الأوّل أصحّ، لأنّ طاعة الرّسول هي طاعة الله، و امتثال أوامره امتثال أوامر الله.

و أمّا المعرفة بأنّه رسول الله، فهي معرفة برسالته، و لايتمّ ذلك إلّا بعد معرفة الله، و ليست إحداهما هي الأُخرى.

و طاعة الرّسول واجبة في حياته، و بعد وفاته، لأنّ اتّباع شريعته لازم بعد وفاته لجميع المكلّفين. و معلوم ضرورة أنّه دعا إليها جميع العالمين إلى يوم

القيامة، كما أعلم أنّه رسول الله إليهم أجمعين.

و قوله: ﴿أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ للمفسّرين فيه قولان:

أحدهما: أنّهم الأُمراء، عن أبي هريرة، و ابن عبّاس، في إحدى الرّوايتين، و ميمون بن مهران، و السُّدّيّ، واختاره الجُبّائيّ، و البلخيّ، و الطّبَريّ.

و الآخر: أنّهم العلماء، عن جابر بن عبد الله، و ابن عبّاس، في الرّواية الأُخرى، و مُجاهِد، و الحسَن، و عطاء، و جماعة. و قال بعضهم: لأنّهم الّذين يُرجَع إليهم في الأحكام، و يجب الرّجوع إليهم عند التّنازع دون الوُلاة.

و أمّا أصحابنا فإنّهم رووا عن الباقر، و الصّادق عليهما السلام أنّ ﴿أُولِي الْأَمْرِ﴾ هم الأئمّة من آل محمّد صلى الله عليه و آله، أوجب الله طاعتهم بالإطلاق، كما أوجب طاعته، و طاعة رسوله. و لايجوز أن يوجب الله طاعة أحد على الإطلاق إلّا من ثبتت عصمته، و عُلم أنّ باطنه كظاهره، و أمن منه الغلط، و الأمر بالقبيح. و ليس ذلك بحاصل في الأُمراء، و لا العلماء سواهم، جلّ الله عن أن يأمر بطاعة من يعصيه، أو بالانقياد للمختلفين في القول و الفعل، لأنّه محال أن يطاع المختلفون، كما أنّه محال أن يجتمع ما اختلفوا فيه.

و ممّا يدلّ على ذلك أيضًا، أنّ الله تعالى لم يقرن طاعة أولي الأمر بطاعة رسوله، كما قرن طاعة رسوله بطاعته، إلّا و أُولوا الأمر فوق الخلق جميعًا، كما أنّ الرّسول فوق أولي الأمر، و فوق سائر الخلق. و هذه صفة أئمّة الهدى من آل محمّد صلى الله عليه و آله الّذين ثبتت إمامتهم، و عصمتهم، و اتّفقت الأُمّة على علوّ رتبتهم و عدالتهم.

﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ﴾ معناه: فإن اختلفتم في شيء من أُمور دينكم، فردّوا التّنازع فيه إلى كتاب الله و سنّة الرّسول، و هذا قول مُجاهِد، و قَتادَة، و السُّدّيّ.

و نحن نقول: الرّدّ إلى الأئمّة القائمين مقام الرّسول بعد وفاته، هو مثل الرّدّ إلى الرّسول في حياته، لأنّهم الحافظون لشريعته، و خلفاؤه في أُمّته، فجروا مجراه فيه.

ثمّ أكّد سبحانه ذلك و عظّمه بقوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ فما أبين هذا و أوضحه...».

٢ـ و نقول: جاءت ﴿أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ في سورة النّساء، خاصّة في الآيتين ٥٩ و ٨٣، و قد قلنا في شرح الآية: ٥٩، إنّ سياقها حسب قبلها و بعدها هو القتال و ما يحدث فيه من خير أو شرّ، و أنّ المرجع في ذلك الله و رسوله و أُولوا الأمر في القتال، إلّا أنّ الثّابت عند «الشّيعة الإماميّة» بروايات متظافرة: أنّهم أئمّة أهل البيت المعصومون عليهم السلام في كلتا الآيتين.

و قد قيل في الآيتين: إنّ موضوعهما حوادث القتال خاصّة، و أنّ التّنازع في هذه الآية هو نفس الاختلاف في تلك الآية في حادثة منها. و ليس الكلام فيهما الاختلاف و التّنازع في حكم فقهيّ فلاحظ : أ م ر: «أُولِي الْأَمْرِ».

فقد جاء فيهما نصوص كثيرة في الآية: ٨٣، في

المراد بها، و منها نصوص عن الأئمّة عليهم السلام، بأنّهم هم أُولي الأمر. و قلنا: إنّ ﴿أُولِي الْأَمْرِ﴾ في حياة الرّسول وُلاة القتال، لأنّ أمرهم في حوادث القتال مطاع عند الجميع؛ إذ كانوا منصوبين من قبل الرّسول. و أمّا بعد الرّسول صلى الله عليه و آله فالأئمّة من آل البيت عليهم السلام هم الّذين يتولّون القتال و غيرها من الأُمور في الدّين و الحياة، و كذا المنصوبون من قبلهم في ذلك.

لكنّ قاطبة مفسّري الشّيعة اعتبروا تلك النّصوص تفسيرًا للآيتين، فسعوا في دفع ما يرد عليه من الشّبهات. و من تلك الشّبهات أنّ الاختلاف و التّنازع فيها من قبل وُلاة الأمر في القتال إذا كانوا أكثر من واحد. و ليس له معنًى إلّا اختلاف أُولي الأمر. و حمل ﴿أُولِي الْأَمْرِ﴾ على «الأئمّة» فقط لا يوافق سياق الآية.

و الحلّ هو حمل تلك الرّوايات على أنّ الأئمّة المعصومين هم المصداق الأتمّ لـ ﴿أُولِي الْأَمْرِ﴾ بعد النّبيّ صلى الله عليه و آله. فلاحظ تلك النّصوص، و لاسيّما نصّ الطّباطبائيّ هناك و نصّ فضل الله هنا في آخر النّصوص التّفسيريّة.

و الثّانية: الآية: ٨٦، من سورة النّساء أيضًا: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا...﴾.

١ ـ هذه آية منفصلة عمّا قبلها و بعدها، جاءت في حكم التّحيّة بين المؤمنين بأنّهم يردّوها بأحسن منها أو بمثلها، و أنّ الله كان حسيبًا على كلّ شيء، فيحاسبهم حسب تحيّتهم.

٢ ـ و قال الطّبرسيّ (٢: ٨٤): «التّحيّة: السّلام، يقال حيّى يحيّي تحيّةً، إذا سلّم، و التّحيّة: البقاء. [ثمّ استشهد لها بشعرين]

٣ ـ و قال في «المغني»: «أمر الله المسلمين بردّ السّلام على المسلم، بأحسن ممّا سلّم، إن كان مؤمنًا، و إلّا فليقل: «و عليكم»، و لا يزيد على ذلك.

فقوله: ﴿بِأَحْسَنَ مِنْهَا﴾ للمسلمين خاصّة. و قوله: ﴿أَوْ رُدُّوهَا﴾ لأهل الكتاب، عن ابن عبّاس.

فإذا قال المسلم: السّلام عليكم. فقل: و عليكم السّلام و رحمة الله. و إذا قال: السّلام عليكم و رحمة الله، فقل: و عليكم السّلام و رحمة الله و بركاته. فقد حيّيته بأحسن منها، و هذا منتهى السّلام.

و قيل: إنّ قوله: ﴿أَوْ رُدُّوهَا﴾ للمسلمين خاصّة أيضًا، عن السُّدّيّ، و عطاء، و إبراهيم، و ابن جُريج، قالوا: إذا سلّم عليك المسلم، فردّ عليه بأحسن ممّا سلّم عليك، أو بمثل ما قال. و هذا أقوى لما روي عن النّبيّ صلى الله عليه و آله أنّه قال: إذا سلّم عليكم أهل الكتاب، فقولوا: و عليكم.

و ذكر عليّ بن إبراهيم في تفسيره عن الصّادقين عليهما السلام: إنّ المراد بالتّحيّة في الآية: السّلام و غيره من البرّ.

و ذكر الحسن أنّ رجلًا دخل على النّبيّ صلى الله عليه و آله، فقال: السّلام عليك. فقال النّبيّ صلى الله عليه و آله: و عليك السّلام و رحمة لله. فجاءه آخر، فقال: السّلام عليك و رحمة الله. فقال النّبيّ: و عليك السّلام و رحمة الله و بركاته. فجاءه آخر فقال: السّلام عليك و رحمة الله و بركاته. فقال النّبيّ صلى الله عليه و آله: و عليك السّلام و رحمة الله و بركاته.

فقيل: يا رسول الله! زدت للأوّل و الثّاني في التّحيّة، و لم تزد في الثّالث. فقال: إنّه لم يبق لي من التّحيّة شيئًا، فرددت عليه مثله». و روى أحاديث أخرى فلاحظ.

ثمّ قال الطّبرسيّ في «النّظم»: «وجه اتّصال هذه الآية بما قبلها: أنّ المراد بالسّلام: المسالمة الّتي هي ضدّ الحرب. فلمّا أمر سبحانه بقتال المشركين ـ قبله ـ عقّبه بأن قال: من مال إلى السّلم، و أعطى ذاك من نفسه، و حيّ المؤمنين بتحيّة، فاقبلوا منه».

و الثّالثة: الآية: ٣٣، من سورة ص: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾:

١ ـ هذه من تتمّة الآيات في قصّة سليمان بدء من الآية: ٣٠، ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمٰنَ...﴾، و ختمًا بالآية: ٤٠، ﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفٰى...﴾، و قبلها: ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتّٰى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾.

٢ ـ و في الضّمير من ﴿رُدُّوهَا﴾، قال الطّبرسيّ (٤: ٤٧٥): «أي قال لأصحابه: ردّوا الخيل عليّ، عن أكثر المفسّرين. و قيل: معناه: أنّه سأل الله تعالى أن يردّ الشّمس عليه، فردّها عليه حتّى صلّى العصر. فالهاء في ﴿رُدُّوهَا﴾ كناية عن الشّمس، عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام».

٣ ـ و قال في: ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾: «قيل: فيه وجوه:

أحدها: أنّ «المسح» هاهنا القطع، والمعنى: أنّه أقبل يضرب سوقها و أعناقها، لأنّها كانت سبب فوت صلاته، عن الحسن، و مقاتل. و قال أبو عُبَيْدَة: تقول العرب: مسح علاوته، أي ضرب عنقه.

و قيل: إنّه إنّما فعل ذلك، لأنّها كانت أعزّ ماله، فتقرّب إلى الله تعالى بأن ذبحها، ليتصدّق بلحومها. و يشهد بصحّته قوله: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتّٰى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ آل عمران: ٩٢.

و ثانيها: أنّ معناه: فجعل يمسح أعراف خيله و عراقيبها بيده حبًّا لها، عن ابن عبّاس، و الزُّهريّ، و ابن كيسان.

قال ابن عبّاس: سألت عليًّا عليه السلام عن هذه الآية، فقال: ما بلغك فيها يا ابن عبّاس؟

قلت: سمعت كعبًا يقول: اشتغل سليمان بعرض الأفراس حتّى فاتته الصّلاة، فقال: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾ يعني الأفراس كانت أربعة عشر، فأمر بضرب سوقها و أعناقها بالسّيف فقتلها، فسلبه الله ملكه أربعة عشر يومًا، لأنّه ظلم الخيل بقتلها.

فقال عليّ عليه السلام: كذب كعب، لكن اشتغل سليمان بعرض الأفراس ذات يوم، لأنّه أراد جهاد العدوّ حتّى توارت الشّمس بالحجاب، فقال: بأمر الله تعالى للملائكة الموكّلين بالشّمس: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾، فردّت فصلّى العصر في وقتها، و إنّ أنبياء الله لا يظلمون، و لا يأمرون بالظّلم، لأنّهم معصومون مطهّرون.

و ثالثها: أنّه مسح أعناقها و سوقها، و جعلها مسبلة في سبيل الله تعالى. و قيل لثعلب: إنّ قُطربًا يقول: مسحها و بارك عليها. فأنكر ذلك و قال: القول ما قال الفرّاء: إنّه ضرب أعناقها و سوقها».

و أمّا اسم الفاعل فأربع آيات:

٣١ ـ ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ يونس: ١٠٧

٣٢ ـ ﴿وَاللهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللهِ يَجْحَدُونَ﴾ النّحل: ٧١

٣٣ ـ ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ القصص: ٧

٣٤ ـ ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ القصص: ٨٥

و في كلّ منها بحوثٌ:

الأولى: الآية: ١٠٧، من سورة يونس: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ... فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾:

١ ـ و قبلها: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ فقد جاء فيها النّفع و الضّرّ. ثمّ صرّح في الآية بعدها أنّ كلًّا من الضّرّ و الخير من الله، و لا رادّ لهما إلّا هو.

٢ ـ و قال الطّبرسيّ (٣: ١٣٩) في «اللّغة»: «و الكشف: رفع السّاتر المانع من الإدراك، فكأنّ الضّرّ هاهنا ساتر يمنع من إدراك الإنسان».

٣ ـ و قال في «المعنى» ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ﴾: «معناه: و إن أحلّ الله بك ضرًّا من بلاء، أو شدّة، أو مرض.

﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ أي لا يقدر أحد على كشفه غيره، كأنّه سبحانه لـمّا بيّن أنّ غيره لا ينفع و لا يضرّ، عقّبه ببيان كونه قادرًا على النّفع و الضّرّ.

﴿وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ﴾ من صحّة جسم، و نعمة، و خصب، و نحوها. ﴿فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ أي لا يقدر على منعه أحد، و تقديره: و إن يردك خيرًا. و يجوز فيه التّقديم و التّأخير، يقال: فلان يريدك بالخير، و يريد بك الخير.

﴿يُصِيبُ بِهِ﴾ أي بالخير. ﴿مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ فيعطيه على ما تقتضيه الحكمة، و يعلمه من المصلحة...».

و الثّانية: الآية: ٧١، من سورة النّحل: ﴿وَاللهُ فَضَّلَ... فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ...﴾:

١ ـ هذه من جملة آيات فيها بدأت بـ ﴿وَاللهُ﴾، و قبلها: ﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّيكُمْ...﴾، و بعدها: ﴿وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا...﴾، و سياقها ذكر نعم الله على العباد، و ذكر فيها نعمة الرّزق، و تفضيل بعض النّاس على بعض في الرّزق.

٢ ـ و قال الطّبرسيّ (٣: ٣٧٣) في «الإعراب» ﴿فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾: «جملة اسميّة، وقعت موقع جملة فعليّة، في موضع النّصب، لأنّه جواب النّفي بالفاء، و التّقدير فيستووا».

٣ ـ و قال في «المعنى» ﴿وَاللهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾: «فوسّع على واحد، و قتّر على آخر، على ما توجبه الحكمة.

﴿فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا...﴾ اختلف في معناه على

قولين:

أحدهما: أنّهم لايشركون عبيدهم في أموالهم وأزواجهم، حتّى يكونوا فيه سواء، و يرون ذلك نقصًا، فلايرضون لأنفسهم به، و هم يشركون عبيدي في مُلكي و سلطاني، و يوجّهون العبادة و القرب إليهم، كما يوجّهونها إليّ، عن ابن عبّاس، و مُجاهد، و قَتادة.

و قال ابن عبّاس: يقول: إذا لم ترضوا أن تجعلوا عبيدكم شركاءكم، فكيف جعلتم عيسى إلهًا معه، و هو عبده؟ و نزلت في نصارى نجران.

و الثّاني: أنّ معناه: فهؤلاء الّذين فضّلهم الله في الرّزق من الأحرار، لايرزقون مماليكهم، بل الله تعالى رازق المُلّاك و المماليك، فإنّ الّذي ينفقه المولى على مملوكه، إنّما ينفقه ممّا رزقه الله تعالى، فالله تعالى رازقهم جميعًا، فهم سواء في ذلك...».

و الثّالثة: الآية: ۷، من سورة القصص: ﴿...إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾:

۱ـ هذه أوّل آية في السّورة من قصّة أمّ موسى؛ حيث أمرها الله بأن ترضع موسى و يُلقيه في اليمّ، و وعدها بأن يردّه إليها، و يجعله من المرسلين. و قد وفى بوعده كما جاء في الآية: ۱۳، منها: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ...﴾.

۲ـ و قال الطّبرسيّ (٤: ٢٤٠) في «المعنى»: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ﴾: «أي ألهمناها، و قذفنا في قلبها، و ليس بوحي نبوّة، عن قَتادة و غيره.

و قيل: أتاها جبرائيل ﷺ بذلك، عن مُقاتل.

و قيل: كان هذا الوحي رؤيا منام عبّر عنها من يثق به من علماء بني إسرائيل، عن الجُبّائيّ.

﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ ما لم تخافي عليه الطّلب. ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ﴾ في القتل الّذي أمر به فرعون في أبناء بني إسرائيل. ﴿فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ أي في البحر، و هو النّيل. ﴿وَلَا تَخَافِي﴾ عليه الضّيعة. ﴿وَلَا تَحْزَنِي﴾ من فراقه. ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ﴾ سالمًا عن قريب. ﴿وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ و الأنبياء. و في هذه الآية أمران و نهيان، و خبران و بشارتان...».

و الرّابعة: الآية: ۸۵، من سورة القصص أيضًا: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ...﴾:

۱ـ هذه من جملة آيات آخر السّورة بشأن القرآن، و بعدها آيتان أيضًا في ذلك: ﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ * وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

۲ـ و قال الطّبرسيّ (٤: ٢٦٨) في «النّزول»: «قيل: لمّا نزل النّبيّ ﷺ بالجُحفة في مسيره إلى المدينة، لمّا هاجر إليها، اشتاق إلى مكّة، فأتاه جبرائيل ﷺ، فقال: أتشتاق إلى بلدك و مولدك؟ فقال: نعم. قال جبرائيل: فإنّ الله يقول: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ...﴾: يعني مكّة ظاهرًا عليها. فنزلت الآية بالجُحفة، و ليست بمكّيّة و لامدنيّة، و سمّيت مكّة «معادًا» لعوده إليها، عن ابن عبّاس».

و نقول: الآيات المدنيّة في الاصطلاح هي الّتي

نزلت بعد الهجرة، و المكّيّة ما نزلت قبل الهجرة، و سورة القصص مكّيّة، فهذه الآية مكّيّة.

٣ـ و قال في ﴿إِنَّ الَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْاٰنَ...﴾: «خطاب للنّبيّ ﷺ، و المعنى: أنّ الّذي أوجب عليك الامتثال بما تضمّنه القرآن، و أنزله عليك ﴿لَرَادُّكَ إِلٰى مَعَادٍ﴾ أي يردّك إلى مكّة، عن ابن عبّاس و مُجاهِد و الجُبّائيّ.

و على هذا فيكون في الآية دلالة على صحّة النّبوّة، لأنّه أخبر به من غير شرط و لااستثناء، و جاء المُخبَر مطابقًا للخبر.

قال القُتَيبيّ: معاد الرّجل: بلده، لأنّه يتصرّف في البلاد، ثمّ يعود إليه.

و قيل: ﴿إِلٰى مَعَادٍ﴾: إلى الموت، عن ابن عبّاس في رواية أخرى، و عن أبي سعيد الخُدْريّ.

و قيل: إلى المرجع يوم القيامة، أي يعيدك بعد الموت كما بدأك، عن الحسن و الزّهريّ و عِكْرِمَة و أبي مسلم.

و قيل: إلى الجنّة عن مُجاهِد و أبي صالح، فالمعنى: إنّه مميتك، و باعثك، و مدخلك الجنّة.

و الظّاهر يقتضي أنّه العود إلى مكّة، لأنّ ظاهر العود يقتضي ابتداء، ثمّ عودًا إليه، على أنّه يجوز أن يقال: الجنّة معاد، و إن لم يتقدّم له فيها كون، كما قال سبحانه في الكفّار: ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَاِلَى الْجَحِيمِ﴾...».

و أمّا اسم المفعول فآيتان:

٣٥ـ ﴿يَا إِبْرٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هٰذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَ إِنَّهُمْ اٰتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ هود: ٧٦

٣٦ـ ﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى الْحَافِرَةِ﴾ النّازعات: ١٠

و فيهما بُحُوثٌ:

الأولى: الآية: ٧٦، من سورة هود: ﴿يَا إِبْرٰهِيمُ... عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾:

١ـ هذه آخر الآيات من قصّة إبراهيم و لوط عليهما السلام في هذه السّورة، بدءًا بالآية: ٦٩، ﴿وَ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرٰهِيمَ بِالْبُشْرٰى...﴾، فلمّا أخبر إبراهيم من ناحية ضيوفه بأنّهم جاؤوا لعذاب قوم لوط، و جادل الله في ذلك كما قال: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرٰهِيمَ الرَّوْعُ وَ جَاءَتْهُ الْبُشْرٰى يُجَادِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ﴾، فأجابه الله و أمره بالإعراض عن المجادلة، فقد جاء أمر الله بأن يأتيهم عذاب غير مردود.

٢ـ و قد مدح الله إبراهيم قبل أمره بالإعراض عن الجدال حفظًا على كرامته؛ حيث قال بعد قوله: ﴿يُجَادِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ﴾: ﴿إِنَّ إِبْرٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾، كما قال: ﴿جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ بدل «أمر الله» زيادة في تكريمه و اللّطف به.

٣ـ لكنّه شدّد عذابهم بقوله: ﴿وَ إِنَّهُمْ اٰتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ بصيغة اسم الفاعل في ﴿اٰتِيهِمْ﴾ الدّالّ على الدّوام إلى المنتهى، و باسم المفعول في ﴿غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ الدّالّ على الشّدّة، و هذه نكات بلاغيّة في هذه الآية، و كم لها من نظير في القرآن.

٤ـ و قال الطَّبْرِسيّ (٣: ١٧٨) في «اللّغة» في ﴿غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾: «و الرّدّ و الدّفع واحد، و نقيضه

الأخذ. والفرق بين الرّدّ والدّفع: أنّ الدّفع قد يكون إلى جهة القدّام والخلف، والرّدّ لا يكون إلّا إلى جهة الخلف».

٥ ـ وقال في «المعنى» ﴿يَا إِبْرٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هٰذَا﴾: هو حكاية ما قالت الملائكة لإبراهيم عليه السلام، فإنّها نادته بأن قالت: يا إبراهيم أعرض عن هذا القول، وهذا الجدال في قوم لوط، وانصرف عنه بالذّكر والفكر. ﴿إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ بالعذاب، فهو نازل لامحالة. ﴿وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ يعني غير مدفوع عنهم، أي لا يقدر أحد على ردّه عنهم».

والثّانية: الآية: ١٠، من سورة النّازعات: ﴿يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾:

١ ـ هذه من جملة جواب الأقسام الخمسة في صدر السّورة: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾، وبدأ بالجواب بـ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ...﴾، فإنّ تلك الأقسام الخمسة تأكيد لمجيء يوم القيامة، وأنّ في هذا اليوم قلوب راجعة ـ أي مضطربة أيضًا ـ وقلوب راجفة أبصارها خاشعة سائلين هل نحن مردودون إلى الحياة مرّة أخرى في القبور ـ هي الحافرة ـ إذا كنّا عظامًا نخرة؟

وقال الطّبرسيّ (٥: ٤٢١): «والحافرة: بمعنى المحفورة، مثل: ﴿مَاءٍ دَافِقٍ﴾ الطّارق: ٦، ماء دافق، أي مدفوق.

وقيل: الحافرة: الأرض المحفورة. ورجع الشّيخ في حافرته، أي رجع من حيث جاء؛ وذلك كرجوع القهقرى». [ثمّ استشهد بشعر]

٥ ـ وقال في «المعنى» بعد أن فسّر الأقسام الخمسة، ونقل الأقوال فيها: «وجواب القسم محذوف، فكأنّه سبحانه أقسم فقال: وهذه الأشياء لتبعثنّ، ولتحاسبنّ.

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ يعني النّفخة الأولى... ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾... ومعنى «الواجفة»: الشّديدة الاضطراب... ﴿يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ أي يقول هؤلاء المنكرون للبعث ـ من مشركي قريش وغيرهم في الدّنيا، إذا قيل لهم: إنّكم مبعوثون من بعد الموت ـ: أنردّ إلى أوّل حالنا، وابتداء أمرنا، فنصير أحياء كما كنّا؟

و﴿الْحَافِرَةِ﴾ عند العرب: اسم لأوّل الشّيء، وابتداء الأمر، قال ابن عبّاس والسّدّيّ: الحافرة: الحياة الثّانية.

وقيل: الحافرة: الأرض المحفورة، والمعنى: أنردّ من قبورنا بعد موتنا أحياء؟...».

وأمّا المصدر واسم المصدر فلفظان: (ردّ) و(مردّ):

أمّا «الرّدّ» ففيه آيتان:

٣٧ ـ ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ البقرة: ٢٢٨

٣٨ ـ ﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ الأنبياء: ٤٠

و في كلّ منهما بحوث:

الأولى: الآية: ٢٢٨، من سورة البقرة: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ...﴾:

١ ـ هذه من جملة آيات الطّلاق في السّورة، تحكي وظائف المطلّقات، و في خلالها تقول: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا...﴾، فهذه الجملة بيان لحالة رجوع كلّ من الزّوجين إلى نكاحهما الأوّل، و أنّ الزّوج أولى به من الزّوجة بذلك.

٢ ـ و قد قال الطّبْرسيّ (١: ٣٢٥) في «اللّغة»: «القروء: جمع قُرء، و جمعه القليل: أقرُؤ، و الكثير: أقراء وقروء...و أطال الكلام فيها إلى أن قال: ـ و «البُعُولَة»: جمع بعل، و يقال: بعَل يَبْعُل بُعُولةً و هو بَعْلٌ، و سمّي الزّوج بعلًا، لأنّه عال على المرأة بملكه لزوجيّتها...».

و نقول: فالتّعبير عنهم بـ ﴿بُعُولَتُهُنَّ﴾ دون «أزواجهنّ» بمنزلة تعليل لأولويّة الأزواج بردّهنّ.

٣ ـ و قال في «المغني» ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذٰلِكَ﴾: «يعني: أنّ أزواجهنّ أولى بمراجعتهنّ، و هي ردّهنّ إلى الحالة الأولى في ذلك الأجل الّذي قُدّر لهنّ في مدّة العدّة، فإنّه ما دامت تلك المدّة باقية، كان للزّوج حقّ المراجعة، و يفوت ـ هذا الحقّ ـ بانقضائها.

و في هذا ما يدلّ على أنّ الزّوج ينفرد بالمراجعة، و لا يحتاج في ذلك إلى رضاء المرأة، و لا إلى عقد جديد، و إشهاد. و هذا يختصّ بالرّجعيّات، و إن كان أوّل الآية عامًّا في جميع المطلّقات الرّجعيّة و البائنة.

﴿إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾ لا إضرارًا، و ذلك أنّ الرّجل كان إذا أراد الإضرار بامرأته طلّقها واحدة و تركها، حتّى إذا قرب انقضاء عدّتها، راجعها و تركها مدّة، ثمّ طلّقها أُخرى، و تركها مدّة كما فعل في الأُولى، ثمّ راجعها و تركها مدّة، ثمّ طلّقها أُخرى، فجعل الله الزّوج أحقّ بالمراجعة على وجه الإصلاح، لا على وجه الإضرار.

و إنّما شرط الإصلاح في إباحة الرّجعة لا في ثبوت أحكامها، لإجماع الأُمّة على أنّ مع إرادة الإضرار يثبت أحكام الرّجعة.

و قوله: ﴿لَهُنَّ﴾ أي للنّساء على أزواجهنّ ﴿مِثْلُ الَّذِي﴾ لهم ﴿عَلَيْهِنَّ﴾ من الحقّ ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾.

و هذا من الكلمات العجيبة الجامعة للفوائد الجمّة. و إنّما أراد بذلك ما يرجع إلى حُسن العشرة، و ترك المضارّة، و التّسوية في القسم و النّفقة و الكسوة. كما أنّ للزّوج حقوقًا عليها مثل الطّاعة الّتي أوجبها الله عليها له، و أن لا تُدخِل فراشه غيره، و أن تحفظ ماءه فلا تحتال في إسقاطه...». ثمّ روى حديثًا، و فسّر باقي الآية، فلاحظ.

و الثّانية: الآية: ٤٠، من سورة الأنبياء: ﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا...﴾:

١ ـ هذه الآية الثّالثة في هذه السّورة في البعث يوم القيامة: أُولاها: ٣٨، ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هٰذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، و ثانيتها: ٣٩، ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾.

تقول الآية: إنّ السّاعة تأتيهم بغتةً، و إنّهم لايستطيعون ردّها.

٢ـ و قال الطّبْرسيّ (٤: ٤٨) في «المعنى»: «أي ﴿بَغْتَةً﴾: فجأة ﴿فَتَبْهَتُهُمْ﴾ أي فتحيّرهم، ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا﴾ أي فلا يقدرون على دفعها.

﴿وَ لَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ أي لايؤخّرون إلى وقت آخر، و لايُمهَلون لتوبة أو معذرة».

و أمّا «المَرَدّ» ففي خمس آيات:

٣٩ـ ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ اَمْرِ اللهِ اِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتّٰى يُغَيِّرُوا مَا بِاَنْفُسِهِمْ وَ اِذَا اَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ الرّعد: ١١

٤٠ـ ﴿وَ يَزِيدُ اللهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَ خَيْرٌ مَرَدًّا﴾ مريم: ٧٦

٤١ـ ﴿فَاَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ اَنْ يَاْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ الرّوم: ٤٣

٤٢ـ ﴿لَا جَرَمَ اَنَّمَا تَدْعُونَنِي اِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَ لَا فِي الْاٰخِرَةِ وَ اَنَّ مَرَدَّنَا اِلَى اللهِ وَ اَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ اَصْحَابُ النَّارِ﴾ المؤمن: ٤٣

٤٣ـ ﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ اَنْ يَاْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَاٍ يَوْمَئِذٍ وَ مَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ﴾ الشّورى: ٤٧

و في كلّ منها بحوث:

الأولى: الآية: ١١، من سورة الرّعد: ﴿وَ اِذَا اَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ...﴾:

١ـ هذه من جملة آيات في التّوحيد، من أوّل السّورة إلى آخرها، و في خلالها آيات في القرآن و المعاد.

٢ـ و هذه الآية تبيّن أُصولًا ثلاثة في التّوحيد:

الأوّل: أنّ للّه ملائكة محافظين لأعمال العباد.

الثّاني: أنّ الله لايُغيّر بالنّاس إلّا ما يُغيّروا بأنفسهم.

الثّالث: أنّ الله إذا أراد بقوم سوءً فلارادّ له من قبل أحد.

٣ـ و قال الطّبْرسيّ (٣: ٢٧٩) في «اللّغة»: «و المعقّبات: المتناوبات الّتي يخلف كلّ واحد منها صاحبه، و يكون بدلًا منه.

و أصل التّعقيب أن يكون الشّيء عقيب آخر. و المعقّب: الطّالب دَيْنه مرّة بعد مرّة. [ثمّ استشهد بشعر]

و منه العِقاب، لأنّه يُستحقّ عقيب الجرم و العُقاب، لأنّها تعقب الصّيد: تطلبه مرّة بعد مرّة.

و قيل: إنّ واحد المعقّبات: معقّب؛ و الجمع: مُعقّبة، و معقّبات جمع الجمع، كما قالوا: رجالات، عن الفرّاء».

٤ـ و قال (٣: ٢٨٠) في «المعنى» ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ﴾: «اختُلف في الضّمير الّذي في (لَهُ) على وجوه:

أحدها: أنّه يعود إلى (مَنْ) في قوله: ﴿مَنْ اَسَرَّ الْقَوْلَ وَ مَنْ جَهَرَ بِهِ﴾.

و الآخر: أنّه يعود إلى اسم الله تعالى، و هو ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ﴾.

و ثالثها: أنّه يعود إلى النّبيّ ﷺ في قوله: ﴿اِنَّمَا اَنْتَ مُنْذِرٌ﴾، عن ابن زَيْد.

و اختُلف في «المعقّبات» على أقوال:

أحدها: أنّها الملائكة يتعاقبون، تعقب ملائكة اللّيل ملائكة النّهار، و ملائكة النّهار ملائكة اللّيل، و هم الحَفَظة يحفظون على العبد عمله، عن الحسَن، و سعيد بن جُبَيْر، و قَتادة، و مُجاهِد، و الجُبّائيّ.

و قال الحسَن: هم أربعة أملاك يجتمعون عند صلاة الفجر، و هو معنى قوله: ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ الإسراء: ٧٨، و قد روي ذلك عن أئمّتنا عليهم السّلام أيضًا.

و الثّاني: أنّهم ملائكة يحفظونه من المهالك حتّى ينتهوا به إلى المقادير، فيحيلون بينه و بين المقادير، عن عليّ عليه السّلام، و ابن عبّاس.

و قيل: هم عشرة أملاك على كلّ آدميّ يحفظونه.

و الثّالث: أنّهم الأُمراء و الملوك في الدّنيا، الّذين يمنعون النّاس عن المظالم، و تكون لهم الأحراس و الشُّرَط و المواكب يحفظونه، عن عِكْرِمَة، و الضّحّاك، و رُوي أيضًا عن ابن عبّاس، و تقديره: و من هو سارب بالنّهار، له أحراس و أعوان قَدَر أنّهم يحرسونه، و لم يتّجه أحراسه من الله...».

و أدام تفسير الآية إلى قوله: ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ﴾ فقال:

«أي لامدفع له. و قيل: معناه إذا أراد الله بقوم بلاءً من مرض و سُقْم، فلامردّ لبلائه. ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ يلي أمرهم، و يمنع العذاب عنهم».

و الثّانية: الآية: ٧٦، من سورة مريم: ﴿... وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾:

١ـ هذه من جملة آيات في الوعد و الوعيد جاءت في السّورة، عقيب قصص جملة من الأنبياء. و قد بدأت بقصّة زكريّا، ثمّ مريم، ثمّ عيسى، ثمّ إبراهيم، ثمّ إسحاق و يعقوب، ثمّ موسى، ثمّ إدريس عليهم السّلام، و كلّها موجز. و قبلها و بعدها وعيد، و هذه وعد للمؤمنين الّذين اهتدوا بأنّ الباقيات الصّالحات من الأعمال خير عند الله ثوابًا، و خير جزاءً، و ردّ فعل منه تعالى.

٢ـ و قال الطَّبْرسيّ (٣: ٥٢٨) في «التّنزول» في آية بعدها: «روي في الصّحيح عن خبّاب بن الأرَتّ، قال: كنت رجلًا غنيًّا، و كان لي على العاص بن وائل دَين، فأتيته أتقاضاه، فقال لي: لاأقضيك حتّى تكفر بمحمّد صلّى الله عليه و آله. فقلت: لن أكفر به حتّى تموت و تُبعَث. قال: فإنّي لمبعوث بعد الموت، فسوف أقضيك دَينَك إذا رجعت إلى مال و ولد! قال: فنزلت الآية: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا﴾».

٣ ـ و قال في «المعنى»: «ثمّ بيّن سبحانه حال المؤمن، فقال سبحانه: ﴿وَيَزِيدُ اللهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ قيل: معناه: و يزيد الله الّذين اهتدوا بالمنسوخ هدًى بالنّاسخ، عن مُقاتِل.

و قيل: يزيدهم هدًى بالمعونة على طاعاته، و التّوفيق لابتغاء مرضاته. و هو ما يفتحه لهم من الدّلالات، و ما يفعله بهم من الألطاف المقرّبة من الحسنات.

﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾ قد مرّ تفسيره في سورة الكهف، و جملته، أنّ الأعمال الصّالحة الّتي تبقى ببقاء ثوابها، و تنفع صاحبها في

الدّنيا و الآخرة، خير ثوابًا من مقامات الكفّار الّتي يفتخرون بها كلّ الافتخار.

﴿وَ خَيْرٌ مَرَدًّا﴾ أي خير عاقبةً و منفعةً. يقال: هذا الشّيء أردّ عليك: أي أنفع و أعود عليك، لأنّ العمل الصّالح ذاهب عنه بفقده له، فيردّه الله تعالى عليه بردّ ثوابه إليه حتّى يجده في نفسه».

و الثّالثة: الآية: ٤٣، من سورة الرّوم: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللهِ...﴾:

١ ـ هذه الآية من جملة آيات في هذه السّورة في الوعد و الوعيد و التّوحيد و نحوها، و فيها أمر النّبيّ و من تبعه بإقامة الدّين القيّم من قبل مجيء يوم القيامة الّذي لا مردّ له من الله.

٢ ـ و قال الطّبرسيّ (٤: ٣٠٧) في «اللّغة»: «الصّدع: الشّقّ. و تصدّع القوم: تفرّقوا» [ثمّ استشهد بشعر]

٣ ـ و قال في «المعنى» ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾: «أي استقم للدّين المستقيم بصاحبه إلى الجنّة، أي لا تعدل عنه يمينًا، و لا شمالًا، فإنّك متى فعلت ذلك أدّاك إلى الجنّة. و هو مثل قوله: ﴿ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللهُ قُلُوبَهُمْ﴾ التّوبة: ١٢٧، و قوله: ﴿تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَ الْأَبْصَارُ﴾ النّور: ٣٧.

﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ﴾ أي لذلك اليوم، و هو يوم القيامة. ﴿مِنَ اللهِ﴾ أي لا يردّه أحد من الله ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ أي يتفرّقون فيه فريق في الجنّة، و فريق في السّعير، عن قتادة، و غيره».

و الرّابعة: الآية: ٤٣، من سورة المؤمن: ﴿وَ أَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللهِ...﴾:

١ ـ هذه من تتمّة قول الرّجل المؤمن من آل فرعون، كان يكتم إيمانه بموسى عليه السلام، بدء من الآية: ٢٨، ﴿وَ قَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ...﴾، إلى الآية: ٤٥، ﴿فَوَقَيهُ اللهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا...﴾.

٢ ـ فيقول الرّجل قبلها لفرعون و قومه: ﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللهِ وَ أُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَ أَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ﴾، ثمّ يعضل بين الأمرين، أي بين ما يدعونه إليه، و بين ما دعاهم إليه، فيقول: ما تدعونني إليه ـ أي الأصنام ـ ليس له دعوة في الدّنيا و الآخرة، و أنّ مردّنا إلى الله الّذي له الدّعوة إلى الدّين.

٣ ـ و قال الطّبرسيّ (٤: ٥٢٤) ﴿لَا جَرَمَ﴾: «قيل: معناه حقًّا مقطوعًا به من الجرم، و هو القطع. قال الزّجّاج حكايةً عن الخليل: هو ردّ الكلام، و المعنى: وجب و حقّ.

﴿أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ﴾ أي وجب بطلان دعوته، يقول: لا بدّ أنّما تدعونني إليه من عبادة الأصنام، أو عبادة فرعون، ليس له دعوة نافعة.

﴿فِي الدُّنْيَا وَ لَا فِي الْآخِرَةِ﴾ فأطلق أنّه ﴿لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ﴾ ليكون أبلغ، و إن توهّم جاهل أنّ له دعوة ينتفع بها، فإنّه لا يعتدّ بذلك لفساده و تناقضه.

و قيل: معناه: ليست لهذه الأصنام استجابة دعوة أحد في الدّنيا، و لا في الآخرة، فحذف المضاف، عن السُّدّيّ و قتادة و الزّجّاج.

و قيل: معناه: ليست له دعوة في الدّنيا، لأنّ الأصنام لاتدعو إلى عبادتها فيها، و لافي الآخرة، لأنّها تبرأ من عبادها فيها.

﴿وَ اَنَّ مَرَدَّنَا اِلَى اللهِ﴾ أي: و وجب أنّ مرجعنا و مصيرنا إلى الله، فيجازي كلًّا بما يستحقّه.

﴿وَ اَنَّ الْمُسْرِفِينَ﴾ أي و وجب أنّ المسرفين الّذين أسرفوا على أنفسهم بالشّرك، و سفك الدّماء بغير حقّها ﴿هُمْ اَصْحَابُ النَّارِ﴾ الملازمون لها».

و الخامسة: الآية: ٤٧، من سورة الشّورى: ﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ اَنْ يَاْتِيَ يَوْمٌ لَامَرَدَّ لَهُ مِنَ اللهِ...﴾:

١ ـ هذه من جملة آيات السّورة الّتي شملت فنونًا من التّوحيد و البعث و الوعد و الوعيد، و كذلك القرآن ـ وقد صُدِّرت به ـ: ﴿كَذٰلِكَ يُوحىٰ اِلَيْكَ وَ اِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ...﴾.

٢ ـ و قد أمر الله النّاس في هذه الآية بأن يستجيبوا لربّهم من قبل مجيء يوم لامردّ له، و ليس فيه للنّاس من ملجإ يلجؤون إليه، و ليس لهم إنكاره.

٣ ـ و الّذي يجلب النّظر في هذه المادّة: أنّ كلّ ما جاء فيها بلفظ ﴿مَرَدّ﴾ فأكثرها راجع إلى الدّار الآخرة ثوابها و عذابها، فقد جاءت في الآيتين الثّالثة و الخامسة بسياق واحد في عذابها: ﴿مِنْ قَبْلِ اَنْ يَاْتِيَ يَوْمٌ لَامَرَدَّ لَهُ مِنَ اللهِ﴾.

و جاء في الثّانية في ثوابها: ﴿وَ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَ خَيْرٌ مَرَدًّا﴾.

و جاء في ذيل الرّابعة في عذابها: ﴿وَ اَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ اَصْحَابُ النَّارِ﴾.

و أيضًا جاء في المصدر (رَدًّا) في الآية الثّانية منها، قوله في البعث: ﴿بَلْ تَاْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَ لَاهُمْ يُنْظَرُونَ﴾.

و كذلك جاءت في «اسم المفعول» آيتان في البعث و العذاب، في الآية الأولى منه: ﴿غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾.

و في الثّانية: ﴿ءَاِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى الْحَافِرَةِ﴾.

و أمّا اسم الفاعل فقد قيل ـ كما سبق ـ في الآية الرّابعة منه: ﴿لَرَادُّكَ اِلىٰ مَعَادٍ﴾ لرادّك إلى المرجع يوم القيامة.

٤ ـ و قال الطّبرسيّ (٥: ٣٥): «﴿اِسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ﴾ أي أجيبوا داعي ربّكم، يعني محمّد ﷺ فيما دعاكم إليه، و رغّبكم فيه من المصير إلى طاعته، و الانقياد لأمره. ﴿مِنْ قَبْلِ اَنْ يَاْتِيَ يَوْمٌ لَامَرَدَّ لَهُ مِنَ اللهِ﴾ أي لارجوع بعده إلى الدّنيا.

و قيل: معناه: لايقدر أحد على ردّه و دفعه، و هو يوم القيامة، عن الجُبّائيّ.

و قيل: معناه: لايُردّ و لايؤخّر عن وقته، و هو يوم الموت، عن أبي مسلم.

﴿مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَاٍ يَوْمَئِذٍ﴾ أي معقل يعصمكم من العذاب، ﴿وَ مَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ﴾ أي إنكار و تغيير للعذاب. و قيل: من نصير منكر ما يحلّ بكم».

هذا كلّه في المجرّد، و أمّا المزيد فجاء من «الافتعال» في ٨ آيات، و من «التّفعّل» في آية واحدة:

أمّا آيات الافتعال فهي:

٤٤ ـ ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ

قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَ صَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَ كُفْرٌ بِهِ وَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَ إِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللهِ وَ الْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَ لَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَ مَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَ هُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ البقرة: ٢١٧.

٤٥ ـ ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللهُ لَكُمْ وَ لَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ المائدة: ٢١

٤٦ ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَ لَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَ اللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ المائدة: ٥٤

٤٧ ـ ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يوسف: ٩٦

٤٨ ـ ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤُسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَ أَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ إبراهيم: ٤٣

٤٩ ـ ﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ الكهف: ٦٤

٥٠ ـ ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَ مَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَ مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ النّمل: ٤٠

٥١ ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَ أَمْلَى لَهُمْ﴾ محمّد: ٢٥

٥٢ ـ ﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ ارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ التّوبة: ٤٥

و في كلّ منها بحوثٌ:

الأولى: الآية: ٢١٧، من سورة البقرة: ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ... وَ مَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَ هُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ...﴾:

١ ـ و قد سبق تفسيرها و شرح لغاتها في الآية الثّانية من المضارع المعلوم: ﴿يَرُدُّوكُمْ﴾. أمّا «الارتداد» فنبحثه هنا.

٢ ـ قال تعالى: ﴿وَ مَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ...﴾ دلّت الآية على أنّ من ارتدّ عن دينه و مات و هو كافر، فلااعتبار بأعماله في الدّنيا و الآخرة، و هو من أصحاب النّار.

٣ ـ و قال الطّبرسيّ (١: ٣١٣): «هذا تحذير عن الارتداد ببيان استحقاق العذاب عليه. ﴿فَيَمُتْ وَ هُوَ كَافِرٌ﴾ يعني مات على كفره. ﴿فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ﴾ معناه: أنّها صارت بمنزلة ما لم يكن لإيقاعهم إيّاها، على خلاف توجّه المأمور به، لأنّ إحباط العلم و إبطاله، عبارة عن وقوعه، على خلاف الوجه الّذي يستحقّ عليه

الثّواب. و ليس المراد: أنّهم استحقّوا على أعمالهم الثّواب، ثمّ انحبط، لأنّه قد دلّ الدّليل على أنّ الإحباط على هذا الوجه لايجوز....».

و الثّانية: الآية: ٢١، من سورة المائدة: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللهُ لَكُمْ وَ لَاتَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾:

١ ـ هذه من جملة قصص موسى في هذه السّورة، بدء من الآية: ٢٠، ﴿وَ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ...﴾، إلى الآية: ٢٦، ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً...﴾ و هي قول موسى لقومه: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ...﴾.

٢ ـ و قال الطّبرسيّ (٢: ١٧٢) في «اللّغة»: «أصل التّقديس: التّطهير؛ و منه قيل للسّطل الّذي يتطهّر به: «القدس»؛ و منه تسبيح الله و تقديسه: و هو تنزيهه عمّا لايجوز عليه من الصّاحبة، و الولد، و فعل الظّلم، و الكذب».

٣ ـ و قال في «المعنى»: «ثمّ كلّفهم سبحانه دخول الأرض المقدّسة بعد ذكر النّعم، فقال: ﴿يَا قَوْمِ﴾ حكاية عن خطاب موسى عليه السلام لقومه: ﴿ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾ و هي بيت المقدس، عن ابن عبّاس، و السُّدّيّ، و ابن زيد.

و قيل: هي دمشق، و فلسطين، و بعض الأُردن، عن الزّجّاج، و الفرّاء.

و قيل: هي الشّام، عن قتادة.

و قيل: هي أرض الطّور، و ما حوله، عن مجاهد.

و ﴿الْمُقَدَّسَةَ﴾: المطهّرة، طهّرت من الشّرك، و جعلت مكانًا و قرارًا للأنبياء و المؤمنين.

﴿الَّتِي كَتَبَ اللهُ لَكُمْ﴾ أي كتب في اللّوح المحفوظ أنّها لكم.

و قيل: معناه: وهب الله لكم، عن ابن عبّاس.

و قيل: معناه: أمركم الله بدخولها، عن قتادة، و السُّدّيّ.

فإن اعترض معترض فقال: كيف كتب الله لهم مع قوله: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ المائدة: ٢٦؟

فجوابه: أنّها كانت هبة من الله لهم، ثمّ حرّمها عليهم، عن ابن إسحاق.

و قيل: إنّ المراد به الخصوص، و إن كان الكلام على العموم، فصار كأنّه مكتوب لبعضهم، و حرام على البعض. و الّذين كتب الله لهم دخولها، هم الّذين كانوا مع يوشع بن نون، بعد موت موسى عليه السلام بشهرين.

﴿وَ لَاتَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ﴾ أي لاترجعوا عن الأرض الّتي أمرتم بدخولها، عن أكثر المفسّرين.

و قيل: لاترجعوا عن طاعة الله إلى معصيته، عن الجُبّائيّ.

﴿فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾: الثّواب في الآخرة، و إنّما قال ذلك لأنّهم كانوا أُمروا بدخولها، كما أُمروا بالصّلاة و غيرها، عن قتادة، و السُّدّيّ.

و قيل: إنّهم لم يؤمروا بذلك، فيكون المراد: فتنقلبوا خاسرين حظّكم في دخولها، كما يقال: خسر في البيع فلان» ثمّ ذكر القصّة فلاحظ.

و الثّالثة: الآية: ٥٤، من سورة المائدة أيضًا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ...﴾:

١ ـ و هذه الآية جاءت عقيب آيات في أهل الكتاب و قد جاء في الآية: ٥١، ﴿يَاءَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا لَاتَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارٰى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَ مَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لَايَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾، والظّاهر أنّ بين الآيتين مناسبة، لاشتمالهما على نوع اتباع المؤمنين لأهل الكتاب، فإنّ من تولّاهم، فهم يدعونه إلى دينهم، فيرتدّوا عن دينه إلى دينهم.

٢ ـ ثمّ بشّرنا الله تعالى فيها بأنّ ارتداد من ارتدّ لايضرّ بالإسلام، لأنّ الله تعالى سوف يأتي بقوم يحبّهم و يحبّونه، أذلّة على المؤمنين...

٣ ـ و بعد أن قال في تلك الآية: ﴿لَاتَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارٰى أَوْلِيَاءَ...﴾ قال في هذه الآيات: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ اٰمَنُوا...﴾ أي لاتتخذوهم أولياء، إنّما أولياؤكم هؤلاء المذكورون.

و الشّاهد عليه أنّه قال بعدها في الآية: ٥٧، ﴿لَاتَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَ لَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ...﴾. فهذه الآيات من الآية: ٥١، إلى الآية: ٥٧، تبحث عن ولاية الأولياء في الدّين.

٤ ـ و قال الطّبرسيّ (٢: ٢٠٧) في «اللّغة»: «الذِّلّ بكسر الذّال: ضدّ الصّعوبة، و بضمّها ـ ذُلّ ـ ضدّ العزّ. يقال: ذلول بيّن الذِّلّ من قوم أذلّة، و ذليل بيّن الذُّلّ من قوم أذلّاء. و الأوّل من اللّين و الانقياد، و الثّاني من الهوان و الاستخفاف. و العزّة: الشّدّة، يقال: عززت فلانًا على أمره، أي غلبته عليه.

و العزاز: الأرض الصُّلبة. و عزّ يعزّ الشّيء، إذا لم يقدر عليه، و أصل الباب: الامتناع».

٥ ـ و قال في «المعنى»: «لمّا بيّن تعالى حال المنافقين، و أنّهم يتربّصون الدّوائر بالمؤمنين، و علم أنّ قومًا منهم يرتدّون بعد وفاته، أعلم أنّ ذلك كائن، و أنّهم لاينالون أمانيّهم، و الله ينصر دينه بقوم لهم صفات مخصوصة، تميّزوا بها من بين العالمين، فقال: ﴿يَاءَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾: أي من يرجع منكم ـ أي من جملتكم ـ إلى الكفر بعد إظهار الإيمان، فلن يضرّ دين الله شيئًا، فإنّ الله لايُخلّي دينه من أنصار يحمونه ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ أي يحبّهم الله، و يحبّون الله ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

و الرّابعة: الآية: ٩٦، من سورة يوسف: ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقٰيهُ عَلٰى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا...﴾:

١ ـ هذه ثمرة ما أمر يوسف إخوته في الآية: ٩٣، ﴿إِذْهَبُوا بِقَمِيصِي هٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلٰى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا...﴾ فإنّ البشير ألقى قميص يوسف على وجه أبيه فارتدّ بصيرًا. و قد جاء قبلها في الآية: ٩٤، ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ...﴾. فقد اشتمّ أبوهم ريح يوسف من قميصه الّذي كان بيد البشير في طريقهم إلى مَدْيَن. لكن إخوة يوسف أنكروا قول أبيهم، و قالوا له: ﴿تَاللهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾.

٢ ـ و هذه المرّة الثّانية من حكاية قميص يوسف في هذه القصّة، و المرّة الأُولى هي دلالة قميصه على

صدقه و كذب زليخا، كما جاءت في الآيات: ٢٥ ـ ٢٨. ﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ...﴾ إلى: ﴿فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾.

٣ ـ و قال الطّبرسيّ (٣: ٢٦٣) ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ...﴾: «و هو يهوذا، عن ابن عبّاس، و في رواية أخرى عنه أنّه مالك بن ذعر.

﴿أَلْقَيهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا﴾ أي ألقى البشير قميص يوسف على وجه يعقوب، فعاد بصيرًا. قال الضّحّاك: عاد إليه بصره بعد العمى، و قوّته بعد الضّعف، و شبابه بعد الهرم، و سروره بعد الحزن. فقال للبشير: ما أدري ما أُثيبك به! هوّن الله عليك سكرات الموت.

﴿قَالَ﴾ يعقوب لهم: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي إنّي كنت أعلم أنّ الله يصدّق رؤيا يوسف، و يكشف الشّدائد عن أنبيائه بالصّبر، و كنتم لا تعلمون ذلك. قال الحسن: كان الله سبحانه أعلمه بحياته، و لم يعلمه بمكانه».

الخامسة: الآية: ٤٣، من سورة إبراهيم: ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ...﴾:

١ ـ هذه من جملة الآيات في هذه السّورة في عذاب الآخرة، بدء من الآية: ٤٢، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ...﴾ إلى الآية: ٥٢، و هي آخر السّورة: ﴿هٰذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ...﴾.

٢ ـ و قال الطّبرسيّ (٣: ٣٢٠) في «اللّغة»: «الإهطاع: الإسراع. [ثمّ استشهد بشعر]

و قيل: إنّ الإهطاع مدّ العنق. و الهطع: طول العنق. قال أحمد بن يحيى: المهطع: الّذي ينظر في ذلّ و خشوع لا يقلع بصره. و الإقناع: رفع الرّأس. و قال الزّجّاج: المقنع: الرّافع. و المقنع: المرتفع». [ثمّ استشهد بأشعار]

٣ ـ و قال في «المعنى»: ﴿مُهْطِعِينَ﴾: «أي مسرعين، عن الحسن، و سعيد بن جبير، و قتادة.

و قيل: يريد دائمي النّظر إلى ما يرون، لا يطرفون، عن ابن عبّاس، و مجاهد.

﴿مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾ أي: رافعي رؤوسهم إلى السّماء حتّى لا يرى الرّجل مكان قدمه من شدّة رفع الرّأس، و ذلك من هول يوم القيامة.

و قال مؤرّج: معناه ناكسي رؤوسهم بلغة قريش.

﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ أي لا ترجع إليهم أعينهم، و لا يطبقونها، و لا يغمضونها، و إنّما هو نظر دائم.

﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ أي قلوبهم خالية من كلّ شيء، فزعًا و خوفًا، عن ابن عبّاس.

و قيل: خالية من كلّ سرور و طمع في الخير، لشدّة ما يرون من الأهوال، كالهواء الّذي بين السّماء والأرض.

و قيل: معناه: و أفئدتهم زائلة عن مواضعها، قد ارتفعت إلى حلوقهم، لا تخرج و لا تعود إلى أماكنها، بمنزلة الشّيء الذّاهب في جهات مختلفة، المتردّد في الهواء، عن سعيد بن جبير، و قتادة. و قيل: معناه: خالية عن عقولهم، عن الأخفش».

السّادسة: الآية: ٦٤، من سورة الكهف: ﴿قَالَ

﴿ذٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلٰىٓ اٰثَارِهِمَا قَصَصًا﴾:

١ـ هذه من جملة قصّة موسى مع الخضر في هذه السّورة، بدءً من الآية: ٦٠، ﴿وَاِذْ قَالَ مُوسٰى لِفَتٰيهُ لَآ اَبْرَحُ حَتّٰٓى اَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ...﴾، و ختمًا بالآية: ٨٢، ﴿وَاَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى الْمَدِينَةِ...﴾.

٢ـ و جاء فيها أنّهما لمّا بلغا مجمع البحرين نسيا حوتهما، فلمّا جاوزا قال موسى لفتاه: آتنا غداءنا، فقال فتاه: ﴿اِذْ اَوَيْنَآ اِلَى الصَّخْرَةِ فَاِنّى نَسِيتُ الْحُوتَ﴾، فقال موسى: ذلك ما كنّا نطلبه، فرجعا إلى المجمع، فاتّصل موسى بالخضر هناك.

٣ـ و قد أطال الطّبرسيّ (٣: ٤٨٠ و ٤٨١) الكلام في قصّته، و الخلاف في أنّ موسى هذا هل هو موسى بن عمران، أو موسى بن ميشا بن يوسف ـ كما قال أهل الكتاب ـ و الخلاف في أنّ موسى و الخضر أيّهما كان أعلم، فلاحظ.

٤ ـ و قال في تفسير الآية ﴿ذٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ﴾: «قال موسى عليه السلام: ذلك ما كنّا نطلب من العلامة ﴿فَارْتَدَّا عَلٰىٓ اٰثَارِهِمَا﴾ أي رجعا و عادا عودهما على بدئهما في الطّريق الّذي جاءا منه، يقصّان ﴿اٰثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ أي و يتّبعانها، و يوشع أمام موسى عليه السلام، حتّى انتهيا إلى مدخل الحوت».

السّابعة: الآية: ٤٠، من سورة النّمل: ﴿قَالَ الَّذِى عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ اَنَا اٰتِيكَ بِهِ قَبْلَ اَنْ يَرْتَدَّ اِلَيْكَ طَرْفُكَ...﴾:

١ـ هذه من جملة قصّة داود و سليمان و ملكة سبإ في هذه السّورة، بدءً من الآية: ١٥، ﴿وَلَقَدْ اٰتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمٰنَ عِلْمًا...﴾، و ختمًا بالآية: ٤٤، ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِى الصَّرْحَ...﴾.

٢ـ و قد طلب سليمان أصحابه أن يأتوه بعرش ملكة سبإ: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ اَنَا اٰتِيكَ بِهِ قَبْلَ اَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ... قَالَ الَّذِى عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ اَنَا اٰتِيكَ بِهِ قَبْلَ اَنْ يَرْتَدَّ اِلَيْكَ طَرْفُكَ...﴾.

٣ـ و قال الطّبرسيّ (٤: ٢٢٣) ﴿قَالَ الَّذِى عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ﴾: «و هو آصف بن برخيا، و كان وزير سليمان و ابن أُخته، و كان صدّيقًا يعرف اسم الله الأعظم الّذي إذا دُعي به أجاب، عن ابن عبّاس.

و قيل: إنّ ذلك الاسم «الله»، و الّذي يليه «الرّحمن».

و قيل: هو «يا حيّ يا قيّوم»، و بالعبرانيّة «إهيا أشر إهيا».

و قيل: هو «يا ذا الجلال و الإكرام»، عن مُجاهِد.

و قيل: إنّه قال: يا إلهنا و إله كلّ شيء، إلهًا واحدًا لا إله إلّا أنت، عن الزُّهريّ.

و قيل: إنّ الّذي عنده علم من الكتاب، كان رجلًا من الإنس، يعلم اسم الله الأعظم، اسمه «بلخيا» عن مُجاهِد.

و قيل: اسمه «اسطوم» عن قَتادَة.

و قيل: الخضر عليه السلام عن أبي لَهيعة.

و قيل: إنّ الّذي عنده علم من الكتاب هو جبرائيل عليه السلام، أذن الله له في طاعة سليمان عليه السلام، بأن يأتيه بالعرش الّذي طلبه.

و قال الجُبّائيّ: هو سليمان عليه السلام، قال ذلك للعفريت، ليُريه نعمة الله عليه. و هذا قول بعيد، لم يُؤثَر عن أهل التّفسير.

و أمّا ﴿الْكِتَابِ﴾ المعرّف في الآية بالألف و اللّام، فقيل: إنّه اللّوح المحفوظ.

و قيل: أراد به جنس كتب الله المُنزلة على أنبيائه، و ليس المراد به كتابًا بعينه، و الجنس قد يُعرّف بالألف واللّام.

و قيل: إنّ المراد به كتاب سليمان إلى بلقيس.

﴿اَنَا اٰتِيكَ بِهٖ قَبْلَ اَنْ يَرْتَدَّ اِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ اختُلف في معناه:

فقيل: يريد قبل أن يصل إليك من كان منك على قدر مدّ البصر، عن قَتادَة.

و قيل: معناه: قبل أن يبلغ طرفك مداه و غايته، و يرجع إليك.

قال سعيد بن جُبَيْر: قال لسليمان: انظر إلى السّماء، فما طرف حتّى جاء به فوضعه بين يديه، و المعنى: حتّى يرتدّ إليك طرفك بعد مدّه إلى السّماء.

و قيل: ارتداد الطّرف إدامة النّظر حتّى يرتدّ طرفه خاسئًا، عن مُجاهِد.

فعلى هذا معناه: أنّ سليمان مدّ بصره إلى أقصاه، و هو يديم النّظر، فقبل أن ينقلب بصره إليه حسيرًا، يكون قد أتى بالعرش.

قال الكَلْبيّ: خرّ آصف ساجدًا، و دعا باسم الله الأعظم، فغار عرشها تحت الأرض، حتّى نبع عند كرسيّ سليمان.

و ذكر العلماء في ذلك وجوهًا:

أحدها: أنّ الملائكة حملته بأمر الله تعالى.

و الثّاني: أنّ الرّيح حملته.

و الثّالث: إنّ الله تعالى خلق فيه حركات متوالية.

و الرّابع: أنّه انخرق مكانه حيث هو هناك، ثمّ نبع بين يدي سليمان.

و الخامس: أنّ الأرض طُويت له، و هو المرويّ عن أبي عبد الله ـ جعفر بن محمّد ـ عليه السلام.

و السّادس: أنّه أعدمه الله في موضعه، و أعاده في مجلس سليمان.

و هذا لا يصحّ على مذهب أبي هاشم، و يصحّ على مذهب أبي عليّ الجُبّائيّ، فإنّه يجوّز فناء بعض الأجسام دون بعض.

و في الكلام حذف كثير، لأنّ التّقدير: قال سليمان له: افعَل. فسأل الله تعالى في ذلك، فحضر العرش، فرآه سليمان مستقرًّا عنده.

﴿فَلَمَّا رَاٰهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ﴾ أي فلمّا رأى سليمان العرش محمولًا إليه، موضوعًا بين يديه في مقدار رجع البصر.

﴿قَالَ هٰذَا مِنْ فَضْلِ رَبّى﴾ أي من نعمته عليّ، و إحسانه لديّ، لأنّ تيسير ذلك و تسخيره مع صعوبته وتعذّره، معجزة له، و دلالة على علوّ قدره، و جلالته، و شرف منزلته عند الله تعالى....».

و الثّامنة: الآية: ٢٥، من سورة محمّد: ﴿اِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلٰى اَدْبَارِهِمْ...﴾:

١ ـ هذه من جملة آيات في ذمّ المنافقين بدءً من

الآية: ١٦، ﴿وَ مِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا...﴾ إلى آخر السّورة.

٢ ـ و قال الطّبْرسيّ (٥: ١٠٤): «ثمّ قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ﴾: أي رجعوا عن الحقّ والإيمان.

﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى﴾ أي من بعد ما بان لهم طريق الحقّ ـ و هم المنافقون ـ عن ابن عبّاس والضّحّاك و السُّدّيّ، كانوا يؤمنون عند النّبيّ ﷺ، ثمّ يضمرون الكفر فيما بينهم، فتلك ردّة منهم.

و قيل: هم كفّار أهل الكتاب، كفروا بمحمّد ﷺ و قد عرفوه، و وجدوا نعته مكتوبًا عندهم، عن قتادة.

و ليس في هذا دلالة على أنّ المؤمن قد يكفر، لأنّه لايمتنع أن يكون المراد مَن رجع في باطنه عن الإيمان، بعد أن أظهره، و قامت الحجّة عنده بصحّته.

﴿الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ﴾ أي زيّن لهم خطاياهم، عن الحسَن.

و قيل: أعطاهم سؤلهم و أمنيّتهم، إذ دعاهم إلى ما يوافق مرادهم و هواهم، عن أبي مسلم.

﴿وَ أَمْلَى لَهُمْ﴾ أي طوّل لهم أملهم، فاغترّوا به. و قيل: أوهمهم طول العمر مع الأمن من المكاره، و أبعد لهم في الأمل و الأمنيّة».

هذا كلّه البحث في آيات «الافتعال».

و أمّا آية «التّفعّل» فهي الآية: ٤٥، من سورة التّوبة: ﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ ارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾:

١ ـ هذه من جملة الآيات بشأن ضعفاء الإيمان و المنافقين في هذه السّورة بدءً من الآية: ٣٨، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ اثَّاقَلْتُمْ...﴾ إلى آخر السّورة. و فيها آيات بشأن المؤمنين المخلصين، مثل الآية: ٤٠، ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ...﴾.

و مثل الآية: ٧١، ﴿وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ...﴾، و ما بعدها: ﴿وَعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ...﴾، و الآية: ٨٨، ﴿لٰكِنِ الرَّسُولُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ...﴾، و ما بعدها: ﴿أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ...﴾، و كذا الآيات ٩٩ و ١٠٠، و غيرها، فلاحظ.

٢ ـ و هذه من تتمّة الآية: ٤٢، بشأن استئذان المنافقين في تخلّفهم عن الخروج مع النّبيّ ﷺ إلى غزوة تبوك، فأذن لهم: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَ سَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ...﴾، إلى قوله بعدها: ﴿عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ...﴾، والآية: ٤٤، ﴿لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ...﴾.

و كذا الآيتين: ٤٦ و ٤٧، ﴿وَ لَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً...﴾، و ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا...﴾.

٣ ـ و قال الطّبْرسيّ (٣: ٣٤): «﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ﴾ في التّأخّر عن الجهاد و التّخلّف عن القتال معك.

و قيل: في الخروج، لأنّ المنافق إنّما يستأذنك في الخروج تملّقًا، و لا يتأهّب كما يتأهّب المؤمنون، عن أبي مسلم.

﴿الَّذينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ﴾ أي لا يصدّقون به.

﴿وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ يعني: بالبعث و النّشور.

﴿وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي اضطربت و شكّت.

﴿فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ فهم في شكّهم يذهبون و يرجعون.

٤ ـ و التّردّد هو التّصرّف بالذّهاب و الرّجوع مرّات متقاربة، مثل التّحيّر. و أراد به المنافقين، أي يتوقّعون الإذن لشكّهم في دين الله، و فيما وعد المجاهدين، و لو أنّهم كانوا مخلصين لوثقوا بالنّصر، و بثواب الله، فبادروا إلى الجهاد، و لم يستأذنوك».

و يلاحظ ثانيًا: أنّ ٣٧ آيةً منها مكّيّة و أكثرها قصص، أو ما يرجع إلى العقيدة في التّوحيد و المعاد والرّسالة. و ٢١ آية مدنيّة أو مُختلف فيه، و أكثرها في القتال و الغزوات أو أهل الكتاب، مثل آيتي التّوبة: ﴿وَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾، و ﴿وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾، و الآية: ٨، من سورة الجمعة في حال اليهود: ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ...﴾.

أو في التّشريع مثل الآية: ٨٦، من سورة النّساء: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا...﴾.

و ثالثًا: من نظائر هذه المادّة في القرآن:

الرّدّ: الإرجاع:

الصّدّ: ﴿وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ النّمل: ٢٤

المنع: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ البقرة: ١١٤

الرّجوع: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهٰذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ سبأ: ٣١

العودة: ﴿وَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ البقرة: ٢٧٥

الصّرف: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ يوسف: ٣٤

التّردّد: الدّهش:

الحيرة: ﴿إِذْ هَدٰينَا اللهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدٰى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الأنعام: ٧١

البهت: ﴿قَالَ إِبْرٰهِيمُ فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ البقرة: ٢٥٨.

البروق: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ﴾ القيٰمة: ٧

ر د ف

٣ألفاظ، ٣مرّات: في ٣سور: ٢مكّيّتان، ١مدنيّة

رَدِفَ ١ : ١ الرّادفة ١ : ١

مُرْدِفِين ١ : ـ ١

النّصوص اللّغويّة

الخَليل: الرِّدْف: ما تَبِعَ شيئًا، فهو رِدْفُه، وإذا تتابع شيء خَلْفَ شيء فهو التّرادُف؛ والجميع: الرُّدافَى.

ويقال: جاء القوم رُدافَى، أي بعضهم يتبع بعضًا.

ورَديفُكَ: الّذي تُرْدِفُه خلفك، ويَرْتَدِفُكَ، ويُرْدِفُه غيرك.

ونزل بالقوم أمْرٌ قد رَدِفَ لهم أمْرٌ أعظم منه.

والرِّداف: هو موضع مركب الرِّدْف.

ويقال: بِرْذَوْنٌ لايُرْدِف ولايُرادِف، أي يَدَع رديفًا يَرْكَبُه.

والرَّديف: كوكب قريب من النّسر الواقع.

والرَّديف في قول أصحاب النّجوم: هو النّجم النّاظر إلى النّجم الطّالع.

والرِّدْف: الكَفَل.

وأرْداف النّجوم: تواليها، أي تَرادُفها.

والتّرادُف: كناية عن فِعْل قبيح؛ وذلك أنّه إذا عَمِل أحدهما عمَل إثم رَدِفَه الآخر. [واستشهد بالشّعر ٣مرّات] (٨: ٢٢)

الكِسائيّ: يقال: أتينا فلانًا فارْتَدَفْناه، أي أخذناه من ورائه أخذًا. (الجَوهَريّ ٤: ١٣٦٤)

نحوه الأصمَعيّ. (الأزهَريّ ١٤: ٩٧)

أبوعمرو الشّيبانيّ: قد تَرَدَّفوه، إذا ظهروا عليه. (٢: ٣)

أبوزَيْد: يقال: رَدِفْتُ الرّجل وأرْدَفْتُه، إذا رَكِبتَ خلفه. [ثمّ استشهد بشعر] (الأزهَريّ ١٤: ٩٦)

الأصمَعيّ: تعاونوا عليه وتَرادَفوا، بمعنًى. (الجَوهَريّ ٤: ١٣٦٤)

الرُّدافَى: هم الحُداة، لأنّهم إذا أعيا أحدهم خَلَفَه

الآخر. [ثمّ استشهد بشعر] (ابن فارس ٢: ٥٠٤)

ابن الأعرابيّ: يقال: رَدِفتُه و أرْدَفتُه، بمعنى واحد. (الأزهَريّ ١٤: ٩٦)

أبو حاتِم: الرّديف: الّذي يجيء بقِدْحه بعد أن فاز من الأيسار واحد أو اثنان، و يسألهم أن يدخلوا قِدْحَه في قِداحهم. (ابن فارس ٢: ٥٠٤)

شَمِر: رَدِفتُ و أرْدَفتُ، إذا فعَلتَ بنفسك. فإذا فعَلتَ بغيرك فأرْدَفتَ لاغير. (الأزهَريّ ١٤: ٩٧)

أبو الهَيْثَم: يقال: رَدِفتُ لفلان، أي صرت له رِدْفًا.

و تزيد العرب اللّام مع الفعل الواقع في الاسم المنصوب، فتقول: سمِع له، و شكر له، و نصَح له، أي سمعه و نصحه و شكره. (الأزهَريّ ١٤: ٩٦)

المُبرّد: للرّادفة موضعان:

أحدهما: أن يردفه الملك على دابّته في صيد أو تَرَيُّف، أو ما أشبه ذلك من مواضع الأُنس.

و الوجه الآخر: أنبل: و هو أن يخلف الملك إذا قام عن مجلس الحكم، فينظر بين النّاس بعده. (٢: ٣٦٠)

الزّجّاج: يقال: رَدِفتُ الرّجل، إذا ركِبتَ خلفه، و أرْدَفتُه: أركبتُه خلفي. و يقال: هذه دابّة لاتُرادف، و لايقال: لاتُردِف.

و يقال: أرْدَفتُ الرّجل، إذا جئتَ بعده. (الأزهَريّ ١٤: ٩٧)

ابن دُرَيْد: الرِّدف: الّذي يركب وراءك فهو رِدْفك و رديفك.

و الرِّدف: العَجُز.

و كلّ شيء جاء بعدك، فهو رِدْفك و رديفك فقد ردفك، و في التّنزيل: ﴿تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ النّازعات: ٧، و رَدِفَتْهُم كتب السّلطان بكذا و كذا، أي جاءت بعدهم.

و جاء القوم رُدافَى في وزن «فُعالى»: بعضهم على إثر بعض.

و جمع ردف: أرداف.

و أرْداف الملوك في الجاهليّة: الّذين كانوا يخلفون الملك، نحو صاحب الشُّرَط في دهرنا هذا.

و الرّديف و الرّادف: النّجم الّذي ينوء من المشرق إذا انغمس رقيبه في المغرب. [ثمّ استشهد بشعر] (٢: ٢٥١)

القاليّ: أرْدافه: مآخيره. (١: ١٧٤)

الأزهَريّ: يقال للحُداة: الرُّدافى. و قيل: الرُّدافى: الرّديف.

و قال اللّيث: و يقال: هذا البِرذَوْن لايُرْدِف و لايُرادِف، أي يَدَع رديفًا يَرْكَبُه.

قلت: كلام العرب: لايُرادِف، و أمّا لايُرْدِف فهو مولّد من كلام أهل الحضر.

و قال غيره: أرْداف الملوك في الجاهليّة الّذين يخلفونهم في القيام بأمر المملكة، بمنزلة الوزراء في الإسلام و هي الرِّدافة.

و الرّوادف: أتباع القوم المؤخّرون. يقال: هم روادف و ليسوا بأرداف.

و الرِّدفان: اللّيل و النّهار، لأنّ كلّ واحد منهما رِدْف لصاحبه. (١٤: ٩٦)

الصّاحِب: الرّدْف: ما تبع شيئًا، و هو التّرادف، و الجميع: الرُّدافَى.

و رديفك: الّذي تُرْدِفُه خلفك و يَرْتَدِفُك.

و الرّداف: موضع مَرْكَب الرّديف.

و دابّة لاتُرادِف و لاتُرْدِف: أي لاتحمل رديفًا.

و الرِّدْف: الكَفَل. و مَلّاح السّفينة.

و رَدِفتُه و أرْدَفتُه: ركبت خلفه.

و جئت مِرْدافًا لفلان، أي بعده.

و رَدَفْتُ له كذا: جئته به.

و الرّديف: كوكب قريب من النّسر الواقع. و النّاظر إلى النّجم الطّالع.

و أرْداف النّجوم: تواليها.

و كوكب الرّدْف يسمّيه المنجّمون: ذَنَبُ الدَّجاجَة

و التّرادف: كناية عن فعل قبيح.

و المترادف في القوافي: تتابع حركات.

و تَرادَف القوم: بمعنى تعاونوا.

و الرِّدْفان: الغداة و العشيّ.

و الرّادِف: الّذي يجيء بِقِدْحه بعدما اقتسموا الجزُور. و قيل: هو الّذي يجيء بقِدْحه بعد أن فاز من الأيسار واحد أو اثنان، فيسألهم أن يُدْخِلوا قِدْحَه في قِداحهم.

و أرْداف الملوك: أبناؤهم الّذين يَرْدفُون آباءهم في المُلْك و الشّرف؛ و الاسم: الرِّدافة. و كانت الرِّدافة من تميم في بني يَرْبُوع.

و الرّوادف: قوم لاديوان لهم، فيجيؤون رادفةً لمن له ديوان.

و الرُّدافَى: الحُداة الّذين يَحْدُون بالظّعن.

و جَراد رُدافَى: إذا ارْتَدَف الجراد أربعة أو خمسة.

و بَهْمٌ رَدْفَى: أي وُلِدَت في الخريف و الصّيف في آخر ولاد الغَنم.

و أمرٌ ليس له رَدَفٌ، أي تَبِعَة.

و الرّاكوب من النّخل يسمّى: الرّادُوف؛ و جمعه: رَواديف و رَوادِف.

و الرِّدْف في القافية، سمّي رِدْفًا، لأنّه خَلْف القافية.

(٩: ٢٨٩)

ابن جِنّيّ: أصل الرّدْف للألف، لأنّ الغرض فيه إنّما هو المدّ، و ليس في الأحرف الثّلاثة ما يساوي الألف في المدّ، لأنّ الألف لاتفارق المدّ، و الياء و الواو قد يفارقانه، فإذا كان الرّدْف ألفًا فهو الأصل، و إذا كان ياءً مكسورًا ما قبلها، أو واوًا مضمومًا ما قبلها، فهو الفرع الأقرب إليه، لأنّ الألف لاتكون إلّاساكنةً، مفتوحًا ما قبلها. (ابن سيده ٩: ٣٠٤)

الجَوهَريّ: الرِّدْفُ: المُرْتَدِفُ، و هو الّذي يركب خلف الرّاكب.

و أرْدَفتُه أنا، إذا أركبْتَه معك، و ذلك الموضع الّذي يركبه: رِدافٌ.

و كلّ شيء تَبِعَ شيئًا فهو رِدْفُه.

و هذا أمر ليس له رِدْفٌ، أي ليس له تَبِعَة.

و الرِّدْف في الشّعر: حرف ساكن من حروف المدّ و اللّين، يقع قبل حرف الرّويّ، ليس بينهما شيء. فإن كان ألفًا لم يَجُز معها غيرها، و إن كان واوًا جاز معها الياء.

و الرِّدْفان: اللّيل و النّهار.

و الرِّدافَة: الاسم من أرْداف الملوك في الجاهليّة.

و الرِّدافَة: أن يجلس الملك و يجلس الرِّدْفُ عن يمينه، فإذا شرب الملك شرب الرِّدْفُ قبل النّاس، و إذا غزا الملك قعد الرِّدْف في موضعه، و كان خليفته على النّاس حتّى ينصرف، و إذا عادت كتيبة الملك أخذ الرِّدْف المِرْباع.

و كانت الرِّدافة في الجاهليّة لبني يربوع، لأنّه لم يكن في العرب أحد أكثر غارةً على ملوك الحيرة من بني يربوع، فصالحوهم على أن جعلوا لهم الرِّدافة، و يكفّوا عن أهل العراق الغارة.

والرِّدْف: الكَفَل و العَجُز.

و الرّديف: المُرْتَدَف، و الجمع: رداف.

و الرّديف: نجم قريب من النّسر الواقع.

و الرّديف: النّجم الّذي يَنُوء من المشرق إذا غاب رقيبُه في المغرب.

و رَدِفَه بالكسر، أي تَبِعَه. يقال: كان نزل بهم أمرٌ فرَدِفَ لهم آخرُ أعظمُ منه. قال تعالى: ﴿تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ النّازعات: ٧.

و الرّوادِف: رواكيب النّخلة.

و الرُّدافَى: على «فُعالى» بالضّمّ: الحُداة و الأعوان، لأنّه إذا أعيا أحدهم خلفَه الآخر.

و أرْدَفَه أمر: لغة في رَدِفَه، مثل تَبِعَه و أتبعَه بمعنى.

و أرْدَفَت النّجوم، أي توالَتْ.

و مُرادَفَة الجرادِ: رُكوب الذّكر الأُنثى و الثّالث عليهما.

و يقال: هذه دابّة لاتُرادِف، أي لاتحمل رديفًا.

و الارْتداف: الاستدبار.

و استَرْدَفَه، أي سأله أن يُرْدِفه. و التّرادف: التّتابع.

[و استشهد بالشّعر ٣ مرّات] (٤: ١٣٦٣)

ابن فارس: الرّاء و الدّال و الفاء أصل واحد مطّرد، يدلّ على اتّباع الشّيء. فالتّرادف: التّتابع، و الرّديف: الّذي يُرادِفُك. وسُمّيت العجيزة رِدْفًا من ذلك.

و يقال: نَزَل بهم أمر فرَدِفَ لهم أعظَم منه، أي تَبِعَ الأوّل ما كان أعظَم منه.

و الرِّداف: موضع مَرْكَب الرِّدف.

و هذا بِرْذَوْن لايُرادِف، أي لايحمِل رديفًا.

و أرْداف النّجوم: تواليها. و يقال: أتينا فلانًا فارْتَدَفناه ارتِدافًا، أي أخذناه أخذًا.

و الرّديف: النّجم الّذي يَنُوء مِن المشرق إذا انغمَسَ رقيبُه في المغرب.

و أرْداف الملوك في الجاهليّة: الّذين كانوا يخلفون الملوك.

و الرِّدْفان: اللّيل و النّهار. و في شعر لبيد: «الرِّدْف» و هو مَلّاح السّفينة.

و هذا أمر ليس له رِدْف، أي ليست له تَبِعَة.

و يقال: رادَفَ الجرادُ. و المُرادفة: ركوب الذّكر الأُنثى.

و الرّوادف: رواكيب النّخل. (٢: ٥٠٣)

الهَرَويّ: في الحديث: «لست من أرْداف الملوك». أرْداف الملوك: هم الّذين يخلفونهم في القيام بأمر

المملكة، بمنزلة الوزراء في الإسلام، و هي الرّادفة.

(٣: ٧٣٥)

نحوه الثّعالبيّ. (٤٥)

أبو سَهْل الهَرَويّ: دابّة لاتُرادف ـ بالألف ـ أي لاتحمل رديفًا، و هو الّذي يركب خلف الإنسان. (٩٨)

ابن سيده: الرِّدْف: ما تَبِعَ الشّيء.

و ردف كلّ شيء: مؤخّره.

و الرِّدْف: العَجُز. و خصّ بعضهم به عجيزة المرأة؛ و الجمع: من كلّ ذلك: أرْداف.

و الرّوادف: الأعجاز، لاأدري، أهُوَ جمع رِدْف نادرٌ أم هو جمع رادفة؟ و كلّه من الإتباع.

و ترادف الشّيء: تَبِعَ بعضه بعضًا.

والتّرادف: كناية عن فعل قبيح، مشتقّ من ذلك.

و المترادف: كلّ قافية اجتمع في آخرها ساكنان، و هي «متفاعلان» و «مستفعلان» و «فاعلان» و «مفاعيل» و «فَعِلان» و «فَعُول» سمّي بذلك، لأنّ غالب العادة في أواخر الأبيات أن يكون فيها ساكن واحد رويًّا، مقيّدًا كان أو وصلًا، أو خروجًا، فلمّا اجتمع في هذه القافية ساكنان سمّي مترادفًا، كأنّ أحد السّاكنين رِدْفٌ للآخر، و لاحِق به.

و أرْدَفَ الشّيء بالشّيء و أرْدَفَه عليه: أتبَعَه إيّاه.

و رَدَفَ الرّجل، و أرْدَفَه: رَكِبَ خلفه.

و ارْتَدَفَه: جعله خلفه على الدّابّة.

و رديفك: الّذي يرادفك؛ و الجمع: رُدَفاء، و رُدافَى.

و الرِّدْف: الرّاكب خلفك.

و الرِّدْف: الحقيبة و نحوها، ممّا يكون وراء الإنسان كالرِّدْف.

و دابّة لاتُرْدِف و لاتُرادف، أي لاتقبَل رديفًا.

و الرِّداف: موضع مراكب الرّديف.

و إرْداف النّجوم: تواليها.

و الرِّدْف، و الرّديف: كوكب يقرب من النّسر الواقع.

و الرّديف: النّجم النّاظر إلى الطّالع.

و أرْداف الملوك في الجاهليّة: الّذين كانوا يخلفونهم، نحو أصحاب الشُّرَط في دهرنا هذا.

و الرِّداف: الّذي يجيء بقِدْحه بعدما اقتسموا الجزور، فلايردّونه خائبًا، و لكن يجعلون له حظًّا فيما صار لهم من أنصبائهم.

و الرِّدْف: الألف و الياء و الواو الّتي قبل الرّويّ، سمّي بذلك، لأنّه ملحق ـ في التزامه، و تحمّل مراعاته ـ بالرّويّ، فجرى مَجْرى الرِّدْف للرّاكب، أي يليه، لأنّه ملحق به، و كُلْفَتُه على الفرَس و الرّاحلة أشقّ من الكُلْفَة بالمتقدِّم منهما، و ذلك نحو الألِف في كتاب و حساب، و الياء في تليد و بليد، و الواو في خَتُول و قَتُول. [ثُمّ نقل قول ابن جنّيّ و أضاف:]

فإن قلت: فإنّ الرِّدْف يتلو الرّاكب، و الرِّدْف في القافية إنّما يجيء قبل حرف الرّويّ لابعده، فكيف جاز لك أن تشبّهه به، و الأمر في القضيّة بضدّ ما قدّمته؟

قلت: فالجواب أنّ الرِّدْف و إن سبق في اللّفظ الرّويّ، فإنّه لايخرج ممّا ذكرناه، و ذلك أنّ القافية كما

كانت ــ و هي آخر البيت ــ وجهًا له، و حِلْيَةً لصَنعته، فكذلك أيضًا آخر القافية زينة لها و وجه لصنعتها. فعلى هذا يجب أن يقع الاعتداد بالقافية، و الاعتناء بآخرها أكثر منه بأوّلها. و إذا كان كذلك فالرّويّ أقرب إلى آخر القافية من الرِّدْف، فبه وقع الابتداء في الاعتداد، ثمّ تلاه الاعتداد بالرِّدْف. فقد صار الرِّدْف ــ كما تراه ــ و إن سبق الرّويّ لفظًا تبعًا له تقديرًا و معنًى، فلذلك جاز أن يُشبّه الرِّدْف قبل الرّويّ بالرِّدْف بعد الرّاكب.

و جمع الرِّدْف: أرْداف، لايكسّر على غير ذلك.

و رَدِفَهُم الأمر، و أرْدفهم: دَهَمَهم.

و أتيناه فارْتَدَفْناه، أي أخذناه.

و رَدْفان: موضع. [واستشهد بالشّعر ٤ مرّات]

(٩: ٣٠٢)

الرّاغِب: الرِّدْف: التّابع، و ردْف المرأة: عجيزتها.

و التّرادف: التّتابع.

و الرّادف: المتأخّر، و المُرْدِف: المتقدّم الّذي أرْدَف غيره. [إلى أن قال:]

و أرْدَفْتُه: حملته على رِدْفِ الفرَس، و الرِّداف: مركب الرِّدْف، و دابّة لاتُرادَف و لاتُرْدَف.

و جاء واحد فأرْدَفَه آخر.

و أرْداف المُلوك: الّذين يخلفونهم. (١٩٣)

الزّمَخْشَريّ: هو رديفه و رِدْفه، و قد رَدِفه و أرْدَفَه و ارْتَدَفه و تَرَدَّفَه: ركب خلفه.

و استَرْدَفه: سأله أن يُرْدِفَه فأرْدَفه.

و يقال: ارْتَدَفْتُ فلانًا: جعلته رديفًا.

و أتينا فلانًا فارْتَدَفْناه، أي أخذناه و أركبناه وراءنا.

و وطّأ له على رداف دابّته و هو مقعد الرّديف من قطاتها.

و هذه دابّة لاتُرْدِف و لاتُرادف: لاتقبل الرّديف.

و جاؤوا رُكبانًا و رُدافَى: جمع رديف. و جاؤوا رُدافى: مترادفين ركب بعضهم خلف بعض إذا لم يجدوا إبلًا يتفرّقون عليها.

و رأيت الجراد رُدافَى، أي عُظالَى.

و رَدِفتُه و رَدِفتُ له و تَرَدَّفتُه و أرْدَفْتُه: تبعته.

و ترادفوا: تتابعوا.

و بنو فلان مترادفون: مترافدون.

و لهنّ أرْداف و روادف.

و غابت أرْداف النّجوم، و هي تواليها و أواخرها.

و هو من الرّوادف و ليس من الأرداف، أي من الأتباع المؤخّرين، و ليس من الوزراء. و فيهم الرِّدافة.

و جاؤوا فُرادى رُدافَى: واحدًا بعد واحد مترادفين.

و أين الرُّدافَى و هم حُداة الظُّعُن.

و من المجاز: هذا أمر ليس له رِدْف، أي تبِعَة.

و رَدِفَتْهُم كتب السّلطان بالعزل، أي جاءت على أثرهم.

و كان نزل بهم أمر ثمّ رَدِف لهم أعظم منه.

و لاأفعل ذلك ما تعاقب الرِّدْفان، أي الملوان. (أساس البلاغة: ١٦٠)

أبو هريرة رضي الله عنه: [في حديث قال:]

«... على أكتافها أمثال النّواجد شحمًا، تدعونه أنتم الرّوادف، مُخلّس أخفافها شوكًا من حديد...».

«النّواجد»: طرائق الشّحم، جمع: ناجدة، من النّجد، و هو الارتفاع. والرّوادف: مثلها.

(الفائق ۳: ٤۰۹)

ابن الأثير: [اكتفى بنقل الأحاديث المتقدّمة]

(۲: ۲۱٦)

الصّغانيّ: ...الرّدْف أيضًا: الجبل. [إلى أن قال:]

و الرُّدافى أيضًا: جمع رديف، كالفُرادى من الفريد. و قيل: الرُّدافى: الرّديف. [إلى أن قال:]

و أمر ليس له رَدَف: لغة في الرِّدف.

و الرّادُوف: راكوب النّخل.

و في القوافي: المترادف، و هو اجتماع ساكنين في القافية. (٤: ٤٧٦)

الفَيُّوميّ: الرّديف: الّذي تحمله خلفك على ظهر الدّابّة. تقول: أرْدَفتُه إرْدافًا و ارْتَدَفتُه، فهو رديف و ردْف؛ و منه ردْفُ المرأة و هو عَجُزُها، و الجمع: أرْداف.

و استَرْدَفتُه: سألته أن يُرْدِفني. و أرْدَفَت الدّابّة و رادَفَتْ إذا قبلَت الرّديف و قويَتْ على حَمْله.

و جمع الرّديف: رُدافى على غير قياس.

و قال الزّجّاج: رَدِفْتَ الرّجل بالكسر، إذا ركِبْتَ خلفه. و أرْدَفْتَه إذا أركَبْتَه خلفك، و رَدِفتُه بالكسر: لحِقتُه و تبِعتُه.

و ترادَف القوم: تتابعوا.

و كلّ شيء تبِعَ شيئًا فهو رِدْفه. (۱: ۲۲٤)

الفيروزاباديّ: الرِّدْف، بالكسر: الرّاكب خلف الرّاكب، كالمُرْتدِف و الرّديف و الرُّدافى، كحُبارَى، و كلّ ما تبِع شيئًا.

و كوكب قريب من النّسر الواقع، و تبِعَة الأمر. ـ و يحرّك ـ و جبل، و اللّيل، و النّهار، و هما رِدْفان، و جليس الملك عن يمينه، يشرَب بعده و يَخلُفه إذا غزا.

و في الشّعر: حَرفٌ ساكن من حروف المدّ و اللّين، يقع قبل حرف الرّويّ، ليس بينهما شيء.

و الرّديف: نجم آخر قريب من النّسر الواقع، و النّجم الّذي ينوء من المشرق إذا غرَب رقيبه.

و الّذي يجيء بقِدْحه بعد فوز أحد الأيسار، أو الاثنين منهم، فيسألهم أن يُدخلوا قِدْحَه في قِداحهم.

و النّجم النّاظر إلى النّجم الطّالع.

و بَهْمٌ رَدْفَى، كسَكْرَى: وُلدت في الخريف و الصّيف في آخر ولاد الغنم.

و ككتاب: الموضع يَرْكَبُه الرّديف.

و الرِّدافة بهاء: فِعْل رِدْف الملِك، كالخِلافة.

و الرّوادِف: رواكيب النّخل، و طرائق الشّحم؛ الواحدة: رادفة. و رادُوف.

و الرُّدافى، كحُبارَى: الحُداة، و الأعوان، و جمع رديف.

و جاؤوا رُدافَى: يتبَع بعضهم بعضًا.

و رَدِفَه، كسمِعَه و نصَره: تَبِعَه، كأرْدَفَه.

و أرْدَفتُه معه: أرْكَبتُه، و النّجوم: توالت.

و مُرادَفة الملوك: مُفاعَلة من الرِّدافة، و من الجَراد:

رُكوب الذّكر الأُنثى و الثّالث عليهما.

و هذه دابّة لاتُرادف و لاتُرْدِف؛ قليلة أو مولّدة: لاتحمل رديفًا.

و ارْتَدَفه: رَدَفه، و العدوّ: أخذه من ورائه أخذًا.

و استَرْدَفه: سأله أن يُرْدِفه.

و ترادفا: تعاونا، و تناكحا، و تتابعا.

و المترادف من القوافي: ما اجتمع فيها ساكنان، و أن تكون أسماء لشيء واحد، و هي مولّدة.

و رَدَفانُ، محرّكة: موضع. و رِدْفَة بالكسر: موضع.
(٣: ١٤٧)

الطُّرَيحيّ: الارتداف: الاستدبار. يقال: أتينا فلانًا فارْتَدَفناه، أي أخذناه من ورائه أخذًا.

و رَدَفتُه: لحقتُه و تبعتُه.

و صلاة مترادفة، أي متتابعة.

و الترادف: التتابع.

و تعاونوا عليه و ترادفوا: بمعنى.

و رَدِفتُه بالكسر، إذا ركِبتَ خلفه.

و الرِّدف بالكسر: الرّاكب خلف الرّاكب، و مثله الرّديف. تقول: أرْدَفتُه إردافًا و ارْتَدَفتُه فهو رديف.

و استَرْدَفتُه: سألته أن يردفني.

و الرِّدْف: الكفل و العَجُز.

و الرِّدْفان: اللّيل و النّهار. (٥: ٦٣)

مَجْمَعُ اللُّغة: رَدِف الرّجل يَرْدَفه، و رَدَفه و يَرْدُفه رَدْفًا: ركِب خلفه، أو تبعه و لحِقه.

و الرّادفة: الواقعة، أو النّفخة الّتي تردف و تتبع الأُولى.

أرْدَف الرّجل: ركب خلفه، فهو بمعنى رَدِف.

و أرْدَف الرّجل أيضًا: أركَبَه خلفه.

و اسم الفاعل منهما مُرْدِف؛ و جمعه: مُردِفون.
(١: ٤٧٠)

العَدْنانيّ: رَدَفتُه، ارتَدَفتُه، تَرَدَّفتُه: ركِبتُ خلفه

و يخطّئون من يقول: إنّ معنى أرْدَفتُ فلانًا: ركبتُ خلفه، و يقولون: إنّ معناه هو: أركبتُه خلفي، و كلتا الفئتين مصيبة.

جاء في النّهاية: و في حديث وائل بن حُجْر: «أنّ معاوية سأله أن يُرْدِفه، و قد صحِبَه في طريق، فقال: لست من أرْداف الملوك».

«الأرداف» هم الّذين يخلفون الملوك في القيام بأمر المملكة، بمنزلة الوزراء في الإسلام.

و ممّن قال أيضًا إنّ أرْدَفتُه تعني: أركبتُه خلفي: معجم ألفاظ القرآن الكريم، و شَمِر بن حَمْدَوَيه، و الزّجّاج، و التّهذيب، و الصّحاح، و مفردات الرّاغب الأصفهانيّ، و الأساس، و المختار، و اللّسان، و المصباح، و القاموس، و التّاج، و المدّ، و محيط المحيط، و أقرب الموارد، و المتن، و الوسيط.

و ممّن قال: إنّ أرْدَفتُه تعني: ركبتُ خلفه: معجم ألفاظ القرآن الكريم، و أبوعُبَيْدَة، و شَمِربن حَمْدَوَيه، و أدب الكاتب، و التّهذيب، و المحكم، و مفردات الرّاغب الأصفهانيّ، و اللّسان، و حاشية القاموس، و التّاج، و المدّ، و المتن، و الوسيط.

و هنالك ثلاثة أفعال أُخرى تعني: ركبت خلفه:

١ ـ رَدَفتُه: معجم ألفاظ القرآن الكريم،

و أبو عُبَيْدَة، و ابن الأعرابيّ، و شَمِر بن حَمْدَوَيه، و أدب الكاتب، و الزّجّاج، و الأزهريّ، و المحكم، و مفردات الرّاغب الأصفهانيّ، و الأساس، و العُباب، و اللّسان، و المصباح، و حاشية القاموس، و التّاج، و المدّ، و ذيل أقرب الموارد، و المتن، و الوسيط.

فبعض هؤلاء ذكر أنّ الفعل هو: رَدَفَه، و ذكر آخرون أنّه: رَدِفَه، و قالت فئة ثالثة: إنّه رَدَفَه و رَدِفَه كليهما.

٢ ـ و ارْتَدَفْتُه: لَحْنَ العوامّ لمحمّد الزُّبَيْديّ، و مفردات الرّاغب الأصفهانيّ، و الأساس، و المختار، و اللّسان، و المصباح، و حاشية القاموس، و التّاج، و المدّ، و ذيل أقرب الموارد، و المتن، و الوسيط.

٣ ـ و تَرَدَّفَه: الأساس، و مستدرك التّاج، و ذيل أقرب الموارد، و المتن، و الوسيط.

أمّا فعله فهو رَدَفَه يَرْدُفُه رَدْفًا، و رَدِفَه يَرْدَفُه رَدْفًا.

و يسمّى الّذي يركب خلف الرّاكب: رِدْفًا.

(٢٥٨)

محمّد إسماعيل إبراهيم: رَدفه: تبعه أو ركب خلفه، فهو له ردف.

و أرْدَفَه: أرْكَبَه خلفه.

و أرْدَفَ الشّيء بالشّيء: أتبَعَه عليه.

و الرّادفة: النّفخة الثّانية في الصُّور يوم القيامة، لمجيئها رادفة بعد الأُولى.

و المُردِفون: الّذين يأتون متتابعين فوجًا بعد فوج.

و رَدَف له أمر: دهمه و لحقه. (١: ٢١٨)

محمود شيت: رَدَفَه رَدْفًا: ركِبَ خلفه.

و رَدَف جماعة المُشاة: ركبوا خلفه في الدّبّابة.

أرْدَف جماعة المشاة: ركبوا خلفه في الدّبّابة.

ارْتَدَف جماعة المُشاة: ركبوا خلفه في الدّبّابة.

الرِّداف: موضع ركوب الرّديف في الدّبّابة.

الرِّدف: الرّاكب خلف الرّاكب في الدّبّابة؛ جمعه: أرْداف، و رداف.

الرّديف: المُسرّح من الجيش العامل، ليكون مددًا في النّفير ـ التّعبئة العامّة ـ؛ جمعه: أرداف، و رُدَفاء، و رداف، و رُدافى. (١: ٢٨٩)

المُصْطَفَويّ: التّحقيق أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو وقوع شيء عقيب آخر؛ بحيث أن يكونا في سلك واحد، كما في الرِّدْفان. و بهذا يظهر الفرق بينها و بين موادّ التّبع و التّلو و الطّاعة و اللّحوق و الوفاق و التّأخّر و أمثالها.

فإنّ الإتباع هو القفو و الحركة خلف شيء مادّيّ أو معنويّ عملًا أو فكرًا، كما سبق في التّبع.

و التّلو: هو الوقوع بعد شيء، بأن يجعله أمامه و يكون هو خلفه، و هو ناظر إلى جهة الظّاهر فقط، كما سبق في التّلو.

و الطّاعة: هو إتباع المدعوّ الدّاعي في أمره و نهيه، و النّظر فيه إلى هذه الجهة فقط، و إن لم يقصد الإتباع، و هو في مقابل العصيان. و النّظر في الموافقة إلى جهة التّوافق بين الشّيئين فقط، و ليس ناظرًا إلى جهة الإتباع و التّقدّم و التّأخّر، و هو في مقابل المخالفة.

و اللّحوق: هو الوصول إلى شيء بعد أن كان منفصلًا عنه، و النّظر فيه إلى هذه الجهة فقط.

و النّظر في التّأخّر إلى ما يقابل التّقدّم.

فمادّة الرّدف: تدلّ على وقوع شيء عقيب آخر و في مسلكه، و يجمعهما نظام واحد، و ليس النّظر فيها إلى جهة الإتباع أو الطّاعة أو غيرها.

فظهر لطف التّعبير بالمادّة في هذه الموارد.

و لا يخفى التّناسب بين المادّة لفظًا و معنًى و بين مادّة الدّرء. (٤: ١٠٧)

النّصوص التّفسيريّة

رَدِفَ

قُلْ عَسٰى اَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذى تَسْتَعْجِلُونَ. النّمل: ٧٢

ابن عبّاس: قرب لكم. (٣٢١)

مثله السُّدّيّ. (٣٧١)

مُجاهِد: أعجل لكم. (الطّبريّ ١٠: ١١)

أزف. (الطّبريّ ١٠: ١١)

مثله قَتادَة. (الواحديّ ٣: ٣٨٤)

الضّحّاك: اقترب لكم. (الطّبريّ ١٠: ١١)

نحوه الرُّمّانيّ. (الماوَرْديّ ٤: ٢٢٥)

قَتادَة: أزِدَف لكم. (الطّبْرسيّ ٤: ٢٣٢)

الفَرّاء: جاء في التّفسير: دنا لكم بعض الّذي تستعجلون، فكأنّ اللّام دخلت إذ كان المعنى دنا. [ثمّ استشهد بشعر]

و أنت تقول: رميت بالشّيء و طرحته، و تكون اللّام داخلةً، و المعنى: ردفكم، كما قال بعض العرب: نقدت لها مائة، و هو يريد: نقدتها مائة. (٢: ٢٩٩)

أبو عُبَيْدَة: مجازه: جاء بعدكم. (٢: ٩٦)

الأخفش: قال ﴿رَدِفَ لَكُمْ﴾ و نظنّها «رَدِفَكُم»، و أُدخل اللّام فأضاف بها الفعل، كما قال: ﴿لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ يوسف: ٤٣، و ﴿لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ الأعراف: ١٥٤، و تقول العرب: رَدِفَهُ أمْرٌ، كما يقولون: تَبِعَه» و «أتْبَعَهُ». (٢: ٦٥١)

ابن قُتَيْبَة: أي تبعكم. و اللّام زائدة، كأنّه «رَدِفَكم». و قيل في التّفسير: دنا لكم. (٣٢٦)

نحوه المُبَرِّد. (الطّوسيّ ٨: ١١٤)

الطَّبَريّ: يقول جلّ جلاله: قل لهم يا محمّد: عسى أن يكون اقترب لكم و دنا. [إلى أن قال:]

و اختلف أهل العربيّة في وجه دخول اللّام في قوله: ﴿رَدِفَ لَكُمْ﴾ و كلام العرب المعروف: ردفه أمر و أردفه، كما يقال: تبعه و أتبعه. فقال بعض نحويّي البصرة: أدخل اللّام في ذلك فأضاف بها الفعل، كما يقال: ﴿لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ يوسف: ٤٣، و ﴿لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ الأعراف: ١٥٤.

و قال بعض نحويّي الكوفة: أدخل اللّام في ذلك للمعنى، لأنّ معناه: دنا لهم، كما قال الشّاعر:

* فَقُلْتُ لَها الحاجاتُ يَطْرَحْنَ بالفَتى *

فأدخل الباء في «يطرحن»، و إنّما يقال: طرحته، لأنّ معنى الطّرح: الرّمي، فأدخل الباء للمعنى، إذ كان معنى ذلك يرمين بالفتى.

و هذا القول الثّاني هو أولاهما عندي بالصّواب،

و قد مضى البيان عن نظائره في غير موضع من الكتاب، بما أغنى عن تكراره في هذا الموضع. (۱۰ : ۱۰)

الزّجّاج: قيل في التفسير: عَجل لكم، و معناه في اللّغة: ردِفكم، مثل ركِبَكم، و جاء بعدكم. (٤ : ١٢٨)

القُمّيّ: أي قد قرب من خلفكم. (٢ : ١٣٠)

السّجستانيّ: ردفكم، بمعنى تبعكم و جاء بعدكم. (١٤٢)

نحوه الكاشانيّ. (٤ : ٧٣)

النّحّاس: هو من ردفه إذا اتّبعه، و جاء في أثره، و تكون اللّام أدخلت، لأنّ المعنى: اقترب لكم و دنا لكم، أو تكون متعلّقة بمصدر. (٥ : ١٤٧)

الثّعلبيّ: أي دنا و قرب لكم. و قيل: تبعكم. (٧ : ٢٢١)

الماوَرْديّ: فيه ثلاثة أوجه: [إلى أن قال:]

الثّالث: تبعكم، قاله ابن شجرة: و منه رِدْف المرأة، لأنّه تبع لها من خلفها. [ثمّ استشهد بشعر] (٤ : ٢٢٥)

الطُّوسيّ: المعنى: أنّ الّذي وعدكم الله به لابدّ أن يردفكم، و الرّدف الكائن بعد الأوّل قريبًا منه.

و الفرق بينه و بين التّابع: أنّ في التّابع معنى الطّلب لموافقة الأوّل. و ترادف إذا تلاحق تلاحقًا ترادفًا، و أرْدَفَه إرْدافًا... و قيل: تبع لكم. [إلى أن قال:]

و «رَدِفَ» من الأفعال الّتي تتعدّى بحرف و بغير حرف، كما قال الشّاعر:

فقلت لها الحاجات تطرحن
بالفتى و هم يعناني معنًا ركائبه

و قيل: إنّ الباء إنّما دخلت للتّعدية. و قيل: إنّما دخلت لـمّا كان معنى «تطرحن» ترمين، و كذلك لـمّا كان معنى ﴿رَدِفَ لَكُمْ﴾ دنا، قال: ﴿لَكُمْ﴾. (٨ : ١١٤)

الواحديّ: يقال: ردفت الرّجل و أردفته، إذا ركبت خلفه. (٣ : ٣٨٤)

البغويّ: أي: دنا و قرب ﴿لَكُمْ﴾، و قيل: تَبِعَكم. و المعنى: ردفكم، أدخل فيه اللّام كما أُدخل في قوله: ﴿لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ الأعراف: ١٥٤. (٣ : ٥١٢)

الزّمَخْشَريّ: ردفكم بعضه، و هو عذاب يوم بدر، فزيدت اللّام للتّأكيد، كالباء في ﴿وَ لَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ﴾ البقرة: ١٩٥، أو ضمّن معنى فعل يتعدّى باللّام، نحو: دنا لكم، و أزف لكم، و معناه: و تبعكم و لحقكم، و قد عُدّي بـ(مِن) قال:

فلمّا ردفنا من عمير و صحبه
تولّوا سراعًا و المنيّة تعنق

يعني دنونا من عمير.

و قرأ الأعرج (رَدَفَ لَكُمْ) بوزن «ذَهَبَ»، و هما لغتان، و الكسر أفصح. (٣ : ١٥٨)

نحوه الفَخْر الرّازيّ (٢٤ : ٢١٤)، و البَيْضاويّ (٢ : ١٨٢)، و النّسفيّ (٣ : ٢٢١)، و النّيسابوريّ (٢٠ : ١٥) و الشِّربينيّ (٣ : ٧٢)، و أبو السُّعود (٥ : ١٠٠)، و البُرُوسَويّ (٦ : ٣٦٧)، و شُبَّر (٤ : ٤٣٩)، و الطَّباطَبائيّ (١٥ : ٣٨٨).

ابن عَطيّة: ﴿رَدِفَ﴾ معناه قرب و أزف، قاله ابن عبّاس و غيره، و لكنّها عبارة عمّا يجيء بعد

الشّيء قريبًا منه، و لكونه بمعنى هذه الأفعال الواقعة تعدّى بحرف، و إلّا فبابه أن يتجاوز بنفسه.

و قرأ الجمهور بكسر الدّال، و قرأ الأعرج (رَدَفَ) بفتح الدّال. (٤: ٢٦٩)

القُرطُبيّ: [نحو النّحّاس و أضاف:]

و قيل: معناه: معكم. (١٣: ٢٣٠)

أبوحَيّان: أي تبعكم عن قرب و صار كالرّديف التّابع لكم. [إلى أن قال:]

و قيل: الفعل محمول على المصدر، أي الرّادفة لكم، و بعض على تقدير: ردافه بعض ما تستعجلون. و هذا فيه تكلّف ينزّه القرآن عنه.

و قيل: اللّام في ﴿لَكُمْ﴾ داخلة على المفعول من أجله، و المفعول به محذوف، تقديره: ردف الخلق لأجلكم. و هذا ضعيف. و قيل: الفاعل بـ ﴿رَدِفَ﴾ ضمير يعود على الوعد. (٧: ٩٥)

الآلوسيّ: [نحو الزّمخشريّ ثمّ أدام نحو أبي حيّان] (٢٠: ١٦)

ابن عاشور: ﴿رَدِفَ﴾ تبع بقرب. و عُدّي باللّام هنا مع أنّه صالح للتّعدية بنفسه، لتضمينه معنى «اقترب»، أو اللّام للتّوكيد مثل: شكر له.

و المعنى: رجاء أن يكون ذلك قريب الزّمن. و هذا إشارة إلى ما سيحلّ بهم يوم بدر. (١٩: ٣٠٠)

مَغْنيّة: ربّما كان العذاب من وراءكم، و أنتم لاتشعرون، و في هذا المعنى الآية ٥١، من سورة الإسراء: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾. (٦: ٣٦)

عبد الكريم الخطيب: ﴿رَدِفَ لَكُمْ﴾ أي وقع لكم، و علق بكم بعض هذا العذاب الّذي تنكرونه و تستعجلونه، و لكنّكم لاتشعرون به، لأنّكم في غمرة من جهلكم و ضلالكم.

و أصل الرّدْف: ما يجيء في عقب غيره؛ و منه الرّديف، و هو من يركب خلف الرّاكب، و منه سمّي الرّدف، و هو مؤخّرة الإنسان؛ و جمعه: أرداف.

و في التّعبير بالفعل ﴿رَدِفَ﴾ دون غيره من الأفعال الّتي بمعناه، ما يشير إلى أمور؛ منها:

أوّلًا: أنّ هذا العذاب سيجيء من وراء ظنونهم، و يقع من حيث لايتوقّعون، كما يجيء الرّديف من الخلف، و كما يقع الرّدف من وراء.

و ثانيًا: أنّ الرّدْف، أو الرّديف، يلتصق بصاحبه، و أنّ هذا العذاب هو ملتصق بهم، و ممسك بكيانهم، لايُفلتون منه أبدًا.

و ثالثًا: أنّ الرّدْف، أو الرّديف، هو عبء ثقيل، قد يبهظ المتعلّق به، و هذا العذاب المعجّل لهم في الدّنيا، سيلاقون منه بلاء و شدّة. (١٠: ٢٧٩)

المُصْطَفَويّ: أي من العذاب و آثار الغضب و القهر و البلاء، فتظهر واقعة في رديفهم. و هذا كما أنّ الملائكة كانوا مردفين لهم، و كانوا آثار لطف و رحمة. (٤: ١٠٨)

مكارم الشّيرازيّ: ﴿رَدِفَ﴾ فعل مشتقّ من «الرِّدف» على وزن «الحرف» و معناه: كون الشّيء خلف الشّيء الآخر، و لذا يُطلق على من يركب الفرس خلف رقبته رديف، كما يُطلق الرّديف على ما

يردف بعضه بعضًا، فيكون خلفه. (١٢ : ١١٤)

الرّادفة

تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ. النّازعات : ٧

ابن عبّاس: وهي النّفخة الأخيرة. (٥٠٠)

نحوه الفرّاء. (٣ : ٢٣١)

عطاء: ﴿الرَّادِفَةُ﴾: البعث. (الثّعلبيّ ١٠ : ١٢٤)

ابن زَيْد: ﴿الرَّادِفَةُ﴾: السّاعة.

(الثّعلبيّ ١٠ : ١٢٤)

أبو عُبَيْدَة: كلّ شيء بعد شيء يردفه فهو الرّادفة: الصّيحة الثّانية. (٢ : ٢٨٤)

ابن قُتَيْبَة: أي تردفها أخرى، يقال: رَدِفتُه وأرْدَفتُه، إذا جئت بعده. (٥١٢)

الزّجّاج: قيل: النّفخة الثّانية الّتي تُبعَث معها الخلق، وهو كقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرٰى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ الزّمر : ٦٨.

(٥ : ٢٧٨)

الثّعلبيّ: حين تنشقّ السّماء وتحمل الأرض والجبال، فدُكّتا دَكّةً واحدة...

وكلّ شيء ولي شيئًا وتبعه فقد ردفه. (١٠ : ١٢٤)

المُصْطَفَويّ: أي تتبع النّفوس المضطربة المتزلزلة الّذين كانوا في سلكهم وفي رديفهم.

والتّعبير بـ ﴿الرَّادِفَةُ﴾ دون المتّبعة أو المطيعة أو غيرهما، فإنّ من يتبّع الرّجف أو يُطيعه فهو راجف أيضًا، ولايحتاج إلى تكرار ذكره. وهذا بخلاف من كان في مسلكه ورديفه، وإن لم يكن مطيعًا ومتّبعًا، فهو مستقلّ في عمله. (٤ : ١٠٨)

راجع: ر ج ف: «الرّاجفة».

مُرْدِفِينَ

إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلٰئِكَةِ مُرْدِفِينَ. الأنفال : ٩

ابن عبّاس: متتابعين بالنّصرة لكم. (١٤٥)

نحوه قَتادَة والسُّدّيّ. (الماوَرْديّ ٢ : ٢٩٨)

مع كلّ ملك ملك، فتكون الألف ألفين.

(الماوَرْديّ ٢ : ٢٩٨)

مُجاهِد: بعضهم على إثر بعض.

(الطّبريّ ٦ : ١٩٠)

مثله الضّحّاك (الطّبريّ ٦ : ١٩٠)، وأبوظبيان (الطّبريّ ٦ : ١٨٩)، ونحوه السُّدّيّ (٢٧٨)، وابن زَيْد (الطّبريّ ٦ : ١٩٠).

أي ممدّين، والإرداف: إمداد المسلمين بهم.

(الماوَرْديّ ٢ : ٢٩٨)

الفَرّاء: ويقرأ (مُرْدَفِينَ)، فأمّا ﴿مُرْدِفِينَ﴾ فمتتابعين، و(مُرْدَفِينَ) فُعِل بهم. (١ : ٤٠٤)

أبو عُبَيْدَة: مجازه: مجاز فاعلين، من أرْدَفوا، أي جاؤوا بعد قوم قبلهم، وبعضهم يقول: ردفني، أي جاء بعدي، وهما لغتان، ومن قرأها بفتح الدّال وضعها في موضع مفعولين، من: أرْدَفهم الله من بعد من قبلهم وقُدّامهم. (١ : ٢٤١)

الأخفش: تقول العرب: بنو فلان يُرْدِفوننا، أي

يجيؤون بعدنا. (الفارسيّ ٢: ٢٩٠)

أبو حاتِم: معناه: بألف من الملائكة جاؤوا على أثر المسلمين. (الطَّبْرِسيّ ٢: ٥٢٥)

ابن قُتَيْبَة: رادفين. يقال: ردفته و أرْدفته، إذا جئتَ بعده. (١٧٧)

نحوه السّجستانيّ. (٧٤)

الجُبّائيّ: أي متبعين ألفًا آخر من الملائكة، لأنّ مع كلّ واحد منهم ردفًا له. (الطَّبْرِسيّ ٢: ٢٥)

الطَّبَريّ: اختلفت القَرأة في قراءة ذلك: فقرأته عامّة قرأة أهل المدينة (مُرْدَفِينَ)، بنصب الدّال.

و قرأه بعض المكّيّين و عامّة قرأة الكوفيّين و البصريّين: ﴿مُرْدِفِينَ﴾.

و كان أبو عمرو يقرؤه كذلك، و يقول فيما ذُكر عنه: هو من «أردف بعضهم بعضًا».

و أنكر هذا القول من قول أبي عمرو بعض أهل العلم بكلام العرب، و قال: إنّما «الإرداف»، أن يحمل الرّجل صاحبه خلفه. قال: و لم يُسمَع هذا في نعت الملائكة يوم بدر.

و اختلف أهل العلم بكلام العرب في معنى ذلك إذا قُرئ بفتح الدّال أو بكسرها. فقال بعض البصريّين و الكوفيّين: معنى ذلك إذا قرئ بالكسر: أنّ الملائكة جاءت يتبع بعضهم بعضًا، على لغة من قال: «أردفته». و قالوا: العرب تقول: «أردفته». و «رَدِفته» بمعنى «تبعته» و «أتبعته». [ثمّ استشهد بشعر]

و قالوا: معناه: إذا قُرئ (مُرْدَفين): أنّه مفعول بهم، كأنّ معناه: بألف من الملائكة يُردِف الله بعضهم بعضًا.

و قال آخرون: معنى ذلك، إذا كسرت الدّال: أردفت الملائكة بعضها بعضًا. و إذا قرئ بفتحها: أردف الله المسلمين بهم.

و الصّواب من القراءة في ذلك عندي، قراءة من قرأ ﴿بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلٰئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾، بكسر الدّال، لإجماع أهل التّأويل على ما ذكرت من تأويلهم، أنّ معناه: يتبع بعضهم بعضًا، و متتابعين. ففي إجماعهم على ذلك من التّأويل، الدّليل الواضح على أنّ الصّحيح من القراءة ما اخترنا في ذلك من كسر الدّال بمعنى: أردف بعض الملائكة بعضًا، و مسموع من العرب: جئت مُرْدِفًا لفلان، أي جئت بعده.

و أمّا قول من قال: معنى ذلك إذا قُرئ (مُرْدَفين) بفتح الدّال: أنّ الله أردف المسلمين بهم، فقول لا معنى له؛ إذ الذّكر الّذي في (مردفين) من الملائكة دون المؤمنين. و إنّما معنى الكلام: أن يمدّكم بألف من الملائكة يُرْدَف بعضهم ببعض. ثمّ حُذف ذكر الفاعل، و أُخرج الخبر غير مسمّى فاعله فقيل: (مردَفين)، بمعنى: مُردَفٌ بعض الملائكة ببعض.

و لو كان الأمر على ما قاله مَن ذكرنا قوله، وجب أن يكون في «المردفين» ذكر المسلمين، لا ذكر الملائكة. و ذلك خلاف ما دلّ عليه ظاهر القرآن.

و قد ذُكر في ذلك قراءة أُخرى، و هي ما قال عبد الله بن يزيد: (مُرَدِّفِينَ)، و (مُرِدِّفِينَ) و (مُرُدِّفِينَ)، مثقّل على معنى: مُرْتَدِفين. (٦: ١٩٠)

الزّجّاج: معنى ﴿مُرْدِفِينَ﴾ يأتون فرقة بعد فرقة،

و يُقرأ (مُرْدَفِينَ). و يجوز في اللّغة: «مُرَدِّفين، و يجوز مُرِدِّفين، و مُرُدِّفينَ». يجوز في الرّاء مع تشديد الدّال كسرها و فتحها و ضمّها، و الدّال مشدّدة مكسورة، على كلّ حال.

قال سيبَوَيه: الأصل: مُرتَدِفين، فأُدغمت التّاء في الدّال فصارت مُرَدِّفين، لأنّك طرحت حركة التّاء على الرّاء. قال: و إن شئت لم تطرح حركة التّاء و كسرت الرّاء لالتقاء السّاكنين، و الّذين ضمّوا الرّاء جعلوها تابعة لضمّة الميم. (٢: ٤٠٢)

الفارسيّ: اختلفوا في فتح الدّال و كسرها، من قوله جلّ و عزّ: ﴿مُرْدِفِينَ﴾.

فقرأ نافع وحده (مُرْدَفِينَ) بفتح الدّال، و قرأ ابن كثير و أبوعمرو، و عاصم و ابن عامر و حمزة و الكِسائيّ ﴿مُرْدِفِينَ﴾ بكسر الدّال. و روى المعلّى بن منصور عن أبي بكر عن عاصم (مُردَفِينَ) بفتح الدّال.

من قال: ﴿مُرْدِفِينَ﴾ احتمل وجهين:

أحدهما أن يكونوا مُردِفين مثلَهم. كما تقول: أرْدَفتُ زيدًا دابّتي، فيكون المفعول الثّاني محذوفًا في الآية، و حذف المفعول كثير.

و الوجه الآخر في ﴿مُرْدِفِينَ﴾ أن يكونوا جاؤوا بعدهم.

قال أبوعُبَيْدَة: ﴿مُرْدِفِينَ﴾ جاؤوا بعد، و رَدِفني و أرْدَفني واحد. و هذا الوجه كأنّه أبين لقوله: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلٰئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾، أي جائين بعد لاستغاثتكم ربّكم، و إمداده إيّاكم بهم فـ﴿مُرْدِفِينَ﴾ على هذا صفة للألف الّذين هم الملائكة.

و (مُردَفين) على أرْدِفوا النّاس، أي أنزلوا بعدهم، فيجوز على هذا أن يكون حالًا من الضّمير المنصوب في (مُمِدُّكُمْ مُرْدَفِينَ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلٰئِكَةِ). (٢: ٢٩٠)

نحوه الطُّوسيّ. (٥: ٩٧)

الثّعلبيّ: قرأ أهل المدينة (مُرْدَفِينَ) بفتح الدّال، و الباقون بكسره، لغتان: متتابعين بعضهم في إثر بعض، يقال: أرْدَفَه و رَدَفته، بمعنى تبعته. [ثمّ استشهد بشعر]

و من فتح فعلى المفعول، أي أردف الله المسلمين و جاءهم به، فأمدّهم الله بالملائكة. (٤: ٣٣١)

نحوه الواحديّ (٢: ٤٤٦)، و البغويّ (٢: ٢٧٣).

الرّاغب: قال تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلٰئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ الأنفال: ٩، قال أبوعُبَيْدَة: ﴿مُرْدِفِينَ﴾: جائين بعد، فجعل ردف و أردف بمعنى واحد. [ثمّ استشهد بشعر]

و قال غيره: معناه مردفين ملائكة أُخرى، فعلى هذا يكونون ممدّين بألفين من الملائكة. و قيل: عنى بالمردفين: المتقدّمين للعسكر، يُلقون في قلوب العِدى الرُّعب. و قرئ ﴿مُرْدِفِينَ﴾ أي أردف كلّ إنسان مَلَكًا، و (مُرَدِّفينَ) يعني مُرتدِفين، فأُدغم التّاء في الدّال، و طُرح حركة التّاء على الدّال. و قد قال: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلٰثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلٰئِكَةِ مُنْزَلِينَ...﴾ آل عمران: ١٢٤، الآيات. (١٩٣)

الزّمَخْشَريّ: قرئ ﴿مُـرْدِفِينَ﴾ بكسـر الـدّال و فتحها من قولك: ردفه، إذا تبعه؛ و منه قولـه تعـالى: ﴿رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّـذِى تَسْتَعْجِلُونَ﴾ النّمـل: ٧٢، بمعنى ردفكم. و أرْدفتُه إيّاه، إذا أتبعته. و يقال: أرْدفتُه، كقولك: أتبعته، إذا جئت بعده، فلايخلو المكسور الدّال من أن يكون بمعنى مُـتّبعين أو مُتبعين.

فإن كان بمعنى متّبعين فلايخلو من أن يكون بمعـنى متّبعين بعضهم بعضًا، أو متّبعين بعضهم لبعض، أو بمعنى متّـبعين إيّـاهم المـؤمنين، أي يتقـدّمونهم فيتبعـونهم أنفسهم، أو متّـبعين لهـم يُشيّعونهم و يُقـدّمونهم بـين أيديهم، و هم علـى سـاقتهم، ليكونـوا علـى أعينـهم و حفظهم. أو بمعنى مُتبعين أنفسهم ملائكة آخـرين، أو متبعين غيرهم من الملائكة؛ و يعضد هذا الوجه قولـه تعالى في سورة آل عمران: ﴿بِثَلٰثَةِ الَافٍ مِنَ الْمَلٰئِكَةِ مُنْـزَلِينَ﴾ آل عمـران: ١٢٤، ﴿بِخَمْسَـةِ الَافٍ مِـنَ الْمَلٰئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ آل عمران: ١٢٥.

و من قرأ (مُرْدَفِينَ) بالفتح، فهو بمعـنى متّـبعين أو متـبعين. و قـرئ (مُـرِدِّفِين) بكسـر الـرّاء و ضـمّها و تشديد الدّال:، و أصله: مرتدفين، أي متـرادفين، أو متبعين من ارتدفه، فأُدغمت تاء الافتعـال في الـدّال، فالتقى ساكنان، فحُرّكت الرّاء بالكسر على الأصـل أو على إتباع الدّال. و بالضّمّ على إتباع الميم. [إلى أن قال:]

فإن قلت: فبم يعتذر لمن قـرأ علـى التّوحيـد و لم يفسّر المـردفين بـإرداف الملائكـة ملائكـة آخـرين و المردفين بارتدافهم غيرهم؟

قلت: بأنّ المراد بالألف من قاتل منهم أو الوجـوه منهـم الّذين من سـواهـم أتباع لهم. (٢: ١٤٦)

نحوه البَيْضاويّ (١: ٣٨٦)، و أبوالسُّعود (٣: ٨١)

ابن عَطيّة: ﴿مُرْدِفِينَ﴾ معناه مُتبعين، و يحتمـل أن يـراد المـردفين: المـؤمنين، أي أردفـوا بالملائكـة، فـ﴿مُرْدِفِينَ﴾ على هذا حال مـن الضّـمير في قولـه: ﴿مُمِدُّكُمْ﴾. و يحتمل أن يراد بـه الملائكـة، أي أردف بعضهم ببعض، و هذه القراءة بفتح الدّال و هـي قـراءة نافع و جماعة من أهل المدينة و غيرهم.

و قرأ سائر السّبعة غير نافع ﴿مُـرْدِفِينَ﴾ بكسـر الدّال، و هي قراءة الحسَن و مُجاهِـد، و المعـنى فيهـا: تابع بعضهم بعضًا.

و روي عن ابن عبّاس خلف كلّ ملَك و هذا معنى التّتـابع. يقـال: ردف و أرْدَف، إذا أتبـع و جـاء بعـد الشّيء، و يحتمل أن يراد مردفين المؤمنين.

و يحتمل أن يراد مردفين بعضهم بعضًا.

و من قال: ﴿مُرْدِفِينَ﴾ بمعنى أنّ كـلّ ملـك أردف ملكًا وراءه فقول ضعيف، لم يأت بمقتضاه رواية.

و قرأ رجـل مـن أهـل مكّـة رواه عنـه الخَليـل: (مُرَدِّفين) بفتح الرّاء و كسر الدّال و شدّها.

و روي عن الخَليل أنّها بضمّ الـرّاء كـالّتي قبلـها و في غير ذلك، و قرأ بعض النّاس بكسر الرّاء مثلـهما في غير ذلك، حكى ذلك أبوعمرو عن سيبَوَيه و حكاه أبوحاتِم، قال: كـأنّـه أراد مرتـدِفين فـأدغم و أتبـع الحركة. و يحسن مع هذه القراءة كسر الميم، و لاأحفظه

قراءة. [ثمّ استشهد بشعر] (٢ : ٥٠٤)

القُرطُبيّ: (مُرْدَفِينَ) بفتح الدّال قراءة نافع. والباقون بالكسر اسم فاعل، أي متتابعين، تأتي فرقة بعد فرقة؛ و ذلك أهيب في العيون. و (مُرْدَفين) بفتح الدّال على ما لم يسمّ فاعله، لأنّ النّاس الّذين قاتلوا يوم بدر أردفوا بألف من الملائكة، أي أنزلوا إليهم لمعونتهم على الكفّار. فـ(مُردَفين) بفتح الدّال نعت لـ﴿أَلْفٍ﴾. [إلى أن قال:]

و حكى أبوعُبَيْدَة: أنّ ردفني و أرْدَفني واحد، و أنكر أبوعُبَيْد أن يكون أرْدَفَ بمعنى ردف، قال: لقول الله عزّ و جلّ: ﴿تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ النّازعات: ٧، و لم يقل: المردفة.

قال النّحّاس و مكّيّ و غيرهما: قراءة كسر الدّال أولى، لأنّ أهل التّأويل على هذه القراءة يفسّرون، أي أردف بعضهم بعضًا، و لأنّ فيها معنى الفتح على ما حكى أبوعُبَيْدَة، و لأنّ عليه أكثر القُرّاء. (٧: ٣٧٠)

الآلوسيّ: قال بعضهم: ردفت و أرْدَفت، إذا فعلتَ ذلك، فإذا فعلته بغيرك فأردفت لا غير. و جاء أرْدَفَ بمعنى اتّبع مشدّدًا، و هو يتعدّى لواحد، و بمعنى أتبع مخفّفًا و هو يتعدّى لاثنين، على ما هو المشهور، و بكلّ فُسّر هنا.

و قدّروا المفعول و المفعولين حسبما يصحّ به المعنى و يقتضيه، و جعلوا الاحتمالات خمسة:

احتمالان على المعنى الأوّل:

أحدهما: أن يكون الموصوف جملة الملائكة، و المفعول المقدّر المؤمنين، و المعنى: مُتبعين المؤمنين، أي جائين خلفهم.

و ثانيهما: أن يكون الموصوف بعض الملائكة، و المفعول بعض آخر، و المعنى: مُتبعًا بعضهم بعضًا آخر منهم، كرسلهم عليهم السلام.

و ثلاثة احتمالات على المعنى الثّاني:

الأوّل: أن يكون الموصوف كلّ الملائكة و المفعولان بعضهم بعضًا، على معنى أنّهم جعلوا بعضهم يتبع بعضًا.

الثّاني: كذلك، إلّا أنّ المفعول الأوّل بعضهم، و الثّاني المؤمنين، على معنى أنّهم أتبعوا بعضهم المؤمنين فجعلوا بعضًا منهم خلفهم.

و الثّالث :كذلك أيضًا، إلّا أنّ المفعولين أنفسهم و المؤمنين، على معنى أنّهم أتبعوا أنفسهم و جملتهم المؤمنين، فجعلوا أنفسهم خلفهم.

و قرأ نافع و يعقوب (مُرْدَفِينَ) بفتح الدّال، و فيه احتمالان: أن يكون بمعنى متّبعين بالتّشديد، أي أتبعهم غيرهم، و أن يكون بمعنى مُتبعين بالتّخفيف، أي جعلوا أنفسهم تابعة لغيرهم، و أريد بـ« الغير » في الاحتمالين: المؤمنون. فتكون الملائكة على الأوّل مقدّمة الجيش، و على الثّاني ساقتهم. و قد يقال: المراد بـ«الغير»: آخرون من الملائكة، و في الآثار ما يؤيّده.

[ثمّ أدام نحو الزّمَخْشَريّ] (٩: ١٧٣)

الطَّباطَبائيّ: ﴿مُرْدِفِينَ﴾ من الإرداف، و هو أن يجعل الرّاكب غيره ردفًا له، و الرِّدف: التّابع.

و بهذا المعنى تلائم الآية ما في قوله تعالى، فيما يشير به إلى هذه القصّة، في سورة آل عمران:

﴿...إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ * بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ...﴾ آل عمران: ١٢٤، ١٢٥.

فإنّ تطبيق الآيات من السّورتين يوضّح أنّ المراد بنزول ألف من الملائكة مُردفين: نزول ألف منهم يستتبعون آخرين، فينطبق الألف المردفون على الثّلاثة آلاف المنزلين.

و بذلك يظهر فساد ما قيل: إنّ المراد بكون الملائكة مردفين، كون الألف متبعين ألفًا آخر، لأنّ مع كلّ واحد منهم ردفًا له، فيكونون ألفين. و كذا ما قيل: إنّ المراد كون بعضهم إثر بعض، و كذا ما قيل: إنّ المراد مجيئهم على إثر المسلمين، بأن يكون مردفين، بمعنى رادفين، و كذا ما قيل: إنّ المراد إردافهم المسلمين بأن يتقدّموا عسكر المسلمين، فيلقوا في قلوب الّذين كفروا الرّعب. (٩: ٢٠)

المصطفويّ: أي جعلنا الملائكة في رديفهم، فهما في صفوف واحدة و في ترادف. و هذا التّعبير غاية مرتبة الإمداد و الإعانة و التّقوية. (٤: ١٠٨)

مكارم الشّيرازيّ: كلمة ﴿مُرْدِفِينَ﴾ من الإرداف، بمعنى اتّخاذ محلّ خلف الشّيء، فيكون مفهومها أنّ الملائكة كانت تتابع بعضها بعضًا في النّزول لنصرة المسلمين.

و احتمل معنى آخر في الآية، و هو أنّ مجموعة الألف من الملائكة كانت تتبعها مجموعات أُخرى، ليتطابق هذا المعنى، و الآية ١٢٤، من سورة آل عمران، و الّتي تقول عن لسان النّبيّ ﷺ: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ﴾.

إلّا أنّ الظّاهر أنّ عدد الملائكة في بدر هو الألف، و كلمة ﴿مُرْدِفِينَ﴾ صفة هذا الألف. و آية سورة آل عمران كانت وعدًا للمسلمين من أنّه إذا ما اقتضى الأمر، فإنّ ملائكة أكثر، سوف تنزل لنصرتكم. (٥: ٣٤٥)

فضل الله: [نقل كلام الطّباطبائيّ في «الميزان» و قال:] و لعلّ هذا أقرب من الوجوه الأُخرى الّتي ذكرها المفسّرون. (١٠: ٣٤١)

الأُصول اللّغويّة

١ ـ الأصل في هذه المادّة: الرّدْف، و هو الكَفَل و العَجُز، و الجمع أرداف، ثمّ أُطلق على مؤخّر كلّ شيء و ما يتبعه.

و الرِّدْف: المُرتَدِف، أي الّذي يركب خلف الرّاكب، و هو الرّديف أيضًا. يقال: رَدِفَ الرّجل و أرْدَفه، أي ركب خلفه، و ارتَدَفه خلفه على الدّابّة. و منه قول الإمام عليّ عليه السلام في صفة النّبيّ ﷺ: «يركب الحمار العاري و يُرْدِف خلفه».[1]

و رَدِفتُ فلانًا: صرتُ له ردفًا.

و استَرْدَفه: سأله أن يُرْدِفه.

---

(١) نهج البلاغة ـ الخطبة: (١٦٠).

و دابّة لاتُرْدِف و لاتُرادِف: لا تقبل رديفًا. يقال: هذا البرذون لايُرْدِف و لايُرادِف، أي لايدع رديفًا يركبه.

و الرِّداف: موضع مركب الرّديف.

و مُرادفة الجراد: ركوب الذّكر و الأنثى و الثّالث عليهما.

و الرِّدْف: الحقيبة و نحوها ممّا يكون وراء الإنسان كالرِّدْف.

و الرِّدْف في الشّعر: الألف و الياء و الواو الّتي قبل الرّويّ، سمّي بذلك، لأنّه ملحق في التزامه و تحمّل مراعاته بالرّويّ، فجرى مجرى الرِّدْف للرّاكب، أي يليه، لأنّه ملحق به.

و الرِّدْف و الرّديف: كوكب يقرب من النّسر الواقع.

و الرّديف: النّجم الّذي ينوء من المشرق إذا غاب رقيبه في المغرب.

و أرداف النّجوم: تواليها و توابعها. يقال: أرْدَفَتِ النّجوم، أي توالت.

و الرِّدْفان: اللّيل و النّهار، لأنّ كلّ واحد منهما رِدْف صاحبه.

و الرِّدْف: ما تبع الشّيء. يقال: هذا أمر ليس له رِدْف، أي ليس له تَبِعَة؛ و الجمع: رُدافى. يقال: جاء القوم رُدافى، أي بعضهم يتبع بعضًا.

و الرُّدافى: الحُداة و الأعوان، لأنّه إذا أعيا أحدهم خلفه الآخر.

و التّرادف: التّتابع. يقال: ترادف الشّيء، أي تبع بعضه بعضًا.

و الارتداف: الاستدبار. يقال: أتينا فلانًا فارتدفناه، أي أخذناه من ورائه أخذًا.

و الرِّدافة: الاسم من أرداف الملوك في الجاهليّة، و هو أن يجلس الملك و يجلس الرِّدْف عن يمينه، فإذا شرب الملك شرب الرِّدْف قبل النّاس، و إذا غزا الملك قعد الرِّدْف في موضعه، و كان خليفته على النّاس حتّى ينصرف، و إذا عادت كتيبة الملك أخذ الرِّدْف المِرْباع.

و الرّوادف: أتباع القوم المؤخّرون. يقال لهم: روادف، و ليسوا بأرْداف.

و الرّوادف: رواكيب النّخلة، و هو ما نبت في أصل النّخلة و ليس في الأرض عرق.

و الرِّداف: الّذي يجيء بقدحه بعد ما اقتسموا الجزور، فلايردّونه خائبًا، و لكن يجعلون له حظًّا فيما صار لهم من أنصبائهم.

و رَدِفهم الأمر و أرْدَفهم: دهمهم. يقال: كان نزل بهم أمر فرَدِف لهم آخر أعظم منه.

٢ ـ و التّرادف في الاصطلاح: «هو الألفاظ المفردة الدّالّة على شيء واحد باعتبار واحد... كالحنطة و البُرّ و القَمْح»[١] و هو مولّد، و لعلّ أوّل من سمّاه بهذه التّسمية هو ابن فارس المتوفّى عام (٣٩٥ هـ) في فقه اللّغة. قال في باب القول على أنّ لغة العرب أفضل اللّغات و أوسعها: «ممّا لايمكن نقله ألبتّة أوصاف السّيف و الأسد و الرُّمح و غير ذلك من الأسماء

---

(١) المزهر (١: ٤٠٢).

المترادفة».[١]

و يستعمل كثير من المعاصرين لفظ «المُرادف» في معنى المترادف، فيقولون مثلًا: أفَلَ و غابَ مرادفان، و الصّواب: مترادفان، لأنّ الترادف يعني التّتابع، فالألفاظ تتتابع في المعنى، بينما المرادفة ركوب الرّاكب و ردفه الدّابّة، أو قبول الدّابّة ركوب الرّديف، كما تقدّم.

الاستعمال القرآنيّ

فيها ثلاث آيات: واحدة منها في السّيرة و الجهاد، و اثنتان في البعث و المعاد، في ثلاث صيغ: المجرّد منها اثنتان: الماضي و اسم الفاعل (رَدِفَ) و (الرَّادِفَة) في (٢ و ٣)، و المزيد منها واحدة في (١): (مُرْدِفِينَ).

١ـ ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ اَنّـِي مُمِدُّكُمْ بِاَلْفٍ مِنَ الْمَلٰئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ الأنفال: ٩

٢ـ ﴿قُلْ عَسٰى اَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ﴾ النّمل: ٧٢

٣ـ ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ * تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ النّازعات: ٦، ٧

و فيها بُحُوثٌ:

و يلاحظ أوّلًا: أنّ الآية الأُولى هي الآية: ٩، من سورة الأنفال النّازلة بعد غزوة بدر، بيانًا لما وقع للمؤمنين من الفتح الظّاهر و النّصر البيّن على المشركين.

١ـ و هذه الآية تتمّة لما قبلها من وعد الله إيّاهم بلقاء إحدى الطّائفتين، و هي الطّائفة المحاربة بقوله في الآية: ٧، ﴿وَ اِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ اِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ اَنَّهَا لَكُمْ ...﴾، و من وعد النّصر لهم على تلك الطّائفة بقوله في الآيتين: ٧ و ٨، ﴿وَ يُرِيدُ اللهُ اَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَ يَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ * لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَ يُبْطِلَ الْبَاطِلَ...﴾، فقال: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ اَنّـِي مُمِدُّكُمْ بِاَلْفٍ مِنَ الْمَلٰئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾.

٢ـ و جاء فيها ﴿مُرْدِفِينَ﴾ من «أردف». قال ابن عبّاس و غيره: متتابعين بالنّصرة لكم، مع كلّ ملك ملك، فتكون الألف ألفين.

و عن مُجاهِد و غيره: بعضهم على إثر بعض.

و أيضًا عن مُجاهِد: ممدّين، و الإرداف: إمداد المسلمين بهم.

و عن أبي عُبَيْدَة: مجازه مجاز فاعلين، من «أردفوا» أي جاؤوا بعد قوم قبلهم. و بعضهم يقول: ردفني، أي جاء بعدي...

و قال الأخفش: تقول العرب: بنو فلان يُردفوننا، أي يجيؤون بعدنا، و نحوها عن آخرين.

و قال الطّبَريّ في كلام له: و أنكر هذا القول من قول أبي عمرو بعض أهل العلم بكلام العرب، و قال: إنّما الإرداف، أن يحمل الرّجل صاحبه خلفه. قال: و لم يسمع هذا في نعت الملائكة يوم بدر. ثمّ نقل اختلاف القراءة في «المردفين» بالفتح و الكسر فلاحظ.

---

(٢) الصّاحبيّ (٤٣).

ثمّ قال: و الصّواب من القراءة في ذلك عندي قراءة من قرأ: ﴿بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلٰئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾، بكسر الدّال، لإجماع أهل التّأويل على ما ذكرت من تأويلهم، أنّ معناه: يتبع بعضهم بعضًا، و متتابعين. إلى أن قال:

و أمّا قول من قال:معنى ذلك إذا قُرئ:(مُرْدَفِينَ) بفتح الدّال: أنّ الله أردف المسلمين بهم فقول لا معنى له...

٤ ـ و قال: و قد ذُكر في ذلك قراءة أخرى، وهي ما قال عبد الله بن يزيد: (مُرَدِّفِينَ)،و (مُرِدِّفِينَ)، و (مُرُدِّفِينَ)، مثقّل على معنى: مُرْتدفين.

و قد أطالوا الكلام في القراءة و في معناها فلاحظ.

و الثّانية: الآية: ٧٢، من سورة النّمل: ﴿قُلْ عَسٰى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ...﴾:

١ ـ و هذه جواب لما قبلها من قول المشركين: ﴿وَ يَقُولُونَ مَتٰى هٰذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، فقال الله تعالى للنّبيّ ﷺ: ﴿قُلْ عَسٰى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾.

٢ ـ و قال الطّبْرسيّ (٤: ٢٣١) في «اللّغة»: «قال ابن الأعرابيّ: ردفت و أردفت، و لحقت و ألحقت بمعنى. و ترادفوا: تلاحقوا. قال المُبرّد: اللّام في ﴿رَدِفَ لَكُمْ﴾ زائدة. و قيل: إنّه إنّما أُتي باللّام، لأنّ معنى: ﴿رَدِفَ﴾: دنا، فكأنّه قال: دنا لكم. [ثمّ استشهد بشعر]

٣ ـ و قال في «المعنى»: « ﴿قُلْ﴾ يا محمّد ﴿عَسٰى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ﴾ أي قرب لكم، عن ابن عبّاس.

و قيل: اقترب لكم، عن السُّدّيّ.

و قيل: أردف لكم، عن قتادة.

﴿بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾ من العذاب. و عسى من الله واجب، فمعناه: أنّه قرب منكم، و سيأتيكم. و هذا البعض الّذي دنا لهم القتل و الأسر يوم بدر، و سائر العذاب لهم فيما بعد الموت.

و قيل: هو الإنذار عند الموت و شدّته، و عذاب القبر، عن الجُبّائيّ».

و الثّالثة: الآية: ٧، من سورة النّازعات: ﴿تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾:

١ ـ هذه و الّتي قبلها: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ جواب للأقسام الخمسة في صدر السّورة. و للمفسّرين أقوال في معنى تلك الأقسام، فلاحظها و لاسيّما قول الطّبْرسيّ (٥: ٤٢٩).

٢ ـ أقسم الله بها على أنّ يومًا تتحرّك الأشياء، و تتبعها أشياء أُخرى، قلوب مضطربة و أبصارها خاشعة.

٣ ـ و قال الطّبْرسيّ: « ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ يعني النّفخة الأُولى الّتي يموت فيها جميع الخلائق. و الرّاجفة: صيحة عظيمة فيها تردّد و اضطراب، كالرّعد إذا تمخّض ﴿تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ يعني النّفخة الثّانية تعقب النّفخة الأُولى، و هي الّتي يُبعث معها الخلق، و هو كقوله: ﴿وَ نُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرٰى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ الزّمر: ٦٨.

و يلاحظ ثانيًا: الأُولى منها مدنيّة نزلت في غزوة بدر، و الأُخريان مكّيّتان موضوعهما المعاد و وعد العذاب.

وثالثًا: من نظائر هذه المادّة في القرآن:

التبع: ﴿تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ النازعات: ٧

التلي: ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَيهَا﴾ الشمس: ٢

القفو: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُلًا﴾

الإسراء: ٣٦

القصّ: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ القصص: ١١

الخلاف: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾

الإسراء: ٧٦

المواترة: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلَّمَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ المؤمنون: ٤٤

ر د م

رَدْمًا

لفظ واحد، مرّة واحدة، في سورة مكّيّة

النُّصوص اللُّغويّة

الخَليل: رَدَمتُ الثُّلمةَ، و البابَ أرْدِمُ رَدْمًا، أي سَدَدْتُه؛ و الاسم: الرَّدْم، و جمعه: رُدُوم.

و ثوب مُرَدَّمٌ و مُلَدَّم، إذا رُقِّع. [ثمّ استشهد بشعر]

و الرَّدْمُ: سَدّ ما بيننا و بين يأجُوج و مأجُوج. (٨: ٣٦)

أبوعمرو الشّيبانيّ: الوَغل المُرْدَم: الشّديد.

تَرَدَّموا المكان، إذا أتوه، و قد أكل فيه.

و الرُّدْمَة: الخَلَق يأتزر به قَدْر ما يواري عورته، و هي القذعة. (١: ٣١٢)

المِرْدام: القليل الخير، و يقال: مؤخَّر. [ثمّ استشهد بشعر] (١: ٣١٤)

التَّرَدُّم: أن تُعقِّب الخصم بالكلام بعد ما يُرى أنّه قد فرَغ. [ثمّ استشهد بشعر] (٢: ٤)

التَّرَدُّم: تعقُّبك الخصم. تقول: أما و الله لأتَرَدَّمَنَّه ببعض ما لا يريد، و هذا بعد الخُصُومة. (٢: ٦)

الرَّدْم: ضَرِطٌ. تقول: رَدَم بها. (٢: ٩)

الرَّدْم من الرِّجال: الفَسْل، و هو الرُّدام أيضًا. [ثمّ استشهد بشعر] (٢: ١٧)

الفَرّاء: أرْدَمَتْ عليه الحُمّى، إذا لم تفارقه.

مثله الأصمَعيّ. (الأزهَريّ ١٤: ١١٨)

أبو زَيْد: يقال: رَدَم البعير يَرْدِم رَدْمًا، إذا ضَرَط. (١٣٤)

ابن الأعرابيّ: الأرْدَم: المَلّاح؛ و الجميع: الأرْدَمُون. [ثمّ استشهد بشعر] (الأزهَريّ ١٤: ١١٨)

أبو الهَيْثَم: الرُّدام: ضُراط الحمار، و قد رَدَم يَرْدُم، إذا ضَرِطَ. (الأزهَريّ ١٤: ١١٨)

ابن أبي اليمان: الرَّدْم: السَّدّ. يقال: رَدَمْتُ الباب، أي سَدَدتُه. (٦٣٣)

الزّجّاج: رَدَمْتُ المكان بالحجارة، إذا سَدَدتَه، و أرْدَمَت الحُمّى عليه، إذا دامت.

(فعلت و أفعلت : ١٩)

ابن دُرَيْد: الرَّدْم: مصدر رَدَمتُ الشّيء أرْدُمُه رَدْمًا، إذا سَدَدته، نحو الباب و ما أشبهه.

و الرّديمة: ثوبان يخاط بعضهما ببعض نحو اللّفاق، و كلّ شيء لفقت بعضه إلى بعض، فقد ردَمته. [ثمّ استشهد بشعر]

و أرْدَمَت عليه الحُمّى، إذا دامت عليه، و الحُمّى مُرْدِم.

و رَدَم الحمار، إذا ضَرِط؛ و الاسم: الرُّدام، و الواحدة: ردمة.

و الرّديم: لقب ضرار بن عمرو الضّبّيّ جدّ زيد الفوارس بن حصين بن ضرار، سمّي بذلك لعظم خلقه، و كان إذا وقف موقفًا رَدَمَه فلم يجاوز.

و الرّدم: السّدّ الّذي صنعه ذو القرنين عليه السلام.

و رَدْمان: موضع باليمن. و برَدْمان مات المطّلب ابن عبد مناف، و كتب النّبيّ صلى الله عليه و آله إلى الأملوك أملوك رَدْمان، و الأُملوك: قبيلة من حِمْيَر. (٢: ٢٥٦)

القاليّ: يقال: هِدْم ملَدَّم و مُرَدَّم، أي مُرقّع، و قد ردّم ثوبه، أي رقّعه. [ثمّ استشهد بشعر] (٢: ١٤٨)

الأزهَريّ: ثوب رديم: خَلَقٌ. و ثياب رُدُمٌ. [ثمّ استشهد بشعر] (١٤: ١١٨)

الصّاحِب: الرَّدْمُ: سَدّك بابًا كلّه، و قد رَدَمتُه؛ و الجميع: الرُّدُوم.

و الرَّدْم: سَدّ يأجُوج و مأجُوج.

و الرُّدام و الرَّدْم: الفَسْل، و هو الضُّراط أيضًا. يقال: رَدَم يَرْدُم رَدْمًا و رُدامًا.

و رُدِمَت القوس، إذا أُنبض عنها فصوّتت.

و الارتدام: الارتفاع في الثّوب و غيره.

و أرْدَمَتْ عليه الحُمّى أي أغبطت عليه، و رَدِمَت: مثله.

و أرْدَمْتُ البعير و الرّجل، إذا غمَزته.

و أرْدَمَتِ الشّجرة: إذا تخضّبت بعد يبوستها، و رَدَمَتْ رَدْمًا، فهي شجرة رادمة.

و أرض متَردَّمة: قد تُرُدِّمها النّاس، أي أكلوا مرتعها.

و تَرَدَّمتُ الرّجل: تعقّبتُه و اطّلعت على ما هو فيه.

و التّرَدّم: بُعْد الخصومة، و البقيّة من كلّ شيء.

و المتَرَدَّم في قول عَنْتَرَة: بقيّة تُتْبَع من كلام و شعر.

و الرُّدُم: الثّياب المرقّعة؛ الواحد: رديم.

و الرَّدْمَة و الرَّزْمَة: ما يبقى في الجُلّة.

و الرّديمة: ثوبان يخاط بعضهما ببعض.

و رَدَمَتِ المرأة على ولدها، أي تعطّفت.

و الأرْدَمُون: الملاحون؛ واحدهم: أرْدَمُ.

و دارة المَرْدَمَة: لبني مالك بن ربيعة.

(٩: ٣٠٤)

الجَوهَريّ: رَدَمْتُ الثُّلْمَة أرْدِمُها بالكسر رَدْمًا،

أي سَدَدْتُها؛ و الرَّدْمُ أيضًا: الاسم، و هو السّدّ.

و الرُّدام بالضّمّ: الحَبْقُ، وقد رَدَمَ يَردُم بالضّمّ رُدامًا.

و الرّديم: الثّوب الخلق.

و رَدَمْتُ الثّوب و رَدَّمْتُه تَرْديمًا، فهو ثوب رَديم و مُرَدَّمٌ، أي مرقّعٌ.

و تَرَدَّمَ الثّوب، أي أخلقَ و استرقع، فهو مُتَرَدِّمٌ.

و المُتَرَدَّم: الموضع الّذي يُرقّع. [ثمّ استشهد بشعر]

يقال: تَرَدَّمَ الرّجل ثوبه، أي رقّعه، يتعدّى و لا يتعدّى.

و أرْدَمَتِ الحُمّى: دامتْ. يقال: وِردٌ مُرْدِم، و سَحابٌ مُرْدِم. (٥: ١٩٣٠)

ابن فارس: الرّاء و الدّال و الميم أصل واحد، يدلّ على سدّ ثُلمة. [ثمّ ذكر نحو الجوهَري] (٢: ٥٠٤)

ابن سيده: رَدَم الباب و الثُّلْمة و نحوهما يَرْدِمُهما رَدْمًا: سَدّه. و قيل: الرّدْم أكثر من السّدّ، لأنّ الرَّدْم: ما جُعل بعضه على بعض، و الاسم: الرَّدْم؛ و جمعه: رُدُومٌ.

و الرَّدْم: السّدّ الّذي بيننا و بين يأجُوج و مأجُوج.

و الرَّدْم: ما يَسقُط من الجدار إذا انهدم.

و كلّما لُفِق بعضه ببعض فقد رُدِمَ.

و الرَّديمة: ثوبان يخاط بعضهما ببعض، نحو اللِّفاق، و هي الرُّدَم، على توهّم طرح الهاء.

و ثوبٌ مُرَدَّم، و مُرْتَدَم، و مترَدَّم: خَلَقٌ مُرقّعٌ.

و تَرَدَّمَتِ النّاقة: عطَفَتْ على ولدها.

و الرّديم: لقب رجل من فرسان العرب، سمّي بذلك لعِظَم خَلْقه، و كان إذا وقف موقفًا رَدَمَه فلم يُجاوَزْ.

و تَرَدَّم القوم الأرض: أكلوا مرتعها مرّةً بعد مرّة.

و أرْدَمَتْ عليه الحُمّى، و هي مُرْدِم: دامت.

و أرْدَم عليه المرض: لزمه.

و رَدَم البعير و الحمار يَرْدِم رَدْمًا: ضَرِط. و الاسم: الرُّدام.

و قيل: الرُّدْم: الضُّراط عامّةً.

و رَدَم بها رَدْمًا: ضَرِط.

و الرَّدْم: الصّوت. و خصّ بعضهم به صوت القوس.

و رَدَم القوس: صوّتها بالإنباض.

و رجل رَدْم و رُدام: لاخير فيه.

و رَدَم الشّيء يَرْدُم رَدْمًا: سال، هذه عن كُراع.

و رواية أبي عُبَيْد و ثَعْلَب: رَذَم بالذّال.

و الرَّدْم: موضع بتِهامَة.

و رَدْمان: قبيلة من العرب باليمن. [و استشهد بالشّعر ٤ مرّات] (٩: ٣٢٦)

الرّاغِب: الرَّدْم: سَدّ الثُّلْمة بالحجر، قال تعالى: ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ الكهف: ٩٥.

و الرَّدْم: المَرْدُوم، و قيل: المُرْدَم. [ثمّ استشهد بشعر]

و أرْدَمَتْ عليه الحُمّى، و سحاب مُرَدَّم. (١٩٣)

الزّمَخْشَريّ: رَدَم الثُّلْمَة: سَدّها، و منه رَدْم يأجُوج.

و رَدَم الثّوب و رَدّمَه: رقعه، و ثوب رديم و مَرْدُوم و مَرَدَّم.

و تَرَدّمَه: رقّعه لنفسه.

و نظير رَدّمَه و تَرَدّمَه: أثل المال و تأثّله.

و من المجاز: رَدَم كلامه و تَرَدّمَه: تتبعه حتّى أصلحه و سَدّ خلَله. [ثمّ استشهد بشعر]

(أساس البلاغة: ١٦٠)

المَدينيّ: الرّدْم: سَدّك بابًا، و سمّاه رَدْمًا بالمصدر.

و الارتدام: الارتفاع في الثّوب.

و الرّديم: الثّوب المُرَقّع، و المرَدَّم أيضًا: الخَلَق المُرَقَّع. (١: ٧٥٣)

ابن الأثير: فيه: «فُتِحَ اليوم من رَدْم يأجُوج و مأجُوج مِثل هذه، و عَقَد بيده تسعين».

رَدَمْتُ الثُّلْمَة، رَدْمًا إذا سَدَدْتها؛ و الاسم و المصدر سواء: الرَّدْم.

و عقد التّسعين من مُواضَعات الحُسّاب، و هو أن تَجْعل رأس الأصْبَع السَّبّابة في أصل الإبهام و تَضُمّها، حتّى لا يبين بينهما إلّا خَلَل يسير.

(٢: ٢١٦)

الفَيّوميّ: رَدَمْتُ الثُّلْمَة و نحوها رَدْمًا، من باب «قتل» سدَدتُها.

و في مكّة موضع يقال له: الرَّدْم، كأنّه تسمية بالمصدر، و ارتَدَم الموضع. (١: ٢٢٥)

الفيروزاباديّ: رَدَم الباب و الثُّلْمَة يَرْدِمه: سَدّه كلّه أو ثُلُثَه، أو هو أكثر من السّدّ؛ و الرَّدْم: الاسم، جمعه: رُدُوم.

و بالتّسكين: قرية بالبحرين، و موضع بمكّة يضاف إلى بني جُمَح، و هو لبني قُراد، و ما يسقط من الجدار المتهدّم، و السّدّ بين يأجُوج و مأجُوج، و صوت القوس، أو عامّ، و من لاخير فيه كالمِرْدام، و الضُّرط كالرُّدام بالضّمّ فيهما، و تصويت القوس بالإنباض. و بالكسر: موضع.

و ثوب مُرَدَّم كمعظّم: مُرَقَّع.

و كأمير: خَلَق؛ جمعه: ككُتُب.

و تَرَدّم ثوبَه: رقعه، و الثّوب: استرقع و أخلق.

و المترَدَّم: الموضع الّذي يُرَقَّع منه، و الخصومة: بعدت و طالت، و فلانًا: تعقّبه و اطّلع على ما هو فيه.

و أرْدَمَتِ السّحاب و الوِرْد و الحُمّى: دامت، و الشّجرة: اخضرّت بعد يبوستها. كرَدَمَتْ فيهما، و البعير: غمَزه.

و الأرْدَم: المَلّاح الحاذق؛ جمعه: أرْدَمُون.

و الرِّدْمَة بالكسر: ما يبقى في الجُنّة.

و رَدَمَتْ على ولدها ترديمًا و تَرَدّمَتْ: تعطّفت.

و الرَّديمان: ثوبان يخاط بعضهما ببعض، نحو اللِّفاف؛ جمعه: ككُتُب.

و رَدْمان: موضع باليمن، و ابن ناجية، و ابن وائل، و ابن رُعَيْن: آباء قبائل.

و كأمير: من فرسانهم، سمّي لعظَم خَلْقِه.

و دارَة المَرْدَمة: لبني مالك بن ربيعة.

و رَدَم الشّيء: سال. (٤: ١٢٠)

الطُّرَيحيّ: الرَّدْم بإهمال الدّال السّاكنة: السّدّ. و قيل: الحاجز الحصين أكبر من السّدّ، تسمية بالمصدر.

و منه الرَّدْم بمكّة، و هو حاجز يمنع السّيل عن البيت المحرّم، و يعبّر عنه الآن بالمدّعى؛ و منه الحديث: «إذا انتهيت إلى الرَّدْم فكذا».

و رَدْم يأجُوج و مأجُوج: سدّ بناه ذو القرنين. و يقال: قد انفتحت و إذا توسّعت يخرجون منها، و ذلك بعد الدّجّال.

و في الحديث: «كانت العرب تحجّ البيت و كان رَدْمًا» أي كان لاحيطان له، كأنّه من: تَرَدَّم الثّوب، أي أخلق و استرقع، فكأنّه مُتردِّم. (٦: ٧١)

مَجْمَعُ اللُّغة: رَدَم الفُرْجَة و الثُّلْمَة يَرْدِمها رَدْمًا: سدّها. و الرَّدْم: السّدّ. (١: ٤٧٠)

نحوه محمّد إسماعيل إبراهيم. (١: ٢١٨)

محمود شيت: رَدَم ثُلمَة الموضع الدّفاعيّ: سدّها.

و رَدَم الحُفرة: هال فيها التّراب.

الأرْدَم: الملّاح الحاذق؛ جمعه: أرْدَمُون.

الرَّدْم: السّدّ العظيم.

الرَّدْم: مانع ضدّ الدّبّابات لايمكن اجتيازه.

المتَرَدَّم: الموضع الّذي يُرقَع، و الّذي يُصلَح. يقال: موضع دفاعيّ متَرَدَّم: سُدّت ثغراته بعد هجوم عليه و اختراقه. (١: ٢٩٠)

المُصْطَفَويّ: التّحقيق: أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو سدّ ما يكون من ثُلْمَة أو خلل في مقابل فتحه. و بهذا الاعتبار يطلق على ترقيع يكون سدًّا لما فُتح من الثُّلْمَة.

و في السّحاب و الحُمّى باعتبار إحاطة السّحاب و انسداد الهواء، و إطباق الحُمّى على البدن، كأنّها سُدّت منافذه.

و في الجفنة، إذا كانت ممتلئة سائلة، فكأنّها قد سُدّت ظرفيّتها. و في تماميّة الخمسين كذلك. و يُطلق على الملّاح فإنّه يسدّ منافذ السّفينة.

و السّدّ أعمّ من أن يكون في ثُلْمَة أو غيرها، و التّلدّم و التّرقّع يُستعملان في إصلاح الثّوب. (٤: ٩-١٠)

النُّصوص التّفسيريّة

رَدْمًا

قَالَ مَا مَكَّنّي فِيهِ رَبّي خَيْرٌ فَاَعِينُونِي بِقُوَّةٍ اَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا. الكهف: ٩٥

ابن عبّاس: سَدًّا. (٢٥٢)

هو كأشدّ الحجاب. (الطّبَريّ ٨: ٢٨٥)

الطّبَريّ: الرَّدْم: حاجز الحائط و السّدّ، إلّا أنّه أمنع منه و أشدّ. يقال منه: قد رَدَم فلان موضع كذا يَرْدِمه رَدْمًا و رُدَامًا.

و يقال أيضًا: رَدَّمَ ثوبه يُرَدِّمه، و هو ثوب مُرَدَّم، إذا كان كثير الرّقاع. [ثمّ استشهد بشعر] (٨: ٢٨٥)

نحوه الطُّوسيّ. (٧: ٩٠)

الزّجّاج: الرّدْم في اللّغة أكثر من السّدّ، لأنّ الرّدْم ما جُعل بعضه على بعض. يقال: ثوب مُرَدَّم، إذا كان قد رُقِع رُقعة فوق رُقعة. (٣: ٣١١)

نحوه النّحّاس. (٤: ٢٩٣)

الثّعلبيّ: حاجزًا كالحائط و السّدّ. (٦: ١٩٩)

الماوَرْديّ: فيه وجهان:

أحدهما: أنّه الحجاب الشّديد.

الثّاني: أنّه السّدّ المتراكب بعضه على بعض، فهو أكبر من السّدّ. (٣: ٣٤٢)

الواحديّ: سدًّا و حاجزًا، و الرّدْم: سدّ الباب و الثُّلْمَة. (٣: ١٦٧)

الزّمَخْشَريّ: حاجزًا حصينًا موثقًا. و الرّدْم أكبر من السّدّ من قولهم: «ثوب مُرَدَّم»: رقاع فوق رقاع.

و قيل: حفر الأساس حتّى بلغ الماء، و جعل الأساس من الصّخر و النّحاس المذاب، و البنيان من زبر الحديد، بينهما الحطب و الفحم، حتّى سدّ ما بين الجبلين إلى أعلاهما، ثمّ وضع المنافيخ حتّى إذا صارت كالنّار، صبّ النّحاس المذابّ على الحديد المحمي فاختلط و التصق بعضه ببعض، و صار جبلًا صَلْدًا. (٢: ٤٩٩)

نحوه البَيْضاويّ (٢: ٢٥)، و النّسَفيّ (٣: ٢٥)، و الشِّربينيّ (٢: ٤٠٦)، و أبوالسُّعود (٤: ٢١٧)، و الكاشانيّ (٣: ٢٦٣)، و البُرُوسَويّ (٥: ٢٩٨)، و شُبّر (٤: ١٠٠).

ابن عَطيّة: الرّدْم: أبلغ من السّدّ، إذ السّدّ كلّ ما سُدّ به، و الرّدْم وضع الشّيء على الشّيء من حجارة أو تراب أو نحوه، حتّى يقوم من ذلك حجاب منيع؛ و منه: رَدَم ثوبه، إذا رقعه برقاع متكاثفة بعضها فوق بعض. [ثمّ استشهد بشعر] (٣: ٥٤٢)

الطَّبْرسيّ: أي سَدًّا و حاجزًا، و قيل: هو السّدّ المتراكِب بعضه على بعض. (٣: ٤٩٤)

الفَخْر الرّازيّ: الرّدْم هو السّدّ. يقال: رَدَمْتُ الباب، أي سَدَدْتُه، و رَدَمْتُ الثّوب: رقعتُه، لأنّه يسدّ الخرق بالرّقعة.

و الرّدْم أكثر من السّدّ، من قولهم: ثوب مَرْدُوم، أي وضعت عليه رقاع. (٢١: ١٧١)

نحوه النَّيسابوريّ. (١٦: ٢٦)

القُرطُبيّ: الرّدْم: ما جُعل بعضه على بعض حتّى يتّصل. يقال: رَدَمْتُ الثُّلْمَة أرْدِمُها بالكسر رَدْمًا، أي سَدَدْتُها؛ و الرّدْم أيضًا الاسم و هو السّدّ. [ثمّ ذكر نحو ابن عَطيّة] (١١: ٥٩)

الآلوسيّ: [نحو الزّمَخْشَريّ و أضاف:]

و يقال: سحاب مُرَدَّم، أي متكاثف بعضه فوق بعض، و ذكر أنّ أصل معناه: سَدّ الثُّلْمَة بالحجارة و نحوها، و قيل: سدّ الخلل مطلقًا. [ثمّ استشهد بشعر]

ثمّ أُطلق على ما ذُكر. و قيل: هو و السّدّ بمعنى، و يؤيّد الأوّل ما أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عبّاس رضي الله تعالى عنهما، أنّه قال: هو كأشدّ

المجاب، و عليه يكون قد وعدهم بالإسعاف بمرامهم فوق ما يرجونه، و هو اللّائق بشأن الملوك.

(١٦: ٤٠)

المَراغيّ: سدًّا منيعًا، و حاجزًا حصينًا أمنع ممّا تريدون. (١٦: ١٨)

المُصْطَفَويّ: مصدر بمعنى سدّ منافذ عبورهم، لئلّا يقدروا أن يظهروا.

و قد عبّر بصيغة المصدر، فإنّ المقدور له في أوّل الأمر هو ذلك العمل مضافًا إلى المبالغة، كما في: زيد عدل، و لانحتاج إلى الاسميّة.

و أمّا لطف التّعبير بها، فإنّ المورد يناسبها، بسبب منفذ عبورهم بين السّدّين، بين الصّدفين.

ثمّ إنّ هذا الرَّدْم كان في جهة الشّرق من آسيا مملكة الصّين، و ذو القرنين هو من ملوك التّبابعة اليمنيّين «ذوين»، راجع التّبّع، القرن، السّدّ.

(٤: ١١٠)

مكارم الشّيرازيّ: كلمة «رَدْم» على وزن «طرد» و هي في الأصل تعني: مِلْء الشّقّ بالأحجار، إلّا أنّها فيما بعد أخذت معنًى واسعًا بحيث شمل كلّ سدّ، بل و شمل حتّى ترقيع الملابس.

يعتقد بعض المفسّرين أنّ كلمة «رَدْم» تقال: للسّدّ القويّ، و وفقًا لهذا التّفسير، فإنّ ذا القرنين قد وعدهم بأكثر ممّا كانوا ينتظرونه. (٩: ٣١٧)

فضل اللّه: فأسدّ الثّغرة المفتوحة بين الجبلين، الّتي تفسح لهم المجال للنّفاذ إلى مواقعكم.

(١٤: ٣٩٠)

الأُصول اللُّغويّة

١ ـ لهذه المادّة أصلان: الأوّل: الرَّدْم، و هو سدّ باب أو ثُلْمَة أو مدخل أو نحو ذلك؛ و الجمع: رُدوم. يقال: رَدَمَ البابَ يَرْدِمه رَدْمًا، أي سدّه. و منه قول الإمام عليّ عليه السلام: «غمّ الضّريح، و رَدْم الصّفيح»[1]، أي سدّ القبر.

و الرُّدْم: ما يسقط من الجدار إذا انهدم، و كلّ ما لُفِق بعضه ببعض فقد رُدِم.

و الرّديم: «فعيل» بمعنى «مفعول» من الرَّدْم، و هو الثّوب الخَلَق؛ و الجمع: رُدُم، تشبيهًا بالجدار المنهدم. يقال: ثوب رديم، أي خَلَق، و ثياب رُدُم، و صرت بعد الوشي و الخزّ في رُدُم، و هي الخُلْقان.

و الرّديمة: ثوبان يخاط بعضهما ببعض نحو اللِّفاق، و هي الرُّدُم.

و رَدَمْتُ الثّوب و رَدَّمْتُه ترديمًا: رقَعتُه، و هو ثوب رديم و مُرَدَّم، أي مُرقَّع.

و تردّم الثّوب: أخلق و استرقع، فهو مُتردِّم.

و تردّم الرجل ثوبه: رقعه.

و المتردَّم: الموضع الّذي يرقّع.

و ثوب مُردَّم و مُرْتَدَم و مُتَردَّم: خَلَق مرقّع.

و الثّاني: الرُّدام، و هو ضراط الحمار؛ و الواحدة: رَدْمَة، و قد رَدَمَ يَرْدُم رَدْمًا، إذا ضرَط.

و قيل: الرّدم: الضّراط عامّة. يقال: رَدَمَ البعير و الحمار يَرْدُم رَدْمًا، أي ضرَط؛ و الاسم: الرُّدام.

---

(١) نهج البلاغة ـ الخطبة: (١٩٠).

و رَدَمَ القوس: صوّتها بالإنباض، كأنّه مأخوذ من الرُّدام.

و يقال مجازًا: رجل رَدْم و رُدام، أي لاخير فيه.

٢ ـ و تتعاقب الرّاء و اللّام لتكوّنا اشتقاقًا أكبر بين مادّتي «ر د م» و «ل د م». يقال: ثوب رديم و مُرَدَّم و مُتَرَدِّم، و لديم و مُلَدَّم و مُتَلَدِّم، أي خَلَقٌ، و قد رَدَمْتُه و رَدَّمْتُه و تَرَدَّمْتُه، و لَدَمْتُه و لَدَّمْتُه و تَلَدَّمْتُه: رقّعتُه.

و أرْدَمَتْ عليه الحُمّى و الدَّمَتْ: دامت، و ألدَمَتْ عليه أيضًا. و لعلّ مادّة «ل ذ م» هي الأصل، لأنّ جميع مشتقّاتها تفيد اللّزوم.

الاستعمال القرآنيّ

جاء منها مجرّدًا المصدر: (رَدْمًا) مرّة في آية:

﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ الكهف: ٩٥

و يلاحظ أوّلًا: أنّها الآية الوحيدة في القرآن من هذه المادّة في سورة مكّيّة.

و فيها بُحُوثٌ:

١ ـ هذه جواب ذي القرنين لقوم قالوا له: ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ فطلبوا منه أن يجعل بينهم و بين يأجوج و مأجوج سدًّا. و أرادوا أن يجعلوا له خرجًا، فقال لهم: ﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾.

٢ ـ و قال الطَّبْرِسيّ (٣: ٤٩٣) في «اللّغة»: «و الرَّدْم: السّدّ، و الحاجز. يقال: ردم فلان موضع كذا يَرْدِمه رَدْمًا. و الثّوب المُردَم: الخَلَق المرقّع. [ثمّ استشهد بشعر]

٣ ـ و قال في «المعنى» ﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾: «أي أعطاني ربّي من المال، و مكّنني فيه من الاتّساع في الدّنيا خير ممّا عرضتموه عليّ من الأجر.

﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ أي برجال، فيكون معناه: بقوّة الأبدان.

و قيل: بعمل تعملونه معي، عن الزّجّاج.

و قيل: بآلة العمل و ذلك زُبُر الحديد، و الصُّفر.

﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ أي سدًّا و حاجزًا.

قال ابن عبّاس: الرّدم: أشدّ الحجاب.

و قيل: هو السّدّ المتراكب بعضه على بعض».

و ثانيًا: هذه الآية من جملة قصّة ذي القرنين في سورة مكّيّة.

و ثالثًا: من نظائر هذه المادّة في القرآن:

السّدّ: ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ الكهف: ٩٤

المصنع: ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ الشّعراء: ١٢٩

الموبق: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا﴾ الكهف: ٥٢

ردي

٦ألفاظ، ٦مرّات: في ٦سور: ٥مكّيّة، ١مدنيّة

فَتَرْدَى ١ : ١	لِتُرْدِين ١ : ١
أَرْداكُمْ ١ : ١	تُرْدَى ١ : ١
لِيُرْدوهُمْ ١ : ١	المُتَرَدِّيَة ١ :ـ ١

النُّصوص اللُّغويّة

الخَليل: رَدِيَ يَرْدَى رَدًى فهو رَدٍ، أي هالِك، و أرْداه الله.

و التَرَدّي: التّهوّر في مَهْواة.

و المُتَرَدِّيَة: الّتي تُردّتْ في بئر أو هُـوّة فهَلَكَتْ. و تأنيثه على معنى الشّاة.

و الأرْدِيَة: جمع الرِّداء؛ و منه التّرَدّي و الارتِداء.

و الرَّدْي و الرَّدَيان: في الإقبال و الإدبار.

و رأيت الخَيْل تَرْدي رَدَيانًا و رَدْيًا.

و الرَّدَيان: مشي الحمار من آريّه إلى مُتَمَعّكِهِ.

و الرَّدْي: أن تأخذ صَخْرةً أو شيئًا صُلْبًا تَـرْدي به حائطًا أو شيئًا صُلْبًا فتَكسره.

و المِرْداة: صخرة يُرْدَى بها الشّيء ليُكسَر.

و فلان مِرْدَى حَرْب، أي يَصْدِم الحَرْب.

و المُرادي: الّذي يُرادي حائطًا بمِرْداته ليَهُدّه.

و قوائم الإبل مَرادٍ لِثِقَلها، و شدّة وطْئِهـا، نَعْتٌ لها خاصّـة، و كـذلك مَـرادي الفِيـل. [و استشـهد بالشّعر مرّتين] (٨: ٦٧)

ابن شُـمَيْل: المِـرْداة: الحجـر الّـذي لا يكـاد الرّجل الضّابط يرفعه بيديه، يُرْدَى به الحجَر، و المكان الغليظ يحفِرون فيضربونه به فيُلَيّنونه، و يُرْدَى به جُحْر الضّـبّ إذا كـان في قَلْعَـة، فيُلَـيّن القلعة و يَهُدّها.

و الرَّدْي إنّما هو رَفْع بها و رَمْيٌ بها.

(الأزهَريّ ١٤: ١٧٠)

أبو عمرو الشّيبانيّ: المِرْداة: الصّخرة، رَدَيْتُه

رَدْيًا، للقذف من فوق إلى أسفل. و رَدَت الخيل تَرْدي رَدَيانًا، و هو المشي السّريع. (٢ : ٢٠)

الرّداة: الصّخرة. [ثمّ استشهد بشعر] (٢ : ٢٥)

راديْتُ الرّجل و داجيْتُه و داليْتُه و فانيْتُه، بمعنى واحد. (الأزهَريّ ١٤ : ١٦٨)

الفَرّاء: رَدَتْ غنمي و أرْدَتْ: زادت.

(ابن سيده ٩ : ٣٩٦)

تقول العرب: الغنم تَرْدي على مائة، أي تزيد عليها. (الهَرَويّ ٣ : ٧٣١)

أبو زَيْد: رأيت فلانًا يتتبّعُ أراديّ التمر، أي أرْداه. (١٣٩)

يقال: رَدِيَ بالرّجل فرَسُه يَرْدي رَدَيانًا، و هو نحو الرّقص في السّير. (١٩٠)

يقال: رَدِيَ في البئر كما يقال: تَرَدّى.

(ابن فارس ٢ : ٥٠٦)

رَدِيَ في القليب يَرْدَى،وتَرَدّى من الجبل تردّيًا.

و الجواري يَرْدين، إذا رفعت إحداهنّ رجلها و مَشَتْ على رجْل تلعب.

و الغراب يَرْدي، إذا حَجَل.(الأزهَريّ ١٤ : ١٦٨)

الأصمَعيّ: سألت منتَجعَ بن نَبْهان عن الرّدَيان، فقال: هو عَدْوُ الحمار بين آريّه و مُتَمَعَّكه.

(إصلاح المنطق : ٢٠٢)

إذا عَدا الفرس فرجم الأرض رجمًا قيل: رَدِي يَرْدي رَدْيًا و رَدَيانًا. (الأزهَريّ ١٤ : ١٦٨)

أبو عُبَيْد: و يقال: راوَدتُه على الأمر و راديْتُه.

[ثمّ استشهد بشعر] (الأزهَريّ ١٤ : ١٦٩)

و يقال: راداه، بمعنى داراه.(الجَوهَريّ ٦ : ٢٣٥٥)

ابن الأعرابيّ: الرّدَى: الهلاك، و الرّدَى: المنكر المكروه. (الأزهَريّ ١٤ : ١٧٠)

الرّداء: العقل، و الرّداء: الجهل. [ثمّ استشهد بشعر]

الرّداء: كلّ ما زَيّنك حتّى دارك و ابنك.

(ابن سيده ٩ : ٣٩٥)

ابن السّكّيت: قد رَدَى الفرس يَرْدي رَدْيًا و رَدَيانًا.

و قد رَدَيْتُ الحجَر بصخرة و بمِعْوَل، إذا ضَربْته بها لتكسره. و المِرْداة: الصّخرة الّتي تُكسَر بها الحجارة. و قد رَدِي الرّجل يَرْدَى رَدًى، إذا هلك.

(إصلاح المنطق : ٢٠٢)

ابن أبي اليمان: الإرْداء: مصدر أرْدَيْتُ فلانًا، أي أهلَكتُه. (٧٥)

الرّدَى: الهلاك. [ثمّ استشهد بشعر] (٩٣)

الحَرْبيّ: [في الحديث:]...«فأخذ مِرْداةً.

المِرْداة» يعني الحجر. (١ : ٢٨٦)

المُبَرِّد: أرْدَى، أي أهلك. يقال: رَدِي يَرْدَى، إذا هلك، و الرّدَى: الهلاك. (١ : ٥٤)

و يُرْدي: يُهلك، يقال: رَدِيَ الرّجل، إذا هلك، و الرّدَى: الهلاك، و الإرْداء: الإهلاك. (١ : ٥٧)

و الرّدَى: الهلاك، و أكثر ما يُستعمل في الموت، يقال: رَدِي يَرْدَى رَدًى. (١ : ١٨١)

[و في قصّة:] «...أيّها الكافر الرّدِيّ».

و «الرّدِيّ» عند الخوارج: الّذي له عقْدُهم

و يُظهر خلافه رغبة في الدّنيا. (١: ٣٥٥)

[و في قصّة:] «... يافاسق الرّدِيّ».

و «الرّدِيّ» عند الخوارج، هو الّذي يعلم الحقّ من قولهم و يكتمه. (٢: ١٧٠)

الزّجّاج: و رَدَى الفرس يَرْدِي رَدَيانًا، و هو عَدْو بين الأرْي و التمعّل.

و أرْدَيتُ الرّجل: أهلَكتُه.

(فعلت و أفعلت: ١٩)

ابن دُرَيْد: الرّدَى: الموت، رَدِيَ الرّجل يَرْدَى رَدًى فهو رَدٍ. [ثمّ استشهد بشعر] (٣: ٢٤١)

القاليّ: يقال: المال يُربي على كذا و كذا، و يُرْمي و يُرْدي، أي يزيد. (٢: ٥٦)

الرّدَيان: أن يَرْجُم الأرض رَجْمًا بين المشي الشّديد و العَدْو. (٢: ٢٥٥)

الأزهَريّ: [نقل قول أبي زَيْد ثمّ قال:]

و قال غيره: رَدَيتُ فلانًا بحجر أرْدِيْتُه رَدْيًا إذا رمَيتَه به.

المِرْداة: الحجَر الّذي يُرْمَى به؛ و جمعها المرادي؛ و منه قولهم: «عند جُحْر كلّ ضَبّ مِرْداته» يُضرب مثلًا للشّيء العتيد ليس دونه شيء؛ و ذلك أنّ الضّبّ ليس يَنْدَلّ على جُحْره إذا خرج منه فعاد إليه، إلّا بحجر يجعله علامة لجُحْره.

و قال المُنْتَجِع بن نَبْهان: الرّديان: عَدْوُ الفرس بين آرِيّه و مُتَمَعّكِه.

و امرأة هَيْفاء المُرَدَّى، أي ضامرة موضع الوشاح.

و رِداءُ الشّباب: حُسنُه و غَضارته و نَعمتُه.

يقال: ما بلغتُ رَدَى عطائك، أي زيادتك في العطيّة. و يُعجبني رَدَى قولك، أي زيادة قولك.

[و استشهد بالشّعر ثلاث مرّات] (١٤: ١٦٨)

الفارسيّ: الرِّداء: القوس. (ابن سيده ٩: ٣٩٥)

الصّاحِب: الرّدَى: الهلاك، و قد رَدِيَ فهو رَدٍ، و أرْداه الله، من قوله عزّ و جلّ: ﴿تَاللهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ﴾ الصّافّات: ٥٦.

و التّرَدّي في مَهْواةٍ: التّهوّر فيها. و المتردّية في القرآن: منه.

و رَدِيَ من رأس الجبل و في الرّكيّة: تَرَدّى فيها.

و الرِّداء: معروف، و منه التّرَدّي و الارتداء.

و فلان غمر الرِّداء، أي واسع المعروف. و السّيف أيضًا.

و الرِّداء: الدَّيْن، من قولهم: فلان خفيف الرِّداء، أي لا دَيْن عليه.

و يقولون: لبست رداءَتي بالهاء، أي ردائي، و مِرْداتي أيضًا.

و امرأة هَيْفاء المُرَدَّى، أي ضامِرَة المُوَشّح.

و الرُّدْي: الرّدَيان في الإقبال و الإدبار.

و الخيل تَرْدِي، و أرْدَيتُها أنا. و الجَواري يَرْدِينَ، و كذلك الغراب. و أن تُرْديَ بصخرة أو شيء صُلْب حائطًا.

و المِرْداة: الصّخرة تنصبها علامةً. و هي أيضًا: صخرة يُكْسَر بها الحجارة. و مثَل: «كلّ ضَبّ عنده مِرْداته».

و فلان مِرْدَى حرب، أي به تُصْدَم الحرب.

و المُرادي: الّذي يُرادي الحائط بمَراديه ليَهُدّه.

و تسمّى قوائم الإبل: مَراديَ، لثِقَلها و شدّة وطئها.

و المِرْداة: النّاقة القويّة.

و الرُّداة: الصّخرة؛ و جمعها: رُدًى.

و رادَيتُ عن القوم، أي ناضَلْتُ عنهم.

و رادَيْتُه عن الأمر: بمعنى راوَدْتُه.

و المُراداة: بمعنى المُساهَلة و المُداراة، و هي المُصاداة أيضًا.

و رَدَتْ غنَمُك على الخمسين تَرْدي، و أرْدَتْ أيضًا، أي زادَتْ.

و رَدَى القوم مائة رجل، أي زيادتُهم.(٩: ٣٥٠)

الخطّابيّ: يقال: رَدَيْتُ الرّجل بالحجر، إذا رمَيْتَه به، و أكثر ما يكون ذلك في الحجر الضّخم الّذي يَشْدَخ بثِقَله؛ و منه المِرْداة يُكسَر بها الشّيء الصُّلْب.

فأمّا أرْداه فمعناه: أهلكه، و الرَّدَى: الهلاك، و الرَّدِي: الهالك. [ثمّ استشهد بشعر] (٢: ٢٢٠)

الجَوهَريّ: و رَدَيْتُ على الخمسين و أرْدَيْتُ، أي زدْتُ.

و رَدَيْتُه: صدَمْتُه.

و رَدَيْتُ الحجر بصخرة أو بمِعْوَل، إذا ضَرَبْتَه بها لتكسره.

و المِرْدَى: حَجَر يُرْمى به؛ و منه قيل للرّجل الشّجاع: إنّه لَمِرْدَى حروب، و هم مَرادي الحروب.

و كذلك المِرْداة. و في المَثَل: «كلّ ضَبّ عنده مِرْداتُه».

و تُشبَّه بها النّاقة في الصّلابة، فيقال: مِرْداة.

و الرُّداة: الصّخرة؛ و الجمع: الرُّدَى.

و رَدَيْتُه بالحجارة أرْدِيه رَدْيًا: رمَيْتُه بها.

و رَدَى الغلام، إذا رفع إحدى رجليه و قفَز بالأُخرى.

و يقال: رَدَى في البئر و تَرَدّى، إذا سقط في بئر، أو تهَوّر من جبل.

يقال: ما أدري أين رَدَى؟ أي أين ذهب؟

و الرِّداء: الّذي يُلبَس؛ و تثنيته: رِداءان، و إن شئت رِداوان، لأنّ كلّ اسم مهموز ممدود فلاتخلو همزته: إمّا أن تكون أصليّة، فتتركها في التّثنية على ما هي عليه، و لاتقلبها، فتقول: جزاءان و خطاءان.

و إمّا أن تكون للتّأنيث، فتقلبها في التّثنية واوًا لاغير، تقول: صَفْراوان و سوداوان.

و إمّا أن تكون منقلبة من واو أو ياء مثل كساء و رداء، أو ملحقة مثل عِلْباء و حِرْباء، ملحقة بسِرْداح و شِمْلال، فأنت فيها بالخيار. فإن شئت قلبتها واوًا، مثل الّتي للتّأنيث، فقلت: كِساوان و عِلْباوان و رداوان، و إن شئت تركتها همزةً مثل الأصليّة و هو أجود، فقلت: كساءان و عِلْباءان و رداءان؛ و الجمع: أكسية و أرْدِيَة.

و تَرَدّى و ارْتَدَى بمعنًى، أي لبس الرِّداء.

و الرِّدْيَة كالرِّكْبَة من الرّكوب، و الجِلْسَة من الجلوس. تقول: هو حسن الرِّدْيَة.

و رَدَّيْتُه أنا تَرْدِيَةً.

و رادَيْتُ عن القوم مُراداةً، إذا رمَيتَ بالحجارة.

و يقال أيضًا: رادَيْتُ فلانًا، إذا راوَدْتَهُ، و هو مقلوب منه.

و رَدِيَ بالكسر يَرْدَى رَدًى، أي هلك، و أرْداه غيره.

و رجل رَدٍ للمهالك، و امرأة رَدِيَة على «فَعِلَةٍ».

و المُرْدِيّ: خشَبَة تُدفَع بها السَّفينة، تكون في يد الملّاح؛ و الجمع: المَرادِي. [و استشهد بالشعر مرّتين] (٦: ٢٣٥٤)

ابن فارس: الرّاء و الدّال و الياء أصل واحد، يدلّ على رَمْيٍ أو تَرامٍ و ما أشبه ذلك. يقال رَدَيْتُه بالحجارة أرْدِيه: رمَيْتُه. و الحجر مِرْداة.

و الرَّدْي: ثلاثة مواضع ترجع إلى قياس ما قد ذكرناه؛ فالأوّل: رَدَى الحجر، و الثّاني: رَدَى الفرس: أسرَع. و رَدَتِ الجارية، إذا رفعَتْ إحدى رجْلَيْها و قفزت بواحدة، و هو الثّالث. و كلّ ذلك يرجع إلى التّرامي.

و الرَّدَيان: عَدْوُ الحمار بين آرِيّه و مُتمَعَّكِه.

و من الباب: الرّدَى، و هو الهلاك. يقال رَدِيَ يَرْدَى، إذا هلك. و أرْداه الله: أهلكه.

و التّرَدّي: التّهوّر في المَهْوَى. يقال: رَدِيَ في البئر كما يقال: تَرَدّى و يقال: ما أدري أين رَدَى؟ أي أين ذَهَب؟ و هو من الباب، معناه: ما أدري أين رَمَى بنفسه؟ و من الباب الرَّداة: الصّخرة؛ و جمعها: الرَّدَى.

و إذا قالوا للنّاقة: مِرْداة، فإنّما شبّهوها بالصّخرة.

و يقال: رادَيتُ عن القوم، إذا رامَيْتَ عنهم. فأمّا قول طُفَيل:

يُرادَى على فأس اللّجام كأنّما

يُرادَى على مِرْقاةِ جِذْعٍ مشذَّبِ

فليس هذا من الباب، لأنّ هذا مقلوب، و معناه يُراوَد، و قد ذُكر في موضعه.

و ممّا شذّ عن الباب: الرِّداء الّذي يُلبَس، ما أدري مِمّ اشتقاقه؟ و في أيّ شيء قياسه؟ يقال: فلان حسَن الرِّدْيَة، من لُبْس الرّداء.

و ممّا شذّ أيضًا قولهم: أرْدَى على الخمسين، إذا زاد عليها. (٢: ٥٠٦)

ابن سيده: الرّدَى: الهلاك، رَدِي رَدًى، فهو رَدٍ.

و رَدِيَ في الهُوّة رَدًى، و تَرَدَّى: تهوّر.

و أرْداه الله، و رَدّاه فتَرَدَّى: قلبه فانقلب.

و الرِّداء: من الملاحف؛ و الجمع: أرْدِيَة، و هو الرِّداءة، كقولهم: الإزار و الإزارة. و قد تَرَدَّى به، و ارْتَدَى.

و إنّه لَحَسَنُ الرِّدْيَة، أي الارتداء.

و رجل غَمْر الرِّداء: واسع المعروف و إن كان رداؤه صغيرًا.

و عيش غَمْر الرِّداء: واسع خصيب.

و الرِّداء: السّيف، أراه على التّشبيه بالرِّداء من الملابس.

و قد تَرَدّى به، و ارْتَدَى.

وقال [ابن الأعرابيّ] مرّة: الرِّداء: كلّ ما زيّنك حتّى دارك و ابنك. فعلى هذا يكون الرِّداء: كلّ ما زانَ و ما شان.

و المَرادِي: الأرْدِيَة، قال ثَعْلَب: لاواحد لها.

و قوله: «من سَرّه النَّساء[1] و لانساء، فليُباكر الغداء، و ليُكْثِر العَشاء، و ليخفّف الرِّداء، و ليُجِدّ الحِذاء، و ليُقِلّ غِشْيان النِّساء». و الرِّداء هنا: الدَّيْن. قال ثَعْلَب: أراد لو زاد شيء في العافية لزاد هذا، و لا يكون.

و رَدَت الخيل رَدْيًا، و رَدَيانًا: رجمَت الأرض بحوافرها في سيرها و عَدْوها، و أرْداها هو.

و قيل: الرَّديان: التّقريب. و قيل: الرَّديان: عَدْوُ الحمار بين آريّه و مُتَمَعّكه.

و رَدَى الغراب: حَجَل.

و الجَواري يَرْدِينَ رَدْيًا، إذا رفعن رجلًا و مشين على أخرى يلعبن.

و رَدَيتُ الشّيء بالحجر: كسرتُه.

و المِرْداة: الصّخرة تُرْدِي بها. و في المَثَل: «كلّ ضَبّ عنده مِرْداته»، و هي الصّخرة الّتي يهتدي بها إلى جُحْره.

و المَرادِي: القوائم من الإبل و الفيلة، على التّشبيه.

و المَرادِي: المَرامي.

و فلان مِرْدَى خصومةٍ، و مِرْدَى حرب: صبور عليهما.

و رادَى الرّجل: داراه و راوده.

و رَدَيْتُ على الشّيء، و أرْدَيْتُ: زِدْتُ.

و أرْدَى على الخمسين، و الثّمانين: زاد.

[و استشهد بالشّعر ٧ مرّات] (٩: ٣٩٤)

الرّاغِب: و الرّدَى: الهلاك، و التّرَدّي: التّعرّض للهلاك، قال تعالى: ﴿وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدّٰى﴾ اللّيل: ١١، وقال: ﴿وَاتَّبَعَ هَوٰيهُ فَتَرْدٰى﴾ طٰه: ١٦، و قال: ﴿تَاللهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ﴾ الصّافّات: ٥٦.

و المِرْداة: حَجَر تكسر بها الحجارة فتُرديها. (١: ١٩٣)

الزّمَخْشَريّ: أقيك من الرّدَى، و قد رديَ الشّيء فهو رَدٍ. و أرْداه الدّهر.

و أقبلوا و الخيل تُرْدي بهم: تَعْدُو رَدَيانًا.

و ارْتَدَى بالثّوب و تَرَدّى به.

و جاء و عليه الرِّداء و المِرْدَى، و جاؤوا و عليهم الأرْدِيَة و المَرادي.

و هو حسَن الرِّدْيَة، و رَدّيتُه أنا.

و رَدَيتُه بالحجارة، و ترادوا بها.

و تَرَدّى في الهُوّة. و تَرَدّى من الجبل.

و تقول: إنّ فلانًا تَرَدّى لمّا تَرَدّى، أي للقضاء و التّقدّم.

ومن المجاز: فلان مِرْدَى حرب، و هم مَرادي حروب.

و الخيل تضرب الأرض بَمَراديها.

---

(١) النَّساء: التّأخير في الأجل.

و هو يُرادي عن قومه: يناضل عنهم.

و قنّعه رداءه، أي سيفه.

يقال: عمّمه بسيفه و خمّره بسيفه.

و فلان خفيف الرّداء: لادَيْن عليه. و منه قول العرب: «من أراد البقاء و لابقاء، فليباكر الغداء وليخفّف الرّداء و ليُقِلّ غشيان النّساء».

و هو غَمْر الرّداء و هو المعروف و العطاء.

و لبست المرأة رداءها، أي وشاحها.

و تَرَدّتْ و ارتَدَتْ: توشّحت.

و هي هيفاء المُرَدّى: ضامر المُوَشّح.

و حلّت الشّمس على وجهه رداءها، أي حسنها و بهاءها. [و استشهد بالشّعر ٥ مرّات]

(أساس البلاغة: ١٦٠)

[في الحديث]: «كانت ردْيَتُه التّأبُّط»، هو أن يُدْخِل رداءه تحت إبطه الأيمن، ثمّ يُلقيَه على عاتقه الأيسر.

الرِّدْيَة: اسم لضرب من ضروب التّردّي، كاللِّبسَة و الجِلْسَة، و ليست دلالتها على أنّ لام رداء ياء بحتم، لأنّهم قالوا: قِنْيَة، و هو ابن عمّي دِنْيا. (الفائق ١: ١٩)

[و في الحديث]: «... علَوْتُ الجبل فرَدَيْتُهُم بالحجارة»، الرَّدْي: الرّمي بالحجر، و هو المِرْداة.

(الفائق ١: ٨٥)

[في الحديث]: «... فأقبل أبوسفيان فقال: من رَداه؟ مَن رداه؟»، رَداه: رماه بحجر. (الفائق ١: ١٠١)

ابن الشّجريّ: تردّت: تفعّلت من الرّدَى، مصدر رَدِيَ يَردى، إذا هلك، و إن شئت أخذته من التّرَدّي الّذي هو السّقوط من عُلوّ؛ و منه المتردّية: الشّاة الّتي تسقط من جبل أو حائط أو في بئر فتموت، و منه: ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾ اللّيل: ١١، أي إذا سقط على رأسه في جهنّم.

(١: ٢٥)

المَدينيّ: في حديث ابن مَسعود: «من نصر قومه على غير الحقّ فهو كالبعير الّذي ردِيَ، فهو يُنْزَع بذَنَبه». أي تَرَدّى في موضع.

و معناه: أنّه قد وقع في الإثم و هلك، كالبعير إذا تَرَدّى في البئر فصار يُنْزَع بذَنَبه، فلايُقدَر على خلاصه.

و في حديث قُسّ: «تردّوا بالصّماصم»، أي صيّروها بمنزلة الأرْدِيَة. (١: ٧٥٣)

ابن بَرّيّ: المَرْدَى: «مَفْعَل» من الرَّدَى، و هو الهلاك. (ابن منظور ١٤: ٣١٩)

المِرْداء بالمدّ: موضع. (ابن منظور ١٤: ٣٢٠)

ابن الأثير: فيه: «أنّه قال في بعير تَرَدّى في بئر: ذَكِّه من حيث قَدَرْتَ».

«تَرَدّى» أي سقط. يقال: رَدَى و تَرَدّى لغتان، كأنّه تَفعّل، من الرّدَى: الهلاك، أي اذْبَحْه في أيّ موضع أمكن من بدنه إذا لم تتمكّن من نَحْره.

و في حديثه [ابن مَسعود] الآخر: «إنّ الرّجل ليتكلّم بالكلمة من سَخَط الله تُرْدِيه بُعْدَ ما بين السّماء و الأرض»، أي تُوقِعُه في مهلكة.

و في حديث ابن الأكوع: «فرَدَيْتُهُم بالحِجارة».

أي رَميتُهم بها. يقال: رَدَى يَرْدِي رَدْيًا، إذا رَمَى.

و المِرْدَى و المِرْداة: الحجر، و أكثر ما يقال في الحجر الثّقيل.

و في حديث عليّ: «مَن أراد البقاء و لابقاء فليُخفّف الرّداء. قيل: و ما خِفّة الرّداء؟ قال: قِلّة الدَّيْن». سُمّي رداء لقولهم: دَيْنُك في ذِمّتي، و في عُنقي، و لازم في رقبتي، و هو موضع الرّداء، و هو الثّوب، أو البُرْد الّذي يضَعُه الإنسان على عاتِقَيْه و بين كَتِفَيْه فوق ثيابه، و قد كثر في الحديث.

و سمّي السّيف رداء، لأنّ من تقلّده، فكأنّه قد تردّى به.

و منه الحديث: «نعْم الرّداء القَوْس» لأنّها تُحْمَل في موضع الرّداء من العاتِق. (٢: ٢١٦)

الصّغانيّ: أرْدَيْتُه: أهلَكْتُه و أعْنَتُّه.

(ثلاثة كتب في الأضداد: ٢٣٠)

الفَيّوميّ: و رَدَا يَرْدُو، من باب «علا» لغة، فهو رَدِيّ بالتّثقيل، و رَدِيَ رَدًى من باب «تعب»: هلك، و يتعدّى بالهمز.

و تَرَدّى في مَهْواة: سقط فيها، و رَدّيْتُه تردية، و نُهي عن الشّاة المتردّية، لأنّها ماتت من غير ذكاة. (١: ٢٢٥)

الفيروزاباديّ: رَدَى الفرس كرَمَى رَدْيًا و رَدَيانًا: رجَمَت الأرض بحوافرها، أو هو بين العَدْو و المشي، و أرْدَيْتُها. و الغراب: حجَل، و الجارية: رفعت رِجْلًا و مشت على أُخرى تلعب، و الشّيء: كسَرَه، و غنَمَه: زادت كأرْدَتْ، و فلانًا: صدمه، و بحجر: رماه به، و هو المِرْدَى، و فلان: ذهب، و في البئر: سقط، كتَرَدّى، و أرْداه غيره، و ردّاه.

و رَدِيَ كرَضِيَ ردًى: هلك، و أرْداه.

و الرِّداء: مَلْحَفة و موضع كالرِّداءة، و المِرْداة، و السّيف، و القوس، و العقل، و الجهل، و ما زان و ما شان؛ ضدّ، و الدَّيْن و الوشاح.

و تَرَدّت الجارية: توشّحت، و لبست الرّداء كارْتَدَت.

و هو غَمْرُ الرّداء: كثير المعروف واسعُه.

و خفيف الرّداء: قليل العيال و الدَّيْن.

و راداه: راوَدَه و داراه، و عن القوم: رمى عنهم بالحجارة.

و رجل رَدٍ: هالك، و هي: رَدِيَة.

و المُرْدِيّ بالضّمّ و الشّدّ: خشبة تُدْفَع بها السّفينة؛ جمعه: مَرادي.

و الرّادي: الأسد. و المرادي: الأُزُرُ، و قوائم الإبل و الفيل.

و الرِّداة: الصّخرة؛ جمعه: رَدًى. (٤: ٣٣٥)

الطُّرَيحيّ: ارْتَدَى و تَرَدّى: لبس الرِّداء.

و في الحديث: «إنّ أرْدِيَة الغزاة لسيوفهم»، سمّي السّيف رداء، لانّ من تقلّده فكأنّه قد تَرَدّى به.

و في الدّعاء: «أعوذ بك من الهوى المُرْدي»، أي المهلك.

و فيه: «أعوذ بك من مُرْدِيات سخطك»، أي ما يوجب الرّدى، أي الهلاك من سخطك.

و فيه: «لاتردّني في هلكة» أي لاتوقعني

في هلاك.

و فيه: «أعوذ بك من التّردّي» أي من الوقوع في الهلاك.

و في الحديث: «من تكلّم بكلمة من سخط الله تُرْديه بُعْد ما بين السّماء و الارض»، أي توقعه في مهلكة.

و فيه: «نهى عن الشّاة الـمُرْديّة»؛ و ذلك لأنّها ماتت من غير ذكاة.

و في حديث: بعض أزواج النّبيّ ﷺ «عِشاء اللّيل لعيْنك رَديّ»، أي ضارّ مضرّ.

و رَدِي بالكسر يَرْدَى، من باب «تعب»: هلك.

و رَدَا يَرْدُو، من باب «علا» لغة. (١: ١٨٢)

مَجْمَعُ اللُّغة: ١ ـ رَدِي في الهُوّة يَرْدَى ردًى: تهوّر فيها و انقلب.

و رَدِيَ يَرْدَى رَدًى: هلك.

٢ ـ أرْداهُ يُرْديه: أهلكه.

٣ ـ تَرَدّى: تهوّر، فانقلب في مَهْواة. (١: ٤٧١)

محمّد إسماعيل إبراهيم: رَدِيَ في الهُوّة: سقط، و رَدي: هلك، و المُرْديّ: المهلك، و أرْداه يُرْديه: أسقطه في المَرْدَى، أي المَهْلَك.

و تَرَدّى: هلك، و المتردّية: البهيمة الّتي سقطت من مرتفع فماتت، أو طاحت في بئر فهلكت، و هي محرّمة، لأنّها ماتت من غير ذبح. (١: ٢١٩)

محمود شيت: أرْدَى: أهلك. يقال: أرْداه قتيلًا.

رادَى عنه: دافع.

الرِّداء: السِّترة؛ جمعه: أرْدِيَة.

المـِرْديّ: خشبة طويلة يُنحّي بها المـَلّاح السّفينة عن الأرض؛ جمعه: مَرادي. (١: ٢٩٢)

المُصْطَفَويّ: و التّحقيق أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو الضّعة الشّديدة و السّقوط، و بهذه المناسبة قد ينطبق على الهلاكة و الموت.

و أمّا استعمالها في مفاهيم الذّهاب و الرّمي و الكسر و الصّدم: فبلحاظ معنى السّقوط و الضّعة، و بالنّظر إليه لا مطلقًا.

و أمّا المشي المخصوص برفع إحدى الرِّجْلَيْن و الوثوب بأخرى: فكأنّ الماشي بالوثوب يسقط على الأرض. و كذلك التّجاوز عن الخمسين، فإنّه سقوط في الجملة.

و قد سبق في مادّة «الرّدء» وجود الاشتقاق بينها و بين الرّدي. (٤: ١١١)

النُّصوص التّفسيريّة

فَتَرْدٰى

فَلَايَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَايُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوٰيهُ فَتَرْدٰى. طٰه: ١٦

ابن عبّاس: فتهلك. (٢٦٠)

مثله الثّعلبيّ (٦: ٢٤١)، و الواحديّ (٣: ٢٠٣)، و البغويّ (٣: ٢٥٨)، و ابن عَطيّة (٤: ٤٠)، و ابن الجوزيّ (٥: ٢٧٧)، و القرطبيّ (١١: ١٨٥)، و النّسفيّ (٣: ٥٠).

أبو عُبَيْدَة: فتهلك. يقال: رَدَيتَ، تقديرها: شَقَيتَ. (٢: ١٧)

ابن قُتَيْبَة: أي تُهلِك، و الرّدَى: الموت و الهلاك. (٢٧٨)

الطّبَريّ: يقول: فتهلك إن أنت انصددت عن التأهّب للسّاعة، و عن الإيمان بها، و بأنّ الله باعث الخلق لقيامها من قبورهم بعد فنائهم، بصدّ من كفر بها. (٨: ٤٠٤)

الزّجّاج: معناه فتهلك. يقال: رَدِي يَردَى ردًى، إذا هلك. (٣: ٣٥٣)

الماوَرْديّ: فيه وجهان:

أحدهما: فتشقى.

الثّاني: فتنزل. (٣: ٣٩٨)

الطّوسيّ: ﴿فَتَرْدٰى﴾ معناه فتهلك. يقال: رَدِي يَرْدَى ردًى، فهو رَدٍ، إذا هلك، أي إن صددت عن السّاعة بترك التّأهّب لها هلكت، و تَرَدّى: هلك بالسّقوط. (٧: ١٦٦)

نحوه الطّبْرِسيّ. (٤: ٦)

البَيْضاويّ: فتهلك بالانصداد. [أو] بصدّه. (٢: ٤٧)

نحوه الشّربينيّ (٢: ٤٥٤)، و الكاشانيّ (٣: ٣٠٣) و شُبّر (٤: ١٤٦).

أبو حَيّان: ﴿فَتَرْدٰى﴾ يجوز أن يكون منصوبًا على جواز النّهي[1]، و أن يكون مرفوعًا، أي فأنت تُرْدى. و قرأ يحيى (فتِرْدى) بكسر التّاء. (٦: ٢٣٣)

أبو السُّعود: أي فتهلك، فإنّ الإغفال عنها و عن تحصيل ما يُنجي عن أهوالها، مستتبع للهلاك لامحالة. و هو في محلّ النّصب على جواب النّهي، أو في محلّ الرّفع على أنّه خبر مبتدإ محذوف، أي فأنت تُرْدى. (٤: ٢٧٤)

نحوه الآلوسيّ. (١٦: ١٧٤)

البُرُوسَويّ: ﴿فَتَرْدٰى﴾ من الرّدى و هو الموت و الهلاك، أي فتهلك، فإنّ الإغفال عنها و عن تحصيل ما يُنجي من أحوالها مستتبع للهلاك لامحالة، و المراد بهذا النّهي الأمر بالاستقامة في الدّين، و هو خطاب له، و المراد غيره. (٥: ٣٧٢)

المُصْطَفَويّ: أي فتسقط عن مقامك، فإنّ ضعف الإيمان بالآخرة: صدّ عن السّلوك، و منع النّفس عن الكمال. (٤: ١١٢)

فضل الله: لأنّه يصل بك إلى الهلاك المحتوم في قضيّة المصير. (١٥: ١٠١)

أرْدٰيكُمْ

وَ ذٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذى ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ اَرْدٰيكُمْ فَاَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخاسِرينَ. فصّلت: ٢٣

ابن عبّاس: أهلككم. (٤٠٢)

مثله السُّدّيّ (٤٢٨)، و ابن قُتَيْبَة (٣٨٩)، و الثّعلبيّ (٨: ٢٩١)، و الطّوسيّ (٩: ١١٩)، و الواحديّ (٤: ٣٠)، و البغويّ (٤: ١٣١)، و الزّمَخْشَريّ (٣: ٤٥١)، و الشّربينيّ (٣: ٥١٤).

طرحكم في النّار. (الواحديّ ٤: ٣٠)

---

(١) كذا، و الظّاهر: جواب النّهي، و يؤيّده قول أبي السّعود: «و هو في محلّ النّصب على جواب النّهي».

الطَّبَريّ: ﴿أَرْدٰيكُمْ﴾ يعني أهلككم. يقال منه: أَرْدَى فلانًا كذا و كذا، إذا أهلكه، و رَدِي هو، إذا هلك، فهو يَرْدى رَدًى؛[ثمّ استشهد بشعر إلى أن قال:]

و موضع قوله: ﴿ذٰلِكُمْ﴾ رفعٌ بقوله ﴿ظَنُّكُمْ﴾. و إذا كان ذلك كذلك، كان قوله: ﴿أَرْدٰيكُمْ﴾ في موضع نصب بمعنى مُرديًا لكم. و قد يُحتَمل أن يكون في موضع رفع بالاستئناف، بمعنى مُردٍ لكم، كما قال: ﴿تِلْكَ آيٰاتُ الْكِتٰابِ الْحَكِيمِ * هُدىً وَ رَحْمَةً﴾ لقمان: ٢، ٣، في قراءة من قرأه بالرّفع.

فمعنى الكلام: هذا الظّنّ الّذي ظننتم بربّكم من أنّه لايعلم كثيرًا ممّا تعملون هو الّذي أهلككم، لأنّكم من أجل هذا الظّنّ اجترأتم على محارم الله فقدمتم عليها، و ركبتم ما نهاكم الله عنه، فأهلككم ذلك و أرداكم. (١١: ١٠٢)

الزّجّاج: ﴿وَ ذٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ﴾ مرفوع بخبر الابتداء، و ﴿أَرْدٰيكُمْ﴾ خبر ثان، و يجوز أن يكون ﴿ظَنُّكُمُ﴾ بدلًا من ﴿ذٰلِكُمْ﴾، و يكون المعنى: و ظنّكم الّذي ظننتم بربّكم أرداكم، و معنى ﴿أَرْدٰيكُمْ﴾: أهلككم. (٤: ٣٨٤)

نحوه النّسفيّ (٤: ٩٢)، و شبّر (٥: ٣٧٤)، و الآلوسيّ (٢٤: ١١٧).

ابن عَطيّة: قوله: ﴿أَرْدٰيكُمْ﴾ يصحّ أن يكون خبرًا بعد خبر. و جوّز الكوفيّون أن يكون في موضع الحال، و البصريّون لايجيزون وقوع الماضي حالًا إذا اقترن بـ« قد »، تقول: رأيت زيدًا قد قام،

و قد يجوز تقديرها عندهم و إن لم تظهر. و معنى ﴿أَرْدٰيكُمْ﴾: أهلككم، و الرّدى: الهلاك. (٥: ١٢)

الطَّبْرِسيّ: ﴿ذٰلِكُمْ﴾ مبتدأ، و ﴿ظَنُّكُمُ﴾ خبره. و ﴿أَرْدٰيكُمْ﴾ خبر ثان. و يجوز أن يكون ﴿ظَنُّكُمُ﴾ بدلًا من ﴿ذٰلِكُمْ﴾، و يكون المعنى: ظنّكم الّذي ظننتم بربّكم أنّه لايعلم كثيرًا ممّا تعملون أهلككم، إذ هوّن عليكم أمر المعاصي، و أدّى بكم إلى الكفر. (٥: ١٠)

نحوه المَراغيّ. (٢٤: ١٢٢)

القُرطُبيّ: أي أهلككم فأوردكم النّار. (١٥: ٣٥٣)

نحوه البُرُوسَويّ. (٨: ٢٥٠)

ابن عاشور: الإرداء: الإهلاك. يقال: رَدِي كرَضِي، إذا هلك، أي مات، و الإرداء: مستعار للإيقاع في سوء الحالة بحيث أصارهم مثل الأموات، فإنّ ذلك أقصى ما هو متعارف بين النّاس في سوء الحالة. و في الإتيان بالمسند فعلًا إفادة قصر، أي ما أرداكم إلّا ظنّكم ذلك، و هو قصر إضافيّ، أي لم تُردِكم شهادة جوارحكم حتّى تلوموها، بل أرداكم ظنّكم أنّ الله لايعلم أعمالكم، فلم تحذروا عقابه. (٢٥: ٤١)

مَغْنِيّة: إنّ هذا الاعتقاد الباطل هو الّذي قادكم إلى جهنّم و بئس المصير. و هذا ينطبق أيضًا على الّذين يؤمنون باليوم الآخر نظريًّا، و يكفرون به عمليًّا؛ حيث يستخفّون من النّاس و لايستخفّون من الله، بل هم أسوأ حالًا ممّن أنكر البعث و قدرة

الله، لأنّهم عصوا و هم على يقين بأنّ الله معهم يسمع و يرى، و أنّه لاتخفى عليه خافية في الأرض و لا في السّماء. (٦: ٤٨٦)

الطّباطبائيّ: الإرداء من الرّدى بمعنى الهلاك. و ﴿وَ ذٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ﴾ مبتدأ و خبر، و ﴿اَرْدٰيكُمْ﴾ خبر بعد خبر، و يمكن أن يكون ﴿ظَنُّكُمُ﴾ بدلًا من ﴿ذٰلِكُمْ﴾.

و معنى الآية على الأوّل: و ذلكم الظّنّ الّذي ذكر ظنّ ظننتموه لايغني من الحقّ شيئًا، و العلم و الشّهادة على حالها، أهلككم ذلك الظّنّ، فأصبحتم من الخاسرين.

و على الثّاني: و ظنّكم الّذي ظننتم بربّكم أنّه لايعلم كثيرًا ممّا تعملون أهلككم؛ إذ هوّن عليكم أمر المعاصي، و أدّى بكم إلى الكفر، فأصبحتم من الخاسرين. (١٧: ٣٨٤)

المصطفويّ: أي إنّ قولكم بأنّ الله لايعلم كثيرًا ممّا تعملون، أوجب طغيانكم و انحرافكم عن صراط الحقّ و الكمال. (٤: ١١٢)

فضل الله: فلم تنتبهوا إلى حالة اللّاواقعيّة و اللّاوعي الّتي تُبعدكم عن الإحساس بالواقع من كلّ جهاته، الأمر الّذي جعلكم تنحرفون عن الخطّ المستقيم. (٢٠: ١٠٩)

لِيُرْدُوهُمْ

﴿وَ كَذٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ اَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَ لِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ...﴾ الأنعام: ١٣٧

ابن عبّاس: ليهلكوهم. (١٢٠)

مثله السُّدّيّ (٢٥٢)، و الطّبريّ (٥: ٣٥٢)، و الثّعلبيّ (٤: ١٩٥)، و البغويّ (٢: ١٦٢)، و ابن عطيّة (٢: ٣٥٠)، و الطّبرسيّ (٢: ٣٧١).

ابن قُتَيْبَة: ليهلكوهم، و الرّدى: الهلاك. (١٦١)

الجُبّائيّ: و اللّام في قوله: ﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾ هي لام العاقبة، كما قال: ﴿فَالْتَقَطَهُ اٰلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَنًا﴾ القصص: ٨، لأنّهم لم يكونوا معاندين فيقصدوا أن يُردوهم و يلبسوا عليهم دينهم. (الطّوسيّ ٤: ٣١١)

الماوَرْديّ: أي ليهلكوهم، و منه قوله تعالى: ﴿وَ مَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُ اِذَا تَرَدّٰى﴾ الّيل: ١١، يعني إذا هلك.

و في ذلك وجهان:

أحدهما: أنّهم قصدوا أن يُردوهم بذلك، كما قصدوا إغواءهم.

و الثّاني: أنّهم لم يقصدوا ذلك و إنّما آل إليه فصارت هذه لام العاقبة، كقوله: ﴿فَالْتَقَطَهُ اٰلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَنًا﴾ القصص: ٨، لأنّ عاقبته صارت كذلك و إن لم يقصدوها. (٢: ١٧٥)

نحوه ابن الجَوْزيّ. (٣: ١٣٠)

الطُّوسيّ: الإرداء: الإهلاك. تقول: أرْداه يُرْديه إرْداءً، و رَدي يَرْدى رَدًى، إذا هلك، و تَرَدّى تردّيًا، و منه قوله: ﴿وَ مَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُ اِذَا تَرَدّٰى﴾ الّيل: ١١، و المراد به: الحجر يتردّى من رأس جبل.

[و نقل كلام الجُبّائيّ ثمّ قال:]

و قال غيره: يجوز أن يكون فيهم المعاند، و يكون ذلك على التّغليب. (٤: ٣١١)

الزّمخشريّ: ليهلكوهم بالإغواء. (٢: ٥٤)

مثله البَيْضاويّ (١: ٣٣٣)، و النّسفيّ (٢: ٣٥)، و أبوالسُّعود (٢: ٤٥٠)، و الكاشانيّ (٢: ١٦٠)، و البُرُوسَويّ (٣: ١١٠)، و شُبّر (٢: ٣١٩)، و الآلوسيّ (٨: ٣٤).

الفخرالرّازيّ: الإرداء في اللُّغة: الإهلاك، و في القرآن ﴿إنْ كِدْتَ لَتُرْدِين﴾ الصّافّات: ٥٦.

و اللّام هاهنا محمولة على لام العاقبة، كما في قوله: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ القصص: ٨. (١٣: ٢٠٦)

القُرطُبيّ: اللّام لام كي، و الإرداء: الإهلاك. (٧: ٩٤)

الشِّربينيّ: ليهلكوهم بذلك الفعل الّذي أمروهم به. (١: ٤٥١)

المَراغيّ: أي إنّهم زيّنوا لهم هذه المنكرات ليهلكوهم بالإغواء، و يفسدوا عليهم فطرتهم، فتنقلب عواطف وُدّ الوالدين من رأفة و رحمة إلى قَسْوة و وحشيّة، فينحر الوالد ولده و يدفن بنته الضّعيفة بيده، و هي حيّة. (٨: ٤٤)

ابن عاشور: اللّام في: ﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾ لام العاقبة إن كان المراد بالشّركاء الأصنام، أي زيّنوا لهم ذلك قصدًا لنفعهم، فانكشف عن أضرار جهلوها.

و إن كان المراد بالشّركاء الجنّ، أي الشّياطين، فاللّام للتّعليل، لأنّ الإيقاع في الشّرّ من طبيعة الوسواس، لأنّه يستحسن الشّرّ و ينساق إليه انسياق العقرب للّسْع، من غير قصد إلى كون ما يدعونهم إليه مُرديًا و مُلْبسًا، فإنّهم أولياؤهم لايقصدون إضرارهم، و لكنّهم لمّا دعوهم إلى أشياء هي في نفس الأمر مضارّ، كان تزيينهم مُعلّلًا بالإرداء و الإلباس و إن لم يفقهوه، بخلاف من دعا لسبب فتبيّن خلافه، و الضّمير للشّركاء و التّعليل للتّزيين.

و الإرداء: الإيقاع في الرّدى، و الرّدَى: الموت، و يستعمل في الضّرّ الشّديد مجازًا، أو استعارة، و ذلك المراد هنا. (٧: ٧٨)

مَغْنِيّة: الواو يعود الى الكهنة و من إليهم، و ضمير (هُمْ) يعود إلى المشركين، و الرّدّ هنا معناه: الهلاك، و اللّبس: الخلط، و اللّام للعاقبة. و المعنى: إنّ الكهنة زيّنوا للمشركين أعمالهم، فكانت نتيجة هذا التّزيّن هلاك المشركين، و ضياعهم عن الحقّ و الدّين القويم. (٣: ٢٧٠)

الطّباطَبائيّ: الإرداء: الإهلاك، و المراد به إهلاك المشركين بالكفر بنعمة الله و البغي على خلقه، و خلط دينهم عليهم بإظهار الباطل في صورة الحقّ، فضمير (هُمْ) في المواضع الثّلاث جميعًا راجع إلى كثير من المشركين.

و قيل: المراد به: الإهلاك بظاهر معنى القتل، و لازمه رجوع أوّل الضّمائر إلى الأولاد، و الثّاني و الثّالث إلى الكثير أو الجميع إلى المشركين بنوع

من العناية، و معنى الآية ظاهر. (٧: ٣٦١)

المُصْطَفَويّ: شركاءهم الّذين يجعلونهم شركاء في أمورهم و أعمالهم، و مؤثّرين فيها من الإنس و الجنّ، و كذلك مؤثّرين في عامّة الأمور، راجع الشّرك. فإنّهم يلقون إليهم ما يخالف الصّلاح و الحقّ، و يُضلّونهم عن الصّراط و دينهم الحقّ، بتغيير خلق اللّه، و تحريف ما وجب لهم تكوينًا و تشريعًا، فيسقطونهم عمّاهم. (٤: ١١٢)

لَتُرْدِين

قَالَ تَاللّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ. الصّافّات: ٥٦

ابن عبّاس: لتُغوين عن الدّين، و تهلكني لو أطعتك. (٣٧٦)

السُّدّيّ: لتهلكني، يقال منه: أرْدَى فلان فلانًا، إذا أهلكه، و رَدَى فلان، إذا هلك. [ثمّ استشهد بشعر] (الطّبريّ ١٠: ٤٩٢)

نحوه الزّجّاج (٤: ٣٠٦)، و النّحّاس (٦: ٣١).

مُقاتِل: لتُغوين، فأنزل، منزلتك في النّار. (٣: ٦٠٨)

الكِسائيّ: أي لتهلكني. (القُرطُبيّ ١٥: ٨٤)

ابن قُتَيْبَة: أي لتهلكني. يقال: أرْدَيْتُ فلانًا، أي أهلكته، و الرَّدَى: الموت و الهلاك. (٣٧١)

الطّبَريّ: يقول: فلمّا رأى قرينه في النّار قال: تاللّه إن كدت في الدّنيا لتهلكني بصدّك إيّاي عن الإيمان بالبعث و الثّواب و العقاب. (١٠: ٤٩٢)

نحوه الفخر الرّازيّ (٢٦: ١٣٩)، و الشّربينيّ (٣: ٣٧٨)، و المَراغيّ (٢٣: ٦٠).

الثّعلبيّ: ما أردتُ إلّا أن تهلكوا، و أصله من التّردّي. (٨: ١٤٥)

الماوَرْديّ: هذا قول المؤمن في الجنّة لقرينه في النّار، و فيه وجهان:

أحدهما: [قول السُّدّيّ]

الثّاني: لتباعدني من اللّه تعالى، قاله يحيى. (٥: ٥٠)

الطُّوسيّ: معنى ﴿لَتُرْدِينِ﴾: لتُهلكني كهلاك المتردّي من شاهق؛ و منه قوله: ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾ اللّيل: ١١، و تقول رَدِي يَرْدَى، إذا هلك، و أرْداه غيره إرْداءً، إذا أهلكه. (٨: ٤٩٩)

الواحديّ: الإرداء: الإهلاك، و من أغوى إنسانًا فقد أهلكه. (٣: ٥٢٦)

نحوه البغويّ. (٤: ٣٢)

الزّمَخْشَريّ: و الإرداء: الإهلاك. و في قراءة عبد اللّه: (لتُغوين). (٣: ٣٤١)

نحوه القُرطُبيّ (١٥: ٨٤)، و البَيْضاويّ (٢: ٢٩٣)، و النّسَفيّ (٤: ٢١)، أبو السُّعود (٥: ٣٢٧)، و الكاشانيّ (٤: ٢٦٩)، و شُبّر (٥: ٢٥٢) و الآلوسيّ (٢٣: ٩٣).

ابن عَطيّة: أي لتهلكني بإغوائك، و الرّدى: الهلاك. [ثمّ استشهد بشعر]

و في مصحف عبد اللّه بن مَسعود (إنْ كِدْتَ لَتُغْوين) بالواو من الغيّ، و ذكرها أبو عمرو الدّانيّ بالرّاء من الإغراء، و التّاء في هذا كلّه مضمومة. (٤: ٤٧٤)

الطَّبْرِسيّ: هذه (إنْ) المخفّفة من الثّقيلة، بدلالة مصاحبة لام الابتداء لها في قوله: ﴿لَتُرْدِينِ﴾، أقسم بالله سبحانه على وجه التّعجّب، إنّك كدت تهلكني بما قلته لي، و دعوتني إليه، حتّى يكون هلاكي كهلاك المتردّي من شاهق. و منه قوله: ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾ اللّيل: ١١، أي تردّى في النّار. (٤: ٤٤٤)

أبو حَيّان: أي لتهلكني بإغوائك، و (إنْ) مخفّفة من الثّقيلة يلقى بها القسم، و ﴿تَاللهِ﴾ قسم فيه التّعجّب من سلامته منه، إذا كان قرينه قارب أن يُرْديه. (٧: ٣٦٢)

البُرُوسَويّ: أي لتهلكني بالإغواء، و الرّدى: الهلاك، و الإرداء: الإهلاك، و أصله: تردينى بياء المتكلّم، فحذفت اكتفاءً بالكسرة. (٧: ٤٦٢)

ابن عاشور: جملة ﴿قَالَ تَاللهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ﴾ مستأنفة استئنافًا بيانيًّا، لأنّ وصف هذه الحالة يُثير في نفس السّامع أن يسأل فماذا حصل حين اطّلع؟ فيجاب بأنّه حين رأى قرينه أخذ يوبّخه على ما كان يحاوله منه، حتّى كاد أن يُلقيه في النّار مثله. و هذا التّوبيخ يتضمّن تنديمه على محاولة إرجاعه عن الإسلام.

و القسَم بالتّاء من شأنه أن يقع فيما جواب قسَمِه غريب، كما تقدّم في قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَاللهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ﴾ في سورة يوسف: ٧٣، و قوله: ﴿وَتَاللهِ لَاَكِيدَنَّ اَصْنَامَكُمْ﴾ في سورة الأنبياء: ٥٧، و محلّ الغرابة هو خلاصه من شبكة قرينه، و اختلاف حال عاقبتيهما، مع ما كانا عليه من شدّة الملازمة و الصُّحبة، و ما حفّه من نعمة الهداية، و ما تورّط قرينه في أوحال الغواية.

و (إنْ) مخفّفة من الثّقيلة، و اتّصل بها الفعل النّاسخ على ما هو الغالب في أحوالها إذا أهملت. و اللّام الدّاخلة على خبر «كاد» هي الفارقة بين (إنْ) المخفّفة و النّافية. و «تُرْديني»: تُوقِعُني في الرّدى، و هو الهلاك، و أصل الرّدى: الموت، ثمّ شاعت استعارته لسوء الحال تشبيهًا بالموت، لما شاع من اعتبار الموت أعظم ما يصاب به المرء.

و المعنى: أنّك قاربت أن تفضي بي إلى حال الرّدى بإلحاحك في صرفي عن الإيمان بالبعث، لفرط الصّحبة. و لولا نعمة هداية الله و تثبيته، لكنت من المحضَرين معك في العذاب.

و قرأ الجمهور ﴿لَتُرْدِينِ﴾ بنون مكسورة في آخره دون ياء المتكلّم على التّخفيف، و هو حذف شائع في الاستعمال الفصيح، و هو لغة أهل نجد. و كُتب في المصاحف بدون ياء. و قرأه وَرْش عن نافع بإثبات الياء، و لا ينافي رسم المصحف، لأنّ كثيرًا من الياءات لم تُكتب في المصحف. و قرأ القرّاء بإثباتها، فإنّ كتّاب المصحف قد حذفوا مدودًا كثيرة من ألفات و ياءات. (٢٣: ٣٥)

مَغْنِيّة: أي تهلكني و توقعني في الشّكّ، بوسوستك و شكوكك. (٦: ٣٤١)

الطَّباطَبائيّ: الإرداء: السّقوط من مكان عال كالشّاهق، و يُكنّى به عن الهلاك، و المعنى: أقسم بالله

إنّك قربت أن تهلكني و تسقطني فيما سقطت فيه من الجحيم. (١٧: ١٣٨)

نحوه مكارم الشّيرازيّ. (١٤: ٢٩٤)

فضل الله: تلقيني في هاوية الهلاك، و تدفعني إلى التّشكيك في عقيدتي أو في إنكارها. (١٩: ١٩٤)

تَرَدّٰى

وَ مَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدّٰى. الّيل: ١١

ابن عبّاس: إذا مات، و يقال: إذا تردّى في النّار. (٥١٣)

نحوه الزّجّاج. (٥: ٣٣٦)

مُجاهِد: إذا مات فتردّى في قبره.

مثله قَتادَة. (الماوَرْديّ ٦: ٢٨٩)

الإمام الباقر عليه السلام: يعني في نار جهنّم. (الطّوسيّ ١٠: ٣٦٤)

نحوه قَتادَة (الطّبَريّ ١٢: ٦١٧)، و أبو صالح، و زَيد بن أسلم (الماوَرْديّ ٦: ٢٨٩).

قَتادَة: هو لحد في جهنّم.

مثله أبو صالح. (الثّعلبيّ ١٠: ٢١٨)

ابن قُتَيْبَة: ﴿تَرَدّٰى﴾ في النّار، أي سقط. و يقال: ﴿تَرَدّٰى﴾: «تفعّل» من الرّدى، و هو الهلاك. (٥٣١)

الطّبَريّ: اختلف أهل التّأويل في تأويل قوله: ﴿إِذَا تَرَدّٰى﴾، فقال بعضهم: تأويله: إذا تردّى في جهنم، أي سقط فيها فهَوى.

و قال آخرون: بل معنى ذلك: إذا مات.

و أولى القولين في ذلك بالصّواب قول من قال: معناه: إذا تردّى في جهنّم، لأنّ ذلك هو المعروف من التّردّي. فأمّا إذا أُريد معنى الموت، فإنّه يقال: رَدِيَ فلان، و قلّما يقال: تردّى. (١٢: ٦١٧)

الماوَرْديّ: فيه وجهان: [إلى أن قال:]

و يحتمل ثالثًا: إذا تردّى في ضلاله، و هوى في معاصيه. (٦: ٢٨٩)

الواحديّ: مات و هلك. (٤: ٥٠٤)

الزّمَخْشَريّ: «تفعّل» من الرّدى، و هو الهلاك، يريد الموت، أو تردّى في الحفرة إذا قبر، أو تردّى في قعر جهنّم. (٤: ٢٦١)

نحوه البَيْضاويّ (٢: ٥٦٢)، و النّسَفيّ (٤: ٣٦٢)، و أبو السُّعود (٦: ٤٣٧)، و البُرُوسَويّ (١٠: ٤٤٩).

ابن عَطيّة: ...و قال قوم: معناه: تردّى بأكفانه من الرّداء. [ثمّ استشهد بشعر] (٥: ٤٩١)

الفَخْر الرّازيّ: و أمّا ﴿تَرَدّٰى﴾ ففيه وجهان:

الأوّل: أن يكون ذلك مأخوذًا من قولك: تردّى من الجبل، قال الله تعالى: ﴿وَ الْمُتَرَدِّيَةُ وَ النَّطِيحَةُ﴾ المائدة: ٣، فيكون المعنى: تردّى في الحفرة إذا قبر، أو تردّى في قعر جهنّم، و تقدير الآية: إنّا إذا يسّرناه للعسرى، و هي النّار تردّى في جهنّم، فماذا يغني عنه ماله الّذي بخل به و تركه لوارثه، و لم يصحبه منه إلى آخرته الّتي هي موضع فقره و حاجته شيء، كما قال: ﴿وَ لَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادٰى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ اَوَّلَ مَرَّةٍ وَ تَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ الأنعام:

٩٤. و قال: ﴿وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ مريم: ٨٠ أخبر أنّ الّذي ينتفع الإنسان به هو ما يقدّمه الإنسان من أعمال البرّ و إعطاء الأموال في حقوقها، دون المال الّذي يخلفه على ورثته.

الثّاني: أنّ ﴿تَرَدّى﴾ تفعّل، من الرّدى و هو الهلاك، يريد الموت. (٣١: ٢٠٢)

شُبّر: قال: و الله ما تردّى من جبل و لا من حائط، و لا في بئر، و لكن تردّى في نار جهنّم. (٦: ٤١٩)

ابن عاشور: و التّردّي: السّقوط من علوّ إلى سفل، يعني: لا يغني عنه ماله الّذي بخل به شيئًا من عذاب النّار. (٣٠: ٣٤٢)

مَغْنِيّة: المراد بالتّردّي: السّقوط في حضيض الرّذائل و القبائح. (٧: ٥٧٤)

الطّباطبائيّ: التّردّي هو السّقوط من مكان عال، و يُطلَق على الهلاك، فالمراد: سقوطه في حفرة القبر أو في جهنّم أو هلاكه. (٢٠: ٣٠٣)

نحوه عبد الكريم الخطيب (١٥: ١٥٩٥)، و مكارم الشّيرازيّ (٢٠: ٢٣٧)، و فضل الله (٢٤: ٢٩٦).

المُصطَفَوي: أي سقط عن صراط الحقّ و السّعادة إلى حفرة النّار و العذاب و الشّقاء. و «التّفعّل» يدلّ على المطاوعة للتّفعيل، فيكون إشارة إلى كون السّقوط بانتخابهم و سوء اختيارهم. (٤: ١١٢)

المُتَرَدِّيَةُ

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ... المائدة: ٣

ابن عبّاس: هي الّتي تتردّى من جبل أو من بئر فتموت. (٨٨)

نحوه السُّدّيّ (٢٢٢)، و أبو عُبَيْدَة (١: ١٥١)، و السّجستانيّ (٤٩)، و الماوَرْديّ (٢: ١١)، و الطُّوسيّ (٣: ٤٣٠)، و الواحديّ (٢: ١٥١)، و البغويّ (٢: ١٠)، و الزّمَخْشَريّ (١: ٥٩٢)، و البَيْضاويّ (١: ٢٦١)، و النّسَفيّ (١: ٢٦٩)، و أبو السُّعود (٢: ٢٣٧)، و شُبّر (٢: ١٣٩)، و الآلوسيّ (٦: ٥٧)، و ابن عاشور (٥: ٢٢)، و الطّباطبائيّ (٥: ١٦٥)، و مكارم الشّيرازيّ (٣: ٥٢١)، و فضل الله (٨: ٣٢).

الضّحّاك: الّتي تخرّ في ركيّ، أو من رأس جبل، فتموت. (الطّبَريّ ٤: ٤٠٩)

قَتادَة: كانت تتردّى في البئر فتموت، فيأكلونها. (الطّبَريّ ٤: ٤٠٩)

الفَرّاء: ما تردّى من فوق جبل أو بئر، فلم تُدرك ذكاته. (١: ٣٠١)

ابن قُتَيْبَة: الواقعة من جبل أو حائط أو في بئر. يقال: تردّى، إذا سقط. (١٤٠)

الطّبَريّ: يعني بذلك جلّ ثناؤه: و حرّمت عليكم الميتة تردّيًا من جبل أو في بئر، أو غير ذلك. و تردّيها: رميها بنفسها من مكان عالٍ مشرف إلى

سُفله. (٤: ٤٠٩)

القُمّيّ: ﴿الْمُتَرَدِّيَةُ﴾: كانوا يشدّون عينها و يلقونها من السّطح، فإذا ماتت أكلوها. (١: ١٦١)

القُشَيْريّ: الإشارة من المتردّية إلى من هلك في أودية التّفرقة، و عمي عن استبصار رشد الحقيقة، فهو يهيم في مفاوز الظّنون، و يتهك في متاهات المنى. (٢: ٩٥)

ابن عَطيّة: هي الّتي تتردّى من العُلْو إلى السّفل فتموت، كان ذلك من جبل أو في بئر ونحوه، هي متَفعِّلَة من الرّدى و هو الهلاك. و كانت الجاهليّة تأكل المتردّي، و لم تكن العرب تعتقد ميتة إلّا ما مات بالوجع ونحو ذلك، دون سبب يُعرَف. فأمّا هذه الأسباب فكانت عندها كالذّكاة، فحصر الشّرع الذّكاة في صفة مخصوصة، و بقيت هذه كلّها ميتة. (٢: ١٥١)

الفَخْرالرّازيّ: و المتردّي هو الواقع في الرّدى و هو الهلاك، قال تعالى: ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾ الّيل: ١١، أي وقع في النّار، و يقال: فلان تَرَدّى من السّطح، فالمتردّية هي الّتي تسقط من جبل أو موضع مُشرف فتموت.

و هذا أيضًا من الميتة، لأنّها ماتت و ما سال منها الدّم، و يدخل فيه ما إذا أصابه سهم و هو في الجبل فسقط على الأرض، فإنّه يحرم أكله، لأنّه لا يُعلَم أنّه مات بالتّردّي أو بالسّهم. (١١: ١٣٣)

نحوه القُرطُبيّ (٦: ٤٩)، و النّيسابوريّ (٦: ٣٧)، و البُرُوسَويّ (٢: ٣٤١).

الشِّربينيّ: أي السّاقطة من عُلوّ، بأن سقطت من جبل أومشرف أو في بئر فماتت، ولو رمى صيدًا في الهواء بسهم فأصابه فسقط على الأرض و مات حلّ، لأنّ الوقوع على الأرض من ضرورته. و إن سقط على جبل أو شجر ثمّ تردّى منه فمات لم يحلّ، لأنّه من المتردّية، إلّا أن يكون السّهم ذبحه في الهواء، فيحلّ كيفما وقع، لأنّ الذّبح قد حصل قبل التّردية. (١: ٣٥٢)

المَراغيّ: هي الّتي تقع من مكان مرتفع كجبل، أو منخفض كبئر و نحوها فتموت، و هي في حكم الميتة، لأنّه لم يكن للإنسان عمل في إماتتها، و لاقصد به إلى أكلها. (٦: ٥٠)

المُصْطَفَويّ: أي الميتة بسبب السّقوط من مكان عال إلى السّفل. و التّعبير بـ«التّفعّل»، فإنّ الأغلب سقوط الحيوان بسوء اختياره و بنفسه، لابالإسقاط و الإلقاء. (٤: ١١٢)

الأُصول اللُّغويّة

١ ـ الأصل في هذه المادّة: الرَّدْي، أي عَدْو الفرس. يقال: رَدَى الفرس يَرْدي رَدْيًا و رَدَيانًا، إذا رجم الأرض رجمًا بين العَدْو و المشي الشّديد.

و رَدَت الخيل رَدْيًا و رَدَيانًا: رجمت الأرض بحوافرها في سيرها و عَدْوها، و أرداها هو.

و الرَّدَيان: مشي الحمار من آريّه إلى متمعّكه.

و رَدَى الغراب يَرْدي: حجَل.

و رَدَى الغلام، إذا رفع إحدى رجْلَيه و قفز

بالأخرى.

و الجواري يَرْدين رَدْيًا، إذا رفعن رجْلًا و مشين على رِجْل أخرى يلعبن، و كلّ ذلك على التّشبيه.

و الرّدي: أن تأخذ صخرة أو شيئًا صُلبًا ثُـرْدي به حائطًا أو شيئًا صُلبًا فتكسره. يقال: رَدَيتُ الحجر بصخرة أو بمعول، إذا ضربته بها لتكسره.

و الرُّداة: الصّخرة؛ و الجمع: الرُّدى.

و المِرْداة: صخرة تكسر بها الحجارة؛ و الجمع: المَرادي.

و المِرْداة و المِرْدى: الحجر الثّقيل.

و المِرْداة: الحجر ترمي به؛ و منه قولهم في المَثَل: «عند جحر كلّ ضبّ مِرْداته»، يُضرَب مثلًا للشّيء العتيد ليس دونه شيء.

و المِرْدى: حجر يُرْمى به؛ و منه قيل للرّجل الشّجاع: إنّه لمِرْدى حروب، و هم مَرادي الحروب.

و فلان مِرْدى خصومة و حرب: صبور عليهما.

و راديتُ عن القوم مُراداةً، إذا رميتَ بالحجارة.

و المُرْديّ: خشبة تدفع بها السّفينة، تكون في يد الملّاح؛ و الجمع: المَرادي، على التّشبيه بالمِرْدى.

و المَرادي: القوائم من الإبل و الفيلة على التّشبيه. تسمّى قوائم الإبل مَرادي لثقلها و شدّة وطئها.

و المَرادي: المَرامي.

و الرَّدى: الهلاك. يقال: رَدِي يَرْدى رَدًى، أي هلك فهو رَدٍ. و أرْدَيتُه: أهلَكتُه، و كأنّه رُمي بحجر فهلك.

و الرَّدِي: الهالك، و المرأة رَدِيَة.

و المَرْدى: «مَفعَل» من الرَّدى، أي الهلاك.

و الرَّدى: السّقوط من شُرف. يقال: رَدِي فلان في القليب يَرْدى، و تَرَدّى من الجبل تردّيًا.

و رَدِي في الهوّة رَدًى و تردّى: تَدَهْوَر.

و أرداه الله و ردّاه فتَرَدّى: قلبه فانقلب.

و ما أدري أين رَدَى؟ أي أين ذهب. قال ابن فارس: «و هو من الباب، معناه: ما أدري أين رمى بنفسه»؟

٢ ـ أمّا الرِّداء فهو «فِعال» من «ر د أ»، لأنّ همزته أصليّة و ليست منقلبة عن الياء بدليل الاشتقاق، غير أنّه اشتقّ منه فعل يائيّ، كما تقدّم.

و الرَّدْي و الإرْداء: الزّيادة. يقال: رَدَى على المائة يَرْدي، و أرْدَى يُرْدي، أي زاد. و هي لغة فيه، و أصله الهمز، كما في «ر د أ»، لأنّ أغلب العرب يميلون إلى تسهيل الهمزة للخفّة، و نظائره كثيرة في اللّغة.

الاستعمال القرآنيّ

إنّها جاءت من المجرّد مضارعًا (تَرْدى) مرّة، و من المزيد من باب الإفعال ماضيًا مرّة: (أَرْديكُمْ)، و مضارعًا مرّتين (لَتُرْدِين) و (لِيُرْدُوهُمْ)، و من باب التّفعّل ماضيًا مرّة (تَرَدّى)، و اسم الفاعل مرّة (مُتَرَدّيَة) في ٦ آيات:

و يلاحظ أوّلًا: أنّ من هذه الآيات السّتّ آيتين

في المشركين، و آية في التّشريع، و ثلاث آيات في السّاعة:

المشركين:

١ـ ﴿وَ كَذٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَ لِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَ لَوْ شَاءَ اللهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَ مَا يَفْتَرُونَ﴾ الأنعام: ١٣٧

٢ـ ﴿وَ أَمَّا مَنْ بَخِلَ وَ اسْتَغْنٰى * وَ كَذَّبَ بِالْحُسْنٰى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرٰى * وَ مَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدّٰى﴾ اللّيل: ٨ـ١١

التّشريع:

٣ـ ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَ الدَّمُ وَ لَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَ مَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ وَ الْمُنْخَنِقَةُ وَ الْمَوْقُوذَةُ وَ الْمُتَرَدِّيَةُ وَ النَّطِيحَةُ وَ مَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَ مَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَ أَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذٰلِكُمْ فِسْقٌ اَلْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَ اخْشَوْنِ اَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ المائدة: ٣

السّاعة:

٤ـ ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزٰى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعٰى * فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَ اتَّبَعَ هَوٰيهُ فَتَرْدٰى﴾ طٰه: ١٥، ١٦

٥ـ ﴿فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ * قَالَ تَاللهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ﴾ الصّافّات: ٥٥، ٥٦

٦ـ ﴿وَ ذٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدٰيكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ فصّلت: ٢٣

و في كلّ منها بُحُوثٌ:

المشركون آيتان:

الأولى: الآية: ١٣٧، من سورة الأنعام: ﴿وَ كَذٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ...﴾:

١ـ هذه من جملة آيات في ما حرّم المشركون على أنفسهم، و ما جعلوه لشركائهم بدءً من الآية: ١٣٦، ﴿وَ جَعَلُوا لِلّٰهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَ الْأَنْعَامِ نَصِيبًا...﴾، و ختمًا بالآية: ١٤٠، و ما بعدها من الآيات إلى آخر السّورة، و هذه الآية خاصّة بما زيّن لهم شركاؤهم قتل أولادهم.

٢ـ قالوا في ﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾: ليهلكوهم، و أنّ اللّام فيه لام العاقبة، كما قال تعالى: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَنًا﴾ القصص: ٨، لأنّهم لم يكونوا معاندين، فيقصدوا أن يُردوهم و يلبسوا عليهم دينهم. و ذكر الماوَرْديّ فيه وجهين، فلاحظ.

٣ـ و قال الطَّبْرسيّ (٢: ٣٧١) في «اللّغة»: «الإرداء: الإهلاك. و ردي يَردى ردًى، إذا هلك. و تَرَدّى تَرَدّيًا. و المرادة: الحجر يَتَرَدّى من رأس الجبل».

٤ـ و قال في «المعنى»: «ثمّ بيّن الله خصلة أخرى من خصالهم الذّميمة، فقال: «﴿وَ كَذٰلِكَ﴾ أي و كما جعل أولئك في الحرث و الأنعام ما لايجوز

كذلك ﴿زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ أي مشركي العرب ﴿قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ﴾ يعني الشّياطين الّذين زيّنوا لهم قتل البنات، و وأدهنّ أحياء خيفة العيلة، و الفقر، و العار، عن الحسَن، و مُجاهِد، و السُّدّيّ.

و قيل: إنّ المزيّنين لهم ذلك قوم كانوا يخدمون الأوثان، عن الفرّاء، و الزّجّاج.

و قيل: هم الغُواة من النّاس.

و قيل: كان السّبب في تزيين قتل البنات أنّ النّعمان بن المنذر أغار على قوم فسبى نساءهم، و كان فيهنّ بنت قيس بن عاصم، ثمّ اصطلحوا، فأرادت كلّ امرأة منهنّ عشيرتها، غير ابنة قيس، فإنّها أرادت مَنْ سباها، فحلف قيس لا يولد له بنت إلّا وأدها، فصار ذلك سنّة فيما بينهم.

﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾ أي يهلكوهم، و اللّام لام العاقبة [إلى آخر ما ذُكر] عن أبي عليّ الجُبّائيّ.

و قال غيره: يجوز أن يكون فيهم المعاند، فيكون ذلك على التّغليب.

﴿وَ لِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾ أي يخلطوا عليهم، و يدخلوا عليهم الشّبهات فيه». ثمّ أدام تفسير الآية.

و الثّانية: الآية: ٨، من سورة اللّيل: ﴿وَ مَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدّٰى﴾:

١ ـ و قبلها: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطٰى وَ اتَّقٰى... وَ أَمَّا مَنْ بَخِلَ وَ اسْتَغْنٰى * وَ كَذَّبَ بِالْحُسْنٰى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرٰى * وَ مَا يُغْنِي عَنْهُ...﴾.

فقد قسّم الله النّاس بعد قوله: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتّٰى﴾ إلى قسمين: من أعطى و اتّقى، و من بَخِل و استغنى، و ذكر جزاء كلّ منهما، فقوله: ﴿وَ مَا يُغْنِي عَنْهُ...﴾، جزاء من كذّب و استغنى.

٢ ـ و قال ابن قُتَيْبَة: «و يقال: ﴿تَرَدّٰى﴾ تفعّل من الرّدى، و هو الهلاك».

٣ ـ و قال الطَّبْرِسيّ (٥: ٢ - ٥٠) في «المعنى»: «أي سقط في النّار، عن قَتادة و أبي صالح.

و قيل: إذا مات و هلك، عن مُجاهِد.

و قيل للحسَن: إنّ فلانًا جمع مالًا. فقال: هل جمع لذلك عمرًا ؟ قالوا: لا. قال: فما تصنع الموتى بالأموال».

٤ ـ و قال الزّمَخْشَريّ: «يريد الموت، أو تردّى في الحُفْرة إذا قُبر، أو تَرَدّى في قعر جهنّم».

٥ ـ و قد ذكر الفخر الرّازيّ فيه وجهين، فلاحظ.

و أمّا التّشريع فالآية الثّالثة من سورة المائدة: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ... وَ الْمُتَرَدِّيَةُ...﴾:

١ ـ و في الآية قبلها ذكر ما حرّم المشركون على أنفسهم من شعائر الله و الشّهر الحرام و غيرهما. فهذه كالمستثنى ممّا قد حرّمه الله تعالى، فهي أيضًا راجعة إلى المشركين بوجه من الوجُوه.

٢ ـ قالوا في ﴿الْمُتَرَدِّيَةُ﴾: هي الّتي تُرَدّى من جبل أو من بئر فتموت.

و قال القُمّيّ: «كانوا يشدّون عينها و يلقونها من السّطح، فإذا ماتت أكلوها».

و قال الفخر الرّازيّ: و المتردّي هو الواقع في الرّدى و هو الهلاك...».

٣ـ و قال الطّبرسيّ (٣: ١٥٦) في «اللّغة»: «الرّدى: الهلاك، و التّردّي: التّهوّر»، ثمّ ذكر معاني سائر الألفاظ في الآية.

٤ـ وقال في «المعنى»: «و ﴿الْمُتَرَدِّيَةُ﴾ و هي الّتي تقع من جبل، أو مكان عال، أو تقع في بئر فتموت، عن ابن عبّاس، و قتادة، و السّدّيّ. و متى وقع في بئر، و لايقدر على تذكيته، جاز أن يُطعَن و يُضرَب بالسّكّين في غير المذبح، حتّى يبرد، ثمّ يؤكل».

و أمّا آيات الآخرة: فالأولى: الآية: ١٦، من سورة طٰه: ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوٰيهُ فَتَرْدٰى﴾:

١ـ هذه من تتمّة ما قبلها: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ اٰتِيَةٌ اَكَادُ اُخْفِيهَا لِتُجْزٰى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعٰى﴾، تقول: إذا كانت السّاعة آتية فلايصرفك عنها من لايؤمن بها، و الّذي اتّبع هواه فهلك.

٢ـ قالوا: الرّدى: الهلاك، و الموت، و الشّقاء.

٣ـ و قال الماوَرْديّ: «فيه وجهان: أحدهما: فتشقى. الثّاني: فتنزل».

٤ـ و قال الطّبرسيّ (٤: ٤) في «اللّغة»: «و الرّدى: الهلاك. وردي يَرْدى ردًى: إذا هلك. وتردّى بمعناه».

٥ـ و قال في «المعنى» ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا﴾: «أي لايصرفنّك عن الصّلاة من لايؤمن بالسّاعة.

و قيل: معناه: لا يمنعك عن الإيمان بالسّاعة من لايؤمن بها.

و قيل: عن العبادة، و دعاء النّاس إليها.

وقيل: عن هذه الخصال.

﴿وَاتَّبَعَ هَوٰيهُ﴾ والهوى ميل النّفس إلى الشّيء، و معناه: و من بنى الأمر على هوى النّفس دون الحقّ؛ وذلك أنّ الدّلالة قد قامت على قيام السّاعة.

﴿فَتَرْدٰى﴾ أي فتهلك كما هلك، أي إن صددت عن السّاعة بترك التّأهّب لها هلكت...».

٥ ـ و إنّما قال: فلايصدّنّك عن الصّلاة، لأنّ قبلها خطاب إلى موسى عليه السلام: ﴿وَاَقِمِ الصَّلٰوةَ لِذِكْرِى﴾.

و الثّانية: الآية: ٢٣، من سورة فصّلت: ﴿وَذٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِى ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ اَرْدٰيكُمْ...﴾:

١ ـ هذه من تتمّة آيات الحشر بدء من الآية: ١٩، ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ اَعْدَاءُ اللهِ اِلَى النَّارِ...﴾، و ختمًا بالآية: ٢٥، ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ...﴾.

٢ـ و تقول هذه الآيات: إنّ أعداء الله يوم الحشر تشهد عليهم سمعهم و أبصارهم و جلودهم بما كانوا يعملون، فقالوا لجلودهم: لِمَ شهدتم علينا؟ فقالوا: قد أنطقنا الله، و ظننتم أنّ الله لايعلم أعمالكم. وقد كان هذا ظنّكم بربّكم، فهو قد أهلككم فصرتم من الخاسرين.

٣ـ و قال الطّبرسيّ (٥: ١٠) في «اللّغة»: نظير

ما قال في الآية الأُولى. [ثمّ استشهد بشعر]

٤ ـ و قال في «المعنى»: «﴿وَذٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ﴾ ﴿ذٰلِكُمْ﴾ مبتدأ، و ﴿ظَنُّكُمُ﴾ خبره، و ﴿أَرْدٰيكُمْ﴾ خبر ثان.

و يجوز أن يكون ﴿ظَنُّكُمُ﴾ بدلًا من ﴿ذٰلِكُمْ﴾. و يكون المعنى: و ظنّكم الّذي ظننتم بربّكم أنّه لا يعلم كثيرًا ممّا تعملون أهلككم؛ إذ هوّن عليكم أمر المعاصي، و أدّى بكم إلى الكفر...».

و الثّالثة: الآية: ٥٥، من سورة الصّافّات: ﴿قَالَ تَاللّٰهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ﴾:

١ ـ هذه من جملة آيات كثيرة في هذه السّورة في البعث و المعاد بدء بالآية: ١٦، منها: ﴿ءَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا...﴾، و ختمًا بالآيتين: ٧٣، ٧٤: ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ * إِلَّا عِبَادَ اللّٰهِ الْمُخْلَصِينَ﴾.

و هذه من تتمّة الآيات قبلها: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾ إلى ﴿فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾، فقال لقرينه لـمّا رآه في الجحيم: ﴿تَاللّٰهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ﴾.

٢ ـ قالوا في معنى ﴿لَتُرْدِينِ﴾: لتغويني، لتهلكني، لتباعدني، لتهلكني بإغوائك.

و قال فضل اللّه: «تلقيني في هاوية الهلاك، و تدفعني إلى التّشكيك في عقيدتي، أو في إنكارها».

٣ ـ و لابن عاشور كلام كثير في إعراب الآية و قراءتها و معناها، فلاحظ.

٤ ـ و قال الطّبرسيّ في «المعنى» ﴿تَاللّٰهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ﴾: «هذه (إنْ) المخفّفة من الثّقيلة، بدلالة مصاحبة لام الابتداء لها في قوله: ﴿لَتُرْدِينِ﴾ أقسم باللّه سبحانه على وجه التّعجّب، أنّك كدت تهلكني بما قلته لي، و دعوتني إليه، حتّى يكون هلاكي كهلاك المتردّي من شاهق.

و منه قوله: ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدّٰى﴾ أي تردّى في النّار».

و يلاحظ ثانيًا: أنّ واحدةً منها مدنيّة و هي تشريع، و الباقي مكّيّ في العقيدة، من التّوحيد و البعث.

و ثالثًا: من نظائر هذه المادّة في اللّغة:

الرّدى: الهلاك:

التّبار: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ نوح: ٢٨

راجع الاستعمال القرآنيّ: «ثالثًا» من مادّة «د م د م»، ففيه سائر النّظائر.

الرّدى: الدّهورة:

السّقوط: ﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ﴾ الطّور: ٤٤

الوقوع: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللّٰهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللّٰهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ الحجّ: ٦٥

الخرور: ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللّٰهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ

وَأَتيهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ النحل : ٢٦

الهوي: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾ النجم : ١

الانهيار: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ التوبة : ١٠٩

التهديم: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ الحج : ٤٠

الكب: ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ النمل : ٩٠

الهد: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾ مريم : ٩٠

رذل

٣ألفاظ، ٤ مرّات، في ٤ سور: ٣ مكّيّة، ١ مدنيّة

أرْذَل ٢: ١ ـ ١   الأرْذَلون ١: ١

أراذِلنا ١: ١

النّصوص اللّغويّة

الخَليل: الرُّذْل: الدُّون من كلّ شيء، مصدره: الرَّذالة، و قد رَذُل؛ و الجميع: الأرْذال، و الأرْذلون و الرُّذلُون.

و رُذالَة كُلّ شيء: أرْدَؤُه.

و رجل رَذِلٌ، أي وَسِخٌ، و امرأة رَذِلَة.

و ثوب رَذيل، أي رَديء. (٨: ١٨٠)

اللّيث: الرَّذْل: الدُّون من النّاس في منظره و حالاته. و رجل رَذْلُ الثّياب و النّعل.

(الأزهَريّ ١٤: ٤١٩)

ابن السِّكّيت: الرُّذال: ما تُنُقّي جيّده و بقي رديئه. (١٩٦)

رَذُل يَرْذُل رَذالةً و رُذُولةً، وهو رجل رَذْل، من قوم رُذُول و أرْذال و رُذَلاء. (إصلاح المنطق: ١١٠)

ابن أبي اليمان: و الرّذْل: الحقير. (٦٢١)

ابن دُرَيْد: الرّذْل و الرُّذال من الشّيء: الدُّون، و القوم: أرْذال و أرْذلُون و أراذل و رُذال. و قد قيل: رجل رَذيل. (٢: ٣١١)

الأزهَريّ: رَذُلَ يَرْذُل رذالةً، وهم الرُّذْلون و الأرْذال.

و يقال: أرْذَل فلان دراهمي، أي فَسَّلَها، و أرْذل غنمي، و أرْذَل من رجاله كذا و كذا رجلًا، و هم رُذالَة النّاس و رُذالهم. (١٤: ٤١٩)

الصّاحِب: الرّذْل: الدُّون من النّاس في حالاته، رَذُل رَذالةً؛ و رَذِل.

و ثَوْبٌ رَذْل: وَسِخ، و رَذِيْل: رَدِيْء.

و رَذَلَه فهو مَرْذُول.

و أرْذَل من غنمه كذا، أي نفاها.

و المُرْذِل: الّذي أصحابه أرْذال أو دابّته رَذْلَة.

و الرُّذالة: النُّفاية.

و رُدَّ إلى أرْذَل العُمر: أي أسْوَئه. (١٠: ٧١)

الجَوهَريّ: الرَّذْل: الدُّون الخسيس. وقد رَذَلَ فلان بالضّمّ يَرْذُل رَذالَةً و رُذُولَةً، فهو رَذْل و رُذال بالضّمّ، من قوم رُذول و أرْذال و رُذلاء.

و أرْذَله غيره و رَذَّله أيضًا، فهو مَرْذُول.

و رُذال كلّ شيء: رديئه. (٤: ١٧٠٨)

ابن فارس: الرّاء و الذّال و اللّام قريب من الّذي قبله. فالرَّذْلَ: الدُّون من كلّ شيء، و كذلك الرُّذال. (٢: ٥٠٩)

ابن سيده: الرَّذْل و الرَّذِيل و الأرْذَل: الدُّون من النّاس، و قيل: هو الرّديء من كلّ شيء، و الجمع: أرْذال و رُذَلاء و رُذُول و رُذال، الأخيرة من الجمع العزيز، و الأرْذَلون، و لا تُفارق هذه الألف و اللّام، لأنّها عقيبة (من).

و قد رَذُلَ رَذالَةً و رُذُولَة، و رَذَّله يَرْذُله رَذْلًا: جعله كذلك.

و حكى سيبَوَيه: رُذِلَ، قال: كأنّه وُضِع ذلك فيه، يعني: أنّه لم يعرض لرُذِلَ، و لو عَرَض له لقال: رَذَّلَه، فشدّد.

وثَوْب رَذِيل: وَسِخ: رَدِيء.

و الرُّذال و الرُّذالَة: ما انتُقِيَ جيّده و بقِي رديئه.

و الرَّذِيلة: ضِدّ الفضيلة. (١٠: ٦٠)

الرّاغِب: الرَّذْل و الرُّذال: المرغوب عنه لرداءته، قال تعالى: ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾ النّحل: ٧٠، و قال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ﴾ هود: ٢٧، و قال تعالى: ﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ الشّعراء: ١١١، جمع الأرْذَل. (١٩٤)

الزَّمَخْشَريّ: رجل رَذْل و مَرْذُول، و هو الدُّون في منظره و حالاته، وقد رذل رذولة و رذالةً و رَذِل و رُذِل.

و قوم أرْذال، و هو من أراذلهم.

و امرأة رَذْلة.

و هم رُذال النّاس.

و هي رُذال الغنم.

و هذا من رُذال المتاع والتّمر و رُذالته: لُخشارته و رديئه.

و رجل رَذْل الثّياب.

و ثوب رَذْل: و سخ.

و درهم رَذْل: فَسْل.

و أرْذَل الصّيرفيّ من دراهمي كذا درهمًا.

و أرْذَل فلان من غنمي كذا شاة.

و أرْذَل من أصحابي كذا رجلًا: لم يَرْضَهُم.

و رُدّوا إلى أرْذَل العمر، و هو الهرم و الخَرَف.

و فلان مُرْذِل: صاحبه أو دابّته رذل.

(أساس البلاغة: ١٦١)

ابن الأثير: فيه: «وأعوذ بك أن أُرَدّ إلى أرْذَل العُمُر» أي آخره في حال الكِبَر و العَجز و الخَرَف.

و الأرْذَل مِن كلّ شيء: الرّديء منه. (٢: ٢١٧)

الفَيّوميّ: رَذُل الشّيء بالضّمّ رَذالَةً و رُذُولَةً، بمعنى رَدُؤ، فهو رَذْل، و الجمع: أرْذُل، ثمّ يُجمَع على أراذل، مثل: كَلْب و أكْلُب و أكالب؛ و الأنثى: رَذْلَة.

و الرُّذال بالضمّ و الرُّذالة بمعناه، و هو الّذي اُنتُقِي جيّده و بقي أرذله. (۱: ۲۲۵)

الفيروزاباديّ: الرّذْل و الرُّذال و الرّذيل و الأرْذَل: الدُّون الخسيس، أو الرّديء من كلّ شيء؛ جمعه: أرذال و رُذُول و رُذَلاء و رُذالٌ و أرذلون، و قد رَذُل، كَكَرُم و علم، رَذالةً ورُذُولةً، بالضمّ، و رَذَلَه غيره و أرذَلَه.

و الرُّذال و الرُّذالة، بضمّهما: ما انتُقي جيّده.

و الرّذيلة: ضدّ الفضيلة.

و استَرذَله: ضدّ استجاده.

و أرذَل: صار أصحابه رُذَلاء و رُذالى، كحُبارى.

و أرذَل العُمُر: أسوأه. (۳: ۳۹۵)

الطُّرَيحيّ: و الأرذلون: هم أهل الضّعة و الخساسة.

و الأراذل: جمع الأرذَل، و هم النّاقصون الأقدار؛ و منه ﴿اَرَاذِلُنَا﴾ هود: ۲۷، أي ناقصوا الأقدار فينا.

و الأراذل: جمع الرّذل أيضًا، و هو النّذل و هو الدُّون الخسيس.

و قد رَذُل فلان بالضّمّ يَرذُل رَذالةً، فهو رَذْل و رُذال بالضّمّ، من قوم رُذُول و أرذال و رُذَلاء و رُذّلة. (۵: ۳۸۲)

مَجْمَعُ اللُّغة: رَذُل الشّيء يَرذُل رَذالة و رُذُولة: رَدُؤ و صار دُونًا خسيسًا، فهو رَذْل.

و الأرذَل: أفعل تفضيل؛ و يُجمَع على الأرذلين و الأراذل. (۱: ٤٧۱)

محمّد إسماعيل إبراهيم: رَذُل الشّيء: قبُح و صار خسيسًا يستحقّ الاحتقار، فهو رَذِل؛ و الجمع: أرذلون.

و الأرذَل: الدُّون الخسيس؛ و جمعه: أراذل.

و الرّذيلة: ضدّ الفضيلة.

و أرذَل العُمُر: آخره في حال الكبر و العجز و الخرف. (۲۱۹)

المُصْطَفَويّ: و التحقيق أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو مطلق ما كان رديئًا و خسيسًا. يقال: هو رَذِل و رذيل و أرذل في نفسه، و هو ذو رذيلة في مقابل ذو فضيلة.

فهذا المفهوم يلاحظ بنفسه لا بالإضافة إلى غيره، و يعمّ الذّوات و الصّفات و الحالات و العوارض و الملابس و المشاغل.

و أمّا الدُّون و الصّغارة و الذّلّة و الرّداءة و الضّعة و الحقارة و الخسّة،فكلّ واحد منها إنّما يُعتبر بلحاظ أمر آخر أو من جهة:

فالذّلّة بلحاظ غلبة شيء عليه، و كونه مغلوبًا، و هو في مقابل العزّة. و الضّعة بواسطة عمل نفسه بنفسه كوضع عنوان و تواضع. و الرّداءة بلحاظ سقوط شديد. و الدُّون يلاحظ فيه مفهوم التّسفّل مع قيد القرب. و الصّغارة يلاحظ بالنّسبة إلى ما هو أكبر منه. و الحقير ما نقص عن المقدار المعهود لجنسه، راجع الحقر و الخسّ و الدّون و الرّدي.

فظهر أنّ الرّذل: ما كان حقيرًا و رديئًا و خسيسًا في نفسه، من دون أن يلاحظ فيه قيد أو نظر إلى أمر آخر.

فالتّعبير في تفسيره بالخساسة و الرّداءة و الدّون و أمثالها: إنّما هو من باب التّقريب و التّجوّز، و ليس من الحقيقة.

﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ الشّعراء: ١١١، ﴿وَمَا نَرٰيكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾ هود: ٢٧، يراد الأفراد الّذين ليست لهم فضيلة شخصيّة، و لاعناوين اجتماعيّة، بل هم ساقطون عن أنظار النّاس.

﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلٰى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ النّحل: ٧٠، إلى مرحلة نازلة ساقطة من طول الحياة، و هي المرحلة الدّنيا من أدوار الحياة، تنقلب القدرة و القوّة الجسمانيّة و الحواسّ البدنيّة إلى الضّعف، و تصير الأعضاء و الجوارح و قواها المدركة مسترخية متوانية.

و في هذه الآيات الكريمة إشارات:

١ـ أهل الدّنيا هم لاينظرون إلّا إلى الاعتبارات الظّاهريّة و العناوين الدّنيويّة، و لايتوجّهون إلى المقامات المعنويّة و الحقائق الرّوحانيّة، و لايرون إلّا ظاهرًا من الحياة الدّنيا.

٢ ـ أراذل النّاس عند أهل الدّنيا: هم النّازلون عن التّظاهرات المادّيّة و التّزيّنات الدّنيويّة، و إن بلغوا من المراحل الرّوحانيّة، و العلوم و المعارف الإلهيّة ما بلغوا و وصلوا.

٣ـ رذالة العُمر: باعتبار ظاهر من الحياة الدّنيا، و بلحاظ المراحل الظّاهريّة من العيش المادّيّ، و بالنّظر إلى القوى البدنيّة الجسمانيّة، و إن وصل إلى أعلى درجات المقرّبين، و أسنى منازل أهل المعرفة و اليقين.

فظهر لطف التّعبير بالمادّة في هذه الموارد، دون نظائرها. (٤: ١١٣)

النّصوص التّفسيريّة

أرْذَل

وَاللّٰهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفّٰيكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلٰى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللّٰهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ. النّحل: ٧٠

الإمام عليّ عليه السلام: خمس و سبعون سنة. (الطّبريّ ٧: ٦١٥)

ابن عبّاس: أسفل العُمُر. (٢٢٧)

قَتادَة: أرذل العمر: تسعون سنة. (البغويّ ٣: ٨٧)

السُّدّيّ: هو الخرف. (٣٢٨)

مُقاتِل: يعني الهرم. (البغويّ ٣: ٨٧)

قُطْرُب: ثمانون سنة. (الماوَرْديّ ٣: ٢٠٠)

ابن قُتَيْبَة: هو الهَرَم، لأنّ الهرم أسوأُ العُمُر و شرّه. (٢٤٦)

نحوه الكَلْبيّ. (الماوَرْديّ ٣: ٢٠٠)

الطَّبَريّ: و منكم من يَهْرَم فيصير إلى أرْذل العُمُر، و هو أرْذَؤه، يقال منه: رذل الرّجل و فسل، يرذل رذالة و رُذُولة، و رذلته أنا. (٧: ٦١٥)

الزّجّاج: أي منكم من يكبر و يُسَنّ حتّى يذهب عقله خرَفًا، فيصير بعد أن كان عالمًا جاهلًا. (٣: ٢١١)

الأزهَريّ: قيل: هو الّذي يَخرَف من الكبر حتّى لايعقل شيئًا، و بيّنه بقوله: ﴿لِكَيْ لَايَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ و يُجمَع الرّذل: أرذالًا. (١٤: ٤١٩)

الماوَرْديّ: فيه أربعة أقاويل:

أحدها: أوضعه و أنقصه، قاله الجمهور.

الثّاني: أنّه الهَرَم، قاله الكَلْبيّ.

الثّالث: ثمانون سنة، حكاه قُطْرُب.

الرّابع: خمس و سبعون سنة، قاله عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه. (٣: ٢٠٠)

الطُّوسيّ: و هو أرْدؤه و أوضعه. يقال منه: رذل الشّيء يَرْذل رَذالةً، و أرْذلته أنا إرذالًا، يريد به حال الذّمّ. (٦: ٤٠٥)

القُشَيْريّ: و هو أن يردّ إلى الخذلان بعد التّوفيق، فهو يكون في أوّل أحوال عمره مطيعًا، ثمّ يصير في آخر عمره عاصيًا.

و يقال: ﴿أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾: أن يرغب في عنفوان شبابه في الإرادة، و يسلك طريق الله مدّة، ثمّ تقع له فترة، فيفسخ عقد إرادته، و يرجع إلى طلب الدّنيا. و عند القوم هذه ردّة في هذا الطّريق.

و يقال: ﴿أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾: رغبة الشّيخ في طلب.

و يقال: ﴿أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾: حبّ المرء للرّئاسة.

و يقال: ﴿أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾: اجتماع المظالم على الرّجل، و الّا يُرضي خصومه. (٣: ٣٠٧)

الواحديّ: هو أرْدؤه و أوضعه، يقال: رذل يرذل رذالة. (٣: ٧٣)

البغَويّ: أرْدَؤه. (٣: ٨٧)

ابن عَطيّة: آخره الّذي تفسد فيه الحواسّ و يختلّ النّطق. و خُصّ ذلك بالرّذيلة و إن كانت حال الطّفوليّة كذلك، من حيث كانت هذه لارجاء معها، و الطّفوليّة إنّما هي بدأة، و الرّجاء معها متمكّن.

و قال بعض النّاس: أوّل أرْذل العمر: خمسة و سبعون سنة، روي ذلك عن عليّ رضي الله عنه. و هذا في الأغلب، و هذا لاينحصر إلى مدّة معيّنة، و إنّما هو بحسب إنسان و إنسان.

و المعنى: منكم من يُرَدّ إلى أرْذل عمره و رُبّ من يكون ابن خمسين سنة، و هو في أرْذل عمره، و رُبّ ابن مائة أو تسعين ليس في أرْذل عمره. (٣: ٤٠٧)

الطَّبْرِسيّ: أي أدْوَن العُمر و أوضعه، أي يُبقيه حتّى يصير إلى حال الهرم و الخرف، فيظهر النّقصان في جوارحه و حواسّه و عقله. (٣: ٣٧٢)

ابن الجَوْزيّ: و هو أرْدؤه، و أدْوَنه، و هي حالة الهرم. (٤: ٤٦٧)

الفَخْر الرّازيّ: ﴿أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾، و هو أرْدؤه و أضعفه.

يقال: رذل الشّيء يَرْذل رَذالةً، و أرْذَله غيره؛ و منه قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾ هود: ٢٧، و منه قوله: ﴿وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ الشّعراء: ١١١. (٢٠: ٧٧)

القُرطُبيّ: يعني أرْدؤه و أوضعه، و قيل: الّذي ينقص قوّته و عقله و يصيّره إلى الخرف و نحوه. و قال ابن عبّاس: يعني إلى أسفل العمر، يصير كالصّبيّ الّذي لاعقل له، و المعنى متقارب. (١٠: ١٤٠)

البَيْضاويّ: أخسّه، يعني الهرم الّذي يشابه

الطّفوليّة في نقصان القوّة و العقل. (١: ٥٦٢)

النّيسابوريّ: و هو مقام الفناء في الله ﴿لِكَيْ لَا يَعْلَمَ﴾ بعد فناء علمه شيئًا بعلمه، بل يعلم بربّه الأشياء كما هي، و الله أعلم بالصّواب. (١٤: ٩٥)

الخازن: يعني أرذله و أضعفه، و هو الهرم.

قال بعض العلماء: عمر الإنسان له أربع مراتب:

أوّلها: من النّشوء و النّماء، و هو من أوّل العمر إلى بلوغ ثلاث و ثلاثين سنة، و هو غاية سنّ الشّباب و بلوغ الأشدّ.

ثمّ المرتبة الثّانية سنّ الوقوف، و هو من ثلاث و ثلاثين سنة إلى أربعين سنة، و هو غاية القوّة و كمال العقل.

ثمّ المرتبة الثّالثة سنّ الكهولة، و هو من الأربعين إلى السّتّين، و في هذه المرتبة يشرع الإنسان في النّقص، و لكنّه يكون نقصًا خفيًّا لا يظهر.

ثمّ المرتبة الرّابعة: سنّ الشّيخوخة و الانحطاط من السّتّين إلى آخر العمر، و فيها يتبيّن النّقص، و يكون الهرم و الخرف. (٤: ٨٤)

أبو حيّان: [نحو ابن عطيّة و قال:]

و الظّاهر أنّ من يردّ إلى أرذل العمر عامّ، فيمن يلحقه الخرف و الهرم. (٥: ٥١٤)

الشّربينيّ: أي، أخسّه من الهرم و الخرف. (٢: ٢٤٦)

أبو السّعود: أي أخسّه و أحقره، و هو خمس و سبعون سنة... و إيثار الرّدّ على الوصول و البلوغ و نحوهما، للإيذان بأنّ بلوغه و الوصول إليه رجوع في الحقيقة إلى الضّعف بعد القوّة، كقوله تعالى: ﴿وَ مَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ﴾ يس: ٦٨، و لا عمر أسوأ حالًا من عمر الهرم الّذي يُشبه الطّفل في نقصان العقل و القوّة. (٤: ٧٦)

الطُّرَيحيّ: قوله تعالى: ﴿أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾، هو خمس و سبعون، عن عليّ عليه السلام. و في بعض الأخبار إذا بلغ الرّجل المائة فذاك أرذل العُمُر، فمعنى أرذل: أخسّ و أحقر. (٥: ٣٨٢)

البُرُوسَويّ: أخسّه و أحقره، و هو الهرم و الخرف الّذي يعود فيه كهيئته الأولى، في أوان طفوليّته، ضعيف البُنية، ناقص القوّة و العقل، قليل الفهم، و ليس له حدّ معلوم في الحقيقة، لأنّه رُبّ ابن ستّين انتهى إلى أرذل العمر، و رُبّ ابن مائة لم يردّ إليه.

و قال قَتادَة: إذا بلغ تسعين سنة يتعطّل عن العمل و التّصرّف و الاكتساب، و الحجّ و الغزو و نحوها. (٥: ٥٤)

الآلوسيّ: أخسّه و أحقره، و هو وقت الهرم الّذي تنقص فيه القُوى، و تفسد الحواسّ، و يكون حال الشّخص فيه كحالة وقت الطّفوليّة، من ضعف العقل و القوّة. و من هنا تصوّر الرّدّ، فهذا كقوله تعالى: ﴿وَ مَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ﴾ يس: ٦٨، ففيه مجاز، و هو يختلف باختلاف الأمزجة، فرُبّ معمّر لم تنتقص قواه، و منتقص القوى لم يُعمّر، و لعلّ التّقييد بسنّ مخصوص مبنيّ على الأغلب عند من قيّد. (١٤: ١٨٧)

سيّد قُطب: و صورة الشّيخوخة حين يُردّ

الإنسان إلى أرْذَل العُمر، فينسى ما كان قد تعلّم، و يرتدّ إلى مثل الطّفولة من العجز و النّسيان و السّذاجة. هذه الصّورة قد تردّ النّفس إلى شيء من التأمّل في أطوار الحياة، و قد تغضّ من كبرياء المرء و اعتزازه بقوّته و علمه و مقدرته. (٤ : ٢١٨٢)

ابن عاشور: و الأرْذَل: تفضيل في الرّذالة، و هي الرّداءة في صفات الاستياء.

و العُمُر: مدّة البقاء في الحياة، لأنّه مشتقّ من العمر، و هو شغل المكان، أي عمر الأرض، قال تعالى: ﴿وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا﴾ الرّوم: ٩. فإضافة ﴿أَرْذَل﴾ إلى ﴿الْعُمُر﴾ الّتي هي من إضافة الصّفة إلى الموصوف على طريقة المجاز العقليّ، لأنّ الموصوف بالأرْذَل حقيقة هو حال الإنسان في عمره لانفس العمر. فأرذل العمر هو حال هرم البدن و ضعف العقل، و هو حال في مدّة العمر. و أمّا نفس مدّة العمر فهي هي، لاتوصف برذالة و لاشرف.

و الهرم لاينضبط حصوله بعدد من السّنين، لأنّه يختلف باختلاف الأبدان و البلدان و الصّحّة و الاعتلال، على تفاوت الأمزجة المعتدلة. و هذه الرّذالة رذالة في الصّحّة، لاتعلّق لها بحالة النّفس، فهي ممّا يعرض للمسلم و الكافر فتسمّى أرْذَل العمر فيهما، و قد استعاذ رسول الله ﷺ من أن يردّ إلى أرْذَل العمر. (١٣ : ١٧٠)

مَغْنِيَّة: للإنسان أدوار و أطوار يمرّ بها من الطّفولة إلى المراهقة و الشّباب، و من الشّباب إلى الشّيخوخة و الهرم. و لكلّ دور سببه الطّبيعيّ المباشر، و يُسند إليه تعالى، لأنّه خالق الطّبيعة و الكون.

و ﴿أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾ هو الهرم الّذي يضعف معه الجسم و العقل و الذّاكرة، و بقيّة الحواسّ الظّاهرة و الباطنة، و متى ضعف عضو من أعضاء الشّيخ أو حاسّة من حواسّه انتهى أمرها، و لايُرجى عودتها إلى الحال السّابقة، بل تزداد ضعفًا و وهنًا مع الأيّام. و بالخصوص الذّاكرة؛ حيث يفقدها تمامًا، و يرجع إلى ما كان أيّام الطّفولة، حتّى كأنّه لم يتعلّم شيئًا من الدّروس، و لامرّ بشيء من التّجارب. (٤ : ٥٣٠)

فضل الله: و هو الهرم الّذي يمثّل حالة الوهن و الضّعف و الشّيخوخة المتقدّمة الّتي يستولي فيها الضّعف على الجسم و العقل و الذّاكرة. (١٣ : ٢٥٨)

الأَرْذَلُونَ

قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ.

الشّعراء: ١١١

ابن عبّاس: سفلتنا و ضعفاؤنا اطردْهم حتّى نؤمن بك. (٣١٠)

مُجاهِد: أنّهم الحائكون. (الماوَرْديّ ٤ : ١٧٩)

عِكْرِمَة: يعنون الحاكة و الأساكفة.

مثله الضّحّاك. (الواحديّ ٣ : ٣٥٧)

عطاء: المساكين الّذين ليس لهم مال و لاعزّ. (الواحديّ ٣ : ٣٥٧)

قَتادَة: سفلة النّاس و أراذلهم. (الماوَرْديّ ٤ : ١٧٩)

مُقاتِل: السّفلة. (٣ : ٢٧٢)

ابن بَحْر: أنّهم الأساكفة. (الماوَرْديّ ٤ : ١٧٩)

الطَّبَريّ: قالوا: أنؤمن لك يا نوح، و نُقرّ بتصديقك فيما تدعونا إليه، و إنّما اتّبعك منّا الأرذلون دون ذوي الشّرف و أهل البيوتات. (٩ : ٤٥٧)

الزّجّاج: و قيل: في قوله: ﴿الْاَرْذَلُونَ﴾ نسبوهم إلى الحياكة و الحجامة، و الصّناعات لاتضرّ في باب الدّيانات. (٤ : ٩٥)

الماوَرْديّ: فيه خمسة أقاويل:

أحدها: أنّهم الّذين يسألون و لايقنعون.

الثّاني: أنّهم المتكبّرون.

الثّالث: سفلة النّاس و أراذلهم، قاله قَتادَة.

الرّابع: أنّهم الحائكون، قاله مُجاهِد.

الخامس: أنّهم الأساكفة، قاله ابن بَحْر.

و يحتمل سادسًا: أنّهم أصحاب المهن الرّذلة كلّها. (٤ : ١٧٩)

الطُّوسيّ: يعني السّفلة و أوضاع النّاس. و الرّذل: الوضيع، و نقيض الرّذيلة: الفضيلة؛ و جمعه: الرّذائل.

و قيل: إنّهم نسبوهم إلى صناعات دنيئة، كالحياكة و الحجامة. و أنّهم مع ذلك أهل نفاق و رذالة، فأنفوا من اتّباعه لـمّا اتّبعوه هؤلاء. و لم يجز من نوح أن يقبل قول هؤلاء فيهم، لأنّهم كفّار يعادونهم، فلاتقبل شهادتهم.

و يجوز أيضًا أن يكونوا لـمّا آمنوا تابوا من قبيح ما عملوا، لأنّ الإيمان يَجُبّ الخطايا، و يوجب الإقلاع عنها. و لم يجز استصلاح هؤلاء بإقصاء من آمن، كما لايجوز استصلاحهم بفعل الظّلم، لأنّ في ذلك إذلالًا للمؤمنين، و ذلك ظلم لهم، لايجوز أن يفعل بأهل الإيمان، لأنّه قبيح. (٨ : ٤١)

القُشَيْريّ: إنّ أتباع كلّ رسول إنّما هم الأضعفون، لكنّهم في حكم الله هم المتقدّمون الأكرمون قال ﷺ: «نُصرت بضعفائكم». (٥ : ١٧)

الزّمَخْشَريّ: و الرّذالة و النّذالة: الخسّة و الدّناءة. و إنّما استرذلوهم لاتّضاع نسبهم و قلّة نصيبهم من الدّنيا. و قيل: كانوا من أهل الصّناعات الدّنيّة كالحياكة و الحجامة.

و الصّناعة لاتزري بالدّيانة، و هكذا كانت قريش تقول في أصحاب رسول الله ﷺ و ما زالت أتباع الأنبياء كذلك حتّى صارت من سماتهم و أماراتهم ألاترى إلى هِرَقل حين سئل أباسفيان عن أتباع رسول الله ﷺ فلمّا قال: ضعفاء النّاس و أراذلهم، قال: مازالت أتباع الأنبياء كذلك. (٣ : ١٢٠)

نحوه الشِّربينيّ. (٣ : ٢٣)

ابن عَطيّة: و قال بعض النّاس ﴿الْاَرْذَلُونَ﴾: الحاكة، و الحجّامون و الأساكفة. و في هذا عندي على جهة المثال، أي أهل الصّنائع الخسيسة، لا أنّ هذه الصّنائع المذكورة خصّت بهذا. و ﴿الْاَرْذَلُونَ﴾: جمع الأرذل، و لايُستعمل إلّا معرّفًا أو مضافًا أو بـ«من».

و يظهر من الآية أنّ مراد «قوم نوح» بنسبة الرّذيلة إلى المؤمنين تهجين أفعالهم، لاالنّظر في صنائعهم، يدلّ على ذلك قول نوح ﴿مَا عِلْمِي ...﴾ الشّعراء: ١١٢، لأنّ معنى كلامه ليس في نظري و علمي بأعمالهم و معتقداتهم فائدة، إنّما أقنع بظاهرهم و أجتزئ به، ثمّ حسابهم على الله

تعالى. (٤: ٢٣٧)

الطَّبْرِسيّ: و المعنى: أنّ أتباعك أراذلنا و فقراؤنا، و أصحاب الأعمال الدّنيئة و المهن الخسيسة، فلو اتّبعناك لصرنا مثلهم و معدودين في جملتهم. و هذا جهل منهم، لأنّه ليس في إيمان الأرذلين به ما يوجب تكذيبه، فإنّ الرّذل إذا أطاع سلطانه استحقّ التّقرّب عنده دون الشّريف العاصي. (٤: ١٩٦)

ابن الجَوْزيّ: [نقل الأقوال المتقدّمة و قال:]

و هذا جهل منهم، لأنّ الصّناعات لاتضرّ في باب الدّيانات. (٦: ١٣٤)

الفخر الرّازيّ: و الرّذالة: الخسّة، و إنّما استرذلوهم لاتّضاع نسبهم و قلّة نصيبهم من الدّنيا. و قيل: كانوا من أهل الصّناعات الخسيسة كالحياكة و الحجامة.

و اعلم أنّ هذه الشّبهة في نهاية الرّكاكة، لأنّ نوحًا عليه السلام بُعث إلى الخلق كافّة، فلايختلف الحال في ذلك بسبب الفقر و الغنى و شرف المكاسب و دناءتها.

(٢٤: ١٥٥)

النّسَفيّ: ﴿الْأَرْذَلُونَ﴾: السّفلة، و الرّذلة: الخسّة و الدّناءة، و إنّما استرذلوهم لاتّضاع نسبهم، و قلّة نصيبهم من الدّنيا. و قيل: كانوا من أهل الصّناعات الدّنيئة، و الصّناعة لاتُزْري بالدّيانة. فالغِنَى غنَى الدّين و النّسَب نسب التّقوى، و لايجوز أن يسمّى المؤمن رذلًا و إن كان أفقر النّاس، أوضعهم نسبًا و مازالت أتباع الأنبياء كذلك. (٣: ١٩٠)

النّيسابوريّ: و يجوز أن يكون فسّر لهم الرّذالة بما هو الرّذالة عنده من سوء الأعمال و فساد العقائد، فبنى جوابه على ذلك، و قال: ﴿مَا عِلْمِي...﴾ الشّعراء: ١١٢، إلّا اعتبار الظّاهر و الله يتولّى السّرائر. (١٩: ٦٢)

أبوحَيّان: جملة حاليّة، أي كيف نؤمن و قد اتّبعك أراذلنا، فنتساوى معهم في اتّباعك؟ و كذا فعلت قريش في شأن عمّار و صُهيب. و الضّعفاء أكثر استجابة من الرّؤساء، لأنّ أذهانهم ليست مملوءة بزخارف الدّنيا، فهم أدرك للحقّ، و أقبل له من الرّؤساء. (٧: ٣١)

أبوالسُّعود: أي الأقلّون جاهًا و مالًا، جمع: الأرذل على الصّحّة، فإنّه بالغلبة صار جاريًا مجرى الاسم، كالأكبر و الأكابر. و قيل: جمع أرذل جمع رذل، كأكالب و أكلُب و كَلْب. (٥: ٥٢)

البُرُوسَويّ: أي و الحال قد اتّبعك الأقلّون جاهًا و مالًا، أي و هذه حالك، كما تقول: لاتصحبك و صحبك السّفلة. و ﴿الْأَرْذَلُونَ﴾: جمع الأرذل، و الرّذالة: الخسّة و الدّناءة، و الرُّذال: المرغوب عنه لرداءته. يعنون أن لاعبرة لاتّباعهم لك؛ إذ ليس لهم رزانة عقل و إصابة رأي قد كان ذلك منهم في بادي الرّأي.

و هذا من كمال سخافة عقولهم، و قصرهم أنظارهم على الدّنيا، و كون الأشرف عندهم من هو أكثر منها حظًّا، و الأرذل من حرَمها. و جهلهم أنّها لاتزن عند الله جناح بعُوضَة، و أنّ النّعيم هو نعيم الآخرة، و الأشرف من فازبه، و الأرذل من حرُمه.

و هكذا كانت قريش تقول في أصحاب رسول

الله، و ما زالت أتباع الأنبياء ضعفاء النّاس، و قِسْ أتباع الأولياء على أتباعهم، من حيث وراثتهم لدعوتهم و علومهم و أذواقهم و محنهم و ابتلائهم؛ و ذلك لأنّ الحقيقة من أرباب الجاه و الثّروة لم تأت إلّا نادرًا. (٦: ٢٩٢)

الشّوكانيّ: و هم جمع أرْذل، و جمع التّكسير: أرْذال؛ و الأُنثى: رَذْلى، و هم الأقلّون جاهًا و مالًا، و الرّذالة: الخسّة و الذّلّة، استرذلوهم لقلّة أموالهم و جاههم، أو لاتّضاع أنسابهم. (٤: ١٣٧)

الآلوسيّ: و هو جمع الأرْذل على الصّحّة، و الرّذالة: الخسّة و الدّناءة. و الظّاهر أنّهم إنّما استرذلوا المؤمنين به عليه السّلام لسوء أعمالهم. (١٩: ١٠٧)

ابن عاشور: (الْأَرْذَلُونَ): سَقَط القوم موصوفون بالرّذالة، و هي الخسّة و الحقارة، أرادوا بهم ضعفاء القوم و فقراءهم، فتكبّروا و تعاظموا أن يكونوا، و الضّعفاء سواء في اتّباع نوح. و هذا كما قال عظماء المشركين للنّبيّ ﷺ لـمّا كان من المؤمنين عمّار و بلال و زَيْد بن حارثة: أنحن نكون تبعًا لهؤلاء اطردْهم عنك، فلعلّك إن طردتهم أن نتّبعك. فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَوٰةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ الآيات من سورة الأنعام: ٥٢.

(١٩: ١٦٨)

مَغْنِيّة: طعنوا برسالة نوح لاشيء، إلّا لأنّ الفقراء قد آمنوا بها، و الفقراء لاقيمة لهم؛ إذن رسالة نوح لاقيمة لها.

و بكلام آخر: أنّ المترفين لايحيون حياة الفقراء، فكيف يؤمنون بما آمنوا به؟

و هكذا يفعل التّرف في النّفس المجرمة، يُعميها عن الحقّ، و يخلق فيها الطّغيان و الكبرياء. (٥: ٥٠٦)

الطّباطبائيّ: ﴿الْأَرْذَلُونَ﴾: جمع أرْذل على الصّحّة، و هو اسم تفضيل من الرّذالة، و الرّذالة: الخسّة و الدّناءة. و مرادهم بكون متّبعيه أراذل، أنّهم ذوو أعمال رذيلة و مشاغل خسيسة، و لذا أجاب عليه السّلام عنه بمثل قوله: ﴿وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الشّعراء: ١١٢.

و الظّاهر أنّهم كانوا يرون الشّرف و الكرامة في الأموال، و الجموع من البنين و الأتباع، كما يستفاد من دعاء نوح عليه السّلام إذ يقول: ﴿رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾ نوح: ٢١، فمرادهم بالأرذلين: من يعدّهم الاشراف و المترفون سفلة، يتجنّبون معاشرتهم، من العبيد و الفقراء، و أرباب الحرف الدّنيئة. (١٥: ٢٩٦)

مكارم الشّيرازيّ: إنّ قيمة الزّعيم ينبغي أن تُعرَف ممّن حوله من الأتباع، و بعبارة أُخرى: إنّ الوليّ يُعرَف من زوّاره، كما يقال، فحين نلاحظ قومك يانوح، نجدهم حفنة من الأراذل و الفقراء و الحُفاة و الكسبة الضّعاف قد داروا حولك، فكيف تتوقّع أن يتبعك الأثرياء الأغنياء الشّرفاء و الوجهاء و يخضعوا لك؟!

و صحيح أنّهم كانوا صادقين و مصيبين، في أنّ الزّعيم يُعرَف عن طريق أتباعه، إلّا أنّ خطأهم الكبير هو عدم معرفتهم مفهوم الشّخصيّة و معيارها؛ إذ

كانوا يرون معيار القيم في المال و الثّروة و الألبسة و البيوت و المراكب الغالية و الجميلة، و كانوا غافلين عن النّقاء و الصّفاء و التّقوى و الطّهارة و طلب الحقّ، و الصّفات العليا للإنسانيّة الموجودة في الطّبقات الفقيرة، و القلّة من الأشراف.

إنّ روح الطّبقيّة كانت حاكمة على أفكارهم في أسوإ أشكالها، و لذلك كانوا يسمّون الفقراء الحفاة بالأراذل. (۱۱: ۳٦۷)

فضل الله: و أنت لاتملك جمهورًا مميّزًا من الطّبقة العالية في المجتمع، من أصحاب السّلطة و المال و النّفوذ، بل كلّ ما لديك هم هؤلاء السّفلة الأراذل الّذين يتميّزون بالخسّة و الدّناءة، فكيف تريدنا أن نتّبعك و ليس معك أحد من طبقتنا؟ فكيف نقبل أن نُدخلهم في مجتمعنا من خلالك، أو ندخل نحن في مجتمعهم، لحسابك؟. (۱۷: ۱۳٥)

اَرَاذِلُنَا

فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرٰيكَ اِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَ مَا نَرٰيكَ اتَّبَعَكَ اِلَّا الَّذِينَ هُمْ اَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ... هود: ۲۷

ابن عبّاس: سفلتنا و ضعفاؤنا. (۱۸٤)

يريد المساكين الّذين لاعقول لهم و لاشرف و لامال. (الواحديّ ۲: ٥۷۰)

ابن قُتَيْبَة: شرارنا؛ جمع: أرْذَل. يقال: رجل رَذْل و قد رَذل رَذالةً و رُذُولةً. (۲۰۳)

الطّبَريّ: و ما نراك اتّبعك إلّا الّذين هم سفلتنا من النّاس، دون الكبراء و الأشراف فيما نرى و يظهر لنا. (۷: ۲۸)

القُمّيّ: يعني الفقراء و المساكين الّذين تراهم بادئ الرّأي. (۱: ۳۲٥)

السّجستانيّ: النّاقصو الأقدار فينا. (۸٥)

النّحّاس: والأراذل: الأشرار الّذين ليسوا برؤساء؛ واحدهم: أرْذَل. (۳: ۳٤۱)

الماوَرْديّ: الأراذل: جمع أرذل، وأرْذَل :جمع رَذل والرّذل: الحقير، و عنوا بأراذلهم: الفقراء، و أصحاب المهن المتّضعة. (۲: ٤٦٥)

الطُّوسيّ: حكاية أيضًا عمّا قاله قوم نوح، من أنّه ما نرى من اتّبعك إلّا أنّه رَذل خسيس حقير من جماعتنا، تقول: رَذْل و جمعه: أرْذال، و جمع الجمع: أراذل، مثل كَلْب و أكْلُب و أكالب. (٥: ٥٤٠)

الواحديّ: أي لم يتّبعك الملاء منّا، و إنّما اتّبعك أخساؤنا.

والرّذل: الدُّون من كلّ شيء؛ و الجمع: أرذُل، ثمّ يُجمع على: أراذل، كقولك: كَلْب و أكْلُب و أكالب. (۲: ٥۷۰)

ابن عَطيّة: و الأراذل: جمع أرْذَل، و قيل: جمع أرْذُل، و أرْذال جمع: رَذْل، و كان اللّازم على هذا أن يقال: أراذيل. و إذا ثبتت الياء في جمع صيرف[1]، فأحرى ألّا تزال في موضع استحقاقها. و هم سفلة النّاس و من لاأخلاق له، و لايبالي ما يقول، و لاما يقال له. (۳: ۱٦۳)

القُرطُبيّ: والرّذل: النّذل، أرادوا اتّبعك أخسّاؤنا

---

(۱) كذا و الظّاهر: صرف.

و سقطنا و سفلتنا.

الأراذل هنا: هم الفقراء و الضّعفاء، كما قال هرقل لأبي سفيان: أشراف النّاس اتّبعوه أم ضعفاؤهم؟ فقال: بل ضعفاؤهم، فقال: هم أتباع الرّسل.

قال علماؤنا: إنّما كان ذلك لاستيلاء الرّئاسة على الأشراف، و صعوبة الانفكاك عنها، و الأنفة من الانقياد للغير، و الفقير خليّ عن تلك الموانع، فهو سريع إلى الإجابة و الانقياد. و هذا غالب أحوال أهل الدّنيا. (٩: ٢٣)

البيضاويّ: أخسّاؤنا؛ جمع أرذل، فإنّه بالغلبة صار مثل الاسم كالأكبر، أو أرذل: جمع رذل.

(١: ٤٦٦)

الخازن: يعني سفلتنا، و الرّذل: الدّون من كلّ شيء. قيل: هم الحاكة و الأساكفة و أصحاب الصّنائع الخسيسة. و إنّما قالوا ذلك جهلًا منهم أيضًا، لأنّ الرّفعة في الدّين و متابعة الرّسول لاتكون بالشّرف و لابالمال و المناصب العالية، بل للفقراء الخاملين و هم أتباع الرّسل، و لاتضرّهم خسّة صنائعهم إذا حسنت سيرتهم في الدّين. (٣: ١٨٦)

الشّربينيّ: أي أسافلنا، كالحاكة و أهل الصّنائع الخسيسة، و هو جمع أرذل بفتح الهمزة. (٢: ٥٣)

أبو السّعود: أي أخسّاؤنا وأدانينا؛ جمع: أرذل، فإنّه صار بالغلبة جاريًا مجرى الاسم كالأكبر و الأكابر، أو جمع أرذُل جمع رَذْل، كأكالب و أكلُب و كَلْب، يعنون أنّه لاعبرة باتّباعهم لك؛ إذ ليس لهم رزانة عقل و لا أصالة رأي، و قد كان ذلك منهم في بادئ الرّأي، أي ظاهره من غير تعمّق. (٣: ٣٠٤)

البُرُوسَويّ: أخسّاؤنا و أدانينا، كالحاكة و الأساكفة و أهل الصّنائع الخسيسة، و لو كنت صادقًا لاتّبعك الأكياس و الأشراف من النّاس. فالأراذل: جمع اسم تفضيل، أي أرذَل، كقوله: ﴿أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا﴾ الأنعام: ١٢٣. و «أحاسنكم أخلاقًا» جمع أكبر و أحسن.

فإن قلت يلزم الاشتراك إذًا بين الأشراف و بينهم في مأخذ الاشتقاق الّذي هو الرّذالة.

قلت: هو للزّيادة المطلقة، و الإضافة للتّوضيح، فلايلزم ما ذكرت. (٤: ١١٧)

الآلوسيّ: أي أخسّاؤنا و أدانينا، و هو جمع: أرْذَل، و الأغلب الأقيس في مثله إذا أريد جمعه أن يُجمَع جمع سلامة، كالأخسرون: جمع أخسر، لكنّه كُسّر هنا لأنّه صار بالغلبة جاريًا مجرى الاسم، و لذا جُعل في القاموس: الرّذل و الأرْذَل بمعنًى، و هو الخسيس الدّنيء، و معنى جريانه مجرى الاسم: أنّه لايكاد يُذكَر الموصوف معه كالأبطح و الأبرق.

و جُوّز أن يكون جمع أرْذل جمع رَذْل، فهو جمع الجمع، و نظير ذلك أكالب و أكلُب و كَلْب، و كونه جمع رَذْل مخالف للقياس. و إنّما لم يقولوا: إلّا أراذلنا مبالغةً في استرذالهم، و كأنّهم إنّما استرذلوهم لفقرهم، لأنّهم لمّا لم يعلموا إلّا ظاهرًا من الحياة الدنيا، كان الأشرف عندهم الأكثر منها حظًّا، و الأرذل من حَرُمها، و لم يفقهوا أنّ الدّنيا بحذافيرها لاتعدل عند الله تعالى جناح بعوضة، و أنّ النّعيم إنّما هو نعيم الآخرة.

و الأشرف من فاز به، و الأرذل من حرمه. و مثل هؤلاء في الجهل كثير من أهل هذا الزّمان، عافانا الله سبحانه ممّا هم فيه من الخذلان و الحرمان. و كان القوم ــ على ما في بعض الأخبار ــ حاكة و أساكفة و حجّامين. (١٢: ٣٧)

سيّد قُطْب: و هم يُسمّون الفقراء من النّاس: أراذل، كما ينظر الكبراء دائمًا إلى الآخرين الّذين لم يُؤتَوا المال و السّلطان و أولئك هم أتباع الرّسل السّابقون غالبًا، لأنّهم بفطرتهم أقرب إلى الاستجابة للدّعوة الّتي تُحرّر النّاس من العبوديّة للكبراء، و تصل القلوب بإله واحد قاهر عالٍ على الأعلياء، و لأنّ فطرتهم لم يفسدها البطر و التّرف، و لم تعوقها المصالح و المظاهر عن الاستجابة، و لأنّهم لايخافون من العقيدة في الله أن تضيع عليهم مكانة مسروقة، لغفلة الجماهير و استعبادها للخرافات الوثنيّة، في شتّى صورها. و أوّل صور الوثنيّة الدّينونة و العبوديّة و الطّاعة و الاتّباع للأشخاص الزّائلة بدلًا من الاتّجاه بهذا كلّه لله وحده دون شريك.

فرسالات التّوحيد هي حركات التّحرير الحقيقيّة للبشر في كلّ طور و في كلّ أرض. و من ثَمّ كان يقاومها الطُّغاة دائمًا، و يصدّون عنها الجماهير، و يحاولون تشويهها و اتّهام الدّعاة إليها بشرّ التُّهم، للتّشويش و التّنفير. (٤: ١٨٧٢)

ابن عاشور: فجعلوا أتباع النّاس المعدودين في عادتهم أراذل محقورين، دليلًا على أنّه لاميزة له على سادتهم الّذين يلوذ بهم أشراف القوم و أقوياؤهم، فنفوا عنه سبب السّيادة من جهتي ذاته و أتباعه؛ و ذلك تعريض بأنّهم لايتّبعونه، لأنّهم يترفّعون عن مخالطة أمثالهم، و أنّه لو أبعدهم عنه لاتّبعوه، و لذلك ورد بعده ﴿وَمَا اَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ اٰمَنُوا...﴾ هود: ٢٩.

و الأرذال: جمع أرذل المجعول اسمًا غير صفة كذلك على القياس، أو جمع: رذيل، على خلاف القياس، و الرّذيل: المحتقر. و أرادوا أنّهم من لفيف القوم غير سادة و لاأثرياء. و إضافة ﴿اَرَاذِلُ﴾ إلى ضمير جماعة المتكلّمين لتعيين القبيلة، أي أراذل قومنا. و عبّر عنهم بالموصول و الصّلة دون أن يقال: إلّا أراذلنا، لحكاية أنّ في كلام الّذين كفروا إيماء إلى شُهرة أتباع نوح عليه السلام بين قومهم، بوصف الرّذالة و الحقارة، و كان أتباع نوح عليه السلام من ضعفاء القوم و لكنّهم من أزكياء النّفوس، ممّن سبق لهم الهدى. (١١: ٢٤١)

مَغْنِيّة: و الأراذل: في مفهومهم: الفقراء و المساكين الّذين لاجاه لهم و لا مال، و المترفون أجلّ و أعظم من أن يؤمنوا بمن آمن به الأراذل. (٤: ٢٢٥)

مكارم الشّيرازيّ: و الأراذل: جمع لـ«أرْذل» و تأتي أيضًا جمع لـ«رَذْل» الّتي تعني الموجود الحقير، سواء كان إنسانًا أم شيئًا آخر غيره.

و بالطّبع، فإنّ الملتفّين حول نوح عليه السلام و المؤمنين به، لم يكونوا أراذل و لاحقراء، و لكن بما أنّ الأنبياء ينهضون للدّفاع عن المستضعفين قبل كلّ شيء، فأوّل جماعة يستجيبون لهم و يُلبّون دعوتهم هم الجماعة المحرومة و الفقيرة، و لكن هؤلاء في نظر المستكبرين الّذين يعدّون معيار الشّخصيّة القوّة و الثّروة، فحسب،

يحسبونهم أراذل و حقّراء. (٦ : ٤٧٧)

الأصول اللّغويّة

١ ـ الأصل في هذه المادّة: الرَّذالة، أي الدُّون. يقال: رَذُل فلان يَرْذُل رَذالةً و رُذالةً، أي رَدُؤ و دانَ، فهو رَذْل و رَذِيل و أرْذَل و رُذال.

و أرْذَلَه غيره و رَذَّله يَرْذُله رَذْلًا: جعله كذلك، و هو مَرْذُول؛ و منه قول الإمام عليّ ﷺ: «إذا أرْذَل الله عبدًا حظر عليه العلم».[1]

و أرْذَل فلان دراهمي: فسّلها، أي زيّفها.

و رجل رَذْل الثّياب و الفعل: رديئهما؛ و الجمع: أرْذال و رُذَلاء و رُذُول و رُذال و الأرْذَلُون و الرُّذَّلُون؛ و الأنثى: رَذْلَة.

و ثوب رَذْل و رَذِيل: وسخ رديء.

و الأرْذَل من كلّ شيء و رُذاله و رُذالته: الرّديء منه.

٢ ـ و يستعمل العامّة في العراق «فعّلَ» و «فَعالة» من هذه المادّة في معنى الإهانة و التّحقير، غير أنّهم يُبدلون فيهما الذّال زايًا، فيقال: رزّلته رَزالةً، أي أهَنتُه و حطَطْتُ من قدره.

و هذا الاستعمال مخالف للقياس و السّماع، فأمّا مخالفته للقياس فهو جعلهم «فَعالة» مصدرًا لـ«فعّلَ» و قياسه أن يأتي مصدرًا لـ«فَعُلَ» اللّازم، مثل: فَصُحَ فصاحةً.

و أمّا مخالفته للسّماع فتوليدهم فعلًا على وزن «فعّل» من هذه المادّة، و لم يُؤثَر ذلك عن العرب.

و لكنّ إبدال الذّال زايًا مطّرد في بعض الألفاظ، نحو قولهم: زَرَقَ الطّائر وذَرَقَ، أي رمى بسلحه، و زَبَرتُ الكتاب و ذَبَرتُه، إذا كتبتَه.[2]

الاستعمال القرآنيّ

قد جاء منها أفعل التّفضيل مفردًا مرّتين (أرْذَل)، و جمعًا مرّة (الْأَرْذَلُونَ)، و الصّفة جمعًا مرّة (أَرَاذِلُنَا): جمع «رذيل» في أربع آيات:

و يلاحظ أوّلًا أنّها محوران: الخلقة مع البعث، و القصّة:

الخلقة و البعث:

١ ـ ﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّيكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ اِلٰى اَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا اِنَّ اللهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ النّحل: ٧٠

٢ ـ ﴿يَا اَيُّهَا النَّاسُ اِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَاِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْاَرْحَامِ مَا نَشَاءُ اِلٰى اَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا اَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفّٰى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ اِلٰى اَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْاَرْضَ هَامِدَةً فَاِذَا اَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَاَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ الحجّ: ٥

القصّة:

٣ ـ ﴿فَقَالَ الْمَلَاُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرٰيكَ

---

(١) نهج البلاغة ـ الحكمة: (٢٨٨).

(٢) الإبدال: (١٤١).

إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَ مَا نَرٰيكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَ مَا نَرٰى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ هود: ۲۷

٤ ـ ﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَ اتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ الشّعراء: ۱۱۱

و فيها بُحُوثٌ:

أ ـ الخلقة و البعث آيتان:

الأولى: الآية: ۷۰، من سورة النّحل، و الثّانية: الآية: ٥، من سورة الحجّ.

۱ ـ قالوا: ﴿أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾: أسفل العمر، الهرم، الخرف، أرْذَوه، يذهب عقله خرَفًا، فيصير جاهلًا بعد أن كان عالمًا، الّذي يخرف من الكبر حتّى لا يعقل شيئًا، و قد بيّنه بقوله: ﴿لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾، أن يُرَدّ إلى الخذلان بعد التّوفيق، أخسّه و أحقره و نحوها.

۲ ـ و قال الماوَرْديّ: «فيه أربعة أقاويل:

أحدها: أوضعه و أنقصه، قاله الجمهور.

الثّاني: أنّه الهرم، قاله الكلْبيّ.

الثّالث: ثمانون سنة، حكاه قُطْرُب.

الرّابع: خمس و سبعون سنة، قاله عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه».

۳ ـ و قال النّيسابوريّ في الإشارة: «و هو الفناء في الله ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ﴾ بعد فناء علمه شيئًا يعلمه، بل يعلم بربّه الأشياء كما هي، و الله أعلم بالصّواب».

و نقول: كيف عبّر عن مقام الفناء في الله بـ ﴿أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾ و هو أفضلها؟

٤ ـ و للمُصْطَفَويّ (٤: ۱۱۳) قول بأنّ في هذه الآية إشارات، فلاحظ.

٥ ـ و قد جاءت آية النّحل في الخلقة فقط عقيب آيات في خلق الأنعام: ٦٦ ـ ٦٩، فسياقها ذكر نعم الله على العباد، و ليس فيها ذكر عن البعث.

أمّا آية الحجّ فصدرها في البعث و ذيلها في الخلقة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ...﴾، فجاء ذكر الخلقة فيها حجّة على البعث.

٦ ـ و قال الطَّبْرِسيّ (۳: ۳۷۲) في آية النّحل: « ﴿وَ اللهُ خَلَقَكُمْ﴾ أي أوجدكم، و أنعم عليكم بضروب النّعم الدّينيّة و الدّنيويّة.

﴿ثُمَّ يَتَوَفّٰيكُمْ﴾ و يقبضكم، أي يميتكم.

﴿وَ مِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلٰى أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾ أي أدْوَنَ العمر و أوضعه، أي يبقيه حتّى يصير إلى حال الهرم و الخرف، فيظهر النّقصان في جوارحه، و حواسّه، و عقله ـ ثمّ روى أنّها خمسٌ و سبعون سنة عن عليّ عليه السلام و عن النّبيّ صلى الله عليه و آله ـ.

﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ أي ليرجع إلى حال الطّفوليّة بنسيان ما كان علمه، لأجل الكبر، فكأنّه لا يعلم شيئًا ممّا كان علمه.

و قيل: ليقلّ علمه بخلاف ما كان عليه في حال شبابه...».

۷ ـ و قد ذكر نحو ذلك في آية الحجّ و أضاف: «و إنّما صار أرذل العمر، لأنّ الإنسان لا يرجو بعده صحّة و قوّة، و إنّما يرتقب الموت و الفناء، بخلاف حال الطّفوليّة و الضّعف الّذي يُرجى له الكمال و التّمام

بعدها...».

ب ـ القصّة آيتان:

الأولى: الآية: ٢٧، من سورة هود: ﴿وَ مَا نَرٰيكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذينَ هُمْ اَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ...﴾:

١ ـ و هذه من جملة آيات قصّة نوح بدء من الآية: ٢٥، ﴿وَ لَقَدْ اَرْسَلْنَا نُوحًا إِلىٰ قَوْمِهِ...﴾، و ختمًا بالآية: ٤٩، ﴿تِلْكَ مِنْ اَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ...﴾.

و قد بدأ نوح كلامه بقوله: ﴿إِنّي لَكُمْ نَذيرٌ مُبينٌ * اَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللهَ...﴾، و جاء بعدها جواب قومه له: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرٰيكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَ مَا نَرٰيكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذينَ هُمْ اَرَاذِلُنَا...﴾، ثمّ أعاد نوح قوله في الآيات بعدها إلى آخرها.

٢ ـ و قالوا في ﴿اَرَاذِلُنَا﴾: سفلتنا و ضعفاؤنا، شرارنا، الفقراء و المساكين، النّاقصو الاقتدار، الأشرار الّذين ليسوا برؤساء، الفقراء و أصحاب المهن المتّضعة، رَذل خسيس فقير، أخسّاؤنا، سَفَلة النّاس، من لاأخلاق له و لا يبالي، أسافلنا: الحاكة، و الأساقفة، و أصحاب الصّنائع الخسيسة، أخسّاؤنا و أدانينا، و نحوها.

٣ ـ و قالوا: الأراذل: جمع أرْذَل، و قيل: جمع أرذُل، و أرْذال: جمع رَذل، و جمع الجمع: أراذِل. و كان اللّازم على هذا أن يقال: أراذيل، و إذا ثبتت الياء في جمع فأحرى الاتزال في موضع استحقاقها.

٤ ـ و قال الطَّبْرِسيّ (٣: ١٥٥) ﴿مَا نَرٰيكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا﴾: ظنًّا منهم أنّ الرّسول إنّما يكون من غير جنس المرسل إليه، و لم يعلموا أنّ البعثة من الجنس قد تكون أصلح، و من الشّبهة أبعد.

﴿وَ مَا نَرٰيكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذينَ هُمْ اَرَاذِلُنَا﴾ أي لم يتّبعك الملأ، و الأشراف، و الرّؤساء منّا، و إنّما اتّبعك أخسّاؤنا الّذين لا مال لهم، و لا جاه...».

و الثّانية: الآية: ١١١، من سورة الشّعراء: ﴿قَالُوا اَنُؤْمِنُ لَكَ وَ اتَّبَعَكَ الْاَرْذَلُونَ﴾:

١ ـ و هذه من جملة آيات قصّة نوح أيضًا، بدء من الآية: ١٠٥، منها: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾، و ختمًا بالآية: ١٢٢، ﴿وَ اِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

٢ ـ و قد بدأت الآيات بقول نوح لقومه: ﴿اَلَا تَتَّقُونَ﴾، وقولهم له: ﴿اَنُؤْمِنُ لَكَ وَ اتَّبَعَكَ الْاَرْذَلُونَ﴾، ثمّ جاءت بعدها المقاولة بينه و بينهم، إلى أن قال نوح: ﴿قَالَ رَبِّ اِنَّ قَوْمي كَذَّبُونِ﴾، ثمّ جاء عذابهم بالغرق.

٣ ـ و قالوا في ﴿الْاَرْذَلُونَ﴾ نظير ما قالوا في آية هود من المعاني.

و من جملتهم قال الماوَرْديّ: «فيه خمسة أقاويل:

أحدها: أنّهم الّذين يسألون و لا يقنعون.

الثّاني: أنّهم المتكبّرون.

الثّالث: سفلة النّاس و أراذلهم، قاله قَتادة.

الرّابع: أنّهم الحائكون، قاله مُجاهِد.

الخامس: أنّهم الأساكفة، قاله ابن بَحْر.

و يحتمل سادسًا: أنّهم أصحاب المهن الرّذلة كلّها».

٤ ـ و قال الطَّبْرِسيّ (٤: ١٩٥) في «اللّغة»: «الأرذلون و الأراذل: السّفلة و أوضاع النّاس. و الرَّذْل: الوضيع. و الرّذيلة: نقيض الفضيلة».

٥ ـ و قال في « المعنى »: « ﴿وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ أي و قد اتبعك سفلة النّاس، و أراذلهم، و خساسهم، عن قَتادة.

و قيل: يعنون المساكين الّذين ليس لهم مال، و لا عزّ، عن عطاء.

و قيل: يعنون الحاكة و الأساكفة، عن الضّحّاك، و علقمة.

و المعنى: أنّ أتباعك أراذلنا و فقراؤنا، و أصحاب الأعمال الدّنيئة، و المهن الخسيسة، فلو اتّبعناك لصرنا مثلهم، و معدودين في جملتهم.

و هذا جهل منهم، لأنّه ليس في إيمان الأرذلين به ما يوجب تكذيبه، فإنّ الرّذل إذا أطاع سلطانه استحقّ التّقرّب عنده دون الشّريف العاصي...».

و يلاحظ ثانيًا: أنّ ثلاثًا منها مكّيّة و واحدة ـ آية الحجّ ـ مختلف فيها، و نرجّح أنّها مكّيّة أيضًا.

و عليه فيبدو أنّ هذه المادّة بصيغها المختلفة كانت مستعملة في مكّة.

و ثالثًا: من نظائر هذه المادّة في القرآن:

الخفض: ﴿خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾ الواقعة: ٣

الدّناءة: ﴿...أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِى هُوَ اَدْنٰى بِالَّذِى هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا...﴾ البقرة: ٦١

الدّون: ﴿وَ قَطَّعْنَاهُمْ فِى الْاَرْضِ اُمَمًا مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَ مِنْهُمْ دُونَ ذٰلِكَ وَ بَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَ السَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ الأعراف: ١٦٨

السّفالة: ﴿اِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ اِذْ اَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِىَ اثْنَيْنِ اِذْ هُمَا فِى الْغَارِ اِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ اِنَّ اللهَ مَعَنَا فَاَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَ اَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَ جَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلٰى وَ كَلِمَةُ اللهِ هِىَ الْعُلْيَا وَ اللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

التّوبة: ٤٠

رزق

٣٥ لفظًا، ١٢٣ مرّة: ٧٢ مكّيّة، ٥١ مدنيّة
في ٤٤ سورة: ٣٢ مكّيّة، ١٢ مدنيّة

رَزَقهم ٤: ١ـ ٣
رَزَقكُم ٩: ٧ـ ٢
رزقني ١: ١
رزقناه: ١: ١
رزقناهم ١٣: ٧ـ ٦
رزقناكم ٧: ٣ـ ٤
رُزِقُوا ١: ـ ١
رُزِقنا ١: ـ ١
يَرْزُق ٤: ١ـ ٣
يَرْزُقه ١: ـ ١
لَيَرْزُقنّهم ١: ـ ١
يَرْزُقها ١: ١
يَرْزُقكم ٥: ٥
تَرْزُق ١: ـ ١
رِزْقُه ٤: ٣ـ ١

نَرْزُقهم ١: ١
نَرْزُقك ١: ـ ١
نَرْزُقكُم ١: ـ ١
يُرْزَقُون ٢: ١ـ ١
تُرْزَقانه ١: ١
ارْزُق ١: ـ ١
ارْزُقهم ١: ١
ارْزُقنا ١: ـ ١
ارْزُقوهم ٢: ـ ٢
رازقين ١: ١
الرّازقين ٥: ٢ـ ٣
الرّزّاق ١: ١
رزق ١٣: ٧ـ ٦
الرِّزق ١٣: ١٠ـ ٣
رِزْقكم ٢: ٢

رِزْقهم ٢: ٢
رِزْقها ٣: ٣
رِزْقهنّ ١ـ ١

لَرِزقنا ١: ١
رِزقًا ١٦: ٩ـ ٧

النّصوص اللّغويّة

الخَليل: رَزَق الله يَرْزُق العباد رزقًا: اعتمدوا عليه. و هو الاسم، أُخرج على المصدر، و قيل: رَزْق. و إذا أخذ الجُنْد أرزاقهم، قيل: ارْتَزَقوا رَزَقَةً واحدة، أي مرّة. (٥: ٨٩)

اللّيث: الرِّزق: معروف، و رَزَق الأمير جُنْدَه فارْتَزَقوا ارتزاقًا. (الأزهَريّ ٨: ٤٣٠)

أبو عمرو الشّيبانيّ: الإرزاق: الإيجاف. (١: ٣٠٠)

الرّازقيّة: ثياب كتّان بيض. (الأزهَريّ ٨: ٤٣٠)

ابن دُرَيْد: الرِّزق: معروف، رزق الله تعالى،

والرِّزْق: المصدر، وكلّ من أجْرَيتَ عليه جرايةً فقد رزَقته رَزْقًا.

و الله عزّ و جلّ: الرّزّاق و الرّازق.

و جمع الرِّزْق: أرزاق.

و الرِّزْق: الشكر، لغة سَرَويّة؛ و منه: ﴿وَ تَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ الواقعة: ٨٢، أي شكركم.

و قد سمّت العرب رُزَيْقًا و مرزوقًا. [و استشهد بالشّعر ٣ مرّات] (٢: ٣٢٣)

الأزهَريّ: [قيل:] الرّازق و الرّزّاق من صفة الله جلّ و عزّ، لأنّه يرزق الخلق أجمعين. قال الله عزّ و جلّ: ﴿وَ مَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا﴾ هود: ٦.

و أرزاق بني آدم مكتوبة مقدّرة لهم، و هي واصلة إليهم، جدّوا في طلبها أو قصّروا.

و قال جلّ و عزّ: ﴿وَ فِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَ مَا تُوعَدُونَ﴾ الذّاريات: ٢٢، و قال: ﴿إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ الذّاريات: ٥٨.

و في حديث ابن مَسعود عن النّبيّ ﷺ «أنّ الله تعالى يبعث الملك إلى كلّ من اشتملت عليه رَحِم أمّه، فيقول له: اكتُبْ رِزْقَه و أجَلَه و عمَله، و شقيّ أو سعيد، فيُختَم له على ذلك».

و يقال: رَزَق الله الخلق رِزْقًا و رَزْقًا؛ فالرِّزق اسم، و الرَّزْق مصدر، و قد يوضع الاسم موضع المصدر.

و يقال: رُزِق الجُنْد رَزْقةً واحدة، و رُزقوا رَزْقتين، أي مرّتين.

و قوله: ﴿وَ تَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ الواقعة: ٨٢، معناه: تجعلون شكر رزقكم التّكذيب، فيقولون: مُطِرنا بنوء الثُّريّا.

و ارْتَزَق القوم، إذا أخذوا أرزاقهم.

[و قيل:] الرّازقيّ من الأعناب، هو المُلاحيّ. (٨: ٤٢٩)

الصّاحِب: الرّزق: معروف. و ارتزق الجند أرزاقهم.

و الرَّزْقة: المرّة الواحدة.

و الرّازقيّ: الضّعيف من كلّ شيء، و ثياب كتّان بِيْض. (٥: ٣٠٣)

الجَوهَريّ: الرِّزق: ما يُنتفع به؛ و الجمع: الأرزاق.

و الرَّزْق: العطاء، و هو مصدر قولك: رزَقه الله.

و الرَّزْقة بالفتح: المرّة الواحدة؛ و الجمع: الرَّزَقات، و هي أطماع الجُنْد.

و ارْتَزَقَ الجُنْد، أي أخذوا أرزاقهم، و قوله تعالى: ﴿وَ تَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ الواقعة: ٨٢، أي شكر رزقكم، و هذا كقوله: ﴿وَ اسْئَلِ الْقَرْيَةَ﴾ يوسف: ٨٢، يعني أهلها.

و قد يسمّى المطر رزقًا؛ و ذلك قوله عزّ و جلّ: ﴿وَ مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ الجاثية: ٥، و قال عزّ و جلّ: ﴿وَ فِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾ الذّاريات: ٢٢، و هو اتّساعٌ في اللُّغة.

و رجل مَرْزُوق، أي مجدود.

و الرّازقيّة: ثياب كتّان بيض. [ثمّ استشهد بشعر] (٤: ١٤٨١)

ابن فارس: الرّاء و الزّاء و القاف أُصَيْل واحد، يدلّ على عطاء لوقت، ثمّ يُحمَل عليه غير الموقوت.

فالرِّزْق: عطاء الله جلّ ثناؤه. و يقال: رَزَقه الله رَزْقًا؛ و الاسم: الرِّزْق.

و الرِّزْق بلغة أزْد: شُنوءَة الشُّكر، من قوله جلّ ثناؤه: ﴿وَ تَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ الواقعة : ٨٢.

و فعَلتُ ذلك لـمّا رزقْتني، أي لـمّا شكرْتني.

(٢ : ٣٨٨)

أبو هلال: الفرق بين الرِّزق و الحظّ: أنّ الرِّزق هو العطاء الجاري في الحكم على الإدرار، و لهذا يقال: أرزاق الجُند، لأنّها تجري على إدرار. و الحظّ لا يفيد هذا المعنى، و إنّما يفيد ارتفاع صاحبه به على ما ذكرنا.

قال بعضهم: يجوز أن يجعل الله للعبد حظًّا في شيء، ثمّ يقطعه عنه و يُزيله مع حياته و بقائه، و لا يجوز أن يقطع رزقه مع إحيائه، و بين العلماء في ذلك خلاف، ليس هذا موضع ذكره.

و كلّ ما خلقه الله تعالى في الأرض ممّا يُملَك فهو رزق للعباد في الجملة، بدلالة قوله تعالى: ﴿خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْاَرْضِ جَمِيعًا﴾ البقرة : ٢٩، و إن كان رزقًا لهم في الجملة، فتفصيل قسمته على ما يصحّ و يجوز من الإملاك.

و لا يكون الحرام رزقًا، لأنّ الرِّزق هو العطاء الجاري في الحكم، و ليس الحرام ممّا حكم به.

و ما يفترسه الأسد رزق له بشرط غلبته عليه، كما أنّ غنيمة المشركين رزق لنا بشرط غلبتنا عليهم. و المشرك يملك ما في يده، أمّا إذا غلبناه عليه بطل ملكه له و صار رزقًا لنا. و لا يكون الرِّزق إلّا حلالًا، فأمّا قولهم: رزق حلال فهو توكيد، كما يقال: بلاغة حسنة، و لا تكون البلاغة إلّا حسنة.

الفرق بين الرِّزق و الغذاء: أنّ الرِّزق اسم لما يملك صاحبه الانتفاع به، فلا يجوز منازعته فيه، لكونه حلالًا له، و يجوز أن يكون ما يغتذيه الإنسان حلالًا و حرامًا؛ إذ ليس كلّ ما يغتذيه الإنسان رزقًا له. ألا ترى أنّه يجوز أن يغتذي بالسّرقة، و ليست السّرقة رزقًا للسّارق، و لو كانت رزقًا له لم يُذَمّ عليها و على النّفقة منها، بل كان يُحمَد على ذلك، و الله تعالى مدح المؤمنين بإنفاقهم، في قوله تعالى: ﴿وَ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ البقرة : ٣. (١٣٦)

ابن سيده: رَزَقه الله يَرْزُقه رزقًا حسنًا: نعَشَه.

و الرِّزق، على لفظ المصدر: ما رزقه إيّاه؛ و الجمع: أرزاق. [إلى أن قال:]

و ارْتَزَقه، و استَرْزَقه: طلب منه الرِّزق. و قول لبيد:

رزقت مرابيع النّجوم و صابها
ودْق الرّواعد جودها فرهامها

جعل الرِّزق مطرًا، لأنّ الرِّزق عنه يكون.

و أرزاق الجُند: أطماعهم. و قد ارتزقوا.

و الرّوازق : الجوارح من الكلاب و الطّير.

و رزق الطّائر: فرخه يرزقه رَزْقًا. [ثمّ استشهد بشعر]

و الرّازقيّ: ثياب كتّان بيض. و قيل: كلّ ثوب رقيق: رازقيّ. و قيل : الرّازقيّ: الكتّان نفسه.

والرّازقيّ: ضرب من عنب الطّائف، أبيض طويل الحبّ.

ورُزَيْق: اسم. (٦: ٢٥٤)

الرّاغِب: الرّزق: يقال للعطاء الجاري تارةً -دنيويًّا كان أم أخرويًّا- وللنّصيب تارةً، ولما يصل إلى الجوف، ويُتغذّى به تارةً. يقال: أعطى السّلطان رزق الجند، ورُزقت علمًا، قال: ﴿وَاَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ اَنْ يَاْتِيَ اَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ المنافقون: ١٠، أي من المال والجاه والعلم.

وكذلك قوله: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ البقرة: ٣، ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ البقرة: ١٧٢. وقوله: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ اَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ الواقعة: ٨٢، أي وتجعلون نصيبكم من النّعمة تحرّي الكذب. وقوله: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾ الذّاريات: ٢٢، قيل: عنى به المطر الّذي به حياة الحيوان. وقيل: هو كقوله: ﴿وَاَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ المؤمنون: ١٨، وقيل: تنبيه أنّ الحظوظ بالمقادير، وقوله تعالى: ﴿فَلْيَاْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ﴾ الكهف: ١٩، أي بطعام يتغذّى به. وقوله تعالى: ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ * رِزْقًا لِلْعِبَادِ﴾ ق: ١٠، ١١، قيل: عنى به الأغذية، ويمكن أن يُحمَل على العموم فيما يؤكل ويُلبَس ويُستعمَل، وكلّ ذلك ممّا يخرج من الأرضين، وقد قيّضه الله بما يُنزِل له من السّماء من الماء.

وقال في العطاء الأخرويّ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ اَمْوَاتًا بَلْ اَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ آل عمران: ١٦٩، أي يُفيض الله عليهم النّعم الأخرويّة وكذلك قوله: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ مريم: ٦٢، وقوله: ﴿اِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ الذّاريات: ٥٨، فهذا محمول على العموم.

والرّازق: يقال لخالق الرّزق، ومعطيه، والمسبّب له، وهو الله تعالى. ويقال ذلك للإنسان الّذي يصير سببًا في وصول الرّزق. والرّزّاق: لا يقال إلّا للّه تعالى.

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾ الحجر: ٢٠، أي بسبب في رزقه، ولا مدخل لكم فيه، وقوله: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ النّحل: ٧٣، أي ليسوا بسبب في رزق بوجه من الوجوه وسبب من الأسباب.

ويقال: ارتزق الجُند: أخذوا أرزاقهم.

والرّزقة: ما يُعطَونه دفعة واحدة. (١٩٤)

الزّمَخْشَريّ: رزقه الله الغنى.

واسترزق الله يرزقك، وهو مرزوق من كذا.

وأجري عليه رزقًا.

وكم رزقك في الشّهر؟ أي جرايتك.

ورزق الأمير الجند.

وارتزق الجند، وأخذوا أرزاقهم ورزقاتهم.

وأخذت رزقة هذا العام.

وكساه رازقيّة، وهي ثياب من كتّان. [ثمّ استشهد بشعر] (١٦١)

المَدينيّ: في حديث أُمَيمَة الجونيّة، رضي الله عنها: «اكسها رازقيّين». الرّازقيّة: ثياب كتّان بيض.

والرّازقيّ: الضّعيف من كلّ شيء. (١: ٧٥٧)

ابن الأثير: في أسماء الله تعالى «الرّزّاق» وهو الّذي خلق الأرزاق، وأعطى الخلائق أرزاقها، وأوصلها إليهم. وفعّال من أبنية المبالغة.

والأرزاق نوعان: ظاهرة للأبدان كالأقوات، وباطنة للقلوب والنّفوس كالمعارف والعلوم.

(٢: ٢١٩)

الفَيُّوميّ: رزق الله الخلق يرزقهم، والرِّزق بالكسر: اسم للمَرْزوق، والجمع: الأرزاق، مثل: حِمْل وأحمال.

وارتزق القوم: أخذوا أرزاقهم فهم مُرتزقة.

(١: ٢٢٥)

الجُرْجانيّ: الرّزق: اسم لما يسوقه الله إلى الحيوان فيأكله، فيكون متناولًا للحلال والحرام.

وعند المعتزلة: عبارة عن مملوك يأكله المالك، فعلى هذا لا يكون الحرام رزقًا.

الرّزق الحسن: هو ما يصل إلى صاحبه بلا كدّ في طلبه. وقيل: ما وُجد غير مرتقب، ولا محتسَب، ولا مكتسَب. (٤٨)

الفيروزاباديّ: الرّزق، بالكسر: ما يُنتفع به، كالمرتزَق والمطر؛ جمعه: أرزاق.

وبالفتح: المصدر الحقيقيّ، والمرّة الواحدة، بهاء؛ جمعه: رزقات، محرّكة، وهي: أطماع الجُند.

ورزقه الله: أوصل إليه رزقًا، وفلانًا: شكره -أزديّة- ومنه: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ اَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ الواقعة: ٨٢.

ورجل مرزوق: مجدود.

والرّازقيّ: الضّعيف، والعنب المُلاحي، وبهاء: ثياب كتّان بيض، والخمر، كالرّازقيّ.

ومدينة الرّزق: كانت إحدى مسالح العجم بالبصرة قبل أن يختطّها المسلمون.

وارتزقوا: أخذوا أرزاقهم. (٣: ٢٤٣)

الطُّرَيحيّ: وفي الحديث: «شهر رمضان كان يسمّى على عهد رسول الله ﷺ: المرزوق، لكثرة ما يكون فيه من الأرزاق للعباد».

والرّزق: اسم للمرزوق؛ والجمع: أرزاق، كحِمْل وأحمال. وهو عند الأشاعرة: كلّ ما انتفع به مباحًا كان أو حرامًا. وعند المعتزلة: هو كلّ ما صحّ انتفاع الحيوان به بالتّغذّي. وليس الحرام رزقًا.

وأنت خبير بأنّ الأحاديث المنقولة في هذا الباب متخالفة؛ فالمعتزلة تمسّكوا بقوله ﷺ: «إنّ الله تعالى قسّم الأرزاق بين خلقه حلالًا، ولم يقسّمها حرامًا». والأشاعرة تمسّكوا بقول عمر بن قرّة؛ حيث قال: يا رسول الله إنّ الله كتب عليّ الشّقوة، فلا أراني أرزق إلّا من دفّي بكفّي، أتأذن لي في الغناء؟ فقال له رسول الله ﷺ بعد كلام: «أي عدوّ الله إنّ الله قد رزقك طيّبًا فاخترت ما حرّم الله عليك من رزقه مكان ما أحلّ الله لك من حلاله».

والمعتزلة يطعنون في سند هذا الحديث ويؤوّلونه أخرى، بأنّ سياق الكلام يقتضي أن يقال: «فاخترت ما حرّم الله عليك من حرامه». فأطلق على الحرام اسم الرّزق للمشاكلة، لقوله: «فلا أراني أرزق».

وفي الدّعاء: «واجعلني في الأحياء المرزوقين».

لعلّ المراد بذلك الشّهادة بين يدي الإمام عليه السلام، لأنّ الشّهداء أحياء عند ربّهم يُرزقون.

و من أسمائه تعالى: الرّزّاق، و هو الّذي خلق الأرزاق، و أعطى الخلائق أرزاقها، و أوصلها إليهم، و «فعّال» من أبنية المبالغة. (٥: ١٦٧)

مَجْمَعُ اللُّغة: ١ ـ رزقه يرزقه رَزْقًا: أعطاهم من الخير، فهو رازق، و هم رازقون.

و رزق الله الخلق يَرْزُقهم رَزْقًا: أعطاهم من فضله، سواء أكان ذلك في الدّنيا أم في الأخرى.

و الرّازق: يقال لخالق الرّزق و معطيه و المسبّب له، و هو الله تعالى. و يقال للإنسان الّذي يصير سببًا في وصول الرّزق.

٢ ـ و الله هو الرّزّاق.

٣ ـ الرّزق: اسم لما يعطيه الله و يُنتفَع به، و يوضع موضع المصدر. و كلّ ما هو من المعنى المصدريّ يصحّ أن يكون من المعنى الأوّل، و هو ما يعطيه الله و يُنتفَع به. (١: ٢٧٢)

محمّد إسماعيل إبراهيم: رزقه يَرْزُقه رَزْقًا: أوصل إليه الرّزق و أعطاه من الخير.

و الرّزّاق: اسم من أسماء لله الحسنى، و معناه: أنّه خالق الأرزاق و المتكفّل بإمداد خلقه بها، و يأتي لفظ «رزق» في بعض الآيات بمعنى المطر أو غير ذلك.

و الرّزّاق: هو الرّازق، و لا يقال إلّا لله تعالى. و رزق فلانًا: شكره، و منه قوله تعالى: ﴿وَ تَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ اَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ الواقعة: ٨٢. (١: ٢١٩)

محمود شيت: رزَقه رَزْقًا: أوصل إليه رزقًا، أو أعطاه إيّاه، يقال: رزق الأمير جُنده.

ارتَزَق الجُنديّ و غيره: أخذ رزقه.

الرّزّاق: أحد أسماء الله الحسنى.

الرّزق: اسم الشّيء المرزوق، و هو كلّ ما يُنتفَع به. و الرّزق ما يُنتفَع به ممّا يُؤكل و يُلبَس. و ما يصل إلى الجوف و يُتغذّى به. و المطر، و العطاء، أو العطاء الجاري: جمعه: أرزاق.

المرتزقة: يقال: هم مرتزقة، و أصحاب جرايات و رواتب مقدّرة.

و الجنود المرتزقة: هم الّذين يحاربون في الجيش على سبيل الارتزاق، و الغالب أن يكونوا من الغرباء.

ارتَزَق الجُنديّ: أخذ رزقه.

الرّزق: العطاء الجاري، و الطّعام اليوميّ النّظاميّ الّذي يُقدّم للجنديّ من الجيش؛ جمعه: أرزاق.

و الأرزاق: طعام العسكريّين، يقال: استلموا أرزاقهم.

المرتزقة: الّذين ينخرطون في الجيش من أجل العطاء أو الرّاتب. (١: ٢٩٢)

المُصْطَفَويّ: و التّحقيق أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو إنعام مخصوص بمقتضى حال الطّرف و مطابق احتياجه لتدوم به حياته، و يكون بالإدرار و بالجريان اللّازم. و هذه القيود هي الفارقة بينه و بين مفاهيم: الإحسان، و الإنعام، والإعطاء، و الحظّ، و النّصيب، و الإنفاق.

فإنّ الإحسان: مطلق الإتيان بالحسنة بأيّ نوع من العمل، و قيد إدامة الحياة، و الإدرار غير ملحوظ

في الإنعام و الإنفاق و الإعطاء، إلّا أنّ الإنعـام لازم أن يكون في الحسنات، و هو من النّعمة، و يوجب الشّـكر عليها.

و الإعطاء: أعمّ مـن حسـنة و غيرهـا، و لا يلـزم خروج العطيّة عن ملك المُعطي. و هذا بخلاف الإنفاق، فإنّ النّفقة تخرج عن ملك المُنفق، و تلاحظ فيـه جهـة حاجة الطّرف، و لا يلزم أن يكون في حسنة.

و النّصيب: ما يتعيّن و ينصب لينال الطّرف محبوبًا أو مكروهًا، و هذا بخلاف الحظّ، فإنّه ممّا يحظّه الله للعبد من الخير.

و النّصيب و الحظّ يجـوز فيهمـا القطـع، بخـلاف الرّزق فيدوم و يدرّ.

ثمّ إنّ الـرّزق الحقيقـيّ: هـو العطـاء الجـاري، و لا يكـون إلّا حـلالًا، بخـلاف الغـذاء و النّصـيب و العطاء، فإنّها تكون في الحلال و في الحرام.

و الرّزق إمّا في المادّيّات، كمـا في: ﴿وَ كُلُـوا مِمَّـا رَزَقَكُمُ اللهُ حَـلَالًا طَيِّبًـا﴾ المائـدة: ٨٨، ﴿كُلُـوا مِـنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَـاكُمْ﴾ البقـرة: ٥٧، ﴿وَارْزُقْهُـمْ مِـنَ الثَّمَرَاتِ﴾ إبراهيم: ٣٧.

و إمّا في المعنويّات، كما في: ﴿أَوْ مَـاتُوا لَيَـرْزُقَنَّهُمُ اللهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ الحجّ: ٥٨، ﴿بَلْ أَحْيَـاءٌ عِنْـدَ رَبِّهِـمْ يُرْزَقُـونَ﴾ آل عمـران: ١٦٩، ﴿لَهُـمْ مَغْفِـرَةٌ وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ الأنفال: ٧٤.

أو في ما يعمّ منهما، كما في: ﴿وَ مَا مِـنْ دَابَّـةٍ فِـي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَـى اللهِ رِزْقُهَـا﴾ هـود: ٦، ﴿إِنَّ اللهَ هُـوَ الرَّزَّاقُ﴾ الذّاريات: ٥٨، فإنّ رزق كلّ بحسبه.

و الرّزق هو المرحلة الثّانية بعد التّكوين و الإيجاد، و هو إدامة الحياة، و تكميل الذّوات في المرتبة الثّانيـة. فالله تعالى أوجـد الأشـياء جسـمانيًّا أو روحانيًّـا، ثمّ أعطى كُلًّا منها بحسـب اقتضـاء فطرته رزقًا له؛ و ذلـك هو الهداية التّكوينيّة إلى كمال الوجود، و السّـوق إلى السّير الصّعوديّ.

فظهر أنّ الرّزق يتمّ به التّكوين، فلابـدّ أن يكـون من صفات الله العزيـز المتعـال، و هـو مرحلـة بسـط الرّحمانيّة، و من مراتب الهداية. ﴿وَ الَّذِي قَـدَّرَ فَهَـدَىٰ * وَ الَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ﴾ الأعلى: ٣، ٤، ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُـمْ﴾ الرّوم: ٤٠، ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ يَرْزُقُكُمْ﴾ فاطر: ٣.

و قد يُنسب الـرّزق إلى غـير الله تعـالى باعتبـار ثـانويّ، فـإنّ تسـبيب الأسـباب و تهيئـة الوسـائل الظّاهريّة، إنّما تكون بأيدي النّاس و أسباب مادّيّـة، كما أنّ إجراء ما يُريد الرّوح إنّما هو بواسطة القُـوَى البدنيّة و الجوارح الظّاهريّة، و إن كان السّبب الأصيل و الآمر و النّاهي و الفاعل حقيقـة هـو الـنّفس، فهـو تعالى علّة العلل و مبدأ القُوى، و النّافذ التّامّ و المحيط بجميع الأسباب، و الحاكم بالكلّ في الكلّ على الكـلّ، لا مؤثّر غيره، و لا حول و لا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم.

﴿وَ هُـوَ خَيْـرُ الـرَّازِقِينَ﴾ المؤمنـون: ٧٢، ﴿وَ عَلَـى الْـمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُـنَّ﴾ البقـرة: ٢٣٣، ﴿فَـارْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾ النّسـاء: ٨.

﴿وَ اللهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْـرِ حِسَابٍ﴾ البقـرة: ٢١٢، سبق أنّ معـنى الحسـب هـو الإشـراف بقصـد

الإطّلاع فهو تعالى: ﴿يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ﴾ و مشيئته على ما يقتضي: علمه بالخير و الصّلاح، و على ما يقتضي المورد رزقًا مادّيًّا أو معنويًّا، من غير أن يُشرف أعمال النّاس ليطّلع على ميزان أعمالهم، حتّى يرزقهم بالميزان.

﴿يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ المؤمن: ٤٠، على طبق ميزان الأعمال و الحسنات منهم بحيث لايزيد عليها.

﴿مَا أَنْزَلَ اللهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَ حَلَالًا﴾ يونس: ٥٩، الرّزق الّذي يُعطى و يُقدّر من جانب الله العزيز حلال في الأصل، ثمّ يجعلون منه حرامًا بالمبايعة غير الصّحيحة، و مبادلة فاسدة، و عمل محرّم.

﴿إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ الذّاريات: ٥٨، ﴿الرَّزَّاقُ﴾ صيغة للمبالغة، و يدلّ على مبالغة في الرّازقيّة كيفًا و كمًّا، فهو تعالى وسعت رازقيّته العوالم الجسمانيّة و الرّوحانيّة و الخلق كلّها، و هو في هذه الصّفة على دقّة و علم كامل، و معرفة تامّة، كما في الخلّاق و العلّام و الجبّار و القهّار.

﴿إِلَّا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ * أُولٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ﴾ الصّافّات: ٤٠، ٤١، مخصوص بهم من المعارف و الفيوضات الإلهيّة، و الجذبات الرّبّانيّة، و التّجلّيات الرّوحانيّة. و لايبعد أن يكون المراد من الرّزق الكريم هذه الجملة من المعنويّات: ﴿لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ مَغْفِرَةٌ وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ الأنفال: ٤، ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ الحجّ: ٥٠، قلنا: إنّ رزق كلّ موجود بحسب اقتضاء مقامه: إمّا من المشتهيات النّفسانيّة، أو من الرّوحانيّة. (٤: ١١٥)

النّصوص التّفسيريّة

رَزَقَهُمُ

١ ـ وَ مَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللهُ وَ كَانَ اللهُ بِهِمْ عَلِيمًا.

النّساء: ٣٩

ابن عبّاس: أعطاهم الله من المال في سبيل الله. (٧٠)

الطّبريّ: يقول: و أدّوا زكاة أموالهم الّتي رزقهم الله، و أعطاهموها طيّبة بها أنفسهم، و لم ينفقوها رئاء النّاس التماس الذّكر و الفخر عند أهل الكفر بالله، و المحمدة بالباطل عند النّاس. (٤: ٩١)

٢ ـ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَ حَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللهُ افْتِرَاءً عَلَى اللهِ قَدْ ضَلُّوا وَ مَا كَانُوا مُهْتَدِينَ. الأنعام: ١٤٠

ابن عبّاس: ما أحلّ الله لهم من الحرث و الأنعام. (١٢٠)

الحسن: يعني: الأنعام و الحرث الّذين زعموا أنّها حجر. (الطّبرسيّ ٢: ٣٧٤)

الزّمخشريّ: من البحائر و السّوائب و غيرها. (٢: ٥٦)

ابن عطيّة: هي تلك الأنعام و الغلّات الّتي توقف

بغير شرع و لامثوبة في معاد. (٢ : ٣٥٣)

ابن الجَوْزيّ: و حرّموا ما رزقهم الله من الأنعام و الحرث، و زعموا أنّ الله أمرهم بذلك. (٣ : ١٣٤)

رَزَقَكُمُ

١ ـ ﴿وَ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ المائدة : ٨٨

ابن عبّاس: يريد من طيّبات الرّزق: اللّحم و غيره. (الواحديّ ٢ : ٢٢٠)

الطُّوسيّ: فالرّزق: هو ما للحيّ الانتفاع به، و ليس لغيره منعه منه.

و قال الرُّمّانيّ: الرّزق: هو العطاء الجاري في الحكم [و] من ذلك قيل: رزق السّلطان الجند، إذا جعل لهم عطاءً جاريًا في حكمه، في كلّ شهر أو في كلّ سنة.

قال الرُّمّانيّ: و كلّما خلقه الله في الأرض ممّا يُملك، فهو رزق العباد في الجملة، بدلالة قوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ البقرة : ٢٩. و لولا ذلك لجوّزنا أن يكون منه ما ليس للإنس، إلّا أنّه و إن كان رزقًا لهم في الجملة، فتفصيل قسمته على ما يصحّ، و يجوز من الإملاك. و لا يجوز أن يكون الرّزق حرامًا، لأنّ الله منع منه بالنّهي. فأمّا البغاة فيُرزقون حرامًا إذا حكموا بأنّ المال للعبد، و هو مغصوب لا يحلّ. و ما افترسه السّبع رزق له بشرط غلبته عليه، كما أنّ غنيمة المشركين رزق لنا بشرط غلبتنا عليها، لأنّ المشرك يملك ما في يده، فإذا غلبنا عليه بطل ملكه، و صار رزقًا لنا في هذه الحال.

قال: و قد أمرنا بأن نمنعه من الإنسان مع الإمكان، و أذن لنا أن نمنعه من غيره، من نحو الميتة و الوحش إن شئنا، و يسقط جميع ذلك في حال التّعذّر علينا.

و عندي أنّه لا يجب أن يُطلَق أنّ ما يغلب عليه السّبع رزق له، بل إنّما نقول: إنّ رزقه ما ليس لنا منعه منه، فأمّا ما لنا منعه منه إمّا بأن يكون ملكًا لنا أو أذن لنا فيه، فلا يكون رزقًا له بالإطلاق. و قد يسلّط الله السّبع على بعض المشركين فيكون رزقًا له و عقابًا للمشرك، و الأصل فيه قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا﴾ هود : ٦، فمفهوم هذا أنّه رزقه بشرط الغلبة عليه.

فإن قيل: إذا كان الرّزق لا يكون إلّا حلالًا فلِمَ قال: ﴿حَلَالًا﴾؟

قيل: ذكر ذلك على وجه التّأكيد، كما قال: ﴿وَ كَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ النّساء : ١٦٤، و قد أطلق في موضع آخر على جهة المدح: ﴿وَ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ البقرة : ٣. (٤ : ١١)

الزّمَخْشَريّ: أي من الوجوه الطّيّبة الّتي تسمّى رزقًا. (١ : ٦٤٠)

ابن عَطيّة: و الرّزق، عند أهل السّنّة: ما صحّ الانتفاع به. و قالت المعتزلة: الرّزق كلّ ما صحّ تملّكه و الحرام ليس برزق، لأنّه لا يصحّ تملّكه.

و يُرَدّ عليهم بأنّه يلزمهم أنّ آكل الحرام ليس بمرزوق من الله تعالى.

و قد خرّج بعض النّبلاء أنّ الحرام رزق من قوله تعالى: ﴿كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ

وَ رَبٌّ غَفُورٌ ﴾ سبأ : ١٥، قال: فذكر المغفرة مشيرًا إلى أنّ الرّزق قد يكون فيه حرام.

و ردّ أبو المعالي في « الإرشاد » على المعتزلة مشيرًا إلى أنّ الرّزق ما تملك يلزمهم أنّ ما مُلك فهو الرّزق، و ملك الله تعالى الأشياء لا يصحّ أن يقال فيه: إنّه رزق له.

و هذا الّذي ألزم غير لازم، فتأمّله. (٢ : ٢٢٩)

الطَّبْرِسيّ: و يُسأل هنا فيقال: إذا كان الرّزق كلّه حلالًا فلِمَ قيّد هاهنا، فقال: ﴿حَلَالًا﴾؟

و الجواب: أنّه إنّما ذكر ﴿حَلَالًا﴾ على وجه التّأكيد، كما قال: ﴿وَ كَلَّمَ اللهُ مُوسٰى تَكْلِيمًا﴾، و قد أطلق الله تعالى في موضع آخر على وجه المدح، و هو قوله: ﴿وَ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾. (٢ : ٢٣٦)

الشِّرْبينيّ: و لـمّا كان الرّزق يقع على الحرام، قيّده بعد القيد بالتّبعيض بقوله: ﴿حَلَالًا طَيِّبًا﴾ و هو مفعول ﴿كُلُوا﴾ و (مِمَّا) حال منه تقدّمت عليه، لأنّه نكرة. (١ : ٣٩٤)

أبو السُّعود: أي ما حلّ لكم و طاب ممّا رزقكم الله، فـ ﴿حَلَالًا﴾ مفعول ﴿كُلُوا﴾، و ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ﴾ إمّا حال منه تقدّمت عليه، لكونه نكرة، أو متعلّق بـ ﴿كُلُوا﴾، و (من) ابتدائيّة أو هو المفعول، و ﴿حَلَالًا﴾ حال من الموصول، أو من عائده المحذوف، أو صفة لمصدر محذوف، أي أكلًا حلالًا.

وعلى الوجوه كلّها، لو لم يقع الرّزق على الحرام، لم يكن لذكر الحلال فائدة زائدة. (٢ : ٣١٥)

٢ ـ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ وَ لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ. الأنعام: ١٤٢

ابن عبّاس: من الحرث و الأنعام. (١٢١)

الطَّبَريّ: كلوا ما رزقكم الله أيّها المؤمنون، فأحلّ لكم ثمرات حروثكم و غروسكم و لحوم أنعامكم؛ إذ حرّم بعض ذلك على أنفسهم المشركون بالله، فجعلوا لله ما ذرأ من الحرث و الأنعام نصيبًا، و للشّيطان مثله. (٥ : ٣٧٤)

القُشَيْريّ: الرّزق لا يتخصّص بالمأكولات، بل هو شائع في جميع ما يحصل به الانتفاع.

و ينقسم الرّزق إلى رزق الظّواهر و رزق السّرائر، ذلك وجود النّعم و هذا شهود الكرم، بل الخمود في وجود القِدَم.

و للقلب رزق، و هو التّحقيق من حيث العرفان، و للرّوح رزق، و هو المحبّة بصدق التّحرّر عن الأكوان، و للسّرّ رزق و هو الشّهود الّذي يكون للعبد، و هو قرين العيان. (٢ : ٢٠٢)

الطَّبْرِسيّ: أي استحلّوا الأكل ممّا أعطاكم الله، و لا تُحرّموا شيئًا منها، كما فعله أهل الجاهليّة في الحرث و الأنعام. و على هذا يكون الأمر على ظاهره. و يمكن أن يكون أراد نفس الأكل، فيكون بمعنى الإباحة. (٢ : ٣٧٧)

الآلوسيّ: أي كلوا بعض ما رزقكم الله تعالى، و هو الحلال، فـ (من) تبعيضيّة، و الرّزق شامل للحلال و الحرام، و المعتزلة خصّوه بالحلال ـ كما تقدّم أوائل الكتاب ـ و ادّعوا أنّ هذه الآية أحد أدلّتهم على ذلك، و ركّبوا شكلًا منطقيًّا أجزاؤه سهلة الحصول،

تقديره: الحرام ليس بمأكول شرعًا و هو ظاهر، و الرّزق ما يؤكل شرعًا، لقوله تعالى: ﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ﴾، فالحرام ليس برزق.

و أنت تعلم أنّ هذا إنّما يُفيد لو صدق كلّ رزق مأكول شرعًا، و الآية لاتدلّ عليه، أمّا إذا كانت تبعيضيّة فظاهر، و أمّا إن كانت ابتدائيّة، فلأنّه ليس فيها ما يدلّ على تناول الجميع.

و قيل: معنى الآية: استحلّوا الأكل ممّا أعطاكم الله تعالى. (٨: ٣٩)

رشيد رضا: من هذه الأنعام وغيرها، و انتفعوا بسائر أنواع الانتفاع منها. (٨: ١٤٠)

٣ـ وَنَادٰى اَصْحَابُ النَّارِ اَصْحَابَ الْجَنَّةِ اَنْ اَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ اَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ قَالُوا اِنَّ اللهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ. الأعراف: ٥٠

ابن عبّاس: من ثمار الجنّة. (١٢٨)

السُّدّيّ: يعني من الطّعام. (٢٦٢)

الطُّوسيّ: قال ابن زَيْد و السُّدّيّ: طلبوا مع الماء شيئًا من الطّعام. و قال أبو عليّ: طلبوا شيئًا من نعيم الجنّة. (٤: ٤٤٦)

الزّمخشريّ: ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ﴾ من غيره من الأشربة، لدخوله في حكم الإفاضة. و يجوز أن يراد: أو ألقوا علينا ممّا رزقكم الله من الطّعام و الفاكهة. كقوله:

* علّفتها تبنًا و ماءً باردًا *

و إنّما يطلبون ذلك مع يأسهم من الإجابة إليه، حيرة في أمرهم، كما يفعل المضطرّ الممتحن. (٢: ٨٢)

أبو حَيّان: و ما رزقكم الله عامّ، فيدخل فيه الطّعام و الفاكهة و الأشربة غير الماء، و تخصيصه بالثّمرة أو بالطّعام أو غير الماء من الأشربة أقوال. (٤: ٣٠٥)

البُرُوسَويّ: من سائر الأشربة، ليلائم الإفاضة، فإنّ الأصل فيها أن تُستعمل في المائعات من المشروبات أو من الأطعمة، فنأكلها لعلّها تدفع عنّا الجوع، على أنّ الإفاضة عبارة عن الإعطاء بكثرة.

و هؤلاء القائلون كانوا في الدّنيا عبيد البطون، حريصين على الطّعام و الشّراب حتّى ماتوا على ما عاشوا فيه، فحُشروا على ما ماتوا عليه، و أنّ أهل الجنّة لـمّا أطالوا الجوع و العطش في الدّنيا، و إنّما جوّعوا بطونهم لوليمة الفردوس، كان اشتغالهم في الجنّة بشهوات النّفس.

و في الآية بيان أنّ الإنسان لا يستغني عن الطّعام و الشّراب و إن كان في العذاب. (٣: ١٧٠)

٤ ـ وَاذْكُرُوا اِذْ اَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْاَرْضِ تَخَافُونَ اَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَاٰوٰيكُمْ وَاَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ. الأنفال: ٢٦

الثّعلبيّ: يعني الغنائم أحلّها لكم، و لم يحلّها لأحد قبلكم. (٤: ٣٤٥)

الطُّوسيّ: أي أطعمكم غنيمتكم حلالًا طيّبًا. (٥: ١٢٤)

القُشَيْريّ: رزق الأشباح و الظّواهر من طيّبات الغذاء، و رزق الأرواح و السّرائر من صنوف الضّياء.

و حقيقة الشّكر على هذه النّعم الغيبة عنها بالاستغراق في شهود المنعم. (٢: ٣١٢)

البغويّ: يعني: الغنائم الّتي أحلّها لكم و لم يُحلّها لأحد قبلكم. (٢: ٢٨٤)

نحوه المَيْبُديّ (٤: ٣١)، و الفخر الرّازيّ (١٥: ١٥٠).

الطَّبْرِسيّ: يعني الغنائم أحلّها لكم و لم يُحلّها لأحد قبلكم. و قيل: هي عامّة في جميع ما أعطاهم من الأطعمة اللّذيذة. (٢: ٥٣٥)

٥ ـ وَاللّٰهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ اَنْفُسِكُمْ اَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ اَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ اَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللّٰهِ هُمْ يَكْفُرُونَ. النّحل: ٧٢

الطُّوسيّ: أي جعل لكم أشياء تستطيبونها، و أباحها لكم. (٦: ٤٠٧)

القُشَيْريّ: الرّزق الطّيب لعبد: ما تستطيبه نفسه، و لآخر: ما يستطيبه سرّه.

فمنهم من يستطيب مأكولًا و مشروبًا، و منهم من يستطيب خلوة و صفوة. إلى غير ذلك من الأرزاق. (٣: ٣٠٨)

٦ ـ اَللّٰهُ الَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذٰلِكُمْ مِنْ شَىْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ. الرّوم: ٤٠

الطَّبْرِسيّ: أي أعطاكم أنواع النّعم. (٤: ٣٠٦)

الفخر الرّازيّ: أي أبقاكم، فإنّ العرض مخلوق و ليس مُبق. (٢٥: ١٢٧)

البُرُوسَويّ: استماع كلامه بلاواسطة عند خطابه ﴿اَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ الأعراف: ١٧٢، و هو رزق آذانكم، و رزق أبصاركم، مشاهدة شواهد ربوبيّته، و رزق قلوبكم فهم خطابه، و درك مراده من خطابه، و رزق ألسنتكم إجابة سؤاله و الشّهادة بتوحيده. (٧: ٤٣)

فضل الله: فهو الّذي هيّأ للرّزق و سائله في ما خلقه في الأرض و أنزله من السّماء، و في ما أعطاكم من قوّة، و لم يكن للآخرين من ذلك إلّا دور الأداة. (١٨: ١٤٣)

٧ ـ ...وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذٰلِكُمُ اللّٰهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللّٰهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ. المؤمن: ٦٤

الطُّوسيّ: لأنّه ليس لشيء من الحيوان من الطّيّبات المآكل و المشارب مثل ما خلق الله لابن آدم، فإنّ أنواع الطّيّبات و اللّذّات الّتي خلقها الله لهم، لاتُحصى لكثرتها من الثّمار و فنون النّبات و اللّحوم، و غير ذلك. (٩: ٩١)

نحوه الطَّبْرِسيّ. (٤: ٥٣٠)

القُشَيْريّ: و رزق النّفوس: الطّعام و الشّراب، و رزق القلوب: لذّات الطّاعات. (٥: ٣١٥)

ابن عاشور: إيماء إلى نعمة طول الوجود، فلم يكن الإنسان من الموجودات الّتي تظهر على الأرض ثمّ تضمحلّ في زمن قريب، و جمع له بين حُسن الإيجاد و بين حُسن الإمداد، فجعل ما به مدد الحياة و هو الرّزق من أحسن الطّيّبات على خلاف رزق بقيّة

أنواع الحيوان. (٢٤: ٢٣٥)

رَزَقَني

قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا... هود: ٨٨

ابن عبّاس: أكرمني بالنّبوّة و الإسلام و أعطاني مالًا حلالًا. (١٩٠)

الحسَن: معناه: هداني لدينه و وسّع عليّ رزقه و كان كثير المال. (الطّبرسيّ ٣: ١٨٨)

الطّوسيّ: و إنّما وصفه بأنّه حسن ـ مع أنّ جميع رزق الله حسن ـ لأمرين:

أحدهما: أنّه أراد بـ ﴿حَسَنًا﴾ حسن موقعه لجلالته و عظمته.

و الثّاني: أنّه أراد ما هو عليه على وجه التّأكيد.

و قيل: إنّ الرّزق الحسن هاهنا: النّبوّة. و قال البلخيّ: معناه: الهدى و الإيمان، لأنّهما لا يوصل إليهما إلّا بدعائه و بيانه و معونته و لطفه، أ فأعدل عمّا أنا عليه من عبادته، مع هذه الحال الدّاعية إليها؟ و إنّما حُذف لدلالة الكلام عليه.

و الرّزق: عطاء الخير الجاري في حكم المعطي، و العطيّة الواصلة من الإنسان: رزق من الله، و صلة من الإنسان، لإدرار الخير على العبد في حكمه. (٦: ٥١)

نحوه الطّبرسيّ. (٣: ١٨٨)

القُشَيْريّ: و الرّزق الحسن: ما به دوام الاستقلال، و ما ذلك إلّا مقتضى عنايته الأزليّة، و حسن تولّيه لشأنك في جميع ما فيه صلاحك، من إتمام النّعمة و دوام العصمة.

و قيل: الرّزق الحسن: ما تعنّى صاحبه لطلبه، و لم يصبه نصَب بسببه.

و قيل: الرّزق الحسن: ما يستوفيه بشهود الرّزق، و يحفظه عند التّنعّم بوجود الرّزّاق.

و يقال: الرّزق الحسن: ما لا ينسى الرّزّاق، و يحمل صاحبه على التّوسعة و الإنفاق. (٣: ١٥٢)

المَيْبُديّ: حلالًا طيّبًا من غير بخس و تطفيف؛ و ذلك أنّه كان كثير المال.

و قيل: ﴿رِزْقًا حَسَنًا﴾: علمًا، و معرفة، و نبوّة. (٤: ٤٣٤)

الزّمَخْشَريّ: و هو ما رزقه من النّبوّة و الحكمة. (٢: ٢٨٧)

ابن عَطيّة: يريد: خالصًا من الفساد الّذي أدخلتم أنتم أموالكم. (٣: ٢٠١)

ابن الجَوْزيّ: و في قوله تعالى: ﴿وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: أنّه الحلال، قال ابن عبّاس: و كان شعيب كثير المال.

و الثّاني: النّبوّة.

و الثّالث: العلم و المعرفة. (٤: ١٥١)

الفَخْر الرّازيّ: إشارة إلى ما آتاه الله من المال الحلال، فإنّه يروى أنّ شعيبًا عليه السلام كان كثير المال. [إلى أن قال:]

و قوله: ﴿وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ يدلّ على أنّ ذلك الرّزق إنّما حصل من عند الله تعالى و بإعانته، و أنّه

لامدخل للكسب فيه. و فيه تنبيه على أنّ الإعزاز من الله تعالى و الإذلال من الله تعالى، و إذا كان الكلّ من الله تعالى، فأنا لا أبالي بمخالفتكم، و لاأفرح بموافقتكم، و إنّما أكون على تقرير دين الله تعالى، و إيضاح شرائع الله تعالى. (١٨: ٤٥)

البُرُوسَويّ: هو النّبوّة و الحكمة أيضًا، عبّر عنهما بذلك تنبيهًا على أنّهما مع كونهما بيّنة رزق حسن، كيف لا، و ذلك مناط الحياة الأبديّة له و لأُمّته.

و قال بعضهم: هو ما رزقه الله من المال الحلال من غير شائبة حرام، أي من غير بخس و تطفيف، و كان كثير المال. و جواب الشّرط محذوف، لأنّ إثباته في قصّة نوح و لوط دلّ على مكانه، و معنى الكلام ينادي عليه.

و المعنى: أخبروني إن كنت على حجّة واضحة و يقين من ربّي و كنت نبيًّا على الحقيقة، فهل يصحّ لي أن أتّبعكم و أشوب الحلال بالحرام، و لاآمركم بتوحيد الله و ترك عبادة الأصنام، و الكفّ عن المعاصي و القيام بالقسط؟ و الأنبياء لايُبعثون إلّا لذلك. (٤: ١٧٤)

نحوه الآلوسيّ. (١٢: ١١٨)

ابن عاشور: و المراد بالرّزق الحسن هنا: مثل المراد من الرّحمة في كلام نوح و كلام صالح عليهما السلام، و هو نعمة النّبوّة. و إنّما عبّر شعيب عليه السلام عن النّبوّة بالرّزق على وجه التّشبيه مشاكلة لقولهم: ﴿أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشٰٓؤُا﴾ هود: ٨٧، لأنّ الأموال أرزاق. (١١: ٣١٤)

الطَّباطَبائيّ: و المراد بكونه رزق من الله رزقًا حسنًا: أنّ الله آتاه من لدنه وحي النّبوّة المشتمل على أُصول المعارف و الشّرائع. (١٠: ٣٦٧)

رَزَقْنَاهُ

وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا... النّحل: ٧٥

ابن عبّاس: ﴿وَمَنْ رَزَقْنَاهُ﴾: أعطيناه ﴿مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا﴾: مالًا كثيرًا. (٢٢٧)

الطَّبَريّ: فهذا المؤمن أعطاه الله مالًا، فعمل فيه بطاعة الله، و أخذ بالشّكر و معرفة حقّ الله، فأثابه الله على ما رزقه الرّزق المقيم الدّائم لأهله في الجنّة. (٧: ٦٢٢)

البغَويّ: هذا مثل المؤمن أعطاه الله مالًا، فعمل فيه بطاعة الله و أنفقه في رضاء الله سرًّا و جهرًا، فأثابه الله عليه الجنّة. (٣: ٨٩)

ابن عَطيّة: و الرّزق ما صحّ الانتفاع به، و قال أبومنصور في عقيدته: الرّزق ما وقع الاغتذاء به. و هذه الآية تردّ على هذا التّخصيص، و كذلك قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ البقرة: ٣، و ﴿أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ البقرة: ٢٥٤، و غير ذلك من قول النّبيّ ﷺ «جعل رزقي في ظلّ رُمحي»، و قوله: «أرزاق أُمّتي في سنابك خيلها، و أسنّة رماحها» فالغنيمة كلّها رزق، و الصّحيح: أنّ ما صحّ الانتفاع به هو الرّزق، و هو مراتب أعلاها ما تغذّي به. وقد حصر رسول الله ﷺ وجوه الانتفاع في قوله:

«يقول ابن آدم: مالي مالي، و هل لك من مالك إلّا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدّقت فأمضيت»؟. و في معنى اللّباس يدخل المركوب و نحوه.

و اختلف النّاس في الّذي هو له هذا المثل، فقال قَتادَة و ابن عبّاس: هو مثل الكافر و المؤمن، فكأنّ الكافر مملوك مصروف عن الطّاعة، فهو لا يقدر على شيء لذلك، و يُشبه ذلك العبد المذكور.

و التّمثيل على هذا التّأويل إنّما وقع في جهة الكافر فقط، جعل له مثالًا ثمّ قرن بالمؤمن المرزوق، إلّا أن يكون المرزوق ليس بمؤمن، و إنّما هو مثال للمؤمن، فيقع التّمثيل من جهتين.

و قال مُجاهِد و الضّحّاك: هذا المثال و المثال الآخر الّذي بعده إنّما هو للّه تعالى و الأصنام، فتلك هي للعبد المملوك الّذي لا يقدر على شيء، و اللّه تعالى تتصرّف قدرته دون معقّب، و كذلك فسّر الزّجّاج على نحو قول مُجاهِد.

و هذا التّأويل أصوب، لأنّ الآية تكون من معنى ما قبلها و بعدها في تبيّن أمر اللّه، و الرّدّ على أمر الأصنام. (٣: ٤٠٩)

الطَّبْرِسيّ: ﴿رِزْقًا﴾ مفعول ثان لـ﴿رَزَقْنَاهُ﴾. و في هذا دليل على أنّ «رزق» يتعدّى إلى مفعولين؛ ألا ترى أنّ قوله: ﴿رِزْقًا حَسَنًا﴾ لو كان مصدرًا لما جاز أن يقول: فهو يُنفق منه، لأنّ الإنفاق إنّما يكون من المال لا من الحدث الّذي هو المصدر؟. [إلى أن قال:]

يريد و حُرًّا رزقناه و ملّكناه مالًا و نعمةً ﴿فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَ جَهْرًا﴾ لا يخاف من أحد. (٣: ٣٧٥)

الفَخْر الرّازيّ: و فيه مسائل:

المسألة الأولى: في تفسير هذا المثل قولان:

القول الأوّل: أنّ المراد: أنّا لو فرضنا عبدًا مملوكًا لا يقدر على شيء، و فرضنا حُرًّا كريمًا غنيًّا كثير الإنفاق سرًّا و جهرًا، فصريح العقل يشهد بأنّه لا تجوز التّسوية بينهما في التّعظيم و الإجلال، فلمّا لم تجز التّسوية بينهما مع استوائهما في الخلقة و الصّورة و البشريّة، فكيف يجوز للعاقل أن يسوّي بين اللّه القادر على الرّزق و الإفضال، و بين الأصنام الّتي لا تملك و لا تقدر ألبتّة.

و القول الثّاني: أنّ المراد بالعبد المملوك الّذي لا يقدر على شيء هو الكافر، فإنّه من حيث إنّه بقي محرومًا عن عبوديّة اللّه تعالى و عن طاعته، صار كالعبد الذّليل الفقير العاجز، و المراد بقوله: ﴿وَ مَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا﴾ هو المؤمن، فإنّه مشتغل بالتّعظيم لأمر اللّه تعالى، و الشّفقة على خلق اللّه، فبيّن تعالى أنّهما لا يستويان في المرتبة و الشّرف و القرب من رضوان اللّه تعالى.

و اعلم أنّ القول الأوّل أقرب، لأنّ ما قبل هذه الآية و ما بعدها إنّما ورد في إثبات التّوحيد، و في الرّدّ على القائلين بالشّرك، فحَمْل هذه الآية على هذا المعنى أولى.

المسألة الثّانية: اختلفوا في المراد بقوله: ﴿عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾، فقيل: المراد به: الصّنم.

لأنّه عبد، بدليل قوله: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا اٰتِي الرَّحْمٰنِ عَبْدًا﴾ مريم: ٩٣، و أمّا أنّه مملوك و لايقدر على شيء فظاهر. و المراد بقوله: ﴿وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا﴾ عابد الصّنم، لأنّ الله تعالى رزقه المال، و هو يُنفق من ذلك المال على نفسه و على أتباعه سرًّا و جهرًا.

إذا ثبت هذا، فنقول: هما لا يستويان في بديهة العقل، بل صريح العقل يشهد بأنّ ذلك القادر أكمل حالًا و أفضل مرتبةً من ذلك العاجز، فهنا صريح العقل يشهد بأنّ عابد الصّنم أفضل من ذلك الصّنم، فكيف يجوز الحكم بكونه مساويًا لربّ العالمين في العبوديّة ؟. (٢٠: ٨٣)

البُرُوسَويّ: حلالًا طيّبًا أو مستحسنًا عند النّاس مرضيًّا. (٥: ٥٩)

رَزَقْنَاهُمْ

١- اَلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلٰوةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ. البقرة: ٣

الطُّوسيّ: أمّا الرّزق فهو ما للحيّ الانتفاع به على وجه لا يكون لأحد منعه منه، وهذا لا يُطلق إلّا فيما هو حلال، فأمّا الحرام فلايكون رزقًا، لأنّه ممنوع منه بالنّهي و لصاحبه أيضًا منعه منه، ولأنّه أيضًا مدحهم بالإنفاق ممّا رزقهم، و المغصوب و الحرام يُستحقّ الذّمّ على إنفاقه، فلايجوز أن يكون رزقًا.

[إلى أن قال:]

و أصل الرّزق: الحظّ لقوله: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ الواقعة: ٨٢، أي حظّكم، و ما جعله حظًّا لهم فهو رزقهم. (١: ٥٧)

القُشَيْريّ: الرّزق: ما تمكّن الإنسان من الانتفاع به. (١: ٦٩)

الواحديّ: يقال: رزق الله الخلق رَزقًا، و رزقًا، فالرَّزق بالفتح، هو المصدر الحقيقيّ، و الرِّزق: الاسم. و يجوز أن يوضع موضع المصدر، و كلّ ما انتفع به العبد فهو رزقه، من مال و ولد و عبد و غيره. (١: ٨٢)

البغويّ: و الرّزق: اسم لكلّ ما يُنتفع به حتّى الولد و العبد، و أصله في اللُّغة: الحظّ و النّصيب. (١: ٨٥)

نحوه الخازن. (١: ٢٦)

الزَّمَخْشَريّ: و إسناد الرّزق إلى نفسه للإعلام بأنّهم ينفقون الحلال الطّلق الّذي يستأهل أن يضاف إلى الله، و يسمّى رزقًا منه. و أدخل (من) التبعيضة صيانة لهم، و كفًّا عن الإسراف و التّبذير المنهيّ عنه. (١: ١٣٢)

ابن عَطِيّة: الرّزق عند أهل السّنّة: ما صحّ الانتفاع به حلالًا كان أو حرامًا، بخلاف قول المعتزلة: إنّ الحرام ليس برزق. (١: ٨٥)

الطَّبْرِسيّ: حقيقة الرّزق هو ما صحّ أن يُنتفع به المنتفع، و ليس لأحد منعه منه. و هذه الآية تدلّ على أنّ الحرام لا يكون رزقًا، لأنّه تعالى مدحهم بالإنفاق ممّا رزقهم، و المنفق من الحرام لا يستحقّ المدح على الإنفاق بالاتّفاق، فلايكون رزقًا. (١: ٣٩)

الفَخْرالرّازيّ: الرّزق في كلام العرب: هو الحظّ، قال تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ الواقعة: ٨٢، أي حظّكم من هذا الأمر، و الحظّ هو نصيب الرّجل، و ما هو خاصّ له دون غيره، ثمّ قال بعضهم: الرّزق كلّ شيء يؤكل أو يُستعمل. و هو باطل، لأنّ الله تعالى أمرنا بأن ننفق ممّا رزقنا، فقال: ﴿أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ البقرة: ٢٥٤، فلو كان الرّزق هو الّذي يؤكل لما أمكن إنفاقه.

و قال آخرون: الرّزق: هو ما يُملك، و هو أيضًا باطل، لأنّ الإنسان قد يقول: اللّهمّ ارزقني ولدًا صالحًا أو زوجةً صالحةً، و هو لايملك الولد و لاالزّوجة، و يقول: اللّهمّ ارزقني عقلًا أعيش به، و ليس العقل بمملوك، و أيضًا البهيمة يكون لها رزق، و لايكون لها ملك.

و أمّا في عرف الشّرع فقد اختلفوا فيه، فقال أبوالحسين البصريّ: الرّزق: هو تمكين الحيوان من الانتفاع بالشّيء، و الحظر على غيره أن يمنعه من الانتفاع به. فإذا قلنا: قد رزقنا الله تعالى الأموال، فمعنى ذلك أنّه مكّننا من الانتفاع بها، و إذا سألناه تعالى أن يرزقنا مالًا، فإنّا نقصد بذلك أن يجعلنا بالمال أخصّ. و إذا سألناه أن يرزق البهيمة، فإنّا نقصد بذلك أن يجعلها به أخصّ. و إنّما تكون به أخصّ إذا مكّنها من الانتفاع به، و لم يكن لأحد أن يمنعها من الانتفاع به.

و اعلم أنّ المعتزلة لـمّا فسّروا الرّزق بذلك لاجرم قالوا: الحرام لايكون رزقًا. و قال أصحابنا: الحرام قد يكون رزقًا، فحجّة الأصحاب من وجهين:

الأوّل: أنّ الرّزق في أصل اللّغة: هو الحظّ و النّصيب على ما بيّنّاه، فمن انتفع بالحرام فذلك الحرام صار حظًّا و نصيبًا، فوجب أن يكون رزقًا له.

الثّاني: أنّه تعالى قال: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا﴾ هود: ٦، و قد يعيش الرّجل طول عمره لايأكل إلّا من السّرقة، فوجب أن يقال: إنّه طول عمره لم يأكل من رزقه شيئًا.

أمّا المعتزلة فقد احتجّوا بالكتاب و السّنّة و المعنى:

أمّا الكتاب فوجوه:

أحدها: قوله تعالى: ﴿مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ مدحهم على الإنفاق ممّا رزقهم الله تعالى، فلو كان الحرام رزقًا لوجب أن يستحقّوا المدح إذا أنفقوا من الحرام، و ذلك باطل بالاتّفاق.

و ثانيها: لو كان الحرام رزقًا لجاز أن يُنفق الغاصب منه، لقوله تعالى: ﴿أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ البقرة: ٢٥٤، و أجمع المسلمون على أنّه لايجوز للغاصب أنّه يُنفق ممّا أخذه بل يجب عليه ردّه، فدلّ على أنّ الحرام لايكون رزقًا.

و ثالثها: قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾ يونس: ٥٩، فبيّن أنّ من حرّم رزق الله فهو مفتر على الله، فثبت أنّ الحرام لايكون رزقًا.

و أمّا السّنّة، فما رواه أبوالحسين في كتاب «الغرر» بإسناده عن صفوان بن أُميّة قال: كنّا عند رسول الله ﷺ إذ جاءه عمرو بن قرّة، فقال له: يا رسول

الله إنّ الله كتب عليّ الشّقوة فلاأراني أرزق إلّا من دفّي بكفّي فأذن لي في الغناء من غير فاحشة، فقال عليه السلام: «لاإذن لك و لا كرامة و لانعمة كذبت أي عدوّ الله، لقد رزقك الله رزقًا طيّبًا، فاخترت ما حرّم الله عليك من رزقه مكان ما أحلّ الله لك من حلاله، أما إنّك لو قلت بعد هذه المقدّمة شيئًا، ضربتك ضربًا وجيعًا».

و أمّا المعنى: فإنّ الله تعالى منع المكلّف من الانتفاع بالحرام، و أمر غيره بمنعه منه و الانتفاع به، من منع من أخذ الشّيء و الانتفاع به، لايقال: إنّه رزقه إيّاه، ألا ترى أنّه لايقال: إنّ السّلطان قد رزق جُنده مالًا قد منعهم من أخذه، و إنّما يقال: إنّه رزقهم ما مكّنهم من أخذه، و لايمنعهم منه و لاأمر بمنعهم منه.

أجاب أصحابنا عن التّمسّك بالآيات بأنّه و إن كان الكلّ من الله، لكنّه كما يقال: يا خالق المحدثات و العرش و الكرسيّ، و لايقال: يا خالق الكلاب و الخنازير، و قال: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ﴾ الدّهر: ٦، فخصّ اسم العباد بالمتّقين، و إن كان الكفّار أيضًا من العباد، و كذلك هاهنا خصّ اسم «الرّزق» بالحلال على سبيل التّشريف و إن كان الحرام رزقًا أيضًا.

و أجابوا عن التّمسّك بالخبر بأنّه حجّة لنا، لأنّ قوله عليه السلام: «فاخترت ما حرّم الله عليك من رزقه»، صريح في أنّ الرّزق قد يكون حرامًا، و أجابوا عن المعنى بأنّ هذه المسألة محض اللّغة، و هو أنّ الحرام هل يسمّى رزقًا أم لا؟ و لامجال للدّلائل العقليّة في الألفاظ، و الله أعلم. (٢: ٣٠)

القُرطُبيّ: و الرّزق عند أهل السّنّة: ما صحّ الانتفاع به حلالًا كان أو حرامًا، خلافًا للمعتزلة في قولهم: إنّ الحرام ليس برزق، لأنّه لايصحّ تملّكه، و إنّ الله لايرزق الحرام و إنّما يرزق الحلال، و الرّزق لايكون إلّا بمعنى الملك.

قالوا: فلو نشأ صبيّ مع اللُّصوص و لم يأكل شيئًا إلّا ما أطعمه اللُّصوص إلى أن بلغ و قوي و صار لُصًّا، ثمّ لم يزل يتلصّص و يأكل ما تلصّصه إلى أن مات، فإنّ الله لم يرزقه شيئًا، إذ لم يملكه، و إنّه يموت و لم يأكل من رزق الله شيئًا.

و هذا فاسد، و الدّليل عليه أنّ الرّزق لو كان بمعنى التّمليك، لوجب ألّا يكون الطّفل مرزوقًا، و لا البهائم الّتي ترتع في الصّحراء، و لا السّخال من البهائم، لأنّ لبن أمّهاتها ملك لصاحبها دون السّخال. و لمّا اجتمعت الأمّة على أنّ الطّفل و السّخال و البهائم مرزوقون، و أنّ الله تعالى يرزقهم مع كونهم غير مالكين، عُلم أنّ الرّزق هو الغذاء، و لأنّ الأمّة مجمعة على أنّ العبيد و الإماء مرزوقون، و أنّ الله تعالى يرزقهم مع كونهم غير مالكين، فعُلم أنّ الرّزق ما قلناه لاما قالوه.

و الّذي يدلّ على أنّه لارازق سواه قوله الحقّ: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ فاطر: ٣، و قال: ﴿إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ الذّاريات: ٥٨، و قال: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا﴾ هود: ٦، و هذا قاطع، فالله تعالى

رازق حقيقة و ابن آدم رازق تجوّزًا، لأنّه يملك ملكًا منتزعًا، كما بيّنّاه في الفاتحة، مرزوق حقيقة كالبهائم الّتي لاملك لها، إلّا أنّ الشّيء إذا كان مأذونًا له في تناوله، فهو حلال حكمًا، و ما كان منه غير مأذون له في تناوله، فهو حرام حكمًا، و جميع ذلك رزق.

و قد خرّج بعض النّبلاء من قوله تعالى: ﴿كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ سبأ: ١٥، فقال: ذكر المغفرة يشير إلى أنّ الرّزق قد يكون فيه حرام. [ثمّ أدام نحو الواحديّ] (١: ١٧٧)

أبو السّعود: الرّزق في اللّغة: العطاء، و يُطلق على الحظّ المعطَى، نحوذبح و رعي للمذبوح و المرعَى. و قيل: هو بالفتح مصدر و بالكسر اسم، و في العرف: ما ينتفع به الحيوان. و المعتزلة لمّا أحالوا تمكين الله تعالى من الحرام، لأنّه منع من الانتفاع به و أمر بالزّجر عنه، قالوا: الرّزق لايتناول الحرام، ألاترى أنّه تعالى أسند الرّزق إلى ذاته، إيذانًا بأنّهم يُنفقون من الحلال الصّرف، فإنّ إنفاق الحرام بمعزل من إيجاب المدح، و ذمّ المشركين على تحريم بعض ما رزقهم الله تعالى بقوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا﴾ يونس: ٥٩.

و أصحابنا جعلوا الإسناد المذكور للتّعظيم و التّحريض على الإنفاق، و الذّمّ لتحريم مالم يحرّم، و اختصاص ما رزقناهم بالحلال للقرينة، و تمسّكوا لشمول الرّزق لهما بما روي عنه ﷺ في حديث عمرو بن قرّة حين أتاه، فقال: يا رسول الله إنّ الله قد كتب عليّ الشّقوة فلاأرى أُرزَق إلّا من دفّي بكفّي، فأذَنْ لي في الغناء من غير فاحشة، من أنّه قال ﷺ: «لا آذَنُ لك و لاكرامة و لانعمة كذبتَ أي عدوّ الله، و الله لقد رزقك الله حلالًا طيّبًا، فاخترت ما حرّم الله عليك من رزقه مكان ما أحلّ الله لك من حلاله»، و بأنّه لولم يكن الحرام رزقًا لم يكن المتغذّي به طول عمره مرزوقًا، و قد قال الله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا﴾ هود: ٦. (١: ٤٥)

الكاشانيّ: من الأموال و القوى و الأبدان و الجاه و العلم. (١: ٧٩)

البُرُوسَويّ: الرّزق في اللّغة: العطاء، و في العرف: ما يُنتفع به الحيوان، و هو تناول الحلال و الحرام عند أهل السّنّة، و القرينة تخصّصه هاهنا بالحلال، لأنّ المقام مقام المدح. و تقديم المفعول للاهتمام به و المحافظة على رؤوس الآي. (١: ٣٨)

المَراغيّ: الرّزق في اللّغة: العطاء، ثمّ شاع استعماله فيما ينتفع به الحيوان، و جمهرة المسلمين على أنّ كلّ ما يُنتفَع به حلالًا كان أو حرامًا فهو رزق، و خصّه جماعة بالحلال فقط. (١: ٤٢)

ابن عاشور: و الرّزق: ما يناله الإنسان من موجودات هذا العالم الّتي يسدّ بها ضروراته و حاجاته، و ينال بها ملائمه، فيُطلق على كلّ ما يحصل به سدّ الحاجة في الحياة، من الأطعمة و الأنعام و الحيوان و الشّجر المثمر و الثّياب و ما يقتني به ذلك من النّقدين، قال تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾ النّساء: ٨، أي ممّا تركه الميّت، و قال: ﴿اللهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ

يَشاءُ وَ يَقْدِرُ وَ فَرِحُوا بِالْحَيٰوةِ الدُّنْيا ﴾ الرّعد : ٢٦، و قال في قصّة قارون: ﴿وَ آتَيْناهُ مِنَ الْكُنُوزِ ﴾ إلى قوله: ﴿وَيْكَأَنَّ اللّٰهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَ يَقْدِرُ﴾ القصص: ٧٦ ـ ٨٢، مرادًا بالرّزق كنوز قارون، و قال: ﴿وَ لَوْ بَسَطَ اللّٰهُ الرِّزْقَ لِعِبادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ﴾ الشّورى: ٢٧.

و أشهر استعماله بحسب ما رأيت من كلام العرب و موارد القرآن، أنّه ما يحصل من ذلك للإنسان. و أمّا إطلاقه على ما يتناوله الحيوان من المرعى و الماء، فهو على المجاز، كما في قوله تعالى: ﴿وَ ما مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللّٰهِ رِزْقُها﴾ هود: ٦، و قوله: ﴿وَجَدَ عِنْدَها رِزْقًا﴾ آل عمران: ٣٧، و قوله: ﴿لَا يَأْتِيكُما طَعامٌ تُرْزَقانِهِ﴾ يوسف: ٣٧.

و الرّزق شرعًا عند أهل السّنّة كالرّزق لغةً؛ إذ الأصل عدم النّقل إلّا لدليل، فيصدق اسم الرّزق على الحلال و الحرام، لأنّ صفة الحلّ و الحرمة غير ملتفت إليها هنا، فبيان الحلال من الحرام له مواقع أخرى، و لايقبل اللّه إلّا طيّبًا؛ و ذلك يختلف باختلاف أحوال التّشريع، مثل الخمر و التّجارة فيها قبل تحريمها، بل المقصود أنّهم ينفقون ممّا في أيديهم.

و خالفت المعتزلة في ذلك، في جملة فروع مسألة خلق المفاسد و الشّرور و تقديرها، و مسألة الرّزق من المسائل الّتي جرت فيها المناظرة بين الأشاعرة و المعتزلة كمسألة الآجال، و مسألة السّعر، و تمسّك المعتزلة في مسألة الرّزق بأدلّة لاتنتج المطلوب.

(١: ٢٣٢)

٢ ـ وَ لَقَدْ بَوَّأْنا بَنِي إِسْرائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَ رَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ... يونس: ٩٣

الماوَرْديّ: يعني و أحللنا لهم من الخيرات الطّيّبة. (٢: ٤٥٠)

الطُّوسيّ: أي ملّكناهم الأشياء اللّذيذة. و الرّزق: العقد على العطاء الجاري، و دلّت الآية على سعة أرزاق بني إسرائيل. (٥: ٤٩٢)

نحوه الطَّبْرِسيّ. (٣: ١٣٢)

الفَخْرالرّازيّ: و المراد من قوله: ﴿وَ رَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ﴾ تلك المنافع، و أيضًا المراد منها: أنّه تعالى أورث بني إسرائيل جميع ما كان تحت أيدي قوم فرعون، من النّاطق و الصّامت و الحرث و النّسل، كما قال: ﴿وَ أَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشارِقَ الْأَرْضِ وَ مَغارِبَهَا﴾ الأعراف: ١٣٧. (١٧: ١٥٨)

٣ ـ الَّذِينَ إِذا ذُكِرَ اللّٰهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَ الصَّابِرِينَ عَلىٰ ما أَصابَهُمْ وَ الْمُقِيمِي الصَّلٰوةِ وَ مِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ. الحجّ: ٣٥

الطُّوسيّ: أي ممّا ملّكهم اللّه، و جعل لهم التّصرّف فيه، يُنفقون في مرضاته.

و في ذلك دلالة على أنّ الحرام ليس برزق اللّه، لأنّ اللّه مدح من يُنفق في سبيل اللّه ممّا رزقه، و الحرام ممنوع من التّصرّف فيه و الإنفاق منه، فكيف يكون رزقًا؟ (٧: ٣١٥)

٤ ـ...وَ رَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ وَ فَضَّلْناهُمْ عَلىٰ

الْعَالَمِينَ. الجاثية: ١٦

الطَّبَريّ: يقول: و أطعمناهم من طيّبات أرزاقنا، و ذلك ما أطعمهم من المنّ و السّلوى. (١١: ٢٥٨)

الطُّوسيّ: فالرّزق: العطاء الجاري على توقيت و توظيف في الحكم. و إنّما قلنا في الحكم، لأنّه لو حكم بالعطاء الموقّت في الأوقات الدّائرة على الاستمرار، لكان رازقًا، و إن اقتطعه ظالم عن ذلك العطاء.

(٩: ٢٥٤)

الطَّبْرِسيّ: أي و أعطيناهم من أنواع الطّيّبات.

(٥: ٧٥)

الفَخْر الرّازيّ: و ذلك لأنّه تعالى وسّع عليهم في الدّنيا، فأورثهم أموال قوم فرعون و ديارهم، ثمّ أنزل عليهم المنّ و السّلوى. (٢٧: ٢٦٥)

رُزِقُوا ـ رُزِقْنَا

وَ بَشِّرِ الَّذِينَ اٰمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ اَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هٰذَا الَّذِى رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ. البقرة: ٢٥

ابن عبّاس: كلّما أطعموا فيها في الجنّة. (٦)

نحوه الواحديّ (١: ١٠٤) و البغويّ (١: ٩٤).

الطَّبَريّ: يعني بقوله: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا﴾ من الجنّات، و الهاء راجعة على الجنّات. و إنّما المعنيّ أشجارها، فكأنّه قال: كلّما رزقوا من أشجار البساتين الّتي أعدّها الله للّذين آمنوا و عملوا الصّالحات في جنّاته من ثمرة من ثمارها رزقًا، قالوا: هذا الّذي رزقنا من قبل. [إلى أن قال:]

فإن سألنا سائل، فقال: و كيف قال القوم: ﴿هٰذَا الَّذِى رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ و الّذي رزقوه من قبل قد عدم بأكلهم إيّاه و كيف يجوز أن يقول أهل الجنّة قولًا لاحقيقة له؟.

قيل: إنّ الأمر على غير ما ذهبت إليه في ذلك، و إنّما معناه: هذا من النّوع الّذي رزقناه من قبل هذا من الثّمار و الرّزق، كالرّجل يقول لآخر: قد أعدّ لك فلان من الطّعام كذا و كذا من ألوان الطّبيخ و الشّواء و الحلوى، فيقول المقول له ذاك: هذا طعامي في منزلي. يعني بذلك أنّ النّوع الّذي ذكر له صاحبه أنّه أعدّه له من الطّعام هو طعامه، لأنّ أعيان ما أخبره صاحبه أنّه قد أعدّه له هو طعامه، بل ذلك ممّا لايجوز لسامع سمعه يقول ذلك أن يتوهّم أنّه أراده أو قصده، لأنّ ذلك خلاف مخرج كلام المتكلّم، و إنّما يوجّه كلام كلّ متكلّم إلى المعروف في النّاس من مخارجه دون المجهول من معانيه، فكذلك ذلك في قوله: ﴿قَالُوا هٰذَا الَّذِى رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾، إذ كان ما كانوا رزقوه من قبل قد فني و عدم، فمعلوم أنّهم عنوا بذلك هذا من النّوع الّذي رزقناه من قبل، و من جنسه في السّمات و الألوان، على ما قد بيّنّا من القول في ذلك في كتابنا هذا.

(١: ٢٠٦)

الزّمَخْشَريّ: و قوله: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا﴾ لايخلو من أن يكون صفة ثانية لـ ﴿جَنَّاتٍ﴾، أو خبر مبتدإ محذوف، أو جملة مستأنفة، لأنّه لـمّا قيل: إنّ لهم جنّات، لم يخل خلد السّامع أن يقع فيه أثمار تلك الجنّات، أشباه ثمار جنّات الدّنيا، أم أجناس أخر

لاتشابه هذه الأجناس؟ فقيل: إنّ ثمارها أشباه ثمار جنّات الدّنيا، أي أجناسها أجناسها، و إن تفاوتت إلى غاية لايعلمها إلّا الله. (١: ٢٥٩)

الطَّبْرسيّ: أي من الجنّات، و المعنى: من أشجارها، و تقديره: كلّما رزقوا من أشجار البساتين الّتي أعدّها الله للمؤمنين ﴿مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا﴾، أي أعطوا من ثمارها عطاءً و أطعموا منها طعامًا، لأنّ الرّزق عبارة عمّا يصحّ الانتفاع به، و لايكون لأحد المنع منه. (١: ٦٥)

الفَخْر الرّازيّ: و أمّا قوله: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا﴾ فهذا لايخلو إمّا أن يكون صفة ثانية لـ ﴿جَنَّاتٍ﴾، أو خبر مبتدإ محذوف، أو جملة مستأنفة، لأنّه لـمّا قيل: إنّ لهم جنّات لم يخل قلب السّامع أن يقع فيه أنّ ثمار تلك الجنّات أشباه ثمار الدّنيا أم لا؟

و هاهنا سؤالات:

السّؤال الأوّل: [ما المراد بالثّمرة؟]

السّؤال الثّاني: كيف يصحّ أن يقولوا: هذا الّذي رزقنا الآن هو الّذي رزقنا من قبل؟.

الجواب: لـمّا اتّحد في الماهيّة و إن تغاير بالعدد صحّ أن يقال: هذا هو ذاك، أي بحسب الماهيّة، فإنّ الوحدة النّوعيّة لاتنافيها الكثرة بالشّخص، و لذلك إذا اشتدّت مشابهة الابن بالأب قالوا: إنّه الأب.

السّؤال الثّالث: الآية تدلّ على أنّهم شبّهوا رزقهم الّذي يأتيهم في الجنّة برزق آخر جاءهم قبل ذلك، فالمشبّه به أهو من أرزاق الدّنيا، أم من أرزاق الجنّة؟

و الجواب فيه وجهان:

الأوّل: أنّه من أرزاق الدّنيا، و يدلّ عليه وجهان:

الأوّل: أنّ الإنسان بالمألوف آنس، و إلى المعهود أميل، فإذا رأى ما لم يألفه نفر عنه طبعه، ثمّ إذا ظفر بشيء من جنس ما سلف له به عهد ثمّ وجده أشرف ممّا ألفه أوّلًا، عظم ابتهاجه و فرحه به. فأهل الجنّة إذ أبصروا الرُّمّانة في الدّنيا ثمّ أبصروها في الآخرة، و وجدوا رُمّانة الجنّة أطيب و أشرف من رُمّانة الدّنيا، كان فرحهم بها أشدّ من فرحهم بشيء ممّا شاهدوه في الدّنيا.

و الدّليل الثّاني: أنّ قوله: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا﴾ يتناول جميع المرّات، فيتناول المرّة الأُولى، فلهم في المرّة الأُولى من أرزاق الجنّة شيء لابدّ، و أن يقولوا: ﴿هٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾، و لايكون قبل المرّة الأُولى شيء من أرزاق الجنّة حتّى يُشبّه ذلك به، فوجب حمله على أرزاق الدّنيا.

القول الثّاني: أنّ المشبّه به رزق الجنّة أيضًا، و المراد تشابه أرزاقهم. ثمّ اختلفوا فيما حصلت المشابهة فيه على وجهين: [فلاحظ: ش ب هـ: «مُتَشَابِهًا».] (٢: ١٢٨)

نحوه النّيسابوريّ. (١: ٢١١)

البَيْضاويّ: صفة ثانية لـ ﴿جَنَّاتٍ﴾، أو خبر مبتدإ محذوف، أو جملة مستأنفة، كأنّه لـمّا قيل: إنّ لهم جنّات، وقع في خلد السّامع أثمارها مثل ثمار الدّنيا، أو أجناس أُخر فأزيح بذلك، و ﴿كُلَّمَا﴾ نُصب على الظّرف، و ﴿رِزْقًا﴾ مفعول به، و (مِنْ) الأُولى و الثّانية للابتداء واقعتان موقع الحال. و أصل الكلام

و معناه: كلّ حين رُزقوا مرزوقًا مبتدأ من الجنّات مبتدأ من ثمرة، قيّد الرّزق بكونه مبتدأ من الجنّات، و ابتداؤه منها بابتدائه من ثمرة، فصاحب الحال الأولى ﴿رِزْقًا﴾ و صاحب الحال الثّانية ضميره المستكنّ في الحال.

و يحتمل أن يكون ﴿مِنْ ثَمَرَةٍ﴾ بيانًا تقدّم، كما في قولك: رأيت منك أسدًا. و هذا إشارة إلى نوع ما رزقوا، كقولك مُشيرًا إلى نهر جار: هذا الماء لاينقطع، فإنّك لاتعني به العين المشاهدة منه، بل النّوع المعلوم المستمرّ بتعاقب جريانه و إن كانت الإشارة إلى عينه. فالمعنى: هذا مثل رزقنا، و لكن لـمّا استحكم الشّبه بينهما جعل ذاته حسنًا، كقولك: أبويوسف أبوحنيفة.

(۱: ۳۸)

أبوحَيّان: و الأحسن في هذه الجملة أن تكون مستأنفة، لاموضع لها من الإعراب، و أنّه لـمّا ذكر أن مَن آمن و عمل الصّالحات لهم جنّات صفتها كذا، هجس في النّفوس؛ حيث ذكرت الجنّة الحديث عن ثمار الجنّات، و تشوّقت إلى ذكر كيفيّة أحوالها، فقيل لهم: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا﴾، و أجيز أن تكون الجملة لها موضع من الإعراب، نُصب على تقدير كونها صفة للجنّات، و رُفع على تقدير خبر مبتدإ محذوف.

و يحتمل هذا وجهين: إمّا أن يكون المبتدأ ضميرًا عائدًا على الجنّات، أي هي ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا﴾، أو عائدًا على ﴿الَّذِينَ اٰمَنُوا﴾، أي هم كلّما رزقوا. و الأولى الوجه الأوّل، لاستقلال الجملة فيه، لأنّها في الوجهين السّابقين تتقدّر بالمفرد، فهي مفتقرة إلى الموصوف، أو إلى المبتدإ المحذوف.

و أجاز أبوالبقاء أن تكون حالًا من ﴿الَّذِينَ اٰمَنُوا﴾ تقديره: مرزوقين على الدّوام، و لايتمّ له ذلك إلّا على تقدير أن يكون الحال مقدّرة، لأنّهم وقت التّبشير لم يكونوا مرزوقين على الدّوام. و أجاز أيضًا أن تكون حالًا من ﴿جَنَّاتٍ﴾، لأنّها نكرة قد وُصفت بقوله: ﴿تَجْرِى﴾، فقربت من المعرفة، و تؤول أيضًا إلى الحال المقدّرة.

و الأصل في الحال أن تكون مصاحبة، فلذلك اخترنا في إعراب هذه الجملة غير ما ذكره أبوالبقاء.

(۱: ۱۱۳)

الشِّرِبينيّ: أي أطعموا من تلك الجنان ثمرة، و(من) صلة ﴿قَالُوا هٰذَا الَّذِى رُزِقْنَا﴾، أي أُطعِمنا. (۱: ۳۷)

أبوالسُّعود: ﴿قَالُوا هٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا﴾ صفة أخرى لـ ﴿جَنَّاتٍ﴾، أخّرت عن الأولى، لأنّ جريان الأنهار من تحتها وصف لها باعتبار ذاتها، و هذا وصف لها باعتبار أهلها المتنعّمين بها، أو خبر مبتدإ محذوف، أو جملة مستأنفة، كأنّه حين وُصفت الجنّات بما ذُكر من الصّفة، وقع في ذهن السّامع أثمارها كثمار جنّات الدّنيا أو لا، فبيّن حالها.

و ﴿كُلَّمَا﴾ نُصب على الظّرفيّة، و ﴿رِزْقًا﴾ مفعول به، و (مِنْ) الأولى و الثّانية للابتداء، واقعتان موقع الحال، كأنّه قيل: كلّ وقت رزقوا مرزوقًا مبتدأ من الجنّات مبتدأ من ثمرة، على أنّ الرّزق مقيّد بكونه مبتدأ من الجنّات، و ابتداؤه منها مقيّد بكونه مبتدأ من ثمرة، فصاحب الحال الأولى ﴿رِزْقًا﴾ و صاحب

الثّانية ضميره المستكنّ في الحال، و يجوز كون ﴿مِنْ ثَمَرَةٍ﴾ بيانًا قُدّم على المبيَّن، كما في قولك: رأيت منك أسدًا، و هذا إشارة إلى ما رزقوا، و إن وقعت على فرد معيّن منه، كقولك مشيرًا إلى نهر جار: هذا الماء لا ينقطع، فإنّك إنّما أشرت إلى ما تُعاينه بحسب الظّاهر، لكنّك إنّما تعني بذلك النّوع المعلوم المستمرّ.

فالمعنى: هذا مثل الّذي رزقناه من قبل، أي من قبل هذا في الدّنيا، و لكن لـمّا استحكم الشّبه بينهما جعل ذاته ذاته. و إنّما جعل ثمر الجنّة كثمار الدّنيا، لتميل النّفس إليه حين تراه، فإنّ الطّباع مائلة إلى المألوف متنفرة عن غير معروف، و ليتبيّن لها مزيّته و كنه النّعمة فيه؛ إذ لو كان جنسًا غير معهود لظنّ أنّه لا يكون إلّا كذلك، أو مثل الّذي رزقناه من قبل في الجنّة، لأنّ طعامها متشابه الصّور، كما يُحكى عن الحسن رضي الله عنه، أنّ أحدهم يؤتى الصّحفة فيأكل منها، ثمّ يؤتى بأخرى فيراها مثل الأولى، فيقول ذلك، فيقول الملك: كُلْ، فاللّون واحد و الطّعم مختلف. أو كما روي أنّه ﷺ قال: «و الّذي نفسي بيده إنّ الرّجل من أهل الجنّة ليتناول الثّمرة ليأكلها، فما هي واصلة إلى فيه حتّى يبدّل الله تعالى مكانها مثلها» و الأوّل أنسب لمحافظة عموم ﴿كُلَّمَا﴾. (١: ٩٤)

الآلوسيّ: صفة ثانية لـ ﴿جَنَّاتٍ﴾ أُخّرت عن الأولى، لأنّ جريان الأنهار من تحتها وصف لها باعتبار ذاتها، و هذا باعتبار سكّانها، أو خبر مبتدإ محذوف، أي هم، و القرينة ذكره في السّابقة و اللّاحقة، و كون الكلام مسوقًا لبيان أحوال المؤمنين. و فائدة حذف هذا المبتدإ تحقّق التّناسب بين الجمل الثّلاث صورةً لاسميّتها، و معنًى لكونها جواب سؤال، كأنّه قيل: ما حالهم في تلك الجنّات؟ فأجيب: بأنّ لهم فيها ثمارًا لذيذة عجيبة، و أزواجًا نظيفة. (١: ٢٠٢)

يَرْزُقُ

١ ـ ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا وَ يَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ اٰمَنُوا وَ الَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ وَ اللهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾. البقرة: ٢١٢

راجع: ح س ب: «حِسَابٍ».

٢ ـ ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَ اَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَ كَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ اَنّٰى لَكِ هٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ اِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

آل عمران: ٣٧

ابن عبّاس: فاكهة الشّتاء في الصّيف مثل القصب، و فاكهة الصّيف في الشّتاء مثل العنب. (٤٦)

الطّبريّ: يعني بذلك جلّ ثناؤه: أنّ زكريّا كان كلّما دخل عليها المحراب بعد إدخاله إيّاها المحراب، وجد عندها رزقًا من الله لغذائها.

فقيل: إنّ ذلك الرّزق الّذي كان يجده زكريّا عندها فاكهة الشّتاء في الصّيف، و فاكهة الصّيف في الشّتاء.

و قال آخرون: بل معنى ذلك: أنّ زكريّا كان إذا دخل إليها المحراب، وجد عندها من الرّزق فضلًا عمّا كان يأتيها به الّذي كان يَمونها في تلك الأيّام.

و أمّا قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ فخبر من الله، أنّه يسوق إلى من يشاء من خلقه رزقه، بغير إحصاء و لاعدد يحاسب عليه عبده، لأنّه جلّ ثناؤه لاينقص سَوقُه ذلك إليه، كذلك خزائنه، و لايزيد إعطاؤه إيّاه، و محاسبته عليه في ملكه و فيما لديه شيئًا، و لايعزب عنه علم ما يرزقه، و إنّما يحاسب من يُعطي ما يعطيه، من يخشى النّقصان من ملكه، و دخول النّفاد عليه بخروج ما خرج من عنده بغير حساب معروف، و من كان جاهلًا بما يُعطي على غير حساب. (٣: ٢٤٤)

الثّعلبيّ: يعني وجد زكريّا عندها فاكهة في غير أوانها، فاكهة الصّيف في الشّتاء، و فاكهة الشّتاء في الصّيف غضًّا طريًّا. ﴿قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا﴾، فإنّها كانت إذا رزقها الله شيئًا و سألت عنه ﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

أخبرنا عبد الله بن حامد بإسناده عن جابر بن عبد الله: أنّ رسول الله ﷺ أقام أيّامًا لم يُطعم طعامًا، حتّى شقّ ذلك عليه فطاف في منازل أزواجه، فلم يصب في بيت أحد منهنّ شيئًا، فأتى فاطمة رضي الله عنها فقال: «يا بنيّة هل عندكِ شيء آكل، فإنّي جائع؟» فقالت: لا و الله بأبي أنت و أمّي، فلمّا خرج رسول الله ﷺ من عندها، بعثت إليها جارة لها برغيفين و بضعة لحم، فأخذته منها و وضعته في جفنة و غطّت عليه و قالت: لأوثرنّ بها رسول الله ﷺ على نفسي و من عندي، و كانوا جميعًا محتاجين إلى شبعة من طعام، فبعثت حسنًا و حسينًا إلى جدّهما رسول الله ﷺ، فرجع إليها، فقالت: بأبي أنت و أمّي يا رسول الله قد أتانا الله بشيء فخبّأته لك، قال: «فهلمّي به»، فأُتي به، فكشف عن الجفنة فإذا هي مملوءة خبزًا و لحمًا، فلمّا نظرت إليه بهتت و عرفت أنّها من بركة الله، فحمدت الله تعالى و صلّت على نبيّه، فقال ﷺ: «من أين لكِ هذا يا بنيّة؟» قالت: ﴿هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، فحمد ـ رسول الله ﷺ ـ و قال: الحمد لله الّذي جعلك شبيهة بسيّدة نساء بني إسرائيل، فإنّها كانت يرزقها الله رزقًا حسنًا، فسُئلت عنه ﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾... (الثّعلبيّ ٣: ٥٧)

الطّوسيّ: فالرّزق هو ما للإنسان الانتفاع به على وجه ليس لأحد منعه. (٢: ٤٤٧)

الفخر الرّازيّ: فيه خمسة أوجه: [إلى أن قال:]

الثّالث: أنّ التّنكير في قوله: ﴿وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ يدلّ على تعظيم حال ذلك الرّزق، كأنّه قيل: رزقًا، أيّ رزق غريب عجيب! و ذلك إنّما يفيد الغرض اللّائق لسياق هذه الآية، لو كان خارقًا للعادة. (٨: ٣٢)

أبو حيّان: و دلّت الآية على وجود الرّزق عندها كلّ وقت يدخل عليها، و المعنى: أنّه غذاء يتغذّى به لم يعهده عندها، و لم يوجّهه هو. و أبعد من فسّر الرّزق هنا بأنّه فيض كان يأتيها من الله، من العلم و الحكمة من غير تعليم آدميّ فسمّاه رزقًا. قال الرّاغب: و اللّفظ محتمل، انتهى. و هذا شبيه بتفسير الباطنيّة. (٢: ٤٤٣)

البُرُوسَويّ: أي نوعًا منه غير معتاد؛ إذ كان

يتزل ذلك من الجنّة، و كان يجد عندها في الصّيف فاكهة الشّتاء، و في الشّتاء فاكهة الصّيف و لم ترضع ثديًا قطّ. (٢: ٢٩)

رشيد رضا: قالوا: كان يجد عندها فاكهة الصّيف في الشّتاء، وفاكهة الشّتاء في الصّيف. والله لم يقل ذلك و لاقاله رسوله ﷺ و لاهو ممّا يعرف بالرّأي، و لم يثبته تاريخ يعتدّ به، و الرّوايات عن مفسّري السّلف متعارضة، و في أسانيدها ما فيها. وممّا قال ابن جرير في ذلك: إنّ بني إسرائيل أصابتهم أزمة حتّى ضعف زكريّا عن حملها، و إنّهم اقترعوا على حملها فخرج السّهم على نجّار منهم، فكان يأتيها كلّ يوم من كسبه بما يصلحها فينمّيه الله و يكثّره، فيدخل عليها زكريّا فيجد عندها فضلًا من الرّزق، فإذًا وجد ذلك، قال يا مريم: أنّى لك هذا؟ أي من أين لَكِ هذا؟ و الأيّام أيّام قحط، قالت: هو من عند الله، رازق النّاس بتسخير بعضهم لبعض، إنّ الله يرزق من يشاء بغير حساب و لاتوقّع من المرزوق، أو رزقًا واسعًا «راجع: آية: ٣٧» و أنت ترى أنّه لادليل في الآية على أنّ الرّزق كان من خوارق العادات. و إسناد المؤمنين الأمر إلى الله في مثل هذا المقام معهود في القديم و الحديث.

قال الأستاذ الإمام ما مثاله مبسوطًا: إنّ القرآن نزل سائغًا يسهل على كلّ أحد فهمه، من غير حاجة إلى عناء و لاذهاب في الدّفاع عن شيء خلاف الظّاهر، فعلينا ألّانخرج عن سنّته، و لانضيف إليه حكايات إسرائيليّة أو غير إسرائيليّة لجعل هذه القصّة من خوارق العادات، و البحث عن ذلك الرّزق ما هو، و من أين جاء، فضول لايحتاج إليه لفهم المعنى ولالمزيد العبرة، ولو علم الله أنّ في بيانه خيرًا لنا لبيّنه.

أمّا ما سيقت القصّة لأجله ـ و هو الّذي يجب أن نبحث فيه، ونستخرج العبر من قوادمه وخوافيه ـ فهو تقرير نبوّة النّبيّ ﷺ و دحض شبه أهل الكتاب الّذين احتكروا فضل الله، و جعلوه خاصًّا بشعب إسرائيل، و شبهة المشركين الّذين كانوا ينكرون نبوّته، لأنّه بشر. و بيان ذلك: أنّ المقصد الأوّل من مقاصد الوحي هو تقرير عقيدة الألوهيّة، و أهمّ مسائلها مسألة الوحدانيّة، و تقرير عقيدة البعث و الجزاء و عقيدة الوحي و الأنبياء. (٣: ٢٩٣)

الطّباطبائيّ: و في تنكير قوله: ﴿رِزْقًا﴾، إشعار بكونه رزقًا غير معهود، كما قيل: إنّه كان يجد عندها فاكهة الشّتاء في الصّيف، و فاكهة الصّيف في الشّتاء، و يؤيّده أنّه لو كان من الرّزق المعهود ـ و كان تنكيره يفيد أنّه ما كان يجد محرابها خاليًا من الرّزق، بل كان عندها رزق ما دائمًا ـ لم يقنع زكريّا بقولها: ﴿هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ اِنَّ اللهَ يَرْزُقُ...﴾ في جواب قوله: ﴿يَا مَرْيَمُ اَنّٰى لَكِ هٰذَا﴾؟، لإمكان أن يكون يأتيها بعض النّاس ممّن كان يختلف إلى المسجد لغرض حسن أو سيّئ.

على أن قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ...﴾ يدلّ على أن زكريّا تلقّى وجود هذا الرّزق عندها كرامة إلهيّة خارقة، فأوجب ذلك أن يسأل الله أن يهب له من لدنه ذرّيّة طيّبة، فقد كان الرّزق رزقًا يدلّ بوجوده على كونه كرامة من الله سبحانه لمريم

الطّاهرة، و ممّا يشعر بذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا مَرْيَمُ...﴾ على ما سيجيء من البيان.

و قوله: ﴿قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ...﴾ فصل الكلام من غير أن يعطف على قوله: ﴿وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾، يدلّ على أنّه عليه السلام إنّما قال لها ذلك مرّة واحدة، فأجابت بما قنع به و استيقن أنّ ذلك كرامة لها، و هنالك دعا و سأل ربّه ذرّيّة طيّبة. (٣: ١٧٤)

مكارم الشّيرازيّ: الآية لا تذكر شيئًا عن ماهيّة هذا الطّعام و من أين جاء، لكنّ بعض الأحاديث الواردة في تفسير العيّاشيّ و غيره من كتب الشّيعة و السّنّة، تفيد أنّه كان فاكهة من الجنّة في غير فصلها، تحضر بأمر الله إلى المحراب. و ليس ما يدعو إلى العجب في أن يستضيف الله عبدًا تقيًّا.

كما أنّ اعتبار «الرّزق» طعامًا من الجنّة يتبيّن من القرائن الّتي نراها في ثنايا الآية، فأوّلًا: كلمة ﴿رِزْقًا﴾ النّكرة دليل على أنّ زكريّا لم يعرف نوع هذا الرّزق.

و ثانيًا: جواب مريم الّتي قالت: ﴿مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾ دليل آخر.

و ثالثًا: انفعال زكريّا و طلبه ولدًا من الله كما نقرأ في الآية التّالية، دليل ثالث على ذلك.

بيد أنّ بعض المفسّرين مثل صاحب المنار يرون أنّ ﴿رِزْقًا﴾ تعني هذا الطّعام الدّنيويّ المألوف. يقول ابن جرير: إنّ قحطًا أصاب بني إسرائيل يومئذ، و لم يعد زكريّا قادرًا على سدّ جوعة مريم، لذلك اقترعوا فكانت من نصيب رجل نجّار، فأخذ هذا يقتطع من كسبه الطّيّب الحلال ليهيّأ الطّعام لها، فكان هذا هو الطّعام الّذي يراه زكريّا في محرابها و يعجب من وجوده في تلك الظّروف الصّعبة، و كان جواب مريم يعني: أنّ الله قد سخّر لي مؤمنًا فأحبّ القيام بهذه الخدمة الشّاقّة.

و لكن كما قلنا هذا التّفسير لا يتّسق مع القرائن الموجودة في الآية، و لا مع الأحاديث الواردة في تفسيرها، و منها ما ورد في تفسير العيّاشيّ عن الإمام الباقر عليه السلام ما ملخّصه «أنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله دخل يومًا على ابنته فاطمة عليها السلام و هو يعلم أنّها لم تكن تملك طعامًا يذكر منذ أيّام، فوجد عندها طعامًا وافرًا خاصًّا. فسألها عنه، فقالت: هو من عند الله، إنّ الله يرزق من يشاء بغير حساب. فقال رسول الله صلّى الله عليه و آله لعليّ عليه السلام: ألا أحدّثك بمثلك و مثلها؟ قال: بلى، قال: مثل زكريّا، إذ دخل على مريم المحراب، فوجد عندها رزقًا، قال: يا مريم أنّى لك هذا؟ ﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾. (٢: ٣٥٤)

٣ ـ وَاللهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ النّور: ٣٨

الطّبَريّ: يقول تعالى ذكره: يتفضّل على من شاء و أراد من طوله و كرامته، ممّا لم يستحقّه بعمله، و لم يبلغه بطاعته. (٩: ٣٣٣)

الزّمَخشَريّ: ما يتفضّل به. (٣: ٦٩)

مثله أبو حيّان. (٦: ٤٥٩)

الطّبْرسيّ: أي يعطي. (٤: ١٤٥)

الفَخْر الرّازيّ: نبّه به على كمال قدرته و كمال

جوده و نفاذ مشيئته و سعة إحسانه، فكان سبحانه لـمّا وصفهم بالجدّ و الاجتهاد في الطّاعة، و مع ذلك يكونون في نهاية الخوف، فالحقّ سبحانه يعطيهم الثّواب العظيم على طاعاتهم. و يزيدهم الفضل الّذي لاحدّ له في مقابلة خوفهم. (٢٤: ٦)

نحوه الخازن. (٥: ٦٧)

البُرُوسَويّ: تقرير للزّيادة، و تنبيه على كمال القدرة، و نفاذ المشيئة و سعة الإحسان.

و الرّزق: العطاء الجاري، و الحساب: استعمال العدد، أي يُفيض و يُعطي من يشاء ثوابًا، لا يدخل تحت حساب الخلق. (٦: ١٦٠)

الآلوسيّ: فإنّه تذييل مقرّر للزّيادة، و وعد كريم، بأنّه تعالى يعطيهم غير أجزية أعمالهم من الخيرات، ما لا يفي به الحساب، و الموصول عبارة عمّن ذكرت صفاتهم الجميلة، كأنّه قيل: و الله يرزقهم بغير حساب، و وضعه موضع ضميرهم للتّنبيه بما في حيّز الصّلة، على أنّ مناط الرّزق المذكور محض مشيئته تعالى، لا أعمالهم المحكيّة، كما أنّها المناط لما سبق من الهداية لنوره عزّ و جلّ، و للإيذان بأنّهم ممّن شاء الله تعالى أن يرزقهم، كما أنّهم ممّن شاء سبحانه أن يهديهم لنوره، حسبما يُعرب عنه ما فصّل من أعمالهم الحسنة، فإنّ جميعها من آثار تلك الهداية. (١٨: ١٧٩)

المَراغيّ: أي أنّه تعالى يعطيهم غير أجزية أعمالهم من الخيرات، ما لا يفي به الحساب، فهم لـمّا اجتهدوا في الطّاعة، و خافوا ربّهم أشدّ الخوف، جازاهم بالثّواب العظيم على طاعتهم، و زادهم الفضل الّذي لا غاية له لخوفهم من قهره، و شديد عذابه. (١٨: ١١١)

الطَّباطَبائيّ: و الرّزق من الله موهبة محضة من غير أن يملك المرزوقون منه شيئًا، أو يستحقّوه عليه تعالى، فله تعالى أن يخصّ منه ما يشاء لمن يشاء.

غير أنّه تعالى وعدهم الرّزق، و أقسم على إنجازه في قوله: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ الذّاريات: ٢٣، فملّكهم الاستحقاق لأصله، و هو الّذي يُجزيهم به على قدر أعمالهم. و أمّا الزّائد عليه فلم يملّكهم ذلك، فله أن يختصّ به من يشاء، فلا يُعلّل ذلك إلّا بمشيئة. (١٥: ١٣٠)

فضل الله: و ذلك في ما تكفّل لهم من رزقه في مواقع رحمته، الّتي لا تضيق بشيء، و لا يضيق عنها شيء، بل تتّسع لكلّ ما في الحياة من مجالات العطاء، فهو الكريم الّذي لا حدّ لكرمه، و هو الرّحيم الّذي وسعت رحمته كلّ شيء. (١٦: ٣٢٩)

٤ ـ ﴿اَللهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ الشّورى: ١٩

الطَّبْرِسيّ: أي يوسّع الرّزق على من يشاء، يقال: فلان مرزوق، إذا وُصف بسعة الرّزق. و قيل: معناه: يرزق من يشاء في خفض و دعة، و من يشاء في كدّ و مشقّة و متعبة. و كلّ من رزقه الله من ذي روح، فهو ممّن شاء الله أن يرزقه. (٥: ٢٧)

الفخر الرّازيّ: يعني أنّ أصل الإحسان و البرّ عامّ في حقّ كلّ العباد؛ و ذلك هو الإحسان بالحياة

و العقل و الفهم، و إعطاء ما لابدّ منه من الرّزق، و دفع أكثر الآفات و البليّات عنهم. فأمّا مراتب العطيّة و البهجة فمتفاوتة مختلفة. (٢٧: ١٦٠)

البَيْضاويّ: أي يرزقه لمن يشاء، فيخصّ كلًّا من عباده بنوع من البرّ على ما اقتضته حكمته. (٢: ٣٥٦)

النّيسابوريّ: يعني الزّائد على مقدار الضّرورة، فلكم من إنسان فاق أقرانه في المال أو الجاه أو الأولاد، أو في العلم أو في سائر أسباب المزيّة، إلّا أنّ أحدًا منهم لايخلو من برّه الّذي يتعيّش به، كقوله: ﴿اَعْطٰى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدٰى﴾ طٰه: ٥٠. (٢٥: ٢٥)

الخازن: يعني أنّ الإحسان و البرّ إنعام في حقّ كلّ العباد، و هو إعطاء ما لابدّ منه، فكلّ من رزقه اللّه تعالى من مؤمن و كافر و ذي روح، فهو ممّن يشاء اللّه أن يرزقه.

و قيل: لطفه في الرّزق من وجهين:

أحدهما: أنّه جعل رزقكم من الطّيّبات.

و الثّاني: أنّه لم يدفعه إليكم مرّة واحدة. (٦: ١٠٠)

ابن عاشور: الرّزق: إعطاء ماينفع. و هو عندنا لايختصّ بالحلال، و عند المعتزلة يختصّ به، و الخلاف اصطلاحيّ.

و الظّاهر: أنّ المراد هنا رزق الدّنيا، لأنّ الكلام توطئة لقوله: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْاٰخِرَةِ﴾ الشّورى: ٢٠.

و المشيئة: مشيئة تقدير الرّزق لكلّ أحد من العباد، ليكون عموم اللّطف للعباد باقيًا، فلايكون قوله: ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ في معنى التّكرير؛ إذ يصير هكذا: يرزق من يشاء من عباده الملطوف بجميعهم، و ما الرّزق إلّا من اللّطف، فيصير بعض المعنى المفاد، فلاجرم تعيّن أنّ المشيئة هنا مصروفة لمشيئة تقدير الرّزق بمقاديره. (٢٥: ١٣٧)

مَغْنيّة: و معنى الرّزّاق: أنّ اللّه يهب الإنسان القوّة و جميع الطّاقات الّتي تؤهّله للعمل من أجل الرّزق، و يرشده إلى طريقه و سبيله بالإضافة إلى أنّ ما في الأرض و السّماء من الخيرات، هو من صنعه تعالى و فضله. (٦: ٥١٩)

الطَّباطَبائيّ: و قد رتّب الرّزق في الآية على كونه تعالى لطيفًا بعباده قويًّا عزيزًا، دلالةً على أنّه تعالى بلطفه لايغيب عنه أحد ممّن يشاء أن يرزق و لايعصيه، وبقوّته عليه لايعجز عنه، و بعزّته لايمنعه مانع عنه.

و المراد بالرّزق: ما يعمّ موهبة الدّين الّذي يتلبّس بها من يشاء من عباده، على ما يشهد به الآية التّالية، و لذا ألحق القول فيه بقوله: ﴿اَللّٰهُ الَّذِي اَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾. (١٨: ٤٠)

عبدالكريم الخطيب: و قوله تعالى: ﴿يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ﴾ إشارة إلى أنّ هذا الرّزق الّذي يسوقه اللّه سبحانه من لطفه و رحمته، هو رزق الإيمان و الهدى، ففي هذا الرّزق تزكية النّفوس و طهارتها بالإيمان، و تقبّلها للهدى، و اتّصالها بالملإ الأعلى، و استعدادها لدخول هذا الملإ في جنّات النّعيم. (١٣: ٤٠)

مكارم الشّيرازيّ: تطرح الآية أحد مظاهر لطفه العامّ، و هو الرّزق، فتقول: ﴿يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ﴾

و هذا لايعني أنّ هناك جماعة محرومون من رزقه، بل المقصود البسط في الرّزق لمن يشاء، كما جاء في الآية ٢٦ من سورة الرّعد: ﴿اَللهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾، و جاء في آية لاحقة من هذه السّورة: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْاَرْضِ﴾ الشّورى: ٢٧، و واضح أنّ «الرّزق» هنا يشمل الرّزق المعنويّ و المادّيّ، و الجسمانيّ و الرّوحانيّ. فعند ما يكون هو مصدر اللّطف و الرّزق، فلماذا تتوجّهون نحو الأصنام الّتي لاترزق و لاتتلطّف، و لاتحلّ مشاكلكم؟.

(١٥: ٤٦١)

يَرْزُقُهَا

وَكَاَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَاتَحْمِلُ رِزْقَهَا اَللهُ يَرْزُقُهَا وَاِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. العنكبوت: ٦٠

الحسَن: ﴿لَاتَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾: لاتدّخره، إنّما تُصبح فيرزقها الله. (٢: ٢١١)

الزّمَخْشَريّ: أي لايرزق تلك الدّوابّ الضّعاف إلّا الله، و لايرزقكم أيضًا أيها الأقوياء إلّا هو ـ و إن كنتم مطيقين لحمل أرزاقكم و كسبها ـ لأنّه لو لم يقدّركم و لم يقدّر لكم أسباب الكسب، لكنتم أعجز من الدّوابّ الّتي لاتحمل.

وعن ابن عُيَيْنَة: ليس شيء يخبأ إلّا الإنسان و النّملة و الفأرة. (٣: ٢١١)

الفَخْر الرّازيّ: ﴿اَللهُ يَرْزُقُهَا وَاِيَّاكُمْ﴾ بطريق القياس، أي لاشكّ في أنّ رزقها ليس إلّا بالله، فكذلك يرزقكم فتوكّلوا.

فإن قال قائل: من قال: بأنّ الله يرزق الدّوابّ بل النّبات في الصّحراء مسبّب و الحيوان يسعى إليه و يرعى؟

فنقول: الدّليل عليه من ثلاثة أوجه: نظرًا إلى الرّزق، و إلى المرتزق، و إلى مجموع الرّزق و المرتزق.

أمّا بالنّظر إلى الرّزق، فلأنّ الله تعالى لو لم يخلق النّبات لم يكن للحيوان رزق.

و أمّا بالنّظر إلى المرتزق، فلأنّ الاغتذاء ليس بمجرّد الابتلاع بل لابدّ من تشبّثه بالأعضاء حتى يصير الحشيش عظمًا و لحمًا و شحمًا، و ما ذاك إلّا بحكمة الله تعالى؛ حيث خلق فيه جاذبة و ماسكة و هاضمة و دافعة و غيرها من القُوى، و بمحض قدرة الله و إرادته فهو الّذي يرزقها.

و أمّا بالنّظر إلى المرتزق و الرّزق، فلأنّ الله لو لم يهد الحيوان إلى الغذاء ليعرفه من الشّمّ ما كان يحصل له اغتذاء؛ ألاترى أنّ من الحيوان ما لايعرف نوعًا من أنواع الغذاء حتّى وضع في فمه بالشّدّة، ليذوق فيأكله بعد ذلك، فإنّ كثيرًا ما يكون البعير لايعرف الخمير و لاالشّعير حتّى يلقم مرّتين أو ثلاث، فيعرفه فيأكله بعد ذلك.

فإن قال قائل: كيف يصحّ قياس الإنسان على الحيوان فيما يوجب التّوكّل، و الحيوان رزقه لايتعرّض له إذا أكل منه اليوم شيئًا و ترك بقيّة يجدها غدًا، ما مدّ إليه أحد يدًا، و الإنسان إن لم يأخذ اليوم لايبقى له غدًا شيء؟

و أيضًا حاجات الإنسان كثيرة، فإنّه يحتاج إلى أجناس اللّباس و أنواع الأطعمة، و لاكذلك الحيوان،

و أيضًا قوت الحيوان مهيّأ و قوت الإنسان يحتاج إلى كلف كالزّرع و الحصاد و الطّحن و الخبز، فلو لم يجمعه قبل الحاجة ما كان يجده وقت الحاجة.

فنقول: نحن لانقول: إنّ الجمع يقدح في التوكّل، بل قد يكون الزّارع الحاصد متوكّلًا و الرّاكع السّاجد غير متوكّل، لأنّ من يزرع يكون اعتماده على الله، و اعتقاده في الله، أنّه إن كان يريد يرزق من غير زرع، و إن كان يريد لايرزق من ذلك الزّرع، فيعمل و قلبه مع الله، هو متوكّل حقّ التّوكّل، و من يُصلّي و قلبه مع ما في يد زيد و عمرو هو غير متوكّل.

و أمّا قوله: حاجات الإنسان كثيرة، فنقول: مكاسبه كثيرة أيضًا، فإنّه يكتسب بيده كالخيّاط و النّسّاج، و برجْله كالسّاعي و غيره، و بعينه كالنّاطور، و بلسانه كالحادي و المنادي، و بفهمه كالمهندس و التّاجر، و بعلمه كالطّبيب و الفقيه، و بقوّة جسمه كالعتّال و الحمّال، و الحيوان لامكاسب له، فالرّغيف الّذي يحتاج إليه الإنسان غدًا أو بعد غد، بعيد أن لايرزقه الله مع هذه المكاسب، فهو أولى بالتّوكّل.

و أيضًا الله تعالى خلق الإنسان بحيث يأتيه الرّزق و أسبابه، فإنّ الله ملّك الإنسان عمائر الدّنيا، و جعلها بحيث تدخل في ملكه شاء أم أبى، حتّى أنّ نتاج الأنعام و ثمار الأشجار تدخل في الملك و إن لم يرده مالك النّعم و الشّجر، و إذا مات قَرْن ينتقل ذلك إلى قَرْن آخر قهرًا شاؤوا أم أبوا، و ليس كذلك حال الحيوان أصلًا، فإنّ الحيوان إن لم يأت الرّزق لايأتيه رزقه، فإذن الإنسان لو توكّل كان أقرب إلى العقل من توكّل الحيوان.

(٢٥: ٨٧)

البُرُوسَويّ: و الرّزق لغةً: ما يُنتفع به، و اصطلاحًا، اسم لما يسوقه الله إلى الحيوان فيأكله.

[إلى أن قال:]

و المعنى: و كثير من دابّة ذات حاجة إلى الغذاء لاتُطيق حمل رزقها لضعفها، أو لاتدّخره، و إنّما تُصبح و لامعيشة عندها ﴿اَللهُ يَرْزُقُهَا﴾ يُعطي رزقها يومًا فيومًا حيث توجّهت. (٦: ٤٨٨)

الآلوسيّ: لـمّا روي أنّ النّبيّ ﷺ أمر المؤمنين الّذين كانوا بمكّة المهاجرة إلى المدينة، قالوا: كيف نُقدم بلدة ليس لنا فيها معيشة؟ فنزلت، أي و كم من دابّة لاتطيق حمل رزقها لضعفها، أو لاتدّخره، و إنّما تُصبح و لامعيشة عندها.

عن ابن عُيَيْنَة: ليس شيء يخبأ إلّا الإنسان و النّملة و الفأرة. و عن ابن عبّاس لايدّخر إلّا الآدميّ و النّملة و الفأرة و العقعق، و يقال: للعقعق مخابي إلّا أنّه ينساها. و عن بعضهم: رأيت البلبل يحتكر في حضنه، و الظّاهر عدم صحّته. و ذكر لي بعضهم: أنّ أغلب الكوامن من الطّير يدّخر، و الله تعالى أعلم بصحّته.

﴿اَللهُ يَرْزُقُهَا وَاِيَّاكُمْ﴾ ثمّ إنّها مع ضعفها و توكّلها، و إيّاكم مع قوّتكم و اجتهادكم، سواء في أنّه لايرزقها و إيّاكم إلّا الله تعالى، لأنّ رزق الكلّ بأسباب هو عزّ و جلّ المسبّب لها وحده، فلاتخافوا على معاشكم بالمهاجرة. و لـمّا كان المراد إزالة ما في

أوهامهم من الهجرة على أبلغ وجه. قيل: ﴿يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ دون يرزقكم و إيّاها. (٢١: ١١)

ابن عاشور: و قوله: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَاتَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾ خبر غير مقصود منه إفادة الحكم، بل هو مستعمل مجازًا مركّبًا في لازم معناه، و هو الاستدلال على ضمان رزق المتوكّلين من المؤمنين، و تمثيله للتّقريب بضمان رزق الدّوابّ الكثيرة الّتي تسير في الأرض لاتحمل رزقها، و هي السّوائم الوحشيّة. و القرينة على هذا الاستعمال هو قوله: ﴿اَللهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ الّذي هو استئناف بيانيّ لبيان وجه سوق قوله: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَاتَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾ و لذلك عطف ﴿وَإِيَّاكُمْ﴾ على ضمير ﴿دَابَّةٍ﴾. و المقصود: التّمثيل في التّيسير، و الإلهام للأسباب الموصلة و إن كانت وسائل الرّزق مختلفة. [إلى أن قال:]

و تقديم المسند إليه على الخبر الفعليّ في قوله: ﴿اَللهُ يَرْزُقُهَا﴾ دون أن يقول: يرزقها الله، ليفيد بالتّقديم معنى الاختصاص، أي الله يرزقها لاغيره، فلماذا تعبدون أصنامًا ليس بيدها رزق؟. (٢٠: ١٩٧)

مَغْنِيَّة: إنّ كثيرًا من النّاس يؤمنون نظريًّا بالله، و أنّ أرزاق الخلائق بيده وحده، و أنّ خزائنه لانفاد لها و لانهاية، و أنّه كريم لايُخيب من توكّل عليه و وثق به، يؤمن بهذا نظريًّا، و لكنّه يكفر بالله عمليًّا، و يثق بالمخلوق دون الخالق، و يتقرّب إليه بما فيه ذهاب دينه و ضميره، طامعًا بما في يده من جاه و مال، و يبتعد عن الله يائسًا منه و من جوده و خزائنه.

و هذه الآية تقريع و تهديد لهذا المؤمن الكافر، إنّ الله سبحانه هو خالق الكون بما فيه، و أسباب الرّزق بشتّى أنواعها تنتهي إليه، و هي مهيّأة لكلّ طالب و راغب إذا سعى لها سعيها، و إن تعذّر منها سبب تهيّأ للرّاغب ما هو خير و أجدى من حيث لايحتسب بشهادة الحسّ و العيان، بل إنّ كثيرًا من الكائنات الحيّة لاتعمل للرّزق و لاتحمله، و مع هذا يأتيها رغدًا عند حاجتها إليه. و في هذا عظة للخائنين العملاء، و لكلّ من باع دينه للشّيطان، و اتّخذ من معصية الله ذريعة للرّزق و لقمة العيش، و حاشا الله أن ينهى عن شيء و يحصر سبب الرّزق فيه، كيف و دينه دين الحياة!

قال الإمام عليّ عليه السلام: «إنّ الّذي أُمرتم به أوسع من الّذي نُهيتم عنه، و ما أُحلّ لكم أكثر ممّا حُرّم عليكم، فذروا ما قلّ لما كثُر، و ما ضاق لما اتّسع» و قال: «إنّ الأمر بالمعروف و النّهي عن المنكر لخلقان من خلق الله، و إنّهما لايقرّبان من أجل، و لاينقصان من رزق». (٦: ١٢٣)

الطَّباطَبائيّ: و في الآية تطييب لنفس المؤمنين و تقوية لقلوبهم، أنّهم لو هاجروا في الله أتاهم رزقهم أينما كانوا و لايموتون جوعًا، فرازقهم ربّهم دون أوطانهم. يقول: و كثير من الدّوابّ لارزق مدّخر لها، يرزقها الله و يرزقكم معاشر الآدميّين الّذين يدّخرون الأرزاق، و هو السّميع العليم. (١٦: ١٤٥)

عبد الكريم الخطيب: هو تطمين لقلوب المسلمين المدعوّين إلى الهجرة، و الّذين استجابوا لها و أعدّوا العدّة لإمضائها، أو للّذين هم قد هاجروا

فعلًا، و انقطعت موارد رزقهم الّتي كانت في أيديهم، بين أهلهم و في ديارهم. و إنّه لن يأسى المسلمون على ما تركوا وراءهم من مال و متاع، و لن يهتمّوا كثيرًا الأمر المعاش، و لن يشغلوا به. فالله سبحانه الّذي يرزق الدّوابّ في القفار، و الطّيور في السّماء، هو الّذي يتكفّل بأرزاق النّاس، و أنّ سعيهم في وجوه الأرض، و ما يبذلون من حول و حيلة، إنّما هو أسباب مُوصلة إلى ما قدّر الله لهم من رزق. و لن ينال أحد مهما جدّ و سعى، غير ما هو مقدور له.

و قوله تعالى: ﴿وَ كَاَيِّنْ مِنْ دَآبَّةٍ لَاتَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾ إشارة إلى أنّ كثيرًا من الدّوابّ لاتستطيع أن تحمل رزقها، أي تحصله بنفسها، و تصل إليه بسعيها. و أقرب مثل لهذا مواليد الحيوان: حيث سخّر الله لها الأمّهات و الآباء، لتعمل على إطعامها، بل و تزقّه في فمها، و تُلقيه في جوفها. و إذا بدا لنا أنّ بعض الدّوابّ كالأُسُود و الذّئاب و نحوها قادرة على انتزاع غذائها من الحياة، فإنّ ذلك لايعدو في حقيقته أن يكون رضاعة من ثدي الطّبيعة الّتي خلقها الله على هذا النّظام البديع المعجز، الّذي يجد فيه كلّ كائن رزقه الّذي يحفظ عليه وجوده. و كذلك النّاس بين أقوياء و ضعفاء، و بين ذوي حيلة و من لاحيلة لهم، كلّهم جميعًا يُرْزقون من فضل الله، و يحصلون على ما قدّر لكلّ منهم من رزق. و هذا ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿اَللهُ يَرْزُقُهَا وَ اِيَّاكُمْ﴾، أي فكما تُرْزق هذه الدّوابّ الّتي لاحيلة لها في تحصيل قوتها، كذلك تُرْزقون أنتم أيّها المهاجرون، و قد بدا لكم أنّه قد انقطعت عنكم أسباب معيشتكم، و الله سبحانه و تعالى يقول: ﴿وَ مَا مِنْ دَآبَّةٍ فِى الْاَرْضِ اِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا وَ يَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَ مُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِى كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ هود: ٦.(١١: ٤٦١)

مكارم الشّيرازيّ: الرّازق هو الله، لا لكم فحسب بل ﴿وَ كَاَيِّنْ مِنْ دَآبَّةٍ لَاتَحْمِلُ رِزْقَهَا اَللهُ يَرْزُقُهَا وَ اِيَّاكُمْ﴾، قليل من الدّوابّ و الحيوانات و الحشرات و كذلك الإنسان يأتي برزقه من الصّحراء و الشّجر إلى وكره و مسكنه، كالنّحل الّتي تنتج العسل و النّمل، و غالبًا ما تسعى ليومها »، أي كلّ يوم عليها أن تمضي لرزقها و تبحث عنه من جديد و هكذا، فإنّ ملايين الملايين من الحيوانات الّتي من حولنا، في النّقاط القريبة و البعيدة، و في الصّحاري و أعماق البحار و أعالي الجبال و الأماكن الأخرى، كلّها تقتات من مائدة الله السّرمديّة.

و أنت أيّها الإنسان أقوى من تلك الحيوانات و أذكى في جلب الرّزق، فلِمَ كلّ هذا الخوف من انقطاع الرّزق؟! و لِمَ الرّكون إلى حياة الذّلّ و الاستكانة و الفجور؟! و لِمَ تظلّ سادرًا تحت وطأة الظّلم و القهر و الهوان و الذّلّ؟! أُخرج أنت أيضًا من داخل هذه الدّائرة المظلمة، و اجلِس على مائدة خالقك الواسعة، و لاتفكّر في الرّزق.

فأنت يوم كنت جنينًا محبوسًا في بطن أمّك، و لاتصل إليك أيّة يد حتّى من أبيك و أمّك الرّؤوم، لم يُنْسك الله الّذي خلقك، و هيّأ لك ما كنت تحتاج إليه بكل دقّة، فكيف و أنت اليوم كائن قويّ و رشيد؟!

(١٢: ٤٠٤)

فضل الله: أي أنّ كثيرًا من الدّوابّ الّتي تتحرّك في الأرض لاتحمل رزقها و لاتدّخره، لأنّها قد لاتملك من وسائله الكثير، و لكنّها لاتموت من خلال ذلك، لأنّ مسألة الرّزق لاتخضع دائمًا للقدرات الذّاتيّة، و الأسباب العادية، بل تخضع لتقدير الله و تخطيطه في توزيع الرّزق على النّاس، من خلال ما يخلقه من أسباب طبيعيّة و غير طبيعيّة، ممّا ينسجم مع الحكمة الإلهيّة في تدبير الكون كلّه.

و هكذا تفرض القضيّة الإيمانيّة القائمة على أساس السّنّة الإلهيّة، ﴿اَللّٰهُ يَرْزُقُهَا وَ إِيَّاكُمْ﴾ في ما يهيّئه لكم من وسائل الادّخار، و من أسباب الحصول على الرّزق، أو في ما يرزقكم من ذلك من حيث لايحتسب. (١٨: ٧٧)

يَرْزُقُكُمْ

١ ـ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَ الْاَرْضِ اَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَ الْاَبْصَارَ... يونس: ٣١

الطّوسيّ: أمر الله تعالى نبيّه ﷺ أن يقول لهؤلاء الكفّار و غيرهم من خلقه: ﴿مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ﴾ بإنزال المطر و الغيث، و من الأرض بإخراج النّبات و أنواع الثّمار.

و الرّزق: العطاء الجاري، يقال: رزق السّلطان الجند، إلّا أنّ كلّ رزق فالله رازق به، لأنّه لو لم يُطلقه على يد الإنسان لم يجئ منه شيء. و الواحد منّا يرزق غيره إلّا أنّه لايُطلَق اسم رازق إلّا على الله، كما لايقال: «ربّ» بالإطلاق إلّا في الله، و في غيره يُقيّد، فيقال: ربّ الدّار و ربّ الفرس. و يُطلَق فيه، لأنّه يملك الجميع غير مملّك. و كذلك هو تعالى رازق الجميع غير مرزوق، و لايجوز أن يخلق الله حيوانًا يريد تبقيته إلّا و يرزقه، لأنّه إذا أراد بقاءه فلابدّ له من الغذاء. فإن لم يرد تبقيته كالّذي يُولَد ميّتًا، فإنّه لارزق له في الدّنيا. (٥: ٤٢٦)

القُشَيْريّ: كما توحّد الحقّ سبحانه بكونه خالقًا، تفرّد بكونه رازقًا، و كما لاخالق سواه فلارازق سواه.

ثمّ الرّزق على أقسام: فللأشباح رزق: و هو لقوم توفيق الطّاعات، و لآخرين خذلان الزّلّات. و للأرواح رزق: و هو لقوم حقائق الوصلة، و لآخرين في الدّنيا الغفلة و في الآخرة العذاب و المهلة. (٣: ٩٣)

الواحديّ: يريد من يُنزل القطر من السّماء، و يُخرج النّبات من الأرض. (٢: ٥٤٦)

الزّمَخْشَريّ: أي يرزقكم منهما جميعًا، لم يقتصر برزقكم على جهة واحدة ليُفيض عليكم نعمته، و يوسّع رحمته. [ثمّ أدام نحو الطّوسيّ] (٢: ٢٣٥)

الطَّبْرسيّ: أي من يخلق لكم الأرزاق ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾ بإنزال المطر و الغيث، و من ﴿الْاَرْضِ﴾ بإخراج النّبات و أنواع الثّمار. [ثمّ أدام نحو الطّوسيّ] (٣: ١٠٧)

الفَخْر الرّازيّ: ما ذكره في هذه الآية و هو أحوال الرّزق، و أحوال الحواسّ، و أحوال الموت و الحياة. أمّا الرّزق فإنّه إنّما يحصل من السّماء

و الأرض، أمّا من السّماء فبنزول الأمطار الموافقة، و أمّا من الأرض، فلأنّ الغذاء: إمّا أن يكون نباتًا أو حيوانًا. أمّا النّبات فلاينبت إلّا من الأرض، و أمّا الحيوان فهو محتاج أيضًا إلى الغذاء، و لايمكن أن يكون غذاء كلّ حيوان حيوانًا آخر، و إلّا لزم الذّهاب إلى ما لانهاية له، و ذلك محال.

فثبت أنّ أغذية الحيوانات يجب انتهاؤها إلى النّبات، و ثبت أنّ تولّد النّبات من الأرض، فلزم القطع بأنّ الأرزاق لاتحصل إلّا من السّماء و الأرض، و معلوم أنّ مُدبّر السّماوات و الأرضين ليس إلّا الله سبحانه و تعالى، فثبت أنّ الرّزق ليس إلّا من الله تعالى. (۱۷: ۸٦)

نحوه أبوحيّان (٥: ١٥٣)، و الشّربينيّ (٢: ١٧).

البَيْضاويّ: أي منهما جميعًا، فإنّ الأرزاق تحصل بأسباب سماويّة و موادّ أرضيّة، أو من كلّ واحد منهما توسعة عليكم.

و قيل: «من» لبيان (مَنْ) على حذف المضاف، أي من أهل السّماء و الأرض. (١: ٤٤٦)

نحوه الآلوسيّ. (١١: ١١٠)

النّيسابوريّ: أي من يُنزل من سماء النّفس مطر الهواجس، و يُخرج من أرض النّفس نبات الأفعال و الأعمال. ويُنزل من سماء القلب مطر آثار فيض الرّوح، و يُخرج من أرض النّفس نبات الصّفات البشريّة و الحيوانيّة. أو يُنزل من سماء الرّوح مطر فيض الرّوح، و يُخرج من أرض القلب نبات الأوصاف الحميدة. أو يُنزل من سماء القدرة مطر تجلّي الصّفات و الفيض الرّبّانيّ، و يُخرج من أرض الرّوح المحبّة و الأخلاق الإلهيّة. أو يُنزل من سماء الذّات مطر تجلّي الصّفات، و يُخرج من أرض الوجود نبات الفناء في الله، و ثمرات البقاء بالله. (١١: ٨٤)

مَغْنِيّة: كلّ سبب من أسباب الرّزق قريبًا كان أو بعيدًا، لابدّ أن يكون سماويًّا أو أرضيًّا. فمن الأسباب السّماوية المطر و الضّياء و غيرهما، ممّا اكتشفه العلماء أو يكتشفونه في المستقبل القريب أو البعيد، و من الأسباب الأرضيّة النّبات و الحيوان و المعادن. و جميع الأسباب ترجع إلى الله وحده بواسطة السّنن و النّواميس الكونيّة، لأنّه تعالى هو خالق الكون.

و المشركون يعترفون بهذه الحقيقة، و يُقرّون بأنّ الله هو الخالق الرّازق. و هنا يأتي السّؤال، و يُردّ عليهم هذا الإشكال: ما دُمتم تعتقدون أيّها المشركون أنّ الله هو الخالق الرّازق، فكيف تجعلون له شركاء؟ و كيف يكون الشّيء شريكًا، مع العلم بأنّه لاأثر له على الإطلاق؟ (٤: ١٥٤)

الطَّباطَبائيّ: الرّزق: هو العطاء الجاري، و رزقه تعالى للعالم الإنسانيّ من السّماء هو نزول الأمطار و الثّلوج و نحوه، و من الأرض هو بإنباتها نباتها و تربيتها الحيوان، و منهما يرتزق الإنسان، و ببركة هذه النّعم الإلهيّة يبقى النّوع الإنسانيّ. و المراد بملك السّمع و الأبصار: كونه تعالى متصرّفًا في الحواسّ الإنسانيّة الّتي بها ينتظم له أنواع التّمتّع من الأرزاق المختلفة الّتي أذن الله تعالى أن يتمتّع بها، فإنّما هو يُشخّص و يميّز ما يريده ممّا لايريده، بإعمال السّمع

و البصر و اللّمس و الذّوق و الشّمّ، فيتحرّك نحو ما يريده، و يتوقّف أو يفرّ ممّا يكرهه بها، فالحواسّ هي الّتي تتمّ بها فائدة الرّزق الإلهيّ. (١٠: ٥١)

مكارم الشّيرازيّ: إنّ الرّزق يعني العطاء و البذل المستمرّ، و لـمّا كان الواهب لكلّ المواهب في الحقيقة هو الله سبحانه، فإنّ «الرّازق» و «الرّزّاق» بمعناهما الحقيقيّ لا يستعملان إلّا فيه فقط، و إذا استُعملت هذه الكلمة في حقّ غيره، فلاشكّ أنّها من باب المجاز، كالآية: ٢٣٣ من سورة البقرة الّتي تقول في شأن النّساء المرضعات: ﴿وَ عَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَ كِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾.

و ينبغي أيضًا أن نُذكّر بهذه النّقطة، و هي أنّ أكثر أرزاق الإنسان من السّماء، فالمطر المُحيي للنّبات من السّماء، الّذي تحتاج إليه كلّ الكائنات الحيّة مستقرّ في فضاء الأرض، و الأهمّ من ذلك كلّه أشعّة الشّمس الّتي لا يبقى بدونها أيّ كائن حيّ، و لا تنبعث بدونها أيّة حركة في أنحاء الكرة الأرضيّة، فإنّها تأتي من السّماء، و حتّى الحيوانات الّتي تعيش في أعماق البحار، فإنّها حيّة بنور الشّمس، لأنّا نعلم أنّ غذاء الكثير منها أعشاب صغيرة جدًّا، تنمو في طيّات الأمواج على سطح المحيط، مقابل أشعّة الشّمس. و القسم الآخر من هذه الحيوانات تتغذّى على لحوم الحيوانات البحريّة الأخرى الّتي تتغذّى على تلك النّباتات.

و الأرض وحدها هي الّتي تُغذّي جذور النّباتات بواسطة موادّها الغذائيّة، و ربّما كان هذا هو السّبب في أن تتحدّث الآية أوّلًا عن أرزاق السّماء، ثمّ عن أرزاق الأرض، حسب تفاوت درجة الأهمّيّة. (٦: ٣٢٠)

٢ ـ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ قُلِ اللهُ... سبأ: ٢٤

ابن عبّاس: ﴿مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمٰوَاتِ﴾ بالمطر ﴿وَ الْأَرْضِ﴾، بالنّبات «فإن أجابوك و قالوا: الله، و إلّا ﴿قُلِ اللهُ﴾ يرزقكم. (٣٦١)

نحوه الكلبيّ (الماورديّ ٤: ٤٤٩)، و البغويّ (٣: ٦٨٠).

الطّبريّ: يقول تعالى ذكره لنبيّه محمّد ﷺ: قل يا محمّد لهؤلاء المشركين بربّهم الأوثان و الأصنام: من يرزقكم من السّماوات و الأرض بإنزاله الغيث عليكم منها حياة لحروثكم، و صلاحًا لمعايشكم، و تسخيره الشّمس و القمر و النّجوم لمنافعكم، و منافع أقواتكم، و الأرض بإخراجه منها أقواتكم و أقوات أنعامكم؟ و ترك الخبر عن جواب القوم استغناء بدلالة الكلام عليه، ثمّ ذكره، و هو: فإن قالوا: لاندري، فقل: الّذي يرزقكم ذلك الله. (١٠: ٣٧٥)

الماورديّ: فيه وجهان:

أحدهما: [ماقاله الكلبيّ]

الثّاني: أنّ رزق السّماوات ما قضاه من أرزاق عباده، و رزق الأرض ما مكّنهم فيه من مباح. (٤: ٤٤٩)

الواحديّ: ﴿مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمٰوَاتِ﴾:

الرّزق و المطر، و من ﴿الْأَرْضِ﴾: النبات و الثّمر، و إنّما أمر بهذا السّؤال احتجاجًا عليهم بأنّ الّذي يرزق هو المستحقّ للعبادة لاغيره؛ و ذلك أنّه إذا استفهمهم عن الرّازق لم يُمكنهم أن يُثبتوا رازقًا غير الله، و لهذا أمر النّبيّ ﷺ بالجواب فقال: ﴿قُلِ اللهُ﴾.

(٣: ٤٩٤)

الزّمخشريّ: أمره بأن يتولّى الإجابة و الإقرار عنهم بقوله: يرزقكم الله؛ و ذلك للإشعار بأنّهم مقرّون به بقلوبهم، إلّا أنّهم ربّما أبوا أن يتكلّموا به، لأنّ الّذي تمكّن في صدورهم من العناد و حبّ الشّرك، قد ألجم أفواههم عن النّطق بالحقّ مع علمهم بصحّته، و لأنّهم إن تفوّهوا بأنّ الله رازقهم، لزمهم أن يقال لهم: فما لكم لاتعبدون من يرزقكم و تُؤثرن عليه مَن لايقدر على الرّزق؟ ألاترى إلى قوله: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ﴾ حتّى قال: ﴿فَسَيَقُولُونَ اللهُ﴾ يونس: ٣١. (٣: ٢٨٨)

نحوه النّسفيّ (٣: ٣٢٤)، و الشّربينيّ (٣: ٢٩٧).

ابن عطيّة: أمر الله تعالى نبيّه على جهة الاحتجاج و إقامة الدّليل، على أنّ الرّزّاق لهم من السّماوات و الأرض مَن هو؟ ثمّ أمره أن يقتضب الاحتجاج بأن يأتي جواب السّؤال؛ إذ هم في بهتة و وجمة من السّؤال؛ و إذ لاجواب لهم و لالمفطور إلّا بأن يقول: هو الله. و هذه السّبيل في كلّ سؤال جوابه في غاية الوضوح، لأنّ المُحتجّ يريد أن يقتضب و يتجاوز إلى حُجّة أخرى يوردها، و نظائر هذا في القرآن كثير.

(٤: ٤١٩)

الفخر الرّازيّ: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾، إشارة إلى أنّ جرّ النّفع ليس إلّا به و منه، فإذًا إن كنتم من الخواصّ فاعبدوه لعلوّه و كبريائه، سواء دفع عنكم ضرًّا أو لم يدفع، و سواء نفعكم بخير أو لم ينفع، فإن لم تكونوا كذلك، فاعبدوه لدفع الضّرّ و جرّ النّفع. (٢٥: ٢٥٦)

القُرطُبيّ: أي من يخلق لكم هذه الأرزاق الكائنة من السّماوات، أي عن المطر و الشّمس و القمر و النّجوم و ما فيها من المنافع. ﴿وَالْأَرْضِ﴾، أي الخارجة من الأرض عن الماء و النّبات، أي لايُمكنهم أن يقولوا: هذا فعل آلهتنا، فيقولون: لاندري، فقل: إنّ الله يفعل ذلك الّذي يعلم ما في نفوسكم، و إن قالوا: إنّ الله يرزقنا، فقد تقرّرت الحجّة بأنّه الّذي ينبغي أن يُعبَد. (١٤: ٢٩٨)

ابن كثير: يقول تعالى مُقرّرًا تفرّده بالخلق و الرّزق، و انفراده بالإلهيّة أيضًا: فكما كانوا يعترفون بأنّهم لايرزقهم من السّماء و الأرض، أي بما يُنزل من المطر و ينبت من الزّرع إلّا الله، فكذلك فليعلموا أنّه لاإله غيره. (٥: ٥٥٢)

أبو السُّعود: أمر بتبكيت المشركين بحملهم على الإقرار، بأنّ آلهتهم لايملكون مثقال ذرّة فيهما، وأنّ الرّازق هو الله تعالى، فإنّهم لاينكرونه، كما ينطق به قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾. [إلى أن قال:]

﴿فَسَيَقُولُونَ اللهُ﴾ يونس: ٣١؛ و حيث كانوا يتلعثمون أحيانًا في الجواب مخافة الإلزام، قيل له:

﴿قُلِ اللهُ﴾، إذ لا جواب سواه عندهم أيضًا. (٥: ٢٥٩)

نحوه الآلوسيّ. (٢٢: ١٤٠)

البُرُوسَويّ: [نحو أبي السُّعود و أضاف:]

اعلم أنّ الرّزق قسمان: ظاهر، و هو الأقوات و الأطعمة المتعلّقة بالأبدان، و باطن، و هو المعارف و المكاشفات المتعلّقة بالأرواح، و هذا أشرف القسمين، فإنّ ثمرته حياة الأبد، و ثمرة الرّزق الظّاهر قوّة إلى مدّة قريبة الأمد، و الله تعالى هو المتولّي لخلق الرّزقين و المتفضّل بالإيصال إلى كلا الفريقين، و لكنّه يبسط الرّزق لمن يشاء و يقدر. (٧: ٢٩١)

الشّوكانيّ: أي مَن ينعم عليكم بهذه الأرزاق الّتي تتمتّعون بها، فإنّ آلهتكم لا يملكون مثقال ذرّة، و الرّزق من السّماء: هو المطر و ما يُنتفع به، منها: من الشّمس، و القمر، و النّجوم، و الرّزق من الأرض: هو النّبات، و المعادن، و نحو ذلك؟ و لـمّا كان الكفّار لا يقدرون على جواب هذا الاستفهام، و لم تقبل عقولهم نسبة هذا الرّزق إلى آلهتهم، و ربّما يتوقّفون في نسبته إلى الله مخافة أن تقوم عليهم الحجّة، فأمر الله رسوله بأن يُجيب عن ذلك، فقال: ﴿قُلِ اللهُ﴾، أي هو الّذي يرزقكم من السّماوات و الأرض. (٤: ٤٠٧)

المَراغيّ: أي قُل أيّها الرّسول لهؤلاء المشركين بربّهم الأوثان و الأصنام: من يرزقكم من السّماوات بإنزال الغيث عليكم، حياة لحروثكم، و صلاحًا لمعايشكم، و تسخير الشّمس و القمر و النّجوم لمنافعكم، و من الأرض بإخراج أقواتكم و أقوات أنعامكم؟! [ثمّ أدام نحو الزّمخشريّ] (٢٢: ٨٠)

سيّد قُطْب: و الرّزق مسألة واقعة في حياتهم: رزق السّماء من مطر و حرارة وضوء و نور، ذلك فيما كان يعرفه المخاطبون و وراءه كثير من الأصناف و الألوان تتكشّف آنًا بعد آن، و رزق الأرض من نبات و حيوان و عيون ماء و زيوت و معادن و كنوز و غيرها، ممّا يعرفه القُدامى، و يتكشّف غيره على مدار الزّمان. (٥: ٢٩٠٤)

ابن عاشور: انتقال من دمغ المشركين بضعف آلهتهم و انتفاء جدواها عليهم في الدّنيا و الآخرة، إلى إلزامهم ببطلان عبادتها بأنّها لا تستحقّ العبادة، لأنّ مستحقّ العبادة هو الّذي يرزق عباده، فإنّ العبادة شكر، و لا يستحقّ الشّكر إلّا المنعم. و هذا احتجاج بالدّليل النّظريّ، لأنّ الاعتراف بأنّ الله هو الرّزّاق يستلزم انفراده بالٳلٰهيّة؛ إذ لا يجوز أن ينفرد ببعض صفات الإلٰهيّة و يشارك في بعض آخر، فإنّ الإلٰهيّة حقيقة لا تقبل التّجزئة و التّبعيض.

و أُعيد الأمر بالقول لزيادة الاهتمام بالمقول، فإنّ أصل الأمر بالقول في مقام التّصدّي للتّبليغ دالّ على الاهتمام، و إعادة ذلك الأمر زيادة في الاهتمام.

(٢٢: ٥٧)

الطَّباطَبائيّ: احتجاج آخر على المشركين من جهة الرّزق الّذي هو الملاك العُمدة في اتّخاذهم الآلهة، فإنّهم يتعلّلون في عبادتهم الآلهة بأنّها تُرضيهم، فيوسّعون لهم في رزقهم، فيسعدون بذلك.

فأمر النّبيّ ﷺ أن يسألهم: من يرزقهم من السّماوات و الأرض؟ و الجواب عنه: أنّه الله سبحانه،

لأنّ الرّزق خلق في نفسه و لاخالق حتّى عند المشركين إلّا الله عزّ اسمه، لكنّهم يستنكفون عن الاعتراف به بألسنتهم و إن أذعنت به قلوبهم، و لذلك أمر أن ينوبهم في الجواب فقال: ﴿قُلِ اللهُ﴾. (١٦: ٣٧٤)

٣ ـ ﴿أَمَّنْ هٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَ نُفُورٍ﴾. الملك: ٢١

ابن عبّاس: من السّماء بالمطر، و الأرض بالنّبات. (٤٧٩)

الطّبريّ: أم من هذا الّذي يُطعمكم و يُسقيكم، و يأتي بأقواتكم، إن أمسك بكم رزقه الّذي يرزقه عنكم؟. (١٢: ١٧٠)

المَيْبُديّ: يُطعمكم و يُسقيكم و يُعطيكم منافع الدّنيا، ﴿إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ﴾ يعني إن أمسك الله المطر أو أمسك جميع أسباب الرّزق. و قيل: معناه: مَن الّذي يوسّع عليكم نعمكم، إن ضيّق عليكم، فيعاقبكم بالجدب و القحط؟. (١٠: ١٧٦)

الواحديّ: مَن الّذي يرزقكم بالمطر إن أمسكه الله عنكم. (٤: ٣٣٠)

ابن عَطيّة: هذا أيضًا توقيف على أمر لامدخل للأصنام فيه، و الإشارة بالرّزق إلى المطر، لأنّه أعظم الأرزاق. (٥: ٣٤٢)

الطّبْرسيّ: أي الّذي يرزقكم إن أمسك الله الّذي هو رازقكم أسباب رزقه عنكم، و هو المطر هاهنا. (٥: ٣٢٨)

ابن الجَوْزيّ: المطر و غيره. (٨: ٣٢٣)

نحوه القاسميّ. (١٦: ٥٨٨٧)

الفَخْر الرّازيّ: و المعنى: مَن الّذي يرزقكم من آلهتكم إن أمسك الله الرّزق عنكم؟. و هذا أيضًا ممّا لاينكره ذو عقل، و هو أنّه تعالى لو أمسك أسباب الرّزق كالمطر و النّبات و غيرهما لما وجد رازق سواه. (٣٠: ٧٢)

القُرطُبيّ: أي يُعطيكم منافع الدّنيا، و قيل: المطر من آلهتكم. (١٨: ٢١٨)

البَيْضاويّ: بإمساك المطر و سائر الأسباب المحصّلة و الموصلة له إليكم. (٢: ٤٩٢)

مثله الكاشانيّ. (٥: ٢٠٣)

ابن كثير: أي مَن هذا الّذي إذا قطع الله عنكم رزقه يرزقكم بعده؟ أي لاأحد يُعطي و يمنع و يخلق و يرزق و ينصر إلّا الله عزّ و جل وحده لاشريك له، أي و هم يعلمون ذلك و مع هذا يعبدون غيره. (٧: ٧٣)

الشِّربينيّ: أي على سبيل التّجدّد و الاستمرار، ﴿إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ﴾ بإمساك الأسباب الّتي ينشأ عنها كالمطر، ولو كان الرّزق موجودًا و كثيرًا و سهل التّناول، فوضع الأكل في فمه، فأمسك الله تعالى عنه قوّة الازدراد، عجز أهل السّماوات و الأرض عن أن يسوّغوه تلك اللّقمة. وجواب الشّرط محذوف دلّ عليه ما قبله، أي فمن يرزقكم؟ أي لارازق لكم غيره. (٤: ٣٤٦)

نحوه البُرُوسَويّ. (١٠: ٩٣)

المَراغيّ: أي بل من ذا الّذي يرزقكم إن منع ربّكم عنكم أسباب رزقه من الأمطار و غيرها، أو

وقف الهواء فلم تجر الرّياح، أو جعل ماء البحر غورًا؟

و الخلاصة: أنّه لاجُنْد لكم ينصركم إن هو عذّبكم، و لارازق يرزقكم إن هو حرمكم أرزاقكم.

(٢٩ : ٢٠)

سيّد قُطْب: و الرّزق الّذي تناله أيديهم أنّه في حسّهم قريب الأسباب، و هي بينهم تنافس و غلاب. و لكن السّورة تمدّ أبصارهم بعيدًا هنالك في السّماء، و وراء الأسباب المعلومة لهم، كما يظنّون ﴿اَمَّنْ هٰذَا الَّذِى يَرْزُقُكُمْ...﴾. (٦ : ٣٦٣٠)

ابن عاشور: و هذا الكلام ناظر إلى قوله: ﴿وَ كُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ الملك: ١٥، على طريقة اللّفّ و النّشر المعكوس. و الرّزق: ما ينتفع به النّاس، و يُطلَق على المطر، و على الطّعام، كما تقدّم في قوله تعالى: ﴿وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ آل عمران: ٣٧.

و ضمير ﴿اَمْسَكَ﴾ و ضمير ﴿رِزْقَهُ﴾ عائدان إلى لفظ ﴿الرَّحْمٰن﴾ الواقع في قوله: ﴿مِنْ دُونِ الرَّحْمٰنِ﴾ الملك: ٢٠، و جيء بالصّلة فعلًا مضارعًا لدلالته على التّجدّد، لأنّ الرّزق يقتضي التّكرار؛ إذ حاجة البشر إليه مستمرّة. (٢٩ : ٤٠)

مَغْنِيّة: هذا سؤال ثان منه تعالى، و معناه: إذا منع الله عنكم أسباب الرّزق كالمطر، فمَن الّذي يُرسل السّماء عليكم مدرارًا؟ أ أوثانكم الّتي تعبدون أو جهلكم و غروركم؟ و الجواب: ﴿بَلْ لَجُّوا فِى عُتُوٍّ وَ نُفُورٍ﴾. كلّا، إنّهم يعلمون أنّ الله هو الرّازق، و مع هذا يعاندون الحقّ، و يصرّون على الباطل، لأنّ حياتهم تقوم عليه وعلى محاربة الحقّ وأهله. (٧ : ٣٨١)

مكارم الشّيرازيّ: فإذا أمر الله السّماء أن تمتنع عن المطر، و الأرض عن الإنبات، و أمر الآفات الزّراعيّة بالفتك بالمحاصيل، فمن القادر غيره أن يطعمكم الطّعام؟

و إذا ما قطع الله الرّزق المعنويّ عنكم، و الوحي السّماويّ من الوصول إليكم، فمن القادر غيره على إرشادكم و إنقاذكم من براثن الضّلال؟ إنّها لحقائق واضحة و أدلّة دامغة، إلّا أنّ العناد هو الّذي يُشكّل حجابًا للإدراك و للشّعور الحقّ. (١٨ : ٤٥٥)

تَرْزُقُ

تُولِجُ الَّيْلَ فِى النَّهَارِ وَ تُولِجُ النَّهَارَ فِى الَّيْلِ وَ تُخْرِجُ الْحَىَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَ تُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَىِّ وَ تَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ. آل عمران: ٢٧

الرّبيع: يخرج الرّزق من عنده بغير حساب، لايخاف أن ينقص ما عنده تبارك و تعالى.

(الطّبريّ ٣ : ٢٢٦)

الطّبريّ: يعني بذلك جلّ ثناؤه: أنّه يُعطي من يشاء من خلقه، فيجود عليه بغير محاسبة منه لمن أعطاه، لأنّه لايخاف دخول انتقاص في خزائنه، و لا الفناء على مابيده. (٣ : ٢٢٦)

الفَخْر الرّازيّ: ففيه وُجُوه:

الأوّل: أنّه يُعطي من يشاء ما يشاء، لايحاسبه على ذلك أحد؛ إذ ليس فوقه ملك يحاسبه، بل هو الملك يُعطي من يشاء بغير حساب.

و الثّاني: ترزق من تشاء غير مقدور و لامحدود،

بل تبسطه له و توسّعه عليه، كما يقال: فلان ينفق بغير حساب، إذا وصف عطاؤه بالكثرة، و نظيره قولهم في تكثير مال الإنسان: عنده مال لايُحصى.

و الثّالث: ترزق من تشاء بغير حساب، يعني على سبيل التّفضّل من غير استحقاق، لأنّ من أعطى على قدر الاستحقاق فقد أعطى بحساب. و قال بعض من ذهب إلى هذا المعنى: إنّك لاترزق عبادك على مقادير أعمالهم. و اللّه أعلم. (٨: ١٠)

الآلوسيّ: من النّعم الظّاهرة و الباطنة، أو من إحداهما فقط. (٣: ١١٩)

ابن عاشور: و الرّزق: ما ينتفع به الإنسان، فيطلق على الطّعام و الثّمار، كقوله: ﴿وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ آل عمران: ٣٧، و قوله: ﴿فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ﴾ الكهف: ١٩، و يطلق على أعمّ من ذلك ممّا يُنتفع به، كما في قوله تعالى: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ * وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ﴾، ثمّ قال: ﴿إِنَّ هٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ ص: ٥١ ـ ٥٤، و قوله: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللّٰهُ﴾، و من ثمّ سمّيت الدّراهم و الدّنانير رزقًا، لأنّ بها يُعوّض ما هو رزق. و في هذا إيماء إلى بشارة للمسلمين بما أُخبئ لهم من كنوز الممالك الفارسيّة و القيصريّة و غيرها. (٣: ٧٠)

الطّباطبائيّ: معنى الرّزق في القرآن

الرّزق: معروف، و الّذي يتحصّل من موارد استعماله أنّ فيه شيئًا من معنى العطاء، كرزق الملك الجنديّ، و يقال لما قرّره الملك لجنديّه ممّا يؤتاه جملة: رزقه، و كان يختصّ بما يتغذّى به لاغير، كما قال تعالى: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ البقرة: ٢٣٣، فلم يعدّ الكسوة رزقًا.

ثمّ توسّع في معناه، فعدّ كلّ ما يصل الإنسان من الغذاء رزقًا، كأنّه عطيّة بحسب الحظّ و الجدّ و إن لم يعلم مُعطيه، ثمّ عمّم فسمّي كلّ ما يصل إلى الشّيء ممّا ينتفع به رزقًا و إن لم يكن غذاء، كسائر مزايا الحياة من مال و جاه و عشيرة و أعضاد و جمال و علم و غير ذلك، قال تعالى: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ المؤمنون: ٧٢، و قال فيما يحكي عن شعيب: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ هود: ٨٨، و المراد به: النّبوّة و العلم، إلى غير ذلك من الآيات.

و المتحصّل من قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللّٰهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ الذّاريات: ٥٨، و المقام مقام الحصر:

أوّلًا: أنّ الرّزق بحسب الحقيقة لاينتسب إلّا إليه، فما يُنسب إلى غيره تعالى من الرّزق، كما يصدّقه أمثال قوله تعالى: ﴿وَاللّٰهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ الجمعة: ١١، حيث أثبت رازقين، و عدّه تعالى خيرهم، و قوله: ﴿وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ﴾ النّساء: ٥، كلّ ذلك من قبيل النّسبة إلى الغير، كما أنّ الملك و العزّة للّه تعالى لذاته و لغيره بإعطائه و إذنه، فهو الرّزّاق لاغير.

و ثانيًا: أنّ ما ينتفع به الخلق في وجودهم ممّا ينالونه من خير، فهو رزقهم، و اللّه رازقه، و يدلّ على ذلك ـ مضافًا إلى آيات الرّزق على كثرتها ـ آيات كثيرة أُخر، كالآيات الدّالّة على أنّ الخلق و الأمر

و الحكم و المِلك ـ بكسر الميم ـ و المشيئة و التدبير و الخير لله محضًا عزّ سلطانه.

و ثالثًا: أنّ ما ينتفع به الإنسان انتفاعًا محرّمًا لكونه سببًا للمعصية، لا ينسب إليه تعالى، لأنّه تعالى نفى نسبة المعصية إلى نفسه من جهة التّشريع، قال تعالى: ﴿قُلْ اِنَّ اللهَ لَايَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ اَتَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لَاتَعْلَمُونَ﴾ الأعراف: ٢٨، و قال تعالى: ﴿اِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْاِحْسَانِ﴾ إلى أن قال: ﴿وَ يَنْهٰى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَ الْمُنْكَرِ﴾ النّحل: ٩٠، و حاشاه سبحانه أن ينهى عن شيء ثمّ يأمر به، أو ينهى عنه ثمّ يحصر رزقه فيه.

و لامنافاة بين عدم كون نفع محرّم رزقًا بحسب التّشريع، و كونه رزقًا بحسب التّكوين؛ إذ لاتكليف في التّكوين حتّى يستتبع ذلك قبحًا، و ما بيّنه القرآن من عموم الرّزق إنّما هو بحسب حال التّكوين، و ليس البيان الإلهيّ بموقوف على الأفهام السّاذجة العاميّة حتّى يُضرَب صفحًا عن التّعرّض للمعارف الحقيقيّة، و في القرآن شفاء لجميع القلوب، لايستضرّ به إلّا الخاسرون، قال تعالى: ﴿وَ نُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْاٰنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ لَايَزِيدُ الظَّالِمِينَ اِلَّا خَسَارًا﴾ الإسراء: ٨٢.

على أنّ الآيات تنسب الملك الّذي لأمثال نمرود و فرعون، و الأموال و الزّخارف الّتي بيد أمثال قارون إلى إيتاء الله سبحانه، فليس إلّا أنّ ذلك كلّه بإذن الله، آتاهم ذلك امتحانًا و إتمامًا للحجّة، و خذلانًا و استدراجًا و نحو ذلك، و هذا كلّه نسب تشريعيّة، و إذا صحّت النّسبة التّشريعيّة من غير محذور لزوم القبح، فصحّة النّسبة التّكوينيّة الّتي لامجال للحسن و القبح العقلائيّين فيها أوضح.

ثمّ إنّه تعالى ذكر أنّ كلّ شيء فهو مخلوق له، منزّل من عنده، من خزائن رحمته، كما قال: ﴿وَ اِنْ مِنْ شَيْءٍ اِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَ مَا نُنَزِّلُهُ اِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ الحجر: ٢١، و ذكر أيضًا أنّ ما عنده فهو خير، قال تعالى: ﴿وَ مَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ﴾ القصص: ٦٠. و انضمام الآيتين و ما في معناهما من الآيات يُعطي أنّ كلّ ما يناله شيء في العالم و يتلبّس به مدى وجوده، فهو من الله سبحانه، و هو خير له ينتفع به و يتنعّم بسببه، كما يفيده أيضًا قوله تعالى: ﴿اَلَّذِي اَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ السّجدة: ٧، مع قوله تعالى: ﴿ذٰلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ﴾ المؤمن: ٦٢.

و أمّا كون بعض ما ينال الأشياء من المواهب الإلهيّة شرًّا يستضرّ به، فإنّما شرّيّته و إضراره نسبيّ، متحقّق بالنّسبة إلى ما يُصيبه خاصّة، مع كونه خيرًا نافعًا بالنّسبة إلى آخرين، و بالنّسبة إلى عِلَله و أسبابه في نظام الكون، كما مرّ، يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَ مَا اَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ النّساء: ٧٩، و قد مرّ البحث عن هذا المعنى فيما مرّ.

و بالجملة: جميع ما يُفيضه الله على خلقه من الخير و كلّه خير ينتفع به، يكون رزقًا بحسب انطباق المعنى؛ إذ ليس الرّزق إلّا العطيّة الّتي ينتفع بها الشّيء المرزوق، و ربّما أشار إليه قوله تعالى: ﴿وَ رِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾ طٰه: ١٣١.

و من هنا يظهر أنّ الرّزق و الخير و الخلق، بحسب المصداق، على ما يبيّنه القرآن أمور متساوية، فكلّ رزق خير و مخلوق، و كلّ خلق رزق و خير. و إنّما الفرق أنّ الرّزق يحتاج إلى فرض مرزوق يرتزق به، فالغذاء رزق للقوّة الغاذية لاحتياجها إليه، و الغاذية رزق للواحد من الإنسان لاحتياجه إليها، و الواحد من الإنسان رزق لوالديه لانتفاعهما به، و كذا وجود الإنسان خير للإنسان بفرضه عاريًا عن هذه النّعمة الإلهيّة، قال تعالى: ﴿الَّذِى أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُ﴾ طٰه: ٥٠.

و الخير يحتاج إلى فرض محتاج طالب، يختار من بين ما يواجهه ما هو مطلوبه، فالغذاء خير للقوّة الغاذية، بفرضها محتاجة إليه طالبة له، تنتخبه و تختاره إذا أصابته، و القوّة الغاذية خير للإنسان، و وجود الإنسان خير له بفرضه محتاجًا طالبًا.

وأمّا الخلق و الإيجاد فلايحتاج ـ من حيث تحقّق معناه ـ إلى شيء ثابت أو مفروض، فالغذاء مثلًا مخلوق مُوجد في نفسه، و كذا القوّة الغاذية مخلوقة، و الإنسان مخلوق.

و لـمّا كان كلّ رزق لله و كلّ خير لله محضًا، فما يعطيه تعالى من عطيّة، و ما أفاضه من خير، و ما يرزقه من رزق، فهو واقع من غير عوض و بلاشيء مأخوذ في مقابله؛ إذ كلّ ما فرضنا من شيء فهو له تعالى حقًّا و لا استحقاق هناك؛ إذ لاحقّ لأحد عليه تعالى، إلّا ما جعل هو على نفسه من الحقّ، كما جعله في مورد الرّزق، قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِى الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا﴾ هود: ٦. و قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾ الـذّاريات: ٢٣.

فالرّزق مع كونه حقًّا على الله ـ لكونه حقًّا مجعولًا من قبله ـ عطيّة منه من غير استحقاق للمرزوق من جهة نفسه، بل من جهة ما جعله على نفسه من الحقّ.

و من هنا يظهر أنّ للإنسان المرتزق بالمحرّمات رزقًا مقدّرًا من الحلال بنظر التّشريع، فإنّ ساحته تعالى منزّهة من أن يجعل رزق إنسان حقًّا ثابتًا على نفسه، ثمّ يرزقه من وجه الحرام، ثمّ ينهاه عن التّصرّف فيه، و يعاقبه عليه.

وتوضيحه ببيان آخر: أنّ الرّزق لـمّا كان هو العطيّة الإلهيّة بالخير، كان هو الرّحمة الّتي له على خلقه، و كما أنّ الرّحمة رحمتان: رحمة عامّة تشمل جميع الخلق، من مؤمن و كافر و متّق و فاجر و إنسان و غير إنسان، و رحمة خاصّة و هي الرّحمة الواقعة في طريق السّعادة، كالإيمان و التّقوى و الجنّة، كذلك الرّزق منه ما هو رزق عامّ، و هو العطيّة الإلهيّة العامّة الممدّة لكلّ موجود في بقاء وجوده، و منه ما هو رزق خاصّ، و هو الواقع في مجرى الحلّ.

و كما أنّ الرّحمة العامّة و الرّزق العامّ مكتوبان مقدّران، قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ الفرقان: ٢. كذلك الرّحمة الخاصّة و الرّزق الخاصّ مكتوبان مقدّران، و كما أنّ الهدى ـ و هو رحمة خاصّة ـ مكتوب مقدّر تقديرًا تشريعيًّا لكلّ إنسان، مؤمنًا كان أو كافرًا، و لذلك أرسل الرّسل وأنزل الكتب،

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ * إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ الذّاريات: ٥٦ ـ ٥٨، و قال تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ الإسراء: ٢٣.

فالعبادة و هي تستلزم الهدى و تتوقّف عليه مقضيّة مقدّرة تشريعًا، كذلك الرّزق الخاصّ ـ و هو الّذي عن مجرى الحلّ ـ مقضيّ مقدّر، قال تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللهُ افْتِرَاءً عَلَى اللهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ الأنعام: ١٤٠، و قال تعالى: ﴿وَاللهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾ النّحل: ٧١، و الآيتان كما ترى ذواتا إطلاق قاطع يشمل الكافر و المؤمن، و من يرتزق بالحلال و من يرتزق بالحرام.

و من الواجب أن يُعلم أنّ الرّزق ـ كما مرّ من معناه ـ هو الّذي يُنتفَع به من العطيّة على قدر ما يُنتفَع، فمن أُوتي الكثير من المال و هو لا يأكل إلّا القليل منه، فإنّما رزقه هو الّذي أكله، و الزّائد الباقي ليس من الرّزق إلّا من جهة الإيتاء دون الأكل. فسعة الرّزق و ضيقه غير كثرة المال مثلًا و قلّته، و للكلام في الرّزق تتمّة، ستمرّ بك في قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ هود: ٦. (٣: ١٣٧)

نَرْزُقُهُمْ

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾. الإسراء: ٣١

الطُّوسيّ: إخبار منه تعالى أنّه الّذي يرزق الأولاد و الآباء، فلا ينبغي قتلهم خوف الفقر. (٦: ٤٧٥)

نحوه الطّبرسيّ. (٣: ٤١٣)

البغويّ: ذلك أنّ أهل الجاهليّة كانوا يئدون بناتهم خشية الفاقة، فنُهوا عنه، و أُخبروا أنّ رزقهم و رزق أولادهم على الله تعالى. (٣: ١٣١)

الفخر الرّازيّ: يعني الأرزاق بيد الله تعالى، فكما أنّه تعالى فتح أبواب الرّزق على الرّجال، فكذلك يفتح أبواب الرّزق على النّساء. (٢٠: ١٩٧)

الخازن: و ذلك أنّ أهل الجاهليّة كانوا يئدون بناتهم خشية الفاقة، أو يخافون عليهم من النّهب و الغارات، أو أن ينكحوهنّ لغير أكفاء لشدّة الحاجة؛ و ذلك عار شديد عندهم، فنهاهم الله عن قتلهنّ، و قال: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾، يعني أنّ الأرزاق بيد الله، فكما أنّه فتح أبواب الرّزق على الرّجال، فكذلك يفتحه على النّساء. (٤: ١٢٨)

أبو السُّعود: و هو ضمان لرزقهم، و تعليل للنّهي المذكور بإبطال موجبه في زعمهم، و تقديم ضمير الأولاد على المخاطبين على عكس ما وقع في سورة الأنعام، للإشعار بأصالتهم في إفاضة الرّزق، أو لأنّ الباعث على القتل هناك الإملاق النّاجز، و لذلك قيل ﴿مِنْ إِمْلَاقٍ﴾ الأنعام: ١٥١، و هاهنا الإملاق المتوقّع، و لذلك قيل: ﴿خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾، فكأنّه قيل: نرزقهم ـ من غير أن ينتقص من رزقكم شيء، فيعتريكم ما

تخشونه، و إيّاكم أيضًا ـ رزقًا إلى رزقكم. (٤: ١٢٧)

نحوه الآلوسيّ. (١٥: ٦٦)

عبدالكريم الخطيب: فهؤلاء الأولاد قد خلقهم الله كما خلق آباءهم من قبل، و قد تكفّل بأرزاقهم، ـ كما تكفّل بأرزاق آبائهم ـ حتّى كبروا و صاروا آباء. فلِمَ يقطعون على أبنائهم طريق الحياة؟ و لِمَ لايدعونهم يعيشون ـ كما عاشوا هم ـ؟ إنّهم لايرزقونهم، و لكنّ الّذي يرزقهم و يرزق آباءهم هو الرّزّاق ذو القوّة المتين، الله ربّ العالمين.

و في تقديم رزق الأبناء على الآباء ما يُشير إلى أنّهم جميعًا على سواء في الرّزق عند الله، لايملك هؤلاء و لاهؤلاء رزقًا لأنفسهم، و إنّما يُرزقون جميعًا من فضل الله. (٨: ٤٨٢)

فضل الله: فهو الّذي يتكفّل الآباء و الأولاد، لأنّ الله لم يجعل رزق الأولاد على الآباء من ناحية تكوينيّة، بل تكفّل برزق الجميع. فإذا فكّر هؤلاء الآباء في مصدر الرّزق الّذي يأتيهم ليقوموا بتدبير أُمورهم، فعليهم أن يُفكّروا أنّه هو المصدر الّذي يمدّ أولادهم بالرّزق. ﴿نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَ إِيَّاكُمْ﴾ لأنّنا لم نخلق مخلوقًا إلّا و تكفّلنا برزقه، فلايدفعكم الشّيطان إلى قتلهم خوفًا من الفقر، انطلاقًا من هذه الأفكار الّتي تُبعدكم عن خطّ الإيمان بالله، و الثّقة بقدرته على كلّ شيء. (١٤: ٩٧)

نَرْزُقُكَ

وَ أْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلٰوةِ وَ اصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَانَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَ الْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوٰى. طٰهٰ: ١٣٢

الطّبَريّ: لانسألك مالًا، بل نكلّفك عملًا ببدنك، نؤتيك عليه أجرًا عظيمًا و ثوابًا جزيلًا.

﴿نَحْنُ نَرْزُقُكَ﴾: يقول: نحن نعطيك المال و نكسبكه، و لانسألكه. (٨: ٤٧٩)

الماوَرْديّ: هذا و إن كان خطابًا للنّبيّ ﷺ فالمراد به جميع الخلق، أنّه تعالى يرزقهم و لايسترزقهم، و ينفعهم و لاينتفع بهم، فكان ذلك أبلغ في الامتنان عليهم. (٣: ٤٣٤)

الطّوسيّ: الخطاب للنّبيّ ﷺ و المراد به: جميع الخلق، فإنّ الله تعالى يرزق خلقه، و لايسترزقهم، فيكون أبلغ في المنّة. (٧: ٢٢٥)

القُشَيْريّ: الصّلاة استفتاح باب الرّزق، و عليها أحال في تيسير الفتوح عند وقوع الحاجة إليه.

و يقال: الصّلاة رزق القلوب، و فيها شفاؤها، و إذا استأخر قُوت النّفس قَوِي قُوت القلب. [إلى أن قال:]

قوله جلّ ذكره: ﴿لَانَسْـَٔلُكَ رِزْقًا﴾، أي لانكلّفك برزق أحد، فإنّ الرّازق الله سبحانه دون تأثير الخلق، فنحن نرزقك و نرزق الجميع.

قوله جلّ ذكره: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَ الْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوٰى﴾ هما شيئان: وجود الأرزاق، و شهود الرّزّاق، فوجود الأرزاق يوجب قوّة النّفوس، و شهود الرّزّاق يوجب قوّة القلوب.

ويقال: استقلال العامّة بوجود الأرزاق، و استقلال الخواصّ بشهود الرّزّاق.

و يقال: نفى عن وقته الفَرْقَ بين أوصاف الرّزق حين قال: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكَ﴾؛ فإنّ من شهد و تحقّق

بقوله: ﴿نَحْنُ﴾ سقط عنه التّميز بين رزق و رزق.

و يقال: خفّف على الفقراء مقاساةَ قِلَّةِ الرِّزق، و تأخُّره عن وقتٍ إلى وقتٍ بقوله: ﴿نَحْنُ﴾.

(٤: ١٦٠)

الزّمَخْشَريّ: لاتهتمّ بأمر الرّزق و المعيشة، فإنّ رزقك مكفيّ من عندنا، و نحن رازقوك، و لانسألك أن ترزق نفسك و لا أهلك، ففرّغ بالك لأمر الآخرة. و في معناه قول النّاس: من دان في عمل الله، كان الله في عمله.

(٢: ٥٦٠)

القُرطُبيّ: أي لانسألك أن ترزق نفسك و إيّاهم، و تشتغل عن الصّلاة بسبب الرّزق، بل نحن نتكفّل برزقك و إيّاهم. فكان ﷺ إذا نزل بأهله ضيق أمرهم بالصّلاة. وقد قال الله تعالى: ﴿وَ مَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْاِنْسَ اِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا اُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَ مَا اُرِيدُ اَنْ يُطْعِمُونِ * اِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ﴾ الذّاريات: ٥٦ ـ ٥٨.

(١١: ٢٦٣)

الخازن: أي لانكلّفك أن ترزق أحدًا من خلقنا، و لاأن ترزق نفسك، بل نكلّفك عملًا ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ أي بل نحن نرزقك و نرزق أهلك.

(٤: ٢٣٣)

ابن كثير: يعني إذا أقمت الصّلاة أتاك الرّزق من حيث لاتحتسب، كما قال تعالى: ﴿وَ مَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ الطّلاق: ٢، ٣، و قال تعالى: ﴿وَ مَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْاِنْسَ اِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ إلى قوله: ﴿اِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ الذّاريات: ٥٦ ـ ٥٨، و لهذا قال: ﴿لَا نَسْئَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ﴾.

(٤: ٥٤٨)

أبو السُّعود: أي لانكلّفك أن ترزق نفسك ولاأهلك ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكَ﴾.

(٤: ٣١٨)

الآلوسيّ: دفع لما عسى أن يخطر ببال أحد، من أنّ المداومة على الصّلاة ربّما تضرّ بأمر المعاش، فكأنّه قيل: داوموا على الصّلاة غير مشتغلين بأمر المعاش عنها؛ إذ لانكلّفكم رزق أنفسكم؛ إذ نحن نرزقكم. و تقديم المسند إليه للاختصاص، أو لإفادة التّقوى.

و زعم بعضهم أنّ الخطاب خاصّ و كذا الحكم؛ إذ لو كان عامًّا لرخّص لكلّ مسلم المداومة على الصّلاة و ترك الاكتساب، و ليس كذلك. و فيه أنّ قصارى ما يلزم العموم ـ سواء كان الأهل خاصًّا أو عامًّا لسائر المؤمنين ـ أن يُرخّص للمصلّي ترك الاكتساب المانع من الصّلاة، و أيّ مانع عن ذلك، بل ترك الاكتساب لأداء الصّلاة المفروضة فَرْض، و ليس المراد بالمداومة عليها، إلّا أداؤها دائمًا في أوقاتها المعيّنة لها، لااستغراق اللّيل و النّهار بها، و كأنّ الزّاعم ظنّ أنّ المراد بالصّلاة: ما يشمل المفروضة و غيرها، و بالمداومة عليها: فعلها دائمًا، على وجه يمنع من الاكتساب، و ليس كذلك.

و ممّا ذكرنا يُعلم أنّه لاحاجة في ردّ ما ذكره الزّاعم إلى حمل العموم على شمول خطاب النّبيّ ﷺ لأهله فقط دون جميع النّاس، كما لايخفى. نعم قد يُستشعر من الآية أنّ الصّلاة مطلقًا تكون سببًا لإدرار الرّزق، و كشف الهمّ.

(١٦: ٢٨٥)

القاسميّ: أي لانسألك مالًا، بل نكلّفك عملًا ببدنك، نؤتيك عليه أجرًا عظيمًا و ثوابًا جزيلًا. و معنى: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ أي نحن نعطيك المال

و نكسبك و لانسألكه.

و قال أبومسلم: المعنى: أنّه تعالى إنّما يريد منه و منهم العبادة، و لايريد منه أن يرزقه كما تريد السّادة من العبيد الخَراج. و هو كقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ﴾ الذّاريات: ٥٦، ٥٧.

و قال بعض المفسّرين: معنى الآية: أقبل مع أهلك على الصّلاة، و استعينوا بها على خصاصتكم، و لاتهتمّوا بأمر الرّزق و المعيشة، فإنّ رزقك مكفيّ من عندنا، و نحن رازقوك.

و هذا المعنى لاتدلّ عليه الآية منطوقًا و لامفهومًا، و فيه حضّ على القعود عن الكسب، و مستند للكُسالى القانعين بسُكنى المساجد عن السّعي المأمور به، و قد قال تعالى في وصف المتّقين: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ﴾ النّور: ٣٧، إشارة إلى جمعهم بين الفضيلتين، ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ البقرة: ٢٠١. (١١: ٤٢٣٧)

ابن عاشور: و جملة ﴿لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا﴾ معترضة بين الّتي قبلها و بين جملة ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكَ﴾، جُعلت تمهيدًا لهاته الأخيرة.

و السّؤال: الطّلب التّكليفيّ، أي ما كلّفناك إلّا بالعبادة، لأنّ العبادة شكر للّه على ما تفضّل به على الخلق، و لايطلب اللّه منهم جزاءً آخر، و هذا إبطال لما تعوّده النّاس من دفع الجبايات و الخَراج للملوك و قادة القبائل و الجيوش. و في هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ الذّاريات: ٥٦، فجملة ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ مبيّنة لجملة ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ طه: ١٣١، و المعنى: أنّ رزق ربّك خير و هو مسوق إليك.

و المقصود من هذا الخطاب ابتداءً هو النّبيّ ﷺ، و يشمل أهله و المؤمنين، لأنّ المعلّل به هذه الجملة مشترك في حكمه جميع المسلمين. (١٦: ٢٠٨)

مَغْنِيّة: لست مسؤولًا عن رزق أحد و طعامه و شرابه، ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ و نرزق عيالك أيضًا. و ذكر هذا سبحانه بعد الأمر بالصّلاة، للإشارة إلى أنّ الصّلاة لاتزاحم العمل من أجل الرّزق، و أنّ الجمع بينهما سهل يسير، لأنّ وقت الصّلاة المكتوبة لايستغرق سوى دقائق معدودات. (٥: ٢٥٦)

الطَّباطَبائيّ: و قوله: ﴿لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ ظاهر المقابلة بين الجملتين، أنّ المراد سؤاله تعالى الرّزق لنفسه، و هو كناية عن أنّا في غنًى منك، و أنت المحتاج المفتقر إلينا، فيكون في معنى قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ...﴾ الذّاريات: ٥٦. (١٤: ٢٣٩)

فضل اللّه: فليست الصّلاة أو مطلق العبادة حاجة للّه لدى عبده، لتكون بمثابة الرّزق الّذي يطلبه منه، لأنّه الغنيّ المطلق الّذي يطلب ما يطلبه من عبده من موقع النّاصح الّذي يريد له المصلحة.

فالإنسان هو الّذي يحتاج إلى اللّه في كلّ شيء، فهو الّذي يرزقه في كلّ ما يحتاج إليه من شؤون الرّزق في الحياة، و لكن المسألة هي مسألة التّقوى، و هي العنوان الأنقى لحياة الإنسان في الدّنيا، و لمواقعه في

الآخرة، فهي الّتي تبقى و تستمرّ، و تُحقّق للإنسان أفضل النّتائج على مستوى قضيّة المصير. (١٥: ١٧٩)

نَرْزُقُكُمْ

...وَ لَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَ إِيَّاهُمْ... الأنعام: ١٥١

الطّبريّ: و لا تئدوا أولادكم، فتقتلوهم من خشية الفقر على أنفسكم بنفقاتهم، فإنّ اللّه هو رازقكم و إيّاهم، ليس عليكم رزقهم، فتخافوا بحياتهم على أنفسكم العجز عن أرزاقهم و أقواتهم. (٥: ٣٩١)

الثّعلبيّ: و لا تئدوا بناتكم خشية العيش، فإنّي أرزقكم و إيّاهم. (٤: ٢٠٣)

الطّبرسيّ: أي فإنّ رزقكم و رزقهم جميعًا علينا. (٢: ٣٨٢)

الفخر الرّازيّ: لأنّه تعالى إذا كان متكفّلًا برزق الوالد و الولد، فكما وجب على الوالدين تبقية النّفس و الاتّكال في رزقها على اللّه، فكذلك القول في حال الولد. (١٣: ٢٣٢)

أبو حيّان: جاء التّركيب هنا: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَ إِيَّاهُمْ﴾، و في الإسراء: ٣١ ﴿نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَ إِيَّاكُمْ﴾ فيمكن أن يكون ذلك من التّفنّن في الكلام، و يمكن أن يقال في هذه الآية: جاء ﴿مِنْ إِمْلَاقٍ﴾، فظاهره حصول الإملاق للوالد لا توقّعه و خشيته و إن كان واجدًا للمال، فبدأ أوّلًا بقوله: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ﴾ خطابًا للآباء، و تبشيرًا لهم بزوال الإملاق، و إحالة الرّزق على الخلّاق الرّزّاق، ثمّ عطف عليهم الأولاد.

و أمّا في الإسراء: فظاهر التّركيب أنّهم موسرون و إنّ قتلهم إيّاهم إنّما هو لتوقّع حصول الإملاق و الخشية منه، فبدأ فيه بقوله: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ﴾ إخبارًا بتكفّله تعالى برزقهم، فلستم أنتم رازقيهم، و عطف عليهم الآباء، و صارت الآيتان مفيدتين معنيين.

أحدهما: أنّ الآباء نُهوا عن قتل الأولاد مع وجود إملاقهم.

و الآخر: أنّهم نُهوا عن قتلهم و إن كانوا موسرين، لتوقّع الإملاق و خشيته، و حمل الآيتين على ما يفيد معنيين أولى من التّأكيد. (٤: ٢٥١)

الخازن: يعني لا تئدوا بناتكم خوف العيلة و الفقر، فإنّي رازقكم و إيّاهم، لأنّ اللّه تعالى إذا تكفّل برزق الوالد و الولد، وجب على الوالد القيام بحقّ الولد و تربيته، و الاتّكال في أمر الرّزق على اللّه عزّ و جلّ. (٢: ١٦٤)

نحوه الشّربينيّ. (١: ٤٥٨)

ابن كثير: قال في سورة الإسراء: ﴿وَ لَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ الإسراء: ٣١، أي لا تقتلوهم خوفًا من الفقر في الآجل، و لهذا قال هناك: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَ إِيَّاكُمْ﴾، فبدأ برزقهم للاهتمام بهم، أي لا تخافوا من فقركم بسبب رزقهم، فهو على اللّه. و أمّا هنا فلمّا كان الفقر حاصلًا، قال: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَ إِيَّاهُمْ﴾ لأنّه الأهمّ هاهنا، و اللّه أعلم. (٣: ١٢٢)

ابن عاشور: و جملة: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَ إِيَّاهُمْ﴾ معترضة مستأنفة، علّة للنّهي عن قتلهم، إبطالًا

لعذرتهم، لأنّ الفقر قد جعلوه عذرًا لقتل الأولاد، و مع كون الفقر لا يصلح أن يكون داعيًا لقتل النّفس، فقد بيّن الله أنّه لـمّا خلق الأولاد فقد قدّر رزقهم، فمن الحماقة أن يظنّ الأب أنّ عجزه عن رزقهم يُخوّله قتلهم، و كان الأجدر به أن يكتسب لهم.

و عدل عن طريق الغيبة الّذي جرى عليه الكلام، من قوله: ﴿مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ﴾ إلى طريق التّكلّم بضمير: ﴿نَرْزُقُكُمْ﴾ تذكيرًا بالّذي أمر بهذا القول كلّه، حتّى كأنّ الله أقحم كلامه بنفسه في أثناء كلام رسوله الّذي أمره به، فكلّم النّاس بنفسه، و تأكيدًا لتصديق الرّسول ﷺ، و ذكر الله رزقهم مع رزق آبائهم، و قدّم رزق الآباء للإشارة إلى أنّه كما رزق الآباء فلم يموتوا جوعًا، كذلك يرزق الأبناء، على أنّ الفقر إنّما اعترى الآباء فلِمَ يقتل لأجله الأبناء؟.

و تقديم المسند إليه على المسند الفعليّ هنا لإفادة الاختصاص، أي نحن نرزقكم و إيّاهم، لاأنتم ترزقون أنفسكم، و لاترزقون أبناءكم. (٧: ١١٨)

الطَّباطَبائيّ: و قد علّل النّهي بقوله: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَ إِيَّاهُمْ﴾، أي إنّما تقتلونهم مخافة أن لاتقدروا على القيام بأمر رزقهم، و لستم برازقين لهم، بل الله يرزقكم و إيّاهم جميعًا، فلاتقتلوهم. (٧: ٣٧٥)

عبدالكريم الخطيب: قدّم رزق الآباء على الأبناء، لأنّ الآباء هنا في فقر واقع بهم، و في ضيق استولى عليهم، فقتل فيهم مشاعر الإنسانيّة، حتّى طوّعت لهم أنفسهم قتل أولادهم، شفقةً عليهم، و إراحةً لهم من آلام الجوع، و قسوة المسغبة، فجاء قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَ إِيَّاهُمْ﴾ ليُشعر الآباء بأنّ الله متكفّل برزقهم و رزق أبنائهم معًا، و أنّ هذا الضّيق الّذي هم فيه سوف يعقبه فرج، و أنّ هذا الرّزق الضّيّق الّذي هم فيه فعلًا، هو قسمة بينهم و بين أبنائهم، فهم فيه سواء، و أنّه ليس للآباء أن يقتلوا أولادهم و هم شركاؤهم في هذا الرّزق المحدود الّذي في أيديهم.

و قد جاء قوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَ لَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَ إِيَّاكُمْ﴾ بتقديم رزق الأبناء على الآباء، لأنّ الآباء في تلك الحال ليسوا في حال ضيق و فقر، و إنّما هم على شعور الخوف من الفقر مستقبلًا، فهم يقتلون أولادهم في تلك الحال لا لفقر وقع، و إنّما لخشية الفقر المتوقّع، الّذي قد يكون وجود الأبناء سببًا في التّعجيل به، فجاء قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَ إِيَّاكُمْ﴾ ليدفع هذا الشّعور، و ليقيم مكانه شعورًا مضادًّا له، و هو أنّ الأبناء لهم رزقهم عند الله، و أنّ هذا الرّزق مقدّم على رزق الآباء، و أنّ قتلهم حينئذ يكون عدوانًا عليهم، و حبسًا لهذا الرّزق الّذي سيرزقهم الله إيّاه. (٤: ٣٤٥)

فضل الله: إنّ الأولاد هبة الله للإنسان، لايجب أن يتصرّف بها كيفما شاء، بل لابدّ من أن تفتح قلبه على العاطفة الطّاهرة و الشّعور الحميم. أمّا حياتهم فهي ملك الله، فليس لأحد أن يتصرّف فيها بما يُسيء إليها من قريب أو من بعيد، و أمّا رزقهم و مؤونتهم فهي على الله الّذي رزق الآباء عند ما كانوا أولادًا، كما رزقهم بعد أن أصبحوا آباء، و سيرزق أولادهم كما

رزقهم، و هكذا حتّى نهاية الكون. (٩: ٣٧٠)

يُرْزَقُونَ

وَلَاتَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ اَمْوَاتًا بَلْ اَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ. آل عمران: ١٦٩

راجع: ح ي ي: «اَحْيَاءٌ» ج: ١٤: ٧٢٦.

تُرْزَقَانِهِ

قَالَ لَايَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ اِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَاْوِيلِهِ قَبْلَ اَنْ يَاْتِيَكُمَا ذٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي... يوسف: ٣٧

ابن عاشور: و حقيقة الرّزق: ما به النّفع، و يُطلق على الطّعام، كقوله: ﴿وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ آل عمران: ٣٧، أي طعامًا، و قوله في الأعراف ٥٠: ﴿اَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ﴾، و قوله: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ مريم: ٦٢. و يُطلق على الإنفاق المتعارف، كقوله: ﴿وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ﴾ النّساء: ٥. و من هنا يُطلق على العطاء الموقّت، يقال: كان بنو فلان من مرتزقة الجُند، و رزق الجند كذا كلّ يوم. (١٢: ٦١)

ارْزُقْنَا ـ الرَّازِقِينَ

قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللّٰهُمَّ رَبَّنَا اَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِاَوَّلِنَا وَاٰخِرِنَا وَاٰيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَاَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ. المائدة: ١١٤

الجُبّائيّ: قيل: في معناه هاهنا قولان:

أحدهما: و اجعل ذلك رزقًا لنا.

الثّاني: و ارزقنا الشّكر عليها. (الطّوسيّ ٤: ٦٥)

الطّبَريّ: و أعطنا من عطائك، فإنّك يا ربّ خير من يُعطي و أجود من تفضّل، لأنّه لايدخل عطاءه منّ و لانكدٌ. (٥: ١٣٣)

الطّوسيّ: [نقل قول الجُبّائيّ و أضاف:]

إنّما يكون الشّكر رزقًا منه لنا، لأنّه لطف فيه، و وفق له، و إعانة عليه، كما يكون المال رزقًا لنا إذا ملّكنا إيّاه لانخلقه له.

و في الآية دلالة على أنّ العباد يرزق بعضهم بعضًا، بدلالة قوله: ﴿وَاَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾، لأنّه لو لم يصحّ ذلك لم يجز ﴿خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾، كما أنّه لـمّا لم يجز أن يكونوا آلهة لم يصحّ أن يقول: أنت خير الآلهة، و صحّ ﴿اَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ الأعراف: ١٥١، و ﴿اَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ هود: ٤٥، و ﴿اَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ الأنعام: ٦٢، و ﴿اَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ المؤمنون: ١٤. (٤: ٦٥)

نحوه الطّبْرسيّ. (٢: ٢٦٥)

ابن الجَوْزيّ: و في قوله تعالى: ﴿وَارْزُقْنَا﴾ قولان:

أحدهما: ارزقنا ذلك من عندك.

و الثّاني: ارزقنا الشّكر على ما أنعمت به من إجابتك لنا. (٢: ٤٥٩)

الفَخْر الرّازيّ: فيه مسائل:

المسألة الأُولى: أمّا الكلام في اللّهمّ. [فراجع]

المسألة الثّانية: تأمّل في هذا التّرتيب، فإنّ الحواريّين لـمّا سألوا المائدة ذكروا في طلبها أغراضًا، فقدّموا ذكر الأكل فقالوا: ﴿نُرِيدُ اَنْ نَاْكُلَ مِنْهَا﴾

المائدة: ۱۱۳، و أخّروا الأغراض الدّينيّة الرّوحانيّة. فأمّا عيسى فإنّه لـمّا طلب المائدة و ذكر أغراضه فيها، قدّم الأغراض الدّينيّة و أخّر غرض الأكل؛ حيث قال: ﴿وَارْزُقْنَا﴾، و عند هذا يلوح لك مراتب درجات الأرواح، في كون بعضها روحانيّة و بعضها جسمانيّة.

ثمّ إنّ عيسى ﷺ لشدّة صفاء دينه و إشراق روحه، لـمّا ذكر الرّزق بقوله: ﴿وَارْزُقْنَا﴾ لم يقف عليه، بل انتقل من الرّزق إلى الرّازق، فقال: ﴿وَاَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾، فقوله: ﴿رَبَّنَا﴾ ابتداء منه بذكر الحقّ سبحانه و تعالى، و قوله: ﴿اَنْزِلْ عَلَيْنَا﴾ انتقال من الذّات إلى الصّفات، و قوله: ﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِاَوَّلِنَا وَاٰخِرِنَا﴾ إشارة إلى ابتهاج الرّوح بالنّعمة، لا من حيث إنّها نعمة، بل من حيث إنّها صادرة عن المنعم. و قوله: ﴿وَاٰيَةً مِنْكَ﴾ إشارة إلى كون هذه المائدة دليلًا لأصحاب النّظر و الاستدلال، و قوله: ﴿وَارْزُقْنَا﴾ إشارة إلى حصّة النّفس، و كلّ ذلك نزول من حضرة الجلال.

فانظر كيف ابتدأ بالأشرف فالأشرف نازلًا إلى الأدون فالأدون، ثمّ قال: ﴿وَاَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾، و هو عروج مرّة أخرى من الخلق إلى الخالق، و من غير الله إلى الله، و من الأخسّ إلى الأشرف، و عند ذلك تلوح لك شمّة من كيفيّة عروج الأرواح المشرقة النّورانيّة الإلهيّة و نزولها، اللّهمّ اجعلنا من أهله.

(۱۲: ۱۳۱)

البَيْضاويّ: ﴿وَارْزُقْنَا﴾، المائدة أو الشّكر عليها، ﴿وَاَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ أي خير من يرزق، لأنّه خالق الرّزق و مُعطيه بلاعوض. (۱: ۲۹۹)

نحوه الشِّرْبينيّ. (۱: ٤٠٦)

النَّسَفيّ: و أعطنا ما سألناك و أنت خير المعطين. (۱: ۳۱۰)

الخازِن: أي ارزقنا ذلك من عندك. و قيل: ارزقنا الشّكر على هذه النّعمة. ﴿وَاَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ يعني و أنت خير من تفضّل و رزق. (۲: ۹۱)

أبوحَيّان: قيل: المائدة، و قيل: الشّكر لنعمتك. ﴿وَاَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾، لأنّك الغنيّ الحميد، تبتدئ بالرّزق. [ثمّ نقل كلام الفخر الرّازيّ و أضاف:]

و هو كلام دائر بين لفظ فلسفيّ و لفظ صوفيّ، و كلاهما بعيد عن كلام العرب و مناحيها. (٤: ٥٦)

أبوالسُّعود: أي المائدة أو الشّكر عليها، ﴿وَاَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ تذييل جارٍ مجرى التّعليل، أي خير من يرزق، لأنّه خالق الأرزاق و مُعطيها بلاعوض.

(۲: ۳٤۱)

مثله البُرُوسَويّ. (۲: ٤٦۳)

الآلوسيّ: أي الشّكر عليها، على ما حُكي عن الجُبّائيّ. أو المائدة على ما نقل عن غير واحد، و المراد بها حينئذ كما قيل: ما على الخِوان من الطّعام أو الأعمّ من ذلك و هذه ــ و لعلّه الأولى. ﴿وَاَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ ــ: تذييل جارٍ مجرى التّعليل، أي خير من يرزق، لأنّه خالق الرّزق و معطيها بلا ملاحظة عوض. (۷: ٦۲)

رَازِقِينَ

وَ جَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَ مَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ

الحجر : ٢٠

مُجاهِد: الدّوابّ و الأنعام. (الطّبريّ ٧: ٥٠٢)

الفَرّاء: فـ(مَنْ) في موضع نصب، يقول: جعلنا لكم فيها المعايش و العبيد و الإماء.

قد جاء أنّهم الوحوش و البهائم و (مَنْ) لايُفرَد بها البهائم، و لاما سوى النّاس. فإن يكن ذلك على ما روي فنرى أنّهم أدخل فيهم المماليك، على أنّا ملّكناكم العبيد و الإبل و الغنم و ما أشبه ذلك، فجاز ذلك.

و قد يقال: إنّ (مَنْ) في موضع خفض، يراد: جعلنا لكم فيها معايش و لـ«من». و ما أقلّ ما تردّ العرب مخفوضًا على مخفوض، قد كُني عنه. [ثمّ استشهد بشعر] (٢: ٨٦)

ابن قُتَيْبَة: مثل الوحوش و الطّير و السّباع و أشباه ذلك، ممّا لايرزقه ابن آدم. (٢٣٦)

الطّبَريّ: اختلف أهل التّأويل في المعنيّ في قوله: ﴿وَ مَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾، فقال بعضهم: عني به الدّوابّ و الأنعام.

و قال آخرون: عني بذلك الوحش خاصّة.

شعبة عن منصور: في هذه الآية ﴿وَ مَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾ قال: الوحش. فتأويل (مَنْ) في ﴿وَ مَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾ على هذا التّأويل بمعنى «ما» و ذلك قليل في كلام العرب، و أولى ذلك بالصّواب و أحسن أن يقال: عني بقوله: ﴿وَ مَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾ من العبيد و الإماء و الدّوابّ و الأنعام، فمعنى ذلك: و جعلنا لكم فيها معايش و العبيد و الإماء و الدّوابّ و الأنعام. و إذا كان ذلك كذلك، حسن أن توضع حينئذ مكان العبيد و الإماء و الدّوابّ (مَنْ)، و ذلك أنّ العرب تفعل ذلك إذا أرادت الخبر عن البهائم معها بنو آدم. و هذا التّأويل على ما قلناه و صرفنا إليه معنى الكلام، إذا كانت (مَنْ) في موضع نصب عطفًا به على ﴿مَعَايِشَ﴾ بمعنى جعلنا لكم فيها معايش، و جعلنا لكم فيها ﴿مَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾.

و قيل: إنّ (مَنْ) في موضع خفض، عطفًا به على الكاف و الميم في قوله: ﴿وَ جَعَلْنَا لَكُمْ﴾ بمعنى و جعلنا لكم فيها معايش ﴿وَ مَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾. و أحسب أنّ منصورًا في قوله: هو الوحش، قصد هذا المعنى و إيّاه أراد، و ذلك و إن كان له وجه في كلام العرب، فبعيد قليل، لأنّها لاتكاد تظاهر على معنى في حال الخفض، و ربّما جاء في شعر بعضهم في حال الضّرورة. [ثمّ استشهد بشعر] (٧: ٥٠٢)

الزّجّاج: موضع (مَنْ) نصب من جهتين:

إحداهما: العطف على ﴿مَعَايِشَ﴾، المعنى: و جعلناكم من لستم له برازقين، و جائز أن يكون عطفًا على تأويل ﴿لَكُمْ﴾، المعنى في ﴿جَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾: أعشناكم و من لستم له برازقين.

و في التّفسير: أنّ ﴿مَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾: الدّوابّ و الأنعام. و قيل في بعض التّفسير: الوحوش.

و النّحويّون يذهبون إلى أنّ «مَنْ» لايكاد أن يكون لغير ما يعقل، و قد قال عزّ و جلّ: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ

يَمْشِي عَلىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلىٰ أَرْبَعٍ ﴾النور: ٤٥. فجاءت (مَنْ) لغير النّاس؛ إذ وصف غير النّاس بصفاتهم، كما جاءت «الواو» لغير النّاس في قوله: ﴿وَكُلٌّ في فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾الأنبياء: ٣٣.

والأجود ـ والله أعلم ـ أن يكون (مَنْ) هاهنا، أعني ﴿وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾ يراد بها: العبيد والأنعام والدّوابّ. فيكون المعنى: جعلنا لكم فيها معايش وجعلنا لكم العبيد والدّوابّ والأنعام، وكفيتم مؤونة أرزاقها. (٣: ١٧٧)

البَغَويّ: من الدّوابّ والأنعام، أي جعلناها لكم وكفيناكم رزقها. (٣: ٥٤)

المَيْبُديّ: أي وسخّرنا لكم من يخدمكم والله يرزقهم، أي جعلنا لكم في الأرض معايش تعيشون بها، ومماليك ودوابّ تنتفعون بها، لكم نفعهم وعلى الله رزقهم. وقيل: وجعلنا لكم ولمن لستم له برازقين. (٥: ٢٩٨)

الزّمَخْشَريّ: ﴿وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾ عطف على ﴿مَعَايِشَ﴾، أو على محلّ ﴿لَكُمْ﴾. كأنّه قيل: وجعلنا لكم فيها معايش، وجعلنا لكم من لستم له برازقين، أو: وجعلنا لكم معايش ولمن لستم له برازقين.

وأراد بهم العيال والمماليك والخدم الّذين يحسبون أنّهم يرزقونهم ويخطئون، فإنّ الله هو الرّزّاق يرزقهم وإيّاهم، ويدخل فيه الأنعام والدّوابّ وكلّ ما بتلك المثابة، ممّا الله رازقه، وقد سبق إلى ظنّهم أنّهم هم الرّازقون. ولا يجوز أن يكون مجرورًا عطفًا على الضّمير المجرور في ﴿لَكُمْ﴾ لأنّه لا يُعطف على الضّمير المجرور. (٢: ٣٨٩)

نحوه النّسَفيّ (٢: ٢٧١)، وأبو السُّعود (٤: ١٣).

ابن عَطيّة: وقوله: ﴿وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾ يحتمل أن تكون (مَنْ) في موضع نصب؛ وذلك على ثلاثة أوجُه:

أحدها: أن يكون عطفًا على ﴿مَعَايِشَ﴾، كأنّ الله تعالى عدّد النّعم في المعايش، وهي ما يُؤكل ويُلبس، ثمّ عدّد النّعم في الحيوان والعبيد والصّنّاع وغير ذلك، ممّا ينتفع به النّاس، وليس عليهم رزقهم.

والوجه الثّاني: أن تكون (مَنْ) معطوفة على موضع الضّمير في ﴿لَكُمْ﴾ وذلك أنّ التّقدير: وأنعشناكم وأنعشنا أُممًا غيركم من الحيوان، فكأنّ الآية على هذا فيها اعتبار وعرض آية.

والوجه الثّالث: أن تكون (مَنْ) منصوبة بفعل مضمر يقتضيه الظّاهر، تقديره: وأنعشنا من لستم له برازقين.

ويحتمل أن تكون (مَنْ) في موضع خفض عطفًا على الضّمير في ﴿لَكُمْ﴾. وهذا قلق في النّحو، لأنّ العطف على الضّمير المجرور فيه قبح، فكأنّه قال: ولمن لستم له برازقين، وأنتم تنتفعون به. (٣: ٣٥٥)

ابن الجَوْزيّ: [نقل بعض الأقوال وأضاف:]

فإن قيل: كيف قلتم: إنّ (مَنْ) هاهنا للوحوش والدّوابّ، وإنّما تكون لمن يعقل؟

فالجواب: أنّه لمّا وصفت الوحوش وغيرها

بالمعاش الّذي الغالب عليه أن يوصف به النّاس، فيقال: للآدميّ معاش، و لا يقال: للفرس معاش، جرت مجرى النّاس، كما قال: ﴿يَاءَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾ النّمل: ١٨، و قال: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ يوسف: ٤، و قال: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ الأنبياء: ٣٣.

و إن قلنا: أريد به العبيد و الوحوش، فإنّه إذا اجتمع النّاس و غيرهم، غُلّب النّاس على غيرهم، لفضيلة العقل و التّمييز. (٤: ٣٩٢)

الفَخْر الرّازيّ: فيه قولان:

القول الأوّل: أنّه معطوف على محلّ ﴿لَكُمْ﴾، و التّقدير: و جعلنا لكم فيها معايش و من لستم له برازقين.

و القول الثّاني: أنّه عطف على قوله: ﴿مَعَايِشَ﴾ و التّقدير: و جعلنا لكم معايش و من لستم له برازقين، و على هذا القول ففيه احتمالات ثلاثة:

الاحتمال الأوّل: أنّ كلمة (مَنْ) مختصّة بالعقلاء، فوجب أن يكون المراد من قوله: ﴿وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾: العقلاء، و هم العيال و المماليك و الخدم و العبيد. و تقرير الكلام: أنّ النّاس يظنّون في أكثر الأمر أنّهم الّذين يرزقون العيال و الخدم و العبيد. و ذلك خطأ، فإنّ الله هو الرّزّاق يرزق الخادم و المخدوم، و المملوك و المالك، فإنّه لولا أنّه تعالى خلق الأطعمة و الأشربة، و أعطى القوّة الغاذية و الهاضمة، و إلّا لم يحصل لأحد رزق.

و الاحتمال الثّاني، و هو قول الكلبيّ، قال: المراد بقوله: ﴿وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾: الوحش و الطّير.

فإن قيل: كيف يصحّ هذا التّأويل مع أنّ صيغة (مَنْ) مختصّة بمن يعقل؟

قلنا: الجواب عنه من وجهين:

الأوّل: أنّ صيغة (مَنْ) قد وردت في غير العقلاء، و الدّليل عليه قوله تعالى: ﴿وَاللهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ﴾ النّور: ٤٥.

و الثّاني: أنّه تعالى أثبت لجميع الدّوابّ رزقًا على الله؛ حيث قال: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ هود: ٦، فكأنّها عند الحاجة تطلب أرزاقها من خالقها، فصارت شبيهة بمن يعقل من هذه الجهة، فلم يبعد ذكرها بصيغة من يعقل؛ ألا ترى أنّه قال: ﴿يَاءَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾ النّمل: ١٨، فذكرها بصيغة جمع العقلاء، و قال في الأصنام: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي﴾ الشّعراء: ٧٧ و قال: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ الأنبياء: ٣٣؟ فكذا هاهنا لا يبعد إطلاق اللّفظة المختصّة بالعقلاء على الوحش و الطّير، لكونها شبيهة بالعقلاء من هذه الجهة.

و سمعت في بعض الحكايات أنّه قلّت المياه في الأودية و الجبال، و اشتدّ الحرّ في عام من الأعوام، فحُكي عن بعضهم أنّه رأى بعض الوحش رافعًا رأسه إلى السّماء عند اشتداد عطشه، قال: فرأيت الغيوم قد أقبلت و أمطرت بحيث امتلأت الأودية منها.

و الاحتمال الثّالث: أنّا نحمل قوله: ﴿وَمَنْ لَسْتُمْ

لَهُ بِرَازِقِينَ ﴾ على الإماء و العبيد، و على الوحش و الطّير، و إنّما أُطلق عليها صيغة (مَنْ) تغليبًا لجانب العقلاء على غيرهم.

المسألة الثّانية: قوله: ﴿وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾ لايجوز أن يكون مجرورًا عطفًا على الضّمير المجرور في ﴿لَكُمْ﴾، لأنّه لايُعطف على الضّمير المجرور. لايقال: أخذت منك و زيد، إلّا بإعادة الخافض، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ اَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ﴾ الأحزاب: ٧.

و اعلم أنّ هذا المعنى جائز على قراءة من قرأ: (تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْاَرْحَامِ) النّساء: ١، بالخفض، و قد ذكرنا هذه المسألة هنالك. و الله أعلم. (١٩: ١٧٢)

البَيْضاويّ: عطف على ﴿مَعَايِشَ﴾ أو على محلّ ﴿لَكُمْ﴾، و يريد به العيال و الخدم و المماليك، و سائر ما يظنّون أنّهم يرزقونهم ظنًّا كاذبًا. فإنّ الله يرزقهم و إيّاهم. (١: ٥٣٩)

نحوه الكاشانيّ. (٣: ١٠٤)

النّيسابوريّ: (وَمَنْ) عطف على ﴿مَعَايِشَ﴾ أي جعلنا لكم ﴿مَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾، أو عطف على محلّ ﴿لَكُمْ﴾ لاعلى المجرور فقط، فإنّه لايجوز في الأكثر إلّا بإعادة الجارّ. و التّقدير: و جعلنا لكم معايش لمن لستم له برازقين، و أراد بهم: العيال و المماليك و الخدم الّذين رازقهم في الحقيقة هو الله تعالى وحده، لا الآباء و السّادات و المخاديم. و يدخل فيه بحكم التّغليب غير ذوي العقول من الأنعام و الدّوابّ و الوحش و الطّير، كقوله: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْاَرْضِ اِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا﴾ هود: ٦، و قد يُذكر غير من يعقل بصفة من يعقل بوجه ما من الشّبه كقوله: ﴿يَا اَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾ النّمل: ١٨، و الدّوابّ تُشبه ذوي العقول، من جهة أنّها طالبة لأرزاقها عند الحاجة. (١٤: ١٤)

الخازن: يعني الدّوابّ و الوحش و الطّير أنتم منتفعون بها، و لستم لها برازقين، لأنّ رزق جميع الخلق على الله، و منه قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْاَرْضِ اِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا﴾ هود: ٦، و تكون (مَنْ) في قوله تعالى: ﴿مَنْ لَسْتُمْ﴾ بمعنى «ما»، لأنّ (مَنْ) لمن يعقل و «ما» لمن لايعقل.

و قيل: يجوز إطلاق لفظة (مَنْ) على من لايعقل، كقوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ﴾ و قيل: أراد بهم العبيد و الخدم، فتكون (مَنْ) على أصلها، و يدخل معهم ما لايعقل من الدّوابّ و الوحش. (٤: ٥١)

أبوحَيّان: و الظّاهر أنّ (مَنْ) لمن يعقل، و يراد به العيال و المماليك و الخدم الّذين يحسبون أنّهم يرزقونهم و يخطؤون، فإنّ الله هو الرّزّاق يرزقكم و إيّاهم. (٥: ٤٥٠)

الشِّربينيّ: من العبيد و الأنعام و الدّوابّ و الطّير، فإنّكم تنتفعون بها و لستم لها برازقين، لأنّ رزق جميع الخلق على الله تعالى. و بعض الجهّال يظنّون في أكثر الأمر أنّهم هم الّذين يرزقون العيال و الخدم و العبيد؛ و ذلك خطأ، فإنّ الله هو الرّزّاق يرزق المخدوم و الخادم و المملوك و المالك، لأنّه تعالى خلق الأطعمة

و الأشربة، و أعطى القوّة الغاذية و الهاضمة، و إلّا لم يحصل لأحد رزق.

فإن قيل: صيغة (مَنْ) مختصّة بمن يعقل؟

أُجيب: بأنّه تعالى أثبت لجميع الدّوابّ رزقًا على اللّه تعالى؛ حيث قال: ﴿وَ مَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْاَرْضِ اِلَّا عَلَى اللّٰهِ رِزْقُهَا وَ يَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَ مُسْتَوْدَعَهَا﴾ هود: ٦، فغلّب من يعقل على غيره. (٢: ١٩٧)

البُرُوسَوِيّ: و هو عطف على ﴿مَعَايِشَ﴾ كأنّه قيل: جعلنا لكم معايش و جعلنا لكم من لستم له برازقيه، من العيال و المماليك و الخدم و الدّوابّ و ما أشبهها، على طريقة التّغليب، و ذكّرهم بهذا العنوان لردّ حسبانهم أنّهم يكفون مؤوناتهم، و لتحقيق أنّ اللّه تعالى هو الّذي يرزقهم و إيّاكم. أو عطف على محلّ ﴿لَكُمْ﴾ و هو النّصب، كأنّه قيل: و جعلنا لكم معايش و لمن لستم له برازقين، فيكون من عطف الجارّ و المجرور على الجارّ و المجرور. (٤: ٤٥٢)

نحوه الآلوسيّ. (١٤: ٢٩)

سيّد قُطْب: و هي الأرزاق المؤهّلة للعيش و الحياة فيها. و هي كثيرة شتّى، يجملها السّياق هنا و يبهمها، لتلقّي ظلّ الضّخامة، كما أسلفنا. جعلنا لكم فيها معايش، و جعلنا لكم كذلك ﴿مَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾، فهم يعيشون على أرزاق اللّه الّتي جعلها لهم في الأرض، و ما أنتم إلّا أمّة من هذه الأمم الّتي لاتحصى، أمّة لاترزق سواها، إنّما اللّه يرزقها و يرزق سواها، ثمّ يتفضّل عليها فيجعل لمنفعتها و متاعها و خدمتها أممًا أُخرى، تعيش من رزق اللّه، و لاتكلّفها شيئًا.

هذه الأرزاق ككلّ شيء مقدّرة في علم اللّه تابعة لأمره و مشيئته، يصرفها حيث يشاء و كما يريد، في الوقت الّذي يريده حسب سنّته الّتي ارتضاها، و أجراها في النّاس و الأرزاق. (٤: ٢١٣٤)

ابن عاشور: و معنى ﴿لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾ نفي أن يكونوا رازقيه، لأنّ الرَّزق الإطعام، و مصدر رزقه: الرَّزْق بفتح الرّاء. و أمّا الرِّزق بكسر الرّاء، فهو الاسم، و هو القوت. (١٣: ٢٩)

مَغْنِيّة: و كلّ حيّ في الأرض لسنا نحن له برازقين و لامكلّفين برزقه، و إنّما الغرض من هذه الإشارة أن نعلم أنّ جميع الأحياء تعيش على رزق اللّه، و لاحيّ يرزق حيًّا سواه إطلاقًا، حتّى الأطفال الّذين نعول، و الدّوابّ و الأنعام الّتي نملك، فإنّ رزقها جميعًا على اللّه وحده، لاعلى غيره. (٤: ٤٧٢)

الطَّباطَبائيّ: و قوله: ﴿وَ مَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾ معطوف على الضّمير المجرور في ﴿لَكُمْ﴾ على ما ذهب إليه من النّحاة الكوفيّون و يونس و الأخفش من جواز العطف على الضّمير المجرور من غير إعادة الجارّ. و أمّا على قول غيرهم فربّما يُعطف على ﴿مَعَايِشَ﴾، و التّقدير: و جعلنا لكم من لستم له برازقين كالعبيد و الحيوان الأهليّ. و ربّما جُعل (مَنْ) مبتدأ محذوف الخبر، و التّقدير: و من لستم له برازقين جعلنا له فيها معايش، و هذا كلّه تكلّف ظاهر.

و كيف كان، المراد بـ(مَنْ): العبيد و الدّوابّ على ما قيل، أُتي بلفظة (مَنْ) و هي لأُولي العقل تغليبًا، هذا.

و ليس من البعيد أن يكون المراد به كلّ ما عدا الإنسان من الحيوان و النّبات و غيرهما، فإنّهما تسأل الرّزق كما يسأله العقلاء، و من دأبه سبحانه في كلامه أن يطلق الألفاظ المختصّة بالعقلاء على غيرهم، إذا أضيف إليها شيء من الآثار المختصّة بهم، كقوله تعالى في الأصنام: ﴿فَسْئَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾، الأنبياء: ٦٣، و قوله: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي﴾، الشّعراء: ٧٧، إلى غير ذلك من الآيات المتعرّضة لحال الأصنام الّتي كانوا يعبدونها، و لا يستقيم للمعبود إلّا أن يكون عاقلًا. و كذا قوله: ﴿فَقَالَ لَهَا وَ لِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾، فصّلت: ١١، و غير ذلك.

و المعنى: و جعلنا لكم معشر البشر في الأرض أشياء تعيشون بها ممّا تُدام به الحياة، و لغيركم من أرباب الحياة مثل ذلك. (١٢: ١٤٠)

مكارم الشّيرازيّ: و انقسم المفسّرون في تفسير ﴿مَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾ إلى قسمين:

الأوّل: أنّ الله تعالى يريد أن يُبيّن مواهبه و نعمه الشّاملة للبشر و الحيوان، و الكائنات الحيّة الأُخرى الّتي لا يملك الإنسان أمر تغذيتها و لا يستطيعه.

الثّاني: أنّ الله تعالى يريد تذكير الإنسان بأنّه سبحانه هو الرّازق، و قد تكفّل بإيصال رزقه إلى كلّ محتاج إليه، سواء كان بواسطة الإنسان أو بواسطة أخرى.

و يبدو لنا أنّ التّفسير الأوّل أكثر صوابًا، و يُعزّز ذلك الحديث المرويّ في تفسير عليّ بن إبراهيم؛ حيث يتناول معنى ﴿وَ مَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾ على أنّه لكلّ ضرب من الحيوان قدّرنا له مقدّرًا. (٨: ٤٨)

فضل الله: ﴿وَ مَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾ من مخلوقات سخّرناها لكم، دون أن نجعل رزقها عليكم، كالحيوانات و غيرها، بل تكفّلنا برزقها في هذا العرض السّريع؛ حيث تلتقي العظمة بالنّعمة، و تنطلق الحياة ضمن نظام متوازن زاخر بالرّوعة و الجمال، و يتحرّك الإنسان في رعاية الله و حمايته الّتي تدبّر كلّ شؤونه و أموره، حتّى يشعر بأنّ الحياة كلّها له و في خدمته، ليشكره على ذلك من موقع الإحساس بضرورة الانسجام في حركته مع النّظام الكونيّ الّذي أراد الله أن لا يُسيء إليه الإنسان بالانحراف عن غاياته و مقاصده.

و هكذا نجد في هذا الجوّ الكوني ما يدفع الإنسان إلى الشّعور بالرّوحانيّة الفيّاضة بالرّحمة و اللّطف الإلهيّين، ليرتبط بالله أكثر إحساسًا بارتباط كلّ وجوده به، في كلّ شيء، و مع كلّ شيء، و بذلك يلتقي في داخله جانب الإحساس بجانب التّصوّر في حالة مُشرقة من وضوح الرّؤية و سلامة الشّعور. (١٣: ١٥١)

يَرْزُقَنَّهُم ـ الرَّازِقِينَ

١ ـ وَ الَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللهُ رِزْقًا حَسَنًا وَ إِنَّ اللهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ. الحجّ: ٥٨

الحسن: هو رزق الجنّة.

مثله السُّدّيّ. (الطّبرسيّ ٤: ٩٣)

الكَلْبيّ: رزقًا حسنًا حلالًا، و هو الغنيمة.

(الفخر الرّازيّ ٢٣ : ٥٧)

الطّبَريّ: ﴿رِزْقًا حَسَنًا﴾، يعني بالحسن: الكريم، و إنّما يعني بالرّزق الحسن: الثّواب الجزيل.

﴿وَ اِنَّ اللّٰهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾، يقول: و إنّ اللّه لهو خير من بسط فضله على أهل طاعته و أكرمهم.

(٩ : ١٨٢)

الأصَمّ: إنّه العلم و الفهم. (الفخر الرّازيّ ٢٣ : ٥٧)

البغَويّ: و الرّزق الحسن الّذي لا ينقطع أبدًا هو رزق الجنّة، ﴿وَ اِنَّ اللّٰهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ قيل: هو قوله: ﴿بَلْ اَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ آل عمران: ١٦٩.

(٣ : ٣٤٩)

المَيْبُديّ: يعني الجنّة و نعيمها، و قيل: الشّهادة ثمّ الجنّة، و قيل: العلم و الحكمة في الدّنيا، و قيل: الرّزق الحسن: الّذي يأتي من غير سؤال، و من غير شره النّفس إليه. [إلى أن قال:]

﴿وَ اِنَّ اللّٰهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾، لأنّ كلّ معطٍ يفني عطاؤه إلّا اللّه، و لأنّ المخلوق إذا غضب حرّم رزقه و إنّ اللّه تعالى لا يُحرِّم. (٦ : ٣٩٦)

ابن عَطيّة: و الرّزق الحسن: يحتمل أن يريد به رزق الشّهداء عند ربّهم في البرزخ، و يحتمل أن يريد بعد يوم القيامة في الجنّة. (٤ : ١٣٠)

الطَّبْرِسيّ: و الرّزق الحسن: ما إذا رآه لا تمتدّ عينه إلى غيره، و هذا لا يقدر عليه غير اللّه تعالى، و لذلك قال: ﴿وَ اِنَّ اللّٰهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾، وقيل: بل هو مثل قوله: ﴿بَلْ اَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ آل عمران: ١٦٩. (٤ : ٩٣)

الفخر الرّازيّ: و فيه مسائل:

المسألة الأُولى: لا شبهة في أنّ الرّزق الحسن هو نعيم الجنّة. و قال الأصَمّ: إنّه العلم و الفهم، كقول شعيب ﷺ: ﴿وَ رَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ هود: ٨٨، فهذا في الدّنيا، و في الآخرة الجنّة. و قال الكَلْبيّ: ﴿رِزْقًا حَسَنًا﴾ حلالًا، و هو الغنيمة. و هذان الوجهان ضعيفان، لأنّه تعالى جعله جزاء على هجرتهم في سبيل اللّه بعد القتل و الموت، و بعدهما لا يكون إلّا نعيم الجنّة. [إلى أن قال:]

المسألة الثّالثة: اختلفوا في معنى قوله: ﴿وَ اِنَّ اللّٰهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ ـ مع العلم بأنّ كلّ الرّزق من عنده ـ على وُجُوه:

أحدها: التّفاوت، إنّما كان بسبب أنّه سبحانه مختصّ بأن يرزق ما لا يقدر عليه غيره.

و ثانيها: أن يكون المراد أنّه الأصل في الرّزق، و غيره إنّما يرزق بما تقدّم من الرّزق من جهة اللّه تعالى.

و ثالثها: أنّ غيره ينقل الرّزق من يده إلى يد غيره لا أنّه يفعل نفس الرّزق.

و رابعها: أنّ غيره إذا رزق، فإنّما يرزق لانتفاعه به: إمّا لأجل أن يخرج عن الواجب، و إمّا لأجل أن يستحقّ به حمدًا أو ثناءً، و إمّا لأجل دفع الرّقّة الجنسيّة، فكان الواحد منّا إذا رزق فقد طلب العوض. أمّا الحقّ سبحانه فإنّ كماله صفة ذاتيّة له، فلا يستفيد من شيء كمالًا زائدًا، فكان الرّزق الصّادر منه لمحض

الإحسان.

و خامسها: أنّ غيره إنّما يرزق لو حصل في قلبه إرادة ذلك الفعل، و تلك الإرادة من الله، فالرّازق في الحقيقة هو الله تعالى.

و سادسها: أنّ المرزوق يكون تحت منّة الرّازق، و منّة الله تعالى أسهل تحمّلًا من منّة الغير، فكان هو خير الرّازقين.

و سابعها: أنّ الغير إذا رزق، فلو لا أنّ الله تعالى أعطى ذلك الإنسان أنواع الحواسّ، و أعطاه السّلامة و الصّحّة و القدرة على الانتفاع بذلك الرّزق، لما أمكنه الانتفاع به، و رزق الغير لابدّ و أن يكون مسبوقًا برزق الله و ملحوقًا به، حتّى يحصل الانتفاع. و أمّا رزق الله تعالى، فإنّه لاحاجة به إلى رزق غيره؛ فثبت أنّه سبحانه خير الرّازقين. (٢٣: ٥٧)

النّيسابوريّ: ﴿وَ اِنَّ اللّٰهَ لَهُوَ خَيْرُ الرّٰازِقِينَ﴾ لأنّ رزق غيره ينتهي إليه، و غيره لايقدر على مثل رزقه، و لأنّ رزقه لايختلط بالمنّ و الأذى، و لابغرض من الأغراض الفاسدة، و لأنّه يرزق و يُعطي ما به يتمّ الانتفاع بالرّزق، من القوى و الحواسّ و غير ذلك من الشّرائط الوجوديّة و العدميّة.

قالت المعتزلة: في الآية دلالة على أنّ غير الله يقدر على الفعل و هو الرّزق. و يمكن أن يجاب بأنّه مجاز، أو على سبيل الفرض و التّقدير. (١٧: ١١٣)

الخازن: فإن قلت: الرّازق في الحقيقة هو الله عزّ و جلّ، لارازق للخلق غيره، فكيف قال: ﴿وَ اِنَّ اللّٰهَ لَهُوَ خَيْرُ الرّٰازِقِينَ﴾؟

قلت: قد يسمّى غير الله رازقًا على المجاز، كقوله: رزق السّلطان الجند، أي أعطاهم أرزاقهم، و إنّ الرّزّاق في الحقيقة هو الله تعالى. و قيل: لأنّه الله تعالى يعطي الرّزق ما لايقدر عليه غيره. (٥: ٢١)

أبوحيّان: [نقل الأقوال في الرّزق الحسن كما تقدّم عن الفخر الرّازيّ و أضاف:]

و الظّاهر أنّ ﴿خَيْرُ الرّٰازِقِينَ﴾ أفعل تفضيل، و التّفاوت أنّه تعالى مختصّ بأن يرزق بما لايقدر عليه غيره تعالى، و بأنّه الأصل في الرّزق، و غيره إنّما يرزق بما له من الرّزق من جهة الله. (٦: ٣٨٤)

الشّربينيّ: فإنّه يرزق بغير حساب، يرزق الخلق عامّة البارّ منهم و الفاجر. [ثمّ أدام نحو الخازن]

(٢: ٥٦٢)

البُرُوسَويّ: مرزوقًا حسنًا، و المراد: نعيم الجنّة غير المنقطع أبدًا. ﴿وَ اِنَّ اللّٰهَ لَهُوَ خَيْرُ الرّٰازِقِينَ﴾ فإنّه يرزق بغير حساب، مع أنّ ما يرزقه لايقدر عليه أحد غيره. و الرّزق: العطاء الجاري دنيويًّا كان أو أخرويًّا.

(٦: ٥٢)

الآلوسيّ: ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللّٰهُ﴾: جواب لقسم محذوف، والجملة خبره على الأصحّ من جواز وقوع القسم و جوابه خبرًا، و من منع أضمر قولًا هو الخبر، و الجملة محكيّة به، و قوله سبحانه: ﴿رِزْقًا حَسَنًا﴾ إمّا مفعول ثان لـ ﴿يَرْزُقُ﴾ على أنّه من باب النّقض و الذّبح، أي مرزوقًا حسنًا، أو مصدر مبيّن للنّوع، و المراد به عند بعض: ما يكون للشّهداء في البرزخ من الرّزق. [إلى أن قال:]

و قد نصّ سبحانه في آية أخرى على أنّ الّذين يُقتلون في سبيل الله تعالى أحياء عند ربّهم يرزقون، و ليس ذلك في تلك الآية إلّا في البرزخ.

و قال آخرون:

المراد به: ما لاينقطع أبدًا من نعيم الجنّة. و رُدّ بأنّ ذلك لااختصاص له بمن هاجر في سبيل الله ثمّ قُتل أو مات، بل يكون للمؤمنين كلّهم.

و تعقّب بأنّ عدم الاختصاص ممنوع، فإنّ تنكير ﴿رِزْقًا﴾ يجوز أن يكون للتّنويع، و يختصّ ذلك النّوع بأولئك المهاجرين.

و قيل: المراد تشريفهم و تبشيرهم بهذا الوعد الصّادر ممّن لايخلف الميعاد، المقترن بالتّأكيد القسميّ. و يكفي ذلك في تفضيلهم على سائر المؤمنين، كما في المبشّرين من الصّحابة رضي الله تعالى عنهم، وفيه نظر.

[إلى أن قال:]

﴿وَ اِنَّ اللّٰهَ لَهُوَ خَيْرُ الرّٰازِقِينَ﴾ فإنّه جلّ و علا يرزق بغير حساب، مع أنّ ما يرزقه قد لايقدر عليه أحد غيره سبحانه، أنّ غيره تعالى إنّما يرزق ممّا رزقه هو جلّ شأنه. و استدلّ بذلك على أنّه قد يقال لغيره تعالى: رازق، و المراد به مُعطٍ. و الأولى عندي أن لايطلق رازق على غيره تعالى، و أن لايتجاوز عمّا ورد.

و أمّا إسناد الفعل إلى غيره تعالى، كرزق الأمير الجنديّ و أرزق فلانًا من كذا، فهو أهون من إطلاق رازق، و لعلّه ممّا لابأس به. و صرّح الرّاغب بأنّ الرّزّاق لايقال إلّا للّه تعالى، و الجملة اعتراض تذييليّ مقرّر لما قبله. (١٧: ١٨٨)

ابن عاشور: و الرّزق: العطاء، و هو كلّ ما يتفضّل به من أعيان و منافع، و وصفه بالحسن لإفادة أنّه يُرضيهم بحيث لايتطلّبون غيره، لأنّه لاأحسن منه.

[إلى أن قال:]

وقعت جملة: ﴿وَ اِنَّ اللّٰهَ لَهُوَ خَيْرُ الرّٰازِقِينَ﴾ معترضة بين البدل و المبدل منه، و صريحها الثّناء على الله. و كنايتها التّعريض، بأنّ الرّزق الّذي يرزقهم الله هو خير الأرزاق، لصدوره من خير الرّازقين.

و أكّدت الجملة بحرف التّوكيد و لامه و ضمير الفصل تصويرًا لعظمة رزق الله تعالى. (١٧: ٢٢٤)

٢ـ اَمْ تَسْئَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَ هُوَ خَيْرُ الرّٰازِقِينَ. المؤمنون: ٧٢

الجُبّائيّ: دلّ قوله تعالى: ﴿وَ هُوَ خَيْرُ الرّٰازِقِينَ﴾ على أنّ أحدًا من العباد لايقدر على مثل نعمه و رزقه و لايساويه في الإفضال على عباده، و دلّ أيضًا على أنّ العباد قد يرزق بعضهم بعضًا، و لو لا ذلك لما جاز أن يقول: ﴿وَ هُوَ خَيْرُ الرّٰازِقِينَ﴾.

(الفخر الرّازيّ ٢٣: ١١٢)

الطّبريّ: يقول: و الله خير من أعطى عوضًا على عمل، و رزق رزقًا. (٩: ٢٣٥)

الطّوسيّ: يعني الله خير من يرزق. و في ذلك دلالة على أنّ غير الله قد يرزق بإذنه، و لو لا ذلك لم يجز ﴿خَيْرُ الرّٰازِقِينَ﴾. (٧: ٣٨٣)

نحوه الطّبرسيّ. (٤: ١١٣)

الواحديّ: أفضل من أعطى و آجر. (۳: ۲۹۵)

المَيْبُديّ: أي أدومهم عطاء. (٦: ٤٥٥)

القُرطُبيّ: أي ليس يقدر أحد أن يرزق مثل رزقه، و لايُنعم مثل إنعامه. و قيل: أي ما يؤتيك الله من الأجر على طاعتك له. (١٢: ١٤١)

أبوحَيّان: [نقل كلام الجُبّائيّ و أضاف:]

و هذا مدلول ﴿خَيْرُ﴾ الّذي هو أفعل التّفضيل، و مدلول ﴿الرَّازِقِينَ﴾ الّذي هو جمع أُضيف إليه أفعل التّفضيل. (٦: ٤١٥)

البُرُوسَويّ: أي خير من أعطى عوضًا على عمل، لأنّ ما يعطيه لاينقطع و لايتكدّر، و هو تقدير لخيريّة خراجه تعالى. (٦: ٩٦)

فضل الله: لأنّه يرزق الإنسان من موقع الغنى المطلق، و الرّحمة الواسعة، بينما ينطلق الآخرون من موقع الفقر و المنّة على من يرزقونه. (١٦: ١٧٦)

٣ ـ ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَ يَقْدِرُ لَهُ وَ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَ هُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾. سبأ: ٣٩

الزّمَخْشَريّ: إنّ كلّ ما رزق غيره: من سلطان يرزق جنده، أو سيّد يرزق عبده، أو رجل يرزق عياله، فهو من رزق الله، أجراه على أيدي هؤلاء، و هو خالق الرّزق و خالق الأسباب الّتي بها ينتفع المرزوق بالرّزق. (٣: ٢٩٢)

نحوه النّسَفيّ (٣: ٣٢٨)، و الخازن (٥: ٢٤١).

ابن عَطيّة: و أمّا قوله: ﴿خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ فمن حيث يقال في الإنسان: إنّه يرزق عياله، و الأمير جنده، لكن ذلك من مال يملك عليهم، و الله تعالى من خزائن لاتفنى، و من إخراج من عدم إلى وجود. (٤: ٤٢٣)

الطَّبْرِسيّ: ﴿وَ هُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾، لأنّه يُعطي لمنافع عباده لا لدفع ضرر أو جرّ نفع، لاستحالة المنافع و المضارّ عليه. (٤: ٣٩٤)

الفَخْرالرّازيّ: إشارة إلى أنّ نعيم الآخرة لاينافي نعمة الدّنيا، بل الصّالحون قد يحصل لهم في الدّنيا النّعم مع القطع بحصول النّعيم لهم في العُقبى، بناء على الوعد قطعًا لقول من يقول: إذا كانت العاجلة لنا و الآجلة لهم فالنّقد أولى، فقال: هذا النّقد غير مختصّ بكم، فإنّ كثيرًا من الأشقياء مدقعون، و كثير من الأتقياء ممتّعون، و فيه مسائل:

الأُولى: [في الأموال و الأولاد إلى أن قال:]

و خيريّة الرّازق في أمور:

أحدها: أن لايؤخّر عن وقت الحاجة.

و الثّاني: أن لاينقص عن قدر الحاجة.

و الثّالث: أن لاينكده بالحساب.

و الرّابع: أن لايكدره بطلب الثّواب و الله تعالى كذلك.

أمّا الأوّل: فلأنّه عالم و قادر. و الثّاني: فلأنّه غنيّ واسع، و الثّالث: فلأنّه كريم، و قد ذكر ذلك بقوله: ﴿يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ البقرة: ٢١٢، و ما ذكرنا هو المراد، أي يرزقه حلالًا لايحاسبه عليه. و الرّابع: فلأنّه عليّ كبير، و الثّواب يطلبه الأدنى من

الأعلى؛ ألاترى أنّ هبة الأعلى من الأدنى لاتقتضي ثوابًا ؟ . [إلى أن قال:]

المسألة الثّالثة: قوله: ﴿خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ يُنبئ عن كثرة في الرّازقين، و لارازق إلّا الله، فما الجواب عنه؟ فنقول عنه جوابان:

أحدهما: أن يقال: الله خير الرّازقين الّذين تظنّونهم رازقين، و كذلك في قوله تعالى: ﴿أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾ الصّافّات: ١٢٥.

و ثانيهما: هو أنّ الصّفات منها: ما حصل لله و للعبد حقيقةً، و منها: ما يقال لله بطريق الحقيقة و للعبد بطريق المجاز، و منها: ما يقال لله بطريق الحقيقة و لايقال للعبد لابطريق الحقيقة و لابطريق المجاز، لعدم حصوله للعبد لاحقيقةً و لاصورةً.

مثال الأوّل: العلم، فإنّ الله يعلم أنّه واحد، و العبد يعلم أنّه واحد بطريق الحقيقة، و كذلك العلم بكون النّار حارّة، غاية ما في الباب أنّ علمه قديم و علمنا حادث.

مثال الثّاني: الرّازق و الخالق، فإنّ العبد إذا أعطى غيره شيئًا، فإنّ الله هو المعطي، و لكن لأجل صورة العطاء منه سمّي معطيًا، كما يقال للصّورة المنقوشة على الحائط: فرس و إنسان.

مثال الثّالث: الأزليّ و لله و غيرهما، و قد يقال في أشياء في الإطلاق على العبد حقيقة و على الله مجازًا، كالاستواء و النّزول و المعيّة و يد الله و جنب الله.

(٢٥: ٢٦٢)

القُرطُبيّ: لـمّا كان يقال في الإنسان: إنّه يرزق عياله و الأمير جنده، قال: ﴿وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ و الرّازق من الخلق يرزق، لكن ذلك من مال يملك عليهم ثمّ ينقطع، و الله تعالى يرزق من خزائن لاتفنى و لاتتناهى، و من أخرج من عدم إلى الوجود فهو الرّازق على الحقيقة، كما قال: ﴿إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ الذّاريات: ٥٨. (١٤: ٣٠٨)

البُرُوسَويّ: أي خير من أعطى الرّزق، فإنّ غيره كالسّلطان و السّيّد و الرّجل بالنّسبة إلى جنده و عبده و عياله، واسطة في إيصال رزقه، و لاحقيقة لرازقيّته، و الله تعالى يُعطي الكلّ من خزائن لاتفنى.

(٧: ٣٠٢)

الشّوكانيّ: فإنّ رزق العباد لبعضهم البعض إنّما هو بتيسير الله و تقديره، و ليسوا برازقين على الحقيقة بل على طريق المجاز، كما يقال في الرّجل: إنّه يرزق عياله، و في الأمير: إنّه يرزق جنده، و الرّازق للأمير و المأمور و الكبير و الصّغير هو الخالق لهم، و من أخرج من العباد إلى غيره شيئًا ممّا رزقه الله، فهو إنّما تصرّف في رزق الله له، فاستحقّ بما خرج منه الثّواب عليه المضاعف، لامتثاله لأمر الله، و إنفاقه فيما أمره الله. (٤: ٤١٤)

الآلوسيّ: معنى ﴿الرَّازِقِينَ﴾: الموصلين للرّزق و الموهبين له، فيطلق الرّازق حقيقة على الله عزّ و جلّ و على غيره، و يشعر بذلك ﴿فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾ النّساء: ٨. نعم، لايقال لغيره سبحانه: رازق، فلاإشكال في قوله سبحانه: ﴿وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾، و وجه الأخيريّة في غاية الظّهور. و قيل: إطلاق الرّازق على

غيره تعالى مجاز، باعتبار أنّه واسطة في إيصال رزقه تعالى، فهو رازق صورة، فاستشكل أمر التّفضيل بأنّه لابدّ من مشاركة المفضّل للمفضّل عليه في أصل الفعل حقيقة لاصورة.

و أجاب الآمديّ: بأنّ المعنى خير من تسمّى بهذا الاسم، و أطلق عليه حقيقةً أو مجازًا، و هو ضرب من عموم المجاز. (٢٢: ١٥٠)

ابن عاشور: ﴿خَيْرُ﴾ بمعنى أخير، لأنّ الرّزق الواصل من غيره تعالى إنّما هو من فضله، أجراه على يد بعض مخلوقاته. فإذا كان تيسيره برضى من الله على المرزوق و وعد به، كان ذلك أخلق بالبركة و الدّوام. و ظاهر الآية أنّ إخلاف الرّزق يقع في الدّنيا و في الآخرة. (٢٢: ٨٣)

الطّباطبائيّ: فقوله في صدر الآية: ﴿قُلْ اِنَّ رَبّى يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَ يَقْدِرُ﴾ للإشارة إلى أنّ أمر الرّزق في سعته و ضيقه إلى الله سبحانه، لاينقص بالإنفاق و لايزيد بالإمساك، ثمّ قال: ﴿وَ ما اَنْفَقْتُمْ مِنْ شَىْءٍ﴾ قليلًا كان أو كثيرًا، و أيًّا ما كان من المال ﴿فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾، و يرزقكم بدله إمّا في الدّنيا و إمّا في الآخرة، ﴿وَ هُوَ خَيْرُ الرّازِقينَ﴾ فإنّه يرزق جودًا، و رزق غيره معاملة في الحقيقة و معاوضة، و لأنّه الرّازق في الحقيقة، و غيره ممّن يسمّى رازقًا واسطة لوصول الرّزق. (١٦: ٣٨٥)

مكارم الشّيرازيّ: جملة ﴿هُوَ خَيْرُ الرّازِقينَ﴾ ذات معنى واسع، و يمكن الإفادة منها من وُجوه مختلفة:

هو خير من يعطي رزقًا، لأنّه يعلم ماذا يُعطي و إلى أيّ حدّ؛ بحيث لايكون ما يعطيه عاملًا للفساد و الغرور، لأنّه عالم بكلّ شيء.

هو يعطي أيّ شيء يريد أن يُعطيه، لأنّه قادر على كلّ شيء. و لايريد جزاء على ما يعطيه، لأنّه غنيّ بذاته. و يعطي ابتداء، لأنّه حكيم و عالم بكلّ شيء. بل الحقيقة أنّه ليس من رزّاق غيره، لأنّ أيّ مُعطٍ إنّما يعطي ممّا رزقه الله، و بذا فهو ليس سوى واسطة انتقال لارزّاقًا.

و كذلك فهو تعالى يعطي النّعم الباقية قبال المال الفاني، و الكثير مقابل القليل. (١٣: ٤٢٦)

فضل الله: هو مصدر نظام الرّزق في الحياة، و هو ضمانة استمراره في تلبية حاجات الإنسان، فمنه يستمدّ الثّقة الكبيرة بالاستقرار و الطّمأنينة في ذلك، فهو الّذي يُعطي السّعة لمن يريد أن يوسّع عليه، و يضيّق على من يرى المصلحة و الحكمة أن يضيّق عليه. [إلى أن قال:]

﴿وَ هُوَ خَيْرُ الرّازِقينَ﴾ لأنّه الّذي لايمنع أحدًا رزقه ممّن أطاعه و ممّن عصاه، من دون حاجة إلى أيّ شيء من المرزوقين. (١٩: ٥٧)

٤ ـ وَ اِذا رَاَوْا تِجارَةً اَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا اِلَيْها وَ تَرَكُوكَ قائِمًا قُلْ ما عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَ مِنَ التِّجارَةِ وَ اللهُ خَيْرُ الرّازِقينَ. الجمعة: ١١

ابن عبّاس: أفضل المعطين. (٤٧٢)

الطّبريّ: و الله خير رازق، فإليه فارغبوا في طلب أرزاقكم، و إيّاه فاسألوا أن يُوسّع عليكم من فضله

دون غيره. (١٢: ٩٩)

البغويّ: لأنّه مُوجد الأرزاق، فإيّاه فاسألوا و منه فاطلبوا، فهو موجود على الدّوام، لايُخيّب من سأله، لأنّه أكرم الأكرمين. (٥: ٩٧)

المَيْبُديّ: فإيّاه فاسألوا و منه فاطلبوا، فإنّه الرّازق على الحقيقة، لأنّه المبدع للرّزق، المخرج له عن حدّ العدم. (١٠: ١٠٥)

ابن الجَوْزيّ: لأنّه يرزق من يُؤمن به و يعبده، و من يكفر به و يجحده، فهو يُعطي من سأل، و يبتدئ من لايسأل، و غيره إنّما يرزق من يرجو منفعته، و يقبل على خدمته. (٨: ٢٧٠)

الفَخْرالرّازيّ: هو من قبيل ﴿أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ هود: ٤٥، و ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ المؤمنون: ١٤، و المعنى: إن أمكن وجود الرّازقين فهو خير الرّازقين. و قيل: لفظ الرّازق لايطلق على غيره إلّا بطريق المجاز، و لايرتاب في أنّ الرّازق بطريق الحقيقة خير من الرّازق بطريق المجاز. (٣٠: ١١)

القُرطبيّ: أي خير من رزق و أعطى، فمنه فاطلبوا، و استعينوا بطاعته على نيل ما عنده من خيرَي الدّنيا و الآخرة. (١٨: ١٢٠)

ابن عاشور: لأنّ الله يرزق الرّزق لمن يرضى عنه سليمًا من الأكدار و الآثام، و لأنّه يرزق خير الدّنيا و خير الآخرة، و ليس غير الله قادرًا على ذلك. و النّاس في هذا المقام درجات لايعلمها إلّا الله، و هو العالم بالسّرائر. (٢٨: ٢٠٦)

فضل الله: لأنّ كلّ الّذين يعتبرهم النّاس رازقين بالمباشرة، هم المرزوقون الّذين يستمدّون رزقهم من الله الّذي هو الرّازق الحقيقيّ للكون كلّه، و كلّ من عداه و ما عداه، فهو صدًى لإرادته. و لذلك فإنّ معنى التّفضيل في كلمة ﴿خَيْرُ﴾ لم يأتِ للمفاضلة في ما هو القاسم المشترك في الحقيقة، و لكن في ما هو الظّاهر في النّظرة السّاذجة للموضوع، الّتي تكتفي بالسّطح، و لاتنفذ إلى العمق، لأنّه هو وحده عمق الوجود كلّه و سرّه و معناه. (٢٢: ٢٢١)

رزق ـ الرَّزّاقُ

مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَ مَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ * إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ. الذّاريات: ٥٧، ٥٨

البغويّ: أي أن يرزقوا أحدًا من خلقي و لا أن يرزقوا أنفسهم. [إلى أن قال:]

﴿إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ﴾ يعني لجميع خلقه. (٤: ٢٨٨)

المَيْبُديّ: ما أُريد منهم أن يرزقوا أحدًا من خلقي و لاأن يرزقوا أنفسهم. [إلى أن قال:]

ثمّ بيّن أنّ الرّازق هو لاغيره، فقال: ﴿إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ﴾ لجميع خلقه، النّفّاع لغيره لاينفعه شيء. (٩: ٣٢٤)

الزَّمَخْشَريّ: قال [الله] لهم: اشتغلوا بما يُسعدكم في أنفسكم، و لاأُريد أن أصرفكم في تحصيل رزقي و لارزقكم، و أنا غنيّ عنكم و عن مرافقكم، و متفضّل عليكم برزقكم و بما يصلحكم، و يعيّشكم من عندي، فما هو إلّا أنا وحدي. (٤: ٢١)

ابن عَطيّة: و قوله: ﴿مِنْ رِزْقٍ﴾ أي أن يرزقوا

أنفسهم و لاغيرهم. (٥ : ١٨٣)

الفخر الرّازيّ: فيه لطائف نذكرها في مسائل:

المسألة الأولى: ما الفائدة في تكرار الإرادتين؟ [فلاحظ: ر و د: «أُريدُ»]

المسألة الثّانية: لِمَ قُدِّم طلب الرّزق على طلب الإطعام؟

نقول: ذلك من باب الارتقاء، كقول القائل: لاأطلب منك الإعانة و لاممّن هو أقوى، و لايعكس. و يقال: فلان يُكرمه الأُمراء بل السّلاطين، و لايعكس. فقال: هاهنا لاأطلب منكم رزقًا و لاما هو دون ذلك، و هو تقديم طعام بين يدي السّيّد، فإنّ ذلك أمر كثير الطّلب من العباد، و إن كان الكسب لايُطلَب منهم.

المسألة الثّالثة: لو قال: ما أُريد منهم أن يرزقون، و ما أُريد منهم من طعام، هل تحصل هذه الفائدة؟

نقول على ما فصّل: لا، و ذلك لأنّ بالتّكسّب يُطلَب الغنى لا الفعل، فإنّ من اشتغل بشغل و لم يحصل له غنًى لايكون كمن حصل له غنًى، و إن لم يشتغل، كالعبد المتكسّب إذا ترك الشّغل لحاجته و وجد مطلبًا يرضى منه السّيّد إذا كان شغله التّكسّب. و أمّا من يراد منه الفعل لذات الفعل، كالجائع إذا بعث عبده لإحضار الطّعام، فاشتغل بأخذ المال من مطلب، فربّما لايرضى به السّيّد، فالمقصود من الرّزق: الغنى، فلم يقل بلفظ الفعل، و المقصود من الإطعام: الفعل نفسه، فذُكر بلفظ الفعل، و لم يقل: و ما أُريد منهم من طعام، هذا مع ما في اللّفظين من الفصاحة و الجزالة للتّنويع.

المسألة الرّابعة: إذا كان المعنيّ به ما ذكرت، فما فائدة الإطعام و تخصيصه بالذّكر، مع أنّ المقصود عدم طلب فعل منهم غير التّعظيم؟

نقول: لمّا عمّ في المطلب الأوّل، اكتفى بقوله: ﴿مِنْ رِزْقٍ﴾، فإنّه يفيد العموم، و أشار إلى التّعظيم فذكر الإطعام؛ و ذلك لأنّ أدنى درجات الأفعال أن يستعين السّيّد بعبده أو جاريته في تهيئة أمر الطّعام، و نفي الأدنى يستتبعه نفي الأعلى بطريق الأولى، فصار كأنّه تعالى قال: ما أُريد منهم من عين و لاعمل.

المسألة الخامسة: على ما ذكرت لاتنحصر المطالب فيما ذكره، لأنّ السّيّد قد يشتري العبد لالطلب عمل منه، و لالطلب رزق و لاللتّعظيم، بل يشتريه للتّجارة و الرّبح فيه. نقول: عموم قوله: ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ﴾ يتناول ذلك، فإنّ من اشترى عبدًا ليتّجر فيه، فقد طلب منه رزقًا.

المسألة السّادسة: ﴿مَا أُرِيدُ﴾ في العربيّة يفيد النّفي في الحال. [فلاحظ]

ثمّ قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ تعليلًا لما تقدّم من الأمرين، فقوله: ﴿هُوَ الرَّزَّاقُ﴾ تعليل لعدم طلب الرّزق، و قوله تعالى: ﴿ذُو الْقُوَّةِ﴾ تعليل لعدم طلب العمل، لأنّ من يطلب رزقًا يكون فقيرًا محتاجًا، و من يطلب عملًا من غيره يكون عاجزًا لاقوّة له، فصار كأنّه يقول: ما أُريد منهم من رزق، فإنّي أنا الرّزّاق، و لاعمل، فإنّي قويّ.

و فيه مباحث: الأوّل: قال: ﴿مَا أُرِيدُ﴾ و لم يقل: إنّي رزّاق، بل قال على الحكاية عن الغائب: ﴿إِنَّ اللهَ﴾

فما الحكمة فيه؟

نقول: قد روي أنّ النّبيّ ﷺ قرأ (إنّي أنا الرّزّاق) على ما ذكرت، و أمّا القراءة المشهورة ففيها وُجُوه:

الأوّل: أن يكون المعنى قل يا محمّد: ﴿إنّ اللهَ هُوَ الرَّزّاقُ﴾.

الثّاني: أن يكون ذلك من باب الالتفات و الرّجوع من التّكلّم عن النّفس إلى التّكلّم عن الغائب.

و فيه هاهنا فائدة، و هي أنّ اسم الله يفيد كونه رزّاقًا؛ و ذلك لأنّ الإله بمعنى المعبود، كما قلنا مرارًا، و تمسّكنا بقوله تعالى: ﴿وَ يَذَرَكَ وَ اٰلِهَتَكَ﴾ الأعراف: ١٢٧، أي معبوديك؛ و إذ كان الله هو المعبود و رزق العبد استعمله في غير الكسب؛ إذ رزقه على السّيّد، و هاهنا لـمّا قال: ﴿مَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْاِنْسَ اِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ فقد بيّن أنّه استخلصهم لنفسه و عبادته، و كان عليه رزقهم، فقال تعالى: ﴿إنّ اللهَ هُوَ الرَّزّاقُ﴾ بلفظ ﴿اللهَ﴾ الدّالّ على كونه رزّاقًا، و لو قال: إنّي أنا الرّزّاق، لحصلت المناسبة الّتي ذكرت، و لكن لا يحصل ما ذكرنا.

الثّالث: أن يكون «قُلْ» مضمرًا عند قوله تعالى: ﴿مَا اُرِيدُ مِنْهُمْ﴾، تقديره: قل يا محمّد: ﴿مَا اُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ﴾، فيكون بمعنى قوله: ﴿قُلْ مَا اَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ اَجْرٍ﴾ الفرقان: ٥٧، و يكون على هذا قوله تعالى: ﴿إنّ اللهَ هُوَ الرَّزّاقُ﴾ من قول النّبيّ ﷺ، و لم يقل: القويّ، بل قال: ﴿ذُو الْقُوَّةِ﴾، و ذلك لأنّ المقصود تقرير ما تقدّم من عدم إرادة الرّزق، و عدم الاستعانة بالغير. و لكن في عدم طلب الرّزق لا يكفي كون المستغني بحيث يرزق واحدًا، فإنّ كثيرًا من النّاس يرزق ولده و غيره و يسترزق، و الملك يرزق الجند و يسترزق. فإذا كثر منه الرّزق قلّ منه الطّلب، لأنّ المسترزق ممّن يُكثر الرّزق لا يسترزق من رزقه، فلم يكن ذلك المقصود يحصل له إلّا بالمبالغة في وصف الرّزق، فقال: ﴿الرَّزّاقُ﴾. (٢٨: ٢٣٤)

نحوه الشّربينيّ. (٤: ١٠٩)

البَيْضاويّ: أي ما أُريد أن أصرفكم في تحصيل رزقي، فاشتغلوا بما أنتم كالمخلوقين له و المأمورين به. و المراد: أن يبيّن أنّ شأنه مع عباده ليس شأن السّادة مع عبيدهم، فإنّهم إنّما يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معايشهم، و يحتمل أن يقدّر بـ«قُلْ» فيكون بمعنى قوله: ﴿قُلْ لَا اَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ اَجْرًا﴾.

﴿إنّ اللهَ هُوَ الرَّزّاقُ﴾ الّذي يرزق كلّ ما يفتقر إلى الرّزق، و فيه إيماء باستغنائه عنه. و قرئ (أنَا الرَّزّاقُ). (٢: ٤٢٤)

نحوه الكاشانيّ. (٥: ٧٦)

الخازن: أي ما أُريد أن يرزقوا أحدًا من خلقي و لا أن يرزقوا أنفسهم، لأنّي أنا الرّزّاق المتكفّل لعبادي بالرّزق، القائم لكلّ نفس بما يقيمها من قوتها. (٦: ٢٠٦)

أبو السُّعود: أي ما أُريد أن أصرفهم في تحصيل رزقي و لا رزقهم، بل أتفضّل عليهم برزقهم و بما يصلحهم و يُعيّشهم من عندي، فليشتغلوا بما خُلقوا له من عبادتي، ﴿إنّ اللهَ هُوَ الرَّزّاقُ﴾ الّذي يرزق كلّ ما

يفتقر إلى الرّزق، و فيه تلويح بأنّه غنيّ عنه. (٦ : ١٤٢)

البُرُوسَوِيّ: [نحو أبي السُّعود و أضاف:]

هذه الآية دليل على أنّ الرّزق أعمّ من الأكل كما في تفسير المناسبات. [إلى أن قال:]

﴿إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ﴾ تعليل لعدم إرادة الرّزق منهم، وهو من قصر الصّفة على الموصوف، أي لا رزّاق إلّا الله الّذي يرزق كلّ ما يفتقر إلى الرّزق، و فيه تلويح بأنّه غنيّ عنه. (٩ : ١٨١)

الآلوسيّ: [ذكر كلام الفخر و غيره، ثمّ قال:]

﴿إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ﴾ الّذي يرزق كلّ مفتقر إلى الرّزق لا غيره سبحانه استقلالًا أو اشتراكًا. و يُفهم من ذلك استغناؤه عزّ و جلّ عن الرّزق. (٢٧ : ٢٣)

ابن عاشور: فقوله: ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ﴾ كناية عن عدم الاحتياج إليهم، لأنّ أشدّ الحاجات في العرف حاجة النّاس إلى الطّعام و اللّباس و السّكن، و إنّما تحصل بالرّزق و هو المال، فلذلك ابتدأ به ثمّ عطف عليه الإطعام، أي إعطاء الطّعام، لأنّه أشدّ ما يحتاج إليه البشر، و قد لا يجده صاحب المال إذا قحط النّاس، فيحتاج إلى من يُسلفه الطّعام أو يُطعمه إيّاه.

و في هذا تعريض بأهل الشّرك؛ إذ يُهدون إلى الأصنام الأموال و الطّعام، تتلقّاه منهم سدنة الأصنام.

و الرّزق هنا: المال، كقوله تعالى: ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللهِ الرِّزْقَ﴾ العنكبوت: ١٧، و قوله: ﴿اللهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَ يَقْدِرُ﴾ الرّعد: ٢٦، و قوله: ﴿وَ مَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللهُ﴾ الطّلاق: ٧، و يطلق الرّزق على الطّعام، كقوله تعالى: ﴿وَ لَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَ عَشِيًّا﴾ مريم: ٦٢، و يمنع من إرادته هنا عطف ﴿مَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ﴾. (٢٧ : ٤٧)

مَغْنِيّة: و معنى: الله هو الرّزّاق أنّه تعالى خلق الأرض للإنسان معاشًا، و زوّده بجميع الأدوات الّتي تمكّنه من استثمارها من أجل حياته، كالعقل و القوّة و السّمع و البصر، و قال له: اعمل لدنياك و آخرتك، و لا تعتد إنّ الله لا يحبّ المعتدين، تمامًا كما لو أعطيت ولدك مالًا و قلت له: تاجر به لمعاشك، و كن أمينًا في معاملتك. (٧ : ١٥٩)

الطَّباطَبائيّ: قيل: المراد بالرّزق: رزق العباد، و المعنى: ما أُريد منهم أن يرزقوا عبادي الّذين أرزقهم، و ما أُريد أن يطعموني نفسي.

و قيل: المراد بالإطعام: تقديم الطّعام إليه كما يقدّم العبد الطّعام إلى سيّده و الخادم إلى مخدومه، فيكون المراد بالرّزق: تحصيل أصل الرّزق، و بالإطعام: تقديم ما حصّلوه، و المعنى: ما أُريد منهم رزقًا يحصّلونه لي فأرتزق به، و ما أُريد منهم أن يقدّموا إليّ ما ارتزق به و أطعمه.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ تعليل لقوله: ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ...﴾، و الالتفات في الآية من التّكلّم وحده إلى الغيبة، لإنهاء التّعليل إلى اسم الجلالة الّذي منه يبتدئ كلّ شيء و إليه يرجع، كأنّه قال: ما أُريد منهم رزقًا، لأنّي أنا الرّزّاق، لأنّي أنا الله تبارك اسمه.

و التّعبير بالرّزّاق: اسم مبالغة ــ و كان الظّاهر أن يقال: إنّ الله هو الرّزّاق ــ للإشارة إلى أنّه تعالى إذا

كان رازقًا وحده كان رزّاقًا، لكثرة من يرزقه، فالآية نظير قوله: ﴿وَ مَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ق: ٢٩.(١٨ : ٣٨٨)

رزق

١ ـ... كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ. البقرة: ٦٠

الطُّوسيّ: يعني من النّعم الّتي عدّدها عليهم من المنّ و السّلوى، و غير ذلك. (١ : ٢٧١)

البغويّ: كلوا من المنّ و السّلوى، و اشربوا من الماء، فهذا كلّه من رزق الله الّذي يأتيكم بلامشقّة.

(١ : ١٢٢)

نحوه الخازن. (١ : ٥٥)

الزّمخشريّ: ممّا رزقكم من الطّعام، و هو المنّ و السّلوى و من ماء العيون. و قيل: الماء ينبت منه الزّروع و الثّمار، فهو رزق يؤكل منه و يُشرَب.

(١ : ٢٨٤)

ابن عَطيّة: كلوا المنّ و السّلوى، و اشربوا الماء المنفجر من الحجر المنفصل. و بهذه الأحوال حسنت إضافة الرّزق إلى الله تعالى، و إلّا فالجميع رزقه و إن كان فيه تكسّب للعبد. (١ : ١٥١)

الطَّبْرِسيّ: أي كلوا من النّعم الّتي منّ الله بها عليكم من المنّ و السّلوى و غير ذلك، و اشربوا من الماء، فهذا كلّه من رزق الله الّذي يأتيكم بلامشقّة و لامؤنة و لاتبعة، فإنّ الرّزق ما للمرزوق أن يُنتفَع به، و ليس لأحد منعه منه. (١ : ١٢١)

الفخر الرّازيّ: احتجّت المعتزلة بهذه الآية على أنّ الرّزق هو الحلال، قالوا: لأنّ أقلّ درجات قوله: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ الإباحة، و هذا يقتضي كون الرّزق مباحًا، فلو وُجد رزق حرام لكان ذلك الرّزق مباحًا و حرامًا، و إنّه غير جائز. (٣ : ٩٧)

البَيْضاويّ: يريد به ما رزقهم الله من المنّ و السّلوى و ماء العيون. و قيل: الماء وحده، لأنّه يُشرَب، و يُؤكَل ممّا ينبت به. (١ : ٥٩)

أبو حَيّان: ﴿مِنْ رِزْقِ اللهِ﴾، (مِنْ) لابتداء الغاية، و يحتمل أن تكون للتّبعيض. و لـمّا كان مأكولهم و مشروبهم حاصلَين لهم من غير تعب منهم و لا تكلّف، أُضيفا إلى الله تعالى، و هذا التفات؛ إذ تقدّم ﴿فَقُلْنَا اضْرِبْ﴾، و لو جرى على نظم واحد، لقال: من رزقنا، إلّا أن جعلت الإضمار قبل ﴿كُلُوا﴾ مسندًا إلى موسى، أي و قال موسى: كلُوا وَاشربُوا فلايكون فيه التفات.

و ﴿مِنْ رِزْقِ اللهِ﴾، متعلّق بقوله: ﴿وَاشْرَبُوا﴾ و هو من إعمال الثّاني، على طريقة اختيار أهل البصرة؛ إذ لو كان من إعمال الأوّل لأُضمر في الثّاني ما يحتاجه، فكأن يكون: كلوا و اشربوا منه من رزق الله، و لايجوز حذف «منه» إلّا في ضرورة، على ما نصّ بعضهم، و الضّرورة و القليل لايُحمَل كلام الله عليهما.

و الرّزق هنا هو المرزوق، و هو الطّعام من المنّ و السّلوى، و المشروب من ماء العيون.

و قيل: هو الماء ينبت منه الزّروع و الثّمار، فهو رزق يُؤكل منه و يُشرَب. و هذا القول يكون فيه ﴿مِنْ

رزق الله ﴾، يجمع فيه بين الحقيقة و المجاز، لأنّ الشّرب من الماء حقيقة، و الأكل لايكون إلّا ممّا نشأ من الماء، لا أنّ الأكل من الماء حقيقة، فحَمْل الرّزق على القدر المشترك بين الطّعام و الماء أولى من هذا القول.

و لـمّا كان مطعومهم و مشروبهم لاكلفة عليهم و لاتعب في تحصيله، حسنت إضافته إلى الله تعالى، و إن كانت جميع الأرزاق منسوبة إلى الله تعالى، سواء كانت ممّا تسبّب العبد في كسبها أم لا.

و اختصّ بالإضافة للفظ ﴿الله﴾، إذ هو الاسم العلم الّذي لايُشركه فيه أحد الجامع لسائر الأسماء ﴿اَللهُ الَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ﴾ الرّوم: ٤٠، ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمٰوَاتِ وَ الْاَرْضِ قُلِ اللهُ﴾ سبأ: ٢٤، ﴿اَمَّنْ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَ الْاَرْضِ ءَاِلٰهٌ مَعَ اللهِ﴾ النّمل: ٦٤. و احتجّت المعتزلة بهذه الآية على أنّ الرّزق هو الحلال، لأنّ أقلّ درجات هذا الأمر أن يكون للإباحة، و اقتضى أن يكون الرّزق مباحًا، فلو وُجد رزق حرام لكان الرّزق مباحًا و حرامًا، و أنّه غير جائز.

و الجواب: أنّ الرّزق هنا ليس بعامّ، إذا أُريد به المنّ و السّلوى و الماء المنفجر من الحجر، و لايلزم من حلّيّة معيّن مّا من أنواع الرّزق حلّيّة جميع الرّزق.

(١: ٢٣٠)

٢ ـ أُولٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ مَغْفِرَةٌ وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ. الأنفال: ٤

قَتَادَة: هو الجنّة. (الطُّوسيّ ٥: ٩١)

الطُّوسيّ: و الرّزق الكريم. قال قَتادَة: هو الجنّة. و قال غيره: هو ما أعدّ الله لهم و وعدهم به في الجنّة من أنواع النّعيم. (٥: ٩١)

القُشَيْريّ: و أمّا الرّزق الكريم فيحتمل أنّه الّذي يُعطيه من حيث لايحتسب، و يحتمل أنّه الّذي لاينقص بإجرامهم، و يحتمل أنّه ما لا يشغلهم بوجوده عن شهود الرّزّاق، و يحتمل أنّه رزق الأسرار بما يكون استقلالها به من المكاشفات. (٢: ٢٩٨)

المَيْبُديّ: خالص من شوائب الكدر. (٤: ٦)

الزَّمَخْشَريّ: نعيم الجنّة. يعني لهم منافع حسنة دائمة، على سبيل التّعظيم، و هذا معنى الثّواب.

(٢: ١٤٢)

ابن عَطيّة: يريد به مآكل الجنّة و مشاربها. و ﴿كَرِيمٌ﴾ صفة تقتضي رفع المذامّ، كقولك: ثوب كريم و حسب كريم. (٢: ٥٠١)

الطَّبْرِسيّ: أي خطير كبير في الجنّة، و قيل: ﴿كَرِيمٌ﴾ دائم كثير لايشوبه ضرر و لايعتريه كدر، و لايُخاف عليه فناء، و لانقصان و لاحساب، من قولهم: فلان كريم، إذا كانت أخلاقه محمودة. (٢: ٥١٩)

الفَخْر الرّازيّ: الرّزق الكريم: نعيم الجنّة. قال المتكلّمون: أمّا كونه رزقًا كريمًا، فهو إشارة إلى كون تلك المنافع خالصة دائمة مقرونة بالإكرام و التّعظيم، و مجموع ذلك هو حدّ الثّواب. و قال العارفون: المراد من المغفرة: إزالة الظّلمات الحاصلة بسبب الاشتغال بغير الله، و من الرّزق الكريم: الأنوار الحاصلة بسبب الاستغراق في معرفة الله و محبّته. (١٥: ١٢٤)

الخازن: يعني أنّ ما أعدّ لهم في الجنّة وصفه بكونه كريمًا، لأنّ منافعه حاصلة لهم دائمة عليهم، مقرونة بالإكرام و التّعظيم. (٣: ٦)

أبو حيّان: و قوله: ﴿وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ يريد به مآكل الجنّة و مشاربها ؟. (٤: ٤٥٨)

أبو السّعود: لاينقضي أمده و لاينتهي عدده، و هو ما أعدّ لهم من نعيم الجنّة. (٣: ٧٨)

البُرُوسَويّ: لاينتهي و لاينقطع، كأرزاق الدّنيا. قال في القاموس: رزقًا كريمًا: كثيرًا، و قولًا كريمًا: سهلًا ليّنًا، و أكرمه و كرّمه: عظّمه و نزّهه. (٣: ٣١٣)

الآلوسيّ: و هو ما أعدّ لهم من نعيم الجنّة. لعلّ وصف الرّزق به هنا حقيقة.

و قال بعض المحقّقين: معنى كون الرّزق كريمًا أنّ رازقه كريم، و من هنا وصفوه بالكثرة و عدم الانقطاع؛ إذ من عادة الكريم أن يُجزل العطاء و لايقطعه، فكيف بأكرم الأكرمين تبارك و تعالى. (٩: ١٦٨)

ابن عاشور: الرّزق: اسم لما يُرزق، أي يُعطى للانتفاع به، و وصفه بـ ﴿كَرِيمٌ﴾ بمعنى النّفيس، فهو وصف حقيقيّ للرّزق، و فعله، «كَرُمَ» بضمّ العين.

و الكرم في كلّ شيء الصّفات المحموديّة في صنفه أو نوعه، كما في قوله تعالى: ﴿إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ النّمل: ٢٩، و منه إطلاق الكرم على السّخاء و الجود، و الوصف منه كريم. و تصحّ إرادته هنا على أنّ وصف الرّزق به مجاز عقليّ، أي كريم رازقه، فإنّ الكريم يرزق بوفرة و بغير حساب. (٩: ٢٢)

الطّباطبائيّ: الرّزق الكريم: ما يرتزقون به من نعم الجنّة، و قد أراد الله سبحانه بالرّزق الكريم: الجنّة و نعمها في مواضع من كلامه، كقوله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ * وَ الَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ الحجّ: ٥٠، ٥١، و غير ذلك. (٩: ١٢)

فضل الله: ﴿وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ في ما رزقهم من مال و صحّة و عافية و أولاد و جاه، و من طيّبات الحياة الدّنيا و لذّاتها، ممّا يعيش فيه المؤمن الشّعور برعاية الله له، و كرامته عليه؛ و ذلك هو إحساس المؤمن أمام نعمة الله عليه، فهو يعيش معها الجوّ الحميم الكريم الّذي يُعبّر عن محبّة الله له، كما يستوحي منها الشّعور بالمسؤوليّة في الشّكر الرّوحيّ و العمليّ لله في جميع ذلك. (١٠: ٣٣٠)

و جاء بهذا المعنى قوله تعالى:

٣ ـ ﴿وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ هَاجَرُوا وَ جَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَ الَّذِينَ آوَوْا وَ نَصَرُوا أُولٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ﴾. الأنفال: ٧٤

٤ ـ ﴿فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَ لْيَتَلَطَّفْ وَ لَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾. الكهف: ١٩

الطّبريّ: يقول: فليأتكم بقوت منه تقتاتونه، و طعام تأكلونه. (٨: ٢٠٤)

الثّعلبيّ: أي قوت و طعام. (٦: ١٦٢)

نحوه البغويّ. (٣: ١٨٥)

البُرُوسَويّ: بقوت، و هو ما يُقَوّم به بدن الإنسان. (٥: ٢٢٩)

و هكذا جاء في أكثر التّفاسير.

٥ ـ ﴿وَلَاتَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلٰى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقٰى﴾. طٰه: ١٣١

الطُّوسيّ: يعني الّذي وعدك به في الآخرة من الثّواب. (٧: ٢٢٤)

الزّمخشريّ: هو ما ادّخر له من ثواب الآخرة الّذي هو خير منه في نفسه و أدوم، أو ما رزقه من نعمة الإسلام و النّبوّة، أو لأنّ أموالهم الغالب عليها الغصب و السّرقة و الحرمة من بعض الوجوه، و الحلال ﴿خَيْرٌ وَأَبْقٰى﴾، لأنّ الله لاينسب إلى نفسه إلّا ما حلّ و طاب دون ما حرم و خبث، و الحرام لايسمّى رزقًا أصلًا. (٢: ٥٦٠)

نحوه النّيسابوريّ. (١٦: ١٧١)

ابن عَطيّة: ﴿وَرِزْقُ﴾ الله تعالى الّذي أحلّه للمتّقين من عباده ﴿خَيْرٌ وَأَبْقٰى﴾، أي رزق الدّنيا خير و رزق الآخرة أبقى، و بيّن أنّه خير من رزق الدّنيا. (٤: ٧١)

الطّبرسيّ: أي و رزق ربّك الّذي وعدك به في الآخرة خير ممّا متّعنا به هؤلاء في الدّنيا. (٤: ٣٧)

ابن الجوزيّ: فيه قولان: أحدهما: أنّه ثوابه في الآخرة، و الثّاني: القناعة. (٥: ٣٣٥)

الفخر الرّازيّ: و الأظهر أنّ المراد أنّ مطلوبك الّذي تجده من الثّواب خير من مطلوبهم و أبقى، لأنّه يدوم و لاينقطع، و ليس كذلك حال ما أوتوه من الدّنيا، و يحتمل أن يكون المراد: ما أوتيته من يسير الدّنيا إذا قرنته بالطّاعة خير لك من حيث العاقبة و أبقى. فذكر الرّزق في الدّنيا و وصفه بحسن عاقبته إذا رضي به و صبر عليه، و يحتمل أن يكون المراد: ما أعطي من النّبوّة و الدّرجات الرّفيعة. (٢٢: ١٣٦)

القُرطبيّ: أي ثواب الله على الصّبر و قلّة المبالاة بالدّنيا أولى، لأنّه يبقى و الدّنيا تفنى. و قيل: يعني بهذا الرّزق ما يفتح الله على المؤمنين من البلاد و الغنائم. (١١: ٢٦٣)

البَيْضاويّ: و ما ادّخر لك في الآخرة، أو ما رزقك من الهدى و النّبوّة ﴿خَيْرٌ﴾ ممّا منحهم في الدّنيا ﴿وَأَبْقٰى﴾، فإنّه لاينقطع. (٢: ٦٥)

نحوه أبوالسُّعود. (٤: ٣١٨)

أبوحَيّان: أي ما ذخر لهم من المواهب في الآخرة ﴿خَيْرٌ﴾ ممّا متّع به هؤلاء في الدّنيا، ﴿وَأَبْقٰى﴾، أي أدوم.

و قيل: ما رزقهم و إن كان قليلًا خير ممّا رُزقوا و إن كان كثيرًا، لحلّيّة ذلك و حرميّة هذا.

و قيل: ما رزقت من النّبوّة و الإسلام.

و قيل: ما يفتح الله على المؤمنين من البلاد و الغنائم.

و قيل: القناعة.

و قيل: ثواب الله على الصّبر، و قلّة المبالاة بالدّنيا. (٦: ٢٩١)

البُرُوسَويّ: أي ما ادّخر لك في الآخرة من الثّواب، أو ما أوتيته من يسير الكفاية مع الطّاعة،

والـرّزق يقـال للعطـاء دنيويًّـا كـان أو أخرويًّـا، وللنّصيب تارةً، و لما يوصل إلى الجوف و يُتغـذّى بـه تارةً. ﴿خَيْرٌ﴾ لك ممّا منحهم في الدّنيا، لأنّه مع كونه في نفسه أجلّ ما يتنافس فيه المتنافسون مأمون الغائلـة، بخلاف ما منحوه. ﴿وَ اَبْقٰى﴾، فإنّه لايكاد ينقطع أبدًا. فعلـى العاقـل أن يختـار الـرّزق الّـذي هـو البـاقي، و لايلتفت إلى النّعيم الّذي هو الفاني، و يقنع بما في يده من القوت إلى أن يموت. [ثمّ استشهد بأشعار]

ثمّ إنّ الرّزق المعتبر غاية الاعتبار ما صـار غـذاء للرّوح القدسيّ، من العلم و الحكمة و الفـيض الأزليّ و التّجلّي. (٥: ٤٤٧)

الشّوكانيّ: أي ثواب الله، و ما ادّخـر لصـالحي عباده في الآخرة خير ممّا رزقهم في الـدّنيا علـى كـلّ حال. و أيضًا فإنّ ذلك لاينقطع، و هـذا ينقطـع، و هـو معنى ﴿وَ اَبْقٰى﴾.

و قيل: المراد بهذا الرّزق ما يفتح الله على المـؤمنين من الغنائم و نحوها.

و الأوّل أولى، لأنّ الخيريّة المحقّقة و الدّوام الّـذي لاينقطع إنّما يتحقّقان في الرّزق الأخرويّ لاالدّنيويّ، و إن كان حلالًا طيّبًا: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَ مَا عِنْدَ اللهِ بَاقٍ﴾ النّحل: ٩٦. (٣: ٤٩٣)

الآلوسيّ: أي ما ادّخر لـك في الآخـرة، أو مـا رزقك في الدّنيا من النّبوّة و الهدى.

و ادّعى صاحب «الكشـف»: أنّـه أنسـب بهـذا المقام، أو ما ادّخر لك فيها من فتح البلاد و الغنائم.

و قيل: القناعة ﴿خَيْرٌ﴾ ممّا متّع به هؤلاء، لأنّه مـع كونه في نفسه من أجلّ مـا يتنـافس فيـه المتنافسـون مأمون الغائلة، بخلاف ما متّعوا بـه، ﴿وَ اَبْقٰى﴾ فإنّـه نفسه أو أثره لايكاد ينقطع كالّذي متّـعوا به. (١٦: ٢٨٤)

ابن عاشور: فإضـافة ﴿رِزْقُ رَبِّكَ﴾ إضـافة تشريف، و إلّا فإنّ الرّزق كلّـه مـن الله، و لكـن رزق الكافرين لما خالطه و حفّ به حال أصحابه من غضب الله عليهم، و لما فيه من التّبعة على أصـحابه في الـدّنيا و الآخرة، لكفرانهم النّعمة، جُعل كـالمنكور انتسـابه إلى الله، و جُعـل رزق الله هـو السّـالم مـن ملابسـة الكفران، و من تبعات ذلك. (١٦: ٢٠٧)

الطّباطبائيّ: المراد به بقرينة مقابلته لما متّعوا بـه من زهرة الحياة الدّنيا، هو رزق الآخـرة، و هـو خـير و أبقى. (١٤: ٢٣٨)

عبدالكريم الخطيب: في قوله تعـالى: ﴿وَ رِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَ اَبْقٰى﴾ إشارة إلى ما بين يدي النّبيّ الكريم من رزق عظيم، هو القرآن الكـريم، ثمّ تلـك الرّسـالة الشّريفة الّتي اصطفاه الله لها، و تخيّره لتبليغها عنـه إلى عباده، فأيّ رزق خير من هـذا الـرّزق؟ و أيّ عطـاء أكرم و أوفـر مـن هـذا العطـاء؟ إنّـه أشـرف قـدرًا، و أعظم أثرًا، و أخلد ذكرًا من كلّ ما في هذه الدّنيا من مال و متاع. (٨: ٨٤١)

فضل الله: بما يهيّئه لك من رزق الدّنيا و الآخرة، فهو الأقرب إلى صلاحك في الدّنيا، في ما يصلح لك فيه أمر حياتك، و هو الأقرب إلى سعادتك في الآخـرة في ما يُقرّر لك سعادتك في مصـيرك، فتطلّـع إليـه، فهـو

الأفضل و الأبقى، و لاتتطلّع إلى غيره، و حاول أن تشغل نفسك بمسؤوليّتك في ما أوكل الله إليك أمره من مسئوليّات.

هل هذا دعوة إلى الابتعاد عن الحياة، لتكون من آيات الزّهد العمليّ الّذي ينصرف فيه الإنسان عن مباهج الحياة و طيّباتها و زخارفها؟ أو هي دعوة للتّوازن في النّظرة إليها، فلايستغرق فيها، و لايتحسّر عليها، لما يحقّق التّوازن في التّعاطي معها بالمقادير المناسبة و دون مغالاة أو مبالغة؟. إنّنا نفهم من الآية المعنى الثّاني الّذي يريد للإنسان أن يقنع بما رزقه الله، و ألّا يعيش الانبهار الّذي يسقط روحه، و يثقل فكره، و الله العالم. (۱۵: ۱۷۷)

٦ ـ فَالَّذِينَ اٰمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ. الحجّ: ٥٠

ابن جُرَيْج: الجنّة. (الطّبريّ ۹: ۱۷۳)

الطّبريّ: يقول: و رزق حسن في الجنّة. (۹: ۱۷۳)

نحوه ابن الجَوْزيّ. (٥: ٤٤٠)

الطّوسيّ: أي مع إكرامهم بالثّواب الّذي لايقاربه تعظيم و تبجيل. (۷: ۳۲۸)

القُشَيْريّ: و الرّزق الكريم: ما يكون من وجه الحلال. و يقال: ما يكون من حيث لايحتسب العبد.

و يقال: هو الّذي يبدو من غير ارتقاب على رفق في وقت الحاجة إليه.

و يقال: هو ما يحمل المرزوق على صرفه في وجه القربة.

و يقال: ما فيه البركة.

و يقال: الرّزق الكريم: الّذي ينال من غير تعب، و لايتقلّد منّة مخلوق. (٤: ٢٢٥)

البَغَويّ: الرّزق الكريم: الّذي لاينقطع أبدًا. (۳: ۳٤٥)

المَيْبُديّ: الرّزق الكريم: الّذي لايُكتسَب بالدّنيئات من التّذلّل للخلق، و الأخذ من المنّان و ارتكاب الظّلم.

و قيل: الرّزق الكريم: الّذي لاينقطع أبدًا، و هو الجنّة. (٦: ٣٨٥)

الطَّبْرِسيّ: يعني نعيم الجنّة، فإنّه أكرم نعيم في أكرم دار. (٤: ٩٠)

الفَخْر الرّازيّ: أمّا الرّزق الكريم فهو إشارة إلى الثّواب و كرمه. يحتمل أن يكون للصّفات السّلبيّة، و هو أنّ الإنسان هناك يستغني عن المكاسب و تحمّل المشاقّ و الذّلّ فيها، و ارتكاب المآثم و الدّناءة بسببها. و أن يكون للصّفات الثّبوتيّة، و هو أن يكون رزقًا كثيرًا دائمًا خالصًا عن شوائب الضّرر، مقرونًا بالتّعظيم و التّبجيل. و الأولى جعل الكريم دالًّا على كلّ هذه الصّفات. (۲۳: ٤٧)

نحوه النّيسابوريّ. (۱۷: ۱۰۸)

الشِّرْبينيّ: أي في الدّنيا بالغنائم و غيرها، و في الآخرة بما لاعين رأت، و لاأُذن سمعت، و لاخطر على قلب بشر. ﴿كَرِيمٌ﴾، أي لاخسّة فيه و لادناءة بانقطاع و لاغيره زيادة في غيظهم. (۲: ٥٥٨)

أبو السُّعود: هي الجنّة، و الكريم من كلّ نوع مـا يجمع فضائله و يحوز كمالاته. (٤: ٣٨٨)

نحوه البُرُوسَويّ. (٦: ٤٧)

الآلوسيّ: و المراد بالرّزق الكـريم هنـا: الجنّـة، كما يشعر به وقوعه بعـد المغفـرة، و كـذلك في جميـع القرآن، على ما أخرجه ابن أبي حاتم عـن محمّـد بـن كعب القُرَظيّ. و معنى الكريم في صفات غير الآدميّين: الفائق. (١٧: ١٧١)

ابن عاشور: و الرّزق: العطاء، و وصفه بـالكريم يجمع و فرته و صفاءه من المكـدّرات، كقولـه تعـالى: ﴿لَهُمْ اَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ فصّلت: ٨، ذلك هو الجنّة.

و الرّزق منه ما هو حاصـل لهـم في الـدّنيا، فهـم متمتّعون بانشراح صـدورهم و رضـاهم عـن ربّهـم، و أعظمه ما يحصل لهم في الآخرة. (١٧: ٢١٣)

مكارم الشّيرازيّ: عبارة ﴿وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ ــ مع ملاحظة أنّ كلمة ﴿كَـرِيمٌ﴾ تطلق على أيّ موجود شريف و ثمين ــ ذات مفهوم واسع، يضـمّ جميـع الأنعـم المادّيّة و المعنويّة.

أجل، إنّ الله الكـريم يمـنّ علـى عبـاده المـؤمنين الصّالحين بأنواع من الرّزق الكـريم في تلـك المنـازل الكريمة.

يقول الرّاغب الأصفهانيّ في «مفرداته»: لا يقـال الكرم إلّا في المحاسن، كمن ينفق مالًا في تجهيز جـيش في سبيل الله، أو تحمّل حمالة ترقئ دماء قوم. فعلى هذا لا يطلق الكرم على الإحسان الجزئيّ.

و فسّر بعض الرّزق الكريم بالرّزق الدّائم الّـذي لا عيب و لا نقص فيه.

و قال آخرون: إنّه الرّزق الّـذي يليـق بـالمؤمنين الصّالحين. و لا يخفى أنّ معناه شامل، و يضمّ جميع هذه المعاني. (١٠: ٣٣٤)

وجاء بهذا المعنى قوله تعالى:

٧ ـ ﴿اَلْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَ الْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَ الطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَ الطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ اُولٰئِكَ مُبَرَّؤُنَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ﴾. النّور: ٢٦

٨ ـ ﴿اِلَّا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ * اُولٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ * فَوَاكِهُ وَ هُمْ مُكْرَمُونَ﴾. الصّافّات: ٤٠ ـ ٤٢

قَتادَة: في الجنّة.

مثله السُّدّيّ. (الطّبَريّ ١٠: ٤٨٤)

الطّبَريّ: هؤلاء هم عباد الله المخلصون لهم رزق معلوم، و ذلك الرّزق المعلوم: هو الفواكه الّتي خلقها الله لهم في الجنّة. (١٠: ٤٨٤)

الطّوسيّ: يعني عطاء جعل لهـم التّصـرّف فيـه، و حكم لهم به في الأوقات المستأنفة، في كلّ وقت شـيئًا معلومًا مقدّرًا، ثمّ فسّر ذلك الرّزق، فقال: ذلك الـرّزق ﴿فَوَاكِهُ﴾، و هي جمـع فاكهـة، و هـي تكـون رطبًـا و يابسًا، يتفكّهون بها، و ينتفعون بالتّصرّف فيها. (٨: ٤٩٥)

القُشَيْريّ: ﴿لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ﴾ لأوقات معيّنة، و في وقت الرّسول ﷺ من كان له رزق معلوم كان من جملة المياسير، و هذه صفة أهل الجنّة، فلهم في الآخـرة رزق معلوم لأبشارهم و لأسـرارهم. فالأغنيـاء لهـم

رزق معلوم لأنفسهم، و الفقراء لهم رزق معلوم لقلوبهم و أسرارهم. (٥: ٢٣٢)

البغويّ: يعني بُكرةً و عشيًّا، كما قال: ﴿وَ لَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَ عَشِيًّا﴾ مريم: ٦٢. (٤: ٣١)

المَيْبُديّ: أي معلوم دوامه. و قيل: معلوم وقته بكرةً و عشيًّا. (٨: ٢٧٢)

الزّمَخْشَريّ: فسّر الرّزق المعلوم بالفواكه، و هي كلّ ما يُتلذّذ به و لايُتقوّت لحفظ الصّحّة، يعني أنّ رزقهم كلّه فواكه، لأنّهم مستغنون عن حفظ الصّحّة بالأقوات، بأنّهم أجسام محكمة مخلوقة للأبد، فكلّ ما يأكلونه يأكلونه على سبيل التّلذّذ.

و يجوز أن يراد: رزق معلوم منعوت بخصائص خلق عليها: من طيب طعم، و رائحة، و لذّة، و حسن منظر.

و قيل: معلوم الوقت، كقوله: ﴿وَ لَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَ عَشِيًّا﴾ مريم: ٦٢.

و عن قَتادَة: الرّزق المعلوم: الجنّة. و قوله: ﴿فِي جَنَّاتٍ﴾ الصّافّات: ٤٣، يأباه. (٣: ٣٣٩)

نحوه النّسَفيّ. (٤: ٢٠)

الفَخْرالرّازيّ: اعلم أنّه تعالى وصف رزقهم بكونه معلومًا، و لم يُبيّن أنّ أيّ الصّفات منه هو المعلوم، فلذلك اختلفت الأقوال:

فقيل: معناه: أنّ ذلك الرّزق معلوم الوقت، و هو مقدار غُدوة و عشيّة و إن لم يكن ثمّة لابكرة و لاعشيّة، قال تعالى: ﴿وَ لَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَ عَشِيًّا﴾ مريم: ٦٢.

و قيل: معناه: أنّ ذلك الرّزق معلوم الصّفة، لكونه مخصوصًا بخصائص خلقها اللّه فيه من طيب طعم، و رائحة، و لذّة، و حسن منظر.

و قيل: معناه: أنّهم يتيقّنون دوامه، لاكرزق الدّنيا الّذي لايُعلم متى يحصل و لامتى ينقطع.

و قيل: معناه: القدر الّذي يستحقّونه بأعمالهم، من ثواب اللّه و كرامته عليهم. و قد بيّن اللّه تعالى أنّه يعطيهم غير ذلك على سبيل التّفضّل.

ثمّ لـمّا ذكر تعالى أنّ لهم رزقًا بيّن أنّ ذلك الرّزق ما هو، فقال: ﴿فَوَاكِهُ﴾، و فيه قولان:

الأوّل: أنّ الفاكهة عبارة عمّا يؤكل لأجل التّلذّذ لالأجل الحاجة، و أرزاق أهل الجنّة كلّها فواكه، لأنّهم مستغنون عن حفظ الصّحّة بالأقوات، فإنّهم أجسام محكمة مخلوقة للأبد، فكلّ ما يأكلونه فهو على سبيل التّلذّذ.

و الثّاني: أنّ المقصود من ذكر الفاكهة التّنبيه بالأدنى على الأعلى، يعني لـمّا كانت الفاكهة حاضرة أبدًا كان الإدام أولى بالحضور. و القول الأوّل أقرب إلى التّحقيق. (٢٦: ١٣٦)

القُرطُبيّ: يعني المخلصين، أي لهم عطيّة معلومة لاتنقطع. (١٥: ٧٧)

البَيْضاويّ: خصائصه من الدّوام، أو تمحّض اللّذّة، و لذلك فسّره بقوله: ﴿فَوَاكِهُ﴾، فإنّ الفاكهة ما يُقصد للتّلذّذ دون التّغذّي، و القوت بالعكس. و أهل الجنّة لـمّا أُعيدوا على خلقة محكمة محفوظة عن التّحلّل، كانت أرزاقهم فواكه خالصة. (٢: ٢٩٢)

أبو حَيّان: و وصف ﴿رِزْقٌ﴾ بـ ﴿مَعْلُومٌ﴾، أي عندهم، فقد قرّت عيونهم بما يستدرّ عليهم من الرّزق، و بأنّ شهواتهم تأتيهم بحسبها. [إلى أن قال:]

ذكر أوّلًا: الرّزق، و هو ما يتلذّذ به الأجسام.

و ثانيًا: الإكرام، و هو ما يتلذّذ به النّفوس. (٧: ٣٥٩)

البُرُوسَويّ: ﴿رِزْقٌ﴾ لايُدانيه رزق و لايحيط به، و صف على ما يفيده التّنكير. و الرّزق: اسم لما يسوقه الله إلى الحيوان فيأكله، ﴿مَعْلُومٌ﴾ الخصائص من حسن المنظر و لذّة الطّعم و طيب الرّائحة، و نحوها من نعوت الكمال. و الظّاهر أنّ معناه معلوم وجودًا و قدرًا و حُسنًا و لذّةً و طيبًا و وقتًا بُكرةً و عشيًّا، أو دوامًا كلّ وقت اشتهوه، فإنّ فيه فراغ الخاطر، و إنّما يضطرب أهل الدّنيا في حقّ الرّزق، لكون أرزاقهم غير معلومة لهم، كما في الجنّة. (٧: ٤٥٨)

الآلوسيّ: و هو [أُولٰئِكَ] مبتدأ و قوله تعالى: ﴿لَهُمْ﴾ إمّا خبر له، و قوله سبحانه: ﴿رِزْقٌ﴾ مرتفع على الفاعليّة للظّرف، و إمّا خبر مقدّم و ﴿رِزْقٌ﴾ مبتدأ مؤخّر، و الجملة خبر المبتدإ، و المجموع كالخبر للمستثنى المنقطع على ما أشرنا إليه، أو استئناف لما أفاده الاستثناء إجمالًا بيانًا تفصيليًّا.

و قوله تعالى: ﴿مَعْلُومٌ﴾ أي معلوم الخصائص، ككونه غير مقطوع و لاممنوع، حسن المنظر، لذيذ الطّعم، طيّب الرّائحة، إلى غير ذلك من الصّفات المرغوبة، فلايقال: إنّ الرّزق لايكون معلومًا إلّا إذا كان مقدّرًا بمقدار، و قد جاء في آية أُخرى ﴿يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ المؤمن: ٤٠، و ما لايدخل تحت الحساب لايُحدّ و لايُقدّر، فلايكون معلومًا.

و قيل: المراد: معلوم الوقت، لقوله تعالى: ﴿وَ لَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَ عَشِيًّا﴾ مريم: ٦٢.

و عن قَتادَة: الرّزق المعلوم: الجنّة، و تعقّب بأنه ﴿فِي جَنَّاتٍ﴾ بعد يأباه. و اعترض بأنه إذا كان المعنى و هم مكرمون فيها، لم يكن به بأس. و أُجيب بأنّ جعلها مقرّ المرزوقين لايلائم جعلها رزقًا، و أمّا إذا كان قيدًا للرّزق فهو ظاهر الإباء، و كون المساكن رزقًا للسّاكن، فإذا اختلف العنوان لم يكن به بأس، لايدفع ما قُرّر، كما لايخفى على المنصف. (٢٣: ٨٥)

الطَّباطَبائيّ: الإشارة إلى أنّ رزقهم في الجنّة، ـ و هم عباد مخلَصون ـ رزق خاصّ، لايُشبه رزق غيرهم، و لايختلط بما يتمتّع به من دونهم و إن اشتركا في الاسم، فقوله: ﴿أُولٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ﴾ أي رزق خاصّ متعيّن ممتاز من رزق غيرهم، فكونه معلومًا كناية عن امتيازه، كما في قوله: ﴿وَ مَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾ الصّافّات: ١٦٤. و الإشارة بلفظ البعيد للدّلالة على علوّ مقامهم.

و أمّا ما فسّره بعضهم أنّ المراد بكون رزقهم معلومًا: كونه معلوم الخصائص، مثل كونه غير مقطوع و لاممنوع، حسن المنظر، لذيذ الطّعم، طيّب الرّائحة. و كذا ما ذكره آخرون أنّ المراد أنّه معلوم الوقت، لقوله: ﴿وَ لَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَ عَشِيًّا﴾ مريم: ٦٢. و كذا قول القائل: إنّ المراد به الجنّة، فهي وجوه غير سديدة. (١٧: ١٣٦)

مكارم الشّيرازيّ: فهل هذه هي خلاصة لتلك

النّعم الّتي ستبيّنها الآيات فيما بعد، و توضيح للنّعم الّتي ستُغدق عليهم بصورة خفيّة؟ أو إشارة إلى نعم معنويّة غير معروفة و غير قابلة للوصف، تتصدّر نعم أهل الجنّة؟

بعض المفسّرين فسّرها بالشّكل الأوّل، فيما فسّرها آخرون بالشّكل الثّاني، و تناسب البحث للمعنى الثّاني. و بهذا فإنّ النّعمة الأولى من النّعم السّبع الّتي وردت في آيات بحثنا، هي الهبات المعنويّة، و المتع الرّوحية، و إدرك مظاهر ذات الله، و تناول الشّراب الطّاهر، و الغمرة في عشق الله. اللّذّة الّتي لايمكن أن يُدركها العبد مالم يتذوّقها، و يعيش في رحابها.

و السّبب في أنّ العطايا المادّيّة في الجنّة قد ذُكرت في آيات القرآن الكريم بالتّفصيل، و الهبات المعنويّة و الملذّات الرّوحيّة، استعرضت بصورة خفيّة، فهو أنّ الأولى قابلة للوصف دون الثّانية.

و أمّا بشأن معنى ﴿رِزْقٌ مَعْلُومٌ﴾ فلقد قيل عنها الكثير، هل هي بمعنى معلوم الوقت، أم بقائه و دوامه، أم سائر خصائصه؟ و لكن كما قلنا قبل قليل: فإنّ ﴿مَعْلُومٌ﴾ تعبير خفيّ و مجمل عن المواهب الّتي لاتقبل الوصف. (١٤: ٢٨٦)

٩ ـ وَاخْتِلَافِ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا اَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَاَحْيَا بِهِ الْاَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ اٰيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ. الجاثية: ٥

ابن عبّاس: من مطر. (٤٢٠)

الطّبَريّ: و هو الغيث الّذي به تُخرج الأرض أرزاق العباد و أقواتهم، و إحياؤه الأرض بعد موتها. يقول: فأنبت ما أنزل من السّماء من الغيث ميّت الأرض، حتّى اهتزّت بالنّبات و الزّرع من بعد موتها، يعني من بعد جدوبها و قحوطها، و مصيرها دائرة لانبت فيها و لازرع. (١١: ٢٥٣)

الماوَرْديّ: يحتمل وجهين:

أحدهما: المطر الّذي ينبت به الزّرع وتحيا به الأرض.

الثّاني: ما قضاه في السّماء من أرزاق العباد. (٥: ٢٦١)

البغَويّ: يعني الغيث الّذي هو سبب أرزاق العباد. (٤: ١٨٤)

المَيْبُديّ: أي مطر، لأنّه سبب رزق الحيوان. (٩: ١٢٢)

الزّمَخْشَريّ: و سمّي المطر رزقًا، لأنّه سبب الرّزق. (٣: ٥٠٩)

ابن عَطيّة: و الرّزق المُنزّل من السّماء هو المطر، سمّاه رزقًا بمآله، لأنّ جميع ما يرتزق فمن المطر هو. (٥: ٨٠)

الطّبْرسيّ: أراد به المطر الّذي ينبت به النّبات الّذي هو رزق الخلائق، فسمّاه رزقًا، لأنّه سبب الرّزق. (٥: ٧٢)

الشّربينيّ: أي مطر و غيره من الأسباب المهيّئة لإخراج الرّزق. (٣: ٥٩٣)

أبو السُّعود: أي من مطر و هو سبب للرّزق، عبّر عنه بذلك، تنبيهًا على كونه آية من جهتي القدرة

و الرّحمة. (٦: ٥٦)

نحوه البُرُوسَويّ. (٨: ٤٣٦)

الآلوسيّ: من مطر، و سمّي رزقًا، لأنّه سببه، فهو مجاز. و لو لم يُئَوَّل صحّ، لأنّه في نفسه رزق أيضًا.

(٢٥: ١٣٩)

سيّد قُطْب: و الرّزق قد يكون المقصود به هو الماء النّازل من السّماء، كما فهم منه القُدماء. و لكن رزق السّماء أوسع.

فهذه الأشعّة الّتي تنزل من السّماء ليست أقلّ أثرًا في إحياء الأرض من الماء، بل إنّها لهي الّتي ينشأ عنها الماء بإذن الله، فحرارة الشّمس هي الّتي تُبخّر الماء من البحار، فتتكاثف و تنزل أمطارًا، و تجري عيونًا و أنهارًا، و تحيا بها الأرض بعد موتها، تحيا بالماء و تحيا بالحرارة و الضّياء سواء. (٥: ٣٢٢٤)

ابن عاشور: و الرّزق أُطلق هنا على المطر، على طريقة المجاز المرسل، لأنّ المطر سبب وجود الأقوات، و الرّزق: القوت.

و قد ذُكر في آية سورة البقرة: ١٦٤: ﴿وَ مَآ أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَآءِ مِنْ مَآءٍ﴾. و تقدّمت نظائر هذه الآية في أواسط سورة البقرة، و في مواضع عدّة. (٢٥: ٣٤٩)

مَغْنِيّة: المراد بالرّزق هنا: كلّ شيء علويّ له أثر في الحياة، كالماء و حرارة الشّمس. و فيهما من الدّلالة على وجود الخالق ما في خلق السّماوات و الأرض، لأنّ الكلّ وُجد لحكمة و غرض صحيح. (٧: ١٩)

الطَّباطَبائيّ: المراد بالرّزق الّذي يُنزله الله من السّماء، هو المطر تسمية للسّبب باسم المسبّب مجازًا، أو لأنّ المطر أيضًا من الرّزق، فإنّ مياه الأرض من المطر. (١٨: ١٥٦)

مكارم الشّيرازيّ: أي المطر، و الّذي لا كلام في لطافة طبعه و رقّته، و لا بحث في قدرته على الإحياء و بعثه الحياة في كلّ الأرجاء، و منحها الجمال و الرّوعة. و لِمَ لا يكون كذلك، و الماء يشكّل الجانب الأكبر و القسم الأساسيّ من بدن الإنسان، و كثير من الحيوانات الأُخرى، و النّباتات؟ (١٦: ١٧٧)

١٠ ـ مَآ أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَ مَآ أُرِيدُ اَنْ يُطْعِمُونِ. الذّاريات: ٥٧

راجع: ر زق: «الرّزّاق».

الرّزق

١ ـ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي اَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَ الطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ... الأعراف: ٣٢

ابن عبّاس: يعني بـ ﴿الطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ ما حرّم أهل الجاهليّة من البحائر و السّوائب و الوصايا و الحوامي. (الثّعلبيّ ٤: ٢٣٠)

نحوه الحسَن. (الماوَرْديّ ٢: ٢١٩)

قَتادَة: هو ما حرّم أهل الجاهليّة عليهم من أموالهم: البحيرة و السّائبة و الوصيلة و الحامي. (الطّبَريّ ٥: ٤٧٢)

السُّدّيّ: هو الوَدك. (الطّبَريّ ٥: ٤٧٢)

مُقاتِل: يعني الحرث و الأنعام و الألبان. (٢: ٣٤)

ابن زَيْد: إنّهم كانوا يُحرّمون في الإحرام أكل السّمن و اللّبن.

مثله السُّدّيّ. (الماوَرْديّ ٢: ٢١٩)

الطَّبَريّ: واختلف أهل التّأويل في المعنيّ بـ ﴿الطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ بعد إجماعهم على أنّ الزّينة ما قلنا:

فقال بعضهم: ﴿الطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ في هذا الموضع: اللّحم، وذلك أنّهم كانوا لايأكلونه في حال إحرامهم.

وقال آخرون: بل عنى بذلك ما كانت الجاهليّة تُحرّم من البحائر والسّوائب. (٥: ٤٧٢)

الماوَرْديّ: وفي طيّبات الرّزق قولان:

أحدهما: أنّه المستلذّ.

والثّاني: أنّه الحلال. (٢: ٢١٩)

الطُّوسيّ: وقيل في معنى الطّيّبات: قولان:

أحدهما: المستلذّ من الرّزق.

والثّاني: الحلال من الرّزق.

والأوّل أشبه بخلوصه يوم القيامة.

وإنّما ذُكر ﴿الطَّيِّبَاتِ﴾ من جملة ذلك - في قول ابن زَيد والسُّدّيّ - لأنّهم كانوا يحرّمون البحائر والسّوائب. وظاهر الآية يدلّ على أنّه لايجوز لأحد تجنّب الزّينة والملاذّ الطّيّبة على وجه التّحريم. وأمّا من اجتنبها على أنّ غيرها أفضل منها، فلامانع منه. (٤: ٤١٧)

نحوه الطَّبْرِسيّ. (٢: ٤١٣)

القُشَيْريّ: أرزاق النّفوس بحكم إفضاله سبحانه، وأرزاق القلوب بموجب إقباله تعالى.

ويقال: أرزاق المريدين: إلهام ذكر الله، وأرزاق العارفين: الإكرام بنسيان ما سوى الله. (٢: ٢٢٦)

الواحديّ: يعني ما حرّموه على أنفسهم أيّام حجّهم من اللّحم والدّسم. (٢: ٣٦٣)

نحوه البغَويّ. (٢: ١٨٩)

الزَّمَخْشَريّ: المستلذّات من المآكل والمشارب. (٢: ٧٦)

مثله النّسَفيّ. (٢: ٥١)

البَيْضاويّ: المستلذّات من المآكل والمشارب. وفيه دليل على أنّ الأصل في المطاعم والملابس وأنواع التّجمّلات الإباحة، لأنّ الاستفهام في (مَنْ) للإنكار. (١: ٣٤٧)

نحوه الشِّربينيّ (١: ٤٧٢)، وأبوالسُّعود (٢: ٤٨٩).

البُرُوسَويّ: زين الظّواهر بآثار الجود وزيّن البواطن بأنوار الوجود و﴿الطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ وأنّ أرزاق النّفوس بحكم إفضاله، وأرزاق القلوب بموجب إقباله. ﴿وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ على الحقيقة ما لم يكن مشوبًا بحقوق النّفس وحظوظها، ويكون خالصًا من مواهبه وحقوقه ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا﴾ الأعراف: ٣٢، أي هذه الكرامات والمقامات لهؤلاء السّادات في الدّنيا مشوبة بشوائب الآفات النّفسانيّة، وكدورات الصّفات الحيوانيّة، خالصة يوم القيامة من هذه الآفات والكدورات، كما قال: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ﴾ الأعراف: ٤٣. (٣: ١٥٦)

٢ - ﴿وَاللهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا

الَّذينَ فُضِّلُوا برَادِّي رِزْقِهِمْ عَلىٰ مَا مَلَكَتْ اَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فيهِ سَوَاءٌ اَفَبِنِعْمَةِ اللهِ يَجْحَدُونَ. النّحل: ٧١

ابن عبّاس: قوله: ﴿فِي الرِّزْقِ﴾ في المال والخدم. (٢٢٧)

إنّ عبيدهم لـمّا لم يشركوهم في أموالهم، لم يجز لهم أن يشاركوا الله تعالى في ملكه.

مثله مُجاهِد و قَتادَة. (الماوَرْديّ ٣: ٢٠١)

قَتادَة: هذا مثَل ضربه لله عزّ و جلّ، يقول: هل منكم أحد يرضى أن يُشركه مملوكه في جميع ماله، فكيف تعدلون بالله خلقه و عباده؟. (الخازن ٤: ٨٥)

الطّبَريّ: يقول تعالى ذكره: و الله أيّها النّاس فضّل بعضكم على بعض في الرّزق الّذي رزقكم في الدّنيا، فما الّذين فضّلهم الله على غيرهم بما رزقهم ﴿بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلىٰ مَا مَلَكَتْ اَيْمَانُهُمْ﴾، يقول: بمشركي مماليكهم فيما رزقهم من الأموال و الأزواج. (٧: ٦١٥)

الرُّمّانيّ: إنّهم و عبيدهم سواء في أنّ الله تعالى رزق جميعهم، و أنّه لايقدر أحد على رزق عبده إلّا أن يرزقه الله تعالى إيّاه، كما لايقدر أن يرزق نفسه. (الماوَرْديّ ٣: ٢٠١)

الثّعلبيّ: يقول الله جلّ ثناؤه: فهم لايرضون أن يكونوا هُم و مماليكهم فيما رزقناهم سواء، و قد جعلوا عبيدي شركائي في ملكي و سلطاني، يلزم بهذا المثل الحجّة على المشركين، و هذا مثَل ضربه الله عزّ و جلّ، فما منكم من يُشرك مملوكه في زوجته و قرابته و ماله، أفتعدلون بالله خلقه و عباده فإن لم ترض لنفسك هذا فالله أحقّ أن يُنزّه من ذلك، و لاتعدل به أحدًا من عباده و خلقه. (٦: ٢٩)

الماوَرْديّ: فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنّه أغنى وأفقر، و وسّع و ضيّق.

الثّاني: في القناعة والرّغبة.

الثّالث: في العلم و الجهل.

قال الفضيل بن عياض: أجَلّ ما رُزق الإنسان معرفة تدلّه على ربّه، و عقل يدلّه على رشده. [إلى أن قال:]

﴿فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: [نقل قول ابن عبّاس و قال:]

و في هذا دليل على أنّ العبد لايملك.

الثّاني: [قول الرُّمّانيّ المتقدّم] (٣: ٢٠١)

الطُّوسيّ: ﴿فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ...﴾ قيل في معناه قولان:

أحدهما: [قول ابن عبّاس]

الثّاني: أنّهم سواء في أنّي رزقت الجميع، و أنّه لايمكن أن يرزق عبيده إلّا برزقي إيّاه. (٦: ٤٠٥)

القُشَيْريّ: أرزاق المخلوقات مختلفة، فمِنْ مُضيّق عليه رزقه، و مِنْ مُوسّع عليه رزقه. و من أرزاق هي أرزاق للنّفوس، و أرزاق للقلوب، و أرزاق للأرواح، و أرزاق للأسرار.

فأرزاق النّفوس لقوم بتوفيق الطّاعات، و لآخرين بخذلان المعاصي.

و أرزاق القلوب لقوم حضور القلب باستدامة الفكر، و لآخرين: باستيلاء الغفلة و دوام القسوة.

و أرزاق الأرواح لقوم صفاء المحبّة، و لآخرين: اشتغال أرواحهم بالعلاقة بينهم و بين أشكالهم، فيكون بلاؤهم في محبّتهم لأمثالهم.

و أرزاق الأسرار لاتكون إلّا بمشاهدة الحقّ، فأمّا من لم يكن من هذه الجملة، فليس من أصحاب الأسرار. (٣: ٣٠٨)

الزّمخشريّ: أي جعلكم متفاوتين في الرّزق، فرزقكم أفضل ممّا رزق مماليككم، و هم بشر مثلكم و إخوانكم، فكان ينبغي أن تردّوا فضل ما رزقتموه عليهم، حتّى تتساووا في الملبس و المطعم. [إلى أن قال:]

و قيل: هو مثَل ضربه الله للّذين جعلوا له شركاء، فقال لهم: أنتم لاتسوّون بينكم و بين عبيدكم فيما أنعمت به عليكم، و لاتجعلونهم فيه شركاء، و لاترضون ذلك لأنفسكم، فكيف رضيتم أن تجعلوا عبيديَ لي شركاء.

و قيل: المعنى: أنّ الموالي و المماليك أنا رازقهم جميعًا، فهم في رزقي سواء، فلاتحسبنّ الموالي أنّهم يردّون على مماليكهم من عندهم شيئًا من الرّزق. فإنّما ذلك رزقي أجريه إليهم على أيديهم. (٢: ٤١٨)

نحوه النّسفيّ. (٢: ٢٩٣)

الطّبرسيّ: اختُلف في معناه على قولين:

أحدهما: أنّهم لايشركون عبيدهم في أموالهم و أزواجهم حتّى يكونوا فيه سواء، و يرون ذلك نقصًا فلايرضون لأنفسهم به، و هم يشركون عبيدي في ملكي و سلطاني، و يوجّهون العبادة و القرب إليهم، كما يوجّهونها إليّ...

و الثّاني: أنّ معناه: فهؤلاء الّذين فضّلهم الله في الرّزق من الأحرار لايرزقون مماليكهم، بل الله تعالى رازق الملّاك و المماليك، فإنّ الّذي يُنفقه المولى على مملوكه إنّما يُنفقه ممّا رزقه الله تعالى، فالله تعالى رازقهم جميعًا، فهم سواء في ذلك. (٣: ٣٧٣)

الفَخْرالرّازيّ: اعلم أنّ هذا اعتبار حال أخرى من أحوال الإنسان؛ و ذلك أنّا نرى أكيس النّاس و أكثرهم عقلًا و فهمًا يُفني عمره في طلب القدر القليل من الدّنيا، و لايتيسّر له ذلك، و نرى أجهل الخلق و أقلّهم عقلًا و فهمًا تنفتح عليه أبواب الدّنيا، و كلّ شيء خطر بباله و دار في خياله، فإنّه يحصل له في الحال. و لو كان السّبب جهد الإنسان و عقله، لوجب أن يكون الأعقل أفضل في هذه الأحوال، فلمّا رأينا أنّ الأعقل أقلّ نصيبًا، و أنّ الأجهل الأخسّ أوفر نصيبًا، علمنا أنّ ذلك بسبب قسمة القسّام، كما قال تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا﴾ الزّخرف: ٣٢. [ثمّ استشهد بشعر]

و اعلم أنّ هذا التّفاوت غير مختصّ بالمال، بل هو حاصل في الذّكاء و البلادة، و الحُسن و القبح، و العقل و الحمق، و الصّحّة و السّقم، و الاسم الحسن و الاسم القبيح، و هذا بحر لاساحل له. [ثمّ ذكر مصاحبته لبعض الملوك في بعض الأسفار و قال:]

أمّا قوله: ﴿فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلٰى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ ففيه قولان:

القول الأوّل: أنّ المراد من هذا الكلام تقرير ما سبق في الآية المتقدّمة، من أنّ السّعادة و النّحوسة لايحصلان إلّا من الله تعالى، و المعنى: أنّ الموالي و المماليك أنا رازقهم جميعًا، فهم في رزقي سواء، فلايحسبنّ الموالي أنّهم يردّون على مماليكهم من عندهم شيئًا من الرّزق، و إنّما ذلك رزقي أجريته إليهم على أيديهم.

و حاصل القول فيه: أنّ المقصود منه بيان أنّ الرّازق هو الله تعالى، و أنّ المالك لايرزق العبد، بل الرّازق للعبد و المولى هو الله تعالى.

و تحقيق القول: أنّه ربّما كان العبد أكمل عقلًا و أقوى جسمًا و أكثر وقوفًا على المصالح و المفاسد من المولى؛ و ذلك يدلّ على أنّ ذلّة ذلك العبد و عزّة ذلك المولى من الله تعالى، كما قال: ﴿تُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَ تُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾ آل عمران: ٢٦.

و القول الثّاني: أنّ المراد من هذه الآية: الرّدّ على من أثبت شريكًا لله تعالى، ثمّ على هذا القول ففيه وجهان:

الأوّل: أن يكون هذا ردًّا على عبدة الأوثان و الأصنام، كأنّه قيل: إنّه تعالى فضّل الملوك على مماليكهم، فجعل المملوك لايقدر على ملك مع مولاه، فلمّا لم تجعلوا عبيدكم معكم سواء في الملك، فكيف تجعلون هذه الجمادات معي سواء في المعبوديّة؟

و الثّاني: قال ابن عبّاس رضي الله عنهما: نزلت هذه الآية في نصارى نجران، حين قالوا: إنّ عيسى بن مريم ابن الله، فالمعنى أنّكم لاتشركون عبيدكم فيما ملّكتم فتكونوا سواء، فكيف جعلتم عبدي ولدًا لي و شريكًا في الإلهيّة؟ (٢٠: ٧٨)

نحوه النّيسابوريّ. (١٤: ٩٧)

القُرطُبيّ: أي جعل منكم غنيًّا و فقيرًا و حُرًّا و عبدًا. ﴿فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا﴾، أي في الرّزق ﴿بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ اَيْمَانُهُمْ﴾، أي لايردّ المولى على ما ملكت يمينه ممّا رزق شيئًا حتّى يستوي المملوك و المالك في المال. و هذا مثل ضربه الله لعبدة الأصنام. [ثمّ أدام الكلام في تفسير الآية نحو ما تقدّم عن الفخر الرّازيّ] (١٠: ١٤١)

البَيْضاويّ: فمنكم غنيّ و منكم فقير، و منكم موال يتولّون رزقهم و رزق غيرهم، و منكم مماليك حالهم على خلاف ذلك: ﴿فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ﴾ بمعطي رزقهم، ﴿عَلَى مَا مَلَكَتْ اَيْمَانُهُمْ﴾ على مماليكهم، فإنّ ما يردّون عليهم رزقهم الّذي جعله الله في أيديهم، ﴿فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾، فالموالي و المماليك سواء في أنّ الله رزقهم، فالجملة لازمة للجملة المنفيّة أو مقرّرة لها.

و يجوز أن تكون واقعة موقع الجواب، كأنّه قيل: فما الّذين فُضّلوا برادّي رزقهم على ما ملكت أيمانهم فيستووا في الرّزق، على أنّه ردّ و إنكار على المشركين، فإنّهم يُشركون بالله بعض مخلوقاته في الألوهيّة، و لايرضون أن يشاركهم عبيدهم فيما أنعم الله عليهم فيساووهم فيه. (١: ٥٦٢)

الخازن: يعني أنّ الله سبحانه و تعالى بسط على واحد و ضيّق و قتّر على واحد، و كثّر لواحد و قلّل

على آخر، و كما فضّل بعضكم على بعض في الرّزق، كذلك فضّل بعضكم على بعض في الخلق و الخُلق و العقل و الصّحّة و السُّقم و الحُسن و القبح و العلم و الجهل و غير ذلك، فهم متفاوتون و متباينون في ذلك كلّه. و هذا ممّا اقتضته الحكمة الإلهيّة و القدرة الرّبّانيّة.

﴿فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّى رِزْقِهِمْ عَلٰى مَا مَلَكَتْ اَيْمَانُهُمْ﴾، يعني من العبيد حتّى يستووا فيه هم و عبيدهم، يقول الله سبحانه و تعالى: هم لا يرضون أن يكونوا هم و مماليكهم فيما رزقتُهم سواء، و قد جعلوا عبيدي شركائي في ملكي و سلطاني، يلزم بهذه الحجّة المشركين؛ حيث جعلوا الأصنام شركاء لله. [إلى أن قال:]

و المقصود منه بيان أنّ الرّازق هو الله سبحانه و تعالى لجميع خلقه، و أنّ الموالي و المماليك في الرّزق سواء، و أنّ المالك لا يرزق المملوك، بل الرّازق للمماليك و المالك هو الله سبحانه و تعالى. (٤: ٨٥)

نحوه الشِّربينيّ (٢: ٢٤٨)، و أبو السُّعود (٤: ٧٧)، و الشّوكانيّ (٣: ٢٢٣).

أبو حَيّان: و لـمّا ذكر تعالى خلقنا، ثمّ إماتتنا و تفاوتنا في السّنّ، ذكر تفاوتنا في الرّزق، و أنّ رزقنا أفضل من رزق المماليك، و هم بشر مثلنا. و ربّما كان المملوك خيرًا من المولى في العقل و الدّين و التّصرّف، و أنّ الفاضل في الرّزق لا يساهم مملوكه فيما رزق فيساويه، و كان ينبغي أن يردّ فضل ما رزق عليه و يساويه في المطعم و الملبس، كما يُحكى عن أبي ذرّ أنّه رُئي عبده و إزاره و رداؤه مثل ردائه من غير تفاوت، عملًا بقول رسول الله ﷺ: «إنّما هم إخوانكم فاكسوهم ممّا تلبسون، و أطعموهم ممّا تطعمون».

و عن ابن عبّاس و قَتادَة: أنّ الإخبار بقوله: ﴿فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّى رِزْقِهِمْ﴾ على سبيل المثل. [إلى أن قال:]

و قال المفسّرون: هذه الآية كقوله: ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ اَنْفُسِكُمْ﴾ الآية. و قيل: المعنى: أنّ الموالي و المماليك أنا رازقهم جميعًا، فهم في رزقي سواء. فلا تحسبنّ الموالي أنّهم يردّون على مماليكهم من عندهم شيئًا من الرّزق، فإنّما ذلك أجريه إليهم على أيديهم.

و على هذا القول يكون ﴿فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾ جملة إخبار عن تساوي الجميع، في أنّ الله تعالى هو رازقهم، و على القولين الآخرين تكون الجملة في موضع جواب النّفي، كأنّه قيل: فيستووا. و قيل: هي جملة استفهاميّة حُذف منها الهمزة، التّقدير: أفهم فيه سواء؟ أي ليسوا مستوين في الرّزق، بل التّفضيل واقع لا محالة. (٥: ٥١٤)

البُرُوسَويّ: [نحو البَيْضاويّ و أضاف:]

و في «التّأويلات النّجميّة»: فضّل الله الأرواح على القُلوب في رزق المكاشفات و المشاهدات، بعد الفناء و الرّدّ إلى البقاء، و فضّل القلوب على النّفوس في رزق الزّهد و الورع و التّقوى و الصّدق و اليقين و الإيمان و التّوكّل و التّسليم و الرّضى، و فضّل النّفوس على الأبدان في رزق التّزكية و مقاساة شدائد المجاهدات و الصّبر على المصائب و البلايا و حمل

أعباء الشّريعة، بإشارات الطّريقة و تبديل الأخلاق الذّميمة بالحميدة، و فضّل أبدان المؤمنين على أبدان الكافرين في رزق الأعمال الّتي هي أركان الشّريعة، و قراءة القرآن و الذّكر باللّسان مُشرفة بإخلاص بالجنان ﴿فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا﴾، أي فليس الموالي الّذين فُضّلوا في الرّزق على المماليك ﴿بِرَادِّي رِزْقِهِمْ﴾، أي بمعطي رزقهم الّذي رزقهم إيّاه. (٥:٥٦)

الآلوسيّ: أي جعلكم متفاوتين فيه فأعطاكم منه أفضل ممّا أعطى مماليككم، ﴿فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا﴾ فيه على غيرهم و هم المُلّاك، ﴿بِرَادِّي﴾، أي بمعطي ﴿رِزْقِهِمْ﴾ الّذي رزقهم إيّاه ﴿عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ على مماليكهم الّذين هم شركاؤهم في المخلوقيّة و المرزوقيّة، ﴿فَهُمْ﴾، أي الملّاك الّذين فُضّلوا و المماليك ﴿فِيهِ﴾، أي في الرّزق ﴿سَوَاءٌ﴾، لاتفاضل بينهم. (١٤:١٨٨)

ابن عاشور: هذا من الاستدلال على أنّ التّصرّف القاهر للّه تعالى: و ذلك أنّه أعقب الاستدلال بالإحياء و الإماتة، و ما بينهما من هرم بالاستدلال بالرّزق. و لـمّا كان الرّزق حاصلًا لكلّ موجود بني الاستدلال على التّفاوت فيه بخلاف الاستدلال بقوله تعالى: ﴿وَ اللّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّيكُمْ﴾ النّحل: ٧٠.

و وجه الاستدلال به على التّصرّف القاهر أنّ الرّزق حاصل لجميع الخلق، و أنّ تفاضل النّاس فيه غير جارٍ على رغباتهم و لاعلى استحقاقهم، فقد تجد أكيس النّاس و أجودهم عقلًا و فهمًا مقتّرًا عليه في الرّزق، و بضدّه ترى أجهل النّاس و أقلّهم تدبيرًا موسّعًا عليه في الرّزق، و كلا الرّجلين قد حصل له ما حصل قهرًا عليه، فالمقتّر عليه لايدري أسباب التّقتير، و الموسّع عليه لايدري أسباب تيسير رزقه، ذلك لأنّ الأسباب كثيرة متوالدة و متسلسلة و متوغّلة في الخفاء، حتّى يظنّ أنّ أسباب الأمرين مفقودة، و ما هي بمفقودة و لكنّها غير محاط بها. و ممّا ينسب إلى الشّافعيّ:

و من الدّليل على القضاء و كونه
بؤس اللّبيب و طيب عيش الأحمق

و لذلك أُسند التّفضيل في الرّزق إلى اللّه تعالى، لأنّ أسبابه خارجة عن إحاطة عقول البشر، و الحكيم لايستفزّه ذلك، بعكس قول ابن الرّاونديّ:

كم عاقلٍ عاقلٍ أعيت مذاهبه
و جاهلٍ جاهلٍ تلقاه مرزوقا
هذا الّذي ترك الأوهام حائرةً
و صيّر العالم النّحرير زنديقا

و هذا الحكم دلّ على ضعف قائله في حقيقة العلم فكيف بالنّحريريّة؟.

و تفيد وراء الاستدلال معنى الامتنان لاقتضائها حصول الرّزق للجميع. (١٣:١٧١)

الطّباطبائيّ: فضّل بعض النّاس على بعض في الرّزق، و هو ما تبقى به الحياة، ربما كان من جهة الكمّيّة كالغنيّ المفضّل بالمال الكثير على الفقير، و ربما كان من جهة الكيفيّة، كأن يستقلّ بالتّصرّف فيه بعضهم و يتولّى أمر الآخرين، مثل ما يستقلّ المولى الحرّ بملك ما في يده و التّصرّف فيه، بخلاف عبده الّذي

ليس له أن يتصرّف في شيء إلّا بإذنه، و كذا الأولاد الصّغار بالنّسبة إلى وليّهم، و الأنعام و المواشي بالنّسبة إلى مالكها.

و قوله: ﴿فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ قرينة على أنّ المراد هو القسم الثّاني من التّفضيل، و هو أنّ بعضهم فُضّل بالحرّيّة والاستقلال بملك ما رزق، و ليس يختار أن يردّ ما رزق باستقلاله و حرّيّته إلى من يملكه و يملك رزقه، و لا أن يبذل له ما أُوتيه من نعمة حتّى يتساويا و يتشاركا، فيبطل ملكه و يذهب سُؤدده.

فهذه نعمة ليسوا بمعضين عنها و لا برادّين لها على غيرهم، و ليست إلّا من الله سبحانه، فإنّ أمر المولويّة و الرّقّيّة و إن كان من الشّؤون الاجتماعيّة الّتي ظهرت عن آراء النّاس و السُّنن الاجتماعيّة الجارية في مجتمعاتهم، لكن له أُصول طبيعيّة تكوينيّة، هي الّتي بعثت آراءهم على اعتباره، كسائر الأُمور الاجتماعيّة العامّة. (١٢: ٢٩٤)

عبدالكريم الخطيب: هذا التّفاوت بين النّاس، فيما فضّل الله به بعضهم على بعض في الرّزق، يُشير إشارة صريحة إلى أنّه ينبغي أن يكون هناك تفاوت بين الخالق و المخلوق.

ذلك أنّه إذا كان النّاس و هم من صنعة الخالق، لم يطبعهم الله سبحانه و تعالى على صورة واحدة، و لم يُقمهم في الحياة على درجة واحدة، بل خالف بينهم في الصّورة و اللّون، ففيهم الوسيم و الدّميم، و الطّويل و القصير، و الأبيض و الأسود، كذلك قسّم لله معيشتهم في الدّنيا، فجعل فيهم الغنيّ و الفقير، و المالك و المملوك، فكيف يُسوّغ بعد هذا أن يسوّي بين الخالق و ما خلق؟

فهؤلاء الّذين وسّع الله لهم في الرّزق، و ملأ أيديهم من الجاه و المال و السّلطان، أن يكون منهم من يردّ ما بين يديه من مال و متاع على من تحت يده من عبيد و إماء، حتّى يسوّي بينه و بينهم في المأكل و المشرب، و الملبس، و في كلّ مظاهر الحياة؛ ذلك ما لا يكون. و إن كان شيء منه، فهو واقع في صورة لا تُزيل الفارق بينه و بين من تحت يده، و إن ارتفع بهم شيئًا قليلًا فكيف يسوغ هذا الضّلال لعقل هؤلاء الّذين يجعلون لله أندادًا يُسوّونهم به و هم صنعة يده و غذيّ نعمته؟ (٧: ٣٢٨)

مكارم الشّيرازيّ: سبب اختلاف الأرزاق:

بيّنت الآيات السّابقة قسمًا من النّعم الإلهيّة المجعولة في عالمي النّبات و الحيوان، لتكون دليلًا حسّيًّا على معرفته جلّ شأنه، و تواصل هذه الآيات مسألة إثبات الخالق جلّ و علا بأسلوب آخر؛ و ذلك بأنّ تغيير النّعم خارج عن اختيار الإنسان، و ذلك كاشف بقليل من الدّقّة و التّأمّل على وجود المقدّر لذلك. فيبتدأ القول بـ ﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفّيكُمْ﴾.

فمنه الممات كما كانت الحياة منه، و لتعلموا بأنّكم لستم خالقين لأيّ من الطّرفين الحياة و الموت.

و مقدار عمركم ليس باختياركم أيضًا، فمنكم من يموت في شبابه أو في كهولته ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾، و نتيجة هذا العمر الموغل في سني الحياة

﴿لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾.

فيكون كما كان في مرحلة الطّفولـة مـن الغفلـة و النّسيان و عدم الفهم. نعم فـ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ فكلّ القدرات بيده جلّ و عـلا، و عطـاؤه بمـا يوافـق الحكمة و المصلحة، و كذا أخذه لايكـون إلّا عنـد مـا يلزم ذلك.

و يواصل القرآن الكريم استدلاله في الآية التّالية من خلال بيان أنّ مسـألة الرّزق ليست بيـد الإنسـان، و إنّما ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ...﴾ فأصحاب الثّروة و الطّـول غـير مسـتعدّين لإعطـاء عبيدهم منها و مشاركتهم فيها، خوفًا أن يكونوا معهـم على قدم المساواة: ﴿فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾.

و احتمل بعض المفسّرين أنّ الآية تُشير إلى بعض أعمال المشركين النّاتجة عن حماقتهم، حينمـا كـانوا يجعلون لآلهتهم مـن الأصـنام سـهمًا مـن مواشـيهم و محاصيلهم الزّراعيّة، بالرّغم من عدم وجود أيّ أثـر لتلك الأحجار و الأخشاب علـى حيـاتهم، بـل كـان الأولى بهم لو التفتوا إلى خدمهم و عبيدهم، ليعطـوهم شيئًا جزاء ما يقدّمونه لهم من خدمات ليل نهار.

هل التّفاضل في الرّزق من العدالة؟

و هنا يواجهنا سؤال يطرح نفسـه: هـل أنّ إيجـاد التّفاوت و الاختلاف في الأرزاق بين النّاس، ينسـجم مع عدالة الله عزّ و جلّ و مسـاواته بـين خلقـه، الّـتي ينبغي أن تحكم نظام المجتمع البشري؟

لأجل الإجابة ينبغـي الالتفـات إلى الملاحظـتين التّاليتين:

١ ـ أنّ الاختلاف الموجود بـين البشـر في جانـب الموارد المادّيّة، يرتبط بالتّباين النّاشـئ بـين النّـاس، جزاء اختلاف استعداداتهم و قابليّتهم من واحد لآخر. و التّفـاوت في الاسـتعدادين الجسـميّ و الرّوحـيّ يسـتلزم الاخـتلاف في مقـدار و نوعيّـة الفعّاليّـة الاقتصاديّة للأفراد، ممّا يؤدّي إلى زيـادة وارد بعـض و قلّة وارد البعض الآخر.

و لاشكّ أنّ بعض الحوادث و الاتّفاقات لها دخـل في إثراء بعض النّاس، إلّا أنّه لايمكن أن نعـوّل عليهـا عند البحث، لأنّها ليست أكثر من استثناء. أمّا الضّابط في أكثر الحـالات، فهـو التّفـاوت الموجـود في كمّيّـة و كيفيّة السّعي، و من الطّبيعيّ أنّ بحثنا يتناول المجتمـع السّليم و البعيد عن الظّلم و الاستغلال، و لانقصـد بـه تلك المجتمعات المنحرفة الّتي تركت قـوانين التّكـوين و النّظام الإنسانيّ جانبـا، و انزلقـت في طـرق الظّلـم و الاستغلال.

و قد يساورنا التّعجّب حينما نجد بعض الفاقـدين لأيّ مؤهّل أو استعداد يتمتّعون بـرزق وافـر و جيّـد، و لكنّنا عند ما نتجرّد عن الحكم من خـلال الظّـواهر و نتوغّل في أعمـاق مميّـزات ذلـك الـبعض جسـميًّا و نفسيًّا و أخلاقيًّا، نجـد أنّهـم يتمتّعـون بنقـاط قـوّة أوصلتهم إلى ذلك. و نُكرّر القول بأنّ بحثنا ضمن إطار مجتمع سليم خال من الاستغلال.

و على أيّة حال، فالتّفاوت بين دخل الأفراد ينبـع من التّفـاوت في الاسـتعدادات، و هـو مـن المواهـب

و النّعم الإلهيّة أيضًا، و إن أمكن أن يكون بعض ذلك اكتسابيًّا، فالبعض الآخر غير اكتسابيّ قطعًا. فإذن وجود التّفاوت في الأرزاق أمر غير قابل للإنكار من النّاحية الاقتصاديّة، و يتمّ ذلك حتّى داخل المجتمعات السّليمة، إلّا إذا افترضنا وجود مجموعة أفراد كلّهم في هيئة واحدة، من حيث الشّكل و اللّون و الاستعداد، و لا يعتريهم أيّ اختلاف. و إذا ما افترضنا حدوث ذلك، فإنّه بداية المشاكل و الويلات. [ثمّ أطال الكلام في اختلاف الاستعدادات إلى أن قال:]

أسباب الرّزق

على الرّغم ممّا ذكر بخصوص التّفاوت من حيث الاستعداد و المواهب عند النّاس، إلّا أنّ أساس النّجاح يكمن في السّعي و المثابرة و الجدّ. فالأكثر سعيًا أكثر نجاحًا في الحياة، و العكس صحيح.

و لهذا جعل القرآن الكريم ارتباطًا بين ما يحصل عليه الإنسان و بين سعيه، فقال بوضوح: ﴿وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعٰى﴾ النّجم: ٣٩.

و من الأمور المهمّة و المؤثّرة في مسألة استحصال الرّزق: الالتزام بالمبادئ من قبيل: التّقوى، الأمانة، إطاعة القوانين الإلهيّة، و الالتزام بأصول العدل، كما أشارت إلى ذلك الآية: ٩٦، من سورة الأعراف: ﴿وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرٰى اٰمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ﴾.

و كما في الآيتين: ٢ و ٣ من سورة الطّلاق: ﴿وَ مَنْ يَتَّقِ اللّٰهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾.

و كما أشارت الآية: ١٧، من سورة التّغابن إلى خصوص أثر الإنفاق في سعة الرّزق: ﴿إِنْ تُقْرِضُوا اللّٰهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ﴾.

و لعلّنا لا حاجة لنا إلى التّذكير أنّ فقدان فرد أو جمع من النّاس يضرّ بالمجتمع، و لهذا فحفظ سلامة الأفراد و إعانتهم يعود بالنّفع على كلّ النّاس بغضّ النّظر عن الجوانب الإنسانيّة و الرّوحيّة لذلك.

و خلاصة القول: إنّ اقتصاد المجتمع إن بُني على أُسس التّقوى و الصّلاح و التّعاون و الإنفاق، فالنّتيجة أنّ ذلك المجتمع سيكون قويًّا مرفوع الرّأس. أمّا لو بُني على الاستغلال و الظّلم و الاعتداء، و عدم الاهتمام بالآخرين، فسيكون المجتمع متخلّفًا اقتصاديًّا، و تتلاشى فيه أواصر الحياة الاجتماعيّة.

و لذلك فقد أعطت الأحاديث و الرّوايات أهمّيّة استثنائيّة للسّعي في طلب الرّزق المصحوب بالتّقوى، و حتّى روي عن الإمام الصّادق عليه السلام أنّه قال: «لا تكسلوا في طلب معايشكم، فإنّ آباءنا كانوا يركضون فيها و يطلبونها».

و روي عنه أيضًا: «الكادّ على عياله كالمجاهد في سبيل اللّه».

و حتّى أنّ الأمر قد وُجّه إلى المسلمين بالتّبكير في الخروج لطلب الرّزق، و ذُكر أنّ من جملة من لا يستجاب لهم الدّعاء أولئك الّذين تركوا طلب الرّزق على ما لهم من استطاعة، و انزووا في زوايا بيوتهم، يدعون اللّه أن يرزقهم!

و هنا يتبادر إلى الذّهن تساؤل عن الآيات

القرآنيّة و الرّوايات الّتي تؤكّد أنّ الرّزق بيد الله، و ذمّ السّعي فيه، فكيف يتمّ تفسير ذلك؟

و للإجابة نذكر الملاحظتين التّاليتين:

١ ـ دقّة النّظر و التّحقّق في المصادر الإسلاميّة يُوضّح أنّ الآيات أو الرّوايات الّتي يبدو التّضادّ في ظاهر ألفاظها، سواء في هذا الموضوع أو غيره، إنّما ينتج من النّظرة البسيطة السّطحيّة، لأنّ حقيقة تناولها لموضوع ما إنّما يشمل جوانب متعدّدة من الموضوع، فكلّ آية أو رواية إنّما تنظر إلى بُعْد معيّن من أبعاد الموضوع، فتوهّم غير المتابع بوجود التّضادّ.

فحيث يسعى النّاس بولع و حرص نحو الدّنيا و زخرف الحياة المادّيّة، و يقومون بارتكاب كلّ منكر للوصول إلى ما يريدونه، تأتي الآيات و الرّوايات لتوضّح لهم تفاهة الدّنيا، و عدم أهمّيّة المال. و إذا ما ترك النّاس السّعي في طلب الرّزق بحجّة الزّهد، تأتيهم الآيات و الرّوايات لتبيّن لهم أهمّيّة السّعي و ضرورته.

فالقائد النّاجح و المرشد الرّشيد هو الّذي يتمكّن من منع انتشار حالتي الإفراط و التّفريط في مجتمعه.

فغاية الآيات و الرّوايات الّتي تؤكّد أنّ الرّزق بيد الله، هي غلق أبواب الحرص و الشّره، و حبّ الدّنيا، و السّعي بلاضوابط شرعيّة، و ليس هدفها إطفاء شعلة الحيويّة و النّشاط في الأعمال و الاكتساب، وصولًا إلى حياة كريمة و مستقلّة.

و بهذا يتّضح تفسير الرّوايات الّتي تقول: إنّ كثيرًا من الأرزاق إن لم تطلبوها تطلبكم.

٢ ـ إنّ كلّ شيء من النّاحية العقائديّة تنتهي نسبته إلى الله عزّ و جلّ، و كلّ موحّد يعتقد أنّ منبع و أصل كلّ شيء منه سبحانه و تعالى، و يُردّد ما تقوله الآية: ٢٦، من سورة آل عمران: ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ اِنَّكَ عَلٰى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

و ينبغي عدم الغفلة عن هذه الحقيقة، و هي أنّ كلّ شيء من سعي الإنسان و نشاطه و فكره و خلّاقيّته إنّما هي في حقيقتها من الله عزّ و جلّ.

و لو توقّف لطف الله ـ فرضًا ـ عن الإنسان و لو للحظة واحدة، لما كان ثمّة شيء اسمه الإنسان.

و يقول الإنسان الموحّد حينما يركب وسيلة: ﴿سُبْحَانَ الَّذِى سَخَّرَ لَنَا هٰذَا﴾ الزّخرف: ١٣. و عند ما يحصل على نعمة ما، يقول: «و ما بنا من نعمة فمنك».

و يقول عند ما يخطو في سبيل الإصلاح، كما هو حال الأنبياء في طريق هدايتهم للنّاس: ﴿وَمَا تَوْفِيقِى اِلَّا بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَاِلَيْهِ اُنِيبُ﴾ هود: ٨٨.

و إلى جانب كلّ ما ذُكر، فالسّعي و العمل الصّحيح البعيد عن أيّ إفراط أو تفريط، هو أساس كسب الرّزق، و ما يوصل إلى الإنسان من رزق بغير سعي و عمل، إنّما هو ثانويّ فرعيّ و ليس بأساسيّ. و لعلّ هذا الأمر هو الّذي دفع أمير المؤمنين عليه السلام في كلماته القصار إلى تقديم ذكر الرّزق الّذي يطلبه الإنسان على الرّزق الّذي يطلب الإنسان، حيث قال: «يا ابن آدم الرّزق رزقان: رزق تطلبه، و رزق يطلبك».

(٨: ٢٢٦)

فضل الله: ﴿وَاللّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلٰى بَعْضٍ فِى الرِّزْقِ﴾، فلكلّ واحد منكم قدرته الذّاتيّة الّتي قد

تختلف عن قدرة غيره. و ربّما تكون فُرَص الإنتاج لدى شخص، مختلفة عن الفُرَص الموجودة لدى شخص آخر. و هكذا تختلف ساحة العمل و مراحله و علاقاته و أوضاعه، ممّا قد يساهم في حصول بعض النّاس على رزق أكثر سعةً من بعضهم الآخر. و بذلك يتفاضل النّاس في الرّزق، فيُصبح بعضهم غنيًّا و بعضهم الآخر فقيرًا، تبعًا لحركة الأسباب و المسبّبات في ذلك.

و بذلك لاتكون المسألة خارجة عن عنصر الاختيار لدى الإنسان بشكل مطلق، بل قد يكون ذلك اختياريًّا في بعض حالاته، كمن يملك إمكانيّة العمل فلايعمل، أو كمن تتوفّر له الظّروف الملائمة للإنتاج فلاينتهزها، و قد لايكون اختياريًّا، كمن وضعته الظّروف في دائرة ضيّقة لايستطيع الخروج منها، أو كمن يتحرّك في دائرة واسعة تسمح له بالامتداد، أو تحقّق له الغنى بطريقة حتميّة.

و هكذا تكون مسألة الرّزق خاضعة للنّظام الكونيّ الّذي أراد الله للإنسان أن يتحرّك فيه، على أساس الحكمة. و تلك هي الحقيقة الكونيّة الّتي أقام الله الحياة عليها؛ حيث تحكم قاعدة التّنوّع و التّفاضل في كلّ دوائر الوجود الحيّة و الجامدة. و لكنّه لم يترك للقاعدة التّكوينيّة أن تحكم الإنسان بشكل قدريّ، يحوّل الفقر و الغنى إلى معيار تتحدّد على أساسه قيمة الذّات، بل وضع نظامًا تشريعيًّا يخلق التّوازن بينهما على خطّ العدالة، فجعل للفقير حقًّا في مال الغنيّ لاهدر لكرامته في أخذه، كما جعل العطاء فريضة على الغنيّ لاامتياز له فيه.

و لكن هذا الحديث كلّه ليس ما تريد الآية أن تُثيره و تُفيض فيه، بل هو مقدّمة لحديث آخر يتعلّق بحركة العقيدة في وعي الإنسان، لقضيّة التّوحيد لله ﴿فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾، أي فإذا كان الله قد فضّل بعض النّاس على بعض في الرّزق، فإنّ الّذين فُضّلوا لايقبلون بالتّنازل عمّا يملكونه من امتيازات لمن ملكوه من عبيد و إماء، ليكونوا سواء في ذلك، فكيف يمكن أن تساووا الله الّذي يملك القدرة كلّها بهؤلاء الشّركاء الّذين تدعونهم من دون الله، الّذي لايملكون شيئًا معه؟! هذا أحد الوُجُوه الّتي ذُكرت في تفسير هذه الفقرة من الآية. [ثمّ نقل كلام الزّمخشريّ و أضاف:]

و لكن مدلول منطوق الآية ليس ظاهرًا في ذلك كلّه، لأنّ كلّ ما جاء فيه هو أنّ الّذين فضّلهم الله على الآخرين في الرّزق، ليسوا مستعدّين للتّنازل عمّا فضّلهم الله به، إلى هؤلاء الّذين فضّلهم الله عليهم، و جعلهم مملوكين لهم، ليتساووا معهم في الرّزق، أو أنّ المسألة تمثّل حالة طبيعيّة في استمرار هذا التّفضيل، في ما يعيشه هؤلاء من شعور و امتياز، ممّا يحملهم على المحافظة على ما هم فيه بعدم التّنازل عنه للطّبقات الأُخرى. و بذلك تكون الآية واردة في الحديث عن تأكيد هذه النّعمة، للإيحاء بضرورة الشّعور بقيمتها في حياة الإنسان، لأنّ الغفلة عنها، نظريًّا أو عمليًّا، يُعتبر جحودًا للنّعمة، لايريد الله لعباده أن يعيشوه في سلوكهم العقيديّ العامّ. (١٣: ٢٥٨)

٣ـ ﴿اَللهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ اِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ العنكبوت: ٦٢

القُشَيْريّ: الرّزق على قسمين: رزق الظّواهر و منه الطّعام و الشّراب، و رزق السّرائر و منه الاستقلال بالمعاني؛ بحيث لايحصره تكلّف الكلام، و النّاس فيهم مرزوق و مرفّه عليه، و فيهم مرزوق و لكن مضيّق عليه. (٥: ١٠٤)

الفَخْرالرّازيّ: لـمّا بيّن الخلق ذكر الرّزق، لأنّ كمال الخلق ببقائه و بقاء الإنسان بالرّزق. فقال: المعبود إمّا أن يُعبَد لاستحقاقه العبادة، و هذه الأصنام ليست كذلك و الله مُستحقّها، و إمّا لكونه على الشّأن، و الله الّذي خلق السّماوات على الشّأن جليّ البرهان فله العبادة، و إمّا لكونه وليّ الإحسان، و الله يرزق الخلق، فله الطّول و الإحسان و الفضل و الامتنان، فله العبادة من هذا الوجه أيضًا. (٢٥: ٨٩)

البُرُوسَويّ: قد ذكر الله تعالى آية الرّزق، ثمّ آية التّوحيد، ثمّ كرّرهما في صورتين أخريين تنبيهًا منه لعباده المؤمنين، على أنّه سبحانه لايقطع أرزاق الكفّار مع وجود الكفر و المعاصي، فكيف يقطع أرزاق المؤمنين مع وجود الإيمان و الطّاعات؟. [ثمّ استشهد بشعر و قال:]

و أنّه سبحانه لايسأل من العباد إلّا التّوحيد و التّقوى و التّوكّل، فإنّما الرّزق على الله الكريم، و قد قدّر مقادير الخلق قبل خلق السّماوات و الأرض بخمسين ألف سنة، و ما قدّر في الخلق و الرّزق و الأجل لايتبدّل بقصد القاصدين؛ ألاترى إلى الوحوش و الطّيور لاتدّخر شيئًا إلى الغد، تغدو خماصًا و تروح بطانًا، أي ممتلئة البطون و الحواصل، لاتّكالها على الله تعالى بما وصل إلى قلوبها من نور معرفة خالقها، فكيف يهتمّ الإنسان لأجل رزقه و يدّخر شيئًا لغده، و لايعرف حقيقة رزقه و أجله؟ فربّما يأكل ذخيرته غيره و لايصل إلى غده، و لذلك كان ﷺ لايدّخر شيئًا لغد؛ إذ الأرزاق مجدّدة كالأنفاس المجدّدة في كلّ لحة، و الرّزق يطلب الرّجل كما يطلبه أجله. (٦: ٤٨٩)

ابن عاشور: هذا إلزام آخر لهم بإبطال شركهم و افتضاح تناقضهم، فإنّهم كانوا معترفين بأنّ الرّازق هو الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْاَرْضِ اَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْاَبْصَارَ﴾ إلى قوله: ﴿فَسَيَقُولُونَ اللهُ فَقُلْ اَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ في سورة يونس: ٣١، و إنّما جاء أسلوب هذا الاستدلال مخالفًا لأسلوب الّذي قبله و الّذي بعده، فعدل عن تركيب ﴿وَلَئِنْ سَاَلْتَهُمْ﴾ العنكبوت: ٦١، تفنّنًا في الأساليب لتجديد نشاط السّامع. و أدمج في الاستدلال على انفراده تعالى بالرّزق التّذكير بأنّه تعالى يرزق عباده على حسب مشيئته، دليلًا على أنّه المختار في تصرّفه، و ليس ذلك على مقادير حاجاتهم، و لاعلى ما يبدو من الانتفاع بما يرزقونه.

و بسط الرّزق: إكثاره، و قدره: تقليله و تقتيره. و المقصود: أنّه الرّازق لأحوال الرّزق. و قد تقدّم في قوله تعالى: ﴿اَللهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ في سورة الرّعد: ٢٦، فجاءت هذه الآية على وزان قوله:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ الرّوم: ٣٧، فجمع بين ضمير المشركين في أوّلها، و بين كون الآيات للمؤمنين في آخرها.

و تقديم المسند إليه على الخبر الفعليّ في قوله: ﴿اَللهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ لإفادة الاختصاص، أي الله لاغيره يبسط الرّزق و يقدر. و التّعبير بالمضارع لإفادة تجدّد البسط و القدر. (٢٠: ١٩٨)

٤ـ وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلٰكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ... الشّورى: ٢٧

قَتادَة: خير الرّزق ما لايُطغيك و لايُلهيك. (الطّبَريّ ١١: ١٤٩)

مُقاتِل: لو وسّع الله الرّزق لعباده في ساعة واحدة ﴿لَبَغَوْا﴾، يعني لعصوا. (٣: ٧٧٠)

الطّبَريّ: ذكر أنّ هذه الآية نزلت من أجل قوم من أهل الفاقة من المسلمين، تمنّوا سعة الدّنيا و الغنى، فقال جلّ ثناؤه: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ﴾ فوسّعه و كثّره عندهم ﴿لَبَغَوْا﴾، فتجاوزوا الحدّ الّذي حدّه الله لهم، إلى غير الّذي حدّه لهم في بلاده، بركوبهم في الأرض ما حظره عليهم، و لكنّه يُنزّل رزقهم بقدر لكفايتهم الّذي يشاء منه. (١١: ١٤٩)

المَيْبُديّ: معنى الآية: لو رزق الله العباد من غير كسب و تفرّغوا عن المعاش و الكسب لطغوا و بغوا و سعوا في الأرض فسادًا، و لكن شغلهم بالكسب و المعاش رحمة منه و امتنانًا. (٩: ٢٧)

ابن عَطيّة: فأعلمهم الله تعالى أنّه لو جاء الرّزق على اختيار البشر و اقتراحهم، لكان سبب بغيهم و إفسادهم، و لكنّه تعالى أعلم بالمصلحة في كلّ أحد، و له بعبيده خُبْرَة و بصر بأخلاقهم و مصالحهم، فهو يُنزل لهم من الرّزق القدر الّذي به صلاحهم، فربّ إنسان لايصلح و لاتكتف عاديته إلّا بالفقر، و آخر بالغنى. (٥: ٣٦)

ابن عاشور: و معنى الآية: لو جعل الله جميع النّاس في بسطة من الرّزق لاختلّ نظام حياتهم ببغي بعضهم على بعض، لأنّ بعضهم الأغنياء تُحدّثه نفسه بالبغي، لتوفّر أسباب العُدْوان كما علمت، فيجد من المبغيّ عليه المقاومة و هكذا، و ذلك مُفض إلى اختلال نظامهم. و بهذا تعلم أنّ بسط الرّزق لبعض ـ العباد كما هو مشاهد ـ لايُفضي إلى مثل هذا الفساد، لأنّ الغنى قد يصادف نفسًا صالحة و نفسًا لها وازع من الدّين، فلايكون سببًا للبغي. فإن صادف نفسًا خبيثة لاوازع لها، فتلك حالة نادرة، هي من جملة الأحوال السّيّئة في العالم، و لها ما يقاومها في الشّريعة، و فصل القضاء، و غيرة الجماعة، فلايُفضي إلى فساد عامّ و لاإلى اختلال نظام. (٢٥: ١٥٥)

مَغْنيّة: لقد أناط سبحانه أرزاق العباد بكسبهم و عملهم، لابإرادتهم و أهوائهم، و إلّا عمّت الفوضى، و تفرّغوا للفساد في الأرض. ﴿وَلٰكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ﴾، أي برزقه على قدر عمله، و قد يرزق سبحانه الكثير من العمل القليل، أو القليل من العمل الكثير، لحكمة هو بها أعلم. أمّا الثّراء عن طريق الحرام

كالغشّ و السّلب و النّهب، فهو من رزق الشّيطان، لامن عطاء الرّحمان، كيف و قد توعّد صاحبه بعذاب أليم؟. (٦: ٥٢٥)

الطّباطبائيّ: في قوله: ﴿وَ لٰكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ﴾ بيان للسّنّة الإلهيّة في إيتاء الرّزق بالنّظر إلى صلاح حال النّاس، أي أنّ لصلاح حالهم أثرًا في تقدير أرزاقهم، و لاينافي ذلك ما نشاهد من طغيان بعض المثرين و غناء رزقهم على ذلك، فإنّ هناك سنّة أُخرى حاكمة على هذه السّنّة، و هي سنّة الابتلاء و الامتحان، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَ أَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ التّغابن: ١٥، و سنّة أُخرى هي سنّة المكر و الاستدراج، قال تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَايَعْلَمُونَ وَ أُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ الاعراف: ١٨٣.

فسنّة الإصلاح بتقدير الرّزق سنّة ابتدائيّة يصلح بها حال الإنسان، إلّا أن يمتحنه الله كما قال: ﴿وَ لِيَبْتَلِيَ اللهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَ لِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ آل عمران: ١٥٤، أو يغيّر النّعمة و يكفر بها، فيغيّر الله في حقّه سنّته فيُعطيه ما يُطغيه، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لَايُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتّٰى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ الرّعد: ١١.

و كما أنّ إيتاء المال و البنين و سائر النّعم الصّوريّة من الرّزق المقسوم، كذلك المعارف الحقّة و الشّرائع السّماويّة المنتهية إلى الوحي من حيث إنزالها و من حيث الابتلاء بها و التّلبّس بالعمل بها من الرّزق المقسوم.

فلو نزلت المعارف و الأحكام عن آخرها دفعةً واحدةً على ما لها من الإحاطة و الشّمول لجميع شؤون الحياة الإنسانيّة، لشقّت على النّاس و لم يؤمن بها إلّا الأوحديّ منهم، لكنّ الله سبحانه أنزلها على رسوله ﷺ تدريجًا و على مكث، و هيّأ بذلك النّاس بقبول بعضها لقبول بعض، قال تعالى: ﴿وَ قُرْاٰنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلٰى مُكْثٍ﴾ الإسراء: ١٠٦.

و كذا المعارف العالية الّتي هي في بطون المعارف السّاذجة الدّينيّة لو لم يضرب عليها بالحجاب، و بيّنت لعامّة النّاس على حدّ الظّواهر المبيّنة لهم، لم يتحمّلوها و دفعته أفهامهم إلّا الأوحديّ منهم، لكنّ الله سبحانه كلّمهم في ذلك نوع تكليم يستفيد منه كلّ على قدر فهمه وسعة صدره، كما قال في مثل ضربه في ذلك: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾ الرّعد: ١٧.

و كذلك الأحكام و التّكاليف الشّرعيّة، لو كلّف بجميعها جميع النّاس لتحرّجوا منها ولم يتحمّلوها، لكنّه سبحانه قسّمها بينهم حسب تقسيم الابتلاءات المقتضية، لتوجّه التّكاليف المتنوّعة بينهم.

فالرّزق بالمعارف و الشّرائع من أيّ جهة فرض كالرّزق الصّوريّ مفروز بين النّاس مقدّر على حسب صلاح حالهم. (١٨: ٥٦)

رِزْقُهُ

﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَ مَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا اٰتٰيهُ اللهُ...﴾ الطّلاق: ٧

ابن عبّاس: معيشته. (٤٧٦)

ابن عاشور: و معنى ﴿قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾ جعل رزقه مقدورًا، أي محدودًا بقدر معيّن، و ذلك كناية عن التّضييق و ضدّه ﴿يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ المؤمن: ٤٠، يقال: قدر عليه رزقه، إذا قتّره، قال تعالى: ﴿اَللّٰهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَ يَقْدِرُ﴾، و تقدّم في سورة الرّعد: ٢٦، أي من كان في ضيق من المال فلينفق بما يسمح به رزقه بالنّظر إلى الوفاء بالإنفاق و مراتبه في التّقديم. [إلى أن قال:]

و الرّزق: اسم لما ينتفع به الإنسان في حاجاته، من طعام و لباس و متاع و منزل، سواء كان أعيانًا أو أثمانًا. و يطلق الرّزق كثيرًا على الطّعام، كما في قوله تعالى: ﴿وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ آل عمران: ٣٧. (٢٨: ٢٩٦)

رِزْقُهُمْ

لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَ لَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَ عَشِيًّا. مريم: ٦٢

الطّبريّ: و لهم طعامهم و ما يشتهون من المطاعم و المشارب، في قدر وقت البُكرة و وقت العشيّ، من نهار أيّام الدّنيا، و إنّما يعني أنّ الّذي بين غدائهم و عشائهم في الجنّة قدر ما بين غداء أحدنا في الدّنيا و عشائه، و كذلك ما بين العشاء و الغداء، و ذلك لأنّه لا ليل في الجنّة و لا نهار. (٨: ٣٥٨)

القُشَيْريّ: ثمّ إنّ الأرزاق تختلف في الجنّة، فللأشباح رزق من مطعوم و مشروب، و للأرواح رزق من سماع و شهود، و لكلّ على قدر استحقاقه قسط معلوم. (٤: ١٠٧)

ابن عاشور: و الرّزق: الطّعام، و جيء بالجملة الاسميّة للدّلالة على ثبات ذلك و دوامه، فيفيد التّكرّر المستمرّ، و هو أخصّ من التّكرّر المفاد بالفعل المضارع و أكثر. و تقديم الظّرف للاهتمام بشأنهم، و إضافة رزق إلى ضمير «هم» لزيادة الاختصاص. (١٦: ٦١)

رِزْقُهَا

وَ مَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْاَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا وَ يَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَ مُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ. هود: ٦

مُجاهِد: ما جاءها من رزق فمن الله، و ربّما لم يرزقها حتّى تموت جوعًا، و لكن ما كان من رزق فمن الله. (الطّبريّ ٧: ٣)

الطّبَريّ: يقول: إلّا و من الله رزقها، الّذي يصل إليها هو به متكفّل، و ذلك قوتها و غذاؤها و ما به عيشها. (٧: ٣)

الثّعلبيّ: غذاؤها و قوتها، و هو المتكفّل بذلك فضلًا لا وجوبًا. و قال بعضهم: (عَلَى) بمعنى «مِنْ»، أي من الله رزقها. (٥: ١٥٨)

نحوه المَيْبُديّ. (٤: ٣٥٣)

الطّوسيّ: أخبر الله تعالى أنّه ليس في الأرض دابّة إلّا و الله تعالى متكفّل برزقها. (٥: ٥١٧)

القُشَيْريّ: أراح القلوب من حيرة التّقسيم و الأفكار من نصب التّفكير في باب الرّزق؛ حيث قال: ﴿إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا﴾ فسكنت القلوب لمّا تحقّقت أنّ الرّزق على الله.

و يقال: إذا كان الرّزق على الله، فصاحب

الحانوت في غلط من حسبانه. ثمّ إنّ الله سبحانه بيّن أنّ الرّزق الّذي «عليه» ما حاله، فقال: ﴿وَ فِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾، و ما كان في السّماء لا يوجد في السّوق، و لا في التّطواف في الغرب و الشّرق.

و يقال: الأرزاق مختلفة، فرزق كلّ حيوان على ما يليق بصفته.

و يقال: للنّفوس رزق هو غذاء طريقه الخلق، و للقلوب رزق و هو ضياء مُوجده الحقّ.

و يقال: لم يقل: ما يشتهيه أو مقدار ما يكفيه، بل هو موكول إلى مشيئته، فمن موسّع عليه و من مُقتّر. (٣: ١٢٣)

البغويّ: أي هو المتكفّل برزقها، أي هو المتكفّل بذلك فضلًا، و هو إلى مشيئته إن شاء رزق و إن شاء لم يرزق. و قيل: (عَلى) بمعنى «من»، أي من الله رزقها. (٢: ٤٤٠)

نحوه الخازن. (٣: ١٧٨)

الزّمخشريّ: فإن قلت: كيف قال: ﴿عَلَى اللهِ رِزْقُهَا﴾ بلفظ الوجوب، و إنّما هو تفضّل؟

قلت: هو تفضّل، إلّا أنّه لمّا ضمن أن يتفضّل به عليهم، رجع التّفضّل واجبًا، كنذور العباد. (٢: ٢٥٩)

ابن عَطيّة: و هذه الآية تُعطي أنّ الرّزق كلّ ما صحّ الانتفاع به، خلافًا للمعتزلة في قولهم: إنّه الحلال المتملّك. (٣: ١٥١)

الطّبْرسيّ: أي إلّا و الله سبحانه يتكفّل برزقها و يوصله إليها، على ما تقتضيه المصلحة، و توجبه الحكمة. (٣: ١٤٤)

الفَخْر الرّازيّ: تعلّق بعضهم بأنّه يجب على الله تعالى بعض الأشياء بهذه الآية، و قال: إنّ كلمة (عَلى) للوجوب، و هذا يدلّ على أنّ إيصال الرّزق إلى الدّابّة واجب على الله.

و جوابه: أنّه واجب بحسب الوعد و الفضل و الإحسان.

[و] تعلّق أصحابنا بهذه الآية في إثبات أنّ الرّزق قد يكون حرامًا، قالوا: لأنّه ثبت أنّ إيصال الرّزق إلى كلّ حيوان واجب على الله تعالى بحسب الوعد و بحسب الاستحقاق، و الله تعالى لا يخلّ بالواجب، ثمّ قد نرى إنسانًا لا يأكل من الحلال طول عمره، فلو لم يكن الحرام رزقًا، لكان الله تعالى ما أوصل رزقه إليه، فيكون تعالى قد أخلّ بالواجب، و ذلك محال، فعلمنا أنّ الحرام قد يكون رزقًا. (١٧: ١٨٦)

نحوه الشّربينيّ. (٢: ٤٦)

القُرطُبيّ: الرّزق: حقيقته ما يتغذّى به الحيّ، و يكون فيه بقاء روحه و نماء جسده، و لا يجوز أن يكون الرّزق بمعنى الملك، لأنّ البهائم تُرْزق و ليس يصحّ وصفها بأنّها مالكة لعلفها، و هكذا الأطفال تُرْزق اللّبن و لا يقال: إنّ اللّبن الّذي في الثّدي ملك للطّفل، و قال تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾ الذّاريات: ٢٢، و ليس لنا في السّماء ملك، و لأنّ الرّزق لو كان ملكًا لكان إذا أكل الإنسان من ملك غيره أن يكون قد أكل من رزق غيره، و ذلك محال، لأنّ العبد لا يأكل إلّا رزق نفسه. (٩: ٦)

البَيْضاويّ: غذاؤها و معاشها، لتكفّله إيّاه

تفضّلًا و رحمةً، و إنّما أتى بلفظ الوجوب تحقيقًا لوصوله، و حملًا على التّوكّل فيه. (١: ٤٦١)

البُرُوسَويّ: غذاؤها و معاشها اللّائق، لتكفّله إيّاه تفضّلًا و رحمةً.

قال في «التّبيان»: هو إيجاب كرم لا وجوب حقّ. انتهى. لأنّه لا حقّ للمخلوق على الخالق، و لذا قال في «الجامع الصّغير»: يُكره أن يقول الرّجل في دعائه: «بحقّ نبيّك أو بيتك أو عرشك أو نحوه، إلّا أن يُحمَل على معنى الحرمة، كما في شرح الطّريقة». و قال في «بحر العلوم»: إنّما قال: ﴿عَلَى اللهِ﴾ بلفظ الوجوب دلالة على أنّ التّفضّل رجع واجبًا، كنذور العباد.

و قال غيره: أتى بلفظ الوجوب مع أنّ الله تعالى لا يجب عليه شيء عند أهل السّنّة و الجماعة، اعتبارًا لسبق الوعد، و تحقيقًا لوصوله إليها ألبتّة، و حملًا للمكلّفين على الثّقة به تعالى في شأن الرّزق، و الإعراض عن إتعاب النّفس في طلبه. ففي كلمة (عَلَى) هنا استعارة تبعيّة، شبّه إيصال الله رزق كلّ حيوان إليه تفضّلًا و إحسانًا، على ما وعده بإيصال مَن يوصله وجوبًا في انتفاء التّخلّف، فاستعملت كلمة (عَلَى). (٤: ٩٥)

الآلوسيّ: و احتجّ أهل السّنّة بالآية على أنّ الحرام رزق، و إلّا فمن لم يأكل طول عمره إلّا من الحرام يلزم أن لا يكون مرزوقًا.

و أُجيب: بأنّ هذا مجرّد فرض؛ إذ لا أقلّ من التّغذّي بلبن الأمّ مثلًا، و هو حلال. على أنّ المراد: أنّ كلّ حيوان يحتاج إلى الرّزق إذا رُزق، فإنّما رزقه من الله تعالى، و هو لا ينافي أن يكون هناك من لا رزق له، كالمتغذّي بالحرام، و كذا من لم يُرْزَق أصلًا حتّى مات جوعًا. (١٢: ٣)

رشيد رضا: و رزق الدّابّة: غذاؤها الّذي تعيش به. و المعنى: ما من دابّة من أنواع الدّوابّ في الأرض إلّا على الله رزقها، على اختلاف أنواعها و أنواعه، فمنها: الجِنّة الّتي لا ترى بالأبصار، و صغار الحشرات و الهوامّ، و ضخام الأجسام، و الوسطى بين الكبير و الصّغير. و أغذية كلّ نوع مختلفة من نباتيّة و حيوانيّة، و قد أعطى كلًّا منها خلقه المناسب لمعيشته.

ثمّ هداه إلى تحصيل غذائه بغريزته، فمنها: ما خلق له خراطيم يمصّ بها غذاءه من النّبات أو دم الحيوان، و أعطاها من القوّة ما إنّ خرطوم البعوضة الدّقيق ليخترق جلد الإنسان، و ما هو أكثف منه من جلود الحيوان، و منها ما خلق له مناقير تلتقط الحبوب، و منها ما يمضغ النّبات بأسنانه مضغًا، و ما يبلع الحشرات و الطّيور و الأنعام بلعًا، و ما له مخالب يُمزّق بها اللّحوم، و ما له براثن يقتل بها كبار الجسوم.

و تفصيل هذا له كتب خاصّة من قديمة و حديثة، و لله تعالى حِكَم في خلقها و غذائها عجيبة، فإن خفي عليك أمر تغذّي الحيّات و السّنانير و نحوها من خشاش الأرض و صغارها، و تغذّي الأفاعي الكبرى و سباع الوحش و الطّير من كبارها، فأوّل ما ينبغي لك أن تفكّر فيه من حكمتها، أنّه لولا ذلك لضاقت الأرض ذرعًا بكثرة أحيائها، أو لأنتنت من كثرة أمواتها، و إذا أردت زيادة العلم بها و بحكمتها فعليك

بالمصنّفات المدوّنة فيها، و قد فتحت هذه الآية و أمثالها لك أبوابها، و أرشدتك إلى تطلابها.

و لا يشكلنّ عليك التّعبير عن كفالة الله لرزقها بقوله: (عَلَى)، و ما قيل من دلالتها على الوجوب مع قول المتكلّمين: إنّه لا يجب عليه تعالى شيء، فإنّ الممنوع أن يجب عليه تعالى شيء بإيجاب موجب ذي حكم أو سلطان يطالبه به و يحاسبه عليه، فهذا محال عقلًا و شرعًا. و أمّا ما أوجبه الله تعالى من النّظام و سنن التّدبير العامّ للمخلوقات، بمقتضى علمه و حكمته و مشيئته، و نفّذه بقدرته و اختياره في خليقته، فهو حكمه و قضاؤه و قدره بسلطانه، لا حكم عليه بسلطان غيره، و هو كمال مطلق لا شائبة للنّقص فيه.

و لا يشكلنّ عليك فيها أيضًا أن يكون في كلّ نوع من هذه الدّوابّ حتّى الإنسان أفراد، قد تضيق في وجوههم أبواب الرّزق حتّى يقضي بعضهم جوعًا. فليس معناها أنّ الله تعالى قد كفل لكلّ دابّة من كلّ نوع أن يخلق لها ما تغتذي به، و يوصله إليها بمحض قدرته، سواء أطلبته بباعث غريزتها أو ما يهديها إليه العلم من أسباب كسبها أم لا؟.

و إنّما معناها: ما فسّرناها به من خلقه تعالى لكلّ منها الرّزق الّذي تعيش به، و أنّه سخّره لها و هداها إلى طلبه و تحصيله، كما قال: ﴿رَبُّنَا الَّذِى اَعْطٰى كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدٰى﴾ طٰه: ٥٠، و بهذا تعلم جهل بعض العباد و الشّعراء، فيما زعموه من أنّ الكسب و عدمه سواء، كقول بعض الخياليّين الجاهلين، المتواكلين غير المتوكّلين:

جرى قلم القضاء بما يكونُ
فسيّان التّحرّك و السّكونُ
جنون منك أن تسعى لرزق
و يرزق في غشاوته الجنينُ

فهذا الشّاعر أحقّ بصفة الجنون ممّن يصفهم بها، فإنّ ما جرى به القضاء منه ما هو مجهول للنّاس، و منه ما علم نوعه بالتّجارب و الاختبار، و يعبّر عنه بالنّواميس و السّنن، و منها أنّ الحركة و السّكون لكلّ منهما آثار، فما هما سيّان في ذاتهما، و لا في آثارهما و نتائجهما، و إنّ ما قضاه و قدّره من رزق الجنين في غشاوته بدم حيض أمّه، غير ما قضاه و قدّره من رزق من خاطبهم بقوله: ﴿هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْاَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِى مَنَاكِبِهَا وَ كُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ الملك: ١٥، و بغيره من آيات التّسخير و التّكليف. (١٢: ١٢)

ابن عاشور: و الرّزق: الطّعام، و تقدّم في قوله تعالى: ﴿وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ آل عمران: ٣٧، الاستثناء من عموم الأحوال التّابع لعموم الذّوات، و المدلول عليه بذكر رزقها الّذي هو من أحوالها.

و تقديم ﴿عَلَى اللهِ﴾ قبل متعلّقه و هو ﴿رِزْقُهَا﴾ لإفادة القصر، أي على الله لا على غيره، و لإفادة تركيب ﴿عَلَى اللهِ رِزْقُهَا﴾ معنى أنّ الله تكفّل برزقها و لم يهمله، لأنّ (عَلَى) تدلّ على اللّزوم و المحقوقيّة، و معلوم أنّ الله لا يلزمه أحد شيئًا، فما أفاد معنى اللّزوم، فإنّما هو التزامه بنفسه بمقتضى صفاته المقتضية ذلك له، كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿وَعْدًا عَلَيْنَا﴾

الأنبياء: ١٠٤، و قوله: ﴿حَقًّا عَلَيْنَا﴾ يونس: ١٠٣.

و الاستثناء من عموم ما يسند إليه رزق الدّوابّ في ظاهر ما يبدو للنّاس، أنّه رزق من أصحاب الدّوابّ و مَن يربّونها، أي رزقها على الله لا على غيره. فالمستثنى هو الكون على الله، و المستثنى منه مطلق الكون ممّا يتخيّل أنّه رزّاق، فحصر الرّزق في الكون على الله مجاز عقليّ في العرف، باعتبار أنّ الله مسبّب ذلك الرّزق و مقدّره. (١١: ٢٠٧)

مَغْنِيّة: خلق سبحانه الأرض، و أودع فيها ما يحتاج إليه كلّ حيّ يدبّ عليها من الذّرّة و البعوضة إلى الفيل و الإنسان. و أيضًا أودع في كلّ من دبّ القدرة على السّعي لتحصيل رزقه من الأرض، و على هذا يكون معنى الآية: أنّ الله قد جعل لكلّ حيّ رزقًا مدخورًا في الأرض، و ليس معناها أنّ الله قدّر لكلّ حيّ رزقه الخاصّ به الّذي لا يزيد بالسّعي، و لا ينقص بتركه، كما توهّم البعض. (٤: ٢١٠)

الطَّباطَبائيّ: و أمّا قوله: ﴿عَلَى اللهِ رِزْقُهَا﴾ فهو دالّ على وجوب الرّزق عليه تعالى، و قد تكرّر في القرآن أنّ الرّزق من أفعاله تعالى المختصّة به، و أنّه حقّ للخلق عليه تعالى، قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ﴾ الملك: ٢١، و قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ الذّاريات: ٥٨، و قال تعالى: ﴿وَ فِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَ مَا تُوعَدُونَ * فَوَ رَبِّ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾ الذّاريات: ٢٢، ٢٣.

و لا ضير في أن يثبت عليه تعالى حقّ لغيره إذا كان تعالى هو الجاعل الموجب لذلك على نفسه، من غير أن يداخل فيه غيره، و لذلك نظائر في كلامه تعالى، كما قال: ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ الأنعام: ١٢، و قال: ﴿وَ كَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الرّوم: ٤٧، إلى غير ذلك من الآيات.

و الاعتبار العقليّ يؤيّد ذلك، فإنّ الرّزق هو ما يُديم به المخلوق الحيّ وجوده؛ و إذ كان وجوده من فيض جوده تعالى، فما يتوقّف عليه من الرّزق من قبله، و إذ لا شريك له تعالى في إيجاده، لا شريك له في ما يتوقّف عليه وجوده كالرّزق. (١٠: ١٤٨)

عبدالكريم الخطيب: كلّ ما على الأرض من كائنات ـ و منها الإنسان ـ مكفول له رزقه من الله، فهو سبحانه الّذي خلقه، و هو سبحانه الّذي يقدّر رزقه، و يسوقه إليه من فضله و كرمه.

و في قوله تعالى: ﴿إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا﴾ إشارة إلى أنّ الله سبحانه قد أوجب ذلك على نفسه، حتّى لكأنّ كلّ حيّ له عند الله سبحانه و تعالى حقّ يطالب به؛ و ذلك من كرم الكريم، و رحمة الرّحيم.

و إذا كان في النّاس من يوجب على نفسه ما لا يجب من أفعال الخير، كما يقول الشّاعر:

على مكثريهم رزق من يعتريهم

و عند المقلّين السّماحة و البذل

نقول: إذا كان في النّاس من يوجب على نفسه ما لا يجب من فضل و إحسان، فكيف بربّ النّاس، ملك النّاس، إله النّاس، من لا تنفد خزائنه، و لا تنقص بكثرة العطاء نعمه؟ و كيف بمن خلق هذه الأحياء، ألا يضمن

حياتها، و يمسك وجودها؟ إنّ الخلق لاتظهر حكمته، و لاتتجلّى آثاره، إلّا إذا قام معه ما يضمن بقاءه، و يحفظ الحياة الّتي أودعها الخالق فيه، و إلّا كانت عمليّة الخلق عبثًا، يتنزّه الله سبحانه و تعالى عنه.

(٦: ١١٠٥)

مكارم الشّيرازيّ: الرّزق: هو العطاء المستمرّ، و من هنا كان عطاء الله المستمرّ للموجودات رزقًا.

و ينبغي الالتفات إلى أنّ مفهوم الرّزق غير منحصر في الحاجات المادّيّة، بل يشمل كلّ عطاء مادّيّ أو معنويّ؛ و لذلك تقول مثلًا: «اللّهمّ ارزقني علمًا كاملًا» أو تقول: «اللّهمّ ارزقني الشّهادة في سبيلك».

و الظّاهر أنّ المراد من الرّزق في هذه الآية: الرّزق المادّيّ، إلّا أنّ إرادة المفهوم العامّ الّذي يندرج تحته: الرّزق المعنويّ غير بعيد. [إلى أن قال:]

فالآية تقول: لاينبغي التّصوّر أنّ الله سبحانه يرزق الدّوابّ الّتي تستقرّ في أماكنها فحسب، بل هي حيث ما كانت و في أيّ ظرف من الظّروف تكون، فإنّه تعالى يوصل إليها أرزاقها، لأنّه يعلم أماكن استقرارها، و كذلك يعلم جميع المناطق الّتي تنتقل إليها و ترحل عنها، من حيوانات بحريّة مهولة الحجم، إلى أصغر الكائنات المجهريّة، فإنّه تعالى يرزق كلًّا منها بحسب حاجته و حاله.

و هذا الرّزق ملحوظ بحيث يناسب حال الموجودات من حيث الكمّيّة و الكيفيّة، و هو مطابق تمامًا لمقدار الحاجة و الرّغبة، حتّى غذاء الجنين الّذي في رحم أمّه يتفاوت كلّ شهر عن الشّهر السّابق في النّوعيّة و الكمّيّة، بل كلّ يوم عن اليوم السّابق بالرّغم ممّا يبدو من أنّ الدّم نوع واحد لاأكثر. و كذلك الطّفل في مرحلة الرّضاعة حيث يبدو أنّ غذاءه من نوع واحد، لكن تركيب هذا الغذاء أو اللّبن يختلف من يوم لآخر. [إلى أن قال:]

تقسيم الأرزاق و السّعي من أجل الحياة:

هناك أبحاث مهمّة في مسألة الرّزق، و نأخذ بنظر الاعتبار هنا قسمًا منها:

١ ـ الرّزق كما قلنا آنفًا: يعني في اللّغة العطاء المستمرّ و الدّائم، و هو أعمّ من أن يكون رزقًا مادّيًّا أو معنويًّا، فعلى هذا كلّ ما يكون فيه نصيب للعباد من قبل الله، و ينتفعون به من مواد غذائيّة و مسكن و ملبس أو علم و عقل و فهم و إيمان و إخلاص، يسمّى رزقًا. و من ظنّ أنّ مفهوم الرّزق خاصّ للجوانب المادّيّة لم يلتفت إلى موارد استعماله في القرآن الكريم بدقّة. فالقرآن يتحدّث عن الشّهداء في سبيل الله بأنّهم ﴿اَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ آل عمران: ١٦٩.

و واضح أنّ رزق الشّهداء في عالم البرزخ ليس نعمًا مادّيّة، بل هو عبارة عن المواهب المعنويّة الّتي يصعب علينا تصوّرها في هذه الحياة المادّيّة.

٢ ـ مسألة تأمين الحاجات بالنّسبة إلى الموجودات الحيّة، و بتعبير آخر: تأمين رزقها من المسائل المثيرة الّتي تنكشف أسرارها بمرور الزّمان، و تقدّم العلم.

و تظهر كلّ يوم ميادين جديدة تدعو إلى التّعجّب

و الدّهشة.

كان العلماء في الماضي يتساءلون فيما لو كان في أعماق البحار موجودات حيّة، فمن أين يتمّ تأمين غذائها؟! إذ إنّ أصل الغذاء يعود إلى النّباتات و الحشائش، و هي تحتاج إلى نور الشّمس، و لكن على عمق ٧٠٠ متر فصاعدًا لا وجود لنور الشّمس أبدًا، بل ليل أبديّ مظلم يُلقي ظلاله و يبسط أسداله هناك.

و لكن اتّضح بتقدّم العلم أنّ نور الشّمس يغذّي النّباتات المجهريّة في سطح الماء و بين الأمواج، و حين تبلغ مرحلة النّضج تهبط إلى أعماق البحر كالفاكهة النّاضجة، و تُنظّم إلى الأرزاق الإلهيّة للأحياء في تلك الأعماق، مائدة نعمة الله للموجودات الحيّة تحت الماء.

و من جهة أُخرى فهناك طيور كثيرة تتغذّى من أسماك البحر، منها طيور تطير في اللّيل و تهبط إلى البحر كالغوّاص الماهر، و عن طريق أمواج راداريّة خاصّة تخرج من آنافها تعرف صيدها و تصطاده بمنقارها.

و رزق بعض أنواع الطّيور يكون مدّخرًا بين ثنايا أسنان حيوانات بحريّة كبيرة، هذا النّوع من الحيوانات بعد أن يتغذّى من حيوانات البحر، تحتاج أسنانه إلى «منظّف طبيعيّ» فيأتي إلى ساحل البحر و يفتح فمه الواسع فتدخل هذه الطّيور الّتي ادّخر رزقها في فم هذا الحيوان الضّخم دون وحشة و لا اضطراب، و تبحث عن رزقها بين ثنايا أسنان هذا الحيوان الكبير، فتملأ بطونها من جهة، و تريح الحيوان الّذي تزدحم بين أسنانه «هذه الفضلات» من جهة أُخرى. و حين تخرج الطّيور و تطير في الفضاء، يطبق هذا الحيوان البحريّ فمه بكلّ هُدوء و يعود إلى أعماق البحر.

طريقة إيصال الرّزق من الله تعالى إلى الموجودات المختلفة مُذهلة و مُحيّرة حقًّا، من الجنين الّذي يعيش في بطن أُمّه، و لا يعلم أحد من أسراره شيئًا، إلى الحشرات المختلفة الّتي تعيش في طيّات الأرض، و في الأشجار و على قمم الجبال، أو في أعماق البحر، و في الأصداف. جميع هذه الموجودات يتكفّل الله برزقها و لا تخفى على علمه، و كما يقول القرآن: ﴿عَلَى اللهِ رِزْقُهَا وَ يَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَ مُسْتَوْدَعَهَا﴾.

الطّريف في الآيات آنفة الذّكر أنّها تعبّر عن الموجودات الّتي تطلب الرّزق بـ«الدّابّة»، و فيها إشارة لطيفة إلى العلاقة بين موضوع «الطّاقة» و «الحركة». و نعلم أنّه حيثما تكن حركة فلابدّ لها من طاقة، أي ما يكون منشأ للحركة، و القرآن الكريم يبيّن في الآيات ـ محلّ البحث ـ أنّ الله يرزق جميع الموجودات المتحرّكة، و إذا ما توسّعنا في معنى الحركة، فإنّ النّباتات تندرج في هذا الأمر أيضًا، لأنّ للنّباتات حركة دقيقة و ظريفة في نموّها، و لهذا عدّوا في الفلسفة الإسلاميّة موضوع «النّموّ» واحدًا من أقسام الحركة.

٣ـ هل أنّ رزق كلّ أحد مقدّر و معيّن من أوّل عمره إلى آخره، و هل أنّه يصل إليه شاء أم أبى؟! أم أنّ عليه يسعى في طلبه؟

يظنّ بعض الأفراد السُّذّج استنادًا إلى الآية آنفة الذّكر، و إلى بعض الرّوايات الّتي تذكر، أنّ الرّزق

مقدّر و معيّن، أنّه لاداعي إلى السّعي من أجل الـرّزق و المعاش، فإنّه لابدّ من وصول الرّزق، و يقـول بكـلّ بساطة: إنّ من خلق الأشداق قدّر لها الأرزاق.

إنّ سُلوك مثل هؤلاء الأفراد الّذين لاحظّ لهم من المعرفة الدّينيّة يعطي ذريعةً للأعداء؛ حيث يدّعون أنّ الـدّين أحـد عوامـل الرّكـود الاقتصـاديّ و تقبّـل الحرمان، و إماتة النّشاطات الإيجابيّة في الحياة، فيقول مثلًا: إذالم تكن الموهبة الفلانيّة من نصيبي فإنّها لم تكن من رزقي قطعًا، فلو كانت من نصيبي لوصلتني حتمًـا مـن دون تكلّـف عنـاء الكسـب. و بهـذا يسـتغلّ المستعمرون هذه الفرصة ليحرموا الكثير مـن الخلـق التّمتّع بأسباب الحياة، في حين أنّ أقلّ معرفة بـالقرآن و الأحاديث الإسلاميّة تكفي في بيان أنّ الإسلام يُعَدّ أساس أيّ استفادة مادّيّـة و معنويّـة للإنسـان، هـو السّعي و الجدّ و المثابرة، حتّى أنّنا نجد في القرآن جملـة بمثابة الشّعار لهـذا الموضـوع، و هـي الآيـة الكريمـة: ﴿لَيْسَ لِلْاِنْسَانِ اِلَّا مَا سَعٰى﴾.

و كـان أئمّـة المسـلمين و مـن أجـل أن يسـنّوا للآخرين نهجًا يسيرون عليه، يعملـون في كـثير مـن المواقع أعمالًا صعبة و مجهدة.

و الأنبياء السّـابقون أيضًـا لم يُسـتثنوا مـن هـذا القانون، فكانوا يعملون على الاكتسـاب، مـن رعـي الأغنام إلى الخياطة إلى نسـج الـدّروع إلى الزّراعـة. فإذا كان مفهوم الـرّزق مـن الله أن نجلـس في البيـت و ننتظر الرّزق، فما كان ينبغي للأنبياء و الأئمّة الّذين هم أعرف بالمفاهيم الدّينية أن يسعوا سعيًا إلى الرّزق!

و على هذا نقول: إنّ رزق كلّ أحد مقدّر و ثابـت، إلّا أنّه مشروط بالسّعي و الجدّ، و إذالم يتـوفّر الشّـرط لم يحصل المشروط. و هذا كما نقول: إنّ لكلّ فـرد أجـلًا و مدّةً من العمر، و لكن من المسلّم و الطّبيعيّ أنّ مفهوم هذا الكلام لايعني أنّ الإنسان حتّـى لـو أقـدم علـى الانتحار أو أضرب عن الطّعام، فإنّه سـيبقى حيًّـا إلى أجل معيّن، إنّما مفهوم هذا الكلام أنّ للبدن استعدادًا للبقاء إلى مدّة معيّنة، و لكن بشرط أن يُراعي الظّروف الصّحّيّة و أن يبتعد عن الأخطار، و أن يجنّب نفسه عمّا يكون سببًا في تعجيل الموت.

المسـألة المهمّـة في هـذا المجـال، أنّ الآيـات و الرّوايات المتعلّقة بتقـدير الـرّزق في الواقـع، بمثابـة الكابح للأشخاص الحريصين، و عبّـاد الـدّنيا الّـذين يلجون كلّ باب، و يرتكبون أنواع الظّلم و الجنايـات، و يتصوّرون أنّهم إذالم يفعلوا ذلك لم يؤمّنوا حياتهم.

إنّ آيات القرآن و الأحاديث الإسلاميّة تحذّر هذا النّمط من النّاس ألّا يمدّوا أيديهم و أرجلهم عبثًا، و ألّا يطلبوا الرّزق من طرق غير مشروعة و لامعقولة، بـل يكفي أن يسعوا لتحصيل الرّزق عن طريق مشـروع، و الله سبحانه يضمن لهم الرّزق. فالله الّذي لم ينسـهم في ظلمة الرّحم، الله الّذي تكفّل رزقهـم أيّـام الطّفولـة؛ حيث هيّأ لهم أثداء الأُمّهـات، لله الّـذي جعـل الأب يسعى من الصّباح إلى اللّيل، ليهيّئ لهـم الغـذاء بكـلّ عطف و شفقة بعد أن أنهوا مرحلـة الرّضـاعة، و هـو مسرور بالتّعب من أجلهم.

أجل، هذا الرّبّ الرّحيم، كيـف يمكـن أن ينسـى

الإنسان إذا ما كبر و وجد القدرة على العمل و الكسب؟.

ترى هل يُجيز الإيمان و العقل أن يلجأ الإنسان إلى الظّلم و الإثم و التّجاوز على حقوق الآخرين، و يحرص على غصب حقوق المستضعفين، بمجرّد أنّه يظنّ عدم توفّر رزقه؟

و بالطّبع لايمكن أن ننكر أنّ بعض الأرزاق تصل إلى الإنسان سعى لها أم لم يسع. فهل يمكن أن ننكر أنّ نور الشّمس يضيء في بيتنا من دون سعينا، و أنّ المطر و الهواء يصلان إلينا دون سعي منّا؟

و هل يمكن أن ننكر أنّ العقل و الفكر و الاستعداد المذخور فينا من أوّل يوم وجودنا لم يكن بسعينا؟! و لكن هذه المواهب الّتي تنقلها إلينا الرّيح كما يقال، أو بتعبير أصحّ: هذه المواهب الّتي وصلتنا بلطف الله و من دون سعينا، إذا لم نحافظ عليها بالجدّ و السّعي بطريقة صحيحة، فستضيع من أيدينا، أو أنّها ستبقى بلا أثر. هناك كلام معروف منقول عن الإمام عليّ عليه السلام في شأن الرّزق، فيقول: «و اعلم يا بنيّ أنّ الرّزق رزقان: رزق تطلبه و رزق يطلبك».

و في هذا الكلام إشارة إلى هذه الحقيقة، كما لايُنكَر أنّ بعض موارد الرّزق لايأتي تبعًا لشيء ظاهر و ملموس، بل يصلنا على أثر سلسلة من الاتّفاقات و المصادفات لهذه الحوادث، و إن كانت في نظرنا مصادفات، إلّا أنّها في الواقع و في نظام الخلق قائمة على حساب دقيق.

و لاشكّ أنّ حساب هذا النّوع من الرّزق منفصل عن الأرزاق الّتي تأتي تبعًا للجدّ و السّعي. و الكلام آنف الذّكر يمكن أن يشير إلى هذا المطلب أيضًا.

و لكن على كلّ حال، فإنّ النّقطة الأساسيّة هنا أنّ جميع التّعاليمات الإسلاميّة تأمرنا بأن نسعى أكثر فأكثر إلى تأمين نواحي الحياة المادّيّة و المعنويّة، و أنّ الفرار من العمل بزعم أنّ الرّزق مقسوم، و أنّه آتٍ لامحالة غير صحيح!

٤ـ في الآيات المتقدّمة الّتي هي محلّ البحث إشارة إلى الرّزق فحسب، و بعدها ببضع آيات يأتي التّعبير عن التّائبين و المؤمنين، و يشار فيها إلى «المتاع الحسن».

و بالموازنة و المقارنة بين هذين الأمرين يدلّنا هذا الموضوع على أنّ الرّزق مُعدّ لكلّ دابّة من إنس و حشرات و حيوانات مفترسة و غير ذلك، و للمحسنين و المسيئين جميعًا، إلّا أنّ «المتاع الحسن» و المواهب الجديرة و الثّمينة خاصّة للمؤمنين الّذين يطهّرون أنفسهم من كلّ ذنب و تلوّث بماء التّوبة، و يتمتّعون بنعم الله في مسير طاعته، لا في طريق الهوى و الهوس. (٦: ٤٣٦)

فضل الله: فهو الّذي خلقها، و تكفّل برزقها، بما أعدّه من أسباب الرّزق و مُفرداته و عناصره في الكون، و في ما سخّره من ظواهر و قُوًى تدفعها إلى السّعي و الكفاح، للأخذ بتلك الأسباب، و الحصول على نتائجها، الأمر الّذي يبعدها عن الاتّكاليّة الّتي تعكس الاسترخاء، و توجّهها نحو التّوكّل الّذي يعكس الثّقة و يدفع إلى الحركة. (١٢: ١٦)

رِزْقُكُمْ

١ـ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ.

الذّاريات : ٢٢

ابن عبّاس: و من السّماء يأتي رزقكم، يعني المطر. (٤٤١)

سعيدبن جُبَيْر: الثّلج، و كلّ عين ذائبة من الثّلج لاتنقص. (الطّبريّ ١١: ٤٦٠)

ما ينزل من السّماء من مطر و ثلج ينبت به الزّرع و يُحيي به الخلق، فهو رزق لهم من السّماء.

مثله الضّحّاك. (الماوَرْديّ ٥: ٣٦٧)

مُجاهِد: ﴿رِزْقُكُمْ﴾: المطر.

[و في رواية] الجنّة في السّماء، و ما توعدون من خير أو شرّ. (الطّبريّ ١١: ٤٦١)

أراد القضاء و القدر، أي الرّزق عند الله يأتي به كيف يشاء، لاربّ غيره. (ابن عَطيّة ٥: ١٧٦)

الضّحّاك: المطر. (الطّبريّ ١١: ٤٦٠)

مثله الثّوريّ. (الطّبريّ ١١: ٤٦١)

الحسَن: في السّحاب فيه ـ والله ـ رزقكم، ولكنّكم تحرمونه بخطاياكم و أعمالكم. (الطّبريّ ١١: ٤٦٠)

الطّبَريّ: يقول تعالى ذكره: و في السّماء المطر و الثّلج اللّذان بهما تُخرج الأرض رزقكم، و قوتكم من الطّعام و الثّمار و غير ذلك.

و قال آخرون: بل معنى ذلك: و من عند الله الّذي في السّماء رزقكم. (١١: ٤٦٠)

القُمّيّ: المطر، ينزل من السّماء فيخرج به أقوات العالم من الأرض. (٢: ٣٣٠)

الثّعلبيّ: يعني المطر و الثّلج اللّذين بهما تُخرج الأرض النّبات الّذي هو سبب الأقوات. و قال بعض أهل المعاني: معناه: و في المطر و النّبات سبب رزقكم، فسُمّي المطر سماء، لأنّه عن السّماء ينزل. (٩: ١١٣)

الماوَرْديّ: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: [قول سعيد بن جُبَيْر و الضّحّاك]

الثّاني: يعني أنّ من عند الله الّذي في السّماء رزقكم.

و يحتمل وجهًا ثالثًا: و في السّماء تقدير رزقكم، و ما قسمه لكم مكتوب في أمّ الكتاب. (٥: ٣٦٧)

الطُّوسيّ: و قوله: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾ يُنزله الله إليكم بأن يرسل عليكم الغيث و المطر، فيخرج به من الأرض أنواع ما تقتاتونه و تلبسونه و تنتفعون به. (٩: ٣٨٥)

نحوه الطُّبْرِسيّ. (٥: ١٥٦)

القُشَيْريّ: أي قسمة أرزاقكم في السّماء، فالملائكة الموكّلون بالأرزاق ينزلون من السّماء.

و يقال: ﴿السَّمَاءِ﴾ هاهنا: المطر، فبالمطر ينبت الحبّ و المرعى. و يقال: على ربّ السّماء أرزاقكم، لأنّه ضمنها. (٦: ٣٢)

الزّمَخْشَريّ: هو المطر، لأنّه سبب الأقوات. (٤: ١٧)

الفَخْر الرّازيّ: فيه وُجُوه:

أحدها: في السّحاب المطر.

ثانيها: ﴿فِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾ مكتوب.

ثالثها: تقدير الأرزاق كلّها من السّماء، و لولاه لما حصل في الأرض حبّة قوت. (٢٨: ٢٠٨)

البَيْضاويّ: أسباب رزقكم أو تقديره. و قيل: المراد بـ ﴿السَّمَاءِ﴾: السّحاب، و بالرّزق: المطر، فإنّه سبب الأقوات. (٢: ٤٢٠)

نحوه أبو السُّعود. (٦: ١٣٦)

الشِّرْبينيّ: بما يأتي من المطر و الرّياح و الحرّ و البرد و غير ذلك، ممّا رتّبه سبحانه و تعالى لمنافع العباد. (٤: ٩٨)

البُرُوسَويّ: أي أسباب رزقكم، على حذف المضاف، يعني به الشّمس و القمر و سائر الكواكب، و اختلاف المطالع و المغارب الّتي يترتّب عليه اختلاف الفصول الّتي هي مبادئ حصول الأرزاق. [ثمّ نقل كلام السّعديّ و أضاف:]

أو في السّماء تقدير رزقكم. و قال ابن كيسان: يعني على ربّ السّماء رزقكم، كقوله تعالى: ﴿وَلَاُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ طٰه: ٧١. (٩: ١٥٩)

الشَّوْكانيّ: أي سبب رزقكم، و هو المطر، فإنّه سبب الأرزاق. (٥: ١٠٥)

الآلوسيّ: أي تقديره و تعيينه، أو أسباب رزقكم من النّيّرين و الكواكب و المطالع و المغارب، الّتي تختلف بها الفصول الّتي هي مبادئ الرّزق، إلى غير ذلك. فالكلام على تقدير مضاف، أو التّجوّز بجعل وجود الأسباب فيها كوجود المسبّب. و ذهب غير واحد إلى أنّ ﴿السَّمَاءِ﴾ السّحاب، و هو سماء لغةً، و المراد بالرّزق: المطر، فإنّه سبب الأقوات. (٢٧: ٩)

ابن عاشور: و في السّماء آية المطر، فعدل عن ذكر المطر إلى الرّزق، إدماجًا للامتنان في الاستدلال، فإنّ الدّليل في كونه مطرًا يُحيي الأرض بعد موتها. و هذا قياس تمثيل للنّبت، أي في السّماء المطر الّذي ترزقون بسببه.

فالرّزق: هو المطر الّذي تحمله السُّحُب، و ﴿السَّمَاءِ﴾ هنا: طبقات الجوّ، و تقديم المجرور على متعلّقه للتّشويق و للاهتمام بالمكان، و للرّدّ على الفاصلة. (٢٧: ٢١)

الطَّباطَبائيّ: و المراد بالرّزق: المطر الّذي يُنزله الله على الأرض، فيخرج به أنواع ما يقتاتونه و يلبسونه و ينتفعون به. و قد قال تعالى: ﴿وَمَا اَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَاَحْيَا بِهِ الْاَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: الجاثية: ٥. فسمّي المطر رزقًا، فالمراد بالرّزق: سببه. أو بتقدير مضاف، أي سبب رزقكم. [ثمّ نقل بعض الأقوال المتقدّمة و أضاف:]

و يمكن أن يكون المراد به: عالم الغيب، فإنّ الأشياء و منها الأرزاق تنزل من عند الله سبحانه، و قد صرّح بذلك في أشياء، كقوله تعالى: ﴿وَاَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْاَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ اَزْوَاجٍ﴾ الزّمر: ٦، و قوله: ﴿وَاَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَاْسٌ شَدِيدٌ﴾ الحديد: ٢٥، و قوله على نحو العموم: ﴿وَاِنْ مِنْ شَىْءٍ اِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ اِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ الحجر: ٢١، و المراد بالرّزق: كلّ ما ينتفع به الإنسان في بقائه من مأكل و مشرب و ملبس و مسكن و منكح، و ولد و علم و قوّة و غير ذلك. (١٨: ٣٧٤)

عبدالكريم الخطيب: أي و انظروا في السّماء، فهي أوضح صورة، و أجلى بيانًا ممّا في الأرض أو في أنفسكم، إنّ فيها أسباب رزقكم، و ملاك حياتكم، بما ينزل منها من ماء، و ما يجري فيها من شمس و قمر و كواكب و نجوم. بل أنّ فيها عرش اللّه، و فيها ملائكته، و فيها مقدّرات الأمور. فكلّ ما يجري على النّاس و غيرهم من شؤون، هو مُنزّل من علوّ، كما يقول سبحانه: ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾ المؤمن: ١٣، و كما يقول جلّ شأنه: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلٰئِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ اَمْرِهِ عَلٰى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ النّحل: ٢، و التّنزيل لايكون إلّا من جهة عالية. فالسّماء هنا إشارة إلى جلال اللّه و عظمته، و علوّ مقامه، و قيّومته على هذا الوجود. (١٣: ٥١٢)

مكارم الشّيرازيّ: و بالرّغم من أنّ بعض الرّوايات الإسلاميّة تفسّر الرّزق في هذه الآية بـ«المطر» الّذي يمنح الحياة، و هو مصدر الخير و البركة في الأرض جميعًا، و الآية: ٥، من سورة الجاثية أيضًا توافق هذا التّفسير؛ إذ تقول: ﴿وَمَا اَنْزَلَ اللّٰهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَاَحْيَا بِهِ الْاَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾، إلّا أنّ هذا المعنى يمكن أن يكون مصداقًا جليًّا من مصاديق الآية، في حين أنّ سعة مفهوم الرّزق تشمل حبّات المطر و غيرها، كنور الشّمس الّذي يأتي من السّماء و له أثره الفاعل في الحياة، و الهواء الّذي هو أساس حياة الموجودات.

كلّ هذا لو أخذنا مفهوم ﴿السَّمَاءِ﴾ بالمعنى اللّغويّ، أي السّماء الّتي فوقنا، إلّا أنّ بعضهم فسّرها بعالم الغيب و ما وراء الطّبيعة، أو اللّوح المحفوظ الّذي تقدّر منه أرزاق العباد، و بالطّبع فإنّ الجمع بين التّفسيرين ممكن، و إن كان التّفسير الأوّل أنسب و أوضح. (١٧: ٩٠)

فضل اللّه: ما معنى وجود الرّزق في السّماء؟ قد يكون المراد به أسبابه، كالمطر النّازل من السّماء، فإنّ الماء المنهمر من السّماء هو الّذي يمنح الإنسان الرّزق في ما يحيي به الأرض، أو يروي به المخلوقات الحيّة، و ما يُهيّئ له من وسائل حياته من خلال ذلك كلّه من غذاء و لباس و انتفاعات عامّة.

و قد يكون المراد بالكلمة المعنى الإيحائيّ الّذي يلتقي بالتّقدير الإلهيّ لأرزاق العباد، ممّا يجعلهم مشدودين إلى اللّه في كلّ تطلّعاتهم و في كلّ تمنّياتهم و حاجاتهم، باعتبار أنّه المصدر الحقيقيّ للرّزق، ليعيش الإنسان الإيمان باللّه و الاعتراف بالحاجة إليه في كلّ أموره، بالمستوى الّذي يربط كلّ مفردات حاجاته اليوميّة به، و هذا ما يمكن أن نستوحيه من قوله تعالى: ﴿وَاِنْ مِنْ شَيْءٍ اِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ اِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ الحجر: ٢١. (٢١: ٢٠٥)

٢- ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ اَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾. الواقعة: ٨٢

النّبيّ ﷺ: شكركم أنّكم تكذّبون، و يقولون: مُطرنا بنوء كذا و كذا. (الطّبريّ ١١: ٦٦٢)

الإمام عليّ عليه السلام: شكركم. (الطّبريّ ١١: ٦٦٢)

ابن عبّاس: ما مطر النّاس ليلة قطّ، إلّا أصبح بعض النّاس مشركين، يقولون: مُطرنا بنوء كذا و كذا.

«و تجعلون شكركم أنكم تكذّبون».

(الطّبريّ ١١: ٦٦٢)

عِكْرِمَة: الاكتساب بالسّحر.

(الماوَرْديّ ٥: ٤٦٥)

الحسَن: بئسما أخذ قوم لأنفسهم لم يُرْزَقُوا من كتاب الله إلّا التّكذيب به.

خسر عبد لايكون حظّه من كتاب الله إلّا التّكذيب. (الطّبريّ ١١: ٦٦٣)

الطّبَريّ: و تجعلون شكر الله على رزقه إيّاكم التّكذيب، و ذلك كقول القائل لآخر: جعلت إحساني إليك إساءةً منك إليّ، بمعنى جعلت شكر إحساني، أو ثواب إحساني إليك إساءة منك إليّ.

و قد ذُكر عن الهيثم بن عديّ: أنّ من لغة أزْد شنوءة: ما رزق فلان: بمعنى ما شكر.

و قال آخرون: بل معنى ذلك: و تجعلون حظّكم منه التّكذيب. (١١: ٦٦١)

الزّجّاج: و قوله عزّ و جلّ: ﴿وَ تَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ كانوا يقولون: مُطرنا بنوء كذا، و لاينسبون السّقيا إلى الله عزّ و جلّ، فقيل لهم: أتجعلون رزقكم، أي شكركم بما رزقتم التّكذيب؟.

و قرئت (وَ تَجْعَلُونَ شُكْرَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ)

و لاينبغي أن يُقرأ بها لخلاف المصحف.

و قد قالوا: إنّ تفسير ﴿رِزْقَكُمْ﴾ هاهنا: الشّكر، و رَوَوْا أنّه يقال: و تجعلون رزقي في معنى شكري، و ليس بصحيح. إنّما الكلام في قوله: ﴿وَ تَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ يدلّ على معنى: و تجعلون شكركم أنّكم تكذّبون، أي تجعلون شكر رزقكم أن تقولوا: مُطرنا بنوء كذا، فتَكْذِبُون في ذلك. (٥: ١١٦)

الثّعلبيّ: حظّكم و نصيبكم من القرآن. (٩: ٢٢١)

نحوه البغويّ (٥: ٢١) و الخازن (٧: ٢٢).

الماوَرْديّ: فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنّه الاستسقاء بالأنواء، وهو قول العرب: مُطرنا بنوء كذا، قاله ابن عبّاس، و رواه عليّ بن أبي طالب عن النّبيّ ﷺ.

الثّاني: الاكتساب بالسّحر، قاله عِكْرِمَة.

الثّالث: هو أن يجعلوا شكر الله على ما رزقهم تكذيب رسله و الكفر به، فيكون الرّزق: الشّكر.

و يحتمل رابعًا: أنّه ما يأخذه الأتباع من الرّؤساء، على تكذيب النّبيّ ﷺ و الصّدّ عنه. (٥: ٤٦٥)

الطّوسيّ: معناه: و تجعلون حظّكم من الخير الّذي هو كالرّزق لكم، أنّكم تكذّبون، و يجوز شكر رزقكم. (٩: ٥١٢)

نحوه الطّبْرِسيّ. (٥: ٢٢٦)

القُشَيْريّ: كانوا إذ أمطروا يقولون: أمطرنا بنوء كذا.

يقول: أتجعلون بدل إنعام الله عليكم بالمطر الكفران به، و تتوهّمون أنّ المطر الّذي هو نعمة من الله من الأنواء و الكواكب؟!

و يقال: أتجعلون حظّكم و نصيبكم من القرآن التّكذيب؟ (٦: ٩٤)

الواحديّ: قال المفسّرون: تجعلون شكركم، أنّكم تكذّبون بنعم الله عليكم، فتقولون: سُقينا بنوء

كذا. و ذلك أنّهم كانوا يقولون: مُطرنا بنوء كذا. و لاينسبون السّقيا إلى الله تعالى، فقيل لهم: أتجعلون رزقكم، أي شكركم بما رزقتم التّكذيب؟ و المعنى: شكر رزقكم، فحذف المضاف.

قال الأزهَري: معنى الآية: و تجعلون بدل شكر رزقكم الّذي رزقكم الله التّكذيب، فإنّه من عند الله الرّزّاق. قال: و من جعل الرّزق من عند الله، و جعل النّجم وقتًا و قّته الله للغيث، و لم يجعله المغيث الرّازق، رجوت أن لايكون مكذّبًا. و الله أعلم. (٤: ٢٤٠)

الزّمَخشَريّ: على حذف المضاف، يعني: و تجعلون شكر رزقكم التّكذيب، أي وضعتم التّكذيب موضع الشّكر.

و قرأ عليّ رضي الله عنه: (و تَجْعَلُونَ شُكْرَكُمْ اَنَّكُمْ تُكَذِّبُون)، و قيل: هي قراءة رسول الله ﷺ، و المعنى: و تجعلون شكركم لنعمة القرآن أنّكم تكذّبون به.

و قيل: نزلت في الأنواء و نسبتهم السّقيا إليها، و الرّزق: المطر، يعني: و تجعلون شكر ما يرزقكم الله من الغيث أنّكم تكذّبون بكونه من الله؛ حيث تنسبونه إلى النّجوم. (٤: ٥٩)

نحوه النّسَفيّ. (٤: ٢٢١)

ابن عَطيّة: أجمع المفسّرون على أنّ الآية توبيخ للقائلين في المطر الّذي يُنزله الله للعباد: هذا بنوء كذا و كذا، و هذا بـ«عثانين» الأسد، و هذا بنوء «الجوزاء» و غير ذلك. و المعنى: و تجعلون شكر رزقكم، كما تقول لرجل: جعلت يا فلان إحساني إليك أن تشتمني، المعنى: جعلت شكر إحساني... [إلى أن قال:]

و قد أخبر الله تعالى أنّه أنزل من السّماء ماء مباركًا، فأنبت به جنّات و حبّ الحصيد و النّخل باسقات لها طلع نضيد رزقًا للعباد، فهذا معنى قوله: ﴿اَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾، أي بهذا الخبر. (٥: ٢٥٢)

الطّبْرِسيّ: فالمعنى: تجعلون رزقكم الّذي رزقكموه الله فيما قال: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا﴾ ق: ٩، إلى قوله: ﴿رِزْقًا لِلْعِبَادِ﴾ ق: ١١، و قال: ﴿وَاَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَاَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾ أنّكم تكذّبون في أن تنسبوا هذا الرّزق إلى غير الله تعالى، فتقولون: مُطرنا بنوء كذا، فهذا وجه التّخفيف.

و من قرأ (تَكْذِبُونَ) فالمعنى أنّكم تكذبون بالقرآن، لأنّ الله تعالى هو الّذي رزقكم ذلك على ما جاء في قوله تعالى: ﴿رِزْقًا لِلْعِبَادِ﴾ فتنسبونه أنتم إلى غيره، فهذا تكذيبكم بما جاء به التّنزيل.

و أمّا ما روي من قوله: (وَتَجْعَلُونَ شُكْرَكُمْ)، فالمعنى: تجعلون مكان الشّكر الّذي يجب عليكم التّكذيب، و قد يكون المعنى: و تجعلون شكر رزقكم التّكذيب، فحُذف المضاف. (٥: ٢٢٥)

الفَخْر الرّازيّ: ففيه وُجوه:

الأوّل: تجعلون شكر النّعم أنّكم تقولون: مُطرنا بنوء كذا، و هذا عليه أكثر المفسّرين.

الثّاني: تجعلون معاشكم و كسبكم تكذيب محمّد، يقال: فلان قطع الطّريق معاشه. و الرّزق في الأصل: مصدر سمّي به ما يُرزَق، يقال للمأكول: رزق، كما

يقال للمقدور: قدرة، و للمخلوق: خلق. و على هذا فالتّكذيب مصدر، قصد به ما كانوا يحصلون به مقاصدهم. (۲۹ : ۱۹۷)

ابن عَرَبيّ: أي قوتكم القلبيّ و رزقكم الحقيقيّ تكذيبه، لاحتجابكم بعلومكم، و إنكاركم ما ليس من جنسه، كإنكار رجل جاهل ما يخالف اعتقاده، كأنّ علمه نفس تكذيبه. أو رزقكم الصّوريّ، أي لمداومتكم على التّكذيب، كأنّكم تجعلون التّكذيب غذاءكم، كما تقول للمواظب على الكذب: الكذب غذاؤه. (۲ : ٥٩٥)

القُرطُبيّ: [نقل قول ابن عبّاس و أضاف:]

إنّما صلح أن يوضع اسم الرّزق مكان شكره، لأنّ شكر الرّزق يقتضي الزّيادة فيه، فيكون الشّكر رزقًا على هذا المعنى. فقيل: ﴿وَ تَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾، أي شكر رزقكم الّذي لو وجد منكم لعاد رزقًا لكم. ﴿أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ بالرّزق، أي تضعون الكذب مكان الشّكر، كقوله تعالى: ﴿وَ مَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَ تَصْدِيَةً﴾ الأنفال: ۳٥، أي لم يكونوا يصلّون و لكنّهم كانوا يُصفِّرون و يُصفِّقون مكان الصّلاة.

ففيه بيان أنّ ما أصاب العباد من خير، فلاينبغي أن يروه من قبل الوسائط الّتي جرت العادة بأن تكون أسبابًا، بل ينبغي أن يروه من قبل الله تعالى، ثمّ يقابلونه بشكر إن كان نعمة، أو صبر إن كان مكروهًا تعبّدًا له و تذلّلًا. (۱۷ : ۲۲۸)

أبو حَيّان: أي شكر ما رزقكم الله من إنزال القرآن عليكم تكذيبكم به، أي تضعون مكان الشّكر التّكذيب. (۸ : ۲۱٥)

أبو السُّعود: أي شكر رزقكم أنّكم تكذّبون، أي تضعون التّكذيب موضع الشّكر، و قرئ (وَ تَجْعَلُونَ شُكْرَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ)، أي تجعلون شكركم لنعمة القرآن أنّكم تكذّبون به. و قيل: الرّزق: المطر، و المعنى: و تجعلون شكر ما يرزقكم الله تعالى من الغيث أنّكم تكذّبون بكونه من الله تعالى: حيث تنسبونه إلى الأنواء، و الأوّل هو الأوفق لسباق النّظم الكريم و سياقه. (٦ : ۱۹٥)

البُرُوسَويّ: أي شكر رزقكم، بتقدير المضاف، ليصحّ المعنى. و الرّزق في الأصل: مصدر، سمّي به ما يُرْزَق، و المراد: نعمة القرآن ﴿أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾، أي تضعون التّكذيب لرازقه موضع الشّكر، أو تجعلون شكر رزقكم الصّوريّ أنّكم تكذّبون بكونه من الله حيث تنسبونه إلى الأنواء. (۹ : ۳۳۸)

الشَّوكانيّ: قال الهَيْثَم: إنّ أزد شنوءة يقولون: مارزق فلان، أي ماشكر، و على هذه اللّغة لايكون في الآية مضاف محذوف، بل معنى الرّزق: الشّكر. و وجه التّعبير بالرّزق عن الشّكر، أنّ الشّكر يُفيض زيادة الرّزق، فيكون الشّكر رزقًا، تعبيرًا بالسّبب عن المسبّب. و ممّا يدخل تحت هذه الآية قول الكفّار إذا سقاهم الله، و أنزل عليهم المطر: سُقينا بنوء كذا، و مُطرنا بنوء كذا. (٥ : ۱۹۸)

الآلوسيّ: شكركم ﴿أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ تقولون: مُطرنا بنوء كذا و كذا، و بنجم كذا و كذا، أخرج ذلك

الإمام أحمد و الترمذيّ و حسّنه، و الضّياء في «المختارة»، و جماعة عن عليّ كرّم الله تعالى وجهه عن النّبيّ ﷺ.

و هو إمّا إشارة منه عليه الصّلاة و السّلام إلى أنّ في الكلام مضافًا مقدّرًا، أي شكر رزقكم، أو إشارة إلى أنّ الرّزق مجاز عن لازمه و هو الشّكر. و حكى الهَيْثَم بن عديّ أنّ من لغة أزْدشنوءة: ما رزق فلان فلانًا، بمعنى ما شكره. و نُقل عن الكَرْماني أنّه نقل في «شرح البخاريّ»: أنّ الرّزق من أسماء الشّكر. و استبعدُ ذلك، و لعلّه هو ما حكاه الهَيْثَم. (٢٧: ١٥٦)

ابن عاشور: و المعنى: أفتجعلون رزقكم أنّكم تكذّبون؟ و هو تفريع على ما تضمّنه الاستدلال، بتكوين نسل الإنسان و خلق الحَبّ و الماء في المُزن، و النّار من أعواد الاقتداح، فإنّ في مجموع ذلك حصول مقوّمات الأقوات و هي رزق، و النّسل رزق، يقال: رُزق فلان ولدًا، لأنّ الرّزق يُطلق على العطاء النّافع. [ثمّ استشهد بشعر]

و قال تعالى: ﴿مَا اُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَ مَا اُرِيدُ اَنْ يُطْعِمُونِ﴾ الذّاريات: ٥٧، فعطف الإطعام على الرّزق، و العطف يقتضي المغايرة.

و الاستفهام المقدّر بعد العاطف إنكاريّ، و إذ كان التّكذيب لا يصحّ أن يُجعل رزقًا تعيّن بدلالة الاقتضاء تقدير محذوف يفيده الكلام، فقدّره المفسّرون: شكر رزقكم أو نحوه، أي تجعلون شكر الله على رزقه إيّاكم أن تكذّبوا بقدرته على إعادة الحياة، لأنّهم عدلوا عن شكر الله تعالى فيما أنعم به عليهم، فاستنقصوا قدرته على إعادة الأجسام، و نسبوا الزّرع لأنفسهم، و زعموا أنّ المطر تمطره النّجوم المسمّاة بالأنواء، فلذلك قال ابن عبّاس: نزلت في قولهم: مُطرنا بنوء كذا، أي لأنّهم يقولونه عن اعتقاد تأثير الأنواء في خلق المطر، فمعنى قول ابن عبّاس: نزلت في قولهم: مُطرنا بنوء كذا، أنّه مراد من معنى الآية. (٢٧: ٣٠٩)

مَغْنيّة: المراد بالرّزق: النّعمة، و بالتّكذيب: كفرانها، و المعنى: أنّ القرآن نعمة من الله عليكم أيّها المداهنون، فكيف قابلتموها بالجحود و الكفران؟

و قال جماعة من المفسّرين: إنّهم كانوا إذا أُمطروا قالوا: هذا من صنع الطّبيعة، فكان ذلك كفرًا منهم بأنعم الله، و فيهم نزلت هذه الآية.

و هذا بعيد، لأنّ الحديث عن القرآن لا عن الأمطار. (٧: ٢٣٤)

مكارم الشّيرازيّ: يقول سبحانه: إنّكم بدلًا من أن تشكروا الله تعالى على نعمه و رزقه و خاصّة نعمة القرآن الكبيرة، فإنّكم تكذّبون به، ﴿وَ تَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ اَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾.

قال البعض: إنّ المقصود أنّ استفادتكم من القرآن هي تكذيبكم فقط، أو أنّ التّكذيب تجعلونه وسيلة لرزقكم و معاشكم. إلّا أنّ التّفسير الأوّل مناسب للآيات السّابقة و لسبب النّزول أكثر من التّفسيرين الأخيرين.

و انسجامًا مع هذا الرّأي، فقد نقل كثير من المفسّرين عن ابن عبّاس طبقًا لهذا التّفسير: أصاب النّاس عطش في بعض أسفاره ﷺ فسُقوا، فسمع

رجلًا يقول: مُطرنا بنوء كذا، فنزلت الآية،لأنّ العرب كانوا يعتقدون في الجاهليّة بالأنواء وأنّ لها الأثر في نزول المطر، ويقصد بها النّجوم الّتي تظهر بين آونة وأخرى في السّماء، وأنّ ظهورها يصاحبه نزول المطر كما يعتقدون، ولهذا يقولون: مُطرنا بنوء كذا، أي ببركة طلوع النّجم الفلانيّ. وهذا بذاته أحد مظاهر الشّرك الجاهليّ وعبادة النّجوم.

والنّقطة الجديرة بالملاحظة هنا: أنّه جاء في بعض الرّوايات عن رسول الله ﷺ أنّه قلّما كان يُفسّر الآيات، وإجمالًا كان يتصدّى للتّفسير عند ما تستلزم الضّرورة كما في هذا المورد؛ حيث أخبر ﷺ أنّ المقصود من ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ اَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ وتجعلون شكر كم أنّكم تكذّبون. (١٧: ٤٦٤)

لَرِزْقُنَا

اِنَّ هٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ. ص: ٥٤

ابن عبّاس: طعامنا ونعيمنا لهم. (٣٨٣)

السُّدّيّ: رزق الجنّة، كلّما أُخذ منه شيء عاد مثله مكانه، ورزق الدّنيا له نفاد. (٤١٥)

الطّبَريّ: إنّ هذا الّذي أعطينا هؤلاء المتّقين في جنّات عدن من الفاكهة الكثيرة والشّراب، والقاصرات الطّرف، ومكّنّاهم فيها من الوصول إلى اللّذّات وما اشتهته فيها أنفسهم، لرزقنا، رزقناهم فيها كرامةً منّا لهم. (١٠: ٥٩٦)

الطّبْرِسيّ: أي عطاؤنا الجاري المتّصل. (٤: ٤٨١)

ابن عاشور: وأطلق الرّزق على النّعمة كما في قول النّبيّ ﷺ: «لو أنّ أحدهم قال حين يضاجع أهله: اللّهمّ جنّبنا الشّيطان وجنّب الشّيطان ما رزقتنا، ثمّ وُلد لهما ولد، لم يمسّه شيطان أبدًا»، فسمّى الولد رزقًا. (٢٣: ١٧٦)

مكارم الشّيرازيّ: أي أنّ النّعم في الجنان خالدة ولا تنفد ولا تزول كما في الحياة الدّنيا، وأنّها تزداد دائمًا من خزائن الله المملوءة وغير المحدودة، ولا يظهر عليها أيّ نقص،لأنّ الله أراد ذلك. (١٤: ٤٨٩)

رِزْقًا

١ ـ اَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَاَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلّٰهِ اَنْدَادًا وَاَنْتُمْ تَعْلَمُونَ.

البقرة: ٢٢

راجع: ث م ر: «الثّمرات» المعجم ج ٨: ٥٤٦.

٢ ـ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْاَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا اِنَّ فِى ذٰلِكَ لَاٰيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ.

النّحل: ٦٧

ابن عبّاس: حلالًا من الخلّ والدّبس والزّبيب وغير ذلك. (٢٢٦)

السَّكر: ما حرّم من شرابه، والرّزق الحسن: ما أحلّ من ثمرته. (الطّبَريّ ٧: ٦٠٧)

أمّا الرّزق الحسن: فما أحلّ من ثمرتهما، وأمّا السّكر: فما حرّم من ثمرتهما. (الطّبَريّ ٧: ٦٠٨)

نحوه سعيد بن جُبَيْر. (الطّبَريّ ٧: ٦٠٨)

يعني بذلك: الحلال التّمر والزّبيب، وما كان حلالًا لا يُسكر.

هو الحلال من الخلّ و النّبيذ و أشباه ذلك، فأقرّه الله و جعله حلالًا للمسلمين. (الطّبريّ ٧: ٦١٠)

سعيد بن جُبَيْر: السُّكر: خمر، و الرِّزق الحسن: الحلال. (الطّبريّ ٧: ٦٠٩)

الشّعبيّ: السّكر: النّبيذ و الخلّ، و الرّزق الحسن: التّمر و الزّبيب.

و الرّزق الحسن: كانوا يصنعون من التّمر و الزّبيب.

السّكر: النّبيذ، و الرّزق الحسن: التّمر الّذي كان يؤكل. (الطّبريّ ٧: ٦١١)

مُجاهِد: السّكر: الخمر، و الرّزق الحسن: الرُّطب و الأعناب. (الطّبريّ ٧: ٦٠٩)

و الرّزق الحسن: ما كانوا يصنعون من الزّبيب و التّمر. (الطّبريّ ٧: ٦١١)

الضّحّاك: الرّزق الحسن: الحلال، و السّكر: الحرام. (الطّبريّ ٧: ٦٠٩)

الحسَن: السّكر: ما حرّم الله منه، و الرّزق: ما أحلّ الله منه. (الطّبريّ ٧: ٦٠٩)

قَتادَة: أمّا السّكر: فخمور هذه الأعاجم، و أمّا الرّزق الحسن: فما تنتبذون، و ما تُخلّلون، و ما تأكلون. (الطّبريّ ٧: ٦١٠)

ابن زَيْد: الحلال: ما كان على وجه الحلال حتّى غيّروها فجعلوا منها سَكرًا. (الطّبريّ ٧: ٦١١)

الفَرّاء: هي الخمر قبل أن تُحرّم، و الرّزق الحسَن: الزّبيب و التّمر و ما أشبههما. (٢: ١٠٩)

نحوه ابن قُتَيْبَة. (٢٤٥)

الطّبَريّ: و اختلف أهل التّأويل في معنى قوله: ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَ رِزْقًا حَسَنًا﴾ فقال بعضهم: عني بالسّكر: الخمر، و بالرّزق الحسن: التّمر و الزّبيب.

و قال آخرون: السّكر بمنزلة الخمر في التّحريم و ليس بخمر. و قالوا: هو نقيع التّمر، و الزّبيب إذا اشتدّ و صار يُسكر شاربه.

و قال آخرون: السّكر: هو كلّ ما كان حلالًا شربه، كالنّبيذ الحلال و الخلّ و الرُّطب. و الرّزق الحسن: التّمر و الزّبيب. [ثمّ نقل قول الشّعبيّ و قال:]

و على هذا التّأويل الآية غير منسوخة، بل حكمها ثابت. و هذا التّأويل عندي هو أولى الأقوال. (٧: ٦٠٧)

الزّجّاج: إنّه الخمر من قبل أن تُحَرّم، و الرّزق الحسن: يؤكل من الأعناب و التّمور. (٣: ٢٠٩)

الماوَرْديّ: فيها أربعة تأويلات:

أحدها: أنّ السّكر: الخمر، و الرّزق الحسن: التّمر و الرُّطب و الزّبيب.

الثّاني: [قول الشّعبيّ]

و جعلها أهل العراق دليلًا على إباحة النّبيذ.

الثّالث: أنّ السّكر: الخلّ بلغة الحبشة، و الرّزق الحسن: الطّعام.

الرّابع: [قول الطّبَريّ] (٣: ١٩٨)

القُشَيْريّ: الرّزق الحسن: ما كان حلالًا.

و يقال: هو ما أتاك من حيث لاتحتسب، و يقال: هو الّذي لامنّة لمخلوق فيه و لاتبعة عليه.

و يقال: هو ما لايعصي الله مكتسبه في حال اكتسابه.

و يقال هو ما لاينسي الله فيه مكتسبه. (٣: ٣٠٦)

الواحديّ: و الرّزق الحسن: ما أحلّ منهما، كالزّبيب والخلّ و التّمر. (٣: ٧٠)

الميبديّ: و الرّزق الحسن: التّمر و الزّبيب والدّبس و الخلّ. (٥: ٤٠٤)

الزّمخشريّ: و الرّزق الحسن: الخلّ و الرُّبّ و التّمر و الزّبيب و غير ذلك. و يجوز أن يُجعل السّكر رزقًا حسنًا، كأنّه قيل: تتّخذون منه ما هو سكر و رزق حسن. (٢: ٤١٧)

ابن العربيّ: [نقل بعض الأقوال المتقدّمة و قال:]

أمّا هذه الأقاويل فأسدّها قول ابن عبّاس: إنّ السّكر: الخمر، و الرّزق الحسن: ما أحلّه الله بعدها من هذه الثّمرات.

و يخرج ذلك على أحد معنيين: إمّا أن يكون ذلك قبل تحريم الخمر، و إمّا أن يكون المعنى: أنعم الله عليكم بثمرات النّخيل و الأعناب، تتّخذون منه ما حرّم الله عليكم اعتداءً منكم، و ما أحلّ الله لكم اتّفاقًا أو قصدًا إلى منفعة أنفسكم.

و الصّحيح: أنّ ذلك كان قبل تحريم الخمر، فإنّ هذه الآية مكّيّة باتّفاق من العلماء، و تحريم الخمر مدنيّ. (٣: ١١٥٣)

ابن عاشور: و الرّزق: الطّعام، و وصف بـ﴿حَسَنًا﴾ لما فيه من المنافع، و ذلك التّمر و العنب، لأنّهما حلوان لذيذان يؤكلان رطبين و يابسين، قابلان للادّخار. و من أحوال عصير العنب أن يصير خلًّا و رُبًّا. (١٣: ١٦٣)

مَغْنِيَّة: أمّا الرّزق الحسن: فالمراد به التّمر و الرُّطب و الزّبيب و العنب و الخلّ و الرُّبّ، و ما إلى ذلك. و جاء في بعض الرّوايات أنّ المقصود بالسّكر في الآية: ما كان حرامًا، و بالرّزق: ما كان حلالًا. (٤: ٥٢٨)

عبد الكريم الخطيب: و السّكر: ما يُسكر، و هو الخمر، و الرّزق الحسن: ما يُصنع من التّمر و العنب في أغراض أُخرى غير السّكر.

و في هذا إشارة إلى أنّ السّكر و هو الخمر رزق غير حسن و إن سمّي رزقًا، لأنّ كثيرًا من النّاس يصنعه، و يبيعه، و يعيش من العمل فيه.

و هذه أوّل آية تنزل في الخمر، و تومئ إليه هذه الإيماءة الّتي تحقّره، و تسمه بتلك السّمة الّتي تعزله عن الحسن من الرّزق. (٧: ٣٢٢)

٣- ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ النّحل: ٧٣

الطُّوسيّ: و رزق السّماء: الغيث الّذي يأتي من جهتها، و رزق الأرض: النّبات و الثّمار الّتي تخرج منها. (٦: ٤٠٨)

نحوه الفخر الرّازيّ (٢٠: ٨٢)

الميبديّ: يعني من جهة السّماوات و الأرض، لأنّها لاتقدر على إنزال قطر من السّماء، و لاتقدر

على إخراج شيء من نبات الأرض. (٥: ٤١٦)

الزّمخشريّ: الرّزق يكون بمعنى المصدر، و بمعنى ما يُرزق. فإن أردت المصدر نصبت به ﴿شَيْئًا﴾ كقوله: ﴿أَوْ إِطْعَامٌ... يَتِيمًا﴾ البلد: ١٤، ١٥، على: لايملك أن يرزق شيئًا. و إن أردت المرزوق كان ﴿شَيْئًا﴾ بدلًا منه بمعنى قليلًا. و يجوز أن يكون تأكيدًا لـ ﴿لَا يَمْلِكُ﴾، أي لايملك شيئًا من الملك.

و ﴿مِنَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: صلة للرّزق إن كان مصدرًا بمعنى: لايرزق من السّماوات مطرًا، و لا من الأرض نباتًا. أو صفة إن كان اسمًا لما يُرزق. (٢: ٤١٩)

ابن عطيّة: و الرّزق: ما صحّ الانتفاع به. و قال أبومنصور في عقيدته: الرّزق ما وقع الاغتذاء به، و هذه الآية تردّ على هذا التّخصيص، و كذلك قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ البقرة: ٣، ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ البقرة: ٢٥٤، و غير ذلك من قول النّبيّ ﷺ: «جُعل رزقي في ظلّ رُمحي»، و قوله: «أرزاق أُمّتي في سنابك خيلها، و أسنّة رماحها» فالغنيمة كلّها رزق. و الصّحيح: أنّ ما صحّ الانتفاع به هو الرّزق، وهو مراتب، أعلاها ما تغذّي به. (٣: ٤٠٩)

أبوحيّان: يعني به المطر، و أُطلق عليه رزق، لأنّه عنه ينشأ الرّزق. ﴿وَالْأَرْضِ﴾: يعني الشّجر، و الثّمر، و الزّرع. (٥: ٥١٧)

الشّربينيّ: أي تاركين عبادة من بيده جميع الأرزاق، وهو ذو العلوّ المطلق الّذي رزقهم من الطّيّبات و يعبدون غيره، ثمّ بيّن تعالى جهة الرّزق بقوله تعالى: ﴿مِنَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، أمّا الرّزق الّذي يأتي من جانب السّماء فالمطر، وأمّا الّذي من جانب الأرض فالنّبات والثّمار الّتي تخرج منها. (٢: ٢٥٠)

أبوالسّعود: إن جُعل الرّزق مصدرًا فـ ﴿شَيْئًا﴾ نصب على المفعوليّة منه، أي مالايقدر على أن يرزقهم شيئًا، لا من السّماوات مطرًا و لا من الأرض نباتًا، و إن جُعل اسمًا للمرزوق، فنصب على البدليّة منه بمعنى قليلًا، و ﴿مِنَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ صفة لـ ﴿رِزْقًا﴾، أي كائنًا منهما، و يجوز كونه تأكيدًا لـ ﴿لَا يَمْلِكُ﴾، أي لايملك رزقًا مّا شيئًا من الملك. (٤: ٧٨)

٤ ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾. العنكبوت: ١٧

الطّبريّ: يقول جلّ ثناؤه: إنّ أوثانكم الّتي تعبدونها، لاتقدر أن ترزقكم شيئًا ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللهِ الرِّزْقَ﴾، يقول: فالتمسوا عند الله الرّزق لا من عند أوثانكم، تُدركوا ما تبتغون من ذلك (١٠: ١٢٩)

الطّوسيّ: أي لايقدرون على أن يرزقوكم، و إنّما يُبتغى الرّزق من القادر على المنع، و هو الله الرّازق. [إلى أن قال:]

ثمّ قال لهم: ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللهِ الرِّزْقَ﴾، أي اطلبوا الرّزق من عند الله دون من سواه. (٨: ١٩٥)

الزّمخشريّ: فإن قلت: لِمَ نكّر الرّزق ثمّ عرّفه؟ قلت: لأنّه أراد: لايستطيعون أن يرزقوكم شيئًا من الرّزق، فابتغوا عند الله الرّزق كلّه. فإنّه هو الرّزّاق وحده لايرزق غيره. (٣: ٢٠١)

ابن عَطيّة: فقرّر أنّ الأصنام لاترزق، و أمر بابتغاء الخير عند الله تعالى، و خصّص ﴿الرِّزْقَ﴾ لمكانته من الخلق، فهو جزء يدلّ على جنسه كلّه. (٤: ٣١١)

أبو حَيّان: قرّر أنّ الأصنام لاترزق، و الرّزق يحتمل أن يريد به المصدر: لايملكون أن يرزقوكم شيئًا من الرّزق. و احتمل أن يكون اسم المرزوق، أي لايملكون لكم إيتاء رزق و لاتحصيله. و خصّ الرّزق لمكانته من الخلق، ثمّ أمرهم بابتغاء الرّزق ممّن هو يملكه و يؤتيه. و ذكر الرّزق، لأنّ المقصود أنّهم لايقدرون على شيء منه، و عرّفه بَعْدُ لدلالته على العموم، لأنّه تعالى عنده الأرزاق كلّها. (٧: ١٤٦)

الآلوسيّ: ﴿رِزْقًا﴾، يحتمل أن يكون مصدرًا مفعولًا به لـ ﴿يَمْلِكُونَ﴾، و المعنى: لايستطيعون أن يرزقوكم شيئًا من الرّزق، و أن يكون بمعنى المرزوق، أي لايستطيعون إيتاء شيء من الرّزق.

و جُوّز على المصدريّة أن يكون مفعولًا مطلقًا لـ ﴿يَمْلِكُونَ﴾، من معناه، أو لمحذوف، و الأصل: لايملكون أن يرزقوكم رزقًا، و هو كما ترى، و نكّر كماقال بعض الأجلّة: للتّحقير و التّقليل مبالغةً في النّفي، و خصّ الرّزق لمكانته من الخلق. ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللهِ الرِّزْقَ﴾ أي كلّه، على أنّ تعريف الرّزق للاستغراق. (٢٠: ١٤٥)

ابن عاشور: و تنكير ﴿رِزْقًا﴾ في سياق النّفي يدلّ على عموم نفي قدرة أصنامهم على كلّ رزق و لو قليلًا، و تفريع الأمر بابتغاء الرّزق من الله إبطال لظنّهم الرّزق من أصنامهم، أو تذكير بأنّ الرّازق هو الله. فابتغاء الرّزق منه يقتضي تخصيصه بالعبادة، كما دلّ عليه عطف ﴿وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾. و قد سلك إبراهيم مسلك الاستدلال بالنّعم الحسّيّة، لأنّ إثباتها أقرب إلى أذهان العموم. (٢٠: ١٤٩)

٥ ـ وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلّٰهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا اَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَاَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا.
الأحزاب: ٣١

قَتادَة: و هي الجنّة. (الطّبَريّ ١٠: ٢٩٢)

الطّبَريّ: و أعتدنا لها في الآخرة عيشًا هنيئًا في الجنّة. (١٠: ٢٩٢)

الطّوسيّ: و الرّزق الكريم: هو الثّواب الّذي لايحسن الابتداء بمثله. (٨: ٣٣٨)

ابن عَطيّة: و الرّزق الكريم: الجنّة، و يجوز أن يكون في ذلك وعد دنياويّ. أي أنّ رزقها في الدّنيا على الله، و هو كريم، من حيث ذلك هو حلال و قصد و برضًى من الله في نيله. (٤: ٣٨٢)

الطّبْرسيّ: أي عظيم القدر رفيع الخطر. و قيل: إنّ الرّزق الكريم: ما سلم من كلّ آفة. (٤: ٣٥٤)

الفَخْرالرّازيّ: وصف رزق الآخرة بكونه كريمًا، مع أنّ الكريم لايكون إلّا وصفًا للرّزّاق، إشارة

إلى معنى لطيف. و هو أنّ الرّزق في الدّنيا مقدّر على أيدي النّاس، التّاجر يسترزق من السّوقة، و المعاملين و الصّناع من المستعملين، و الملوك من الرّعيّة و الرّعيّة منهم، فالرّزق في الدّنيا لا يأتي بنفسه، و إنّما هو مسخّر للغير، يمسكه و يرسله إلى الأغيار.

و أمّا في الآخرة فلا يكون له مُرسل و مُمسك في الظّاهر، فهو الّذي يأتي بنفسه، فلأجل هذا لا يوصف في الدّنيا بالكريم إلّا الرّزّاق، و في الآخرة يوصف بالكريم نفس الرّزق. (٢٥: ٢٠٨)

نحوه النّيسابوريّ. (٢٢: ١٠)

الشّربينيّ: أي في الدّنيا و الآخرة زيادة على أجرها.

أمّا في الدّنيا: فلأنّ ما يرزقهنّ منه يوفّقن لصرفه على وجه يكون فيه أعظم الثّواب، و لا يخشى من أجله نوع عقاب.

و أمّا في الآخرة: فلا يوصف و لا يُحَدّ، و لا نكد فيه أصلًا و لا كدّ. و هذا ما جرى عليه البقاعيّ، و هو أولى ممّا جرى عليه كثير من المفسّرين، من الاقتصار على رزق الجنّة، و علّله الرّازيّ بقوله: [ثمّ نقل كلامه].

(٣: ٢٤٢)

نحوه المراغيّ. (٢٢: ٣)

البُرُوسَويّ: أي حسنًا مرضيًّا قال في «المفردات»: كلّ شيء يُشرف في بابه فإنّه كريم، و فيه إشارة إلى أنّ الرّزق الكريم في الحقيقة هو نعيم الجنّة، فمن أراده يترك التّنعّم في الدّنيا. (٧: ١٦٨)

الآلوسيّ: عظيم القدر رفيع الخطر مرضيًّا لصاحبه. و قيل: الرّزق الكريم: ما يسلم من كلّ آفة.

و جوّز ابن عَطيّة أن يكون في ذلك وعد دنياويّ، أي إنّ رزقها في الدّنيا على الله تعالى، و هو كريم من حيث هو حلال و قصد برضًا من الله تعالى في نيله، و هو كما ترى. (٢٢: ٣)

ابن عاشور: و الرّزق الكريم: هو رزق الجنّة، قال تعالى: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا...﴾ البقرة: ٢٥، و وصفه بالكريم لأنّه أفضل جنسه.

(٢١: ٣٣٩)

الطّباطبائيّ: و الرّزق الكريم: مصداقه الجنّة.

(١٦: ٣٠٨)

مكارم الشّيرازيّ: الرّزق الكريم: له معنى واسع، يتضمّن كلّ المواهب المادّيّة و المعنويّة، و تفسيره بالجنّة باعتبارها مُجمِعًا لكلّ هذه المواهب.

(١٣: ٢١١)

٦ ـ ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾. المؤمن: ١٣

ابن عبّاس: مطرًا. (٣٩٤)

الطّبريّ: يقول: يُنزل لكم من أرزاقكم من السّماء بإدرار الغيث الّذي يخرج به أقواتكم من الأرض، و غذاء أنعامكم عليكم. (١١: ٤٦)

البغويّ: يعني: المطر الّذي هو سبب الأرزاق.

(٤: ١٠٨)

نحوه الزّمخشريّ (٣: ٤١٩)، و ابن الجوزيّ (٧: ٢١٠)، و الخازن (٦: ٧٦).

المَيْبُديّ: أي مطرًا يكون به الرّزق، هذا كقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ الأنبياء: ١٠٧، أي داعيًا تُدرك بإجابتك رحمتي، و كقوله: ﴿أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ يوسف: ٣٦، أي عنبًا تحصل منه الخمر.
(٨: ٤٥٥)

ابن عَطيّة: و تنزيل الرّزق هو في تنزيل المطر، و في تنزيل القضاء و الحكم. (٤: ٥٥٠)

الطَّبْرِسيّ: من الغيث و المطر الّذي يُنبت ما هو رزق للخلق. (٤: ٥١٧)

الفَخْرالرّازيّ: و اعلم أنّ أهمّ المهمّات رعاية مصالح الأديان، و مصالح الأبدان، فهو سبحانه و تعالى راعى مصالح أديان العباد بإظهار البيّنات و الآيات، و راعى مصالح أبدانهم بإنزال الرّزق من السّماء، فموقع الآيات من الأديان كموقع الأرزاق من الأبدان، فالآيات لحياة الأديان، و الأرزاق لحياة الأبدان، و عند حصولهما يحصل الإنعام على أقوى الاعتبارات و أكمل الجهات. (٢٧: ٤٢)

نحوه الشِّربينيّ. (٣: ٤٧٣)

القُرطُبيّ: جمع بين إظهار الآيات و إنزال الرّزق، لأنّ بالآيات قوام الأديان، و بالرّزق قوام الأبدان.
(١٥: ٢٩٩)

نحوه أبوحَيّان (٧: ٤٥٤) و البُرُوسَويّ (٨: ١٦٣).

أبوالسُّعود: أي سبب رزق و هو المطر، و إفراده بالذّكر مع كونه من جملة الآيات الدّالّة على كمال قدرته تعالى، لتفرّده بعنوان كونه من آثار رحمته و جلائل نعمته الموجبة للشكر، و صيغة المضارع في الفعلين للدّلالة على تجدّد الإراءة و التّنزيل و استمرارهما. (٥: ٤١٢)

مثله الآلوسيّ. (٢٤: ٥٤)

الطَّباطَبائيّ: حجّة أُخرى على وحدانيّته تعالى من جهة الرّزق، فإنّ رزق العباد من شؤون الرّبوبيّة و الأُلوهيّة، و الرّزق من الله دون شركائهم، فهو الرّبّ الإله دونهم.

و قد فسّروا الرّزق بالمطر، و السّماء بجهة العُلُوّ، و لا يبعد أن يراد بالرّزق نفس الأشياء الّتي يرتزق بها، و بنزولها من السّماء بروزها من الغيب إلى الشّهادة، على ما يفيده قوله: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ الحجر: ٢١. (١٧: ٣١٧)

مكارم الشّيرازيّ: و لكن من الضّروريّ أن نلتفت إلى أنّ القرآن يختار الإشارة إلى آية الرّزق من بين آيات الله المبثوثة في السّماء و الأرض و في وجود الإنسان، ذلك لأنّ الرّزق هو أكثر ما يشغل البال و الفكر. و أحيانًا نرى الإنسان يستنجد بالأصنام من أجل زيادة الرّزق و إنقاذه من وضعه المتردّي، لذا يأتي القرآن ليؤكّد أنّ جميع الأرزاق هي بيد الله، و لا تستطيع الأصنام أو غيرها أن تفعل أيّ شيء. (١٥: ٢٠٠)

٧ ـ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ. ق: ١١

ابن عبّاس: طعامًا للخلق، يعني الحبوب. (٤٣٨)

الطَّبَريّ: أنبتنا بهذا الماء الّذي أنزلناه من السّماء هذه الجنّات و الحَبّ و النّخل قوتًا للعباد، بعضها غذاء،

و بعضها فاكهة و متاعًا. (١١ : ٤١١)

الزّجّاج: و قوله: ﴿رِزْقًا لِلْعِبَادِ...﴾ ينتصب على وجهين:

أحدهما: على معنى رزقناهم رزقًا، لأنّ إنباته هذه الأشياء رزق.

و يجوز أن يكون مفعولًا له، المعنى: فأنبتنا هذه الأشياء للرّزق. (٥ : ٤٣)

الطّوسيّ: و قوله: ﴿رِزْقًا لِلْعِبَادِ﴾، أي خلقنا ما ذكرنا من حبّ الحصيد و الطّلع النّضيد رزقًا للعباد و غذاءً لهم، و هو نصب على المصدر، أي رزقناهم رزقًا. و يجوز أن يكون مفعولًا له، أي لرزق العباد، و الرّزق هو ما للحيّ الانتفاع به على وجه ليس لغيره منعه منه.

و الحرام ليس برزق، لأنّ الله تعالى منع منه بالنّهي و الحظر، و كلّ رزق فهو من الله تعالى، إمّا بأن يفعله أو يفعل سببه، لأنّه ممّا يريده. و قد يرزق الواحد منّا غيره، كما يقال: رزق السّلطان الجند. (٩ : ٣٦٠)

نحوه الطّبرسيّ. (٥ : ١٤٢)

الواحديّ: أي أنبتنا هذه الأشياء للرّزق. (٤ : ١٦٤)

الزّمخشريّ: ﴿رِزْقًا﴾ على: أنبتناها رزقًا، لأنّ الإنبات في معنى الرّزق. أو على أنّه مفعول له، أي أنبتناها لنرزقهم. (٤ : ٥)

القرطبيّ: أي رزقناهم رزقًا، أو على معنى أنبتناها رزقًا، لأنّ الإنبات في معنى الرّزق. أو على أنّه مفعول له، أي أنبتناها لرزقهم، و الرّزق ما كان مهيّأً للانتفاع به. (١٧ : ٧)

الشّربينيّ: ﴿رِزْقًا﴾ يجوز أن يكون حالًا، أي مرزوقًا ﴿لِلْعِبَادِ﴾، و يجوز أن يكون مفعولًا له، و ﴿لِلْعِبَادِ﴾ إمّا صفة، و إمّا متعلّق بالمصدر. فإن قيل: ما الحكمة في قوله تعالى عند ذكر خلق السّماء والأرض ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ﴾ ق: ٨، و في الثّمار قال: ﴿رِزْقًا﴾ و الثّمار أيضًا فيها تبصرة، و في السّماء و الأرض أيضًا منفعة غير التّبصرة و التّذكرة؟

أجيب: بأنّ الاستدلال وقع لوجود أمرين:

أحدهما: الإعادة.

و الثّاني: البقاء بعد الإعادة، فإنّ النّبيّ ﷺ كان يُخبرهم بحشر و جمع يكون بعده الثّواب الدّائم و العقاب الدّائم، و أنكروا ذلك، فقال:

أمّا الأوّل: فالله القادر على خلق السّماوات و الأرض، قادر على خلق الخلق بعد الفناء.

و أمّا الثّاني: فلئنّ البقاء في الدّنيا بالرّزق، و القادر على إخراج الأرزاق من النّخل و الشّجر قادر على أن يرزق بعد الحشر، فكان الأوّل تبصرة و تذكرة بالخلق، و الثّاني: تذكرة بالبقاء و الرّزق، و يدلّ على هذا الفصل بينهما بقوله تعالى: ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ﴾ حيث ذكر ذلك بين الآيتين، ثمّ بدأ بذكر الماء و إنزاله و إنبات النّبات. (٤ : ٨١)

أبو السّعود: أي لنرزقهم علّة لقوله تعالى: ﴿فَأَنْبَتْنَا﴾ ق: ٩، و في تعليله بذلك بعد تعليل ﴿أَنْبَتْنَا﴾ ق: ٧، الأوّل بالتّبصرة و التّذكير، تنبيه على أنّ الواجب على العبد أن يكون انتفاعه بذلك من

حيث التّذكّر و الاستبصار، أهمّ و أقدم من تمتّعه به من حيث الرّزق. و قيل: ﴿رِزْقًا﴾ مصدر من معنى ﴿اَنْبَتْنَا﴾ لأنّ الإنبات رزق. (٦: ١٢٤)

نحوه البُرُوسَويّ. (٩: ١٠٨)

الآلوسيّ: [نحو أبي السّعود و أضاف:]

و جُوِّز أن يكون ﴿رِزْقًا﴾ مصدرًا من معنى ﴿اَنْبَتْنَا﴾، لأنّ الإنبات رزق، فهو من قبيل قعدت جلوسًا. و أن يكون حالًا بمعنى مرزوقًا. (٢٦: ١٧٦)

ابن عاشور: ﴿رِزْقًا لِلْعِبَادِ﴾ مفعول لأجله، لقوله: ﴿فَاَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ﴾ ق: ٩، إلى آخره، فهو مصدر، أي لنرزق العباد، أي نقوتهم. و القول في التّعليل به كالقول في التّعليل بقوله: ﴿تَبْصِرَةً وَ ذِكْرٰى﴾ ق: ٨. (٢٦: ٢٤٤)

الطَّباطَبائيّ: الرّزق: ما يُمَدّ به البقاء، و ﴿رِزْقًا لِلْعِبَادِ﴾ مفعول له، أي أنبتنا هذه الجنّات و حَبّ الحصيد، و النّخل باسقات بما لها من الطّلع النّضيد ليكون رزقًا للعباد، فمن خلق هذه النّباتات ليرزق به العباد، بما في ذلك من التّدبير الوسيع الّذي يُدهش اللّبّ و يُحيّر العقل، هو ذو علم لايتناهى، و قدرة لاتعيا، لايشقّ عليه إحياء الإنسان بعد موته، و إن تلاشت ذرّات جسمه، و ضلّت في الأرض أجزاء بدنه. (١٨: ٣٤١)

٨ ـ ... وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا اَبَدًا قَدْ اَحْسَنَ اللهُ لَهُ رِزْقًا الطّلاق: ١١

الطَّبَريّ: يقول: قد وسّع الله له في الجنّات رزقًا، يعني بالرّزق: ما رزقه فيها من المطاعم و المشارب، و سائر ما أعدّ لأوليائه فيها، فطيّبه لهم. (١٢: ١٤٤)

الزّجّاج: أي رزقه الله الجنّة الّتي لاينقطع نعيمها و لايزول. (٥: ١٨٨)

الطُّوسيّ: أي أجزل الله لهم ما ينتفعون به و لايمنعون منه، فالرّزق: النّفع الجاري في الحكم، فلمّا كان النّفع للمؤمنين في الجنّة جاريًا في حكم الله، كان رزقًا لهم منه. (١٠: ٤١)

القُشَيْريّ: و الرّزق الحسن: ما كان على حدّ الكفاية لا نقصان فيه تتعطّل الأمور بسببه، و لا زيادة فيه تشغله عن الاستمتاع بما رُزق لحرصه.

كذلك أرزاق القلوب، أحسنها أن يكون له من الأحوال ما يشتغل به في الوقت، من غير نقصان يجعله يتعذّب بتعطّشه، و لاتكون فيه زيادة، فيكون على خطر من مغاليط لا يخرج منها إلّا بتأييد سماويّ من الله. (٦: ١٧٠)

الواحديّ: يعني الجنّة الّتي لاينقطع نعيمها. (٤: ٣١٦)

نحوه البغويّ (٥: ١١٤) و ابن الجَوْزيّ (٨: ٢٩٩)، و الخازن (٧: ٩٥).

المَيْبُديّ: أي ثوابًا جميلًا في الجنّة.

و قيل: رزقًا من المطاعم و المشارب. (١٠: ١٤٦)

الزّمَخْشَريّ: فيه معنى التّعجب و التّعظيم، لما رزق المؤمن من الثّواب. (٤: ١٢٤)

نحوه البَيْضاويّ (٢: ٤٨٥)، و النّسَفيّ (٤: ٢٦٨)،

و الشِّربينيّ(٤: ٣٢١)، و أبو السُّعود(٦: ٢٦٤)، و الآلوسيّ(٢٨: ١٤٢).

ابن عَطيّة: و الرّزق المشار إليه: رزق الجنّة، لدوامه و دروره. (٥: ٣٢٧)

الفَخر الرّازيّ: قيل: ﴿رِزْقًا﴾، أي طاعة في الدّنيا و ثوابًا في الآخرة، و نظيره ﴿رَبَّنَا اٰتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَ فِي الْاٰخِرَةِ حَسَنَةً وَ قِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ البقرة: ٢٠١. (٣٠: ٣٩)

البُرُوسَويّ: و فيه معنى التّعجب و التّعظيم، لما رزقه اللّه المؤمنين من الثّواب، لأنّ الجملة الخبريّة إذا لم يحصل منها فائدة الخبر و لالازمها، تُحمَل على التّعجّب إذا اقتضاه المقام، كأنّه قيل: ما أحسن رزقهم الّذي رزقهم اللّه و ما أعظمه!. فـ﴿رِزْقًا﴾ ظاهره المفعوليّة لـ﴿اَحْسَنَ﴾، و التّنوين للتّعظيم، لإعداده تعالى فيها ما هو خارج عن الوصف، أو للتّكثير عددًا لما فيه ممّا تشتهيه الأنفس من الرّزق و الأنفس، أو مددًا لأنّ أكلها دائم لاينقطع. و لا بُعد في أن يكون ﴿لَهُ﴾ بمعنى «إليه»، و يكون ﴿رِزْقًا﴾ تمييزًا بمعنى قد هيّأ له و أعدّ ما يحسن إليه به من جهة الرّزق.

قال بعض الكبار: الجزاء على الأعمال في حقّ العارفين من عين المنّة، فهو جزاء العمل لاجزاء العامل، فافهم.

قال في «الأسئلة المفحمة»: «الظّاهر أنّ الرّزق الحسن» مال في قدر الكفاية، بلازيادة تطغي و لاحاجة تنسي.

يقول الفقير: هذا التّفسير ليس في محلّه، لأنّ المراد رزق الآخرة ـ كما دلّ عليه ما قبل الآية ـ لارزق الدّنيا.

و في «التّأويلات النّجميّة»: و من يؤمن باللّه إيمانًا حقيقيًّا عينيًّا، و يعمل عملا صالحًا منزّهًا عن رؤيته مقدّسًا عن نسبته إلى العامل المجازي، يُدخله جنّات المكاشفات و المشاهدات و المعاينات و المحاضرات من غير الفترة الحجابيّة، قد أحسن اللّه له رزقًا، فرزق الرّوح بالتّفريد، و رزق القلب بالتّجريد، و رزق السّرّ بالتّوحيد، و رزق الخفيّ بالفناء و البقاء. (١٠: ٤٢)

الشَّوكانيّ: و جملة ﴿قَدْ اَحْسَنَ اللّٰهُ لَهُ رِزْقًا﴾ في محلّ نصب على الحال من الضّمير في ﴿خَالِدِينَ﴾ على التّداخل، أو من مفعول يدخله على التّرادف، و معنى ﴿قَدْ اَحْسَنَ اللّٰهُ لَهُ رِزْقًا﴾ أي وسّع له رزقه في الجنّة. (٥: ٣٠٢)

المَراغيّ: و قد وسّع اللّه لهم فيها الأرزاق من مطاعم و مشارب، ممّا لاعين رأت، و لاأذن سمعت، و لاخطر على قلب بشر. (٢٨: ١٥٠)

ابن عاشور: و جملة ﴿قَدْ اَحْسَنَ اللّٰهُ لَهُ رِزْقًا﴾ حال من الضّمير المنصوب في ﴿يُدْخِلْهُ﴾ و لذلك فذكر اسم الجلالة إظهار في مقام الإضمار، لتكون الجملة مستقلّة بنفسها.

و الرّزق: كلّ ما يُنتَفع به، و تنكيره هنا للتّعظيم، أي رزقًا عظيمًا. (٢٨: ٣٠٣)

الطَّباطَبائيّ: و قوله: ﴿قَدْ اَحْسَنَ اللّٰهُ لَهُ رِزْقًا﴾ وصف لإحسانه تعالى إليهم، فيما رزقهم به من الرّزق. و المراد بالرّزق: ما رزقهم من الإيمان و العمل الصّالح

في الدّنيا، و الجنّة في الآخرة، و قيل: المراد به الجنّة.

(۱۹ : ۳۲۵)

مكارم الشّيرازيّ: و التعبير بـ ﴿رزقاً﴾ بصيغة نكرة إشارة إلى عظمة و أهمّيّة الأرزاق الطّيّبة الّتي يهيّؤها الله لهذه الجماعة، و قد يتّسع معناها ليشمل كلّ النّعم الإلهيّة في الدّنيا و الآخرة، لأنّ الصّالحين و المتّقين لهم حياتهم الكريمة حتّى في الحياة الدّنيا.

(۱۸ : ۳۹٦)

الوُجُوه و النّظائر

الحيريّ: باب «الرّزق» على تسعة أوجُه:

أحدها: العطاء، كقوله: ﴿وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللهِ﴾ البقرة: ٦٠، و قوله: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ البقرة: ۳، حيث كان و غيرها من سور أُخرى، و في الأعراف الآية: ١٦٠: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾.

و الثّاني: الطّعام، كقوله: ﴿فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾ إبراهيم: ۳۲، و قوله: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ البقرة: ۲۵، و قوله: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ مريم: ٦۲، و قوله: ﴿أُولٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ﴾ الصّافّات: ٤١، و قوله: ﴿إِنَّ هٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ ص: ٥٤.

و الثّالث: رزق الجنّة، كقوله في البقرة الآية: ۲۱۲، و آل عمران الآية: ۳۷: ﴿وَاللهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، و في المؤمن الآية: ٤٠: ﴿يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

و الرّابع: فاكهة الشّتاء في الصّيف، و فاكهة الصّيف في الشّتاء، كقوله: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ آل عمران: ۳۷.

و الخامس: الحوت، كقوله: ﴿وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللهُ افْتِرَاءً عَلَى اللهِ قَدْ ضَلُّوا﴾ الأنعام: ١٤٠، و قوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ﴾ يونس: ٥٩.

و السّادس: المال، كقوله: ﴿وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ هود: ۸۸، و قوله: ﴿وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا﴾ النّحل: ۷٥، و قوله: ﴿وَاللهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ﴾ النّحل: ۷۱.

و السّابع: المطر، كقوله: ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾ المؤمن: ١٣، و قوله: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ الذّاريات: ۲۲، و في الجاثية الآية: ٥: ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ﴾ و قوله: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ الواقعة: ۸۲.

و الثّامن: الجنّة، كقوله في طٰه الآية: ١٣١: ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾.

و التّاسع: الثّواب، كقوله في الطّلاق الآية: ١١: ﴿قَدْ أَحْسَنَ اللهُ لَهُ رِزْقًا﴾. (٢٦١)

الدّامغانيّ: الرّزق على تسعة أوجه: العطاء، الطّعام، الغداء، و العشاء خاصّة، الشّكر، المطر، النّفقة، الفاكهة خاصّة، الثّواب، الجنّة.

فوجه منها: الرّزق يعني العطاء، فذلك قوله في سورة البقرة: ۳ ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾، يعني ممّا أعطيناهم يتصدّقون، مثلها في المنافقون: ١٠

﴿وَأَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾، نظيرها في الحديد و نحوه كثير.

والوجه الثّاني: الرّزق: الطّعام، فذلك قوله في سورة البقرة: ٢٥: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ﴾، أي أطعموا ﴿قَالُوا هٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾، أي أطعمنا و نحوه كثير، مثل قوله يوسف: ٣٧: ﴿لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ﴾، يعني تطعمانه.

و الوجه الثّالث: الرّزق: الغداء و العشاء خاصّة، قوله في مريم: ٦٢: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ يعني غداهم و عشاهم.

والوجه الرّابع: الرّزق: الشّكر، فذلك قوله في سورة الواقعة: ٨٢: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ يعني شكركم ﴿أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾.

والوجه الخامس: الرّزق يعني المطر، قوله في سورة و الذّاريات: ٢٢: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾، يعني المطر.

والوجه السّادس: الرّزق يعني النّفقة، قوله في سورة البقرة: ٢٣٣: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ﴾ يعني نفقتهنّ.

والوجه السّابع: الرّزق الفاكهة خاصّة، قوله في سورة آل عمران: ٣٧: ﴿وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾، يعني فاكهة الشّتاء و الصّيف.

والوجه الثّامن: الرّزق يعني الثّواب، قوله في سورة الطّلاق: ١١: ﴿قَدْ أَحْسَنَ اللهُ لَهُ رِزْقًا﴾، أي قد أعدّ الله له ثوابًا، كقوله في آل عمران: ١٦٩: ﴿يُرْزَقُونَ﴾ أي يثابون.

والوجه التّاسع: الرّزق يعني الجنّة، قوله طٰه: ١٣١: ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ يعني الجنّة و نعيمها. (٣٦٧)

الأُصول اللُّغويّة

١ ـ الأصل في هذه المادّة: الرِّزق، و هو العطاء، أو ما يُنتفَع به؛ و الجمع: أرزاق. يقال: رَزَقَه الله يَرْزُقه رزقًا حسنًا، أي نعَشَه، و هو رازق و رَزّاق.

و رَزَق الله الخلق رَزْقًا و رِزْقًا؛ فالمصدر مفتوح و الاسم مكسور.

و ارْتَزَقه و استَرْزَقه: طلب منه الرِّزق.

و رجل مَرْزوق: مجدود، أي ذو حظّ.

و الرَّزْقة: المرّة الواحدة؛ و الجمع: الرَّزَقات، و هي أطماع الجند. يقال: رُزِق الجند رَزْقةً واحدة لا غير، و رُزِقوا رَزْقتَيْن، أي مرّتين.

و أرزاق الجند: أطماعهم. يقال: ارْتَزَقَ الجند، أي أخذوا أرزاقهم.

و رَزَق الأمير جنده فارْتَزَقوا ارتزاقًا.

و الرَّوازق: الجوارح من الكلاب و الطّير. يقال: رَزَق الطّائر فَرْخه يَرْزُقه رَزْقًا كذلك.

٢ ـ و يرى المستشرقون أنّ لفظ الرِّزق دخيل في العربيّة، و أنّه فارسيّ المنشإ، دخل العربيّة بواسطة اللُّغة الآراميّة أو السّريانيّة[1]. إذ ورد في اللُّغة الفهلويّة بلفظ «روسيك»، أي المعاش، و في الفارسيّة الحديثة «روزي» كذلك.

(١) المفردات الدّخيلة في القرآن.

و لعلّ رأيهم صواب، لأنّ العرب استعملوا مشتقّات هذه المادّة غالبًا إمّا في ما يسوقه الله إلى العباد من العطاء و المعاش، و إمّا في ما يمنحه الأمير الجند، و لم يعهد هذان الأمران إلّا بعد ظهور الإسلام؛ حيث لهج المسلمون بدعاء الله للرّزق، و نظّموا الجند و أجروا لهم عطاء جاريًا.

و قد أوجز اللّغويّون الكلام في هذه المادّة و لم يتبسّطوا في مشتقّاتها، و أطلق عليها ابن فارس لفظ «أصيل» لوجازتها، كما هو ديدنه في نظائرها من الموادّ، مثل: مادّة «د ق م» و «ر س ح» و «ر هـ ج» و نحوها.

و نرى أثر هذا اللّفظ في بعض اللّغات السّاميّة كالسّريانيّة و الآراميّة، فجاء «روسيك» الفهلويّ بلفظ «روزيقا» في السّريانيّة، و منها انتقل إلى العربيّة، فعُرّب بحذف حروف المدّ الثّلاثة: الألف و الواو و الياء فصار رزقًا.

الاستعمال القرآنيّ

جاءت جميع مشتقّاتها من الثّلاثيّ المجرّد، فمن الأفعال: الماضي المعلوم ٣٥ مرّة، و المجهول مرّتين، و المضارع المعلوم ١٦ مرّة، و المجهول ٣ مرّات، و الأمر ٥ مرّات، و اسم الفاعل ٦ مرّات، و المبالغة مرّة واحدة، و اسم المصدر ٥٥ مرّة.

يلاحظ أوّلًا: أنّ فيها محورين: الرّزق الدّنيويّ، و الرّزق الأخرويّ.

المحور الأوّل، و فيه (٩٢) آية:

أ ـ الرّزق المادّيّ:

١ ـ ﴿اَلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَ يُقِيمُونَ الصَّلٰوةَ وَ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ البقرة: ٣

٢ ـ ﴿اَلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْاَرْضَ فِرَاشًا وَ السَّمَاءَ بِنَاءً وَ اَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَاَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلّٰهِ اَنْدَادًا وَ اَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ البقرة: ٢٢

٣ ـ ﴿وَ ظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَ اَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَ السَّلْوٰى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَ مَا ظَلَمُونَا وَ لٰكِنْ كَانُوا اَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ البقرة: ٥٧

٤ ـ ﴿وَ اِذِ اسْتَسْقٰى مُوسٰى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ اُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَ اشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللّٰهِ وَ لَا تَعْثَوْا فِى الْاَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ البقرة: ٦٠

٥ ـ ﴿وَ اِذْ قَالَ اِبْرٰهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هٰذَا بَلَدًا اٰمِنًا وَ ارْزُقْ اَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ اٰمَنَ مِنْهُمْ بِاللّٰهِ وَ الْيَوْمِ الْاٰخِرِ قَالَ وَ مَنْ كَفَرَ فَاُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ اَضْطَرُّهُ اِلٰى عَذَابِ النَّارِ وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ البقرة: ١٢٦

٦ ـ ﴿يَا اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَ اشْكُرُوا لِلّٰهِ اِنْ كُنْتُمْ اِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾

البقرة: ١٧٢

٧ ـ ﴿وَ الْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ اَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ اَرَادَ اَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَ عَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَ كِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ اِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَ لَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَ عَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذٰلِكَ فَاِنْ اَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَ تَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَ اِنْ اَرَدْتُمْ اَنْ

تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم إذا سلّمتم ما آتيتم بالمعروف واتّقوا الله واعلموا أنّ الله بما تعملون بصير﴾ البقرة: ٢٣٣

٨ ـ ﴿يا أيّها الّذين آمنوا أنفقوا ممّا رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلّة ولا شفاعة والكافرون هم الظّالمون﴾ البقرة: ٢٥٤

٩ ـ ﴿تولج اللّيل في النّهار وتولج النّهار في اللّيل وتخرج الحيّ من الميّت وتخرج الميّت من الحيّ وترزق من تشاء بغير حساب﴾ آل عمران: ٢٧

١٠ ـ ﴿فتقبّلها ربّها بقبول حسن وأنبتها نباتًا حسنًا وكفّلها زكريّا كلّما دخل عليها زكريّا المحراب وجد عندها رزقًا قال يا مريم أنّى لك هذا قالت هو من عند الله إنّ الله يرزق من يشاء بغير حساب﴾

آل عمران: ٣٧

١١ ـ ﴿ولا تؤتوا السّفهاء أموالكم الّتي جعل الله لكم قيامًا وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولًا معروفًا﴾ النّساء: ٥

١٢ ـ ﴿وإذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولًا معروفًا﴾

النّساء: ٨

١٣ ـ ﴿وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا ممّا رزقهم الله وكان الله بهم عليمًا﴾

النّساء: ٣٩

١٤ ـ ﴿وكلوا ممّا رزقكم الله حلالًا طيّبًا واتّقوا الله الّذي أنتم به مؤمنون﴾ المائدة: ٨٨

١٥ ـ ﴿قال عيسى ابن مريم اللّهمّ ربّنا أنزل علينا مائدة من السّماء تكون لنا عيدًا لأوّلنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرّازقين﴾ المائدة: ١١٤

١٦ ـ ﴿قد خسر الّذين قتلوا أولادهم سفهًا بغير علم وحرّموا ما رزقهم الله افتراءً على الله قد ضلّوا وما كانوا مهتدين﴾ الأنعام: ١٤٠

١٧ ـ ﴿ومن الأنعام حمولة وفرشًا كلوا ممّا رزقكم الله ولا تتّبعوا خطوات الشّيطان إنّه لكم عدوّ مبين﴾ الأنعام: ١٤٢

١٨ ـ ﴿قل تعالوا أتل ما حرّم ربّكم عليكم ألّا تشركوا به شيئًا وبالوالدين إحسانًا ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإيّاهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النّفس الّتي حرّم الله إلّا بالحقّ ذلكم وصّيكم به لعلّكم تعقلون﴾

الأنعام: ١٥١

١٩ ـ ﴿قل من حرّم زينة الله الّتي أخرج لعباده والطّيّبات من الرّزق قل هي للّذين آمنوا في الحيوة الدّنيا خالصة يوم القيمة كذلك نفصّل الآيات لقوم يعلمون﴾ الأعراف: ٣٢

٢٠ ـ ﴿وقطّعناهم اثنتي عشرة أسباطًا أممًا وأوحينا إلى موسى إذ استسقيه قومه أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينًا قد علم كلّ أناس مشربهم وظلّلنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المنّ والسّلوى كلوا من طيّبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾

الأعراف: ١٦٠

٢١ ـ ﴿الّذين يقيمون الصّلوة وممّا رزقناهم

ينفقون﴾ الأنفال: ٣

٢٢ ـ ﴿واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآويكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون﴾ الأنفال: ٢٦

٢٣ ـ ﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون﴾ يونس: ٣١

٢٤ ـ ﴿قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراماً وحلالاً قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون﴾ يونس: ٥٩

٢٥ ـ ﴿ولقد بوأنا بني إسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم إن ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ يونس: ٩٣

٢٦ ـ ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين﴾ هود: ٦

٢٧ ـ ﴿قال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ذلكما مما علمني ربي إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون﴾ يوسف: ٣٧

٢٨ ـ ﴿والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلوة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية ويدرؤن بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار﴾ الرعد: ٢٢

٢٩ ـ ﴿الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وفرحوا بالحيوة الدنيا وما الحيوة الدنيا في الآخرة إلا متاع﴾ الرعد: ٢٦

٣٠ و ٣١ ـ ﴿قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال * الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار﴾ إبراهيم: ٣١، ٣٢

٣٢ ـ ﴿ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلوة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون﴾ إبراهيم: ٣٧

٣٣ ـ ﴿وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين﴾ الحجر: ٢٠

٣٤ ـ ﴿ويجعلون لما لا يعلمون نصيباً مما رزقناهم تالله لتسئلن عما كنتم تفترون﴾ النحل: ٥٦

٣٥ ـ ﴿ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً إن في ذلك لآية لقوم يعقلون﴾ النحل: ٦٧

٣٦ ـ ٣٨ ـ ﴿والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء أفبنعمة الله يجحدون * والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمت الله هم يكفرون *

وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لاَ يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ﴾

النّحل: ٧١ـ٧٣

٣٩ـ ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لاَ يَقْدِرُ عَلٰى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾

النّحل: ٧٥

٤٠ـ ﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾

النّحل: ١١٢

٤١ـ ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ حَلاَلًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ النّحل: ١١٤

٤٢ و ٤٣ـ ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا * وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاَقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْأً كَبِيرًا﴾ الإسراء: ٣٠، ٣١

٤٤ـ ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلٰى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ الإسراء: ٧٠

٤٥ـ ﴿وَكَذٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكٰى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلاَ يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ الكهف: ١٩

٤٦ـ ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلاَ تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوٰى﴾ طٰه: ٨١

٤٧ـ ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلٰوةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لاَ نَسْئَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوٰى﴾

طٰه: ١٣٢

٤٨ـ ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلٰى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ الحجّ: ٢٨

٤٩ و ٥٠ـ ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلٰى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ * اَلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلٰى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلٰوةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ الحجّ: ٣٤، ٣٥

٥١ـ ﴿أَمْ تَسْئَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ المؤمنون: ٧٢

٥٢ـ ﴿أَمَّنْ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ءَإِلٰهٌ مَعَ اللهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ النّمل: ٦٤

٥٣ـ ﴿أُولٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَؤُنَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾

القصص: ٥٤

٥٤ـ ﴿وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدٰى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبٰى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾

القصص: ٥٧

٥٥ـ ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ

يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ القصص: ٨٢

٥٦ - ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ العنكبوت: ١٧

٥٧ - ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ العنكبوت: ٦٠

٥٨ - ﴿اللهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ العنكبوت: ٦٢

٥٩ - ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ الروم: ٢٨

٦٠ - ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ الروم: ٣٧

٦١ - ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَٰلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ الروم: ٤٠

٦٢ - ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾

السجدة: ١٦

٦٣ - ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ سبأ: ١٥

٦٤ - ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾

سبأ: ٢٤

٦٥ - ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ سبأ: ٣٦

٦٦ - ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ سبأ: ٣٩

٦٧ - ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ فاطر: ٣

٦٨ - ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ ﴾ فاطر: ٢٩

٦٩ - ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ يس: ٤٧

٧٠ - ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾

الزمر: ٥٢

٧١ - ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾ المؤمن: ١٣

٧٢ - ﴿اللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾

المؤمن: ٦٤

٧٣ـ ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾
الشّورى: ١٢

٧٤ـ ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلٰكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾
الشّورى: ٢٧

٧٥ـ ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلٰوةَ وَأَمْرُهُمْ شُورٰى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾
الشّورى: ٣٨

٧٦ـ ﴿وَاخْتِلَافِ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾
الجاثية: ٥

٧٧ـ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾
الجاثية: ١٦

٧٨ـ ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ * رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذٰلِكَ الْخُرُوجُ﴾
ق: ١٠، ١١

٧٩ـ ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾
الذّاريات: ٢٢

٨٠ و ٨١ ـ ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ * إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾
الذّاريات: ٥٧، ٥٨

٨٢ ـ ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾
الجمعة: ١١

٨٣ ـ ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلٰى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾
المنافقون: ١٠

٨٤ ـ ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾
الطّلاق: ٣

٨٥ ـ ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللهُ لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾
الطّلاق: ٧

٨٦ ـ ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ الملك: ١٥

٨٧ـ ﴿أَمَّنْ هٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾
الملك: ٢١

٨٨ ـ ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلٰيهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾
الفجر: ١٦

و فيها بُحُوث:

١ ـ قال الثّعلبيّ في تفسير الآية (١): ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾: «الرّزق عند أهل السّنّة: ما صحّ الانتفاع به، فإن كان طعامًا فللتغذّي به، و إن كان لباسًا فللوقاية و التّوقّي، و إن كان مسكنًا فللانتفاع به سُكنى، و قد ينتفع المنتفع بما هُيّئ الانتفاع به على الوجهين: حلالًا و حرامًا، فلذلك قلنا: إنّ الله رزق الحلال و الحرام».

و يريد بأهل السّنّة المذاهب الكلاميّة و ليست الفقهيّة، قال الزّبيديّ: «إذا أطلق أهل السّنّة و الجماعة

فالمراد بهم: الأشاعرة و الماتريديّة »[1]، و نسبة هذا الرّأي إلى أهل السّنّة مطلقًا ليس بسديد، لأنّ مسألة الرّزق من المسائل الكلاميّة الّتي جرت حولها مناظرات كثيرة بين الأشاعرة و المعتزلة، منذ القرن الثّالث الهجريّ، و كلا الفريقين ينتمي إلى المذاهب الإسلاميّة من أهل السّنّة.

و كان الخلاف بين هذين الفريقين يعود إلى مسألة الجبر و التّفويض، فالأشاعرة يقولون بالجبر، فأسندوا الرّزق الحرام إلى الله، و المعتزلة يقولون بالتّفويض، فأنكروا ذلك و منعوه.

و قد عزف جمّ غفير من أهل السّنّة عن الخوض في هذه المهاترات، وخاصّة المتأخّرون منهم، مثل: سيّد قُطب، و عبد الكريم الخطيب، و محمّد فريد وجدي، و محمّد عليّ طه الدُّرّة، و محمّد عزّة دروزة و غيرهم.

و ردّ بعضهم قول الأشاعرة: ما يُنتفَع به من الحلال و الحرام فهو رزق، كما فعل الجصّاص من المتقدّمين، فانتصر للمعتزلة و هو ليس منهم، فقال في تفسير هذه الآية: « لمّا مدح هؤلاء بالإنفاق ممّا رزقهم الله، دلّ ذلك على أنّ إطلاق اسم الرّزق إنّما يتناول المباح منه دون المحظور، و أنّ ما اغتصبه و ظلم فيه غيره لم يجعله الله رزقًا، لأنّه لو كان رزقًا له لجاز إنفاقه و إخراجه إلى غيره، على وجه الصّدقة و التّقرّب به إلى الله تعالى. و لا خلاف بين المسلمين أنّ الغاصب محظور عليه الصّدقة بما اغتصبه، و كذلك قال النّبيّ ﷺ: لا تُقبَل صدقة من غلول ».

---

(١) اتحاف سادة المتقين (٢ : ٨).

٢ ـ انتصب الرّزق في (٢) و (٣١) تحقيقًا أو تقديرًا: ﴿وَ اَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَاَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾، و هو إمّا مفعول به لـ ﴿فَاَخْرَجَ﴾، و إمّا مفعول لفعل محذوف من جنسه. واشترط الزّمَخْشَريّ على القول الأوّل أن تكون « مِنْ » لبيان الجنس، و التّقدير: فأخرج به رزقًا لكم هو الثّمرات.

و ردّه أبوحيّان، فقال: « و هذا ليس بجيّد، لأنّ « مِنْ » الّتي لبيان الجنس إنّما تأتي بعد المبهم الّذي تُبيّنه ».

و اشترط الزّمَخْشَريّ أيضًا على القول الثّاني أن تكون « مِنْ » للتّبعيض، والتّقدير: و رزق بعض الثّمرات رزقًا لكم.

و لم يستحسن ابن عاشور هذا القول، فقال: « ليس التّبعيض مناسبًا لمقام الامتنان ».

و حكى ابن عَطيّة عن بعض أنّ « مِنْ » هنا زائدة، و هذا ليس بشيء، لأنّ سياق الآيتين والآيات السّابقة و اللّاحقة لهما، يجري على بيان مِنَن الله على العباد، و منها الرّزق. و هذا القول لا يناسبها، لأنّه يوقع العامل ـ أي الإخراج ـ على الثّمرات، و يؤكّد تعلّقه بها دون الرّزق، فتأمّل.

و « مِنْ » الزّائدة ـ فضلًا عن ذلك ـ يُشتَرط على زيادتها ثلاثة أُمور: تقدّم نفي أو نهي أو استفهام بـ « هل »، و تنكير مجرورها، و كون مجرورها فاعلًا أو مفعولًا أو مبتدأ.

كما أنّ سيبَوَيه لا يجوّز زيادة « مِنْ »، و يعتبرها تبعيضيّة مؤكّدة، ففي قولهم: ما أتاني من رجل، و ما

رأيت من أحد. قال: «أكّد بـ«مِنْ» لأنّ هذا موضع تبعيض، فأراد أنّه لم يأته بعض الرّجال و النّاس».

٣ـ أباح الله الرّزق الطّيّب بلفظ ﴿كُلُوا﴾ و أسنده إليه في (٣) و (٦) و (٢٠) و (٤٦): ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾، و الرّزق فيها خاصّ و عامّ، و المراد بالرّزق الخاصّ: إنزال المنّ و السّلوى على بني إسرائيل في (٣) و (٢٠) و (٤٦)، والرّزق العامّ كافّة ما لذّ و طاب للمؤمنين في (٦).

و يرى محمّد رشيد رضا أنّ «إسناد الرّزق إلى ضمير جمع العظمة تأكيد للتّنبيه، و التّذكير ممّا يجب من شكره تعالى على ذلك». و فيه حثّ للمؤمنين خاصّة على الإنفاق أيضًا، كما في (١): ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾، و في (٨): ﴿يَاءَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا اَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾، و في (٣٩): ﴿وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا﴾.

٤ـ إن قيل: ذكر تعالى الماء من الرّزق في (٤): ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللهِ﴾، و هو شرب دون أكل، فلم جمع بينهما هنا؟

يقال: فيه وجهان:

الأوّل: أنّ الماء ينبت منه الزّرع و الثّمر، فهو رزق يؤكل منه و يشرب، نقله الزّمخشريّ.

و الثّاني: أنّه تعالى ذكر قبل هذه الآية إنزال المنّ و السّلوى، و هما طعام يؤكل؛ قال في (٣): ﴿وَاَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوٰى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾.

و قد أُضيف الرّزق إلى لفظ الجلالة في هذه الآية فقط، و عزا أبو حيّان ذلك إلى كون «مأكولهم و مشروبهم حاصلين لهم من غير تعب منهم ولا تكلّف». و هذا يناسب الوجه الثّاني دون الأوّل.

٥ـ دعا إبراهيم عليه السلام ربّه ليرزق أهل مكّة و من سكنها من الثّمرات في (٥): ﴿وَارْزُقْ اَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ و (٣٢): ﴿وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾، و سكت أغلب المفسّرين عن تفسير هذا الرّزق.

و من تكلّم فيه منهم اشتطّ في قوله و أبعد، فقد روى الطّبريّ عن هشام، قال: «قرأت على محمّد بن مسلم الطّائفيّ أنّ إبراهيم لمّا دعا للحرم ﴿وَارْزُقْ اَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾، نقل الله الطّائف من فلسطين».

و لكنّ المراد بـ﴿الثَّمَرَاتِ﴾: كلّ ما يجلب إليها من سائر البلاد، و ذلك قوله في (٥٤): ﴿يُجْبٰى اِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا﴾، و كلّ ما يبعث أهلها على الفرح و السّرور، كتحبيبهم إلى من يفد عليهم من حجّاج بيت الله الحرام كلّ آن، و هذا رزق عظيم.

و لـمّا استُخرج النّفط من شمال الجزيرة العربيّة، شملت عائداته الحجاز و نجد و العروض و تهامة و العسير و سائر أطراف هذه الأرض و أكنافها، واستغنت بذلك عمّا يُجلَب إليها من خارجها، و هو رزق ساقه الله إليها ببركة دعاء النّبيّ إبراهيم عليه السلام، و لكنّه صيّر لهم نوالًا و زُلالًا و على سائر بلاد المسلمين نصالًا و نبالًا.

٦ـ يراد بالرّزق و الكسوة: الإنفاق في (٧): ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾، أي على والد الرّضيع الإنفاق بالمعروف على والدته الّتي ترضعه، فاستُعمل الرّزق و الكسوة محلّ الإنفاق.

لأنّه جنس بعيد، تنضوي إليه أجناس كثيرة، و منها الرّزق و الكسوة، فهما جنسان قريبان، يخصّصان المعنى و لايعمّمانه كالإنفاق، فهو يؤوّل بالرّزق تارة، و بالكسوة تارة أُخرى، وبهما معًا أيضًا، فيُبهَم الحكم، و يضيع الحقّ.

و اللّام في قوله: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ﴾ لام الملك، أي مادام المولود ملكه، وجب عليه رزق والدته الّتي ترضعه و كسوتها، فعدل عن لفظ الوالد إلى ﴿الْمَوْلُودِ لَهُ﴾ لهذا المعنى، و ليس كما ذكره الزّمخشريّ، فقال: «لأنّ الأولاد للآباء، و لذلك يُنسبون إليهم لاإلى الأُمّهات»، و استشهد بقول المأمون:

فإنّما أُمّهات النّاس أوعية

مستودعات و للآباء أبناء

٧ـ اقترن الرّزق بالإنفاق في (٨): ﴿يَاءَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا اَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾، و في (١٦) آية أُخرى أيضًا، و قد أُخّر في (٨) آيات ـ و منها هذه الآية ـ عن الإنفاق، و هي: (١٣): ﴿وَاَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللهُ﴾ و (٢٨): ﴿وَاَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ و (٣٠): ﴿وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ و (٦٦): ﴿وَمَا اَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ و (٦٨): ﴿وَاَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ و (٧٩): ﴿وَاِذَا قِيلَ لَهُمْ اَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ﴾ و (٨٣): ﴿وَاَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾.

و قدّم في (٨) آيات أُخرى على الإنفاق، و هي: (١): ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ و (٢١): ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ و (٣٩): ﴿وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا﴾ و (٥٠): ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ و (٥٣): ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ و (٦٢): ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ و (٨٥): ﴿وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا اٰتٰيهُ اللهُ﴾.

و تعني هذه الآيات كلّها المؤمنين، إلّا آيتين منها تعنيان الكافرين، و هما: (١٣) و (٦٩).

و لاشكّ أنّ قران الرّزق بالإنفاق حثّ على الإحسان، فكأنّه تعالى يقول: عبدي! رزقي إيّاك امتنان، و رزقك عيالي إحسان، فإحسانك إليهم منّي، وضنّك عليهم جحد منّي.

٨ـ ورد الرّزق المطلق بلفظ ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ في (٩): ﴿وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، و لم يرد من الرّزق المطلق في الدّنيا إلّا هذه الآية، و ما جاء منه في الآخرة قوله في (٩٣): ﴿وَاللهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ و (١٠٧): ﴿وَاللهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ و (١٠٢): ﴿يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

و من رزق الآخرة المطلق لأهل الدّنيا قوله في (١٠): ﴿اِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، و هو رزق خاصّ لمريم.

و أمّا الرّزق المقيّد فهو رزق النّبوّة و الرّسالة؛ و منه قول شعيب لقومه في (٨٩): ﴿وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾.

و قسّم الطّباطبائيّ الرّزق إلى «رزق عامّ، و هو العطيّة العامّة الممدّة لكلّ موجود في بقاء وجوده، و منه ما هو رزق خاصّ، و هو الواقع في مجرى الحلّ».

٩ ـ جاء الرّزق مع الأكل في (١٤): ﴿وَكُلُوا مِمَّا

رَزَقَكُمُ اللهُ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾ و في تسع آيات أُخرى، و هي: (٣): ﴿ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ و (٥): ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللهِ ﴾ و (٦): ﴿ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ و (٢٠): ﴿ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ و (٤١): ﴿ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾ و (٤٦): ﴿ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ و (٦٣): ﴿ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ ﴾ و (٨٦): ﴿ وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ ﴾.

و الرّزق هنا المأكول حقيقةً أو مجازًا، و يومئ اقترانه بالأكل ــ و هو فعل أمر لجمع المذكّر فقط ــ إلى إباحته لكافّة النّاس، مؤمنهم، كما في هذه الآية و في (٦) و (١٧) و (٤١) و (٨٦)، و كافرهم، كما في (٦٣)، و للأديان الأُخرى كاليهود، كما في (٣) و (٤) و (٢٠) و (٤٦).

و يلحظ في هذه الآيات أيضًا وقوع الحرف (مِنْ) بين الأكل و الرّزق، وهو يفيد التّبعيض على الأرجح.

١٠ ــ جاء الرّزق مرّتين: اسمًا و فعلًا في (١٠): ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾، و فسّره أغلب المفسّرين بأنّه فاكهة الشّتاء في الصّيف و فاكهة الصّيف في الشّتاء، و هو ممّا يتعذّر الرّكون إليه، لأنّه لا يستند إلى الأحاديث النّبويّة أو الحوادث التّاريخيّة.

و لعلّ في تنكير «الرّزق» إشارة إلى حدوث معجز في هذا الأمر. قال الفخر الرّازيّ في تنكيره: «يدلّ على تعظيم حال الرّزق، كأنّه قيل: رزقًا، أي رزق غريب عجيب؛ و ذلك إنّما يفيد الغرض اللّائق لسياق هذه الآية، لو كان خارقًا للعادة».

و أيّد الطّباطبائيّ هذا الرّأي، و استدلّ عليه بقوله: «لو كان من الرّزق المعهود، و كان تنكيره يفيد أنّه ما كان يجد محرابها خاليًا من الرّزق، بل كان عندها رزق ما دائمًا، لم يقنع زكريّا بقولها: ﴿ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ... ﴾ في جواب قوله: ﴿ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هٰذَا ﴾، لإمكان أن يكون يأتيها بعض النّاس ممّن كان يختلف إلى المسجد لغرض حسن أو سيّئ، على أنّ قوله تعالى: ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ... ﴾ يدلّ على أنّ زكريّا تلقّى وجود هذا الرّزق كرامة إلٰهيّة خارقة، فأوجب ذلك أن يسأل الله أن يهب له من لدنه ذرّيّة طيّبة، فقد كان الرّزق رزقًا يدلّ بوجوده على كونه كرامة من الله سبحانه لمريم الطّاهرة...».

و يُستشفّ من هذا الكلام أنّ هذا الرّزق العجيب طعام من السّماء منزل على أهل الأرض، ونظيره المائدة المنزلة على عيسى عليه السلام و على حواريه في (١٥): ﴿ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللّٰهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾، و المنّ و السّلوى المنزل على بني إسرائيل في (٣): ﴿ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ و (٢٠): ﴿ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ و (٤٦): ﴿ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾، فهو رزق سماويّ أرضيّ.

١١ ــ نسب الله الخسران إلى المشركين لتحريمهم ما

رزقهم في (١٦): ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللهُ افْتِرَاءً عَلَى اللهِ﴾، لأنّ تحريم ما أباحه الله جحد لنعمائه و ردّ لمننه، و هذا خسران واضح و غباء فاضح. و كان عرب الجاهليّة يحرّمون على أنفسهم ـ سفهًا منهم و نزقًا ـ طيّبات أحلّها الله للنّاس كافّة، و كذا فعل اليهود أيضًا.

و نظير هذه الآية قوله في (١٩): ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ و في (٢٤): ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا﴾.

١٢ ـ نهى الله المشركين عن قتل أولادهم من أجل فقرهم، و علّل ذلك بتكفّله برزقهم و رزق أولادهم في (١٨): ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾، و كذلك في (٤٣): ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾.

غير أنّه قدّم ضمير الخطاب على الغيبة في (١٨) على الأصل، لأنّ الآباء هم المعنيّون بالخطاب هنا، و قدّم ضمير الغيبة على الخطاب في (٤٣) للحصر، أي نحن نرزق أولادكم كما نرزقكم. و علّل أبو السّعود ذلك بقوله: «للإشعار بأصالتهم في إفاضة الرّزق». و قال ابن كثير: «فبدأ برزقهم للاهتمام بهم، أي لاتخافوا من فقركم بسبب رزقهم، فهو على الله».

و عزا أبو حيّان اختلاف الأسلوبين إلى اختلاف العبارتين في علّة القتل، فزعم أنّ قوله في (١٨): ﴿مِنْ إِمْلَاقٍ﴾ يدلّ على حصول الفقر للآباء، و قوله في (٤٣): ﴿خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ يدلّ على توقّعه في الآجل.

و هذا بعيد، لأنّ الأب لايُقدم على قتل ولده على التوهّم و التوقّع.

١٣ ـ ذكر الله تعالى بعض مننه على المسلمين برزقهم من الطّيّبات في آيات معدودة، و منها (٢٢): ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾، و يريد به الغنائم، و هو ما اتّفق عليه المفسّرون قاطبة.

و حمل الطّبرسيّ وحده هذا المعنى على «الرّزق» في (٤١): ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ حَلَالًا طَيِّبًا﴾، فقال: «أي كلوا ممّا أعطاكم الله من الغنائم و أحلّها لكم». و هذا سهو منه، لأنّ الآية مكّيّة، و ليس في الحقبة المكّيّة قتال و لاجهاد و لافيء و لاغنائم. و المراد من الحلال الطّيّب من الرّزق فيها: ما حرّمه أهل الجاهليّة على أنفسهم، كلحوم البحيرة و السّائبة و الوصيلة و الحامي. و نظيره قوله في (١٩): ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾.

و يشمل الرّزق من الطّيّبات أيضًا: المنّ و السّلوى المُنزلين على بني إسرائيل تصريحًا، كما في (٣): ﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ و (٢٠): ﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ و (٤٦): ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى * كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾، أو إيماءً، كما في (٢٥): ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ و (٧٧): ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾.

و تشمل سائر الآيات منه مطلق الرّزق، و هي: (٦): ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ و (١٤): ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ و (٣٧):

﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ و (٤٤): ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ و (٧٢): ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾.

١٤ ـ احتجّ تعالى على الكافرين بالرّزق في (٢٣): ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾، و كان الخطاب فيها لمشركي قريش على لسان النّبيّ ﷺ بلفظ ﴿قُلْ﴾، و نظيره قوله في (١٩): ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيٰمَةِ﴾ و (٢٤): ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللهِ تَفْتَرُونَ﴾ و (٥٢): ﴿وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ءَإِلٰهٌ مَعَ اللهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ و (٦٤): ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللهُ﴾ و (٦٥): ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ و (٦٦): ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾.

و احتجّ به عليهم أيضًا مباشرة دون واسطة في (٥٤): ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا﴾ و (٥٩): ﴿هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾ و (٦٠): ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ و (٦١): ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ و (٧٠): ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ و (٧١): ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾ و (٨٦): ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ و (٨٧): ﴿أَمَّنْ هٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ﴾.

و ممّن احتجّ بالرّزق على قومه من الأنبياء أيضًا إبراهيم الخليل ﷺ في (٥٦): ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللهِ الرِّزْقَ﴾، و شعيب ﷺ في (٨٩): ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾.

و يلحظ أنّ جميع هذه الآيات مكّيّة، و هي إشارة إلى أهمّيّة الرّزق و أثره في الحياة الثّقافيّة و الاجتماعيّة و الاقتصاديّة للمجتمع المكّيّ في ذلك الزّمان، فحاججهم الله بعصب حياتهم و عماد اقتصادهم، و قرنه بسائر حججه، كالسّمع و البصر، و إخراج الحيّ من الميّت و إخراج الميّت من الحيّ، و تدبير الأمر، كما في هذه الآية.

١٥ ـ تكفّل الله برزق الدّابّة في (٢٦): ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا﴾، و كذلك في (٥٧): ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾، و في (٣٣) على قول: ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾.

و تكلّف بعض المفسّرين تفسير الآية (٢٦)؛ حيث فسّروا (على) بالحرف «من»، لئلّا يقال: إنّ الله يتكفّل برزق الدّابّة وجوبًا، و رأوا أنّه تعالى يتكفّل برزقها تفضّلًا.

و لكن ما الضّير في إيجابه ذلك على نفسه؟ و قد أفصح عن هذا المعنى في مواضع متعدّدة من القرآن، و نذكر فيما يلي عشر آيات تتضمّن إيجابه على نفسه أمورًا مختلفة: ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ الأنعام:

١٢، ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ الأنعام: ٥٤، ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ الرّعد: ٤٠، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الرّوم: ٤٧، ﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ يس: ١٧، ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَىٰ﴾ النّجم: ٤٧، ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ القيمة: ١٧، ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ القيمة: ١٩، ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ الغاشية: ٢٦، ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾ اللّيل: ١٢

١٦ ـ جاء الرّزق فعلًا مبنيًّا للمجهول دالًّا على العموم في (٢٧): ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا﴾، مجاراة للفظ ﴿طَعَامٌ﴾ المنكّر تنكيرًا محضًا دالًّا على العموم أيضًا، ولمعنى الآية الدّالّ على إبهام ما يساق إلى الفتيين من طعام.

وأسندت جملة ﴿تُرْزَقَانِهِ﴾ إلى لفظ ﴿طَعَامٌ﴾، لأنّه محور الآية وغايتها، وهو وصف نوعه وبيان حالته. ولو أُسند إلى الرّزق ـ أي قيل: لا يأتيكما رزق تطعمانه ـ لكان وصفًا لنوع الرّزق، وهو الطّعام مطلقًا، ونفيًا للمعجز الّذي توسّل به يوسف ﷺ. وقد فسّر الدّامغانيّ «الرّزق» هنا بالطّعام، وهو كما ترى.

١٧ ـ اجتمع بسط الرّزق ومشيئة الله وقدر الرّزق في (٢٩): ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾، حيث علّق تعالى بسط الرّزق بمشيئته، ولم يُعلّق قدر الرّزق بها، وسنتعرّض لسبب ذلك في «ق د ر» إن شاء الله.

وحيثما يُذكر بسط الرّزق يقرن به مشيئة الله وقدر الرّزق، كما في الآيات التّالية: (٤٢): ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ و(٥٥): ﴿وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ﴾ و(٥٨): ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾ و(٦٠): ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ و(٦٥): ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ و(٦٦): ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾ و(٧٠): ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ و(٧٣): ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ و(٧٤): ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ﴾.

ويلحظ أنّه جاءت العناصر الثّلاثة تترى في هذه الآيات، وسبقها لفظ الجلالة أو ما دلّ عليه، إلّا (٧٤)، فتوسّط فيها لفظ الجلالة البسط والرّزق، وتأخّرت المشيئة عن القدر، راجع: «ب س ط».

١٨ ـ جعل المشركون بعض ما رزقهم الله لأصنامهم في (٣٤): ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾، وهذا يفصح عن خرقهم ونزقهم، فساواهم لموتان أفئدتهم بما لا يُعقَل ـ وهي الأصنام ـ إزراء بهم؛ إذ جمعها بالواو في ﴿يَعْلَمُونَ﴾، كما جمعهم بها في ﴿يَجْعَلُونَ﴾!

ولـمّا أحصى تعالى مِنَنه على النّاس، ومنها الرّزق، زجرهم عن جعلهم له أندادًا في (٢): ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ

فَلَا تَجْعَلُوا لِلّٰهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾.

١٩ـ اختلف المفسّرون في السَّكَر و الرّزق الحسن في (٣٥): ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾، فبعض عمّم معناهما، فقال: السَّكَر: الحرام، و الرّزق الحسن: الحرام، و بعض خصّصه، فقال: السَّكَر: الخمر، أو النّبيذ، أو الخلّ، و الرّزق الحسن: التّمر، أو الزّبيب، أو هما معًا، أو الطّعام مطلقًا.

و نرى أقرب الأقوال ـ و الله أعلم ـ أنّ السَّكَر: الخلّ، لأنّه يُتّخذ من ﴿ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ﴾ خاصّة، و ورد هذا المعنى بلسان الحبشة، كما روي عن ابن عبّاس. و الرّزق الحسن: الزّبيب، و هو ما جُفّف من العنب، و يطلق على التّين المجفّف أيضًا، و لعلّه يطلق على ما جُفّف من الثّمر على التّوسّع.

و لا نسخ على هذا التّفسير، لأنّ من فسّر السَّكَر بالخمر نسخ هذه الآية بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ المائدة: ٩٠. كما أنّه يمنع أصحاب أبي حنيفة من القول بإباحة النّبيذ أيضًا.

٢٠ـ قدّر الله حلوم المشركين في (٣٦): ﴿وَاللّٰهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللّٰهِ يَجْحَدُونَ﴾، حيث قيّد سموّ رتبهم برزقه. و الحرف في قوله: ﴿فِي الرِّزْقِ﴾ ظرفيّ مجازيّ، أي يا معاشر المشركين فضّل الله بعضكم على بعض عند الرّزق فحسب، إذ لا فضل لهم، و إن كان أحدهم في درايته أبصر ذي عينين، و في وعيه أسمع ذي أذنين، و في شدّته أبطش ذي يدين، و في سخائه أجود ذي كفّين، و في فصاحته أبلغ ذي لسان. بيد أنّ شرف المرء يقاس عند الله بحقيقة الإيمان و سلامة الجنان، راجع: « ف ض ل ».

٢١ـ أسند الملك منفيًّا إلى الرّزق في (٣٨): ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾، و فيه دلالة على أنّ المعبود يجب أن يكون مالكًا للرّزق، فتخرج الأصنام من هذا الحكم، و يدخل فيه من ادّعى الرّبوبيّة من الموسرين. و لمّا علّق بقوله: ﴿مِنَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ خرج كلّ أحد سوى الله تعالى.

و لكنّ هذا المعنى لا يستقيم إلّا بجعل ﴿رِزْقًا﴾ مصدرًا، و ﴿شَيْئًا﴾ مفعولًا به للرّزق، و هو خلاف السّماع، لأنّ المصدر من « ر ز ق » مفتوح الرّاء، و الاسم منه مكسور الرّاء، كما تقدّم.

و نرى أنّ ﴿رِزْقًا﴾ مفعول به للملك، و أنّ الجارّ و المجرور و ما عطف عليه: إمّا متعلّق بالفعل ﴿يَمْلِكُ﴾، و إمّا بنعت محذوف للفظ ﴿رِزْقًا﴾، و أنّ ﴿شَيْئًا﴾ على كلا التّقديرين بدل من ﴿رِزْقًا﴾، فشبه الجملة ﴿مِنَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ تأكيد لعدم استطاعة الأصنام رزق مَن يعبدونها في قوله: ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾، فلذا لم يرد في (٥٦): ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللّٰهِ الرِّزْقَ﴾، لعدم حاجة السّياق إليه.

٢٢ ـ قابل الله العبد المملوك و عجزه بالحرّ الكريم و إنفاقه في (٣٩): ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَايَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا﴾، و فيها إشارة إلى قوّة الرّزق الحسن و سعة رحابه، و حثّ على التّخلّص من الرّقّ و العبوديّة، و التّشجيع على كسب الرّزق الحلال، و الإنفاق في سبيل الله سرًّا و علانيةً.

٢٣ ـ أسند الإتيان إلى الرّزق في (٤٠): ﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾، أي يأتي الرّزق أهل القرية دون أن يبذلوا جهدًا في طلبه و كسبه. و إليه استند الإمام عليّ عليه السلام في قوله لابنه الإمام الحسن عليه السلام: «اعلم يا بنيّ أنّ الرّزق رزقان: رزق تطلبه، و رزق يطلبك، فإن أنت لم تأته أتاك».[1]

٢٤ ـ إن قيل: لو قال في (٤٥): ﴿فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾: فليأتكم به و ليتلطّف... لكان الكلام أخصر.

يقال: ذكر الرّزق ليبيّن جهة الطّعام و صفته، و هو الرّزق الحلال، كما بيّن الطّعام بميزه، و هو الزّكاة، فكلاهما متمّم للآخر، و يتعذّر الاستغناء عن أحدهما دون الآخر، راجع: «ط ع م».

٢٥ ـ ضمن الله لرسوله الرّزق في (٤٧): ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلٰوةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَانَسْئَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ﴾، و جملة ﴿لَانَسْئَلُكَ رِزْقًا﴾ استئنافيّة، و جعلها بعض معترضة بين قوله: ﴿وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ و قوله: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكَ﴾، فربط الصّلاة بالرّزق، و فسّر الآية بأنّ النّبيّ صلى الله عليه و آله كان كاسف البال و مهتمًّا للرّزق، و أنّه شُغل به عن الصّلاة! و غير ذلك من الأقوال الّتي لاتليق بمقام رسول الله صلى الله عليه و آله و شخصيّته الفذّة.

٢٦ ـ وصف الله في (٥١) بأنّه خير الرّازقين: ﴿أَمْ تَسْئَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾، و فيه دلالة على أنّ المشركين كانوا يعطون خراجًا و رزقًا لمن يسألهم أيضًا، إلّا أنّه تعالى فضّل خراجه و رزقه على خراجهم و رزقهم، و مدح نفسه بأنّه ﴿خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾. و نظيره قوله في (١٠٥): ﴿وَإِنَّ اللهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ و (٦٦): ﴿وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ و (٨٢): ﴿وَاللهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾.

٢٧ ـ قرن الله الرّزق بالمراحل الّتي يمرّ بها الإنسان في الدّنيا و الآخرة في (٦١): ﴿اَللهُ الَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذٰلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾، و هي الحياة و الموت و البعث؛ حيث عجّز المشركين بعبادتهم ما لايقدر على ذلك.

و حاججهم تعالى بالرّزق لأثره في الإنسان أثناء حياته و بعد مماته، واقتصر في ذلك عليه و على ما له مساس له، فما احتجّ عليهم بخلق السّماوات و الأرض و ما فيهما، أو بإنزال الغيث و إحياء الأرض و إنبات الزّرع و إخراج الثّمرات، أو إهلاك القرون الأُولى، أو ملكه للدّنيا و الآخرة و غير ذلك.

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: (١٦: ١١٢).

٢٨ ـ كان بَغْي العباد في الأرض سببًا لتضييق الله الرّزق عليهم في (٧٤): ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلٰكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ﴾، و هذا لطف منه تعالى و رحمة ما داموا يتلاطفون و يتراحمون، و لكن إذا ما تقاطعوا، و قلب بعض لبعض ظهر المِجَنّ، وسّع لهم الرّزق، فبغى بعضهم على بعض، كما نرى النّاس في عصرنا؛ حيث يفدح المترفون المستضعفين و يبطرونهم، و يتنافسون فيما بينهم و يتغالبون، و لله درّ ابن عبّاس؛ إذ قال: «بغيهم في الأرض: طلبهم منزلة بعد منزلة، و دابّة بعد دابّة، و مليسًا بعد ملبس».

٢٩ ـ اتّفق المفسّرون قاطبة على أنّ الرّزق هو المطر في (٧٦): ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾، إلّا أنّ سيّد قُطْب ضعّف قولهم و وسّع معناه، فقال: «و لكنّ رزق السّماء أوسع، فهذه الأشعّة الّتي تنزل من السّماء ليست أقلّ أثرًا في إحياء الأرض من الماء، بل إنّها هي الّتي ينشأ عنها الماء بإذن الله، فحرارة الشّمس هي الّتي تبخّر الماء من البحار، فتتكاثف و تنزل أمطارًا، وتجري عيونًا و أنهارًا، و تحيا بها الأرض بعد موتها؛ تحيا بالماء، و تحيا بالحرارة والضّياء سواء».

بيد أنّ هذه الآية من سورة مكّيّة وردت آياتها في حجاج مشركي مكّة، و كانوا لا يفقهون تحوّل الماء بخارًا ثمّ نزوله من السّماء مطرًا، فقصر الله مخاطبتهم على ما يعقلون، و كان مبلغ علمهم أنّ المطر ينزل من السّماء، و مرادهم بذلك السّحاب، لقربه منها، فجاءت الآيات بهذا المعنى غالبًا، سواء ذكر لفظ السّماء ـ كما في هذه الآية ـ أم لم يذكر، كقوله: ﴿فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ الأعراف: ٥٧.

و سمّي الرّزق مطرًا على المجاز، و هو من باب تسمية السّبب باسم المسبّب، و (مِنْ) في قوله: ﴿مِنْ رِزْقٍ﴾ بيانيّة، و نظيره قوله: ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ البقرة: ١٦٤

٣٠ ـ خصّ الله بني إسرائيل برزقهم من الطّيّبات في (٧٧): ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾، و في أربع آيات أُخرى أيضًا، كما تقدّم في رقم (٣). و خصّ المسلمين بهذا الضّرب من الرّزق في خمس آيات أيضًا، و منها (٤١): ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ حَلَالًا طَيِّبًا﴾. كما خصّ النّاس قاطبةً بلفظ ﴿بَنِي آدَمَ﴾ في آيتين، و هما: (١٩): ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ * قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ و (٤٤): ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾. و بخطاب عامّ في آيتين أيضًا، و هما: (٣٧): ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ و (٧٢): ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾.

و لم يخصّ أُمّة عيسى عليه السلام بالرّزق الطّيّب، و لعلّ سبب ذلك يعود إلى أكلهم لحم الخنزير، و هو من الخبائث الّتي أشار إليها في قوله: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ

﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الأعراف: ١٥٧.

راجع: «خ ب ث» و: «ط ي ب».

٣١ـ فسّر الرّزق بالطّعام في (٧٩): ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ * رِزْقًا لِلْعِبَادِ﴾، و في علّة نصبه ثلاثة وجُوه:

الأوّل: أنّه مفعول مطلق، و التّقدير: رزقناهم رزقًا، لأنّ إنبات ما ذُكر رزق.

و الثّاني: أنّه مفعول لأجله، و التّقدير: أنبتنا ذلك للرّزق.

و الثّالث: أنّه حال، و التّقدير: أنبتنا هذه الأشياء مرزوقًا للعباد.

و الوجه الأوّل و الثّاني أقرب لفظًا، و الثّالث أقرب معنًى، لأنّ الله لم يُنبت الجنّات و الأشجار و النّخيل لطعام العباد فحسب، بل أنبتها لوقودهم أيضًا: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ﴾ يس: ٨٠، و لرعي دوابّهم: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ النّحل: ١٠، و لرفاههم: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ النّمل: ٦٠، و لغيرهم ممّا ينتفعون به: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ النّحل: ٦٨.

و لربّ قائل يقول: ما ذُكر من الوقود و رعي الدّوابّ و خلايا النّحل أمور تُمهّد السّبيل لطعام الإنسان، لأنّها تؤول إلى ما يتناوله و يأكله.

يقال له: هذا وسط يعلّل كلّ ما خلقه الله في الدّنيا، و يؤوّل ما خلقه في الآخرة أيضًا، فقوله: ﴿جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ﴾ آل عمران: ١٥، يبيّن نعيم الآخرة، و لكنّه لم يتعرّض لطعامها، إلّا أنّ الأنهار ـ على هذا الرّأي ـ تمدّ الجنّات بالماء فتنمو و تثمر، و هو استنتاج باطل؛ إذ لم يرد فيه نصّ و لا أثر.

٣٢ـ يرى أغلب المفسّرين أنّ الرّزق هو المطر أو الثّلج في (٧٩): ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ و قد عُيّن فيها مكان الرّزق دون غيرها من الآيات، و هو السّماء، أي السّحاب. و قُدّم متعلّق الخبر المحذوف ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ على المبتدإ ﴿رِزْقُكُمْ﴾ لحصر هذا المعنى به، و لرويّ الآيات، و التّقدير: رزقكم موجود في السّحاب.

و أوّل مُجاهِد الرّزق بالجنّة في أحد قوليه، قال: «الجنّة في السّماء و ما توعدون من خير أو شرّ»، و أوّل آخر ﴿السَّمَاءَ﴾ بالقرب الإلهيّ، فقال: «عند الله ـ الّذي في السّماء ـ رزقكم».

و قدّر بعض مضافًا إلى الرّزق، و التّقدير: و في السّماء سبب أو تقدير رزقكم، و أبدل بعض آخر الحرف (في) بالباء، صلة لفعل مقدّر بلفظ «يأتي»، كما في قول ابن عبّاس، أو «ينزل» في قول القمّيّ.

٣٣ـ تتضمّن الآية (٨٠) تعريضًا للمشركين: ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ﴾؛ إذ

كانوا يقدّمون الطّعام إلى آلهتهم، و يرزقون من يقوم على خدمتها من الكهنة، فكأنّه قال لهم: لاأريد منكم رزقًا ترزقوني به كما ترزقون كهنة أصنامكم، و لاأريد منكم طعامًا تطعموني به كما تطعمون آلهتكم. و علّل ذلك بقوله في الآية اللاّحقة (٨١): ﴿إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾.

٣٤ـ جعل الله جزاء تقاته الرّزق في (٨٤): ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَايَحْتَسِبُ﴾، و قد ورد في الأخبار أنّها نزلت في عوف بن مالك الأشجعيّ، و لكن لايمنع ذلك من تعميم معناها، كما فعل بعض المفسّرين. قال ابن عَطيّة: «يرزقه ما يطعم أهله و يوسّع عليه»، و قال الطّباطبائيّ: «يرزقه من الزّوج و المال و كلّ ما يفتقر إليه في طيب عيشه و زكاة حياته».

و عدّه آخرون من الرّزق المعنويّ، و منهم القُرطُبيّ، ففسّره بالثّواب، وروى الطّبْرسيّ عن الإمام الصّادق عليه السلام، قال: «يبارك له فيما آتاه».

ب ـ الرّزق المعنويّ:

٨٩ـ ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَيكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ هود: ٨٨

٩٠ـ ﴿اَللهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ الشّورى: ١٩

٩١ـ ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ الواقعة: ٨٢

و فيها بُحُوث:

١ـ ذهب كثير من المفسّرين إلى أنّ الرّزق هو النّبوّة و الحكمة في (٨٩) ﴿وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا﴾، أو هو الإيمان و الهدى، أو العلم و المعرفة. و رأى بعض أنّه المال الحلال، و نُسب إلى ابن عبّاس أنّه قال: «كان شعيب كثير المال». و لكن إن صحّت نسبة هذا الحديث إلى ابن عبّاس، فإنّه لم يُؤثر أنّه رواه عن النّبيّ صلى الله عليه وآله مطلقًا، و أخبار الأنبياء لاتُؤثر إلّا عن نبيّ أو وصيّ نبيّ.

٢ـ الرّزق في (٩٠) هو الإيمان و الهدى: ﴿اَللهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ﴾، و فسّره مَغْنيّة بالرّزّاق، و رأى أنّه مقدّمة للمباشرة في طلبه، فقال: «ذكر سبحانه في هذه الآية أنّه اللّطيف الرّزّاق، و معنى الرّزّاق أنّ الله يهب الإنسان القوّة و جميع الطّاقات الّتي تؤهّله للعمل من أجل الرّزق، و يرشده إلى طريقه و سبيله».

٣ـ جاء الرّزق بمعنى الشّكر في (٩١): ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾، فهل هو تفسير أو قراءة؟ روى الطّبَريّ مسندًا عن عليّ عليه السلام، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله، قال في تفسير الآية: «شكركم أنّكم تكذّبون، قال: يقولون: مطرنا بنوء كذا و كذا». كما روى عن عليّ أيضًا أنّه كان يقرؤها: «و تجعلون شكركم أنّكم تكذّبون».

و روى القُمّيّ في سند طويل عن عليّ عليه السلام أنّه قرأ في الصلاة «و تجعلون شكركم أنّكم تكذّبون»، و قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقرأها كذلك».

المحور الثّاني: الرّزق الأخرويّ، و فيه (١٨) آية:

الرّزق المادّيّ:

٩٢ـ ﴿وَ بَشِّرِ الَّذينَ اٰمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحَاتِ اَنَّ لَهُمْ جَنّاتٍ تَجْرى مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هٰذَا الَّذى رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَ اُتُوا بِه مُتَشَابِهًا وَ لَهُمْ فيهَا اَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَ هُمْ فيهَا خَالِدُونَ﴾

البقرة: ٢٥

٩٣ـ ﴿زُيِّنَ لِلَّذينَ كَفَرُوا الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا وَ يَسْخَرُونَ مِنَ الَّذينَ اٰمَنُوا وَ الَّذينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ وَ اللهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ البقرة: ٢١٢

٩٤ـ ﴿وَ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذينَ قُتِلُوا فى سَبيلِ اللهِ اَمْوَاتًا بَلْ اَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ آل عمران: ١٦٩

٩٥ـ ﴿وَ نَادٰى اَصْحَابُ النَّارِ اَصْحَابَ الْجَنَّةِ اَنْ اَفيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ اَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ قَالُوا اِنَّ اللهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرينَ﴾ الأعراف: ٥٠

٩٦ـ ﴿لَا يَسْمَعُونَ فيهَا لَغْوًا اِلَّا سَلَامًا وَ لَهُمْ رِزْقُهُمْ فيهَا بُكْرَةً وَ عَشِيًّا﴾ مريم: ٦٢

٩٧ـ ﴿وَ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ اِلٰى مَا مَتَّعْنَا بِه اَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فيهِ وَ رِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَ اَبْقٰى﴾ طٰه: ١٣١

٩٨ـ ﴿وَ مَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلّٰهِ وَ رَسُولِه وَ تَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا اَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَ اَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَريمًا﴾

الأحزاب: ٣١

٩٩ـ ﴿اِلَّا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصينَ * اُولٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ﴾ الصّافّات: ٤١

١٠٠ـ ﴿اِنَّ هٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ ص: ٥٤

١٠١ـ ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزٰى اِلَّا مِثْلَهَا وَ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ اَوْ اُنْثٰى وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَاُولٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ المؤمن: ٤٠

١٠٢ـ ﴿رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ اٰيَاتِ اللهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذينَ اٰمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ اِلَى النُّورِ وَ مَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ وَ يَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرى مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهَارُ خَالِدينَ فيهَا اَبَدًا قَدْ اَحْسَنَ اللهُ لَهُ رِزْقًا﴾ الطّلاق: ١١

و فيها بُحُوث:

١ـ تصف الآية (٩٢) حال أهل الجنّة حين إتيان الرّزق لهم: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هٰذَا الَّذى رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾، و اختُلف في الرّزق: أهو من ثمار أشجار الجنّات خاصّة أم من الطّعام عامّة؟ فمن قال: هو الثّمار، جعل (مِنْ) في قوله: ﴿مِنْ ثَمَرَةٍ﴾ زائدة، و التّقدير: كلّما رزقوا منها ثمرةً رزقًا. أو تبعيضيّة، و التّقدير: كلّما رزقوا منها بعض ثمرة رزقًا. أو بيانيّة، و التّقدير: كلّما رزقوا منها رزقًا هو ثمرة.

و من قال: هو الطّعام مطلقًا، جعل (مِنْ) لابتداء الغاية، و التّقدير: كلّما رزقوا منها مبتدأ ثمرة رزقًا.

و رأى بعض أنّ قوله: ﴿قَالُوا هٰذَا الَّذى رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ هو رزق الدّنيا، و منهم الفخر الرّازيّ. و استدلّ عليه بوجهين، كما تقدّم في النّصوص.

٢ـ وصف رزق الآخرة بأنّه كريم في (٩٨): ﴿وَ اَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَريمًا﴾.

و زعم الفخر الرّازيّ أنّ «الكريم» لا يكون في الدّنيا إلّا وصفًا للرّزّاق، لأنّ الرّزق مقدّر فيها على

أيدي النّاس، و أمّا «الكريم» في الآخرة فقد وُصف به نفس الرّزق، لأنّه يأتي بنفسه و لا يقدّر فيها على يد أحد.

و لكنّ «الكريم» جاء وصفًا في الدّنيا لأسماء المعاني و الذّوات، و منها المقام في قوله: ﴿وَ كُنُوزٍ وَ مَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ الشّعراء: ٥٨، و هو يتّصف بالإمساك و الإرسال، والتقدير على أيدي النّاس، كما سيأتي في «ك ر م».

٣ ـ جاء لفظ ﴿فَوَاكِهُ﴾ بدلًا من «رزق» في (٩٩): ﴿أُولٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ * فَوَاكِهُ وَ هُمْ مُكْرَمُونَ﴾، و الغاية من ذكر التّابع و دون الاقتصار على المتبوع تطميع السّامع و ترغيبه في نعيم الجنّة، فيشرئبّ إليها، و يفغر فاه نحوها.

و فسّر الزّمخشريّ الآية على ظاهرها، و ادّعى أنّ رزق أهل الجنّة الفواكه فقط، و أنّهم مستغنون عن حفظ صحّتهم بالأقوات.

و هذا خلاف ما ورد في بعض الآيات و الرّوايات أنّ في الجنّة مآكل و مشارب أُخرى، و منها قوله: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَ أَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَ أَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَ أَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَ لَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَ سُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ محمّد: ١٥، و منها ما روي عن معاذ، عن النّبيّ ﷺ: «قيل: يا رسول الله هل أُتيت من طعام الجنّة بشيء؟ قال: نعم، أتاني جبريل بهريسة فأكلتها...».[1] و ما رواه المتّقي الهنديّ عن عبد الله القُشَيريّ، قال: حدّثني أنس بن مالك، قال: كنت أحجب النّبيّ ﷺ، فسمعته يقول: اللّهمّ أطعمنا من طعام الجنّة، فأُتي بلحم طير مشويّ...».[2]

الرّزق المعنويّ:

١٠٣ ـ ﴿أُولٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ مَغْفِرَةٌ وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ الأنفال: ٤

١٠٤ ـ ﴿وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ هَاجَرُوا وَ جَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَ الَّذِينَ آوَوْا وَ نَصَرُوا أُولٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ الأنفال: ٧٤

١٠٥ ـ ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ الحجّ: ٥٠

١٠٦ ـ ﴿وَ الَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللهُ رِزْقًا حَسَنًا وَ إِنَّ اللهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ الحجّ: ٥٨

١٠٧ ـ ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَ الْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَ الطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَ الطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ النّور: ٢٦

١٠٨ ـ ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَ يَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَ اللهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ النّور: ٣٨

١٠٩ ـ ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ سبأ: ٤

---

(١) فيض القدير: (١: ١٣٠).
(٢) كنز العمّال: (١٣: ١٦٧).

و فيها بُحُوث:

۱ ـ وُصف الرّزق في (۱۰۳) بـ«الكريم»: ﴿لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾، و كلّ رزق جاء بهذا الوصف مسبوقًا بالمغفرة فهو نعيم أُخرويّ معنويّ، و نحوه (۱۰٤) و (۱۰٥) و (۱۰۷) و (۱۰۹): ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾. و كلّ رزق وُصف بـ«الكريم» و لم يُسبَق بالمغفرة فهو نعيم أُخرويّ ماديّ، و نحوه (۹۸): ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾.

۲ ـ وُصف الرّزق في (۱۰٦) بالحسن: ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾، و هو من رزق الجنّة كالرّزق الكريم، فهل هما بمعنى واحد؟ فسّرهما الطّبريّ بمعنى واحد في (۱۰٥)، و فسّرهما سائر المفسّرين باختلاف، فالرّزق الحسن عندهم الحلال، و العلم، و الحكمة، و النّبوّة. و الرّزق الكريم هو الكثرة، و الدّوام، و الخلوص.

و جاءت سائر آيات الرّزق الحسن في رزق الدّنيا، و هي: (۳٥): ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ و (۳۹): ﴿وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا﴾ و (۸۹): ﴿وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾.

۳ ـ أُسند الرّزق إلى الله في (۱۰۸): ﴿وَاللهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، كما أُسند فيها الجزاء و الزّيادة و الفضل إليه تعالى أيضًا، فالرّزق علّة جزائه للمؤمنين و زيادته لهم من فضله في الآخرة.

و جاء الرّزق في الدّنيا مع التّفضيل، كما في (۳٦): ﴿وَاللهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾ و (٤٤): ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ و (۷۷): ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾.

و يلاحظ **ثانيًا**: فاقت الآيات المكّيّة للرّزق المادّيّ الآيات المدنيّة للرّزق المعنويّ عددًا، فقد وردت أكثر من ستّين آية مكّيّة و أكثر من عشرين آية مدنيّة في الرّزق الدّنيويّ المادّيّ، و كذلك آيات الرّزق الأُخرويّ المادّيّ، فمكّيّها أكثر من مدنيّها بآية واحدة في العدد، بينما وردت ستّ آيات مدنيّة و آية واحدة مكّيّة في الرّزق الأُخرويّ المعنويّ.

ثالثًا: من نظائر هذه المادّة في القرآن:

المعاش: ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ النّبأ: ۱۱

العطاء: ﴿كُلًّا نُمِدُّ هٰؤُلَاءِ وَهٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ الإسراء: ۲۰

رسخ

الرَّاسِخُونَ

لفظ واحد، مرّتان: في سورتين مدنيّتين

النُّصوص اللُّغويّة

الخَليل: رَسَخ الشّيء رُسُوخًا، إذا ثبت في موضعه. و أرْسَخْتُه إرساخًا، كالحِبْر يَرْسَخُ في الصّحيفة، و العلم يَرْسَخُ في القلب.

و هو راسِخ في العلم: داخل فيه مَدْخَلًا ثابتًا، ﴿وَ الرَّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ﴾ آل عمران: ٧، يقال: هم المُدارسون.

و الدِّمْنَةُ الرّاسخة: الثّابتة. [ثمّ استشهد بشعر]

و رَسَخ الغدير رُسُوخًا: نشّ ماؤه فذهب.

(٤: ١٩٦)

نحوه الصّاحِب (٤: ٢٦٠)، وابن سيده (٥: ٧٥).

اللّيث: رَسَخ المطر رُسُوخًا: إذا نضب نداه في داخل الأرض فالتقى الثّريان. (الأزهريّ ٧: ١٦٧)

شَمِر: قال خالد بن جنبة: الرّاسخ في العلم: البعيد العلم. (الأزهَريّ ٧: ١٦٦)

ابن دُرَيْد: رَسَخ الشّيء يَرْسُخ رُسُوخًا، إذا ثبت في الأرض، و كلّ شيء ثابت: راسخ.

(٢: ٢٠٦)

الجَوهَريّ: رَسَخ الشّيء رُسُوخًا: ثبت. و كلّ ثابتٍ راسخ، و منه: ﴿الرَّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ﴾ آل عمران: ٧. (١: ٤٢١)

ابن فارس: الرّاء و السّين و الخاء أصل واحد يدلّ على الثّبات. و يقال: رَسَخ: ثبت، و كلّ راسخ ثابت. (٢: ٣٩٥)

أبو هلال: الفرق بين الرّسخ و العلم: أنّ الرّسخ هو أن يُعلَم الشّيء بدلائل كثيرة، أو بضرورة لايمكن إزالتها، و أصله: الثّبات على أصل يتعلّق به. و إذا علم الشّيء بدليل لم يُقَل: إنّ ذلك رسخ. (٦٥)

الفرق بين الرّسُوخ و الثّبات [و الرّسو]: أنّ

الرّسوخ كمال الثّبات، و الشّاهد أنّه يقال للشّيء المستقرّ على الأرض: ثابت و إن لم يتعلّق بها تعلّقًا شديدًا، ولايقال: راسخ، و لايقال: حائط راسخ، لأنّ الجبل أكمل ثباتًا من الحائط، و قال الله تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ آل عمران: ٧، أي الثّابتون فيه، و قد تكلّمنا في ذلك قبل.

و يقولون: هو أرسخهم في المكرمات، أي أكملهم ثباتًا فيها.

و أمّا الرّسو فلايُستعمل إلّا في الشّيء الثّقيل، نحو الجبل و ما شاكله من الأجسام الكبيرة. يقال: جبل راسٍ و لايقال: حائط راسٍ و لاعود راسٍ، و في القرآن: ﴿بِسْمِ اللهِ مَجْرٰيهَا وَمُرْسٰيهَا﴾ هود: ٤١، شبّهها بالجبل لعظمها.

فالرّسو: هو الثّبات مع العِظَم و الثّقل و العلوّ. فإن استُعمل في غير ذلك فعلى التّشبيه و المقاربة، نحو قولهم: أرست العود في الأرض. (٢٤٧)

الرّاغِب: رُسوخ الشّيء: ثباته ثباتًا متمكّنًا.

و رَسَخ الغدير: نضب ماؤه، و رَسَخ تحت الأرض.

و الرّاسخ في العلم: المتحقّق به الّذي لايعرضه شبهة. فالرّاسخون في العلم، هم الموصوفون بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اٰمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ الحجرات: ١٥، و كذا قوله تعالى: ﴿لٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ﴾ النّساء: ١٦٢.

(١: ١٩٥)

الزّمَخْشَريّ: رَسَخ الشّيء: ثبت في مكانه رُسُوخًا.

و جبل راسخ و دِمْنَة راسخة. [ثمّ استشهد بشعر]

و من المجاز: رَسَخ الحِبْر في الصّحيفة.

و الرّقّ الدّهين لايرسخ فيه الحِبْر.

و رَسَخ العلم في قلبه. و فلان راسخ في العلم، و هو من الرّاسخين فيه.

و رسخ حبّه في قلبي.

و رَسَخ الغدير: نضب ماؤه.

و رَسَخ المطر في داخل الأرض حتّى التقى منه الثّريان. (أساس البلاغة ١: ١٦٢)

الفَيُّوميّ: رَسَخ الشّيء يَرْسَخ بفتحتين رُسُوخًا: ثبت. و كلّ ثابت راسخ.

و له قدم راسخة في العلم، بمعنى البراعة و الاستكثار منه. (١: ٢٢٦)

الفيروزاباديّ: رَسَخ رُسُوخًا: ثبت، و الغدير: نشّ ماؤه و نضب فذهب.

و المطر: نضب نداه في الأرض فالتقى الثّريان.

و أرسخه: أثبته. (١: ٢٦٩)

مَجْمَعُ اللُّغة: رَسَخ يَرْسَخ رُسُوخًا: ثبت، فهو راسخ، و كلّ ثابت راسخ.

و الرّاسخ في العلم: الّذي دخل فيه دخولًا ثابتًا، و جمعه: راسخون. (١: ٤٧٥)

العَدْنانيّ: و يقولون: رَسَخ قدمَيْه في النّحو.

و الصّواب: أرْسَخ قدمَيْه في النّحو إرساخًا،

مجاز، أي ثبّتهما: الجامع الكرْماني، و القاموس، و التاج، و المتن، و الوسيط.

(معجم الأخطاء الشّائعة: ٣: ١٠٢)

محمّد إسماعيل إبراهيم: رَسَخ الشّيء رُسُوخًا: ثبت و استقرّ في موضعه متمكّنًا.

و رَسَخ في العلم أو الإيمان: تمكّن منه، و لم تعرض له فيه شبهة.

و الرّاسخون في العلم: المتمكّنون الثّابتون فيه.

(١: ٢٢٠)

محمود شيت: رَسَخ رُسُوخًا: ثبت في موضعه متمكّنًا. يقال: موضع راسخ: ثابت بقوّة.

و دفاع راسخ: دفاع مكين.

أرْسَخه: جعله قويًّا محصّنًا.

يقال: أرْسَخ الموضع الدّفاعيّ: جعله قويًّا راسخًا، يصمد أمام هجمات العدوّ. (١: ٢٩٣)

المُصْطَفَويّ: التّحقيق أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو الثّبوت و الاستقرار التّامّ، بحيث ينفذ في المحلّ من كمال الاستقرار و التّمكّن و تمامه.

و هذا المعنى هو الفارق بينها و بين موادّ: الثّبوت و الرّسوب و الحقّ و الرّسي و الثّبط و الثّبي:

فإنّ الثّبوت: مطلق الاستقرار، و الرّسوب: ذهاب شيء و صيرورته الى أسفل، و الرّسا: هو استقرار شيء عظيم تامًّا. و قد سبق أنّ الحقّ هو الثّبوت مع المطابقة. و الثّبي: يُستعمل في الاستقرار من جهة الكمّيّة، كما أنّ الثّبط: يُستعمل في الثّبوت من جهة المعنى و الفكر، فراجعها. (٤: ١١٩)

النّصوص التّفسيريّة

الرّاسِخُونَ

١ـ ... وَ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ اِلَّا اللهُ وَ الرَّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ يَقُولُونَ اٰمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَ مَا يَذَّكَّرُ اِلَّا اُولُوا الْاَلْبَابِ. آل عمران: ٧

النّبيّ الأكرم ﷺ: [في حديث أنّه سُئل مَن الرّاسخون في العلم؟ فقال:] من برّت يمينه، و صدق لسانه، و استقام قلبه، و عفّ بطنه و فرجه، فذلك الرّاسخ في العلم. (الثّعلبيّ ٣: ١٥)

عائشة: كان من رُسُوخهم في العلم أن آمنوا بمحكمه و متشابهه، و لم يعلموا تأويله.

(الطّبريّ ٣: ١٨٣)

ابن عبّاس: البالغون بعلم التّوراة عبد الله بن سلام و أصحابه. (٤٣)

أنا ممّن يعلم تأويله. (الطّبريّ ٣: ١٨٣)

أنا من الرّاسخين في العلم. (الثّعلبيّ ٣: ١٤)

سمّاهم الله تعالى: الرّاسخين في العلم، فرسُوخهم في العلم قولهم: ﴿اٰمَنَّا بِهِ﴾ أي بالمتشابه، ﴿كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ المحكم و المتشابه، و النّاسخ و المنسوخ، ما علمناه و ما لم نعلمه.

مثله مُجاهِد و السُّدّيّ. (الثّعلبيّ ٣: ١٦)

عمر بن عبد العزيز: انتهى علم الرّاسخين في العلم بتأويل القرآن إلى أن قالوا: ﴿اٰمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾. (الطّبريّ ٣: ١٨٣)

مُجاهِد: ﴿وَ الرَّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ﴾ يعلمون تأويله، و يقولون: ﴿اٰمَنَّا بِهِ﴾.

مثله الرّبيع. (الطّبَريّ ٣: ١٨٣)

أنا ممّن يعلم تأويله. (الثّعلبيّ ٣: ١٤)

الإمام الباقر عليه السلام: يعني تأويل القرآن كلّه، إلّا الله و الرّاسخون في العلم، فرسول الله صلى الله عليه وآله أفضل الرّاسخين، قد علّمه الله جميع ما أنزل عليه من التّنزيل و التّأويل، و ما كان الله مُنزلًا عليه شيئًا لم يُعلّمه تأويله، و أوصياؤه من بعده يَعْلَمُونه كلّه.

[و في حديث عنه عليه السلام:] نحن نعلمه.

(العيّاشيّ ١: ٢٩٣)

السُّدّيّ: هم المؤمنون، فإنّهم يقولون: آمنّا بناسخه و منسوخه. (١٧٠)

الإمام الصّادق عليه السلام: الرّاسخون في العلم: هُم آل محمّد عليهم السلام. (العيّاشيّ ١: ٢٩٢)

[و في حديث عنه عليه السلام:] نحن الرّاسخون في العلم، فنحن نعلم تأويله. (العيّاشيّ ١: ٢٩٣)

مالك بن أنس: [الرّاسخون في العلم:] العالم العامل بما علم تبع له. (الثّعلبيّ ٣: ١٦)

الفَرّاء: قال: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ﴾ ثمّ استأنف ﴿وَالرَّاسِخُونَ﴾ فرفعهم بـ ﴿يَقُولُونَ﴾ لا بإتباعهم إعراب ﴿اللهُ﴾ و في قراءة أُبيّ (و يَقُولُ الرَّاسِخُونَ)، و في قراءة عبدالله (إِنْ تَأْوِيلُهُ إِلَّا عِنْدَ اللهِ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ). (١: ١٩١)

أبو عُبَيْدَة: العلماء، و رسخ أيضًا في الإيمان. (١: ٨٦)

الطّبَريّ: اختلف أهل التّأويل في تأويل ذلك، و هل ﴿الرَّاسِخُونَ﴾ معطوف على اسم ﴿اللهُ﴾، بمعنى إيجاب العلم لهم بتأويل المتشابه، أم هُم مستأنف ذكرهم، بمعنى الخبر عنهم أنّهم يقولون: آمنّا بالمتشابه و صدّقنا أنّ علم ذلك لا يعلمه إلّا الله؟

فقال بعضهم: معنى ذلك: و ما يعلم تأويل ذلك إلّا الله وحده منفردًا بعلمه. و أمّا الرّاسخون في العلم، فإنّهم ابتُدئ الخبر عنهم بأنّهم يقولون: آمنّا بالمتشابه و المحكم، و أنّ جميع ذلك من عند الله. ذكر من قال ذلك:

[في حديث]: قال هشام بن عُرْوة: كان أبي يقول في هذه الآية، ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾، إنّ الرّاسخين في العلم لا يعلمون تأويله، و لكنّهم يقولون: ﴿آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾.

[و في حديث]: أبي نهيك الأسديّ قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾، فيقول: إنّكم تصلون هذه الآية، و إنّها مقطوعة: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾، فانتهى علمهم إلى قولهم الّذي قالوا.

[و في حديث]: عن مالك في قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ﴾ قال: ثمّ ابتدأ فقال: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾، و ليس يعلمون تأويله.

و قال آخرون: بل معنى ذلك: و ما يعلم تأويله إلّا الله و الرّاسخون في العلم، و هم مع علمهم بذلك و رسوخهم في العلم يقولون: ﴿آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ

رَبِّنَا﴾.

[في حديث]: عن محمّد بن جعفر بن الزّبير: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ﴾ الّذي أراد، ما أراد ﴿إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾، فكيف يختلف، و هو قول واحد من ربّ واحد؟ ثمّ ردّوا تأويل المتشابه على ما عرفوا من تأويل المحكمة الّتي لا تأويل لأحد فيها إلّا تأويل واحد، فاتّسق بقولهم الكتاب و صدّق بعضه بعضًا، فنفذت به الحجّة، و ظهر به العذر، و زاح به الباطل، و دُمغ به الكفر.

فمن قال القول الأوّل في ذلك، و قال: إنّ الرّاسخين لا يعلمون تأويل ذلك، و إنّما أخبر الله عنهم بإيمانهم و تصديقهم بأنّه من عند الله، فإنّه يرفع «الرّاسخين في العلم» بالابتداء في قول البصريّين، و يجعل خبره ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾. و أمّا في قول بعض الكوفيّين، فبالعائد من ذكرهم في ﴿يَقُولُونَ﴾ و في قول بعضهم: بجملة الخبر عنهم، و هي ﴿يَقُولُونَ﴾.

و من قال القول الثّاني، و زعم أنّ الرّاسخين يعلمون تأويله، عطف بـ«الرّاسخين» على اسم ﴿اللهُ﴾، فرفعهم بالعطف عليه.

و الصّواب عندنا في ذلك أنّهم مرفوعون بجملة خبرهم بعدهم، و هو ﴿يَقُولُونَ﴾، لما قد بيّنّا قبل من أنّهم لا يعلمون تأويل المتشابه الّذي ذكره الله عزّ و جلّ في هذه الآية، و هو فيما بلغني مع ذلك في قراءة أُبيّ (وَ يَقُولُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ) كما ذكرناه عن ابن عبّاس أنّه كان يقرأه.

و في قراءة عبد الله: (إِنْ تَأْوِيلُهُ إِلَّا عِنْدَ اللهِ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ).

و أمّا معنى التّأويل في كلام العرب، فإنّه: التّفسير و المرجع و المصير. [ثمّ استشهد بشعر] (٣: ١٨٢)

الزّجّاج: و معنى ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ أي الثّابتون.

يقال: رَسَخ الشّيء يَرْسَخ رُسُوخًا، إذا ثبت، أي يقولون: صدّقنا بأنّ الله يبعثنا، و يؤمنون بأنّ البعث حقّ، كما أنّ الإنشاء حقّ، و يقولون: ﴿كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾. (١: ٣٧٨)

السّجستانيّ: ﴿الرَّاسِخُونَ﴾: الّذين رَسَخ علمهم و إيمانهم و ثبت، كما يرسخ النّخل في منابته. (٣٣)

النّحّاس: المعنى: و الثّابتون في العلم المنتهون إلى ما يُحاط به منه، ممّا أباح الله خلقه بلوغه، يقولون: آمنّا به على التّسليم و التّصديق به، و إن لم ينتهوا إلى علم ما يؤول اليه أمره.

و دلّ على هذا: ﴿كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ أي المحكم و المتشابه، فلو كان كلّه عندهم سواء، لكان كلّه محكمًا، و لم يُنسب شيء منه إلى المتشابه.

و هذا قول حسَن، و لكنّه على قول من قال: المحكم الّذي لا يُنسخ نحو «الأخبار» و دعاء العباد إلى التّوحيد، و المتشابه ما يحتمل النّسخ من الفرائض، لم يكن إلى العباد علم تأويله، و ما يثبت

عليه.

و من جعل تأويله بمعنى تفسيره، لأنّه ما يؤول إليه معنى الكلام، فالرّاسخون في العلم عنده يعلمون تأويله.

و القول الأوّل و إن كان حسنًا، فهذا أبين منه، لأنّ واو العطف، الأولى بها أن تُدخِل الثّاني، فيما دخل فيه الأوّل، حتّى يقع دليل بخلافه.

و قد مدح الله عزّ و جلّ الرّاسخين، بثباتهم في العلم، فدلّ على أنّهم يعلمون تأويله. و قد قال جلّ و عزّ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ النّساء: ٨٢، و في الحديث عن النّبيّ ﷺ أنّه دعا لابن عبّاس فقال ﷺ: «اللّهمّ فقّهه في الدّين و علّمه التّأويل».

(١: ٣٥٢)

الثّعلبيّ: اختلف العلماء في نظم هذه الآية و حكمها.

فقال قوم: الواو في قوله: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ واو العطف، يعني أنّ تأويل المتشابه يعلمه الله و يعلمه الرّاسخون في العلم، و هم مع علمهم يقولون: ﴿آمَنَّا بِهِ﴾.

و هو قول مُجاهِد و الرّبيع، و محمّد بن جعفر بن الزّبير، و اختيار القتيبيّ. قالوا: معناها: يعلمونه و ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ فيكون قوله: ﴿يَقُولُونَ﴾، حالًا، و المعنى: الرّاسخون في العلم قائلين آمنّا به. [إلى أن قال:]

و ممّا يؤيّد هذا القول أنّ الله تعالى لم ينزل كتابه إلّا لينتفع له مبارك، و يدلّ عليه على المعنى الّذي أراده، فقال: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ ص: ٢٩، و قال: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ الشّعراء: ١٩٥.

و «المبين»: الظّاهر، و قال: ﴿بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ﴾ الأعراف: ٥٢، فوصف جميعه بالتّفصيل و التّبيين، و قال: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ النّحل: ٤٤، و لا يجوز أن تبيّن ما لا يعلم، و إذا جاز أن يعرفه الرّسول ﷺ مع قوله: «لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ» جاز أن يعرفه الرّبّانيّون من أصحابه.

و قال: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ الأعراف: ٣، و لا تؤمر باتّباع ما لا يُعلم، و لأنّه لو لم يكن للرّاسخين في العلم هذا لم يكن لهم على المعلّمين و الجهّال فضل، لأنّهم أيضًا يقولون: ﴿آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾، و لأنّا لم نر من المفسّرين على هذه الغاية قومًا يُوقفوا عن شيء من تفسير القرآن، و قالوا: هذا متشابه لا يعلمه إلّا الله، بل أعزّوه كلّه و فسّروه حتّى حروف التّهجّي و غيرها. [إلى أن قال:]

و قال آخرون: الواو في قوله: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ واو الاستئناف، و تمّ الكلام و انقطع عند قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ﴾، ثمّ ابتدأ و قال: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾، ﴿وَالرَّاسِخُونَ﴾ ابتداء و خبره في ﴿يَقُولُونَ﴾، و هذا قول عائشة، و عُروة بن الزّبير، و رواية طاووس، عن ابن عبّاس، و اختيار الكِسائيّ، و الفرّاء و المفضّل بن سلمة، و محمّد بن

جرير. قالوا: إنّ الرّاسخين لايعلمون تأويله، و لكنّهم يؤمنون به.

و الآية راجعة على هذا التّأويل إلى العلم بما في أجل هذه الأمّة، و وقت قيام السّاعة، و فناء الدّنيا، و وقت طلوع الشّمس من مغربها، و نزول عيسى عليه السلام، و خروج الدّجّال، و يأجوج و مأجوج، و علم الرّوح، و نحوها ممّا استأثر الله لعلمه و لم يطّلع عليه أحد من خلقه.

و قال بعضهم: اعلم أنّ المتشابه من الكتاب قد استأثر الله بعلمه دوننا، و نفسّره نحن، و لم تتعبّد بذلك، بل ألزمنا العمل بأوامره و اجتناب نواهيه. و ممّا يصدّق هذا القول قراءة عبد الله (اَنَّ تأويلَهُ لَايعلَم إلّا عِنْدَاللهِ و الرّاسِخُون فِى الْعِلْمِ يَقُولُونَ اٰمَنّا بهِ). [إلى أن قال:]

﴿وَالرَّاسِخُونَ﴾: الدّاخلون في العلم الّذين أتقنوا علمهم، و استنبطوه، فلايدخلهم في معرفتهم شكّ. و أصله من رسوخ الشّيء في الشّيء، و هو ثبوته و أوجب فيه. يقال: رسخ الإيمان في قلب فلان، فهو يَرْسَخ رسخًا و رُسُوخًا، و كذلك في كلّ شيء، و رَسَخ رصَخ، و هذا كما يقال: مسلوخ و مصلوخ.

و قال بعض المفسّرين من العلماء: الرّاسخون علمًا: مؤمني أهل الكتاب، مثل عبد الله بن سلّام و ابن صوريا و كعب.

و قيل: ﴿الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ هم بعض الدّارسين علم التّوراة. [إلى أن قال:]

و قال نافع بن يزيد: كما أن يقال ﴿الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾: المؤمنون بالله، المتذلّلون في طلب مرضاته، لايتعاظمون على من فوقهم، و لايحقّرون من دونهم.

و قال بعضهم: ﴿الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾: من وجد في عمله أربعة أشياء: التّقوى بينه و بين الله تعالى، و التّواضع بينه و بين الخلق، و الزّهد بينه و بين الدّنيا، و المجاهدة بينه و بين نفسه. [و استشهد بالشّعر مرّتين] (٣: ١٣)

نحوه البغويّ. (١: ٤١٢)

الماوَرْديّ: فيه وجهان:

أحدهما: يعني الثّابتين فيه، العاملين به.

و الثّاني: يعني المستنبطين للعلم و العاملين؛ و فيهم وجهان:

أحدهما: أنّهم داخلون في الاستثناء، و تقديره: أنّ الّذي يعلم تأويله الله و الرّاسخون في العلم جميعًا.

الثّاني: أنّهم خارجون من الاستثناء، و يكون معنى الكلام: ما يعلم تأويله إلّا الله وحده، ثمّ استأنف فقال: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾. (١: ٣٧٢)

الواحديّ: أي الثّابتون فيه. و الرّسوخ في اللّغة: الثّبوت في الشّيء.

و عند أكثر المفسّرين المراد بالرّاسخين: علماء مؤمني أهل الكتاب. (١: ٤١٤)

الزّمَخْشَريّ: أي لايهتدي إلى تأويله الحقّ الّذي يجب أن يُحمل عليه إلّا الله و عباده الّذين

رسخوا في العلم، أي ثبتوا فيه و تمكّنوا، و عضّوا فيه بضرس قاطع.

و منهم من يقف على قوله: ﴿إِلَّا اللهُ﴾ و يبتدئ: ﴿الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ﴾، و يفسّرون المتشابه بما استأثر الله بعلمه و بمعرفة الحكمة فيه من آياته، كعدد الزّبانية و نحوه. و الأوّل هو الوجه، و ﴿يَقُولُونَ﴾ كلام مستأنف موضّح لحال الرّاسخين. بمعنى هؤلاء العالمون بالتّأويل يقولون: ﴿آمَنَّا بِهِ﴾ أي بالمتشابه. (١: ٤١٢)

نحوه النّسفيّ. (١: ١٤٦)

ابن عَطيّة: [نقل القولين في الآية ثمّ أدام:]

و هذه المسألة إذا تُؤمّلت قرب الخلاف فيها من الاتّفاق، و ذلك أنّ الله تعالى قسّم آي الكتاب قسمين: محكمًا و متشابهًا:

فالمحكم هو المتّضح المعنى لكلّ من يفهم كلام العرب، لايحتاج فيه إلى نظر، و لا يتعلّق به شيء يُلبس، و يستوي في علمه الرّاسخ و غيره.

و المتشابه يتنوّع، فمنه ما لايعلم ألبتّة كأمر الرّوح و آماد المغيّبات الّتي قد أعلم الله بوقوعها إلى سائر ذلك، و منه ما يُحمَل على وجوه في اللّغة و مناح في كلام العرب، فيتأوّل تأويله المستقيم، و يُزال ما فيه ممّا عسى أن يتعلّق به من تأويل غير مستقيم، كقوله في عيسى: ﴿وَ رُوحٌ مِنْهُ﴾ النّساء: ١٧١، إلى غير ذلك.

و لا يسمّى أحد راسخًا إلّا بأن يعلم من هذا النّوع كثيرًا بحسب ما قُدّر له، و إلّا فمن لا يعلم سوى المحكم فليس يسمّى راسخًا.

و قوله تعالى: ﴿وَ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ﴾ الضّمير عائد على جميع متشابه القرآن، و هو نوعان كما ذكرنا، فقوله: ﴿إِلَّا اللهُ﴾ مقتض ببديهة العقل أنّه يعلمه على الكمال و الاستيفاء، يعلم نوعيه جميعًا.

فإن جعلنا قوله: ﴿وَ الرَّاسِخُونَ﴾ عطفًا على اسم ﴿اللهُ﴾ تعالى، فالمعنى إدخالهم في علم التّأويل لا على الكمال، بل علمهم إنّما هو في النّوع الثّاني من المتشابه، و بديهة العقل تقضي بهذا. و الكلام مستقيم على فصاحة العرب، كما تقول: ما قام لنصرتي إلّا فلان و فلان، و أحدهما قد نصرك بأن حارب معك، و الآخر إنّما أعانك بكلام فقط، إلى كثير من المثل.

فالمعنى: و ما يعلم تأويل المتشابه إلّا الله و الرّاسخون، كلّ بقدره، و ما يصلح له، ﴿وَ الرَّاسِخُونَ﴾ بحال قول في جميعه ﴿آمَنَّا بِهِ﴾، و إذا تحصّل لهم في الّذي لايعلم و لايتصوّر عليه تمييزه من غيره، فذلك قدر من العلم بتأويله.

و إن جعلنا قوله: ﴿وَ الرَّاسِخُونَ﴾ رفعًا بالابتداء، مقطوعًا ممّا قبله، فتسميتهم «راسخين» يقتضي بأنّهم يعلمون أكثر من المحكم الّذي يستوي في علمه جميع من يفهم كلام العرب، و في أيّ شيء هو رسوخهم إذا لم يعلموا إلّا ما يعلم الجميع. و ما الرّسوخ إلّا المعرفة بتصاريف الكلام و موارد الأحكام، و مواقع المواعظ؛ و ذلك كلّه بقريحة مُعدّة، فالمعنى: ﴿وَ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ﴾ على الاستيفاء إلى

الله، و القوم الّذين يعلمون منه ما يمكن أن يعلم يقولون في جميعه: ﴿اٰمَنَّا بِهٖ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ و هذا القدر هو الّذي تعاطى ابن عبّاس رضي الله عنه، و هو ترجمان القرآن، و لايتأوّل عليه أنّه علم وقت السّاعة، و أمر الرّوح و ما شاكله.

فإعراب ﴿الرَّاسِخُونَ﴾ يحتمل الوجهين، و لذلك قال ابن عبّاس بهما، و المعنى فيهما يتقارب بهذا النّظر الّذي سطرناه.

فأمّا من يقول: إنّ المتشابه إنّما هو ما لاسبيل لأحد إلى علمه، فيستقيم على قوله: إخراج الرّاسخين من علم تأويله، لكن تخصيصه المتشابهات بهذا النّوع غير صحيح، بل الصّحيح في ذلك قول من قال: المحكم: ما لايحتمل إلّا تأويلًا واحدًا، و المتشابه: ما احتمل من التّأويل أوجهًا، و هذا هو متّبع أهل الزّيغ، و على ذلك يترتّب النّظر الّذي ذكرته.

و من قال من العلماء الحذّاق: بأنّ الرّاسخين لايعلمون تأويل المتشابه، فإنّما أرادوا هذا النّوع و خافوا أن يظنّ أحد أنّ الله وصف الرّاسخين بعلم التّأويل على الكمال. و كذلك ذهب الزّجّاج إلى أنّ الإشارة بما تشابه منه إنّما هي إلى وقت البعث الّذي أنكره، و فسّر باقي الآية على ذلك، فهذا أيضًا تخصيص لادليل عليه.

و أمّا من يقول: إنّ المتشابه هو المنسوخ، فيستقيم على قوله إدخال الرّاسخين في علم التّأويل، لكن تخصيصه المتشابهات بهذا النّوع غير صحيح. و رجّح ابن فورك أنّ الرّاسخين يعلمون التّأويل، و أطنب في ذلك. (١: ٤٠٣)

نحوه القرطبيّ. (٤: ١٦)

الطّبْرسيّ: أي الثّابتون في العلم، الضّابطون له، المتقنون فيه.

و اختلف في نظمه و حكمه على قولين:

أحدهما: أنّ ﴿الرَّاسِخُونَ﴾ معطوف على ﴿اللهُ﴾ بالواو، على معنى أنّ تأويل المتشابه لايعلمه إلّا الله، و إلّا الرّاسخون في العلم، فإنّهم يعلمونه، و ﴿يَقُولُونَ﴾ على هذا في موضع النّصب على الحال، و تقديره: قائلين ﴿اٰمَنَّا بِهٖ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾. [ثمّ استشهد بشعر]

و هذا قول ابن عبّاس، و الرّبيع، و محمّد بن جعفر بن الزّبير، و اختيار أبي مسلم، و هو المرويّ عن أبي جعفر عليه السّلام. [إلى أن قال:]

و ممّا يؤيّد هذا القول أنّ الصّحابة و التّابعين أجمعوا على تفسير جميع آي القرآن، و لم نرهم توقّفوا على شيء منه، و لم يفسّروه بأن قالوا: هذا متشابه لايعلمه إلّا الله. و كان ابن عبّاس يقول في هذه الآية: أنا من الرّاسخين في العلم.

و القول الآخر: أنّ الواو في قوله: ﴿وَ الرَّاسِخُونَ﴾ واو الإستئناف، فعلى هذا القول، يكون تأويل المتشابه لايعلمه إلّا الله تعالى، و الوقف عند قوله: ﴿وَ مَا يَعْلَمُ تَاْوِيلَهُ اِلَّا اللهُ﴾ و يبتدي: ﴿وَ الرَّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ يَقُولُونَ اٰمَنَّا بِهٖ﴾ فيكون مبتدأ و خبرًا. و هذا قول عائشة، و عروة بن

الزّبير، والحسَن، ومالك، واختيار الكسائيّ، والفَرّاء، والجُبّائيّ، وقالوا: إنّ الرّاسخين لايعلمون تأويله، ولكنّهم يؤمنون به.

فالآية راجعة على هذا التّأويل إلى العلم بمدّة أجل هذه الأمّة، ووقت قيام السّاعة، وفناء الدّنيا، ووقت طلوع الشّمس من مغربها، ونزول عيسى، وخروج الدّجّال، ونحو ذلك ممّا استأثر الله بعلمه، ويكون التّأويل على هذا القول بمعنى المتأوّل، كقوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ اِلَّا تَاْوِيلَهُ يَوْمَ يَاْتِي تَاْوِيلُهُ﴾ الأعراف: ٥٣، يعني الموعود به. (١: ٤١٠)

الفَخر الرّازيّ: اختلف النّاس في هذا الموضع، فمنهم من قال: تمّ الكلام هاهنا، ثمّ الواو في قوله: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ واو الابتداء، وعلى هذا القول: لايعلم المتشابه إلّا الله. وهذا قول ابن عبّاس وعائشة ومالك بن أنس والكِسائيّ والفَرّاء، ومن المعتزلة قول أبي عليّ الجُبّائيّ، وهو المختار عندنا.

والقول الثّاني: أنّ الكلام إنّما يتمّ عند قوله: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ وعلى هذا القول يكون العلم بالمتشابه حاصلًا عند الله تعالى وعند الرّاسخين في العلم. وهذا القول أيضًا مرويّ عن ابن عبّاس، ومُجاهِد، والرّبيع بن أنس، وأكثر المتكلّمين، والّذي يدلّ على صحّة القول الأوّل وجوه:

الحجّة الأولى: أنّ اللّفظ إذا كان له معنى راجح، ثمّ دلّ دليل أقوى منه على أنّ ذلك الظّاهر غير مراد، علمنا أنّ مراد الله تعالى بعض مجازات تلك الحقيقة. وفي المجازات كثرة، وترجيح البعض على البعض لايكون إلّا بالتّرجيحات اللُّغويّة، والتّرجيحات اللُّغويّة لاتفيد إلّا الظّنّ الضّعيف. فإذا كانت المسألة قطعيّة يقينيّة، كان القول فيها بالدّلائل الظّنّيّة الضّعيفة غير جائز، مثاله قال الله تعالى: ﴿لَايُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا اِلَّا وُسْعَهَا﴾ البقرة: ٢٨٦. ثمّ قال الدّليل القاطع: على أنّ مثل هذا التّكليف قد وُجد على ما بيّنّا في البراهين الخمسة في تفسير هذه الآية، فعلمنا أنّ مراد الله تعالى ليس ما يدلّ عليه ظاهر هذه الآية، فلابدّ من صرف اللّفظ إلى بعض المجازات، وفي المجازات كثرة، وترجيح بعضها على بعض لايكون إلّا بالتّرجيحات اللُّغويّة، وأنّها لاتفيد إلّا الظّنّ الضّعيف. وهذه المسألة ليست من المسائل الظّنّيّة، فوجب أن يكون القول فيها بالدّلائل الظّنّيّة باطلًا.

وأيضًا قال الله تعالى: ﴿اَلرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوٰى﴾ طٰه: ٥، دلّ الدّليل على أنّه يمتنع أن يكون الإله في المكان، فعرفنا أنّه ليس مراد الله تعالى من هذه الآية ما أشعر به ظاهرها، إلّا أنّ في مجازات هذه اللّفظة كثرة، فصرف اللّفظ إلى البعض دون البعض لايكون إلّا بالتّرجيحات اللُّغويّة الظّنّيّة. والقول بالظّنّ في ذات الله تعالى وصفاته غير جائز بإجماع المسلمين. وهذه حجّة قاطعة في المسألة، والقلب الخالي عن التّعصّب يميل إليه، والفطرة الأصليّة تشهد بصحّته وبالله التّوفيق.

الحجّة الثّانية: و هو أنّ ما قبل هذه الآية يدلّ على أنّ طلب تأويل المتشابه مذموم؛ حيث قال: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ و لو كان طلب تأويل المتشابه جائزًا لما ذمّ الله تعالى ذلك.

فإن قيل: لم لايجوز أن يكون المراد منه طلب وقت قيام السّاعة، كما في قوله: ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسٰيهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي﴾ الأعراف: ١٨٧، و أيضًا طلب مقادير الثّواب و العقاب، و طلب ظهور الفتح و النّصرة، كما قالوا: ﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلٰئِكَةِ﴾ الحجر: ٧.

قلنا: إنّه تعالى لمـا قسّم الكتاب إلى قسمين محكم و متشابه، و دلّ العقل على صحّة هذه القسمة؛ من حيث إنّ حمل اللّفظ على معناه الرّاجح هو المحكم، و حمله على معناه الّذي ليس براجح هو المتشابه، ثمّ إنّه تعالى ذمّ طريقة من طلب تأويل المتشابه، كان تخصيص ذلك ببعض المتشابهات دون البعض تركًا للظّاهر، و أنّه لايجوز.

الحجّة الثّالثة: أنّ الله مدح الرّاسخين في العلم بأنّهم ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾، و قال في أوّل سورة البقرة: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ البقرة: ٢٦، فهؤلاء الرّاسخون لو كانوا عالمين بتأويل ذلك المتشابه على التّفصيل، لما كان لهم في الإيمان به مدح، لأنّ كلّ من عرف شيئًا على سبيل التّفصيل، فإنّه لابدّ و أن يؤمن به. إنّما الرّاسخون في العلم هم الّذين علموا بالدّلائل القطعيّة أنّ الله تعالى عالم بالمعلومات الّتي لانهاية لها، و علموا أنّ القرآن كلام الله تعالى، و علموا أنّه لايتكلّم بالباطل و العبث، فإذا سمعوا آية و دلّت الدّلائل القطعيّة على أنّه لايجوز أن يكون ظاهرها مراد الله تعالى، بل مراده منه غير ذلك الظّاهر، ثمّ فوّضوا تعيين ذلك المراد إلى علمه، و قطعوا بأنّ ذلك المعنى أيّ شيء كان، فهو الحقّ و الصّواب، فهؤلاء هم الرّاسخون في العلم بالله؛ حيث لم يزعزعهم قطعهم بترك الظّاهر، و لاعدم علمهم بالمراد على التّعيين عن الإيمان بالله، و الجزم بصحّة القرآن.

الحجّة الرّابعة: لو كان قوله: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ معطوفًا على قوله: ﴿إِلَّا اللهُ﴾ لصار قوله: ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ ابتداء، و أنّه بعيد عن ذوق الفصاحة، بل كان الأولى أن يقال: و هم يقولون آمنّا به، أو يقال: و يقولون آمنّا به.

فإن قيل: في تصحيحه وجهان: الأوّل: أنّ قوله: ﴿يَقُولُونَ﴾ كلام مبتدأ، و التّقدير: هؤلاء العالمون بالتّأويل يقولون آمنّا به. و الثّاني: أن يكون ﴿يَقُولُونَ﴾ حالًا من الرّاسخين.

قلنا: أمّا الأوّل: فمدفوع، لأنّ تفسير كلام الله تعالى بما لايحتاج معه إلى الإضمار أولى من تفسيره بما يحتاج معه إلى الإضمار.

و الثّاني: أنّ ذا الحال هو الّذي تقدّم ذكره، و هاهنا قد تقدّم ذكر الله تعالى وذكر الرّاسخين في العلم، فوجب أن يُجعَل قوله: ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ حالًا من الرّاسخين لامن ﴿اللهُ﴾ تعالى، فيكون

ذلك تركًا للظّاهر، فثبت أنّ ذلك المذهب لايتمّ إلّا بالعدول عن الظّاهر و مذهبنا لايحتاج إليه، فكان هذا القول أولى.

الحجّة الخامسة: قوله تعالى: ﴿كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ يعني أنّهم آمنوا بما عرفوه على التّفصيل، و بما لم يعرفوا تفصيله و تأويله، فلو كانوا عالمين بالتّفصيل في الكلّ، لم يبق لهذا الكلام فائدة.

الحجّة السّادسة: نُقل عن ابن عبّاس رضي الله عنهما أنّه قال: تفسير القرآن على أربعة أوجُه: تفسير لايسع أحدًا جهله، و تفسير تعرفه العرب بألسنتها، و تفسير تعلمه العلماء، و تفسير لايعلمه إلّا الله تعالى.

و سُئل مالك بن أنس رحمه الله عن الاستواء، فقال: الاستواء معلوم، و الكيفيّة مجهولة، و الإيمان به واجب، و السّؤال عنه بدعة. و قد ذكرنا بعض هذه المسألة في أوّل سورة البقرة، فإذا ضمّ ما ذكرناه هاهنا إلى ما ذكرنا هناك، تمّ الكلام في هذه المسألة، و بالله التّوفيق.

ثم قال تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ اٰمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ و فيه مسائل:

المسألة الأولى: الرّسوخ في اللّغة: الثّبوت في الشّيء. و اعلم أنّ الرّاسخ في العلم هو الّذي عرف ذات الله و صفاته بالدّلائل اليقينيّة القطعيّة، و عرف أنّ القرآن كلام الله تعالى بالدّلائل اليقينيّة، فإذا رأى شيئًا متشابهًا، و دلّ القطعيّ على أنّ الظّاهر ليس مراد الله تعالى، عُلم حينئذ قطعًا أنّ مراد الله شيء آخر سوى ما دلّ عليه ظاهره، و أنّ ذلك المراد حقّ، و لايصير كون ظاهره مردودًا شبهة في الطّعن في صحّة القرآن.

ثمّ حكي عنهم أيضًا أنّهم يقولون: ﴿كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾، و المعنى: أنّ كلّ واحد من المحكم و المتشابه من عند ربّنا. (٧: ١٩١)

البَيْضاويّ: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ أي الّذين ثبتوا و تمكّنوا فيه. و من وقف على ﴿إِلَّا اللهُ﴾ فسّر المتشابه بما استأثر الله بعلمه، كمدّة بقاء الدّنيا، و وقت قيام السّاعة، و خواصّ الأعداد كعدد الزّبانية، أو بما دلّ القاطع على أنّ ظاهره غير مراد، و لم يدلّ على ما هو المراد. (١: ١٤٩)

نحوه أبوالسُّعود. (١: ٣٣٧)

النَّيسابوريّ: [نحو الفخر الرّازيّ و أضاف:]

ثمّ إن جُعل قوله ﴿وَالرَّاسِخُونَ﴾ عطفًا على اسم ﴿اللهُ﴾ فقوله: ﴿يَقُولُونَ اٰمَنَّا بِهِ﴾ كلام مستأنف موضّح لحال الرّاسخين، بمعنى: هم يقولون آمنّا بالمتشابه كلّ من عند ربّنا، أي كلّ واحد من المحكم و المتشابه من عنده. و في زيادة ﴿عِنْدِ﴾ مزيد توضيح و تأكيد و تفخيم لشأن القرآن.

و يحتمل أن يعود الضّمير في ﴿اٰمَنَّا بِهِ﴾ إلى ﴿الْكِتَابَ﴾، أي يقولون: آمنّا بالكتاب كلّ من محكمه و متشابهه من عند الله الحكيم الّذي لايتناقض كلامه و لايختلف كتابه.

و يحتمل أن يكون قوله: ﴿يَقُولُونَ﴾ حالًا إلّا أنّ فيه إشكالًا، و هو أنّ ذا الحال هو الّذي تقدّم

ذكره، و هاهنا قد تقدّم ذكر الله و ذكر الرّاسخين، و الحال لايمكن إلّا من الرّاسخين، فيلزم ترك الظّاهر. (٣: ١٣٠)

البُرُوسَويّ: أي لايهتدي إلى تأويله الحقّ الّذي يجب أن يُحمَل عليه إلّا الله و عباده الّذين رسخوا في العلم، أي ثبتوا فيه و تمكّنوا، أو فوّضوا فيه لنصّ قاطع. ومنهم من يقف على قوله: ﴿إِلَّا اللهُ﴾ و يبتدئ بقوله: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾، و يفسّرون المتشابه بما استأثر الله بعلمه، و بمعرفة الحكمة فيه من آياته، كعدد الزّبانية في قوله: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ المدّثّر: ٣٠، و مدّة بقاء الدّنيا، و وقت قيام السّاعة، و الصّوم، و عدد الرّكعات في الصّلوات الخمس؛ و الأوّل هو الوجه، فإنّ الله تعالى لم يُنزل شيئًا من القرآن إلّا لينتفع به عباده، و يدلّ به على معنى أراده، فلو كان المتشابه لايعلمه غيره للزمنا للطّاعن مَقال، و هل يجوز أن يقال: إنّ رسول الله ﷺ لم يكن يعرف المتشابه، و إذا جاز أن يعرفه مع قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ﴾ جاز أن يعرفه الرّبّانيّون من صحابته، و إن لم يعرفه النّبيّ ﷺ و صحابته و العلماء الرّاسخون، و قالوا: علمه عند ربّنا، لم يكن لهم فضل على الجهّال، لأنّهم جميعًا يقولون ذلك.

قالوا: و لم يزل المفسّرون إلى يومنا هذا يفسّرون و يؤوّلون كلّ آية، و لم نرهم وقفوا عن شيء من القرآن، فقالوا: هذا متشابه لايعلمه إلّا الله، بل فسّروا نحو حروف التّهجّي و غيرها. (٢: ٥)

شُبَّر: [نقل القولين في الآية و قال:]

و أصحابنا على الأوّل: [علم الرّاسخين بتأويل المتشابه] (١: ٢٩٦)

الآلوسيّ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ في موضع الحال من ضمير ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ باعتبار العلّة الأخيرة، أي يتّبعون المتشابه لابتغاء تأويله، و الحال أنّ التّأويل المطابق للواقع ـ كما يشعر به التّعبير ـ بالعلم و الإضافة إلى الله تعالى مخصوص به سبحانه، و بمن وفّقه عزّ شأنه من عباده الرّاسخين في العلم، أي الّذين ثبتوا و تمكّنوا فيه، و لم يتزلزلوا في مزالّ الأقدام و مداحض الأفهام دونهم؛ حيث إنّهم بمعزل عن تلك الرّتبة. هذا ما يقتضيه الظّاهر في تفسير الرّاسخين. [إلى أن قال:]

و المراد بالعلم: العلم الشّرعيّ المقتبس من مشكاة النّبوّة، فإنّ أهله هم الممدوحون.

﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ استئناف موضّح لحال الرّاسخين، و لهذا فُصل، و النّحاة يقدّرون له مبتدأ دائمًا، أي هم يقولون. و قد قيل: إنّه لاحاجة إليه و لم يُعرَف وجه التزامهم لذلك، فلينظر.

و جُوّز أن يكون حالًا من الرّاسخين، و الضّمير المجرور راجع إلى المتشابه، و عدم التّعرّض لإيمانهم بالمحكم لظهوره. و إن رجع إلى ﴿الْكِتَابَ﴾ فله وجه أيضًا، لأنّ ما له كلّ من أجزاء الكتاب أو جزئيّاته؛ و ذلك لايخلو عن الأمرين. (٣: ٨٣)

المَراغيّ: للعلماء في تفسير هذه الآية رأيان:

١ ـ رأي بعض السّلف، و هو الوقوف على لفظ الجلالة، و جعل قوله: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ كلام مستأنف. و على هذا فالمتشابه لايعلم تأويله إلّا اللّه، و استدلّوا على ذلك بأمور منها:

أ ـ أنّ اللّه ذمّ الّذين يتّبعون تأويله.

ب ـ أنّ قوله: ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ ظاهر في التّسليم المحض للّه تعالى، و من عرف الشّيء و فهمه لايعبّر عنه بما يدلّ على التّسليم المحض. و هذا رأي كثير من الصّحابة رضوان اللّه عليهم كأُبيّ بن كعب و عائشة.

٢ ـ و يرى بعض آخرون الوقف على لفظ «العلم» و يجعل قوله: ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا﴾ كلام مستأنف، و على هذا فالمتشابه يعلمه الرّاسخون. و إلى ذلك ذهب ابن عبّاس و جمهرة من الصّحابة، و كان ابن عبّاس يقول: أنا من الرّاسخين في العلم، أنا أعلم تأويله.

و ردّوا على أدلّة الأوّلين بأنّ اللّه تعالى إنّما ذمّ الّذين يبتغون التّأويل، بذهابهم فيه إلى ما يخالف المحكمات يبتغون بذلك الفتنة، و الرّاسخون في العلم ليسوا كذلك، فإنّهم أهل اليقين الثّابت الّذي لااضطراب فيه. فاللّه يفيض عليهم فهم المتشابه بما يتّفق مع فهم المحكم، و بأنّ قولهم: ﴿آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ لاينافي العلم، فإنّهم لرسوخهم في العلم و وقوفهم على حقّ اليقين لايضطربون، بل يؤمنون بهذا و ذاك، لأنّ كلًّا منهما من عند اللّه و ليس في هذا من عجب، فإنّ الجاهل في اضطراب دائم، و الرّاسخ في العلم ثابت العقيدة لاتشتبه عليه المسالك.

و وجود المتشابه الّذي يستأثر اللّه بعلمه من أحوال الآخرة ضروريّ، لأنّ من مقاصد الدّين الإخبار بأحوالها، فيجب الإيمان بما جاء به الرّسول من ذلك، و هو من عالم الغيب نؤمن به كما نؤمن بالملائكة و الجنّ. و لايعلم تأويل ذلك أي حقيقة ما تؤول إليه هذه الألفاظ إلّا اللّه، و الرّاسخون في العلم و غيرهم في مثل هذا سواء، لأنّ الرّاسخين يعرفون ما يقع تحت حكم الحسّ و العقل، و لايستشرفون بأنظارهم إلى معرفة حقيقة ما يُخبر به الرّسل من عالم الغيب؛ إذ هم يعلمون أنّه لامجال لحسّهم و لالعقلهم فيه، إنّما سبيله التّسليم، فيقولون: ﴿آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾، فالوقف في مثل هذا لازم على لفظ الجلالة ﴿اللّهُ﴾.

أمّا النّوع الأوّل من المتشابه، و هو الألفاظ الّتي لايجوز في العقل أخذها على ظاهرها من صفاته تعالى و صفات أنبيائه، كقوله: ﴿وَ كَلِمَتُهُ اَلْقٰيهَا اِلٰى مَرْيَمَ وَ رُوحٌ مِنْهُ﴾ النّساء: ١٧١، فمثل هذا يمنع الدّليل العقليّ و الدّليل النّقليّ حمله على ظاهره، و مثل هذا هو الّذي يأتي فيه الخلاف في علم الرّاسخين بتأويله. فالّذين نفوا عنهم علمهم به، جعلوا حكمة تخصيص الرّاسخين بالتّفويض و التّسليم، هي تمييزهم بين الأمرين و إعطاء كلّ حكمه كما تقدّم، و الّذين أثبتوا لهم علمه يردّون ما تشابه ظاهره من صفات اللّه و أنبيائه إلى أمّ الكتاب و هو المحكم، و يأخذون منه ما يمكنهم من فهم

المتشابه.

و على هذا فتخصيص الرّاسخين بهذا العلم لبيان أنّ غيرهم يمتنع عليه الخوض فيه، و لايجوز لهم التّهجّم عليه. (٣: ٩٩)

ابن عاشور: المراد بالرّاسخين في العلم: الّذين تمكّنوا في علم الكتاب، و معرفة محامله، و قام عندهم من الأدلّة ما أرشدهم إلى مراد الله تعالى؛ بحيث لاتروج عليهم الشّبه. و الرّسوخ في كلام العرب: الثّبات و التّمكّن في المكان. يقال: رسخت القدم ترسَخ رُسُوخًا، إذا ثبتت عند المشي و لم تتزلزل. و استُعير الرّسوخ لكمال العقل و العلم؛ بحيث لاتُضلّله الشّبه، و لا تتطرّقه الأخطاء غالبًا، و شاعت هذه الاستعارة حتّى صارت كالحقيقة.

فـ ﴿الرَّاسِخُونَ فِى الْعِلْـمِ﴾: الثّابتون فيه، العارفون بدقائقه، فهم يُحسنون مواقع التّأويل، و يعلمونه.

و لذا فقوله: ﴿وَالرَّاسِخُونَ﴾ معطوف على اسم الجلالة. و في هذا العطف تشريف عظيم، كقوله: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلٰئِكَةُ وَاُولُوا الْعِلْـمِ﴾ آل عمران: ١٨، و إلى هذا التّفسير مال ابن عبّاس، و مُجاهد، وَالرّبيع بن سليمان، و القاسم بن محمّد، و الشّافعيّة، و ابن فورك، و الشّيخ أحمد القُرطُبيّ، و ابن عَطيّة.

و على هذا فليس في القرآن آية استأثر الله بعلمها، و يؤيّد هذا أنّ الله أثبت للرّاسخين في العلم فضيلة، و وصفهم بالرّسوخ، فآذن بأنّ لهم مزيّة في فهم المتشابه، لأنّ المحكم يستوي في علمه جميع من يفهم الكلام، ففي أيّ شيء رسوخهم. و حكى إمام الحرمين، عن ابن عبّاس: أنّه قال في هاته الآية: «أنا ممّن يعلم تأويله».

و قيل: الوقف على قوله: ﴿إِلَّا اللهُ﴾ و إنّ جملة ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِى الْعِلْـمِ﴾ مستأنفة، و هذا مرويّ عن جمهور السّلف، و هو قول ابن عمر، و عائشة، و ابن مَسعود، و أُبيّ. و رواه أشهب عن مالك في جامع العتبيّة، و قاله عُرْوة بن الزّبير، و الكِسائيّ، و الأخفش و الفرّاء، و الحنفيّة، و إليه مال فخر الدّين.

و يؤيّد الأوّل وصفهم بالرّسوخ في العلم، فإنّه دليل بيّن على أنّ الحُكم الّذي أثبت لهذا الفريق، هو حكم من معنى العلم و الفهم في المعضلات، و هو تأويل المتشابه. على أنّ أصل العطف هو عطف المفردات دون عطف الجمل، فيكون ﴿الرَّاسِخُونَ﴾ معطوفًا على اسم الجلالة، فيدخلون في أنّهم يعلمون تأويله. و لو كان ﴿الرَّاسِخُونَ﴾ مبتدأ و جملة: ﴿يَقُولُونَ اٰمَنَّا بِهِ﴾ خبرًا، لكان حاصل هذا الخبر ممّا يستوي فيه سائر المسلمين الّذين لازيغ في قلوبهم، فلايكون لتخصيص الرّاسخين فائدة.

قال ابن عَطيّة: «تسميتهم راسخين، تقتضي أنّهم يعلمون أكثر من المحكم الّذي يستوي في علمه جميع من يفهم كلام العرب، و في أيّ شيء هو رسوخهم إذا لم يعلموا إلّا ما يعلمه الجميع؟ و ما

الرّسوخ إلّا المعرفة بتصاريف الكلام بقريحة معدّة».

و ما ذكرناه و ذكره ابن عَطيّة لايعدو أن يكون ترجيحًا لأحد التّفسيرين، و ليس إبطالًا لمقابله؛ إذ قد يُوصف بالرّسوخ من يفرق بين ما يستقيم تأويله و ما لامطمع في تأويله.

و في قوله: ﴿وَ مَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ إشعار بأنّ الرّاسخين يعلمون تأويل المتشابه.

و احتجّ أصحاب الرّأي الثّاني، و هو رأي الوقف على اسم الجلالة، بأنّ الظّاهر أن يكون جملة ﴿وَ الرَّاسِخُونَ﴾ مستأنفة لتكون معادلًا لجملة: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾، و التّقدير: و أمّا الرّاسخون في العلم.

و أجاب التّفتازانيّ بأنّ المعادل لايلزم أن يكون مذكورًا، بل قد يُحذف لدلالة الكلام عليه. و احتجّوا أيضًا بقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾. قال الفَخر: لو كانوا عالمين بتأويله، لم يكن لهذا الكلام فائدة؛ إذ الإيمان بما ظهر معناه أمر غير غريب، و سنجيب عن هذا عند الكلام على هذه الجملة. و ذكر الفَخر حُجَجًا أخر غير مستقيمة.

و لايخفى أنّ أهل القول الأوّل لايُثبتون متشابهًا غير ما خفي المراد منه، و أنّ خفاء المراد متفاوت، و أنّ أهل القول الثّاني يُثبتون متشابهًا استأثر الله بعلمه، و هو أيضًا متفاوت، لأنّ منه ما يقبل تأويلات قريبة، و هو ممّا ينبغي ألّا يُعَدّ من المتشابه في اصطلاحهم. لكنّ صنيعهم في الإمساك عن تأويل آيات كثيرة سَهْلٍ تأويلُها مثل: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ الطّور: ٤٨، دلّ على أنّهم يسدّون باب التّأويل في المتشابه.

قال الشّيخ ابن عَطيّة: «إنّ تأويل ما يمكن تأويله لايعلم تأويله على الاستيفاء إلّا الله تعالى، فمن قال من العلماء الحذّاق: بأنّ الرّاسخين لايعلمون تأويل المتشابه، فإنّما أراد هذا النّوع، و خافوا أن يظنّ أحد أنّ الله وصف الرّاسخين بعلم التّأويل على الكمال». (٣: ٢٤)

مَغْنِيّة: قال بعض النّاس: يجب الوقوف عند لفظ الجلالة. أمّا ﴿الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ فكلام مستأنف، و المعنى: أنّ الله قد استأثر وحده بعلم المتشابه دون العلماء الرّاسخين في العلم.

و يلاحظ على هذا القول بأنّ الله سبحانه حكيم لا يخاطب النّاس بأشياء لايفهمونها، و لايريد أن يفهموها، كما سبق بيانه. و الصّحيح أنّ الرّاسخين في العلم معطوف على لفظ الجلالة، و أنّ المعنى: يعلم تأويل المتشابه الله و الرّاسخون في العلم. قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «ذاك القرآن الصّامت، و أنا القرآن النّاطق» و كان ابن عبّاس يقول: «أنا من الرّاسخين في العلم، أنا أعلم تأويله».

و تجمل الإشارة إلى أنّ العالم الحقّ هو الّذي يُحجم عن القول من غير علم، بل من الرّسوخ في العلم الإحجام عن القول من غير علم، و في الحديث: «الوقوف عند الشّبهات خير من الاقتحام في الهلكات». (٢: ١٤)

الطَّباطَبائيّ: هل يعلم تأويل القرآن غير الله

سبحانه؟

هذه المسألة أيضًا من موارد الخلاف الشّديد بين المفسّرين و منشأه الخلاف الواقع بينهم في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ الآية، و أنّ الواو هل هو للعطف أو للاستيناف؟

فذهب بعض القدماء و الشّافعيّة، و معظم المفسّرين من الشّيعة إلى أنّ الواو للعطف، و أنّ الرّاسخين في العلم يعلمون تأويل المتشابه من القرآن.

و ذهب معظم القدماء و الحنفيّة من أهل السّنّة إلى أنّه للاستئناف، و أنّه لايعلم تأويل المتشابه إلّا الله، و هو ممّا استأثر الله سبحانه بعلمه.

و قد استدلّت الطّائفة الأُولى على مذهبها بوجُوه كثيرة و ببعض الرّوايات، و الطّائفة الثّانية بوجُوه أُخر و عدّة من الرّوايات الواردة، في أنّ تأويل المتشابهات ممّا استأثر الله سبحانه بعلمه، و تمادت كلّ طائفة في مناقضة صاحبتها و المعارضة مع حججها.

و الّذي ينبغي أن يتنبّه له الباحث في المقام، أنّ المسألة لم تخل عن الخلط و الاشتباه، من أوّل ما دارت بينهم و وقعت موردًا للبحث و التّنقير، فاختلط رجوع المتشابه إلى المحكم. و بعبارة أُخرى: المعنى المراد من المتشابه بتأويل الآية كما ينبئ به ما عنونا به المسألة و قرّرنا عليه الخلاف، و قول كلّ من الطّرفين آنفًا، و لذلك تركنا التّعرّض لنقل حُجَج الطّرفين، لعدم الجدوى في إثباتها أو نفيها، بعد ابتنائها على الخلط.

و أمّا الرّوايات فإنّها مخالفة لظاهر الكتاب، فإنّ الرّوايات المثبتة، أعني الدّالّة على أنّ الرّاسخين في العلم يعلمون التّأويل، فإنّها أخذت التّأويل مرادفًا للمعنى المراد من لفظ المتشابه، و لاتأويل في القرآن بهذا المعنى، كما روي من طرق أهل السّنّة: أنّ النّبي ﷺ دعا لابن عبّاس فقال: «اللّهمّ فقّهه في الدّين و علّمه التّأويل»، و ما روي من قول ابن عبّاس: أنا من الرّاسخين في العلم، و أنا أعلم تأويله»، و من قوله: «إنّ المحكمات هي الآيات النّاسخة و المتشابهات هي المنسوخة» فإنّ لازم هذه الرّوايات على ما فهموه أن يكون معنى الآية المحكمة تأويلًا للآية المتشابهة، و هو الّذي أشرنا إليه أنّ التّأويل بهذا المعنى ليس موردًا لنظر الآية.

و أمّا الرّوايات النّافية، أعني الدّالّة على أنّ غيره لايعلم تأويل المتشابهات، مثل ما روي أنّ ابن عبّاس كان يقرأ: (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَيَقُولُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ آمَنَّا بِهِ) و كذلك كان يقرأ أُبيّ ابن كعب، و ما روي أنّ ابن مسعود كان يقرأ: (وَإِنْ تَأْوِيلُهُ إِلَّا عِنْدَ اللهِ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ)، فهذه لاتصلح لإثبات شيء: أمّا أوّلًا فلأنّ هذه القراءات لاحجّيّة فيها، و أمّا ثانيًا فلأنّ غاية دلالتها أنّ الآية لا تدلّ على علم الرّاسخين في العلم بالتّأويل، و عدم دلالة الآية عليه غير دلالتها

على عدمه، كما هو المدّعى، فمن الممكن أن يدلّ عليه دليل آخر.

و مثل ما في «الدّرّ المنثور» عن الطّبرانيّ عن أبي مالك الأشعريّ أنّه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لا أخاف على أمّتي إلّا ثلاث خصال: أن يكثر لهم المال فيتحاسدوا فيقتتلوا، و أن يفتح لهم الكتاب فيأخذه المؤمن يبتغي تأويله: ﴿وَ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَ مَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾، و أن يكثر علمهم فيضيّعونه و لا يبالون به»، و هذا الحديث على تقدير دلالته على النّفي، لا يدلّ إلّا على نفيه عن مطلق المؤمن لا عن خصوص الرّاسخين في العلم، و لا ينفع المستدلّ إلّا الثّاني.

و مثل الرّوايات الدّالّة على وجوب اتّباع المحكم و الإيمان بالمتشابه، و عدم دلالتها على النّفي، ممّا لا يرتاب فيه.

و مثل ما في تفسير الآلوسي عن ابن جرير عن ابن عبّاس مرفوعًا: «أنزل القرآن على أربعة أحرف: حلال و حرام لا يعذر أحد بجهالته، و تفسير تفسّره العلماء، و متشابه لا يعلمه إلّا الله، و من ادّعى علمه سوى الله تعالى فهو كاذب».

و الحديث مع كونه مرفوعًا و معارضًا بما نقل عنه من دعوة الرّسول له و ادّعائه العلم به لنفسه، مخالف لظاهر القرآن: أنّ التّأويل غير المعنى المراد بالمتشابه، على ما عرفت فيما مرّ.

و الّذي ينبغي أن يقال: إنّ القرآن يدلّ على جواز العلم بتأويله لغيره تعالى، و أمّا هذه الآية فلا دلالة لها على ذلك.

أمّا الجهة الثّانية فلما مرّ في البيان السّابق، أنّ الآية بقرينة صدرها و ذيلها و ما تتلوها من الآيات، إنّما هي في مقام بيان انقسام الكتاب إلى المحكم و المتشابه، و تفرّق النّاس في الأخذ بها، فهم بين مائل إلى اتّباع المتشابه لزيغ في قلبه، و ثابت على اتّباع المحكم، و الإيمان بالمتشابه لرسوخ في علمه، فإنّما القصد الأوّل في ذكر الرّاسخين في العلم بيان حالهم، و طريقتهم في الأخذ بالقرآن، و مدحهم فيه قبال ما ذكر من حال الزّائغين و طريقتهم و ذمّهم. و الزّائد على هذا القدر خارج عن القصد الأوّل، و لا دليل على تشريكهم في العلم بالتّأويل مع ذلك إلّا وجوه غير تامّة، تقدّمت الإشارة إليها، فيبقى الحصر المدلول عليه بقوله تعالى: ﴿وَ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ﴾ من غير ناقض ينقضه من عطف و استثناء و غير ذلك، فالّذي تدلّ عليه الآية هو انحصار العلم بالتّأويل فيه تعالى، و اختصاصه به.

لكنّه لا ينافي دلالة دليل منفصل، يدلّ على علم غيره تعالى به بإذنه كما في نظائره، مثل العلم بالغيب، قال تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ﴾ النّمل: ٦٥، و قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلّٰهِ﴾ يونس: ٢٠، و قال تعالى: ﴿وَ عِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ الأنعام: ٥٩ فدلّ جميع ذلك على الحصر، ثمّ قال تعالى:

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾ الجنّ: ٢٦، ٢٧، فأثبت ذلك لبعض من هو غيره، و هو من ارتضى من رسول، و لذلك نظائر في القرآن.

و أمّا الجهه الأولى، و هي أنّ القرآن يدلّ على جواز العلم بتأويله لغيره تعالى في الجملة، فبيانه أنّ الآيات ـ كما عرفت ـ تدلّ على أنّ تأويل الآية أمر خارجيّ نسبته إلى مدلول الآية نسبة المُمثَّل إلى المثَل، فهو و إن لم يكن مدلولًا للآية بما لها من الدّلالة، لكنّه محكيّ لها محفوظ فيها نوعًا من الحكاية و الحفظ، نظير قولك: «في الصّيف ضيّعت اللّبن» لمن أراد أمرًا قد فوّت أسبابه من قبل، فإنّ المفهوم المدلول عليه بلفظ المثَل و هو تضييع المرأة اللّبن في الصّيف، لا ينطبق شيء منه على المورد، و هو مع ذلك ممثّل لحال المخاطب حافظ له، يصوّره في الذّهن بصورة مضمّنة في الصّورة الّتي يعطيها الكلام بمدلوله.

كذلك أمر التّأويل، فالحقيقة الخارجيّة الّتي توجب تشريع حكم من الأحكام، أو بيان معرفة من المعارف الإلهيّة، أو وقوع حادثة هي مضمون قصّة من القصص القرآنيّة، و إن لم تكن أمرًا يدلّ عليه بالمطابقة نفس الأمر و النّهي، أو البيان أو الواقعة الكذائيّة، إلّا أنّ الحكم أو البيان أو الحادثة لمّا كان كلّ منها ينتشي منها و يظهر بها، فهو أثرها الحاكي لها بنحو من الحكاية و الإشارة، كما أنّ قول السّيّد لخادمه: «اسقني» ينتشي عن اقتضاء الطّبيعة الإنسانيّة لكمالها، فإنّ هذه الحقيقة الخارجيّة هي الّتي تقتضي حفظ الوجود و البقاء، و هو يقتضي بدل ما يتحلّل من البدن، و هو يقتضي الغذاء اللّازم، و هو يقتضي الرّيّ، و هو يقتضي الأمر بالسّقي مثلًا. فتأويل قوله: «اسقني» هو ما عليه الطّبيعة الخارجيّة الإنسانيّة، من اقتضاء الكمال في وجوده و بقائه.

و لو تبدّلت هذه الحقيقة الخارجيّة إلى شيء آخر يباين الأوّل مثلًا، لتبدّل الحكم الّذي هو الأمر بالسّقي إلى حكم آخر، و كذا الفعل الّذي يُعرَف فيُفعل، أو يُنكر فيُجتنب في واحد من المجتمعات الإنسانيّة على اختلافها الفاحش في الآداب و الرّسوم، إنّما يرتضع من ثدي الحُسن و القُبح الّذي عندهم، و هو يستند إلى مجموعة متّحدة متّفقة من علل زمانيّة و مكانيّة، و سوابق عادات و رسوم مرتكزة في ذهن الفاعل بالوراثة ممّن سبقه و تكرّر المشاهدة ممّن شاهده من أهل منطقته. فهذه العلّة المؤتلفة الأجزاء، هي تأويل فعله أو تركه، من غير أن تكون عين فعله أو تركه، لكنّها محكيّة مضمّنة محفوظة بالفعل أو التّرك، و لو فُرض تبدّل المحيط الاجتماعيّ، لتبدّل ما أتى به من الفعل أو التّرك.

فالأمر الّذي له التّأويل سواء كان حكمًا أو قصّةً أو حادثةً يتغيّر بتغيّر التّأويل لامحالة و لذلك ترى أنّه تعالى في قوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَ ابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ﴾ الآية، لما ذكر اتّباع أهل

الزّيغ، ما ليس بمراد من المتشابه ابتغاءً للفتنة، ذكر أنّهم بذلك يبتغون تأويله الّذي ليس بتأويل له، و ليس إلّا لأنّ التّأويل الّذي يأخذون به لو كان هو التّأويل الحقيقيّ، لكان اتّباعهم للمتشابه اتّباعًا حقًّا مذموم، و تبدّل الأمر الّذي يدلّ عليه المحكم، و هو المراد من المتشابه، إلى المعنى غير المراد الّذي فهموه من المتشابه و اتّبعوه.

فقد تبيّن أنّ تأويل القرآن حقائق خارجيّة تستند إليه آيات القرآن في معارفها و شرائعها، و سائر ما بيّنته بحيث لو فُرض تغيّر شيء من تلك الحقائق انقلب ما في الآيات من المضامين.

و إذا أجدت التّدبّر وجدت أنّ هذا ينطبق تمام الانطباق على قوله تعالى: ﴿وَ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَ إِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ الزّخرف: ٢ ـ ٤، فإنّه يدلّ على أنّ القرآن النّازل كان عند الله أمرًا أعلى و أحكم من أن يناله العقول، أو يعرضه التّقطّع و التّفصّل، لكنّه تعالى عنايةً بعباده جعله كتابًا مقرّرًا و ألبسه لباس العربيّة، لعلّهم يعقلون ما لا سبيل لهم إلى عقله و معرفته، ما دام في أمّ الكتاب، و أمّ الكتاب هذا هو المدلول عليه بقوله: ﴿يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَ يُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ الرّعد: ٣٩، و بقوله: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ البروج: ٢١، ٢٢.

و يدلّ على إجمال مضمون الآية أيضًا قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ هود: ١، فالإحكام كونه عند الله بحيث لا ثلمة فيه و لا فصل، و التّفصيل هو جعله فصلًا فصلًا و آيةً آيةً، و تنزيله على النّبيّ ﷺ.

و يدلّ على هذه المرتبة الثّانية الّتي تستند إلى الأولى قوله تعالى: ﴿وَ قُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَ نَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ الإسراء: ١٠٦، فقد كان القرآن غير مفروق الآيات ثمّ فرّق و نزّل تنزيلًا، و أوحي نجومًا.

و ليس المراد بذلك أنّه كان مجموع الآيات مرتّب السّور، على الحال الّذي هو عليه الآن عندنا، كتابًا مؤلّفًا مجموعًا بين الدّفّتين مثلًا، ثمّ فرّق و أنزل على النّبيّ نجومًا، ليقرأه على النّاس على مكث، كما يفرّقه المعلّم المقرئ منّا قطعات، ثمّ يعلّمه و يُقرئه متعلّمه كلّ يوم قطعةً على حسب استعداد ذهنه.

و ذلك أنّ بين إنزال القرآن نجومًا على النّبيّ، و بين إلقائه قطعةً قطعةً على المتعلّم فرقًا بيّنًا، و هو دخالة أسباب النّزول في نزول الآية على النّبيّ ﷺ و لا شيء من ذلك، و لا ما يُشبهه في تعلّم المتعلّم، فالقطعات المختلفة الملقاة إلى المتعلّم في أزمنة مختلفة، يمكن أن تُجمَع و يُنضَمّ بعضها إلى بعض في زمان واحد، و لا يمكن أن تُجمَع أمثال قوله تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَ اصْفَحْ﴾ المائدة: ١٣، و قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾ التّوبة: ١٢٣، و قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ المجادلة: ١، و قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ

أَمْوالِهِمْ صَدَقَةً﴾ التّوبة : ١٠٣، و نحو ذلك، فيُلغـى سبب النّزول و زمانهـا، ثمّ يُفـرض نزولهـا في أوّل البعثة أو في آخـر زمـان حيـاة الـنّبيّ ﷺ، فـالمراد بالقرآن في قوله: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ﴾ الإسراء : ١٠٦، غير القرآن بمعنى الآيات المؤلّفة.

و بالجملة فالمحصّل مـن الآيـات الشّـريفة، أنّ وراء ما نقرأه و نعقله من القرآن أمرًا هو من القـرآن بمنزلة الرّوح من الجسد، و المتمثّل من المثال، و هـو الّذي يُسمّيه تعالى بــ«الكتـاب الحكـيم»، و هـو الّذي تعتمد و تتّكئ عليه معـارف القـرآن المـنزل و مضامينه، و ليس من سنخ الألفاظ المفرّقة المقطّعة، و لا المعاني المـدلول عليهـا بهـا. و هـذا بعينـه هـو التّأويل المذكور في الآيات المشتملة عليه، لانطباق أوصافه و نعُوته عليه، و بذلك يظهـر حقيقـة معـنى التّأويل، و يظهر سبب امتناع التّأويل عن أن تمسّـه الأفهام العاديّة، و النّفوس غير المطهّرة.

ثمّ إنّه تعالى قال: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ الواقعـة : ٧٧ ـ ٧٩، و لا شبهة في ظهور الآيات في أنّ المطهّرين من عباد الله، هم يمسّون القرآن الكريم الّذي في الكتاب المكنون، و المحفوظ عن التّغيّر، و من التّغيّر تصـرّف الأذهان بالورود عليه و الصّدور منه. و لـيس هـذا المسّ إلّا نيل الفهم و العلم.

و من المعلوم أيضًا أنّ الكتاب المكنون هذا هـو أمّ الكتاب المدلول عليه بقوله: ﴿يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ الرّعـد : ٣٩، و هـو المذكور في قوله: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ الزّخرف : ٤.

و هؤلاء قوم نزلت الطّهارة في قلـوبهم و لـيس يُنزلها إلّا الله سـبحانه، فإنّـه تعـالى لم يـذكرها إلّا كذلك، أي منسوبة إلى نفسه، كقوله تعـالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ الأحزاب : ٣٣، و قوله تعـالى: ﴿وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ المائدة : ٦.

و ما في القرآن شيء مـن الطّهـارة المعنويّـة إلّا منـسوبة إلى الله أو بإذنه، و ليست الطّهـارة إلّا زوال الرّجس من القلب، و ليس القلب من الإنســان إلّا ما يُدرك به و يريد به، فطهارة القلب طهـارة نفـس الإنسان في اعتقادها و إرادتها، و زوال الرّجس عن هاتين الجهتين. و يرجع إلى ثبات القلب فيما اعتقده من المعـارف الحقّـة، مـن غـير مـيلان إلى الشّـكّ و نوسان بين الحقّ و الباطل، و ثباته على لوازم مـا علمه من الحقّ، من غـير تمائـل إلى اتّبـاع الهـوى، و نقض ميثاق العلم.

و هذا هو الرّسوخ في العلم، فإنّ الله سبحانه مـا وصف الرّاسخين في العلم إلّا بأنّهم مهديّون ثابتون على ما علموا، غير زائغة قلوبهم إلى ابتغـاء الفتنـة، فقد ظهر أنّ هؤلاء المطهّرين راسخون في العلم هذا.

و لكن ينبغي أن لا تشتبه النّتيجة الّـتي ينتجهـا هذا البيان، فإنّ المقدار الثّابت بـذلك أنّ المطهّـرين يعلمـــون التّأويـــل، و لازم تطهيرهـــم أن يكونـــوا راسخين في علومهم، لما أنّ تطهير قلـوبهم منسـوب

إلى الله، و هو تعالى سبب غير مغلوب، لا أنّ الرّاسخين في العلم يعلمونه بما أنّهم راسخون في العلم، أي إنّ الرّسوخ في العلم سبب للعلم بالتّأويل، فإنّ الآية لاتثبت ذلك بل ربّما لاح من سياقها جهلهم بالتّأويل؛ حيث قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ اٰمَنَّا بِهٖ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ الآية، و قد وصف الله تعالى رجالًا من أهل الكتاب برسوخ العلم، و مدحهم بذلك و شكرهم على الإيمان و العمل الصّالح في قوله: ﴿لٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا اُنْزِلَ اِلَيْكَ وَمَا اُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ النّساء: ١٦٢، و لم يثبت مع ذلك كونهم عالمين بتأويل الكتاب.

و كذلك إنّ الآية، أعني قوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُ اِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ الواقعة: ٧٩، لم تثبت للمطهّرين إلّا مسّ الكتاب في الجملة، و أمّا أنّهم يعلمون كلّ التّأويل و لايجهلون شيئًا منه و لا في وقت، فهي ساكتة عن ذلك، و لو ثبت لثبت بدليل منفصل.

(٣: ٤٩)

المُصْطَفَويّ: أي ما يعلم تأويل ما تشابه من الكتاب إلّا الله و من هو متمكّن و مستقرّ في منزل العلم و اليقين، و هو يُدرك الحقائق و المعارف الإلهيّة بنور الإيمان و شهود القلب، فلايشتبه عليه ما بَعُد عن أفهام النّاس و عن أبصارهم.

نعم إنّهم قد توغّلوا في بحر المعرفة، و شربوا من عين يشرب بها المقرّبون، و ارتفع عنهم حُجُب الجهل و التّرديد، و هم ينظرون بنور الله.

و نتيجة الرّسوخ هو الإيمان و الاطمئنان، و الإيمان الحقيقيّ هو الشّهود، فإذا شهدوا و أبصروا الحقائق فيما تشابه على النّاس، فيقولون: هذا هو الحقّ آمنّا به و نحن به من الشّاهدين. راجع «الشّبه».

فكلمة ﴿الرَّاسِخُونَ﴾: عطف على ﴿اللهُ﴾، و جملة ﴿يَقُولُونَ﴾ حاليّة. و لايجوز أن يكون كلمة ﴿الرَّاسِخُونَ﴾ مبتدأ، فإنّ إظهار الإيمان منهم من دون علم بالتّأويل لاامتياز فيه، و النّظر في المورد إلى العلم بالتّأويل، لاالإيمان المطلق.

فظهر أنّ تأويل الكلمات و الآيات المشتبهة من دون حصول رسوخ في العلم و اليقين خطأ صرف، و انحراف و ضلال و ابتغاء الفتنة، و إعمال لما في نفوسهم من المشتهيات النّفسانيّة و الأوهام الباطلة.

نعوذ بالله العزيز من زيغ القلوب و غواية النّفوس و الضّلال. (٤: ١٢٠)

مكارم الشّيرازيّ: من هم الرّاسخون في العلم؟

هذا التّعبير القرآنيّ ورد في موضعين. هذا أحدهما، و الآخر في سورة النّساء، إذ يقول: ﴿لٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا اُنْزِلَ اِلَيْكَ وَمَا اُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ النّساء: ١٦٢.

و بحسب المعنى اللُّغويّ لهذه الكلمة، فإنّها تعني الّذين لهم قدَم ثابتة في العلم و المعرفة.

طبيعيّ أن يكون معنى الكلمة واسعًا، يضمّ جميع العلماء و المفكّرين، إلّا أنّ بين هؤلاء أفرادًا متميّزين لهم مكانتهم الخاصّة، و هم يأتون على

رأس مصاديق الرّاسخين في العلم، و تنصرف إليهم الأذهان عند استعمال هذه الكلمة قبل غيرهم.

و هذا هو الّذي تقول به بعض الأحاديث الّتي تفسّر الرّاسخين في العلم بأنّهم النّبيّ ﷺ و أئمّة الهُدى عليهم السلام، فقد سبق أن قلنا: إنّ لكلمات القرآن و مفاهيمه معاني واسعة، و من مصاديقها البارزة الشّخصيّات النّموذجيّة السّامية الّتي تُذكر أحيانًا وحدها في تفسير تلك الكلمات و المفاهيم. [و ذكر رواية أبي جعفر عليه السلام ثمّ قال:]

و كما قلنا: فإنّ تفسير «الرّاسخين بالعلم» بأنّهم النّبيّ ﷺ و أئمّة الهُدى عليهم السلام لايتعارض مع المفهوم الواسع الّذي يشمله هذا التعبير، فقد نُقل عن ابن عبّاس أنّه قال: «أنا أيضًا من الرّاسخين في العلم»، إلّا أنّ كلّ امرئ يتعرّف على أسرار تأويل آيات القرآن بقدر سعته العلميّة، فالّذين يصدرون في علمهم عن علم الله اللّامتناهي، لاشكّ أنّهم أعلم بأسرار تأويل القرآن، بينما الآخرون يعلمون جزءً من تلك الأسرار.

ثمّة نقاش هامّ يدور بين المفسّرين و العلماء حول ما إذا كانت عبارة ﴿الرّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ﴾ بداية جملة مستقلّة، أم أنّها معطوفة على ﴿إلّا اللهُ﴾، و بعبارة أخرى: هل أنّ معنى الآية و أنّه: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ﴾؟ أم أنّه ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ﴾ ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾؟

إنّ لكلّ فريق من مؤيّدي هذين الاتّجاهين أدلّته و براهينه و شواهده: أمّا القرائن الموجودة في الآية و الأحاديث المشهورة المنسجمة معها، فتقول: إنّ ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ﴾ معطوفة على ﴿اللهُ﴾، و ذلك:

أوّلًا: يُستبعد كثيرًا أن تكون في القرآن آيات لايعلم أسرارها إلّا الله وحده، ألم تُنزل هذه الآيات لهداية البشر و تربيتهم؟ فكيف يمكن أن لايعلم بمعانيها و تأويلها حتّى النّبيّ الّذي نزلت عليه؟ هذا أشبه بمن يُؤلّف كتابًا لا يفهم معاني بعض أجزائه سواه!

و ثانيًا: كما يقول المرحوم الطّبْرسيّ في «مجمع البيان»: لم يسبق أن رأينا بين علماء الإسلام و المفسّرين من يمتنع عن تفسير آية، بحجّة أنّها من الآيات الّتي لايُعرف معناها سوى الله، بل كانوا جميعًا يجدّون و يجتهدون لكشف أسرار القرآن و معانيه.

و ثالثًا: إذا كان القصد هو أنّ الرّاسخين في العلم يسلّمون لما لايعرفونه، لكان الأولى أن يقال: و الرّاسخون في الإيمان يقولون: آمنّا به، لأنّ الرّسوخ في العلم يتناسب مع العلم بتأويل القرآن، و لايتناسب مع عدم العلم به و التّسليم له.

و رابعًا: أنّ الأحاديث الكثيرة الّتي تُفسّر هذه الآية تؤكّد كلّها أنّ الرّاسخين في العلم يعلمون تأويله؛ و عليه فيجب أن تكون معطوفة على ﴿اللهُ﴾.

الشّيء الوحيد الباقي هو إنّ «خطبة الأشباح» للإمام عليّ عليه السلام في «نهج البلاغة» يستفاد منها أنّ

الرّاسخين في العلم لايعلمون تأويل الآيات، و يعترفون بعجزهم:

«و اعلم أنّ الرّاسخين في العلم، هم الّذين أغناهم عن اقتحام السُّدَد المضروبة دون الغيوب، الإقرار بجملة ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب».

و لكن فضلًا عن كون هذه العبارة تناقض بعض الأحاديث المنقولة عنه ﷺ الّتي قال فيها: إنّ الرّاسخين في العلم معطوفة على الله، و إنّهم عالمون بتأويل القرآن، فإنّها لاتنسجم أيضًا مع الأدلّة الّتي سبق ذكرها. و عليه فيلزم تفسير هذه الجملة من «خطبة الأشباح» بما يتّفق و الأسانيد الأُخرى الّتي بين أيدينا. [إلى أن قال:]

يكون الرّسوخ في العلم سببًا في أن يزداد الإنسان معرفة بأسرار القرآن. ولاشكّ أنّ الّذين رسخوا في العلم أكثر من غيرهم ـ كالنّبيّ ﷺ و أئمّة الهُدى ـ يعلمون جميع أسرار القرآن، بينما الآخرون يعلمون منها كلّ بقدر سعة علمه. و هذه الحقيقة هي الّتي تدفع النّاس، و حتّى العلماء منهم، للبحث عن المعلّمين الإلهيّين، ليتعلّموا منهم أسرار القرآن. (٢: ٢٩٢)

فضل الله: نموذج الرّاسخين في العلم

أمّا ﴿الرَّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ﴾، هؤلاء الّذين أعطاهم الله الرّؤية الواضحة للأشياء، فإنّ شأنهم شأن العلماء الّذين لايصدرون حكمًا في موضوع إلّا بعد التّدبّر و التّأمّل و البحث و التّدقيق في جميع وجوهه، الأمر الّذي يجعلهم يقارنون بين مفهوم و آخر، و بين نصّ هنا و نصّ هناك، ممّا قد يوحي بالتّنافي و التّنافر، فيحاولون الجمع بينهما من خلال اكتشاف الحقائق الأساسيّة الواضحة، و إرجاع كلّ الأمور و النّصوص الأُخرى إليها، في عمليّة تفسير للّفظ على الأُسس الفنّيّة للكلام؛ بحيث لاتبتعد عن القواعد العربيّة، و لا تنحرف عن المفهوم السّائد في فهم المعنى من اللّفظ.

و بذلك لايكون التّأويل حملًا للّفظ على خلاف ظاهره، بالطّريقة الّتي تُحوّل الكلام إلى ما يُشبه الأدب الرّمزيّ الّذي لايكون اللّفظ فيه قالبًا للمعنى، بل يكون التّأويل إرجاعًا للّفظ إلى معناه، في ما يزعمه هؤلاء من تأويلات الباطل عندما يرجعونه إلى معانيه الباطلة، أو في ما تُوحي به الآيات الأُخرى الواضحة الدّلالة في ما تقرّره من حقائق العقيدة و الحياة، و ما يكتشفه «الرّاسخون في العلم» من معناه الّذي علّمهم الله إيّاه. و بهذا يقترب من معنى التّفسير الّذي يضع اللّفظ في موقعه؛ من حيث دلالته على المعنى الّذي لايختلف مع المعنى الآخر الحقيقيّ.

و نستطيع من خلال ذلك أن نعرف عطف كلمة ﴿الرَّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ﴾، على كلمة ﴿اللهُ﴾ خلافًا لمن قال: بأنّ الواو استئنافيّة، و اعتبار كلمة ﴿الرَّاسِخُونَ﴾ بداية لجملة جديدة مفصولةٍ عن الجملة الأُولى، مع التزامه بأنّ حصر علم التّأويل بالله لايعني عدم مشاركة الرّاسخين له في ذلك، من

خلال تعليمهم إيّاه من عنده، تمامًا كما هو علم الغيب الّذي اختُصّ به الله سبحانه، و لكنّه أعطاه لمن ارتضى من رسول في ما خصّه به من علم.

إنّنا نعتقد أنّ ورود كلمة «الرّاسخين في العلم» بالإضافة إلى جوّ الآية، يُوحي بما قلناه، و ذلك لأنّ هذه الصّفة لادور لها إذا لم يكن للرّاسخين في العلم من دور إلّا الإعلان بأنّ المحكم و المتشابه من عند الله تعالى، بل هو منطلق من خلال صفة الإيمان الّتي تعني التّسليم بكلّ ما جاء به الله. أمّا إذا كانت معطوفة على كلمة ﴿اللهُ﴾ بحيث تدلّ على أنّهم يعلمون تأويل القرآن في ما تشابه من آياته، فإنّها توحي بأنّ رسوخهم في العلم جعلهم يتدبّرون القرآن، فيفهمون التّناسب بين آياته في ما تُمثّله من حقائق العقيدة و الحياة، و بذلك لايجدون في آية واحدة منها ما يبتعد عن المعنى الّذي توحيه الأُخرى، و بهذا يكون للإيمان بأنّها ـ جميعًا ـ من عند الله، معنى مناسب للتّدقيق في معرفة طبيعة المعنى هنا و هناك.

إنّ هذا الإيمان، إذا لم يكن ممثّلًا لقناعة صاحبه، فلايفرض ضرورةً للجمع بين النُّصوص، فيمكن في حالة اختلاف المصدر، أن يكون المعنى هنا يختلف عن المعنى هناك. هذا من جهة، ومن جهة أُخرى، فإنّ القرآن قد جاء هدًى للنّاس، يفتح قلوبهم على المعرفة الحقّة الّتي يريدها الله للحياة، فلابدّ من أن يكون ـ بطبيعته ـ هاديًا للوصول إلى الحقيقة؛ بحيث يكون أساسًا للحُجّة و البرهان على الحقّ من دون حاجة إلى وسائل غير عاديّة.

و هذا ممّا لايتناسب مع اختصاص العلم بالله، ليكون حاله حال العلم بالغيب الّذي لا يستطيع الإنسان أن يصل إليه إلّا من قبل الله، فلايملك أيّة وسيلة ذاتيّة إليه. و هذا لا يتناسب مع طبيعة القرآن و دوره في هداية النّاس إلى التّصوّر الصّحيح في ما يريد الله لهم أن يؤمنوا به أو يرفضوه.

و ربّما كان في الدّعاء الّذي يعيش في أعماق هؤلاء الرّاسخين في العلم، دلالة على ذلك، فإنّه يُوحي بالحالة النّفسيّة الّتي يعيشها العالم الّذي يعمل على اكتشاف حقيقة مقدّسة تتّصل بوحي الله، فهو يشعر بحركة الفكر من خلال المسؤوليّة في جوّ مليء بالرّهبة و الخوف من الوقوع في الخطإ من حيث لايريد، انطلاقًا من حالة ذاتيّة لاشعوريّة تقوده إلى الخطإ من موقع الصّواب، فهو ـ في هذه الحالة ـ يبتهل إلى الله أن يعصمه من حالات الزّيغ و الانحراف، بأن يلهمه الفهم الواعي المسؤول و يهب له الرّحمة الّتي تفتح قلبه على الحقّ و الخير، و تجنّبه الوقوع في قبضة الشّرّ و الباطل. ثمّ يتصاعد الشّعور في نفسه أمام المشهد الرّهيب الّذي يجمع الله فيه النّاس ليوم لاريب فيه، فإنّ الله قد وعد عباده بذلك و هو لايخلف الميعاد. [إلى أن قال:]

و في ضوء ذلك يكون المقصود من تأويل هؤلاء الّذين في قلوبهم مرض، هو إرجاع الأُمور إلى غير حقيقتها، و تحويلها عن مصادرها الحقيقيّة في النّفس و في الواقع، و تحريف النّصّ عن مساره الطّبيعيّ في

الإنسان و الحياة.

و بما ذكرناه من تفسير التّأويل، يتّضح صحّة ما أشرنا إليه سابقًا من أنّ «الواو» في قوله تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ للعطف ـ كما هو الأصل فيها ـ لا للاستئناف، كما ذهب إليه جماعة من الصّحابة كأُبيّ بن كعب و عائشة و ابن عمر؛ حيث كان رأيهم الوقوف على لفظ الجلالة، و أمّا ﴿الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ فكلام مستأنف، ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾، لأنّه تعالى وصفهم بالتّسليم المطلق لله تعالى، و العارف بالشّيء لايعبّر عنه بالتّسليم المطلق أو المحض.

و قد جاء في رواية ابن مردويه عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول الله ﷺ قال: «إنّ القرآن لم ينزل ليكذّب بعضه بعضًا، و لكن نزل يصدّق بعضه بعضًا، فما عرفتم به فاعملوا به، و ما تشابه عليكم فآمنوا به»، ممّا قد يوحي بأنّ المتشابه ممّا لايفهمه النّاس، فقد استأثر الله بعلمه.

وقفة مع صاحب الميزان:

و قد وافقهم في هذا الرّأي صاحب تفسير الميزان، الّذي يرى أنّ المعنى في الآية: «أنّ النّاس في الأخذ بالكتاب قسمان: فمنهم من يتّبع ما تشابه منه و منهم من يقول: إذا تشابه عليه شيء منه: ﴿آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾، و إنّما اختلفا لاختلافهم، من جهة زيغ القلب و رسوخ العلم».

و لكنّنا نلاحظ على كلامه ـ بالإضافة إلى ما قدّمناه في صدر تفسير الآية ـ أنّ الإشكال على حديثه عن سياق الآية جاء على تقسيم النّاس من الكتاب إلى جماعة تتّبع المتشابه، لاستغلاله في غير الحقّ، من خلال زيغ قلوبهم و انحرافهم عن خطّ الاستقامة، و جماعة ثابتة على اتّباع المحكم و الإتيان بالمتشابه لرسوخ في علمهم، و يستفاد من الآية ـ كما ذكرنا ذلك ـ أنّ القصد الأوّل في ذكر الرّاسخين في العلم: بيان حالهم و طريقتهم في الأخذ بالقرآن، و مدحهم فيه قبال ما ذُكر من حال الزّائغين و طريقتهم و ذمّهم، و الزّائد على هذا القدر خارج عن القصد الأوّل، و لادليل على تشريكهم في العلم بالتّأويل مع ذلك.

و لكنّه لايمانع من أنّ الرّاسخين في العلم قد يعلمون معنى المتشابه على طريقة الاستثناء من القاعدة، فإنّ «العلم بالتّأويل مقصور في الآية عليه تعالى، و لاينافي ذلك ورود الاستثناء عليه، كما أنّ الآيات دالّة على انحصار علم الغيب عليه تعالى مع ورود الاستثناء عليه، كما في قوله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾ الجنّ: ٢٦، ٢٧، و لاينافيه أيضًا كون المستثنى ﴿الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ بعينهم؛ إذ لامنافاة بين أن تدلّ هذه الآية على شأن من شؤون الرّاسخين في العلم، و هو الوقوف عند الشّبهة و التّسليم في مقابل الزّائغين قلبًا، و بين أن تدلّ آيات أخر على أنّهم أو بعضًا منهم عالمون بحقيقة القرآن و تأويل آياته».

و خلاصة الإشكال: أنّ السّياق في هذه الآية

يتحرّك في دائرة الحديث عن الكتاب و انقسام النّاس حوله، ـ كما ذكر ـ و لكن الظّاهر أنّها ـ في مقام بيان الموقف منه ـ تؤكّد أنّ هناك من لا يؤمن بالكتاب و يحاول إضلال النّاس البُسَطاء، باستغلال المتشابه من أجل فتنتهم عن دينهم، و تأويله لمصلحة عقائدهم الباطلة، من دون أن يملكوا علم ذلك، لأنّهم لم ينفتحوا عليه انفتاح المؤمن على كتابه المقدّس، ليتدبّروا آياته و يرجعوا بها إلى معانيها في الواقع من خلال مصادر العلم لديهم، و منها وحي الله و إلهامه في تفسير آياته، فهم لايجدون أيّة ضرورة أو أيّ حافز لذلك، ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ فإنّهم انطلقوا في إيمانهم من خلال معرفتهم بالله و بكتابه، و لذلك فإنّهم يواجهون المتشابه من موقع إيمانهم بأنّ الكتاب من عند الله، في محكمه و متشابهه، فلاتختلف آياته، و لاتتنافر معانيه، ممّا يجعل بعضه يفسّر البعض الآخر. و لذلك فإنّهم يستخدمون علمهم من أجل أن يؤكّدوا إيمانهم و إيمان النّاس به، فيعلنونه في موقع حاسم لامجال للشكّ فيه، ليقولوا: آمنّا به كلّ من عند ربّنا الّذي جعل المحكم، الّذي هو أمّ الكتاب و مصدره و مرجعه، دليلًا على المتشابه، و جعلهما معًا نورًا و هدًى للنّاس، فليست مسألة تسليم إيمانيّ مجرّد، بل هو تسليم عقليّ واع في الإيمان، و لذلك ضمّ المحكم إلى المتشابه، مع أنّ الإيمان به كان منطلقًا من حالة وعي لامن حالة تسليم أعمى، ممّا يؤكّد هذا الوجه الّذي نرتأيه، و يذهب إليه جمهرة من الصّحابة، كابن عبّاس و بعض القدماء، و الشّافعيّة، و معظم المفسّرين من الشّيعة.

إنّ اعتبار التّأويل في الآية مختصًّا بالله، لايتناسب مع تفسير العلاّمة الطّباطَبائيّ للمتشابه بأنّه « كون الآية بحيث لايتعيّن مرادها لفهم السّامع بمجرّد استماعها، بل يتردّد بين معنى و معنى، حتّى يرجع محكمات الكتاب، فتُعيّن هي معناها و تُبيّنها بيانًا، فتصير الآية المتشابهة عند ذلك محكمةً بواسطة الآية المحكمة، و الآية المحكمة محكمة بنفسها ». فإذا كان المتشابه ـ في القرآن كلّه ـ محكمًا واضحًا ببركة المحكم، فكيف يكون ممّا اختصّ الله بعلمه، كعلم الغيب، فإنّ الغيب ممّا استأثر الله بعلمه، فلاطريق إليه إلاّ من خلاله. أمّا المتشابه، فيمكن للرّاسخين في العلم أن يعرفوه، من خلال ردّه إلى المحكم الّذي يملكون علمه.

و قد ذكر الطّبْرسيّ صاحب « مجمع البيان » تأييدًا للقول بالعطف: أنّ الصّحابة و التّابعين أجمعوا على تفسير آي القرآن، و لم نرهم توقّفوا على شيء منه و لم يفسّروه، بأن قالوا: هذا متشابه لايعلمه إلاّ الله.

و قد ذكر صاحب « الميزان » أنّ كون الآية ذات تأويل ترجع إليه، غير كونها متشابهة ترجع إلى آية محكمة.

و لكن يلاحظ على ذلك، أنّ ذكر التّأويل السّلبيّ لدى الّذين في قلوبهم مرض، إلى جانب الحديث عن المتشابه، و استغلالهم التّشابه الّذي قد

يحتمل معنى آخر، بالإضافة إلى ذكر المحكمات اللّاتي هنّ أمّ الكتاب، باعتبارها القاعدة الّتي يرجع إليها كلّ ما في الكتاب حتّى المتشابه، إنّ هذا يوحي بأنّ تأويل الآية يتّصل بإرجاعها إلى معناها الحقيقيّ الّذي قد يتمثّل بالمقارنة بينها و بين الآيات المحكمة الّتي تصرف اللّفظ عن ظاهره الأوّليّ، ليتّخذ لنفسه ظهورًا ثانويًّا في معناه المجازيّ الوارد على سبيل الاستعارة. و هذا ما يظهر من الرّوايات الواردة في أسباب النّزول، من محاولة النّصارى تأويل الآيات النّازلة في عيسى لمصلحة عقائدهم، أو محاولة المجسّمة حمل الآيات الظّاهرة بدوًا في التّجسيم، على ما يعتقدونه، بعيدًا عن المقارنة بالآيات الأُخرى.

و خلاصة الملاحظة: أنّ التّأويل الحقّ الّذي يعلمه الله و الرّاسخون في العلم، هو في سياق التّأويل الّذي حاول الّذين في قلوبهم مرض الاستفادة منه لمصلحة عقائدهم، من حيث حمل اللّفظ عليه. أمّا علاقة ذلك بالواقع، فمن جهة أنّ الواقع يدلّ على صدق الآية في معناها عندما يكون الحديث عن قضايا خفيّة أو مستقبليّة.

(٥: ٢٢٠_٢٣٨)

الرّاسخون في العلم

﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ و المراد بهم الّذين يملكون رسوخًا في العلم، بالمستوى الّذي يستطيعون بها أن يفهموا كتاب الله و دينه و شريعته، و حقائق الحياة الدّالّة على وجوده و توحيده، و حركة الحكمة في تجربتهم العمليّة في الحياة، و قد ورد هذا التّعبير في آية أخرى و هي قوله تعالى: ﴿لٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ النّساء: ١٦٢.

و إذا كانت بعض الأحاديث قد تحدّثت عن النّبيّ محمّد ﷺ و الأئمّة عليهم السلام فإنّ ذلك وارد على سبيل أنّهم أفضل المصاديق، لأنّ علم النّبيّ ﷺ مستمدّ من وحي الله و إلهامه، كما أنّ علمهم مستمدّ من علم النّبيّ ﷺ. و قد جاء في حديث النّبيّ محمّد ﷺ: «أنا مدينة العلم و عليّ بابها»، و في حديث الإمام عليّ عليه السلام قال: «علّمني ألف باب من العلم، فتح لي كلّ باب ألف باب».

و قال الإمام جعفر الصّادق عليه السلام في ما روي عنه ما مضمونه: «حديثي حديث أبي، و حديث أبي حديث جدّي، و حديث جدّي حديث الحسين، و حديث الحسين حديث الحسن، و حديث الحسن حديث أمير المؤمنين و حديث أمير المؤمنين حديث رسول الله ﷺ و حديث رسول الله ﷺ قول الله عزّ و جلّ».

و هؤلاء هم الصّفوة العليا من الرّاسخين في العلم، و ممّن أخذوا من العلم بقدر واسع ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ أي بالقرآن محكمه و متشابهه ﴿كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ فقد أنزل الله هذا القرآن، ليكون هدًى للنّاس في عقائدهم و أعمالهم و مواقفهم. فإذا كان هناك بعض الغموض و التّردّد بين المعاني، فإنّ

المحكم في كتاب الله يردّه إليه و يُوضّح معناه حتّى لايبقى فيه أيّ التباس، لتتوحّد الآيات كلّها في المعنى القرآنيّ الّذي يُجسّد في مضمونه الحقيقة الإسلاميّة الأصيلة. (٥: ٢٤٠)

٢ ـ لٰكِنِ الرّٰاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَ الْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمٰا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَ مٰا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ...

النّساء: ١٦٢

ابن عبّاس: البالغون. (٨٥)

الطّبَريّ: هم الّذين قد رسخوا في العلم بأحكام الله الّتي جاءت بها أنبياؤه، و أتقنوا ذلك، و عرفوا حقيقته. و قد بيّنّا معنى الرّسوخ في العلم، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. (٤: ٣٦٣)

نحوه الطّوسيّ. (٣: ٣٨٩)

الزّمَخشَريّ: يريد من آمن منهم كعبد الله بن سلام و أضرابه. و ﴿الرّٰاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ﴾: الثّابتون فيه، المتقنون المستبصرون. (١: ٥٨١)

ابن عَطيّة: الرّاسخين في علم التّوراة الّذين قد تحقّقوا أمر محمّد عليه السلام و علاماته، و هم عبدالله بن سلام، و مُخَيْريق، و من جرى مجراهما. (٢: ١٣٥)

الفَخْر الرّازيّ: اعلم أنّ المراد من ذلك: عبدالله بن سلام و أصحابه الرّاسخون في العلم الثّابتون فيه، و هم في الحقيقة المستدلّون، بأنّ المقلّد يكون بحيث إذا شكّك يشكّ، و أمّا المستدلّ فإنّه لا يتشكّك ألبتّة، فالرّاسخون هم المستدلّون.

(١١: ١٠٥)

أبو السُّعود: استدراك من قوله تعالى: ﴿وَ أَعْتَدْنٰا...﴾ و بيان لكون بعضهم على خلاف حالهم عاجلًا و آجلًا، أي لكن الثّابتون في العلم منهم المتقنون المستبصرون فيه غير التّابعين للظّنّ، كأُولئك الجهلة، و المراد بهم: عبد الله بن سلام و أصحابه. (٢: ٢١٩)

ابن عاشور: و الاستدراك بقوله: ﴿لٰكِنِ الرّٰاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ...﴾ ناشئ على ما يوهمه الكلام السّابق، ابتداء من قوله: ﴿يَسْئَلُكَ أَهْلُ الْكِتٰابِ﴾ النّساء: ١٥٣، من توغّلهم في الضّلالة حتّى لايُرجى لأحد منهم خير و صلاح، فاستدرك بأنّ الرّاسخين في العلم منهم ليسوا كما تُوهّم، فهم يؤمنون بالقرآن مثل عبدالله بن سلام و مُخَيْريق.

و الرّاسخ حقيقته: الثّابت القدم في المشي، لايتزلزل، و استعير للتّمكّن من الوصف مثل العلم؛ بحيث لاتغرّه الشّبه. و قد تقدّم عند قوله تعالى: ﴿وَ مٰا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّٰهُ وَ الرّٰاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ﴾ في سورة آل عمران: ٧، و الرّاسخ في العلم بعيد عن التّكلّف و عن التّعنّت، فليس بينه و بين الحقّ حاجب، فهم يعرفون دلائل صدق الأنبياء، و لايسألونهم خوارق العادات. (٤: ٣١٢)

المُصطَفَويّ: أي الّذين تمكّنوا في العلم و استقرّوا في مرحلة اليقين، و ثبتوا ثبوتًا تامًّا؛ بحيث نفذوا في مقرّ العلم.

و لايخفى أنّ المراد من العلم هنا: هو معناه اللّغويّ و الحقيقيّ و هو اليقين في مقابل الشّكّ

و الظّنّ و الوهم، فيراد: الّذين وصلوا إلى اليقين في عقائدهم يقينًا بنور البصيرة، و علمًا بشهود القلب السّليم. و هذا هو حقيقة الإيمان. و أمّا العلوم الاكتسابيّة المرسومة الاستدلاليّة، فلا تزيد لصاحبها إلّا بُعدًا و ترديدًا و عُميانًا، إلّا أن يسير مع جناح العمل و تهذيب النّفس و تزكية القلب، و تجلية الرّوح بذكر الله، و بالتّسليم و التّفويض إلى الله المتعال. (٤ : ١١٩)

الأُصول اللُّغويّة

١ ـ الأصل في هذه المادّة الرُّسوخ: الثّبات. يقال: رَسَخَ الشّيء يَرْسَخ رُسُوخًا، أي ثَبَتَ في موضعه، و أرسَخته إرساخًا: أثبتُّه. و رَسَخَ الدِّمنُ: ثبَتَ. و رَسَخَ الغدير رُسُوخًا: نضب ماؤه. و رَسَخَ المطر رُسُوخًا، إذا نضب نداه في داخل الأرض، فالتقى الثَّريان.

و يقال مجازًا: العلم يَرْسَخ في قلب الإنسان.

و الرّاسخ في العلم: الّذي دخل فيه دخولًا ثابتًا.

٢ ـ لم يذكر اللُّغويّون الارتساخ من «ر س خ» غير أنّه ورد في حديث الإمام عليّ عليه السلام حول الماضين، قال: «قد ارتسخت أسماعهم بالهوامّ فاستكّت»[1] قال ابن أبي الحديد: «ليس معناه ثبتت كما زعمه الرّاونديّ، لأنّها لم تثبت، و إنّما تثبت الهوامّ فيها، بل الصّحيح أنّه من: رَسَخَ الغدير، إذا نشّ ماؤه و نضب. و يقال: قد ارتسخت الأرض بالمطر، إذا ابتلعته حتّى يلتقي الثَّريان».[2]

و قال المجلسيّ: «لعلّ الرّاونديّ رحمه الله حمل الكلام على القلب، و هو أوفق بما في اللُّغة».[3]

و هو كما قال المجلسيّ رحمه الله، فأراد الرّاونديّ أنّ الدّيدان ثبتت و قرّت في أسماعهم فصمّت، و لا يستقيم معناه بتمثيله برسوخ الغدير، كما قال ابن أبي الحديد؛ إذ لا يتحقّق استكاك الأسماع بعد أن تأكلها الهوامّ؛ حيث تزول هذه الصّفة بزوال الموصوف.

و قوله: «قد ارتسخت أسماعهم»، أي رَسَخَت، على المبالغة، و ليس مطاوعة لقولهم: رَسَخَ المطر رُسُوخًا، كما يظهر من قوله: «يقال: قد ارتسخت الأرض بالمطر، إذا ابتلعته حتّى يلتقي الثَّريان».

الاستعمال القرآنيّ

لم يأت من هذه المادّة إلّا اسم الفاعل جمعًا (الرَّاسِخُونَ) في آيتين:

١ ـ ﴿هُوَ الَّذِى اَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ اٰيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ اُمُّ الْكِتَابِ وَ اُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَاَمَّا الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَ ابْتِغَاءَ تَاْوِيلِهِ وَ مَا يَعْلَمُ تَاْوِيلَهُ اِلَّا اللهُ

---

(١) نهج البلاغة ـ الخطبة: (٢٢١).

(٢) شرح نهج البلاغة: (١١ : ١٦٢).

(٣) بحار الأنوار: (٧٩ : ١٦٤).

﴿وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَ مَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ آل عمران: ٧

٢ـ ﴿لٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَ الْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَ مَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَ الْمُقِيمِينَ الصَّلٰوةَ وَ الْمُؤْتُونَ الزَّكٰوةَ وَ الْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ أُولٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ النّساء: ١٦٢

و فيهما بُحُوثٌ:

يلاحظ أوّلًا: أنّ «الرّسوخ» ـ كما تقدّم في النّصوص اللّغويّة ـ أصله في الأجسام، و قد يأتي مجازًا في المعاني، كما في الآيتين: ﴿الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾.

١ـ و المراد بـ ﴿الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ في الآية الأولى: الرّاسخون في علم القرآن، من المؤمنين الّذين ذُكرت أوصافهم في الآيات بعدها.

٢ـ و قالوا فيها: إنّ إيمانهم بمحكمه و متشابهه، مع أنّهم لم يعلموا تأويلها، هو رسوخهم في العلم ـ و هذا على الاستئناف كما يأتي ـ.

٣ـ و قد حملها ابن عبّاس ـ كالآية الثّانية ـ على أهل الكتاب: «البالغون بعلم التّوراة عبد الله ابن سلّام و أصحابه»، و هو بعيد.

٤ـ و قد جاءت في النّصوص روايات بأنّهم الأئمّة من آل البيت عليهم السّلام، و كلّها تأويل من قبيل حمل الكلام على أكبر مصاديقه. فقد عُطف فيها ﴿الرَّاسِخُونَ﴾ على ﴿اللهُ﴾ و هو الّذي دعا ابن عبّاس إلى قوله: إنّهم أهل الكتاب. هذا كلّه بناء على الاعتراف بالعطف.

٥ـ و أمّا بناءً على ختم الكلام بـ ﴿اللهُ﴾ و استئنافه بـ ﴿الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ ـ كما حُكي عن جماعة ـ فإنّهم المؤمنون الّذين لا يعلمون تأويله مع الإيمان به، فيُعدّ إيمانهم به مع جهلهم بتأويله «رسوخًا في العلم» كالرّاسخين.

فلاحظ النّصوص خصوصًا نصّ الطّبريّ، و النّحّاس، و الزّمخشريّ، و ابن عطيّة، و الطّبرسيّ، و الفخر الرّازيّ.

٦ـ و في معنى المحكم و المتشابه كلام طويل لاحظ: ح ك م: «المُحكمات»، و للطّباطبائيّ كلام فيه، فلاحظ.

و كذا في ﴿أُمُّ الْكِتَابِ﴾ لاحظ: أم م: «أُمُّ الْكِتَاب». و لاحظ: الطّبرسيّ (١: ٤٠٩)، هذا كلّه في الآية الأولى.

٧ـ و أمّا الثّانية: فالمراد بـ ﴿الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ فيها طائفة اليهود من أهل الكتاب ـ كما هو صريح الآيات قبلها ـ بدءً بالآية: ١٥٣، ﴿يَسْئَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ...﴾.

٨ ـ و قد ذمّ الله فيها اليهود بأنواع من المعاصي، ثمّ استثنى منهم في هذه الآية، فقال: ﴿لٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَ الْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ...﴾، فالرّاسخون في العلم من اليهود و كذا المؤمنون بالقرآن من المسلمين كلاهما يُؤمنون به، لوقوفهم على أسراره و إعجازه.

٩ـ و قال الطّبرسيّ (٢: ١٣٩) في «المعنى»:

«ثمّ ذكر سبحانه مؤمني أهل التوراة، فقال: ﴿الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ و الدّين؛ و ذلك أنّ عبد الله ابن سلّام و أصحابه قالوا للنّبيّ ﷺ: إنّ اليهود لتعلم أنّ الّذي جئت به حقّ، وإنّك عندهم مكتوب في التّوراة، فقال اليهود: ليس كما يقولون إنّهم لايعلمون شيئًا، و إنّهم يغرّونك و يحدّثونك بالباطل، فقال الله تعالى: ﴿لٰكِنِ الرَّاسِخُونَ﴾، الثّابتون المبالغون ﴿فِي الْعِلْمِ﴾، المدارسون بالتّوراة ﴿مِنْهُمْ﴾ أي من اليهود، يعني ابن سلّام و أصحابه من علماء اليهود.

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ يعني أصحاب النّبيّ من غير أهل الكتاب ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَا اُنْزِلَ اِلَيْكَ﴾ يا محمّد، من القرآن و الشّرائع، أنّه حقّ.

﴿وَمَا اُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ من الكتب، على الأنبياء و الرّسل.

و قيل: إنّما استثنى الله تعالى من وصفهم ممّن هداه الله لدينه، و وفّقه لرشده من اليهود الّذين ذكرهم فيما مضى، من قوله: ﴿يَسْئَلُكَ اَهْلُ الْكِتَابِ﴾ إلى ها هنا، فقال: لكنّهم لايسألونك ما يسأل هؤلاء الجهّال من إنزال الكتاب من السّماء، لأنّهم قد علموا مصداق قولك بما قرأوا في الكتب المنزلة على الأنبياء، و وجوب اتّباعك عليهم، فلاحاجة إلى أن يسألوك معجزة أخرى. و لادلالة غير ما علموا من أمرك بالعلم الرّاسخ في قلوبهم، عن قتادة، و غيره...».

١٠ ـ و قال ابن عاشور: «و الاستدراك بقوله: ﴿لٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ ناشئ على ما يوهمه الكلام السّابق، ابتداءً من قوله: ﴿يَسْئَلُكَ اَهْلُ الْكِتَابِ﴾ من توغّلهم في الضّلالة حتّى لايُرجى لأحد منهم خير و صلاح، فاستدرك بأنّ الرّاسخين في العلم منهم ليسوا كما توهّم، فهم يؤمنون بالقرآن مثل عبد الله بن سلام و مُخَيْرِيق.

و الرّاسخ حقيقته الثّابت القدم في المشي، لايتزلزل، و استعير للتّمكّن من الوصف مثل العلم؛ بحيث لاتغرّه الشّبه...».

و يلاحظ ثانيًا: أنّ الآيتين كلاهما مدنيّ فلم يأت «الرّسوخ» إلّا في السّور المدنيّة، لعلّه كان مستعملًا فيها دون مكّة.

و ثالثًا: من نظائر هذه المادّة في القرآن:

الثّبوت: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا اَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ النّحل: ٩٤

القرار: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْاُولٰى وَاَقِمْنَ الصَّلٰوةَ وَاٰتِينَ الزَّكٰوةَ وَاَطِعْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ اِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ اَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

الأحزاب: ٣٣

ر س س

الرَّسّ

لفظ واحد، مرّتان في سورتين مكّيّتين

النُّصوص اللُّغويّة

الخَليل: الرّسّ: بئر لبقيّة من قوم ثمود.

و الرّسّ في قوافي الشّعر: صَرْف الحرف الّذي بعد الألف للتّأسيس، نحو حركة عَيْن فاعل في القافية، حيثما تحرّكت حركتها جازَتْ، و كانت رَسًّا للألف، أي أصلًا.

و الرّسيس: الشّيء الثّابت اللّازم مكانه.

و يقال: أجدُ رسيس الحُمّى و رَسّها، و ذلك حين يَبْدُو.

و الرّسّ: تزوير الحديث، و الكلام في نفسك و ترويضه.

و الرّسّ: إحكام البناء، مثل الرّصّ. و بُنيان مَرْسُوس.

و الرّسّ و الرّسيس: ماءان لبني سعد.

و الرّسْرَسَة: مثل الرّصْرَصَة، و هو إثبات البعير رُكْبتَيه على الأرض للنّهوض.

و الرّسّ: الحفر، و كلّ شيء أدخلْتَه فقد رَسَسْتَه. [و استشهد بالشّعر ٣ مرّات] (٧: ١٩٠)

الكِسائيّ: يقال: بلغني رَسّ من خبر، و ذرْءٌ من خبر، و هو الشّيء منه. (الأزهَريّ ١٢: ٢٩٠)

أبو عمرو الشّيبانيّ: به رسيس من حُمّى، أي شيء يسير. [ثمّ استشهد بشعر] (١: ٢٩٧)

فد سمعتُهم يَرُسّون كلامًا بينهم: يُخفُونه.

و رَسَوْتُ قصائد، أي نطقت. (١: ٣٠٢)

الرّسيس: العاقل الفطِن. (الأزهَريّ ١٢: ٢٩١)

الفَرّاء: أخذته الحُمّى برَسّ، إذا ثبتت في عظامه. (الأزهَريّ ١٢: ٢٩٠)

كنتُ أرُسّه في نفسي، أي أعاود ذكره و أردّده،

و لم يُرد ابتداء. (الأزهَري ١٢: ٢٩١)

أبو عُبَيْدَة: إنّك لترُسّ أمرًا ما يلتئم، أي تُثبت أمرًا ما يلتئم. (الأزهَري ١٢: ٢٩١)

أبو زَيْد: رَسّ الهوى و أرَسّ: إذا ثبت في القلب. (ابن دُرَيْد ١: ٨١)

رَسَوْتُ عنه حديثًا أرسُوه رَسْوًا: حدّثت عنه. (القالي ١: ١٢٤)

رسَسْتُ بينهم أرُسّ رَسًّا: إذا أصلَحْتَ. (الأزهَري ١٢: ٢٩٠)

أتانا رَسّ من خبر، و رسيس من خبر: و هو الخبر الّذي لم يصحّ، و هم يتراسّون الخبر و يترَهْمَسُونه، أي يتسارّون به. [ثمّ استشهد بشعر] (الأزهَري ١٢: ٢٩١)

الأصمَعيّ: رسَسْتُ بين القوم: أصلَحْت بينهم. (القالي ١: ١٢٤)

أوّل ما يجد الإنسان مسّ الحُمّى قبل أن تأخذه و تظهر، فذاك الرّسّ، و الرّسيس أيضًا. (الأزهَري ١٢: ٢٩٠)

الرّسّ: ابتداء الشّيء، و منه: رأس الحُمّى و رسيسها، و ذلك حين تبدأ. (الأزهَري ١٢: ٢٩١)

ابن الأعرابيّ: الرّسّة: السّارية المُحكَمة. (الأزهَري ١٢: ٢٩١)

ابن السّكّيت: أوّل ما يجد الإنسان مَسّ الحُمّى قبل أن تأخذه و تظهر، فذلك الرّسّ. (١١٩)

شَمِر: قيل في قوله: «أرُسّه في نفسي»، أي أثبته. (الأزهَري ١٢: ٢٩١)

ابن دُرَيْد: الرّسّ: الرّكيّ القديمة أو المَعْدِن، و كذا فسّره أبو عُبَيْدَة في القرآن، و الله أعلم.

و الرّسّ و الرّسيس: واديان بنجد، أو موضعان.

و رَسّ الهوى في قلبه رسيسًا. و أحسبهم قد أجازوا: أرَسّ أيضًا، و هو بقيّة الهوى في القلب أو السّقم في البدن. [ثمّ استشهد بشعر]

و الرّسّ: أرض بيضاء صُلْبَة، و قد جاء في الشّعر الفصيح.

و يقول الرّجل للرّجل إذا سأله عن شيء: ألْقِ لي رَسًّا من هذا، أي شيئًا أبني عليه.

و يقال: بقي في قلبه رَسّ من حُبّ أو مرض، أي بقيّة. (١: ٨١)

الرّسَسُ و الرّسيس: باقي الحزن في القلب. (٣: ١٩١)

السِّجستانيّ: و رسَسْتُ للصّلاح و الفساد. (الأضداد: ١٤٨)

القاليّ: الرّسّ: الشّيء من الخبر، و الرّسيس مثله. [ثمّ استشهد بشعر]

[و قيل:] رَسَسْتُ الحديث في نفسي أرُسّه رَسًّا، إذا حدّثت به نفسك. (١: ١٢٤)

الأزهَريّ: في حديث سَلَمَة بن الأكوَع: «أنّ المشركين راسُّونا الصّلح حتّى مشى بعضنا إلى بعض فاصطلحنا؛ و ذلك في غزوة الحديبيّة».

فراسّونا، أي واصلونا في الصّلح، و ابتدأت في ذلك. و رَسَسْتُ بينهم، أي أصلَحْت.

و يقال: رسَسْتُ و رصَصْتُ: أي ثبتُّ.

و يروى عن النّخعيّ أنّه قال: «إنّي لأسمع الحديث فأحدّث به الخادم أرُسّه به في نفسي».

فأراد بقوله: «أرُسّه في نفسي»، أي أبتدئ بذكر الحديث و درسه في نفسي، و أحدّث به خادمي، أستذكر بذلك الحديث. [ثمّ استشهد بشعر]

و قال أبومالك: رسيس الهوى: أصله.

(١٢: ٢٩٠)

الصّاحِب: الرّسّ: بئر كانت لبقيّة قوم ثمود.

و رَسّ الحُمّى و رسيسها: حين تبدو. و هو في قوافي الشّعر: صَرْف الجزء الّذي بعد حرف التّأسيس، نحو عين فاعِلُنْ في القافية.

و الرّسّ و الرّسيس: ماءان في شعر زهير.

و الرّسيس: الشّيء الثّابت الّذي لزم المكان.

و الرّسْرَسَة: نحو التّصْنْصَة؛ و هو أن يُثبت البعير رُكبته في الأرض للنّهوض.

و أنا أرُسّه لك رسًّا، أي أثبتُه في قلبك.

و رَسَسْتُ فلانًا بالحديث أرُسّه، إذا كرّرته عليه، و كذلك إذا حدّثت به نفسك.

و الرّسّ أيضًا: أن تَرُسّ القول، تأتي منه بالأطراف و البعض، و لاتُفصح به.

و بلغني رَسّ من الخبر، أي ذَرْوٌ منه، و رَسّة أيضًا.

و الرّسّ: التّعريض بالشّتم.

و ارْتَسّ الخبر في النّاس: جرى فيهم خفيًّا.

و رَسَسْتُ بين القوم أرُسّ رَسًّا: أي أصلحتُ بينهم.

و ما رسَسْتُ له أمرًا، أي ما أفشيتُه، و لاتَرُسّ سرّ أخيك.

و رُسّ الميّت، أي قُبر.

و ربحٌ رسيس المسّ: ليّنُه.

و الأُرْسُوسَة: قلَنْسُوة توضع على الهامة.

(٨: ٢٤١)

الخَطّابيّ: [في حديث]: «...ثمّ إنّ المشركين راسُّونا الصّلح...».

قوله: «راسُّونا الصّلح» أي راوَدُونا الصّلح.

(١: ٥٦٤)

الجَوهَريّ: رَسّ الحُمّى و رَسيسُها: واحد، و هو أوّل مَسّها.

و قولهم: بلغني رَسّ من خبر، أي شيء منه.

و الرّسّ: البئر المطويّة بالحجارة.

و الرّسّ: اسم بئر كانت لبقيّة من ثمود.

و الرّسّ: اسم واد.

و الرّسيس: الشّيء الثّابت.

و رَسَسْتُ رَسًّا، أي حفرت بئرًا.

و رُسّ الميّت، أي قُبر.

و الرّسّ: الإصلاح بين النّاس، و الإفساد أيضًا، و قد رَسَسْتُ بينهم، و هو من الأضداد.

و فلان يَرُسّ الحديث في نفسه، أي يحدّث به نفسه.

و رَسّ فلان خبر القوم، إذا لقيهم و تعرّف أمورهم.

و رَسْرَس البعير، أي تمكّن للنّهوض.

[و استشهد بالشّعر مرّتين] (٣: ٩٣٤)

ابن فارس: الرّاء و السّين أصل واحد، يدلّ على ثباتٍ. يقال: رسّ الشّيء: ثبت. و الرّسيس: الثّابت.

و من الباب: رسرس البعير، إذا تضنّض بركبته في الأرض يريد أن ينهض.

و من الباب فلان يرسّ الحديث في نفسه.

و سمعت رسًّا من خبر، و هو ابتداؤه، لأنّه يثبت في الأسماع. و يقال: رسّ الميّت: قبر، فهذا معظم الباب.

و الرّسّ: وادٍ معروف.

و الرّسيس: وادٍ معروف.

فأمّا الرّسّ فيقال: إنّه من الأضداد، و هو الإصلاح بين النّاس و الإفساد بينهم. و أيّ ذلك كان فإنّه إثبات عداوة أو مودّة، و هو قياس الباب.

[و استشهد بالشّعر مرّتين] (٢: ٣٧٢)

ابن سيده: رسّ بينهم يرسّ رسًّا: أصلح.

و رسّ الحمّى و رسيسها: بدؤها، و ذلك إذا تمطّى المحموم من أجلها، و فتر جسمه و تختّر.

و الرّسّ: فتحة الحرف الّذي قبل حرف التّأسيس، نحو قول امرئ القيس:

دع عنك نهبًا صيح في حجراته

و لكن حديثًا ما حديث الرّواحل

ففتحة الواو هي الرّسّ، و لا يكون الرّسّ إلّا فتحةً، و هي لازمة.

هذا كلّه قول الأخفش، و قد دفع أبو عمرو الجرميّ اعتبار حال الرّسّ، و قال: لم يكن ينبغي أن يذكر، لأنّه لا يمكن أن يكون قبل الألف إلّا فتحةٌ، فإذا جاءت الألف لم يكن من الفتحة بدٌّ.

قال ابن جنّيّ: و القول على صحّة اعتبار هذه الفتحة و تسميتها، إنّ ألف التّأسيس لـمّا كانت معتبرةً مسمّاةً، و كانت الفتحة قبلها داعيةً إليها و مقتضيةً لها، و مفارقةً لسائر الفتحات الّتي لا ألف بعدها ـ نحو قول و بيع و كعبٍ و درب و جمَلٍ و جبَل و نحو ذلك ـ خصّت باسم لما ذكرنا، و لأنّها على كلّ حال لازمةٌ في جميع القصيدة، و لا نعرف لازمًا في القافية إلّا و هو مذكور مسمّى، بل إذا جاز أن نسمّي في القافية ما ليس لازمًا، أعني الدّخيل، فما هو لازم لا محالة أجدر و أحجى بوجوب التّسمية له.

قال ابن جنّيّ: و قد نبّه أبو الحسن على هذا المعنى، ذكرته في أنّها لـمّا كانت متقدّمةً للألف بعدها، و أوّل لوازم القافية و مبتدأها سمّاها الرّسّ: و ذلك لأنّ الرّسّ و الرّسيس أوّل الحمّى الّذي يؤذن بها، و يدلّ على ورودها.

و الرّسيس: الشّيء الثّابت.

و رسّ الهوى في قلبه و السّقم في جسمه رسًّا و رسيسًا، و أرسّ: دخل و ثبت.

و رسُّ الحبّ و رسيسه: بقيّته و أثره.

و رسّ الحديث في نفسه يرسّه رسًّا: حدّثها به.

و بلغني رسّ من خبر، أي طرف.

و رسّ له الخبر: ذكره له.

و رسّ الشّيء: نسيَه لتقادم عهده.

و الرّسّ: البئر القديمة أو المعدن؛ و الجمع: رساس.

و الرّسّ: بئر لثمود.

و الرّسيس: واديان بنجد أو موضعان.

و الرّسْرَسَة: تثبيت البعير رُكبتَيه في الأرض لينهض. [و استشهد بالشّعر ٣ مرّات] (٨: ٤٠٩)

الرّسّ: أرض بيضاء صُلْبَة.

(الإفصاح ٢: ١٠٢٧)

الرّاغِب: أصحاب الرّسّ، قيل: هو واد. [ثمّ استشهد بشعر]

أصل الرّسّ: الأثر القليل الموجود في الشّيء. يقال: سمعت رَسًّا من خبر.

و رَسُّ الحديث في نفسي.

ووجد رَسًّا من حُمَّى، و رُسّ الميّت: دُفن، و جُعل أثرًا بعد عين. (١٩٤)

الزّمَخْشَريّ: به رَسّ الحُمّى و رسيسها: ابتداؤها قبل أن تشتدّ.

و تقول: بدأت برسّها، و أخذت في مسّها. و سمعت رَسًّا من خبر.

و وقعت في النّاس رَسّة من خبر و هي الذّرْو منه و الطّرَف.

و رسَسْتُ خبر القوم: تعرّفته من قبلهم.

و رَسّ بين القوم: أصلح بينهم.

و فلان يَرُسّ الحديث في نفسه، إذا حدّث به نفسه.

و ريح رسيس: ليّنة المسّ. [ثمّ استشهد بشعر]

و وقع في الرّسّ: في البئر الّتي لم تُطْوَ.

(أساس البلاغة: ١٦٢)

[في الحديث]: «...ثمّ إنّ المشركين راسّونا الصّلح، حتّى مشى بعضنا إلى بعض فاصطلحنا».

«راسّونا»: فاتحونا، من قولهم: بلغني رَسّ من خبر، و رَسّ الحُمّى و رسيسها: أوّل ما تَمَسّ.

(الفائق ١: ١٨٧)

[في حديث]: «...و إن كنت لأرُسّه في نفسي و أُحدّث به الخادم». قال شَمِر: أرُسّه: أثبته في نفسي، من قولك: إنّك لتَرُسّ أمرًا ما يلتئم، أي تُثبت.

و الرّسّة: السّارية المحكمة.

و الرّسّ و الرّزّ أخوان، ...و إنّه يحدّث به خادمه استذكارًا. (الفائق ٢: ٥٨)

ابن الأثير: في حديث ابن الأكوع: «إنّ المشركين راسُّونا الصّلح و ابْتدأُونا في ذلك». يقال: رسَسْتُ بينهم أرُسّ رَسًّا، أي أصلحت. و قيل: معناه: فاتحُونا، من قولهم بلغني رَسّ من خبر، أي أوّله.

و يُروى: وَاسَوْنا بالواو، أي اتّفقوا معنا عليه. و الواو فيه بدل من همزة الأُسْوَة.

و منه حديث الحجّاج: «أنّه قال للنّعمان بن زُرْعَة: أمِن أهل الرّسّ و الرّهْمَسَة أنت؟». أهل الرّسّ: هم الّذين يَبْتَدِئون الكذب و يُوقعونه في أفواه النّاس.

و قال الزّمَخْشَريّ: هو من رَسّ بين القوم، إذا أفسَد، فيكون قد جعله من الأضداد. (٢: ٢٢١)

الصّغانيّ: الرُّسّة بالضّمّ: القَلَنْسُوَة.

و الرُّسّى: الهَضْبَة. (٣: ٣٦٢)

الرّسّ: الإصلاح و الإفساد. (الأضداد: ٢٣٠)

الفيروزاباديّ: الرّسّ: ابتداء الشّيء؛ و منه: رَسُّ الحُمّى و رسيسها.

و البئر المطويّة بالحجارة، و بئر كانت لبقيّة من ثمود كذّبوا نبيّهم و رَسُّوه في بئر، و الإصلاح و الإفساد ضدّ، و وادٍ بأذربيجان، كان عليه ألفُ مدينة، و الحفر، و الدّسّ، و دفن الميّت، و حركة الحرف الّذي بعد ألف التّأسيس أو قبله، أو فتحة قبل التّأسيس، و تعَرُّف أُمور القوم و خبرهم، و الرَّزّ، و محمّد بن إسماعيل الرّسّيّ: من العلويّين.

و الرّسيس: الشّيء الثّابت، و الفطن العاقل، و خبر لم يصحّ، و ابتداء الحُبّ و الحُمّى، كالرّسّ.

و الرّسّة: السّارية المحكمة، و بالضّمّ: القَلَنْسُوة، كالأُرسُوسة.

و الرُّسّى، كالحُمّى: الهَضْبة.

و رَسْرَس البعير: تمكّن للنّهوض.

و التّراسّ: التّسارّ.

و ارتَسّ الخبر في النّاس: جرى، و فشا.

و المُراسّة: المُفاتحة. (٢: ٢٢٧)

و أصل الرّسّ: الأثر القليل الموجود في الشّيء. يقال: سمعت رَسًّا من خبر.

و رَسّ الحديث في نفسه. و وجد رَسًّا من الحُمّى.

و رُسَّ الميّت: دُفِن و جُعِل أثرًا بعد عين.

(بصائر ذوي التّمييز ٣: ٦٨)

الطُّرَيحيّ: الرّسّ: البئر المطويّة بالحجارة.

و الرّسّ: اسم بئر كانت لبقيّة من ثمود كذّبوا نبيّهم و رَسّوه في بئر.

و الرّسّ: اسم واد.

و في الغريب: و الرّسّ اسم مَعْدن، و كلّ ركيّة لك تطوى فهي رَسّ، و هي يناقض ما تقدّم من تعريفها.

و رُسُّ الحُمّى و رسيسها: واحد، و هو أوّل مسّها. (٤: ٧٥)

مَجْمَعُ اللُّغة: الرّسّ: البئر المطويّة، و الحفر، و الدّفن.

و قيل في الرّسّ أقوال:

منها: أنّها قرية باليمامة يقال لها فَلْج، كذّب أهلها نبيّهم و رَسّوه في بئر، أي رمَوْه حيًّا فيها حتّى مات.

و قيل: الرّسّ هو الأُخدود.

و قيل: الرّسّ ما بين نجران إلى اليمن إلى حضر موت. (١: ٤٧٥)

محمّد إسماعيل إبراهيم: رَسّ البئر: حفرها، و الرّسّ: المَعْدن أو البئر الّتي لم تُطوَ بالحجارة و الآجُرّ. (١: ٢٢٠)

المُصْطَفَويّ: التحقيق أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو إحلال و إنفاذ و تثبيت، و هذا المعنى

مأخوذ في الموادّ: رسَبَ، رسَخ، رَسّ، رسَل، رسَم، رسي، أي فيما حرفا أوّلي الكلمة الرّاء و السّين، فمفهوم الحلول و النّزول مشترك فيها.

و لـمّا كان لفظ رَسّ: مضاعفًا و مكرّرًا فيه السّين: فيدلّ على إنفاذ شديد و إحلال نافذ، كما في حفر البئر و المسّ الشّديد مبتدأ و التّعرّف الدّقيق و غيرها.

و أمّا الإصلاح و الإفساد: فإنّ فيهما إنفاذ نظر خاصّ في جهة إصلاح أو إفساد، و كذلك مفهوم التّثبيت.

فظهر أنّ الأصل و الحقيقة في هذه المادّة هو إنفاذ حكم أو قدرة أو عمل أو فكر في مورد خاصّ و تثبيته، و يلاحظ في كلّ من نظائره قيد خاصّ راجع «الرّسخ». [إلى أن قال:]

و لايخفى أنّ كلمة «الرّسّ» على هذا القول «نهر الرّسّ» مأخوذة من كلمة أراكسيس أو آراكس يونانيّة، ثمّ تعرّبت.

و أمّا على قول «رسّ اليمامة»، فهو عربيّ مأخوذ من مادّة «رسّ» المذكور، بمعنى الإنفاذ و التّثبيت.

فظهر أنّ إطلاق المادّة على البئر مجاز، باعتبار الحفر أو إنزال شيء و إنفاذه فيه. (٤: ١٢٤ ـ ١٢٨)

النّصوص التّفسيريّة

الرّسّ

١ ـ وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذٰلِكَ كَثِيرًا. الفرقان: ٣٨

الإمام عليّ عليه السلام: في حديث: «أتى عليّ بن أبي طالب عليه السلام قبل مقتله بثلاثة أيّام رجل من أشراف تميم، يقال له: عمرو، فقال: يا أمير المؤمنين، أخبرني عن أصحاب الرّسّ، في أيّ عصر كانوا، و أين كانت منازلهم، و مَن كان مليكُهم، و هل بعث الله عزّ و جلّ إليهم رسولًا، أم لا، و بماذا أهلكوا؟ فإنّي أجد في كتاب الله عزّ و جلّ ذكرهم، و لاأجد خبرهم. فقال له أمير المؤمنين عليه السلام:

لقد سألتَ عن حديث ما سألني عنه أحد من قبلك، و لايُحدّثك به أحد بعدي إلّا عنّي، و ما في كتاب الله عزّ و جلّ آية إلّا و أنا أعرفها، و أعرف تفسيرها، و في أيّ مكان نزلت، من سَهْل، أو جبَل، و في أيّ وقت من ليل أو نهار، و إنّ هاهنا لعلمًا جمًّا ـ و أشار إلى صدره ـ و لكن طُلّابه يسير، و عن قليل يندمون لو فقدوني.

كان من قصّتهم يا أخا تميم أنّهم كانوا قومًا يعبدون شجرة صنوبر، يقال لها: شاه درخت، كان يافث بن نوح غرسها على شفير عين، يقال لها: روشاب، كانت أنبتت لنوح عليه السلام بعد الطّوفان، و إنّما سمّوا أصحاب الرّسّ، لأنّهم رَسّوا نبيّهم في الأرض، و ذلك بعد سليمان بن داود عليه السلام.

و كانت لهم اثنتا عشرة قرية على شاطئ نهر يقال له: الرّسّ، من بلاد المشرق، و بهم سمّي ذلك النّهر، و لم يكن يومئذ في الأرض نهر أغزر منه، و لا أعذب منه، و لاقرًى أكثر و لا أعمر منها،

تُسمّى إحداهنّ آبان، و الثّانية آذر، و الثّالثة دي، و الرّابعة بهمن، و الخامسة إسفندار، و السّادسة فروردين، و السّابعة أُردي بهشت، و الثّامنة خرداد، و التّاسعة مرداد، و العاشرة تير، و الحادية عشر مهر، و الثّانية عشر شهريور.

و كانت أعظم مدائنهم إسفندار، و هي الّتي ينزلها مِلكُهم، و كان يسمّى: تركوذ بن غابور بن يارش بن ساذن بن نمرود بن كنعان فرعون إبراهيم عليه السلام، و بها العين و الصّنوبرة، و قد غرسوا في كلّ قرية منها حبّة من طلع تلك الصّنوبرة، و أجْرَوا إليها نهرًا من العين الّتي عند الصّنوبرة، فنبتت الحبّة، و صارت شجرة عظيمة، و حرّموا ماء العين و الأنهار، فلايشربون منها، و لاأنعامهم، و من فعل ذلك قتلوه، و يقولون: هو حياة آلهتنا، فلاينبغي لأحد أن يُنقِص من حياتها، و يشربون هم و أنعامهم من نهر الرّسّ، الّذي عليه قُراهم.

و قد جعلوا في كلّ شهر من السّنة يومًا، في كلّ قرية، عيدًا يجتمع إليه أهلها، فيضربون على الشّجرة الّتي بها كِلّة[1]، من حرير، فيها من أنواع الصُّوَر، ثمّ يأتون بشاة و بقر، فيذبحونها قربانًا للشّجرة، و يشعلون فيها النّيران بالحطب، فإذا سطع دخان تلك الذّبائح و قُتارها[2] في الهواء، و حال بينهم و بين النّظر إلى السّماء، خرّوا للشّجرة سُجّدًا، و يبكون و يتضرّعون إليها أن ترضى عنهم، فكان الشّيطان يجيء فيحرّك أغصانها، و يصيح من ساقها صياح الصّبيّ: إنّي قد رضيت عنكم عبادي فطيبوا نفسًا، و قرّوا عينًا، فيرفعون رؤوسهم عند ذلك، و يشربون الخمر و يضربون بالمعازف، و يأخذون الدّست بند[3]، فيكونون على ذلك يومهم و ليلتهم، ثمّ ينصرفون.

و إنّما سمّيت العجم شهورها بآبان ماه، و آذر ماه، و غيرهما، اشتقاقًا من أسماء تلك القرى، لقول أهلها بعضهم لبعض: هذا عيد شهر كذا، و عيد شهر كذا حتّى إذا كان عيد قريتهم العظمى، اجتمع إليها صغيرهم و كبيرهم، فضربوا عند الصّنوبرة و العين سرادقًا من ديباج، عليه من أنواع الصّور، و جعلوا له اثني عشر بابًا، كلّ باب لأهل قرية منهم، و يسجدون للصّنوبرة، خارجًا من السّرادق، و يقرّبون إليها الذّبائح، أضعاف ما قرّبوه للشّجرة الّتي في قراهم، فيجيء إبليس عند ذلك، فيحرّك الصّنوبرة تحريكًا شديدًا، و يتكلّم من جوفها كلامًا جهوريًّا، و يعدهم و يمنّيهم بأكثر ممّا وعدتهم و منّتهم

---

(١) الكِلّة: السّتر الرّقيق يُخاط كالبيت يُتوقّى فيه من البقّ. (الجوهريّ ٥: ١٨١٢)

(٢) القُتار: ريح الشّواء. (الجوهريّ ٢: ٧٨٦)

(٣) دستبند: فارسيّة، نوع من الرّقص الجماعيّ الشّبيه الدّبكة. (المعجم الذّهبيّ: ٢٦٨)

الشّياطين كلّها، فيرفعون رؤوسهم من السّجود، و بهم من الفرح و النّشاط ما لايُفيقون، و لايتكلّمون من الشّرب و العزف، فيكونون على ذلك اثني عشر يومًا و لياليها، بعدد أعيادهم بسائر السّنة، ثمّ ينصرفون.

فلمّا طال كفرهم بالله عزّ و جلّ و عبادتهم غيره، بعث الله عزّ و جلّ إليهم نبيًّا من بني إسرائيل، من ولد يهودا ابن يعقوب عليه السلام، فلبث فيهم زمانًا طويلًا، يدعوهم إلى عبادة الله عزّ و جلّ، و معرفة ربوبيّته، فلايتّبعونه، فلمّا رأى شدّة تماديهم في الغيّ و الضّلال، و تركهم قبول ما دعاهم إليه من الرّشد و النّجاح، و حضر عيد قريتهم العظمى، قال: يا ربّ، إنّ عبادك أبوا إلّا تكذيبي، و الكفر بك، و غدوا يعبدون شجرة لاتنفع و لاتضرّ، فأيبس شجرهم أجمع، و أرِهِمْ قدرتك و سلطانك. فأصبح القوم و قد يبس شجرهم، فهالهم ذلك، و فظع بهم، و صاروا فرقتين: فرقة قالت: سَحَرَ آلهتكم هذا الرّجل الّذي زعم أنّه رسول ربّ السّماء و الأرض إليكم، ليصرف وجوهكم عن آلهتكم إلى إلهه. و فرقة قالت: لا، بل غضبت آلهتكم حين رأت هذا الرّجل يعيبها، و يقع فيها و يدعوكم إلى عبادة غيرها، فحجبت حسنها و بهاءها لكي تغضبوا لها، فتنتصروا منه.

فأجمع رأيهم على قتله، فاتّخذوا أنابيب طوالًا من رصاص، واسعة الأفواه، ثمّ أرسلوها في قرار العين إلى أعلى الماء، واحدة فوق الأخرى، مثل البرابخ[1] و نزحوا ما فيها من الماء، ثمّ حفروا في قرارها بئرًا ضيّقة المدخل، عميقة، و أرسلوا فيها نبيّهم، و ألقموا فاها صخرة عظيمة، ثمّ أخرجوا الأنابيب من الماء، و قالوا: الآن نرجو أن ترضى عنّا آلهتنا، إذا رأت أنّا قد قتلنا من كان يقع فيها، و يصدّ عن عبادتها، و دفنّاه تحت كبيرها، يتشفّى منه، فيعود إليها نورها و نَضْرَتُها كما كان. فبقوا عامّة يومهم يسمعون أنين نبيّهم عليه السلام، و هو يقول: سيّدي، قد ترى ضيق مكاني، و شدّة كَرْبي، فارحم ضعف رُكني، و قلّة حيلتي، و عجّل بقبض روحي، و لاتؤخّر إجابة دعوتي، حتّى مات عليه السلام.

فقال الله عزّ و جلّ لجبرئيل عليه السلام: ياجبرئيل، أيظنّ عبادي هؤلاء، الّذين قد غرّهم حلمي، و أمنوا مكري، و عبدوا غيري، و قتلوا رسولي، أن يقيموا لغضبي، أو يخرجوا من سلطاني؟ كيف و أنا المنتقم ممّن عصاني، و لم يخش عقابي، و إنّي حلفت بعزّتي و جلالي لأجعلنّهم عبرة و نكالًا للعالمين. فلم يَرُعْهُم و هم في عيدهم ذلك إلّا بريح عاصف شديدة الحمرة، فتحيّروا فيها، و ذُعِروا منها، و تضامّ بعضهم إلى بعض، ثمّ صارت الأرض من تحتهم كحجر كبريت يتوقّد و أظلّتهم سحابة سوداء، فألقيت عليهم كالقبّة جمرًا يلتهب، فذابت أبدانهم كما يذوب الرّصاص في النّار. فنعوذ بالله تعالى

(١) البرابخ: البالوعة الواسعة من الخَزَف.

(أقرب الموارد ١: ٣٥)

ذكره من غضبه، و نزول نقمته، و لا حول و لا قوّة إلّا باللّه العليّ العظيم».[1] (البحرانيّ ٧: ١٧١)

ابن عبّاس: قوم شعيب. (٣٠٣)

نحوه قَتادَة. (ابن عَطيّة ٤: ٢١٠)

قرية من ثمود. (الطَّبَريّ ٩: ٣٩٠)

هي بئر كانت تسمّى الرّسّ.

نحوه مُجاهِد. (الطَّبَريّ ٩: ٣٩٠)

سعيد بن جُبَيْر: كان لهم نبيّ يقال له: حنظلة ابن صفوان، و كان بأرضهم جبل يقال له: فتح، مصعده في السّماء ميل، و كانت العنقاء تنتابه و هي أعظم ما تكون من الطّير، و فيها من كلّ لون، و سمّوها العنقاء لطول عنقها، و كانت تكون في ذلك الجبل تنقضّ على الطّير تأكلها، فجاعت ذات يوم فأعوزتها الطّير، فانقضّت على صبيّ فذهبت، فسمّيت عنقاء مغرب، لأنّها تغرب بما تأخذه و تذهب به، ثمّ إنّها انقضّت على جارية حين ترعرعت فأخذتها، فضمّتها إلى جناحين لها صغيرين سوى الجناحين الكبيرين، فطارت بها فشكوا إلى نبيّهم، فقال: اللّهمّ خذها و اقطع نسلها، فأصابتها صاعقة فاحترقت فلم يُرَلها أثر، فضربتها العرب في أشعارهم، ثمّ إنّهم قتلوا نبيّهم فأهلكهم اللّه.

مثله ابن الكَلْبيّ و الخَليل. (الثّعلبيّ ٧: ١٣٤)

عِكْرِمَة: أصحاب الرّسّ بفلج، هم أصحاب يس.

[و في رواية] كان الرّسّ بئرًا، رَسّوا فيها نبيّهم. (الطَّبَريّ ٩: ٣٩٠)

الضّحّاك: إنّهم قوم كانوا نزولًا على بئر يعبدون الأوثان، و كانوا لا يظفرون بأحد يخالف دينهم إلّا قتلوه و رسّوه فيها، و كان الرّسّ بالشّام. (الماوَرْديّ ٤: ١٤٥)

وَهْب بن مُنَبِّه: كانوا أهل بئر قعودًا عليها و أصحاب مواشي، و كانوا يعبدون الأصنام، فوجّه اللّه إليهم شعيبًا يدعوهم إلى الإسلام فأتاهم و دعاهم، فتمادوا في طغيانهم و في أذى شعيب، فحذّرهم اللّه عقابه، فبينا هم حوْل البئر في منازلهم انهارت البئر، فانخسفت بهم و بديارهم و رباعهم، فهلكوا جميعًا. (الثّعلبيّ ٧: ١٣٣)

قَتادَة: الرّسّ: قرية من اليمامة، يقال لها: الفلج. (الطَّبَريّ ٩: ٣٩٠)

السُّدّيّ: هم أصحاب قصّة يس، أهل أنطاكيّة.

[و في رواية] و الرّسّ: بئر بأنطاكيّة قتلوا فيها «حبيب النّجّار» مؤمن آل يس، فنُسبوا إليها. (٣٦٤)

مثله كعب و مُقاتِل. (الثّعلبيّ ٧: ١٣٤)

نحوه النّقّاش. (الطُّوسيّ ٧: ٤٩١)

الكَلْبيّ: هم قوم بعث اللّه تعالى إليهم نبيًّا فأكلوه، و هم أوّل من عمل نساؤهم السّحر. (الطُّوسيّ ٧: ٤٩١)

الإمام الصّادق عليه السلام: [في حديث]: دخلت

---

(١) جاءت الرّواية في عيون أخبار الرّضا عليه السلام (١: ٢٠٥) و قد ذكره الثّعلبيّ و غيره في تفاسيرهم.

امرأة مع مولاة لها على أبي عبدالله عليه السلام فقالت: ما تقول في اللّواتي مع اللّواتي؟ قال: هنّ في النّار، إذا كان يوم القيامة يُؤتى بهنّ فألبسن جلبابًا من نار و خُفّين من نار و قناعًا من نار، و أُدخل في أجوافهنّ و فروجهنّ أعمدة من النّار، و قُذف بهنّ في النّار، فقالت: أليس هذا في كتاب الله؟ قال: بلى، قالت اين هو؟ قال: قوله: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ﴾ فهنّ الرّسّيّات. (القمّيّ ٢: ١١٣)

الفرّاء: يقال: إنّ الرّسّ بئر. (٢: ٢٦٨)

أبو عُبَيْدَة: أي المعدن. [ثمّ استشهد بشعر] (٢: ٧٥)

ابن قُتَيْبَة: الرّسّ: المعدن. [ثمّ استشهد بشعر] و كلّ ركيّة تُطْوى فهي رَسّ. (٣١٣)

الطّبَريّ: اختلف أصحاب التّأويل في أصحاب الرّسّ:

فقال بعضهم: أصحاب الرّسّ من ثمود.

و قال آخرون: بل هي قرية من اليمامة، يقال لها الفَلْج.

و قال آخرون: هم قوم رَسّوا نبيّهم في بئر.

و قال آخرون: هي بئر كانت تسمّى الرّسّ.

و الصّواب من القول في ذلك قول من قال: هم قوم كانوا على بئر، و ذلك أنّ الرّسّ في كلام العرب كلّ محفور مثل البئر و القبر و نحو ذلك. [ثمّ استشهد بشعر]

و لا أعلم قومًا كانت لهم قصّة بسبب حفرة ذكرهم الله في كتابه إلّا أصحاب الأخدود، فإن يكونوا هم المعنيّين بقوله: ﴿وَأَصْحَابُ الرَّسِّ﴾، فإنّا سنذكر خبرهم إن شاء الله إذا انتهينا إلى سورة البروج، و إن يكونوا غيرهم فلا نعرف لهم خبرًا، إلّا ما جاء من جملة الخبر عنهم أنّهم قوم رَسّوا نبيّهم في حفرة.

إلّا ما عن محمّد بن كعب القُرَظيّ قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: «إنّ أوّل النّاس يدخل الجنّة يوم القيامة العَبْد الأسود» و ذلك أنّ الله تبارك و تعالى بعث نبيًّا إلى أهل قرية فلم يؤمن من أهلها أحد إلّا ذلك الأسود، ثمّ إنّ أهل القرية عدوا على النّبيّ عليه السلام فحفروا له بئرًا فألقوه فيها، ثمّ أطبقوا عليه بحجر ضخم. قال: و كان ذلك العبد يذهب فيحتطب على ظهره، ثمّ يأتي بحطبه فيبيعه، فيشتري به طعامًا و شرابًا، ثمّ يأتي به إلى ذلك البئر، فيرفع تلك الصّخرة، فيعينه الله عليها، فيُدلي إليه طعامه و شرابه ثمّ يعيدها كما كانت. قال: فكان كذلك ما شاء الله أن يكون.

ثمّ إنّه ذهب يومًا يحتطب، كما كان يصنع، فجمع حطبه، و حزم حزمته و فرغ منها، فلمّا أراد أن يحتملها وجد سِنة، فاضطجع فنام، فضرب الله على أُذنه سبع سنين نائمًا. ثمّ إنّه هبّ فتمطّى، فتحوّل لشقّه الآخر، فاضطجع، فضرب الله على أُذنه سبع سنين أُخرى. ثمّ إنّه هبّ فاحتمل حزمته، و لا يحسب إلّا أنّه نام ساعة من نهار، فجاء إلى القرية فباع حزمته، ثمّ اشترى طعامًا و شرابًا كما كان يصنع، ثمّ ذهب إلى الحُفْرة في موضعها الّتي

كانت فيه فالتمسه فلم يجده، و قد كان بدا لقومه فيه بداء، فاستخرجوه و آمنوا به و صدّقوه.

قال: فكان النّبيّ ﷺ يسألهم عن ذلك الأسود ما فعل؟فيقولون: ما ندري، حتّى قبض الله النّبيّ فأهبّ الله الأسود من نومته بعد ذلك، فقال رسول الله ﷺ «إنّ ذلك الأسود لأوّل من يدخل الجنّة».

غير أنّ هؤلاء في هذا الخبر يذكر محمّد بن كعب عن النّبيّ ﷺ أنّهم آمنوا بنبيّهم، و استخرجوه من حفرته، فلا ينبغي أن يكونوا المعنيّين بقوله: ﴿وَأَصْحَابَ الرَّسِّ﴾، لأنّ الله أخبر عن أصحاب الرّسّ أنّه دمّرهم تدميرًا، إلّا أن يكونوا دُمّروا بأحداث أحدثوها بعد نبيّهم الّذي استخرجوه من الحفرة و آمنوا به، فيكون ذلك وجهًا. (٩: ٣٨٩)

الزّجّاج: الرّسّ: بئر، يروى أنّهم قوم كذبوا بنبيّهم و رَسّوه في بئر، أي دسّوه فيها.

و يروى أنّ الرّسّ قرية باليمامة يقال لها: فَلْج.

و يروى أنّ الرّسّ ديار لطائفة من ثمود. (٤: ٦٨)

الماوَرْديّ: فيه أربعة أقاويل: [إلى أن قال:]

الثّالث: أنّه ما بين نجران و اليمن إلى حضرموت، قاله بعض المفسّرين. (٤: ١٤٥)

الطُّوسيّ: قيل: الرّسّ: البئر الّتي لم تُطوَ بحجارة، و لا غيرها... و عن أهل البيت عليهم السّلام: أنّهم قوم كانت نساؤهم سحاقات. (٧: ٤٩١)

القُشَيْريّ: الرّسّ: الثّلج المتراكم في الجبال. (القرطبيّ ١٣: ٣٣)

الزّمَخْشَريّ: قيل: في أصحاب الرّسّ: كانوا قومًا من عبدة الأصنام أصحاب آبار و مواشي، فبعث الله إليهم شعيبًا فدعاهم إلى الإسلام، فتمادوا في طغيانهم و في إيذاءه. فبينا هم حول الرّسّ و هو البئر غير المطويّة ـ عن أبي عُبَيْدَة ـ انهارت بهم فخُسف بهم و بديارهم. [ثمّ ذكر بعض الأقوال المتقدّمة] (٣: ٩٢)

نحوه البَيْضاويّ (٢: ١٤٥)، و النّسَفيّ (٣: ١٦٧)، و الشِّربينيّ (٢: ٦٦٢)، و أبو السُّعود (٥: ١٢).

الفَخْر الرّازيّ: ذكر المفسّرون في أصحاب الرّسّ وجوهًا: [إلى أن قال:]

و سابعها: أصحاب الرّسّ قوم كانت لهم قرى على شاطئ نهر يقال له: الرّسّ من بلاد المشرق، فبعث الله تعالى إليهم نبيًّا من وُلد يهود بن يعقوب فكذّبوه، فلبث فيهم زمنًا فشكا إلى الله تعالى منهم، فحفروا بئرًا و رَسّوه فيها، و قالوا: نرجو أن يرضى عنّا إلهنا، و كانوا عامّة يومهم يسمعون أنين نبيّهم يقول: إلهي و سيّدي ترى ضيق مكاني وشدّة كربي و ضعف قلبي و قلّة حيلتي، فعجّل قبض روحي حتّى مات. فأرسل الله تعالى ريحًا عاصفة شديدة الحمرة، فصارت الأرض من تحتهم حجر كبريت متوقّد و أظلّتهم سحابة سوداء فذابت أبدانهم كما يذوب الرّصاص. (٢٤: ٨٢)

نحوه البُرُوسَويّ. (٦: ٢١٢)

القُرطُبيّ: الرّسّ في كلام العرب: البئر الّتي تكون غير مطويّة؛ و الجمع: رساس. [ثمّ استشهد

بشعر، و نقل الأقوال إلى أن قال:]

و قيل: الرّسّ ماء و نخل لبني أسد، و ما ذكرناه أوّلًا هو المعروف، و هو كلّ حفر احتُفِر كالقبر و المَعْدِن و البئر. (١٣: ٣٢)

أبوحَيّان: قال ابن عبّاس: هم قوم ثمود، و يبعّده عطفه على ثمود، لأنّ العطف يقتضي التّغاير. [ثمّ نقل الأقوال و قال:]

و كثر الاختلاف في أصحاب الرّسّ، فلو صحّ ما نقله عِكْرِمَة و محمّد بن كعب. [نقلنا حديثه بطوله عن الرّسول ﷺ في العبد الأسود في نهاية قول الطّبريّ] كان هو القول الّذي لايمكن خلافه.

و ملخّص هذه الأقوال: أنّهم قوم أهلكهم الله بتكذيب من أرسل إليهم. (٦: ٤٩٨)

نحوه الآلوسيّ. (١٩: ١٩)

ابن عاشور: اختلف المفسّرون في تعيينهم، و اتّفقوا على أنّ الرّسّ بئر عظيمة أو حفير كبير. و لمّا كان اسمًا لنوع من أماكن الأرض، أطلقه العرب على أماكن كثيرة في بلاد العرب. [ثمّ استشهد بشعر]

و سمّوا بالرّسّ ما عرفوه من بلاد فارس، و إضافة ﴿أَصْحَابَ﴾ إلى ﴿الرَّسِّ﴾ إمّا لأنّهم أصابهم الخسف في رسّ، و إمّا لأنّهم نازلون على رسّ، و إمّا لأنّهم احتفروا رسًّا، كما سمّي أصحاب الأُخدود الّذين خدّوه و أضرموه. و الأكثر على أنّه من بلاد اليمامة و يسمّى «فلجا».

و اختُلف في المعنيّ من ﴿أَصْحَابَ الرَّسِّ﴾ في هذه الآية. [ثمّ نقل الأقوال] (١٩: ٥٢)

المُصْطَفَويّ: ﴿وَ قَوْمَ نُوحٍ ...﴾ الفرقان: ٣٨،

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَ أَصْحَابُ الرَّسِّ وَ ثَمُودُ * وَ عَادٌ وَ فِرْعَوْنُ وَ إِخْوَانُ لُوطٍ * وَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ ق: ١٢، ١٤.

فيُستفاد من التّرتيب في الآية الأُولى: أنّ أصحاب الرّسّ كانوا بعد ثمود، و أمّا التّرتيب في الثّانية: فإنّما هو في مقام التّكذيب و المخالفة و العدوان، و بهذه الحيثيّة فقد ذكر أصحاب الرّسّ في مرتبة بعد قوم نوح و قبل ثمود و عاد، ثمّ في المرتبة الثّالثة يذكر ثمود ثمّ عاد ثمّ قوم فرعون ثم إخوان لوط ثمّ أصحاب الأيكة ثمّ التُّبّع. راجع: «ثمد»، «أيك»، «تبع».

ثمّ إنّ ذكر الأصحاب: يدلّ على مصاحبتهم و استدامة مجاورتهم للرّسّ، كما في أصحاب الجنّة و أصحاب النّار و أصحاب الأيكة و أصحاب القرية و أصحاب موسى و أصحاب السّفينة و غيرها.

فنعلم بهذه الآيات الكريمة: أنّ هذه الطّائفة كانوا بعد قوم ثمود بفاصلة زمانيّة، و إنّهم كانوا من المخالفين المكذّبين للرّسل في المرتبة الثّانية، و أنّهم كانوا من أصحاب الرّسّ.

و أمّا الرّسّ: ففي تعيين مفهومه أقوال كما رأيت:

١ ـ قرية باليمامة يقال لها: فَلْج، كان فيها بقايا ثمود.

٢ــديار لطائفة من ثمود.

٣ــوادٍ بنجد أو موضع فيه.

٤ــبئر غير مطويّة، فبُعث فيها شعيب، فخُسفت بهم.

٥ــالأخدود.

٦ــبئر بأنطاكيّة قتلوا فيها حبيبًا النّجّار.

٧ــأصحاب حنظلة بن صفوان النّبيّ ابتلاهم بالعنقاء.

٨ــقوم كذّبوا نبيّهم و دسّوه في بئر.

٩ــإنّهم رهط جالوت قتلهم سليمان و داود.

١٠ــماء لبني منقذ بن أعياء، من بني أسد.

١١ــوادٍ بآذربيجان و إرمينية.

فأمّا القول ٤ و ٦ و ٨، فيردّها أنّ كلمة الأصحاب ﴿أَصْحَابَ الرَّسِّ﴾ يلازم المصاحبة و الملازمة و المؤانسة، و الدّسّ في بئر لايدلّ على المصاحبة للّذين دسّوه من قبل الدّسّ، مع أنّ شعيب قد بُعث إلى مدين و أيكة، راجع: «أيك» و «شعب».

و أمّا القول ٦ فإنّ حبيب النّجّار و الرّسل كانوا بأنطاكيّة، و هي بلدة في جنوبي الغربيّ من مملكة العثمانيّة مجاور البحر المتوسّط، و حبيب كان من المؤمنين برسل عيسى عليه السلام. و القول الثّامن ينطبق على بعض الأقوال.

و امّا القول ٩: فقد سبق في جالوت أنّه فلسطينيّ و كان من شجعان عسكر الفلسطينيّين المحاربين، فقتله سليمان و داود.

و أمّا القول ١٠: فهو مبهم و لايرتبط بموضوعنا المبحوث عنه.

و أمّا القول ٥: فهو أيضًا مربوط الى واحد من ملوك حمير راجع: «الخدّ».

و أمّا القول ٢: قلنا في «ثمد» انّهم أهلكوا فدمدم عليهم ربّهم بذنبهم.

و أمّا القول ٧: فلم تثبت هذه القصّة، مع عدم الارتباط بالموضوع.

و أمّا القول ١ و ٣: فلايبعد أن يكون مرجعهما إلى واحد، فإنّ اليمامة يُطلق على بلاد في خطوط نجد السّعوديّة، و قد يُطلق على أراض غربيّة من ناحية الحجاز إلى البحرين، و يُذكر الرّسّ في الخريطة السّعوديّة في جنوبي غربيّ من بلدة عنيزة الواقعة في النّجد.

فاليمامة و الأرمينيّة لهما ذكر في كتب التّواريخ: يقال إنّ جديس بن أرم بن سام بن نوح نزل باليمامة. و نزل أرمين بن نورج بن سام بن نوح إلى أراضي أرمينيّة فسمّيت به كما في الأخبار الطّوال.

و القول برسّ اليمامة يُروى عن عِكْرِمَة. و القول برسّ الأرمينيّة و هو القول الحادي عشر يُروى عن ابن عبّاس و أمير المؤمنين عليّ عليه السلام.

و يؤيّد، هجرة جديس من بابل: أنّ اليمامة أقرب أرض من مملكة الحجاز من طريق النّجف، يُسار الى الجنوب مستقيمًا.

و يؤيّد، هجرة أرمين إلى أراضي آذربيجان

و أرمينيّة: أنّ سفينة نوح كما سبق في «جود» قد نزل في جبل آرارات أو متفرّعاته. فأبناء نوح لهم استئناس و سوابق بهذه الأراضي.

و أمّا رواية عليّ عليه السّلام: فقد رواه الصّدوق بسند صحيح بل أصحّ عن أمير المؤمنين عليه السّلام. [ثمّ نقل الرّواية المتقدّمة عن عيون أخبار الرّضا عليه السّلام عنه عليه السّلام]

فظهر أنّ أصحاب الرّسّ كانوا ساكنين بنواحي نهر أرس الجاري بأراضي أرمينيا و آذربيجان، و أنّ هؤلاء كانوا تحت حكومة ملوك إيران، بقرينة أسماء شهورهم بالفارسيّة.

و لا اشكال فيها، فإنّ زمان حياة زرادشت كانت فيما بين/ ٦٠٠ إلى/ ١٧٠٠ سنة قبل الميلاد، بل إلى حدود/ ٦٠٠٠ قبل الميلاد، بناء على اختلاف في زمان حياته، كما أنّ محلّ تولّده مختلف فيه، يقال: إنّه في آذربيجان، و يقال: إنّه كان في بلخ، و كذلك في نبوّته، و في حقيقة جريان أموره، و كلماته، و دعاويه.

و أمّا ما روي عن الصّادق عليه السّلام في السّحق أنّه في أصحاب الرّسّ: فلا يكون قولًا مستقلًّا، فإنّه راجع إلى خصوصيّة أعمالهم، و هو ينطبق على كلّ من الأقوال المذكورة، و يجتمع مع كلّ منها.

هذا ما تيسّر لنا في تحقيق هذا الموضوع بالموازين العلميّة الظّاهريّة، و بعد فاللّه المحيط عالم بحقائق الأمور. (٤: ١٢٤)

مكارم الشّيرازيّ: من هم أصحاب الرّسّ؟

كلمة «رَسّ» في الأصل بمعنى الأثر القليل، فيقال مثلًا: «رَسّ الحديث في نفسي» قليل من حديثه في ذاكرتي، أو يقال: «وجد رَسًّا من حُمّى» يعني: وجد قليلًا من الحمّى في نفسه. و جماعة من المفسّرين اعتقدوا بأنّ الرّسّ بمعنى البئر.

على أيّة حال فتسمية هؤلاء القوم بهذا الاسم، إمّا لأنّ أثرًا قليلًا جدًّا بقي منهم، أو لأنّهم كانت لهم آبار كثيرة، أو لأنّهم هلكوا و زالوا بسبب جفاف آبارهم.

أمّا من هم هؤلاء القوم؟ هناك أقوال كثيرة بين المؤرّخين و المفسّرين. [ثمّ ذكر الأقوال إلى أن ذكر في نهايتها كلام أمير المؤمنين عليه السّلام و أضاف:]

قرائن متعدّدة تؤيّد مضمون هذا الحديث، لأنّه مع وجود ذكر أصحاب الرّسّ في مقابل عاد و ثمود، يكون احتمال أنّهم جماعة من هاتين الأمّتين بعيدًا جدًّا.

كذلك، فإنّ وجود هؤلاء القوم في الجزيرة العربيّة و الشّامات و تلك الحدود ـ و هو الّذي احتمله الكثيرون ـ بعيد أيضًا، ذلك لأنّه يجب أن يكون له انعكاس في تاريخ العرب بحسب العادة، في الوقت الّذي لم نر حتّى انعكاسًا ضئيلًا لأصحاب الرّسّ لديهم.

مضافًا إلى ذلك توافقه مع كثير من التّفاسير الأخرى، من جملتها: أنّ الرّسّ كان اسمًا لبئر «البئر

الّتي ألقوا فيها نبيّهم» أو أنّهم كانوا أصحاب زراعة و مواشي و أمثال ذلك.

و ما ورد في رواية عن الإمام الصّادق عليه السلام: أنّ نساءهم كنّ منحرفات جنسيًّا و يمارسن المساحقة، لامنافاة له مع هذا الحديث أيضًا.

لكن من عبارة «نهج البلاغة، الخطبة: ١٨٠» يستفاد أنّه كان لهم أكثر من نبيّ واحد فقط، لأنّه عليه السلام يقول: أين أصحاب مدائن الرّسّ الّذين قتلوا النّبيّين، و أطفأوا سنن المرسلين، و أحيوا سُنن الجبّارين!؟

و كلام أمير المؤمنين عليه السلام هذا لايتنافى مع الرواية أعلاه، لأنّ من الممكن أنّ الرّواية تشير إلى مقطع من تاريخهم، وكان قد بُعث نبيّ فيهم.

(١١: ٢٢٦)

و بهذا المعنى جاء قوله تعالى:

٢ ـ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ. ق: ١٢

الأصول اللّغويّة

١ ـ الأصل في هذه المادّة الرّسّ، و هو البئر المطويّة بالحجارة؛ و الجمع: رساس. يقال: رَسَسْتُ رَسًّا، أي حفَرتُ بئرًا.

و الرّسّ: بئر كانت لبقيّة ثمود؛ و منه: حديث الإمام عليّ عليه السلام: «أين أصحاب مدائن الرّسّ الّذين قتلوا النّبيّين»[1]؟

و رُسّ الميّت: قُبر، كأنّ لحده مطويّ بالحجارة.

و الرّسّ: العلامة، لأنّها تُطوى بالحجارة غالبًا.

و الرُّسّة: السّارية المحكمة، تشبيهًا بالرُّسّ، أي العلامة.

و الرِّسّ: الشّيء الثّابت، تشبيهًا بالعلامة، و هو الرَّسيس أيضًا.

و الرِّسّ: ابتداء الشّيء. يقال: سمعت رَسًّا من خبر، أي ابتداؤه. قال ابن فارس: «لأنّه يثبت في الأسماع».

و بلغني رَسٌّ من خبر و ذرء من خبر: طرف منه أو شيء منه.

و رَسّ الحديث في نفسه يَرُسّه رَسًّا: حدّثها به، و منه: حديث إبراهيم النّخعيّ: «إنّي لأسمع الحديث فأحدّث به الخادم أرُسّه في نفسي»، أي أحدّث به نفسي.

و الرَّسيس: الشّيء الثابت الّذي قد لزم مكانه؛ و منه: رَسّ الحبّ و رسيسه: بقيّته و أثره. يقال: رَسّ الهوى في قلبه و السُّقم في جسمه رَسًّا و رسيسًا، و أرَسّ، أي دخل و ثبت.

و رَسُّ الحُمّى و رسيسها: بدؤها و أوّل مسّها. يقال: به رسيس من حُمّى، أي شيء يسير.

و أخذته الحمّى برَسّ، إذا ثبتت في عظامه.

---

(١) نهج البلاغة ـ الخطبة: (١٨٢).

و الرَّسّ في قوافي الشّعر: فتحة الحرف الّذي قبل حرف التّأسيس، لأنّها أوّل لوازم القافية و مبتدؤها، من الرَّسّ و الرَّسيس، أوّل الحُمّى.

و الرَّسّ: الإصلاح بين النّاس و الإفساد أيضًا، و هو من الأضداد. قال ابن فارس: «فإنّه إثبات عداوة أو مودّة». يقال: رَسّ بينهم يَرُسّ رَسًّا، أي أصلح أو أفسد.

٢ ـ و بين مادّتي «ر س س» و «ر س و» اشتقاق أكبر. قال ابن الأعرابيّ: «الرَّسّ و الرَّسْو بمعنى واحد»[1]، و هو الثّبات عند ابن فارس.[2] يقال: رَسّ له الخبر: ذكره له، و رَسا له رَسْوًا من حديث: ذكره.

و رَسّ بينهم رَسًّا، و رَسا بينهم رَسْوًا: أصلح.

و ذكر ابن منظور حديث النّخعيّ في كلتا المادّتين، و الأظهر أنّه من «ر س س». قال الأصمعيّ: «قوله: أرُسّه، الرَّسّ: ابتداء الشّيء؛ و منه قيل للرّجل: هو يجد رَسّ الحُمّى و رسيسها، و ذلك حين تبدأ».[3]

و عقّب أبو عُبَيْد قائلًا: «فأراد إبراهيم بقوله: أرُسّه في نفسي، يعني أبتدئ بذكر الحديث و درسه في نفسي، و يحدّث به خادمه، يستذكر بذلك الحديث.[4]».

و قال الفرّاء: «معناه أردّده و أُعاوده ذكره».[5]

الاستعمال القرآنيّ

لم يأت من هذه المادّة في القرآن إلّا لفظ (الرَّسّ) مرّتين في آيتين:

١ ـ ﴿وَ عَادًا وَ ثَمُودَ وَ اَصْحَابَ الرَّسِّ وَ قُرُونًا بَيْنَ ذٰلِكَ كَثِيرًا﴾ الفرقان: ٣٨

٢ ـ ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَ اَصْحَابُ الرَّسِّ وَ ثَمُودُ﴾ ق: ١٢

و فيهما بُحُوثٌ:

يلاحظ أوّلًا: أنّه جاء فيهما بلفظ ﴿اَصْحَابَ الرَّسِّ﴾ عطفًا في ـ الآية الأُولى ـ على «عاد و ثمود»، و في الثّانية على ﴿قَوْمُ نُوحٍ﴾، و قد عُطفت فيهما عليهم ﴿ثَمُودُ﴾، فهؤلاء كانوا من الأقوام المتقدّمة، مثل قوم عاد و قوم ثمود و قوم نوح. و قد قصّ الله تعالى قصصهم في القرآن مرّات تفصيلًا أو إيجازًا، كما في هذه الآيات.

١ ـ الأُولى: الآية: ٣٨، من سورة الفرقان، في وصف عدد من الأنبياء و أقوامهم، بدءً بـ ﴿مُوسٰى﴾ ﷺ: ﴿وَ لَقَدْ اٰتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ...﴾، و ختمًا بـ ٣٩، ﴿وَ كُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْاَمْثَالَ...﴾.

٢ ـ و قد جاءت في النّصوص أقوال و آراء في

---

(١) لسان العرب: «ر س و».

(٢) معجم مقاييس اللّغة: (٢: ٣٧٢ و ٣٩٤).

(٣) غريب الحديث: (٢: ٤٢٠).

(٤) المصدر السّابق.

(٥) لسان العرب: «ر س و».

معرفة ﴿أَصْحَابَ الرَّسِّ﴾ و سبب تسميتهم بذلك، و أنّ ﴿الرَّسِّ﴾ هل هو اسم بئر أو نهر أو غيرهما، و في بعضها شكوك، فلاحظ. و قد لخّصها الطّبْرسيّ كما يأتي عنه.

٣ـ و قال الطّبْرسيّ (٤: ١٧٠) في «المعنى»: «أي و أهلكنا عادًا و ثمود ﴿وَ أَصْحَابَ الرَّسِّ﴾ و هو بئر رسوا فيها نبيّهم، أي ألقوه فيها، عن عِكْرِمَة.

و قيل: إنّهم كانوا أصحاب مواش، و لهم بئر يقعدون عليها، و كانوا يعبدون الأصنام، فبعث الله إليهم شُعيبًا، فكذّبوه فانهار البئر، و انخسفت بهم الأرض، فهلكوا، عن وَهْب.

و قيل: الرّسّ: قرية باليمامة، يقال لها: فلج، قتلوا نبيّهم فأهلكهم الله، عن قَتادَة.

و قيل: كان لهم نبيّ يسمّى حنظلة، فقتلوه فأهلكوا، عن سعيد بن جُبَيْر و الكَلْبيّ.

و قيل: هم أصحاب رَسّ. و الرّسّ: بئر بأنطاكيّة، قتلوا فيها حبيب النّجّار، فنُسبوا إليها، عن كَعْب و مُقاتِل.

و قيل: أصحاب الرّسّ كان نساؤهم سحّاقات، عن أبي عبد الله ـ جعفر بن محمّد ـ عليه السلام».

٤ـ و الثّانية: الآية: ١٢، من سورة ق، و قد ذكر الله فيها و في الآيتين بعدها عديدًا من الأنبياء و أقوامهم أيضًا. و قد ذكر الطّبْرسيّ (٥: ١٤٣) فيها بشأن ﴿أَصْحَابَ الرَّسِّ﴾ نحو ما قاله في الآية الأولى، فلاحظ.

و يلاحظ ثانيًا: أنّ الآيتين كلتيهما مكّيّة، و من جملة القصص.

و ثالثًا: من نظائر هذه المادّة في القرآن:

البئر: ﴿فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَ هِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَ بِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَ قَصْرٍ مَشِيدٍ﴾ الحجّ: ٤٥

الجُبّ: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَ أَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ يوسف: ١٠

ر س ل

٥٤ لفظًا، ٥١٢ مرّة، ٢٧٤ مكّيّة، ٢٣٨ مدنيّة

في ٦٩ سورة: ٤٥ مكّيّة، ٢٤ مدنيّة

أَرْسَلَ ٧: ٤_٣
فَأَرْسَلُوا ١: ١
أَرْسَلَتْ ١: ١
أَرْسَلْتَ ٢: ٢
أَرْسَلْنَا ٥٨: ٤٩_٩
أَرْسَلْنَاهُ ٢: ٢
أَرْسَلْنَاكَ ١٣: ٧_٦
أُرْسِلَ ٤: ٤
أُرْسِلُوا ١: ١
أُرْسِلْتُم ٤: ٤
أُرْسِلْتُ ٣: ٣
أُرْسِلْنَا ٣: ٣
يُرْسِل ١٤: ١٣_١
أَرْسِلْهُ ١: ١

تُرْسِل ٥: ٥
لَتُرْسِلَنَّ ١: ١
يُرْسَل ١: _١
أَرْسِلْ ٦: ٦
أَرْسِلْه ٢: ٢
فَأَرْسِلُون ١: ١
مُرْسِلَ ١: ١
مُرْسِلُوا ١: ١
مُرْسِلِين ٢: ٢
مُرْسِلَةٌ ١: ١
مُرْسَل ١: ١
مُرْسَلًا ١: _١
مُرْسَلُونَ ٢: ٢
الْمُرْسَلُون ٧: ٧

الْمُرْسَلِين ٢٤: ٢٣_١
الْمُرْسَلَاتِ ١: ١
رَسُول ٥٨: ٣٠_٢٨
الرَّسُول ٥٨: ٨_٥٠
رَسُوله ٨٤: ٢_٨٢
رَسُولهم ٣: ٣
رَسُولُهَا ١: ١
رَسُولَكُمْ ٢: ١_١
رَسُولِي ١: _١
رَسُولنَا ٤: _٤
رَسُولًا ٢٣: ١٦_٧
رَسُولًا ١: ١
رُسُل ١٤: ١١_٣

الرُّسُل ٢٠: ١٢_٨
رُسُله ١٧: ٢_١٥
رُسُلهم ١٢: ١٠_٢
رُسُلِكَ ١: _١
رُسُلُكُمْ ١: ١
رُسُلِي ٤: ٢_٢
رُسُلنَا ١٧: ١٣_٤
رُسُلًا ١٠: ٤_٦
رِسَالَة ١: ١
رِسَالَتَهُ ٢: ١_١
رِسَالَاتِ ٥: ٤_١
رِسَالَاتِهِ ١: ١
رِسَالَاتِي ١: ١

النُّصوص اللُّغويّة

الخليل: الرِّسْل: الّذي فيه استرسال و لِيْنٌ.

و ناقة رَسْلَة القوائم، أي سَلِسَةٌ لَيِّنَة المفاصل.

و الرَّسَل: جماعات الإبل.

و الرَّسَل: القطيع من كلّ شيء، و جمعه: أرسال.

و الرَّسَل: يذكّر و يؤنّث.

و الرِّسْل: الهيئة و السّكون. يقال: تكلّم على رِسْلِك.

و الرِّسل: اللّبَن.

والاسترسال إلى شيء كالاستئناس والطّمأنينة يقال: غَبْنُ المُسْتَرسِل إليك ربًا.

و التّرسّل في الأمر و المنطق: كالتّمهّل و التّوقّر و التّثبّت.

و الرّسول بمعنى الرّسالة يُؤنّث و يُذكّر، فمن أنّث جمعَه: أرسُلًا.

و الرُّسل: جمع الرّسول، و في لغة: هي رسول و هُنّ رَسُول.

و الرّسائل: جمع الرّسالة.

و امرأة مُراسِل: كان لها زَوْجٌ، و الخُطّاب يُراسِلونها الخِطْبة.

و ناقة مِرْسال: و هي الرَّسْلَة القوائم، الكثيرة شَعْرِ السّاقين، الطّويلة. [و استشهد بالشّعر ٤ مرّات]

(٧: ٢٤٠)

الكِسائيّ: يقال: امرأة مُراسِل، و هي الّتي مات عنها زوجها، أو طلّقها. (الأزهَريّ ١٢: ٣٩٣)

اليزيديّ: التّرتيل في القراءة و التّرسيل واحد، و هو التّحقيق بلاعَجَلة. (الأزهَريّ ١٢: ٣٩٤)

أبوعمرو الشّيبانيّ: إنّه لذو رِسْلَة: تَرَسُّل.

(١: ٣٠١)

الرّسيل: الماء العَذْب. [ثمّ استشهد بشعر]

(٢: ١)

الرِّسْل: اللّبن. [ثمّ استشهد بشعر] (٢: ١٥)

أبوعُبَيْدَة: الرّسول من قولك: جاءت الخيل رَسَلًا، أي متتابعة، و يكون للاثنين و الجميع بلفظ واحد. (الهَرَويّ ٣: ٧٤٠)

أبوزَيْد: الرَّسْل، بسكون السّين: الطّويل المُسترسِل، و قد رسَل رَسَلًا و رَسالةً.

(الأزهَريّ ١٢: ٣٩٣)

أرسَل القوم فهم مُرسلون: إذا كان لهم رِسْل، و هو اللّبن. (الأزهَريّ ١٢: ٣٩٤)

أبوعُبَيْد: في حديث: «... إلّا من أعطى في نَجْدَتها و رِسْلها».

معناه: إلّا من أعطى في إبله ما يشقّ عليه عطاؤه، فيكون نجدة عليه، أي شدّة، أو يُعطي ما يهون عليه عطاؤه منها، فيعطي ما يعطي مستهينًا به على رِسْله. (الأزهَريّ ١٢: ٣٩٢)

ابن الأعرابيّ: في قوله [الحديث]: «إلّا من أعطى في رِسْلها»، أي بطيب نفس منه. و الرِّسْل في غير هذا: اللّبن. (الأزهَريّ ١٢: ٣٩٢)

العرب تسمّي المُراسل في الغناء و العمل: المُتالي. (الأزهَريّ ١٢: ٣٩٤)

عن خالدبن جَنْبَة: التّرسّل في الكلام: التّوقّر

و التفهّم و الترفّق، من غير أن يرفع صوته شديدًا.

و الترسّل في الرّكوب: أن يبسط الدّابّة ثمّ تُرخي ثيابه على رجلَيه حتّى يغيّبهما.

و الترسّل في القعود: أن يتربّع، و أن يرخي ثيابه على رجلَيه حوله.

عن أبي هريرة قال: تزوّج رجل من الأنصار امرأة مُراسلًا يعني ثيّبًا، فقال النّبيّ ﷺ: «فهلّا تزوّجت بكرًا تلاعبها و تلاعبك».

«المُراسل»: الّتي طُلّقت مرّات، فقد بسأت بالطّلاق، فهي لاتُباليه. يقول: فهُبيرة قد بسأ بأن يُقتَل له قتيل و لا يطلب بثأره، فتعوّد ذلك، مثل هذه المرأة الّتي بسأت بالطّلاق، أي أنسَت به.

(الأزهَريّ ١٢: ٣٩٥)

ابن السّكّيت: الرَّسَل: رَسَل الحوض الأدنى.

الرَّسَل: الإبل الّتي تجيء إلى الحوض، و هو الصّغير منهنّ، و هنّ ما بين خمس إلى عشر إلى خمس و عشرين.

و قال أبو مِسمَع: و يُكَنّ رَسَلًا أيضًا حيث ما كُنّ، و إن لم يَكُنّ على الحوض.

و الأرسال: جماعة رَسَل، فهنّ أكثر من الرَّسَل ثلاث مرّات أقلّ ذلك. (٥٩)

المَراسيل: الّتي قد مات زوجها أو طلّقها، فهي تُراسل الرّجال. (٣٧٨)

يقال: بعير رَسْل و ناقة رَسْلَة، إذا كانا سهلَي السّير. و شَعر رَسْل، إذا كان مُسترسِلًا.

والرِّسْل: اللّبن. ويقال: افعَلْ كذا و كذا على رِسْلك، جميعًا مكسوران، أي اتّئد فيه.

(إصلاح المنطق: ١٨)

الرَّسَل من الإبل و الغنم: ما بين عشر إلى خمس و عشرين. (الأزهَريّ ١٢: ٣٩٣)

ابن قُتَيْبَة: [في الحديث]: «و لنا نعمٌ أغفال لاتبضّ ببلال، و وقير قليل الرِّسْل كثير الرَّسَل...».

«الوقير»: الغنم، و الرِّسْل: اللّبن، و الرَّسَل: ما يُرسَل منها إلى المرعى، يريد أنّها كثيرة العدد، قليلة اللّبن. (الخطّابيّ ١: ٧١٣)

المُبَرِّد: الفرق بين إرسال الله جلّ و عزّ أنبياءه، و إرساله الشّياطين على أعدائه، في قوله: ﴿أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ مريم: ٨٣، أنّ إرساله الأنبياء إنّما هو وحيه إليهم أن أنذروا عبادي، و إرساله الشّياطين على الكافرين تخليتهم و إيّاهم، كما تقول: كان في يدي طائر فأرسلته، أي خلّيته و أطلقته. (الأزهَريّ ١٢: ٣٩٤)

ابن دُرَيْد: الرَّسْل: السّهل السّريع.

ناقة رَسْلَة: سريعة رَجْع اليدين.

و الرِّسْل: اللّبن.

و اختلفوا في الحديث: «إلّا من أعطى من رَسْلِها و نَجْدَتها»، فقال قوم: من رِسْلها. و الأعلى فتح الرّاء، أي في الشّدّة و الرّخاء.

و إذا تكلّم الرّجل قلت: على رِسْلك، أي أرْوِدْ قليلًا.

و الرّاسلان: عِرقان في الكتفين، أو هما الكتفان بعينهما.

و جاءت الإبلُ أرسالًا، أي يتبع بعضها بعضًا، و كذلك الخيل أيضًا.

و الرّسول: معروف؛ و الجمع: رُسُل و أرْسُل.

و الرّسالة: ما حمله الرّسول؛ و الجمع: رسائل.

و رسيل الرّجل: الّذي يقف معه في نضال أو نحوه.

و إبل مَراسيل: سِراع؛ و أحسب واحدها: مِرْسالًا.

و امرأة مُراسِل، قالوا: هي الّتي تزوّجت زوجين أو ثلاثة. و قال آخرون: بل هي المُسنّة و فيها بقيّة شباب.

و المُرسَلة: قلادة طويلة تقع على الصّدر.

و الرّسَل: البقيّة و القليل من الشّيء. (٢: ٣٣٥)

و يقال: نحن في رِسْلَة من العيش: صالح.

(٣: ٤٦٠)

يُجمَع مابين الثّلاثة إلى العشرة على «أفعلة»، و يُجمَع على «فُعُل» نحو رسول و رُسُل و ثمار و ثُمُر جمع الجمع، و يخفّف فيقال: رُسْلٌ و ثُمْرٌ.

(٣: ٥٠٩)

ابن الأنباريّ: في قول المؤذّن: «... أشهد أنّ محمّدًا رسول الله» الرّسول معناه في اللّغة: الّذي يتابع أخبار الّذي بعثه، أخذ من قولهم: جاءت الإبل رَسَلًا، أي متتابعة. (الأزهَريّ ١٢: ٣٩١)

القاليّ: الرّسْل: اللّبن.

و كذلك أيضًا الرِّسْل في المشي بكسر الرّاء، و هو الهيِّن الرّفيق.

و الرّسَل بفتح الرّاء و السّين: الإبل. [و استشهد بالشّعر ٣ مرّات] (١: ٢١٠)

الأزهَريّ: قول الله عزّ و جلّ: ﴿فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الشّعراء: ١٦، سمّي الرّسول رسولًا، لأنّه ذو رسول، أي ذو رسالة.

و الرّسول: اسم من أرسلت، و كذلك الرّسالة.

و يقال: جاءت الإبل أرسالًا، إذا جاء منها رَسَل بعد رَسَل.

و الإبل إذا وردت الماء و هي كثيرة، فإنّ القيّم بها يُوردها الحوض رَسَلًا بعد رَسَل، و لا يوردها جملة، فتزدحم على الحوض، و لا تروى.

و الرّسَل: قطيع من الإبل قدر عَشر، تُرسَل بعد قطيع.

و سمعت العرب تقول للفحل العربيّ يُرْسَل في الشّوْل ليضربها: رسيل. يقال: هذا رسيل بني فلان، أي فحل إبلهم، و قد أرسل بنو فلان رسيلهم، أي فَحلَهم، كأنّه فعيل، بمعنى مُفعَل، من أُرسل.

يقال: كثُر الرِّسْل العام، أي كثر اللّبن.

و إذا أورد الرّجل إبله متقطّعةً قيل: أوردها أرسالًا. فإذا أوردها جماعة قيل: أوردها عِراكًا.

و في حديث فيه ذكر السّنة: «و وقير كثير الرَّسَل، قليل الرِّسْل».

قوله: «كثير الرَّسل»، يعني الّذي يُرسَل منها إلى الرّعي كثير. أراد أنّها كثيرة العدد قليلة اللّبن.

و في حديث أبي هريرة: «أنّ رجلًا من الأنصار تزوّج امرأة مُراسِلًا» يعني ثيّبًا.

و في حديث أبي سعيد الخُدْري أنّه قال: «رأيت في عام كثر فيه الرِّسْل البياض أكثر من السّواد، ثمّ رأيت بعد ذلك في عام كثر فيه التّمر السّواد أكثر من البياض».

«الرِّسْل»: اللّبن، و هو البياض إذا كثر قلّ التّمر، و هو السّواد.

و أهل البَدْو يقولون: إذا كثر البياض قلّ السّواد، و إذا كثر السّواد قلّ البياض.

و يقال: هي رسولُك.

و ناقة مِرْسال: رَسْلَةُ القوائم، كثيرة شعر السّاقين، طويلة.

و المُرْسَلَة: القِلادة فيها الخرز و غيرها.

و يقال: جاريةٌ رُسُلٌ، إذا كانت صغيرة لاتختَمِر.

و حديث مُرْسَل، إذا كان غير متّصل الإسناد؛ و جمعه: مَراسيل.

الخرّاز بن الأعرابيّ: أرسل القوم، إذا كثر رِسْلُهم، و هو اللّبن.

و أرسلوا إبلهم إلى الماء إرسالًا، أي قِطَعًا.

و استَرْسَل، إذا قال: أرْسِل إلى الإبل أرسالًا.

و رجل مُرَسِّل: كثير الرِّسْل و اللّبن و الشِّرْب. (١٢: ٣٩١)

الصّاحِب: الرَّسْل: الّذي فيه لِينٌ و استرسال.

و ناقة مِرْسال: رَسْلَة القوائم، أي سَلِسَةٌ ليّنة المفاصل.

و الرَّسْلَة: الطّويلة، و كلّ طويل: رَسْل.

و تكلّمْ على رِسْلِك و رِسْلَتِك، أي هِيْنَتك.

و الرِّسل: اللّبن، و في الحديث: «أعطى من رِسْلها و نَجْدَتها»، و قيل: ذوات اللّبن، و قيل: طيب النّفس.

و أرْسَل القوم: صار لهم رِسْل.

و رَسَّلْتُ فُصْلاني: سقيتُها الرِّسْل.

و الاسترسال إلى الشّيء: كالطّمأنينة إليه.

و التّرسّل: من الرِّسْل في الأمر.

و الرَّسَل: القطيع من كلّ شيء؛ و الجميع: أرسال.

و أرْسَل القوم: صاروا ذوي أرْسال.

و جارية رَسَل: لم تَختَمِر، و هي صغيرة.

و الرِّسالة: معروفة؛ و جمعها: رسائل.

و الرّسول: جمعه رُسُل. و يقولون: هي رسولك و هنّ رسولك.

و وجّهت إليك رُسُلًا، أي أرْسالًا متتابعة؛ واحدها: رَسَل.

و امرأة مُراسِل: كان لها زوج فمات، و الخُطّاب يُراسلونها. و هي أيضًا: الكثيرة شعر السّاقين طويلته.

و المُرْسَلات في القرآن: هي الخيل، و قيل: الرّياح.

و الرّاسلتان: هما الوابلَتان في العَضُد، و قيل: عرقان في الكَتِفَيْن.

و الرَّسيل: الواسع، و الشّيء الطّفيف أيضًا.

و رسيل الرّجل: الّذي يقف معه في نضالٍ.

و التّرسيل و التّرتيل: واحدٌ.

في حديث الفُتّاك: «لا يكون الفتى مِرْسالًا» و هو الّذي يُرْسل اللُّقمة في الحلق. و قيل: هو الّذي يُرْسِل الغُصْنَ من يده إذا مضى في موضع شجير ليصيب صاحبه. (٨: ٣٠٣)

الخَطّابيّ: في حديث النّبيّ ﷺ: «أنّ النّاس دخلوا عليه بعد موته أرْسالًا أرْسالًا يصلّون عليه».

قوله: «أرْسالًا»، يريد أفواجًا و فِرَقًا متقطّعة.

قال أبو عُبَيْدَة: إذا أورد الرّجل إبله متقطّعة، قالوا: أوردها أرْسالًا. [ثمّ استشهد بشعر]

و إذا أوردها جماعة قالوا: أوردها عِراكًا.

و واحد الأرْسال: رَسَل، كما قيل لما نشَرتَه: نَشَر، و لما أسبَلتَه: سَبَل. (١: ١٦٩)

[في حديث]: «... و يُصيب من جَزَزها و رِسْلها و عوارضها».

«و الرِّسْل»: اللّبن. (٣: ١٥٧)

الجوهَريّ: شَعرٌ رَسْل، أي مُسْتَرْسِل.

و بعير رَسْل، أي سَهْل السّير. و ناقة رَسْلَة.

و قولهم: افْعَل كذا و كذا على رِسْلِكَ بالكسر، أي اتّئِدْ فيه، كما يقال: على هِيْنَتِكَ.

و منه الحديث: «إلّا من أعطى في نَجْدَتها و رِسْلِها» يريد الشّدّة و الرّخاء. يقول: يُعطي و هي سمان حسان يشتدّ على مالكها إخراجها، فتلك نَجْدَتها، و يُعطي في رِسْلها و هي مهازيلُ مُقارِبة.

و الرِّسْل أيضًا: اللّبن. و قد أرْسَل القوم، أي صار لهم اللّبن من مواشيهم.

و الرَّسَل بالتّحريك: القطيع من الإبل و الغنم؛ و الجمع: الأرْسال.

و يقال: جاءت الخيل أرْسالًا، أي قطيعًا قطيعًا.

و راسَلَهُ مُراسَلَةً فهو مُراسِل و رَسيل.

و امرأة مُراسِل، و هي الّتي يموت زوجها أو أحسّتْ منه أنّه يريد تطليقها، فهي تَتَزَيّنُ لآخَرَ و تُراسله.

و أرْسَلْتُ فلانًا في رسالة، فهو مُرْسَل و رسول؛ و الجمع: رُسْل و رُسُل.

و المُرْسَلات: الرّياح، و يقال: الملائكة.

و الرّسول أيضًا: الرّسالة.

و قوله تعالى: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الشّعراء: ١٦، و لم يقل: رُسُل ربّ العالمين، لأنّ فَعُولًا و فَعيلًا يستوي فيهما المذكّر و المؤنّث، و الواحد و الجمع، مثل عدوّ و صديق.

و المِرْسال: سهم قصير. و المِرْسال: النّاقة السّهلة السّير، و إبلٌ مَراسيل.

و رَسيل الرّجل: الّذي يُراسِله في نضال أو غيره.

و قوائم البعير: رِسال.

و اسْتَرْسَل الشّعر، أي صار سَبْطًا.

و اسْتَرْسَل إليه، أي انبسط و استأنس.

و تَرَسَّل في قراءته، أي اتّأد فيها. [و استشهد بالشّعر ٥ مرّات] (٤: ١٧٠٨)

ابن فارس: الرّاء و السّين و اللّام أصل واحد مطّرد مُنقاس، يدلّ على الانبعاث و الامتداد.

فالرَّسْل: السّير السّهل. و ناقة رَسْلَة: لاتكلّفك سياقًا. و ناقة رَسْلَة أيضًا: ليّنة المفاصل. و شَعْر رَسْل، إذا كان مُستَرسِلًا.

و الرَّسَل: ما أُرْسِل من الغنم إلى الرّعي.

و الرِّسْل: اللّبن، و قياسه ما ذكرناه، لأنّه يترسّل من الضّرع.

و من ذلك حديث طَهْفَةَ بن أبي زُهير النّهديّ، حين قال: «و لنا وَقِير كثير الرَّسَل، قليل الرِّسْل». يريد بالوقير: الغنم. يقول: إنّها كثيرة العدد، قليلة اللّبن. و الرّسَل: القطيع هاهنا.

و يقال: أرْسَل القوم، إذا كان لهم رِسْل، و هو اللّبن.

و رسِيل الرّجل: الّذي يقف معه في نضال أو غيره. كأنّه سمّي بذلك، لأنّ إرساله سَهمَه يكون مع إرسال الآخر.

و تقول: جاء القوم أرْسالًا: يتبَع بعضهم بعضًا، مأخوذ من هذا، الواحد: رَسَل.

و الرّسول معروف.

و إبل مَراسيل، أي سِراع.

و المرأة المـُرَاسِل: الّتي مات بعلها فالخُطّاب يُراسِلُونها.

و تقول: على رِسْلِك، أي على هِيْنَتِك، و هو من الباب، لأنه يَمْضي مُرْسَلًا من غير تجشّم.

و أمّا «إلّا مَن أعطى في نَجْدَتِها و رِسْلِها» فإنّ النّجدة الشّدّة. يقال: فيه نَجْدَة، أي شِدّة. [ثمّ استشهد بشعر]

و الرِّسْل: الرَّخاء. يقول: يُنيل منها في رَخائه و شدّته.

و استَرْسَلتُ إلى الشّيء، إذا انْبعثتْ نفسُك إليه و أنِسْتَ.

و المُرْسلات: الرّياح. و الرّاسِلان: عِرْقان.

(٢: ٣٩٢)

أبو هلال: الفرق بين الإرْسال و الإنفاذ: أنّ قولك: أرسَلتُ زيدًا إلى عمرو، يقتضي أنّك حمّلته رسالة إليه أو خبرًا و ما أشبه ذلك، و الإنفاذ لايقتضي هذا المعنى. ألاترى أنّه إن طلب منك إنفاذ زيد إليه فأنفذته إليه، قلت: أنفذته، و لايحسن أن تقول: أرسَلتُه، و إنّما يُستعمل الإرسال حيث يُستعمل الرّسول.

الفرق بين البعث و الإرسال: أنّه يجوز أن يبعث الرّجل إلى الآخر الحاجة يخصّه دونك و دون المبعوث إليه، كالصّبيّ تبعثه إلى المكتب، فتقول: بعثته و لاتقول: أرسلته، لأنّ الإرسال لايكون إلّا برسالة و ما يجري مجراها.

الفرق بين الرّسول و النّبيّ: أن النّبيّ لايكون إلّا صاحب معجزة، و قد يكون الرّسول رسولًا لغير الله تعالى، فلايكون صاحب معجزة.

و الإنباء عن الشّيء، قد يكون من غير تحميل النّبإ، و الإرسال لايكون بتحميل.

و النّبوّة يغلب عليها الإضافة إلى النّبيّ، فيقال: نبوّة النّبيّ، لأنه يستحقّ منها الصّفة الّتي هي على طريقة الفاعل. و الرّسالة تضاف إلى الله، لأنّه

المُرسل بها، و لهذا قال: برسالتي و لم يقل: بنبوّتي.

و الرّسالة: جملة من البيان يحملها القائم بها، ليؤدّيها إلى غيره. و النّبوّة تكليف القيام بالرّسالة، فيجوز إبلاغ الرّسالات، و لايجوز إبلاغ النّبوّات.

الفرق بين المُرسل و الرّسول: أنّ المُرسل يقتضي إطلاق غيره له، و الرّسول يقتضي إطلاق لسانه بالرّسالة. (٢٢٢)

الهَرَويّ: في الحديث: «إلّا من أعطى في نَجدَتها و رسْلها».

قوله: «رِسْلها» فيها قولان:

قال أبوعُبَيْد: معنى قوله: «و رِسْلها» أي و هي قليلة اللّحم و الشّحم و اللّبن، فنحرها يهون عليه، و بذلها لايُشفِق منه. و هذا كقولهم: قال فلان: كذا على رِسْله، أي على استهانة منه بالقول. فكان وجه الحديث: إلّا من أعطى في هُزالها و سِمَنها، أي في حال الضّنّ بها لسِمَنها، و حال هوانها عليه، لهُزالها، كما تقول في المَنشَط و المَكْرَه.

و القول الآخر: «و رِسْلها»: لبنها. قال أبوعُبَيْد: قد علمت أنّ الرِّسْل اللّبن، و ليس له في هذا الحديث معنى.

و قال غيره: له معنًى فيه، لأنّه ذكر الرِّسْل بعد النّجْدة على جهة التّفخيم للإبل، فجرى مجرى قولهم: إلّا من أعطى في سِمَنها و حُسنها و وفور لبنها.

هذا كلّه يرجع إلى معنى واحد، و لم يذكر الهُزال، لأنّ من بذل حقّ الله تعالى من المضنون به، كان إلى إخراجه ممّا تهون عليه أسرع، و ليس لذكر الهُزال بعد السِّمَن معنى، لوضوح المعنى و بيانه.

و في الحديث: «كان في كلامه تَرْسيل و تَرَسّل». يقال: تَرَسّل الرّجل في مشيته و كلامه، إذا لم يعجل. و التّرسيل و الرِّسْل واحد، و الرّسْل من القول: اللّين الخفيض. [ثمّ استشهد بشعر] (٣: ٧٤١)

الثّعالبيّ: لايقال: مُغَلْغَلة، إلّا إذا كانت محمولة من بلد إلى بلد، و إلّا فهي رسالة. (٥١)

الرُّسُل: الجارية الصّغير. [ثمّ استشهد بشعر] (٥٨)

العرب تسمّي الشّيء باسم غيره، إذا كان مجاورًا له، أو كان منه بسبب، كتسميتهم المطر بالسّماء، لأنّه منها ينزل، و في القرآن: ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ نوح: ١١، أي المطر، و كما قال جلّ اسمه: ﴿إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ يوسف: ٣٦، أي عنبًا. (٣٢٦)

ابن سيده: الرَّسَل: القطيع من كلّ شيء، و الجمع: أرْسال.

و الرَّسَل: الإبل، هكذا حكاه أبوعُبَيْد من غير أن يصفها بشيء.

و الرَّسَل: قطيع بعد قطيع.

و رَسَلُ الحَوْض الأدنى: ما بين عَشْر إلى خمس و عشرين، يُذكّر و يُؤنّث. و جاؤوا رِسْلَةً رِسْلَةً، أي جماعةً جماعةً.

و الرِّسْل و الرِّسْلَة: الرِّفْق والتُّؤَدة.

و التّرسّل: كالرّسْل.

و سَيرٌ رَسْل: سَهْل.

و استرْسَل الشّيء: سَلِسَ.

و ناقة رَسْلَة: سَهْلَة السّير، و جمَل رَسْل كذلك، و قد رَسِل رَسَلًا و رَسالةً.

و شَعْر رَسْل: مُستَرْسِل.

و ناقة مِرْسال: رَسْلَة كثيرة الشّعر في ساقيها.

و رجل فيه رَسْلَة، أي كَسَل.

و هم في رَسْلَة من العيش، أي لين.

و الإرْسال: التّوجيه، و قد أرسل إليه؛ و الاسم: الرّسالة، و الرُّسالة، و الرّسول و الرّسيل، الأخيرة عن ثَعْلَب.

و تراسَل القوم: أرْسَل بعضهم إلى بعض.

و الرّسول: الرّسالة، و المُرْسَل؛ و الجمع: أرْسُل و رُسْل و رُسَلاء، الأخيرة عن ابن الأعرابيّ. و قد يكون للواحد و الجميع و المؤنّث بلفظ واحد.

و الرّسيل: الموافق لك في النّضال و نحوه.

و المَراسِيل من النّساء: الّتي تُراسِل الخُطّاب.

و قيل: هي الّتي فارقها به زوجها بأيّ وجه كان، و قيل المُراسِيل: الّتي قد أسَنّت و فيها بقيّة شباب؛ و الاسم: الرّسال.

و أرْسَل الشّيء: أطلقه و أهمله.

و المُرسَلات في التّنزيل: الرّياح، و قيل: الخيل، و قال ثَعْلَب: الملائكة.

و المُرْسَلَة: قِلادة تقع على الصّدر.

و الرّسْل: اللّبَن ما كان.

و أرْسَل القوم: كثر رِسْلُهم.

و الرّسْل ذوات اللّبَن. و الرّسْلان من الفرس: أطراف العَضُدَيْن.

و الرّاسلان: الكَتِفان، و قيل: عِرْقان فيهما، و قيل: الوابلتان.

و ألقى الكلام على رُسَيْلاته، أي تهاوَنَ به.

و الرُّسَيْلى، مقصور: دُوَيْبّة.

و أمّ رسالة: الرّخَمَة. [و استشهد بالشّعر ٥ مرّات] (٨: ٤٧٢)

الرّسول: الرّجل يُبعَث في رسالة يؤدّيها، و قد أرسَله.

و راسَل فلان فلانًا: أرسل إليه رسولًا أو رسالة. (الإفصاح ١: ٢٧٦)

و رسول الله: من يبعثه الله بشريعة، يعمل بها و يبلّغها لأمّته.

و الرّسالة: هي هذه الشّريعة.

و الرّسول: يكون بمعنى الشّخص المُرْسَل، فيُثنّى و يُجمَع، و يكون بمعنى الرّسالة، فيجوز استعماله بلفظ واحد للمثنّى و الجمع، كما يُفعَل بالمصادر.

و جمع الرّسول: رُسُل و رُسْل و أرْسُل.

(الإفصاح ٢: ١٢٦٤)

الرّاغِب: أصل الرّسْل: الانبعاث على التُّؤَدة.

و يقال: ناقة رِسْلَة: سَهْلَة السّير.

و إبل مَراسيلُ: منبعثة انبعاثًا سَهْلًا، و منه: الرّسول المُنبعِث.

و تُصُوّر منه تارة الرِّفق، فقيل: على رِسْلِك، إذا

أمرّته بالرّفق، و تارة الانبعاث، فاشتُقّ منه الرّسول، و الرّسول يقال تارة: للقول المتحمَّل.

و تارةً لمتحمّل القول. و الرّسالة، و الرّسول يقال: للواحد و الجمع، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ اَنْفُسِكُمْ﴾ التوبة: ١٢٨، ﴿فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الشّعراء: ١٦.

و جمع الرّسول: رُسُل.

و رُسُل الله تارة يراد بها: الملائكة، و تارة يراد بها: الأنبياء، فمن الملائكة قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ التّكوير: ١٩. [و ذكر الآيات إلى أن قال:]

و من الأنبياء قوله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ آل عمران: ١٤٤. [إلى أن قال:]

و قوله: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ الأنعام: ٤٨، فمحمول على رُسُله من الملائكة و الإنس. [إلى أن قال:]

و الإرسال يقال: في الإنسان و في الأشياء المحبوبة و المكروهة، و قد يكون ذلك بالتّسخير كإرسال الرّيح و المطر، نحو: ﴿وَاَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا﴾ الأنعام: ٦، و قد يكون ببعث من له اختيار، نحو إرسال الرّسل، قال تعالى: ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ الأنعام: ٦١، ﴿فَاَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ الشّعراء: ٥٣، و قد يكون ذلك بالتّخلية، و ترك المنع، نحو قوله: ﴿اَلَمْ تَرَ اَنَّا اَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ اَزًّا﴾ مريم: ٨٣.

و الإرسال يقابل الإمساك. قال تعالى: ﴿مَا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾ فاطر: ٢.

و الرَّسْل من الإبل و الغنم: ما يسترسل في السّير، يقال: جاؤوا أرسالًا، أي متتابعين.

و الرِّسْل: اللّبن الكثير المتتابع الدّرّ. [و استشهد بالشّعر مرّتين] (١٩٥)

الزّمخشريّ: راسله في كذا.

و بينهما مكاتبات و مراسلات.

و تراسلوا.

و أرسلتُه برسالة و برسول.

و أرسلتُ إليه أن أفعل كذا.

و أرسل الله في الأمم رُسلًا.

و أرسل الفحل في الإبل.

و أرسل كلبه و صقره على الصّيد.

و أرسل يده عن يده بعد المصافحة.

و وجّهت إليه رُسلي أرسالًا متتابعة: رَسَلًا بعد رسَل: جماعة بعد جماعة.

و هو رسيله في الغناء و النّضال و غير ذلك.

و راسله الغناء، و هذا رسيلك الّذي يراسلك الغناء، أي يباريك في إرساله.

و استرسل الشّيء، إذا تسلّس.

و استرسل الشّعر.

و لا يجب غسل ما استرسل من شعر اللّحية و من الذّؤابة.

و في مشية هذه الدّابّة استرسال، إذا لم يكن فيها سرعة.

و سار سيرًا رَسْلًا.

و جمل رَسْل، و ناقة رَسْلَة، و رجل رَسْل: فيه لين و استرسال.

و نُوق مراسيلُ: رَسْلات القوائم، و ناقة مِرْسال.

و شَعْر رَسْل: مسترسل.

و هذه الطّاحنة تطحن طحنًا رَسْلًا.

و على رِسْلك: على هِيْنَتك، أي أرْوِدْ قليلًا، كما تقول: رويدك.

و جاء فلان على رِسْله: على تؤدته.

و ما بها رِسْل: لين.

و أرسَل القوم: عاد لهم رِسْل.

و رسَلتُ فُصْلاني: سقيتها الرِّسْل.

و امرأة مُراسِل: مات بعلها فبينها و بين الخُطّاب مراسلة.

و في عنقها مُرْسَلة، و في أعناقهنّ مَراسل: قلائد.

و ترسّل في قراءته: تمهّل فيها و توقّر.

و «إذا أذّنت فترَسّلْ»، و رَسّل قراءته: رتّلها.

و من المجاز: أرسَل الله عليهم العذاب.

و أرسَله الله عن يده: خذله.

و أنا أستَرْسل إلى فلان: أنبسط إليه.

و السّهام رُسُل المنايا.

و ظَلْنا نتراسل بالألحاظ.

و تقول: القبيح سوء الذّكر رسيله، و سوء العاقبة زميله. (أساس البلاغة : ١٦٢)

النّبيّ ﷺ: «قالت له امرأة: إنّي ابتَغَتُ غنمًا أبتغي نسلها، و رِسْلَها، و إنّها لاتنمو...».

«الرِّسْل»: اللّبن، و أرسلوا، إذا كثر عندهم الرِّسل.

و رَسَلتُ فُصْلاني، سقيتها إيّاه. (الفائق ٢ : ٥٥)

عمر: «قال لمؤذّن بيت المَقْدِس: إذا أذّنت فترَسّل، و إذا أقمت فأحذم».

يقال: تَرَسّل في قراءته، إذا اتّأدَ فيها و تثبّت في طلاقة. و حقيقة التَّرَسّل تطلّب الرِّسْل، و هو الهِينَة و السّكون، من قولهم: على رِسْلك. (الفائق ٢ : ٥٦)

[في حديث طَهْفَة النّهدي]: «...و لنا نعَم هَمَل أغفال، ما تَبِضّ ببلال، و وقير كثير الرَّسَل، قليل الرِّسْل...».

الرَّسَل: ما يُرسَل إلى المرعى؛ و جمعه: أرسال.

و الرِّسْل: اللّبن، أي هي كثيرة العدد قليلة اللّبن.

و قيل: الرَّسَل: التّفرّق و الانتشار في المرعى لقلّة النّبات و تفرّقه. (الفائق ٢ : ٢٧٧، ٢٨٠)

المَدينيّ: في الحديث: «كان في كلامه ترسيل».

يقال: تَرَسّل الرّجل في كلامه و مشيه، إذا لم يَعْجَل.

و التّرسيل و التّرتيل واحد، و الرِّسْل من القول: الخفيض. [ثمّ استشهد بشعر]

في الحديث: «أيّما مسلم استَرْسَل إلى مسلم فغبنه فهو كذا».

و في حديث آخر: «غَبْن المسترسِل ربًا».

الاسترسال: الانبساط والاستئناس و الطّمأنينة إلى الشّيء.

و الرِّسْل: السّكون.

و في الحديث: «إذا أذّنت فترَسّل». أي أطلُب

الرِّسْل و تمكّث. (١: ٧٦٠)

ابن الأثير: منه الحديث: «إنّي فَرَطٌ لكم على الحَوْض، و إنّه سَيُؤتى بكم رَسَلًا رَسَلًا فتُرْهَقُون عنّي» أي فِرَقًا. و الرَّسَل: ما كان من الإبل و الغنم من عشر إلى خمس و عشرين. و قد تكرّر ذكر «الأرسال» في الحديث.

و منه حديث طَهْفَة: «و وَقير كثير الرَّسَل قليل الرِّسْل» يريد أنّ الّذي يُرْسَل من المَواشي إلى الرَّعْي كثير العدد، لكنّه قليل الرِّسْل، و هو اللّبن، فهو فعَل بمعنى مُفْعَل، أي أرْسَلها فهي مُرْسَلة.

قال الخَطّابي: هكذا فسّره ابن قُتَيْبة. و قد فسّره العُذْريّ، و قال: كثير الرَّسَل، أي شديد التّفرّق في طلب المَرْعى. و هو أشبه، لأنّه قال في أوّل الحديث: «مات الوَدِيّ و هلك الهَديّ» يعني الإبل، فإذا هلكت الإبل مع صَبْرها و بقائها على الجَدْب، كيف تَسْلَم الغنم و تَنْمي حتّى يكثر عددها؟ و إنّما الوجه ما قاله العُذْريّ، فإنّ الغنم تتفرّق و تنتشر في طلب المَرْعَى لقلّته.

و في حديث الزّكاة: «إلّا من أعطى في نَجْدتها و رِسْلها».

«النَّجْدة»: الشّدّة، و الرِّسْل بالكسر: الهِينَة و التّأنّي. [ثمّ نقل كلام الجَوهَريّ و الأزهَريّ و قال:]

قلت: و الأحسن ـ و اللّه أعلم ـ أن يكون المراد بالنَّجْدة: الشّدّة و الجَدْب، و بالرِّسْل: الرَّخاء و الخِصْب، لأنّ الرِّسْل: اللّبَن، و إنّما يَكثُر في حال الرَّخاء و الخِصْب، فيكون المعنى أنّه يُخرج حقّ اللّه في حال الضّيق و السّعة، و الجَدْب و الخِصْب، لأنّه إذا أخرج حقّها في سنة الضّيق و الجَدْب كان ذلك شاقًّا عليه، فإنّه إجحاف به، و إذا أخرجها في حال الرَّخاء، كان ذلك سهلًا عليه.

و لذلك قيل في الحديث: يا رسول اللّه و ما نَجْدتها و رِسْلها؟ قال: عُسْرها و يُسْرها، فسمّى النَّجْدة عُسْرًا و الرِّسْل يُسْرًا، لأنّ الجَدْب عُسْر و الخِصْب يُسْر. فهذا الرّجل يُعطي حقّها في حال الجَدْب و الضّيق، و هو المراد بالنّجْدة، و في حال الخِصْب و السّعة، و هو المراد بالرِّسْل. و اللّه أعلم.

و في حديث صفيّة: «فقال النّبيّ ﷺ: على رِسْلكما» أي اثبتا و لا تَعْجَلا. يقال لمن يتأنّى و يعمل الشّيء على هينته. و قد تكرّرت في الحديث. (٢: ٢٢٢)

الفَيُّوميّ: شَعْر رَسْل وزان «فلس» أي سَبْط مُسترسِل. و قال الأزهَريّ: طويل مُسترسِل. و رَسِل رَسَلًا، من باب «تعِب».

و بعير رَسْل: ليّن السّير، و ناقة رَسْلَة.

و الرَّسَل بفتحتين: القطيع من الإبل؛ و الجمع: أرْسال، مثل: سبَب و أسباب، و شُبّه به النّاس فقيل: جاؤوا أرْسالًا، أي جماعات متتابعين.

و أرسلتُ رسولًا: بعثتُه برسالة يؤدّيها، فهو فعول بمعنى مفعول.

يجوز استعماله بلفظ واحد للمذكّر و المؤنّث و المثنّى و المجموع، و يجوز التّثنية و الجمع، فيُجمَع على: رُسُل بضمّتين، و إسكان السّين لغة.

و أرسَلتُ الطّائر من يدي، إذا أطلقته.

و حديث مُرْسَل: لم يتّصل إسناده بصاحبه.

و أرسَلتُ الكلام إرْسالًا: أطلقته من غير تقييد.

و تَرَسّل في قراءته: بمعنى تمهّل فيها. قال اليزيديّ: التّرَسّل و التّرسيل في القراءة، هو التّحقيق بلاعجلة.

و تراسل القوم: أرسل بعضهم إلى بعض رسولًا أو رسالة؛ و جمعها: رسائل.

و من هنا قيل: تراسل النّاس في الغناء، إذا اجتمعوا عليه، يبتدئ هذا و يمدّ صوته، فيضيق عن زمان الإيقاع فيسكت، و يأخذ غيره في مدّ الصّوت، و يرجع الأوّل إلى النّغم، و هكذا حتّى ينتهي.

يقال: راسله في عمله، إذا تابعه فيه، فهو رسيل.

و لاتَراسُل في الأذان، أي لامتابعة فيه، و المعنى: لا اجتماع فيه.

و تقول: على رِسْلِك بالكسر، أي على هيْئتِك.

(١: ٢٢٦)

الجُرْجانيّ: الرّسالة هي المجلّة المشتملة على قليل من المسائل الّتي تكون من نوع واحد، و المجلّة هي الصّحيفة يكون فيها الحكم.

الرّسول: إنسان بعثه اللّه إلى الخلق لتبليغ الأحكام.

الرّسول في اللُّغة: هو الّذي أمره المُرسِل بأداء الرّسالة بالتّسليم أو القبض.

قال الكَلْبيّ و الفرّاء: كلّ رسول نبيّ من غير عكس. و قالت المعتزلة: لافرق بينهما، فإنّه تعالى خاطب محمّدًا مرّة بالنّبيّ، و بالرّسول مرّة أُخرى.

(٤٩)

المُرسلة من الأملاك: هي الّتي ادّعاها مِلْكًا مطلقًا، أي مُرسَلًا عن سبب معيّن، و كذلك المرسلة من الدّراهم. (٩١)

الفيروزاباديّ: الرَّسَل، محرّكة: القطيع من كلّ شيء؛ جمعه: أرْسال، و الإبل، أو القطيع منها و من الغنم.

و بالكسر: الرّفق و التُّؤَدَة، كالرِّسْلَة و التّرَسّل، و اللّبن ما كان.

و أرسَلوا: كثر رِسْلُهم، كرَسّلوا ترسيلًا، و صاروا ذوي رَسَل، أي قطائع.

و طرف العَضُد من الفرس.

و بالفتح: السّهل من السّير، و البعير السّهل السّير، و هي: بهاء، و قد رَسِل، كفرح، رَسَلًا و رَسالةً، و المُسترسَل من الشّعَر، و قد رَسِل، كفرِح، رَسَلًا و رَسالة.

و الرِّسْلة، بالفتح: الكسَل.

و ناقة مِرْسال: سهلة السّير من مراسيل.

و لايكون الفتى مِرْسالًا، أي مُرسِل اللُّقمة في حلقه، أو مُرْسِل الغُصْن من يده ليصيب صاحبه.

و المِرْسال أيضًا: سهم صغير.

و الإرسال: التّسليط، و الإطلاق، و الإهمال، و التّوجيه؛ و الاسم: الرِّسالة، بالكسر و الفتح، و كصبور و أمير.

و الرّسول أيضًا: المُرسَل: جمعه: أرْسُل و رُسُل و رُسَلاء، و الموافق لك في النّضال و نحوه.

و ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الشعراء: ١٦، لم يقل: رُسُل، لأنّ فعولًا و فعيلًا يستوي فيهما المذكّر و المؤنّث، و الواحد و الجمع.

و تراسلوا: أرسَل بعضهم إلى بعض.

و المُراسِل: المرأة الكثيرة الشَّعَر في ساقيها الطّويلته، كالرّسْلة، و الّتي تُراسِل الخُطّاب، أو الّتي فارقها زوجها، أو أسَنّت، أو مات زوجها، أو أحسّت منه الطّلاق فتزيّنت لآخر و تُراسله، و فيها بقيّة.

و الرّاسِلان: الكتِفان، أو عِرْقان فيهما ـ و غلط من قال: عرقا الكفّين ـ أو الرّابلتان.

و ألقى الكلام على رُسَيْلاته: تهاون به. و الرُّسَيْلاء دُوَيْبّة.

و أمّ رِسالة، بالكسر: الرَّخَمَة.

و كأمير: الواسع، و الشّيء اللّطيف، و الفحل، و المُراسِل، و الماء العَذْب.

و جارية رُسُل، بضمّتين: صغيرة لاتَختَمِر.

و التّرسيل في القراءة: التّرتيل.

و رَسّلتُ فُصْلاني ترسيلًا: سقّيتها الرِّسْل.

و المُرسَلة، كمُكرَمة: قلادة طويلة تقع على الصّدر، أو القلادة فيها الخرز و غيرها.

و الأحاديث المُرسَلة: الّتي يَرويها المحدّث إلى التّابعيّ، ثمّ يقول التّابعيّ: قال رسول الله ﷺ و لم يذكر صحابيًّا.

و استرْسَل، أي قال: أرسل الإبل أرْسالًا، و إليه: انبسط و استأنس، و الشّعَر: صار سَبْطًا.

و تَرَسّل في قراءته: اتّأدَ.

و ككتاب: قوائم البعير.

و المُرْسَلات: الرّياح، أو الملائكة، أو الخيل.

(٣: ٣٩٥)

الطُّرَيحيّ: الرّسول: واحد الرُّسُل، و هو الّذي يأتيه جبرئيل عليه السلام قُبُلًا و يكلّمه.

و في الحديث: «يجزي من القول في الرّكوع و السّجود ثلاث تسبيحات في تَرَسُّل» أي تَأَنٍّ و تمهّل. يقال: ترسّل في قراءته: إذا تمهّل فيها و لم يعجل.

و على رِسْلك، أي هينتك.

و الرِّسْل بالكسر: الرّفق و التُّؤَدَة؛ و منه تَرَسّل في رأي، أي اتّأدَ.

و الاسترسال: الاستئناس و الطّمأنينة إلى الإنسان، و الثّقة به فيما يُحدّثه، و أصله: السّكون و الثّبات.

و منه الحديث: «أيّما مسلم استرسل إلى مسلم فغبنه فهو كذا».

و منه: «غبن المُسترسِل سُحْت»، و منه: «غبن المسترسل ربًا».

و منه: «لاتثق بأخيك كلّ الثّقة فإنّ سرعة الاسترسال لن تُستقال» كأنّ المراد يعرض له ما يُثنيه عنك.

و منه «لاتُثني عنانك إلى استرسال فيُسلمك

إلى عِقال».

و في حديث وصفه ﷺ: «إذا التفتَ التفت جميعًا من شدّة استرساله» أي انبساطه و لينه. يقال: استرسل إليه، أي انبسط و استأنس.

و في الحديث: «إذا ذبحْتَ فأرسل» يريد للطّير خاصّة.

و فيه: «كانت على الملائكة العمائم البيض المُرسَلَة» لعلّ المراد: المُرسلة الأطراف.

و الدّابّة المُرسَلة: الّتي ليست بمربوطة.

و أرسَل يديه، أي أرخاهما جميعًا. و منه أرْسِل نفسك فتشهّد.

و شَعْر رَسْل كفَلْس، أي سَبْط مترسّل.

و جاءت الخيل أرْسالاً، أي أفواجًا، و فرقًا متقطّعة، يتبع بعضها بعضًا: جمع رَسَل بفتحتين.

و الرَّسَل: ما كان من الإبل و الغنم من عشرة إلى خمسة و عشرين.

و راسله من أهله، فهو مُراسِل و رسيل. و أرسَلتُ فلانًا في رسالة، فهو مُرْسَل. (٥: ٣٨٣)

مَجْمَعُ اللُّغَة: ١ ـ أرسَله يُرسله إرسالاً، يكون لما يأتي:

أ ـ لمجرّد البعث و التّخلية و الإطلاق.

ب ـ للبعث مع التّسخير: و ذلك في غير العاقل، ليؤدّي عملًا محبوبًا أو مكروهًا.

ج ـ بمعنى بعث عاقل برسالة في أمر دنيويّ.

د ـ بمعنى بعث عاقل برسالة في أمر دينيّ، و هو أكثر ما ورد في القرآن الكريم.

و تلحظ هذه المعاني بالنّظر إلى المبعوث و الغرض المبعوث له.

٢ ـ و المُرسِل: الباعث؛ و جمعه: مُرسِلون، و هي مُرسِلة، و المُرسَل: المبعوث؛ و جمعه: مُرسَلون، و هي مرسَلة؛ و جمعها: مُرسَلات.

٣ ـ الرّسول بمعنى المُرسَل، و قد يستوي فيه الواحد و غيره، و قد يُجمَع على رُسل.

٤ ـ الرّسالة: ما يُرسَل الرّسول به؛ و جمعها: رسالات. (١: ٤٧٥)

العَدْنانيّ: المِرْسال

في لبنان أغنية شعبيّة باللُّغة العامّيّة، كجلّ الأغنيات في لبنان، تدور على الألسن، و تترنّم بها أمواج الأثير بين حين و آخر. مطلعها: يا مِرْسال المَراسيل.

و ظنّ النّاس كما ظنّ صاحب «محيط المحيط» أنّ كلمة «مِرْسال» عامّيّة. و هي فصيحة ذكرتها المعجمات الّتي منها: مستدرك التّاج، و المدّ، و ذيل أقرب الموارد، و المتن، و الوسيط.

و معنى المِرْسال: الرّسول؛ و يجمع على مراسيل.

و من معاني المِرْسال:

١ ـ النّاقة السّهلة السّير.

٢ ـ النّاقة السّريعة السّير، و استشهد اللّسان و التّاج ببيت كعب بن زهير. [ثمّ ذكر شعره]

٣ ـ السّهم الصّغير، أو القصير كما جاء في العُباب و مستدرك التّاج.

٤ ـ من يُرسل الغُصْن من يده في المكان الشّجير ليصيب به صاحبه.

٥ ـ من يُرسل اللّقمة في حلقه.

المُرسِل لا الرّاسل

حمل إليّ البريد الآتي من القاهرة رسالة من أديب عربيّ مشهور، كتب على ظهر غلافها: الرّاسل: فلان. و هذا خطأ شاع في الشّقيقة العربيّة مصر كلّها، حتّى امتدّ إلى أحد أدبائها.

و أنا أعتذر إلى أبناء الأقطار الشّقيقة العربيّة الأُخرى، لأنّ هذه الهفوة لايقترفونها إلّا إذا انتقلت عَدْواها إلى بعضهم من مصر، الّتي ليس بيننا و بينها حَجْر لغويّ، يحول دون إصابتنا بمثل هذا الخطإ العُضال.

و الصّواب: المُرسِل فلان، لأنّه من الفعل أرسَل لارسِل الشّعر يَرْسَل رَسَلًا، الّذي معناه كان طويلًا مُسترسِلًا.

أرسَل إليه رسالة

و يقولون: أرسَل إليه برسالة. و الصّواب كما ترى المعجمات:

أ ـ أرسَل إليه رسالة.

ب ـ أرسل فلانًا برسالة: بعثه ليؤدّيها.

ج ـ أرسل فلانًا في رسالة.

د ـ أرسل إليه رسولًا: بعثه برسالة.

و من معاني أرسَل:

١ ـ أرسل الشّيء: أطلقه و أهمله. يقال: أرسلت الطّائر من يدي.

٢ ـ أرسل الكلام: أطلقه من غير تقييد.

٣ ـ أرسله عليه: سلّطه. جاء في الآية: ٨٣، من سورة مريم: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ أزّه: أغراه و هيّجه.

استرسل في غنائه، واصَله

و يخطّئون من يقول: استرسل فلان في غنائه، و يقولون: إنّ الصّواب هو: واصَل غِناءه أو استمرّ فيه.

و لكن:

قال ابن جنّيّ في «الخصائص»: فهل هذا إلّا أدلّ شيء على تأمّلهم مواقع الكلام، و إعطائهم إيّاه في كلّ موضع حقّه و حصّته من الإعراب، و أنّه ليس استرسالًا و لاترجيمًا.

و قال في «الخصائص» أيضًا: ألاترى أنّهم إذا استرسلوا في وصف العلّة و تحديدها، قالوا: إنّ علّة شدّ و مدّ، و نحو ذلك في الإدغام، إنّما هي اجتماع متحرّكَين من جنس واحد.

و قال: إنّ جملة استرسل إليه، تعني انبسط و استأنس، كلّ من الصّحاح، و المختار، و اللّسان، و القاموس، و المدّ، و محيط المحيط، و أقرب الموارد، و المتن، و الوسيط.

و جاء في معجم مقاييس اللُّغة: استرسلت إلى الشّيء، إذا انبعثت نفسك إليه و أنست. و هذا الانبعاث النّفسيّ و الأُنس يحملانك على الاندفاع في إتمام ما كنت قد شرعت في عمله.

و جاء في مقدّمة الأدب للزّمَخْشَريّ و معجم مدّ

القاموس: استرسَل الدّهر فيهم فأفناهم. أي خلا له الجوّ، فواصل محاربتهم.

و ممّا قاله اللّسان: الاسترسال: الاستئناس و الطّمأنينة إلى الإنسان، و الثّقة به فيما يحدّثه. و هذا الاستئناس و تلك الطّمأنينة يجعلانك تواصل حديثك إلى الّذي وثقتَ به.

و جاء في مستدرك التّاج: استرسل الشّيء: سَلس. و السّلاسة من أهمّ العناصر الّتي تحُضّ على مواصلة العمل.

و قال محيط المحيط و أقرب الموارد: استرسل في الكلام: انبسط فيه و اتّسع.

و لمّا كنتُ لاأستطيع الاعتماد على محيط المحيط و أقرب الموارد وحدهما، و لمّا كان الاسترسال إلى الشّيء، أو فيه لايعني تمامًا مواصلة ذلك الشّيء، كما تشير إلى ذلك جُلّ المعجمات، و كتب الأدب و اللّغة، لذا أعلن أنّي أُوافق على أنّ معنى استرسل في الشّيء، هو واصله، على أن نفوز بموافقة مجمعيّة من اتّحاد مجامعنا، أو من بعضها، أو واحد منها، لكي نستطيع الاعتماد على ذلك القرار المجمَعيّ، حين نستعمل الفعل: استرسل، بمعنى: استمرّ في عمل الشّيء، أو واصله. (٢٦٠)

أرسل إليه مالًا

و يقولون: أرسل له مالًا. و الصّواب: أرسل إليه مالًا. جاء في الآية: ٧٠، من سورة المائدة: ﴿وَاَرْسَلْنَا اِلَيْهِمْ رُسُلًا﴾.

أمّا: ١ـ أرسله برسالة، فتعني بعثه ليؤدّيها.

٢ـ أرسله على كذا: سلّطه.

٣ـ أرسل الشّيء من يده: أطلقه.

٤ـ أرسل الخيل في الغارة و الميدان: أطلق لها الأعنّة.

٥ـ أرسل الله فلانًا عن يده «مجاز»: خذله.

(معجم الأخطاء الشّائعة: ١٠٣)

محمّد إسماعيل إبراهيم: أرسَل: بعث برسالة.

و الرّسول: النّبيّ المُرسَل الّذي يبعث الله إليه وحيًا، و يأمره بتبليغه و هو الرّسالة، للواحد و الجمع و المذكّر و المؤنّث؛ و الجمع: رُسُل.

و المرسلات: الرّياح، و قيل: الملائكة. (٢٢١)

محمود شيت: الرّسالة: البرقيّة، و الرّسالة: الكتاب الرّسميّ.

المُراسِل: الّذي يقوم على خدمة الضّابط، و قد يستعين به على حمل الرّسائل إلى الآخرين.

الرَّسْل: يقال: تقدّمت أرْسال الرّمي: جماعاته بعضهم في أثر بعض؛ جمعه: أرسال.

المُرْسِلات: الّتي تبثّ البرقيّات و الأوامر لاسلكيًّا، يقابلها: الآخذات. (١: ٢٩٥)

المُصْطَفَويّ: و التّحقيق أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو الإنفاذ مع الحمل، بمعنى أن تنفذ شيئًا مع قيد أن تجعله حاملًا لأمر، و يلازم هذا المفهوم التّحرّك و السّير و لو معنويًّا.

و قد تقدّم في البعث: أنّ الإرسال و التّوجيه يلاحظ فيهما جهة بعد البعث و الإنهاض، كما أنّ الإيصال يلاحظ فيه مفهوم الانتهاء.

و المُرسَل أعمّ من أن يكون روحانيًا أو مادّيًا، من إنسان أو شيطان أو حيوان أو جماد لايشعر، و يلاحظ في كلّ منها التّوجيه إلى جانب، لأداء وظيفة، و العمل برسالة منظورة.

فالرّوحانيّ كما في ﴿فَاَرْسَلْنَا اِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا﴾ مريم: ١٧.

و الجسمانيّ من الإنسان، كما في ﴿هُوَ الَّذِى اَرْسَلَ رَسُولَهُ﴾ التّوبة: ٣٣، ﴿وَ لَقَدْ اَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ هود: ٢٥، ﴿ثُمَّ اَرْسَلْنَا مُوسٰى وَ اَخَاهُ هٰرُونَ﴾ المؤمنون: ٤٥، ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ﴾ الشّعراء: ١٢٣.

و من الحيوان، كما في: ﴿وَ اَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا اَبَابِيلَ﴾ الفيل: ٣.

و من موجودات غير شاعرة، كما في: ﴿وَ هُوَ الَّذِى اَرْسَلَ الرِّيَاحَ﴾ الفرقان: ٤٨، ﴿وَ اَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا﴾ الأنعام: ٦، ﴿فَاَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ﴾ الأعراف: ١٣٣.

و من الشّياطين، كما في ﴿اَنَّا اَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ مريم: ٨٣.

و من الملائكة، كما في ﴿اَللّٰهُ يَصْطَفِى مِنَ الْمَلٰئِكَةِ رُسُلًا﴾ الحجّ: ٧٥.

فظهر أنّ العمل بالرّسالة الموظّفة: إمّا تكليفيّة و بالاختيار: كما في المرسلين و الأنبياء الموظّفين للتّبليغ و أداء رسالات الله العزيز.

و إمّا بالقهّاريّة و الجبّاريّة: كما في موجودات غير شاعرة، كالجمادات.

فيُعلَم أنّ مراتب الموجودات من الرّوحانيّات و الجسمانيّات، من حيث يشعرون و من حيث لايشعرون، طوعًا أو كُرهًا اختيارًا أو جبرًا: تحت حكومة الله المتعال و جنود له تعالى، يسجدون له طوعًا أو كرهًا ﴿وَ لِلّٰهِ جُنُودُ السَّمٰوَاتِ وَ الْاَرْضِ﴾ الفتح: ٤، ﴿اِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَاَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾ الأحزاب: ٩.

ثمّ إنّ الأصل في تكوين الموجودات: كونهم جنود لطف و رحمة و عطوفة بالفعل، و لكنّهم يكونون بالقوّة بخروجها عن الاعتدال جنود قهر و عذاب و بلاء، كالماء إذا طغى، و الرّيح إذا اشتدّ، و المطر إذا تجاوز الحدّ، و الهواء إذا خرج عن الاعتدال، و الأرض إذا اختلّ نظمها و تزلزلت، و هذا كما في المزاج الجسمانيّ.

﴿اِنَّا اَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ القمر: ١٩، ﴿اِنَّا اَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ القمر: ٣١، ﴿فَاَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ سبأ: ١٦، ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ اَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾ العنكبوت: ٤٠، ﴿وَ يُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ﴾ الرّعد: ١٣، ﴿اَفَاَمِنْتُمْ اَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ اَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ الإسراء: ٦٨، ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَ نُحَاسٌ﴾ الرّحمٰن: ٣٥، ﴿قَالُوا اِنَّا اُرْسِلْنَا اِلٰى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ﴾ الحجر: ٥٨.

فهذا كمال القدرة و نهاية السّلطة و الحكومة و تمام النّفوذ و الاستيلاء، و للعبد أن يراقب نفسه و عمله و حاله، و لاتجعلها في معرض القهر

و الغضب ﴿اَفَاَمِنَ اَهْلُ الْقُرٰى اَنْ يَاْتِيَهُمْ بَاْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ الأعراف: ٩٧.

و أمّا الفرق بين الرّسول و النّبيّ: فإنّ النّبيّ من له مقام تكوينيّ و منزل إلهيّ و مرتبة روحانيّة معنويّة فوق المراتب المتداولة، و هذا المقام هو المعدّ لإعطاء منصب الرّسالة. فكلّ رسول لابدّ و أن يكون قَبْلُ نبيًّا، و أمّا النّبيّ فقد لايكون رسولًا.

و كلمة النّبيّ مأخوذة من النّبوّة واويّة، بمعنى الرّفعة و العلوّ، و ليست من مادّة النّبأ بمعنى الخبر، و قد اشتبه عليهم هذا الأمر، و تشابهت اللّغتان.

نعم للنّبيّ ﷺ مقام رفيع و منزلة عالية، و فطرة مخصوصة نورانيّة فوق ما يحوزه النّاس، و هذه الحيثيّة تلاحظ إذا تُستعمل هذه الكلمة أو يخاطب النّبيّ بها.

كما في: ﴿اَلنَّبِيُّ اَوْلٰى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ اَنْفُسِهِمْ﴾ الأحزاب: ٦، ﴿يَا اَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ﴾ الأنفال: ٦٤، ﴿قَالَ اِنِّي عَبْدُ اللهِ اٰتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ مريم: ٣٠.

كما أنّ كلمة «الرّسول» إذا استعملت تُلاحظ فيها مفهوم تحمّل الرّسالة، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ اَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ﴾ آل عمران: ٣٢، ﴿قُلْ يَا اَيُّهَا النَّاسُ اِنِّي رَسُولُ اللهِ اِلَيْكُمْ﴾ الأعراف: ١٥٨، ﴿وَلٰكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الأعراف: ٦١، ﴿يَا اَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ﴾ المائدة: ٦٧، ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ اِلَّا الْبَلَاغُ﴾ العنكبوت: ١٨.

و بهذا اللّحاظ: يخاطب بالنّبيّ (يا أيّها النّبيّ) في الموارد الّتي ترجع إلى أمور شخصيّة، و في خطابات خصوصيّة، كما في: ﴿يَا اَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِاَزْوَاجِكَ﴾ الأحزاب: ٥٩، ﴿يَا اَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا اَحَلَّ اللهُ لَكَ﴾ التّحريم: ١.

فظهر لطف التّعبير بكلّ من الكلمتين في موارد استعمالهما.

ثمّ إنّه إذا لوحظ مفهوم من حمل الرّسالة و اتّصف بها، فقط: فيعبّر بالرّسول، فيقال: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلٰى بَعْضٍ﴾ البقرة: ٢٥٣، ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ النّساء: ١٦٥، ﴿وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ﴾ الدّخان: ١٣، ﴿رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ﴾ البقرة: ١٢٩.

و إذا لوحظ الرّسول بقيد أنّه من جانب الله المتعال: فيعبّر بالمُرسَل، كما في: ﴿اِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾ النّمل: ١٠، ﴿فَقَالُوا اِنَّا اِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ﴾ يس: ١٤، ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ﴾ الشّعراء: ١٢٣، ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا﴾ الرّعد: ٤٣.

و إذا كان النّظر إلى نفس الرّسالة: فيعبّر بها فقط: ﴿فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ المائدة: ٦٧. ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْاُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ اٰيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ الجمعة: ٢، ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ اٰيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ اِنَّكَ اَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ البقرة: ١٢٩، ﴿كَمَا اَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ اٰيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ

الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ البقرة: ١٥١، ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ آل عمران: ١٦٤.

يظهر من هذه الآيات الكريمة أنّ ما يحمل الرّسول في رسالته هو هذه الأمور الخمسة:

١ـ ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾ أي يجعل آياته في مقام الإظهار و الإبلاغ أمامه، و فيما بين يديه، و في معرض نظرهم و نصب أعينهم، حتّى يشاهدوها ـ راجع التّلو ـ و قلنا: إنّ الآية ما يكون موردًا للتّوجّه و القصد في السّير، إلى المقصود و وسيلة للوصول بها إليه، فتشمل الآيات: كلّ آية تكوينيّة أو تدوينيّة أو كلاميّة، توصل إلى ما هو المقصود من معرفة الله المتعال، و معرفة جلاله و جماله و عظمته، و صفاته العليا و أسمائه الحسنى.

٢ـ ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ أي يهذّبهم من العقائد و الأفكار المنحرفة، و الأخلاق و الصّفات النّفسانيّة الرّذيلة، و الأعمال و العادات القبيحة، حتّى يستعدّوا لتعلّم المعارف و الحقائق الإلهيّة.

٣ـ ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾، يراد ما ضبط من المقرّرات و الأحكام الإلهيّة المتعلّقة بأمور الحياة، و إدامة المعيشة الدّنيويّة، من الوظائف التّعبّديّة و المعاملات، فيما بين النّاس و الآداب و السّنن.

٤ـ ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ يراد نوع خاصّ من الأحكام القطعيّة، من المعارف و الحقائق الخاصّة الرّوحانيّة، راجع: «الحكم».

٥ـ و ﴿مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ البقرة: ١٥١، ممّا يرجع إلى أحوال الماضين و جريان أمورهم، و ما يتعلّق بالأمور الدّنيويّة و الأخرويّة و الاجتماعيّة و غيرها.

هذه الأمور هي الّتي يحملها الرّسول ليبلّغها و يعمل بها في مأموريّته، و النّتيجة من العمل بهذه المأموريّة، قوله تعالى: ﴿أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ التّوبة: ٣٣.

و أمّا مقام الرّسول: فهو خليفة الله على الخلق، و الواسطة بينه تعالى و بينهم، و لا يشاء إلّا ما شاء الله، و ليس له في حياته برنامج إلّا إجراء الرّسالة و إبلاغ الأمر. و على هذا قد ورد في القرآن الكريم في ٢٨، موردًا: أن قارن طاعته بطاعته، و لم يرد هذا المعنى بالنّسبة إلى النّبيّ ﷺ.

﴿أَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ الأنفال: ٢٠، ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ النّساء: ٥٩، و ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ﴾ النّساء: ٨٠، ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا﴾ النّور: ٤٧، ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا * فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا * وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا﴾ المرسلات: ١ـ٣، العرف ضدّ النّكر، و النّكر صيرورة شيء منكرًا عند العقل و العقلاء فينكرونه، كما أنّ العرف هو المعروفيّة عند العقل بحيث يعرفه و يصدّقه. يقال أمر بالعرف، أي السّوق إلى ما يعرف، و نهى عن المنكر.

يراد الّتي أرسلت لإجراء العرف و لتحقّق

المعروف و بسطه، فهو منصوب على أنّه مفعول لأجله.

و لـمّا كان الرّسول مظهر مشيئة الله و مجرى إرادته في عالمه مختارًا أو مقهورًا، فلازم أن يكون في كلّ مرحلة و مرتبة من الوجود رسولًا يناسب تلك المرتبة. ﴿رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ حتّى يجري أمره و يُنفذ حكمه طوعًا أو كرهًا.

﴿أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا﴾ الفرقان: ٤٨، ﴿أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا﴾ الفيل: ٣، ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا﴾ البقرة: ١٥١، ﴿وَ أَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا﴾ الأنعام: ٦، ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَ الْجَرَادَ﴾ الأعراف: ١٣٣، ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ مريم: ١٧، ﴿أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ مريم: ٨٣، ﴿أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾ المؤمنون: ٤٤، ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾ الأحزاب: ٩، ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ سبأ: ١٦، ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ القمر: ٣١، ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ﴾ الذّاريات: ٣٣، ﴿وَ يُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ الأنعام: ٦١، ﴿وَ يُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ﴾ الرّعد: ١٣، ﴿إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾ هود: ٧٠، ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا﴾ الحجّ: ٧٥، ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ الأنعام: ٦١، ﴿إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ يونس: ٢١، ﴿وَ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ﴾ هود: ٦٩.

قلنا: إنّ الموجودات جنود بالقوّة لله المتعال، و الجند: هي الجمعيّة المتشكّلة الّتي تدافع عن شخص أو مرام. و الرّسول هو المأمور في إجراء تكليف أو وظيفة.

ففي كلّ من مراحل الخلق و الطّبيعة، و في كلّ شأن من شؤون مراتب العالم، في عالم الجماد و النّبات و الحيوان و الإنسان و الملائكة و العقول: لابدّ أن يكون رسولًا مأمورًا لتنظيم أمورها، و إيصال ما يلزم لها في إدامة حياتها المادّيّة أو المعنويّة، و إيفاء ما يجب من أداء حقّ التّربية الجسمانيّة أو الرّوحانيّة.

و الرّسول في كلّ مرتبة هو المنتخب فيها و المطيع لأمر الله، و المظهر لحكمه و المجرى لإرادته، و الخاضع السّاجد له طوعًا أو كرهًا، فحريّ بأن يُذكر أسماؤهم و يُقسَم بهم.

و كلّ من هؤلاء الرّسل في أيّ مرحلة و في صراط لطف أو قهر، إنّما يكون مأمورًا في إجراء حكم عدل و بسط أمر عرف، و إبلاغ ما يجب عليه، في محيط مأموريّته.

و إجراء المأموريّة إنّما يتحقّق بأسرع صورة و حركة، و أدقّ جريان و نفوذ، و أشدّ سير و عصف، ثمّ ينشرون ما يجب عليهم النّشر، و يوصلون الأمر إلى كلّ من كان تحت محيط مأموريّته، فيتحصّل التّشخّص و يتحقّق الافتراق و الشّخصيّة لكلّ فرد.

و لكلّ من هذه المباحث شرح و تحقيق و تفصيل، ليس موضع ذكرها هنا. (٤: ١٢٩)

النُّصوص التّفسيريّة

اَرْسَلَ

١ـ وَهُوَ الَّذِى اَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ وَاَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا. الفرقان: ٤٨

ابن عاشور: أطلق على تكوين الرّياح فعل ﴿اَرْسَلَ﴾ الّذي هو حقيقة في بعث شيء و توجيهه، لأنّ حركة الرّياح تُشبه السّير. و قد شاع استعمال الإرسال في إطلاق العنان لخيل السّباق. (١٩: ٦٨)

٢ـ وَاَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا اَبَابِيلَ. الفيل: ٣

ابن عبّاس: سلّط عليهم. (٥١٩)

نحوه ابن عاشور. (٣٠: ٤٨٢)

فَاَرْسَلُوا

وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَاَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَاَدْلٰى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرٰى هٰذَا غُلَامٌ... يوسف: ١٩

ابن عبّاس: فأرسل كلّ قوم طالب الماء و هو ساقيهم. (١٩٥)

اَرْسَلَتْ

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ اَرْسَلَتْ اِلَيْهِنَّ وَاَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَاٰتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا...

يوسف: ٣١

ابن عبّاس: و دعتهنّ إلى الضّيافة. (١٩٦)

وَهْب بن مُنَبِّه: اتّخذت مأدبة و دعت أربعين امرأة فيهنّ هؤلاء اللّاتي عيّرنها. (الثّعلبيّ ٥: ٢١٧)

نحوه الزّمخشريّ. (٢: ٣١٦)

ابن عَطيّة: أي ليحضرن. (٣: ٢٣٨)

اَرْسَلْتَ

١ـ وَلَوْلَا اَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ اَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا اَرْسَلْتَ اِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ اٰيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. القصص: ٤٧

ابن عبّاس: ﴿رَسُولًا﴾ مع الكتاب قبل العذاب. (٣٢٧)

اَرْسَلْنَا

١ ـ كَمَا اَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ اٰيَاتِنَا... البقرة: ١٥١

الطّبَريّ: ذلك الرّسول الّذي أرسله إليهم منهم: محمّد ﷺ. (٢: ٤٠)

نحوه الماوَرْديّ. (١: ٢٠٨)

٢ـ لَقَدْ اَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِى اِسْرَاءِيلَ وَاَرْسَلْنَا اِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوٰى اَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ. المائدة: ٧٠

ابن عاشور: الرّسل: الّذين أُرسلوا إليهم، هم موسى و هارون و من جاء بعدهما، مثل يوشع بن نون و أشعيا و أرْميا و حزقيال و داوود و عيسى. فالمراد بالرّسل هنا: الأنبياء، من جاء منهم بشرع و كتاب، مثل موسى و داوود و عيسى، و من جاء معزّزًا للشّرع مبيّنًا له، مثل يوشع و أشعيا و أرْميا. و إطلاق الرّسول على النّبيّ الّذي لم يجئ بشريعة إطلاق شائع في القرآن، كما تقدّم. لأنّه لـمّا ذكر

أنّهم قتلوا فريقًا من الرّسل، تعيّن تأويل الرّسل بالأنبياء، فإنّهم ما قتلوا إلّا أنبياء لا رسلًا. (٥: ١٦٤)

•

٣ـ ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾. الأعراف: ١٣٣

ابن عبّاس: سلّط الله عليهم. (١٣٦)

ابن عاشور: الفاء في قوله: ﴿فَأَرْسَلْنَا﴾ لتفريع إصابتهم بهذه المصائب على عتوّهم وعنادهم.

والإرسال: حقيقته توجيه رسول أو رسالة، فيعدّى إلى المفعول الثّاني بـ«إلى» ويُضمّن معنى الإرسال من فوق، فيعدّى إلى المفعول الثّاني بـ(على)، قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ الفيل: ٣، ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ الذّاريات: ٤١، فحرف «على» دلّ على أنّ جملة ﴿أَرْسَلْنَا﴾ مفرّعة تفريع العقاب، لا تفريع زيادة الآيات. (٨: ٢٥٣)

٤ـ ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾. الأعراف: ١٦٢

الطّبريّ: بعثنا عليهم. (٦: ٩١)

ابن عاشور: قد وقع في سورة البقرة آية: ٥٩، لفظ ﴿فَأَنْزَلْنَا﴾، ووقع هنا لفظ ﴿فَأَرْسَلْنَا﴾، ولـمّا قيّد كلاهما بقوله: ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾ كان مفادهما واحدًا، فالاختلاف لمجرّد التّفنّن بين القصّتين. (٨: ٣٢٥)

وراجع: ر ج ز: «رجزًا».

٥ـ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾. مريم: ٨٣

ابن عبّاس: سلّطنا الشّياطين. (٢٥٩)

الجُبّائيّ: أي خلّينا بينهم وبين الشّياطين إذا وسوسوا إليهم، ودعوهم إلى الضّلال حتّى أغووهم، ولم نحل بينهم وبينهم بالإلجاء، ولا بالمنع.

وعبّر عن ذلك بالإرسال على سبيل المجاز، والتّوسّع، كما يقال لمن خلّى بين الكلب وغيره: أرسل كلبه عليه. (الطّبْرسيّ ٣: ٥٣٠)

الزّجّاج: في قوله: ﴿أَرْسَلْنَا﴾ وجهان:

أحدهما: أنّا خلّينا الشّياطين وإيّاهم، فلم نعصمهم من القبول منهم.

الوجه الثّاني: وهو المختار: أنّهم أرسلوا عليهم وقُيّضوا لهم بكفرهم، كما قال عزّ وجلّ: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ الزّخرف: ٣٦.

ومعنى الإرسال هاهنا: التّسليط. يقال: قد أرسلتُ فلانًا على فلان، إذا سلّطته عليه، كما قال: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ الحجر: ٤٢. فأعلم الله عزّ وجلّ أنّ من اتّبعه هو مسلّط عليه. (٣: ٣٤٥)

الثّعلبيّ: يعني سلّطناهم عليهم؛ وذلك حين

قال لإبليس: ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ...﴾ الإسراء: ٦٤. (٦: ٢٢٩)

مثله البغويّ. (٣: ٢٥١)

الزّمخشريّ: المعنى: خلّينا بينهم و بينهم و لم نمنعهم، و لو شاء لمنعهم قسرًا. (٢: ٥٢٤)

ابن عطيّة: معناه سلّطنا أو لم نحل بينهم و بينهم، فكلّه تسليط، و هو مثل قوله: ﴿نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا﴾ الزّخرف: ٣٦، و تعديته بـ«على» دالّ على أنّه تسليط. (٤: ٣٢)

مثله أبو حيّان. (٦: ٢١٦)

الطّبرسيّ: قيل: معناه: سلّطناهم عليهم. (٣: ٥٣١)

الفخر الرّازيّ: فيه مسائل:

المسألة الأولى: احتجّ الأصحاب بهذه الآية على أنّ الله تعالى مريد لجميع الكائنات، فقالوا: قول القائل: أرسلتُ فلانًا على فلان، موضوع في اللّغة، لإفادة أنّه سلّطه عليه، لإرادة أن يستولي عليه.

قال ﷺ: «سمّ الله و أرسل كلبك عليه»، إذا ثبت هذا، فقوله: ﴿أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ يفيد أنّه تعالى سلّطهم عليهم، لإرادة أن يستولوا عليهم، و ذلك يفيد المقصود، ثمّ يتأكّد هذا بقوله: ﴿تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾، فإنّ معناه: إنّا أرسلنا الشّياطين على الكافرين لتؤزّهم أزًّا، و يتأكّد بقوله: ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ﴾ الإسراء: ٦٤.

قال القاضي: حقيقة اللّفظ توجب أنّه تعالى أرسل الشّياطين إلى الكفّار، كما أرسل الأنبياء بأن حمّلهم رسالة يؤدّونها إليهم. فلايجوز في تلك الرّسالة إلّا ما أرسل عليه الشّياطين من الإغواء، فكان يجب في الكفّار أن يكونوا بقبولهم من الشّياطين مطيعين، و ذلك كفر من قائله، و لأنّ من العجب تعلّق المُجبِّرة بذلك، لأنّ عندهم أنّ ضلال الكفّار من قبله تعالى، بأن خلق فيهم الكفر و قدّر الكفر، فلا تأثير لما يكون من الشّيطان.

و إذا بطل حمل اللّفظ في ظاهره، فلابدّ من التّأويل، فنحمله على أنّه تعالى خلّى بين الشّياطين و بين الكفّار و ما منعهم من إغوائهم، و هذه التّخلية تسمّى إرسالًا في سعة اللّغة.

كما إذا لم يمنع الرّجل كلبه من دخول بيت جيرانه يقال: أرسل كلبه عليه، و إن لم يرد أذى النّاس، و هذه التّخلية و إن كان فيها تشديد للمحنة عليهم، فهم متمكّنون من أن لا يقبلوا منهم، و يكون ثوابهم على ترك القبول أعظم. و الدّليل عليه قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ إبراهيم: ٢٢، هذا تمام كلامه.

و نقول: لانسلّم أنّه لايمكن حمله على ظاهره، فإنّ قوله: ﴿أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ﴾ لو أرسلهم الله إلى الكفّار لكان الكفّار مطيعين له، بقبول قول الشّياطين.

قلنا: الله تعالى ما أرسل الشّياطين إلى الكفّار

بل أرسلها عليهم، و الإرسال عليهم هو التسليط لإرادة أن يصير مستوليًا عليه، فأين هذا من الإرسال إليهم، قوله: ضلال الكافر من قبل الله تعالى، فأيّ تأثير للشّيطان فيه؟

قلنا: لم لايجوز أن يقال: إنّ إسماع الشّيطان إيّاه تلك الوسوسة، يوجب في قلبه ذلك الضّلال بشرط سلامة فهم السّامع، لأنّ كلام الشّيطان من خلق الله تعالى، فيكون ذلك الضّلال الحاصل في قلب الكافر منتسبًا إلى الشّيطان و إلى الله تعالى من هذين الوجهين.

قوله: لم لايجوز أن يكون المراد بالإرسال التّخلية؟

قلنا: كما خلّى بين الشّيطان و الكفرة، فقد خلّى بينهم و بين الأنبياء. ثمّ إنّه تعالى خصّ الكافر بأنّه أرسل الشّيطان عليه، فلابدّ من فائدة زائدة هاهنا، و لأنّ قوله: ﴿تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ أي تحرّكهم تحريكًا شديدًا كالغرض من ذلك الإرسال، فوجب أن يكون «الأزّ» مرادًا لله تعالى، و يحصل المقصود منه. فهذا ما في هذا الموضع. و الله أعلم. (٢١: ٢٥١)

القُرطُبيّ: أي سلّطناهم عليهم بالإغواء، و ذلك حين قال لإبليس: ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ﴾ الإسراء: ٦٤. و قيل: ﴿أَرْسَلْنَا﴾ أي خلّينا. يقال: أرسلتُ البعير، أي خلّيته، أي خلّينا الشّياطين و إيّاهم و لم نعصمهم من القبول منهم. (١١: ١٥٠)

أبو السُّعود: معنى إرسال الشّياطين عليهم إمّا تسليطهم عليهم و تمكينهم من إضلالهم، و إمّا تقييضهم لهم، و ليس المراد تعجيبه ﷺ من إرسالهم عليهم، كما يوهمه تعليق الرّؤية به، بل ممّا ذكر من أحوال الكفرة من حيث كونها من آثار إغواء الشّياطين. (٤: ٢٥٩)

البُرُوسَويّ: أي سلّطناهم عليهم بسبب سوء اختيار هم. (٥: ٣٥٥)

الآلوسيّ: قيّضناهم و جعلناهم قرناء لهم مسلّطين عليهم، أو سلّطناهم عليهم، و مكّنّاهم من إضلالهم. (١٦: ١٣٤)

ابن عاشور: إرسال الشّياطين عليهم تسخيرهم لها، و عدم انتفاعهم بالإرشاد النّبويّ المنقذ من حبائلها، و ذلك لكفرهم و إعراضهم عن استماع مواعظ الوحي. و للإشارة إلى هذا المعنى عُدل عن الإضمار إلى الإظهار في قوله: ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾. و جُعل ﴿تَؤُزُّهُمْ﴾ حالًا مقيّدًا للإرسال، لأنّ الشّياطين مرسلة على جميع النّاس. و لكنّ الله يحفظ المؤمنين من كيد الشّياطين على حسب قوّة الإيمان و صلاح العمل، قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ الحجر: ٤٢. (١٦: ٨١)

مَغْنِيّة: المعنى: أنّ الله سبحانه يخلّي بينهم و بين الشّياطين الّذين يوسوسون لهم و يغرّونهم بالمعاصي، و لايتدخّل بإرادته التّكوينيّة لردع الشّياطين عنهم. و إنّما يُبيّن لهم طريق الخير و الشّرّ، و يمنحهم القدرة التّامّة على الفعل و التّرك، و ينهاهم

عن هذا، و يأمرهم بذلك، و يترك لهم الخيار فيما يفعلون و يتركون. و لو سلبهم الإرادة، لكانوا و الجماد سواء. (٥: ١٩٨)

الطّباطبائيّ: لاضير في نسبة إرسال الشّياطين إليه تعالى بعد ما كان على طريق المجازاة، فإنّهم كفروا بالحقّ، فجازاهم الله بزيادة الكفر و الضّلال، و يشهد بذلك قوله: ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ و لو كان إضلالًا ابتدائيًّا لقيل: «عليهم» من غير أن يوضع الظّاهر موضع المضمر. (١٤: ١٠٩)

مكارم الشّيرازيّ: «الأزّ» في الأصل ـ كما يقول الرّاغب في «المفردات» ـ يعني: غليان القِدْر، و تقلّب محتواه عند شدّة غليانه، و هو هنا كناية عن مدى تسلّط الشّياطين على هؤلاء؛ بحيث إنّهم يوجّهونهم بالصّورة الّتي يريدونها، و في المسير الّذي يشاؤون، ويقلبونهم كيف يشتهون.

و من البديهيّ ـ كما قلنا ذلك مرارًا ـ أنّ تسلّط الشّياطين على بني آدم ليس تسلّطًا إجباريًّا، بل إنّ الإنسان الّذي يسمح للشّياطين بالنّفوذ إلى قلبه و روحه، هو الّذي يُطوّق رقبته بقيد العبوديّة لهم، و يقبل بطاعتهم، كما يقول القرآن في الآية: ١٠٠ من سورة النّحل: ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾. (٩: ٤٤٤)

فضل الله: و الآية واردة على الأسلوب القرآنيّ الّذي يُنسب الأمور كلّها لله، انطلاقًا من علاقة الأشياء به، من خلال قانون السّببيّة الّتي أودعها في حركة الحياة و الإنسان. كما نلاحظه في علاقة الشّياطين بالكافرين، في ما يُزيّن لهم الشّياطين من أفعال الضّلال، و علاقات الباطل، و أجواء الانحراف، فيستسلمون لهم من موقع الاختيار السّيّئ، و ينصاعون لمخطّطاتهم في الضّلال و الإضلال، فتحدث النّتائج بشكل طبيعيّ، في ما يرتبط به السّبب و المسبّب. و هكذا لايجد هؤلاء عونًا من أوليائهم و شركائهم على ما يتعرّضون له من شقاء و تعاسة. (١٥: ٧٨)

٦ ـ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ...﴾ الحجّ: ٥٢

ابن عبّاس: ﴿مِنْ رَسُولٍ﴾ مُرسَل ﴿وَلَا نَبِيٍّ﴾ محدّث ليس بمرسَل. (٢٨٢)

قُطْرُب: إنّ الرّسول هو المبعوث إلى أمّة، و النّبيّ هو المحدّث الّذي لايبعث إلى أمّة.

(الماوَرْديّ ٤: ٣٥)

الفرّاء: فالرّسول النّبيّ المرسَل، و النّبيّ: المحدّث الّذي لم يُرسَل. (٢: ٢٢٩)

الجاحظ: إنّ الرّسول هو المبتدئ بوضع الشّرائع و الأحكام، و النّبيّ هو الّذي يحفظ شريعة الله. (الماوَرْدي ٤: ٣٥)

الطّبَريّ: و لم يرسل يا محمّد من قبلك من رسول إلى أمّة من الأمم، و لا نبيّ محدّث ليس بمُرسَل. (٩: ١٧٧)

الثّعلبيّ: ﴿مِنْ رَسُولٍ﴾ و هو الّذي يأتيه جبرئيل بالوحي عيانًا و شفاهًا. ﴿وَلَا نَبِيٍّ﴾ و هو

الّذي تكون نبوّته إلهامًا أو منامًا. (٧: ٣٠)

نحوه الواحديّ(٣: ٢٧٦)، و البغويّ(٣: ٣٤٧).

الماوَرْديّ: ﴿مِنْ رَسُول وَلَانَبِيٍّ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنّ الرّسول و النّبيّ واحد، و لا فرق بين الرّسول و النّبيّ، و إنّما جُمع بينهما، لأنّ الأنبياء تخصّ البشر، و الرّسل تعمّ الملائكة و البشر.

و القول الثّاني: أنّهما مختلفان، و أنّ الرّسول أعلى منزلة من النّبيّ. و اختلف قائل هذا في الفرق بين الرّسول و النّبيّ على ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنّ الرّسول هو الّذي تتنزّل عليه الملائكة بالوحي، و النّبيّ يوحى إليه في نومه.

و الثّاني: [نقل قول قُطْرُب]

و الثّالث: [نقل قول الجاحظ]. (٤: ٣٤)

الزّمَخْشَريّ: ﴿مِنْ رَسُولٍ وَلَانَبِيٍّ﴾ دليل بيّن على تغاير الرّسول و النّبيّ. و عن النّبيّ ﷺ أنّه سُئل عن الأنبياء، فقال: مائة ألف و أربعة و عشرون ألفًا، قيل: فكم الرّسل منهم؟ قال: ثلاثمئة و ثلاثة عشر جمًّا غفيرًا.

و الفرق بينهما: أنّ الرّسول من الأنبياء: من جمع إلى المعجزة الكتاب المنزل عليه. و النّبيّ غير الرّسول: من لم ينزل عليه كتاب، و إنّما أُمر أن يدعو النّاس إلى شريعة من قبله. (٣: ١٨)

الطَّبْرِسيّ: إنّما ذكر اللّفظين لاختلاف فائدتهما. فالرّسول الّذي أرسله الله تعالى و لا يحمل عند الإطلاق على غير رسول الله ﷺ. و النّبيّ الّذي له الرّفعة و الدّرجة العظيمة بالإرسال.

و قيل: إنّ بينهما فرقًا: فالرّسول: الّذي تنزّل عليه الملائكة بالوحي، و النّبيّ: الّذي يُوحى إليه في منامه. فكلّ رسول نبيّ، و ليس كلّ نبيّ رسولًا. [ثمّ نقل قول قُطْرُب و الجاحظ و قال:]

و القول هو الأوّل، لأنّ الله سبحانه خاطب نبيّنا ﷺ مرّة بالنّبيّ، و مرّة بالرّسول، فقال: ﴿يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ﴾، و ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ﴾. فالرّسول و النّبيّ واحد، لأنّ الرّسول يعمّ الملائكة و البشر. و النّبيّ يختصّ البشر، فجمع بينهما هنا، و في قوله: ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ مريم: ٥١ و ٥٤. (٤: ٩١)

الفَخْر الرّازيّ: من النّاس من قال: الرّسول هو الّذي حدّث و أرسل، و النّبيّ هو الّذي لم يُرسَل و لكنّه أُلهم أو رأى في النّوم. و من النّاس من قال: إنّ كلّ رسول نبيّ، و ليس كلّ نبيّ يكون رسولًا، و هو قول الكلْبيّ و الفرّاء.

و قالت المعتزلة: كلّ رسول نبيّ، و كلّ نبيّ رسول، و لا فرق بينهما. و احتجّوا على فساد القول الأوّل بوجوه:

أحدها: هذه الآية، فإنّها دالّة على أنّ النّبيّ قد يكون مرسلًا، و كذا قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ﴾ الأعراف: ٩٤.

و ثانيها: أنّ الله تعالى خاطب محمّدًا مرّة بالنّبيّ و مرّة بالرّسول، فدلّ على أنّه لا منافاة بين الأمرين، و على القول الأوّل المنافاة حاصلة.

و ثالثها: أنّه تعالى نصّ على أنّه خاتم النّبيّين.

و رابعها: أنّ اشتقاق لفظ النّبيّ إمّا من النّبإ و هو الخبر، أو من قولهم: نبّا إذا ارتفع، و المعنيان لايحصلان إلّا بقبول الرّسالة.

أمّا القول الثّاني: فاعلم أنّ شيئًا من تلك الوجوه لايبطله، بل هذه الآية دالّة عليه، لأنّه عطف النّبيّ على الرّسول: و ذلك يوجب المغايرة، و هو من باب عطف العامّ على الخاصّ.

و قال في موضع آخر: ﴿وَكَمْ اَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِى الْاَوَّلِينَ﴾ الزّخرف: ٦، و ذلك يدلّ على أنّه كان نبيًّا، فجعله الله مرسلًا و هو يدلّ على قولنا.

و قيل لرسول الله ﷺ كم المرسلون؟ فقال: ثلاثمئة و ثلاثة عشرة، فقيل: و كم الأنبياء؟ فقال: مائة ألف و أربعة و عشرون ألفًا الجمّ الغفير. إذا ثبت هذا فنقول: ذكروا في الفرق بين الرّسول و النّبيّ أمورًا:

أحدها: أنّ الرّسول من الأنبياء من جمع إلى المعجزة الكتاب المنزل عليه، و النّبيّ غير الرّسول من لم ينزل عليه كتاب، و إنّما أمر أن يدعو إلى كتاب من قبله.

و الثّاني: أنّ من كان صاحب المعجزة و صاحب الكتاب و نسخ شرع من قبله فهو الرّسول، و من لم يكن مستجمعًا لهذه الخصال فهو النّبيّ غير الرّسول، و هؤلاء يلزمهم أن لايجعلوا إسحاق و يعقوب و أيّوب و يونس و هارون و داود و سليمان رسلًا، لأنّهم ما جاؤوا بكتاب ناسخ.

و الثّالث: أنّ من جاءه الملك ظاهرًا و أمره بدعوة الخلق فهو الرّسول، و من لم يكن كذلك بل رأى في النّوم كونه رسولًا، أو أخبره أحد من الرّسل بأنّه رسول الله، فهو النّبيّ الّذي لايكون رسولًا، و هذا هو الأولى. (٢٣: ٤٨)

القُرطُبيّ: إنّ قومًا يرون أنّ الأنبياء صلوات الله عليهم فيهم مُرسَلون و فيهم غير مرسلين. و غيرهم يذهب إلى أنّه لايجوز أن يقال: نبيّ حتّى يكون مرسلًا. و الدّليل على صحّة هذا قوله تعالى: ﴿وَمَا اَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ فأوجب للنّبيّ ﷺ الرّسالة. و أنّ معنى «نبيّ» أنبأ عن الله عزّ و جلّ، و معنى أنبأ عن الله عزّ و جلّ الإرسال بعينه.

و قال الفرّاء: الرّسول الّذي أرسل إلى الخلق بإرسال جبريل عليه السلام إليه عيانًا، و النّبيّ الّذي تكون نبوّته إلهامًا أو منامًا، فكلّ رسول نبيّ و ليس كلّ نبيّ رسولًا. قال المهدويّ: و هذا هو الصّحيح، أنّ كلّ رسول نبيّ و ليس كلّ نبيّ رسولًا. و كذا ذكر القاضي عياض في كتاب «الشّفا»، قال: و الصّحيح و الّذي عليه الجمّ الغفير أنّ كلّ رسول نبيّ و ليس كلّ نبيّ رسولًا. و احتجّ بحديث أبي ذرّ، و أنّ الرّسل من الأنبياء ثلاثمئة و ثلاثة عشر، أوّلهم آدم و آخرهم محمّد ﷺ. (١٢: ٨٠)

البَيْضاويّ: الرّسول من بعثه الله بشريعة مجدّدة يدعو النّاس إليها، و النّبيّ يعمّه و من بعثه لتقرير شرع سابق، كأنبياء بني إسرائيل الّذين كانوا بين موسى و عيسى عليهما السلام. و لذلك شبّه النّبيّ ﷺ

علماء أمّته بهم. فالنّبيّ أعمّ من الرّسول، و يدلّ عليه أنّه عليه الصّلاة و السّلام سُئل عن الأنبياء، فقال: مائة ألف و أربعة و عشرون ألفًا. قيل: فكم الرّسل منهم؟ قال: ثلاثمئة و ثلاثة عشر جمًّا غفيرًا.

و قيل: الرّسول من جمع إلى المعجزة كتابًا منزلًا عليه، و النّبيّ غير الرّسول، من لاكتاب له.

و قيل: الرّسول من يأتيه الملك بالوحي، و النّبيّ يقال له و لمن يوحى عليه في المنام. (٢: ٩٥)

نحوه الشّربينيّ (٢: ٥٥٨)، و أبو السّعود (٤: ٣٨٩).

الآلوسيّ: عطف ﴿نَبِيٍّ﴾ على ﴿رَسُولٍ﴾ يدلّ على المغايرة بينهما و هو الشّائع، و يدلّ على المغايرة أيضًا ما روي أنّه ﷺ سُئل عن الأنبياء، فقال: مائة ألف و أربعة و عشرون ألفًا. قيل: فكم الرّسل منهم؟ قال: ثلاثمئة و ثلاثة عشر جمًّا غفيرًا. و قد أخرج ذلك ـ كما قال السّيوطيّ ـ أحمد و ابن راهويه في مسنديهما، من حديث أبي أمامة، و أخرجه ابن حبّان في صحيحه، و الحاكم في مستدركه، من حديث أبي ذرّ. و زعم ابن الجوزيّ أنّه موضوع. و ليس كذلك، نعم قيل: في سنده ضعف جُبر بالمتابعة.

و جاء في رواية: الرّسل ثلاثمئة و خمسة عشر، و اختلفوا هنا في تفسير كلّ منهما، فقيل: الرّسول ذَكَرٌ حُرٌّ بعثه الله تعالى بشرع جديد يدعو النّاس إليه، و النّبيّ يعمّه و من بعثه لتقرير شرع سابق، كأنبياء بني إسرائيل الّذين كانوا بين موسى و عيسى عليهما السلام.

و قيل: الرّسول ذَكَرٌ حُرٌّ بعثه الله تعالى إلى قوم بشرع جديد بالنّسبة إليهم و إن لم يكن جديدًا في نفسه، كإسماعيل عليه السلام إذ بُعث لجُرْهُم أوّلًا. و النّبيّ يعمّه و من بُعث بشرع غير جديد كذلك.

و قيل: الرّسول ذَكَرٌ حُرٌّ له تبليغ في الجملة و إن كان بيانًا و تفصيلًا لشرع سابق، و النّبيّ من أوحي إليه و لم يُؤمر بتبليغ أصلًا، أو أعمّ منه و من الرّسول.

و قيل: الرّسول من الأنبياء من جمع إلى المعجزة كتابًا مُنزلًا عليه، و النّبيّ غير الرّسول، من لاكتاب له.

و قيل: الرّسول من له كتاب أو نسخ في الجملة، و النّبيّ من لاكتاب له و لانسخ.

و قيل: الرّسول من يأتيه الملَك عليه السلام بالوحي يقظةً، و النّبيّ يقال له و لمن يُوحى إليه في المنام لاغير. و هذا أغرب الأقوال و يقتضي أنّ بعض الأنبياء عليهم السلام لم يوح إليه إلّا منامًا، و هو بعيد. و مثله لايقال بالرّأي.

و أنت تعلم أنّ المشهور أنّ النّبيّ في عُرف الشّرع أعمّ من الرّسول، فإنّه من أوحي إليه سواء أمر بالتّبليغ أم لا، و الرّسول من أوحي إليه و أمر بالتّبليغ. و لايصحّ إرادة ذلك، لأنّه إذا قوبل العامّ بالخاصّ، يراد بالعامّ ما عدا الخاصّ، فمتى أريد بالنّبيّ ما عدا الرّسول كان المراد به من لم يُؤمر بالتّبليغ؛ و حيث تعلّق به الإرسال صار مأمورًا

بالتّبليغ، فيكون رسولًا.

فلم يبق في الآية بعد تعلّق الإرسال رسول ونبيّ مقابل له، فلابدّ لتحقيق المقابلة أن يراد بالرّسول: من بُعث بشرع جديد، وبالنّبيّ: من بُعث لتقرير شرع من قبله، أو يراد بالرّسول: من بُعث بكتاب، وبالنّبيّ: من بُعث بغير كتاب، أو يراد نحو ذلك ممّا يحصل به المقابلة مع تعلّق الإرسال بهما.

(١٧: ١٧٢)

ابن عاشور: عطف ﴿نَبِيٍّ﴾ على ﴿رَسُولٍ﴾ دالّ على أنّ للنّبيّ معنًى غير معنى الرّسول:

فالرّسول: هو الرّجل المبعوث من الله إلى النّاس بشريعة. والنّبيّ: من أوحى الله إليه بإصلاح أمر قوم، بحملهم على شريعة سابقةٍ، أو بإرشادهم إلى ما هو مستقرّ في الشّرائع كلّها، فالنّبيّ أعمّ من الرّسول، وهو التّحقيق. (١٧: ٢١٥)

مَغْنِيَّة: اختلف المفسّرون، هل كلمة النّبيّ وكلمة الرّسول تُعبّران عن معنى واحد، أو لكلّ منهما معنًى؟ والأقرب أنّه لافرق بينهما، من حيث إنّ كلًّا منهما يُنبئه الله بما يريد، فإذا أنبأه وأمره بالتّبليغ أُطلقت عليه كلمة النّبيّ، لأنّ الله أنبأه، وكلمة الرّسول، لأنّه تعالى أمره بالتّبليغ، وإذا أنبأه ولم يأمره بالتّبليغ فهو نبيّ. وعلى هذا فكلّ رسول نبيّ، وليس كلّ نبيّ رسولًا. (٥: ٣٤٠)

الطَّباطَبائيّ: في الآية دلالة واضحة على اختلاف معنى النّبوّة والرّسالة، لابنحو العموم والخصوص مطلقًا، كما اشتهر بينهم أنّ الرّسول هو من بُعث وأُمر بالتّبليغ، والنّبيّ من بُعث سواء أُمر بالتّبليغ أم لا؛ إذ لو كان كذلك لكان من الواجب أن يراد بقوله في الآية: ﴿وَلَا نَبِيٍّ﴾ غير الرّسول، أعني من لم يُؤمر بالتّبليغ، وينافيه قوله: ﴿وَمَا اَرْسَلْنَا﴾.

وقد قدّمنا في مباحث النّبوّة، في الجزء الثّاني من الكتاب ما يدلّ من روايات أئمّة أهل البيت عليهم السلام، أنّ الرّسول هو من ينزل عليه الملَك بالوحي فيراه ويكلّمه، والنّبيّ هو من يرى المنام ويُوحى إليه فيه، وقد استفدناه مضمون هذه الرّوايات من قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْاَرْضِ مَلٰئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾ الإسراء: ٩٥ في الجزء الثّالث عشر من الكتاب.

وأمّا سائر ما قيل في الفرق بين الرّسالة والنّبوّة كقول من قال: إنّ الرّسول من بُعث بشرع جديد والنّبيّ أعمّ منه، وممّن جاء مقرّرًا لشرع سابق، ففيه أنّا قد أثبتنا في مباحث النّبوّة أنّ الشّرائع الإلهيّة لاتزيد على خمسة، وهي شرائع نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمّد صلّى الله عليه وآله وعليهم، وقد صرّح القرآن على رسالة جمع كثير منهم غير هؤلاء، على أنّ هذا القول لادليل له.

وقول من قال: إنّ الرّسول من كان له كتاب والنّبيّ بخلافه، وقول من قال: إنّ الرّسول من له كتاب ونُسخ في الجملة، والنّبيّ بخلافه، ويرد على القولين نظير ما ورد على القول الأوّل. (١٤: ٣٩١)

عبدالكريم الخطيب: هنا نُحبّ أن نشير إلى

أنّ الآية الكريمة قد تحدّثت عن الرّسول، و عن النّبيّ، باعتبار أنّ لكلّ منهما صفة خاصّة، و أنّهما لو كانا على صفة واحدة لما جاءت بهما الآية على هذا النّظم، الّذي جاء العطف فيه بين الرّسول و النّبيّ بإعادة حرف النّفي، الّذي يؤكّد لكلّ من الرّسول و النّبيّ ذاتيّته، فكأنّ نظم الآية يقول: «و ما أرسلنا من قبلك من رسول، و ما أرسلنا من قبلك من نبيّ». و هذا يعني أنّ الرّسول غير النّبيّ.

و الّذي عليه الرّأي عند المفسّرين و الفقهاء، أنّ كلًّا من الرّسول و النّبيّ يُوحى إليهما من الله، و لكنّ الرّسول ينفرد بأنّه صاحب شريعة يتلقّاها من الله، و يدعو إليها النّاس، بخلاف النّبيّ الّذي لا شريعة معه، و إنّما هو على شريعة رسول سبقه، و أنّه يدعو إلى شريعة هذا الرّسول، فكلّ رسول نبيّ، و ليس كلّ نبيّ رسولًا.

و على أيّ، فإنّ الرّسول صاحب كتاب سماويّ أو صُحُف سماويّة، أمّا النّبيّ فلا كتاب و لا صُحُف معه. (٩: ١٠٦٧)

مكارم الشّيرازيّ: الفرق بين الرّسول و النّبيّ

هناك أقوال كثيرة في الفرق بين الرّسول و النّبيّ، و أكثرها قبولًا أنّ كلمة «الرّسول» تُطلق على أنبياء لهم رسالات من الله، أُمروا بنشرها بين النّاس، و ألّا يألوا أيّ جهد في هذا الطّريق، و أن يتحمّلوا الصّعاب، و لا يبالوا بالتّضحية بأرواحهم من أجل رسالتهم.

أمّا كلمة «النّبيّ» فقد اشتُقّت من «نبأ» و هو الّذي ينبأ بالوحي الإلهيّ رغم أنّه لم يُكلّف بإبلاغه بشكل واسع، فهو كالطّبيب يراجعه المرضى للعلاج و طلب الدّواء. و لكلّ نبيّ مهمّة تختلف عن مهمّة الآخر، و ذلك بمقتضى الأحوال و البيئة الّتي يعيشها كلّ واحد منهم. (١٠: ٣٤٠)

٧ـ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا اَصْحَابَ الْقَرْيَةِ اِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ * اِذْ اَرْسَلْنَا اِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا اِنَّا اِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ * ... قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ اِنَّا اِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ. يس: ١٣ ـ ١٦

كعب الأحبار: كان بمدينة أنطاكية فرعون من الفراعنة، يقال: له أبطيحس ابن أبطيحس يعبد الأصنام، صاحب شرك، فبعث الله المرسلين، و هم ثلاثة: صادق، و مصدوق، و سلوم، فقدم إليه و إلى أهل مدينته منهم اثنان فكذّبوهما، ثمّ عزّز الله بثالث، فلمّا دعته الرّسل و نادته بأمر الله، وصدعت بالّذي أمرت به و أبت دينه و ما هم عليه، قال لهم: ﴿قَالُوا اِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ اَلِيمٌ﴾ يس: ١٨، و قوله: ﴿اِذْ اَرْسَلْنَا اِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾.

مثله ابن عبّاس، و وَهْب بن مُنَبّه.

(الطّبريّ ١٠: ٤٣١)

ابن عبّاس: ﴿اِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ يعني جاء إليهم رسول عيسى شمعون الصّفّار، فلم يؤمنوا به و كذّبوه. (٣٦٩)

الإمام الباقر عليه السلام: [في حديث أبي حمزة الثّماليّ، سألته عن تفسير هذه الآية فقال:]

بعث الله رجلين إلى أهل مدينة أنطاكية فجاءهم بما لا يعرفون، فغلظوا عليهما، فأخذوهما و حبسوهما في بيت الأصنام، فبعث الله الثّالث فدخل المدينة، فقال: أرشدوني إلى باب الملك، قال: فلمّا وقف على باب الملك، قال: أنا رجل كنت أتعبّد في فلاة من الأرض، و قد أحببت أن أعبد إله الملك، فأبلغوا كلامه الملك، فقال: أدخلوه إلى بيت الآلهة، فأدخلوه، فمكث سنة مع صاحبيه، فقال: بهذا يُنقَل قوم من دين إلى دين بالحذق «بالحرف» أفلا رفقتما؟ ثمّ قال لهما: لا تُقرّان بمعرفتي.

ثمّ أُدخل على الملك، فقال له الملك: بلغني أنّك كنت تعبد إلهي فلم أزل و أنت أخي، فاسألني حاجتك! قال: ما لي حاجة أيّها الملك، و لكن رأيت رجلين في بيت الآلهة فما بالهما؟ قال الملك: هذان رجلان أتياني ببطلان ديني و يدعواني إلى إله سماويّ، فقال: أيّها الملك فمناظرة جميلة، فإن يكن الحقّ لهما اتّبعناهما، و إن يكن الحقّ لنا دخلا معنا في ديننا، فكان لهما ما لنا و ما عليهما ما علينا.

قال: فبعث الملك إليهما، فلمّا دخلا إليه قال لهما صاحبهما: ما الّذي جئتما به؟ قالا: جئنا ندعو إلى عبادة الله الّذي خلق السّماوات و الأرض، و يخلق في الأرحام ما يشاء، و يصوّر كيف يشاء، و أنبت الأشجار و الأثمار، و أنزل القطر من السّماء. قال: فقال لهما: أ إلهكما هذا الّذي تدعوان إليه و إلى عبادته إن جئنا بأعمى يقدر أن يردّه صحيحًا؟ قالا: إن سألناه أن يفعل فعل إن شاء. قال أيّها الملك عليّ بأعمى لم يُبصر قطّ. قال: فأُتي به، فقال لهما: ادعوا إلهكما أن يردّ بصر هذا، فقاما و صلّيا ركعتين فاذا عيناه مفتوحتان، و هو ينظر إلى السّماء، فقال أيّها الملك: عليّ بأعمى آخر. قال فأُتي به، قال فسجد سجدة ثمّ رفع رأسه فإذا الأعمى الآخر بصير، فقال: أيّها الملك حجّة بحجّة عليّ بمُقعَد، فأُتي به، فقال لهما مثل ذلك، فصلّيا و دعوا الله فإذا المُقعَد قد أُطلقت رجلاه و قام يمشي، فقال: أيّها الملك عليّ بمُقعَد آخر، فأُتي به فصنع به كما صنع أوّل مرّة فانطلق المُقعَد، فقال: أيّها الملك قد أُوتينا بحجّتين أُتينا بمثله، و لكن بقي شيء واحد، فإن هما فعلاه دخلتُ معهما في دينهما. ثمّ قال: أيّها الملك بلغني أنّه كان للملك ابن واحد و مات، فإن أحياه إلههما دخلتُ معهما في دينهما، فقال له الملك: و أنا أيضًا معك. ثمّ قال لهما: قد بقيت هذه الخصلة الواحدة، قد مات ابن الملك فادعوا إلهكما فيُحييه، قال فخرّا إلى الأرض ساجدين لله و أطالا السّجود، ثمّ رفعا رأسيهما و قالا للملك: ابعث إلى قبر ابنك تجده قد قام من قبره إن شاء الله. قال: فخرج النّاس ينظرون فوجدوه قد خرج من قبره ينفض رأسه من التّراب، قال فأُتي به الملك، فعرف أنّه ابنه.

فقال له: ما حالك يا بنيّ؟ قال: كنت ميّتًا فرأيت رجلين من بين يدي ربّي السّاعة ساجدين يسألانه

أن يُحييني فأحياني. قال: تعرفهما إذا رأيتهما؟ قال: نعم. قال: فأخرج النّاس جملة إلى الصّحراء، فكان يمرّ عليه رجل رجل فيقول له أبوه: انظر، فيقول: لا لا، ثمّ مرّوا عليه بأحدهما بعد جمع كثير، فقال: هذا أحدهما و أشار بيده إليه، ثمّ مرّوا أيضًا بقوم كثيرين حتّى رأى صاحبه الآخر، فقال: و هذا الآخر. قال: فقال النّبيّ: صاحب الرّجلين: أمّا أنا فقد آمنت بإلهكما و علمت أنّ ما جئتما به هو الحقّ. قال: فقال الملك: و أنا أيضًا آمنت بإلهكما ذلك، و آمن أهل مملكته كلّهم. (القُمّيّ ٢: ٢١٢)

نحوه الثّعلبيّ مع تفاوت (٨: ١٢٤)، و البَيْضاويّ مع تفاوت أيضًا (٢: ٢٧٧).

قَتادَة: ذكر لنا أنّ عيسى بن مريم بعث رجلين من الحواريّين إلى أنطاكية مدينة بالرّوم فكذّبوهما. (الطّبَريّ ١٠: ٤٣١)

نحوه الواحديّ. (٣: ٥١١)

ابن جُرَيْج: ﴿لَمُرْسَلُونَ﴾ أنّهم كانوا رسل عيسى ﷺ من جملة الحواريّين أرسلهم إليهم، فجاز لأنّهم رُسل رسول الله أن يكونوا رسلًا لله. (الماوَرْديّ ٥: ١١)

الطّبَريّ: اختلف أهل العلم في هؤلاء الرّسل، و فيمن كان أرسلهم إلى أصحاب القرية، فقال بعضهم: كانوا رسل عيسى بن مريم، و عيسى الّذي أرسلهم إليهم.

و قال آخرون: بل كانوا رسلًا أرسلهم الله إليهم. [إلى أن قال:]

فقال المرسلون الثّلاثة لأصحاب القرية: إنّا إليكم أيّها القوم مرسلون، بأن تخلصوا العبادة لله وحده، لاشريك له، و تتبرّؤوا ممّا تعبدون من الآلهة و الأصنام. (١٠: ٤٣٠)

الماوَرْديّ: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ﴾ اختلف في اسميهما على ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنّهما شمعون و يوحنّا، قاله شعيب.

الثّاني: [قول كعب الأحبار]

الثّالث: سمعان و يحيى، حكاه النّقّاش. [إلى أن قال:]

قوله عزّ و جلّ: ﴿قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾، فإن قيل: يعلم الله تعالى أنّهم لاتكون حجّة عند الكفّار لهم.

قيل: يحتمل قولهم ذلك وجهين:

أحدهما: معناه ربّنا يعلم إنّا إليكم لمرسلون بما يظهره لنا من المعجزات. و قد قيل إنّهم أحيوا ميّتًا و أبرؤوا زمِنًا.

الثّاني: أنّ تمكين ربّنا لنا إنّما هو لعلمه بصدقنا.

و اختلف أهل العلم فيهم على قولين:

أحدهما: أنّهم كانوا رسلًا من الله تعالى إليهم.

الثّاني: [قول ابن جُرَيْج] (٥: ١١)

الطّوسيّ: أي حيث بعث الله إليهم بالرّسل ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ﴾ يعني رسولين. و قال قوم: كانا رسولي عيسى من حواريه.

و قال آخرون: كانا رسولين من رسل الله، و هو الظّاهر. (٨: ٤٤٨)

الزّمخشريّ: ﴿الْمُرْسَلُونَ﴾ رسل عيسى ﷺ إلى أهلها، بعثهم دعاة إلى الحقّ، و كانوا عبدة أوثان، أرسل إليهم اثنين، فلمّا قربا من المدينة رأيا شيخًا. [ثمّ ذكر القصّة مع تفصيل إلى أن قال:]

فإن قلت: لم قيل: ﴿إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ﴾ أوّلًا، و ﴿إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ آخرًا؟

قلت: لأنّ الأوّل ابتداء إخبار، و الثّاني جواب عن إنكار. (٣: ٣١٧)

نحوه النّسفيّ. (٤: ٤)

الطّبْرسيّ: ﴿إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ أي حين بعث الله إليهم المرسلين. ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ﴾ أي رسولين من رسلنا. [إلى أن قال:]

قال شعبة: كان اسم الرّسولين شمعون و يوحنّا و اسم الثّالث بولس. و قيل: إنّهم رسل عيسى و هم الحواريّون عن وهب و كعب قالا: و إنّما أضافهم تعالى إلى نفسه، لأنّ عيسى ﷺ أرسلهم بأمره ﴿فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ﴾ أي قالوا لهم: يا أهل القرية إنّ الله أرسلنا إليكم. (٤: ٤١٨)

ابن عطيّة: اختلف المفسّرون في «المرسلين». [نقل قول قتادة ثمّ قال:]

و قالت فرقة: هؤلاء أنبياء من قبل الله تعالى. و هذا يُرجّحه قول الكفرة: ﴿مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ فإنّها محاورة إنّما تقال: لمن ادّعى الرّسالة عن الله تعالى، و الآخر محتمل.

و ذكر النّقّاش في قصص هذه الآية شيئًا يطول، والصّحّة فيه غير متيقّنة فاختصرته، واللّازم من الآية أنّ الله تعالى بعث إليها رسولين، فدعيا أهل القرية إلى عبادة الله تعالى وحده و إلى الهدى و الإيمان فكذّبوهما، فشدّد الله تعالى أمرهما بثالث، و قامت الحجّة على أهل القرية، و آمن منهم الرّجل الّذي جاء يسعى، و قتلوه في آخر أمره و كفروا، فأصابتهم صيحة من السّماء فخمدوا. (٤: ٤٤٩)

الفخر الرّازيّ: المرسلون من قوم عيسى، و هم أقرب مُرسَل أرسل إلى قوم إلى زمان محمّد ﷺ و هم ثلاثة، كما بيّن الله تعالى. و قوله: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا﴾ بدلًا من ﴿إِذْ جَاءَهَا﴾، كأنّه قال: اضرب لهم مثلًا، إذ أرسلنا إلى أصحاب القرية اثنين.

و ثانيهما: و هو الأصحّ و الأوضح، أن يكون (إذْ) ظرفًا، و الفعل الواقع فيه ﴿جَاءَهَا﴾، أي جاءها المرسلون حين أرسلناهم إليهم، أي لم يكن مجيئهم من تلقاء أنفسهم، و إنّما جاؤوهم حيث أُمروا، و هذا فيه لطيفة: و هي أنّ في الحكاية أنّ الرّسل كانوا مبعوثين من جهة عيسى ﷺ أرسلهم إلى أنطاكية، فقال تعالى: إرسال عيسى ﷺ هو إرسالنا، و رسول رسول الله بإذن الله رسول الله، فلا يقع لك يا محمّد أنّ أولئك كانوا رسل الرّسول و أنت رسول الله، فإنّ تكذيبهم كتكذيبك فتتمّ التّسلية بقوله: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا﴾

و هذا يؤيّد مسألة فقهيّة، و هي أنّ وكيل الوكيل بإذن الموكِّل وكيل الموكِّل لا وكيل الوكيل،

حتّى لاينعزل بعزل الوكيل إيّاه، وينعزل إذا عزلـه الموكّل الأوّل. وهذا علـى قولنـا: «واضـرب لهـم مثلًا» ضرب المثل لأجل محمّد ﷺ ظاهر.

وقوله: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا﴾ في بعثة الاثنين حكمة بالغة، وهي أنّهما كانا مبعـوثين من جهة عيسى بإذن الله، فكان عليهما إنهاء الأمـر إلى عيسى والإتيان بما أمر الله، والله عالم بكلّ شيء لايحتاج إلى شاهد يشهد عنده. وأمّـا عيسـى فهـو بشر فأمره الله بإرسال اثنين، ليكـون قولهمـا علـى قومهما عند عيسى حجّة تامّة. [إلى أن قال:]

﴿قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ إشارة إلى أنّه بمجرد التّكذيب لم يسـأموا ولم يتركـوا، بـل أعادوا ذلك لهم وكـرّروا القـول علـيهم، وأكّـدوه باليمين، و ﴿قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ وأكّدوه باللّام، لأنّ «يعلم الله» يجري مجرى القسم، لأنّ من يقول: يعلم الله فيما لايكون، قـد نسـب الله إلى الجهل، وهو سبب العقاب، كما أنّ الحنث سببه.

وفي قولـه: ﴿رَبُّنَا يَعْلَمُ﴾ إشـارة إلى الـرّدّ عليهم؛ حيث قالوا: أنتم بشر، وذلك لأنّ الله إذا كان يعلم أنّهم لمرسلون، يكون كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ الأنعام: ١٢٤، يعني هو عـالم بالأمور وقادر، فاختارنا بعلمه لرسالته. (٢٦: ٥١)

نحوه الشّربينيّ. (٣: ٣٤١)

القرطبيّ: [نحو الطّبريّ وأضاف:]

﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ﴾ أضاف الـرّبّ ذلـك إلى نفسه، لأنّ عيسى أرسلهما بأمر الـرّبّ، وكـان ذلك حين رُفع عيسـى إلى السّماء. [ثمّ ذكـر القصّـة مطوّلًا فلاحظ] (١٥: ١٤)

البيضاويّ: ﴿إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ بدل من ﴿أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ﴾ والمرسلون رسل عيسى عليـه الصّلاة والسّلام إلى أهلها، واضـافته إلى نفسـه في قوله: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ﴾ لأنّه فعـل رسـوله وخليفته، وهما يحيى ويونس، وقيل: غيرهمـا. [إلى أن قال:]

﴿قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ استشهدوا بعلـم الله، وهـو يجـري مجـرى القسـم، وزادوا اللّام المؤكّدة، لأنّه جواب عن إنكارهم. (٢: ٢٧٨)

نحوه أبو السّعود. (٥: ٢٩٣)

النّسفيّ: أكّد الثّـاني بـاللّام دون الأوّل، لأنّ الأوّل ابتداء إخبار، والثّاني جـواب عـن إنكـار، فيحتاج إلى زيادة تأكيد، و ﴿رَبُّنَا يَعْلَمُ﴾ جـار مجرى القسم في التّوكيد، وكذلك قـولهم: شـهد الله وعلم الله. (٤: ٥)

البُرُوسَويّ: ﴿إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ بدل من ﴿أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ﴾ بـدل الاشـتمال، لاشـتمال الظّروف على ما حلّ فيها، كأنّه قيل: واجعل وقت مجيء المرسلين مثلًا، أوبدل من المضاف المقدّر، كأنّه قيل: واذكر لهم وقت مجيء المرسلين، وهـم رسـل عيسى عليه السلام إلى أهـل أنطاكيـة ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ﴾ بدل من (إذ) الأولى، أي وقت إرسالنا اثنين إلى أصحاب القرية وهما يحيى ويـونس، ونسـبة

إرسالهما إليه تعالى بناء على أنّه بأمره تعالى، فكانت الرّسل رسل الله.

و يؤيّده مسألة فقهيّة، و هي أنّ وكيل الوكيل بإذن الموكّل، بأن قال الموكّل له: اعمل برأيك يكون وكيلًا للموكّل لا للوكيل، حتّى لا ينعزل بعزل الوكيل إيّاه، و ينعزل إذا عزله الموكّل الأوّل. [إلى أن نقل القصّة مع تفصيل، فلاحظ] (٧: ٣٧٨)

الآلوسيّ: و ﴿الْمُرْسَلُونَ﴾ عند قتادة و غيره -من أجلّة المفسّرين- رسل عيسى عليه السّلام من الحواريّين، بعثهم حين رُفع إلى السّماء، و نسبة إرسالهم إليه تعالى في قوله سبحانه: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ﴾ بناء على أنّه كان بأمره تعالى لتكميل التّمثيل و تتميم التّسلية.

و قال ابن عبّاس و كعب: هم رسل الله تعالى، و اختاره بعض الأجلّة، و ادّعى أنّ الله تعالى أرسلهم ردءً لعيسى عليه السّلام مقرّرين لشريعته كهارون لموسى عليهما السّلام، و أيّد بظاهر ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ﴾ و قول المرسل إليهم: ﴿مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ إذ البشريّة تنافي على زعمهم الرّسالة من الله تعالى لا من غيره سبحانه.

و استدلّ البعض على ذلك بظهور المعجزة كإبراء الأكمه و إحياء الميّت على أيديهم، كما جاء في بعض الآثار، و المعجزة مختصّة بالنّبيّ على ما قرّر في الكلام.

و من ذهب إلى الأوّل أجاب عن الأوّل بما سمعت. و عن الثّاني بأنّهم: إمّا أن يكونوا دعوهم على وجه فهموا منه أنّهم مبلّغون عن الله تعالى دون واسطة، أو: أنّهم جعلوا الرّسل بمنزلة مرسلهم، فخاطبوهم بما يبطل رسالته، و نزّلوه منزلة الحاضر تغليبًا، فقالوا ما قالوه.

و عن الثّالث: بأنّ ما ظهر على أيديهم -إن صحّ الأثر- كان كرامة لهم في معنى المعجزة لعيسى عليه السّلام و لا يتعيّن كونه معجزة لهم، إلّا إذا كانوا قد ادّعوا الرّسالة من الله تعالى بدون واسطة و هو أوّل المسألة. و (إذ) بدل من (إذ) الأولى.

و الاثنان قيل: يوحنّا و بولس، و قال مُقاتِل: تومان و بولس، و قال شعيب الجُبّائيّ: شمعون و يوحنّا، و قال وَهْب و كعب: صادق و صدوق، و قيل: نازوص و ماروص.

و قيل: ﴿أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ﴾ دون «أرسلنا إليها» ليطابق ﴿إِذْ جَاءَهَا﴾، لأنّ الإرسال حقيقة إنّما يكون إليهم لا إليها، بخلاف المجيء، و أيضًا التّعقيب بقوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُمَا﴾ عليه أظهر. (٢٢: ٢٢٠)

ابن عاشور: تأكيد قولهم: ﴿إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ﴾ لأجل تكذيبهم إيّاهم، فأكّدوا الخبر تأكيدًا وسطًا، و يسمّى هذا ضربًا طلبيًّا. (٢٢: ٢٠٨)

عبد الكريم الخطيب: المفسّرون على إجماع بأنّ هذه القرية هي «أنطاكية»، و على إجماع كذلك بأنّ هؤلاء الرّسل، هم من حواريّي المسيح، و رسله الّذين بعثهم لينشروا الدّعوة في النّاس.

و هذا التّأويل للقرية و للرّسل، لا يقوم له شاهد من القرآن الكريم، و لا تدلّ عليه إشارة من

إشاراته القريبة أو البعيدة. و إنّما هو من واردات أهل الكتاب، و أخبارهم. و الخبر هنا وارد من المسيحيّة، و يُنسب إلى وَهب ابن مُنَبِّه، الّذي تلقّاه من المسيحيّة، ممّا يُعرف عند المسيحيّين بأعمال الرّسل، الملحقة بالأناجيل.

فهذا التّأويل في نظرنا لايُعوّل عليه، ما دام غير مستند إلى دليل من القرآن الكريم ذاته. فالقرآن الكريم في رأينا يفسّر بعضه بعضًا، و هو كما وصفه الحقّ سبحانه و تعالى في قوله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ النّحل: ٨٩، فكيف لايكون تبيانًا لما فيه؟

و ندع القرية و اسمها، و الرّسل و الصّفة الّتي لهم ندع هذا الآن، و نعرض المثل على أنّ القرية واحدة من القرى المبثوثة في هذه الدّنيا، و أنّ الرّسل هم بعض رسل الله إلى عباده. فهذه قرية، قد جاءها رسل، مبعوثون من عند الله، و قد دعوا أصحابها إلى الإيمان، فلم يلقوا منهم إلّا الصّدّ اللّئيم، و القول القبيح. (١١: ٩١٣)

مكارم الشّيرازيّ: من هم هؤلاء الرّسل؟

فإنّ هناك أخذًا و ردًّا بين المفسّرين، بعضهم قال: إنّ أسماء الاثنين شمعون و يوحنّا، و الثّالث بولس و بعضهم ذكر أسماء اُخرى لهم.

و كذلك فإنّ هناك أخذًا و ردًّا في أنّهم رسل الله تعالى، أم أنّهم رسل المسيح عليه السلام ولا منافاة مع قوله تعالى: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا﴾ إذ إنّ رسل المسيح رسله تعالى أيضًا، مع أنّ ظاهر الآيات أعلاه ينسجم معه

التّفسير الأوّل، وإن كان لافرق بالنّسبة إلى النّتيجة الّتي يريد أن يخلص إليها القرآن الكريم. [إلى أن قال:]

على كلّ حال، فإنّ هؤلاء الأنبياء لم ييأسوا جرّاء مخالفة هؤلاء القوم الضّالّين و لم يضعفوا، و في جوابهم: ﴿قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾. و مسؤوليّتنا إبلاغ الرّسالة الإلهيّة بشكل واضح و بيّن فحسب ﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ يس: ١٧.

من المسلّم به أنّهم لم يكتفوا بمجرّد الإدّعاء، أو القسم بأنّهم من قبل الله، بل إنّ ممّا يستفاد من تعبير ﴿الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ إجمالًا أنّهم أظهروا دلائل و معاجز تشير إلى صدق ادّعائهم، وإلّا فلامصداقيّة لـ ﴿الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾، إذ إنّ البلاغ المبين يجب أن يكون بطريقة تجعل من الميسّر للجميع أن يُدركوا مراده، و ذلك لايمكن تحقّقه إلّا من خلال بعض الدّلائل و المعجزات الواضحة.

وقد ورد في بعض الرّوايات أيضًا أنّ هؤلاء الرّسل كانت لهم القدرة على شفاء بعض المرضى المستعصي علاجهم ـ بإذن الله ـ كما كان لعيسى عليه السلام ولكن الوثنيّين لم يسلموا أمام ذلك المنطق الواضح و تلك المعجزات، بل إنّهم زادوا من عنفهم في المواجهة، و انتقلوا من مرحلة التّكذيب إلى مرحلة التّهديد و التّعامل الشّديد ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾. (١٤: ١٣٧)

٨ ـ ﴿اَلَّذينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَ بِمَا اَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾. المؤمن: ٧٠

ابن عبّاس: ﴿وَ بِمَا اَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا﴾ من الكتب. (٣٩٩)

مثله الزّمخشريّ. (٣: ٤٣٦)

الطّبريّ: ﴿وَ بِمَا اَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا﴾ من إخلاص العبادة لله، و البراءة ممّا يُعبَد دونه من الآلهة و الأنداد، و الإقرار بالبعث بعد الممات للثّواب و العقاب. (١١: ٧٧)

الفخر الرّازيّ: ﴿وَ بِمَا اَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا﴾ من سائر الكتب. (٢٧: ٨٧)

مثله البُروسَويّ. (٨: ٢١٠)

البَيْضاويّ: من سائر الكتب، أو الوحي و الشّرائع. (٢: ٣٤١)

نحوه أبو السُّعود. (٥: ٤٢٧)

ابن عاشور: عطف ﴿وَ بِمَا اَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا﴾ يجوز أن يكون على أصل العطف مقتضيًا المغايرة، فيكون المراد: و بما أرسلنا به رسلنا من الكتب قبل نزول القرآن، فيكون تكذيبهم ما أرسلت به الرّسل، مرادًا به تكذيبهم جميع الأديان، كقوله تعالى: ﴿وَ مَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ اِذْ قَالُوا مَا اَنْزَلَ اللهُ عَلٰى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾ الأنعام: ٩١.

و يحتمل أنّه أُريد به التّكذيب بالبعث، فلعلّهم لـمّا جاءهم محمّد ﷺ بإثبات البعث سألوا عنه أهل الكتاب فأثبتوه، فأنكر المشركون جميع الشّرائع لذلك.

و يجوز أن يكون عطف مرادف، فائدته التّوكيد، و المراد بـ ﴿رُسُلَنَا﴾: محمّد ﷺ كقوله: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ الشّعراء: ١٠٥، يعني الرّسول نوحًا، على أنّ في العطف فائدة زائدة على ما في المعطوف عليه، و هي أنّ ممّا جاء به الرّسول مواعظ و إرشادًا كثيرًا ليس من القرآن. (٢٤: ٢٤٣)

الطَّباطَبائيّ: الأنسب أن يكون المراد ﴿بِالْكِتَابِ﴾ هو القرآن الكريم، و بقوله: ﴿وَ بِمَا اَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا﴾ ما جاءت به الرّسل عليهم السلام من عند الله من كتاب و دين، فالوثنيّة منكرون للنّبوّة. (١٧: ٣٥٠)

فضل الله: ﴿وَ بِمَا اَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا﴾ من الكتب المنزلة الماضية، كالتّوراة و الإنجيل. (٢٠: ٧١)

٩ ـ ﴿لَقَدْ اَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَ اَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَ الْمِيزَانَ...﴾ الحديد: ٢٥

الزّمَخْشَريّ: يعني الملائكة إلى الأنبياء. (٤: ٦٦)

أبو السُّعود: أي الملائكة إلى الأنبياء، أو الأنبياء إلى الأمم؛ و هو الأظهر. (٦: ٢٠٨)

الآلوسيّ: أي من بني آدم، كما هو الظّاهر. (٢٧: ١٨٨)

١٠ ـ ١١ ـ ﴿اِنَّا اَرْسَلْنَا اِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا اَرْسَلْنَا اِلٰى فِرْعَوْنَ رَسُولًا * فَعَصٰى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ...﴾ المزّمّل: ١٥، ١٦

ابن عبّاس: ﴿أَرْسَلْنَا﴾ بعثنا. ﴿إِلَيْكُمْ رَسُولًا﴾ يعني محمّدًا عليه الصّلاة و السّلام.... ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا﴾ بعثنا. ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ يعني موسى، ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ﴾ يعني موسى لم يجبه.

(٤٩٠)

الزّمخشريّ: إن قلت: لِمَ نكّر الرّسول ثمّ عرّف؟

قلت: لأنّه أراد أرسلنا إلى فرعون بعض الرّسل، فلمّا أعاده و هو معهود بالذّكر أدخل لام التّعريف إشارة إلى المذكور بعينه. (٤: ١٧٧)

نحوه الفخر الرّازيّ. (٣٠: ١٨٢)

ابن عطيّة: ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ﴾ يريد موسى عليه السلام، و الألف و اللّام للعهد. (٥: ٣٨٩)

أبو السّعود: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ هو موسى عليه السلام، و عدم تعيينه لعدم دخله في التّشبيه، ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ﴾ الّذي أرسلناه إليه.

(٦: ٣٢٣)

الآلوسيّ: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ هو موسى عليه السلام، و عدم تعيينه لعدم دخله في التّشبيه، أو لأنّه معلوم غنيّ عن البيان. ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ﴾ المذكور الّذي أرسلناه إليه، فالتّعريف للعهد الذّكريّ. (٢٩: ١٠٨)

ابن عاشور: تنكير ﴿رَسُولًا﴾ المرسل إلى فرعون، لأنّ الاعتبار بالإرسال لا بشخص المرسَل؛ إذ التّشبيه تعلّق بالإرسال في قوله: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ إذ تقديره: كإرسالنا إلى فرعون رسولًا.

... و لمّا جرى ذكر الرّسول المرسَل إلى فرعون أوّل مرّة، جيء به في ذكره ثاني مرّة معرّفًا بلام العهد، و هو العهد الذّكريّ، أي الرّسول المذكور آنفًا، فإنّ النّكرة إذا أعيدت معرفة باللّام، كان مدلولها عين الأولى. (٢٩: ٢٥٥)

أُرْسِلَ

١ـ فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَ لَنَسْئَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ. الأعراف: ٦

ابن عبّاس: ﴿أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ الرّسل. (١٢٤)

الطّبريّ: لنسألنّ الأمم الّذين أرسلت إليهم رسلي. (٥: ٤٣٠)

راجع: س أ ل: «نسئلنّ».

٢ ـ...أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ. الأعراف: ٧٥

الطّبريّ: أرسله الله إلينا و إليكم. قال الّذين آمنوا بصالح من المستضعفين منهم: إنّا بما أرسل الله به صالحًا من الحقّ و الهدى مؤمنون. (٥: ٥٣٧)

أُرْسِلُوا

وَ مَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ. المطفّفين: ٣٣

ابن عبّاس: ما سلّطوا على المؤمنين. (٥٠٥)

الطّبريّ: ما بعث هؤلاء الكفّار القائلون للمؤمنين إنّ هؤلاء لضالّون، حافظين عليهم

أعمالهم. (١٢ : ٥٠٢)

الثّعلبيّ: ﴿وَمَا أُرْسِلُوا﴾ يعني المشركين ﴿عَلَيْهِمْ﴾ يعني على المؤمنين. ﴿حَافِظِينَ﴾ لأعمالهم موكّلين بأحوالهم. (١٠ : ١٥٧)

أُرْسِلْتُ

١ ـ وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ اٰمَنُوا بِالَّذِى اُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتّٰى يَحْكُمَ اللّٰهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ. الأعراف : ٨٧

أبو السُّعود: من الشّرائع والأحكام. (٢ : ٥١٦)

مثله الآلوسيّ. (٨ : ١٧٩)

٢ ـ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ اَبْلَغْتُكُمْ مَا اُرْسِلْتُ بِهِ اِلَيْكُمْ... هود : ٥٧

الطَّبْرسيّ: فقد أبلغتكم جميع ما أُوحي إليّ. (٣ : ١٧٠)

أبو السُّعود: بلّغتكم الحقّ. (٣ : ٣٢٦)

٣ ـ قَالَ اِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللّٰهِ وَاُبَلِّغُكُمْ مَا اُرْسِلْتُ بِهِ وَلٰكِنّٖى اَرٰيكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ. الأحقاف : ٢٣

ابن عبّاس: ﴿مَا اُرْسِلْتُ بِهِ﴾ من التّوحيد. (٤٢٥)

الطّبَريّ: أبلّغكم عنه ما أرسلني به من الرّسالة. (١١ : ٢٩٢)

الواحديّ: ﴿مَا اُرْسِلْتُ بِهِ﴾ من الوحي والإنذار. (٤ : ١١٣)

البغَويّ: ﴿مَا اُرْسِلْتُ بِهِ﴾ من الوحي إليكم. (٤ : ٢٠٠)

الزّمَخشَريّ: ﴿مَا اُرْسِلْتُ بِهِ﴾ من الإنذار والتّخويف والصّرف عمّا يعرضكم لسخط الله بجُهْدي. (٣ : ٥٢٤)

الطَّبْرسيّ: أي وأنا أبلّغكم ما أُمرت بتبليغه إليكم. (٥ : ٩٠)

الفَخْر الرّازيّ: ﴿مَا اُرْسِلْتُ بِهِ﴾ وهو التّحذير عن العذاب. (٢٨ : ٢٧)

الشِّربينيّ: ﴿مَا اُرْسِلْتُ بِهِ﴾ ممّن لا مرسل في الحقيقة غيره، سواء أكان وعدًا أم وعيدًا أم غير ذلك، ولم يذكر الغاية، لأنّ ما أرسل به صالح لهم ولغيرهم. (٤ : ١٤)

أبو السُّعود: من مواجب الرّسالة الّتي من جملتها بيان نزول العذاب إن لم تنتهوا عن الشّرك، من غير وقوف على وقت نزوله. (٦ : ٧٦)

مثله البُرُوسَويّ (٨ : ٤٨١)، والآلوسيّ (٢٦ : ٢٥).

ابن عاشور: معنى: ﴿اُبَلِّغُكُمْ مَا اُرْسِلْتُ بِهِ﴾ أنّه بُعث مبلّغًا أمر الله وإنذاره، ولم يُبعَث للإعلام بوقت حلول العذاب. (٢٦ : ٤١)

نحوه مَغْنيّة. (٧ : ٥٢)

فضل الله: أبلّغكم رسالة التّوحيد، وأُنذركم عذاب يوم عظيم. (٢١ : ٣٤)

يُرْسِلُ

١ ـ ... فَيُمْسِكُ الَّتِى قَضٰى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْاُخْرٰى اِلٰى اَجَلٍ مُسَمًّى... الزّمر : ٤٢

ابن عبّاس: و هي النّفس النّائم إلى جسدها حتّى تجتمع مع روحها إلى أجل موتها.
(الماوَرْديّ ٥: ١٢٨)

سعيد بن جُبَيْر: ﴿وَيُرْسِلُ الْأُخْرٰى﴾ فيعيدها. (الماوَرْديّ ٥: ١٢٩)

الرُّمّانيّ: ﴿وَيُرْسِلُ الْأُخْرٰى﴾ و هي النّائمة، فيُطلقها باليقظة للتّصرّف إلى أجل موتها.
(الماوَرْديّ ٥: ١٢٨)

البغَويّ: و يَردّ الأخرى و هي الّتي لم يقض عليها الموت، إلى الجسد. (٤: ٩١)

الفَخْر الرّازيّ: يعني أنّ النّفس الّتي يتوفّاها عند النّوم يَردّها إلى البدن عند اليقظة. (٢٦: ٢٨٤)

الآلوسيّ: ﴿وَيُرْسِلُ الْأُخْرٰى﴾ أي الأنفس الأُخرى و هي النّائمة إلى أبدانها، فتكون كما كانت حال اليقظة، متعلّقة بها تعلّق التّصرّف ظاهرًا و باطنًا، و عبّر بالإرسال رعاية للتّقابل. (٢٤: ٨)

ابن عاشور: الإرسال: الإطلاق و التّمكين من مبارحة المكان للرّجوع إلى ما كان، و المراد بـ﴿الْأُخْرٰى﴾: ﴿الَّتِي لَمْ تَمُتْ﴾ و لكنّ الله جعلها بمنزلة الميّتة. و المعنى يَردّ إليها الحياة كاملة. و المقصود من هذا إبراز الفرق بين الوفاتين.
(٢٤: ١٠٠)

٢ ـ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا. نوح: ١١

ابن عاشور: الإرسال مستعار للإيصال و الإعطاء، و تعديته بـ﴿عَلَيْكُمْ﴾ لأنّه إيصال من علوّ، كقوله: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ الفيل: ٣. (٢٩: ١٨٤)

راجع: د ر ر: المعجم ١٩: ٢٤٨.

لِنُرْسِلَ

لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ. الذّاريات: ٣٣

الطَّبَريّ: لنمطر عليهم. (١١: ٤٦٦)

ابن عَطيّة: أي لنُهلكهم بهذه الحجارة، و متى اتّصلت «أرسل» بـ«على» فهي بمعنى المبالغة في المباشرة و العذاب، و متى اتّصلت بـ«إلى» فهي أخفّ، و انظر ذلك تجده مطّردًا. (٥: ١٧٨)

القُرطُبيّ: أي لنرجمهم بها. (١٧: ٤٨)

ابن عاشور: الإرسال الّذي في قوله: ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ﴾ مستعمل في الرّمي مجازًا، كما يقال: أرسل سهمه على الصّيد، و هذا الإرسال يكون بعد أن أصعدوا الحجارة إلى الجوّ و أرسلتها عليهم، و لذلك سمّيت مطرًا في بعض الآيات.

و حصل بين ﴿أَرْسَلْنَا﴾ و بين ﴿لِنُرْسِلَ﴾ جناس لاختلاف معنى اللّفظين. (٢٧: ٢٨)

يُرْسَلُ

يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ. الرّحمٰن: ٣٥

ابن عاشور: معنى ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا﴾ أنّ ذلك يعترضهم قبل أن يلجوا في جهنّم، أي تُقذفون بشواظ من نار تعجيلًا للسّوء. و المضارع للحال،

أي و يُرسَل عليكما الآن شواظ. (٢٧: ٢٤٢)

أَرْسِلْ

١ ـ حَقِيقٌ عَلىٰ اَنْ لَاأَقُولَ عَلَى اللهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاَرْسِلْ مَعِيَ بَنِى إِسْرَاءِيلَ. الأعراف: ١٠٥

الثّعلبيّ: أي أطلِق عنهم و خلّهم يرجعون إلى الأرض المقدّسة. (٤: ٢٦٧)

الزّمخشريّ: فخلّهم حتّى يذهبوا معي راجعين إلى الأرض المقدّسة الّتي هي وطنهم و مولد آبائهم. (٢: ١٠١)

مثله أبو السُّعود. (٣: ١٥)

الطّبْرسيّ: أي فأطلِق بني إسرائيل من عقال التّسخير، و خلّهم يرجعوا إلى الأرض المقدّسة، و ذلك أنّ فرعون و القبط، كانوا قد استعبدوا بني إسرائيل، و اعتقلوهم للاستخدام في الأعمال الشّاقّة، مثل بناء المنازل، و حمل الماء، و نقل التّراب، و ما أشبه ذلك. (٢: ٤٥٨)

ابن عاشور: الإرسال: الإطلاق و التّخلية، كقولهم: أرسلها العراك، و هو هنا مجاز لغويّ في الإذن لبني إسرائيل بالخروج، المطلوب من فرعون. (٨: ٢٢٦)

و بهذا المعنى جاء قوله تعالى:

٢ ـ فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَاَرْسِلْ مَعَنَا بَنِى إِسْرَاءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ... طٰه: ٤٧

٣ ـ أَنْ اَرْسِلْ مَعَنَا بَنِى إِسْرَاءِيلَ. الشّعراء: ١٧

٤ ـ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِى فَاَرْسِلْ إِلَىٰ هٰرُونَ. الشّعراء: ١٣

ابن عبّاس: فأرْسِل معي هارون يكون عونًا لي، و يقال: فأرسِل إلى هارون جبرئيل ليكون معي معينًا. (٣٠٧)

الطّبَريّ: يعني هارون أخاه، و لم يقل: فأرْسِل لي هارون ليؤازرني و ليُعينني؛ إذ كان مفهومًا معنى الكلام، و ذلك كقول القائل: لو نزلت بنا نازلة لفزعنا إليك، بمعنى لفزعنا إليك لتُعيننا. (٩: ٤٣٥)

الزّجّاج: أي ليُعينني و يؤازرني على أمري، و حُذف لأنّ في الكلام دليلًا عليه. (٤: ٨٤)

الثّعلبيّ: ليؤازرني و يُظاهرني على تبليغ الرّسالة، و هذا كما تقول: إذا نزلت بي نازلة أرسلت إليك، أي لتُعينني. (٧: ١٥٩)

نحوه البغويّ. (٣: ٤٦٣)

الماوَرْديّ: أي ليكون معي رسولًا، لأنّ هارون كان بمصر حيث بعث الله تعالى موسى نبيًّا. (٤: ١٦٦)

الطّوسيّ: يعني لمعاونتي، كما يقال: إذا نزلت بنا نازلة أرسلنا اليك، أي لتُعيننا. و قيل: إنّما طلب المعاونة حرصًا على القيام بالطّاعة. (٨: ١٠)

نحوه الطّبْرسيّ. (٤: ١٨٦)

الزّمَخْشَريّ: أرْسِل إليه جبرائيل و اجْعَلْه نبيًّا، و آزرني به و اشدُد به عضدي. و هذا كلام مختصر و قد بسطه في غير هذا الموضع. (٣: ١٠٦)

الواحديّ: جبرئيل ليكون معي معينًا. (٣: ٣٥١)

ابن عَطيّة: معناه يُعينني و يؤازرني. (٤: ٢٢٦)

الفَخْر الرّازيّ: أمّا قوله تعالى: ﴿فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ﴾ فليس في الظّاهر ذكر من الّذي يرسل إليه، و في الخبر أنّ الله تعالى أرسل موسى عليه السلام إليه.

و يحتمل أن يكون المراد: أرْسِل إليه جبريل، لأنّ رسول الله إلى الأنبياء جبريل عليه السلام، فلمّا كان هو متعيّنًا لهذا الأمر، حذف ذكره لكونه معلومًا، و أيضًا ليس في الظّاهر أنّه يرسل لماذا، لكن فحوى الكلام يدلّ على أنّه طلبه للمعونة فيما سأل، كما يقال: إذا نابتك نائبة، فأرْسِل إلى فلان، أي ليعينك فيها.

(٢٤: ١٢٣)

القُرطُبيّ: أرْسِل إليه جبريل بالوحي، و اجْعَله رسولًا معي ليؤازرني و يظاهرني و يعاونني، و لم يذكر هنا ليُعينني؛ لأنّ المعنى كان معلومًا، و قد صرّح به في سورة طٰه : ﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا﴾ طٰه : ٢٩، و في ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي﴾ القصص : ٣٤.

و كأنّ موسى أذن له في هذا السّؤال، و لم يكن ذلك استعفاء من الرّسالة بل طلب من يُعينه. ففي هذا دليل على أنّ من لا يستقلّ بأمر، و يخاف من نفسه تقصيرًا، أن يأخذ من يستعين به عليه، و لا يلحقه في ذلك لوم. (١٣: ٩٢)

أبو السُّعود: ﴿فَأَرْسِلْ﴾ أي جبرئيل عليه السلام ﴿إِلَىٰ هَٰرُونَ﴾ ليكون معي، و أتعاضد به في تبليغ الرّسالة. (٥: ٣٥)

نحوه البُرُوسَويّ. (٦: ٢٦٥)

شُبّر: أي اجْعَله نبيًّا يعضدني في أمري، طلب المعاونة حرصًا على الامتثال لا تعلّلًا. (٤: ٣٧٦)

الآلوسيّ: [نحو القُرطُبيّ و أضاف:]

و من الدّليل على أنّ المعنى على ذلك لا أنّه تعلّلٌ، وقوع ﴿فَأَرْسِلْ﴾ معترضًا بين الأوائل و الرّابعة، أعني ﴿وَلَهُمْ...﴾ فآذن بتعلّقه بها و لو كان تعلّلًا لأخر. و ليس أمره بالإتيان مستلزمًا لما استدعاه عليه السلام، و تقدير مفعول ﴿أَرْسِلْ﴾ ما أشرنا إليه، و قد ذهب اليه غير واحد. و بعضهم قدّر «ملَكًا» إذ لا جزم في أنّه عليه السلام كان يعلم إذ ذاك أنّ جبريل عليه السلام رسول الله عزّ و جلّ إلى من يستنبئه سبحانه من البشر.

و في الخبر أنّ الله تعالى أرسل موسى إلى هارون و كان هارون بمصر حين بعث الله تعالى موسى نبيًّا بالشّام. (١٩: ٦٥)

ابن عاشور: مُجمل يبيّنه ما في الآية الأُخرى، فيُعلَم أنّ في الكلام هنا إيجازًا، و أنّه ليس المراد: فأرسل إلى هارون عِوَضًا عنّي.

و إنّما سأل الله الإرسال إلى هارون و لم يسأله أن يكلّم هارون كما كلّمه هو، لأنّ هارون كان بعيدًا عن مكان المناجاة. و المعنى: فأرْسِل مَلَكًا بالوحي إلى هارون أن يكون معي. (١٩: ١٢٢)

الطَّباطَبائيّ: أي أرْسِل ملَك الوحي إلى هارون، ليكون معينًا لي على تبليغ الرّسالة. يقال لمن نزلت به نائبة أو أشكل عليه أمر: أرْسِل إلى فلان، أي استمد منه و اتّخذه عونًا لك.

فالجملة أعني قوله: ﴿فَأَرْسِلْ إِلَى هَـٰرُونَ﴾ متفرّعة على قوله: ﴿إِنِّي أَخَافُ...﴾، و ذكر خوف التّكذيب مع ما معه من ضيق الصّدر و عدم انطلاق اللّسان، توطئة و تقدمة لذكرها، و سؤال موهبة الرّسالة لهارون.

و إنّما اعتلّ بما اعتلّ به و سأل الرّسالة لأخيه، ليكون شريكًا له في أمره، معينًا مصدّقًا له في التّبليغ لافرارًا عن تحمّل أعباء الرّسالة، و استعفاء منها.

قال في روح المعاني: و من الدّليل على أنّ المعنى على ذلك لا أنّه تعلّل، وقوع ﴿فَأَرْسِلْ﴾ بين الأوائل و بين الرّابعة، أعني قوله: ﴿وَ لَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ...﴾، فآذن بتعلّقه بها و لو كان تعلّلًا لأخّر، انتهى.

و هو حسن، و أوضح منه قوله تعالى في سورة القصص في القصّة: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ * وَ أَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ القصص: ٣٣، ٣٤. (١٥: ٢٥٩)

مكارم الشّيرازيّ: لنؤدّي رسالتك الكبرى بأكمل وجه بتعاضدنا في مواجهة الظّالمين الحمقى. (١١: ٣٠٨)

فضل الله: ليكون عونًا لي على أداء الرّسالة، لما يتميّز به من صفات تسدّ النّقص الّذي أعاني منه، كفصاحة اللّسان و نحوها. (١٧: ٩٤)

فَأَرْسِلُونِ

وَ قَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَ ادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ. يوسف: ٤٥

الطّبَريّ: يقول: فأطلقوني، أمضي لآتيكم بتأويله من عند العالم به. (٧: ٢٢٧)

الزّمَخْشَريّ: فابعثوني إليه لأسأله، و مروني باستعباره. (٢: ٣٢٤)

البَيْضاويّ: ﴿فَأَرْسِلُونِ﴾ أي إلى من عنده علمه، أو إلى السّجن. (١: ٤٩٧)

ابن عاشور: ضمائر جمع المخاطب في ﴿أُنَبِّئُكُمْ﴾، ﴿فَأَرْسِلُونِ﴾ مخاطب بها الملك على وجه التّعظيم، كقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ المؤمنون: ٩٩.

و لم يسمّ لهم المرسل إليه، لأنّه أراد أن يفاجئهم بخبر يوسف عليه السلام بعد حصول تعبيره ليكون أوقع؛ إذ ليس مثله مظنّة أن يكون بين المساجين. (١٢: ٧١)

فضل الله: ﴿فَأَرْسِلُونِ﴾ إلى الشّخص الّذي يملك سرّ المعرفة للأحلام، فقد عشت التّجربة الحيّة معه؛ إذ فسّر لي رؤيا سابقة، كانت حياتي كلّها الآن شاهد صدق على صحّة تفسيره. (١٢: ٢٢٠)

مُرْسِلُوا

إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَ اصْطَبِرْ. القمر: ٢٧

ابن عبّاس: مخرجو النّاقة من الصّخرة. (٤٤٩)

نحوه ابن قُتَيْبَة (٤٣٣)، و شُبّر (٦: ١٢٠)

إنّا باعثوه كما سألوها فتنة لهم. (الطّبْرسيّ ٥: ١٩١)

الطَّبَريّ: إنّا باعثو النّاقة الّتي سألتها ثمود من الهضبة الّتي سألوه. (١١: ٥٦٠)

الثّعلبيّ: باعثوها و مخرجوها من الهضبة الّتي سألوا. (٩: ١٦٨)

نحوه الزّمَخْشَريّ (٤: ٣٩)، و البَيْضاويّ (٢: ٤٣٧).

الطُّوسيّ: أرسل النّاقة و بعثها بأن أنشأها معجز لصالح، لأنّه أخرجها من الجبل الأصمّ يتبعها ولدها. (٩: ٤٥٣)

الطَّبْرِسيّ: أي نحن باعثوا النّاقة بإنشائها على ما طلبوها معجزة لصالح، و قطعًا لعذرهم، و امتحانًا و اختبارًا لهم. و هاهنا حذف، و هو أنّهم تعنّتوا على صالح، فسألوه أن يخرج لهم من صخرة ناقة حمراء عُشَراء تضع، ثمّ ترد ماءهم فتشربه، ثمّ تعود عليهم بمثله لبنًا. (٥: ١٩١)

القُرطُبيّ: أي مُخرجوها من الهضبة الّتي سألوها. فروي أنّ صالحًا صلّى ركعتين و دعا فانصدعت الصّخرة الّتي عيّنوها عن سنامها، فخرجت ناقة عُشَراء. (١٧: ١٤٠)

الخازن: [مثل الثّعلبيّ و أضاف:]

و ذلك أنّهم تعنّتوا على صالح فسألوه أن يُخرج لهم من صخرة حمراء ناقة عُشَراء، فقال الله تعالى: ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ﴾. (٦: ٢٢٩)

ابن عاشور: إرسال النّاقة إشارة إلى قصّة معجزة صالح، أنّه أخرج لهم ناقة من صخرة، و كانت تلك المعجزة مقدّمة الأسباب الّتي عُجّل لهم العذاب لأجلها، فذكر هذه القصّة في جملة البيان توطئة و تمهيد.

و الإرسال مستعار لجعلها آية لصالح. و قد عُرف خلْق خوارق العادات لتأييد الرّسل باسم الإرسال في القرآن، كما قال تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ الإسراء: ٥٩، فشُبّهت النّاقة بشاهد أرسله الله لتأييد رسوله. (٢٧: ١٩٠)

مُرْسِلِينَ

...وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ. القصص: ٤٥

الزّمَخْشَريّ: و لكنّا أرسلناك و أخبرناك بها، و علّمناكها. (٣: ١٨٢)

القُرطُبيّ: أي أرسلناك في أهل مكّة، و آتيناك كتابًا فيه هذه الأخبار، و لولا ذلك لما علمتها. (١٣: ٢٩١)

أبو السُّعود: ﴿مُرْسِلِينَ﴾ إيّاك و موحين إليك تلك الآيات و نظائرها. (٥: ١٢٧)

نحوه الآلوسيّ. (٢٠: ٨٧)

ابن عاشور: الاستدراك في قوله: ﴿وَلٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ ظاهر، أي ما كنت حاضرًا في أهل مدين فتعلم خبر موسى عن معاينة، و لكنّا كنّا مرسلينك بوحينا، فعلّمناك ما لم تكن تعلمه أنت و لا قومك من قبل هذا.

و عدل عن أن يقال: و لكنّا أوحينا بذلك، إلى قوله: ﴿وَلٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ لأنّ المقصد الأهمّ

هو إثبات وقوع الرّسالة من الله، للرّدّ على المشركين في قولهم و قول أمثالهم: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهٰذَا فِي اٰبَائِنَا الْاَوَّلِينَ﴾ القصص: ٣٦، و تعلم رسالة محمّد ﷺ بدلالة الالتزام مع ما يأتي من قوله: ﴿وَلٰكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا﴾ الآية القصص: ٤٦. فالاحتجاج و التحدّي في هذه الآية و الآية الّتي قبلها تحدّ بما علمه النّبيّ عليه الصّلاة و السّلام من خبر القصّة الماضية. (٢٠: ٦٧)

مُرْسَلًا

وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفٰى بِاللهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ.
الرّعد: ٤٣

ابن عبّاس: ﴿لَسْتَ مُرْسَلًا﴾ من الله يا محمّد و إلّا فأتنا بشهيد يشهد لك. (٢١٠)

الواحديّ: ﴿لَسْتَ مُرْسَلًا﴾ إلينا بالنّبوّة. (٣: ٢١)

البغويّ: أي لست رسولًا إلينا. (٣: ٢٩)

ابن عَطيّة: لست مرسلًا من الله و إنّما أنت مدّع. (٣: ٣٢٠)

الطّبْرسيّ: ﴿لَسْتَ مُرْسَلًا﴾ من جهة الله تعالى إلينا. (٣: ٣٠١)

القُرطُبيّ: أي لست بنبيّ و لا رسول، و إنّما أنت متقوّل، أي لمّا لم يأتهم بما اقترحوا قالوا ذلك. (٩: ٣٣٥)

الْمُرْسَلُونَ

١ ـ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ اَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ. الحجر: ٥٧

الطّبْرسيّ: سمّاهم مُرسَلين لما علم أنّهم ملائكة. (٣: ٣٤٠)

٢ ـ فَلَمَّا جَاءَ اٰلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ. الحجر: ٦١

ابن عبّاس: جبريل و أعوانه. (٢١٩)

الطّوسيّ: الملائكة الّذين بعثهم الله لإهلاك قوم لوط. (٦: ٣٤٥)

ابن عَطيّة: قيل: إنّ الرّسل كانوا ثلاثة: جبريل، و ميكائيل، و إسرافيل، و قيل: كانوا اثني عشر. (٣: ٣٦٧)

٣ ـ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ اَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ.
الذّاريات: ٣١

ابن عاشور: المعنى: ما الخطب الّذي أُرسلتم لأجله، إذ لا تنزل الملائكة إلّا بالحقّ. و خاطبهم بقوله: ﴿اَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ لأنّه لا يعرف ما يسمّيهم به إلّا وصف أنّهم المرسلون، و ﴿الْمُرْسَلُونَ﴾ من صفات الملائكة، كما في قوله تعالى: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ المرسلات: ١، عن أحد تفسيرين. (٢٧: ٢٨)

الْمُرْسَلِينَ

١ ـ تِلْكَ اٰيَاتُ اللهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَاِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ. البقرة: ٢٥٢

الزّمَخشَريّ: حيث تُخبر بها من غير أن

تعرف بقراءة كتاب، و لاسماع أخبار. (١: ٣٨٢)

أبو السُّعود: أي من جملة الّذين أرسلوا إلى الأُمم لتبليغ رسالاتنا و إجراء أوامرنا و أحكامنا عليهم، فإنّ هذه المعاملة لاتجري بيننا و بين غيرهم، فهي شهادة منه سبحانه برسالته عليه الصّلاة و السّلام إثر بيان مايستوجبها، و التّأكيد من مقتضيات مقام الجاحدين بها. (١: ٢٩٢)

ابن عاشور: جيء بقوله: ﴿لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ دون أن يقول: و إنّك لرسول الله، للرّدّ على المنكرين بتذكيرهم أنّه ما كان بدعًا من الرّسل، و أنّه أرسله كما أرسل من قبله، و ليس في حاله ما ينقص عن أحوالهم. (٢: ٤٨١)

٢ ـ وَ لَقَدْ كَذَّبَ اَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ.

الحجر: ٨٠

ابن عبّاس: صالحًا و جملة المرسلين. (٢٢٠)

الزّمخشريّ: يعني بتكذيبهم صالحًا، لأنّ من كذّب واحدًا منهم فكأنّما كذّبهم جميعًا، أو أراد صالحًا و من معه من المؤمنين. (٢: ٣٩٦)

نحوه أبو السُّعود. (٤: ٣٠)

ابن عَطيّة: من حيث يجب بتكذيب رسول واحد تكذيب الجميع؛ إذ القول في المعتقدات واحد للرّسل أجمع. (٣: ٣٧٢)

الفخر الرّازيّ: المراد منه صالح وحده، و لعلّ القوم كانوا براهمة منكرين لكلّ الرّسل. (١٩: ٢٠٥)

القُرطُبيّ: قال: ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ و هو صالح وحده، و لكن من كذّب نبيًّا فقد كذّب الأنبياء كلّهم، لأنّهم على دين واحد في ، فلايجوز التّفريق بينهم. و قيل: كذّبوا صالحًا و من تبعه و من تقدّمه من النّبيّين أيضًا، و الله أعلم. (١٠: ٤٦)

ابن عاشور: تعريف ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ للجنس، فيصدق بالواحد؛ إذ المراد أنّهم كذّبوا صالحًا ﷺ فهو كقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ سورة الشّعراء: ١٠٥. (١٣: ٥٨)

الطَّباطَبائيّ: عدّهم مكذّبين لجميع المرسلين، و هم إنّما كذّبوا صالحًا المُرسَل إليهم، إنّما هو لكون دعوة الرّسل دعوة واحدة، و المكذّب لواحد منهم مكذّب للجميع. (١٢: ١٨٥)

٣ ـ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَ جَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ. الشّعراء: ٢١

الطّبَريّ: و ألحقني بعداد من أرسله إلى خلقه، مبلّغًا عنه رسالته إليهم بإرساله إيّاي إليك يا فرعون. (٩: ٤٣٨)

الطُّوسيّ: أي جعلني الله نبيًّا من جملة الأنبياء. (٨: ١٣)

نحوه الطَّبْرِسيّ. (٤: ١٨٧)

ابن عَطيّة: درجة ثانية للنّبوّة، فربّ نبيّ ليس برسول. (٤: ٢٢٨)

الآلوسيّ: ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ إشارة على ظاهر الأوّل من تفسيري الحُكم [بالنّبوّة أو علمًا و فهمًا] إلى تفضّله تعالى عليه برتبة هي فوق

رتبة النّبوّة، أعني رتبة الرّسالة. و لم يقل: فوهب لي ربّي حُكمًا و رسالةً، أو جعلني رسولًا إعظامًا لأمر الرّسالة، و تنبيهًا لفرعون، على أنّ رسالته عليه السّلام ليس أمرًا مبتدعًا، بل هو ممّا جرت به سُنّة الله تعالى شأنه. (١٩: ٦٩)

فضل الله: الّذين يحملون مسؤوليّة الدّعوة إلى الله و العمل في سبيله، و الإعلان بكلمة الحقّ الصّارخ أمام النّاس أجمعين، ممّن كان في أعلى درجات السُّلّم الاجتماعيّ، أو في أسفلها أو في وسطها. (١٧: ١٠٠)

٤ ـ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ. الشّعراء: ١٠٥

ابن عبّاس: نوحًا و جملة المرسلين الّذين ذكرهم نوح. (٣١٠)

الحسَن: لأنّهم بتكذيبهم نوحًا مكذّبون من جاء بعده من المرسلين. و لو لم يكن قبله نبيّ مُرسَل. (الطّوسيّ ٨: ٣٩)

الإمام الباقر عليه السّلام: يعني بـ ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ نوحًا و الأنبياء الّذين كانوا بينه و بين آدم عليه السّلام. (الطّبرسيّ ٤: ١٩٦)

الجُبّائيّ: كذّبوا من أرسل قبله. (الطّوسيّ ٨: ٣٩)

الطّبَريّ: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ رسل الله الّذين أرسلهم إليهم. (٩: ٤٥٧)

الثّعلبيّ: ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ يعني نوحًا وحده، كقوله: ﴿يَاءَيُّهَا الرُّسُلُ﴾ المؤمنون: ٥١.

[في حديث، قيل للحسين:] يا أبا سعيد أرأيت قوله عزّ و جلّ: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ و ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ﴾ الشّعراء: ١٢٣، و ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾ الشّعراء: ١٤١، و إنّما أرسل إليهم رسولًا واحدًا؟

قال: إنّ الآخر جاء بما جاء به الأوّل، فإذا كذّبوا واحدًا فقد كذّبوهم أجمعين. (٧: ١٧٢)

الطُّوسيّ: يقول الله تعالى مخبرًا عن قوم نوح أنّهم كذّبوا الّذين أرسلهم الله بالنّبوّة. و إنّما كذّبوهم جميعهم، لأنّهم كذّبوا كلّ من دعا إلى توحيد الله، و خلع عبادة الأصنام ممّن مضى من الرّسل، و غيرهم ممّن يأتي. (٨: ٣٩)

نحوه ابن عَطيّة (٤: ٢٣٧)، و الطّبْرِسيّ (٤: ١٩٦).

الفَخر الرّازيّ: إنّما حكى عنهم أنّهم كذّبوا المرسلين لوجهين:

أحدهما: أنّهم و إن كذّبوا نوحًا، لكن تكذيبه في المعنى يتضمّن تكذيب غيره، لأنّ طريقة معرفة الرّسل لاتختلف، فمن حيث المعنى حكى عنهم أنّهم كذّبوا المرسلين.

و ثانيهما: أنّ قوم نوح كذّبوا بجميع رسل الله تعالى، إمّا لأنّهم كانوا من الزّنادقة أو من البراهمة. (٢٤: ١٥٤)

القُرطُبيّ: قال: ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ لأنّ من كذّب رسولًا فقد كذّب الرّسل، لأنّ كلّ رسول يأمر بتصديق جميع الرّسل.

و قيل: كذّبوا نوحًا في النّبوّة، و فيما أخبرهم به من مجيء المرسلين بعده.

و قيل: ذكر الجنس و المراد نوح عليه السلام.

(١٣: ١١٩)

نحوه الشّربينيّ. (٣: ٢٢)

أبو السُّعود: تكذيبهم للمرسلين إمّا باعتبار إجماع الكلّ على التّوحيد و أصول الشّرائع الّتي لا تختلف باختلاف الأزمنة و الأعصار، و إمّا لأنّ المراد بالجمع الواحد، كما يقال: فلان يركب الدّوابّ و يلبس البرود، و ما له إلّا دابّة و بُردة.

(٥: ٥١)

نحوه الآلوسيّ (١٩: ١٠٦)، و مَغْنيّة (٥: ٥٠٦).

البُرُوسَويّ: [نحو أبي السُّعود و أضاف:]

أو لأنّ كلّ رسول يأمر بتصديق جميع الرّسل.

(٦: ٢٩١)

ابن عاشور: جُمع ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ و إنّما كذّبوا رسولًا واحدًا أوّل الرّسل، و لم يكن قبلَه رسول و هم أوّل المكذّبين. فإنّما جُمع، لأنّ تكذيبهم لم يكن لأجل ذاته، و لكنّه كان لإحالتهم أن يرسل الله بشرًا، و أن تكون عبادة أصنامهم ضلالًا، فكان تكذيبهم إيّاه مقتضيًا تكذيب كلّ رسول، لأنّ كلّ رسول يقول مثل ما قاله نوح عليه السلام، و لذلك تكرّر في قوله: ﴿كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ﴾ الشّعراء: ١٢٣، و ما بعده. و قد حكي تكذيبهم أن يكون الرّسول بشرًا في قوله: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ﴾ الأعراف: ٦٣.

و سيأتي حكاية تكذيب عاد و ثمود و قوم لوط و أصحاب لَيْكَة على هذا النّمط، فيما تكرّر من قوله: ﴿كَذَّبَتْ﴾ و قوله: ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾

(١٩: ١٦٦)

الطَّبَاطَبائيّ: عَدّ القوم مكذّبين للمرسلين مع أنّهم لم يكذّبوا إلّا واحدًا منهم و هو نوح عليه السلام، إنّما هو من جهة أنّ دعوتهم واحدة و كلمتهم متّفقة على التّوحيد، فيكون المكذّب للواحد منهم مكذّبًا للجميع، و لذا عدّ الله سبحانه الإيمان ببعض رسله دون بعض كفرًا بالجميع، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذٰلِكَ سَبِيلًا * أُولٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ النّساء: ١٥٠، ١٥١.

و قيل: هو من قبيل قولهم: فلان يركب الدّوابّ و يلبس البرود، و ليس له إلّا دابّة واحدة و بردة واحدة، فيكون الجمع كناية عن الجنس؛ و الأوّل أوجه. و نظير الوجهين جار في قوله الآتي: ﴿كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ﴾ الشّعراء: ١٢٣، و ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾ الشّعراء: ١٤١، و غيرهما. (١٥: ٢٩٥)

نحوه مكارم الشّيرازيّ. (١١: ٣٦٦)

فضل الله: ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ الّذين يُمثّلهم هذا النّبيّ الكريم في دعوته الّتي تلتقي في عناصرها الأساسيّة برسالاتهم. و بذلك كان تكذيبهم له تكذيبًا لهم، لأنّهم يتّفقون في دعوة التّوحيد، و لذا

عدّ الله سبحانه الإيمان ببعض رسله دون بعض كفرًا بالجميع، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذٰلِكَ سَبِيلًا * أُولٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ النساء: ١٥٠، ١٥١. (١٧: ١٣٤)

٥ ـ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ.

القصص: ٦٥

ابن عاشور: المراد بـ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ محمّد ﷺ كما في قوله تعالى في سورة سبأ: ٤٥ ﴿فَكَذَّبُوا رُسُلِي﴾، و له نظائر في القرآن، منها قوله: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ يريد محمّدًا ﷺ في سورة يونس: ١٠٣، و قوله: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ الآيات في سورة الشّعراء: ١٠٥، و إنّما كذّب كلّ فريق من أولئك رسولًا واحدًا. و الّذي اقتضى صيغة الجمع أنّ جميع المكذّبين إنّما كذّبوا رسلهم بعلّة استحالة رسالة البشر إلى البشر، فهم إنّما كذّبوا بجنس المرسلين، و لام الجنس إذا دخلت على «جميع» أبطلت منه معنى الجمعيّة. (٢٠: ٩٣)

الْمُرْسَلَاتِ

وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا. المرسلات: ١

ابن مَسعود: هي الرّيح.

مثله ابن عبّاس، و أبوصالح، و مُجاهِد، و قَتادَة.

(الطّبريّ ١٢: ٣٧٧)

هي الملائكة.

مثله مسروق (الطّبريّ ١٢: ٣٧٨)، و الفرّاء (٣: ٢٢١)، و ابن قُتَيْبَة (٥٠٥). الطّبريّ ١٢: ٣٧٨)

أبوصالح: هي الرّسل تُرسَل بالعرف.

((الطّبريّ ١٢: ٣٧٨)

ابن عبّاس: يقول: أقسم الله بالملائكة كثيرًا كعُرف الفرس. و يقال: هم الملائكة الّذين أرسلوا بالمعروف، يعني جبريل و ميكائيل و إسرافيل.

(٤٩٧)

هم الأنبياء أُرسلوا بلا إله إلّا الله.

(القُرطُبيّ ١٩: ١٥٢)

الحسَن: ﴿الْمُرْسَلَاتِ﴾: السّحاب.

(ابن عَطيّة ٥: ٤١٦)

أبوعُبَيْدَة: [هي] الملائكة و الرّيح.

(ابن الجَوْزيّ ٨: ٤٤٥)

الطّبَريّ: اختلف أهل التّأويل في معنى قول الله: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ فقال بعضهم معنى ذلك: و الرّياح المرسلات يتبع بعضها بعضًا. قالوا: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ﴾: هي الرّياح.

و قال آخرون: بل معنى ذلك: و الملائكة الّتي تُرسَل بالعُرف. قالوا: فتأويل الكلام و الملائكة الّتي أرسلت بأمر الله و نهيه، و ذلك هو العرف.

(١٢: ٣٧٧)

الزّجّاج: جاء في التّفسير أنّها الرّياح أرسلت كعُرف الفرس. (٥: ٢٦٥)

نحوه الثّعلبيّ (١٠: ١٠٨)، و الواحديّ (٤:

٤٠٧)، و البغويّ (٥: ١٩٥).

القُمّيّ: الآيات يتبع بعضها بعضًا. (٢: ٤٠٠)

الماوَرْديّ: فيه ثلاثة أقاويل: [نقل قولين ثمّ أضاف:]

الثّالث: أنّها الرّيح تُرسَل بما عرفها اللّه تعالى.

و يحتمل رابعًا: أنّها السُّحب لما فيها من نعمة و نقمة عارفة بما أُرسلت فيه، و من أُرسلت إليه.

و يحتمل خامسًا: أنّها الزّواجر و المواعظ. (٦: ١٧٥)

الطُّوسيّ: هذا قسم من اللّه تعالى بالمرسلات، كما أقسم بصاد، و قاف، و يس، و غير ذلك.

و قال قوم: تقديره: و ربّ المرسلات، لأنّه لا يجوز القسم إلّا باللّه.

و قال قوم: ﴿الْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ الأنبياء جاءت بالمعروف. و الإرسال نقيض الإمساك، و مثله الإطلاق و نقيضه التّقييد. و الإرسال أيضًا إنفاذ الرّسول.

و قوله: ﴿عُرْفًا﴾ أي متتابعة كعُرف الفرس، و قيل: معروفًا، إرسالها. و إرسال الرّياح إجراء بعضها في أثر بعض. (١٠: ٢٢٣)

الزّمَخْشَريّ: أقسم سبحانه بطوائف من الملائكة أرسلهنّ بأوامره، فعصفن في مُضيّهنّ كما تعصف الرّياح تخفّفًا في امتثال أمره، و بطوائف منهم نشرن أجنحتهنّ في الجوّ عند انحطاطهنّ بالوحي...

أو أقسم برياح عذاب أرسلهنّ، فعصفن، و برياح رحمة نشرن السّحاب في الجوّ ففرقن بينه، كقوله: ﴿وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا﴾ الرّوم: ٤٨.

أو بسحائب نشرن الموات ففرقن بين من يشكر للّه تعالى و بين من يكفر...

و إمّا إنذارًا للّذين يغفلون الشّكر للّه و ينسبون ذلك إلى الأنواء، و جعلن مُلقيات للذّكر لكونهنّ سببًا في حصوله إذا شكرت النّعمة فيهنّ أو كفرت. (٤: ٢٠٢)

ابن عَطيّة: قال كثير من المفسّرين: ﴿الْمُرْسَلَاتِ﴾: الرّسل إلى النّاس من الأنبياء، كأنّه قال: و الجماعات المرسلات. (٥: ٤١٦)

الفَخْر الرّازيّ: في الآية مسائل:

المسألة الأُولى: اعلم أنّ هذه الكلمات الخمس إمّا أن يكون المراد منها جنسًا واحدًا، أو أجناسًا مختلفة.

أمّا الاحتمال الأوّل، فذكروا فيه وجوهًا:

الأوّل: أنّ المراد منها بأسرها الملائكة، فـ ﴿الْمُرْسَلَاتِ﴾ هم الملائكة الّذين أرسلهم اللّه إمّا بإيصال النّعمة إلى قوم، أو لإيصال النّقمة إلى آخرين. [إلى أن قال:]

و اعلم أنّك قد عرفت أنّ المقصود من القسم التّنبيه على جلالة المقسم به، و شرف الملائكة و علوّ رتبتهم أمر ظاهر من وجوه:

أحدها: شدّة مواظبتهم على طاعة اللّه تعالى، كما قال تعالى: ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ النّحل: ٥٠، ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ الأنبياء: ٢٧.

و ثانيها: أنّهم أقسام: فمنهم من يُرسَل لإنزال الوحي على الأنبياء، و منهم من يُرسَل للزوم بني آدم لكتابة أعمالهم، طائفة منهم بالنّهار و طائفة منهم باللّيل، و منهم من يُرسَل لقبض أرواح بني آدم، و منهم من يُرسَل بالوحي من سماء إلى أخرى، إلى أن ينزل بذلك الوحي ملك السّماء إلى الأرض، و منهم الملائكة الّذين ينزلون كلّ يوم من البيت المعمور إلى الكعبة، على ما روي ذلك في الأخبار. فهذا ممّا ينتظمه قوله: ﴿الْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾.

ثمّ ما فيها من سرعة السّير، و قطع المسافات الكثيرة في المدّة اليسيرة، كقوله: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ المعارج: ٤، ثمّ ما فيها من نشر أجنحتهم العظيمة عند الطّيران، و نشر العلم و الحكمة و النّبوّة و الهداية و الإرشاد و الوحي و التّنزيل، و إظهار الفرق بين الحقّ و الباطل، بسبب إنزال ذلك الوحي و التّنزيل، و إلقاء الذّكر في القلب و اللّسان بسبب ذلك الوحي.

و بالجملة فالملائكة هم الوسائط بين الله تعالى، و بين عباده في الفوز بجميع السّعادات العاجلة و الآجلة و الخيرات الجسمانيّة و الرّوحانيّة، فلذلك أقسم الله بهم.

القول الثّاني: أنّ المراد من هذه الكلمات الخمس بأسرها الرّياح، أقسم الله برياح عذاب أرسلها عرفًا، أي متتابعة كشعر العُرف، كما قال: ﴿يُرْسِلَ الرِّيَاحَ﴾ الرّوم: ٤٦، ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ﴾ الحجر: ٢٢. [إلى أن قال:]

القول الثّالث: من النّاس من حمل بعض هذه الكلمات الخمس على القرآن، و عندي أنّه يمكن حمل جميعها على القرآن، فقوله: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ﴾ المراد منها: الآيات المتتابعة المرسَلة على لسان جبريل عليه السلام إلى محمّد صلى الله عليه وآله، و قوله: ﴿عُرْفًا﴾ أي نزلت هذه الآيات بكلّ عُرف و خير. و كيف لا و هي الهادية إلى سبيل النّجاة و الموصلة إلى مجامع الخيرات. [إلى أن قال:]

فظهر أنّه يمكن تفسير هذه الكلمات الخمس بالقرآن، و هذا و إن لم يذكره أحد فإنّه محتمل.

القول الرّابع: يمكن حملها أيضًا على بعثة الأنبياء عليهم السلام ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ﴾ هم الأشخاص الّذين أرسلوا بالوحي المشتمل على كلّ خير و معروف. فإنّه لاشكّ أنّهم أرسلوا بلا إله إلّا الله، و هو مفتاح كلّ خير و معروف. [إلى أن قال:]

القول الخامس: أن يكون المراد أنّ الرّجل قد يكون مشتغلًا بمصالح الدّنيا مستغرقًا في طلب لذّاتها و راحاتها، ففي أثناء ذلك يرد في قلبه داعية الإعراض عن الدّنيا و الرّغبة في خدمة المولى، فتلك الدّواعي هي: ﴿الْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾، ثمّ هذه ﴿الْمُرْسَلَاتِ﴾ لها أثران: أحدهما: إزالة حبّ ماسوى الله تعالى عن القلب، و هو المراد من قوله: ﴿فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا﴾ المرسلات: ٢، و الثّاني: ظهور أثر تلك الدّاعية في جميع الجوارح و الأعضاء حتّى لا يسمع إلّا الله، و لا يبصر إلّا الله، و لا ينظر إلّا

الله. فـذلك هو قولـه: ﴿وَالنَّاشِـرَاتِ نَشْـرًا﴾ المرسلات: ٣. ثمّ عند ذلك ينكشف له نور جلال الله فيراه موجودًا. ويرى كلّ ماسواه معدومًا. فذلك قوله: ﴿فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا﴾ المرسلات: ٤. ثمّ يصير العبد كالمشتهر في محبّته، و لايبقى في قلبه و لسانه إلّا ذكره. فذلك قوله: ﴿فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا﴾ المرسلات: ٥.

و اعلم أنّ هذه الوجوه الثّلاثة الأخيرة، و إن كانت غير مذكورة إلّا أنّها محتملة جدًّا.

و أمّا الاحتمال الثّاني: و هو أن لايكون المراد من الكلمات الخمس شيئًا واحدًا، ففيه وجوه:

الأوّل: ما ذكره الزّجّاج و اختيار القاضي، و هو أنّ الثّلاثة الأُول هي الرّياح، فقوله: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ هي الرّياح الّتي تتّصل على العرف المعتاد. ﴿وَالْعَاصِفَاتِ﴾ ما يشتدّ منه، ﴿وَالنَّاشِرَاتِ﴾ ما ينشر السّحاب.

أمّا قوله: ﴿فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا﴾ فهم الملائكة الّذين يفرقون بين الحقّ و الباطل، و الحلال و الحرام، بما يتحمّلونه من القرآن و الوحي، و كذلك قوله: ﴿فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا﴾ أنّها الملائكة المتحمّلة للذّكر الملقية ذلك إلى الرّسُل.

فإن قيل: و ما المجانسة بين الرّياح و بين الملائكة حتّى يجمع بينهما في القسم؟

قلنا: الملائكة روحانيّون، فهم بسبب لطافتهم و سرعة حركاتهم كالرّياح.

القول الثّاني: أنّ الاثنين الأوّلين هما الرّياح، فقوله: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ❁ فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا﴾ هما الرّياح، و الثّلاثة الباقية الملائكة، لأنّها تنشر الوحي و الدّين، ثمّ لذلك الوحي أثران: أحدهما: حصول الفرق بين المحقّ و المبطل، و الثّاني: ظهور ذكر الله في القلوب و الألسنة.

و هذا القول ما رأيته لأحد، و لكنّه ظاهر الاحتمال أيضًا، و الّذي يؤكّده أنّه قال: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ❁ فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا﴾ عطف الثّاني على الأوّل بحرف الفاء، ثمّ ذكر الواو فقال: ﴿وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا﴾، و عطف الاثنين الباقيين عليه بحرف الفاء، و هذا يقتضي أن يكون الأوّلان ممتازين عن الثّلاثة الأخيرة.

القول الثّالث: يمكن أيضًا أن يقال: المراد بالأوّلين الملائكة، فقوله: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ ملائكة الرّحمة، و قوله: ﴿فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا﴾ ملائكة العذاب، و الثّلاثة الباقية آيات القرآن، لأنّها تنشر الحقّ في القلوب و الأرواح، و تفرق بين الحقّ و الباطل، و تلقي الذّكر في القلوب و الألسنة. و هذا القول أيضًا ما رأيته لأحد، و هو محتمل. و من وقف على ما ذكرناه أمكنه أن يذكر فيه وجوهًا، و الله أعلم بمراده.

المسألة الثانية: قال القفّال: الوجه في دخول الفاء في بعض ما وقع به القسم، و الواو في بعض مبنيّ على الأصل، و هو أنّ عند أهل اللّغة الفاء تقتضي الوصل و التّعلّق، فإذا قيل: قام زيد فذهب، فالمعنى أنّه قام ليذهب، فكأنّ قيامه سببًا لذهابه و متّصلًا

به. و إذا قيل: قام و ذهب فهما خبران كلّ واحد منهما قائم بنفسه، لايتعلّق بالآخر. ثمّ إنّ القفّال لـمّا مهّد هذا الأصل فرّع الكلام عليه في هذه الآية بوجُوه لايميل قلبي إليها. و أنا أفرّع على هذا الأصل فأقول:

أمّا من جعل الأوّلين صفتين لشيء و الثّلاثة الأخيرة صفات لشيء واحد، فالإشكال عنه زائل.

و أمّا من جعل الكلّ صفات لشيء واحد، فنقول: إن حملناها على الملائكة، فالملائكة إذا أرسلت طارت سريعًا، و ذلك الطّيران هو العصف، فالعصف مرتّب على الإرسال، فلاجرم ذكر الفاء.

أمّا النّشر فلايترتّب على الإرسال، فإنّ الملائكة أوّل ما يبلّغون الوحي إلى الرّسل لايصير في الحال ذلك الدّين مشهورًا منتشرًا، بل الخلق يؤذون الأنبياء في أوّل الأمر و ينسبونهم إلى الكذب و السّحر و الجنون، فلاجرم لم يذكر الفاء الّتي تفيد التّعقيب بل ذكر الواو.

بلى إذا حصل النّشر ترتّب عليه حصول الفرق بين الحقّ و الباطل، و ظهور ذكر الحقّ على الألسنة، فلاجرم ذكر هذين الأمرين بحرف الفاء، فكأنّه ـ و الله أعلم قيل: يا محمّد إنّي أرسلت الملك إليك بالوحي الّذي هو عنوان كلّ سعادة، و فاتحة كلّ خير، و لكن لاتطمع في أن تنشر ذلك الأمر في الحالة، و لكن لابدّ من الصّبر و تحمّل المشقّة. ثمّ إذا جاء وقت النّصرة أجعل دينك ظاهرًا منتشرًا في شرق العالم و غربه، و عند ذلك الانتشار يظهر الفرق فتصير الأديان الباطلة ضعيفة ساقطة، و دينك هو الدّين الحقّ ظاهرًا غالبًا، و هنالك يظهر ذكر الله على الألسنة، و في المحاريب و على المنابر، و يصير العالم مملوءً من ذكر الله. فهذا إذا حملنا هذه الكلمات الخمس على الملائكة، و من عرف هذا الوجه أمكنه ذكر ما شابهه في الرّياح و سائر الوجُوه. و الله أعلم. (٣٠: ٣٦٤)

القُرطُبيّ: جمهور المفسّرين على أنّ ﴿الْمُرْسَلَاتِ﴾ الرّياح. [ثمّ نقل الأقوال الأُخرى] (١٩: ١٥٢)

نحوه الشّربينيّ. (٤: ٤٦٢)

البَيْضاويّ: إقسام بطوائف من الملائكة أرسلهنّ الله تعالى بأوامره متتابعة، فعصفن عصف الرّياح في امتثال أمره، و نشرن الشّرائع في الأرض أو نشرن النّفوس الموتى بالجهل بما أُوحين من العلم، ففرقن بين الحقّ و الباطل، فألقين إلى الأنبياء ذكرًا عذرًا للمحقّين و نذرًا للمبطلين.

أو بآيات القرآن المُرسَلة بكلّ عُرف إلى محمّد ﷺ فعصفن سائر الكتب و الأديان بالنّسخ، و نشرن آثار الهدى و الحكم في الشّرق و الغرب، و فرقن بين الحقّ و الباطل، فألقين ذكر الحقّ فيما بين العالمين.

أو بالنّفوس الكاملة المرسلة إلى الأبدان لاستكمالها، فعصفن ما سوى الحقّ، و نشرن أثر ذلك في جميع الأعضاء، ففرقن بين الحقّ بذاته و الباطل في نفسه، فيرون كلّ شيء هالكًا إلّا وجهه، فألقين ذكرًا بحيث لايكون في القلوب

و الألسنة إلّا ذكر الله تعالى.

أو برياح عذاب أرسلن فعصفن، و رياح رحمة نشرن السّحاب في الجوّ، ففرقن فألقين ذكرًا أي تسبّبن له، فإنّ العاقل إذا شاهد هبوبها و آثارها ذكر الله تعالى، و تذكّر كمال قدرته. (٢: ٥٢٩)

أبو السُّعود: [نحو الزّمخشريّ و أضاف:]

أو إقسام بآيات القرآن المرسلة إلى رسول الله ﷺ، فعصفن سائر الكتب بالنّسخ، و نشرن آثار الهدى من مشارق الأرض و مغاربها، و فرقن بين الحقّ و الباطل، فألقين ذكر الحقّ في أكناف العالمين. (٦: ٣٤٧)

الكاشانيّ: أقسم بطوائف من الملائكة أرسلهنّ الله بالمعروف من أوامره و نواهيه. [إلى أن قال:]

أقول: كأنّه أشار بذلك إلى الملائكة المرسلة بآيات الرّجعة و أشراط السّاعة، و لإثارة التّراب من القبور و نشر الأموات منها، و إخراج دابّة الأرض، و تفريق المؤمن من الكافر، و إلقاء الذّكر في قلوب النّاس. (٥: ٢٦٧)

البُرُوسَويّ: الواو للقسم، و ﴿الْمُرْسَلَاتِ﴾ بمعنى الطّوائف، ﴿الْمُرْسَلَاتِ﴾ جمع مرسَلة، بمعنى طائفة مرسَلة، باعتبار أنّ ملائكة كلّ يوم أو كلّ عام أو كلّ حادثة طائفة. (١٠: ٢٨٠)

شُبّر: [نحو البَيضاويّ و أضاف:]

و قيل: الثّلاث الأُول أو الأُوليان للرّياح، و الباقيتان أو البواقي للملائكة، و يعضد الأخير عطف الثّانية على الأُولى بفاء السّببيّة، و الثّالثة بالواو، و عطف الأخيرتين عليها بالفاء. (٦: ٣٣٩)

المَراغيّ: أي أُقسم بملائكتي الّذين أرسلتهم بالإحسان و المعروف، ليبلّغوه أنبيائي و رسلي. (٢٩: ١٧٩)

ابن عاشور: قسَم بمخلوقات عظيمة دالّة على عظيم علم الله تعالى و قدرته.

و المقصود من هذا القسم تأكيد الخبر، و في تطويل القسَم تشويق السّامع لتلقّي المقسم عليه.

فيجوز أن يكون المراد بموصوفات هذه الصّفات نوعًا واحدًا، و يجوز أن يكون نوعين أو أكثر من المخلوقات العظيمة. [و بعد نقل بعض الأقوال قال:]

و يتحصّل من هذا أنّ الله أقسَم بجنسين من مخلوقاته العظيمة مثل قوله: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ * وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾ البروج: ١، ٢، و مثله تكرّر في القرآن.

و يتّجه في توزيعها أنّ الصّفات الّتي عطفت بالفاء تابعة لجنس ما عطفت هي عليه، و الّتي عطفت بالواو يترجّح أنّها صفات جنس آخر.

فالأرجح أنّ ﴿الْمُرْسَلَاتِ﴾ و ﴿الْعَاصِفَاتِ﴾ صفتان للرّياح، و أنّ ما بعدها صفات للملائكة، و الواو الثّانية للعطف، و ليست حرف قسَم.

و مناسبة الجمع بين هذين الجنسين في القسَم أنّ كليهما من الموجودات العلويّة، لأنّ الأصل في العطف بالواو أن يكون المعطوف بها ذاتًا غير المعطوف عليه. [إلى أن قال:]

و لنتكلّم على هذه الصّفات:

فأمّا ﴿الْمُرْسَلَاتِ﴾ فإذا جُعل وصفًا للملائكة كان المعنيّ بهم المرسلين إلى الرّسل و الأنبياء، مثل جبريل في إرساله بالوحي، و غيره من الملائكة الّذين يبعثهم الله إلى بعض أنبيائه بتعليم أو خبر أو نصر، كما في قوله تعالى عن زكريّا: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلٰئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ...﴾ آل عمران: ٣٩، أو ﴿الْمُرْسَلَاتِ﴾ بتنفيذ أمر الله في العذاب مثل المرسلين إلى قوم لوط، و ﴿عُرْفًا﴾ حال مفيدة معنى التّشبيه البليغ، أي مثل عرف الفرس في تتابع الشّعر بعضه ببعض، يقال: هم كعُرف الضّبع، إذا تألّبوا، و يقال: جاؤوا عرفًا واحدًا، و هو صالح لوصف الملائكة و لوصف الرّيح. (٢٩: ٣٨٨)

مَغْنِيّة: قيل، هي الملائكة، و أنّ المراد بالعُرف المعروف، و أنّه مفعول من أجله للمرسلات. و المعنى: أنّ الله يرسل ملائكته من أجل تبليغ الوحي للأنبياء و غير ذلك من الخيرات.

و قيل: المراد بـ ﴿الْمُرْسَلَاتِ﴾: الرّياح، و بـ «العرف»: التّتابع، و قد نُصب على الحال، و المعنى: يرسل الله الرّياح متتابعة. (٧: ٤٨٩)

نحوه فضل الله. (٢٣: ٢٨٩)

الطَّباطَبائيّ: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ الآية، و ما يتلوها إلى تمام ستّ آيات، إقسام منه تعالى بأمور يعبّر عنها بالمرسَلات، فالعاصفات، و النّاشرات، فالفارقات، فالمُلقيات ذكرًا عذرًا أو نذرًا، و الأوليان أعني ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ و ﴿فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا﴾ لا تخلوان لو خُلّيتا و نفسهما مع الغضّ عن السّياق، من ظهور ما في الرّياح المتعاقبة الشّديدة الهبوب، لكنّ الأخيرة أعني: ﴿فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا * عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ كالصّريحة في الملائكة النّازلين على الرّسل، الحاملين لوحي الرّسالة، الملقين له إليهم إتمامًا للحجّة، أو إنذارًا، و بقيّة الصّفات لا تأبى الحمل على ما يناسب هذا المعنى.

و حمل جميع الصّفات الخمس على إرادة الرّياح كما هو ظاهر ﴿الْمُرْسَلَاتِ﴾ و ﴿الْعَاصِفَاتِ﴾ على ما عرفت، يحتاج إلى تكلّف شديد في توجيه الصّفات الثّلاث الباقية، و خاصّة في الصّفة الأخيرة.

و كذا حمل ﴿الْمُرْسَلَاتِ﴾ و ﴿الْعَاصِفَاتِ﴾ على إرادة الرّياح، و حمل الثّلاث الباقية أو الأخيرتين أو الأخيرة فحسب على ملائكة الوحي؛ إذ لا تناسب ظاهرًا بين الرّياح و بين ملائكة الوحي حتّى يقارَن بينها في الإقسام و يُنظَم الجميع في سلك واحد، و ما وجّهوه به من مختلف التّوجيهات معان بعيدة عن الذّهن، لا ينتقل إليها في مفتتح الكلام من غير تنبيه سابق.

فالوجه هو الغضّ عن هذه الأقاويل، و هي كثيرة جدًّا لا تكاد تنضبط، و حمل المذكورات على إرادة ملائكة الوحي كنظيرتها في مفتتح سورة الصّافّات: ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا * فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا *

فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ﴾ الصّافّات: ١ ـ ٣، و في معناها قوله تعالى: ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا * لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ ﴾ الجنّ: ٢٦ ـ ٢٨.

فقوله: ﴿ وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴾ إقسام منه تعالى بها، و العُرف بالضمّ فالسّكون: الشّعر النّابت على عُنُق الفرس، و يُشبّه به الأمور إذا تتابعت، يقال: جاؤوا كعُرف الفرس، و يستعار فيقال: جاءت القطا عُرفًا، أي متتابعة و جاؤوا إليه عُرفًا واحدًا، أي متتابعين. و العُرف أيضًا المعروف من الأمر و النّهي.

و ﴿ عُرْفًا ﴾ حال بالمعنى الأوّل، مفعول له بالمعنى الثّاني، و الإرسال خلاف الإمساك، و تأنيث ﴿ الْمُرْسَلَاتِ ﴾ باعتبار الجماعات أو باعتبار الرّوح الّتي تنزل بها الملائكة، قال تعالى: ﴿ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ النّحل: ٢، و قال: ﴿ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ المؤمن: ١٥.

و المعنى: أُقسم بالجماعات المرسلات من ملائكة الوحي.

و قيل: المراد بـ ﴿ الْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴾: الرّياح المتتابعة المرسَلة، و قد تقدّمت الإشارة إلى ضعفه، ومثله في الضّعف، القول: بأنّ المراد بها الأنبياء عليهم السلام فلايلائمه ما يتلوها. (٢٠ : ١٤٥)

عبدالكريم الخطيب: اختلف المفسّرون في معنى ﴿ الْمُرْسَلَاتِ ﴾، و تعدّدت مقولاتهم فيها، و كثرت الرّوايات و الأسانيد الّتي تضاف إلى صحابة رسول الله في هذا المقام. و هذا الاختلاف الشّديد بين تلك المقولات، ممّا يضعف هذه الرّوايات، بل و يكذّب نسبتها إلى من نُسبت ادّعاء إليهم؛ إذ لو كانت صحيحة لما كانت إلّا قولًا واحدًا، لأنّ صحابة رسول الله لم يقولوا في تأويل كلام الله برأيهم، بل كلّ ما صحّت نسبته إليهم من أقوال في معنى حرف أو كلمة أو آية، هو ممّا علموه من رسول الله صلوات الله و سلامه عليه، و ليس للرّسول الكريم إلّا قول واحد في المقام الواحد، ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ النّجم: ٣.

و على هذا فإنّ ما نقوله أو يقوله غيرنا في تفسير كلمة ﴿ الْمُرْسَلَاتِ ﴾ هو اجتهاد في تحرّي أقرب المفاهيم الّتي يطمئنّ إليها كلّ مفسّر، حسب ما أدّاه إليه اجتهاده.

و هنا لابأس أن يختلف المفسّرون؛ إذ ليس قول أحدهم حجّة على الآخرين، و ذلك على خلاف ما إذا نُسب التّفسير إلى أحد من صحابة رسول الله ﷺ، فإنّه إذا ثبتت نسبته إليه كان حجّة علينا.

و الرّأي الّذي نرتضيه من آراء المفسّرين في تفسير كلمة ﴿ الْمُرْسَلَاتِ ﴾ هو القول بأنّها الرّياح، فقد جاءت كلمة ﴿ الْعَاصِفَاتِ ﴾ بعدها قرينة قويّة على أنهما من مورد واحد، و إن اختلفا قوّة و ضعفًا.

فقد جاء في القرآن الكريم وصف الرّيح بهذا الوصف، فقال تعالى:

﴿وَ لِسُلَيْمٰنَ الرِّيحَ عَاصِفَةً﴾ الأنبياء: ٨١، و القرآن يفسّر بعضه بعضًا، و يشهد بعضه لبعض.

و هناك قرينة أُخرى، و هي أنّ القرآن الكريم قد أكثر من لفظ «أرسل»، و «يرسل» عند الحديث عن الرّياح، كما يقول سبحانه: ﴿وَ هُوَ الَّذِى يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ﴾ الأعراف: ٥٧، و قوله سبحانه: ﴿وَ أَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾ الحجر: ٢٢، و قوله تبارك اسمه: ﴿فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ﴾ الإسراء: ٦٩.

فقوله تعالى: ﴿وَ الْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ هو قسم بالرّياح المرسلة من عند الله، في هبوب دائم، على الوجه المعروف للنّاس من الرّياح. (١٥: ١٣٨٩)

مكارم الشّيرازيّ: يوجد هنا ثلاثة تفاسير مهمّة:

١ ـ إنّ هذه الأقسام الخمسة إشارة إلى الرّياح و العواصف الّتي لها الأثر البالغ في كثير من مسائل الطّبيعة في العالم، فيُصبح معنى الآيات حينئذ: أقسم بالرّيح الشّديدة الهبوب، و أُقسم بالأعاصير السّريعة، و أُقسم بالنّاشرات السّحاب الّتي تنزل المطر إلى الأراضي الميتة، و أُقسم بالرّياح الّتي تفرّق السّحاب بعد هطول المطر، و أُقسم بالرّياح المذكّرة بالله.

و قال البعض: إنّ ﴿فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا﴾ إشارة إلى أعاصير العذاب النّقيضة للرّياح الباعثة للحياة، و الّتي تعتبر بدورها سببًا للتّذكّر و اليقظة.

٢ ـ إنّ هذه الأقسام إشارة إلى ملائكة السّماء: أي أُقسم بالملائكة المرسَلة تباعًا إلى الأنبياء، و الملائكة المرسلين بالمناهج المعروفة، و أُقسم بأُولئك المسرعين كالأعصار لتنفيذ مهامّهم، و الّذين ينشرون ما أنزل الله على الأنبياء، و أُولئك الّذين يفصلون بعملهم هذا الحقّ عن الباطل، و الّذين يُلقون ذكر الحقّ و أوامر الله على الأنبياء.

٣ ـ القسم الأوّل و الثّاني ناظر إلى الرّياح و الأعاصير، و القسم الثّالث و الرّابع و الخامس يتعلّق بنشر آيات الحقّ بواسطة الملائكة، ثمّ فصل الحقّ عن الباطل، و بعد ذلك إلقاء الذّكر و الأوامر الإلهيّة على الأنبياء، بقصد إتمام الحجّة و الإنذار.

و ما يمكن أن يكون شاهدًا على التّفسير الثّالث هو:

أوّلًا: عزل المجموعتين عن الأقسام الّتي في الآيات «بالواو»، و الحال أنّ البقيّة عُطفت بالفاء و هي علامة ارتباطهم.

ثانيًا: إنّ هذه الأقسام ـ كما سوف نرى ـ هي لموضوع قد ورد في الآية السّابعة، أي أحقّيّة البعث و المعاد و واقعيّته، و نعلم أنّ تغيّرًا عظيمًا يحصل في الدّنيا عند البعث؛ حيث العواصف الشّديد و الزّلازل و الحوادث المحرّكة من جهة، ثمّ تشكيل محكمة العدل الإلهيّة من جهة أُخرى، و عندها تنشر الملائكة صحائف الأعمال، و يفصلون بين المؤمنين و الكافرين، ليلقوا الحكم الإلهيّ في هذا المجال.

و إذا كان تبيان هذه الأقسام الخمسة مطابقًا لهذا التّفسير، فإنّه سوف يتناسب مع المقسم به،

و هذا فإنّ التّفسير الأخير أفضل للـذّكر في جملـة ﴿فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا﴾، و أمّا أن يكون بمعنى العلوم الملقاة على الأنبياء، أو الآيات النّازلة عليهم، و نحن نعلم أنّ القرآن جاء التّعبير عنه بالذّكر، و هو كما في الآية : ٦، من سورة الحجر: ﴿وَقَالُوا يَاأَيُّهَا الَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ اِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾.

كلمة ﴿الْمُلْقِيَاتِ﴾ بصيغة الجمع، مع أنّ ملَك الوحي ـ أي جبرئيل عليه السلام ـ هو واحد، ليس إلّا و ذلك لما يستفاد من الرّوايات، أنّ جماعات كثيرة من الملائكة كانوا يصاحبون جبرئيل عليه السلام عند نزول الآيات القرآنيّة، كقوله تعالى في الآية : ١٥، من سورة عبس: ﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ﴾.

والآن لابدّ أن نرى الغرض من هذه الأيمان، الآية التّالية ترفع السّتار عن هذا المعنى، فتقول: ﴿اِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾ إنّ البعث و النّشور، و الثّواب و العقاب و الحساب و الجزاء كلّها حقّ لاريب فيه. (١٩: ٢٥٤)

رَسُولٌ

١ ـ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ اُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَاَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ. البقرة: ١٠١

ابن عَطيّة: يعني به محمّد صلى الله عليه و سلم. (١: ١٨٥)

الطَّبْرِسيّ: يعني محمّدًا صلى الله عليه و آله عن أكثر المفسّرين.

و قيل: أراد بالرّسول: الرّسالة. [ثمّ استشهد بشعر]

قال عليّ بن عيسى: و هذا ضعيف، لأنّه خلاف الظّاهر، قليل الاستعمال. (١: ١٦٩)

أبو السُّعود: هو النّبيّ صلى الله عليه و سلم و التّنكير للتّفخيم. (١: ١٧٠)

ابن عاشور: الرّسول هو محمّد صلى الله عليه و سلم. (١: ٦٠٨)

٢ ـ وَاِذْ اَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ... آل عمران: ٨١

الطَّبَريّ: يعني ذكر محمّد في التّوراة. (٣: ٣٢٩)

الطَّبْرِسيّ: أي نبيّ، و قيل يعني محمّد صلى الله عليه و آله. (١: ٤٦٨)

القُرطُبيّ: الرّسول هنا محمّد صلى الله عليه و سلم في قول عليّ و ابن عبّاس رضي الله عنهما. و اللّفظ و إن كان نكرة فالإشارة إلى معيّن، كقوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً﴾ إلى قوله: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ﴾ النّحل: ١١٢، ١١٣. (٤: ١٢٥)

فضل الله: ﴿ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾ برسالة جديدة و كتاب جديد و حكمة جديدة. (٦: ١٣٥)

٣ ـ وَمَا مُحَمَّدٌ اِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ اَفَاِنْ مَاتَ اَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى اَعْقَابِكُمْ... آل عمران: ١٤٤

الطَّبْرِسيّ: يعني أنّه بشر اختاره الله لرسالته إلى خلقه. (١: ٥١٣)

٤ـ اَلَّذِينَ قَالُوا اِنَّ اللهَ عَهِدَ اِلَيْنَا اَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتّٰى يَاْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَاْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي... آل عمران: ١٨٣

الثّعلبيّ: أي لانصدّق رسولًا يزعم أنّه جاء من عند الله. (٣: ٢٢٣)

راجع: ق ر ب: «قربان».

٥ـ فَاْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا اِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ. الشّعراء: ١٦

الطّبريّ: قال رسول ربّ العالمين، وهو يخاطب اثنين بقوله: ﴿فَقُولَا﴾، لأنّه أراد به المصدر من أرسلت، يقال: أرسلت رسالة ورسولًا. [ثمّ استشهد بشعر] (٩: ٤٣٥)

نحوه الثّعلبيّ. (٧: ١٦٠)

٦ـ اَنّٰى لَهُمُ الذِّكْرٰى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ. الدّخان: ١٣

الثّعلبيّ: محمّد ﷺ. (٨: ٣٥١)

٧ـ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ. الدّخان: ١٧

الطّبريّ: وهو موسى بن عمران صلوات الله عليه. (١١: ٢٣١)

٨ـ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَاَخَذَهُمْ اَخْذَةً رَابِيَةً. الحاقّة: ١٠

ابن عبّاس: موسى. (٤٨٣)

مثله الكلبيّ. (ابن عطيّة ٥: ٣٥٨)

الماورديّ: فيه وجهان:

أحدهما: فعصوا رسول الله إليهم بالتّكذيب.

الثّاني: فعصوا رسالة الله إليهم بالمخالفة، وقد يعبّر عن الرّسالة بالرّسول. [ثمّ استشهد بشعر] (٦: ٧٩)

الواحديّ: يعني لوطًا وموسى. (٤: ٣٤٤)

ابن عَطيّة: يحتمل أن يكون الرّسول اسم جنس، كأنّه قال: فعصى هؤلاء الأقوام والفِرَق أنبياء الله الّذين أرسلهم إليهم. ويحتمل أن يكون الرّسول بمعنى الرّسالة.

وقال الكلبيّ: يعني موسى، وقال غيره في كتاب التّعلبيّ: يعني لوطًا. (٥: ٣٥٨)

الطّبْرسيّ: ﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾ فيما أمرهم به. وقيل: إنّ المراد بالرّسول: الرّسالة. [ثمّ استشهد بشعر]

أي برسالة، عن أبي مسلم. والأوّل أظهر. (٥: ٣٤٤)

الفَخْر الرّازيّ: الضّمير إن كان عائدًا إلى ﴿فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ﴾ الحاقّة: ٩، فـ ﴿رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾ هو موسى ﷺ، وإن كان عائدًا إلى أهل المؤتفكات فـ ﴿رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾ هو لوط.

قال الواحديّ: والوجه أن يقال: المراد بالرّسول كلاهما للخبر عن الأُمّتين، بعد ذكرهما بقوله: ﴿فَعَصَوْا﴾ فيكون كقوله: ﴿اِنَّا رَسُولُ رَبِّ

﴿الْعَالَمِينَ﴾ الشّعراء: ١٦. (٣٠: ١٠٦)

القُرطُبيّ: قيل: هو لوط، لأنّه أقرب. و قيل: عنى موسى و لوطًا عليهما السلام، كما قال تعالى: ﴿فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الشّعراء: ١٦.

و قيل: ﴿رَسُولَ﴾ بمعنى رسالة، و قد يُعبّر عن الرّسالة بالرّسول. [ثمّ استشهد بشعر] (١٨: ٢٦٢)

البَيْضاويّ: أي فعصت كلّ أمّة رسولها.

(٢: ٤٩٩)

نحوه الشِّربينيّ (٤: ٣٧٠)، و أبو السُّعود (٦: ٢٩٤)، و فضل الله (٢٣: ٧٠).

النَّسَفيّ: أي قوم لوط. (٤: ٢٨٦)

البُرُوسَويّ: أي فعصى كلّ أمّة رسولهم حين نهاهم عمّا كانوا يتعاطونه من القبائح، فالرّسول هنا بمعنى الجمع، لأنّ فعولًا و فعيلًا يستوي فيهما المذكّر و المؤنّث و الواحد و الجمع، فهو من مقابلة الجمع بالجمع المستدعية لانقسام الآحاد على الآماد، فالإضافة ليست للعهد بل للجنس. (١٠: ١٣٥)

نحوه الآلوسيّ. (٢٩: ٤٢)

ابن عاشور: ضمير ﴿عَصَوْا﴾ يجوز أن يرجع إلى ﴿فِرْعَوْنُ﴾ باعتباره رأس قومه، فالضّمير عائد إليه و إلى قومه، و القرينة ظاهرة على قراءة الجمهور، و أمّا على قراءة أبي عمرو و الكِسائيّ فالأمر أظهر، و على هذا الاعتبار في محلّ ضمير ﴿عَصَوْا﴾ يكون المراد بـ﴿رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾ موسى عليه السلام. و تعريفه بالإضافة لما في لفظ المضاف إليه من الإشارة إلى تخطئتهم في عبادة فرعون، و جعلهم إيّاه إلهًا لهم.

و يجوز أن يرجع ضمير ﴿عَصَوْا﴾ إلى ﴿فِرْعَوْنُ وَ مَنْ قَبْلَهُ وَ الْمُؤْتَفِكَاتُ﴾ ﴿وَ رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾ هو الرّسول المرسَل إلى كلّ قوم من هؤلاء.

فإفراد ﴿رَسُولَ﴾ مراد به التّوزيع على الجماعات، أي رسول الله لكلّ جماعة منهم، و القرينة ظاهرة. و هو أجمل نظمًا من أن يقال: فعصوا رُسُل ربّهم، لما في إفراد ﴿رَسُولَ﴾ من التّفنّن في صيغ الكلم من جمع و إفراد، تفاديًا من تتابع ثلاثة جموع، لأنّ صيغ الجمع لا تخلو من ثقل لقلّة استعمالها، و عكسه قوله في سورة الفرقان: ٣٧: ﴿وَ قَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ﴾، و إنّما كذّبوا رسولًا واحدًا، و قوله: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ و ما بعده في سورة الشّعراء: ١٠٥، و قد تقدّم تأويل ذلك في موضعه. (٢٩: ١١٢)

عبد الكريم الخطيب: فى الجمع بين فرعون و قوم لوط فى مقام العصيان لرسول الله، مع أنّ كلًّا منهما كان له موقف مع رسول من رسل الله، إشارة إلى أنّ رسل الله جميعًا، هم رسول واحد، من حيث الرّسالة الّتي يحملها الرّسول من الله إلى النّاس، و الدّعوة الّتي يدعوهم إليها، و هي الإيمان بالله، فمن كذّب برسول من رسل الله فهو مكذّب برسل الله جميعًا. (١٥: ١١٢٩)

٩ـ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ. الحاقّة: ٤٠

ابن عبّاس: يعني محمّدًا عليه الصّلاة

و السّلام. (٤٨٤)

مثلـه قَتـادَة و الفَـرّاء (الطَّبْرسـيّ ٥: ٣٤٩)، و الكَلْبيّ (القُـرطُبيّ ١٨: ٢٧٤)، و الواحـديّ (٤: ٣٤٨).

الحسَن: يريد جبريل.

مثله الكَلْبيّ و مُقاتِل. (القُرطُبيّ ١٨: ٢٧٤)

الجُبّائيّ: الرّسول الكريم: جبرائيل. (الطَّبْرسيّ ٥: ٣٤٩)

الثّعلبيّ: أي تلاوة محمّد و تبليغه، و قيل: لقول مرسَل رسـول كـريم فحُـذف، كقولـه: ﴿وَسْـئَلِ الْقَرْيَةَ﴾ يوسف: ٨٢. (١٠: ٣٢)

الماوَرْديّ: فيه قولان:

أحدهما: جبريل، قاله الكَلْبيّ و مُقاتِل.

الثّاني: رسول الله ﷺ. (٦: ٨٦)

نحوه ابن الجَوْزيّ (٨: ٣٥٤)، و البَيْضاويّ (٢: ٥٠٢)، و أبو السُّعود (٦: ٢٩٧).

الزّمَخْشَريّ: أي يقوله و يتكلّم به على وجه الرّسالة من عند الله. (٤: ١٥٤)

نحوه فضل الله. (٢٣: ٨٠)

الفَخْر الرّازيّ: اعلم أنّه تعالى ذكر في سـورة التّكـوير: ١، ﴿إِذَا الشَّـمْسُ كُـوِّرَتْ﴾ مثـل هـذا الكلام، و الأكثرون هناك على أنّ المراد منه جبريل ﷺ، و الأكثرون هاهنا على أنّ المراد منه محمّـد ﷺ. و احتجّوا على الفرق بأنّ هاهنا لـمّا قـال: ﴿إِنَّـهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ ذكـر بعـده أنّـه لـيس بقـول شاعر، و لا كاهن، و القوم ما كانوا يصفون جبريـل ﷺ بالشّعر و الكهانة، بـل كـانوا يصـفون محمّـدًا بهذين الوصفين.

و أمّا في سورة ﴿إِذَا الشَّـمْسُ كُـوِّرَتْ﴾ لـمّا قال: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ ثمّ قال بعده: ﴿وَمَا هُوَ بِقَـوْلِ شَـيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ التّكـوير: ٢٥، كـان المعنى: إنّه قول ملك كريم، لا قول شـيطان رجـيم، فصحّ أنّ المـراد مـن الرّسـول الكـريم هاهنـا هـو محمّد ﷺ، و في تلك السّورة هو جبريل ﷺ.

و عند هذا يتوجّه السّؤال: أنّ الأُمّة مجمعة على أنّ القرآن كلام الله تعالى، و حينئذ يلـزم أن يكـون الكلام الواحد كلامًا لله تعالى، و لجبريـل و لمحمّـد، و هذا غير معقول.

و الجواب: أنّه يكفي في صـدق الإضـافة أدنى سبب، فهو كلام الله تعالى، بمعنى أنّه تعالى هو الّـذي أظهره في اللّوح المحفوظ، و هو الّذي رتّبـه و نظّمـه، و هو كلام جبريل ﷺ، بمعنى أنّه هو الّذي أنزله من السّماوات إلى الأرض، و هو كلام محمّد، بمعنى أنّـه هو الّذي أظهره للخلق، و دعا النّاس إلى الإيمان به، و جعله حجّة لنبوّته. (٣٠: ١١٦)

القُرطُبيّ: يريد جبريل، قاله الحسن و الكَلْـبيّ و مُقاتِل. دليله: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ﴾ التّكوير: ١٩، ٢٠، و قال الكَلْبيّ أيضًا و القُتَبيّ: الرّسول ها هنا محمّد ﷺ، لقولـه: ﴿وَمَا هُوَ بِقَـوْلِ شَـاعِرٍ﴾ و لـيس القـرآن مـن قـول الرّسول ﷺ، إنّما هو من قول الله عزّ و جلّ، و نُسـب القول إلى الرّسول، لأنّه تاليه و مبلّغه و العامل بـه،

كقولنا: هذا قول مالك. (١٨ : ٢٧٤)

النَّسَفيّ: أي محمّد ﷺ أو جبريل ﷺ، أي يقوله و يتكلّم به على وجه الرّسالة من عند الله. (٤ : ٢٨٩)

ابن عاشور: المراد بالرّسول الكريم محمّد ﷺ كما يقتضيه عطف قوله: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ﴾ الحاقّة: ٤٤، و هذا كما وُصف موسى بـ﴿رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ الدّخان: ١٧، و إضافة ﴿قَوْلُ﴾ إلى ﴿رَسُولٍ﴾ لأنّه الّذي بلّغه فهو قائله. و الإضافة لأدنى ملابسة، و إلّا فالقرآن جعله الله تعالى و أجراه على لسان النّبيّ ﷺ كما صدر من جبريل بإيحائه بواسطته. قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ﴾ مريم: ٩٧.

روى مُقاتِل أنّ سبب نزولها: أنّ أبا جهل قال: إنّ محمّدًا شاعر، و أنّ عقبة بن أبي مُعيط قال: هو كاهن، فقال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ الآية.

و يجوز أن يراد بـ﴿رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ جبريل ﷺ كما أُريد به في سورة التّكوير؛ إذ الظّاهر أنّ المراد به هنالك جبريل كما يأتي.

و في لفظ ﴿رَسُولٍ﴾ إيذان بأنّ القول قول مُرسله، أي الله تعالى، و قد أكّد هذا المعنى بقوله عقبه: ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. (٢٩ : ١٣١)

الطَّباطَبائيّ: المستفاد من السّياق أنّ المراد بـ﴿رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ النّبيّ ﷺ و هو تصديق لرسالته قبال ما كانوا يقولون: إنّه شاعر أو كاهن.

و لاضير في نسبة القرآن إلى قوله، فإنّه إنّما يُنسب إليه بما أنّه رسول، و الرّسول بما أنّه رسول لايأتي إلّا بقول مرسله، و قد بيّن ذلك فضل بيان بقوله بعد: ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

و قيل: المراد بـ﴿رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾: جبريل، و السّياق لايؤيّده؛ إذ لو كان هو المراد، لكان الأنسب نفي كونه ممّا نزلت به الشّياطين، كما فعل في سورة الشّعراء. على أنّ قوله بعد: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ﴾ و ما يتلوه إنّما يناسب كونه ﷺ هو المراد بـ﴿رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾. (١٩ : ٤٠٤)

عبد الكريم الخطيب: الرّسول الكريم، هو رسول الله ﷺ، الّذي يحدّث القوم بآيات الله الّتي يتلوها عليهم.

و نسبة قول القرآن الكريم إلى الرّسول، لأنّه هو الّذي يتحدّث به، و يُبلّغه إلى النّاس، على أنّه كلام الله، و من عند الله. [إلى أن قال:]

و قد ذهب أكثر المفسّرين إلى أنّ المراد بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ جبريل ﷺ أمين الوحي، و هذا ـ و الله أعلم ـ ممّا يحتمله النّظم القرآنيّ، و إن كان الأولى عندنا أن يكون المراد بالرّسول الكريم: هو رسول الله؛ إذ كان الموقف هنا موقف دفاع عن الرّسول صلوات الله و سلامه عليه، و ردًّا على اتّهام المشركين له بأنّه كاهن، و بأنّه شاعر، فكان المقام يقتضي بأن يُوضع الرّسول بموضعه الصّحيح، و هو أنّه رسول كريم، و أنّ ما

ينطق به ليس من منطق الكهانة و لاالشّعر، و إنّما هو منطق مبعوث كريم من ربّ العالمين، يبلّغ ما أرسل به إلى عباد اللّه. (١٥: ١١٤٩)

مكارم الشّيرازيّ: المقصود من الرّسول هنا ـ بدون شكّ ـ هو الرّسول الكريم ﷺ و ليس جبرائيل، لأنّ الآيات اللّاحقة تبيّن هذا المعنى بوضوح.

و السّبب في نسبة القرآن إلى الرّسول ـ بالرّغم من أنّنا نعرف أنّه قول اللّه تعالى ـ لأنّ الرّسول مبلّغ عنه، و خاصّة أنّ الآية ذكرت كلمة ﴿رَسُولٍ﴾ و هذا يعني أنّ كلّ ما يقوله الرّسول فهو قول مرسله، بالرّغم من أنّه يجري على لسان الرّسول، و يُسمَع من فمه الشّريف. (١٨: ٥٤٩)

١٠ ـ ﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾. الجنّ: ٢٧

سعيد بن جُبَيْر: إلّا من ارتضى من رسول اللّه هو جبريل. (الماوَرْديّ ٦: ١٢٢)

قَتادَة: إلّا من ارتضى من نبيّ فيما يُطلعه عليه من غيب. (الماوَرْديّ ٦: ١٢٢)

الزّمَخْشَريّ: تبيين لمن ارتضى، يعني أنّه لايطّلع على الغيب إلّا المرتضى الّذي هو مصطفى للنّبوّة خاصّة، لاكلّ مرتضى. و في هذا إبطال للكرامات، لأنّ الّذين تضاف إليهم و إن كانوا أولياء مرتضين، فليسوا برسل، و قد خصّ اللّه الرّسل من بين المرتضين بالاطّلاع على الغيب، و إبطال الكهانة و التّنجيم، لأنّ أصحابهما أبعد شيء من الارتضاء، و أدخله في السّخط. (٤: ١٧٢)

ابن الجَوْزيّ: لأنّ من الدّليل على صدق الرّسل إخبارهم بالغيب. (٨: ٣٨٥)

الواحديّ: يعني الرّسل، لأنّه يستدلّ على نبوّتهم بالآية المعجزة بأن يُخبروا بالغيب. (٤: ٣٦٩)

القُرطُبيّ: قال ابن جُبَيْر: ﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾ هو جبريل ﷺ. و فيه بُعْد، و الأولى أن يكون المعنى: أي لايظهر على غيبه إلّا من ارتضى، أي اصطفى للنّبوّة، فإنّه يُطلعه على ما يشاء من غيبه، ليكون ذلك دالًّا على نبوّته. (١٩: ٢٦)

الشّربينيّ: ﴿مِنْ رَسُولٍ﴾ تبيين لمن ارتضى، أي إلّا من يصطفيه لرسالته و نبوّته، فيُظهره على ما يشاء من الغيب. و تارة يكون ذلك الرّسول ملَكًا، و تارة يكون بشرًا، و تارة يُظهره على ذلك بواسطة ملَك، و تارة بغير واسطة كموسى ﷺ في أوقات المناجاة، و محمّد ﷺ ليلة المعراج في العالم الأعلى في حضرة قابَ قَوْسَيْن أو أدنى. (٤: ٤٠٨)

ابن عاشور: ﴿مِنْ رَسُولٍ﴾ بيان لإبهام (مَنْ) الموصولة، فدلّ على أنّ ما صدق (مَنْ) جماعة من الرّسل، أي إلّا الرّسل الّذين ارتضاهم، أي اصطفاهم.

و شمل ﴿رَسُولٍ﴾ كلّ مرسل من للّه تعالى، فيشمل الملائكة المرسلين إلى الرّسل بإبلاغ وحي إليهم، مثل جبريل ﷺ. و شمل الرّسل من البشر المرسلين إلى النّاس بإبلاغ أمر اللّه تعالى إليهم، من

شريعة أو غيرها ممّا به صلاحهم. (٢٩ : ٢٣١)

الطَّباطَبائيّ: ﴿مِنْ رَسُولٍ﴾ بيان لقوله: ﴿مَنِ ارْتَضٰى﴾، فيفيد أنّ الله تعالى يُظهر رسله على ما شاء من الغيب المختصّ به. (٢٠ : ٥٣)

عبد الكريم الخطيب: (مِنْ) في قوله تعالى: ﴿مِنْ رَسُولٍ﴾ للتّبعيض، للإشارة إلى أنّه ليس كلّ رسل الله يطلعهم الله على الغيب، و إنّما يختار الله سبحانه من يشاء منهم، فيطلعه على ما يأذن لهم به من الغيب، فإنّ الّذي يوحيه الله سبحانه و تعالى إلى بعض رسله، هو من بعض هذا الغيب؛ حيث لا يعلم هذا الموحَى به إلّا الرّسول. (١٥ : ١٢٤٣)

راجع: غ ي ب: «الغَيْب».

١١ ـ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ. التّكوير: ١٩

ابن عبّاس: يعني محمّدًا عليه الصّلاة و السّلام. (٥٠٣)

نحوه الرُّمّانيّ. (الماوَرْديّ ٦: ٢١٨)

الضّحّاك: جبريل.

مثله الحسَن و قَتادَة. (الماوَرْديّ ٦: ٢١٨)

و مثله الطَّبَريّ (١٢: ٤٧١)، و الثّعلبيّ (١٠: ١٤٢)، و الزّمَخْشَريّ (٤: ٢٢٤)، و أبو السُّعود (٦: ٣٨٧).

الماوَرْديّ: في الرّسول الكريم قولان: [نقل قول الضّحّاك و الرُّمّانيّ ثمّ قال:]

فإن كان المراد به جبريل، فمعناه قول رسول لله كريم عن ربّ العالمين، لأنّ أصل القول الّذي هو القرآن ليس من الرّسول، إنّما الرّسول فيه مبلّغ على الوجه الأوّل، و مبلّغ إليه على الوجه الثّاني. (٦: ٢١٨)

ابن عَطيّة: الرّسول الكريم في قول جمهور المتأوّلين: جبريل ﷺ، و قال آخرون: هو محمّد ﷺ في الآية؛ و القول الأوّل أصحّ. (٥: ٤٤٤)

الفَخْر الرّازيّ: فيه قولان:

الأوّل: و هو المشهور أنّ المراد أنّ القرآن نزل به جبريل.

فإن قيل: هاهنا إشكال قويّ، و هو أنّه حلف أنّه قول جبريل، فوجب علينا أن نصدّقه في ذلك. فإن لم نقطع بوجوب حمل اللّفظ على الظّاهر، فلا أقلّ من الاحتمال، و إذا كان الأمر كذلك ثبت أنّ هذا القرآن يحتمل أن يكون كلام جبريل لا كلام الله، و بتقدير أن يكون كلام جبريل يخرج عن كونه معجزًا، لاحتمال أنّ جبريل ألقاه إلى محمّد ﷺ على سبيل الإضلال، و لا يمكن أن يجاب عنه بأنّ جبريل معصوم لا يفعل الإضلال، لأنّ العلم بعصمة جبريل، مستفاد من صدق النّبيّ، و صدق النّبيّ مفرّع على كون القرآن معجزًا، و كون القرآن معجزًا يتفرّع على عصمة جبريل، فيلزم الدّور، و هو محال.

و الجواب: الّذين قالوا: بأنّ القرآن إنّما كان معجزًا للصّرفة، إنّما ذهبوا إلى ذلك المذهب فرارًا من هذا السّؤال، لأنّ الإعجاز على ذلك القول ليس في الفصاحة، بل في سلب تلك العلوم و الدّواعي عن القلوب، و ذلك ممّا لا يقدر عليه أحد إلّا الله تعالى.

القول الثّاني: أنّ هذا الّذي أخبركم به محمّد من أمر السّاعة ـ على ما ذكر في هذه السّورة ـ ليس بكهانة و لاظنّ و لاافتعال، إنّما هو قول جبريل، أتاه به وحيًا من عند الله تعالى.

و اعلم أنّه تعالى وصف جبريل هاهنا بصفات ستّ أوّلها: أنّه رسول، و لاشكّ أنّه رسول الله إلى الأنبياء، فهو رسول و جميع الأنبياء أُمّته. [ثمّ ذكر باقي الأوصاف فراجع] (٣١: ٧٢)

ابن عاشور: الرّسول الكريم يجوز أن يراد به جبريل عليه السلام، وُصف جبريل برسول، لأنّه مرسَل من الله إلى النّبيّ ﷺ بالقرآن.

و إضافة ﴿قَوْلُ﴾ إلى ﴿رَسُولٍ﴾ إمّا لأدنى ملابسة، لأنّ جبريل يُبلّغ ألفاظ القرآن إلى النّبيّ ﷺ فيحكيها كما أمره الله تعالى فهو قائلها، أي صادرة منه ألفاظها.

و في التّعبير عن جبريل بوصف ﴿رَسُولٍ﴾ إيماء إلى أنّ القول الّذي يبلّغه هو رسالة من الله، مأمور بإبلاغها كما هي. (٣٠: ١٣٧)

الطَّباطَبائيّ: المراد بالرّسول: جبريل، كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ﴾ البقرة: ٩٧، و في إضافة «القول» إليه بما أنّه رسول، دلالة على أنّ القول لله سبحانه، و نسبته إلى جبريل نسبة الرّسالة إلى الرّسول، و قد وصفه الله بصفات ستّ مدحه بها.

فقوله: ﴿رَسُولٍ﴾ يدلّ على رسالته و إلقائه وحي القرآن إلى النّبيّ ﷺ. و قوله: ﴿كَرِيمٍ﴾ أي ذي كرامة و عزّة عند الله بإعزازه. و قوله: ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ أي ذي قدرة و شدّة بالغة. و قوله: ﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ أي صاحب مكانة عند الله، و المكانة: القرب و المنزلة. و قوله: ﴿مُطَاعٍ ثَمَّ﴾ أي مطاع عند الله، فهناك ملائكة يأمرهم فيطيعونه. و من هنا يظهر أنّ له أعوانًا من الملائكة يأمرهم فيأتمرون بأمره. و قوله: ﴿أَمِينٍ﴾ أي لايخون فيما أمر به، يُبلّغ ما حمله من الوحي و الرّسالة، من غير أيّ تصرّف فيه.

و قيل: المراد بالرّسول: الجاري عليه الصّفات هو النّبيّ ﷺ، و هو كما ترى، و لاتلائمه الآيات التّالية. (٢٠: ٢١٨)

نحوه فضل الله. (٢٤: ٩٧)

١٢ ـ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ نَاقَةَ اللهِ وَ سُقْيَاهَا.

الشّمس: ١٣

ابن عبّاس: ﴿رَسُولُ اللهِ﴾ صالح عليه السلام. (٥١٢)

مثله الطّبريّ (١٢: ٦٠٦)، و ابن عَطيّة (٥: ٤٨٨)، و الفخر الرّازيّ (٣١: ١٩٦)، و أبوالسُّعود (٦: ٤٣٤)، و الطَّباطَبائيّ (٢٠: ٢٩٩).

١٣ ـ رَسُولٌ مِنَ اللهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُطَهَّرَةً.

البيّنة: ٢

ابن عبّاس: يعني محمّدًا عليه الصّلاة و السّلام. (٥١٦)

مثله الماوَرْديّ (٦: ٣١٦)، و فضل الله (٢٤: ٣٦٠).

الزّمَخْشَريّ: بدل من ﴿الْبَيِّنَةُ﴾. و في قراءة

عبد الله (رَسُولًا) حالًا من ﴿الْبَيِّنَةُ﴾. (٤: ٢٧٤)

أبو السُّعود: بدل من ﴿الْبَيِّنَةُ﴾، عبّر عنه ﷺ بالبيّنة للإيذان بغاية ظهور أمره، و كونه ذلك الموعود في الكتابين. (٦: ٤٥٥)

الطّباطبائيّ: بيان للبيّنة، و المراد به محمّد رسول الله ﷺ قطعًا على ما يعطيه السّياق. (٢٠: ٣٣٧)

الرَّسُولَ

١ ـ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ. آل عمران: ٥٣

ابن عبّاس: دين الرّسول عيسى. (٤٨)

راجع: ت ب ع: «اتَّبَعْنَا».

٢ ـ كَيْفَ يَهْدِي اللهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ. آل عمران: ٨٦

ابن عبّاس: ﴿الرَّسُولَ﴾ محمّدًا. (٥١)

الطّبريّ: يقول: و بعد أن أقرّوا أنّ محمّدًا رسول الله ﷺ إلى خلقه حقًّا. (٣: ٣٤٠)

٣ ـ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسْأَلْهُ... يوسف: ٥٠

ابن عبّاس: و هو السّاقي إلى يوسف، فقال: إنّ الملك يدعوك. (١٩٨)

نحوه البُرُوسَويّ. (٤: ٢٧١)

الطّبريّ: فلمّا جاءه رسول الملك يدعوه إلى الملك. (٧: ٢٣٢)

نحوه الطّوسيّ (٦: ١٥٢)، و الطّبرسيّ (٣: ٢٤٠).

الفخر الرّازيّ: فعاد الشّرابيّ إلى يوسف ﷺ قال: أجب الملك. (١٨: ١٥١)

٤ ـ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي. طٰه: ٩٦

ابن عبّاس: من تراب حافر فرس جبريل. (٢٦٥)

نحوه مُجاهِد (الطّبريّ ٨: ٤٥١)، و ابن قُتَيْبَة (٢٨١)، و الطّبريّ (٨: ٤٥١)، و الثّعلبيّ (٦: ٢٥٨)، و القُشَيْريّ (٤: ١٤٦)، و الواحديّ (٣: ٢٢٠)، و البغويّ (٣: ٢٧٣).

أبو مسلم الأصفهانيّ: ليس في القرآن تصريح بهذا الّذي ذكره المفسّرون. [الرّسول هو جبرائيل] فهاهنا وجه آخر، و هو أن يكون المراد بالرّسول: موسى ﷺ و بأثره سنّته و رسمه الّذي أمر به، فقد يقول الرّجل: فلان يقفو أثر فلان و يقبض أثره، إذا كان يمتثل رسمه.

و التّقدير: أنّ موسى ﷺ لمّا أقبل على السّامريّ باللّوم و المسألة عن الأمر الّذي دعاه إلى إضلال القوم في باب العجل، فقال: ﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾، أي عرفت أنّ الّذي أنتم عليه ليس

بحقّ، و قد كنت قبضت قبضة من أثرك أيّها الرّسول، أي شيئًا من سنّتك و دينك فقذفته، أي طرحته، فعند ذلك أعلمه موسى ﷺ بما له من العذاب في الدّنيا و الآخرة. و إنّما أورد بلفظ الإخبار عن غائب، كما يقول الرّجل لرئيسه، و هو مواجه له ما يقول الأمير في كذا و بماذا يأمر الأمير.

و أمّا دعاؤه موسى ﷺ رسولًا مع جحده و كفره، فعلى مثل مذهب من حكى الله عنه قوله: ﴿وَقَالُوا يَاأَيُّهَا الَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ الحجر: ٦، و إن لم يؤمنوا بالإنزال.

(الفخر الرّازيّ ٢٢: ١١٠)

القمّيّ: يعني من تحت حافر رمكة جبرئيل في البحر. (٢: ٦٣)

الماوَرْديّ: فيه قولان:

أحدهما: أنّ الرّسول جبريل.

و في معرفته قولان:

أحدهما: لأنّه رآه يوم فلق البحر فعرفه.

الثّاني: أنّ حين ولدته أمّه جعلته في غار، حذرًا عليه من فرعون حين كان يقتل بني إسرائيل، و كان جبريل يغذوه صغيرًا لأجل البلوى، فعرفه حين كبر، فأخذ قبضة تراب من حافر فرسه و شدّها في ثوبه ﴿فَنَبَذْتُهَا﴾ يعني فألقيتها.

و فيه وجهان:

أحدهما: أنّه ألقاها فيما سبكه من الحليّ بصياغة العجل حتّى خار بعد صياغته.

الثّاني: أنّه ألقاها في جوف العجل بعد صياغته حتّى ظهر خواره. فهذا تفسيره على قول من جعل الرّسول جبريل.

و القول الثّاني: أنّ ﴿الرَّسُول﴾ موسى، و أنّ أثره شريعته الّتي شرّعها و سنّته الّتي سنّها، و أنّ قوله: ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا﴾ أي طرحت شريعة موسى و نبذت سنّته، ثمّ اتّخذت العجل جسدًا له خُوار. (٣: ٤٢٢)

الطُّوسيّ: قيل: إنّه قبض قبضة من أثر جبرائيل ﷺ. (٧: ٢٠٣)

الزّمخشريّ: قرأ ابن مسعود: (مِنْ أثَرِ فَرَسِ الرَّسُول).

فإن قلت: لِمَ سمّاه الرّسول دون جبريل و روح القدس.

قلت: حين حلّ ميعاد الذّهاب إلى الطّور أرسل الله إلى موسى جبريل راكب حيزوم فرس الحياة ليذهب به، فأبصره السّامريّ، فقال: إنّ لهذا شأنًا فقبض قبضة من تربة موطئه، فلمّا سأله موسى عن قصّته قال: قبضت من أثر فرس المرسَل إليك يوم حلول الميعاد. و لعلّه لم يعرف أنّه جبريل. (٢: ٥٥١)

ابن عَطيّة: ﴿الرَّسُول﴾: جبريل ﷺ، و الأثر هو تراب تحت حافر فرسه، و سبب معرفة السّامريّ بجبريل و ميّزه له، فيما روي أنّ السّامريّ ولدته أمّه عام الذّبح، فطرحته في مغارة، فكان جبريل ﷺ يغذوه و يحميه حتّى كبر و شبّ، فميّزه بذلك. و هذا ضعيف. (٤: ٦١)

الطَّبْرِسيّ: من أثر قدم جبرائيل. (٤: ٢٧)

الفَخر الرّازيّ: عامّة المفسّرين قالوا: المراد بـ ﴿الرَّسُولِ﴾: جبريل عليه السلام، و أراد بأثره: التّراب الّذي أخذه من موضع حافر دابّته.

ثمّ اختلفوا أنّه متى رآه، فقال الأكثرون: إنّما رآه يوم فلق البحر.

و عن عليّ عليه السلام أنّ جبريل عليه السلام لمّا نزل ليذهب بموسى عليه السلام إلى الطّور أبصره السّامريّ من بين النّاس.

و اختلفوا في أنّ السّامريّ كيف اختصّ برؤية جبريل عليه السلام و معرفته من بين سائر النّاس؟

فقال ابن عبّاس رضي الله عنهما في رواية الكلبيّ: إنّما عرفه لأنّه رآه في صغره، و حفظه من القتل حين أمر فرعون بذبح أولاد بني إسرائيل، فكانت المرأة تلد و تطرح ولدها حيث لا يشعر به آل فرعون، فتأخذ الملائكة الولدان فيربّونهم حتّى يترعرعوا و يختلطوا بالنّاس، فكان السّامريّ ممّن أخذه جبريل عليه السلام و جعل كفّ نفسه في فيه و ارتضع منه العسل و اللّبن، فلم يزل يختلف إليه حتّى عرفه، فلمّا رآه عرفه، قال ابن جُرَيْج: فعلى هذا قوله: ﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ يعني رأيت ما لم يروه.

و من فسّر الكلمة بالعلم فهو صحيح، و يكون المعنى: علمت أنّ تراب فرس جبريل عليه السلام له خاصيّة الإحياء. [ثمّ نقل قول أبي مسلم الأصفهانيّ و قال:]

و اعلم أنّ هذا القول الّذي ذكره أبو مسلم ليس فيه إلّا مخالفة المفسّرين، و لكنّه أقرب إلى التّحقيق لوجوه:

أحدها: أنّ جبريل عليه السلام ليس بمشهور باسم الرّسول، و لم يجر له فيما تقدّم ذكر حتّى تجعل لام التّعريف إشارة إليه، فإطلاق لفظ الرّسول لإرادة جبريل عليه السلام كأنّه تكليف بعلم الغيب.

و ثانيها: أنّه لا بدّ فيه من الإضمار، و هو قبضة من أثر حافر فرس الرّسول، و الإضمار خلاف الأصل.

و ثالثها: أنّه لا بدّ من التّعسّف في بيان أنّ السّامريّ كيف اختصّ من بين جميع النّاس برؤية جبريل عليه السلام و معرفته، ثمّ كيف عرف أنّ لتراب حافر فرسه هذا الأثر؟ و الّذي ذكروه من أنّ جبريل عليه السلام هو الّذي ربّاه فبعيد، لأنّ السّامريّ إن عرف جبريل حال كمال عقله عرف قطعًا أنّ موسى عليه السلام نبيّ صادق، فكيف يحاول الإضلال؟ و إن كان ما عرفه حال البلوغ، فأيّ منفعة لكون جبريل عليه السلام مربّيًا له في الطّفولة في حصول تلك المعرفة.

و رابعها: أنّه لو جاز إطّلاع بعض الكفرة على تراب هذا شأنه، لكان لقائل أن يقول: فلعلّ موسى عليه السلام اطّلع على شيء آخر يُشبه ذلك، فلأجله أتى بالمعجزات. و يرجع حاصله إلى سؤال من يطعن في المعجزات و يقول: لم لا يجوز أن يقال: إنّهم لاختصاصهم بمعرفة بعض الأدوية الّتي لها خاصيّة أن تفيد حصول تلك المعجزة، أتوا بتلك المعجزة، و حينئذ ينسدّ باب المعجزات بالكلّيّة. (٢٢: ١١٠)

نحوه الشّربينيّ. (٢: ٤٨٢)

البَيْضاويّ: ﴿الرَّسُول﴾ جبريل عليه الصّلاة و السّلام، و لعلّه لم يسمّه، لأنّه لم يعرف أنّه جبريل، أو أراد أن يُنبّه على الوقت، و هو حين أرسل إليه ليذهب به إلى الطّور. (٢: ٥٩)

أبو حَيّان: [اكتفى بنقل الأقوال]. (٦: ٢٧٣)

أبو السُّعود: و قرئ (مِنْ أَثَرِ فَرَسِ الرَّسُولِ) أي من تربة موطئ فرس الملك الّذي أُرسل إليك ليذهب بك إلى الطّور، و لعلّ ذكره بعنوان الرّسالة، للإشعار بوقوفه على ما لم يقف عليه القوم من الأسرار الإلهيّة، تأكيدًا لما صدّر به مقالته، و التّنبيه على وقت أخذ ما أخذه. (٤: ٣٠٤)

نحوه الآلوسيّ. (١٦: ٢٥٣)

البُرُوسَويّ: أي من تربة موطئ فرس الملك الّذي أرسل إليك، و المراد فرس الحياة لجبريل، و لم يقل: جبريل أو روح القدس، لأنّه لم يعرف أنّه جبريل. (٥: ٤٢١)

المَراغيّ: إنّ موسى ﷺ لـمّا أقبل على السّامريّ باللّوم و التّعنيف و السّؤال عن الأمر الّذي دعاه إلى إضلال القوم، ردّ عليه بأنّه كان استنّ بسنّته، و اقتفى أثره و تبع دينه، ثمّ استبان له أنّ ذلك هو الضّلال بعينه، و أنّه ليس من الحقّ في شيء، فطرحه وراءه ظهريًّا، و سار على النّهج الّذي رأى.

و في التّعبير بكلمة ﴿الرَّسُول﴾ على هذا نوع من التّهكّم و السّخريّة، لأنّه جاحد مكذّب له، فهو على نحو ما حكى الله عن بعض الجاحدين بقوله: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ الحجر: ٦، و هم لا يؤمنون بالإنزال عليه. (١٦: ١٤٥)

ابن عاشور: [بحث في معنى كلمات الآية ثمّ قال:]

على حمل هذه الكلمات على حقائقها، يتعيّن صرف: ﴿الرَّسُول﴾ عن المعنى المشهور، فيتعيّن حمله على جبريل، فإنّه رسول من الله إلى الأنبياء.

فقال جمهور المفسّرين: المراد بـ ﴿الرَّسُول﴾ جبريل، و رووا قصّة، قالوا: إنّ السّامريّ فتنه الله، فأراه الله جبريل راكبًا فرسًا فوطئ حافر الفرس مكانًا، فإذا هو مُخضَرّ بالنّبات. فعلم السّامريّ أنّ أثر جبريل إذا أُلقي في جماد صار حيًّا، فأخذ قبضة من ذلك التّراب وصنع عِجْلًا و ألقى القبضة عليه فصار جسدًا، أي حيًّا، له خُوار كخوار العِجْل، فعبّر عن ذلك الإلقاء بالنّبذ. و هذا الّذي ذكروه لا يوجد في كتب الإسرائيليّين و لا ورد به أثر من السّنّة، و إنّما هي أقوال لبعض السّلف، و لعلّها تسرّبت للنّاس من روايات القصّاصين.

فإذا صُرفت هذه الكلمات السّتّ إلى معان مجازيّة كان ﴿بَصُرْتُ﴾ بمعنى علمت و اهتديت، أي اهتديت إلى علم ما لم يعلموه، و هو علم صناعة التّماثيل و الصّور الّذي به صُنع العِجْل، و علم الحِيَل الّذي أوجد به خُوار العِجْل، و كانت القبضة بمعنى النّصيب القليل، و كان الأثر بمعنى التّعليم، أي الشّريعة، و كان ﴿نَبَذْتُ﴾ بمعنى أهملت و نقضت،

أي كنت ذا معرفة إجماليّة من هدي الشّريعة فانخلعت عنها بالكفر. و بذلك يصحّ أن يُحمَل لفظ ﴿الرَّسُول﴾ على المعنى الشّائع المتعارف، و هو من أوحي إليه بشرع من الله وأمر بتبليغه.

و كان المعنى: إنّي بعملي العِجْل للعبادة، نقضت اتّباع شريعة موسى. و المعنى: أنّه اعترف أمام موسى بصنعِهِ العِجْل و اعترف بأنّه جهل فضلّ، و اعتذر بأنّ ذلك سوّلته له نفسه.

و على هذا المعنى فسّر أبومسلم الأصفهانيّ و رجّحه الزّمَخْشَريّ بتقديمه في الذّكر على تفسير الجمهور، و اختاره الفَخْر. (١٦ : ١٧٤)

مَغْنِيَّة: قيل: المراد بـ ﴿الرَّسُول﴾ هنا: جبريل، و بأثره: التّربة الّتي وطئها هو برجله، أو فرسه بحافره. و قيل: بل المراد بـ ﴿الرَّسُول﴾: موسى، و بأثره: سنّته.

و قيل: إنّ السّامريّ كاذب في قوله، و أنّه ما بصر بشيء، و لا قبض شيئًا من أثر الرّسول، و إنّما أراد التّهرّب من تبعة ما حدث. و هذا أرجح الأقوال، و أقربها إلى الأفهام من رجل جبريل و حافر فرسه. و من صنع العِجْل بيده، و دعا إلى عبادته من دون الله يهون عليه الكذب و الافتراء...

و مهما يكن فإنّ المعنى الّذي دلّ عليه ظاهر القرآن، أنّ السّامريّ هو الّذي أفسد و أضلّ بني إسرائيل في عبادة العجل، أمّا كيف صنعه؟ فنحن غير مكلّفين بمعرفة ذلك، و لا صلة له بعقيدتنا و حياتنا. (٥ : ٢٣٩)

الطَّباطَبائيّ: ﴿الرَّسُول﴾ هو الّذي يحمل رسالة، و قد أُطلق في القرآن على الرّسول البشريّ الّذي يحمل رسالة الله تعالى إلى النّاس، و أُطلق بهذه اللّفظة على جبريل ملَك الوحي. قال تعالى: ﴿اِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ التّكوير: ١٩، و كذا أُطلق لجمع من الملائكة الرّسل كقوله: ﴿بَلٰى وَ رُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ الزّخرف: ٨٠، و قال أيضًا في الملائكة: ﴿جَاعِلُ الْمَلٰئِكَةِ رُسُلًا اُولِى اَجْنِحَةٍ﴾ فاطر: ١.

و الآية تتضمّن جواب السّامريّ عمّا سأله موسى عليه السلام بقوله: ﴿فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ﴾ طٰه: ٩٥. [إلى أن قال:]

و لانجد في كلامه تعالى في هذه القصّة و لافيما يرتبط بها في الجملة ما يوضّح المراد منه، و لذا اختلفوا في تفسيره:

ففسّره الجمهور وفاقًا لبعض الرّوايات الواردة في القصّة، أنّ السّامريّ رأى جبريل و قد نزل على موسى للوحي، أو رآه و قد نزل راكبًا على فرس من الجنّة قُدّام فرعون و جنوده حين دخلوا البحر فأُغرقوا، فأخذ قبضة من تراب أثر قدمه أو أثر حافر فرسه، و من خاصّة هذا التّراب أنّه لايُلقى على شيء إلّا حلّت فيه الحياة و دخلت فيه الرّوح، فحفظ التّراب حتّى إذا صنع العِجْل ألقى فيه من التّراب، فحيّ و تحرّك و خار. [إلى أن قال:]

و المراد بـ ﴿الرَّسُول﴾: جبريل، ﴿فَنَبَذْتُهَا﴾، أي ألقيت القبضة على الحُلّي المذاب فحيّ العِجْل

فكان له خُوار.

وأعظم ما يرد عليه مخالفة هذه الرّوايات للكتاب، فإنّ كلامه تعالى ينصّ على أنّ العِجْل كان جسَدًا له خُوار، والجسد هو الجثّة الّتي لاروح لها ولاحياة فيها، ولايُطلق على الجسم ذي الرّوح والحياة ألبتّة. [إلى أن نقل قول أبي مسلم الأصفهانيّ، وقال:]

وفيه أنّ سياق الآية يشهد على تفرّع النّبذ على القبض والقبض على البصر. ولازم ما ذكره تفرّع النّبذ على البصر والبصر على القبض، فلو كان ما ذكره حقًّا كان من الواجب أن يقال: بصرت بما لم يبصروا به، فنبذت ما قبضته من أثر الرّسول، أو يقال: قبضت قبضة من أثر الرّسول فبصرت بما لم يبصروا به فنبذتها.

وثانيًا: أنّ لازم توجيهه أن يكون قوله تعالى: ﴿وَكَذٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ إشارة إلى سبب عمل العِجْل، وجوابًا عن مسألة موسى ﴿مَا خَطْبُكَ﴾ ومحصّله أنّه إنّما سوّاه لتسويل من نفسه أن يضلّ النّاس، فيكون مدلول صدر الآية أنّه لم يكن موحّدًا، ومدلول ذيلها أنّه لم يكن وثنيًّا، فلاموحّد ولاوثنيّ، مع أنّ المحكيّ من قول موسى بعد: ﴿وَانْظُرْ إِلٰى إِلٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ...﴾ طه: ٩٧، أنّه كان وثنيًّا.

وثالثًا: أنّ التّعبير عن موسى وهو مخاطب بلفظ الغائب بعيد. (١٤: ١٩٥)

مكارم الشّيرازيّ: للمفسّرين قولان مشهوران:

الأوّل: أنّ مراده هو: إنّي رأيت جبرئيل على فرس، عند مجيء جيش فرعون إلى ساحل البحر، يُرغّب ذلك الجيش في المسير في تلك الطّرق اليابسة في البحر، وكان يسير أمامهم، فقبضت شيئًا من تراب قدمه، أو مركبه وادّخرته لهذا اليوم، فألقيته داخل العِجْل الذّهبيّ، وما هذا الصّوت إلّا من أثر ذلك التّراب الّذي أخذته.

الثّاني: إنّي آمنت ـ بداية الأمر ـ بقسم من آثار الرّسول ـ موسى ـ ثمّ شككت فيها فألقيتها بعيدًا ومِلْتُ إلى عبادة الأصنام، وكان هذا عندي أجمل وأحلى.

فعلى التّفسير الأوّل: فإنّ كلمة ﴿الرَّسُول﴾ تعني جبرئيل، وعلى التّفسير الثّاني: تعني موسى عليه السلام والأثر في التّفسير الأوّل بمعنى تراب القدم، وفي الثّاني يعني بعض تعليمات موسى عليه السلام. و﴿نَبَذْتُهَا﴾ على التّفسير الأوّل بمعنى إلقاء التّراب داخل العِجْل، وعلى الثّاني: ترك تعليمات موسى عليه السلام.

وأخيرًا فإنّ ﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا﴾ تشير ـ طبق التّفسير الأوّل ـ إلى جبرئيل الّذي كان قد تجلّى في هيئة فارس ـ وربّما رآه بعض آخر لكنّهم لم يعرفوه، إلّا أنّها تشير وفقًا للتّفسير الثّاني ـ إلى ما كان لديه من معلومات خاصّة عن دين موسى عليه السلام.

وعلى كلّ حال، فإنّ لكلّ واحد من هذين التّفسيرين أنصارًا، وله نقاط واضحة أو مبهمة،

لكن ـ كمحصّلة نهائيّة ـ يبدو أنّ التفسير الثّاني هو الأفضل و الأنسب من عدّة جهات، خاصّة و أنّا نقرأ في حديث ورد في كتاب «الإحتجاج» إنّ أمير المؤمنين عليًّا عليه السلام لـمّا فتح البصرة أحاط النّاس به ـ و كان من بينهم الحسن البصريّ ـ و قد جلبوا معهم ألواحًا يكتبون فيها ما يقوله أمير المؤمنين عليّ عليه السلام فقال له أمير المؤمنين بأعلى صوته: ما تصنع؟ قال: أكتب آثاركم لنُحدّث بها بعدكم، فقال أمير المؤمنين: «أما إنّ لكلّ قوم سامريًّا، و هذا سامريّ هذه الأُمّة إلّا أنّه يقول: لامساس، و لكنّه يقول: لاقتال». (١٠: ٥٨)

٥ ـ وَ قَالُوا مَالِ هٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَ يَمْشي فِي الْاَسْوَاقِ لَوْلَا اُنْزِلَ اِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذيرًا. الفرقان: ٧

الطّبَريّ: يعنون محمّدًا صلى الله عليه وآله الّذي يزعم أنّ الله بعثه إلينا. (٩: ٣٦٧)

نحوه الثّعلبيّ. (٧: ١٢٣)

ابن عاشور: قولهم: ﴿مَالِ هٰذَا الرَّسُولِ﴾ أجروا عليه وصف الرّسالة مجاراة منهم لقوله، و هم لايؤمنون به، و لكنّهم بنوا عليه ليتأتّى لهم التّعجّب، و المراد منه: الإحالة و الإبطال.

و الإشارة إلى حاضر في الذّهن، و قد بيّن الإشارة ما بعدها من اسم معرّف بلام العهد، و هو الرّسول. (١٩: ١٧)

راجع: ط ع م: «الطّعام».

٦ ـ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلٰى يَدَيْهِ يَقُولُ يَالَيْتَنِى اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا. الفرقان: ٢٧

الثّعلبيّ: محمّد صلى الله عليه وآله. (٧: ١٣١)

ابن عاشور: ﴿الرَّسُولِ﴾: هو المعهود و هو محمّد صلى الله عليه وآله. (١٩: ٣٨)

راجع: س ب ل: «سَبِيلًا».

رَسُولُهُ

١ ـ وَ كَيْفَ تَكْفُرُونَ وَ اَنْتُمْ تُتْلٰى عَلَيْكُمْ اٰيَاتُ اللهِ وَ فِيكُمْ رَسُولُهُ وَ مَنْ يَعْتَصِمْ بِاللهِ فَقَدْ هُدِىَ اِلٰى صِرَاطٍ مُسْتَقيمٍ. آل عمران: ١٠١

ابن عاشور: الظّرفية في قوله: ﴿وَ فِيكُمْ رَسُولُهُ﴾ حقيقيّة و مؤذنة بمنقبة عظيمة، و منّة جليلة، و هي وجود هذا الرّسول العظيم بينهم، تلك المزيّة الّتي فاز بها أصحابه المخاطبون. (٣: ١٧٢)

٢ ـ اِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ اٰمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلٰوةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكٰوةَ وَ هُمْ رَاكِعُونَ. المائدة: ٥٥

راجع: و ل ي: «وَلِيُّكُمْ».

٣ ـ اِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَ رَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِى الدُّنْيَا وَ الْاٰخِرَةِ وَ اَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا.

الأحزاب: ٥٧

ابن عاشور: أذى الرّسول عليه الصّلاة و السّلام يحصل بالإنكار عليه فيما يفعله، و بالكيد له، و بأذى أهله، مثل المتكلّمين في الإفك،

و الطّاعنين أعماله، كالطّعن في إمارة زيد و أسامة، و الطّعن في أخذه صفيّة لنفسه.

و عن ابن عبّاس: «إنّها نزلت في الّذين طعنوا في اتّخاذ النّبيّ ﷺ صفيّة بنت حُيَيّ لنفسه»

(٢١: ٣٢٦)

راجع: أ ذ ي: «يُؤْذُونَ».

٤ـ فَـامِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي اَنْزَلْنَا وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ. التّغابن: ٨

ابن عبّاس: محمّد ﷺ [و] بالبعث بعد الموت.

(٤٧٤)

نحوه أبو السّعود. (٦: ٢٥٦)

رَسُولَهُمْ

اَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ.

المؤمنون: ٦٩

ابن عبّاس: نسب رسولهم. (٢٨٨)

الطّبريّ: أم لم يعرف هؤلاء المكذّبون محمّدًا، و أنّه من أهل الصّدق و الأمانة. (٩: ٢٣٣)

نحوه الثّعلبيّ (٧: ٥٢)، القرطبيّ (١٢: ١٤٠).

الزّمخشريّ: محمّدًا و صحّة نسبه و حلوله في سطة[1] هاشم، و أمانته و صدقه و شهامته و عقله، و اتّسامه بأنّه خير فتيان قريش، و الخطبة الّتي خطبها أبو طالب في نكاح خديجة بنت خُوَيْلد كفى برغائها مناديًا. (٣: ٣٦)

الفخر الرّازيّ: نبّه سبحانه بذلك على أنّهم عرفوا منه قبل ادّعائه الرّسالة، كونه في نهاية الأمانة و الصّدق، و غاية الفرار من الكذب و الأخلاق الذّميمة، فكيف كذّبوه بعد أن اتّفقت كلمتهم على تسميته بالأمين. (٢٣: ١١١)

نحوه الشّربينيّ. (٢: ٥٨٥)

البيضاويّ: بالأمانة و الصّدق و حسن الخلق، و كمال العلم و عدم التّعلّم، إلى غير ذلك ممّا هو صفة الأنبياء عليهم الصّلاة و السّلام. (٢: ١١١)

نحوه أبو السّعود. (٤: ٤٢٥)

الطّباطبائيّ: المراد بمعرفة الرّسول معرفته بنسبه و حسبه، و بالجملة بسجاياه الرّوحيّة و ملكاته النّفسيّة، من اكتسابيّة و موروثة، حتّى يتبيّن به أنّه صادق فيما يقول، مؤمن بما يدعو إليه، مؤيّد من عند الله.

و قد عرفوا من النّبيّ ﷺ سوابق حاله قبل البعثة، و قد كان يتيمًا فاقدًا للأبوين، لم يقرأ و لم يكتب، و لم يأخذ أدبًا من مؤدّب و تربية من مُرَبّ، ثمّ لم يجدوا عنده ما يستقبحه عقل أو يستنكره طبع أو يستهجنه رأي، و لا طمعًا في ملك أو حرصًا على مال أو ولعًا بجاه، و هو على ما هو سنين من عمره، فإذا هو ينادي للفلاح و السّعادة و يندب إلى حقائق معارف تبهر العقول، و يدعو إلى شريعة تُحيّر الألباب و يتلو كتابًا.

فهم قد عرفوا رسولهم ﷺ بنعوته الخاصّة المعجزة لغيره، و لو لم يكونوا يعرفونه، لكان لهم عذرًا في إعراضهم عن دينه، و استنكافهم عن

(١) كذا في الأصل و لا معنى له !!!

الإيمان به. لأنّ معنى عدم معرفته، كذلك وجدانه على غير بعض هذه النّعوت، أو عدم إحرازه فيه. و من المعلوم أنّ إلقاء الزّمام إلى من هذا شأنه ممّا لايجوّزه العقل. (١٥: ٤٥)

رَسُولًا

١ ـ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسٰى اِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا. مريم: ٥١

ابن عبّاس: ﴿رَسُولًا﴾ إلى بني إسرائيل، ﴿نَبِيًّا﴾ يخبر عن الله تعالى. (٢٥٧)

الطّبريّ: يقول: و كان لله رسولًا إلى قومه بني إسرائيل، و من أرسله إليه نبيًّا. (٨: ٣٥٠)

الزّمخشريّ: الرّسول: الّذي معه كتاب من الأنبياء، و النّبيّ: الّذي ينبئ عن الله عزّو جلّ و إن لم يكن معه كتاب، كيوشع. (٢: ٥١٣)

الطّبرسيّ: ﴿رَسُولًا﴾ إلى فرعون و قومه، ﴿نَبِيًّا﴾ رفيع الشّأن عالي القدر. (٣: ٥١٨)

أبو السّعود: أرسله الله تعالى إلى الخلق فأنبأهم عنه، و لذلك قدّم ﴿رَسُولًا﴾ مع كونه أخلص و أعلى. (٤: ٢٤٥)

ابن عاشور: الجمع بين وصف موسى، لأنّه رسول و نبيّ. و عطف ﴿نَبِيًّا﴾ على ﴿رَسُولًا﴾ مع أنّ الرّسول بالمعنى الشّرعيّ أخصّ من النّبيّ، فلأنّ الرّسول هو المرسَل بوحي من الله ليبلّغ إلى النّاس، فلايكون الرّسول إلّا نبيًّا. و أمّا النّبيّ فهو المنبأ بوحي من الله و إن لم يؤمر بتبليغه، فإذا لم يؤمر بالتّبليغ فهو نبيّ و ليس رسولًا.

فالجمع بينهما هنا لتأكيد الوصف، إشارة إلى أنّ رسالته بلغت مبلغًا قويًّا، فقوله: ﴿نَبِيًّا﴾ تأكيد لوصف ﴿رَسُولًا﴾. (١٦: ٥٤)

٢ ـ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ اَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ اِلَّا وَحْيًا اَوْ مِنْ وَرَاۤئِ حِجَابٍ اَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِاِذْنِهِ مَا يَشَاۤءُ اِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ. الشّورى: ٥١

ابن عبّاس: ﴿اَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ جبرئيل، كما أُرسل إلى محمّد عليه الصّلاة و السّلام. (٤١٠)

الطّبريّ: يقول: أو يرسل الله من ملائكته رسولًا، إمّا جبرائيل، و إمّا غيره. (١١: ١٦٢)

نحوه الثّعلبيّ (٨: ٣٢٦)، و البغويّ (٤: ١٥٣).

الماورديّ: قال زهير: هو جبريل. (٥: ٢١٢)

القرطبيّ: كإرساله جبريل ﷺ. (١٦: ٥٣)

أبو السّعود: ﴿رَسُولًا﴾ أي ملَكًا. (٦: ٢٣)

مثله الآلوسيّ. (٢٥: ٥٥)

ابن عاشور: فالرّسول في قوله تعالى: ﴿اَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ هو الملَك جبريل أو غيره. (٢٥: ١٩٨)

مكارم الشّيرازيّ: كما كان يقوم به جبرائيل الأمين، و ينزل على الرّسول ﷺ. (١٥: ٥٢٤)

فضل الله: ﴿اَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ من الملائكة فيبلّغ النّبيّ وحي الله في رسالته. و ربّما كان المراد من الرّسول هو النّبيّ، بلحاظ إطلاق هذه الكلمة عليه في القرآن، و عدم إطلاقها على الملائكة.

و يكون مثل هذا تكليمًا للبشر، باعتبار أنّه يتضمّن خطابًا لهم، و حديثًا معهم، بشكل غير مباشر، في ما يريد أن يُلقيه إليهم من أوامر و نواهٍ و تعاليم، و بذلك يكون المراد من الوحي، ما يحصل بالإلهام أو بواسطة الملائكة، لكثرة إطلاقه في القرآن على ذلك. و لكن قد ينافي في ذلك ما جاء في الفقرة التالية: ﴿فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ حيث يتحمّل الرّسول مسألة الوحي، بينما يتحمّل النّبيّ مسألة التّبليغ، لأنّ دوره هو دور التّلقّي للوحي. (٢٠: ٢٠٢)

رُسُلُ

وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللهِ اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ...

الأنعام: ١٢٤

ابن عبّاس: ﴿رُسُلُ اللهِ﴾ يعنون محمّدًا ﷺ ﴿اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ إلى من يرسل جبريل بالرّسالة. (١١٨)

الطّبريّ: يعني بذلك جلّ ثناؤه: أنّ آيات الأنبياء و الرّسل لن يُعطاها من البشر إلّا رسول مرسل، و ليس العادلون بربّهم الأوثان و الأصنام منهم فيعطوها.

يقول جلّ ثناؤه: فأنا أعلم بمواضع رسالتي، و من هو لها أهل، فليس لكم أيّها المشركون أن تتخيّروا ذلك عليّ أنتم، لأنّ تخيّر الرّسول إلى المُرسِل دون المُرسَل إليه، و الله أعلم إذا أرسل رسالةً بموضع رسالاته. (٥: ٣٣٤)

الزّجّاج: أي هو أعلم بمن يختصّ للرّسالة. (٢: ٢٨٩)

الثّعلبيّ: يعني محمّدًا رسول الله ﷺ. (٤: ١٨٧)

الزّمخشريّ: ﴿اللهُ أَعْلَمُ﴾ كلام مستأنف للإنكار عليهم، و أن لا يُصطفى للنّبوّة إلّا من علم أنّه يصلح لها، و هو أعلم بالمكان الّذي يضعها فيه منهم. (٢: ٤٩)

ابن عاشور: مثل ما أتى الله الرُّسل من المعجزات الّتي أظهروها لأقوامهم، فمرادهم الرّسل الّذين بلغتهم أخبارهم. (٧: ٤٠)

الرُّسُلَ

وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا. الفرقان: ٣٧

ابن عبّاس: يعني نوحًا و جملة الرّسل. (٣٠٣)

الحسن: تكذيبهم بنوح تكذيب لسائر الرّسل. (الطّوسيّ ٧: ٤٩٠)

الزّجّاج: يدلّ هذا اللّفظ أنّ قوم نوح قد كذّبوا غير نوح أيضًا، لقوله: ﴿الرُّسُلَ﴾، و يجوز أن يكون [المراد] به نوح وحده، لأنّ من كذّب بنبيّ فقد كذّب بجميع الأنبياء، لأنّه مخالف للأنبياء، لأنّ الأنبياء يؤمنون بالله و بجميع رُسُله.

و يجوز أن يكون يُعْنى به الواحد، و يُذكر لفظ الجنس، كما يقول الرّجل للرّجل ينفق الدّرهم

الواحد: أنت مِمّن يُنفِق الدّراهم، أي ممّن نَفَقَتُه من هذا الجنس، و فلان يركب الدّوابّ و إن لم يركب إلّا واحدةً. (٤ : ٦٧)

الطُّوسيّ: يعني نوحًا و من تقدّم من الأنبياء.

و قيل: المعنى نوحًا و الرّسل من الملائكة.

و قيل: نوحًا و من بعده من الرّسل، لأنّ الأنبياء يصدّق بعضهم بعضًا في توحيد الله و خلع الأنداد، فمن كذّب بواحد منهم فقد كذّب بهم جميعهم. (٧ : ٤٩٠)

البغويّ: أي الرّسول، و من كذّب رسولًا واحدًا فقد كذّب جميع الرّسل، فلذلك ذكر بلفظ الجمع. (٣ : ٤٤٦)

الزّمخشريّ: كأنّهم كذّبوا نوحًا و من قبله من الرّسل صريحًا، أو كأنّ تكذيبهم لواحد منهم تكذيب للجميع، أو لم يروا بعثة الرّسل أصلًا كالبراهمة. (٣ : ٩٢)

نحوه البَيْضاويّ (٢ : ١٤٥)، و أبو السُّعود (٥ : ١٢).

ابن عَطيّة: هم إنّما كذّبوا نوحًا فقط، معناه أنّ الأمّة الّتي تُكذّب نبيًّا واحدًا ففي ضمن ذلك تكذيب جميع الأنبياء، فجاءت العبارة بما يتضمّنه فعلهم تغليظًا في القول عليهم. (٤ : ٢١٠)

الفخر الرّازيّ: اعلم أنّه تعالى إنّما قال: ﴿كَذَّبُوا الرُّسُلَ﴾ إمّا لأنّهم كانوا من البراهمة المنكرين لكلّ الرّسل، أو لأنّه كان تكذيبهم لواحد منهم تكذيبًا للجميع، لأنّ تكذيب الواحد منهم لا يمكن إلّا بالقدح في المعجز، و ذلك يقتضي تكذيب الكلّ، أو لأنّ المراد بـ ﴿الرُّسُل﴾ و إن كان نوحًا عليه السلام وحده، و لكنّه كما يقال: فلان يركب الأفراس. (٢٤ : ٨١)

نحوه الشِّرْبينيّ. (٢ : ٦٦١)

القُرطُبيّ: ذكر الجنس و المراد نوح وحده، لأنّه لم يكن في ذلك الوقت رسول إليهم إلّا نوح وحده، فنوح إنّما بُعث بلا إله إلّا الله، و بالإيمان بما ينزل الله، فلمّا كذّبوه كان في ذلك تكذيب لكلّ من بُعث بعده بهذه الكلمة.

و قيل: إنّ من كذّب رسولًا فقد كذّب جميع الرّسل، لأنّهم لا يفرّق بينهم في الإيمان، و لأنّه ما من نبيّ إلّا يصدّق سائر أنبياء الله، فمن كذّب منهم نبيًّا فقد كذّب كلّ من صدّقه من النّبيّين. (١٣ : ٣١)

النّسَفيّ: يعني نوحًا و إدريس و شيئًا، أو كان تكذيبهم لواحد منهم تكذيبًا للجميع. (٣ : ١٦٧)

البُرُوسَويّ: أي نوحًا و من قبله من الرّسل كشيث و إدريس، أو نوحًا وحده، لأنّ تكذيبه تكذيب للكلّ، لاتّفاقهم على التّوحيد و الإسلام.

و يقال: إنّ نوحًا كان يدعو قومه إلى الإيمان به و بالرّسل الّذين بعده، فلمّا كذّبوه فقد كذّبوا جميع الرّسل، كما ثبت أنّ كلّ نبيّ أخذ العهد من قومه أن يؤمنوا بخاتم النّبيّين إن أدركوا زمانه. (٦ : ٢١١)

الآلوسيّ: أي نوحًا و من قبله من الرّسل عليهم السلام، أو نوحًا وحده، فإنّ تكذيبه عليه السلام تكذيب للكلّ لاتّفاقهم على التّوحيد، أو أنكروا جواز بعثة

الرّسل مطلقًا.

و تعريف ﴿الرُّسُلُ﴾ على الأوّل عهديّ. و يحتمل أن يكون للاستغراق؛ إذ لم يُوجد وقت تكذيبهم غيرهم، و على الثّاني استغراقيّ. لكن على طريق المشابهة و الادّعاء، و على الثّالث للجنس أو للاستغراق الحقيقيّ.

و [قيل]: الرّسل نوح و موسى و هارون عليهم السلام، و لا يخفى ما فيه. (١٩ : ١٩)

ابن عاشور: جعل قوم نوح مكذّبين الرّسل، مع أنّهم كذّبوا رسولًا واحدًا، لأنّهم استندوا في تكذيبهم رسولهم إلى إحالة أن يرسل الله بشرًا، لأنّهم قالوا: ﴿مَا هٰذَا اِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ اَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَ لَوْ شَاءَ اللهُ لَاَنْزَلَ مَلٰئِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهٰذَا فِى اٰبَائِنَا الْاَوَّلِينَ﴾ المؤمنون : ٢٤، فكان تكذيبهم مستلزمًا تكذيب عموم الرّسل، و لأنّهم أوّل من كذّب رسولهم، فكانوا قدوة للمكذّبين من بعدهم. (١٩ : ٥١)

الطَّباطَبائيّ: المراد بتكذيبهم الرّسل: تكذيبهم نوحًا، فإنّ تكذيب الواحد من رسل الله تكذيب للجميع، لاتّفاقهم على كلمة الحقّ.

على أنّ هؤلاء الأُمم كانوا أقوامًا وثنيّين، و هم ينكرون النّبوّة، و يكذّبون الرّسالة من رأس. (١٥ : ٢١٧)

نحوه مكارم الشّيرازيّ. (١١ : ٢٢٥)

رُسُلِهِ

١ـ يَا اَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِى دِينِكُمْ وَ لَا تَقُولُوا عَلَى اللهِ اِلَّا الْحَقَّ اِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَ كَلِمَتُهُ اَلْقٰيهَا اِلٰى مَرْيَمَ وَ رُوحٌ مِنْهُ فَاٰمِنُوا بِاللهِ وَ رُسُلِهِ... النّساء : ١٧١

ابن عبّاس: جملة الرّسل عيسى و غيره. (٨٦)

ابن عاشور: أُريد بالرّسل جميعهم، أي لا تكفروا بواحد من رسله. و هذا بمنزلة الاحتراس عن أن يتوهّم متوهّمون أن يعرضوا عن الإيمان برسالة عيسى عليه السلام مبالغة في نفي الإلهيّة عنه. (٤ : ٣٣٢)

٢ـ وَ تِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِاٰيَاتِ رَبِّهِمْ وَ عَصَوْا رُسُلَهُ وَ اتَّبَعُوا اَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ. هود : ٥٩

الطّبريّ: عصوا رسله الّذين أرسلهم إليهم، للدّعاء إلى توحيده و اتّباع أمره. (٧ : ٦١)

الثّعلبيّ: يعني هودًا وحده، لأنّه لم يرسل إليهم من الرّسل سوى هود، و نظيره قوله تعالى: ﴿يَا اَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ يعني النّبيّ ﷺ و إنّه لم يكن في عصره رسول سواه. و إنّما جمع هاهنا، لأنّ من كذّب رسولًا واحدًا فقد كذّب جميع الرّسل. (٥ : ١٧٥)

نحوه البغويّ. (٢ : ٤٥٤)

الزّمخشريّ: لأنّهم إذا عصوا رسولهم فقد عصوا جميع رسل الله ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ اَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ البقرة : ٢٨٥.

قيل: لم يُرسَل إليهم إلّا هود وحده. (٢ : ٢٧٧)

نحوه الفخر الرّازيّ. (١٨ : ١٥)

ابن عَطيّة: شنعة عليهم؛ و ذلك أنّ في تكذيب رسول واحد تكذيب سائر الرّسل و عصيانهم؛ إذ النّبوّات كلّها مجمعة على الإيمان بالله و الإقرار بربوبيّته. و يحتمل أن يراد هود و آدم و نوح.
(٣: ١٨٢)

أبو السُّعود: جمع الرّسل مع أنّه لم يُرسَل إليهم غير هود عليه الصّلاة و السّلام، تفظيعًا لحالهم و إظهارًا لكمال كفرهم و عنادهم، ببيان أنّ عصيانهم له عليه الصّلاة و السّلام عصيان لجميع الرّسل السّابقين و اللّاحقين، لاتّفاق كلمتهم على التّوحيد ﴿لَانُفَرِّقُ بَيْنَ اَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ البقرة: ٢٨٥، فيجوز أن يراد بالآيات ما أتى به هود و غيره من الأنبياء عليهم السلام.
(٣: ٣٢٦)

ابن عاشور: جمع الرّسل في قوله: ﴿وَعَصَوْا رُسُلَهُ﴾ و إنّما عَصَوْا رَسولًا واحدًا، و هو هود عليه السلام، لأنّ المراد ذكر إجرامهم، فناسب أن يناط الجرم بعصيان جنس الرّسل، لأنّ تكذيبهم هودًا لم يكن خاصًّا بشخصه، لأنّهم قالوا له: ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي اٰلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ﴾ هود: ٥٣، فكلّ رسول جاء بأمر ترك عبادة الأصنام فهم مكذّبون به. و مثله قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ﴾ الشّعراء: ١٢٣.
(١١: ٢٨٥)

الطَّباطَبائيّ: و عصوا رسل ربّهم، و هم هود و من قبله من الرّسل، فإنّ عصيان الواحد منهم عصيان للجميع، فكلّهم يدعون إلى دين واحد، فهم إنّما عصوا شخص هود و عصوا بعصيانه سائر رسل الله، و هو ظاهر قوله في موضع آخر: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ * اِذْ قَالَ لَهُمْ اَخُوهُمْ هُودٌ اَلَا تَتَّقُونَ﴾ الشّعراء: ١٢٣، ١٢٤....

و من الممكن أن يكون لهم رسل آخرون بُعثوا إليهم فيما بين هود و نوح عليهما السلام، لم يُذكروا في الكتاب العزيز، لكن سياق الآيات لا يُساعد على ذلك.
(١٠: ٣٠٥)

رُسُلِي

وَ لَقَدْ اَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ بَنِي اِسْرَائِيلَ وَ بَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَ قَالَ اللهُ اِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ اَقَمْتُمُ الصَّلٰوةَ وَ اٰتَيْتُمُ الزَّكٰوةَ وَ اٰمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَ عَزَّرْتُمُوهُمْ وَ اَقْرَضْتُمُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا... المائدة: ١٢

ابن عبّاس: الّذين يجيؤون إليكم. (٩٠)

أبو السُّعود: أي بجميعهم. (٢: ٢٤٨)

راجع: ع ز ر: «عَزَّرْتُمُوهُمْ».

رُسُلُنَا

١ـ وَ هُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَ يُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتّٰى اِذَا جَاءَ اَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَ هُمْ لَايُفَرِّطُونَ. الأنعام: ٦١

ابن عبّاس: قبضه ملَك الموت و أعوانه. (١١١)

نحوه البَيْضاويّ (١: ٣١٤)، و النّسَفيّ (٢: ١٦)، و الشِّربينيّ (١: ٤٢٥)، و شُبَّر (٢: ٢٦٩).

النّخعيّ: تتوفّاه الرّسل، ثمّ يقبض منهم ملَك الموت الأنفس. (الطّبَريّ ٥: ٢١٥)

مُجاهِد: جعلت الأرض لملَك الموت مثل

الطّست، يتناول من حيث شاء، و جُعلت له أعوان يتوفّون الأنفس، ثمّ يقبضها منهم.(الطّبَريّ ٥: ٢١٥)

الحسَن: هو ملك الموت و أعوانه، و أنّهم لا يعلمون آجال العباد حتّى يأتيهم علم ذلك من قبل الله بقبض أرواح العباد. (الطُّوسيّ ٤: ١٧١)

قَتادَة: إنّ ملَك الموت له رسل، فيرسل و يرفع ذلك إليه.

[و في رواية أخرى] يلي قبضها الرّسل ثمّ يدفعونها إلى ملك الموت. (الطّبَريّ ٥: ٢١٥)

الرّبيع: [في حديث: سُئل عن الرّبيع بن أنس عن ملك الموت، أهو وحده الّذي يقبض الأرواح، قال:] هو الّذي يلي أمر الأرواح، و له أعوان على ذلك، ألا تسمع إلى قول الله تعالى ذكره: ﴿حَتّى اِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾؟ الأعراف: ٣٧. و قال: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَايُفَرِّطُونَ﴾ غير أنّ ملَك الموت هو الّذي يسير كلّ خطوة منه من المشرق إلى المغرب.

قلت: أين تكون أرواح المؤمنين؟ قال: عند السّدرة في الجنّة. (الطّبَريّ ٥: ٢١٥)

الكَلْبيّ: إنّ ملك الموت هو يلي ذلك فيدفعه، إن كان مؤمنًا، إلى ملائكة الرّحمة، و إن كان كافرًا إلى ملائكة العذاب. (الطّبَريّ ٥: ٢١٥)

مُقاتِل: إنّ المراد بالرّسل: ملك الموت وحده. (ابن الجَوْزيّ ٣: ٥٦)

الطّبَريّ: توفّاه أملاكنا الموكّلون بقبض الأرواح، و رسلنا المرسلون به.

فإن قال قائل: أو ليس الّذي يقبض الأرواح ملك الموت، فكيف قيل: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ و الرّسل جملة [ظ: جمع] و هو واحد؟ أو ليس قد قال: ﴿قُلْ يَتَوَفّٰيكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ السّجدة: ١١؟

قيل: جائز أن يكون الله تعالى ذكره أعان ملك الموت بأعوان من عنده، فيتولّون ذلك بأمر ملك الموت، فيكون التّوفّي مضافًا ـ و إن كان ذلك من فعل أعوان ملك الموت ـ إلى ملك الموت؛ إذ كان فعلهم ما فعلوا من ذلك بأمره، كما يضاف قتل من قتل أعوان السّلطان و جلد من جلدوه بأمر السّلطان، إلى السّلطان، و إن لم يكن السّلطان باشر ذلك بنفسه، و لا وَلِيه بيده. (٥: ٢١٤)

نحوه الماوَرْديّ (٢: ١٢٣)، و البُرُوسَويّ (٣: ٤٥)، و الآلوسيّ (٧: ١٧٦).

الزّجّاج: أي هؤلاء الحفظة، لأنّه قال: ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾. (٢: ٢٥٨)

الثّعلبيّ: يعني أعوان ملك الموت يقبضونه، ثمّ يدفعونه إلى ملك الموت. (٤: ١٥٥)

الطُّوسيّ: يعني قبضت الملائكة روح المتوفّى، و هم رسل الله الّذين عنا هم الله بهذه الآية. (٤: ١٧١)

الزّمَخْشَريّ: أي استوفت روحه، و هم ملك الموت و أعوانه. (٢: ٢٥)

ابن عَطيّة: يريد به ـ على ما ذكر ابن عبّاس و جميع أهل التّأويل ـ: ملائكة مقترنين بملك الموت،

يعاونونه و يأتمرون له. (٢: ٣٠٦)

الفخر الرّازيّ: هنا بحثان:

البحث الأوّل: أنّه تعالى قال: ﴿اَللّٰهُ يَتَوَفَّى الْاَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ الزّمر: ٤٢، و قال: ﴿اَلَّذِى خَلَقَ الْمَوْتَ وَ الْحَيٰوةَ﴾ الملك: ٢، فهذان النّصّان يدلّان على أنّ توفّي الأرواح ليس إلّا من الله تعالى. ثمّ قال: ﴿قُلْ يَتَوَفّٰيكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ﴾ السّجدة: ١١، و هذا يقتضي أنّ الوفاة لاتحصل إلّا من ملك الموت. ثمّ قال في هذه الآية: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ فهذه النّصوص الثّلاثة كالمتناقضة.

و الجواب: أنّ التّوفّي في الحقيقة يحصل بقدرة الله تعالى، و هو في عالم الظّاهر مفوّض إلى ملك الموت، و هو الرّئيس المطلق في هذا الباب، و له أعوان و خدَم و أنصار، فحسُنت إضافة التّوفّي إلى هذه الثّلاثة بحسب الاعتبارات الثّلاثة، و لله أعلم.

البحث الثّاني: من النّاس من قال: هؤلاء الرّسل الّذين بهم تحصل الوفاة، و هم أعيان أُولئك الحفظة، فهم في مدّة الحياة يحفظونهم من أمر الله، و عند مجيء الموت يتوفّونهم. و الأكثرون أنّ الّذين يتولّون الحفظ غير الّذين يتولّون أمر الوفاة. و لادلالة في لفظ الآية تدلّ على الفرق، إلّا أنّ الّذي مال إليه الأكثرون هو القول الثّاني.

و أيضًا فقد ثبت بالمقاييس العقليّة أنّ الملائكة الّذين هم معادن الرّحمة و الخير و الرّاحة مغايرون للّذين هم أُصول الحزن و الغمّ، فطائفة من الملائكة هم المسمّون بالرّوحانيّين لإفادتهم الرّوح و الرّاحة و الرّيحان، و بعضهم يسمّون بالكرّوبيّين لكونهم مبادئ الكرب و الغمّ و الأحزان. (١٣: ١٦)

أبو حَيّان: قيل: عني به ملك الموت ﷺ، و أُطلق عليه الجمع تعظيمًا، و قيل: ملك الموت و أعوانه. و الأكثرون على أنّ رسلنا عين الحفظة يحفظونهم مدّة الحياة، و عند مجيء أسباب الموت يتوفّونهم. و لاتعارض بين قوله: ﴿اَللّٰهُ يَتَوَفَّى الْاَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ الزّمر: ٤٢، و بين قوله: ﴿قُلْ يَتَوَفّٰيكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ﴾ السّجدة: ١١، و بين قوله: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾، لأنّ نسبة ذلك إلى الله تعالى بالحقيقة، و لغيره بالمباشرة، و لملك الموت، لأنّه هو الآمر لأعوانه، و له و لهم بكونهم هم المتولّون قبض الأرواح. (٤: ١٤٨)

أبو السُّعود: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ الآخرون المفوّض إليهم ذلك، و هم ملك الموت و أعوانه، و انتهى هناك حفظ الحفظة. (٢: ٣٩٥)

المَراغيّ: الرّسل هم أعوان ملك الموت الّذين يتولّون ذلك بأمره. (٧: ١٤٩)

ابن عاشور: قوله: ﴿رُسُلُنَا﴾ في قوّة النّكرة، لأنّ المضاف مشتقّ، فهو بمعنى اسم المفعول، فلاتفيده الإضافة تعريفًا، و لذلك فالمراد من الرّسل الّتي تتوفّى، رسل غير الحفظة المرسلين على العباد، بناءً على الغالب في مجيء نكرة عقب نكرة، أنّ الثّانية غير الأُولى.

و ظاهر قوله: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ أنّ عددًا من الملائكة يتولّى توفّي الواحد من النّاس. و في الآية

الأخرى: ﴿قُلْ يَتَوَفّيكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ السّجدة: ١١، و سمّي في الآثار عزرائيل، و نقل عن ابن عبّاس: أنّ لملك الموت أعوانًا. فالجمع بين الآيتين ظاهر. (٦: ١٤٢)

الطّباطَبائيّ: هل هذه الرّسل هم الرّسل المذكورون أوّلًا حتّى تكون الحفظة هم الموكّلين على التوفّي؟ الآية ساكتة عن ذلك إلّا ما فيها من إشعار ضعيف بالوحدة، غير أنّ هؤلاء الرّسل المأمورين بالتوفّي - كائنين من كانوا هم - من أعوان ملك الموت، لقوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفّيكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ السّجدة: ١١.

و نسبة التوفّي إلى هؤلاء الرّسل، ثمّ إلى ملك الموت في الآية المحكيّة آنفًا، ثمّ إلى الله سبحانه في قوله: ﴿اَللهُ يَتَوَفَّى الْاَنْفُسَ﴾ الزّمر: ٤٢، من قبيل التفنّن في مراتب النّسب، فالله سبحانه ينتهي إليه كلّ أمر، و هو المالك المتصرّف على الإطلاق، و لملك الموت التوسّل إلى ما يفعله من قبض الأرواح، بأعوانه الّذين هم أسباب الفعل و وسائله و أدواته، كالخطّ الّذي يخطّ القلم و وراءه اليد و وراءهما الإنسان الكاتب. (٧: ١٣٢)

فضل الله: الّذين أوكل الله إليهم القيام بهذا الدّور. (٩: ١٤٨)

و بهذا المعنى جاء قوله تعالى:

٢ - ﴿فَمَنْ اَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرٰى عَلَى اللهِ كَذِبًا اَوْ كَذَّبَ بِاٰيَاتِهِ اُولٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتّٰى اِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا اَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَ شَهِدُوا عَلٰى اَنْفُسِهِمْ اَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾. الأعراف: ٣٧

٣ - ﴿وَ اِذَا اَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ اِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِى اٰيَاتِنَا قُلِ اللهُ اَسْرَعُ مَكْرًا اِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾. يونس: ٢١

ابن عبّاس: الحفظة. (١٧٢)

الطّبَريّ: يقول: إنّ حفظتنا الّذين نرسلهم إليكم، يكتبون عليكم ما تمكرون في آياتنا. (٦: ٥٤٤)

٤ - ﴿وَ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا اِبْرٰهِيمَ بِالْبُشْرٰى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ اَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾. هود: ٦٩

ابن عبّاس: جبريل و من معه من الملائكة اثنا عشر ملَكًا. (١٨٨)

كانوا ثلاثة: جبرئيل و ميكائيل و إسرافيل. (الثّعلبيّ ٥: ١٧٧)

مثله سعيد بن جُبَير (ابن الجَوْزيّ ٤: ١٢٧)

أنّهم كانوا اثني عشر. (ابن الجَوْزيّ ٤: ١٢٧)

الضّحّاك: [عدد الملائكة:] تسعة. (الثّعلبيّ ٥: ١٧٧)

ابن كعب القُرَظيّ: [عدد الملائكة:] ثمانية. (ابن الجَوْزيّ ٤: ١٢٧)

السُّدّيّ: كانوا أحد عشر ملَكًا في صورة

الغِلمان الحسان و الوجوه، ذوو وضاءة و جمال بارع. (٣٠٢)

الإمام الصّادق عليه السلام: إنّ اللّه بعث أربعة أملاك بإهلاك قوم لوط: جبرئيل و ميكائيل و إسرافيل، و كرّوبيل... (العيّاشيّ ٢: ٣١٤)

مُقاتِل: جبريل، و ميكائيل، و ملك الموت.

(ابن الجَوْزيّ ٤: ١٢٧)

الطّبَريّ: ﴿رُسُلُنَا﴾ من الملائكة، و هم فيما ذُكر، كانوا جبريل و ملكين آخرين.

و قيل: إنّ الملكين الآخرين كانا ميكائيل و إسرافيل معه. (٧: ٦٧)

نحوه الماوَرْديّ. (٢: ٤٨٢)

الثّعلبيّ: يعني الملائكة. و اختلفوا في عددهم، فقال ابن عبّاس: كانوا ثلاثة: جبرئيل و ميكائيل و إسرافيل. الضّحّاك: تسعة. السُّدّيّ: أحد عشر، و كانوا على صورة الغلمان الوضّاء وجوههم.

(٥: ١٧٧)

نحوه الزّمَخْشَريّ (٢: ٢٨٠)، و الطَّبْرِسيّ (٣: ١٧٩).

ابن عَطيّة: الرّسل: الملائكة، و هم جبريل و ميكائيل و إسرافيل. و قالت فرقة: بدل إسرافيل عزرائيل ملك الموت. و روي أنّ جبريل منهم كان مختصًّا بإهلاك قرية لوط، و ميكائيل مختصًّا بتبشير إبراهيم بإسحاق، و إسرافيل مختصًّا بإنجاء لوط و من معه. (٣: ١٨٧)

الفَخْر الرّازيّ: ﴿رُسُلُنَا﴾ جمع و أقلّه ثلاثة، فهذا يفيد القطع بحصول ثلاثة. و أمّا الزّائد على هذا العدد فلاسبيل إلى إثباته إلّا بدليل آخر. و أجمعوا على أنّ الأصل فيهم كان جبريل عليه السلام، ثمّ اختلفت الرّوايات. [ثمّ نقل بعض الرّوايات المذكورة في ذلك و قال:]

و هم الّذين ذكرهم اللّه في سورة والذّاريات ٢٤، في قوله: ﴿هَلْ أَتَيكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ﴾، و في الحجر: ٥١ ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ﴾.

(١٨: ٢٢)

نحوه الشِّرْبينيّ. (٢: ٦٨)

البَيْضاويّ: يعني الملائكة، قيل: كانوا تسعة، و قيل: ثلاثة: جبريل و ميكائيل و إسرافيل.

(١: ٤٧٤)

النّسَفيّ: جبريل و ميكائيل و إسرافيل، أو جبريل مع أحد عشر ملَكًا. (٢: ١٩٦)

البُرُوسَويّ: أي و باللّه لقد جاء جبريل و جمع من الملائكة معه، في صورة الغلمان الّذين يكونون في غاية الحسن و البهاء و الجمال إلى إبراهيم عليه السلام.

(٤: ١٦١)

شُبّر: رسُلنا من الملائكة. (٣: ٢٣١)

الآلوسيّ: [نقل الأقوال و أضاف:]

و حكى صاحب الفينان: أنّهم عشرة منهم جبريل. و حكى الماوَرْديّ: أنّهم أربعة و لم يسمّهم. و جاء في رواية عن عثمان بن محيصن: أنّهم جبريل و إسرافيل و ميكائيل و رفائيل. (١٢: ٩٣)

المَراغيّ: أي و لقد جاءت رسلنا من الملائكة.

و اختلفت الرّواية فيهم، فعن عطاء إنّهم جبريل و ميكائيل و إسرافيل عليهم السلام، و عن غيره إنّهم جبريل و سبعة أملاك معه، و مثل هذا لا يعلم إلّا بتوقيف من الوحي و لم يثبت. (١٢: ٥٨)

الطّباطبائيّ: الرّسل: هم الملائكة المرسلون إلى إبراهيم للبشارة و إلى لوط لإهلاك قومه. و قد اختلفت كلمات المفسّرين في عددهم، مع القطع بكونهم فوق الاثنين، لدلالة لفظ الجمع -الرّسل- على ذلك. و في بعض الرّوايات عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام أنّهم كانوا أربعة من الملائكة الكرام. (١٠: ٣٢٠)

٥ -﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوٰيهُمْ بَلٰى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾. الزّخرف: ٨٠

السُّدّيّ: ﴿رُسُلُنَا﴾ هم الحفظة. (٤٣٩)

نحوه قتادة (الطّوسيّ ٩: ٢١٨)، و الطّبريّ (١١: ٢١٤)، و الثّعلبيّ (٨: ٣٤٥)، و الواحديّ (٤: ٨٢)، و الزّمخشريّ (٣: ٤٩٧)، و الطّبرسيّ (٥: ٥٧)، و الفخر الرّازيّ (٢٧: ٢٢٨).

ابن عطيّة: رسله: الحفظة من الملائكة. (٥: ٦٥)

أبو السّعود: الّذين يحفظون عليهم أعمالهم، و يلازمونهم أينما كانوا. (٦: ٤٣)

ابن عاشور: الرّسل: هم الحفظة من الملائكة، لأنّهم مرسلون لتقصّي أعمال النّاس، و لذلك قال: ﴿لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾، كقوله: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ ق: ١٨، أي رقيب يرقب قوله. (٢٥: ٢٩٥)

الطّباطبائيّ: رسلنا الموكّلون على حفظ أعمالهم عليهم يكتبون ذلك. (١٨: ١٢٥)

نحوه مكارم الشّيرازيّ. (١٦: ٩٩)

فضل الله: الّذين جعلناهم شهودًا عليهم. (٢٠: ٢٦٧)

٦ -﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ...﴾ الحديد: ٢٥

الزّمخشريّ: يعني الملائكة إلى الأنبياء. (٤: ٦٦)

أبو السّعود: أي الملائكة إلى الأنبياء، أو الأنبياء إلى الأمم، و هو الأظهر. (٦: ٢٠٨)

الآلوسيّ: أي من بني آدم كما هو الظّاهر. (٢٧: ١٨٨)

راجع: ب ي ن: «البيّنات».

رُسُلًا

١ -﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَاءِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوٰى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾. المائدة: ٧٠

ابن عاشور: الرّسل الّذين أرسلوا إليهم، هم موسى و هارون و من جاء بعدهما، مثل يوشع بن نون و أشعيا و أرميا و حزقيال و داوود و عيسى. فالمراد بالرّسل هنا: الأنبياء، من جاء منهم بشرع و كتاب، مثل موسى و داوود و عيسى، و من جاء

معزّزًا للشّرع مبيّنًا له، مثل يوشع و أشعيا و أرميا.

و إطلاق الرّسول على النّبيّ الّذي لم يجيء بشريعة، إطلاق شائع في القرآن، كما تقدّم، لأنّه لمّا ذكر أنّهم قتلوا فريقًا من الرّسل، تعيّن تأويل الرّسل بالأنبياء، فإنّهم ما قتلوا إلّا أنبياء لا رسلًا.
(٥: ١٦٤)

٢ ـ اَللهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلٰئِكَةِ رُسُلًا وَ مِنَ النَّاسِ اِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ. الحجّ: ٧٥

ابن عبّاس: ﴿رُسُلًا﴾ بالرّسالة، يعني جبريل و ميكائيل و إسرافيل و ملك الموت. (٢٨٤)

الطّبريّ: يقول تعالى ذكره: الله يختار من الملائكة رسلًا، كجبرئيل و ميكائيل اللّذين كانا يرسلهما إلى أنبيائه، و من شاء من عباده و من النّاس، كأنبيائه الّذين أرسلهم إلى عباده من بني آدم. و معنى الكلام: الله يصطفي من الملائكة رُسُلًا، و من النّاس أيضًا رُسُلًا. (٩: ١٩٠)

الثّعلبيّ: كجبرئيل و ميكائيل و غيرهما، ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ أيضًا رسلًا مثل إبراهيم و موسى و عيسى و محمّد و غيرهم من الأنبياء صلوات الله عليهم. (٧: ٣٤)

الزّمخشريّ: هذا ردّ لما أنكروه من أن يكون الرّسول من البشر، و بيان أنّ رُسُل الله على ضربين: ملائكة و بشر. (٣: ٢٣)

ابن عَطيّة: ﴿رُسُلًا﴾ إلى الأنبياء و غيرهم حسبما ورد في الأحاديث. ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ و هم الأنبياء المبعوثون لإصلاح الخلق الّذين اجتمعت لهم النّبوّة و الرّسالة. (٤: ١٣٤)

أبو السُّعود: ﴿رُسُلًا﴾ يتوسّطون بينه تعالى و بين الأنبياء عليهم السّلام بالوحي. ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ و هم المختصّون بالنّفوس الزّكيّة، المؤيّدون بالقوّة القدسيّة، المتعلّقون بكلا العالمين الرّوحانيّ و الجسمانيّ... (٤: ٣٩٨)

الطَّباطَبائيّ: الرّسول رسولان: رسول ملكيّ يأخذ الوحي منه تعالى و يؤدّيه إلى الرّسول الإنسانيّ، و رسول إنسانيّ يأخذ الوحي من الرّسول الملكيّ و يلقيه إلى النّاس. (١٤: ٤١٠)

رِسَالَةَ

فَتَوَلّٰى عَنْهُمْ وَ قَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ اَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَ نَصَحْتُ لَكُمْ وَ لٰكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ.
الأعراف: ٧٩

ابن عبّاس: بالأمر و النّهي. (١٣١)

الطّبريّ: ما أمرني بأدائه إليكم ربّي من أمره و نهيه. (٥: ٥٤٠)

رِسَالَاتِ

١ ـ اُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَ اَنْصَحُ لَكُمْ وَ اَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ. الأعراف: ٦٢

ابن عبّاس: بالأمر و النّهي. (١٣٠)

الطّوسيّ: الرّسالات جمع رسالة، و هي جملة من البيان يحملها القائم بها، ليؤدّيها إلى غيره. و إنّما جمع هاهنا ﴿رِسَالَاتِ﴾ و في موضع آخر (رِسَالَة)

الأعراف : ٧٨، على التّوحيد، لأنّه يشعر تارة بالجملة و تارةً بالتفصيل، فلمّا دعا إلى عبادة الله و طاعته و اجتناب محارمه و العمل بشريعته، كان هذا تفصيل رسالات الله تعالى.

و رسالات الله حكم: من ترغيب، و تحذير، و وعد، و وعيد، و مواعظ، و مزاجر، و حجج، و براهين و أحكام يعمل بها، و حدود ينتهي إليها.

(٤: ٤٦٨)

الزّمخشريّ: ما أوحي إليّ في الأوقات المتطاولة أو في المعاني المختلفة، من الأوامر و النّواهي و المواعظ و الزّواجر و البشائر و النّذائر. و يجوز أن يريد رسالاته إليه و إلى الأنبياء قبله، من صحف جدّه إدريس و هي ثلاثون صحيفة، و من صُحف شيث و هي خمسون صحيفة. (٢: ٨٥)

الفخر الرّازيّ: ﴿رِسَالَاتِ رَبِّى﴾ يدلّ على أنّه تعالى حمله أنواعًا كثيرة من الرّسالة. و هي أقسام التّكاليف من الأوامر و النّواهي، و شرح مقادير الثّواب و العقاب في الآخرة، و مقادير الحدود و الزّواجر في الدّنيا. (١٤: ١٥١)

النّسفيّ: ما أُوحي إليّ في الأوقات المتطاولة، أو في المعاني المختلفة، من الأوامر و النّواهي و المواعظ و البشائر و النّظائر. (٢: ٥٨)

نحوه الكاشانيّ. (٢: ٢٠٨)

أبو السُّعود: جمع رسالات لاختلاف أوقاتها، أو لتنوّع معانيها، أو لأنّ المراد بها: ما أوحي إليه و إلى النّبيّين من قبله. (٢: ٥٠٣)

البُرُوسَويّ: الرّسالة صفة واحدة قائمة بذات الرّسول متعلّقة بالإضافة إلى المُرسِل و المرسَل إليه إلّا أنّها جُمعت نظرًا إلى تعدّدها، بحسب تنوّع معانيها كالعقائد و المواعظ و الأحكام، أو لأنّ المراد بها ما أُوحي إليه و إلى الأنبياء قبله، كصُحُف شيث و هي خمسون صحيفة، و صُحُف إدريس و هي ثلاثون صحيفة. (٣: ١٨٣)

الطّباطبائيّ: في جمع الرّسالة دلالة على كونها كثيرة، و أنّ له مقاصد أمره ربّه أن يبلّغها إيّاهم وراء التّوحيد و المعاد، فإنّه نبيّ رسول من أولي العزم، صاحب كتاب و شريعة. (٨: ١٧٥)

٢ ـ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّى وَ اَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ اَمِينٌ. الأعراف : ٦٨

الطّبْرِسيّ: أي: نبوّات ربّي. إنّما قال: ﴿رِسَالَاتِ﴾ هنا و فيما تقدّم بلفظ الجمع، لأنّ الرّسالة متضمّنة لأشياء كثيرة من الأمر و النّهي و التّرغيب، و التّرهيب، و الوعد و الوعيد، و غير ذلك، فأتى بلفظ يدلّ عليها. و إذا قال «رسالة ربّي» بلفظ الواحد، أتى بلفظة مشتملة على هذه الأشياء بطريق الإجمال. (٢: ٤٣٧)

٣ ـ فَتَوَلّٰى عَنْهُمْ وَ قَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ اَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّى وَ نَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ اٰسٰى عَلٰى قَوْمٍ كَافِرِينَ. الأعراف : ٩٣

الطّوسيّ: إنّما أتى بلفظ الجمع ليدلّ على اختلاف معاني الرّسالة إذا جُمعت، فهي تجري

مجرى جمع الأجناس، كقولك: تُمور، و أمّا ضـربات فإنّما يدلّ على عدد المرّات. (٤: ٥٠٤)

رِسَالَاتِهِ

إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا.

الجنّ: ٢٣

ابن عاشور: ﴿رِسَالَاتِهِ﴾ جمع رسالة، و هي ما يُرسَل من كلام أو كتاب، فالرّسالات بلاغ خاصّ بألفاظ مخصوصة، فالمراد منها هنا تبليغ القرآن. (٢٩: ٢٢٧)

راجع: ب ل غ: «بَلَاغًا».

رِسَالَاتِي

قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ. الأعراف: ١٤٤

الطّوسيّ: قرأ أهل الحجاز، و روح (برسالتي) على التوحيد. الباقون ﴿برسالاتي﴾ على الجمع. و الرّسالة تجري مجرى المصدر، فتُفرَد في موضع الجمع، و إن لم يكن المصدر من «أرسل». [ثمّ استشهد بشعر]

و المصدر قد يقع لفظ الواحد فيه، و المراد به الكثرة. و كان المعنى على الجمع، لأنّه مرسل لضروب من الرّسالة، و المصادر قد تُجمَع مثل الحُلُوم و الألباب. و قال تعالى: ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ لقمان: ١٩، فجمع الأصوات لمّا أُريد بها أجناس مختلفة، صوت الحمار بعضها، فأفرد صوت الحمار، و إن كان المراد به الكثرة، لأنّه صوت واحد. (٤: ٥٧١)

نحوه القُرطُبيّ. (٧: ٢٨٠)

ابن عَطيّة: قرأ حمزة و الكِسائيّ و أبو عمرو و عاصم و ابن عامر ﴿برسالاتي﴾ على الجمع؛ إذ الّذي أُرسل به ضروب، و قرأ ابن كثير و نافع (برسالتي) على الإفراد الّذي يراد به الجمع. و تحلّ الرّسالة هاهنا محلّ المصدر الّذي هو الإرسال. و قرأ جمهور النّاس ﴿وَبِكَلَامِي﴾ و قرأ أبو رجاء (برسالتي وبكلِمَتي)، و قرأ الأعمش (برسالاتي وبكَلِمي). (٢: ٤٥٢)

الفخر الرّازيّ: قرأ ابن كثير و نافع: (برسالتي) على الواحد، و الباقون ﴿برسالاتي﴾ على الجمع، و ذلك أنّه تعالى أوحى إليه مرّة بعد أُخرى. و من قرأ (برسالتي) فلأنّ الرّسالة تجري مجرى المصدر، فيجوز إفرادها في موضع الجمع. (١٤: ٢٣٦)

البَيْضاويّ: يعني أسفار التّوراة، و قرأ ابن كثير و نافع (برسالتي). (١: ٣٦٨)

نحوه النّسَفيّ (٢: ٧٦)، و الشِّربينيّ (١: ٥١٤)، و أبو السُّعود (٣: ٢٧)، و الكاشانيّ (٢: ٢٣٦)، و شُبّر (٢: ٤١٤)، و الآلوسيّ (٩: ٥٥).

البُرُوسَويّ: ﴿برسالاتي﴾ جمع الرّسالة، و هي في الأصل مصدر بمعنى الإرسال، و المراد به

هنا الشّيء المُرسَل به إلى الغير. و هو أسفار التّوراة جمع سِفر، بمعنى الكتاب. يقال: سفره إذا كتبه، و ألواح التّوراة أسفار من حيث إنّها كتب فيها التّوراة. (٣: ٢٣٨)

الطّباطبائيّ: المراد بالرّسالات هو ما حُمل من الأوامر و النّواهي الإلهيّة، من المعارف و الحكم و الشّرائع، ليبلّغه النّاس، سواء كان التّحميل بواسطة ملَك أو بتكليم بلاواسطة ملَك، فهي غير الكلام و إن حُملت بكلام، فإنّ الكلام أمر، و المعاني الّتي يتلقّاها السّامع منه أمر آخر. (٨: ٢٤٣)

و في بقيّة آيات هذه المادّة لاحظ ما جاء فيها من موادّ: أ خ ذ، أ ذ ن، أ ذ ي، أ س و، أ م م، أ ي ي، ب ر أ، ب د ع، ب ش ر، ب ل غ، ب ي ن، ت ب ع، ت ل و، ث و ر، ج ب ي، ج ن ح، ج و ب، ح ر ب، ح د د، ح س ب، ح ص ب، ح ف ظ، ح ق ق، ح ك م، ح ي ف، ح ي ق، خ ت م، خ ر ج، خ م س، خ ل ف، خ ل و، خ و ن، د ر ر، د ع و، ذ ك ر، ر أ ي، ر د د، ر ض ي، ر ح م، ر ق ي، ر و ح، ر ي ح، ز ب ر، ز ك ي، س أ ل، س ح ر، س ر ع، س ر ف، س ف ه، س ك ن، س ل ط، س ن ن، ش د د، ش ف ق، ش ق ق، ش ه د، ص د د، ص د ق، ص ر ص ر، ص ع ق، ص ل ب، ص ل و، ص ي ح، ض ل ل، ط و ع، ط ي ب، ظ ل م، ع ب د، ع ت و، ع ذ ب، ع ر م، ع ز ز، ع ص و، ع ل م، ع ه د، غ ر ر، غ ض ض، غ ل ب، غ ن ي، ف ت ر، ف ر ح، ف ر ق، ف ض ل، ف ي ء، ف ي ض، ق ت ل، ق د م، ق س ط، ق ص ص، ق ص ف، ق ض ي، ق ع د، ق ل ب، ق ف و، ق ن ت، ك ت ل، ك ذ ب، ك ف ر، ك ف ف، ك ف ل، ك ل م، ل س ن، ل ع ب، ل ق ح، ل و و، م ل ك، م ن ي، ن ب أ، ن ج و، ن ج ي، ن ذ ر، ن ز ل، ن ص ح، ن ص ر، ن ف س، ن ف ض، ن ف ق، ن ف ل، ق ض ي، و ح ي، و ت ر، و ص ل، و ع د، و ل ج، و ل ي، و ك ل، و ر ي، و ع د، و ق ت، و ه ب، ه ج ر، ه د ي، ه ز ء، ه و ي، ي أ س.

الوُجوه و النّظائر

الحيريّ: باب الرّسول على ثلاثة عشر وجهًا:

أحدها: محمّد ﷺ كقوله: ﴿وَ لَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾ البقرة: ١٠١، و قوله: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ﴾ البقرة: ١٥١، و قوله: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾ البقرة: ٢٨٥، و قوله: ﴿إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ آل عمران: ١٦٤، نظيرها في الجمعة الآية: ٢، و قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ النّساء: ١٧٠، و قوله: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ﴾ المائدة: ١٩. [و ذكر آيات أُخرى، راجع]

و الثّاني: اليسع، كقوله: ﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ﴾ البقرة: ٢١٤، و قيل: شعيا.

و الثّالث: عيسى ﷺ كقوله: ﴿وَ رَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ آل عمران: ٤٩.

والرّابع: جبريل عليه السلام كقوله: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ﴾ مريم: ١٩، وقوله: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ * إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ التكوير: ١٨ـ٢٠.

والخامس: موسى وهارون، كقوله في الشّعراء الآية: ١٦: ﴿فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

والسّادس: نوح عليه السلام، كقوله: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ الشّعراء: ١٠٦، ١٠٧.

والسّابع: هود، كقوله: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ الشّعراء: ١٢٤، ١٢٥.

والثّامن: صالح، كقوله: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ الشّعراء: ١٤٢، ١٤٣.

والتّاسع: لوط، كقوله: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ الشّعراء: ١٦١، ١٦٢.

والعاشر: شعيب، كقوله: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ الآية: ١٧٧، ١٧٨، فسبعتهنّ في الشّعراء.

والحادي عشر: يونس، كقوله: ﴿وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ * أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ الدّخان: ١٧، ١٨.

والثّاني عشر: رسول من الرّسل، كقوله: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ البقرة: ١٢٩.

والثّالث عشر: رسول ريّان بن الوليد، كقوله في يوسف الآية: ٥٠: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ﴾.

باب الرّسل على تسعة أوجه:

أحدها: رسل بني إسرائيل من بعد موسى، كقوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ﴾ البقرة: ٨٧.

والثّاني: بعض الرّسل إلّا محمّداً صلى الله عليه وسلم كقوله: ﴿عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ﴾ المائدة: ١٩.

والثّالث: جميع الرّسل، كقوله: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ النّساء: ١٦٥، وقوله: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ﴾ المائدة: ١٠٩.

والرّابع: محمّد صلى الله عليه وسلم كقوله: ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾ الأنعام: ١٢٤، وقوله في هود الآية: ٥٩: ﴿وَعَصَوْا رُسُلَهُ﴾، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ المؤمنون: ٥١.[1]

والخامس: ملك الموت وأعوانه، كقوله: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ الأنعام: ٦١، وقوله: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾ الأعراف: ٣٧.

والسّادس: الحفظة، كقوله: ﴿قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ يونس:

---

(١) وفيها النّظر، فإنّ المراد بـ(الرّسل) فيها هم الرّسل غير محمّد صلى الله عليه وسلم.

٢١، و قوله: ﴿بَلىٰ وَ رُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ الزّخرف: ٨٠.

و السّابع: آدم و إدريس و نوح عليهم السلام كقوله: ﴿وَ عَصَوْا رُسُلَهُ﴾ هود: ٥٩.

و الثّامن: جبريل عليه السلام في اثني عشر ملكًا، كقوله في هود الآية: ٨١: ﴿يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ﴾، نظيرها في العنكبوت الآية: ٣١: ﴿وَ لَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرٰهِيمَ بِالْبُشْرىٰ﴾، و قوله: ﴿وَ لَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ﴾ العنكبوت: ٣٣.

و التّاسع: بعض الرّسل، كقوله في إبراهيم: ١٠: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللّٰهِ شَكٌّ﴾، و فيها أيضًا الآية: ١١: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ﴾. (٢٧٢)

الدّامغانيّ: الرّسالة و الإرسال على ثمانية أوجُه: سلّط، بعث، فتح، أخرج، وجه، أطلق، أنزل، حفظ.

فوجه منها: أرسل يعني سلّط، قوله في مريم: ٨٣ ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ﴾ يعني سلّطنا، مثلها في المطفّفين: ٣٣: ﴿وَ مَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ﴾ أي ما سلّطوا على المؤمنين، و كقوله الأعراف: ١٣٢: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ﴾ أي سلّطنا.

و الوجه الثّاني: أرسل: أي بعث، قوله النّساء: ٧٨: ﴿وَ أَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾ أي مبعوثًا، و الأعراف: ٥٨، ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ أي بعثنا، و نحوه كثير.

و الوجه الثّالث: الإرسال: الفتح، قوله في فاطر: ٢: ﴿وَ مَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ﴾ يعني فلا فاتح له من بعده.

و الوجه الرّابع: الإرسال: الإخراج، قوله في القمر: ٢٧: ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ﴾ يعني مُخرج النّاقة ﴿فِتْنَةً لَهُمْ﴾ و كقوله في بني إسرائيل: ٥٩: ﴿وَ مَا نُرْسِلُ بِالْاٰيَاتِ﴾ يعني نخرج الآيات.

و الوجه الخامس: الإرسال: التّوجيه، أرسل أي وجّه الأشخاص، قوله الشّعراء: ٥٤: ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ﴾ وجّه فرعون ﴿فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ أي شاخصين، و كقوله يوسف: ١٩: ﴿فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ﴾ يعني وجّهوا طالبًا للماء.

و الوجه السّادس: الإرسال: الإطلاق من العذاب، قوله الشّعراء: ١٧: ﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ من العذاب، مثلها في طٰه: ٤٧، ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَ لَا تُعَذِّبْهُمْ﴾، و في الأعراف: ١٣٤، ﴿لَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَاءِيلَ﴾. أي لنطلقنّ معك بني إسرائيل.

و الوجه السّابع: الإرسال: الإنزال، قوله في نوح: ١١: ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ﴾ يعني ينزل المطر، كقوله في الذّاريات: ٣٣: ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً﴾، أي لنمطر، و قوله: الفيل: ٣: ﴿وَ أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ يعني أمطر.

و الوجه الثّامن: الرّسل: الحفظة، قوله في يونس: ٢١: ﴿إِنَّ رُسُلَنَا﴾ يعني الحفظة ﴿يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾. (٣٧٠)

الفيروزاباديّ: الرّسول في القرآن ورد على اثني عشر وجهًا:

الأوّل: بمعنى جبريل و ميكائيل و المصطفين منهم: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلٰئِكَةِ رُسُلًا﴾ الحجّ: ٧٥.

الثّاني: بمعنى الأنبياء: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ النّساء: ١٦٥.

الثّالث: بمعنى صالح النّبيّ: ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ نَاقَةَ اللهِ﴾ الشّمس: ١٣.

الرّابع: بمعنى نوح: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي﴾ الأعراف: ٦٢.

الخامس: بمعنى هود: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ﴾ الأعراف: ٦٨.

السّادس: بمعنى موسى الكليم: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ الشّعراء: ١٦٢.

السّابع: بمعنى شعيب: ﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ﴾ الأعراف: ٨٧، ﴿يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي﴾ الأعراف: ٩٣.

الثّامن: بمعنى يوسف الصّدّيق: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ﴾ إلى قوله: ﴿مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا﴾ المؤمن: ٣٤.

التّاسع: بمعنى رُسُل بلقيس إلى سليمان: ﴿فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ النّمل: ٣٥.

العاشر: بمعنى شخص غير معيّن: ﴿أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ الشّورى: ٥١.

الحادي عشر: بمعنى عيسى: ﴿إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ﴾ الصّفّ: ٦.

الثّاني عشر: بمعنى سيّد المرسلين: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ﴾ الصّفّ: ٦، ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾ النّساء: ٧٩، ﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ﴾ آل عمران: ١٥٣، ﴿مَالِ هٰذَا الرَّسُولِ﴾ الفرقان: ٧، و له نظائر. (٣: ٧٢)

الأُصول اللُّغويّة

١ ـ الأصل في هذه المادّة: الرَّسَل، و هو قطيع بعد قطيع؛ و الجمع: أرسال. يقال: أرسلوا إبلَهم إلى الماء أرسالًا، أي قطعًا؛ و منه حديث الإمام عليّ عليه السلام يصف أصحابه يوم صفّين: «فتداكّوا عليّ تداكّ الإبل الهيم يوم وردها و قد أرسلها راعيها».[1]

و جاءت الإبل و الخيل أرسالًا، إذا جاء منها رَسَلٌ بعد رَسَل، أي قطيعًا بعد قطيع. و في الحديث: «إنّ النّاس دخلوا عليه بعد موته أرسالًا يصلّون عليه»، أي أفواجًا و فرقًا متقطّعة، بعضهم يتلوا بعضًا.

و استرسَل، إذا قال: أرسِل إليّ الإبل أرسالًا.

و الرَّسَل من الإبل و الغنم: ما بين عشر إلى خمس و عشرين.

و منه: الإرسال: التّوجيه، و قد أرسَل إليه؛ و الاسم: الرِّسالة و الرَّسالة و الرَّسول و الرَّسيل.

و الرَّسول: الّذي يُتابع أخبار الّذي بعثه، و سمّي رسولًا، لأنّه ذو رسول، أي ذو رسالة، و هو من قولهم: جاءت الإبل رَسَلًا، أي متتابعةً.

و الرّسول أيضًا: الرِّسالة و المُرْسَل، يُذكّر

---

(١) نهج البلاغة ـ الخطبة: (٥٤)

و يُؤنّث، فمن ذكّر أراد المُرْسَل؛ و جمعه: على رُسُل و رُسْل و رُسَلاء. و من أنّث أراد الرّسالة؛ و جمعه: على أرْسُل. يقال: هي رسولك، أي رسالتك، و هو رسولك، أي مُرْسِلك.

و أرسَلتُ فلانًا في رسالة، فهو مُرْسَل و رسول.

و تراسل القوم: أرسَل بعضهم إلى بعض.

و الرّسيل: الفحل العربيّ يُرْسَل في الشّول ليضربها، و هو «فعيل» بمعنى «مُفْعَل» من أرسَل. يقال: قد أرسَل بنو فلان رسيلهم، أي فحلهم.

و الرّسيل: الموافق لك في النّضال و نحوه.

و المُراسِل من النّساء: الّتي تُراسل الخُطّاب، أو الّتي فارقها زوجها بأيّ وجه كان، مات أو طلّقها.

و المُراسِل: الّتي قد أسنّت و فيها بقيّة شباب؛ و الاسم: الرّسال.

و الرِّسْل: اللّبن، تشبيهًا بالرّسَل، لأنّه يخرج من الضّرع على شخاب، أي دفعات. يقال: كثر الرِّسْل العام، أي كثر اللّبن.

و أرسَل القوم فهم مُرْسِلون: كثر رِسْلهم، و صار لهم اللّبن من مواشيهم.

و رجل مُرسِّل: كثير الرِّسْل و اللّبن و الشّرب.

و الرِّسْل: الرّخاء و الخِصْب. قال ابن الأثير: «لأنّ الرِّسْل: اللّبن، و إنّما يكثر في حال الرّخاء و الخِصْب».

و الرِّسْل: الرّفق و التُّؤَدة، و هو الرِّسْلَة أيضًا. يقال: افعَلْ كذا و كذا على رِسْلك، أي اتّئد فيه، كما يقال: على هينتك، و في حديث صفيّة: «على رِسْلكما»، أي اتّئدا و لاتعجلا.

و منه: التّرسّل و التّرسيل في القراءة، و هو التّحقيق بلاعجلة. يقال: ترسّل في قراءته، أي اتّأدَ فيها، و في الحديث: «كان في كلامه ترسيل»، أي ترتيل.

و التّرسّل ـ من الرِّسْل ـ في الأمور و المنطق، كالتّمهّل و التّوقّر و التّثبّت. يقال: ترسّل الرّجل في كلامه و مشيه، إذا لم يعجل.

و الرَّسْل: الّذي فيه لين و استرخاء. يقال: ناقة رَسْلَة القوائم، أي سلسة ليّنة المفاصل.

و ناقة رَسْلَة: سهلة السّير، و جمل رَسْل كذلك، و قد رَسِل رَسَلًا و رَسالة.

و رجل فيه رَسْلَة: كسل.

و هم في رَسْلَة من العيش: لين.

و سير رَسْل: سهل.

و استَرْسَل الشّيء: سَلِس.

و شَعر رَسْل: مُستَرسِل. يقال: استَرْسَل الشّعر، أي صار سَبِطًا.

و الرَّسْل: الطّويل المُستَرسِل، و قد رَسِل رَسَلًا و رَسالةً.

و الإرسال: الإطلاق و الإهمال. يقال: أرسَل الشّيء، أي أطلقه و أهمله.

و المُرْسَلة: قلادة تقع على الصّدر.

و ألقى الكلام على رُسَيْلاته: تهاون به.

و جارية رُسُل، إذا كانت صغيرة لاتختمر.

و ناقة مِرْسال: رَسْلَة القوائم، كثيرة الشّعر في

ساقيها طويله.

و المِرْسال: النّاقة السّهلة السّير، و إبل مراسيل.

والاسترسال إلى الإنسان: كالاستئناس و الطّمأنينة. يقال: استَرْسَل إليه، أي انبسط و استأنس. و في الحديث: «أيّما مسلم استرسل إلى مسلم فغبنه فهو كذا»، أي وثق به فيما حدّثه.

٢ ـ و الحديث المُرْسَل: ما انقطع إسناده كلّه أو آخره، ثمّ رُفع إلى رسول الله ﷺ[١]، و خلافه المتّصل[٢]، و هو أن يقول الرّاوي: سمعت فلانًا، إذا كان الحديث متّصل الإسناد، أو يقول: سمعت رسول الله ﷺ، إذا كان مرفوعًا إليه. و منه: حديث الصّحابيّ الجليل أنس بن الحارث الأسديّ رضوان الله عليه، الّذي استشهد مع الحسين و أصحابه في كربلاء؛ حيث رواه ابن حجر في «الإصابة» و السّيوطيّ في «الخصائص» و الجزريّ في «أسد الغابة» و أبو حاتم الرّازيّ في «الجرح و التّعديل» و غيرهم. ففي الإصابة: حدّثنا أشعب بن سحيم عن أبيه، سمعت أنس بن الحارث يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنّ ابني هذا «يعني الحسين» يُقتَل بأرض يقال لها: كربلاء، فمن شهد ذلك منكم فلينصره». قال: فخرج أنس بن الحارث إلى كربلاء، فقُتل بها مع الحسين[٣].

و قال ابن حجر: وقع في «التّجريد» للذّهبيّ: لاصحبة له و حديثه مُرْسَل! وقال المزّيّ: له صحبة فوهم، انتهى. و لايخفى وجه الرّدّ عليه ممّا أسلفناه، و كيف يكون حديثه مُرْسَلًا و قد قال: «سمعت»[٤]؟

و قال ابن السّكن: «في حديثه نظر»[٥]! و نحن نقول: بل في حديثه ظفر، لأنّه قرن العلم بالعمل، و حفظ حديث رسول الله ﷺ فوعاه، و خفر بعهده، ونصر ابنه امتثالًا لأمره، فخصّه بثمرة قلبه، و فداه بنفسه، و ظفر بمرضاة الله و رسوله، فكانت شهادته ثمرة علمه، و دليل صدقه و إخلاصه، فجزاه الله عن الإسلام خير الجزاء.

الاستعمال القرآنيّ

جاء منها المجرّد (رَسُولٌ) و (رَسُولًا) ٢٣٧ مرّة، و (رُسُلٌ) ٩٦ مرّة، و (رِسَالَة) ٣ مرّات و (رِسَالَات) ٧ مرّات.

و المزيد من باب الإفعال ماضيًا معلومًا، ٨٥ مرّة، و مجهولًا، ١٥ مرّة، و مضارعًا معلومًا، ٢١ مرّة، و مجهولًا، مرّة واحدة، و الأمر، ٩ مرّات، و اسم الفاعل، (مُرْسِل) و (مُرْسِلِينَ)، و اسم المفعول، (مُرْسَل) و (مُرْسَلِينَ) كلّ منهما ٥ مرّات، في ٤٢٤

(١) راجع معجم ألفاظ الفقه الجعفريّ (١٥٦) و معجم لغة الفقهاء (٥٤) و القاموس الفقهيّ (٨١).

(٢) المصادر السّابقة حسب ترتيبها (٣٨١) و (٤٢٢) و (٨١).

(٣) الإصابة: (١: ٨١).

(٤) نفس المصدر السّابق.

(٥) المصدر السّابق.

آية:

و يلاحظ أوّلًا: أنّها محوران: إرسال الرّسل من الأنبياء، و إرسال غيرهم من الملائكة و الأشخاص و الأشياء.

المحور الأوّل: إرسال الرّسل، و هو أقسام:

القسم الأوّل: إرسال الرّسل عامّة.

القسم الثّاني: إرسال الرّسل خاصّة من نوح إلى خاتمهم محمّد ﷺ.

القسم الثّالث: الرّسالة و الرّسالات.

القسم الرّابع: المرسل و المرسلين. و هذا هو شرح الأقسام:

القسم الأوّل: إرسال الرّسل عامّة، ١٠٣ آية:

١ـ ﴿وَ لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَ قَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَ آتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَ أَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ البقرة: ٨٧

٢ـ ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَ مَلَائِكَتِهِ وَ رُسُلِهِ وَ جِبْرِيلَ وَ مِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾

البقرة: ٩٨

٣ـ ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَ رَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَ آتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَ أَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَ لَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَ مِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ البقرة: ٢٥٣

٤ـ ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ وَ إِنْ تُؤْمِنُوا وَ تَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ آل عمران: ١٧٩

٥ و ٦ـ ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَ بِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَ الزُّبُرِ وَ الْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾

آل عمران: ١٨٣، ١٨٤

٧ـ ﴿رَبَّنَا وَ آتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَ لَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾

آل عمران: ١٩٤

٨ـ ﴿وَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَ لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَ اسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾

النّساء: ٦٤

٩ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ وَ يُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَ رُسُلِهِ وَ يَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَ نَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ النّساء: ١٥٠

١٠ـ ﴿وَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ وَ لَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَ كَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ النّساء: ١٥٢

١١ و ١٢ ـ ﴿وَ رُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَ رُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَ كَلَّمَ اللهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا * رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَ كَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ النّساء: ١٦٤، ١٦٥

١٣ ـ ﴿وَ لَقَدْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَاءِيلَ وَ بَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَ قَالَ اللهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَوٰةَ وَ آتَيْتُمُ الزَّكَوٰةَ وَ آمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَ عَزَّرْتُمُوهُمْ وَ أَقْرَضْتُمُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَ لَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذٰلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾

المائدة: ١٢

١٤ ـ ﴿مِنْ أَجْلِ ذٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَاءِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَ مَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَ لَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾

المائدة: ٣٢

١٥ ـ ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾

المائدة: ١٠٩

١٦ ـ ﴿وَ لَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾

الأنعام: ١٠

١٧ ـ ﴿وَ لَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَ أُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ وَ لَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾

الأنعام: ٣٤

١٨ ـ ﴿وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَ الضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ الأنعام: ٤٢

١٩ ـ ﴿وَ إِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللهِ اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللهِ وَ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾ الأنعام: ١٢٤

٢٠ ـ ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَ يُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هٰذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا وَ غَرَّتْهُمُ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا وَ شَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ الأنعام: ١٣٠

٢١ ـ ﴿يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَىٰ وَ أَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ الأعراف: ٣٥

٢٢ ـ ﴿وَ نَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَ قَالُوا الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي هَدَانَا لِهٰذَا وَ مَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْ لَا أَنْ هَدَانَا اللهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَ نُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ الأعراف: ٤٣

٢٣ ـ ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَ ضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ الأعراف: ٥٣

٢٤ـ ﴿وَ مَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾

الأعراف: ٩٤

٢٥ـ ﴿تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذٰلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾ الأعراف: ١٠١

٢٦ـ ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرٰهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾

التّوبة: ٧٠

٢٧ـ ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ يونس: ١٣

٢٨ـ ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ يونس: ٤٧

٢٩ـ ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاؤُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾ يونس: ٧٤

٣٠ـ ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ هود: ٥٩

٣١ـ ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يونس: ١٠٣

٣٢ـ ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ هود: ١٢٠

٣٣ـ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ يوسف: ١٠٩

٣٤ـ ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ يوسف: ١١٠

٣٥ـ ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾

الرّعد: ٣٢

٣٦ـ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ الرّعد: ٣٨

٣٧ـ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ابراهيم: ٤

٣٨ـ ٤١ـ ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ * قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ * قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ

نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلٰكِنَّ اللهَ يَمُنُّ عَلىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ * وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ * وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴾

ابراهيم: ٩ ـ ١٣

٤٢ ـ ﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ ﴾ ابراهيم: ٤٤

٤٣ ـ ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴾ ابراهيم: ٤٧

٤٤ و ٤٥ ـ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ * وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ ﴾ الحجر: ١٠، ١١

٤٦ و ٤٧ ـ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ * وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾

النحل: ٣٥، ٣٦

٤٨ ـ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

النحل: ٤٣

٤٩ ـ ﴿تَاللهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ النحل: ٦٣

٥٠ ـ ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ النحل: ١١٣

٥١ ـ ﴿مَنِ اهْتَدىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ الإسراء: ١٥

٥٢ ـ ﴿سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴾ الإسراء: ٧٧

٥٣ ـ ﴿ذٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴾ الكهف: ١٠٦

٥٤ ـ ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ﴾ الأنبياء: ٥

٥٥ ـ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ الأنبياء: ٧

٥٦ ـ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ الأنبياء: ٢٥

٥٧ ـ ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ ﴾

الأنبياء: ٤١

٥٨ ـ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللهُ آيَاتِهِ وَاللهُ عَلِيمٌ

حَكيمٌ ﴾ الحج: ٥٢

٥٩ ـ ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَ جَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَايُؤْمِنُونَ ﴾ المؤمنون: ٤٤

٦٠ ـ ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾

المؤمنون: ٥١

٦١ ـ ﴿ وَ مَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَ يَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَ جَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَ كَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾

الفرقان: ٢٠

٦٢ ـ ﴿ وَ قَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَ جَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَ أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ الفرقان: ٣٧

٦٣ ـ ﴿ وَ مَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَ مَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَ أَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴾ القصص: ٥٩

٦٤ ـ ﴿ وَ لَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَ ضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَ قَالُوا لَا تَخَفْ وَ لَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَ أَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾

العنكبوت: ٣٣

٦٥ ـ ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَ أَثَارُوا الْأَرْضَ وَ عَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَ لَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ الرّوم: ٩

٦٦ ـ ﴿ وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاؤُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَ كَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ الرّوم: ٤٧

٦٧ ـ ﴿ وَ مَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ سبأ: ٣٤

٦٨ و ٦٩ ـ ﴿ وَ مَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَ مَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ * وَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ مَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ سبأ: ٤٤، ٤٥

٧٠ ـ ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَ نَذِيرًا وَ إِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ فاطر: ٢٤

٧١ ـ ﴿ وَ إِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَ بِالزُّبُرِ وَ بِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾ فاطر: ٢٥

٧٢ ـ ﴿ يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ ﴾ يس: ٣٠

٧٣ ـ ﴿ وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ ﴾

الصّافّات: ٧٢

٧٤ ـ ﴿ إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴾

ص: ١٤

٧٥ ـ ﴿ وَ سِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَ قَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَ يُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَ لَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ الزّمر: ٧١

٧٦ ـ ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَ الْأَحْزَابُ مِنْ

بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ المؤمن : ٥

٧٧ ـ ﴿ ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ المؤمن : ٢٢

٧٨ و ٧٩ ـ ﴿ قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ * إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾

المؤمن : ٥٠، ٥١

٨٠ ـ ﴿ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ المؤمن : ٧٠

٨١ ـ ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴾

المؤمن : ٧٨

٨٢ ـ ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ ﴾ المؤمن : ٨٣

٨٣ ـ ﴿ إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلٰئِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ فصّلت : ١٤

٨٤ ـ ﴿ مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴾

فصّلت : ٤٣

٨٥ ـ ﴿ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ ﴾

الزّخرف : ٦

٨٦ و ٨٧ ـ ﴿ وَكَذٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ * قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ الزّخرف : ٢٣، ٢٤

٨٨ ـ ﴿ وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾

الزّخرف : ٤٥

٨٩ ـ ﴿ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ الأحقاف : ٩

٩٠ ـ ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ الأحقاف : ٣٥

٩١ ـ ﴿ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴾ ق : ١٤

٩٢ ـ ﴿ كَذٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾ الذّاريات : ٥٢

٩٣ ـ ﴿ كَتَبَ اللهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ المجادلة : ٢١

٩٤ ـ ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ أُولٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ

وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ الحديد: ١٩

٩٥ - ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ الحديد: ٢١

٩٦ - ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ الحديد: ٢٥

٩٧ - ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ الحديد: ٢٧

٩٨ - ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ التغابن: ٦

٩٩ - ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴾ الطلاق: ٨

١٠٠ - ﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ * فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴾ الحاقّة: ٩، ١٠

١٠١ - ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴾ الجنّ: ٢٦، ٢٧

١٠٢ - ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴾ المرسلات: ١١

و فيها بُحُوثٌ:

و هي أنّ الله قد بيّن في هذه الآيات إرسال الرّسل عامّة إلى الأُمم، و فيها مزايا:

الأُولى: أنّ الله أرسل كلّ رسول بلسان قومه، كما في الآية ٤ من سورة إبراهيم: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ...﴾:

١ - و قال الطّبْرسيّ (٣: ٣٠٢): «ثمّ بيّن سبحانه أنّه إنّما يُرسل الرّسل إلى قومهم بلغتهم، ليكون أقرب إلى الفهم، و أقطع للعذر، فقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ...﴾ أي لم يُرسل فيما مضى من الأزمان رسولًا إلّا بلغة قومه، حتّى إذا بيّن لهم فهموا عنه، و لايحتاجون إلى من يُترجمه عنه.

و قد أرسل الله تعالى نبيّنا محمّدًا ﷺ إلى الخلق كافّةً بلسان قومه، و هم العرب، بدلالة قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ سبأ: ٢٨.

قال الحسَن: امتنّ الله على نبيّه محمّد ﷺ أنّه لم يبعث رسولًا إلّا إلى قومه، و بعثه خاصّة إلى جميع الخلق، و به قال مُجاهد.

و قيل: إنّ معناه: أنّا كما أرسلناك إلى العرب بلغتهم لتبيّن لهم الدّين، ثمّ إنّهم يبيّنونه للنّاس، كذلك أرسلنا كلّ رسول بلغة قومه، ليُظهر لهم الدّين، ثم استأنف فقال...».

٢ ـ و قد امتنّ الله في عشر آيات على النّبيّ و قومه، بأنّه أرسل القرآن بلسان عربيّ، منها: قوله: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ الشّعراء: ١٩٣ ـ ١٩٥، و قوله: ﴿وَهٰذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا...﴾ الأحقاف: ١٢. و قد صرّح فيهما ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ﴾، و ليس في الباقي لفظ «اللّسان». لاحظ: ع ر ب: «عَرَبِيّ».

٣ ـ و الّذي يجلب النّظر:

أوّلاً: أنّ هذه الآيات العشر كلّها مكّيّة، نزلت حينما كان المخاطب للقرآن هم أهل مكّة و ما حولها، و كانوا عربًا.

و ثانيًا: الاهتمام بتكراره على أهل مكّة، الّذين لم يكن فيهم من يكتب و يقرأ الكتاب، سوى حوالي سبعة عشر رجلًا، فكانوا يحسّون حرمانًا لأنفسهم من هذه المزيّة. و الأشعار الكثيرة المنسوبة إلى شعراء الجاهليّة، كانت محفوظة في حافظة الرّواة دون الكتابة. فمنّ الله عليهم بأنّه تعالى أنزل عليهم كتابًا ليهدهم، فإنّهم أصبحوا الآن صاحب كتاب، مثل أهل الكتاب من اليهود و النّصارى.

و ثالثًا: أنّ وصف ﴿عَرَبِيٍّ﴾ للقرآن في بعض الآيات، يقيّد بما دلّ على عظمته و فضله، مثل ﴿عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ الآية ١٩٥ من سورة الشّعراء المتقدّمة، و الآية ١٠٣ من سورة النّحل: ﴿وَهٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾، و مثل: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ في الآية ٢٨ من سورة الزّمر، و نحوها، فلاحظ: ع ر ب: «عربيًّا».

و الثّانية: أنّ الله لم يُرسل رسولًا في قرية إلّا أخذ أهلها بالبأساء و الضّرّاء، كما قال في الآية (١٨): ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ الأنعام: ٤٢.

و قال في (٢٤): ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ الأعراف: ٩٤.

١ ـ و جاء بعدهما ما يُكمّلهما:

فجاء بعد الأُولى: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلٰكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ الأنعام: ٤٣ و ٤٤.

و جاء بعد الثّانية: ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ الأعراف: ٩٥. لاحظ: ب ء س: «البأساء»، و: ض ر ر: «الضّرّاء».

٢ ـ و قد جاء ابتلاء الأقوام بالبأساء للتّذكير في آيات أُخرى، مثل الآية ١٣٠ من سورة الأعراف: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾.

و الآية ١٣٣ منها ـ و هي تتمّة للآية ١٣٠ ـ: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا

﴿وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾.

٣ـ ولابن عاشور بيان فيها، قال: «والفاء في قوله: ﴿فَأَرْسَلْنَا﴾ لتفريع إصابتهم بهذه المصائب على عُتوّهم وعنادهم»؛ إذ جاء قبلها ما دلّ على عنادهم في الآية ١٣٢، ١٣٣: ﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ * فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ...﴾.

٤ـ وقال أيضًا: «والإرسال: حقيقته توجيه رسول أو رسالة. فيعدّى إلى المفعول الثّاني بـ(إلى) ويُضمّن معنى الإرسال من فوق، فيُعدّى إلى المفعول الثّاني بـ«على». قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ الفيل: ٣، ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ الذّاريات: ٤١، فحرف «على» دلّ على أنّ جملة: ﴿أَرْسَلْنَا﴾ مفرّعة تفريع العقاب لا تفريع زيادة الآيات».

٥ـ وقال الطّبرسيّ (٢: ٣٠١) في «اللّغة»: «البأساء: البأس والخوف، والضّرّاء: من الضّرّ، وقد يكون البأساء من البُؤس.

والتّضرّع: التّذلّل. يقال: ضرع فلان لفلان، إذا بخع له وسأله أن يعطيه.

والمبلس: الشّديد الحَسْرة.

وقال الفرّاء: المبلس: المنقطع الحجّة. [ثمّ استشهد بأشعار]».

٦ـ وقال في «المعنى» ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾: «وهاهنا محذوف، وتقديره: رُسُلًا ﴿إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ فخالفوهم ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ﴾. وحسن الحذف للإيجاز به، والاختصار من غير إخلال، لدلالة مفهوم الكلام عليه. ﴿بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ يريد به الفقر، والبُؤس، والأسقام، والأوجاع، عن ابن عبّاس، والحسَن.

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ ومعناه: لكي يتضرّعوا.

وقال الزّجّاج: ﴿لَعَلَّ﴾ ترجٍّ، وهذا التّرجّي للعباد، المعنى: فأخذناهم بذلك، ليكون ما يرجوه العباد منهم من التّضرّع، كما قال في قصّة فرعون: ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ طه: ٤٤.

قال سيبَويه: المعنى: إذهبا أنتما على رجائكما، فالله عالم بما يكون من وراء ذلك. أخبر الله تعالى أنّه أرسل الرّسل إلى أقوام بلغوا من القسوة إلى أن أخذوا بالشّدّة في أنفسهم وأموالهم، ليخضعوا ويذلّوا لأمر الله، فلم يخضعوا ولم يتضرّعوا، وهذا كالتّسلية للنّبيّ ﷺ».

والثّالثة والرّابعة: جاء في الآيات (١٨ و ٣٣ و ٣٦ و ٤٤ و ٤٨ و ٥٥ و ٥٧ و ٦١ و ٦٦ و ٦٨ و ٨١) إرسال الرّسل مقيّدًا بـ﴿قَبْلِكَ﴾ أو ﴿قَبْلِهَا﴾.

وجاء فيها تكذيب الرّسل تسليةً للنّبيّ ﷺ، بأنّه ليس أوّل نبيّ أُرسل إلى قومه فأنكروه وكذّبوه، وآذوه وكفروا به، بل الأمم السّابقة كذّبوا رسلهم قبله.

والخامسة (٥٨) هي الآية ٥٢ من سورة الحجّ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ...﴾.

و قد أطالوا الكلام في موضعين منها: الفرق بين الرّسول و النّبيّ، و إلقاء الشّيطان في أمنيّته.

أمّا الأوّل:

١ ـ فقالوا فيه: الرّسول هو النّبيّ المُرسَل، و النّبيّ هو المُحدَّث الّذي لم يُرسَل، فحكموا بالفرق بينهما.

٢ ـ و قال الزّمَخْشَريّ فيها: «دليل بيّن على تغاير الرّسول و النّبيّ...

و الفرق بينهما: أنّ الرّسول من الأنبياء من جمع إلى المعجزة الكتاب المنزل عليه. و النّبيّ غير الرّسول من لم ينزل عليه كتاب، و إنّما أُمر أن يدعو النّاس إلى شريعة من قبله».

٣ ـ و قال الطَّبْرِسيّ (٧: ٩١): «و إنّما ذكر اللّفظين لاختلاف فائدتهما. فالرّسول الّذي أرسله الله تعالى، ولا يُحمَل عند الإطلاق على غير رسول الله ﷺ. و النّبيّ الّذي له الرّفعة و الدّرجة العظيمة بالإرسال.

و قيل: إنّ بينهما فرقًا: فالرّسول الّذي تنزل عليه الملائكة بالوحي، و النّبيّ الّذي يوحى إليه في منامه. فكلّ رسول نبيّ، و ليس كلّ نبيّ رسولًا. [ثمّ قال:]

و القول هو الأوّل، لأنّ الله سبحانه خاطب نبيّنا ﷺ مرّة بالنّبيّ، و مرّة بالرّسول، فقال: ﴿يَاءَيُّهَا الرَّسُولُ﴾، و ﴿يَاءَيُّهَا النَّبِيُّ﴾. فالرّسول و النّبيّ واحد. لأنّ الرّسول يعمّ الملائكة و البشر، و النّبيّ يختصّ البشر، فجمع بينهما هنا، و في قوله: ﴿وَ كَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ مريم ٥١ و ٥٤».

٤ ـ و بعضهم كالماوَرْديّ ذكر فيها قولين:

أحدهما: أنّه لافرق بينهما، و إنّما جمع بينهما، لأنّ الأنبياء تخصّ البشر، و الرّسل تعمّ الملائكة و البشر.

و الثّاني: الفرق بينهما بما ذكرناه أوّلًا.

٥ ـ و قد حكى الفَخْر الرّازيّ الأقوال كلّها، و لاسيّما قول المعتزلة، و ما احتجّوا به على بطلان القول الأوّل.

و كذلك الآلوسيّ ذكر الأقوال تفصيلًا، و كذلك غيرهما ممّن تأخّر عنهما، فلاحظ.

٦ ـ و قال البَيْضاويّ: «الرّسول من بعثه الله بشريعة مجدّدة يدعو النّاس إليها، و النّبيّ يعمّه و من بعثه لتقرير شرع سابق كأنبياء بني إسرائيل».

٧ ـ و قال الطَّباطَبائيّ: «و في الآية دلالة واضحة على اختلاف معنى النّبوّة و الرّسالة، لابنحو العموم والخصوص مطلقًا، كما اشتهر بينهم أنّ الرّسول هو من بُعث و أُمر بالتّبليغ، و النّبيّ من بُعث، سواء أُمر بالتّبليغ أم لا؛ إذ لو كان كذلك، لكان من الواجب أن يراد بقوله في الآية: ﴿وَلَا نَبِيٍّ﴾ غير الرّسول، أعني من لم يؤمر بالتّبليغ، و ينافيه قوله: ﴿وَ مَا اَرْسَلْنَا﴾...». ثمّ حوّل الكلام على ماقدّمه في مواضع أُخرى، فلاحظ.

٨ ـ و نحن نقول: من قال: إنّ النّبيّ هو من لم يُبعث إلى قوم، فهو خلاف قوله في النّبيّ: ﴿وَ مَا اَرْسَلْنَا﴾ ـ كما قال الطَّباطَبائيّ ـ و خلاف عطف

النّبيّ على الرّسول في الآيتين، فلا دليل للقول بعدم الفرق بينهما مع هذا العطف، كما لا دليل للأقوال الأُخرى.

و أمّا البحث الثّاني فيها: ـ و هو إلقاء الشّيطان في أُمنيّته ـ فـالكلام فيه طويل، لاحظ: م ن ي: «أُمنيّته»، و لاحظ: كلام الطّبْرسيّ (٤: ٩١).

القسم الثّاني: إرسال الرّسل خاصّة من نوح ﷺ إلى خاتمهم محمّد ﷺ:

نوح: ٨ آيات:

١٠٣ ـ ﴿لَقَدْ اَرْسَلْنَا نُوحًا اِلٰى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللّٰهَ مَا لَكُمْ مِنْ اِلٰهٍ غَيْرُهُ اِنّـِي اَخَـافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ الأعراف: ٥٩

١٠٤ ـ ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَـةٌ وَ لٰكِنّـِي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الأعراف: ٦١

١٠٥ ـ ﴿وَ لَقَدْ اَرْسَلْنَا نُوحًا اِلٰى قَوْمِهِ اِنّـِي لَكُـمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ هود: ٢٥

١٠٦ ـ ﴿وَ لَقَدْ اَرْسَلْنَا نُوحًا اِلٰى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللّٰهَ مَا لَكُمْ مِنْ اِلٰهٍ غَيْرُهُ اَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ المؤمنون: ٢٣

١٠٧ ـ ﴿اِذْ قَالَ لَهُمْ اَخُوهُمْ نُوحٌ اَلَا تَتَّقُونَ * اِنّـِي لَكُمْ رَسُولٌ اَمِينٌ﴾ الشّعراء: ١٠٦، ١٠٧

١٠٨ ـ ﴿وَ لَقَدْ اَرْسَلْنَا نُوحًا اِلٰى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ اَلْفَ سَنَةٍ اِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَاَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَ هُمْ ظَالِمُونَ﴾ العنكبوت: ١٤

١٠٩ ـ ﴿وَ لَقَدْ اَرْسَلْنَا نُوحًا وَ اِبْرٰهِيمَ وَ جَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَ الْكِتَابَ...﴾ الحديد: ٢٦

١١٠ ـ ﴿اِنَّا اَرْسَلْنَا نُوحًا اِلٰى قَوْمِهِ اَنْ اَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ اَنْ يَاْتِيَهُمْ عَذَابٌ اَلِيمٌ﴾ نوح: ١

و فيها بُحُوثٌ:

الأُولى: الآية (١٠٣) ـ و هي الآية ٥٩ من سورة «الأعراف» ـ: ﴿لَقَدْ اَرْسَلْنَا نُوحًا اِلٰى قَوْمِهِ...﴾:

١ ـ و هي أوّل آية من قصّة نوح في هذه السّورة، و آخرها الآية ٦٤ منها: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَاَنْجَيْنَاهُ...﴾.

٢ ـ و قال الطّبْرسيّ (٢: ٤٣٣) ﴿لَقَدْ اَرْسَلْنَا نُوحًا...﴾: «"اللّام" للقسم، و (قَدْ) تأكيد للكلام، و تقديره: حقًّا أقول: إنّا...».

٣ ـ و قد ذكر في (٢: ٤٣٤) قصّة نوح ﷺ.

و الثّانية: الآية (١٠٤) و هي الآية ٦١ من سورة «الأعراف» أيضًا.

و الثّالثة: الآية (١٠٥) و هي الآية ٢٥ من سورة «هود»: ﴿وَ لَقَدْ اَرْسَلْنَا نُوحًا اِلٰى قَوْمِهِ...﴾:

١ ـ و هي الآية الأُولى أيضًا من قصّة نوح في هذه السّورة، و آخرها الآية ٤٩ منها: ﴿تِلْكَ مِنْ اَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا اِلَيْكَ...﴾.

٢ ـ و قال الطّبْرسيّ (٣: ١٥٣): «قال أبو عليّ: من فتح (اَنّي) فإنّه يحملها على ﴿اَرْسَلْنَا﴾ أي: أرسلناه بأنّي لكم نذير مبين. [إلى أن قال:]

و من كسر فالوجه فيه أنّه حمله على القول المضمر، لأنّه ممّا قد أُضمر كثيرًا في القرآن، قال سبحانه: ﴿وَ الْمَلٰئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ *

﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ الرّعد: ٢٣، ٢٤، أي يقولون سلام...».

٣ــ و هي من أطول آيات قصّة نوح في القرآن، و جاء فيها حديث الفلك تفصيلًا.

و الرّابعة: الآية (١٠٦) و هي الآية ٢٣ من سورة «المؤمنون»: ﴿وَ لَقَدْ اَرْسَلْنَا نُوحًا اِلٰى قَوْمِهِ...﴾.

١ــ و هي أوّل آية أيضًا من قصّة نوح في هذه السّورة، و آخرها الآية ٣٠ منها: ﴿إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَاٰيَاتٍ وَ إِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾.

٢ــ و قال الطّبْرِسيّ (٤: ١٠٣): «قيل: إنّما سمّي نوحًا لكثرة نَوْحه على نفسه، عن ابن عبّاس».

و الظّاهر أنّ «نوح» عليه السلام لم يكن من العرب، فليس اسمه عربيًّا حتّى يقال في وجهه: لكثرة نَوْحه. و من هذه الأخطاء كثيرة فيما نُسب إلى ابن عبّاس.

و كذلك ما يأتي بعده من الوجهين في سبب نَوْحه:

و قال الطّبْرِسيّ: «و قيل في سبب نَوْحه: إنّه كان يدعو على قومه بالهلاك. و قيل: هو مراجعته ربّه في شأن ابنه».

و الخامسة: الآية (١٠٧) و هي الآية ١٠٧ من سورة «الشّعراء» حكايةً عن نوح لقومه: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ اَمِينٌ﴾:

١ــ و هي ثالثة آيات نوح في هذه السّورة، بدءً من الآية ١٠٥: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾، و ختمًا بالآية ١٢١: ﴿إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَاٰيَةً...﴾.

٢ــ و قال الطّبْرِسيّ (٤: ١٩٦): «﴿رَسُولٌ اَمِينٌ﴾ على الرّسالة فيما بيني و بين ربّكم».

و السّادسة: الآية (١٠٨) و هي الآية ١٤ من سورة «العنكبوت»: ﴿وَ لَقَدْ اَرْسَلْنَا نُوحًا اِلٰى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ اَلْفَ سَنَةٍ اِلَّا خَمْسِينَ عَامًا...﴾:

١ــ و هي أوّل آية من قصّة نوح أيضًا في هذه السّورة، و آخرها الآية ١٥ منها: ﴿فَاَنْجَيْنَاهُ وَ اَصْحَابَ السَّفِينَةِ...﴾.

٢ــ و قال الطّبْرِسيّ (٤: ٢٧٦): «يدعوهم إلى توحيد الله فلم يجيبوه، و كفروا به». لاحظ: أ ل ف: «اَلْفَ سَنَةٍ».

و السّابعة: الآية (١٠٩) و هي الآية ٢٦ من سورة «الحديد»: ﴿وَ لَقَدْ اَرْسَلْنَا نُوحًا وَ اِبْرٰهِيمَ وَ جَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَ الْكِتَابَ...﴾:

١ــ و هي الآية الوحيدة من قصّة نوح مع إبراهيم عليه السلام في هذه السّورة، و الآيات بعدها ذكرت الرّسل عمومًا و عيسى خصوصًا.

٢ــ و قال الطّبْرِسيّ (٥: ٢٤٢): «و إنّما خصّهما بالذّكر لفضلهما، و لأنّهما أبوا الأنبياء».

و الثّامنة: الآية (١١١) و هي الآية الأولى من سورة «نوح»: ﴿إِنَّا اَرْسَلْنَا نُوحًا اِلٰى قَوْمِهِ اَنْ اَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ اَنْ يَاْتِيَهُمْ عَذَابٌ اَلِيمٌ﴾، و آخرها الآية ٢٨ منها، و هي آخر السّورة.

١ــ و هذه هي السّورة الوحيدة في القرآن، جميعها قصة واحدة ــ و بها سمّيت ــ بعد سورة «يوسف» الّتي أكثرها قصّته عليه السلام.

٢ــ و قال الطّبْرِسيّ (٥: ٣٦): «أخبر سبحانه

عن نفسه فقال: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا﴾ أي بعثنا ﴿نُوحًا﴾ رسولًا ﴿إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ...﴾ معناه: أرسلنا لينذرهم بالعذاب إن لم يؤمنوا، قال الحسن: أمره أن ينذرهم عذاب الدّنيا قبل عذاب الآخرة...».

٣ـ هذه ثمان آيات من قصّة نوح، وجاء في ستّ منها بسياق واحد: ﴿أَرْسَلْنَا﴾ مع أنّ اسم «نوح» جاء في القرآن ٤٣ مرّة: مرفوعًا ﴿نُوحٌ﴾ ٣٣ مرّة، ومنصوبًا ﴿نُوحًا﴾ ١٠ مرّات، لاحظ: ن وح: «نوح».

٤ـ والّذي يلفت النّظر في هذه الآيات الثّماني أنّه قد جاءت في الآيتين (١٠٣ و ١٠٦) منها بعد ﴿أَرْسَلْنَا﴾ دعوة قومه إلى توحيد الله بقوله: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾.

وفي واحدة منها (١٠٧): جاء قبل ﴿رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ الأمر بالتّقوى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾.

وفي آيتين منها جاء بعد ﴿أَرْسَلْنَا﴾ إنذارهم بعذاب الله ـ وظاهره عذاب الدّنيا أو الأعمّ من عذاب الآخرة ـ فقال في (١٠٥): ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾، وفي (١١٠): ﴿أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

وقد جاء الإنذار بعذاب الآخرة في (١٠٣) أيضًا بعد الدّعوة إلى التّوحيد، فقال: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

وجاء ذكر عذاب الدّنيا أيضًا ذيل الآية (١٠٨): ﴿فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾.

٥ـ وجاءت في الآية (١٠٩) بشأن نوح وإبراهيم ـ بدل الدّعوة إلى التّوحيد والإنذار بالعذاب ـ: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾.

٦ـ وفي هذا القبيل من تنوّع التّعبير في قصّة واحدة مزيد في البلاغة القرآنيّة، وصولًا إلى الإعجاز البلاغيّ.

هود: ٥ آيات:

١١١ـ ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الأعراف: ٦٧

١١٢ـ ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ هود: ٥٧

١١٣ـ ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ المؤمنون: ٣٢

١١٤ـ ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ الشّعراء: ١٢٤، ١٢٥

١١٥ـ ﴿قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾
الأحقاف: ٢٣

وفيها بحوث:

الأولى (١١١) من قصّة هود هي الآية ٦٧ من سورة «الأعراف»: ﴿... وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾:

١ـ وهي الآية الثّالثة من قصّة هود في هذه

السّورة، بدءً من الآية ٦٥ منها: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا...﴾، وختمًا بالآية ٧٢: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا...﴾.

٢ـ وهي جواب هود لقومه: إذ قالوا في الآية قبلها: ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾، فقوله: ﴿لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ﴾ جواب لقولهم: ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾، وقوله: ﴿وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: جواب لقولهم: ﴿إِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾.

٣ـ والّذي يلفت النّظر أنّهم أكّدوا قولهم بـ ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ﴾ و ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ﴾ مرّتين، أمّا هود فلم يردّ عليهم تأكيدًا، بل أجابهم بجواب عاطفيّ: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، ثمّ أدام كلامه لهم في الآيات بعدها، ملاطفًا لهم: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ...﴾، وذكّرهم بما أنعم عليهم: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

٤ـ وقال الطّبرسيّ (٢: ٤٣٧): «وإنّما قال: ﴿أَخَاهُمْ﴾، لأنّه أبلغ في الحجّة عليهم، إذا اختار للرّسالة إليهم من هو من قبيلتهم، ليكونوا إليه أسكن، وبه آنس، وعنه أفهم...

﴿لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ﴾ أي لم يحملني على هذا الإخبار السّفاهة. ﴿وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ هذا تعليم من الله تعالى، بأن لا يقابل السّفهاء بالكلام القبيح، ولكن يقتصر الإنسان على نفي ما أضيف إليه عن النّفس...».

والثّانية: الآية (١١٢) ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ...﴾ وهي الآية ٥٧ في سورة «هود» من قصّة هود، بدءً من الآية ٥٠: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا...﴾، وختمًا بالآية ٦٠: ﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ...﴾.

١ـ وهذه الآية من جملة جواب هود لما نسبوه إليه في الآيات قبلها: ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾، فأجابهم ابتداءً بـ ﴿قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ إلى أن قال لهم في هذه الآية: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ﴾.

٢ـ وقال الطّبرسيّ (٣: ١٧٠): «﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ هذا حكاية عمّا قاله هود عليه السلام لقومه، والمعنى: فإن تتولّوا. ويجوز أن يكون حكاية عمّا قاله سبحانه لهود، والمعنى: فإن تولّوهم قل لهم: ﴿فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ﴾ أي ليس ذلك لتقصير منّي في إبلاغكم...».

والثّالثة: الآية (١١٣) وهي الآية ٣٢ من سورة المؤمنون: ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ...﴾.

١ ـ وهي الآية الثّانية من قصّة هود فيها بدءً من الآية ٣١: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ وختمًا بالآية ٤١: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ...﴾.

٢ـ وقد بدء الله دعوته بالتّوحيد والتّقوى.

٣ ـ وقال الطّبرسيّ في المعنى (٤: ١٠٦): «ثمّ عطف سبحانه على قصّة قوم نوح فقال: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا

مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أي أحدثنا و خلقنا من بعد قوم نوح ﴿قَرْنًا آخَرِينَ﴾ أي جماعة آخرين من النّاس و القرن أهل العصر على مقارنة بعضهم لبعض. قيل: عادًا قوم هود لأنّه المبعوث بعد نوح.

و قيل: يعني ثمود لأنّهم أهلكوا بالصّيحة عن الجبّائيّ.[أوّل تفسير الآية بعدها على ما سبق]

٢ ـ وقد بدأ اللّه فيها أيضًا دعوته بالتّوحيد و التّقوى.

و الرّابعة: الآية (١١٤) و هي الآية ١٢٥ من سورة «الشّعراء»: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾.

١ ـ و هي من جملة قصّة هود في هذه السّورة، بدءً بالآية ١٢٣ منها: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ﴾، و ختمًا بالآية ١٤٠: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

٢ ـ و قبلها و بعدها: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللّهَ وَأَطِيعُونِ﴾، فقد ابتدأ هود رسالته بدعوتهم إلى التّقوى مرّتين، قبل إعلان رسالته و بعده، تنبيهًا على أنّ قبول دعوة الأنبياء مبنيّ على شيء من التّقوى في نفوس النّاس المدعوّين، كما أنّه مبنيّ على طاعتهم؛ حيث قال: ﴿فَاتَّقُوا اللّهَ وَأَطِيعُونِ﴾.

٣ ـ و الّذي يلفت النّظر أنّ اللّه بدأ قصّة هود في هذه السّورة بتكذيبهم إيّاه؛ حيث قال: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ﴾ قبل حكاية دعوته، تخويفًا لهم و تشديدًا على إصرارهم على التّكذيب.

٤ ـ و قال الطّبرسيّ (٤: ١٩٧): «ثمّ أخبر سبحانه عن عاد، فقال: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ﴾ و التّأنيث لمعنى القبيلة، لأنّه أراد بـ﴿عَادٌ﴾ القبيلة ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ﴾ في النّسب ﴿هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ اللّه، باجتناب معاصيه ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾...».

و الخامسة: الآية (١١٥) ﴿وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ...﴾ و هي الآية ٢٣ في سورة «الأحقاف» من قصّة هود بدءً بالآية ٢١ منها: ﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ...﴾، و ختمًا بالآية ٢٦: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ...﴾.

١ ـ و قد بدأ اللّه تعالى قصّته في هذه السّورة أيضًا بالإنذار، كما بدءها في سورة «الشّعراء» بتكذيبهم حيث قال فيها: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ﴾.

٢ ـ و الّذي يلفت النّظر: أنّ اللّه وصف هود ـ ككثير من الأنبياء ـ بأنّه أخو عاد في هذه الآيات الأربع: حيث قال في الأولى منها في سورة «الأعراف» ٦٥: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا...﴾، و في الثّانية في سورة «هود» الآية ٥٠، و في الثّالثة و الرّابعة في الآية ١٢٤ من سورة «الشّعراء»، و الآية ٢٣ من سورة «الأحقاف»: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ...﴾.

٣ ـ و هذا الإصرار على أخوّة الأنبياء لأممهم، تأليف بينهم و بين أممهم، حرصًا على قبول دعوتهم.

٤ ـ و قال الطّبرسيّ (٥: ٩٠) ﴿وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ﴾: «إليكم، أي و أنا أبلّغكم ما أمرت بتبليغه إليكم ﴿وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾؛ حيث لا تجيبون إلى ما فيه صلاحكم و نجاتكم،

و تستعجلون العذاب الّذي فيه هلاككم، و هذا لايفعله إلّا الجاهل بالمنافع و المضارّ».

صالح ٤ آيات:

١١٦ـ ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾

الأعراف : ٧٥

١١٧ـ ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾

الشّعراء : ١٤٣

١١٨ـ ﴿وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾

النّمل : ٤٥

١١٩ـ ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ نَاقَةَ اللهِ وَ سُقْيَاهَا﴾ الشّمس : ١٣

و فيها بُحُوثٌ:

الأولى: الآية (١١٦) و هي الآية ٧٥ من سورة «الأعراف» في قصّة صالح: ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ...﴾:

١ـ و هذه الآية الثّالثة من قصّة صالح في هذه السّورة، بدءً من الآية ٧٣ منها: ﴿وَ إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا...﴾، و ختمًا بالآية ٧٩ منها: ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَ قَالَ...﴾.

٢ـ و هي قول المستكبرين الّذين لم يؤمنوا، إنكارًا للمستضعفين الّذين آمنوا به؛ حيث قالوا لهم: ﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾.

فقال المستكبرون تكذيبًا و تعنيفًا لهم: ﴿إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾.

٣ـ و جاءت فيها من هذه المادّة كلمتان: ﴿مُرْسَلٌ﴾ و ﴿أُرْسِلَ﴾ و كلاهما مجهولان من «أرسل»، و لعلّ الإتيان بالمجهول ﴿مُرْسَلٌ﴾ من قبل المستكبرين إهانة لصالح، و من قبل المؤمنين به اعتراف بإرساله تعظيمًا له، ردًّا على المستكبرين الّذين أهانوا به.

٤ـ و قال الطّبرسيّ (٢: ٤٤١): «﴿لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا﴾ أي للّذين استضعفوهم من المؤمنين ﴿لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ﴾ إنّما ذكره لئلّا يظنّ بالمستضعفين أنّهم كانوا غير مؤمنين، لأنّه قد يكون المستضعف مستضعفًا في دينه، و لا يكون مؤمنًا، فأزال الله سبحانه هذه الشّبهة ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ أي هل تعلمون أنّ الله سبحانه أرسل صالحًا ﴿قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ أي مصدّقون...».

و الثّانية: الآية (١١٧) و هي الآية ١٤٣ من سورة «الشّعراء»: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾:

١ـ و هي الآية الثّالثة من قصّة ثمود في هذه السّورة، بدءً من الآية ١٤١: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾، و ختمًا بالآية ١٥٩: ﴿وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

٢ـ و هذه الدّعوة أيضًا بدأت بطلب التّقوى منهم مرّتين، قبل إبلاغ الرّسالة و بعدها: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللهَ وَ أَطِيعُونِ﴾.

كما بدأت بالأمر بالطّاعة ﴿وَ أَطِيعُونِ﴾.

وقد كرّرت هذه الجملة: ﴿فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ﴾ مرّة أُخرى بعدها في الآية ١٥١، وجاءت بعدها: ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ * الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾.

وكذلك كرّرت: ﴿فَاتَّقُوا اللهَ أَطِيعُونِ﴾ وفي الآيات بعدها.

٣ـ وقال الطّبرسيّ (٤: ١٩٩): «﴿فَاتَّقُوا اللهَ﴾ في مخالفته ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ فيما آمركم به ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ﴾ يعني الرّؤساء منهم، وهم تسعة رهط، من ثمود الّذين عقروا النّاقة...».

والثّالثة: الآية (١١٨) وهي الآية ٤٥ من سورة «النّمل»: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللهَ...﴾.

١ـ وهذه أوّل آية من قصّة ثمود في هذه السّورة، وآخرها الآية ٥٣: ﴿وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾.

٢ـ وبدء رسالة صالح فيها أيضًا الدّعوة إلى عبادة الله تعالى.

٣ـ وقال الطّبرسيّ (٤: ٢٢٦) في «المعنى»: «ثمّ عطف سبحانه على قصّة سليمان قصّة صالح، فقال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ﴾ في النّسب ﴿صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللهَ﴾ أي أرسلناه بأن اعبدوا الله وحده لا شريك له. ﴿فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ أي مؤمنون وكافرون، يقول كلّ فريق: الحقّ معي».

والرّابعة: الآية (١١٩) وهي الآية ١٣ من سورة «الشّمس»: ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ نَاقَةَ اللهِ وَسُقْيَاهَا﴾.

١ـ وهي الآية الثّالثة من قصّة ثمود في هذه السّورة: بدء من الآية ١١: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾ وختمًا بالآية ١٥: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ وهي آخر السّورة.

٢ـ وقد بدأ الله سبحانه في هذه السّورة أيضًا قصّة ثمود بتكذيبهم؛ حيث قال: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾ كما كرّر تكذيبهم بعدها: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾ فالإنذار بالعذاب، هو الغالب على سياق القصّة في هذه الآيات.

٣ـ والمراد بـ ﴿رَسُولُ اللهِ﴾ في الآية صالح عليه السلام، كما صرّح به في سائر الآيات.

٤ـ وقد بدأ فيها دعوته بما هو معجزته: ﴿نَاقَةَ اللهِ﴾ دون «اعْبُدُوا اللهَ».

٥ـ وقال الطّبرسيّ (٥: ٤٩٧) في قوله: ﴿بِطَغْوَاهَا﴾: «والطّغوى والطّغيان: مجاوزة الحدّ في الفساد، وبلوغ غايته» ثمّ ذكر القراءة.

٦ـ وقال في «المعنى»: «﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ﴾ صالح ﴿نَاقَةَ اللهِ﴾.

قال الفرّاء: حذّرهم إيّاها، وكلّ تحذير فهو نصب، والتّقدير: احذروا ناقة الله، فلا تعقروها. عن الكلبيّ ومقاتل. كما يقال: الأسد الأسد، أي احذروه.

﴿وَسُقْيَاهَا﴾ أي وشربها من الماء، أو ما يسقيها، أي فلا تزاحموها فيه، كما قال سبحانه: ﴿لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ الشّعراء: ١٥٥».

إسمعيل آية واحدة:

١٢٠ ـ ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمٰعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ مريم: ٥٤.

و فيها بُحوث:

١ ـ هذه الآية (١٢٠) و هي الآية ٥٤ في سورة «مريم» من قصّة إسماعيل بدءً من هذه الآية، و ختمًا بالآية بعدها: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلٰوةِ وَالزَّكٰوةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾.

٢ ـ و قد جاء فيها بشأن إسماعيل، و في الآية ٥١، قبلها بشأن موسى عليه السلام: ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ وقد سبق نظيرها في الآية (٥٢): ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ...﴾ و قد سبقت الأقوال في الفرق بينهما هناك.

إلّا أنّه يوجد فرق بين هاتين و بين الآية (٥٢)، فقد جاء فيها ﴿وَلَا نَبِيٍّ﴾ عطفًا على ﴿رَسُولٍ﴾ المقتضي لمغايرتهما، و جاء في هاتين ﴿رَسُولًا نَبِيًّا﴾ وصفًا، المقتضي عدم مغايرتهما.

و الحقّ أنّه جاء فيهما ﴿نَبِيًّا﴾ رويًّا لسائر آيات سورة مريم، فالرّويّ فيها: (شقيًّا، نبيًّا، عليًّا، نبيًّا، نجيًّا، نبيًّا، و نحوها) فكرّرت ﴿نَبِيًّا﴾ رويًّا للآيات.

٣ ـ و المراد بـ ﴿إِسْمٰعِيلَ﴾ في هذه الآية ـ كما ذكر المفسّرون ـ و منهم الطّبرسيّ ـ إسماعيل بن إبراهيم، و يحتمل غيره، لأنّ الله أخّر ذكره عن موسى عليه السلام. لاحظ: إسماعيل المعجم: ج ٢: ٣٢١.

٤ ـ و قال الطّبرسيّ (٣: ٥١٨): «﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ﴾ الّذي هو القرآن ﴿إِسْمٰعِيلَ﴾ ابن إبراهيم أيضًا ﴿إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾ إذا وعد بشيء وفى به، و لم يُخلف، ﴿وَكَانَ﴾ مع ذلك ﴿رَسُولًا نَبِيًّا﴾ إلى جُرْهُم، و قد مضى معناه. [و قد ذكر حديثين في وفائه بعهده ثمّ قال:]

و قيل: إنّ إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام مات قبل أبيه إبراهيم عليه السلام، و إنّ هذا هو إسماعيل بن حزقيل، بعثه الله إلى قومه، فسلخوا جلدة وجهه، و فروة رأسه...».

لوط ٤ آيات:

١٢١ ـ ﴿فَلَمَّا رَأٰى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلٰى قَوْمِ لُوطٍ﴾ هود: ٧٠

١٢٢ ـ ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلٰى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ﴾ الحجر: ٥٨

١٢٣ ـ ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ الشّعراء: ١٦٢

١٢٤ ـ ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلٰى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ﴾ الذّاريات: ٣٢

و كلّها في ضيوف إبراهيم الّذين جاؤوه تبشيرًا له بالولد، و إنذارًا بعذاب قوم لوط.

الأولى: (١٢١) هي الآية ٧٠ من سورة «هود» حكايةً عن ضيوفه: ﴿...إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلٰى قَوْمِ لُوطٍ﴾:

١ ـ و جاءت خلال قصّة إبراهيم عليه السلام، بدءً من الآية ٦٩: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرٰهِيمَ بِالْبُشْرٰى﴾، و ختمًا بالآية ٨٣: ﴿مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ

الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾. و قد سبقت نظائرها.

٢ ـ و قال الطَّبْرِسيّ (٣: ١٧٩): « ﴿إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾ بالعذاب و الإهلاك، لا إلى قومك.

و قيل: إنّهم دعوا الله فأحيا العِجْل الّذي كان ذبحه إبراهيم و شوّاه، فطفر و رعى، فعلم حينئذ أنّهم رسل الله ».

و الثّانية: (١٢٢) الآية ٥٨ من سورة « الحجر »: ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلىٰ قَوْمٍ مُجْرِمِينَ﴾.

و قصّة إبراهيم و لوط جاءت فيها معًا أيضًا، بدء من ٥١: ﴿وَ نَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرٰهِيمَ﴾، و ختمًا بالآية ٦٥: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ الَّيْلِ...﴾.

و الثّالثة: الآية (١٢٣) و هي الآية ١٦٢ من سورة « الشّعراء » ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ و قد سبق تفسيرها في آيات نظيرها، فلاحظ.

و الرّابعة: الآية (١٢٤) ﴿إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلىٰ قَوْمٍ مُجْرِمِينَ﴾ و هي الآية ٣٢ من سورة « الذّاريات »:

١ ـ و قد جاءت قصّتهما معًا فيها أيضًا، بدء من الآية ٢٤: ﴿هَلْ أَتٰيكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرٰهِيمَ﴾، و ختمًا بالآية ٣٧: ﴿وَ تَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾.

٢ ـ و قد جاءت من هذه المادّة: « ر س ل » فيها ثلاث كلمات ﴿الْمُرْسَلُونَ﴾ و ﴿أُرْسِلْنَا﴾ و ﴿لِنُرْسِلَ﴾: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ * قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلىٰ قَوْمٍ مُجْرِمِينَ * لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ﴾.

٣ ـ و قال الطَّبْرِسيّ (٥: ١٥٧) في تفسير الآيات الثّلاث: « ﴿قَالَ﴾ إبراهيم عليه السلام لهم ﴿فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ أي فما شأنكم، و لأيّ أمر جئتم ﴿أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ و كأنّه قال: قد جئتم لأمر عظيم، فما هو؟ ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلىٰ قَوْمٍ مُجْرِمِينَ﴾ أي عاصين لله، كافرين لنعمه، استحقّوا العذاب و الهلاك.

و أصل الجرم: القطع. فالمجرم: القاطع للواجب بالباطل، فهؤلاء أجرموا بأن قطعوا الإيمان بالكفر.

﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ﴾ هذا مفسّر في سورة هود ».

يوسف آية واحدة:

١٢٥ ـ ﴿وَ لَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذٰلِكَ يُضِلُّ اللهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾ المؤمن: ٣٤

و هذه الآية (١٢٥) هي الآية ٣٤ من سورة « المؤمن » جاءت خلال قصص موسى عليه السلام حكاية عن قول الرّجل المؤمن من قوم موسى عليه السلام، و ليس فيها شيء من قصّته المطوّلة المذكورة في سورة يوسف.

و قال الطَّبْرِسيّ (٤: ٥٢٣) ﴿وَ لَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ﴾: « و هو يوسف بن يعقوب، بعثه الله رسولًا إلى القبط ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ أي من قبل موسى، ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي بالحجج الواضحات، ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ﴾ من عبادة الله تعالى، وحده لا شريك له، عن ابن عبّاس.

و قيل: ممّا دعاكم إليه من الدّين.

﴿حَتّى إِذَا هَلَكَ﴾ أي مات، ﴿قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا﴾ أي أقمتم على كفركم، و ظننتم أنّ الله تعالى لا يجدّد لكم إيجاب الحجّة».

شعيب آيتان:

١٢٦ ـ ﴿وَ إِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ اٰمَنُوا بِالَّذى اُرْسِلْتُ بِهِ وَ طَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَنَا وَ هُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ الأعراف: ٨٧

١٢٧ ـ ﴿إِنّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ الشّعراء: ١٧٨

و الأولى: الآية (١٢٦) و هي الآية ٨٧ من سورة «الأعراف» خلال قصّة شعيب: بدءً من الآية ٨٥ منها: ﴿وَ إِلىٰ مَدْيَنَ اَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ...﴾، و ختمًا بالآية ٩٣ منها: ﴿فَتَوَلّٰى عَنْهُمْ وَ قَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ اَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبّي﴾.

١ ـ و قد بدأ شعيب أيضًا دعوته بعبادة الله و نفي الشّرك، كجملة من الأنبياء عليهم السلام، من دون الإنذار بالعذاب أوّلًا كالآخرين منهم. و هذا أيضًا نوع من التّفنّن في الكلام، مزيدًا في البلاغة، نيلًا إلى الإعجاز، و تنبيهًا إلى اختلاف الأقوام أمام دعوة الأنبياء، قبولًا و ردًّا.

٢ ـ و قد جاءت في قصّته هذه كلمتان من هذه المادّة: «ر س ل»: ﴿أُرْسِلْتُ﴾ في هذه الآية، و ﴿رِسَالَاتِ﴾ في الآية الأخيرة منها. و يأتي بحثها في ﴿رِسَالَاتِ﴾.

٣ ـ و قد أحال شعيب في الآية الحكم بين من آمن به، و من لم يؤمن به إلى الله تعالى، و قال: ﴿فَاصْبِرُوا حَتّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَنَا وَ هُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾.

٤ ـ و الّذي يلفت النّظر في قصّة شعيب، أنّه بعد دعوة قومه إلى عبادة الله و ترك الشّرك، و إعلانهم بأن جاءتهم بيّنة من ربّهم، دعاهم إلى إيفاء الكيل و الميزان، و رفع بخس النّاس، تنبيهًا على أنّ عدم إيفاء الكيل و بخس النّاس كانا أسوء عادات قومه من بين الأقوام.

٥ ـ و قال الطّبرسيّ (٢: ٤٤٦) في «اللّغة»: «و الطّائفة: الجماعة من النّاس، و هو من الطّوف، مأخوذة من أنّها تجتمع على الطّواف».

٦ ـ و قال في «المعنى»: «خاطب الطّائفتين، و معناه: لا يغرّنّكم تفرّق النّاس عنّي، فإنّ جميل العاقبة لي، و سيجزي الله كلّ واحد من الفريقين بما يستحقّه على عمله في الدّنيا و الآخرة، أو الآخرة دون الدّنيا. ﴿وَ هُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ لأنّه لا يجوز عليه الجور، و لا المحاباة في الحكم، و هذا وعيد لهم...».

و الثّانية: (١٢٧) هي الآية ١٧٨ من سورة «الشّعراء»: ﴿إِنّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾، و قد سبق تفسير نظيرها.

موسى و هارون و بنو إسرائيل ١٧ آية:

١٢٨ ـ ﴿لَقَدْ اَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَاءِيلَ وَ اَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا

لَاتَهْوٰى اَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَ فَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾
المائدة: ٧٠

١٢٩ ـ ﴿وَ قَالَ مُوسٰى يَافِرْعَوْنُ اِنّى رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الأعراف: ١٠٤

١٣٠ ـ ﴿وَ لَقَدْ اَرْسَلْنَا مُوسٰى بِاٰيَاتِنَا وَ سُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ هود: ٩٦.

١٣١ ـ ﴿وَ لَقَدْ اَرْسَلْنَا مُوسٰى بِاٰيَاتِنَا اَنْ اَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ اِلَى النُّورِ وَ ذَكِّرْهُمْ بِاَيَّامِ اللهِ اِنَّ فِى ذٰلِكَ لَاٰيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ إبراهيم: ٥

١٣٢ ـ ﴿وَاذْكُرْ فِى الْكِتَابِ مُوسٰى اِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَ كَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ مريم: ٥١

١٣٣ ـ ﴿ثُمَّ اَرْسَلْنَا مُوسٰى وَ اَخَاهُ هٰرُونَ بِاٰيَاتِنَا وَ سُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ المؤمنون: ٤٥

١٣٤ ـ ﴿وَ يَضِيقُ صَدْرِى وَ لَايَنْطَلِقُ لِسَانِى فَاَرْسِلْ اِلٰى هٰرُونَ﴾ الشّعراء: ١٣

١٣٥ و ١٣٦ ـ ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا اِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * اَنْ اَرْسِلْ مَعَنَا بَنِى اِسْرَائِيلَ﴾
الشّعراء: ١٦، ١٧

١٣٧ ـ ﴿قَالَ اِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِى اُرْسِلَ اِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ الشّعراء: ٢٧

١٣٨ ـ ﴿وَ لَقَدْ اَرْسَلْنَا مُوسٰى بِاٰيَاتِنَا وَ سُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ المؤمن: ٢٣

١٣٩ ـ ﴿وَ لَقَدْ اَرْسَلْنَا مُوسٰى بِاٰيَاتِنَا اِلٰى فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِ فَقَالَ اِنّى رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾
الزّخرف: ٤٦

١٤٠ و ١٤١ ـ ﴿وَ لَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَ جَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ * اَنْ اَدُّوا اِلَىَّ عِبَادَ اللهِ اِنّى لَكُمْ رَسُولٌ اَمِينٌ﴾ الدّخان: ١٧، ١٨

١٤٢ ـ ﴿وَ فِى مُوسٰى اِذْ اَرْسَلْنَاهُ اِلٰى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ الذّاريات: ٣٨

١٤٣ ـ ﴿وَاِذْ قَالَ مُوسٰى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَ قَدْ تَعْلَمُونَ اَنّى رَسُولُ اللهِ اِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا اَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ وَاللهُ لَايَهْدِى الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ الصّفّ: ٥

١٤٤ ـ ﴿فَعَصٰى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَاَخَذْنَاهُ اَخْذًا وَبِيلًا﴾ المزّمّل: ١٦

و فيها بُحُوثٌ:

الأولى: (١٢٨) هي الآية ٧٠ من سورة «المائدة» بشأن بني إسرائيل: ﴿لَقَدْ اَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِى اِسْرَائِيلَ وَ اَرْسَلْنَا اِلَيْهِمْ رُسُلًا ...﴾:

١ ـ و هذه الآية و الّتي بعدها جاءتا في هذه السّورة بشأن بني إسرائيل، و فيها آيات أخرى بشأن أهل الكتاب و اليهود و النّصارى، فلاحظ.

٢ ـ و جاءت فيها من هذه المادّة ثلاث كلمات: ﴿اَرْسَلْنَا﴾ ﴿رُسُلًا﴾ ﴿رَسُولٌ﴾ من دون اسم رسول من رسلهم.

٣ ـ و قال الطّبرسيّ (٢: ٢٢٥) في «اللّغة» ﴿لَاتَهْوٰى﴾: «الهوى: هو لطف محلّ الشّيء من النّفس، مع الميل إليه، بما لا ينبغي. فلذلك غلب على الهوى صفة الذّمّ، و يقال: هوى يهوى هوًى، و هوى يهوي هَوِيًا: إذا انحطّ من الهوى.

و أهوى بيده، إذا انحطّ بها ليأخذ شيئًا.

و هاويـة: جهـنّم، لأنّهـا يهـوي فيهـا. و هـم يتهاوون في المهواة، إذا سقط بعضهم على بعض.

و الفرق بين الهوى و الشّهوة: أنّ الشّهوة تتعلّـق بالمدركات، فيشتهي الإنسـان الطّعـام، و لا يهـوى الطّعام».

٤ ـ و قال في «المعنى» ﴿كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ﴾ أي ممّا لاتهوى أنفسهم، أي بما لايوافق مرادهم، ﴿فَرِيقًا كَذَّبُوا وَ فَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾... فإن قيل: لِمَ عطف المستقبل على الماضي؟

فجوابه: ليدلّ على أنّ ذلك مـن شـأنهم، ففيـه معنى كذّبوا و قتلـوا، و يكـذبون و يقتلـون...»[بـل وفاقًا للرّويّ فقبلها ﴿وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ و بعـدها ﴿وَ اللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾.]

و الثّانية: (١٢٩) هي الآيـة ١٠٤ مـن سـورة «الأعراف»: ﴿إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ حكايةً عن موسى ﷺ لفرعون.

١ ـ و هي من جملة قصّتهما في هذه السّورة، بدءً من الآية ١٠٣: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِ...﴾، و ختمًا بالآية ١٥٦ منـها: ﴿وَ اكْتُبْ لَنَا فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً...﴾.

٢ ـ و قال الطّبْرسيّ (٢: ٤٥٧): «هذه حكايـة موسى لفرعون، و نداؤه له، إنّي رسول إليـك مـن قبل ربّ العالمين، مبعوث إليك و إلى قومك.

قال وَهْب: و كـان اسـم فرعـون الوليـد بـن مصعب، و هو فرعون يوسف، و كان بين اليوم الّذي دخل يوسف مصر، و اليوم الّـذي دخلـها موسـى رسولًا، أربعمئة عام».

و هذا عجيب من المفسّرين من جهتين:

إحداهما: كـون فرعـون موسـى هـو فرعـون يوسف، و بينهما أربعمئة عام.

ثانيتهما: أنّ اسم فرعون ـ و هـو قبطـيّ ـ اسـم عربيّ. و من هذا القبيل من الخطاء كثير في التّفاسير.

و الثّالثـة: (١٣٠) هـي الآيـة ٩٦ مـن سـورة «هود»: ﴿وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَ سُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾:

١ ـ و هذه أوّل آية من قصص موسـى في هـذه السّورة، و آخرها الآية ١٠٠ منها: ﴿ذٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَ حَصِيدٌ﴾.

٢ ـ و قـال الطّبْرسـيّ (٣: ١٩٠): «ثمّ عطـف سبحانه قصّة موسى ﷺ على ما تقدّم مـن قصـص الأنبياء، فقال: ﴿وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا﴾ أي بحججنا و معجزاتنا الدّالّة على نبوّته.

﴿وَ سُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ أي و حجّة ظاهرة مخلصـة من تلبيس و تمويه على أتمّ ما يمكن.

و السّلطان و إن كان في معـنى الآيـات، فإنّمـا عطفه عليها، لأنّ الآيات حجج من وجـه الاعتبـار العظيم بها.

و السّلطان حجّة من جهة القوّة العظيمة علـى المبطل، و كلّ عالم له حجّة، يقهر بها شبهة من نازعه من أهل الباطل، فله سلطان.

و قد قيل: إنّ سلطان الحجّة أنفـذ مـن سـلطان المملكة. و السّلطان متى كـان محقًّـا حجّـة، وجـب

اتباعه، و إذا كان بخلافه لايجب اتباعه.

قال الزّجّاج: السّلطان إنّما سمّي سلطانًا، لأنّه حجّة الله في أرضه، و اشتقاقه من السّليط الّذي يستضاء به ».

و الرّابعة: (١٣١) هي الآية ٥ من سورة «إبراهيم »: ﴿وَ لَقَدْ اَرْسَلْنَا مُوسٰى بِاٰيَاتِنَا...﴾:

١ـ و هذه أوّل آية أيضًا من قصص موسى عليه السلام في هذه السّورة، و آخرها الآية ٨: ﴿وَ قَالَ مُوسٰى اِنْ تَكْفُرُوا اَنْتُمْ وَ مَنْ فِى الْاَرْضِ جَميعًا﴾.

و قال الطّبرسيّ (٣: ٣٠٢) في «اللّغة »: «التّذكير: التّعريض للذّكر الّذي هو خلاف السّهو».

و قال في «المعنى »: «مثل ما قال في الآية الثّالثة، ثمّ قال: ﴿اَنْ اَخْرِجْ قَوْمَكَ﴾ أي بأن أخرج قومك.

﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ اِلَى النُّورِ﴾ مرّ معناه، أي أمرناه بذلك. و إنّما أضاف الإخراج إليه، لأنّهم بسبب دعائه خرجوا من الكفر إلى الإيمان.

﴿وَ ذَكِّرْهُمْ بِاَيَّامِ اللهِ﴾ قيل: فيه أقوال:

أحدها: أنّ معناه: و أمرناه بأن يُذكّر قومه وقائع الله في الأُمم الخالية، و إهلاك من أهلك منهم ».

و الخامسة: (١٣٢) هي الآية ٥١ من سورة «مريم » في موسى عليه السلام: ﴿وَاذْكُرْ فِى الْكِتَابِ مُوسٰى اِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَ كَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾:

١ـ و هذه أيضًا أوّل الآيات من قصّة موسى عليه السلام في هذه السّورة، و آخره: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا اَخَاهُ هٰرُونَ نَبِيًّا﴾.

٢ـ و قال الطّبرسيّ (٣: ٥١٨): «ثمّ ذكر سبحانه حديث موسى عليه السلام، فقال: ﴿وَاذْكُرْ﴾ يا محمّد ﴿فِى الْكِتَابِ﴾ الّذي هو القرآن ﴿مُوسٰى اِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا﴾ أخلص العبادة لله تعالى، و أخلص نفسه لأداء الرّسالة، و بفتح اللّام يكون معناه: أخلصه الله بالنّبوّة، و اختاره للرّسالة.

﴿وَ كَانَ رَسُولًا﴾ إلى فرعون و قومه.

﴿نَبِيًّا﴾ رفيع الشّأن، عالي القدر ».

٣ـ و الكلام في ﴿رَسُولًا نَبِيًّا﴾ قد سبق في الآية رقم (١٠٩)، فلاحظ.

و السّادسة: (١٣٣) هي الآية ٤٥ من سورة «المؤمنون »: ﴿ثُمَّ اَرْسَلْنَا مُوسٰى...﴾:

١ـ و هذه أوّل آية أيضًا من قصّة موسى و هارون في هذه السّورة، و آخرها الآية ٤٩ منها: ﴿وَ لَقَدْ اٰتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾.

٢ـ و الّذي يلفت النّظر فيها أنّ «الإرسال» تعلّق فيها بـ« موسى و هارون » كليهما، أمّا إيتاء الكتاب فقد خُصّ بموسى؛ حيث قال: ﴿ثُمَّ اَرْسَلْنَا مُوسٰى وَ اَخَاهُ هٰرُونَ بِاٰيَاتِنَا...﴾، ﴿وَ لَقَدْ اٰتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ...﴾.

و المراد بـ﴿بِاٰيَاتِنَا﴾ تلك المعجزات التّسع، و كانت معجزة لهما جميعًا. أمّا ﴿الْكِتَابَ﴾ فهو التّوراة، و قد أُنزلت على موسى عليه السلام.

٤ـ و قال الطّبرسيّ (٤: ١٠٨): «﴿بِاٰيَاتِنَا﴾ أي بدلالاتنا الواضحة.

﴿وَ سُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ أي و برهان ظاهر بيّن ».

و السّابعة: (١٣٤) هي الآية ١٣ من سورة «الشّعراء»: ﴿فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ...﴾:

١ــ و هذه من جملة قصّة موسى و هارون و بني إسرائيل أيضًا في هذه السّورة، بدءً بالآية ١٠: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ...﴾، و ختمًا بالآية ٦٨: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

٢ــ و قد ختم الله الآيات من أوّل السّورة إلى الآية ٨ ــ و كلّها خطاب إلى النّبيّ، حكاية كفر المشركين ــ بآيتين: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

ثمّ كرّرها بعد قصّة موسى و فرعون في الآيتين ٦٦ و ٦٧، و كذا بعد قصّة إبراهيم في ١٠٢ و ١٠٣، و بعد قصّة نوح في الآيتين ١٢٠ و ١٢١، و بعد قصّة هود و قومه عاد في الآيتين ١٢٨ و ١٢٩، و بعد قصّة صالح و قومه ثمود في الآيتين ١٥٧ و ١٥٨، و بعد قصّة لوط و قومه في الآيتين ١٧٣ و ١٧٤، و بعد قصّة شعيب و قومه في الآيتين ١٨٩ و ١٩٠، و كلّها ٨ مرّات.

و هذا نظير الآية: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ من سورة الرّحمن؛ حيث كرّرت ٣١ مرّة.

٣ــ و قال الطّبْرسيّ (٤: ١٨٦): « ﴿فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ﴾ أخي، يعني ليعاونني كما يقال: إذا نزلت بنا نازلة أرسلنا إليك، أي لتعيننا، و إنّما طلب المعاونة حرصًا على القيام بالطّاعة.

و قال الجُبّائيّ: لم يسأل موسى عليه السلام ذلك إلّا بعد أن أذن الله له في ذلك، لأنّ الأنبياء لا يسألون الله إلّا ما يؤذن لهم في مسألته».

و الثّامنة و التّاسعة: (١٣٥) و (١٣٦) هما الآيتان ١٦ و ١٧ من سورة «الشّعراء» أيضًا: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾:

١ ــ و قد جاءت فيهما كلمتان من «ر س ل»: ﴿رَسُولُ﴾ و ﴿أَرْسِلْ﴾.

٢ــ و ﴿أَرْسِلْ﴾ في الآية ١٣ منها، خطاب من موسى إلى الله تعالى، و في الآية ١٧، خطاب من موسى و هارون إلى فرعون.

٣ــ و قد أمرهما الله تعالى بأن يعرّفا أنفسهما بالرّسالة من ربّ العالمين. فهذه دعوة منهما إلى التّوحيد و الرّسالة معًا، و قد بعثت فرعون على أن يسألهما: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ الشّعراء: ٢٣.

٤ــ و قد بدأت دعوة موسى عليه السلام في هذه الآيات أيضًا بالدّعوة إلى التّقوى؛ حيث جاءت في الآية ١١: ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ﴾.

٥ ــ و قال الطّبْرسيّ (٤: ١٨٦): « ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أرسلنا الله إليك لندعوك إلى عبادته، و ترك الإشراك به، و لم يقل: «رسولا ربّ العالمين» لأنّ الرّسول قد يكون في معنى الجمع. [ثمّ استشهد بشعر]

و قيل: إنّ الرّسول بمعنى الرّسالة. [و استشهد بشعر آخر و قال:]

و قد يقع المصدر موقع الصّفة، كما تقع الصّفة موقع المصدر، فيكون مجازه: «إنّا ذوا رسالة ربّ العالمين».

﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي أمرك الله بأن أرسلهم و أطلقهم من الاستعباد، و خلّ عنهم.

و في الكلام حذف، تقديره: إنّهما أتيا فرعون، و بلّغا الرّسالة على ما أمرهما الله تعالى به».

و العاشرة: (١٣٧) هي الآية ٢٧ من سورة «الشّعراء» أيضًا: ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾:

١ـ و هذه من جملة قصّة موسى و فرعون أيضًا، حكاية قول فرعون لقومه أثناء مكالمته لموسى ﷺ.

٢ـ و قد اتّهمه بالجنون، كغيره من الطّغاة المستكبرين، و منهم المشركون في مكّة؛ حيث اتّهموا النّبيّ ﷺ بالجنون.

و الحادية عشرة: (١٣٨) هي الآية ٢٣ من سورة «المؤمن»: ﴿وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَ سُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾:

١ـ و هذه أوّل آية من قصّة موسى و فرعون في هذه السّورة، و آخرها الآية ٣٧: ﴿أَسْبَابَ السَّمٰوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلٰهِ مُوسَىٰ...﴾.

٢ـ و بعدها جاءت آيات حكاية الرّجل الّذي آمن بموسى من قوم فرعون: ﴿وَ قَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ...﴾.

٣ـ و قد تقدّمت معاني ﴿آيَاتِنَا﴾ و ﴿سُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾.

٤ـ و قد جاءت بعدها: ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَ هَامَانَ وَ قَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ فذكر الله فيها أسماء هامان و قارون بعد اسم فرعون. و قد اكتفى في الآيات الأُخرى باسم فرعون و ملأه أو قومه.

كما أنّهم وصفوا موسى، بأنّه ساحر و كذّاب معًا.

٥ـ و هذه الآية خاصّة بإرسال موسى ﷺ دون هارون.

٦ـ و قال الطّبرسيّ (٤: ٥١٩): «﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَ هَامَانَ وَ قَارُونَ﴾ كان موسى رسولًا إلى كافّتهم، إلّا أنّه خصّ فرعون، لأنّه كان رئيسهم، و كان هامان وزيره، و قارون صاحب كنوزه، و الباقون تبع لهم.

و إنّما عطف «السّلطان» على «الآيات» لاختلاف اللّفظين تأكيدًا.

و قيل: المراد بـ«الآيات»: حجج التّوحيد و العدل. و بـ«السّلطان»: المعجزات الدّالّة على نبوّته.

﴿فَقَالُوا سَاحِرٌ﴾ أي مُموّه.

﴿كَذَّابٌ﴾ فيما يدعو إليه».

و الثّانية عشرة: (١٣٩) هي الآية ٤٦ من سورة «الزّخرف»: ﴿وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِ...﴾:

١ـ و هذه أوّل آية من قصّة موسى و فرعون في هذه السّورة أيضًا، و آخرها الآية ٥٦: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَ مَثَلًا لِلْآخِرِينَ﴾، كما أنّها خاصّة بموسى ﷺ من دون ذكر هارون، و الدّعوة فيها إلى رسالته: ﴿إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

٢ ـ و قال الطّبرسيّ (٥ : ٥٠): «ثمّ ذكر سبحانه حديث موسى عليه السلام فقال: ﴿وَ لَقَدْ اَرْسَلْنَا مُوسٰى بِاٰيَاتِنَا﴾ أي بالحجج الباهرة، و المعجزات القاهرة ﴿اِلٰى فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِ﴾ أي أشراف قومه.

و خصّ الملأ بالذّكر، و إن كان أيضًا مرسلًا إلى غيرهم، لأنّ من عداهم تبع لهم...».

و الثّالثة عشرة و الرّابعة عشرة: (١٤٠) و (١٤١) هما الآيتان من سورة «الدّخان»: ﴿وَ جَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ و ﴿اِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ اَمِينٌ﴾:

١ ـ و قد بدأت دعوته فيها، بأن طلب منهم اداء بني إسرائيل، ثمّ بإعلان رسالته إليهم؛ حيث قال: ﴿اَنْ اَدُّوا اِلَيَّ عِبَادَ اللهِ اِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ اَمِينٌ﴾، فقدّم نجاة بني إسرائيل من أيديهم ـ و إخراجهم من عبوديّتهم إلى عبادة الله سبحانه ـ على إعلان رسالته إليهم، ثمّ ضمّ إليها أمورًا أخرى: ﴿وَ اَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللهِ اِنِّي اٰتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ وَ اِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَ رَبِّكُمْ اَنْ تَرْجُمُونِ﴾.

٢ ـ و قال الطّبرسيّ (٥ : ٦٣): «﴿وَ لَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ﴾ أقسم سبحانه أنّه فتن قبل كفّار قوم النّبيّ صلى الله عليه و آله ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ أي اختبرهم، و شدّد عليهم التّكليف، لأنّ الفتنة شدّة التّعبّد، و أصلها: الإحراق بالنّار، لخلاص الذّهب من الغشّ.

و قيل: إنّ الفتنة معاملة المختبر، ليجازى بما يظهر دون ما يعلم ممّا لا يظهر.

﴿وَ جَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ أي كريم الأخلاق و الأفعال، بالتّجاوز و الصّفح، و الدّعاء إلى الصّلاح و الرّشد.

و قيل: كريم عند الله، بما استحقّ بطاعته من الإكرام و الإعظام.

و قيل: كريم شريف في قومه من بني إسرائيل.

﴿اَنْ اَدُّوا اِلَيَّ عِبَادَ اللهِ﴾ هذا من قول موسى عليه السلام لفرعون و قومه. و المعنى: أطلقوا بني إسرائيل من العذاب و التّسخير، فإنّهم أحرار، فهو كقوله: ﴿فَاَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي اِسْرَائِيلَ﴾ الأعراف: ١٠٥، فيكون ﴿عِبَادَ اللهِ﴾ مفعول ﴿اَدُّوا﴾.

و قال الفرّاء: معناه: أدّوا إليّ ما آمركم به يا عباد الله.

﴿اِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ اَمِينٌ﴾ على ما أؤدّيه و أدعوكم إليه».

و الخامسة عشرة: (١٤٢) هي الآية ٣٨ من سورة «الذّاريات»: ﴿وَ فِي مُوسٰى اِذْ اَرْسَلْنَاهُ اِلٰى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾:

١ ـ و هذه أوّل آية في السّورة أيضًا من قصّة موسى و فرعون ـ و هي ثلاث آيات ـ و آخرها الآية ٤٠: ﴿فَاَخَذْنَاهُ وَ جُنُودَهُ...﴾.

٢ ـ و قد تقدّم تفسير ﴿سُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ و قد جاء فيها أيضًا حكايةً عن فرعون ﴿وَ قَالَ سَاحِرٌ اَوْ مَجْنُونٌ﴾.

و السّادسة عشرة: (١٤٣) هي الآية ٥ من سورة «الصّفّ»: ﴿وَ اِذْ قَالَ مُوسٰى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَ قَدْ تَعْلَمُونَ اَنِّي رَسُولُ اللهِ اِلَيْكُمْ فَلَمَّا

زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾:

١ ـ وهي آية واحدة في حديث موسى عليه السلام في هذه السّورة.

٢ ـ قد صُدّرت هي و الّتي بعدها بـ (إذْ): ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾، ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ...﴾ أي تذكّروا ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى﴾ و ﴿إِذْ قَالَ عِيسَى﴾.

٣ ـ و قال الطّبْرسيّ (٥: ٢٧٨): «هذا إنكار عليهم، إيذاءه بعد ما علموا أنّه رسول الله، و الرّسول يُعظَّم، و يُبَجّل، و لا يؤذى. و كان قومه آذوه بأنواع من الأذى، و هو قولهم: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلٰهًا﴾ الأعراف: ١٣٨، و ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا﴾ المائدة: ٢٤. ثمّ ذكر قصّة قارون و المرأة الّتي زعم أنّه زنى بها...».

والسّابعة عشرة: (١٤٤) هي الآية ١٦ من سورة «المزّمّل»: ﴿فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾:

١ ـ و قبلها خطابًا للمشركين: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا * فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ...﴾.

٢ ـ و لم يبدأ دعوته بشيء من التّوحيد و التّقوى و نحوهما، بل بعصيان فرعون الرّسول.

٣ ـ و قال الطّبْرسيّ (٥: ٣٨٠): «﴿فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ...﴾ و لم يقبل منه ما دعاه إليه. ﴿فَأَخَذْنَاهُ﴾ بالعذاب ﴿أَخْذًا وَبِيلًا﴾ أي شديدًا ثقيلًا مع كثرة جنوده، و سعة ملكه، يعني الغرق.

حذّرهم سبحانه، أن ينالهم مثل ما نال فرعون و قومه».

٤ ـ و قد جاء الإرسال في سبع من هذه الآيات بلفظ ﴿أَرْسَلْنَا﴾، و في اثنتين منها: (١٣٥ و ١٣٦) بلفظ ﴿أُرْسِلَ﴾، و في الباقي بلفظ ﴿رَسُولٌ﴾ مع أنّه لم يأت في قصّة آيات عيسى عليه السلام إلّا لفظي ﴿رَسُولٌ﴾ و ﴿رُسُلٌ﴾.

يونس آية واحدة:

١٤٥ ـ ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ الصّافّات: ١٤٧

و هذه من جملة قصّة يونس في هذه السّورة، بدء بالآية ١٣٩ منها: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾، و ختمًا بالآية ١٤٨: ﴿فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ لاحظ: «المرسلين».

عيسى ٦ آيات:

١٤٦ ـ ﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ آل عمران: ٤٩

١٤٧ ـ ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلٰكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ

مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ النساء: ١٥٧

١٤٨ ـ ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللهُ إِلٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلًا﴾

النساء: ١٧١

١٤٩ ـ ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ المائدة: ٧٥

١٥٠ ـ ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾

المائدة: ١١١

١٥١ ـ ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هٰذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾

الصفّ: ٦

الأولى: (١٤٦) هي الآية ٤٩ من سورة «آل عمران»: ﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ...﴾:

١ ـ وهذه من حديث مريم و عيسى عليهما السلام في هذه السّورة، بدء من الآية ٤٢: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلٰئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ اصْطَفَيكِ...﴾، و ختمًا بالآية ٥٩: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ...﴾.

٢ ـ و قبلها تتمّة لآيات في وصف عيسى عليه السلام: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرٰيةَ وَالْإِنْجِيلَ * وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي و يعلّمه الكتاب، و أرسله رسولًا، أو يجعله رسولًا و نحوهما.

٣ ـ و محتواها بيان معجزات عيسى حكايةً عن قوله: و هي النّفخ في الطّين فيكون طيرًا، و إبراء الأكمه والأبرص، و إحياء الموتى، و تنبيئهم بما يأكلون و ما يدّخرون في بيوتهم. و قد كرّر فيهما قوله: ﴿بِإِذْنِ اللهِ﴾ مرّتين، تأكيدًا أنّها كانت بقدرته تعالى لا بقدرة عيسى عليه السلام.

٤ ـ و قال الطّبرسيّ (١: ٤٤٥): « ﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ﴾ أي بدلالة و حجّة ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ دالّة على نبوّتي. ثمّ حذف «الباء» فوصل الفعل ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ...﴾...». [لاحظ «عيسى»]

و الثّانية (١٤٧) هي الآية ١٥٧ من سورة «النّساء» ﴿إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ...﴾:

١ ـ و هذه من حديث عيسى عليه السلام موجزًا في ثلاث آيات، بدء بهذه الآية، و ختمًا بالآية ١٥٩: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ...﴾.

٢ ـ و قد حكى الله فيها قول اليهود: ﴿إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ...﴾، ثمّ أنكره بقوله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ... وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ...﴾.

٣ ـ و قال الطّبرسيّ (٢: ١٣٥) في ﴿رَسُولَ

الله﴾: «أي رسول الله في زعمه، و قيل: إنّه من قول الله سبحانه، لاعلى وجه الحكاية عنهم، و تقديره: الّذي هو رسولي ﴿وَ مَا قَتَلُوهُ وَ مَا صَلَبُوهُ وَ لٰكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾»، ثمّ ذكر الاختلاف في كيفيّة التّشبيه، فلاحظ.

و الثّالثة: (١٤٨) هي الآية ١٧١ من سورة «النّساء» أيضًا: ﴿... إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَ كَلِمَتُهُ...﴾:

١ ـ و هذه، و الآية بعدها أيضًا من حديث عيسى ﷺ، ردّ على غلوّ أهل الكتاب فيه، بأنّه ابن الله. فقال تعالى: إنّه ﴿رَسُولُ اللهِ وَ كَلِمَتُهُ أَلْقٰيهَا إِلٰى مَرْيَمَ وَ رُوحٌ مِنْهُ...﴾.

٢ ـ و قال الطّبرسيّ (٢: ١٤٤) في «اللّغة»: «و أصل المسيح الممسوح، سمّاه الله بذلك، لتطهيره إيّاه من الذّنوب...».

و قال في «المعنى»: «و قيل: سمّي بذلك، لأنّه كان يمسح الأرض مشيًا.

﴿عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ هذا بيان لقوله: ﴿الْمَسِيحُ﴾ يعني: أنّه ابن مريم، لا ابن الله، كما يزعمه النّصارى، و لا ابن أب، كما تزعمه اليهود.

﴿رَسُولُ اللهِ﴾ أرسله الله إلى الخلق، لا كما زعم الفرقتان المبطلتان.

﴿وَ كَلِمَتُهُ﴾ يعني: أنّه حصل بكلمته الّتي هي قوله: (كُنْ) عن الحسن، و قتادة.

و قيل: معناه: أنّه يهتدي به الخلق، كما اهتدوا بكلام الله و وحيه، عن أبي عليّ الجبّائيّ.

و قيل: معناه: بشارة الله الّتي بشّر بها مريم على لسان الملائكة، كما قال: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلٰئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ...﴾ آل عمران: ٤٥، و هو المراد بقوله: ﴿أَلْقٰيهَا إِلٰى مَرْيَمَ﴾ كما يقال: ألقيت إليك كلمة حسنة، أي قلت.

و قيل: معنى ﴿أَلْقٰيهَا إِلٰى مَرْيَمَ﴾: خلقها في رحمها، عن الجبّائيّ.

﴿وَ رُوحٌ مِنْهُ﴾ فيه أقوال». و ذكر ستّة أقوال، فلاحظ.

و الرّابعة: (١٤٩) هي الآية ٧٥ من سورة «المائدة»: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ...﴾:

١ ـ و هذه من جملة آيات جاءت في هذه السّورة بشأن مريم و المسيح ﷺ، بدء من الآية ٧٢: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ...﴾ و ختمًا بالآية ٧٧: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ...﴾.

٢ ـ و هي ردّ و إبطال لما حكاه الله عن أهل الكتاب ـ و المراد بهم النّصارى ـ في هذه الآيات، من أنّ الله هو المسيح بن مريم، و أنّ الله ثالث ثلاثة، بأنّ المسيح ليس إلّا رسول قد مضت من قبله الرّسل، و أنّ أمّه امرأة صدّيقة، و أنّهما كانا يأكلان الطّعام كغيرهما من البشر. فكيف يكون المسيح هو الله تعالى؟

٣ ـ و قال الطّبرسيّ (٢: ٢٢٩) في «اللّغة»: «الصّدّيقة: المبالغة في الصّدق. و الصّدّيق فعّيل من أبنية المبالغة. كما يقال: رجل سكّيت، أي مبالغ في السّكوت».

و قال في ﴿يُؤْفَكُونَ﴾: «يقال: أفكه يأفكه، إفكًا: إذا صرفه. و الإفك: الكذب، لأنّه صرف عن الحقّ، و كلّ مصروف عن شيء مأفوك عنه. [ثمّ استشهد بشعر و قال:]

و قد أفكت الأرض، إذا صُرف عنها المطر. و أرض مأفوكة: لم يصبها مطر. و المؤتفكات: المتقلّبات من الرّياح، لأنّها صُرفت عن وجهها».

٤ ـ و قد فسّرها في «المعنى» إلى أن قال: في ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾: «قيل: فيه قولان:

أحدهما: أنّه احتجاج على النّصارى بأنّ من ولدته النّساء، و يأكل الطّعام، لايكون إلهًا للعباد، لأنّ سبيله سبيلهم في الحاجة إلى الصّانع المدبّر. و المعنى: إنّهما كانا يعيشان بالغذاء، كما يعيش سائر الخلق، فكيف يكون إلهًا من لايقيمه إلّا أكل الطّعام؟ و هذا معنى قول ابن عبّاس.

و الثّاني: أنّ ذلك كناية عن قضاء الحاجة، لأنّ من أكل الطّعام، لابدّ له من الحدث. فلمّا ذكر الأكل، صار كأنّه أخبر عن عاقبته» ثمّ فسّر باقي الآية.

و الخامسة: (١٥٠) هي الآية ١١١ من سورة «المائدة» أيضًا: ﴿أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾:

١ ـ و هذه من حديث عيسى ﷺ ـ و فيها ذكر عن الحواريّين ـ في هذه السّورة، بدءً من الآية ١١٠: ﴿إِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ...﴾، و ختمًا بالآية ١١٨: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ...﴾.

٢ ـ و هذه قول الله للحواريّين أن يؤمنوا بالله و برسوله عيسى، فآمنوا بذلك، و قالوا لله تعالى: ﴿وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾.

٣ ـ و قال الطّبرسيّ (٢: ٢٦٧) في «المعنى» [بعد أن ذكر في «اللّغة» معنى الوحي و أقسامه. لاحظ: و ح ي]: «ثمّ بيّن سبحانه تمام نعمته على عيسى، فقال: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ﴾ أي و اذكر إذ أوحيت ﴿إِلَى الْحَوَارِيِّينَ﴾ أي ألهمتهم.

و قيل: ألقيتُ إليهم بالآيات الّتي أريتهم إيّاها. و مضى الكلام في الحواريّين في سورة آل عمران، و هم وزراء عيسى، عن قتادة، و أنصاره، عن الحسن.

﴿أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي﴾ أي صدّقوا بي و بصفاتي، و بعيسى أنّه عبدي و نبيّي.

﴿قَالُوا﴾ أي قال الحواريّون. ﴿آمَنَّا﴾ أي صدّقنا. ﴿وَاشْهَدْ﴾ يا الله ﴿بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾».

و السّادسة: (١٥١) هي الآية ٦ من سورة «الصّفّ» و جاء فيها كلمتان من هذه المادّة في جملتين: ﴿إِنِّي رَسُولُ اللهِ﴾، ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ﴾:

١ ـ و هي الآية الأولى من حديث عيسى ﷺ في هذه السّورة، بعد آية قبلها بشأن موسى ﷺ:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ...﴾، و ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ...﴾.

و جاء في آخر آية من هذه السّورة أيضًا، حديث عيسى و الحواريّين مرّةً أُخرى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ...﴾.

٢ ـ و يستفاد من قوله في الآية الأُولى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ...﴾، أنّ عيسى ﷺ رسول بني إسرائيل، لا رسول العالمين جميعًا، و هذه نكتة لابدّ من تحقيقها تفصيلًا.

٣ ـ و قال الطّبرسيّ (٥: ٢٧٩) في «المعنى»: «ثمّ عطف سبحانه بقصّة عيسى ﷺ على قصّة موسى ﷺ، فقال: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ أي و اذكر إذ قال عيسى بن مريم لقومه الّذين بُعث إليهم: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ... مِنَ التَّوْرَاةِ﴾ المنزلة على موسى ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ يعني نبيّنا محمّدًا ﷺ، كما قال الشّاعر:

صلّى الإله، و من يحفّ بعرشه
و الطّيّبون على المبارك أحمد

و لهذا الاسم معنيان:

أحدهما: أن يجعل ﴿أَحْمَدُ﴾ مبالغة من الفاعل، أي هو أكثر حمدًا لله من غيره.

و الآخر: أن يُجعل مبالغة من المفعول، أي يُحمَد بما فيه من الأخلاق و المحاسن، أكثر ممّا يُحمَد غيره.

و صحّت الرّواية عن الزّهريّ، عن محمّد بن جُبَيْر بن المطعم، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: إنّ لي أسماء: أنا أحمد، و أنا محمّد، أنا الماحي الّذي يمحو الله بي الكفر، و أنا الحاشر الّذي يحشر النّاس على قدمي، و أنا العاقب الّذي ليس بعدي نبيّ. أورده البخاريّ في الصّحيح. و قد تضمّنت الآية أنّ عيسى بشّر قومه بمحمّد ﷺ، و بنبوّته، و أخبرهم برسالته. و في هذه البُشرى معجزة لعيسى ﷺ عند ظهور محمّد ﷺ، و أمر لأُمّته أن يؤمنوا به عند مجيئه.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ﴾ أحمد ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي بالدّلالات الظّاهرة، و المعجزات الباهرة ﴿قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ أي ظاهر».

نبيّنا محمّد ﷺ ١٦٦ آية.

و لنذكر ما فيها من الأقسام و الأنواع مع تفسير بعضها:

إرسال الرّسول بَشَرًا، و بعثه بالحقّ و الهدى شاهدًا و مبشّرًا و نذيرًا إلى النّاس جميعًا:

١٥٢ ـ ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ البقرة: ١١٩

١٥٣ ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللهُ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ البقرة: ١٤٣

١٥٤ ـ ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَمَا

أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَ أَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَ كَفَىٰ بِاللهِ شَهِيدًا ﴾ النساء: ٧٩

١٥٥ ـ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَ يُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَ رَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَ كَلِمَاتِهِ وَ اتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾

الأعراف: ١٥٨

١٥٦ ـ ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ التوبة: ٣٣

١٥٧ ـ ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَ مَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾

الإسراء: ٥٤

١٥٨ ـ ١٦٠ ـ ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَ لَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا * وَ مَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللهُ بَشَرًا رَسُولًا * قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلٰئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴾ الإسراء: ٩٣ ـ ٩٥

١٦١ ـ ﴿وَ بِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَ بِالْحَقِّ نَزَلَ وَ مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَ نَذِيرًا ﴾ الإسراء: ١٠٥

١٦٢ ـ ﴿وَ لَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْ لَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَ نَخْزَىٰ ﴾ طٰه: ١٣٤

١٦٣ ـ ﴿وَ مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾

الأنبياء: ١٠٧

١٦٤ ـ ﴿وَ جَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَ مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرٰهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَ فِي هٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَ تَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلٰوةَ وَ آتُوا الزَّكٰوةَ وَ اعْتَصِمُوا بِاللهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَ نِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ الحج: ٧٨

١٦٥ ـ ﴿وَ مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَ نَذِيرًا ﴾

الفرقان: ٥٦

١٦٦ ـ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَ مُبَشِّرًا وَ نَذِيرًا ﴾ الأحزاب: ٤٥

١٦٧ ـ ﴿وَ مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَ نَذِيرًا وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ سبأ: ٢٨

١٦٨ ـ ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَ إِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَ إِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴾ الشورى: ٤٨

١٦٩ ـ ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَ مُبَشِّرًا وَ نَذِيرًا ﴾ الفتح: ٨

١٧٠ ـ ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ كَفَىٰ بِاللهِ شَهِيدًا ﴾ الفتح: ٢٨

١٧١ ـ ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ الصفّ: ٩

١٧٢ ـ ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولاً﴾ المزّمّل: ١٥

إرسال الرّسول و بعثهم بالآيات و التّذكية و تعليم الكتاب و الحكمة:

١٧٣ ـ ﴿رَبَّنَا وَ ابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ يُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ البقرة: ١٢٩

١٧٤ ـ ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَ يُزَكِّيكُمْ وَ يُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ يُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾

البقرة: ١٥١

١٧٥ ـ ﴿وَ كَيْفَ تَكْفُرُونَ وَ أَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللهِ وَ فِيكُمْ رَسُولُهُ وَ مَنْ يَعْتَصِمْ بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ آل عمران: ١٠١

١٧٦ ـ ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ إِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ آل عمران: ١٦٤

١٧٧ ـ ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ إِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾

الجمعة: ٢

١٧٨ ـ ﴿رَسُولاً يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَ مَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ وَ يَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللهُ لَهُ رِزْقًا﴾ الطّلاق: ١١

١٧٩ ـ ﴿رَسُولٌ مِنَ اللهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾

البيّنة: ٢

القسم الثّالث: مجيء الرّسول مصدّقًا من أنفسكم بالحقّ و البيان و النّور و بكتاب منير:

١٨٠ ـ ﴿وَ لَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾

البقرة: ١٠١

١٨١ ـ ﴿وَ إِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَ حِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَ لَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَ أَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَ أَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ آل عمران: ٨١

١٨٢ ـ ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَ شَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَ جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَ اللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ آل عمران: ٨٦

١٨٣ ـ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ كَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ النّساء: ١٧٠

١٨٤ ـ ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَ يَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَ كِتَابٌ مُبِينٌ﴾

المائدة: ١٥

١٨٥ ـ ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ

لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ اَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَ لَانَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَ نَذِيرٌ وَ اللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ المائدة: ١٩

١٨٦ ـ ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ اَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ﴾ التوبة: ١٢٨

اتباع الرّسول:

١٨٧ ـ ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا اَنْزَلْتَ وَ اتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ آل عمران: ٥٣

١٨٨ ـ ﴿اَلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْاُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرٰيةِ وَ الْاِنْجِيلِ يَاْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهٰيهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ يُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَ يُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَ يَضَعُ عَنْهُمْ اِصْرَهُمْ وَ الْاَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَ عَزَّرُوهُ وَ نَصَرُوهُ وَ اتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي اُنْزِلَ مَعَهُ اُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الأعراف: ١٥٧

١٨٩ ـ ﴿وَ لَوْلَا اَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ اَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا اَرْسَلْتَ اِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ القصص: ٤٧

استجابة الله و الرّسول:

١٩٠ ـ ﴿اَلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلّٰهِ وَ الرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا اَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ اَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَ اتَّقَوْا اَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ آل عمران: ١٧٢

١٩١ ـ ﴿يَا اَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلّٰهِ وَ لِلرَّسُولِ اِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَ اعْلَمُوا اَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَ قَلْبِهِ وَ اَنَّهُ اِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ الأنفال: ٢٤

ما على الرّسول إلّا البلاغ:

١٩٢ ـ ﴿يَا اَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا اُنْزِلَ اِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَ اِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَ اللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ اِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ المائدة: ٦٧

١٩٣ ـ ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ اِلَّا الْبَلَاغُ وَ اللهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَ مَا تَكْتُمُونَ﴾ المائدة: ٩٩

١٩٤ ـ ﴿قُلْ اَطِيعُوا اللهَ وَ اَطِيعُوا الرَّسُولَ فَاِنْ تَوَلَّوْا فَاِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَ عَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَ اِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَ مَا عَلَى الرَّسُولِ اِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ النور: ٥٤

١٩٥ ـ ﴿وَ اِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ اُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ مَا عَلَى الرَّسُولِ اِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ العنكبوت: ١٨

١٩٦ ـ ﴿وَ اَطِيعُوا اللهَ وَ اَطِيعُوا الرَّسُولَ فَاِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ التّغابن: ١٢

دعاء الرّسول:

١٩٧ ـ ﴿اِذْ تُصْعِدُونَ وَ لَا تَلْوُونَ عَلَىٰ اَحَدٍ وَ الرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي اُخْرٰيكُمْ فَاَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَ لَا مَا اَصَابَكُمْ وَ اللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ آل عمران: ١٥٣

١٩٨ ـ ﴿وَ اِذَا دُعُوا اِلَى اللهِ وَ رَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ اِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ النور: ٤٨

١٩٩ ـ ﴿اِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ اِذَا دُعُوا اِلَى

اللهِ وَ رَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ اَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَ اَطَعْنَا وَ اُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ النّور: ٥١

٢٠٠ - ﴿لَاتَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ اَمْرِهِ اَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ اَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ اَلِيمٌ﴾ النّور: ٦٣

رؤية الله و الرّسول أعمال العباد:

٢٠١ - ﴿يَعْتَذِرُونَ اِلَيْكُمْ اِذَا رَجَعْتُمْ اِلَيْهِمْ قُلْ لَاتَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّاَنَا اللهُ مِنْ اَخْبَارِكُمْ وَ سَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَ رَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ اِلٰى عَالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

التّوبة: ٩٤

٢٠٢ - ﴿وَ قُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَ رَسُولُهُ وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ سَتُرَدُّونَ اِلٰى عَالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ التّوبة: ١٠٥

صلوات الرّسول:

٢٠٣ - ﴿وَ مِنَ الْاَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَ الْيَوْمِ الْاٰخِرِ وَ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللهِ وَ صَلَوَاتِ الرَّسُولِ اَلَا اِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللهُ فِي رَحْمَتِهِ اِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ التّوبة: ٩٩

وعد الرّسول و صدقه:

٢٠٤ - ﴿اَمْ حَسِبْتُمْ اَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَ لَمَّا يَاْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَاْسَاءُ وَ الضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتّٰى يَقُولَ الرَّسُولُ وَ الَّذِينَ اٰمَنُوا مَعَهُ مَتٰى نَصْرُ اللهِ اَلَا اِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ﴾

البقرة: ٢١٤

٢٠٥ - ﴿وَ اِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللهُ وَ رَسُولُهُ اِلَّا غُرُورًا﴾

الأحزاب: ١٢

٢٠٦ - ﴿وَ لَمَّا رَاَ الْمُؤْمِنُونَ الْاَحْزَابَ قَالُوا هٰذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَ رَسُولُهُ وَ صَدَقَ اللهُ وَ رَسُولُهُ وَ مَا زَادَهُمْ اِلَّا اِيمَانًا وَ تَسْلِيمًا﴾ الأحزاب: ٢٢

العزّة لله و لرسوله:

٢٠٧ - ﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا اِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْاَعَزُّ مِنْهَا الْاَذَلَّ وَ لِلّٰهِ الْعِزَّةُ وَ لِرَسُولِهِ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ لٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَايَعْلَمُونَ﴾

المنافقون: ٨

إنزال السّكينة على الرّسول:

٢٠٨ - ﴿ثُمَّ اَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلٰى رَسُولِهِ وَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَ اَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَ عَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ ذٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ التّوبة: ٢٦

٢٠٩ - ﴿اِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَاَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلٰى رَسُولِهِ وَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَ اَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوٰى وَ كَانُوا اَحَقَّ بِهَا وَ اَهْلَهَا وَ كَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾

الفتح: ٢٦

إغناء الله و رسوله من فضله:

٢١٠ - ﴿يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُوا وَ لَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَ كَفَرُوا بَعْدَ اِسْلَامِهِمْ وَ هَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَ مَا نَقَمُوا اِلَّا اَنْ اَغْنٰيهُمُ اللهُ وَ رَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَاِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَ اِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللهُ عَذَابًا اَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَ الْاٰخِرَةِ وَ مَا لَهُمْ فِي الْاَرْضِ مِنْ

وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ التوبة: ٧٤

الأنفال والخمس والفيء لله ولرسوله:

٢١١ ـ ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ الأنفال: ١

٢١٢ ـ ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ الأنفال: ٤١

٢١٣ ـ ٢١٥ ـ ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ * لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ الحشر: ٦ ـ ٨

أذان من الله ورسوله:

٢١٦ ـ ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ التوبة: ٣

استغفار الرسول:

٢١٧ ـ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ المنافقون: ٥

عهد الله ورسوله:

٢١٨ ـ ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ التوبة: ٧

قضاء الله ورسوله:

٢١٩ ـ ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ الأحزاب: ٣٦

الإيمان بالرسول والكفر به ـ وهي أكثر ما جاء بشأن رسولنا خلال الآيات ـ:

٢٢٠ ـ ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ البقرة: ٢٨٥

٢٢١ ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ

ضَلَالاً بَعِيدًا ﴾ النساء: ١٣٦

٢٢٢ـ ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ المائدة: ٨٣

٢٢٣ـ ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾

المائدة: ١٠٤

٢٢٤ـ ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلٰوةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾

التوبة: ٥٤

٢٢٥ـ ﴿ اِسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾

التوبة: ٨٠

٢٢٦ـ ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ التوبة: ٨٤

٢٢٧ـ ﴿ وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾ التوبة: ٨٦

٢٢٨ـ ﴿ لٰكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ التوبة: ٨٨

٢٢٩ـ ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ النور: ٦٢

٢٣٠ـ ﴿ لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ الفتح: ٩

٢٣١ـ ﴿ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴾ الفتح: ١٣

٢٣٢ـ ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلٰكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾

الحجرات: ٧

٢٣٣ و ٢٣٤ـ ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلٰكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أُولٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ الحجرات: ١٤، ١٥

٢٣٥ و ٢٣٦ـ ﴿ آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ * وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ الحديد: ٧، ٨

٢٣٧ ـ ﴿يَاءَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

الحديد: ٢٨

٢٣٨ ـ ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ المجادلة: ٤

٢٣٩ ـ ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الصفّ: ١١

٢٤٠ ـ ﴿يَاءَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ الممتحنة: ١

٢٤١ ـ ﴿فَـَٔامِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ التّغابن: ٨

إطاعة الرّسول أو معصيته ـ وقد جاءت أكثرها مع الإيمان بالرّسول و الكفر به ـ:

٢٤٢ ـ ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ آل عمران: ٣٢

٢٤٣ ـ ﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ آل عمران: ١٣٢

٢٤٤ و ٢٤٥ ـ ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللهِ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ النّساء: ١٣، ١٤

٢٤٦ ـ ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللهَ حَدِيثًا﴾ النّساء: ٤٢

٢٤٧ ـ ﴿يَاءَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾

النّساء: ٥٩

٢٤٨ ـ ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ النّساء: ٨٠

٢٤٩ ـ ﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ المائدة: ٩٢

٢٥٠ ـ ﴿يَاءَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾

الأنفال: ٢٠

٢٥١ ـ ﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ الأنفال: ٤٦

٢٥٢ ـ ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ

أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلٰوةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكٰوةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

التوبة: ٧١

٢٥٣ ـ ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلّٰى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ وَمَا أُولٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ النور: ٤٧

٢٥٤ ـ ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ النور: ٥٢

* ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ النور: ٥٤

٢٥٥ ـ ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلٰوةَ وَآتُوا الزَّكٰوةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ النور: ٥٦

٢٥٦ ـ ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولٰى وَأَقِمْنَ الصَّلٰوةَ وَآتِينَ الزَّكٰوةَ وَأَطِعْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾

الأحزاب: ٣٣

٢٥٧ ـ ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا﴾ الأحزاب: ٦٦

٢٥٨ ـ ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ الأحزاب: ٧١

٢٥٩ ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ محمّد: ٣٣

٢٦٠ ـ ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمٰى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ الفتح: ١٧

٢٦١ و ٢٦٢ ـ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوٰى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاؤُكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوٰى وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾

المجادلة: ٨، ٩

٢٦٣ ـ ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوٰيكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلٰوةَ وَآتُوا الزَّكٰوةَ وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ المجادلة: ١٣

* ﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلٰى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ التّغابن: ١٢

الرّضا بالله و رسوله و النّصح لهما:

٢٦٤ ـ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتٰيهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ سَيُؤْتِينَا اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللهِ رَاغِبُونَ﴾ التوبة: ٥٩

٢٦٥ ـ ﴿يَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾

التوبة: ٦٢

٢٦٦ ـ ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ التوبة: ٩١

تولّي الله و الرّسول:

٢٦٧ و ٢٦٨ ـ ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾

المائدة: ٥٥، ٥٦

الرّدّ إلى الرّسول:

٢٦٩ ـ ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾

النّساء: ٨٣

الهجرة إلى الله و الرّسول:

٢٧٠ ـ ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ النّساء: ١٠٠

حبّ الله و رسوله:

٢٧١ ـ ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ التوبة: ٢٤

اتّخاذ السّبيل مع الرّسول:

٢٧٢ ـ ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ الفرقان: ٢٧

القنوت لله و رسوله:

٢٧٣ ـ ﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ الأحزاب: ٣١

تقديم الصّدقة عند مناجاة الله و رسوله:

٢٧٤ ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

المجادلة: ١٢

إرادة الله و رسوله:

٢٧٥ ـ ﴿وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾

الأحزاب: ٢٩

مشاققة الرّسول:

٢٧٦ ـ ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ النّساء: ١١٥

٢٧٧ ـ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾

الأنفال: ١٣

٢٧٨ ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَنْ يَضُرُّوا اللهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ﴾ محمّد: ٣٢

٢٧٩ ـ ﴿ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللهَ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ الحشر: ٤

خيانة الرّسول:

٢٨٠ ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

الأنفال: ٢٧

التقدّم بين يدي الرّسول:

٢٨١ ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

الحجرات: ١

البراءة من الله ورسوله:

٢٨٢ ـ ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ التّوبة: ١

اتّخاذ الوليجة عند الله ورسوله:

٢٨٣ ـ ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ التّوبة: ١٦

الاستهزاء بالله والرّسول واتّخاذ القرآن مهجورًا:

٢٨٤ ـ ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾

التّوبة: ٦٥

٢٨٥ ـ ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ الفرقان: ٣٠

٢٨٦ ـ ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللهُ رَسُولًا﴾ الفرقان: ٤١

إيذاء الرّسول:

٢٨٧ ـ ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ التّوبة: ٦١

٢٨٨ ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذٰلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمًا﴾ الأحزاب: ٥٣

٢٨٩ ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾

الأحزاب: ٥٧

خلاف الرّسول والتخلّف عنه:

٢٩٠ ـ ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ التّوبة: ٨١

٢٩١ ـ ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾

التوبة: ١٢٠

الرّسول يأكل الطّعام و يمشي في الأسواق:

٢٩٢ ـ ﴿وَقَالُوا مَالِ هٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا﴾ الفرقان: ٧

محاددة الله و رسوله:

٢٩٣ ـ ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذٰلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾

التوبة: ٦٣

* ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ المجادلة: ٥

٢٩٤ ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾ المجادلة: ٢٠

٢٩٥ ـ ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولٰئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ المجادلة: ٢٢

محاربة الله و الرّسول:

٢٩٦ ـ ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ البقرة: ٢٧٩

٢٩٧ ـ ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ المائدة: ٣٣

٢٩٨ ـ ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ التوبة: ١٠٧

إخراج الرّسول:

٢٩٩ ـ ﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

التوبة: ١٣

الظّنّ السّوء بالرّسول:

٣٠٠ ـ ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ الفتح: ١٢

غضّ الأصوات عند الرّسول:

٣٠١ ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ أُولٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ

لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ الحجرات: ٣

عدم تحريم ما حرّم الله و الرّسول، و الجهل به:

٣٠٢ـ ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ التّوبة: ٢٩

٣٠٣ـ ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ التّوبة: ٩٧

سؤال الرّسول:

٣٠٤ـ ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ البقرة: ١٠٨

الصدّ عن الرّسول:

٣٠٥ـ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ النّساء: ٦١

تكذيب الله و رسوله و إنكاره:

٣٠٦ـ ﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ التّوبة: ٩٠

٣٠٧ـ ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾ المؤمنون: ٦٩

حيف الله و رسوله:

٣٠٨ـ ﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ النّور: ٥٠

محمّد ﷺ رسول الله و خاتم النّبيّين:

٣٠٩ـ ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ آل عمران: ١٤٤

٣١٠ـ ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ الأحزاب: ٤٠

٣١١ـ ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ الفتح: ٢٩

٣١٢ـ ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ المنافقون: ١

نهي المنافقين عن الإنفاق على من عند الرّسول:

٣١٣ـ ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ المنافقون: ٧

صدق رؤيا رسول الله:

٣١٤ـ ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ

لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُسَكُمْ وَ مُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ الفتح: ٢٧

رسول مبين:

٣١٥ـ ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هٰؤُلَاءِ وَ آبَاءَهُمْ حَتّٰى جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَ رَسُولٌ مُبِينٌ﴾ الزّخرف: ٢٩

٣١٦ـ ﴿أَنّٰى لَهُمُ الذِّكْرٰى وَ قَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ﴾ الدّخان: ١٣

حزن الرّسول:

٣١٧ـ ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَ لَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هٰذَا فَخُذُوهُ وَ إِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَ مَنْ يُرِدِ اللهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللهِ شَيْئًا أُولٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ المائدة: ٤١

رسول الله أسوة حسنة:

٣١٨ـ ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللهَ وَ الْيَوْمَ الْآخِرَ وَ ذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا﴾ الأحزاب: ٢١

و فيها بحوث:

الأوّل: أنّه قد جاء في شأن نبيّنا محمّد ﷺ ١٦٥ آية ـ و هي أكثر من آيات سائر المواضيع في هذه المادّة ـ مع أنّ ما جاء في سائر الرّسل عامّة أو خاصّة لا يتجاوز ١٥٢ آية.

الثّاني: أنّه قد جاء في ٨٧ آية منها «الله» و «الرّسول» معًا و في هذا تعظيم مقام الرّسول عند الله تعالى؛ حيث ذكره مع نفسه.

الثّالث: أنّه قد جاء في ٢٢ آية منها «الإيمان بالله و الرّسول معًا أو الكفر بهما» و في هذين تعظيم كبير للرّسول.

الرّابع: أنّ الآيات الّتي جاءت فيها إطاعة الله و الرّسول معًا أكثرها أو تمامها مدنيّة، و في هذا إشعار بأنّ الطّاعة فيها مولويّة دون تشريعيّة، فإنّ الرّسول كان وليّ أمر المسلمين في المدينة الّتي انعقدت فيها و بدأت الحكومة الإسلاميّة، مع أنّه لم يكن مشرّعًا، بل كان مبلّغًا.

كما تشير إليه آيات البلاغ، و إن كان سياقها نفي الهداية إلى الصّراط المستقيم، و عن الثّواب و العقاب، و عن إتيان الآيات و المعجزات، فلاحظ.

و أيضًا يؤيّده أنّ ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ جاءت ١٧ مرّة بتكرار ﴿أَطِيعُوا﴾ رمزًا إلى اختلاف الإطاعتين، بأنّ إطاعة الله شرعيّة و مولويّة معًا، و إطاعة الرّسول مولويّة خاصّة.

و سيأتي الإشارة إليه أيضًا في الآية ٨٠ من سورة النّساء ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ...﴾ عند البحث في الآية رقم (٢٤٨)، فلاحظ.

و البحث في أنّ إطاعة الرّسول مولويّة خاصّة، أو تعمّ التّشريعيّة، يحتاج إلى دراسة و تحقيق جديد إضافة إلى ما ذكرنا.

الخامس: أنّه قد جاء فيها الله و الرّسول، و لم يُعطَف عليهما إلّا في الآية ٥٩ من سورة النّساء: ﴿يَاءَ يُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا اَطِيعُوا اللهَ وَ اَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ اُولِى الْاَمْرِ مِنْكُمْ فَاِنْ تَنَازَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ اِلَى اللهِ وَ الرَّسُولِ...﴾؛ حيث عطف فيها على لله و رسوله ﴿اُولِى الْاَمْرِ مِنْكُمْ﴾، و جاء في الآية ٨٣ منها أيضًا: ﴿وَ اِذَا جَاءَهُمْ اَمْرٌ مِنَ الْاَمْنِ اَوِ الْخَوْفِ اَذَاعُوا بِهِ وَ لَوْ رَدُّوهُ اِلَى الرَّسُولِ وَ اِلٰى اُولِى الْاَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ...﴾.

و قد سبق في: أ م ر: «الأمر» و غيرها أنّ سياق هاتين الآيتين يرجع إلى القتال، و أنّ ﴿اُولِى الْاَمْرِ﴾ فيهما حسب السّياق، هم قادة الجيوش في عهد الرّسول ﷺ، لكن حسب الرّوايات الكثيرة هم الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام بعد النّبيّ ﷺ عند الشّيعة، كما أنّ ﴿اُولِى الْاَمْرِ﴾ عند أهل السّنّة بعد النّبيّ ﷺ هم الخلفاء و حكّام البلاد في كلّ زمان و مكان.

فسياق الآيتين خاصّ بقادة الجيوش في عصر النّبيّ ﷺ، و تأويلهما عند الفريقين يعمّ أولياء أمور المسلمين عامّة.

و الدّليل على أنّ سياق الآيتين كون أُولي الأمر هم قادة الجيوش في عهد النّبيّ ﷺ قوله تعالى في الآية الأُولى: ﴿فَاِنْ تَنَازَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ اِلَى اللهِ وَ الرَّسُولِ﴾، فإنّ التّنازع هو اختلاف أُولي الأمر بينهم في الحكم الشّرعيّ، أو في طريق حلّ المشكلة، فلابدّ أن يرجعوا في الحكم الشّرعيّ إلى الله، و في تشخيص المصلحة إلى الرّسول.

و أيضًا قوله في الآية الثّانية: ﴿وَ لَوْ رَدُّوهُ اِلَى الرَّسُولِ وَ اِلٰى اُولِى الْاَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ...﴾، فإنّ الاستنباط هو عمل الرّسول و أُولي الأمر منهم، أي من النّاس المشتركين في تلك الواقعة، فلاحظ.

السّادس: يا أيّها الرّسول آيتان:

﴿يَاءَ يُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِى الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا اٰمَنَّا بِاَفْوَاهِهِمْ وَ لَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ اٰخَرِينَ لَمْ يَاْتُوكَ...﴾ المائدة: ٤١

﴿يَاءَ يُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا اُنْزِلَ اِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَ اِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَ اللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ اِنَّ اللهَ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ المائدة: ٦٧

و هاتان الآيتان من سورة المائدة جاءتا خلال آيات أهل الكتاب بدءً من الآية الأُولى منهما: ﴿يَاءَ يُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ...﴾، و ختمًا بالآية ٨٥: ﴿فَاَثَابَهُمُ اللهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهَارُ...﴾.

و قد جاء فيها الخطاب بـ«أهل الكتاب» مرّات، فسياق الآيتين يرتبط بأهل الكتاب من اليهود و النّصارى. و كأنّ الله خاطب الرّسول فيهما بقوله: ﴿يَاءَ يُّهَا الرَّسُولُ﴾ اهتمامًا بما كان يجب عليه أن يعامل أهل الكتاب.

١ـ و قد جاء في هذه السّورة المدنيّة الخطاب إلى النّبيّ ﷺ بلفظ ﴿يَاءَ يُّهَا الرَّسُولُ﴾ مرّتين، كما

جاء في ستّ سور مدنيّة أخرى ـ وهي الأنفال، والتوبة، والأحزاب، والتحريم، والطلاق، والممتحنة ـ الخطاب بلفظ ﴿يَاءَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ ١٣ مرّة، ولا فرق بين الخطابين إلّا بأنّ ﴿يَاءَيُّهَا الرَّسُولُ﴾ تنبيه على أنّ رسالة الرّسول تأكّد له الاستماع إلى محتوى الآيتين والعمل بما فيهما.

٢ ـ فمحتوى أولاهما: التأكيد على أنّ مسارعة المنافقين في الكفر، ومسارعة اليهود في سماع الكذب وتحريف الكتاب، لابدّ أن لايحزن الرّسول بها، فإنّها فتنة من الفريقين، ولم يُرد الله أن يُطهّر قلوبهم، وأنّ ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْاٰخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

٣ ـ ومحتوى ثانيتهما: أنّ رسالة الرّسول تدعوه إلى تبليغ ما أُنزل إليه من ربّه، وأنّه إن لم يفعل ولم يبلّغ فهو بمثابة من لم يبلّغ رسالته، وأنّ الله يعصمه من النّاس لو بلّغ، وإن لم يقبلوا: ﴿إِنَّ اللهَ لَايَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

٤ ـ وقد اختلف المفسّرون في بيان ما أُنزل إليه من ربّه. فالإماميّة اتّفقوا على أنّه إبلاغ ولاية عليّ عليه السلام يوم الغدير، رمزًا إلى أنّها بمثابة من الأهمّيّة عند الله تعالى؛ بحيث لو لم يبلّغها الرّسول، فكأنّه لم يبلّغ رسالته أيضًا.

وروّاه بعض الجمهور أيضًا. وأكّد الطّبَريّ على ما يقتضيه سياق الآيات، وهو إبلاغ اليهود والنّصارى من أهل الكتاب ما جاء في هذه الآيات من ذمّهم. وقد لخّص الطّبْرِسيّ (٢: ٢٢٣) كلام الطّبَريّ وقال: ﴿يَاءَيُّهَا الرَّسُولُ﴾: «وهذا نداء تشريف وتعظيم». لاحظ: ب ل غ: «بَلِّغْ» المعجم: ج٦: ٦١٤. فقد جاءت هناك أكثر النّصوص في تفسير الآية.

والآن نذكر بُحُوثًا في بعض الآيات:

الأولى: (١٥٢) هي الآية ١١٩ من سورة «البقرة»: ﴿إِنَّا اَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا...﴾:

١ ـ وهذه الآية جاءت خلال آيات المشركين وأهل الكتاب، خطابًا إلى النّبيّ صلى الله عليه وآله، وقبلها: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَايَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللهُ...﴾، وبعدها: ﴿وَلَنْ تَرْضٰى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارٰى﴾.

٢ ـ فهي من جملة الخطابات إلى النّبيّ، من دون علاقة خاصّة بين ما قبلها وما بعدها.

والثّانية: (١٧٤) هي الآية ١٥١ من سورة «البقرة» أيضًا: ﴿كَمَا اَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ اٰيَاتِنَا...﴾:

١ ـ وهذه الآية وما بعدها خطاب إلى المؤمنين، وقبلها جاءت آيات القبلة، بدءً من الآية ١٤٢ منها: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلّٰيهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ...﴾، وختمًا بالآية ١٥٠: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ...﴾.

٢ ـ فالآيات خطاب إلى النّبيّ صلى الله عليه وآله والمؤمنين، من دون علاقة خاصّة بينها موضوعًا.

والثّالثة: (١٥٤) هي الآية ٧٩ من سورة النّساء: ﴿وَاَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا...﴾:

و بهذه الآية ابتدأ الخطاب إلى النّبيّ ﷺ في صدرها: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ...﴾، و استدام الخطاب إليه إلى الآية ٨٤: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ لَاتُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ...﴾، في مواضيع مختلفة.

و الرّابعة: (٢٤٨) هي الآية ٨٠ من سورة «النّساء» أيضًا: ﴿...وَمَنْ تَوَلّٰى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾:

١ ـ و هي من تتمّة الآية قبلها؛ حيث خُتمت بقوله: ﴿وَكَفٰى بِاللهِ شَهِيدًا﴾، ثمّ قال: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ وَمَنْ تَوَلّٰى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾.

٢ ـ و فيها إشارة إلى ما ذكرنا في آية: ﴿يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ في العنوان السّادس: ﴿يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ﴾ من أنّ إطاعة الرّسول مولويّة، فلاحظ.

٣ ـ و قال الطّبرسيّ (٢: ٨٠) ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ﴾: «بيّن أنّ طاعته طاعة الله، و إنّما كانت كذلك، لأنّها و إن كانت طاعة للنّبيّ ﷺ من حيث وافقت إرادته المستدعية للفعل، فإنّها طاعة الله أيضًا على الحقيقة؛ إذ كانت بأمره و إرادته. فأمّا الأمر الواحد، فلايكون على الحقيقة من أمرين، كما أنّ الفعل الواحد لايكون من فاعلين.

﴿وَمَنْ تَوَلّٰى﴾ أي و من أعرض و لم يُطع ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾: أي حافظًا لهم من التّولّي حتّى يسلموا، عن ابن زَيْد، قال: فكان هذا أوّل ما بُعث، كما قال في موضع آخر: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ الشّورى: ٤٨، ثمّ أمر فيما بعد بالجهاد.

و قيل: معناه: ما أرسلناك حافظًا لأعمالهم الّتي يقع الجزاء عليها، فتخاف أن لاتقوم بها، لأنّا نحن نجازيهم عليها. و قيل: حافظًا لهم من المعاصي حتّى لاتقع، عن الجُبّائيّ.

و في هذه الآية تسلية للنّبيّ ﷺ في تولّي النّاس عنه مع ما فيه من تعظيم شأنه، بكون إطاعته إطاعة الله...».

و الخامسة: (١٥٦) هي الآية ٣٣ من سورة «التّوبة»: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدٰى وَدِينِ الْحَقِّ...﴾:

١ ـ و جاءت خلال آيات بشأن اليهود و النّصارى، بدءً من الآية ٢٩: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَايُؤْمِنُونَ...﴾، وختمًا بالآية ٣٥ منها: ﴿يَوْمَ يُحْمٰى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ...﴾، و قبلها: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِؤُا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾.

و بينهما مناسبة، فقد أعلن الله قبلها بأنّ الله يُتمّ نوره ـ و هو دينه الحقّ ـ و قال في هذه: إنّه أرسل رسوله بالهدى و دين الحقّ.

٢ ـ و قال الطّبرسيّ (٣: ٢٤) في «اللّغة» ﴿يُطْفِؤُا﴾: «الإطفاء: إذهاب نور النّار، ثمّ استُعمل في إذهاب كلّ نور.

والأفواه: جمع «فم» و أصله: فَوْه، فحُذفت الهاء، و أُبدلت من الواو ميم، لأنّه حرف صحيح من

مخرج «الواو». مشاكل لها. و الإباء: الامتناع ممّا طلب من المعنى. [ثمّ استشهد بشعر]».

٣ ـ و قال في «الإعراب»: ﴿إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ﴾: «إنّما دخلت ﴿إِلَّا﴾ لأنّ في «أبيت» ضربًا من الجحد، تقول: أبيتُ أن أفعل كذا، فيكون معناه: لم أفعل. [ثمّ استشهد بشعر و قال:]

قال الزّجّاج: في الآية حذف، تقديره: يأبى الله كلّ شيء إلّا إتمام نوره، قال: و لا يكون الإيجاب جَحْدًا، و لو جاز ذلك على أن يكون فيه طرف من الجحد، لجاز: كرهت إلّا أخاك، مثل «أبيت» إلّا أن «أبيت» الحذف مستعمل معها».

٤ ـ و قال في «المعنى»: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِؤُا نُورَ اللهِ﴾: «و هو القرآن و الإسلام، عن أكثر المفسّرين.

و قيل: ﴿نُورَ اللهِ﴾: الدّلالة و البرهان، لأنّهما يُهتدى بهما، كما يُهتدى بالأنوار، عن الجُبّائيّ. قال: و لمّا سمّى سبحانه الحجج و البراهين أنوارًا، سمّى مُعارضتهم لذلك إطفاءً. ثمّ قال: ﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾، لأنّ الإطفاء يكون بالأفواه و هو النّفخ.

و هذا من عجيب البيان، مع ما فيه من تصغير شأنهم، و تضعيف كيدهم، لأنّ الفم يؤثّر في الأنوار الضّعيفة دون الأقباس العظيمة.

﴿وَ يَأْبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ﴾ معناه: و يمنع الله إلّا أن يُظهر أمر القرآن، و أمر الإسلام، و حجّته على التّمام. و أصل الإباء: المنع و الامتناع، دون الكراهية على ما ادّعته المُجبّرة، و لهذا تقول العرب: فلان يأبى الضّيم، و هو أبي الضّيم، و لا مدحة في كراهية الضّيم، لأنّه يستوي فيه القويّ و الضّعيف، و إنّما المدحة في الامتناع أو المنع منه...

﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾: «معناه: ليُعْلي دين أهل الإسلام على جميع الأديان بالحجّة، و الغلبة، و القهر لها، حتّى لا يبقى على وجه الأرض دين إلّا مغلوبًا، و لا يغلب أحد الإسلام بالحجّة، و هم يغلبون أهل سائر الأديان بالحجّة».

و السّادسة: (١٥٧) هي الآية ٥٤ من سورة «الإسراء»: ﴿...وَ مَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾:

١ ـ جاءت خلال آيات خطابًا إلى المشركين في التّوحيد و نفي الشّرك، و إثبات النّبوّة و المعاد.

و قبلها: ﴿وَ قُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾.

و بعدها: ﴿وَ رَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ...﴾:

٢ ـ و قال الطّبْرسيّ (٣: ٤٢١) في ﴿وَ مَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾: «أي و ما أرسلناك موكّلا عليهم، حفيظًا لأعمالهم، يدخل الإيمان في قلوبهم، شاؤوا أم أبوا. و معناه: أنّك لا تؤاخذ بأعمالهم، فإنّا أرسلناك داعيًا لهم إلى الإيمان، فإن أجابوك و إلّا فلا شيء عليك، فإنّ عتاب ذلك يحلّ بهم، و اللّائمة تلزمهم...».

و السّابعة: (١٦١) هي الآية ١٠٥ من سورة «الإسراء» أيضًا: ﴿...وَ مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَ نَذِيرًا﴾:

١ ـ و جاءت ـ بعد آيات بشأن موسى عليه السلام ـ وصفًا للقرآن، و تبشيرًا بإرسال النّبيّ صلّى الله عليه و آله إلى الآية ١٠٩: ﴿وَ يَخِرُّونَ لِلْاَذْقَانِ يَبْكُونَ وَ يَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾.

٢ ـ و قال الطّبرسيّ (٣: ٤٤٤) في معنى ﴿وَ بِالْحَقِّ اَنْزَلْنَاهُ وَ بِالْحَقِّ نَزَلَ﴾: «و تأويله: أردنا بإنزال القرآن الحقّ و الصّواب، و هو أن يؤمن به، و يعمل بما فيه. و نزل بالحقّ، لأنّه يتضمّن الحقّ، و يدعو إلى الحقّ.

و قال البلخيّ: يجوز أن يكون المراد: أنزلنا موسى، فيكون كقوله: ﴿وَ اَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ الحديد: ٢٥.

و يجوز أن يكون المراد: و أنزلنا الآيات، أي و أنزلنا ذلك. [ثمّ استشهد بشعر]

﴿وَ مَا اَرْسَلْنَاكَ اِلَّا مُبَشِّرًا وَ نَذِيرًا﴾ مبشّرًا بالجنّة لمن أطاع، و منذرًا بالنّار لمن عصى».

٣ ـ و نقول: إنّما احتمل البلخيّ في ﴿وَ بِالْحَقِّ اَنْزَلْنَاهُ﴾ أن يكون المراد: أنزلنا موسى، أو أنزلنا الآيات، لكونها من تتمّة الآيات قبلها بشأن موسى، و ما آتاه الله من تسع آيات بيّنات.

و لكنّه بعيد عن السّياق، أوّلًا: إذ جاء في ذيلها بشأن النّبيّ صلّى الله عليه و آله و القرآن: ﴿وَ مَا اَرْسَلْنَاكَ اِلَّا مُبَشِّرًا وَ نَذِيرًا * وَ قُرْاٰنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَاَهُ عَلَى النَّاسِ عَلٰى مُكْثٍ...﴾.

و ثانيًا: أنّه لم يأت في القرآن إنزال نبيّ.

و ثالثًا: أنّه فرق بيّن بين ﴿وَ اَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ و «أنزلنا موسى»، فلاحظ.

و الثّامنة: (١٦٢) هي الآية ١٣٤ من سورة «طٰه»: ﴿وَ لَوْ اَنَّا اَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْ لَا اَرْسَلْتَ اِلَيْنَا رَسُولًا...﴾:

١ ـ و جاءت تتمّة لما جاء قبلها خطابًا إلى النّبيّ صلّى الله عليه و آله من الآيات في مواضيع شتّى من أقوال المشركين، و آرائهم و عقابهم.

فقبلها: ﴿وَ قَالُوا لَوْ لَا يَاْتِينَا بِاٰيَةٍ مِنْ رَبِّهِ...﴾.

و بعدها ـ و هي آخر السّورة ـ: ﴿قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ اَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَ مَنِ اهْتَدٰى﴾.

٢ ـ و قال الطّبرسيّ (٤: ٣٧) ﴿مِنْ قَبْلِ اَنْ نَذِلَّ وَ نَخْزٰى﴾: « ﴿مِنْ قَبْلِ اَنْ نَذِلَّ﴾ بالعذاب ﴿وَ نَخْزٰى﴾ في جهنّم.

و قيل: ﴿مِنْ قَبْلِ اَنْ نَذِلَّ﴾ في الدّنيا بالقتل و الأسر، ﴿وَ نَخْزٰى﴾ في الآخرة بالعذاب».

و التّاسعة: (١٦٣) هي الآية ١٠٧ من سورة «الأنبياء»: ﴿وَ مَا اَرْسَلْنَاكَ اِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾:

١ ـ و قد جاءت قبلها: ﴿اِنَّ فِي هٰذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾، فإحداهما وصف للقرآن، و الأخرى وصف للنّبيّ صلّى الله عليه و آله.

و جاءت بعدها: ﴿قُلْ اِنَّمَا يُوحٰى اِلَيَّ اَنَّمَا اِلٰهُكُمْ اِلٰهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ اَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾، إلى آخر السّورة: ﴿وَ رَبُّنَا الرَّحْمٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلٰى مَا تَصِفُونَ﴾ وصفًا للقرآن أيضًا، و إثباتًا للتّوحيد، و وعدًا بالعذاب.

٢ ــ و قال الطّبرسيّ (٤: ٦٧) في ﴿رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾: «أي نعمة عليهم. قال ابن عبّاس: رحمة للبرّ و الفاجر، و المؤمن و الكافر، فهو رحمة للمؤمن في الدّنيا و الآخرة، و رحمة للكافر بأن عوفي ممّا أصاب الأمم من الخسف و المسخ. [ثمّ روى حديثًا عن النّبيّ في الآية، و قال:]

و قيل: إنّ الوجه في أنّه نعمة على الكافر أنّه عرضه للإيمان و الثّواب الدّائم، و هداه ــ و إن لم يهتد ــ كمن قدّم الطّعام إلى جائع فلم يأكل، فإنّه منعم عليه، و إن لم يقبل...».

٣ ــ ثمّ قال: «و في الآية دلالة على بطلان قول أهل الجبر في أنّه ليس للّه على الكافر نعمة، لأنّه سبحانه بيّن أنّ في إرسال محمّد ﷺ نعمة على العالمين، و على كلّ من أرسل إليهم».

و العاشرة: (١٦٥) الآية ٥٦ من سورة «الفرقان»: ﴿وَ مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَ نَذِيرًا﴾:

١ ــ و قبلها و بعدها آيات في التّوحيد و نفي الشّرك، و في شأن النّبيّ ﷺ مثل: ﴿قُلْ مَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا...﴾.

٢ ــ وقد سبق معناها في أمثالها، لاحظ: ب ش ر: «مُبشّرًا»، و: ن ذ ر: «نذيرًا».

و الحادية عشرة: (١٨٦) الآية ٤٧ من سورة «القصص»: ﴿وَ لَوْ لَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْ لَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا...﴾:

١ ــ هذه الآية خطاب إلى المشركين احتجاجًا عليهم بعدم إيمانهم بما آتاهم النّبيّ ﷺ.

٢ ــ و جاءت بعد آيات من قصص موسى، بدء من الآية ٤٣: ﴿وَ لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ...﴾، وختمًا بالآية ٤٤ منها: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ﴾.

٣ ــ و قد خاطب اللّه النّبيّ ﷺ خلالها مرّات: ﴿وَ مَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَ مَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾، ﴿...وَ مَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَ لَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾، ﴿وَ مَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَ لَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَيهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

٤ ــ و قد كرّر ﴿وَ مَا كُنْتَ﴾ أربع مرّات حجّة على المشركين، بأنّها وحي من اللّه إلى النّبيّ ﷺ، لأنّه لم يكن حاضرًا حين حدوث تلك الحوادث في قصص موسى حتّى يعلمها، فلا يعلمها إلّا بوحي من اللّه إليه.

٥ ــ و هذه الآية جاءت بشأن الكفّار، تتمّة لما جاء في الآية قبلها: ﴿وَ لَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَيهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ...﴾ بأنّهم لمّا جاءتهم مصيبة بما قدّمت أيديهم يقولوا: ﴿لَوْ لَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا...﴾.

و بعدها تتمّة لها: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْ لَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوَ لَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ...﴾.

٦ ــ و قال الطّبرسيّ (٤: ٢٥٦) في إعراب ﴿وَ لَوْ لَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ﴾: «﴿لَوْ لَا﴾ هذه هي الّتي معناها امتناع الشّيء لوجود غيره. و ﴿أَنْ

تُصِيبَهُمْ﴾: مبتدأ. و جواب ﴿لَوْلَا﴾ محذوف، و تقديره: لم يحتج إلى إرسال الرّسل. و ﴿لَوْلَا﴾ الثّانية في قوله: ﴿رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾ هي الّتي معناها التّحضيض بمعنى «هلّا»».

٧ـ و قال في (٤: ٢٥٧) في معناها: «لولا أنّ لهم أن يحتجّوا لو أصابتهم عقوبة، بأن يقولوا: هلّا أرسلت إلينا رسولًا يدعونا إلى ما يجب الإيمان به، فنتبّع الرّسول، و نأخذ بشريعته، و نصدّق به، لـمّا أرسلنا الرّسل، و لكنّا أرسلنا رسلًا لقطع حجّتهم. و هو في معنى قوله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ النّساء: ١٦٥.

و قيل: إنّ جواب ﴿لَوْلَا﴾ هاهنا: لعجّلنا لهم العقوبة.

و قيل: المراد بـ«المصيبة» هاهنا: عذاب الاستئصال.

و قيل: عذاب الدّنيا و الآخرة، عن أبي مسلم».

و الثّانية عشرة: (١٦٦) الآية ٤٥ من سورة «الأحزاب»: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا...﴾ إلى ٤٦: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ...﴾.

١ـ و قبلها آيات بشأن النّبيّ، فجاءت في ٣٨: ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللهُ لَهُ...﴾، و في ٤٠: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ...﴾.

و كلّها من تتمّة آيات زواج النّبيّ، زوج زيد الّذي اتّخذه النّبيّ ابنًا لنفسه.

٢ـ وقال الطّبْرسيّ (٤: ٣٦٢) في معنى الآيتين: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا...﴾: «على أمّتك فيما يفعلونه من طاعة أو معصية، و إيمان أو كفر، لتشهد لهم و عليهم يوم القيامة، و نجازيهم بحسبه.

﴿وَمُبَشِّرًا﴾ أي و مبشّرًا لمن أطاعني و أطاعك بالجنّة، ﴿وَنَذِيرًا﴾ لمن عصاني و عصاك بالنّار. ﴿وَدَاعِيًا﴾ أي و بعثناك داعيًا ﴿إِلَى اللهِ﴾، و الإقرار بوحدانيّته، و امتثال أوامره و نواهيه.

﴿بِإِذْنِهِ﴾ أي بعلمه و أمره، ﴿وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ يهتدى بك في الدّين، كما يهتدى بالسّراج. و المنير: الّذي يصدر النّور من جهته، إمّا بفعله، و إمّا لأنّه سبب له. فالقمر منير، و السّراج منير بهذا المعنى. و الله منير السّماوات و الأرض.

و قيل: عنى بالسّراج المنير: القرآن، و التّقدير: و بعثناك ذا سراج منير، فحذف المضاف، عن الزّجّاج».

و الثّالثة عشرة: الآية (١٦٧) هي الآية ٢٨ من سورة «سبأ»: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا...﴾:

١ـ و هي محفوفة بآيات في التّوحيد و البعث، فقبلها: ﴿قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ...﴾، و بعدها: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

٢ـ و قال الطّبْرسيّ (٤: ٣٩٠) في «الإعراب»: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾ و ﴿كَافَّةً﴾ حال من الكاف في ﴿أَرْسَلْنَاكَ﴾ أي ما أرسلناك إلّا تكفّهم و تردعهم.

و قيل: في الكلام تقديم و تأخير، أي و ما أرسلناك إلّا للنّاس كافّة.

و كافّة: كالعافية، و العاقبة، و ما أشبه ذلك.

﴿بَشِيرًا﴾: حال بعد حال. ﴿وَنَذِيرًا﴾: معطوف عليه».

٣ـ و قال في (٤: ٣٩٠): «﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ﴾ يا محمّد بالرّسالة الّتي حملناكها ﴿إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾ أي عامّة للنّاس كلّهم، العرب و العجم، و سائر الأُمم، عن الجُبّائيّ، و غيره. و يؤيّده الحديث المرويّ عن ابن عبّاس، عن النّبيّ ﷺ: أعطيت خمسًا ـ و لاأقول فخرًا ـ بُعثت إلى الأحمر و الأسود، و جُعلَتْ لي الأرض طهورًا و مسجدًا، و أُحلّ لي المغنم و لايُحَلّ لأحد قبلي، و نُصرت بالرّعب فهو يسير أمامي مسيرة شهر، و أُعطيتُ الشّفاعة فادّخرتها لأُمّتي يوم القيامة.

و قيل: معناه: جامعًا للنّاس بالإنذار و الدّعوة.

و قيل: كافًّا للنّاس، أي مانعًا لهم عمّا هم عليه من الكفر و المعاصي، بالأمر و النّهي، و الوعيد، و الإنذار. و الهاء للمبالغة، عن أبي مسلم.

﴿بَشِيرًا﴾ لهم بالجنّة، ﴿وَنَذِيرًا﴾ بالنّار.

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ رسالتك، لإعراضهم عن النّظر في معجزتك. و قيل: لايعلمون ما لهم في الآخرة في اتّباعك من الثّواب و النّعيم، و ما عليهم في مخالفتك من العذاب الأليم».

و الرّابعة عشرة: (١٦٨) الآية ٤٨ من سورة «الشّورى»: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ...﴾:

١ ـ و هي خطاب للنّبيّ ﷺ بشأن الكفّار الّذين دُعوا إلى الإيمان به. و قبلها: ﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ﴾.

٢ ـ و قال الطّبرسيّ (٥: ٣٥): «﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ يعني الكفّار، أي عدلوا عمّا دعوتهم إليه.

﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ أي مأمورًا بحفظهم، لئلّا يخرجوا عمّا دعوتهم إليه، كما يحفظ الرّاعي غنمه لئلّا يتفرّقوا، أي فلاتحزن لإعراضهم.

﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ أي ليس عليك إلّا إيصال المعنى إلى أفهامهم، و البيان لما فيه رشدهم...».

و الخامسة عشرة: (١٦٩) الآية ٨ من سورة «الفتح»: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾:

١ ـ قبلها و بعدها آيات في الفتح المبين، و هو الميثاق و المبايعة بينه و بين المشركين في الحديبيّة بمكّة.

و بعدها تبيانًا لسرّ إرساله عليهم خطابًا لهم: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾.

٢ ـ و قال الطّبرسيّ (٥: ١١٢): «﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ﴾ يا محمّد ﴿شَاهِدًا﴾ على أُمّتك لما عملوه من طاعة و معصية، و قبول و ردّ، أو شاهدًا عليهم تبليغ الرّسالة.

﴿وَمُبَشِّرًا﴾ بالجنّة لمن أطاع، ﴿وَنَذِيرًا﴾ من

النّار لمن عصى. ثمّ بيّن سبحانه الغرض بالإرسال، فقال: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ...﴾.

و السّادسة عشرة: (١٧٢) الآية ١٥ من سورة «المزّمّل»: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾:

١ ـ هذه الآية أوّل آية في هذه السّورة، خطابًا إلى المشركين في مكّة، و الآيات قبلها من أوّل السّورة: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ إلى الآية ١٠: ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾ خطاب إلى النّبيّ ﷺ.

٢ ـ و قيل: إنّها أوّل سورة نزلت عليه ـ كما قيل في سور أخرى ـ و لكن سياقها تأبى ذلك، فإنّ قوله في الآيتين ١٠ و ١١ ـ و قد جاء فيهما ذكر الكفّار و تكذيبهم ـ: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا * وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾ دليل على نزول غيرها قبلها، و تكذيبهم ذلك.

اللّهمّ إلّا أن يقال: إنّ النّبيّ أعلن دعوته إيّاهم قبل نزول أيّ سورة فكذّبوه، فنزلت هذه السّورة، كيف و قد قال الطّبرسيّ في أوّلها: «مكّيّة و قيل: مدنيّة، و قيل: بعضها مكّيّ و بعضها مدنيّ». و سنبحثها في «المدخل» إن شاء الله تعالى.

و الآية الأخيرة منها: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ...﴾ لم تنزل في أوّل ما نزل قطعًا، و يحتمل كونها مدنيّة.

٣ ـ و جاء بعد قوله: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ متفرّعًا عليه: ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾.

٤ ـ و قال الطّبرسيّ (٥: ٣٨٠): «ثمّ أكّد سبحانه الحجّة على أهل مكّة، فقال: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا﴾ يعني محمّدًا ﷺ ﴿شَاهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ أي يشهد عليكم في الآخرة بما يكون منكم لا في الدّنيا ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ بمصر ﴿رَسُولًا﴾ يعني موسى بن عمران».

٥ ـ و من هذه الآيات السّتّة عشرة في إرسال النّبيّ ﷺ ستّ منها جاءت بلفظ ﴿أَرْسَلْنَا﴾ مثبتًا و هي: (١٥٢، ١٥٤، ١٦٦، ١٦٩، ١٧٢، ١٧٤) بتفاوت: فأربع منها (١٥٢، ١٥٤، ١٦٦، ١٦٩) جاءت خطابًا إلى النّبيّ ﷺ بلفظ ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ﴾، و ثلاث و هي ـ (١٧٤، ١٧٢، ١٧١) ـ جاءت بألفاظ ﴿أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا﴾ و ﴿أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ﴾ خطابًا إلى النّاس، و ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ﴾ من دون خطاب.

و ثلاث منها جاءت نفيًا مطلقًا و هي (١٥٧): ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾، و (١٦٨ و ٢٤٨): ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ باختلاف في لفظي ﴿وَكِيلًا﴾ و ﴿حَفِيظًا﴾ مع اتّحاد المعنى.

و أربع منها جاءت بلفظ النّفي مع الاستثناء ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا﴾ و هي (١٦١، ١٦٣، ١٦٥، ١٦٧).

و اثنتان (١٦٢ و ١٨٩) منها جاءتا حكايةً عن

الكفّار نفيًا بلفظ: ﴿لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾.

٦ ـ كما أنّ في الآيات المثبتة للرّسالة اختلافًا فيما أُرسل به أو أُرسل لأجله:

ففي (١٥٢): ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾.

و في (١٧٤): ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا﴾.

و في (١٥٤): ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا﴾.

٧ ـ و الّذي يلفت النّظر أنّ الآيات المثبتة للرّسالة ـ و هي ١١ آيةً جاء فيها ﴿أَرْسَلْنَا﴾ ـ بصيغة الجمع ـ تعبيرًا من الله عن نفسه ـ تعظيمًا له و تكبيرًا لما أُرسل به، إلّا في (١٥٦) فجاء مفردًا غائبًا ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ﴾ فرقًا بين الغيبة و الحضور، و بين الخبر عن الغائب و المتكلّم.

٨ ـ و أمّا اختلافها فيما أُرسل به من الحقّ و الهدى و دين الحقّ، و فيما أُرسل لأجله من التّبشير و الإنذار، و الرّحمة، و الدّعوة إلى الله بإذنه، و الإظهار على الدّين كلّه، و الشّهادة على النّاس، و إيمانهم بالله و رسوله، فهي ـ كما قلنا مرارًا ـ تعبيرات مختلفة عن معنى واحد مزيدًا في البلاغة، و وصولًا إلى الإعجاز البلاغيّ، و ليكون تكرار معنى واحد بألفاظ كثيرة متفاوتة مفهومًا، مزيدًا في البيان.

٩ ـ و الكلام في آيات الشّهادة طويل، لاحظ: ش ه د: «شاهدًا».

١٠ ـ إنّ الآيات الّتي ترجع إلى نبيّنا ﷺ ثلاثة أصناف:

ألف ـ ما هو من قبل الله تعالى: مثل ما جاء فيها ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ﴾ و نحوها.

ب ـ ما يرجع إلى معاملة النّاس الله و الرّسول إحسانًا و تكريمًا لهما، مثل الآية (١٨٧): ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ﴾ و غيرها من آيات الاتّباع.

ج ـ ما يرجع إلى سوء معاملتهم إيّاهما إهانة بهما، مثل الآية (١٥٩): ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾ و نحوها.

و هذا كلّه الكلام في القسم الثّاني من المحور الأوّل.

القسم الثّالث: الرّسالة و الرّسالات ١٠ آيات:

الرّسالة ٣ آيات:

* ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ المائدة: ٦٧

* ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللهِ اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾ الأنعام: ١٢٤

٣١٩ ـ ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ

لَاتُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾ الأعراف: ٧٩

و فيها بُحُوثٌ:

الأولى: هي الآية ٦٧ من سورة «المائدة»: ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾، و قد سبق بحثها في: ب ل غ: «بلّغ» المعجم: ج ٦: ٦١٤، و في البحث الخامس من أبحاث الآيات الخاصّة بنبيّنا محمّد ﷺ.

قال الطَّبْرِسيّ (٤: ٢٢٢) في «الإعراب»: «أرسل» فعل يتعدّى إلى مفعولين، و يتعدّى إلى الثّاني منهما بالجارّ، كقوله: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾ نوح: ١، ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ﴾ الصّافّات: ١٤٧.

و يجوز الاقتصار على أحدهما دون الآخر، كقوله: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾ المؤمنون: ٤٤، ﴿وَإِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا﴾ الأحزاب: ٤٥، و قال: ﴿فَأَرْسِلْ إِلَى هَرُونَ﴾ الشّعراء: ١٣، فعُدّي إلى الثّاني، و الأوّل مقدّر في المعنى». [و استشهد بالشّعر مرّتين]

و الثّانية: الآية ١٢٤ من سورة «الأنعام»: ﴿اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾:

١ ـ و قد سبقتها آيات خطابًا إلى المشركين، فإنّ السّورة من أطول السّور المكّيّة كسورة الأعراف، و الكلام فيهما في الدّعوة إلى التّوحيد و البعث و النّبوّة و نحوها، و في بعض قصص الأنبياء عليهم السلام.

٢ ـ و قال تعالى في صدرها: إنّه إذا جاءتهم آية من ربّهم لم يؤمنوا و قالوا: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللهِ﴾ فقال الله في جوابهم: ﴿اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ يعني أنّ انتخاب الرّسل و ما يوحى إليهم بيد الله لابيدهم، فإنّه تعالى أعلم بمن هو أهل للرّسالة.

٣ ـ و قال الطَّبْرِسيّ (٢: ٣٦١) في «الإعراب» ﴿حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾: «لايخلو ﴿حَيْثُ﴾ هنا من أن يكون ظرفًا متضمّنًا لحرفه، أو غير ظرف، فإن كان ظرفًا فلايجوز أن يعمل فيه ﴿أَعْلَمُ﴾، لأنّه يصير المعنى: أعلم في هذا الموضع، أو في هذا الوقت، و لايوصف تعالى بأنّه أعلم في مواضع أو في أوقات، كما يقال: زيد أعلم في مكان كذا، أو أعلم في زمان كذا.

و إذا كان الأمر كذلك، لم يجز أن يكون ﴿حَيْثُ﴾ هنا ظرفًا، و إذا لم يكن ظرفًا كان اسمًا، و كان انتصابه انتصاب المفعول به على الاتّساع، و يقوّي ذلك دخول الجارّ عليها، فكان الأصل: الله أعلم بمواضع رسالاته، ثمّ حذف الجارّ، كما قال سبحانه: ﴿أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ النّحل: ١٢٥، و في موضع آخر: ﴿أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ الأنعام: ١١٧، فـ﴿مَنْ يَضِلُّ﴾ معمول فعل مضمر دلّ عليه ﴿أَعْلَمُ﴾، و لايجوز أن يكون معمول ﴿أَعْلَمُ﴾، لأنّ المعاني لاتعمل في مواضع الاستفهام و نحوه، إنّما تعمل فيها الأفعال الّتي تُلغى فتُعلّق كما تُلغى.

و مثل ذلك في أنّه لايكون إلّا محمولًا على فعل قوله:

* و أضرب منّا بالسّيوف القوانسا *»

و شرحها، و استشهد بأشعار ثمّ ذكر النّزول و المعنى.

٤ ـ و قال خلال المعنى (٢: ٣٦٢): « ﴿حَتّٰى نُؤْتىٰ﴾ أي نعطي آية معجزة ﴿مِثْلَ مَا أُوتِىَ﴾ أي أعطي ﴿رُسُلُ اللهِ﴾ حسدًا منهم للنّبيّ ﷺ.

ثمّ أخبر سبحانه على وجه الإنكار عليهم بقوله: ﴿اَللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ أنّه أعلم منهم، و من جميع الخلق بمن يصلح لرسالاته، و يتعلّق مصالح الخلق ببعثه، و أنّه يعلم من يقوم بأعباء الرّسالة و من لا يقوم بها، فيجعلها عند من يقوم بأدائها، و يحتمل ما يلحقه من المشقّة و الأذى على تبليغها.

ثمّ توعّدهم سبحانه، فقال: ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ اَجْرَمُوا﴾ إلى آخر الآية».

و الثّالثة: (٣١٩) الآية ٧٩ من سورة «الأعراف»: ﴿وَ قَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ اَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبّى﴾:

١ ـ هذه آخر آية من قصّة ثمود و نبيّهم صالح، و أوّلها: الآية ٧٣ منها: ﴿وَ إِلىٰ ثَمُودَ اَخَاهُمْ صَالِحًا...﴾، و قد ذكر الله فيها دعوة صالح قومه إلى التّوحيد، و ما منّ الله عليهم من آلائه و نعمه، فاستكبر ملأ منهم، و قال لمن آمن به من المستضعفين: ﴿إِنَّا بِالَّذِى اٰمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾، فعقروا النّاقة الّتي كانت معجزة لصالح، فأخذتهم الرّجفة، فتولّى عنهم صالح، و قال لهم: ﴿يَا قَوْمِ لَقَدْ اَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبّى...﴾.

٢ ـ و قال الطّبرسيّ (٢: ٤٤١) في «المعنى»: « ﴿وَ نَصَحْتُ لَكُمْ﴾ أي أدّيت النّصح في تبليغ الرّسالة ﴿وَ لٰكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾ أي و لكنكم لا تحبّون من ينصح لكم، لأنّ من أحبّ إنسانًا قبل منه» ثمّ ذكر قصّة صالح.

الرّسالات ٧ آيات:

٣٢٠ ـ ﴿اُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبّى وَ اَنْصَحُ لَكُمْ وَ اَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ الأعراف: ٦٢

٣٢١ ـ ﴿اُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبّى وَ اَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ اَمِينٌ﴾ الأعراف: ٦٨

٣٢٢ ـ ﴿فَتَوَلّٰى عَنْهُمْ وَ قَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ اَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبّى وَ نَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ اٰسٰى عَلىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ الأعراف: ٩٣

٣٢٣ ـ ﴿قَالَ يَا مُوسىٰ إِنّى اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتى وَ بِكَلَامى فَخُذْ مَا اٰتَيْتُكَ وَ كُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ الأعراف: ١٤٤

٣٢٤ ـ ﴿اَلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللهِ وَ يَخْشَوْنَهُ وَ لَا يَخْشَوْنَ اَحَدًا إِلَّا اللهَ وَ كَفىٰ بِاللهِ حَسِيبًا﴾ الأحزاب: ٣٩

٣٢٥ ـ ﴿إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللهِ وَ رِسَالَاتِهِ وَ مَنْ يَعْصِ اللهَ وَ رَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا اَبَدًا﴾ الجنّ: ٢٣

٣٢٦ ـ ﴿لِيَعْلَمَ اَنْ قَدْ اَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَ اَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَ اَحْصىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًا﴾ الجنّ: ٢٨

و فيها بُحُوثٌ:

الأولى: (٣٢٠) الآية ٦٢ من سورة «الأعراف»

أيضًا: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ...﴾.

١ ـ هذه رابعة آيات قصّة نوح في السّورة، بدءً بالآية ٥٩ منها: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ...﴾، و ختمًا بالآية ٦٤: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ...﴾.

٢ ـ و قال الطّبْرسيّ (٢: ٤٣٣) في «اللّغة»: «و الرّسالات: جمع رسالة، و هي جملة من البيان يحملها القائم بها، ليؤدّيها إلى غيره. و النّصيحة: إخلاص النّيّة من شائب الفساد في المعاملة.

و الفُلك: السُّفُن، يقع على الواحد، و على الجمع، و أصله: الدّور، مشتقّ من قولهم: فلك ثدي الجارية إذا استدار، و منه الفَلْكة، و الفَلك».

٣ ـ و قال في «المعنى»: «﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي﴾ أي أؤدّي إليكم ما حمّلني ربّي من الرّسالات. ﴿وَأَنْصَحُ لَكُمْ﴾ في تبليغ الرّسالة على وجهها من غير تغيير، و لا زيادة، و لا نقصان، ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ﴾ أي من صفات الله و توحيده، و عدله و حكمته ﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

و قيل: أعلم من دين الله.

و قيل: أعلم من قدرته و سلطانه، و شدّة عقابه، ما لا تعلمونه، و الكلّ محتمل.

و قيل: إنّما قال ذلك، لأنّ قوم نوح لم يسمعوا قطّ أنّ الله سبحانه عذّب قومًا، و قد سمعت الأُمم بعدهم هلاك من قبلهم؛ ألا ترى أنّ هودًا قال: ﴿جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾. و قال شعيب: ﴿مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ﴾».

و الثّانية: (٣٢١) الآية ٦٨ من سورة «الأعراف»

أيضًا: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾:

١ ـ و هذه رابعة آيات قصّة عاد و نبيّهم هود في هذه السّورة، بدءً من الآية ٦٥ منها: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا...﴾، و ختمًا بالآية ٧٢: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا...﴾.

٢ ـ و قد ذكر الله في هذه الآيات السّبع من قصّة هود، دعوته قومه إلى توحيد الله، و كفرهم به، و قولهم له: إنّه في سفاهة و من الكاذبين، و إنكاره سفاهته و إعلامه أنّه رسول من ربّ العالمين، يبلّغهم رسالات ربّه، و أنّه من النّاصحين لهم، ثمّ إنكارهم إيّاهم، و وعده لهم بالعذاب، فأنجاه الله و من كان معه، و عذّب المكذّبين له.

٣ ـ و قال الطّبْرسيّ (٢: ٤٣٧): «﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي﴾ أي نبوّات ربّي.

إنّما قال: ﴿رِسَالَاتِ﴾ هنا و فيما تقدّم بلفظ الجمع، لأنّ الرّسالة متضمّنة لأشياء كثيرة من الأمر و النّهي، و التّرغيب و التّرهيب، و الوعد و الوعيد، و غير ذلك، فأتى بلفظ يدلّ عليها. و إذا قال: رسالة ربّي بلفظ الواحد، أتى بلفظة مشتملة على هذه الأشياء بطريق الإجمال.

﴿وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ﴾ فيما أدعوكم إليه من طاعة الله و توحيده ﴿أَمِينٌ﴾ أي ثقة مأمون في

تأدية الرّسالة، فلاأكذب، و لاأغير، عن الضّحّاك، و الجُبّائيّ. و قيل: معناه: كنت مأمونًا فيكم، فكيف تكذّبونني؟ عن الكلْبيّ».

و الثّالثة: (٣٢٢) الآية ٩٣ من سورة «الأعراف» أيضًا: ﴿...لَقَدْ اَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ...﴾:

١ــ و هذه آخر آيات قصّة شعيب و قومه، بدءً من الآية ٨٥ منها: ﴿وَاِلٰى مَدْيَنَ اَخَاهُمْ شُعَيْبًا...﴾.

٢ــ و قد جاءت في هذه الآيات الثّمان دعوة شعيب قومه إلى توحيد الله، و إلى إيفاء الكيل و الوزن، و إلى نهيم عن بخس النّاس أشياءهم، و عن الإفساد في الأرض بعد إصلاحها، و عن القعود بكلّ صراط يوعدون، و يصدّون النّاس عن سبيل الله و يبغونها عوجًا.

و قد منّ الله عليهم، بأن كانوا قليلًا، فكثّرهم، و أمرهم بالنّظر إلى عاقبة المفسدين. ثمّ أمرهم بالصّبر حتّى يحكم الله بينهم: ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾، ثمّ حكى استكبار قومه و المقاولة بينه و بينهم إلى قوله: ﴿يَا قَوْمِ لَقَدْ اَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبّي...﴾.

٣ ــ و قال الطّبْرسيّ (٢: ٤٥٠): «﴿لَقَدْ اَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبّي﴾ فيما أمرني، فلم تؤمنوا ﴿وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ فلم تقبلوا. و معناه: أنّ ما نزل بكم من البلاء ــ و إن كان عظيمًا ــ فقد استوجبتم ذلك بجنايتكم على أنفسكم. ﴿فَكَيْفَ اٰسٰى﴾ أي فكيف أحزن ﴿عَلٰى قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ حلّ العذاب بهم مع استحقاقهم له.

و قوله: ﴿فَكَيْفَ اٰسٰى﴾ و إن كان على لفظ الاستفهام، فالمراد به: النّفي، لأنّ جوابه في هذا الموضوع لايصحّ إلّا بالنّفي، و إنّما يدخله معنى الإنكار أيضًا لهذه العلّة. و هذا كما قال العجّاج:

* أطَرَبًا و أنت قِنّسريّ *

و هذا تسلّ من شعيب بما يذكر من حاله معهم في مناصحته لهم، و تأديته رسالة ربّه إليهم، و أنّه لاينبغي أن يأسى عليهم مع تمرّدهم في كفرهم، و شدّة عُتوّهم.

قال البلخيّ: و في هذا دلالة على أنّه لايجوز للمسلم أن يدعو للكافر بالخير. و أنّه لايجوز الحزن على هلاك الكافرين، و الظّالمين».

و الرّابعة: (٣٢٣) الآية ١٤٤ من سورة «الأعراف» أيضًا: ﴿...اِنّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتي وَبِكَلَامي...﴾:

١ ــ هذه من جملة آيات طويلة من قصّة موسى ﷺ و بني إسرائيل، بدءً من الآية ١٠٣: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسٰى بِاٰيَاتِنَا اِلٰى فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِ...﴾، و ختمًا بالآية ١٥٧: ﴿اَلَّذينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْاُمِّيَّ...﴾.

٢ ــ و هذه الآيات من قصص بني إسرائيل، أطول الآيات فيها في القرآن بعد آيات سورة البقرة، ــ و كلّها ٨٢ آية ــ بدءً من الآية ٤٠ منها: ﴿يَابَني اِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتي اَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾، و ختمًا بالآية ١٢٣: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزي نَفْسٌ

عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا...﴾.

٣ ـ و هي خطاب من الله لموسى باصطفائه على النّاس برسالته، و أمره بأخذها، و بكونه من الشّاكرين، ثمّ قال: ﴿وَ كَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَ تَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ...﴾.

٤ ـ و قال الطّبْرسيّ (٢: ٤٧٦): «ثمّ أخبر سبحانه عن عظيم نعمته على موسى بالاصطفاء، و إجلال القدر، و أمره إيّاه بالشّكر بقوله: ﴿قَالَ﴾ أي قال الله سبحانه: ﴿يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ﴾ أي اخترتك واتّخذتك صفوة، و فضّلتك على النّاس ﴿بِرِسَالَاتِي﴾ من غير كلام ﴿وَ بِكَلَامِي﴾ من غير رسالة، و خصّ النّاس، لأنّه كلام الملائكة، و لم يكلّم أحدًا من النّاس بلاواسطة، سوى موسى عليه السلام.

و قيل: إنّه سبحانه كلّم موسى على الطّور، و كلّم نبيّنا محمّدًا صلى الله عليه وسلم عند سدرة المنتهى.

﴿فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ﴾ أي تناول ما أعطيتك من التّوراة، و تمسّك بما أمرتك.

﴿وَ كُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ أي من المعترفين بنعمتي، القائمين بشكرها على حسب مرتبتها، فكلّما كانت النّعمة أعظم و أجلّ، وجب أن تقابل من الشّكر بما يكون أتمّ و أكمل.

و الوجه في تشريف موسى عليه السلام بالاختصاص بالكلام، أنّ ذلك نعمة عظيمة و منّة جسيمة منه تعالى عليه، لأنّه كلّمه، و علّمه الحكمة، من غير واسطة بينه و بينه، و من أخذ العلم من العالم العظيم، كان أجلّ رتبة ممّن أخذه ممّن هو دونه».

و الخامسة: (٣٢٤) الآية ٣٩ من سورة «الأحزاب»: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللهِ...﴾:

١ ـ و هذه الآية من تتمّة قصّة زَيْد ـ و كان دعيّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم ـ، و زواج النّبيّ زوجته بعد أن طلّقها، بدءً من الآية ٣٧ منها: ﴿وَ إِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ...﴾، و ختمًا بالآية ٤٠: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَ لٰكِنْ رَسُولَ اللهِ وَ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ...﴾.

٢ ـ و قوله فيها: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللهِ﴾ صفة لقوله: ﴿الَّذِينَ﴾ قبلها: ﴿سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ...﴾.

٣ ـ و المراد بهما أنّ ما فعله النّبيّ صلى الله عليه وسلم من نكاح زوجة زَيْد، من سنن الّذين من قبله من الرّسل الّذين يتلون رسالات الله.

٤ ـ و قال الطّبْرسيّ (٤: ٣٥٩) في «النّزول»: «نزلت في زينب بنت جَحْش الأسديّة و كانت بنت أميمة بنت عبد المطّلب عمّة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم على مولاه زَيْد بن حارثة، و رأت أنّه يخطبها على نفسه. فلمّا علمت أنّه يخطبها على زَيْد، أبت و أنكرت، و قالت: أنا ابنة عمّتك، فلم أكن لأفعل. و كذلك قال أخوها عبد الله بن جَحْش، فنزل: ﴿وَ مَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَ لَا مُؤْمِنَةٍ...﴾ الآية. يعني عبد الله بن جَحْش، و أخته زينب. فلمّا نزلت الآية، قالت: رضيت يا رسول الله، و جعلت أمرها بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم، و كذلك أخوها، فأنكحها رسول

الله ﷺ زيدًا، فدخل بها، و ساق إليها رسول الله ﷺ عشرة دنانير، و ستّين درهمًا مهرًا، و خمارًا، و ملحفةً، و درعًا و إزارًا، و خمسين مُدًّا من طعام، و ثلاثين صاعًا من تمر، عن ابن عبّاس و مُجاهد و قَتادة...

و قيل: نزلت في أمّ كلثوم بنت عُقبَة بن أبي معيط ـ و كانت وهبت نفسها للنّبيّ ﷺ ـ فقال: قد قبلت، وزوّجها زَيْد بن حارثة...».

٥ـ و قال (٤: ٣٦١) في «المعنى»: «ثمّ وصف سبحانه الأنبياء الماضين، و أثنى عليهم، فقال: ﴿اَلَّذينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللهِ...﴾ أي يؤدّونها إلى من بُعثوا إليهم، و لا يكتمونها، ﴿وَ يَخْشَوْنَهُ﴾ أي و يخافون الله مع ذلك في ترك ما أوجبه عليهم.

﴿وَ لَايَخْشَوْنَ اَحَدًا اِلَّا اللهَ﴾: و لا يخافون من سوى الله فيما يتعلّق بالأداء و التّبليغ.

و في هذا دلالة على أنّ الأنبياء لا يجوز عليهم التّقيّة في تبليغ الرّسالة. و متى قيل: فكيف ما قال لنبيّنا ﷺ: ﴿وَ تَخْشَى النَّاسَ﴾ الأحزاب: ٣٧، فالقول. إنّه لم يكن ذلك فيما يتعلّق بالتّبليغ، و إنّما خشي المقالة القبيحة فيه. و العاقل كما يتحرّز عن المضارّ يتحرّز من إساءة الظّنون به، و القول السّيّئ فيه، و لا يتعلّق شيء من ذلك بالتّكليف...».

و السّادسة: (٣٢٥) الآية ٢٣ من سورة «الجنّ» ﴿اِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللهِ وَ رِسَالَاتِهِ...﴾:

١ ـ هذه من تتمّة قول الرّسول: حيث أمره الله تعالى فيما قبلها بقوله: ﴿قُلْ اِنَّمَا اَدْعُوا رَبّي وَ لَااُشْرِكُ بِهِ اَحَدًا * قُلْ اِنّي لَااَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَ لَا رَشَدًا * قُلْ اِنّي لَنْ يُجيرَني مِنَ اللهِ اَحَدٌ وَ لَنْ اَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا * اِلَّا بَلَاغًا...﴾.

فهي استثناء ممّا قبله، أي لن أجد من دون الله ملجأً إلّا تبليغًا من الله.

٢ ـ و قال الطّبرسيّ (٥: ٣٧٣) في «اللّغة»: «المُلتَحد: المُلتجأ بالميل إلى جهة».

٣ ـ و قال في «المعنى»: «﴿اِنّي لَنْ يُجيرَني مِنَ اللهِ اَحَدٌ﴾ أي لا يمنعني أحد ممّا قدّره الله عليّ ﴿وَ لَنْ اَجِدَ﴾ أيضًا ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ أي من دون الله ﴿مُلْتَحَدًا﴾ أي ملتجأً إليه أطلب به السّلامة ﴿اِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللهِ﴾ أي تبليغًا من الله آياته ﴿وَ رِسَالَاتِهِ﴾ فإنّه ملجاي و منجاي و ملتحدي، و لي فيه الأمن و النّجاة، عن الحسَن، و الجُبّائيّ.

و قيل: معناه: لا أملك لكم، ضرًّا و لا رشدًا، فما عليّ إلّا البلاغ عن الله، فكأنّه قال: لا أملك شيئًا سوى تبليغ وحي الله بتوفيقه و عونه، عن قَتادة.

و قيل: إنّ قوله: ﴿اِلَّا بَلَاغًا﴾ يحتمل معنيين:

أحدهما: إلّا ما بلغني من الله، أي لا يجيرني شيء إلّا ما أتاني من الله، فلا فرق بين أن يقول: بلغني كتابه، وأن يقول: أتاني كتابه.

و الثّاني: إلّا تبليغ ما أُنزل إليّ. فأمّا القبول و الإيمان فليس إليّ، و إنّما ذلك إليكم، عن أبي مسلم.

و قيل: إنّه عطف ﴿رِسَالَاتِهِ﴾ على «البلاغ»، فوجب أن يكون غيره، فالأولى أن يكون أراد

بالبلاغ: ما بلغه من توحيد الله و عدله، و ما يجوز عليه و ما لا يجوز. و أراد بالرّسالة: ما أرسل لأجله من بيان الشّرائع.

و لمّا بيّن سبحانه أنّه لاملجأ من عذابه إلّا طاعته، عقّبه بوعيد من قارف معصيته، فقال: ﴿وَ مَنْ يَعْصِ اللهَ وَ رَسُولَهُ﴾ أي خالف أمره في التّوحيد، و ارتكب الكفر و المعاصي ﴿فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا اَبَدًا﴾ جزاءً على ذلك».

و السّابعة: (٣٢٦) الآية ٢٨ من سورة «الجنّ» أيضًا: ﴿لِيَعْلَمَ اَنْ قَدْ اَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ...﴾:

١ ـ و هي آخر آية من هذه السّورة، و تتمّة لما قبلها، و هي: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ اَحَدًا * اِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَاِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا * لِيَعْلَمَ...﴾.

٢ ـ و قال الطّبْرسيّ (٥ : ٣٧٤): «﴿لِيَعْلَمَ﴾ الرّسول ﴿اَنْ قَدْ اَبْلَغُوا﴾ يعني الملائكة.

قال سعيد بن جُبَيْر: ما نزل جبرائيل بشيء من الوحي إلّا و معه أربعة من الملائكة حفظةً، فيعلم الرّسول أنّه قد أبلغ الرّسالة على الوجه الّذي قد أمر به.

و قيل: ليعلم من كذّب الرّسل، أنّ الرّسل قد أبلغوا رسالات الله، عن مُجاهِد.

و قيل: ليعلم محمّد ﷺ أنّ الرّسل قبله، قد أبلغ جميعهم ﴿رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ﴾ كما أبلغ هو؛ إذ كانوا محروسين محفوظين بحفظ الله، عن قَتادَة.

و قيل: ليعلم الله أن قد أبلغوا، عن الزّجّاج.

و قيل: معناه: ليظهر المعلوم على ما كان سبحانه عالمًا، و يعلمه واقعًا، كما كان يعلم أنّه سيقع.

و قيل: أراد ليبلغوا، فجعل بدل ذلك قوله: ليعلم إبلاغهم توسّعًا، عن الجُبّائيّ.

و هذا كما يقول الإنسان: ما علم الله ذلك منّي، أي ما كان ذلك أصلًا، لأنّه لو كان لعلم الله ذلك، فوضع العلم موضع الكون...».

٣ ـ و الّذي يلفت النّظر في هذه الآيات العشر في «الرّسالة و الرّسالات»:

أوّلًا: أنّ ثمان منها مفعولة للبلاغ بصيغه حسب ترتيب الآيات: ﴿بَلَّغْتَ﴾، و ﴿اَبْلَغْتُكُمْ﴾، و ﴿اُبَلِّغُكُمْ﴾، و ﴿يُبَلِّغُونَ﴾، و ﴿بَلَاغًا﴾ و ﴿اَبْلَغُوا﴾.

و اثنتان منها ـ و هما الثّانية و السّابعة ـ جاء فيهما بدل «البلاغ» الجعل و الاصطفاء: ﴿حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾، و ﴿اِنِّى اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِى﴾.

و ثانيًا: أنّ أربعًا منها جاء فيها بلاغ الرّسالة مع النّصح ـ خمس مرّات ـ عطفًا عليه بصيغه و أساليبه: ﴿وَ نَصَحْتُ لَكُمْ﴾، و ﴿وَ لٰكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾، و ﴿وَ اَنْصَحُ لَكُمْ﴾، و ﴿وَ اَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ اَمِينٌ﴾، و ﴿وَ نَصَحْتُ لَكُمْ﴾ و مقارنة الرّسالة بالبلاغ و النّصح اهتمام كبير بها، و رعاية بالغة لعواطف النّاس.

٤ ـ كما أنّ إضافة الرّسالة و الرّسالات ـ في اثنتين من (الرّسالة)، و في أربع من (الرّسالات) ـ إلى (ربّي) و (ربّهم) مزيد لطف من الله

تعالى للعباد. فضلًا عن أنّ إضافتهما في الأربع الأخرى إلى الله تعالى بألفاظ (رسالته) و(رسالاته)، و(رسالات الله) و(رسالاتي) اهتمام بهما و تعظيم لهما يقينًا.

القسم الرّابع: مُرسِل، و مُرسِلون، و مُرسِلين، و مُرسِلة، و مُرسَل، و مُرسَلون، و المُرسَلين، والمُرسَلات ١٤٠ آيةً:

٣٢٧ـ ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ البقرة: ٢٥٢

* ﴿وَ لَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَ أُوذُوا حَتَّىٰ أَتَيهُمْ نَصْرُنَا وَ لَامُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ وَ لَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾ الأنعام: ٣٤

٣٢٨ ـ ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَ أَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لَاهُمْ يَحْزَنُونَ﴾ الأنعام: ٤٨

٣٢٩ـ ﴿فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَ لَنَسْئَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ الأعراف: ٦

* ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾

الأعراف: ٧٥

٣٣٠ـ ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَ عَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَ قَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ الأعراف: ٧٧

٣٣١ـ ﴿وَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ الرّعد: ٤٣

٣٣٢ـ ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾

الحجر: ٥٧

٣٣٣ـ ﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ﴾

الحجر: ٦١

٣٣٤ـ ﴿وَ لَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ﴾ الحجر: ٨٠

٣٣٥ ـ ﴿وَ مَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ وَ يُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَ مَا أُنْذِرُوا هُزُوًا﴾

الكهف: ٥٦

* ﴿وَ مَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَ يَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَ جَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَ كَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾

الفرقان: ٢٠

٣٣٦ـ ﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَ جَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ الشّعراء: ٢١

٣٣٧ـ ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾

الشّعراء: ١٠٥

٣٣٨ـ ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ﴾

الشّعراء: ١٢٣

٣٣٩ـ ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾

الشّعراء: ١٤١

٣٤٠ـ ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ﴾

الشّعراء: ١٦٠

٣٤١ـ ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ﴾

الشعراء: ١٧٦

٣٤٢ـ ﴿وَ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَ لَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَاتَخَفْ إِنِّي لَايَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾ النمل: ١٠

٣٤٣ـ ﴿وَ إِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ النمل: ٣٥

٣٤٤ـ ﴿وَ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَ لَاتَخَافِي وَ لَاتَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَ جَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ القصص: ٧

٣٤٥ـ ﴿وَ لَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَ مَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَ لَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ القصص: ٤٥

٣٤٦ـ ﴿وَ يَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ القصص: ٦٥

٣٤٧ـ ﴿مَا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَامُمْسِكَ لَهَا وَ مَا يُمْسِكْ فَلَامُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ فاطر: ٢

٣٤٨ـ ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ يس: ٣

٣٤٩ـ ٣٥١ـ ﴿وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ * إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ * قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَ مَا أَنْزَلَ الرَّحْمٰنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ * قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ يس: ١٣ـ ١٦

٣٥٢ـ ﴿وَ جَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ يس: ٢٠

٣٥٣ـ ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمٰنُ وَ صَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ يس: ٥٢

٣٥٤ـ ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَ صَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ الصّافّات: ٣٧

٣٥٥ـ ﴿وَ إِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ الصّافّات: ١٢٣

٣٥٦ـ ﴿وَ إِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ الصّافّات: ١٣٣

٣٥٧ـ ﴿وَ إِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ الصّافّات: ١٣٩

٣٥٨ـ ﴿وَ لَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ الصّافّات: ١٧١

٣٥٩ـ ﴿وَ سَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ الصّافّات: ١٨١

٣٦٠ـ ﴿أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ الدّخان: ٥

٣٦١ـ ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَ اصْطَبِرْ﴾ القمر: ٢٧

٣٦٢ـ ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ الذّاريات: ٣١

٣٦٣ـ ﴿وَ الْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ المرسلات: ١

و فيها بُحُوثٌ:

١ـ قد جاء فيها مُرسِل، و المُرسِلة، و مُرسَل، و المُرسَلات كلّ واحدة منها مرّة، و المُرسِلون، و المُرسِلين ثلاث مرّات.

و جاءت البقيّة و هي مُرسَلون و مرسَلين ٢٦

مرّة، و البحث فيها موكول إلى موضوعاتها من المواد.

٢ـ و الّذي يلفت النّظر أنّها جمعًا آيات مكّيّة، سوى الأولى منها فهي مدنيّة. و من ذلك يعلم أنّ الإعلام بإرسال الرّسل مثل التّوحيد و البعث، كان في مكّة في بدء نزول الوحي على نبيّنا ﷺ و هو الأهمّ.

المحور الثّاني: إرسال غير الأنبياء، و هو أقسام: إرسال الآيات، إرسال الملائكة إلى الأنبياء و إلى النّاس، و إرسال الأشخاص، و الأشياء:

إرسال الآيات:

٣٦٤ـ ﴿وَ مَا مَنَعَنَا اَنْ نُرْسِلَ بِالْاٰيَاتِ اِلَّا اَنْ كَذَّبَ بِهَا الْاَوَّلُونَ وَ اٰتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَ مَا نُرْسِلُ بِالْاٰيَاتِ اِلَّا تَخْوِيفًا﴾ الإسراء: ٥٩

إرسال الملائكة إلى الأنبياء:

٣٦٥ـ ﴿وَ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا اِبْرٰهِيمَ بِالْبُشْرٰى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ اَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ هود: ٦٩

٣٦٦ـ ﴿وَ لَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَ ضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَ قَالَ هٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ هود: ٧٧

٣٦٧ـ ﴿قَالُوا يَا لُوطُ اِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا اِلَيْكَ فَاَسْرِ بِاَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَ لَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ اَحَدٌ اِلَّا امْرَاَتَكَ اِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا اَصَابَهُمْ اِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ اَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ هود: ٨١

٣٦٨ـ ﴿اَللهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلٰئِكَةِ رُسُلًا وَ مِنَ النَّاسِ اِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ الحجّ: ٧٥

٣٦٩ـ ﴿وَ لَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا اِبْرٰهِيمَ بِالْبُشْرٰى قَالُوا اِنَّا مُهْلِكُوا اَهْلِ هٰذِهِ الْقَرْيَةِ اِنَّ اَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ العنكبوت: ٣١

٣٧٠ـ ﴿اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ فَاطِرِ السَّمٰوَاتِ وَ الْاَرْضِ جَاعِلِ الْمَلٰئِكَةِ رُسُلًا اُولِي اَجْنِحَةٍ مَثْنٰى وَ ثُلٰثَ وَ رُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ اِنَّ اللهَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فاطر: ١

٣٧١ـ ﴿وَ مَا كَانَ لِبَشَرٍ اَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ اِلَّا وَحْيًا اَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ اَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِاِذْنِهِ مَا يَشَاءُ اِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ الشّورى: ٥١

٣٧٢ـ ﴿اِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ الحاقّة: ٤٠

٣٧٣ـ ﴿اِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ التّكوير: ١٩

إرسال الملائكة إلى النّاس ومنهم مريم عليها السّلام

٣٧٤ـ ﴿فَمَنْ اَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرٰى عَلَى اللهِ كَذِبًا اَوْ كَذَّبَ بِاٰيَاتِهِ اُولٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتّٰى اِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا اَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَ شَهِدُوا عَلٰى اَنْفُسِهِمْ اَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ الأعراف: ٣٧

٣٧٥ـ ﴿وَ هُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَ يُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتّٰى اِذَا جَاءَ اَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَ هُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ الأنعام: ٦١

٣٧٦ـ ﴿وَ اِذَا اَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ اِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي اٰيَاتِنَا قُلِ اللهُ اَسْرَعُ مَكْرًا اِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ يونس: ٢١

٣٧٧ـ ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَاَرْسَلْنَا

إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ مريم: ١٧

٣٧٨- ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ مريم: ١٩

٣٧٩- ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ طه: ٩٦

٣٨٠- ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾

الزّخرف: ٨٠

إرسال الأشخاص:

٣٨١- ﴿حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ الأعراف: ١٠٥

٣٨٢- ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ الأعراف: ١١١

٣٨٣- ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ الأعراف: ١٣٤

٣٨٤- ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ يوسف: ١٢

٣٨٥- ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ يوسف: ١٩

٣٨٦- ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ يوسف: ٣١

٣٨٧- ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾ يوسف: ٤٥

٣٨٨- ﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ يوسف: ٦٣

٣٨٩- ﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ يوسف: ٦٦

٣٩٠- ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ طه: ٤٧

٣٩١- ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ الشعراء: ٥٣

٣٩٢- ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾

القصص: ٣٤

٣٩٣- ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الزّمر: ٤٢

إرسال الشّياطين:

٣٩٤- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ مريم: ٨٣

إرسال الأشياء:

إرسال الرّياح:

٣٩٥ـ ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾

الأعراف: ٥٧

٣٩٦ـ ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾

الحجر: ٢٢

٣٩٧ـ ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾ الإسراء: ٦٩

٣٩٨ـ ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾

الفرقان: ٤٨

٣٩٩ـ ﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ النمل: ٦٣

٤٠٠ـ ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الرّوم: ٤٦

٤٠١ـ ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ الرّوم: ٤٨

٤٠٢ـ ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾ الرّوم: ٥١

٤٠٣ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾

الأحزاب: ٩

٤٠٤ـ ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ فاطر: ٩

٤٠٥ـ ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ﴾

فصّلت: ١٦

٤٠٦ـ ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ الذّاريات: ٤١

٤٠٧ـ ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ﴾ القمر: ١٩

إرسال السّماء:

٤٠٨ـ ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ الأنعام: ٦

٤٠٩ـ ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى

قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴾ هود: ٥٢

٤١٠ - ﴿ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴾

نوح: ١١

إرسال حُسبان من السّماء:

٤١١ - ﴿ فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَ يُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴾ الكهف: ٤٠

إرسال شواظ من نار:

٤١٢ - ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَ نُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ ﴾ الرّحمٰن: ٣٥

إرسال الطّير:

٤١٣ - ﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴾ الفيل: ٣

إرسال الطّوفان:

٤١٤ - ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَ الْجَرَادَ وَ الْقُمَّلَ وَ الضَّفَادِعَ وَ الدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَ كَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴾ الأعراف: ١٣٣

إرسال الرّجز:

٤١٥ - ﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴾ الأعراف: ١٦٢

إرسال حاصب:

٤١٦ - ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَ مِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَ مِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَ مِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَ مَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَ لٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾

العنكبوت: ٤٠

٤١٧ - ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ﴾ القمر: ٣٤

٤١٨ - ﴿ أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ﴾

الإسراء: ٦٨

٤١٩ - ﴿ أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴾ الملك: ١٧

إرسال سيل العرم:

٤٢٠ - ﴿ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَ بَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَ أَثْلٍ وَ شَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴾ سبإ: ١٦

إرسال الصّيحة:

٤٢١ - ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴾ القمر: ٣١

إرسال الحجارة:

٤٢٢ - ﴿ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ ﴾

الذّاريات: ٣٣

إرسال الصّواعق:

٤٢٣ - ﴿ وَ يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَ الْمَلٰئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَ يُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَ هُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللهِ وَ هُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴾ الرّعد: ١٣

و البحث في جميع هذه الآيات موكول إلى موادّها و مواضيعها.

و يلاحظ ثانيًا: أنّ ٢٧٤ آيات منها ـ كما سبق في الجدول الأوّل ـ مكّيّة، و أكثرها في القصص القرآنيّة، و ٢٣٨ آيات منها مدنيّة،

و أكثرها في شأن النّبيّ ﷺ و أعماله بعد الهجرة.

و الأسف أنّ أكثر آيات هذه المادّة ذمّ و تعنيف للأُمم، و منهم أُمّة نبيّنا محمّد ﷺ.

و ثالثًا: من نظائر هذه المادّة في القرآن:

الرّسول: البريد:

المبعوث: ﴿كَانَ النَّاسُ اُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّٰهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ...﴾ البقرة: ٢١٣

الرّسول: المُحدّث:

النّبيّ: ﴿اَلَمْ تَرَ اِلَى الْمَلَاِ مِنْ بَنِى اِسْرَاءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسٰى اِذْ قَالُوا لِنَبِىٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِى سَبِيلِ اللّٰهِ...﴾ البقرة: ٢٤٦

المَلَك: ﴿قَالَ اِنَّمَا اَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِاَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ مريم: ١٩

ر س و

٤ ألفاظ، ١٤ مرّة: ١٣ مكّيّة ١ مدنيّة

في ١٣ سورة: ١٢ مكّيّة، ١ مدنيّة

رواسيَ ٩: ٨ ـ ١	أرساها ١: ١
راسيات ١: ١	مُرساها ٣: ٣

النّصوص اللّغويّة

الخَليل: رَسَوْتُ لفلان من هذا الأمر أو الحديث، أي ذكرت له طرَفًا منه.

و رَسَوْتُ الحديث: أحكَمتُه فيما بينك و بين نفسك.

و رسا الجبل يَرْسُو، إذا ثبت أصله في الأرض.

و رسَتِ السّفينة: انتهت إلى قرار الماء، فبقيت لا تسير.

و المِرْساة: أنجَرٌ يُشَدّ بالحِبال، فيُرسَل في البحر، فيُمسك بالسّفينة، و يُرسيها فلا تسير.

و ألقتِ السّحابة مَراسيَها: ثَبَتَتْ في موضع، و جادَتْ بالمطر.

و الفَحْل من الإبل إذا تفرّق عنه شُوّله، فهَدَرَ بها و راغت إليه و سَكَنَتْ، قيل: رساها.

و المُرْسى: مصدر من أرْسَيْتُ السّفينة.

و رَسَتْ قدماه في الموقف و الحرب، أي ثبتت.

و قِدْرٌ راسِيَة: لا تَبْرَح مكانها، و لا يُستطاع تحويلها. [و استشهد بالشّعر مرّتين] (٧: ٢٩٠)

أبو عمرو الشّيبانيّ: و الرَّسْوُ، رَسَوْتُ أرْسُو خبرًا، أي أخبر. (٢: ٢٧)

و الرَّسْو: تِلْو الشّيء، يقال: رَسَوْتُ كلامًا. (٢: ٣٧)

أبو زَيْد: رَسَوْتُ عنه حديثًا أرْسُوه رَسْوًا، أي تحدّثتُ عنه.

و رسَسْتُ الحديث أرُسّه في نفسي، أي حدّثت به نفسي. (الأزهَريّ ١٣: ٥٥)

ابن الأعرابيّ: الرّسّ و الرَّسْوَ بمعنى واحد.

و الرُّسْوة: الدَّسْتينَج، و الجميع: رَسَوات.

الرّسيّ: الثّابت في الخير و الشّرّ.

و رسا الصّوم، إذا نواه.

و راسى فلان فلانًا: إذا سابحَه، و ساراه إذا فاخره.

و الرّسيّ: العمود الثّابت في وسط الخِباء.

(الأزهريّ ١٣: ٥٥)

ابن السّكّيت: إذا كان السِّوار من ذَبْل أو عاج فهو مَسَكَةٌ و وَقْفٌ، فإذا كان من خَرَز فهو الرّسْوَة.

و قال بعض الأعراب: الرَّسْوَة: الدَّسْتينَج؛ و الجمع: رَسَوات. (٦٥٥)

كُراع النّمل: الرّسْوَة: الدّسْتَينَج؛ و الجمع: رَسَوات و لايُكسَّر. (ابن سيده ٨: ٦٠٩)

ابن دُرَيْد: الرَّسْو: مصدر رَسَوْتُ بين القوم أرْسُو رَسْوًا، إذا أصلحت بينهم. (٢: ٣٣٨)

الأزهَريّ: السِّوار: إذا كان من خَرَز فهو رَسْوَة. (١٣: ٥٥)

الصّاحِب: رَسَوْتُ لفلان رَسْوًا من الحديث و الأمر، أي ذكرْتُ له منه ذِكرًا و طرَفًا.

و رَسيْتُ منه حديثًا، أي حَفِظْته وحَمَلْت عنه.

و الرّسْوُ: الإصلاح بين القوم.

و رَسا الجبل يَرْسُو: ثبَتَ أصله في الأرض.

و كذلك السّفينة إذا انتهَتْ إلى قرار الماء.

و المِرْساة: الأنْجَر.

و إذا ثبَتَتِ السّحابة في موضع و جادَتْ، قيل: ألقَتْ مَراسيَها.

و الفَحْل إذا صاح بالشّوْل ثمّ سَكَنَتْ وأسفرَتْ، قيل: رَسَا بها. و رَسَتْ قدَماه في الحرب.

و قِدْرٌ راسيَة: لاتَبرَح مكانها.

والرّسْوَة: الدّسْتينَج؛ و جمعها رَسَوات و رِساء، و هو من خَرَز صِغار و لُؤْلُؤ. و تَرَسَّتِ المرأة: من ذلك. (٨: ٣٦٨)

الجَوهَريّ: رَسا الشّيء يَرْسُو: ثبت. و جبال راسيات.

و رَسَتْ أقدامهم في الحرب، أي ثبتت.

و رَسَتِ السّفينة تَرْسُو رُسُوًّا، أي وقفت على الأنْجَر.

و قوله تعالى: (بِسْمِ اللهِ مُجْرٰيهَا ومُرْسٰيهَا) هود: ٤١، بالضّمّ من أجرَيْتُ وأرْسَيْتُ، و (مَجْرَاهَا وَمَرْسَاهَا) بالفتح من رَسَتْ و جرَتْ.

و رَسَوْتُ بين القوم رَسْوًا، أي أصلحت.

و الرّسْوَة: شيء من خَرَز ينظم كالدّسْتينَج.

و رَسَوْتُ عنه حديثًا، أي حَدّثتُ به عنه. و يقال أيضًا: رَسَوْتُ، إذا ذكرت منه طرَفًا.

و المِرْساة: الّتي تُرْسَى بها السّفينة، تُسمّيها الفُرْس «لَنْگَر».

و ألقَتِ السّحابة مراسيها، إذا دامت.

و الرّواسي من الجبال: الثّوابت الرّواسخ. قال الأخفش: واحدتها راسية.

و ربّما قالوا: قد رسا الفحل بالشّوْل، و ذلك إذا قَما عليها.

و يقال: تمرة نِرْسيانة بكسر النّون، لضرب من التّمر جيّد. (٦: ٢٣٥٦)

ابن فارس: الرّاء و السّين و الحرف المعتلّ أصل يدلّ على ثبات.

تقول: رَسا الشّيء يَرْسُو، إذا ثبت. و الله جلّ ثناؤه أرسَى الجبال، أي أثبتَها. و جبَل راس: ثابت. و رَسَتْ أقدامهم في الحرب.

و يقال: ألقت السّحابة مَراسيَها، إذا دامَتْ. و الفحل، إذا تفرّقت عنه شَوْلُه فصاح بها استقرّت، فيقال عند ذلك: رسا بها.

و من الباب رَسَوْت بين القوم رَسْوًا، إذا أصلَحْت.

وبقيَتْ في الباب كلمة إن صَحّتْ فقياسها صحيح. يقال: رَسَوْتُ عنه حديثًا أرْسُوه، إذا حَدَّثْتَ به عنه. و في ذلك إثبات شيء أيضًا. (٢: ٣٩٤)

ابن سيده: رَسا الشّيء رُسُوًّا، و أرْسَى: ثبت. و أرْساه هو.

و رَسَتْ قَدَمُه: ثبتت في الحرب.

و رَسَتِ السّفينة: بلغ أسفلها القَعْر، فثبتت، و أرْساها هو.

و المِرْساة: أنجَرُ السّفينة الّتي تُرْسَى به.

و ألقت السّحابة مَراسيَها: استقرّت و جادَتْ.

و رَسَى الفحل بشَوْله: هَدَرَ بها فاستقرّت.

و قِدْرٌ راسِيَة: لاتبرَح مكانها، و لايطاق تحويلها.

و رَسا له رَسْوًا من حديث: ذكَر.

و رَسا عنه حديثًا رَسْوًا: رفعه و حدّث به عنه.

و رَسا بينهم رَسْوًا: أصلَح.

و الرَّسْوَة: السِّوار من الذَّبْل. (٨: ٦٠٩)

الرّاغِب: يقال: رَسا الشّيء يَرْسُو: ثبت، وأرْساه غيره، قال تعالى: ﴿وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ﴾ سبأ: ١٣، و قال: ﴿رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ﴾ المرسلات: ٢٧، أي جبالًا ثابتات، ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسٰيهَا﴾ النّازعات: ٣٢، و ذلك إشارة إلى نحو قوله تعالى: ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ النّبأ: ٧. [ثمّ استشهد بشعر]

و ألقت السّحابة مَراسيَها نحو: ألْقت طُنُبَها.

و قال تعالى: (ارْكَبُوا فيهَا بِسْمِ اللهِ مُجْرٰيهَا وَمُرْسٰيهَا) هود: ٤١، من أجْرَيْتُ، وأرْسَيْتُ، فالمُرْسَى يقال: للمصدر، والمكان، والزّمان، والمفعول. و قرئ: (مَجْرِيهَا ومَرْسِيهَا).

و قوله: ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسٰيهَا﴾ الأعراف: ١٨٧، أي: زمان ثبوتها.

و رَسَوْتُ بين القوم، أي أثبتَ بينهم إيقاع الصُّلح. (١٩٦)

نحوه الفيروزاباديّ. (بصائر ذوي التّمييز ٣: ٧٤)

الزّمَخْشَريّ: جبَل راسٍ، و جبال راسيات و رَواسٍ. و أرساها الله تعالى.

و رَسا و تَرَسّى: ثبت.

و رَسَتِ السّفينة: انتهت إلى قرار فبقيت لاتسير.

و أرْسَوْها بالمِرْساة و هي الأنْجَرُ.

و رَسَتْ قدَماه في الحرب.

﴿وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ﴾ سبأ: ١٣، لايستطاع تحويلها لثقلها، فهي في مكانها.

و من المجاز: ما أرْسَى ثَبيرٌ ما أقام، و أصله من إرْساء السّفينة.

و ألقَوْا مراسيهم، إذا أقاموا.

وألقتِ السّحابة مراسيها.

و رَسا الفحل بالشَّول، إذا تفرّقت فصاح بها فاستقرّت. (أساس البلاغة: ١٦٣)

الفَيُّوميّ: رَسا الشّيء يَرْسُو رَسْوًا وَرُسُوًّا: ثبتَ، فهو راسٍ.

و جبال راسِيَة، و راسِيات، و رَواسٍ، و أرْسَيتُه بالألف للتّعدية، و رَسَتْ أقدامهم في الحرب.

و رَسَوْتُ بين القوم: أصلَحْتُ. وألقتِ السّحابة مَراسِيَها: دامت. (١: ٢٢٧)

الفيروزاباديّ: رَسا رَسْوًا و رُسُوًّا: ثبت كـ«أرْسَى». و السّفينة وقَفَتْ على الأنْجَر، و أرْسَيْتُه و الصّوم: نواه.

و رَسْوًا من الحديث: ذَكَر طرَفًا منه.

و عنه حديثًا: رَفعَه و حَدّثَ به عنه.

والفَحْل بشَوْله: تفرّقت عنه فهَدَر بها، فراغَتْ إليه و سَكَنَتْ.

و المِرْساة: أنْجَر السّفينة.

و الرَّسْوَة: الدَّسْتِينَج.

وألقتِ السّحاب مراسيها: استقرّت و جادَتْ.

و راساه: سايَرَه.

و كـ«غَنِيّ»: العمود الثّابت وسط الخِباء، و الثّابت في الخير و الشّرّ.

و مُرْسِيَة بالضّمّ: بلدة بالمغرب.

و قِدْرٌ راسِيَة: لاتَبرَح مكانها لعظمها. (٤: ٣٣٦)

الطُّرَيحيّ: و في حديث أهل البيت عليهم السلام: «بكم تستقلّ جبال الأرض عن مراسيها»، أي عن ما يُمسكها. (١: ١٨٣)

مَجْمَعُ اللُّغة: رَسا الشّيء يَرْسُو رُسُوًّا: ثبت أصله و رسخ، فهو راسٍ و هي راسية، و هنّ راسيات، و رواسٍ جمع: راسٍ و راسِيَة.

و أرْساه: جعله ثابت الأصل راسخًا.

أرْسَى السّفينة: جعلها تثبت و لاتسير.

و المُرْسَى: مصدر أرْسَى بمعنى ثبت، أو هو بمعنى المنتهى و المستقرّ. (١: ٤٨١)

محمود شيت: رَسا الشّيء رَسْوًا، و رُسُوًّا: ثبت.

و رَسا الجبل: ثبت أصله في الأرض.

و رَسا قدَمه: ثبت في الحرب.

و رَسا السّفينة: وقفت عن السّير.

و رَسا بين القوم رَسْوًا: أصلح.

أرْسَى الشّيء: رَسا. يقال: أرْسَتِ السّفينة.

و أرْسَى الشّيء: أثبته. و أرْسَى الوَتد في الأرض: ضربه فيها.

«الرّاسي» الجبل الرّاسي: الثّابت الرّاسخ؛ جمعه: الرّواسي.

«المُرْسَى ـ المَرْسَى»: محطّ السّفينة قرب السّاحل؛ جمعه: مَراسٍ.

و المِرْساة: ثقل يُلقى في الماء فيُمسك السّفينة أن تجري؛ جمعه: مَراسٍ.

رَسَت السّفينة: وقَفَتْ عن السّير.

الرّاسي: الجبل الرّاسخ؛ جمعه: الرّواسي.

المَرْسَى: محطّ السّفينة قرب السّاحل. يقال: مَرْسَى القوّة النّهريّة، و مَرْسَى البحريّة، و مَرْسَى الفاو.

المِرْساة: ثقل يُلقى في الماء فيُمسك السّفينة أن تتحرّك؛ جمعه: مَراسٍ. (١: ٢٦٩)

المُصْطَفَويّ: قد سبق في مادّة «رسخ»: أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة، هو استقرار شيء عظيم تامًّا. و أوضحنا الفرق بين هذه المادّة و موادّ الرّسّ و الثّبت و الحقّ و الرّسخ و الرّسب، فراجع.

فإطلاق «الرّسا» في مورد الحديث و الخير و الشّرّ و الصّوم، و أمثالها، للإشارة إلى عظمتها و استقرارها التّامّ، و تثبيتها الكامل، كما أنّ إطلاق مادّة «الرّسّ» في موارد الإصلاح و الإفساد و الحديث و أمثالها، باعتبار تثبيت نافذ و إنفاذ شديد فيها ـ سبق في الرّسّ ـ.

﴿وَ جَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَ بَارَكَ فِيهَا﴾ فصّلت: ١٠، ﴿وَ الْجِبَالَ اَرْسٰيهَا﴾ النّازعات: ٣٢، ﴿وَ جَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَ اَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا﴾ المرسلات: ٢٧، ﴿وَ اَلْقٰى فِى الْاَرْضِ رَوَاسِيَ اَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَ اَنْهَارًا﴾ النّحل: ١٥، ﴿وَ الْاَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَ اَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ الحجر: ١٩، ﴿وَ هُوَ الَّذِى مَدَّ الْاَرْضَ وَ جَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَ اَنْهَارًا﴾ الرّعد: ٣، ﴿اَمَّنْ جَعَلَ الْاَرْضَ قَرَارًا وَ جَعَلَ خِلَالَهَا اَنْهَارًا وَ جَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ﴾ النّمل: ٦١.

في هذه الآيات الكريمة إشارات إلى مطالب راجعة إلى حياة الإنسان، و إدامتها على وجه الأرض:

١ ـ مَدّ الأرض، أي جعلها ممتدّة حتّى تتحصّل فيها السّهول و الأودية و الصّحاري، لتعيّش النّاس و الزّراعة و الفلاحة، و إيجاد الحدائق و الأشجار المثمرة، و العمران و تهيئة العمارات و المساكن و غيرها.

٢ ـ الجبال الرّواسي: حتّى تجلب السّحب و الأمطار، و الأمطار ينابيع الأنهار، و الجبال مخازن المياه، و من الماء حياة كلّ شيء من نبات و حيوان و إنسان، و لولا الماء لما قامت حياة ذي حياة. ﴿وَ اَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا﴾ المرسلات: ٢٧.

٣ ـ ﴿رَوَاسِيَ اَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ النّحل: ١٥، فجعلت هذه الجبال الرّواسي الشّامخات العظيمة على الأرض، حفظًا لها عن الاضطراب و الاختلال، و لتثبيت النّظم و تعديل الحركة، و تنظيمها في موقعيّتها الموجودة، من جهة الجاذبة و الدّافعة من داخلها و من الخارج، حتّى يحصل السّكون و الطّمأنينة و القرار عليها.

و أمّا ذكر «الرّواسي» في الآية الأخيرة بعد

«الأنهار»: فإنّ الآية الكريمة في مقام السّؤال عن نتيجة خلق الأرض، أي الاستقرار و الطّمأنينة عليها، في أثر جريان الأنهار، و جعل الرّواسي عليها. [إلى أن قال:]

فظهر لطف التّعبير بالمادّة في الموارد المستعملة المذكورة.

و أمّا ذكر كلمة «الرّواسي» من المجرّد دون الإرساء المنتسب إلى اللّه العزيز: فللتّصريح بالنّسبة إليه تعالى صريحًا في مواردها ﴿وَ جَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ الرّعد: ٣، ﴿وَ اَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ الحجر: ١٩، ﴿وَ اَلْقٰى فِى الْاَرْضِ رَوَاسِيَ﴾ النّحل: ١٥.

و أمّا قوله تعالى: ﴿وَ جِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَ قُدُورٍ رَاسِيَاتٍ﴾، فمن أعمال الجنّ لسليمان ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ﴾ سبأ: ١٣

و أمّا ذكر المادّة في هذه الآية الكريمة بصيغة فاعلات دون فواعل: فإنّ فواعل صيغة لمنتهي الجموع و للكثرة، و لا مقتضى لها فيها. (٤: ١٣٦)

النّصوص التّفسيريّة

اَرْسٰيهَا

وَ الْاَرْضَ بَعْدَ ذٰلِكَ دَحٰيهَا * اَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَ مَرْعٰيهَا * وَ الْجِبَالَ اَرْسٰيهَا. النّازعات: ٣٠ ـ ٣٢

ابن عبّاس: أوتدها. (٥٠٠)

الطّوسيّ: أي و أثبت الجبال في الأرض.

و الإرساء: الإثبات بالثّقل، فالسّفينة ترسو، أي تثبت بثقلها، فلا تزول عن مكانها، و ربّما أرست بالبحر بما يطرح لها.

فأمّا الجبال فإنّها أوتاد الأرض، و أرسيت بثقلها، و في جعلها على الصّفة الّتي هي عليها أعظم العبرة. (١٠: ٢٦١)

القُشَيْريّ: أثبتها أوتادًا للأرض. (٦: ٢٥٣)

الزّمخشريّ: و إرساء الجبال و إثباتها أوتادًا لها حتّى تستقرّ و يستقرّ عليها. (٤: ٢١٥)

بنت الشّاطئ: الإرساء: التّثبيت و التّرسيخ، و من استعماله في الحسّيّات: الرّسيّ ـ ك«غنيّ» ـ و هو العمود الثّابت وسط الخباء.

و قِدْرٌ راسية: لا تبرح مكانها لعظمها.

و قالوا: ألقت السّفينة مراسيها إذا استقرّت، و كذلك السّحابة إذا استقرّت جادت.

و منه في القرآن:

﴿وَ قُدُورٍ رَاسِيَاتٍ﴾ سبأ: ١٣، و ﴿بِسْمِ اللّٰهِ مَجْرٰيهَا وَ مُرْسٰيهَا﴾ هود: ٤١، على أنّ المادّة يكثر مجيئها في الجبال، لوضوح الثّبات و الرّسوخ فيها، بل إنّ القرآن يستغني أحيانًا بـ«الرّواسي» عن الجبال، فيشهد هذا بأنّ صفة الرّسوّ، تبدو أوضح ما تبدو في الجبال:

﴿وَ هُوَ الَّذِى مَدَّ الْاَرْضَ وَ جَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَ اَنْهَارًا﴾ الرّعد: ٣

﴿وَ الْاَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَ اَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ الحجر: ١٩

﴿وَالْاَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَاَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَاَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ ق: ٧

﴿وَاَلْقَى فِي الْاَرْضِ رَوَاسِيَ اَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ النّحل: ١٥

و مثلها آيات: الأنبياء: ٣١، و النّمل: ٦١، و المرسلات: ٢٧، و لقمان: ١٠.

فإرساء الجبال، فيه هذه الدّلالة الأصليّة الواضحة على الثّبات و الرّسوخ، و فيه كذلك لفت قويّ إلى قدرة الله الّذي أرساها، كما أنّ ظاهرة الرّفع لاتبدو مثلما تبدو في السّماء، و ظاهرة الاستواء و البسط لاتبدو مثلما تبدو في الأرض.

(١: ١٣٧)

و فيها بحوث أخرى راجع: ج ب ل: «الجبال». وأيضًا بحوث حول تقديم و تأخير ﴿الْاَرْضَ﴾ و ﴿الْجِبَالَ﴾ في السّورة، فراجع.

رَوَاسِيَ

١ـ وَهُوَ الَّذِى مَدَّ الْاَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَاَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِى الَّيْلَ النَّهَارَ اِنَّ فِى ذٰلِكَ لَاٰيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ. الرّعد: ٣

ابن عبّاس: خلق في الأرض الجبال الثّوابت أوتادًا لها. (٢٠٥)

أبو عُبَيْدَة: أي جبالًا ثابتات، يقال: أرسَيْتُ الوتد. (١: ٣٢١)

الطّبَريّ: يقول جلّ ثناؤه: و جعل في الأرض جبالًا ثابتة.

و «الرّواسي» جمع «راسية» و هي الثّابتة، يقال منه: أرسَيْت الوتد في الأرض، إذا أثبته. (٧: ٣٣٠)

الزّجّاج: أي جبالًا ثوابت، يقال: قد رَسا الشّيء يَرْسُو رُسُوًّا، فهو راس، إذا ثبت. (٣: ١٣٧)

الماوَرْديّ: أي جبالًا، واحدها راسية، لأنّ الأرض ترسو بها، أي تثبت. (٣: ٩٢)

أبو السُّعود: أي جبالًا ثوابت في أحيازها، من الرُّسُوّ، و هو ثبات الأجسام الثّقيلة. و لم يُذكر الموصوف لإغناء غلبة الوصف بها عن ذلك، و انحصار مجيء فواعل جمعًا لفاعل في فوارس و هوالك و نواكس، إنّما هو في صفات العقلاء.

و أمّا في غيرهم فلايراعى ذلك أصلًا كما في قوله تعالى: ﴿اَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾ البقرة: ١٨٤، و قوله: ﴿اَلْحَجُّ اَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ﴾ البقرة: ١٩٧، إلى غير ذلك، فلاحاجة إلى أن يُجعَل مفردها صفةً لجمع القلّة، أعني «أجبلًا»، و يعتبر في جمع الكثرة، أعني «جبالًا» انتظامها لطائفة من جموع القلّة، و تنزيل كلّ منها منزلة مفردها كما قيل، على أنّه لامجال لذلك. فإنّ جمعيّة كلّ من صيغتي الجمعين إنّما هي باعتبار الأفراد الّتي تحتها، لاباعتبار انتظام جمع القلّة للأفراد و جمع الكثرة لجموع القلّة. فكلّ منها جمع «جبل» لا أنّ «جبالًا» جمع «أجبل» كما أنّ «طوائف» جمع «طائفة» و لا إلى أن يُلتجأ إلى جعل الوصف المذكور بالغلبة في عداد الأسماء الّتي تُجمَع على «فواعل» كما ظُنّ على أنّه لاوجه له،

لما أنّ الغلبة إنّما هي في الجمع دون المفرد، و التّعبير عن «الجبال» بهذا العنوان لبيان تفرّع قرار الأرض على ثباتها. (٣: ٤٣٧)

و هكذا جاءت في أكثر التّفاسير أيضًا.

٢ـ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ. الحجر: ١٩

ابن عبّاس: جبالًا ثوابت أوتادًا لها. (٢١٧)

نحوه الزّجّاج (٣: ١٧٦)، و الواحديّ (٣: ٤٢).

الطّبريّ: رواسيها: جبالها. (٧: ٥٠١)

الطّوسيّ: يعني جبالًا ثابتة. و أصله الثّبوت، يقال: رست السّفينة إذا ثبتت، و المراسي: ما تثبّت به.

و قيل: جُعلت الجبال أوتادًا للأرض. و قيل: جُعلت أعلامًا يهتدي بها أهل الأرض. (٦: ٣٢٦)

البغويّ: جبالًا ثوابت، و قد كانت الأرض تميد إلى أن أرساها الله بالجبال. (٣: ٥٤)

نحوه البيضاويّ (١: ٥٣٩)، و النّسفيّ (٢: ٢٧٠)، و أبو السّعود (٤: ١٣)، و القاسميّ (١٠: ٣٧٥٢).

الفخر الرّازيّ: ﴿رَوَاسِيَ﴾ و هي الجبال الثّوابت؛ واحدها: راس، و الجمع: راسية، و جمع الجمع: رواسي، و هو كقوله تعالى: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ النّحل: ١٥، و في تفسيره وجهان:

الوجه الأوّل: قال ابن عبّاس: لـمّا بسط الله تعالى الأرض على الماء مالت بأهلها كالسّفينة، فأرساها الله تعالى بالجبال الثّقال، لكيلا تميل بأهلها.

فإن قيل: أتقولون: إنّه تعالى خلق الأرض بدون الجبال فمالت بأهلها فخلق فيها الجبال بعد ذلك، أو تقولون: إنّ الله خلق الأرض و الجبال معًا؟

قلنا: كلا الوجهين محتمل.

و الوجه الثّاني: في تفسير قوله: ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ يجوز أن يكون المراد أنّه تعالى خلقها، لتكون دلالة للنّاس على طرق الأرض و نواحيها، لأنّها كالأعلام، فلا تميل النّاس عن الجادّة المستقيمة، و لا يقعون في الضّلال. و هذا الوجه ظاهر الاحتمال. (١٩: ١٧٠)

القُرطُبيّ: جبالًا ثابتة لئلّا تتحرّك بأهلها. (١٠: ١٣)

الفاضل المقداد: أي جبالًا راسية، أي ثابتة. و علّل أرباب الهيئة ذلك بأنّها كرة حاصلة في الماء، و إنّما الطّالع منها رُبعها المسكون. فلو كانت حقيقيّة لم تثبت على وضع واحد، لأنّ بعض أوضاعها ليس أولى من بعض، فخُلقت الجبال عليها لتُخرجها عن كونها حقيقيّة و تثبت و لا تضطرب، و لأنّ الجبال إذا ثبتت ثبتت الأرض بثباتها، و لذلك سمّيت الجبال أوتادًا على جهة الاستعارة، فإنّ الوتد يوجب ثبات ما يُربَط به.

و اعلم أنّه ينافي ذلك قولنا: إنّها ساكنة بفعل الفاعل المختار، لأنّه تعالى قد يفعل بالسّبب. (٢: ٣)

البُرُوسَويّ: أي جبالًا ثوابت، لولا هي لمارت فلم يستقرّ له أحد على ظهرها. يقال: رَسا رَسْوًا

و رُسُوًّا: ثبت، كـ«أرْسى». شبه الجبـال الرّواسـي استحقارًا لها و استقلالًا لعددها، و إن كانت خلقًا عظيمًا بحصيات قبضهنّ قابض بيده فنبذهنّ. و ما هو إلّا تصوير لعظمته و تمثيل لقدرته، و إنّ كلّ فعل عظيم يتحيّر فيه الأذهان، فهو هيّن عليه.

و المعنى: و جعلنا في الأرض رواسي بقدرتنا الباهرة و حكمتنا البالغة؛ و ذلك بأن قال لها: كوني، فكانت فأصبحت الأرض، و قد أرسيت بالجبال بعد أن كانت تمور مورًا فلم يدر أحد ممّ خُلقت. [إلى أن قال:]

و في «التّأويلات النّجميّة»: ﴿وَ الْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾ أي إنّ أرض البشريّة تميد كنفس الحيوانات، إلى أن أرساها اللّه بجبال العقل و صفات القلب. (٤: ٤٥١)

الآلوسيّ: أي جبالًا ثوابت، جمع «راسية» جمع «راس» على ما قيل. و قد بيّن حكمة إلقاء ذلك فيها، في قوله سبحانه: ﴿وَ اَلْقٰى فِى الْاَرْضِ رَوَاسِيَ اَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ النّحل: ١٥.

قال ابن عبّاس: إنّ اللّه تعالى لـمّا بسط الأرض على الماء مالت كالسّفينة، فأرساها بالجبال الثّقال لئلّا تميل بأهلها، و قد تقدّم الكلام في ذلك.

و زعم بعضهم: أنّه يجوز أن يكون المراد أنّه تعالى فعل ذلك لتكون الجبال دالّة على طرق الأرض و نواحيها، فلا تميد النّاس عن الجادّة المستقيمة، و لا يقعون في الضّلال. ثمّ قال: و هذا الوجه ظاهر الاحتمال. و أنت تعلم أنّه لا يسوغ الذّهاب إليه مع وجود أخبار تأباه كالجبال. (١٤: ٢٨)

المراغيّ: أي و جعلنا فيها جبالًا ثوابت خوف أن تضطرب بسكّانها كما قال في آية أخرى: ﴿وَ اَلْقٰى فِى الْاَرْضِ رَوَاسِيَ اَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ النّحل: ١٥. (١٤: ١٤)

عزّة دروزة: كناية عن الجبال. (٤: ١٣١)

الطّباطبائيّ: و الرّواسي صفة محذوفة الموصوف، و التّقدير: و ألقينا فيها جبالًا رواسي، و هو جمع راسية بمعنى الثّابتة، إشارة إلى ما وقع في غير هذا الموضع، أنّها تمنع الأرض من الميدان، كما قال: ﴿وَ اَلْقٰى فِى الْاَرْضِ رَوَاسِيَ اَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ النّحل: ١٥. (١٢: ١٣٩)

مكارم الشّيرازيّ: عبّر سبحانه عن خلق الجبال بـ«الإلقاء» و لعلّ المراد بـ«الإلقاء» هنا بمعنى «إيجاد» لأنّ الجبال هي الارتفاعات الشّاخصة على سطح الأرض النّاشئة من برودة قشرة الأرض التّدريجيّ، أو من الموادّ البركانيّة.

و ما يُعزّز هذا المعنى استعماله في لغتنا، فنقول مثلًا: وضعنا على هذه الأرض عدّة مباني، أي بنينا و أوجدنا.

و من بديع خلق الجبال ـ إضافةً إلى كونها أوتادًا لتثبيت الأرض، و حفظها من التّزلزل نتيجة الضّغط الدّاخليّ ـ فإنّها تقف كالدّرع الحصين في مواجهة قوّة العواصف، بل و تعمل على تنظيم حركة الهواء و تعيين اتّجاهه، و مع ذلك فهي المحلّ

الأنسب لتخزين المياه على صورة ثلوج و عيون.

و استعمال كلمة ﴿رَوَاسِيَ﴾ جمع «راسية» بمعنى الثّابت و الرّاسخ، إشارة لطيفة لما ذكرناه، فهي ثابتة بنفسها، و سبب لثبات قشرة الأرض، و ثبات الحياة الإنسانيّة عليها. ثمّ ينتقل إلى العامل الحيويّ الفعّال في وجود الحياة البشريّة و الحيوانيّة، ألا و هو النّبات: ﴿وَ اَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾. (٨: ٤٦)

فضل الله: ثابتة في أعماقها، لتمنعها من الاهتزاز، و هي الجبال الشّامخة. (١٣: ١٥١)

٣ـ وَ اَلْقٰى فِي الْاَرْضِ رَوَاسِيَ اَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَ اَنْهَارًا وَ سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ. النّحل: ١٥

ابن عبّاس: الجبال الثّوابت. (٢٢٢)

بهذا المعنى جاء في التّفاسير. و أيضًا جاء بهذا المعنى في الآيات اللّاحقة.

٤ـ وَ جَعَلْنَا فِي الْاَرْضِ رَوَاسِيَ اَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَ جَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ. الأنبياء: ٣١

٥ـ اَمَّنْ جَعَلَ الْاَرْضَ قَرَارًا وَ جَعَلَ خِلَالَهَا اَنْهَارًا وَ جَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَ جَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ءَاِلٰهٌ مَعَ اللّٰهِ بَلْ اَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ. النّمل: ٦١

٦ـ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَ اَلْقٰى فِي الْاَرْضِ رَوَاسِيَ اَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَ بَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَ اَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَاَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ. لقمان: ١٠

٧ـ وَ جَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَ بَارَكَ فِيهَا وَ قَدَّرَ فِيهَا اَقْوَاتَهَا فِي اَرْبَعَةِ اَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ. فصّلت: ١٠

٨ـ وَ الْاَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَ اَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَ اَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ. ق: ٧

٩ـ وَ جَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَ اَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا. المرسلات: ٢٧

و فيها بحوث أخرى راجع: ش م خ: «شامخات».

رَاسِيَاتٍ

يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَ تَمَاثِيلَ وَ جِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَ قُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اِعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَ قَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ. سبأ: ١٣

ابن عبّاس: ثابتات عظام، لا ترفع يأكل منها ألف رجل. (٣٦٠)

نحوه الزّجّاج. (٤: ٢٤٦)

أثافيها منها. (الماورديّ ٤: ٤٣٩)

مُجاهِد: عظام. (الطّبريّ ١٠: ٣٥٦)

قَتادة: عظام ثابتات في الأرض، لا يُزَلن عن أمكنتهنّ. (الطّبريّ ١٠: ٣٥٦)

ابن زَيْد: مثال الجبال من عظمها، يُعمَل فيها الطّعام من الكبر و العظم، لا تحرّك، و لا تنقل، كما قال: للجبال: راسيات.

(الطّبريّ ١٠: ٣٥٦)

ابن قُتَيْبَة: ثوابت في أماكنها تُترك ـ لعظمها ـ و لا تنقل. يقال: رسا الشّيء، إذا ثبت، فهو يرسو. و منه قيل للجبال: رواس. (٣٥٤)

الطَّبَريّ: و قُدور ثابتات لايُحرّكن عن أماكنهنّ، و لاتُحوّل لعظمهنّ. (١٠: ٣٥٥)

الثّعلبيّ: ثابتات لايُحوّلن و لايُحرّكن من أماكنهنّ لعظمتهنّ، و لايُنزَلن و لايُعطّلن، و كانت باليمن، و منه قيل للجبال: رواسي. (٨: ٧٩)

نحوه البغويّ (٣: ٦٧٤)، و المَيْبُديّ (٨: ١٢٤).

الماوَرْديّ: مأخوذ من الجبال الرّواسي، لثبوتها و ثبوت الأرض بها. (٤: ٤٣٩)

الطُّوسيّ: يعني عاليات ثابتات لاتُنزَل. (٨: ٣٨٣)

الزّمَخشَريّ: ثابتات على الأثافي لاتُنزَل عنها لعظمها. (٣: ٢٨٣)

مثله البَيْضاويّ (٢: ٢٥٧)، و أبوالسُّعود (٥: ٢٥١).

الفَخرالرّازيّ: أي غير منقولات، ثمّ لمّا بيّن حال الجفان العظيمة، كان يقع في النّفس أنّ الطّعام الّذي يكون فيها في أيّ شيء يُطبَخ، فأشار إلى القدور المناسبة للجفان. (٢٥: ٢٤٨)

و هكذا جاء في أكثر التّفاسير، و فيها بحوث أخرى، راجع: ق د ر: «قُدُور».

مُرْسيٰهَا

١ ـ يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ اَيَّانَ مُرْسٰيهَا قُلْ اِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبّي... الأعراف: ١٨٧

ابن عبّاس: متى قيامها و حينها؟ (١٤٣)

يعني: منتهاها. (الطّبَريّ ٦: ١٣٧)

قَتادَة: متى قيامها؟

مثله السُّدّيّ. (الطّبَريّ ٦: ١٣٧)

الفَرّاء: المُرسى في موضع رفع. (١: ٣٩٩)

الأخفش: ظهورها. (الماوَرْديّ ٢: ٢٨٤)

ابن قُتَيْبَة: أي متى ثبوتها؟ يقال: رَسا في الأرض، إذا ثبت. و رَسا في الماء: إذا رسَبَ، و منه قيل للجبال: رَواس. (١٧٥)

الطّبَريّ: و معنى قوله: ﴿مُرْسٰيهَا﴾ قيامها، من قول القائل: «أرساها الله فهي مُرساة»، و «أرساها القوم» إذا حبسوها، و «رَسَتْ هي، تَرْسُو رُسُوًّا».

و قال آخرون: معنى ذلك: مُنتهاها، و ذلك قريب المعنى من معنى من قال: معناه: «قيامها»، لأنّ انتهاءها بلوغها و قتها.

و قد بيّنّا أنّ أصل ذلك: الحبس و الوقوف. (٦: ١٣٦)

الزّجّاج: و معنى ﴿مُرْسٰيهَا﴾ مُثبَتها. يقال: رَسا الشّيء يَرْسُو، إذا ثبت فهو راس، و كذلك جبال راسيات، أي ثابتات. و أرْسَيْتُه إذا أثبتُّه.

فالمعنى ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ﴾: متى وقوعها[1]. (٢: ٣٩٣)

الجصّاص: و المُرسى: مستقرّ الشّيء الثّقيل؛ و منه: الجبال الرّاسيات بمعنى الثّابتات. و رَسَت السّفينة، إذا ثبتت في مستقرّها، و أرساها غيرها: أثبتها. (٣: ٣٦)

---

(١) ﴿مُرْسٰيهَا﴾ إذن مصدر ميميّ.

الطُّوسيّ: أي وقت قيامها و ثباتها.

و ﴿مُرْسٰيهَا﴾ في موضع رفع بالابتداء. يقول: رَسا يَرْسُو إذا ثبت، فهو راس، و جبال راسيات: ثابتات، و أرْساها الله، أي ثبّتها.

و قيل: معنى ﴿مُرْسٰيهَا﴾ الوقت الّذي يموت فيه جميع الخلق، و معنى سؤالهم عنها، أي متى وقوعها و كونها؟ فأمر الله تعالى نبيّه ﷺ أن يُجيبهم و يقول لهم: ﴿عِلْمُهَا عِنْدَ اللّٰهِ﴾ لم يطّلع عليها أحد، كما قال: ﴿إِنَّ اللّٰهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السّٰاعَةِ﴾ لقمان: ٣٤.

(٥: ٥٥)

الزّمَخْشَريّ: إرْساؤها أو وقت إرساؤها، أي إثباتها و إقرارها، و كلّ شيء ثقيل رُسُوّه: ثباته و استقراره، و منه: رَسا الجبل و أرْسى السّفينة. و المُرسى: الأنجر الّذي تُرسى به.

و لا أثقل من السّاعة بدليل قوله: ﴿ثَقُلَتْ فِي السَّمٰوٰاتِ وَ الْأَرْضِ﴾. و المعنى متى يُرْسيها الله.

(٢: ١٣٤)

ابن عَطيّة: مرتفع بإضمار فعل، و معناه مثبّتها و منتهاها، مأخوذة من أرْسى يُرْسي، ثمّ أمر الله عزّ و جلّ بالرّدّ إليه و التّسليم لعلمه. (٢: ٤٨٤)

الفَخْر الرّازيّ: المُرسى هاهنا مصدر بمعنى الإرساء، لقوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللّٰهِ مَجْرٰيهَا وَ مُرْسٰيهَا﴾ هود: ٤١، أي إجراؤها و إرساؤها. و الإرساء: الإثبات. يقال: رَسا يَرْسُو، إذا ثبت.

قال تعالى: ﴿وَ الْجِبٰالَ أَرْسٰيهَا﴾ النّازعات: ٣٢، فكان الرّسو ليس اسمًا لمطلق الثّبات، بل هو اسم لثبات الشّيء إذا كان ثقيلًا؛ و منه إرْساء الجبل، و إرْساء السّفينة. و لمّا كان أثقل الأشياء على الخلق هو السّاعة، بدليل قوله: ﴿ثَقُلَتْ فِي السَّمٰوٰاتِ وَ الْأَرْضِ﴾ لاجرم سمّى الله تعالى وقوعها و ثبوتها بالإرساء. (١٥: ٨٠)

أبو البقاء: ﴿مُرْسٰيهَا﴾ مُفْعَل من أرْسى، و هو مصدر مثل المُدْخَل و المُخْرَج، بمعنى الإدخال و الإخراج، أي متى إرساؤها. (١: ٦٠٦)

القُرطُبيّ: و ﴿مُرْسٰيهَا﴾ في موضع رفع بالابتداء عند سيبَوَيه، و الخبر ﴿أَيّٰانَ﴾. و هو ظرف مبنيّ على الفتح، بُني لأنّ فيه معنى الاستفهام.

و ﴿مُرْسٰيهَا﴾ بضمّ الميم، من أرساها الله، أي أثبتها، أي متى مُثبَتها، أي متى وقوعها؟ و بفتح الميم من «رَسَتْ»، أي ثبتت و وقفت، و منه: ﴿قُدُورٍ رٰاسِيٰاتٍ﴾. (٧: ٣٣٥)

البَيْضاويّ: متى إرساؤها، أي إثباتها و استقرارها، و رُسوّ الشّيء: ثباته و استقراره؛ و منه: رَسا الجبل و أرْسى السّفينة. (١: ٣٧٩)

النّسَفيّ: ﴿مُرْسٰيهَا﴾ إرساؤها، مصدر مثل المُدْخَل بمعنى الإدخال، أو وقت إرسائها، أي إثباتها. و المعنى متى يُرْسيها الله. (٢: ٨٨)

أبو حَيّان: ﴿مُرْسٰيهَا﴾ مصدر، أي متى إرساؤها، و إثباتها إقرارها. و الرّسوّ: ثبات الشّيء الثّقيل. و منه: رَسا الجبل، و أرسيت السّفينة. و المرسى: المكان الّذي تَرْسُو فيه.

و قال الزّمَخْشَريّ: «﴿مُرْسٰيهَا﴾: إرساؤها أو

وقت إرسائها، أي إثباتها و إقرارها» انتهى.

و تقديره: أو وقت إرسائها، ليس بجيّد، لأنّ ﴿أَيَّانَ﴾ اسم استفهام عن الوقت، فلايصحّ أن يكون خبرًا عن الوقت إلّا بمجاز، لأنّه يكون التّقدير: في أيّ وقت وقت إرسائها؟ و ﴿أَيَّانَ مُرْسيٰهَا﴾ مبتدأ.

و حكى ابن عَطيّة عن المُبرِّد أنّ ﴿مُرْسيٰهَا﴾ مرتفع بإضمار فعل، و لاحاجة إلى هذا الإضمار.

و ﴿أَيَّانَ مُرْسيٰهَا﴾ جملة استفهاميّة في موضع البدل من ﴿السَّاعَةِ﴾، و البدل على نيّة تكرار العامل؛ و ذلك العامل معلّق عن العمل، لأنّ الجملة فيها استفهام.

و لمّا عُلّق الفعل و هو يتعدّى بـ«عَنْ» صارت الجملة في موضع نصب على إسقاط حرف الجرّ، فهو بدل في الجملة على موضع ﴿عَنِ السَّاعَةِ﴾ لأنّ موضع المجرور نصب. و نظيره في البدل قولهم: «عرفت زيدًا أبومَنْ هو» على أحسن المذاهب في تخريج هذه المسألة، أعني في كون الجملة الاستفهاميّة تكون في موضع البدل. (٤: ٤٣٤)

أبو السُّعود: قوله تعالى: ﴿أَيَّانَ مُرْسيٰهَا﴾ بفتح الهمزة، و قد قرئ بكسرها و هو ظرف زمان متضمّن لمعنى الاستفهام، و يليه المبتدأ أو الفعل المضارع دون الماضي بخلاف «متى» حيث يليها كلاهما.

قيل: اشتقاقه من أيّ فَعْلان منه، لأنّ معناه أيّ وقت و هو من أوَيْتُ إلى الشّيء، لأنّ البعض آوٍ إلى الكلّ متساند إليه. و محلّه الرّفع على أنّه خبر مقدّم. و ﴿مُرْسيٰهَا﴾ مبتدأ مؤخّر، أي متى إرساؤها، أي إثباتها و تقريرها، فإنّه مصدر ميميّ من «أرْساه» إذا أثبته و أقرّه، و لايكاد يُستعمل إلّا في الشّيء الثّقيل، كما في قوله تعالى: ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسيٰهَا﴾ النّازعات: ٣٢، و منه مِرْساة السّفن.

و محلّ الجملة قيل: الجرّ على البدليّة من ﴿السَّاعَةِ﴾، والتّحقيق أنّ محلّها النّصب بنزع الخافض، لأنّها بدل من الجارّ و المجرور لامن المجرور فقط، كأنّه قيل: يسألونك عن السّاعة عن أيّان مرساها؟

و في تعليق السّؤال بنفس السّاعة أوّلًا وبوقت وقوعها ثانيًا، تنبيه على أنّ المقصد الأصليّ من السّؤال نفسها، باعتبار حلولها في وقتها المعيّن لاوقتها، باعتبار كونه محلًّا لها. و قد سُلك هذا المسلك في الجواب الملقن أيضًا؛ حيث أُضيف العلم المطلوب بالسّؤال إلى ضميرها، فأخبرها باختصاصه به عزّ و جلّ. (٣: ٦١)

نحوه البُرُوسَويّ. (٣: ٢٩١)

الآلوسيّ: [بسط الكلام في اشتقاق ﴿أَيَّانَ﴾ و أضاف:]

و أيًّا ما كان، فهي في محلّ الرّفع على أنّها خبر مقدّم و ﴿مُرْسيٰهَا﴾ مبتدأ مؤخّر، وهو مصدر ميميّ من «أرْساه» إذا أثبته وأقرّه، أي متى إثباتها و تقريرها؟ و لايكاد يُستعمل الإرساء إلّا في الشّيء الثّقيل، كما في قوله تعالى: ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسيٰهَا﴾

النّازعات: ٣٢. و منه مِرْساة السّفن، و نسبته هنا إلى ﴿السَّاعَةِ﴾ باعتبار تشبيه المعاني بالأجسام.

و جوّز بعضهم أن يكون اسم زمان، و لا يُرَدّ عليه أنّه يلزم أن يكون للزّمان زمان، و في جوازه خلاف الفلاسفة، لأنّه يؤول بـ«متى» وقوع ذلك.

و الجملة قيل في محلّ النّصب على المفعوليّة به، لقول محذوف وقع حالاً من ضمير ﴿يَسْئَلُونَكَ﴾، أي يسألونك قائلين أيّان مرساها؟ و قيل: في محلّ الجرّ على البدليّة عن ﴿السَّاعَةِ﴾.

و التّحقيق عند بعض أجلّة المحقّقين أنّ محلّها النّصب بنزع الخافض، لأنّها بدل من الجارّ و المجرور، لا من المجرور فقط.

و في تعليق السّؤال بنفس ﴿السَّاعَةِ﴾ أوّلاً و بوقت وقوعها ثانيًا، تنبيه على أنّ المقصد الأصليّ من السّؤال نفسها، باعتبار حلولها في وقتها المعيّن، باعتبار كونه محلًّا لها. (٩: ١٣٢)

القاسميّ: أي متى إرساؤها أو وقت إرسائها؟ أي إثباتها و إقرارها. و الرُّسوّ يستعمل في الأجسام الثّقيلة، و إطلاقه على المعاني، تشبيهًا لها بالأجسام. (٧: ٢٩١٦)

رشيد رضا: معناه يسألونك أيّها الرّسول عن السّاعة قائلين أيّان مُرْساها، أي متى إرساؤها و حصولها و استقرارها؟ أو يسألونك عنها من حيث زمن مجيئها و ثبوتها بالوقوع و الحصول.

فـ﴿أَيَّانَ﴾ ظرف زمان، و ﴿مُرْسٰيهَا﴾ مصدر معناه: إرساؤها، يقال: رَسا الشّيء يَرْسُو: ثبت، و أرْساه غيره. و منه: إرساء السّفينة و إيقافها بالمِرْساة الّتي تُلقى في البحر، فتمنعها من الجريان. قال تعالى: ﴿بِسْمِ اللهِ مَجْرٰيهَا وَ مُرْسٰيهَا﴾ هود: ٤١، و قال: ﴿وَ الْجِبَالَ أَرْسٰيهَا﴾ النّازعات: ٣٢.

و في السّؤال عن زمن وقوعها بحرف الإرساء الدّالّ على استقرار ما شأنه الحركة و الجريان، أو الميدان و الاضطراب، نكتة دقيقة هي في أعلى درج البلاغة، و هو أنّ قيامة السّاعة عبارة عن انتهاء أمر هذا العالم، و انقضاء عمر هذه الأرض الّتي تدور بمن فيها من العوالم المتحرّكة المضطربة، فعُبّر بإرسائها عن منتهى أمرها و وقوف سيرها، و ﴿السَّاعَةِ﴾ زمن و هو أمر مقدور، لا جسم سائر أو مسير، و ما يقع فيها و يُعبّر بها عنه، فهو حركة اضطراب و زلزال، لا رُسوّ و لا إرساء، و هو أمر مستقبل لا حاصل، و متوقّع لا واقع.

و قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ * مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ﴾ الطّور: ٧، ٨، معناه أنّه سيقع حتمًا، و لذلك علّق به بيان ما يقع فيه بقوله: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا * وَ تَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا * فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ الطّور: ٩ ـ ١١، فلم يبق لإرسائها معنى إلّا إرساء حركة هذا العالم فيها.

و إنّه لتعبير بليغ، لم يعهد له في كلام البلغاء نظير، و لم أر أحدًا نبّه لهذا. و ذكر ﴿السَّاعَةِ﴾ أوّلاً، و الاستفهام عن زمن وقوعها ثانيًا، على قاعدة تقديم الأهمّ، و هو المقصود بالذّات.

قيل: إنّ المراد بالسّائلين هنا اليهود، سألوه عنها

امتحانًا، قالوا: إن كان نبيًّا فإنّه لايعيّن لها زمنًا، لأنّ الله تعالى لم يطّلع على ذلك أحدًا من رسله، و قيل: قريش. و يرجّحه أنّ السّورة مكّيّة، و لم يكن في مكّة أحد من اليهود، و صيغة ﴿يَسْئَلُونَكَ﴾ المتبادر منها الحال لا الاستقبال البعيد. و في آية الأحزاب: ٦٣: ﴿يَسْئَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ اِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ وَ مَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾، و هذه مدنيّة. (٩: ٤٦٤)

نحوه المَراغيّ. (٩: ١٢٨)

ابن عاشور: جملة: ﴿أَيَّانَ مُرْسَيهَا﴾ في موضع نصب بقول محذوف، دلّ عليه فعل ﴿يَسْئَلُونَكَ﴾، والتّقدير: يقولون: أيّان مُرْساها، وهو حكاية لقولهم بالمعنى، و لذلك كانت الجملة في معنى البدل عن جملة ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ﴾.

و «المُرْسَى» مصدر ميميّ من الإرساء، و هو الإقرار. يقال: رَسا الجبل: ثبت، و أرساه: أثبته و أقرّه، و الإرساء: الاستقرار بعد السّير، كما قال الأخطل:

* و قال رائدُهم أرْسُوا نزاولُها *

و مرسى السّفينة استقرارها بعد المَخر، قال تعالى: ﴿بِسْمِ اللهِ مَجْرِيهَا وَ مُرْسَيهَا﴾ هود: ٤١، و قد أُطلق الإرساء هنا استعارة للوقوع، تشبيهًا لوقوع الأمر الّذي كان مترقّبًا أو متردّدًا فيه، بوصول السّائر في البرّ أو البحر إلى المكان الّذي يريده. (٨: ٣٧٥)

المُصْطَفَويّ: هذه الصّيغة للزّمان من الإرساء، بقرينة كلمة ﴿أَيَّانَ﴾ فإنّها زمانيّة. و المراد من ﴿السَّاعَةِ﴾: قيام القيامة المذكورة في الآيات الكريمة: ﴿حَتّى اِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ الأنعام: ٣١، ﴿اِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ لقمان: ٣٤، ﴿وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾ الرّوم: ١٤، ﴿وَ السَّاعَةُ لَارَيْبَ فِيهَا﴾ الجاثية: ٣٢، و لايجوز تفسيرها بقيام الحجّة و ظهوره عليه السلام. فإنّ السّؤال عن زمان إرسائها، و هو مجهول لهم.

و أمّا السّاعة نفسها فلايسأل عنها، لأنّها مسبوقة بالذّكر و معلومة عندهم. و هذا بخلاف شخص القائم أو ظهوره عليه السلام، فلم تكن لهما سابقة في أذهان المسلمين في الصّدر الأوّل، و في زمان رسول الله صلّى الله عليه و آله.

و هكذا لايجوز التّفسير بزمان الموت، فإنّه يتحقّق آنًا فآنًا للأفراد، و هو غير معقول أن يسأل عنه، إلّا أن يراد الموت العامّ المساوق لقيام السّاعة و القيامة المبحوث عنها. (٤: ١٣٨)

مكارم الشّيرازيّ: و كلمة ﴿أَيَّانَ﴾ تساوي «متى» و هما للسّؤال عن الزّمان. و المُرْسى مصدر ميميّ من الإرساء، و هما بمعنى واحد، و هو ثبات الشّيء أو وقوعه، و لذلك يُطلق على الجبل وصف «الرّاسي» فيقال: جبال راسيات. فبناء على ذلك فإنّ مفهوم ﴿أَيَّانَ مُرْسَيهَا﴾ هو في أيّ وقت تقع القيامة و تكون ثابتة؟! (٥: ٢٩٣)

فضل الله: إثباتها و حصولها. (١٠: ٢٩٩)

٢ـ ﴿وَ قَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللهِ مَجْرِيهَا

وَمُرْسٰيهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ. هود: ٤١

ابن عبّاس: حيث تُحبَس، و إن قرأت (مجريها و مرسيها)، يقول الله: مجريها حيث شاء و مرسيها حيث شاء. (١٨٥)

ابن عاشور: بضمّ الميمين فيهما في قراءة الجمهور. و هما مصدرا، أجرى السّفينة إذا جعلها جارية، أي سيّرها بسرعة، و أرساها إذا جعلها راسية، أي واقفة على الشّاطئ. يقال: رَما إذا ثبت في المكان.

و قرأ حمزة، و الكِسائيّ، و حفص عن عاصم، و خلفٌ ﴿مَجْرٰيهَا﴾ فقط ـ بفتح الميم ـ على أنّه مَفْعَل للمصدر، أو الزّمان أو المكان. و أمّا ﴿مُرْسٰيهَا﴾ فبضمّ الميم مثل الجمهور، لأنّه لا يقال: (مَرْسٰيهَا) بفتح الميم. و العدول عن الفتح في ﴿مُرْسٰيهَا﴾ في كلام العرب ـ مع أنّه في القياس مماثل ﴿مَجْرٰيهَا﴾ ـ وجهه دفع اللّبس، لئلّا يلتبس باسم «المَرْسى» الّذي هو المكان المُعَدّ لرسوّ السُّفن.

و يجوز أن يكون ﴿مَجْرٰيهَا وَمُرْسٰيهَا﴾ في محلّ نصب بالنّيابة عن ظرف الزّمان، أي وقت إجرائها و وقت إرسائها. و يجوز أن يكون في محلّ رفع على الفاعليّة بالجارّ و المجرور، لما فيه من معنى الفعل، و هو رأي نحاة الكوفة، و ما هو ببعيد. (١١: ٢٦١)

المُصْطَفَويّ: اسمان للمكان بصيغة المفعول من الإفعال، أي إنّ محلّ إجرائها، و خطّ سيرها، و محلّ استقرارها، و توقّفها الثّابت، و إرسائها إنّما هما يتمّان و يتحقّقان باسم الله و بعنوانه، و تحت حكمه و إرادته.

و لا يجوز القراءة بفتح الميم فيهما، بصيغة الزّمان أو المكان أو المصدر من الثّلاثيّ، فإنّ النّظر إلى إجرائها من جانب الله و بحوله تعالى و بقوّته، لا إلى جريانها بنفسها، فإنّه تعبير وهن.

و لا يجوز أيضًا قراءتهما بكسر الرّاء على صيغة الفاعل، ليكونا صفتين لله، فإنّ كلمة ﴿بِسْمِ اللهِ﴾ غير متعلّقة بكلمة ﴿ارْكَبُوا﴾ ليكون قول: ﴿بِسْمِ اللهِ﴾ من الرّاكبين. فإنّ النّظر إلى الإفادة و التّذكّر بأنّ برنامج سيرهم، و منتهى خطّ حركتهم تحت نظر الله و توجّهه و إرادته. و هذا المعنى ألطف و أحسن من أن يركبوا باسمه، و أن يكون ركوبهم باسمه تعالى، مضافًا إلى أنّ الصّفة لازم أن يكون معلومًا قبل التّوصيف به، فكلمة ﴿بِسْمِ اللهِ﴾ خبر مقدّم، و ﴿مَجْرٰيهَا﴾ مبتدأ مؤخّر. (٤: ١٣٨)

فضل الله: من الإرساء و هو الثّبوت، أي بسم الله مسيرها و ثبوتها. فهي تجري باسمه و بإرادته و بقدرته، و ترسو و تقف باسمه و بإرادته و بقدرته. (١٢: ٦٨)

وفيها بحوث أخرى راجع: ج ر ي: «مَجْرٰيهَا».

٢ـ ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوٰى * يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسٰيهَا﴾. النّازعات: ٤١، ٤٢

ابن عبّاس: متى قيامها؟ إنكار منهم لها. (٥٠١)

متى زمانها؟ (الماوَرْديّ ٦: ٢٠٠)

الفَرّاء: يقول القائل: إنّما الإرساء للسّفينة

و الجبال، و ما أشبههنّ، فكيف وُصفت السّاعة بالإرساء؟

قلت: هي بمنزلة السّفينة إذا كانت جارية فرَسَتْ، و رُسُوّها قيامها، و ليس قيامها كقيام القائم على رجْلِه و نحوه، إنّما هو كقولك: قد قام العدل، و قام الحقّ، أي ظهر و ثبت. (٣: ٢٣٤)

أبو عُبَيْدَة: ﴿مُرْسٰيهَا﴾ منتهاها، مُرْسى السّفينة حيث تنتهي. (٢: ٢٨٥)

الطّبَريّ: يقول تعالى ذكره لنبيّه محمّد ﷺ: يسألك يا محمّد هؤلاء المكذّبون بالبعث عن السّاعة الّتي تُبعَث فيها الموتى من قبورهم أيّان مرساها، متى قيامها و ظهورها ؟. (١٢: ٤٤١)

الزّجّاج: معناه: متى وقوعها و قيامها.

(٥: ٢٨١)

مثله الواحديّ (٤: ٤٢١) و نحوه الطّبْرسيّ (٥: ٤٣٥).

القُمّيّ: متى تقوم؟ (٢: ٤٠٤)

مثله القُشَيْريّ. (٦: ٢٥٤)

الثّعلبيّ: متى ظهورها و ثبوتها؟ (١٠: ١٢٩)

مثله البغَويّ. (٥: ٢٠٨)

الطُّوسيّ: أي متى يكون قيامها على ما وصفها، فـ﴿اَيَّانَ﴾ بمعنى «متى» إلّا أنّ «متى» أكثر استعمالًا في السّؤال عن الزّمان، و نظيرها «أين» في السّؤال عن المكان، و لذلك فسّرت ﴿اَيَّانَ﴾ بـ«متى». و الإرساء: الثّبوت، من قولهم: رَسَتِ السّفينة تَرْسُو رُسُوًّا، فهي راسية إذا ثبتت؛

و منه قوله: ﴿اَرْسٰيهَا﴾ النّازعات: ٣٢.

و يجوز أن يكون المراد بالمُرْسى المصدر، و يجوز أن يكون وقت الإرساء، و المعنى: متى ثبت أمرها بقيامها ؟. (١٠: ٢٦٥)

الزّمَخْشَريّ: متى إرساؤها، أي إقامتها. أرادوا متى يقيمها الله و يثبتها و يُكوّنها. و قيل: أيّان منتهاها و مستقرّها، كما أنّ مرسى السّفينة مستقرّها، حيث تنتهي إليه. (٤: ٢١٦)

نحوه البَيْضاويّ (٢: ٥٣٩)، و النّسَفيّ (٤: ٣٣١)، و أبو حَيّان (٨: ٤٢٤)، و أبو السُّعود (٦: ٣٧٤)، و طنطاوي (٢٥: ٤٠).

ابن عَطيّة: معناه: متى ثبوتها و وقت رُسوّها أي ثبوتها. كأنّه يسير إلى غاية مّا، ثمّ يقف، كما تفعل السّفينة الّتي تَرْسُو. (٥: ٤٣٥)

الفَخْرالرّازيّ: في قوله: ﴿مُرْسٰيهَا﴾ قولان:

أحدهما: متى إرساؤها، أي إقامتها، أرادوا متى يقيمها الله و يوجدها و يُكوّنها.

و الثّاني: ﴿اَيَّانَ﴾ منتهاها و مستقرّها، كما أنّ مرسى السّفينة مستقرّها حيث تنتهي إليه.

(٣١: ٥٢)

الآلوسيّ: أي متى إرساؤها، أي إقامتها؟ يريدون متى يقيمها الله تعالى و يكوّنها و يثبّتها؟ فـ«المرسى» مصدر ميميّ من «رَسا» بمعنى ثبت، و منه الجبال الرّواسي. و حاصل الجملة الاستفهاميّة السّؤال عن زمان ثبوتها ووجودها.

و جُوّز أن يكون «المُرسى» بمعنى المنتهى، أي

متى منتهاها و مستقرها؟ كما أنّ مُرسى السّفينة حيث تنتهي إليه و تستقرّ فيه، كذا قيل، و تقدير الاستفهام بـ« متى » يقتضي أنّ المُرسى اسم زمان.

و قوله: « كما أنّ ...» ظاهر في أنّه اسم مكان، و لذا قيل: الكلام على الاستعارة بجعل اليوم المتباعد فيه، كشخص سائر لايُدرك، و يوصل إليه ما لم يستقرّ في مكان، فجُعل وقت دراكه مستقرًّا له، فتدبّر. (٣٠: ٣٧)

القاسميّ: أي إقامتها، أي متى يقيمها الله و يكوّنها. قال النّاصر: و فيه إشعار بثقل اليوم، كقوله: ﴿وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ الدّهر: ٢٧، ألاتراهم لايستعملون الإرساء إلّا فيما له ثقل، كمُرسى السّفينة، و إرساء الجبال.

(١٧: ٦٠٥٤)

ابن عاشور: و ﴿أَيَّانَ مُرْسَيهَا﴾ جملة مبيّنة للسّؤال. و ﴿أَيَّانَ﴾ اسم يُستفهم به عن تعيين الوقت.

و الاستفهام مستعمل في الاستبعاد كناية، و هو أيضًا كناية عن الاستحالة. و ﴿مُرْسَيهَا﴾، مصدر ميميّ لفعل « أرْسى »، والإرساء: جعل السّفينة عند الشّاطئ لقصد النّزول منها. و استُعير الإرساء للوقوع و الحصول، تشبيهًا للأمر المغيّب حصوله بسفينة ماخرة البحر، لايُعرف وصولها إلّا إذا رَسَتْ، و عليه فـ ﴿أَيَّانَ﴾ ترشيح للاستعارة

(٣٠: ٨٤)

مَغْنيّة: متى تقوم القيامة؟ (٧: ٥١٢)

الطّباطبائيّ: و « المُرسى » مصدر ميميّ بمعنى الإثبات و الإقرار. و قوله: ﴿أَيَّانَ مُرْسَيهَا﴾ بيّنٌ للسّؤال، و المعنى: يسألك هؤلاء المنكرون للسّاعة المستهزؤن به عن السّاعة متى إثباتها و إقرارها؟ أي متى تقوم القيامة؟ (٢٠: ١٩٥)

عبدالكريم الخطيب: ﴿أَيَّانَ مُرْسَيهَا﴾ إشارة إلى أنّ الحياة الدّنيا، أشبه بسفينة أُقلعت بالنّاس، آخذة مسيرتها بهم على أمواج الزّمن، حتّى تُلقي بهم على الشّاطئ الآخر، المقابل للشّاطئ الّذي أُقلعت منه سفينتهم، فكأنّهم يقولون: متى ترسو بنا سفينة الحياة على مرفإ هذا اليوم الموعود؟ إنّهم يسألون سؤال المنكر المستهزئ. (١٥: ١٤٤٤)

الأُصول اللُّغويّة

١ ـ الأصل في هذه المادّة: الرُّسُوّ: الثّبات. يقال: رَسا الشّيء يَرْسُو رُسُوًّا، أي ثبت، و أرساه هو.

و الرّواسي من الجبال: الثّوابت الرّواسخ؛ واحدتها: راسيَة. يقال: رَسا الجبل، إذا ثبت أصله في الأرض، و جبال راسيات.

و قِدْر راسيَة: لاتبرح مكانها ولايطاق تحويلها.

و رَسَت قدَمُه في الموقف و الحرب: ثبتت، و أرْسَتا: ثبتتا.

و أرْسَيتُ الوتدَ في الأرض، إذا ضربته فيها.

و الرّسيّ: العمود الثّابت في وسط الخباء، و هو الثّابت في الخير و الشّرّ أيضًا.

و الرُّسُوّ: ثبات السّفينة. يقال: رَسَت السّفينة

تَرْسُو رُسُوًّا، أي بلغ أسفلها القعر و انتهى إلى قرار الماء، فثبتت و بقيت لا تسير، و أرساها هو.

و المِرْساة: أنجر السّفينة الّتي تُرسَى بها، و هو أنجر ضخم يُشدّ بالحبال و يُرسَل في الماء، فيُمسك السّفينة و يُرسيها حتّى لا تسير، و الجمع: المَراسي، مثل المِصْفاة و المَصافي؛ و منه حديث الإمام عليّ عليه السلام في الأرض: «فأرساها في مراسيها»، أي أثبتها في مواضعها.

و رَسا الفحل بشوله: هدر بها فاستقرّت.

و ألقت السّحابة مَراسيَها: استقرّت و دامت و جادت.

و رَسا له رَسْوًا من حديث: ذكره.

و رَسَوْتُ له، إذا ذكرت له طرفًا منه.

و رَسَوْتُ عنه حديثًا أرسوه رَسْوًا: رفعته و حدّثت به عنه. و كلّ ذلك بمعنى الثّبات، لأنّ الحديث يثبت في الأسماع، كما تقدّم في «ر س س».

و رَسا بينهم رَسْوًا: أصلح، لأنّه يثبت مودّة.

و لعلّ الرُّسُوّ بمعنى الإصلاح و رفع الحديث من «ر س س»، لأنّ حروف بعض المضاعف تقلب ياء، مثل: قصَصْتُ أظفاري و قصّيتُها،[1] و دَمّه وذامَه،[2] و طَمّ النّهر و طما، إذا فاض.[3]

(١) القلب و الإبدال لابن سكّيت: (٥٩).

(٢) لسان العرب: «د م م».

(٣) القلب و الإبدال: (٦١).

الاستعمال القرآنيّ

جاء منها مجرّدًا اسم الفاعل جمعًا (رَوَاسِيَ) ٩ مرّات، و (رَاسِيَاتٍ) مرّة، و مزيدًا من باب الإفعال: الماضي (أَرْسَى) مرّة، و اسم المفعول (مُرْسَى) ثلاث مرّات، في ١٤ آية:

الجبال: أرسى و رواسي:

١ ـ ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَ مَرْعٰيهَا * وَ الْجِبَالَ اَرْسٰيهَا * مَتَاعًا لَكُمْ وَ لِاَنْعَامِكُمْ﴾ النّازعات: ٣١ ـ ٣٣

٢ ـ ﴿وَ هُوَ الَّذِى مَدَّ الْاَرْضَ وَ جَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَ اَنْهَارًا وَ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِى الَّيْلَ النَّهَارَ اِنَّ فِى ذٰلِكَ لَاٰيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الرّعد: ٣

٣ ـ ﴿وَ الْاَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَ اَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَ اَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَىْءٍ مَوْزُونٍ﴾ الحجر: ١٩

٤ ـ ﴿وَ اَلْقٰى فِى الْاَرْضِ رَوَاسِيَ اَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَ اَنْهَارًا وَ سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ النّحل: ١٥

٥ ـ ﴿وَ جَعَلْنَا فِى الْاَرْضِ رَوَاسِيَ اَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَ جَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا...﴾ الأنبياء: ٣١

٦ ـ ﴿اَمَّنْ جَعَلَ الْاَرْضَ قَرَارًا وَ جَعَلَ خِلَالَهَا اَنْهَارًا وَ جَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَ جَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ءَاِلٰهٌ مَعَ اللهِ بَلْ اَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ النّمل: ٦١

٧ ـ ﴿خَلَقَ السَّمٰوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَ اَلْقٰى فِى الْاَرْضِ رَوَاسِيَ اَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَ بَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَ اَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَاَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ لقمان: ١٠

٨ ـ ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ﴾ فصّلت: ١٠

٩ ـ ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ ق: ٧

١٠ ـ ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا﴾ المرسلات: ٢٧

قدور راسيات:

١١ ـ ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾

سبأ: ١٣

السّفينة: مُرْسَى.

١٢ ـ ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللهِ مَجْرِيهَا وَمُرْسِيهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ هود: ٤١

السّاعة: مُرْسَى

١٣ ـ ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الأعراف: ١٨٧

١٤ ـ ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا * فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا﴾ النّازعات: ٤٢، ٤٣

و يلاحظ أوّلًا:

١ ـ أنّها أربع محاور: الجبال، و القدور، و السّفينة، و السّاعة بأربع صيغ: (أَرْسَى) و (رَاسِيَات) كلّ واحدة منهما مرّة واحدة، و (رَوَاسِيَ) ٩ مرّات: (٢ ـ ١٠)، و (مُرْسَى) ثلاث مرّات (١٢ ـ ١٤).

٢ ـ و العشر الأولى منها للجبال بلفظين: (أَرْسَى) (١)، و (رَوَاسِيَ) (٢ ـ ١٠) جمع راسية وصفًا للجبال.

و الحادية عشرة للقدور: ﴿وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ﴾، و الثّانية عشرة للسّفينة، و اثنتان (١٣ و ١٤) للسّاعة.

٣ ـ و قالوا في (أَرْسَى): أوتدها، أثبتها في الأرض، أثبتها أوتادًا للأرض حتّى تستقرّ و يستقرّ عليها.

٤ ـ و قال الطّوسيّ: «و الإرساء: الإثبات بالثّقل. فالسّفينة ترسو، أي تثبت بثقلها فلا تزول عن مكانها، و ربّما أرست بالبحر بما يُطرَح لها.

فأمّا الجبال فإنّها أوتاد الأرض، و أرسيت بثقلها، و في جعلها على الصّفة الّتي هي عليها أعظم العبرة».

٥ ـ و قالت بنت الشّاطئ: «الإرساء: التّثبيت و التّرسيخ، و من استعماله في الحسّيّات: الرّسيّ ـ كغنيّ ـ و هو العمود الثّابت وسط الخباء. على أنّ المادّة يكثر مجيئها في الجبال، لوضوح الثّبات و الرّسوخ فيها، بل إنّ القرآن يستغني أحيانًا بـ «الرّواسي» عن الجبال، فيشهد هذا بأنّ صفة الرُّسُوّ تبدو أوضح ما تبدو في الجبال. [ثمّ ذكر الآيات التّسع: (٢ ـ ١٠) ثمّ قالت:]

فإرساء الجبال فيه هذه الدّلالة الأصليّة الواضحة على الثّبات و الرّسوخ.

و فيه كذلك لفت قويّ إلى قدرة الله الّذي أرساها. كما أنّ ظاهرة «الرّفع» لاتبدو مثلما تبدو في السّماء، و ظاهرة «الاستواء و البسط» لاتبدو مثلما تبدو في الأرض».

و أمّا ﴿رَوَاسِيَ﴾ فجاءت في تسع آيات: (٢ ـ ١٠) وصفًا للجبال، مع اختلافٍ في التّعبير عن إيجادها.

١ ـ فعبّر عنه بـ«الجعل» في خمس منها: (٢ و ٥ و ٦ و ٨ و ١٠) حيث قال في (٢): ﴿وَ جَعَلَ فِيهَا﴾ أي في الأرض ﴿رَوَاسِيَ﴾، و في (٥): ﴿وَ جَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾، و في (٦): ﴿وَ جَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ﴾، و في (٨): ﴿وَ جَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا﴾، و في (١٠): ﴿وَ جَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ﴾.

هذا مع اختلاف في حرف الجرّ المتعلّقة بـ«الجعل» فجاءت في (٦): ﴿وَ جَعَلَ لَهَا﴾، و في الباقي ﴿جَعَلَ فِيهَا﴾.

٢ ـ و عبّر بـ«الإلقاء» في أربع منها: (٣ و ٤ و ٧ و ٩) حيث قال في (٣) و (٩): ﴿وَ أَلْقَيْنَا فِيهَا﴾ أي في الأرض ﴿رَوَاسِيَ﴾، و في (٤) و (٧): ﴿وَ أَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾ فجاءت فيها بحرف «في».

٣ ـ و الّذي يلفت النّظر أنّ ﴿رَوَاسِيَ﴾ جاءت فيها جميعًا نكرة تعظيمًا لاتحقيرًا.

٤ ـ و قد قيّدت ﴿رَوَاسِيَ﴾ في واحدة منها (٨) بـ ﴿مِنْ فَوْقِهَا وَ بَارَكَ فِيهَا﴾ تصريحًا بوضعها من الأرض، وبما فيها من البركات.

٥ ـ و قد صرّح في ثلاث منها (٤ و ٥ و ٧) بما يترتّب على الجبال من استقرار الأرض و عدم امتدادها بالنّاس: ﴿أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ أو ﴿تَمِيدَ بِهِمْ﴾ أي لئلاتميد الأرض بالنّاس، و أنّ الجبال سبب لثباتها، و استقرارها.

٦ ـ كما صرّح في واحدة منها بارتفاعها؛ حيث قال في (١٠): ﴿وَ جَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ﴾ أي رافعات كثيرة.

٧ ـ و كما صرّح في ثلاث منها: (٢ و ٤ و ٦) بما يلازم الجبال من جريان الأنهار تحتها أو خلال الأرض؛ حيث قال في (٢): ﴿وَ جَعَلَ فِيهَا﴾ أي في الأرض ﴿رَوَاسِيَ وَ أَنْهَارًا﴾، و في (٤): ﴿وَ أَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَ أَنْهَارًا وَ سُبُلًا﴾، فعطف فيهما ﴿أَنْهَارًا﴾ على ﴿رَوَاسِيَ﴾، و في (٦): ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَ جَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَ جَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ﴾ فعطف فيها ﴿جَعَلَ... رَوَاسِيَ﴾ على ﴿جَعَلَ... أَنْهَارًا﴾.

٨ ـ و جاءت فيها ﴿أَنْهَارًا﴾ أيضًا مثل: ﴿رَوَاسِيَ﴾، نكرة، تعظيمًا لها، و لما يترتّب عليها من الثّمرات.

٩ ـ و قال في (١٠) بدل ﴿أَنْهَارًا﴾: ﴿وَ أَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا﴾.

١٠ ـ كما صرّح بالثّمرات و النّباتات الّتي تنبت الأرض بماء الأنهار، في أربع منها بعبارات مختلفة:

حيث قال في (٢): ﴿وَ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾، و في (٣): ﴿وَ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾، و في (٧): ﴿وَ بَثَّ فِيهَا﴾ أي في الجبال ﴿مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَ أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾، و في (٩): ﴿وَ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾.

١١ـ فقد زاد في (٧) علاوة على ما أنبتت في الأرض من كلّ زوج كريم، ما بثّ فيها من كلّ دابّة.

١٢ـ كما زاد في (٨) ما قدّر في الأرض من الأقوات في أربعة أيّام؛ حيث قال: ﴿وَ قَدَّرَ فِيهَا﴾ ـ أي في الأرض ﴿أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ﴾.

١٣ـ و زاد في (٤) على ﴿أَنْهَارًا﴾ ﴿سُبُلًا﴾، و في (٥) بدل (﴿سُبُلًا﴾، ﴿فِجَاجًا﴾ أي طرقًا.

١٤ـ فهذا الاختلاف في الآيات بشأن ﴿رَوَاسِيَ﴾ و ﴿الْجِبَالَ﴾، و في الأرض بشأن ما أنبتت و قدّر فيها من الثّمرات و الأقوات مع وحدة المعنى، تنوّع في التّعبير ـ كما قلنا مرارًا ـ مزيدًا في البلاغة فلاحظ. هذا كلّه في الجبال: (أَرْسَى) و (رَوَاسِيَ).

و أمّا القدور: راسيات:

فجاءت فيها آية واحدة (١١): ﴿وَ قُدُورٍ رَاسِيَاتٍ﴾:

١ـ و هذه الآية من جملة قصص داود و سليمان ﷺ، بدءً من الآية: ١٠، من سورة سبأ: ﴿وَ لَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا﴾، و ختمًا بالآية: ١٤، منها: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ...﴾.

٢ـ و هذه من تتمّة ما قبلها حيث جاء فيها: ﴿وَ مِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ * ... يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ...﴾، فالجنّ كانوا يعملون بين يدي سليمان ما يشاء من صُنع محاريب، و تمثيل تماثيل و غيرها.

٣ـ و قال الطّبرسيّ (٤: ٣٨٢) خلال «المعنى»: « ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ﴾ و هي بيوت الشّريعة.

و قيل: هي القصور و المساجد يُتعبّد فيها، عن قَتادة، و الجُبّائيّ.

و قال: و كان ممّا عملوه بيت المقدس. [إلى أن قال:]

فلمّا صار داود ابن أربعين و مائة سنة توفّاه الله، و استخلف سليمان، فأحبّ إتمام بيت المَقدِس، فجمع الجنّ و الشّياطين، و قسّم عليهم الأعمال، يخصّ كلّ طائفة منهم بعمل ـ و شرح تفصيلًا بناء بيت المقدس و المسجد و خرابه على يد بُخْتُ نَصَّر ـ ﴿وَ تَمَاثِيلَ﴾ يعني صورًا من نُحاس، و شَبَه، و زُجاج، و رُخام، كانت الجنّ تعملها ـ فذكر الخلاف في التّماثيل إلى أن قال: ـ ﴿وَ جِفَانٍ كَالْجَوَابِ﴾ أي صحاف كالحياض الّتي يُجبى فيها الماء، أي يجمع ـ إلى أن قال: ـ ﴿وَ قُدُورٍ رَاسِيَاتٍ﴾ أي ثابتات لا يُزلْنَ عن أمكنتهنّ لعظمهنّ، عن قَتادة، و كانت باليمن.

و قيل: كانت عظيمة كالجبال يحملونها مع

أنفسهم، و كان سليمان يُطعم جُنده.

ثمّ نادى سبحانه آل داود، و أمرهم بالشكر على ما أنعم به عليهم من هذه النّعمة العجيبة، لأنّ نعمته على سليمان نعمة عليهم، فقال: ﴿اِعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾...».

و أمّا السّفينة: مُرْسٰي:

فجاءت فيها أيضًا آية واحدة (١٢): ﴿بِسْمِ اللهِ مَجْرٰيهَا وَ مُرْسٰيهَا﴾:

١ ـ و هذه الآية من جملة قصص نوح، بدء من الآية: ٢٥، من سورة هود: ﴿وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلٰى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾، و ختمًا بالآية: ٤٨، منها: ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَ بَرَكَاتٍ عَلَيْكَ...﴾، و قد تقدّم قول الطّوسيّ في إرساء السّفينة، فلاحظ.

٢ ـ و إنّ نوحًا بعد أن أتمّ الحجّة على قومه، فلم يؤمنوا به، و أمره الله بصنع الفلك، و بأن يحمل فيها من كلّ زوجين اثنين، قال لهم: ﴿ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللهِ مَجْرٰيهَا وَ مُرْسٰيهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ثمّ شرح الله تعالى كيفيّة جريها، و المقاولة بين نوح و ابنه إلى أن استوت على الجُوديّ.

٣ ـ و الطّبرسيّ (٣: ١٦٢) بعد أن بحث بحثًا طويلًا في قراءة الآيات و إعرابها قال في «اللّغة»:

«و الإرساء: إمساك السّفينة بما تقف عليه، يقال: أرساها الله فرست. [ثمّ استشهد بشعر]

﴿وَ قَالَ ارْكَبُوا فِيهَا﴾ أي و قال نوح لمن آمن معه: اركبوا في السّفينة. و في الكلام حذف تقديره: فلمّا فار التّنّور، و وقف نوح على ما دلّه الله عليه من هلاك الكفّار، قال لأهله و قومه: اركبوا فيها: ﴿بِسْمِ اللهِ مَجْرٰيهَا وَ مُرْسٰيهَا﴾ أي متبرّكين باسم الله، أو قائلين ﴿بِسْمِ اللهِ﴾ وقت إجرائها، و وقت إرسائها، أي إثباتها و حبسها.

و قيل: معناه: بسم الله إجراؤها و إرساؤها، و قد ذكرنا تفسيره في «الحجّة» ـ فلاحظ: الحجّة ـ وقال الضّحّاك: كانوا إذا أرادوا أن تجري السّفينة قالوا: بسم الله مجراها، فجرت، و إذا أرادوا أن تقف السّفينة قالوا بسم الله مُرساها، فوقفت».

٤ ـ و قد جاء فيها، و في الآيتين بعدها بدل ﴿رَوَاسِيَ﴾ ﴿مُرْسٰى﴾، و هو اسم مفعول من أرسى.

و أمّا السّاعة: مُرْسٰى:

فجاء ﴿مُرْسٰى﴾ في اثنتين منها، و آياتها كثيرة في القرآن:

أولاها: الآية: ١٨٧، من سورة الأعراف: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسٰيهَا...﴾.

١ ـ و قال الطّبرسيّ (٢: ٥٠٥) في «اللّغة»: «﴿أَيَّانَ﴾: معناه: «متى»، و هو سؤال عن الزّمان على وجه الظّرف للفعل. [ثمّ استشهد بشعر]

و ﴿السَّاعَةِ﴾ هاهنا: السّاعة الّتي يموت فيها الخلق. و الإرساء: الإثبات، و ﴿مُرْسٰيهَا﴾: مثبتها، و رسا الشّيء، يَرْسُو، فهو راس، إذا ثبت. و أرساه غيره».

٢ ـ و قال في «المعنى»: «لمّا تقدّم الوعيد

بالسّاعة،سألوا عن وقتها فقال تعالى ﴿يَسْـئَلُونَكَ﴾ يا محمّد ﴿عَنِ السَّاعَةِ﴾ وهي السّاعة الّتي يموت فيها الخلق، عن الزّجّاج.

وقيل: هي القيامة، وهو وقت قيام النّاس في الحشر، عن أكثر المفسّرين.

وقيل: هو وقت فناء الخلق، عن الجُبّائيّ.

﴿أَيَّانَ مُرْسٰيهَا﴾ أي متى وقوعها، وكونها، عن الزّجّاج.

وقيل: ﴿مُرْسٰيهَا﴾: منتهاها، عن ابن عبّاس.

وقيل: قيامها، عن قَتادَة، والسُّدّيّ».

وثانيتها: الآية: ٤٢، من سورة النّازعات: ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسٰيهَا﴾.

١ ـ قال الطَّبْرِسيّ (٥: ٤٣٥): «ثمّ خاطب سبحانه نبيّه ﷺ فقال: ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسٰيهَا﴾ أي متى يكون قيامها ثابتة على ما وصفتها.

﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرٰيهَا﴾ أي لست في شيء من علمها وذكراها. والمعنى: لاتعلمها.

قال الحسَن: أي ليس عندك علم بوقتها، وإنّما تعلم أنّها تكون لامحالة.

وقيل: معناه: ليس هذا ممّا يتّصل بما بُعِثْتُ لأجله، فإنّما بُعثتُ داعيًا.

وقيل: إنّها من حكاية قولهم، والمعنى: إنّك قد أكثرت من ذكراها، فمتى يكون؟

﴿إِلٰى رَبِّكَ مُنْتَهٰيهَا﴾ أي قل لهم: إلى الله إجراؤها.

والمنتهى: موضع بلوغ الشّيء، فكأنّه قيل: إلى أمر ربّك ومنتهى أمرها بإقامتها، لأنّ منتهى أمرها بذكرها ووصفها، والإقرار بها إلى الرّسول ﷺ، ومنتهى أمرها بإقامتها إلى الله، لايقدر عليها إلّا هو سبحانه.

وقيل: معناه: إلى ربك منتهى علمها، أي لايعلم وقتها إلّا هو، عن الحسَن».

٢ ـ ونقول: في اختصاص القرآن لفظي ﴿أَرْسٰي﴾ و﴿رَوَاسِيَ﴾ بالجبال، ولفظ ﴿رَاسِيَاتٍ﴾ بالقدور، ولفظ ﴿مُرْسٰي﴾ بالسّفينة والسّاعة، سرٌّ لانعلمه، فلاحظ.

ويلاحظ ثانيًا: أنّ هذه الآيات الأربع عشرة كلّها مكّيّ فيستظهر منها أنّ مادّة «رسي» بجميع ألفاظها كانت دارجة في مكّة، خصوصًا أنّ مفاهيمها تختصّ إمّا بما احتجّ الله بها على المشركين في مكّة، من آثار قدرته وعلمه من الجبال والأرض والبحر وغيرها حجّة على التّوحيد، أو مصروفة إلى القصص مثل آية السّفينة، وهي من جملة قصص نوح ﷺ، ـ وأكثر القصص القرآنيّة مكّيّة ـ أو مصروفة إلى السّاعة والقيامة الّتي احتجّ الله في المكّيّات كثيرًا على صدقها.

وثالثًا: لهذه المادّة نظائر في القرآن، راجع: «ر س خ».

ر ش د

١٠ ألفاظ، ١٩ مرّة: ١٥ مكّيّة، ٤ مدنيّة
في ٩ سور: ٦ مكّيّة، ٣ مدنيّة

يَرْشُدُون ١: ـ ١	رُشْدًا ٢: ١ ـ ١
الرّاشدون ١: ـ ١	رُشْده ١: ١
رشيد ٢: ٢	رَشَدًا ٥: ٥
الرّشيد ١: ١	الرّشاد ٢: ٢
الرُّشْد ٣: ٢ ـ ١	مُرْشدًا ١: ١

النُّصوص اللُّغويّة

الخليل: رشَد يَرْشُد رُشْدًا و رَشادًا، و هو نقيض الغيّ.

و رَشِدَ يَرْشَد رَشَدًا و هو نقيض الضّلال.

و الرِّشْدَة: نقيض الغيّة، تقول: وُلِد لرَشْدَة، و لم يُهْدَ إلى رَشْدَة.

و يقال: يارشْدِين كأنّه يُريد: ياراشِد.

و رَشِدَ فلانٌ، إذا أصاب وجه الأمر و الطّريق.

و الإرشاد: الدّلالة و الهداية.

و الرَّشاد: الحجَر، سُمّي به تَطيُّرًا من الحُرْف و صلابة الحجَر. [و استشهد بالشّعر مرّتين]
(٦: ٢٤٢)

اللّيث: إذا أصاب وَجْه الأمر و الطّريق فقد رَشِدَ، و إذا أرشدك إنسان الطّريق، فقل: لا يَعْمى عليك الرّشد. (الأزهَريّ ١١: ٣٢١)

الكِسائيّ: و يجوز لرِشْدَةٍ و لِزِنْيَةٍ، فأمّا غَيّة فهو بالفتح. (الأزهَريّ ١١: ٣٢١)

الفَرّاء: وُلِد فلان لغير رَشْدَة، و وُلِد لغَيّة و لِزَنْيَة، كلّها بالفتح. (الأزهَريّ ١١: ٣٢١)

أبوزَيْد: هو لرَشْدَةٍ و لزَنْيَةٍ بفتح الرّاء و الزّاي منهما، و نحو ذلك.

و يقال: يارشْدِين، بمعنى ياراشد.
(الأزهَريّ ١١: ٣٢١)

ابن دُرَيْد: و الرُّشد: ضدّ الغيّ رشَد الرّجل

يَرْشُد، و أرشَدَه الله إرشادًا؛ و الاسم: الرُّشد و الرَّشَد و الرَّشاد.

و رجل راشد و رشيد.

و بنو رِشْدان: بطن من العرب، كان يقال لهم: بنو غيّان، فسمّاهم النّبيّ ﷺ بني رشدان.

و قد سمّت العرب راشد أو رُشَيْد أو رَشيد أو مُرْشد أو مَرْشَد أو رشدانًا و رشدينًا.

و فلانٌ لِرِشْدَة و هو خلاف الغيّة و الزّنية، و قد قالوا: لغَيّة بفتح الغين، و هو قليل.

و كان قوم من العرب يقال لهم: بنو الزّنية فسمّاهم النّبيّ ﷺ بني الرِّشْدَة. و قال لرجل: ما اسمك؟ قال: غيّان. قال: بل أنت رُشدان.

و الطّريق الأرشَد: الأقصد؛ و يُجمَع: مراشد.

و المَراشد: المقاصد. (٢: ٢٤٦)

الأزهَريّ: [بعد نقل قول اللّيث قال:]

قلت: و غير اللّيث يجعل رَشَد يَرْشُد، و رَشِدَ يَرْشَد بمعنى واحد: في الغيّ و الضّلال. و رجل رشيد و راشد.

و الإرشاد: الهداية و الدّلالة.

يقول: كم رُشْدٍ لَقيتَه فيما تَكرَهُه، و كم من غيٍّ فيما تُحبّه و تَهواه.

قلت: و أهل العراق يقولون للحُرْف: حَبّ الرَّشاد، كأنّهم تطيّروا من لفظ الحُرْف، لأنّه حِرْمان، فقالوا: حَبّ الرَّشاد.

و الرَّشاد: الحجَر الّذي يَملأ الكفّ: الواحدة: رَشادَة. [و استشهد بالشّعر مرّتين] (١١: ٣٢١)

الصّاحِب: [نحو الخَليل و أضاف:]

و يقولون: لايعمى عليك الرُّشد، إذا أرشَدَك إنسان إلى طريق.

و رجل رشيد: راشِد.

و الإرشاد: الدّلالة.

و الرَّشَدَى: الرُّشد و قرئ (اَهْدِكُمْ سَبِيلَ الْاِرْشَادِ)[1] المؤمن: ٣٨، من أرشده، و هي قراءة شاذّة.

و كلّ ما ارتفع عن الجِصّ فهو رَشاد.

و كلّ صَخْرة: رَشادة. (٧: ٣٠٠)

الجَوهَريّ: الرُّشاد: خلاف الغيّ، وقد رَشَدَ يَرْشُد رُشْدًا، و رَشِد بالكسر يَرْشَد رَشَدًا لُغة فيه. و أرْشَدَه الله.

و المَراشِد: مقاصِد الطّرق.

و الطّريق الأرْشَد: نحو الأقصَد.

و تقول: هو لِرِشْدَة، خلاف قولك لزِنْيَة.

و أمّ راشِد: كنيةُ الفأرة.

و بنو رَشْدان: بَطْنٌ من العرب. (٢: ٤٧٤)

أبو هلال: الفرق بين الإرشاد و الهداية: أنّ الإرشاد إلى الشّيء هو التّطريق إليه و التّبيين له. و الهداية هي التّمكّن من الوصول إليه.

و قد جاءت الهداية للمهتدي في قوله تعالى: ﴿اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ الفاتحة: ٥، فذكر أنّهم دعوا بالهداية، و هم مهتدون لامحالة. و لم يجئ مثل

---

(١) القراءة المشهورة ﴿الرَّشَادِ﴾.

ذلك في الإرشاد.

و يقال أيضًا: هداه إلى المكروه، كما قال الله تعالى: ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلٰى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ الصّافّات: ٢٣. و قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَعَلٰى هُدًى مُسْتَقِيمٍ﴾ الحجّ: ٦٧.

و الهُدى: الدّلالة، فإذا كان مستقيمًا فهو دلالة إلى الصّواب، و الإيمان هُدى، لأنّه دلالة إلى الجنّة.

و قد يقال: الطّريق هُدًى، و لا يقال: أرشده إلّا إلى المحبوب.

و الرّاشد هو القابل للإرشاد. و الرّشيد مبالغة من ذلك.

و يجوز أن يقال: الرّشيد الّذي صلح بما في نفسه ممّا يبعث عليه الخير.

و الرّاشد: القابل لما دلّ عليه من طريق الرّشد.

و المُرشد: الهادي للخير و الدّالّ على طريق الرّشد.

و مثل ذلك مثل من يقف بين طريقين، لا يدري أيّهما يؤدّي إلى الغرض المطلوب، فإذا دلّه عليه دالّ فقد أرشده، و إذا قبل هو قول الدّالّ فسلك قصد السّبيل، فهو راشد، و إذا بعثته نفسه على سلوك الطّريق القاصد، فهو رشيد.

و الرّشاد و السّداد و الصّواب حقّ من يعمل عليه أن ينجو، و حقّ من يعمل على خلافه أن يهلك. (١٧٢)

الفرق بين الرُّشد و الرّشَد: قال أبو عمرو بن العلاء: الرُّشد: الصّلاح، قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ النّساء: ٦.

و الرَّشد: الاستقامة في الدّين؛ و منه قوله تعالى: ﴿أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ الكهف: ٦٦. و قيل: هما لغتان مثل العُدْم و العَدَم. (١٧٥)

ابن فارس: الرّاء و الشّين و الدّال أصل واحد يدلّ على استقامة الطّريق. فالمراشد: مقاصد الطّرق. و الرُّشد و الرَّشَد: خِلاف الغيّ.

و أصاب فلان من أمره رُشدًا و رَشَدًا و رشْدَة. و هو لِرَشْدة، خلاف لِغَيّة. (٢: ٣٩٨)

الهَرَويّ: يقال: أرشِدْنا إلى ما يُزْلِف لديك و يُقرّب منك.

و الرُّشد و الرَّشَد و الرَّشاد: الهُدى و الاستقامة. يقال: رَشِد يَرْشَد رَشَدًا، و رَشَد يَرْشُد رُشْدًا. (٣: ٧٤٤)

ابن سيده: الرُّشد، و الرَّشَد، و الرَّشاد: نقيض الغيّ.

رشَد يَرْشُد رُشدًا، و رشِد رَشَدًا و رَشادًا، فهو راشد و رشيد.

و رَشِد أمْرَه: رَشِد فيه. و قيل: إنّما يُنصَب على توهّم رشَد أمْرَه و إن لم يُستَعمل هكذا، و نظيره: غَبِنتَ رأيك، و ألِمتَ بطنَك، و وفِقْتَ أمرَك، و بَطِرتَ عَيْشَك، و سَفِهتَ نَفْسَك.

و أرْشَدَه إلى الأمور و رَشَّدَه: هَداه.

و استَرشَدَه: طَلَبَ منه الرُّشْد.

و الرَّشَدَى: اسم للرَّشاد. و قوله تعالى: ﴿يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ المؤمن: ٣٨، أي

أهْدِكم سبيل القَصْدِ سبيل الله، و أُخْرِجْكُم عن سبيل فِرعون.

و المَراشِد: المقاصِد. و ليس له واحد إنّما هو من باب مَحاسِنَ و مَلامِحَ.

و هو لِرِشْدَة، و قد يُفْتَح، و هو نقيض زِنْيَة.

و بنو رَشْدان: بطنٌ كانوا يُسَمَّون بني غَيّان، فأسماهم النّبيّ ﷺ بني رَشْدان. و رواه قوم بَنُو رِشْدان، بكسر الرّاء.

و قال لِرجل: ما اسْمُك؟ قال: غيّان، فقال: بل رَشْدانُ.

وإنّما قال النّبيّ ﷺ رَشْدانَ على هذه الصّيغة ليحاكِي به «غيّانَ» و هذا واسع كثير في كلام العرب، يحافظون عليه و يَدَعُون غيره إليه، أعني أنّهم قد يُؤْثِرُون المُحاكاة و المُناسبة بين الألفاظ تاركين لِطريق القياس، كقوله ﷺ: «ارْجِعْنَ مأزُورات غير مأجُورات».

و كقولهم: عيناء حوراء من العين الحير، و إنّما هو الحُور، فآثروا قَلْبَ الواو ياء في الحُور إتباعًا للعين.

و كذلك قولهم: «إنّي لآتِيه الغَدايا و العَشايا». جمعوا الغَداة على غدايا إتْباعًا للعَشايا، و لولا ذلك لم يَجُز تكسير فَعْلة على فَعائِلَ.

و لاتَلتفِتنّ إلى ما حكاه ابن الأعرابيّ من أنّ الغَدايا جمع غَدِيّة، فإنّه لم يقُله أحد غيره، إنّما الغدايا إتْباع، كما حكاه جميع أهل اللُّغة.

فإذا كانوا قد يفعلون مثل ذلك غير مُحْتَشِمين من كسر القِياس، فأن يفعلوه فيما لايَكسِر القياس أسْوَغ.

ألاتراهم يقولون: رأيت زَيْدًا، فيقال: من زَيْدًا؟ و مَرَرْتُ بزَيْد، فيقال: مَنْ زَيْدٍ؟ و لاعُذْرَ في ذلك إلّا مُحاكاة اللّفظ.

و نظير مُقابلة غيّان برَشْدان لِيُوفّق بين الصِّيغَتَيْن استِجازتهم تَعْليق فِعْل على فاعل لايليق به ذلك الفِعْل، لتقدّم تعليق فعْل على فاعل يليق به ذلك الفِعْل.

و كلّ ذلك على سبيل المُحاكاة، مثاله قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ * اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ البقرة: ١٤، ١٥. و الاستهزاء من الكفّار حقيقة و تعليقه بالله عزّ و جلّ مجاز، جلّ ربّنا عن الاستهزاء، بل هو الحقّ و منه الحقّ. و كذلك قوله: ﴿يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ النّساء: ١٤٢. و المُخادعَة من هؤلاء فيما يُخيّل إليهم حقيقة و هي من الله مجاز، إنّما الاستِهزاء و الخَدع من الله مكافأة لهم. و مثله قول عمرو بن كلثوم:

ألا لايَجْهَلَنْ أحد علينا
فنَجْهَل فوق جَهْل الجاهِلِينا

أي إنّما نُكافِئهم على جَهْلِهم، كقوله: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ البقرة: ١٩٤، و هو باب واسع كبير.

و كان قوم من العرب يُسَمَّوْن بني زِنْيَة، فسمّاهم النّبيّ ﷺ بني رِشْدَة.

و الرُّشاد: و حَبّ الرَّشاد: نَبْتٌ يقال له الثُّفّاء.

و راشِد و مُرْشِد اسمان. (٨: ٢٦)

الرّاغب: الرَّشَد و الرُّشْد: خلاف الغيّ، يُستعمل استعمال الهداية. يقال: رَشَد يَرْشُد، و رَشِد يَرْشَد. قال: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ البقرة: ١٨٦، و قال: ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ البقرة: ٢٥٦، و قال تعالى: ﴿فَاِنْ اٰنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا﴾ النّساء: ٦، ﴿وَ لَقَدْ اٰتَيْنَا اِبْرٰهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ الأنبياء: ٥١، و بين الرُّشْدَين أعني: الرُّشْد المُؤْنَس من اليتيم، و الرُّشد الّذي أُوتي إبراهيم عليه السلام بَوْن بعيد.

و قال: ﴿هَلْ اَتَّبِعُكَ عَلٰى اَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ الكهف: ٦٦، و قال: ﴿لِاَقْرَبَ مِنْ هٰذَا رَشَدًا﴾ الكهف: ٢٤.

و قال بعضهم: الرَّشَد أخصّ من الرُّشْد، فإنّ الرُّشْد يقال في الأُمور الدّنيويّة و الأُخرويّة، و الرَّشَد يقال في الأمور الأُخرويّة لاغير.

و الرّاشد و الرّشيد يقال: فيهما جميعًا، قال تعالى: ﴿اُولٰئِكَ هُمُ الرّٰاشِدُونَ﴾ الحجرات: ٧، ﴿وَمَا اَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ هود: ٩٧. (١٩٦)

نحوه الفيروزاباديّ (بصائر ذوي التّمييز ٣: ٧٥).

الزّمَخْشَريّ: رجل راشد و رشيد، و فيه رُشْد و رَشَد و رَشاد.

و قد رَشَدَ يَرْشُدُ، و رَشِدَ يَرْشَدُ. و استَرشَدْتُه فأَرْشَدَني.

و أخذ في سبيل الرَّشاد.

و هو يمشي على طريق الأسَدّ الأرشد.

و تقول للمسافر: راشدًا مَهْديًّا، و لمن يقول: أريد أن أفعل كذا: رَشِدْتَ و رَشِدَ أمرُك.

و لايعمى عليك الرُّشد، إذا أصاب وجه الأمر.

و هو يهدي إلى المَراشد.

و من المجاز: هو لِرَشْدة إذا صحّ نسبه.

(أساس البلاغة: ١٦٣)

الطَّبْرِسيّ: الرُّشد: نقيض الغيّ. رَشَدَ يَرْشُد رُشْدًا، و رَشِدَ يَرْشَد رَشَدًا، و رجل رشيد.

و وُلِد فلان لِرَشْدةٍ خلاف لزنية.

و أصل الباب أصابة الخير؛ و منه الإرشاد، و هو الدّلالة على وجه الإصابة للخير. (١: ٢٧٨)

المَدينيّ: و في الحديث: «من ادّعى ولدًا لغير رِشْدَة، فلايَرث و لايُورَث».

يقال: هذا ولد رِشْدةٍ إذا وُلد لنكاح صحيح. و في ضدّه: ولد زِنْيَةٍ و بغْيَةٍ. (١: ٧٦٢)

ابن الأثير: في أسماء الله تعالى: الرّشيد هو الّذي أرْشَدَ الخَلْق إلى مصالحهم، أي هداهم و دلّهم عليها، فعيل بمعنى مُفْعِل.

و قيل: هو الّذي تنساق تَدْبيراته إلى غاياتها على سَنَن السَّداد، من غير إشارةِ مشير و لاتسْديد مُسَدِّد.

و منه الحديث: «و إرْشاد الضّالّ» أي هدايته الطّريق و تعريفه.

و فيه: «من ادّعى ولدًا لغير رِشْدة فلايَرث و لايُورَث».

يقال: هذا وَلَدُ رِشْدَة إذا كان لنكاح صحيح، كما يقال في ضدّه: وَلَدُ زِنْيَة، بالكسر فيهما.

و قال الأزهريّ في فصل بغي: كلام العرب المعروف: فلان ابن زَنْيَة و ابن رَشْدَة، و قد قيل: زِنْيَة و رِشْدَة، و الفتح أفصح اللُّغتين. (٢: ٢٢٥)

الفَيُّوميّ: الرُّشْد: الصّلاح، وهو خِلافُ الغيّ و الضّلال، و هو إصابة الصّواب، و رَشِدَ رَشَدًا من باب «تَعِبَ».

و رَشَدَ يَرْشُد من باب «قتل» فهو راشِد؛ و الاسم: الرَّشاد، و يتعدّى بالهمزة.

و رَشّده القاضي تَرشيدًا: جعله رشيدًا.

و استَرْشَدتُه فأرشَدَني إلى الشّيء و عليه و له، قاله أبوزَيْد.

و هو لِرِشْدَة، أي صحيح النّسب بكسر الرّاء، و الفتح لغة. (١: ٢٢٧)

الفيروزاباديّ: رَشَدَ كـ«نَصَرَ و فَرِحَ» رُشْدًا و رَشَدًا و رَشادًا: اهتدى، كـ«استَرشَد» و استَرشَد: طلبه.

و الرَّشَدَى كـ«جَمَزَى»: اسم منه.

و أرشده الله.

و الرُّشد: الاستقامة على طريق الحقّ، مع تصلّب فيه.

و الرّشيد في صفات الله تعالى: الهادي إلى سواء الصّراط، و الّذي حَسُن تقديره فيما قدّر.

و رشيد: قرية قُرب الإسكندريّة، و اسم.

و الرّشيديّة: طعام معروف، فارسيّته: رِشْتَه.

و المَراشد: مقاصد الطّرق.

و وُلِد لرَشْدَة، و يُكسَر: ضدّ زِنْيَة.

و أمّ راشد: الفأرة.

و سَمَّوا: راشدًا و رُشْدًا، كـقُفْل، و أمير و زُبير، و جبَل، و سَحْبانَ، و سَحاب، و مَسْكن، و مُظْهر.

و الرُّشادة: الصَّخْرة، و الحجَر الّذي يملأ الكفّ، جمعها: رَشاد.

و حَبّ الرُّشاد: الحُرْف، سمّوه به تفاؤلًا، لأنّ الحُرْف معناه: الحرمان.

و الرّاشديّة: قرية ببغداد.

و بنو رَشْدان، ـ و يُكسَر ـ: بطن كانوا يُسمَّون: بني غيّان، فغيّر النّبيّ ﷺ و فتح الرّاء لتحاكي غيّان. (١: ٣٠٤)

الطُّريحيّ: و الرُّشد: الصّلاح، وهو إصابة الحقّ.

و أمرٌ بيّن رُشْده، أي صوابه.

و «استخيروا الله يَعزِم لكم على رُشْدِكُم» أي على ما هو الصّالح لكم.

و قد رَشَدَ يَرْشُد بالضّمّ من باب «قتَل» رُشْدًا، و رَشِدَ بالكسر يَرْشَد بالفتح رَشَدًا بالتّحريك فهو راشِد؛ و الاسم: الرَّشاد.

و أرشده الله: هداه الله.

و إرشاد الضّالّ: هدايته الطّريق، وتعريفه له.

و الطّريق الأرشد: نحو الأقصد. و أرشدهما، أي أصوبهما و أقربهما إلى الحقّ.

و الأئمّة الرّاشدون، أي الهادون إلى طريق الحقّ و الصّواب.

و «الرّشيد» من أسمائه تعالى، و هو الّذي أرشد

الخلق إلى مصالحهم، أي هداهم و دلّهم عليها، فعيل بمعنى مُفْعِل.

و قيل: الّذي تنساق تدبيراته إلى غايتها على سُنَن السّداد، من غير إشارة مشير، و لا تسديد مُسدّد.

و الرّشيد: هارون بن محمّد المهدي أحد خلفاء بني العبّاس، و كانت خلافته بعد خلافة أخيه موسى الهادي، و كانت مدّة خلافته ثلاثًا و عشرين سنة و شهرًا، و قيل: ثلاثًا و عشرين فقط.

و رُشَيْد الهجَري: كان يعلم علم المنايا و البلايا.

قال: حدّثني أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا رُشَيْد كيف صبرك إذا أرسل إليك دَعيّ بني أُميّة، فقطع يديك و رجليك و لسانك؟ قلت: يا أمير المؤمنين آخر ذلك الجنّة؟

قال عليّ عليه السلام: يا رُشَيْد أنت معي في الدّنيا و الآخرة.

قال: واللّه ما ذهبت الأيّام و اللّيالي حتّى أرسل إليه الدّعيّ عبيد اللّه بن زياد، فدعاه إلى البراءة من أمير المؤمنين، فأبى، ففعل به ذلك.

و كان أمير المؤمنين عليه السلام قد ألقى إليه علم البلايا و المنايا، فكان في حياته إذا لقي الرّجل قال له: يافلان تموت بميتة كذا و كذا، و تُقتَل أنت يافلان بقتلة كذا و كذا، فيكون كما يقول رُشَيْد. و كان أمير المؤمنين يقول له: «أنت رُشَيْد البلايا».

و هو لِرَشْدَة: بكسر الرّاء، و الفتح لغة، أي صحيح النّسب، و لغير رِشْدَة بخلافه.

و عن الأزهَري: و الفتح في لَرَشْدَة، و لـزَنْيَة أفصح من الكسر. (٣: ٥٠)

مَجْمَع اللُّغة: رَشِدَ يَرْشَد رَشَدًا و رَشادًا، و رَشَد يَرْشُد رُشْدًا، فهو راشد و رشيد، و هم راشدون: أصاب وجه الأمر و الطّريق، و انساقت تدبيراته إلى غاياتها على سبيل السّداد، و يكون ذلك في نقيض الغيّ و الضّلال و السّفه.

أرشده غيره: هداه و سدّده إلى الرّشاد، فهو مرشد. (١: ٤٨٢)

العَدْنانيّ: فَقَدَ عقلَه أو رُشْدَه

و يُخطِّئون من يقول: أُصيب بالجنون ففَقَدَ رُشْدَه. و يرون أنّ الصّواب هو: أُصيب بالجنون ففَقَدَ عقله، أو لُبّه، أو حِجاه، أو نُهاه، أو نُهيته.

و حجّتهم في ذلك أنّ المعاجم تقول: الرُّشْد هو نقيض الغيّ و الضّلال، أو هو الاستقامة على طريق الحقّ، مع تصلّب فيه.

و يستشهدون بالآية: ٢٥٦، من سورة البقرة الّتي أوّلها: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾.

و قد جاء في «تفسير الجلالين»: «أي ظهر بالآيات البيّنات أنّ الإيمان رُشْدٌ، و الكفر غيّ». و الغيّ هو الضّلال: و يستشهدون أيضًا بخمس آيات أخرى، جاءت فيها كلمة الرُّشد نقيض الغيّ.

و لكن: جاء في «التّاج» في مادّة «أنس»: «و آنس الشّيء: علمه، يقال: آنَسْتُ منه رُشْدًا، أي علمته».

و في الحديث: «حتّى تُؤنس منه الرُّشد، أي تعلم منه كمال العقل، و سَداد الفعل، و حُسن التّصرّف».

و هذا يُرينا أنّ الرُّشد يجوز أن يعني العقل أيضًا.

أمّا الرُّشد في القانون، فقد قال «الوسيط»: «هو السّنّ الّتي إذا بلغها المرء، استقلّ بتصرّفاته، و هي الآن: الحادية و العشرون».

(معجم الأخطاء الشّائعة: ١٠٣)

المُصْطَفَويّ: و التّحقيق أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو الاهتداء إلى الخير و الصّلاح، كما سبق في «دلّ».

فالهداية ضدّ الضّلالة، كما أنّ الرُّشد ضدّ الغيّ، و هو الانهماك في الفساد.

ثمّ إنّ الرُّشد و الرَّشَد و الرَّشاد من صيغ المصادر، و لكنّ الرُّشد يدلّ على الحدث، و الرَّشَد على عروضه و تحرّكه، لدلالة التّحريك عليه، مع أنّ «فَعِل» مكسور العين يُبنى غالبًا من الأعراض و الألوان.

و الرَّشاد يدلّ على استمرار الرَّشَد بوجود الألف.

فالرُّشد كما في: ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ البقرة: ٢٥٦، ﴿وَ اِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ﴾ الأعراف: ١٤٦، ﴿يَهْدِى اِلَى الرُّشْدِ﴾ الجنّ: ٢، ﴿فَاِنْ اٰنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا﴾ النّساء: ٦، ﴿وَ لَقَدْ اٰتَيْنَا اِبْرٰهِيمَ رُشْدَهُ﴾ الأنبياء: ٥١، ﴿عَلٰى اَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ الكهف: ٦٦، فيراد في هذه الموارد مطلق مفهوم الرُّشد.

و الرَّشَد كما في: ﴿وَ هَيِّئْ لَنَا مِنْ اَمْرِنَا رَشَدًا﴾ الكهف: ١٠، ﴿لِاَقْرَبَ مِنْ هٰذَا رَشَدًا﴾ الكهف: ٢٤، ﴿لَا اَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَ لَا رَشَدًا﴾ الجنّ: ٢١، ﴿فَمَنْ اَسْلَمَ فَاُولٰٓئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ الجنّ: ١٤، فيراد الرَّشَد الحادث المتحرّك العارض، لا المفهوم الثّابت من حيث هو.

و الرَّشاد، كما في: ﴿وَ مَا اَهْدِيكُمْ اِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ المؤمن: ٢٩، ﴿اتَّبِعُونِ اَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ المؤمن: ٣٨، يراد الرُّشد العارض و المتوجّه لهم على الاستمرار. و هذا المعنى فيه مبالغة أكثر من الرَّشَد.

و أمّا الأوّل فهو يدلّ على الهدى الثّابت الأصيل، و حقيقة وجود الحدث و تحقّقه.

و هذا نظير صيغة الرّاشد و الرّشيد: ففي الأوّل دلالة على الحدوث و العروض بخلاف الثّاني، فإنّ «فعيل» يدلّ على الثّبوت و الاتّصاف.

﴿اُولٰٓئِكَ هُمُ الرّٰاشِدُونَ﴾ الحجرات: ٧، أي الّذين يقوم الرُّشد بهم.

﴿اَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾ هود: ٧٨، ﴿وَ مَا اَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ هود: ٩٧، ﴿اِنَّكَ لَاَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ هود: ٨٧، أي ما اتّصف بالرُّشد و ثبتت فيه هذه الصّفة، و نفذت فيه.

و المُرشد: هو الّذي يجعل شخصًا ذا رُشد و في اهتداء.

فظهر لطف التّعبير بهذه الصّيغ في مواردها.

فنوضّح لك من الآيات المذكورة ما يتّضح به المقصود، فنقول: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ البقرة: ٢٥٦.

قد ذُكر الرُّشد في مقابل الغيّ، و قلنا: إنّ الغيّ هو الانهماك في الفساد، فيكون الرّشد هو الاهتداء في الصّلاح، فالدّين هو مجموعة برنامج حقيقتها الاهتداء و الورود في الخير و الصّلاح، كما أنّ الكفر هو الانهماك في الشرّ و الفساد.

و إلى هذا المعنى يرجع: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ الجنّ: ٢، فالدّين و كذلك القرآن يهديان إلى حقيقة الرّشد. و كذلك الرّشد اللّازم في ذات الإنسان الموجب لتوجّه التّكليف من جانب اللّه المتعال، كما في: ﴿فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا﴾ النّساء: ٦. ﴿وَ لَقَدْ آتَيْنَا إِبْرٰهِيمَ رُشْدَهُ﴾ الأنبياء: ٥١.

و في مقابل حقيقة مفهوم الرُّشد الثّابت: الرُّشد العارض الطّارئ الّذي يتحصّل في الخارج، في قبال الضرّ و الشرّ: ﴿أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ الجنّ: ١٠، ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَ لَا رَشَدًا﴾ الجنّ: ٢١، ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ الجنّ: ١٤، فيراد طلب الرّشد و جريانه الطّارئ.

و إذا يُذكر نتيجةً في هداية الرّسل و تبليغهم: فيعبّر بالرّشاد المستمرّ، كما في: ﴿وَ مَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ المؤمن: ٢٩. (٤: ١٤٠)

النّصوص التّفسيريّة

يَرْشُدُونَ

﴿وَ إِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَ لْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾. البقرة: ١٨٦

ابن عبّاس: لكي يهتدوا فيُستجاب لهم الدّعاء. (٢٦)

نحوه البغويّ. (١: ٢٢٦)

الرّبيع بن أنس: لعلّهم يهتدون. (الطّبريّ ٢: ١٦٦)

الطّبريّ: فإنّه يعني فليستجيبوا لي بالطّاعة، و ليؤمنوا بي فيصدّقوا على طاعتهم إيّاي بالثّواب منّي لهم، و ليهتدوا بذلك من فعلهم فيرشدوا. (٢: ١٦٦)

الطّوسيّ: و الرُّشد: نقيض الغيّ. يقال: رشَدَ يَرْشُد رُشْدًا، و رَشِدَ رَشَادًا، و أرشَده إرشادًا، و استَرشَد استرشادًا، و هو لِرَشْدَة خلاف لِزَنْيَة.

و أصل الباب إصابة الخير، فمنه الإرشاد: الدّلالة على وجه الإصابة للخير. (٢: ١٣١)

القُشَيْريّ: أي ليس القصد من تكليفك و دعائك إلّا وصولك إلى إرشادك. (١: ١٦٩)

الواحديّ: ليكونوا على رجاء من إصابة الرّشد، و هو نقيض الغيّ. (١: ٢٨٥)

مثله النّسفيّ. (١: ٩٥)

الزّمخشريّ: و قرئ (يَرْشَدُونَ) و (يَرْشِدُونَ) بفتح الشّين و كسرها. (١: ٣٣٧)

ابن عَطيّة: بفتح الياء و ضمّ الشّين، و قرأ قوم بضمّ الياء و فتح الشّين. و روي عن ابن أبي عُبْلَة و أبي حَيْوَة فتح الياء و كسر الشّين، باختلاف عنهما قرأ هذه القراءة و الّتي قبلها. (١: ٢٥٦)

الطَّبْرِسيّ: أي لعلّهم يصيبون الحقّ و يهتدون إليه. (١: ٢٧٨)

الفَخْرالرّازيّ: و معنى الآية أنّهم إذا استجابوا لي و آمنوا بي، اهتدوا لمصالح دينهم و دنياهم، لأنّ الرّشيد هو من كان كذلك. يقال: فلان رشيد. قال تعالى: ﴿فَاِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا﴾ النّساء: ٦، ﴿اُولٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ الحجرات: ٧. (٥: ١١٢)

العُكْبَريّ: الجمهور على فتح الياء و ضمّ الشّين، و ماضيه «رَشَدَ» بالفتح.

و يُقرأ بفتح الشّين، و ماضيه «رَشِد» بكسرها، و هي لغة.

و يُقرأ بكسر الشّين، و ماضيه «أرشَد»، أي غيرهم. (١: ١٥٣)

البَيْضاويّ: راجين إصابة الرّشد، و هو إصابة الحقّ. و قرئ بفتح الشّين و كسرها. (١: ١٠٢)

مثله أبوالسُّعود (١: ٢٤٣)، و نحوه الشِّربينيّ (١: ١٢٢)، و القاسميّ (٣: ٤٤٩).

أبوحَيّان: [نحو ابن عطيّة و أضاف:]

و المعنى: أنّهم إذا استجابوا للّه و آمنوا به، كانوا على رجاء من حصول الرّشد لهم، و هو الاهتداء لمصالح دينهم و دنياهم.

و ختم الآية برجاء الرّشد من أحسن الأشياء، لأنّه تعالى لـمّا أمرهم بالاستجابة له، و بالإيمان به، نبّه على أنّ هذا التّكليف ليس القصد منه إلّا وصولك بامتثاله إلى رشادك في نفسك، لايصل إليه تعالى منه شيء من منافعه، و إنّما ذلك مختصّ بك.

و لـمّا كان الإيمان شبّه بالطّريق المسلوك في القرآن، ناسب ذكر الرّشاد، و هو الهداية، كما قال تعالى: ﴿اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ الفاتحة: ٦، ﴿وَ اِنَّكَ لَتَهْدِى اِلٰى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ الشّورى: ٥٢، ﴿وَ هَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ الصّافّات: ١١٨. (٢: ٤٧)

البُرُوسَويّ: راجين إصابة الرّشد، و هو الاهتداء لمصالح الدّين و الدّنيا. و معنى الآية أنّهم إذا استجابوا و آمنوا اهتدوا لمصالح دينهم ودنياهم، لأنّ الرّشيد من كان كذلك. (١: ٢٩٧)

الآلوسيّ: أي يهتدون لمصالح دينهم ودنياهم. و أصل الباب: إصابة الخير. (٢: ٦٤)

رشيد رضا: أي بالجمع بين الإيمان، و الإذعان، للأمر و النّهي.

و الرُّشد و الرّشاد. ضدّ الغيّ و الفساد، فعلمنا أنّ الأعمال إذا لم تكن صادرة بروح الإيمان، لايُرجى أن يكون صاحبها راشدًا مهديًّا.

فمن يصوم اتّباعًا للعادة و موافقةً للمعاشرين، فإنّ الصّيام لايعده للتّقوى و لا للرّشاد، و ربّما زاده فسادًا في الأخلاق، و ضراوةً بالشّهوات، لذلك

يُذكّرنا تعالى في أثناء سرد الأحكام، بأنّ الإيمان هو المقصود الأوّل في إصلاح النّفوس، و إنّما نفع الأعمال في صدورها عنه و تمكينها إيّاه. (٢ : ١٧٣)

نحوه المَراغيّ. (٢ : ٧٦)

فضل الله: لأنّهم إذا استجابوا لله، انطلقوا في خطّ الوعي للحياة، في كلّ قضاياها العامّة والخاصّة، و لإنسانيّتهم في كلّ خصائصها الدّاخليّة و الخارجيّة، وتحرّكوا نحو الأهداف من موقع الرّشد العمليّ الّذي يضع الأُمور في مواضعها.

و إذا آمنوا به الإيمان العميق الشّامل الّذي ينطلق من سكينة العقل و طمأنينة الرّوح، فإنّه يقف على أرض صُلْبة ثابتة بعيدة عن الاهتزاز، و يسير إلى الحياة من خلال انطلاق الوجود من مبدإ الإله الواحد الّذي ينطلق الخير منه، ويقف الحقّ عنده، وتنطلق الرّحمة منه، ممّا يعني الانطلاق في خطّ الرّشد الفكريّ الّذي ينفتح على الله الّذي هو الحقّ، ليكون الفكر كلّه حقًّا، لامجال للباطل معه.

و إذا كان اعتبار الرّشد هدفًا من الاستجابة لله و الإيمان به، فإنّ من الممكن أن نستوحي من ذلك أنّ الله سبحانه يوجّه عباده إلى السّير على خطّ الإيمان بالله، الّذي يجعل العقل يشرق بالنّور الإلهيّ، ليتأسّس التّوحيد على قاعدة للفكر، تبتعد به عن كلّ الآلهة المزعومين، ممّن يؤلّهون أنفسهم، أو يؤلّههم النّاس من دون الله، ليستقيم لهم أن يوحّدوا الخطّ العمليّ في خطّ الاستقامة، و إلى الاستجابة لله في خطوط الإسلام الفكريّة والعمليّة؛ حيث يتحوّل الإنسان من خلال تأثير ذلك في الشّخصيّة إلى إنسان رشيد في عقله و في حركته و علاقته بالآخرين.

بحيث يحرّك طاقاته في المواقع الّتي تمنح الحياة العامّة ما تحتاجه منها، فلايضيع منها شيء في الفراغ، أو في ما لا ينفع الحياة والنّاس، سواء كانت الطّاقات طاقات الإنسان في داخل ذاته، أو في الزّمن الّذي جعله الله مسؤوليّة الإنسان في الانتفاع به، في كلّ مفرداته الصّغيرة والكبيرة، لأنّه يُمثّل عمره في مراحله المتعدّدة، أو في القوى المادّيّة الّتي يملكها الإنسان، ممّا رزقه الله إيّاه، وأعدّه له و سخّره لخدمة حياته، فلايريد الله لها أن تضيع في متاهات اللّهو و العبث الّذي لايؤدّي إلى أيّة نتيجة في الحياة.

إنّ الرّشد يُمثّل الحركة الإنسانيّة السّائرة في النّور، لتصل بالطّاقة إلى أهدافها الّتي خُلقت لها في النّتائج الكبرى الّتي تتحقّق من خلالها في الحياة و الإنسان، ليكون السّفه عبارة عن إهدار تلك الطّاقة و تضييعها و إطلاقها في صحراء الفراغ. (٤ : ٤٤)

و فيها بحُوث، راجع: ج و ب: «اسْتَجِيبُوا»، و: د ع و: «دَعَان».

الرُّشْدُ

١ ـ لَاإِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَاانْفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ.

البقرة: ٢٥٦

ابن عبّاس: الإيمان من الكفر و الحقّ من الباطل. (٣٦)

الطّبريّ: إنّه مصدر من قول القائل: رَشِدتُ فأنا أرْشَد رَشَدًا و رُشْدًا و رَشادًا، و ذلك إذا أصاب الحقّ و الصّواب. (٣: ١٩)

العُكبَريّ: و «الرُّشد» بضمّ الرّاء و سكون الشّين هو المشهور، و هو مصدر من «رَشَدَ» بفتح الشّين، «يَرْشُد» بضمّها.

و يُقرأ بفتح الرّاء و الشّين، و فعله رَشِدَ يَرْشَد مثل علِم يعلم. (١: ٢٠٥)

و فيها بحوث راجع: ب ي ن: «تبيّن».

٢ ـ ... وَاِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَاِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذٰلِكَ بِاَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِاٰيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ. الأعراف: ١٤٦

ابن عبّاس: طريق الإسلام و الخير. (١٣٧)

الطّبريّ: يقول: و إن يَرَ هؤلاء الّذين وصف صفتهم طريق الهدى و السّداد الّذي إن سلكوه نجوا من الهلكة و العطَب، و صاروا إلى نعيم الأبد، لا يسلكوه و لا يتّخذوه لأنفسهم طريقًا، جهلًا منهم و حيرة. [إلى أن قال:]

واختلف القرأة في قراءة قوله: ﴿الرُّشْدِ﴾.

فقرأ ذلك عامّة قرأة المدينة و بعض المكّيّين و بعض البصريّين ﴿الرُّشْدِ﴾، بضمّ الرّاء و تسكين الشّين.

و قرأ ذلك عامّة قرأة أهل الكوفة و بعض المكّيّين (الرَّشَدِ)، بفتح الرّاء و الشّين.

ثمّ اختلف أهل المعرفة بكلام العرب في معنى ذلك إذا ضُمّت راؤه و سُكّنت شينه، و فيه إذا فتحتا جميعًا.

فذُكر عن أبي عمرو بن العلاء أنّه كان يقول: معناه إذا ضُمّت راؤه و سُكّنت شينه: الصّلاح، كما قال الله: ﴿فَاِنْ اٰنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا﴾ سورة النّساء: ٦، بمعنى: صلاحًا.

و كذلك كان يقرأه هو. و معناه: إذا فُتحت راؤه و شينه: الرَّشَد في الدّين، كما قال جلّ ثناؤه: ﴿تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ الكهف: ٦٦، بمعنى الاستقامة و الصّواب في الدّين.

و كان الكِسائيّ يقول: هما لغتان بمعنى واحد، مثل: السُّقْم و السَّقَم، و الحُزْن و الحزَن، و كذلك الرُّشْد و الرَّشَد.

و الصّواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إنّهما قراءتان مستفيضة القراءة بهما في قرأة الأمصار، متّفقتا المعنى، فبأيّتهما قرأ القارئ فمصيب الصّواب بها. (٦: ٦١)

نحوه النّحّاس (٣: ٧٩)، و أبوزُرْعَة (٢٩٥)، و البغويّ (٢: ٢٣٤)، و النّسَفيّ (٢: ٧٧)، و الآلوسيّ (٩: ٦١).

الماوَرْديّ: فيه وجهان:

أحدهما: أنّ الرُّشد: الإيمان.

و الثّاني: أنّ الرُّشد: الهداية. (٢: ٢٦٢)

الطُّوسيّ: و معناه: أنّهم متى رأوا سبيل

الصّلاح عدلوا عنه، و لم يتّخذوه طريقًا لهم، بمعنى أنّهم لايعملون بذلك. (٤ : ٥٧٥)

الواحديّ: يعني الهدى و البيان الّذي جاء من الله. (٢ : ٤١٠)

الزّمخشريّ: و قرئ ﴿سَبِيلَ الرُّشْدِ﴾ و (الرَّشَدِ) و (الرَّشَادِ) كقولهم: السُّقْم و السَّقَم و السَّقام. و ما أسفه من ركب المفازة، فإن رأى طريقًا مستقيمًا أعرض عنه و تركه، و إن رأى معتسفًا مرديًا أخذ فيه و سلكه، ففاعل نحو ذلك في دينه أسفه. (٢ : ١١٧)

نحوه البَيْضاويّ. (١ : ٣٦٩)

ابن عَطيّة: قرأ ابن كثير و نافع و أبوعمرو و عاصم و ابن عامر ﴿الرُّشْدِ﴾، و قرأ ابن عامر في بعض ما روي عنه و أبو البرهسم (الرُّشُد) بضمّ الرّاء و الشّين، و قرأ حمزة و الكِسائيّ على أنّ ﴿الرُّشْدِ﴾ بضمّ الرّاء و سكون الشّين، و (الرَّشَد) بفتحهما بمعنى واحد. و قال أبوعمرو بن العلاء: (الرُّشْد) بضمّ الرّاء: الصّلاح في النّظر، و (الرَّشَد) بفتحهما الدّين. و أمّا قراءة ابن عامر بضمّهما فأتبعت الضّمّة الضّمّة. (٢ : ٤٥٤)

الفَخْرالرّازيّ: [ذكر اختلاف القراءات نحو الطّبَريّ و أضاف:]

﴿سَبِيلَ الرُّشْدِ﴾ عبارة عن سبيل الهدى و الدّين الحقّ، و الصّواب في العلم و العمل، و ﴿سَبِيلَ الْغَيِّ﴾ ما يكون مضادًّا لذلك. ثمّ بيّن تعالى أنّ هذا الصّرف إنّما كان لأمرين:

أحدهما: كونهم مكذّبين بآيات الله.

و الثّاني: كونهم غافلين عنها، و المراد أنّهم واظبوا على الإعراض عنها حتّى صاروا بمنزلة الغافل عنها، و الله أعلم. (١٥ : ٤)

القُرطُبيّ: [نقل القراءات و أضاف:]

قال النّحّاس: سيبَوَيه يذهب إلى أنّ الرُّشْد و الرَّشَد مثل السُّخْط و السَّخَط، و كذا قال الكِسائيّ. و الصّحيح عن أبي عمرو غير ما قال أبوعُبَيْد. قال إسماعيل بن إسحاق: حدّثنا نصر بن عليّ عن أبيه عن أبي عمرو بن العلاء قال: إذا كان الرُّشد وسط الآية فهو مسكّن، و إذا كان رأس الآية فهو محرّك. قال النّحّاس: يعني برأس الآية نحو: ﴿وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ الكهف: ١٠، فهما عنده لغتان بمعنى واحد؛ إلّا أنّه فتح هذا لتتّفق الآيات.

و يقال: رَشَدَ يَرْشُدُ، و رَشِد يَرْشَد. و حكى سيبَوَيه: رَشِد يَرْشَد.

و حقيقة الرُّشد و الرَّشَد في اللّغة أن يظفر الإنسان بما يريد، وهو ضدّ الخيبة. (٧ : ٢٨٣)

أبوحَيّان: أراهم الله السّبيلين فرأوهما فآثروا الغيّ على الرُّشد كقوله: ﴿فَاسْتَحَبُّوا الْعَمٰى عَلَى الْهُدٰى﴾ فصّلت: ١٧. و قرأ الأخوان: (الرَّشَد) و باقي السّبعة ﴿الرُّشْدِ﴾، و عن ابن عامر في رواية اتباع الشّين ضمّة الرّاء، و أبوعبد الرّحمان: (الرَّشَاد) و هي مصادر كالسُّقْم و السَّقَم و السَّقام، و قال أبوعمرو بن العلاء: الرُّشْد: الصّلاح في النّظر،

و بفتحهما: الدّين. [إلى أن قال:]

و لـمّا نفى عنهم الإيمان و هو من أفعال القلب، استعار للرُّشد و الغيّ سبيلين، فذكر أنّهم تاركو سبيل الرُّشد سالكو سبيل الغيّ. وناسب تقديم جملة الشّرط المتضمّنة سبيل الرّشد على مقابلتها، لأنّها قبلها ﴿وَ إِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لاٰ يُؤْمِنُوا بِهٰا﴾ فذكر موجب الإيمان و هو الآيات، و ترتّب نقيضه عليه، و أتبع ذلك بموجب الرُّشد و ترتّب نقيضه عليه، ثمّ جاءت الجملة بعدها مصرّحة بسلوكهم سبيل الغيّ، و مؤكّدة لمفهوم الجملة الشّرطيّة قبلها، لأنّه يلزم من ترك سبيل الرُّشد سلوك سبيل الغيّ، لأنّهما إمّا هدًى أو ضلال، فهما نقيضان إذا انتفى أحدهما ثبت الآخر. (٤: ٣٩٠)

أبو السُّعود: ﴿وَ إِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لاٰ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً﴾ عطف على ما قبله، داخل في حكمه، أي لا يتوجّهون إلى الحقّ، و لا يسلكون سبيله أصلًا، لاستيلاء الشّيطنة عليهم، و مطبوعيّتهم على الانحراف و الزّيغ. (٣: ٢٩)

نحوه البُرُوسَويّ. (٣: ٢٤٠)

القاسميّ: يعني طريق الحقّ و الهدى و الاستقامة، واضحًا ظاهرًا. (٧: ٢٨٥٥)

رشيد رضا: الرُّشد الصّلاح و الاستقامة، و ضدّه الغيّ و هو الفساد. و فيه ثلاث لغات، ضمّ أوّله و سكون ثانيه: و به قرأ الجمهور هنا، و فتحهما و بها قرأ حمزة و الكِسائيّ، و الرَّشاد.

و قد وردت في سورة المؤمن حكايةً عن فرعون: ﴿وَ مٰا أَهْدِيكُمْ إِلاّٰ سَبِيلَ الرَّشٰادِ﴾ المؤمن: ٢٩، و مثلها السُّقْم و السَّقَم و السَّقام.

و المعنى: أنّ من صفة هؤلاء الّذين مرنوا على الضّلال و استمرؤوا مرعى الغيّ و الفساد، أن ينفروا من الهدى و الرّشاد، فإن رأى أحدهم سبيله واضحة جليّة لايختار لنفسه جعلها سبيلًا له بإيثارها و تفضيلها على ما هو عليه.

و ما كلّ أحد يصل إلى هذه الدّرجة من الغيّ، لأنّ من النّاس من يسلك سبيل الغيّ على جهل، فإذا علم بما تنتهي به إليه من الفساد و رأى لنفسه مخرجًا منها، تركها، و اختار سبيل الرّشد عليها. (٩: ١٩٧)

المَراغيّ: أي و هم ينفرون من سبيل الهدى و الرّشاد، و هي السّبيل المعبّدة الواضحة. فإذا رأى أحدهم هذه السّبيل لايختارها لنفسه و لايفضّلها على ما هو عليه من سبيل الغيّ، و هذا منتهى ما يكون من الطّبع على القلب، و الخروج عن جادّة العقل و الفطرة.

و من النّاس من يسلك هذه السّبيل عن جهل، فإذا رأى لنفسه مخرجًا منها ارعوى و تركها، و اختار لنفسه سبيل الرّشاد. (٩: ٦٥)

ابن عاشور: والرُّشد: الصّلاح وفعل النّافع، و قد تقدّم في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْداً﴾ النّساء: ٦، والمراد به هنا: الشّيء الصّالح كلّه من الإيمان و الأعمال الصّالحة.

و الغيّ: الفساد و الضّلال، و هو ضدّ الرّشد بهذا

المعنى، كما أنّ السّفه ضدّ الرّشد، بمعنى حسن النّظر في المال.

فالمعنى إن يُدركوا الشّيء الصّالح لم يعملوا به لغلبة الهوى على قلوبهم، و إن يُدركوا الفساد عملوا به لغلبة الهوى، فالعمل به حمل للنّفس على كُلفة، و ذلك تأباه الأنفس الّتي نشأت على متابعة مرغوبها، و ذلك شأن النّاس الّذين لم يُروّضوا أنفسهم بالهدى الإلهيّ، و لا بالحكمة و نصائح الحكماء و العقلاء، بخلاف الغيّ، فإنّه ما ظهر في العالم إلّا من آثار شهوات النّفوس و دعواتها الّتي يُزيّن لها الظّاهر العاجل، و تجهل عواقب السّوء الآجلة، كما جاء في الحديث: «حُفّت الجنّة بالمكاره، و حُفّت النّار بالشّهوات».

و التّعبير في الصّلات الأربع بالأفعال المضارعة، لإفادة تجدّد تلك الأفعال منهم، و استمرارهم عليها.

وقرأ الجمهور: ﴿الرُّشْدِ﴾ بضمّ فسكون، و قرأه حمزة و الكِسائيّ وخلف: بفتحتين، وهما لغتان فيه.

(٨: ٢٨٨)

الطّباطَبائيّ: و تكرار الجملتين المثبتة و المنفيّة بجميع خصوصيّاتها، للدّلالة على اعتنائهم الشّديد و مراقبتهم الدّقيقة، على مخالفة سبيل الرّشد و اتّباع سبيل الغيّ، بحيث لا يعذرون بخطإ، و لا يحتمل في حقّهم جهل أو اشتباه. (٨: ٢٤٧)

٣ــ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَ لَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا. الجنّ: ١، ٢

ابن عبّاس: إلى الحقّ و الهدى و الصّواب، لا إله إلّا اللّه. (٤٨٨)

الماوَرْديّ: فيه وجهان:

أحدهما: مراشد الأُمور.

الثّاني: إلى معرفة اللّه. (٦: ١١٠)

مثله القُرطُبيّ. (١٩: ٦)

الطُّوسيّ: حكاية ما قالت الجنّ، و وصفت به القرآن، فإنّهم قالوا: هذا القرآن يهدي إلى ما فيه الرّشاد و الحقّ. (١٠: ١٤٧)

البَغَويّ: يدعو إلى الصّواب من التّوحيد و الإيمان. (٥: ١٥٩)

نحوه الزّمَخشَريّ (٤: ١٦٧)، و ابن الجَوْزيّ (٨: ٣٧٧)، و الفَخْر الرّازيّ (٣٠: ١٥٤)، و البَيْضاويّ (٢: ٥٠٩).

ابن عَطيّة: و قرأ جمهور النّاس ﴿إِلَى الرُّشْدِ﴾ بضمّ الرّاء و سكون الشّين، و قرأ عيسى الثّقفيّ (إِلَى الرَّشَد) بفتح الرّاء و الشّين. و قرأ عيسى (إِلَى الرُّشُد). (٥: ٣٧٩)

أبو حَيّان: أي يدعو إلى الصّواب. و قيل: إلى التّوحيد و الإيمان. [ثمّ نقل القراءات] (٨: ٣٤٧)

و بهذا المعنى جاءت في أكثر الكتب.

رُشْدًا

١ــ وَ ابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا... النّساء: ٦

ابن عبّاس: صلاحًا في الدّين و حفظًا في المال. (٦٥)

نحوه القاسميّ. (٥: ١١٢٧)

في حالهم، و الإصلاح في أموالهم.

(الطّبَريّ ٣: ٥٩٤)

إنّه صلاح في الدّين و إصلاح في المال.

مثله الحسَن و الشّافعيّ. (الماوَرْديّ ١: ٤٥٣)

الصّلاح في العقل، و حفظ المال.

مثله السُّدّيّ. (ابن الجَوْزيّ ٢: ١٥)

الشّعبيّ: سمعته يقول: إنّ الرّجل ليأخذ بلحيته و ما بلغ رُشده. (الطّبَريّ ٣: ٥٩٥)

إنّ الرُّشد العقل.

مثله مُجاهِد. (الماوَرْديّ ١: ٤٥٣)

مُجاهِد: لا ندفع إلى اليتيم ماله و إن أخذ بلحيته، و إن كان شيخًا، حتّى يؤنس منه رُشده، العقل. (الطّبَريّ ٣: ٥٩٤)

الحسَن: رُشدًا في الدّين، و صلاحًا، و حفظًا للمال. (الطّبَريّ ٣: ٥٩٤)

الإمام الباقر عليه السلام: إنّ المراد به: العقل و إصلاح المال. (الطّبْرِسيّ ٢: ٩)

قَتادَة: صلاحًا في عقله ودينه.

(الطّبَريّ ٣: ٥٩٤)

السُّدّيّ: عقولًا و صلاحًا. (الطّبَريّ ٣: ٥٩٤)

إنّه العقل والصّلاح في الدّين.

(الماوَرْديّ ١: ٤٥٣)

ابن جُرَيْج: صلاحًا و علمًا بما يصلحه.

(الطّبَريّ ٣: ٥٩٥)

الطّبَريّ: واختلف أهل التّأويل في معنى ﴿الرُّشْدِ﴾ الّذي ذكره الله في هذه الآية.

فقال بعضهم: معنى الرّشد في هذا الموضع: العقل و الصّلاح في الدّين.

و قال آخرون: معنى ذلك: صلاحًا في دينهم، و إصلاحًا لأموالهم.

و قال آخرون: بل ذلك العقل، خاصّة.

و قال آخرون: بل هو الصّلاح و العلم بما يصلحه.

و أولى هذه الأقوال عندي بمعنى «الرّشد» في هذا الموضع: العقل و إصلاح المال، لإجماع الجميع على أنّه إذا كان كذلك، لم يكن ممّن يستحقّ الحَجْر عليه في ماله، وحَوْزَ ما في يده عنه، و إن كان فاجرًا في دينه.

و إذ كان ذلك إجماعًا من الجميع، فكذلك حكمه إذا بلغ و له مال في يَدَي وصيّ أبيه، أو في يد حاكم قد ولي ماله لطفولته واجب عليه تسليم ماله إليه، إذا كان عاقلًا بالغًا، مُصلحًا لماله غير مُفسد، لأنّ المعنى الّذي به يستحقّ أن يولّي على ماله الّذي هو في يده، هو المعنى الّذي به يستحقّ أن يمنع يده من ماله الّذي هو في يد وليّ، فإنّه لا فرق بين ذلك.

و في إجماعهم على أنّه غير جائز حيازة ما في يده في حال صحّة عقله و إصلاح ما في يده، و الدّليل الواضح على أنّه غير جائز منع يده ممّا هو له في مثل ذلك الحال، و إن كان قبل ذلك في يد غيره، لا فرق بينهما. و من فرّق بين ذلك، عُكِس عليه القول في ذلك، و سئل الفرق بينهما من أصل أو

نظير، فلن يقول في أحدهما قولًا إلّا ألزم في الآخر مثله.

فإذ كان ما وصفنا من الجميع إجماعًا، فبيّنٌ أنّ الرُّشد الّذي به يستحقّ اليتيم، إذا بلغ فأونس منه، دفع ماله إليه، ما قلنا: من صحّة عقله و إصلاح ماله. (٣: ٥٩٤)

الجصّاص: [نقل بعض أقوال المفسّرين ثمّ قال:]

إذا كان اسم الرُّشد يقع على العقل لتأويل من تأوّل عليه، و معلوم أنّ الله تعالى شرط رُشدًا منكورًا و لم يشرط سائر ضروب الرُّشد اقتضى ظاهر ذلك أنّ حصول هذه الصّفة له بوجود العقل، موجبًا لدفع المال إليه، و مانعًا من الحَجْر عليه، فهذا يحتجّ به من هذا الوجه في إبطال الحَجْر على الحرّ العاقل البالغ، و هو مذهب إبراهيم و محمّد بن سيرين و أبي حنيفة. (٢: ٦٣)

الطّوسيّ: [قال بعد ذكر أقوال المتقدّمين:]

و الأقوى أن يُحمَل على أنّ المراد به: العقل، و إصلاح المال، على ما قال ابن عبّاس، و الحسن، و هو المرويّ عن أبي جعفر عليه السلام، للإجماع على أنّ من يكون كذلك لايجوز عليه الحَجْر في ماله، و إن كان فاجرًا في دينه. فإذا كان ذلك إجماعًا، فكذلك إذا بلغ، و له مال في يد وصيّ أبيه أو في يد حاكم قد ولي ماله، وجب عليه أن يُسلّم إليه ماله، إذا كان عاقلًا، مُصلحًا لماله، و إن كان فاسقًا في دينه.

و في الآية دلالة على جواز الحَجْر على العاقل، إذا كان مفسدًا في ماله؛ من حيث إنّه إذا كان عند البلوغ يجوز منعه المال إذا كان مفسدًا له، فكذلك في حال كمال العقل إذا صار بحيث يُفسد المال، جاز الحَجْر عليه، و هو المشهور في أخبارنا.

و من النّاس من قال: لايجوز الحَجْر على العاقل، ذكرناه في «الخلاف». (٣: ١١٨)

نحوه الطَّبْرِسيّ. (٢: ٩)

الفَخْر الرّازيّ: و أمّا الرُّشد فمعلوم أنّه ليس المراد الرُّشد الّذي لاتعلّق له بصلاح ماله، بل لابدّ و أن يكون هذا مرادًا، و هو أن يعلم أنّه مُصلحٌ لماله حتّى لايقع منه إسراف، و لايكون بحيث يقدر الغير على خديعته.

ثمّ اختلفوا في أنّه هل يضمّ إليه الصّلاح في الدّين؟

فعند الشّافعيّ لابدّ منه، و عند أبي حنيفة هو غير معتبر. و الأوّل أولى، و يدلّ عليه وُجُوه:

أحدها: أنّ أهل اللّغة قالوا: الرُّشد هو إصابة الخير، و المفسد في دينه لايكون مصيبًا للخير.

و ثانيها: أنّ الرُّشد نقيض الغيّ، قال تعالى: ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ البقرة: ٢٥٦، و الغيّ هو الضّلال و الفساد. و قال تعالى: ﴿وَعَصٰى اٰدَمُ رَبَّهُ فَغَوٰى﴾ طٰه: ١٢١، فجعل العاصي غويًّا، و هذا يدلّ على أنّ الرُّشد لايتحقّق إلّا مع الصّلاح في الدّين.

و ثالثها: أنّه تعالى قال: ﴿وَمَا اَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ هود: ٩٧، نفي الرُّشد عنه، لأنّه ما كان

يُراعي مصالح الدّين، و الله أعلم. [ثمّ ذكر فائدة هذا الاختلاف عند الفقهاء فلاحظ] (٩: ١٨٨)

أبو حَيّان: قرأ ابن مسعود و أبوعبد الرّحمان و أبوالسّمال و عيسى الثّقفيّ (رَشَدًا) بفتحتين. و قرئ شاذًّا (رُشُدًا) بضمّتين، و نُكّر (رُشْدًا) لأنّ معناه نوع من الرّشد و طرف و مخيّلة من مخيّلته، و لاينتظر به تمام الرّشد. (٣: ١٧٢)

أبو السُّعود: أي اهتداءً إلى وجوه التّصرّفات من غير عجز و تبذير. و تقديم الجارّ و المجرور على المفعول للاهتمام بالمقدّم و التّشويق إلى المؤخّر، أو للاعتداد بمبدئيّته له، و التّنوين للدّلالة على كفاية رُشد في الجملة. (٢: ١٠٠)

نحوه البُرُوسَويّ. (٢: ١٦٦)

الآلوسيّ: أي اهتداءً إلى ضبط الأموال، و حسن التّصرّف فيها. و قيل: صلاحًا في دينهم و حفظًا لأموالهم. و تقديم الجارّ و المجرور، لما مرّ غير مرّة. و قرئ (رَشَدًا) بفتحتين، و (رُشُدًا) بضمّتين، و هما بمعنى رُشْدًا.

و قيل: «الرُّشْد» بالضّمّ في الأمور الدّنيويّة و الأخرويّة، و بالفتح في الأخرويّة لاغير. و الرّاشد و الرّشيد يقال فيهما. (٤: ٢٠٥)

ابن عاشور: و التّنكير في قوله: ﴿رُشْدًا﴾ تنكير النّوعيّة، و معناه إرادة نوع الماهيّة، لأنّ المواهي العقليّة متّحدة لاأفراد لها، و إنّما أفرادها اعتباريّة باعتبار تعدّد الحال أو تعدّد المتعلّقات، فرشد زيد غير رشد عمرو، و الرّشد في المال غير الرّشد في سياسة الأمّة، و في الدّعوة إلى الحقّ، قال تعالى: ﴿وَمَا اَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ هود: ٩٧، و قال عن قوم شعيب: ﴿اِنَّكَ لَاَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ هود: ٨٧.

و ماهيّة الرّشد هي انتظام الفكر و صدور الأفعال على نحوه بانتظام، و قد علم السّامعون أنّ المراد هنا: الرّشد في التّصرّف الماليّ، فالمراد من النّوعيّة نحو المراد من الجنس، و لذلك ساوى المعرّف بلام الجنس النّكرة. فمن العجائب توهّم الجصّاص أنّ في تنكير ﴿رُشْدًا﴾ دليلًا لأبي حنيفة في عدم اشتراط حسن التّصرّف، و اكتفائه بالبلوغ، بدعوى أنّ الله شرط رشدًا مّا، و هو صادق بالعقل؛ إذ العقل رشد في الجملة، و لم يشترط الرّشد كلّه. و هذا ضعف في العربيّة، و كيف يمكن العموم في المواهي العقليّة المحضة، مع أنّها لاأفراد لها.

و قد أضيفت «الأموال» هنا إلى ضمير اليتامى: لأنّها قوي اختصاصها بهم عندما صاروا رُشَداء، فصار تصرّفهم فيها لايُخاف منه إضاعة ما للقرابة، و لعموم الأمّة من الحقّ في الأموال. (٤: ٣٣)

مَغْنِيّة: أمّا الرّشد فيثبت بإعطاء اليتيم شيئًا من ماله، يتصرّف فيه، فإن أحسن و أصاب كان راشدًا، و سُلّم ماله إليه، و إلّا استمرّ الحَجْر عليه، حتّى و لو بلغ المائة عملًا بظاهر الآية. و قال أبوحنيفة: يُسلّم المال للسّفيه بعد بلوغه ٢٥ عامًا، وإن لم يكن رشيدًا. (٢: ٢٥٦)

فضل الله: ﴿رُشْدًا﴾: خلاف الغيّ، والمراد به

هنا: العقل العمليّ بإصلاح المال و حفظه و استثماره. فلا يجوز الحَجْر على البالغ الّذي يملك قابليّة إصلاح ماله حتّى لو كان فاجرًا، بينما يُحجَر على السّفيه و إن كان عاقلًا إذا كان سفهه متحرّكًا في تجربته العمليّة و حركته في الواقع. (٧: ٨٣)

و فيها مطالب راجع: ب ل غ: «بَلَغُوا»، و: أ ن س: «آنَسْتُمْ»، و: د ف ع: «فادْفَعُوا».

٢ ـ قالَ لَهُ مُوسٰى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمّا عُلِّمْتَ رُشْدًا. الكهف: ٦٦

ابن عبّاس: صوابًا و هدًى. (٢٥٠)

مُقاتِل: إنّه العلم. (الماوَرْديّ ٣: ٣٢٦)

القفّال: قوله: ﴿رُشْدًا﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون الرُّشد راجعًا إلى الخضر، أي ممّا علّمك اللّه و أرشدك به.

و الثّاني: أن يرجع ذلك إلى موسى، و يكون المعنى على أن تُعلّمني و ترشدني ممّا عُلّمت.

(الفَخْر الرّازيّ ٢١: ١٥٠)

الماوَرْديّ: في الرُّشد هنا ثلاثة أوجه:

أحدها: أنّه العلم، قاله مُقاتِل. و يكون تقديره: على أن تعلّمني ممّا عُلّمت علمًا.

الثّاني: معناه على أن تعلّمني ممّا عُلّمت لإرشاد اللّه لك.

الثّالث: ما يرى في علم الخضر رُشدًا يفعله و غيًّا يجتنبه، فسأله موسى أن يعلّمه من الرُّشد الّذي يفعله، و لم يسأله أن يُعلّمه الغيّ الّذي يجتنبه، لأنّه عرف الغيّ الّذي يجتنبه و لم يعرف ذلك الرُّشد. (٣: ٣٢٦)

الطُّوسيّ: قال أبو عليّ: يحتمل أنّ ﴿رُشْدًا﴾ منصوبًا على أنّه مفعول له، و يكون متعلّقًا بـ ﴿أَتَّبِعُ﴾ كأنّه قال: اتّبعك للرّشد، أو طلب الرّشد على أن تُعلّمني، فيكون على هذا حالًا من قوله: ﴿أَتَّبِعُكَ﴾.

و يجوز أن يكون مفعولًا به، و تقديره: اتّبعك على أن تُعلّمني رشدًا ممّا علمته، و يكون العلم الّذي يتعدّى إلى مفعول واحد يتعدّى بالتّضعيف إلى مفعولين. و المعنى على أن تُعلّمني أمرًا ذا رُشد. [إلى أن قال:]

و الرّشَد بفتح الرّاء و الشّين، قراءة أبي عمرو، الباقون بضمّ الرّاء و سكون الشّين، إلّا ابن عامر في رواية ابن ذكوان، فإنّه ضمّهما، و هما لغتان، مثل أسَد و أُسْد، و وَثَن و وُثْن. (٧: ٧٠)

نحوه ابن عَطيّة. (٣: ٥٣٠)

البغَويّ: قرأ أبو عمرو و يعقوب ﴿رَشَدًا﴾ بفتح الرّاء و الشّين، و قرأ الآخرون بضمّ الرّاء و سكون الشّين، أي صوابًا. و قيل: علمًا ترشدني به. (٣: ٢٠٥)

نحوه الزّمَخْشَريّ (٢: ٤٩٢) و النّسَفيّ (٣: ١٩).

الطَّبْرِسيّ: الرُّشد: العلوم الدّينيّة الّتي ترشد إلى الحقّ. و قيل: هو علوم الألطاف الدّينيّة الّتي تخفى على النّاس. (٣: ٤٨٣)

الفَخْر الرّازيّ: قرأ أبو عمرو و يعقوب

(رَشَدًا) بفتح الرّاء و الشّين، و عن ابن عبّاس رضي الله عنهما بضمّ الرّاء و الشّين، و الباقون بضمّ الرّاء و تسكين الشّين.

قال القفّال: و هي لغات في معنى واحد. يقال: رَشَد و رُشْد مثل نَكَر و نُكْر، كما يقال: سَقَم و سُقْم، و شَغَل و شُغْل، و بَخَل و بُخْل، و عَدَم و عُدْم، و قوله: ﴿رُشْدًا﴾ أي علمًا ذا رُشد. (٢١ : ١٥٠)

العُكبَريّ: و ﴿رُشْدًا﴾ مفعول ﴿تُعَلِّمَنِ﴾، و لا يجوز أن يكون مفعول ﴿عُلِّمْتَ﴾، لأنّه لاعائد إذن على «الّذي»، و ليس بحال من العائد المحذوف، لأنّ المعنى على ذلك يبعد.

و الرُّشد و الرَّشَد لغتان، وقد قُرئ بهما.

(٢ : ٨٥٥)

البَيْضاويّ: علمًا ذا رُشد و هو إصابة الخير. و قرأ البصريّان بفتحتين، و هما لغتان كالبُخْل و البَخَل. (٢ : ١٩)

نحوه أبوالسُّعود (٤ : ٢٠٣)، و الآلوسيّ (١٥ : ٣٣١)، و القاسميّ (١١ : ٤٠٧٨).

البُرُوسَويّ: طلب للإرشاد. (٥ : ٢٧٤)

الطَّباطَبائيّ: الرُّشد: خلاف الغيّ، و هو إصابة الصّواب، و هو في الآية مفعول له أو مفعول به، و المعنى: قال له موسى: هل أتبعك اتّباعًا مبنيًّا على هذا الأساس، و هو أن تُعلّمني ممّا عُلّمت لأرشد به، أو تُعلّمني ممّا عُلّمت أمرًا ذا رشد.

(١٣ : ٣٤٢)

و فيها بحوث راجع: ع ل م: «تُعَلِّمَنِ»، و «عُلِّمْتَ».

رُشْدَهُ

وَ لَقَدْ اٰتَيْنَا إِبْرٰهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَ كُنَّا بِهِ عَالِمِينَ. الأنبياء : ٥١

ابن عبّاس: يعني العلم و الفهم. (٢٧٢)

مُجاهِد: هديناه صغيرًا. (الطّبريّ ٩ : ٣٥)

قَتادَة: يقول: آتيناه هداه. (الطّبريّ ٩ : ٣٦)

الفَرّاء: هُداه، إذ كان في السَّرَب[1] حتّى بلّغه الله ما بلّغه. (٢ : ٢٠٦)

الطَّبَريّ: ﴿وَ لَقَدْ اٰتَيْنَا إِبْرٰهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ موسى وهارون، و وفّقناه للحقّ، و أنقذناه من بين قومه و أهل بيته من عبادة الأوثان، كما فعلنا ذلك بمحمّد ﷺ، و على إبراهيم، فأنقذناه من قومه و عشيرته من عبادة الأوثان، و هديناه إلى سبيل الرّشاد توفيقًا منّا له. (٩ : ٣٥)

الزّجّاج: أي آتيناه هداه حَدَثًا، و هومثل قوله: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَاٰتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدٰيهَا﴾ السّجدة : ١٣.

(٣ : ٣٩٥)

الرُّمّانيّ: رُشده: النّبوّة. (الماوَرْديّ ٣ : ٤٥٠)

الطُّوسيّ: لمّا أخبر الله تعالى أنّه آتى موسى و هارون الفرقان، و الضّياء، و الذّكر. و بيّن أنّ

---

(١) في الهامش: السَّرَب: بيت في الأرض لامنفذ له. و المراد المغارة الّتي ولدته أُمّه فيها خوفًا من نمرود و كان يذبح الأبناء و قد مكث فيها زمنًا.

القرآن ذكر مبارك أنزله على محمّد ﷺ، أخبر أنّه آتى إبراهيم أيضًا قبل ذلك ﴿رُشْدَهُ﴾، يعني آتيناه من الحُجَج و البيّنات ما يوصله إلى رُشده، من معرفة الله و توحيده.

و الرُّشد هو الحقّ الّذي يؤدّي إلى نفع يدعو إليه. و نقيضه الغيّ، رشَد يَرْشُد رُشدًا و رَشَدًا، فهو رشيد. و في نقيضه: غَوَى يَغوِي غيًّا، فهو غاو.

و قال قَتادَة و مُجاهِد: معنى آتيناه رُشده: هديناه صغيرًا. و قال قوم: معنى ﴿رُشْدَهُ﴾: النّبوّة. (٧: ٢٥٥)

الزَّمَخْشَريّ: الرُّشد: الاهتداء لوجوه الصّلاح، قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ النّساء: ٦. و قرئ: (رَشَدَهُ). و الرُّشد و الرَّشَد كالعُدْم و العَدَم. و معنى إضافته إليه: أنّه رشد مثله، و أنّه رُشدٌ له شأن. (٢: ٥٧٥)

نحوه البَيْضاويّ. (٢: ٧٤)

ابن عَطيّة: الرُّشد: عامّ في هدايته إلى رفض الأصنام، و في هدايته في أمر الكوكب و الشّمس و القمر و غير ذلك من النّبوّة فما دونها.

و قال بعضهم: معناه وُفّق للخير صغيرًا، و هذا كلّه متقارب. (٤: ٨٦)

الطَّبْرِسيّ: يعني الحجج الّتي توصله إلى الرُّشد من معرفة الله و توحيده. (٤: ٥٢)

الفَخْر الرّازيّ: فيه مسائل:

المسألة الأولى: في الرُّشد قولان: الأوّل: أنّه النّبوّة، و احتجّوا عليه بقوله: ﴿وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾.

قالوا: لأنّه تعالى إنّما يخصّ بالنّبوّة من يعلم من حاله أنّه في المستقبل يقوم بحقّها، و يجتنب ما لا يليق بها، و يحترز عمّا ينفر قومه من القبول.

و الثّاني: أنّه الاهتداء لوجوه الصّلاح في الدّين و الدّنيا. قال تعالى: ﴿فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ النّساء: ٦.

و فيه قول ثالث: و هو أن تدخل النّبوّة و الاهتداء تحت الرُّشد؛ إذ لا يجوز أن يُبعَث نبيّ إلّا و قد دلّه الله تعالى على ذاته و صفاته، و دلّه أيضًا على مصالح نفسه و مصالح قومه، و كلّ ذلك من الرّشد. (٢٢: ١٧٩)

أبو حَيّان: و قرأ الجمهور ﴿رُشْدَهُ﴾ بضمّ الرّاء و سكون الشّين. و قرأ عيسى الثّقفيّ (رَشَدَهُ) بفتح الرّاء و الشّين، و أضاف الرُّشد إلى إبراهيم بمعنى أنّه رُشدٌ مثله، و هو رُشد الأنبياء، و له شأن أيّ شأن.

و الرُّشد: النّبوّة أو الاهتداء إلى وجوه الصّلاح في الدّين و الدّنيا، أو هما داخلان تحت الرُّشد، أو الصّحُف و الحكمة، أو التّوفيق للخير صغيرًا؛ أقوال خمسة. (٦: ٣٢٠)

أبو السُّعود: أي الرّشد اللّائق به و بأمثاله من الرّسل الكبار، و هو الاهتداء الكامل المستند إلى الهداية الخاصّة الحاصلة بالوحي، و الاقتدار على إصلاح الأمّة باستعمال النّواميس الإلهيّة.

و قرئ: (رَشَدَه) و هما لغتان كالحُزْن و الحزَن. (٤: ٣٤٣)

البُرُوسَويّ: الرُّشد خلاف الغيّ، و هو الابتداء لمصالح الدّين و الدّنيا، و كماله يكون بالنّبوّة، أي بالله، لقد آتينا بجلالنا و عظم شأننا إبراهيم الخليل ﷺ الرُّشد اللّائق به، و بأمثاله من الرّسل الكبار على ما أفادته الإضافة. (٥: ٤٩٠)

شُبّر: أي الحُجج الّتي توصله إلى الرُّشد من معرفة الله أو اهتدائه صغيرًا لوجوه الصّلاح، و إضافته تفيد أنّ لهذا الرُّشد شأنًا. (٤: ٢٠١)

الآلوسيّ: أي الرُّشد اللّائق به و بأمثاله من الرّسل الكبار، و هو الرُّشد الكامل، أعني الاهتداء إلى وجوه الصّلاح في الدّين و الدّنيا، و الإرشاد بالنّواميس الإلهيّة.

و قيل: الصّحُف، و قيل: الحكمة، و قيل: التّوفيق للخير صغيرًا، و اختار بعضهم التّعميم.

(١٧: ٥٨)

القاسميّ: أي هدايته للحقّ، و هو التّوحيد الخالص. (١١: ٤٢٧٩)

المراغيّ: أي و لقد آتينا إبراهيم ما فيه صلاحه و هداه من قبل موسى و هارون، و وفّقناه للحقّ، و أضأنا له سبيل الرّشاد، و أنقذناه من بين قومه من عبادة الأصنام. و كنّا عالمين بأنّه ذو يقين و إيمان بالله و توحيد له، لايشرك به شيئًا، فهو جامع لأحاسن الفضائل و مكارم الأخلاق و جميل الصّفات. و قال الفرّاء: «أعطيناه هداه من قبل النّبوّة و البلوغ». أي وفّقناه للنّظر و الاستدلال لمّا جنّ عليه اللّيل، فرأى الشّمس و القمر و النّجم، و على هذا جرى كثير من المفسّرين. (١٧: ٤٣)

ابن عاشور: و الرُّشد: الهدى و الرّأي الحقّ، و ضدّه: الغيّ، و تقدّم في قوله تعالى: ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ البقرة: ٢٥٦.

و إضافة الرُّشد إلى ضمير إبراهيم من إضافة المصدر إلى مفعوله، أي الرّشد الّذي أرشِده.

و فائدة الإضافة هنا التّنبيه على عظم شأن هذا الرّشد، أي رشدًا يليق به، و لأنّ رُشد إبراهيم قد كان مضرب الأمثال بين العرب و غيرهم، أي هو الّذي علمتم سُمعته الّتي طبقت الخافقين، فما ظنّكم برُشد أُوتيه من جانب الله تعالى، فإنّ الإضافة لمّا كانت على معنى اللّام، كانت مفيدة للاختصاص، فكأنّه انفرد به. و فيه إيماء إلى أنّ إبراهيم كان قد انفرد بالهدى بين قومه. (١٧: ٦٨)

مَغْنِيّة: اختلف المفسّرون في المراد بالرُّشد قيل: إنّه الاهتداء إلى صالح الدّين و الدّنيا، و قيل: إنّه النّبوّة.

و هذا هو الأرجح، بدليل قوله تعالى: ﴿مِنْ قَبْلُ﴾، لأنّ معناه من قبل الأنبياء الّذين جاؤوا بعد إبراهيم ﷺ كموسى و عيسى و محمّد ﷺ، و بدليل قوله: ﴿وَ كُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ فإنّه بمعنى: ﴿اَللهُ اَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ الأنعام: ١٢٤.

إنّ النّبوّة منحة من الله يختصّ بها من هو أهل لها، و لاتكون بالكسب كالإيمان و التّقوى، و لذا يقال: كُنْ مؤمنًا، كُنْ تقيًّا، و لايقال: كُنْ نبيًّا.

(٥: ٢٨٣)

الطَّباطَبائيّ: و الرُّشد: خلاف الغيّ، و هو إصابة الواقع، و هو في إبراهيم عليه السلام اهتداؤه الفطريّ التامّ إلى التّوحيد و سائر المعارف الحقّة، و إضافة الرّشد إلى الضّمير الرّاجع إلى إبراهيم تُفيد الاختصاص، و تُعطي معنى اللّياقة، و يؤيّد ذلك قوله بعده: ﴿وَ كُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾، و هو كناية عن العلم بخصوصيّة حاله، و مبلغ استعداده.

و المعنى: و أقسم لقد أعطينا إبراهيم ما يستعدّ له و يليق به من الرُّشد و إصابة الواقع، و كنّا عالمين بمبلغ استعداده و لياقته، و الّذي آتاه الله سبحانه كما تقدّم هو ما أدركه بصفاء فطرته و نور بصيرته، من حقيقة التّوحيد و سائر المعارف الحقّة، من غير تعليم معلّم أو تذكير مُذكّر أو تلقين مُلقّن. (١٤: ٢٩٦)

مكارم الشّيرازيّ: «الرُّشد» في الأصل بمعنى السّير إلى المقصد و الغاية، و من الممكن أن يكون هنا إشارة إلى حقيقة التّوحيد، و أنّ إبراهيم عرفها و اطّلع عليها منذ سني الطّفولة. و قد يكون إشارة إلى كلّ خير و صلاح بمعنى الكلمة الواسع.

(١٠: ١٦٢)

فضل الله: فقد أعدّه الله في تكوينه الفكريّ و الرّوحيّ إعدادًا صالحًا، من خلال ما أثاره في نفسه من علامات الاستفهام، و أدار فكره من المواقع الّتي تُعطي لكلّ سؤال جوابًا في دقّة و عمق و انفتاح، و عرف من حركة الواقع من حوله الكثير الكثير من شؤون النّاس في أفكارهم و توجّهاتهم و مواقفهم، حتّى استطاع أن يختزن في وعيه الحسّ الاجتماعيّ الّذي يعرف من خلاله كيف يكتشف نقاط الضّعف عند الآخرين، و نقاط القوّة في نفسه، ليواجه نقاط ضعفهم بنقاط قوّته. و هكذا استطاع أن يحصل على الرّشد الفكريّ الّذي يهديه إلى معرفة مواقع الخطإ و الصّواب في الأشياء المطروحة في السّاحة. (١٥: ٢٢٣)

رَشَدًا

١ـ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَ هَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا.

الكهف: ١٠

ابن عبّاس: مخرجًا. (٢٤٤)

أي مخرجًا من الغار في سلامة.

(البغويّ ٣: ١٨١)

الطّبَريّ: يقول: سدادًا إلى العمل بالّذي تحبّ.

(٨: ١٨٢)

الطُّوسيّ: أي رشدًا إلى العمل الّذي تحبّ.

[إلى أن قال:]

و يجوز (رُشْدًا) بضمّ الرّاء و تسكين الشّين، غير أنّه لم يقرأ به هاهنا أحد، لأنّ أواخر الآيات كلّها على وزن «فعَل» فلم يخالفوا بينها. (٧: ١٢)

الواحديّ: الرُّشْد و الرّشَد و الرّشاد نقيض الضّلال، أي أرشدنا إلى ما يقرب منك، و المعنى هيّئ لنا من أمرنا نصيب به الرّشد. (٣: ١٣٧)

البغَويّ: أي مانلتمس من خير رضاك و مافيه رشدنا. (٣: ١٨١)

الزّمَخشَريّ: حتّى نكون بسببه راشدين

مهتدين، أو اجعل أمرنا رشدًا كلّه، كقولك: رأيت منك أسدًا. (٢: ٤٧٣)

نحوه النّسفيّ. (٣: ٣)

ابن عَطيّة: أي خلاصًا جميلًا. و قرأ الجمهور ﴿رَشَدًا﴾ بفتح الرّاء و الشّين، و قرأ أبورجاء (رُشْدًا) بضمّ الرّاء و سكون الشّين، و الأولى أرجح لشبهها بفواصل الآيات قبل و بعد. و هذا الدّعاء منهم كان في أمر دنياهم، و ألفاظه تقتضي ذلك، و قد كانوا على ثقة من رشد الآخرة و رحمتها.

و ينبغي لكلّ مؤمن أن يجعل دعاءه في أمر دنياه هذه الآية فقط، فإنّها كافية. (٣: ٥٠٠)

الطّبْرسيّ: أي هيّئ و أصلح لنا من أمرنا ما نصيب به الرّشد. و قيل: معناه دلّنا على أمر فيه نجاتنا، لأنّ الرّشد و النّجاة بمعنًى.

و قيل: يسّر لنا من أمرنا ما نلتمس به رضاك و هو الرّشد. (٣: ٤٥٢)

الفَخْر الرّازيّ: الرّشد و الرّشاد نقيض الضّلال. و في تفسير اللّفظ وجهان:

الأوّل: التّقدير: و هيّئ لنا أمرًا ذا رشد حتّى نكون بسببه راشدين مهتدين.

الثّاني: اجعل أمرنا رشدًا كلّه كقولك: رأيت منك رشدًا. (٢١: ٨٣)

القُرطُبيّ: توفيقًا للرّشاد. و قيل: صوابًا. (١٠: ٣٦٢)

البَيْضاويّ: نصير بسببه راشدين مهتدين، أو اجعل أمرنا كلّه رشدًا، كقولك: رأيت منك أسدًا. (٢: ٥)

البُرُوسَويّ: إصابة للطّريق الموصل إلى المطلوب و اهتداء إليه. (٥: ٢٢٠)

الآلوسيّ: [نحو ابن عَطيّة و البُرُوسَويّ] (١٥: ٢١١)

ابن عاشور: و الرّشَد بفتحتين: الخير و إصابة الحقّ و النّفع و الصّلاح، و قد تكرّر في سورة الجنّ، باختلاف هذه المعاني.

و الرُّشْد: بضمّ الرّاء و سكون الشّين مرادف الرّشَد. و غلب في حسن تدبير المال. و لم يُقرأ هذا اللّفظ هنا في القراءات المشهورة إلّا بفتح الرّاء، بخلاف قوله تعالى: ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ البقرة: ٢٥٦، و قوله: ﴿فَاِنْ اٰنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا﴾ النّساء: ٦، فلم يُقرأ فيهما إلّا بضمّ الرّاء.

و وجه إيثار مفتوح الرّاء و الشّين في هذه السّورة في هذا الموضع و في قوله الآتي: ﴿وَقُلْ عَسٰى اَنْ يَهْدِيَنِ رَبّـِي لِاَقْرَبَ مِنْ هٰذَا رَشَدًا﴾ الكهف: ٢٤، أنّ تحريك الحرفين فيهما أنسب بالكلمات الواقعة في قرائن الفواصل؛ ألا ترى أنّ الجمهور قرؤوا قوله في هذه السّورة ﴿عَلٰى اَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ الكهف: ٦٦، بضمّ الرّاء، لأنّه أنسب بالقرائن المجاورة له، و هي ﴿مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ الكهف: ٦٥، ﴿مَعِيَ صَبْرًا﴾ الكهف: ٦٧، ﴿مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ الكهف: ٦٨، ﴿وَلَا اَعْصِي لَكَ اَمْرًا﴾ الكهف: ٦٩، إلى آخره. و لم يقرأه هنالك بفتح الرّاء و الشّين إلّا أبوعمرو ويعقوب. (١٥: ٢٥)

٢ ـ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا.

الكهف: ٢٤

ابن عبّاس: صوابًا و يقينًا. (٢٤٦)

فيها بحوث راجع: هـ د ي: «يَهْدِيَن».

٣ ـ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا. الجنّ: ١٠

ابن عبّاس: يقال: و أنّا لاندري لانعلم، أشرّ أريد بمن في الأرض حين بُعث محمّد ﷺ إذ لم يؤمنوا به فيُهلكهم الله، أم أراد بهم رشدًا هدًى و صوابًا و خيرًا إذا آمنوا به. (٤٨٨)

الطّبريّ: يقول: أم أراد بهم ربّهم الهدى، بأن يبعث منهم رسولًا مرشدًا يرشدهم إلى الحقّ.

(١٢: ٢٦٦)

الطّوسيّ: و هداية إلى الحقّ بأن بعث نبيًّا، فإنّ ذلك خافٍ عنّا. (١٠: ١٥٠)

الزّمخشريّ: أي خيرًا من عذاب أو رحمة أو من خذلان أو توفيق. (٤: ١٦٩)

و بهذا المعنى جاء في أكثر التّفاسير.

٤ ـ وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا. الجنّ: ١٤

الزّجّاج: و لا أعلم أحدًا قرأ في هذه السّورة (رُشْدًا)، و الرُّشْد و الرَّشَد يجوز في العربيّة، إلّا أنّ أواخر الآي فيما قبل الرّشد و بعده على الفتح، مبنيّ على «فعَل». فأواخر الآي أن يكون على هذا اللّفظ و تستوي أحسن. فإن ثبتت في القراءة بها رواية فالقراءة بها جائزة، و لايجوز أن تُقرأ بما يجوز في العربيّة إلّا أن تثبت بذلك رواية و قراءة عن إمام يُقتدى بقراءته، فإنّ اتّباع القراءة سنّة، و تتبّع الحروف الشّاذّة و القراءة بها بدعة. (٥: ٢٣٥)

فيها بحوث، راجع: ح ر ي: «تحرّوا».

٥ ـ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا.

الجنّ: ٢١

ابن عبّاس: و لأجر النّفع و الهدى. (٤٨٩)

الماوَرْديّ: يعني ضرًّا لمن آمن و لارشدًا لمن كفر، و فيه ثلاثة أوجُه:

أحدها: عذابًا و لانعيمًا.

الثّاني: موتًا و لاحياةً.

الثّالث: ضلالًا و لاهدًى. (٦: ١٢٠)

الطُّوسيّ: و معناه: إنّي لاأقدر على دفع الضّرر عنكم، و لاإيصال الخير إليكم، و إنّما يقدر على ذلك الله تعالى.

و إنّما أقدر على أن أدعوكم إلى الخير، و أهديكم إلى طريق الرّشاد، فإن قبلتم نلتم الثّواب و النّفع، و إن رددتموه نالكم العقاب و أليم العذاب.

(١٠: ١٥٧)

البغويّ: أي لاأسوق لكم أو إليكم رشدًا، أي خيرًا، يعني أنّ الله يملكه. (٥: ١٦٣)

الزّمخشريّ: و لانفعًا، أو أراد بالضّرّ الغيّ.

و يدلّ عليه قراءة أُبيّ (غيًّا وَلَارَشَدًا)، و المعنى: لا أستطيع أن أضرّكم و أن أنفعكم، إنّما الضّارّ و النّافع الله. أو لاأستطيع أن أقسركم على الغيّ و الرّشد، و إنّما القادر على ذلك الله عزّ و جلّ. (٤: ١٧١)

الفخر الرّازيّ: إمّا أن يُفسّر الرّشد بالنّفع حتّى يكون تقدير الكلام: لاأملك لكم غيًّا و لارَشَدًا، و يدلّ عليه قراءة أُبيّ (غيًّا وَلَارَشَدًا)، و معنى الكلام أنّ النّافع و الضّارّ، و المُرشِد و المُغوي هو الله، و أنّ أحدًا من الخلق لاقدرة له عليه.

(٣٠: ١٦٤)

القُرطُبيّ: أي هدى، أي إنّما عليّ التّبليغ.

و قيل: الضّرّ: العذاب، و الرّشد: النّعيم؛ و هو الأوّل بعينه.

و قيل: الضّرّ: الموت، و الرّشد: الحياة. (١٩: ٢٤)

البَيْضاويّ: و لانفعًا أو غيًّا و لارشدًا عبّر عن أحدهما باسمه، و عن الآخر باسم سببه أو مسبّبه، إشعارًا بالمعنيين. (٢: ٥١١)

و بهذا المعنى جاء في أكثر التّفاسير.

الرَّشاد

١ ـ يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِى الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ. المؤمن: ٢٩

ابن عبّاس: طريق الحقّ و الهدى. (٣٩٥)

الطّبَريّ: يقول: و ما أدعوكم إلّا إلى طريق الحقّ و الصّواب في أمر موسى و قتله، فإنّكم إن لم تقتلوه بدّل دينكم، و أظهر في أرضكم الفساد.

(١١: ٥٥)

النّحّاس: روي عن معاذ بن جبل أنّه قرأ (سَبِيلَ الرَّشَّادِ) بتشديد الشّين، و قال سبيل الله جلّ و عزّ.

و هذا عند أكثر أهل اللُّغة العربيّة لَحْنٌ، لأنّه إنّما يقال: أرْشَد يُرْشِد، و لايكون «فعّال» من «أفعل» إنّما يكون من الثّلاثيّ، و إن أردت التّكثير من الرّباعيّ قلت: «مِفْعال».

و يجوز أن يكون (رَشَّادٌ) بمعنى يُرْشِد، لاعلى أنّه مشتقّ منه، و لكن كما يقال: لَأّالٌ من اللُّؤلُؤ، فهو بمعناه، و ليس جاريًا عليه.

و يجوز أن يكون رَشّادٌ من رَشِد يَرْشُد، أي صاحب رشاد. (٦: ٢١٩)

الزّمَخشَريّ: يريد: سبيل الصّواب و الصّلاح. أو ما أعلمكم إلّا ما أعلم من الصّواب، و لاأدّخر منه شيئًا، و لاأسرّ عنكم خلاف ما أظهر، يعني أنّ لسانه و قلبه متواطئان على ما يقول، و قد كذب فقد كان مستشعرًا للخوف الشّديد من جهة موسى، و لكنّه كان يتجلّد، و لولا استشعاره لم يستشر أحدًا، و لم يقف الأمر على الإشارة.

و قرئ: (الرّشّاد) «فعّال» من «رَشِد» بالكسر كعلام، أو من «رشَد» بالفتح كعبّاد. و قيل: هو من «أرْشَد» كجبّار من أجبر، و ليس بذلك، لأنّ فعّالًا من أفعَل لم يجئ إلّا في عدّة أحرف، نحو: درّاك، و ستّار، و قصّار، و جبّار، و لايصحّ القياس

على القليل.

و يجوز أن يكون نسبة إلى الرّشد كـ« عوّاج و بتّات » غير منظور فيه إلى فعل. (٣: ٤٢٥)

نحوه البيضاويّ (٢: ٣٣٥) و النّسفيّ (٤: ٧٧)، و أبو السّعود (٥: ٤١٨).

ابن عَطيّة: و قرأ الجمهور ﴿الرَّشَادِ﴾ مصدر رشد. و في قراءة معاذ بن جبل: (سَبِيلَ الرَّشّاد) بشدّ الشّين.

قال أبو الفتح: و هو اسم فاعل في بنيته مبالغة، و هو من الفعل الثّلاثيّ « رشد » فهو كعبّاد من « عبد ».

و قال النّحّاس: هو لَحْنٌ، و توهّمه من الفعل الرّباعيّ، و قوله مردود.

قال أبو حاتم: كان معاذ بن جبل يفسّرها: سبيل الله. و يبعد عندي هذا على معاذ رضي الله عنه، و هل كان فرعون إلّا يدّعي أنّه إله، و يقلق بناء اللّفظة على هذا التّأويل. (٤: ٥٥٧)

الطّبْرسيّ: و ما أرشدكم إلّا إلى ما هو طريق الرّشاد، و الصّواب عندي، و هو قتل موسى، و التّكذيب به، و اتّخاذي إلهًا و ربًّا. (٤: ٥٢١)

العُكبَريّ: الجمهور على التّخفيف، و هو اسم للمصدر، إمّا الرُّشد أو الإرشاد. و قرئ بتشديد الشّين، و هو الّذي يكثر منه الإرشاد أو الرّشد.

(٢: ١١١٨)

أبو حيّان: ﴿وَ مَا اَهْدِيكُمْ اِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ لا ما تقولونه من ترك قتله و قد كذب، بل كان خائفًا وجلًا، و قد علم أنّ ما جاء به موسى ﷺ حقّ، و لكنّه كان يتجلّد، و يرى ظاهره خلاف ما أبطن.

و أورد الزّمخشريّ و ابن عَطيّة و أبو القاسم الهذليّ هنا: أنّ معاذ بن جبل قرأ (الرَّشّاد) بشدّ الشّين. قال أبو الفتح: و هو اسم فاعل في بنية مبالغة من الفعل الثّلاثيّ « رشد »، فهو كعبّاد من « عبد ».

و قال الزّمخشريّ: أو من (رَشِد) كعلّام من عَلِم.

و قال النّحّاس: هو لَحْنٌ، و توهّمه من الفعل الرّباعيّ، وردّ عليه أنّه لا يتعيّن أن يكون من الرّباعيّ، بل هو من الثّلاثيّ، على أنّ بعضهم قد ذهب إلى أنّه من الرّباعيّ، فبنى فعّال من أفعل، كدرّاك من أدرك، و سَئّار من أسأر، و جبّار من أجبر، و قصّار من أقصر. و لكنّه ليس بقياس، فلايُحمل عليه ما وجدت عنه مندوحة، و « فعّال » من الثّلاثيّ مقيس فحُمل عليه.

و قال أبو حاتم: كان معاذ بن جبل يفسّرها: بسبيل الله. قال ابن عَطيّة: و يبعد عندي على معاذ رضي الله عنه. و هل كان فرعون إلّا يدّعي أنّه إله؟ و تعلّق بناء اللّفظ على هذا التّأويل، انتهى.

و إيراد الخلاف في هذا الحرف الّذي هو من قول فرعون خطأ، و تركيب قول معاذ عليه خطأ، و الصّواب أنّ الخلاف فيه هو قول المؤمن: ﴿اتَّبِعُونِ اَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ المؤمن: ٣٨.

قال أبو الفضل الرّازيّ في كتاب « اللّوامح » له: من شواذّ القراءات ما نصّه: معاذ بن جبل (سَبِيلَ

الرَّشَّادِ) الحرف الثّاني بالتشديد، و كذلك الحسن، و هو سبيل الله تعالى الّذي أوضح الشرائع، كذلك فسّره معاذ بن جبل، و هو منقول من مُرشد، كدرّاك من مُدرك، و جبّار من مُجبر، و قصّار من مقصر عن الأمر، و لها نظائر معدودة. فأمّا قصّار فهو من قصر الثوب قصارة.

و قال ابن خالَوَيْه بعد أن ذكر الخلاف في التّناد و في صدّ عن السّبيل: ما نصّه (سَبِيلَ الرَّشَّادِ) بتشديد الشّين، معاذ بن جبل. قال ابن خالَوَيْه: يعني بالرّشّاد: الله تعالى، انتهى.

فهذا لم يذكر الخلاف إلّا في قول المؤمن: ﴿أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾، فذكر الخلاف فيه في قول فرعون خطأ، و لم يفسّر معاذ بن جبل الرّشّاد أنّه الله تعالى إلّا في قول المؤمن، لا في قول فرعون.

قال ابن عَطِيّة: ذلك التّأويل من قول فرعون وَهْمٌ. (٧: ٤٦٢)

الآلوسيّ: [نحو الزَّمَخْشَريّ و أضاف:]

و حُكي عن الجَوهَريّ: أنّ الإقصار كفّ مع قدرة، والقصر كفّ مع عجز، فلايتمّ هذا عليه. و أمّا درّاك و سَئّار فقد خرجا على حذف الزّيادة تقديرًا لااستعمالًا كما قالوا: أبقَل المكان فهو باقل، و أورس الرّمث فهو وارس.

قال ابن جنّيّ: و على هذا خرج «الرّشّاد» فيكون من رشد بمعنى أرشد تقديرًا لااستعمالًا، فإنّ المعنى على ذلك.

ثمّ قال: فإن قيل: إذا كان المعنى على أرشد فكيف أجزت أن يكون من رَشِد المكسور أو من رَشَد المفتوح؟

قيل: المعنى راجع إلى أنّه مُرشد لأنّه إذا رشد أرشد، لأنّه الإرشاد من الرّشد، فهو من باب الاكتفاء بذكر السّبب عن المسبّب انتهى.

و قيل: أُجيز ذلك، لأنّ المبالغة في الرّشد تكون بالإرشاد، كما قرّروا في قيّوم و طهّور.

و قال بعض المحقّقين: إنّ «رشد» بمعنى اهتدى، فالمعنى: ما أهديكم إلّا سبيل من اهتدى و عظم رشده، فلاحاجة إلى ما سمعت. و إنّما يحتاج إليه لو وجب كون المعنى: ما أهديكم إلاسبيل من كثر إرشاده، و من أين وجب ذلك. و جوّز كون «فعّال» في هذه القراءة للنّسبة، كما قالوا: عوّاج لبيّاع العاج، و بتّات لبيّاع البتّ، و هو كساء غليظ. و قيل: طيلسان من خزّ أو صوف.

و أنكر بعضهم كون القراءة على صيغة «فعّال» في كلام فرعون، و إنّما هي في قول الّذي آمن ﴿يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾، المؤمن: ٣٨، فإنّ معاذ بن جبل كان - كما قال أبوالفضل الرّازيّ و أبوحاتم - يفسّر: ﴿سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ على قراءته: بسبيل الله تعالى، و هو لايتسنّى في كلام فرعون، كما لايخفى.

و ستعلم إن شاء الله تعالى أنّ معاذًا قرأ كذلك في قول المؤمن، فلعلّ التّفسير بسبيل الله عزّ وجلّ كان فيه دون كلام فرعون. و الله تعالى أعلم.

(٢٤: ٦٥)

القاسميّ: و هو دفع تبدّل دينكم و إظهار الفساد في الأرض، بإظهار أحكامه. (١٤: ٥١٦٥)

الطّباطبائيّ: أي طريق الصّواب المطابقة للواقع، يريد أنّه على يقين ممّا يهدي إليه قومه من الطّريق، و هو مع كونها معلومة للواقع. و هذا كان تمويهًا منه و تجلّدًا. (١٧: ٣٢٩)

٢ـ وَقَالَ الَّذِي اٰمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ اَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ. المؤمن: ٣٨

ابن عبّاس: الحقّ و الهدى. (٣٩٦)

الطّبريّ: يقول: إن اتّبعتموني فقبلتم منّي ما أقول لكم، بيّنت لكم طريق الصّواب الّذي ترشدون إذا أخذتم فيه و سلكتموه؛ و ذلك هو دين اللّه الّذي ابتعث به موسى. (١١: ٦٢)

الزّجّاج: يعني سبيل القصد إلى اللّه عزّ و جلّ، و أخرجكم عن سبيل فرعون. (٤: ٣٧٥)

الطّوسيّ: و هو الإيمان باللّه و توحيده، و إخلاص العبادة له، و الإقرار بموسى عليه السلام. (٩: ٧٩)

نحوه الطّبرسيّ. (٤: ٥٢٤)

الزّمخشريّ: و ﴿الرَّشَادِ﴾ نقيض الغيّ، و فيه تعريض شبيه بالتّصريح أنّ ما عليه فرعون و قومه هو سبيل الغيّ. (٣: ٤٢٨)

مثله النّسفيّ. (٤: ٧٩)

الفخر الرّازيّ: ﴿سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾، هو سبيل الثّواب و الخير و ما يؤدّي إليه، لأنّ الرّشاد نقيض الغيّ، و فيه تصريح بأنّ ما عليه فرعون و قومه، هو سبيل الغيّ. (٢٧: ٦٨)

البيضاويّ: سبيلًا يصل سالكه إلى المقصود، و فيه تعريض بأنّ ما عليه فرعون و قومه سبيل الغيّ. (٢: ٣٣٧)

مثله أبو السّعود (٥: ٤٢٠)، و نحوه البروسويّ (٨: ١٨٥)، و الآلوسيّ (٢٤: ٧٠).

القاسميّ: أي طريق الصّواب الّذي ترشدون إذا أخذتم فيه و سلكتموه. (١٤: ٥١٦٨)

الطّباطبائيّ: يدعوهم إلى اتّباعه ليهديهم، و اتّباعه اتّباع موسى، و ﴿سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾، السّبيل الّتي في سلوكها إصابة الحقّ و الظّفر بالسّعادة. (١٧: ٣٣٢)

الرّاشِدُونَ

وَاعْلَمُوا اَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْاَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلٰكِنَّ اللّهَ حَبَّبَ اِلَيْكُمُ الْاِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ اِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ اُولٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ. الحجرات: ٧

ابن عبّاس: المهتدون. (٤٣٦)

مثله البغويّ. (٤: ٢٥٨)

الطّبريّ: يقول: هؤلاء الّذين حبّب اللّه إليهم الإيمان، و زيّنه في قلوبهم، و كرّه إليهم الكفر و الفسوق و العصيان، أولئك هم الرّاشدون السّالكون طريق الحقّ. (١١: ٣٨٥)

نحوه القاسميّ. (١٥: ٥٤٥١)

الطّوسيّ: أي المهتدون إلى طريق الحقّ الّذين

أصابوا الرّشد. (٩: ٣٤٥)

الواحديّ: هم المهتدون إلى محاسن الأمور. (٤: ١٥٣)

الزّمخشريّ: الرّشد: الاستقامة على طريق الحقّ مع تصلّب فيه، من الرّشاد و هي الصّخرة. قال أبو الوازع: كلّ صخرة رشادة، و أنشد:

و غير مُقلّدٍ و مُوَشّمات
صَلين الضّوء من صُمّ الرّشاد

(٣: ٥٦٢)

مثله القُرطُبيّ. (١٦: ٣١٤)

الطّبْرسيّ: يعني الّذين وصفهم بالإيمان و زيّنه في قلوبهم، هم المهتدون إلى محاسن الأمور. و قيل: هم الّذين أصابوا الرُّشد و اهتدوا إلى الجنّة. (٥: ١٣٣)

البَيْضاويّ: أي أولئك المستثنون هم الّذين أصابوا الطّريق السّويّ. (٢: ٤٠٩)

النّسَفيّ: أي أولئك المستثنون هم الرّاشدون، يعني أصابوا طريق الحقّ، و لم يميلوا عن الاستقامة، و الرّشد: الاستقامة على طريق الحقّ مع تصلّب فيه، من الرّشادة و هي الصّخرة. (٤: ١٦٩)

أبو السُّعود: أي السّالكون إلى الطّريق السّويّ الموصل إلى الحقّ، و الالتفات إلى الغيبة كالّذي في قوله تعالى: ﴿وَ مَا اٰتَيْتُمْ مِنْ زَكٰوةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللهِ فَاُولٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ الرّوم: ٣٩. (٦: ١١٥)

البُرُوسَويّ: أي السّالكون إلى الطّريق السّويّ الموصل إلى الحقّ. و في الآية عدول و تلوين؛ حيث ذكر أوّلها على وجه المخاطبة و آخرها على المغايبة؛ حيث قيل: ﴿اُولٰئِكَ هُمُ الرّٰاشِدُونَ﴾، ليعلم أنّ جميع من كان حاله هكذا، فقد دخل في هذا المدح، كما قال أبو اللّيث. (٩: ٧٢)

المَراغيّ: أي هؤلاء الّذين هذه صفاتهم هم السّالكون طريق السّعادة، و لم يميلوا عن الاستقامة. (٢٦: ١٢٨)

الطّباطَبائيّ: بيان أنّ حبّ الإيمان و الانجذاب إليه، و كراهة الكفر و الفسوق و العصيان، هو سبب الرّشد الّذي يطلبه الإنسان بفطرته، و يتنفّر عن الغيّ الّذي يقابله. فعلى المؤمنين أن يلزموا الإيمان و يتجنّبوا الكفر و الفسوق و العصيان، حتّى يرشدوا و يتّبعوا الرّسول، و لا يتّبعوا أهواءهم.

و لمّا كان حبّ الإيمان و الانجذاب إليه، و كراهة الكفر و نحوه، صفة بعض من كان الرّسول فيهم دون الجميع، كما يصرّح به الآية السّابقة، و قد وصف بذلك جماعتهم، تحفّظًا على وحدتهم، و تشويقًا لمن لم يتّصف بذلك منهم غير السّياق، و التفت عن خطابهم إلى خطاب النّبيّ ﷺ فقال: ﴿اُولٰئِكَ هُمُ الرّٰاشِدُونَ﴾، و الإشارة إلى من اتّصف بحبّ الإيمان و كراهة الكفر و الفسوق و العصيان، ليكون مدحًا للمتّصفين بذلك و تشويقًا لغيرهم. (١٨: ٣١٣)

فضل الله: الّذين انطلقوا من الفطرة الّتي تلتقي بالحقيقة كلّها، من خلال ينابيع الصّفاء و الوجدان.

(٢١ : ١٤٣)

رَشِيدٌ

١ـ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّـئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هٰؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ. هود: ٧٨

ابن عبّاس: يدلّهم على الصّواب، و يأمرهم بالمعروف، و ينهاهم عن المنكر. (١٨٩)

أي مؤمن. (الماوَرْديّ ٢: ٤٨٩)

عِكْرِمَة: رجل يقول: لا إله إلّا الله.

(البغويّ ٢: ٤٥٩)

ابن إسحاق: أي رجل يعرف الحقّ و ينهى عن المنكر؟ (الطّبَريّ ٧: ٨٤)

رجل يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر.

(البغويّ ٢: ٤٥٩)

الطّبَريّ: يقول: أليس منكم رجل ذو رُشد، ينهى من أراد ركوب الفاحشة من ضيفي، فيحول بينهم و بين ذلك؟ (٧: ٨٤)

الطُّوسيّ: الرّشيد: هو الّذي يعمل بما يقتضيه عقله، لأنّه يدعو إلى الحقّ، و منه الإرشاد في الطّرق، فقال: أما منكم من يدعو إلى الحقّ و يعمل به. و نقيض الرّشد: الغيّ. (٦: ٤٠)

البغويّ: صالح سديد. (٢: ٤٥٩)

الزّمَخْشَريّ: رجل واحد يهتدي إلى سبيل الحقّ، و فعل الجميل، و الكفّ عن السّوء. (٢: ٢٨٣)

مثله النّسَفيّ. (٢: ١٩٩)

ابن عَطيّة: أي يزعكم و يردّكم. (٣: ١٩٥)

الطَّبْرِسيّ: أي أليس في جملتكم رجل قد أصاب الرّشد، فيعمل بالمعروف و ينهى عن المنكر، و يزجر هؤلاء عن قبيح فعلهم. و يجوز أن يكون ﴿رَشِيدٌ﴾ بمعنى مُرشد، أي يُرشدكم إلى الحقّ.

(٣: ١٨٤)

الفَخْر الرّازيّ: و فيه قولان:

الأوّل: ﴿رَشِيدٌ﴾ بمعنى مُرشد، أي يقول الحقّ، و يردّ هؤلاء الأوباش عن أضيافي.

و الثّاني: ﴿رَشِيدٌ﴾ بمعنى مُرشَد، و المعنى: أليس فيكم رجل أرشده الله تعالى إلى الصّلاح، و أسعده بالسّداد و الرّشاد حتّى يَمنَع عن هذا العمل القبيح. و الأوّل أولى. (١٨: ٣٤)

القُرطُبيّ: أي شديد، يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر. و قيل: ﴿رَشِيدٌ﴾ أي ذو رَشَد، أو بمعنى راشد أو مُرشِد، أي صالح أو مُصلِح.

ابن عبّاس: مؤمن. أبومالك: ناهٍ عن المنكر.

و قيل: الرّشيد بمعنى الرّشَد؛ و الرّشَد و الرّشاد: الهدى و الاستقامة. و يجوز أن يكون بمعنى المرشِد، كالحكيم بمعنى المحكِم. (٩: ٧٧)

البَيْضاويّ: يهدي إلى الحقّ، و يرعوي عن القبيح. (١: ٤٧٦)

نحوه أبوالسُّعود (٣: ٣٣٦)، و القاسميّ (٩: ٣٤٧١).

البُرُوسَوي: رجل واحد يهتدي إلى الحقّ، و يرعوي عن القبيح.

و في «التّأويلات النّجميّة»: رجل رشيد يقبل نُصحي، و يتوب إلى الله بالصّدق فينجّيكم من العذاب ببركته، انتهى.

و ذلك لأنّ الواحد على الحقّ كالسّواد الأعظم و كالإكسير. (٤: ١٦٧)

الآلوسيّ: يهتدي إلى الحقّ الصّريح، و يرعوي عن الباطل القبيح. و عن ابن عبّاس أنّه قال: يأمر بمعروف أو ينهى عن منكر، و هو إمّا بمعنى ذو رَشَد أو بمعنى مُرْشِد كالحكيم بمعنى المُحكِم. و الاستفهام للتّعجّب، و حمله على الحقيقة لايناسب المقام. (١٢: ١٠٧)

رشيد رضا: ذو رَشَد يعقل هذا فيرشدكم إليه؟ (١٢: ١٣٥)

المَراغيّ: أي أليس منكم رجل ذو رَشَد و حكمة، ينهى من أرادوا ركوب الفاحشة من ضيوفي، فيحُول بينهم و بين مايريدون. (١٢: ٦٤)

مَغْنيّة: عاقل يحول بينكم و بين ما تريدون؟. (٤: ٢٥٣)

مكارم الشّيرازيّ: تعبير لوط ﴿أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾ في آخر كلامه مع قومه المنحرفين يكشف عن هذه الحقيقة، و هي أنّ وجود رجل ـ و لو رجل واحد رشيد ـ بين قوم ما و قبيلة ما، يكفي لردعهم من أعمالهم المخزية، أي لو كان فيكم رجل عاقل ذو لُبّ و رشد، لما قصدتم بيتي ابتغاء الاعتداء على ضيفي!

هذا التّعبير يوضّح بجلاء أثر «الرّجل الرّشيد» في قيادة المجتمعات الإنسانيّة، و هو الواقع الّذي وجدنا نماذج كثيرة منه. (٧: ٢٠)

فضل الله: عاقل، يفكّر بطريقة متّزنة و يُدير الأمر على أساس العدل و الحكمة. (١٢: ١٠٤)

٢ ـ ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾. هود: ٩٧

ابن عبّاس: بصواب. (١٩١)

الطّبَريّ: يعني: أنّه لايُرشد أمر فرعون من قبله منه، في تكذيب موسى إلى خير، و لايهديه إلى صلاح، بل يورده نار جهنّم. (٧: ١٠٨)

الواحديّ: بمُرْشد إلى خير. (٢: ٥٨٨)

الفخر الرّازيّ: أي بمُرْشد إلى خير، و قيل: رشيد، أي ذي رشد.

و اعلم أنّ بعد طريق فرعون عن الرّشد كان ظاهرًا، لأنّه كان دهريًّا نافيًا للصّانع و المعاد، و كان يقول: لاإله للعالَم، و إنّما يجب على أهل كلّ بلد أن يشتغلوا بطاعة سلطانهم و عبوديّته، رعايةً لمصلحة العالَم، و أنكر أن يكون الرّشد في عبادة الله و معرفته. فلمّا كان هو نافيًا لهذين الأمرين، كان خاليًا عن الرّشد بالكلّيّة. (١٨: ٥٣)

القُرطُبيّ: بسديد يؤدّي إلى صواب. و قيل: ﴿بِرَشِيدٍ﴾ أي بمرشد إلى خير. (٩: ٩٣)

البَيْضاويّ: مرشدٌ أو ذي رشد، و إنّما هو غيّ محض و ضلال صريح. (١: ٤٨٠)

نحوه القاسميّ. (٩: ٣٤٨٣)

أبو حَيّان: يحتمل أن يكون رشيد بمعنى راشد، و يكون رشيد بمعنى مُرْشد، أي يُرْشد إلى الخير. (٥: ٢٥٨)

أبو السُّعود: الرُّشد: ضدّ الغيّ، و قد يراد به محموديّة العاقبة، فهو على الأوّل بمعنى المُرْشد حقيقة لغويّة و الإسناد مجازيّ، و على الثّاني مجاز و الإسناد حقيقيّ. (٣: ٣٤٩)

البُرُوسَويّ: قيل: الرّشد مستعمل في كلّ ما يُحمَد و يُرتضَى كما استُعمل الغيّ في كلّ ما يُذَمّ و يتسخّط، فهو ضدّ الغيّ.

و الرّشيد: بمعنى المُرْشد، و الإسناد مجازيّ.

و المعنى: و ما هو مُرْشد إلى خير، و هو غيّ محض، و ضلال صريح. و إنّما يتّبع العقلاء من يرشدهم و يهديهم، لا من يضلّهم و يغويهم، و فيه تجهيل لمتّبعيه. (٤: ١٨٣)

الآلوسيّ: أي براشد أو بذي رشد، و الرّشد ضدّ الغيّ، و إسناده إلى الأمر مجازيّ، و كأنّ في العدول عن أمر فرعون غيّ و ضلال، إلى ما في النّظم الكريم زيادة في تقبيح فعلهم، و تحسيرًا لهم على فوات ما فيه صلاح الدّارين، أعني الرّشد.

و يجوز أن يُجعَل الرّشد كناية عن المحموديّة، و الإسناد حقيقيّ، أي و ما أمر فرعون بصالح حميد العاقبة. (١٢: ١٣٣)

رشيد رضا: أي ما شأنه و تصرّفه بذي رشد و هدًى، بل هو محض الغيّ و الضّلال، و الظّلم و الفساد، في غروره بنفسه، و كفره بربّه، و طغيانه في حكمه، و ماذا يكون جزاؤه مع قومه في الآخرة. (١٢: ١٥٢)

المَراغيّ: أي و ما شأنه و تصرّفه بصالح حميد العاقبة، بل هو محض غيّ و ضلال، ظلم و فساد، لغروره بنفسه، و كفرانه بربّه، و طغيانه في حكمه. (١٢: ٧٩)

ابن عاشور: و الرّشيد: فعيل من «رَشَد» من باب نصر و فرح، إذا اتّصف بإصابة الصّواب، يقال: أرشدك اللّه.

و أُجري وصف رشيد على الأمر مجازًا عقليًّا. و إنّما الرّشيد الآمر مبالغة، في اشتمال الأمر على ما يقتضي انتفاء الرّشد، فكأنّ الأمر هو الموصوف بعدم الرّشد.

و المقصود: أنّ أمر فرعون سَفَهٌ؛ إذ لا واسطة بين الرّشد و السّفه. و لكن عدل عن وصف أمره بالسّفه إلى نفي الرّشد عنه، تجهيلًا للّذين اتّبعوا أمْرَه، لأنّ شأن العقلاء أن يتطلّبوا الاقتداء بما فيه صلاح، و أنّهم اتّبعوا ما ليس فيه أمارة على سداده و استحقاقه لأن يُتّبع، فماذا غرّهم باتّباعه. (١١: ٣٢٤)

الطَّباطَبائيّ: و الرّشيد فعيل من الرّشد خلاف الغيّ، أي و ما أمر فرعون بذي رشد حتّى يهدي إلى الحقّ، بل كان ذا غيّ و جهالة. و قيل: الرّشيد بمعنى المرشد.

و في الجملة أعني قوله: ﴿وَمَا اَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾، وُضع الظّاهر موضع المضمر، و الأصل

«أمره»، و لعلّ الفائدة فيه ما يفيده اسم فرعون من الدّليل على عدم رشد الأمر، و لايستفاد ذلك من الضّمير ألبتّة. (١٠: ٣٨٠)

و فيها بحوث راجع: أم ر: «أمْرَ فِرْعَوْنَ».

الرَّشيدُ

قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ اٰبَاؤُنَا اَوْ اَنْ نَفْعَلَ فِى اَمْوَالِنَا مَا نَشٰٓـؤُا اِنَّكَ لَاَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ. هود: ٨٧

راجع: ح ل م: «الحليم».

مُرْشِدًا

مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَ مَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا. الكهف: ١٧

ابن عبّاس: موفّقًا يُوفّقه للهدى. (٢٤٥)

الطّبَريّ: يقول: فلن تجد له يا محمّد خليلًا و حليفًا يُرشده لإصابتها، لأنّ التّوفيق والخِذْلان بيد الله، يُوفّق من يشاء من عباده، و يخذل من أراد. يقول: فلايحزنْك إدبار من أدبرَ عنك من قومك، و تكذيبهم إيّاك، فإنّي لو شئتُ هديتهم فآمنوا، و بيدي الهداية و الضّلال. (٨: ١٩٤)

الطُّوسيّ: أي مُعينًا و ناصرًا يُرشده إلى الجنّة و الصّواب. (٧: ٢١)

أبو السُّعود: يهديه إلى ما ذكر من الفلاح، لاستحالة وجوده في نفسه، لا لأنّك لاتجده مع وجوده أو إمكانه. (٤: ١٧٨)

نحوه البُرُوسَويّ (٥: ٢٢٥)، و القاسميّ (١١: ٤٠٣١).

الآلوسيّ: يهديه إلى الحقّ، و يُخلّصه من الضّلال، لاستحالة وجوده في نفسه، لا أنّك لاتجده مع وجوده أو إمكانه؛ إذ لو أُريد مدحهم لاكتفى بقوله تعالى: ﴿فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾، و فيه أنّه لايطابق المقام، و المقابلة لاتنافي المدح بل تؤكّده.

ففيه تعريض بأنّهم أهل الولاية و الرّشاد، لأنّ لهم الوليّ المرشد. و لعلّ في الآية صنعة الاحتباك. (١٥: ٢٢٤)

ابن عاشور: و المرشد: الّذي يُبيّن للحيوان وجه الرّشد، و هو إصابة المطلوب من الخير. (١٥: ٣٥)

الوُجوه و النّظائر

الحيريّ: الرّشد على سبعة أوجُه:

أحدها: الحقّ، كقوله: ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ البقرة: ٢٥٦

و الثّاني: الحفظ في المال و الصّلاح في الدّين، كقوله: ﴿فَإِنْ اٰنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا﴾ النّساء: ٦

و الثّالث: الإسلام، كقوله: ﴿وَ إِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَايَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ الأعراف: ١٤٦

و الرّابع: المخرج، كقوله: ﴿وَ هَيِّئْ لَنَا مِنْ اَمْرِنَا رَشَدًا﴾ الكهف: ١٠

و الخامس: موفّقًا، كقوله: ﴿مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَ مَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ الكهف: ١٧

و السّادس: الهدى، كقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ البقرة:١٨٦، و قوله: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ الكهف: ٦٦، و قوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ الحجرات: ٧

و السّابع: الصّواب، ﴿فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ الجنّ: ١٤

الرّشيد على وجهين:

أحدهما: من يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر، و يدلّ على الصّلاح، كقوله: ﴿أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾ هود: ٧٨

و الثّاني: الضّالّ، كقوله: ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ هود: ٨٧

و هذا من المقلوبات، معناه أنت السّفيه الضّالّ. (٢٨٢)

الأصول اللّغويّة

١ ـ الأصل في هذه المادّة: الرُّشْد: نقيض الغيّ. و هو الرَّشَد و الرَّشاد أيضًا. يقال: رَشَدَ الإنسان يَرْشُد رُشْدًا، و رَشِدَ يَرْشَدُ رَشَدًا و رَشادًا، إذا أصاب وجه الأمر و الطّريق، فهو راشد و رشيد.

و أرشده الله و أرشده إلى الأمر و رشّده: هداه.

و استرشده: طلب منه الرُّشْد. يقال: استرشد فلان لأمره، إذا اهتدى له، و أرشدته فلم يسترشد.

و إذا أرشدك إنسان الطّريق فقل: لا يَعْمَ عليك الرُّشْد.

و الطّريق الأرشد: الطّريق الأقصد.

و المَراشِد: مقاصد الطّريق.

و هذا ولد رِشْدَة و رَشْدَة، إذا كان لنكاح صحيح. يقال: ولد فلان لغير رِشْدَة و رَشْدَة. و في الحديث: «من ادّعى ولدًا لغير رِشْدَة فلا يرث و لا يورث».

و يقال: يا رَشْدَين، أي راشد.

٢ ـ و يطلق لفظ المُرشِد في الفارسيّة على من يحذق مبادئ رياضة القوى القديمة و يحافظ عليها، و يُرْشِد الرّياضيّين إلى نهجها، و يلهب حماسهم عند ممارستها بالضّرب على الطّبل و إنشاد الشّعر الحماسيّ.

و المُرشِد عند الإيرانيّين أيضًا: القائد و المربّي، و هم يطلقونه اليوم على السّيّد الخامنئيّ قائد الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة. و سرى هذا الاستعمال في وسائل الإعلام العربيّة؛ إذ كثيرًا ما تُستعمل عبارة: مُرشِد الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة، تريد بذلك السّيّد الخامنئيّ، و يكاد يقتصر هذا المعنى عليه دون غيره.

الاستعمال القرآنيّ

جاء منها مجرّدًا المصدر: (رُشْد) ٦ مرّات، و (رَشَد) ٥ مرّات، و (رَشاد) مرّتين، و المضارع (يَرْشُدُون)، و اسم الفاعل (راشِدُون) كلّ منهما مرّة، و الصّفة (رَشِيد) ٣ مرّات، و مزيدًا اسم الفاعل (مُرْشِدًا) مرّة، في ١٩ آية:

التوحيد والذكر والدعاء:

١ - ﴿وَاِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ البقرة: ١٨٦

٢ - ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾

الكهف: ٢٤

٣ - ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا * قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ الجن: ٢٠، ٢١

الإيمان والكفر:

٤ - ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة: ٢٥٦

٥ - ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾

الحجرات: ٧

٦ - ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ الأعراف: ١٤٦

القصص: إبراهيم

٧ - ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ الأنبياء: ٥١

لوط

٨ - ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾ هود: ٧٨

شعيب

٩ - ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ هود: ٨٧

موسى

١٠ - ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ * إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ هود: ٩٦، ٩٧

١١ - ﴿يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ المؤمن: ٢٩

١٢ - ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ المؤمن: ٣٨

أصحاب الكهف

١٣ - ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ الكهف: ٦٦

١٤ - ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾

الكهف: ١٠

١٥ـ ﴿وَ تَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَ إِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَ هُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذٰلِكَ مِنْ اٰيَاتِ اللهِ مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَ مَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ الكهف: ١٧

القرآن و إيمان الجنّ به:

١٦ـ ﴿قُلْ اُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْاٰنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَاٰمَنَّا بِهِ وَ لَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا اَحَدًا﴾ الجنّ: ١، ٢

١٧ـ ﴿وَ اَنَّا لَا نَدْرِي اَشَرٌّ اُرِيدَ بِمَنْ فِي الْاَرْضِ اَمْ اَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ الجنّ: ١٠

١٨ـ ﴿وَ اَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَ مِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ اَسْلَمَ فَاُولٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ الجنّ: ١٤

التّشريع:

١٩ـ ﴿وَ ابْتَلُوا الْيَتَامٰى حَتّٰى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ اٰنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ اَمْوَالَهُمْ وَ لَا تَاْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَ بِدَارًا اَنْ يَكْبَرُوا وَ مَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَ مَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَاْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ اَمْوَالَهُمْ فَاَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَ كَفٰى بِاللهِ حَسِيبًا﴾ النّساء: ٦

و يلاحظ أوّلًا: أنّ فيها أربعة محاور: التوحيد و ما يتبعه من الذّكر و الدّعاء، و الإيمان و الكفر، و القصّة و التّشريع.

أمّا المحور الأوّل: ففيه ثلاث آيات:

أولاها: (١): الآية: ١٨٦، من سورة البقرة: ﴿...وَ لْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾:

١ـ و قبلها و بعدها الآيات (١٨٣ ـ ١٨٧) في أحكام الصّيام، و هذه الآية خاصّةً جاءت خلالها في الدّعاء، كأنّ بين الدّعاء و الصّيام مناسبة خاصّة، فينبغي الدّعاء صائمًا للمؤمن.

٢ـ و محتواها خطاب إلى النّبيّ ﷺ أنّه إذا سألك عبادي عنّي، فقل لهم: إنّي قريب منهم أُجيب دعوة من يدعوني، فينبغي لهم أيضًا أن يستجيبوا لي إذا دعوتهم كما استُجيب لهم، و أن يؤمنوا بي فبذلك يرشدون.

٣ـ قالوا في ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾: لكي يهتدوا فيُستجاب لهم الدّعاء، لعلّهم يهتدون، و ليهتدوا بذلك من فعلهم فيرشدوا، ليكونوا على رجاء من إصابة الرّشد، و هو نقيض الغيّ، ليس القصد من تكليفك و دعائك إلّا وصولك إلى رُشدك.

٤ـ و قال الطّبرسيّ (١: ٢٧٨) في «اللّغة»: «أجاب و استجاب بمعنى. [ثمّ استشهد بشعر]

و قال المُبرّد: بينهما فرق، و هو أنّ في الاستجابة معنى الإذعان، و ليس ذلك في الإجابة، و أصله من «الجوب» و هو القطع. يقال: جاب البلاد يجوبها جوبًا، إذا قطعها، و اجتاب الظّلام بمعناه، والجابة و الإجابة بمعنى.

و الصّحيح أنّ الجابة و الطّاعة و الطّاقة، و نحوها أسماء بمعنى المصادر. و أجاب عن السّؤال جوابًا، و انجاب السّحاب، إذا انقشع. و أصل الباب: القطع، فإجابة السّائل: القطع بما سأل، لأنّ سؤاله على الوقف أيكون أم لا يكون؟

و الرُّشد: نقيض الغيّ، رشَد يَرْشُد رُشْدًا، و رَشِد يَرْشِد رَشَدًا، و رجل رشيد، و وُلِد فلان لرُشدة: خلاف لزنية.

و أصل الباب: إصابة الخير؛ و منه الإرشاد، و هو الدّلالة على وجه الإصابة للخير».

٥ ـ و قال في «المعنى»: «لـمّا ذكر سبحانه الصّوم، عقّبه بذكر الدّعاء و مكانه منه، و إجابته إيّاه، فقال: ﴿وَ إِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾». ثمّ فسّر الآية بما ذا كان السّؤال و الإجابة، و طرح سؤالًا لماذا ندعو فلا يستجاب؟ و أجاب عنه فلاحظ.

و ثانيتها: (٢): الآية: ٢٤، من سورة الكهف: ﴿...عَسٰى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هٰذَا رَشَدًا﴾.

١ ـ و هذه الآية: ٢٤، من جملة قصّة «أصحاب الكهف»: بدءً من الآية: ٩، ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَ الرَّقِيمِ...﴾، و ختمًا بالآية: ٢٦، ﴿قُلِ اللّٰهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا...﴾.

٢ ـ و هي من تتمّة حكاية الاختلاف في عدّتهم من قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلٰثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ...﴾ خطابًا إلى النّبيّ ﷺ فيها: ﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ﴾، إلى أن قال: ﴿وَ لَا تَقُولَنَّ لِشَايْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذٰلِكَ غَدًا * إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللّٰهُ وَ اذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَ قُلْ عَسٰى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هٰذَا رَشَدًا﴾ ثمّ رجع إلى تتمّة قصّتهم فقال: ﴿وَ لَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلٰثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَ ازْدَادُوا تِسْعًا﴾.

٣ ـ و قالوا في ﴿رَشَدًا﴾: صوابًا و يقينًا. لاحظ: هـ د ي: «يهدين».

٤ ـ و قال الطّبْرِسيّ (٣: ٤٦١) ﴿وَ اذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾: [و ذكر فيها وجوهًا لاحظ: ن س ي: «نسيت»]

و ثالثتها: (٣): الآية: ٢١، من سورة الجنّ: ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَ لَا رَشَدًا﴾.

١ ـ و هذه الآية و الآية قبلها: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَ لَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ جاءتا بعد آيات الجنّ من أوّل السّورة إلى هاتين الآيتين، فقد بدأت بـ ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ...﴾، و استدامت إلى الآية: ١٩، منها: ﴿وَ أَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللّٰهِ يَدْعُوهُ كَادُوا...﴾.

٢ ـ و محتواها خطابٌ و أمرٌ من الله تعالى إلى النّبيّ ﷺ بأن يقول للمشركين: إنّي أدعو ربّي وحده، و لا أشرك به أحدًا، و إنّي لا أملك لكم ضرًّا و لا نفعًا.

٣ ـ و قالوا في ﴿لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَ لَا رَشَدًا﴾: و لأجر النّفع و الهدى. ضرًّا لمن آمن و لا رشَدًا لمن كفر. وفيه ثلاثة أوجُه: ١ ـ عذابًا و لا نعيمًا. ٢ ـ موتًا و لا حياةً. ٣ ـ ضلالًا و لا هدًى.

إنّي لا أقدر على دفع الضّرّ عنكم، و لا إيصال الخير إليكم، و إنّما يقدر على ذلك الله تعالى، و إنّما أقدر على أن أدعوكم إلى الخير و أهديكم إلى طريق الرّشاد، لا أسوق لكم أو إليكم رشدًا، أي خيرًا، إنّ الله يملكه.

٤ ـ و عن الزّمخشريّ: أنّ الرُّشد هو النّفع لمن أراد بالضّرّ الغيّ، و يؤيّده قراءة أُبيّ (غيًّا

وَ لَا رَشَدًا ﴾.

٥ ـ و قال الطّبرسيّ (٥: ٣٧٣): «ثمّ خاطب سبحانه نبيّه ﷺ فقال: ﴿قُلْ﴾ يا محمّد للمكلّفين ﴿إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَ لَا رَشَدًا﴾ أي لا أقدر على دفع الضّرر عنكم، و لا إيصال الخير إليكم، و إنّما القادر على ذلك هو الله تعالى، و لكنّي رسول ليس عليّ إلّا البلاغ و الدّعاء إلى الدّين، و الهداية إلى الرّشاد. و هذا اعتراف بالعبوديّة، و إضافة الحول و القوّة إليه تعالى».

٦ ـ و قد جاء فيها ﴿رَشَدًا﴾ بدل «رُشْدًا» رعاية لرويّ الآيات جميعًا في السّورة، فلاحظ.

و أمّا المحور الثّاني: الإيمان و الكفر، ففيه ثلاث آيات (٤ ـ ٦):

أولاها: (٤): الآية: ٢٥٦، من سورة البقرة: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ...﴾.

١ ـ و هذه الآية جاءت بعد آية الكرسيّ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ... وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضَ...﴾، و محتواها بيان الرّشد و الغيّ، و أنّه لا إكراه في الدّين.

٢ ـ و قالوا في ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾: الإيمان من الكفر و الحقّ من الباطل.

و قال الطّبريّ في ﴿الرُّشْدُ﴾: «إنّه مصدر من قول القائل: رَشِدْتُ فأنا أَرْشَدُ رَشَدًا و رُشْدًا و رَشادًا، و ذلك إذا أصاب الحقّ».

و قال العُكبَريّ: «و ﴿الرُّشْدُ﴾: بضمّ الرّاء و سكون الشّين هو المشهور، و هو مصدر من «رَشَد» بفتح الشّين، «يَرْشُد» بضمّها.

و يُقرأ بفتح الرّاء و الشّين، و فعله رَشِد يَرْشَد مثل عَلِم يَعْلَم». [لاحظ: ب ي ن: «تبيّن»]

٣ ـ و قال الطّبرسيّ (١: ٣٦٣) في «اللّغة»: «الرُّشْد: نقيض الغيّ، و هو الرُّشْد و الرَّشَد، و تقول: غوى يغوي غيًّا و غَواية، إذا سلك طريق الهلاك. و غوي، إذا خاب... و غوى الفصيل يغوي غوًى، إذا قُطع عن اللّبن حتّى يكاد يهلك. و الطّاغوت: وزنها في الأصل «فَعْلوت»، و هو مصدر مثل الرّغبوت و الرّهبوت و الرّحموت...». [ثمّ ذكر النّزول و المعنى تفصيلًا فلاحظ]

و ثانيتها: (٥): الآية: ٧، من سورة الحجرات ﴿أُولٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ و محتواها أنّ الرّسول فيكم و لا يطيعكم في كثير من الأمور، و قد حبّب الله إليكم الإيمان، و زيّنه في قلوبكم، و كرّه إليكم الكفر و الفسوق و العصيان، و الّذين هذه صفتهم فهم راشدون.

١ ـ و قالوا في ﴿الرَّاشِدُونَ﴾: المهتدون، السّالكون طريق الحقّ، المهتدون إلى طريق الحقّ الّذين أصابوا الرّشد، المهتدون إلى محاسن الأمور، الرُّشد: الاستقامة على طريق الحقّ مع تصلّب فيه من الرّشاد و هي الصّخرة، و كلّ صخرة رشاد، هم الّذين أصابوا الرُّشد و اهتدوا إلى الجنّة، هم الّذين أصابوا الطّريق السّويّ و نحوها.

٢ ـ و قال الطّباطبائيّ: «بيان أنّ حبّ الإيمان و الانجذاب إليه، و كراهة الكفر و الفسوق

و العصيان، هو سبب الرّشد الّذي يطلبه الإنسان بفطرته، و يتنفّر عن الغيّ الّذي يقابله. فعلى المؤمنين أن يلزموا الإيمان و يتجنّبوا الكفر و الفسوق و العصيان، حتّى يرشدوا و يتّبعوا الرّسول، و لا يتّبعوا أهواءهم.

و لـمّا كان حبّ الإيمان و الانجذاب إليه، و كراهة الكفر و نحوه صفة بعض من كان الرّسول فيهم دون الجميع، كما يصرّح به الآية السّابقة، و قد وصف بذلك جماعتهم تحفّظًا على وحدتهم، و تشويقًا لمن لم يتّصف بذلك منهم غيّر السّياق، و التفت عن خطابهم إلى خطاب النّبيّ ﷺ...».

و ثالثتها: (٦): الآية: ١٤٦، من سورة الأعراف: ﴿...وَ إِنْ يَرَوْا كُلَّ اٰيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَ إِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا...﴾، و محتواها أنّ الآية يصرف عن آياتها المتكبّرين بغير الحقّ، الّذين لا يؤمنون بأيّ آية، و لا يتّخذوا سبيل الرّشد، بل يتّخذوا سبيل الغيّ...

١ـ قالوا في ﴿سَبِيلَ الرُّشْدِ﴾: طريق الإسلام و الخير، طريق الهدى و السّداد، الرُّشد: الإيمان، و الرُّشد: الهداية، سبيل الصّلاح، الهداية و البيان الّذي جاء من الله، سبيل الهدى و الدّين الحقّ، و الصّواب في العلم و العمل.

٢ـ و قد جاء في النّصوص الاختلاف في القراءة: رُشْد و رَشَد و الفرق بينهما، و معنى الرُّشد و الغيّ، فلاحظها.

٣ـ و من جملتها قال الطّبرسيّ (٢: ٤٧٧) في «اللّغة»: «الرُّشد: سلوك طريق الحقّ، يقال: رشَد يَرْشُد رَشادًا، و رَشِد، يَرْشَد، رُشدًا، و رَشَدًا، و ضدّه الغيّ، غوى يغوى غيًّا و غواية».

٤ـ و قال في «المعنى» ﴿وَ إِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ﴾: «يعني إن يروا طريق الهدى و الحقّ، لا يتّخذوه طريقًا لأنفسهم.

﴿وَ إِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ﴾ أي طريق الضّلال ﴿يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ أي طريقًا لأنفسهم، و يميلون إليه.

و قيل: الرُّشد: الإيمان، و الغيّ: الكفر.

و قيل: الرُّشد: كلّ أمر محمود، و الغيّ: كلّ أمر قبيح مذموم...».

٥ـ و قد جاء في هذه الآية، و في: ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ الرُّشد و الغيّ معًا، دون سائر الآيات التّسع عشرة من ﴿الرُّشْد﴾.

و أمّا المحور الثّالث: «القصّة» ففيها: ١٠ آيات:

أُولاها: (٧) في إبراهيم ﷺ، و هي الآية: ٥١، من سورة الأنبياء: ﴿وَ لَقَدْ اٰتَيْنَا إِبْرٰهِيمَ رُشْدَهُ...﴾.

وهذه أُولى آية من قصّته في هذه السّورة، و أُخراها الآية: ٧٢، ﴿وَ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحٰقَ وَ يَعْقُوبَ نَافِلَةً...﴾.

١ـ قالوا في ﴿رُشْدَهُ﴾ يعني العلم و الفهم، هديناه صغيرًا، آتيناه هداه، هُداه إذ كان في السَّرَب حتّى بلّغه الله ما بلّغه، وفّقناه للحقّ، و أنقذناه من بين قومه و أهل بيته من عبادة الأوثان، كما فعلنا ذلك بمحمّد ﷺ... آتيناه هداه حدَثًا، و هو مثل قوله:

﴿وَ لَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَيهَا﴾ السّجدة: ١٣، ﴿رُشْدَهُ﴾: النّبوّة، آتيناه من الحجج والبيّنات ما يوصله إلى رشده من معرفة الله و توحيده، هديناه صغيرًا، الرُّشد: الاهتداء لوجوه الصّلاح، الرُّشد عامّ في هدايته إلى رفض الأصنام، و في هدايته في أمر الكوكب و الشّمس و القمر و غير ذلك من النّبوّة فما دونها، الحجج الّتي توصله إلى الرُّشد من معرفة الله و توحيده و نحوها.

و في نصّ الفَخر الرّازيّ و غيره وجوه في «الرُّشد» فلاحظ.

٢ـ و جاءت فيها القراءة بـ(رُشْد) و (رَشَد)، و الفرق بينهما، و معنى ﴿الْفَتى﴾ و نحوها.

٣ـ و قال الطَّبْرسيّ (٤: ٥٢): «ثمّ عطف سبحانه على ما تقدّم من قصّة موسى و هارون قصّة إبراهيم عليه السلام [و ذكر الآية و تفسيرها إلى أن قال:]

﴿مِنْ قَبْلُ﴾ أي من قبل موسى. و قيل: من قبل محمّد صلى الله عليه و آله و سلم و القرآن. و قيل: من قبل بلوغه ﴿وَ كُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ أنّه أهل لإيتاء الرّشد، و صالح للنّبوّة».

و الثّانية: (٨) في (لوط) و هي الآية: ٧٨، من سورة هود: ﴿...أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾.

١ـ و هي الآية الثّانية من قصّة لوط في هذه السّورة، بدءً بالآية: ٧٧، منها: ﴿وَ لَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ...﴾، و ختمًا بالآية: ٨٣، منها: ﴿مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَ مَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾.

٢ـ و محتواها خطاب «لوط» قومه الّذين جاؤوه ليفحشوا بضيوفه من الملائكة، ظنًّا منهم أنّهم بشر، إذ قال لهم: ﴿يَا قَوْمِ هٰؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللهَ وَ لَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾.

٣ـ و قالوا في ﴿رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾: رجل يقول لا إله إلّا الله، رجل يعرف الحقّ و ينهى عن المنكر، رجل يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر، و رجل ذو رُشد ينهى من أراد رُكوب الفاحشة من ضيفي، فيحول بينهم و بين ذلك صالح سديد، رجل واحد يهتدي إلى سبيل الحقّ و فعل الجميل، و الكفّ عن السّوء، و نحوها.

٤ـ و قال الطَّبْرسيّ (٣: ١٨٤): «﴿وَ لَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي﴾ أي لا تُلزموني عارًا، و لا تلحقوا بي فضيحةً، و لا تخجلوني بالهجوم على أضيافي، فإنّ الضّيف إذا نزل به معرّة، لحق عارها للمُضيف ﴿أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾ أي أليس في جملتكم رجل قد أصاب الرّشد، فيعمل بالمعروف، و ينهى عن المنكر، و يزجر هؤلاء عن قبيح فعلهم؟ و يجوز أن يكون ﴿رَشِيدٌ﴾ بمعنى مُرشد، أي يرشدكم إلى الحقّ».

٥ـ و قال الفَخر الرّازيّ: «فيه قولان: الأوّل: ﴿رَشِيدٌ﴾ بمعنى مُرشد، أي يقول الحقّ و يردّ هؤلاء الأوباش عن أضيافي.

و الثّاني: ﴿رَشِيدٌ﴾ بمعنى مُرشد، و المعنى: أليس فيكم رجل أرشده الله تعالى إلى الصّلاح، و أسعده بالسّداد و الرّشاد حتّى يمنع عن هذا العمل القبيح، و الأوّل أولى».

و الثّالثة: (٩) في «شُعيب» و هي الآية: ٨٧، من سورة هود: ﴿...إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾:

١ ـ و هذه من جملة قصّة شُعيب في هذه السّورة، بدءً بالآية: ٨٤، منها: ﴿وَ إِلٰى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾، وختمًا بالآية: ٩٥، منها: ﴿كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا...﴾.

٢ ـ و محتواها أنّه بعد أن دعا قومه ﴿مَدْيَنَ﴾ إلى عبادة الله تعالى و توحيده، و أمرهم بإيفاء المكيال و الميزان، و نهاهم عن بَخْس النّاس أشياءهم، و عن الفساد في الأرض، قالوا له: ﴿أَصَلٰوتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشٰؤُا إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ فإنّهم مع اعترافهم بأنّ شُعيبًا رجل حليم رشيد خالفوه فيما أمرهم و نهاهم عنه.

٣ ـ و قال الطّبْرِسيّ (٣: ١٨٨) في تفسير قوله: ﴿أَصَلٰوتُكَ تَأْمُرُكَ...﴾: «إنّما قالوا ذلك، لأنّ شعيبًا عليه السلام كان كثير الصّلاة، و كان يقول إذا صلّى: إنّ الصّلاة رادعة عن الشّرّ، ناهية عن الفحشاء و المنكر، فقالوا: أصلاتك الّتي تزعم أنّها تأمر بالخير، و تنهى عن الشّرّ أمرتك بهذا، عن ابن عبّاس.

و قيل: معناه: أدينك يأمرك بترك دين السّلف، عن الحسن، و عطاء، و أبي مسلم. قالوا: كنّى عن الدّين بالصّلاة، لأنّها من أجلّ أمور الدّين، و إنّما قالوا ذلك على وجه الاستهزاء.

﴿أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشٰؤُا﴾ معناه: أصلاتك تأمرك بترك عبادة ما يعبد آباؤنا، أو بترك فعل ما نشاء في أموالنا من البخس و التّطفيف؟

﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ قيل: إنّهم قالوا ذلك على وجه الاستهزاء و التّهكّم، و أرادوا به ضدّ ذلك، أي السّفيه الغاوي، عن ابن عبّاس.

و قيل: إنّهم قالوا ذلك على التّحقيق، أي إنّك أنت الحليم في قومك، فلا يليق بك أن تخالفهم.

و ﴿الْحَلِيمُ﴾: الّذي لا يعاجل بالعقوبة مستحقّها.

و ﴿الرَّشِيدُ﴾: المُرشد».

و أربع منها (١٠ ـ ١٣) في موسى عليه السلام:

الأُولى: (١٠) الآيتان (٩٦ و ٩٧) من سورة هود: ﴿وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسٰى بِآيَاتِنَا...وَ مَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾.

١ ـ و هاتان الآيتان ابتداء قصّة موسى و فرعون في هذه السّورة، و آخرها الآية: ٩٩، ﴿وَ أُتْبِعُوا فِي هٰذِهِ لَعْنَةً وَ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾.

٢ ـ و محتواها أنّ الله تعالى أرسل موسى بآياته إلى فرعون و ملئه، فكفروا به، و اتّبعوا أمر فرعون، و ليس أمره ذا رُشد بل ضلال و كفر.

٣ ـ و قالوا في ﴿بِرَشِيدٍ﴾: بصواب، لا يُرشد أمر فرعون، بمُرشد إلى خير، ذي رُشد، بسديد يُؤدّي إلى صواب ذي رُشد، و إنّما هو غيّ محض و ضلال صريح، براشد أو بذي رُشد، ما شأنه و تصرّفه بذي رشَد و هدى، بل هو محض الغيّ و الضّلال و الظّلم و الفساد في غروره بنفسه، و كفره بربّه و طغيانه في حكمه، و ما شأنه وتصرّفه بصالح حميد العاقبة بل

هو محض غيّ، إنّ أمر فرعون سفه؛ إذ لا واسطة بين الرُّشد و السّفه، و ما كان أمر فرعون بذي رشد حتّى يهدي إلى الحقّ، بل كان ذا غيّ و جهالة، و نحوها.

٤ـ و قال الطّبرسيّ (٣: ١٩٠) في «المعنى» ﴿وَ لَقَدْ اَرْسَلْنَا مُوسٰى بِاٰيَاتِنَا﴾: «أي بحججنا و معجزاتنا الدّالّة على نبوّته ﴿وَ سُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ أي و حجّة ظاهرة مخلصة من تلبيس و تمويه على أتمّ ما يمكن فيه.

و السّلطان و إن كان في معنى الآيات، فإنّما عطفه عليها، لأنّ الآيات حجج من وجه الاعتبار العظيم بها. و السّلطان حجّة من جهة القوّة العظيمة على المبطل، و كلّ عالم له حجّة يقهر بها شبهة من نازعه من أهل الباطل، فله سلطان.

و قد قيل: إنّ سلطان الحجّة أنفذ من سلطان المملكة. و السّلطان متى كان محقًّا حجّة وجب اتّباعه، و إذا كان بخلافه لا يجب اتّباعه.

قال الزّجّاج: السّلطان إنّما سمّي سلطانًا، لأنّه حجّة اللّه في أرضه، و اشتقاقه من السّليط الّذي يُستضاء به.

﴿اِلٰى فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِ﴾ أي قومه. و قيل: أشراف قومه الّذين تملأ الصّدور هيبتهم.

﴿فَاتَّبَعُوا اَمْرَ فِرْعَوْنَ﴾ و تركوا أمر اللّه تعالى ﴿وَ مَا اَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ أي مُرشد، و معناه: ما هو بهادٍ لهم إلى رشد، و لا قائد إلى خير. فأمر فرعون كان على ضدّ هذه الحال، لأنّه داع إلى الشّرّ، و صادّ عن الخير. و في هذا دلالة على أنّ لفظة الأمر مشتركة بين القول و الفعل، و المراد هاهنا: و ما فعل فرعون برشيد».

و الثّانية: (١١) الآية: ٢٩، من سورة المؤمن: ﴿... وَ مَا اَهْدِيكُمْ اِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾:

١ـ و هذه الآية و الّتي بعدها (١٢) من جملة قصّة موسى عليه السلام في سورة المؤمن بدءً من الآية: ٢٣، ﴿وَ لَقَدْ اَرْسَلْنَا مُوسٰى بِاٰيَاتِنَا وَ سُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ و ختمًا بالآية: ٤٥، ﴿فَوَقٰيهُ اللّٰهُ سَيِّاٰتِ مَا مَكَرُوا وَ حَاقَ بِاٰلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾.

٢ـ و محتواها المقاولة بين الرّجل المؤمن من آل فرعون، و بين فرعون، فقال الرّجل لقوم فرعون إنّ لكم الملك و القدرة اليوم علينا، فمن ينصرنا من عذاب اللّه إن جاءنا، فقال فرعون في جوابه خطابًا لقومه: ﴿مَا اُرِيكُمْ اِلَّا مَا اَرٰى وَ مَا اَهْدِيكُمْ اِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ زعمًا منه أنّ ما يدعوهم إليه من عبادته هو سبيل الرّشاد.

٣ـ قالوا في ﴿سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾: طريق الحقّ و الهدى، طريق الحقّ و الصّواب في أمر موسى و قتله، سبيل الصّواب و الصّلاح، سبيل من اهتدى و عظم رشده، طريق الصّواب المطابقة للواقع و نحوها.

٤ـ و قد قال بعضهم فيه: «سبيل اللّه عزّ و جلّ». و أشكلوا عليه بأنّ فرعون يدّعي أنّه إله فكيف يعترف بأنّ سبيله سبيل اللّه عزّ و جلّ.

٥ـ و قال الطّبرسيّ (٤: ٥٢١) ﴿يَا قَوْمِ لَكُمُ

﴿الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾: «أي لكم السّلطان على أهل الأرض، يعني أرض مصر اليوم ﴿ظَاهِرِينَ فِي الْاَرْضِ﴾ أي عالين فيها، غالبين عليها، قاهرين لأهلها.

﴿فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَاْسِ اللهِ﴾ أي من يمنعنا من عذاب الله ﴿اِنْ جَاءَنَا﴾ و معناه: لاتتعرّضوا لعذاب الله بقتل النّبيّ و تكذيبه، فلامانع من عذاب الله إن حلّ بكم. ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ﴾ عند ذلك ﴿مَا اُرِيكُمْ اِلَّا مَا اَرٰى﴾ أي ما أشير عليكم إلّا بما أراه صوابًا، و أرضاه لنفسي.

و قيل: «معناه: ما أعلمكم إلّا ما أعلم ﴿وَمَا اَهْدِيكُمْ اِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ و ما أرشدكم إلّا إلى ما هو طريق الرّشاد، و الصّواب عندي، و هو قتل موسى، و التّكذيب به، و اتّخاذي إلهًا و ربًّا».

٦ـ و عندهم خلاف في قراءة (الرّشاد) بتشديد الشّين مبالغةً من رشَد، أو رَشِد، يَرْشَد مثل «علّام».

و قيل: هو من أرشَد: كـ«جبّار» من أجبر و ليس بذلك، لأنّ «فعّالًا» من «أفعل» لم يجئ إلّا في عدّة أحرف، نحو: درّاك، و سئّار، و جبّار، و لايصحّ القياس على القليل. [و لاحظ النّصوص]

و الثّالثة: (١٢) الآية: ٣٨، من سورة المؤمن أيضًا: ﴿وَقَالَ الَّذِي اٰمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ اَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾:

١ـ و محتواها أنّ الرّجل المؤمن قال لقوم فرعون ـ خلال مقاولته إيّاهم ـ: اتّبعوني فإنّي أهدكم إلى سبيل الرّشاد.

٢ـ و قالوا في ﴿سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ هنا أيضًا: الحقّ و الهُدى، طريق الصّواب الّذي تُرشَدُون إذا أخذتم فيه و سلكتموه؛ و ذلك هو دين الله الّذي ابتعث به موسى، سبيل القصد إلى الله عزّ و جلّ، هو الإيمان بالله و توحيده، و إخلاص العبادة له، و الإقرار بموسى ﷺ، نقيض الغيّ، و فيه تعريض شبيه بالتّصريح أنّ ما عليه فرعون و قومه هو سبيل الغيّ، سبيل الثّواب و الخير وما يؤدّي إليه، سبيلًا يصل سالكه إلى المقصود، السّبيل الّتي في سلوكها إصابة الحقّ و الظّفر بالسّعادة.

٣ـ و الّذي يلفت النّظر أنّ فرعون و الرّجل المؤمن كلاهما يدّعي أنّ سبيله سبيل الرّشاد بجملة متشابهة: ﴿وَمَا اَهْدِيكُمْ اِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ و ﴿اَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ بزيادة الحصر في الأولى الّتي هي من كلام فرعون دون الأخيرة الّتي هي من كلام الرّجل المؤمن، و معلوم أنّ أحدها تبع الآخر في هذا التّعبير ردًّا عليه. و القرآن حكاها أوّلًا عن قول فرعون في الآية: ٢٩، و بعده عن قول الرّجل المؤمن في الآية: ٣٥، فكأنّه أراد أن يقابل قول فرعون في ادّعائه: ﴿وَمَا اَهْدِيكُمْ اِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ بقوله: ﴿اَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ من دون الحصر الّذي كان مبالغة من فرعون في ادّعائه، مع أنّ الرّجل كان هو الّذي لايهديهم إلّا سبيل الرّشاد، فكأنّه تنبيه من الرّجل على أنّ فرعون قد بالغ في ادّعائه الباطل، فهو ضلال بعد ضلال، و بطلان بعد بطلان.

٤ ـ و هنا سؤال: و هو أنّه قد جاء في كليها بدل «الرُّشـد» ﴿الرَّشَـادِ﴾ ـ و لم يـأت في القـرآن ﴿الرَّشَادِ﴾ إلّا فيهمـا ـ فهـل فيـه رمـز مثـل أنّ ﴿الرَّشَادِ﴾ أبلـغ و آكـد في معنـاه مـن «الرُّشـد» فاختصّ بموضع المبالغة؟

أو الوجه هو رعاية رويّ الآيـات، فإنّهـا مـن الآية ٤: ﴿...تَقَلُّبُهُمْ فِى الْبِلَادِ﴾ إلى الآيـة: ٥٥، ﴿...بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ علـى وزن «الإفعـال» ثمّ تنصرف إلى «يفعلون» و «فعيل» و «فاعلين» إلى آخر السّورة، فلاحظ.

٥ ـ و قـال الطّبرسـيّ (٤: ٥٢٤) في ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ...﴾: «و قيل: إنّ هذا القائـل موسـى عليه السلام أيضًا عن الجُبّائيّ» و هو بعيد جدًّا.

و الرّابعة: (١٣) الآية: ٦٦، من سورة الكهف: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَـلْ أَتَّبِعُـكَ عَلَـىٰ أَنْ تُعَلِّمَـنِ مِمَّـا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾:

١ ـ و هي من جملة قصّة موسى و فتاه مع الخضر عليهما السلام في هذه السّورة: بدءً من الآية: ٦٠، ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَيهُ لَا أَبْرَحُ...﴾ و ختمًا بالآية: ٨٢، ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ [إلى] ذٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾.

٢ ـ و محتواها سؤال موسـى الخضـر ـ عليهما السلام ـ الّذي عبّر عنه القرآن بـ ﴿عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا﴾ هل هو يوافق على أن يتّبعه موسى فيعلّمه الخضر ممّـا عُلِّـم رُشدًا؟

و لكن بينهم خـلاف في أنّ «الرُّشـد» وصـف للخضر أو لموسى، أي تعلّمني ممّا عُلّمـت أنـت مـن الرُّشد و العلم، أو تعلّمني الرّشـد ممّـا عُلّمـتَ مـن العلوم.

٣ ـ كما أنّ هذا الخلاف نشـئ عـن الخـلاف في إعراب الآية، فإنّ ﴿رُشْدًا﴾ إمّـا مفعـول لأجلـه حالًا لفعل ﴿أَتَّبِعُكَ﴾ أي أتّبعك للرُّشـد أو لطلـب الرُّشد. و إمّا مفعول به لفعل ﴿تُعَلِّمَنِ﴾ أي أتّبعـك على أن تُعلّمني رُشدًا ممّـا عُلّمـت، و بنـاء عليهمـا فالرُّشد وصف لموسى.

و فيه وجه ثالث بأن يكون ﴿رُشْدًا﴾ مفعـولًا به لفعل ﴿عُلِّمْتَ﴾ أي علّمني ممّا عُلّمت أنـت مـن الرّشد، فيكون وصفًا للخضر.

٤ ـ و قال الطّبرسـيّ (٣: ٤٨٣) ـ و قـد بحـث بحثًا طويلًا في تعريـف ﴿عَبْدًا﴾ ـ ﴿مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾: «أي: علمًا ذا رُشد. قال قَتادَة: لو كان أحد مكتفيًا من العلم لاكتفى نبيّ الله موسى، و لكنّه قال: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ﴾ عظّمه عليه السلام بهذا القول غاية التّعظيم؛ حيث أضاف العلم إليه، و رضي باتّباعه، و خاطبه بمثل هذا الخطاب. و الرُّشـد: العلـوم الدّينيّـة الّـتي ترشد إلى الحقّ. و قيل: هو علوم الألطـاف الدّينيّـة الّتي تخفى على النّاس».

أصحاب الكهف آيتان:

أولاهما: (١٤) الآية: ١٠، من سـورة الكهف: ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ... وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾:

١ ـ و هذه الآية من جملة قصّة أصحاب الكهف

في هذه السّورة، بدءً من الآية: ٩، ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ...﴾، و ختمًا بالآية: ٢٦، منها: ﴿قُلِ اللهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا...﴾.

٢ ـ و محتواها أنّ هؤلاء الفتية قصدوا الذّهاب إلى الكهف، و سألوا الله تعالى الرّحمة و الرّشد بقولهم: ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾.

٣ ـ و قالوا في ﴿رَشَدًا﴾: مَخرجًا، مَخرجًا في الغار في سلامة، سِدادًا إلى العمل بالّذي تُحبّ، الرُّشد و الرّشَد و الرّشاد نقيض الضّلال، ما نلتمس من خير رضاك و ما فيه رُشدنا، حتّى نكون بسببه راشدين مهتدين، أو اجعل أمرنا رَشَدًا كلّه، خلاصًا جميلًا، دُلّنا على أمر فيه نجاتنا، لأنّ الرُّشد و الرّشَد بمعنى، توفيقًا للرّشاد، و قيل: صوابًا، إصابة للطّريق الموصل إلى المطلوب و اهتداءً إليه، الرّشَد بفتحتين: الخير و إصابة الحقّ و النّفع و الصّلاح، والرُّشد مرادف للرّشَد. و أكثرهم ذكروا اختلاف القراءة، فلاحظ.

٤ ـ و قالوا في وجه إيثار «الرّشَد» في هذه الآية على «الرُّشد» إنّه موافقة الرّويّ.

٥ ـ و قال الطّبرسيّ (٣: ٤٥٠) في «اللّغة»: «الكهف: المغارة في الجبل، إلّا أنّه واسع، فإذا صغر فهو غار.

و الرّقيم: أصله من الرّقم، و هو الكتابة. يقال: رقمتُ الكتاب أرقمه، فهو «فعيل» بمعنى «مفعول»، كالجريح و القتيل؛ و منه الرّقم في الثّوب، لأنّه خطّ يعرف به ثمنه.

و الأرقم: الحيّة المنقّشة لما فيه من الخطوط. و تقول العرب: عليك بالرّقمة، ودع الضّفّة، أي عليك برقمة الوادي، حيث الماء، ودَع الجانب.

و الأوى: الرّجوع. و الفِتْيَة: جمع فتى، و فعله من أسماء الجمع، و ليس بناءً يقاس عليه، يقال: صبيّ و صِبْيَة، و غلام و غِلْمَة، و لا يقال غنيّ و غِنْيَة، لأنّه غير مطّرد في بابه».

٦ ـ و قال في «المعنى»: ﴿أَمْ حَسِبْتَ﴾: «معناه: هل أحسبت يا محمّد ﴿أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ...﴾ فلَخلق السّماوات و الأرض أعجب من هذا، عن مُجاهِد، و قَتادَة.

و يحتمل أنّه لمّا استبطأ الجواب حين سألوه عن القصّة، قيل له: أحسبت أنّ هذا شيء عجيب، حرصًا على إيمانهم حتّى قوي طمعك، إنّك إذا أخبرتهم به آمنوا.

و المراد بـ ﴿الْكَهْفِ﴾: كهف الجبل الّذي أوى إليه القوم الّذين قصّ الله أخبارهم». [ثمّ ذكر اختلافهم في معنى ﴿الرَّقِيمِ﴾ لاحظ: ر ق م: «الرّقيم» ثمّ قال:]

« ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ﴾ أي اذكر لقومك إذ التجأ أُولئك الشّبّان إلى الكهف، و جعلوه مأواهم هربًا بدينهم إلى الله ﴿فَقَالُوا﴾ حين أووا إليه ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾ أي نعمة ننجو بها من قومنا، و فرّج عنّا ما نزل بنا ﴿وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ أي هَيّء، و أصلح لنا من أمرنا ما

نصيب به الرّشد.

و قيل: هَيِّء لنا مخرجًا من الغار في سلامة، عن ابن عبّاس.

و قيل: معناه: دلّنا على أمر فيه نجاتنا، لأنّ الرُّشد و النّجاة بمعنى.

و قيل: يَسّر لنا من أمرنا ما نلتمس به رضاك، و هو الرُّشد». [ثمّ ذكر حكاية هؤلاء الفتية، فلاحظ]

و الثّانية: (١٥) الآية: ١٧، من سورة الكهف أيضًا: ﴿وَ تَرَى الشَّمْسَ اِذَا طَلَعَتْ...وَ مَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾، و هي من تتمّة قصّة أصحاب الكهف.

١ـ و محتواها بيان موضع الغار أمام الشّمس، بأنّ الشّمس حين طلوعها تميل إلى اليمين، و حين غروبها تميل إلى الشّمال، في حال أنّ الفتية في متّسع من الكهف. و أنّ هذه القصّة من آيات الله تعالى، و هو الهادي و المُضلّ. فمن هداه الله فهو المهتدي، و من يُضلله فليس له مرشد.

٢ـ و ذكر الطَّبْرِسيّ (٣: ٤٥٥) اختلاف القراءة و الإعراب تفصيلًا فلاحظ. و ذكر في «اللُّغة»: «القَرْض: القطع، يقال: قرضت الموضع، إذا قطعته و جاوزته. قال الكِسائيّ: هو المجازاة، يقال: قرضني فلان يقرضني، وجذاني يجذوني بمعنى» [ثمّ استشهد بشعر]

٣ـ ثمّ قال في «المعنى»: ﴿وَ تَرَى الشَّمْسَ﴾ أي لو رأيتها لرأيتَ ﴿اِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ﴾ أي تميل وقت طلوعها عن كهفهم إلى جهة اليمين.

﴿وَ اِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ﴾ أي تعدل عنهم، و تتركهم، ﴿ذَاتَ الشِّمَالِ﴾ إلى جهة الشّمال، شمال الكهف، أي لا تدخل كهفهم.

وقيل: تقرضهم، أي تجاوزهم منحرفةً عنهم، عن ابن عبّاس.

﴿وَ هُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ﴾ أي في متّسع من الكهف.

و قيل: في فضاء منه، عن قَتادَة.

و قيل: كان متّسعًا داخل الكهف؛ بحيث لا يراه من كان ببابه، و ينالهم نسيم الرّيح...».

القرآن و إيمان الجنّ به، ٣ آيات:

وهي من جملة قصّة الجنّ في سورة الجنّ أيضًا كالآيتين: ٢٠ و ٢١:

الأولى: (١٦) الآية: ٢، منها ﴿يَهْدِي اِلَى الرُّشْدِ...﴾:

١ـ و هي من تتمّة الآية قبلها: ﴿قُلْ اُوحِيَ اِلَيَّ اَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا اِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي اِلَى الرُّشْدِ...﴾ فجملة ﴿يَهْدِي﴾ وصف للقرآن.

٢ ـ و محتوى الآيتين أنّ النّبيّ ﷺ أمر من قبل الله تعالى بأن يقول للمشركين ـ ترغيبًا لهم إلى الإيمان به و بالقرآن و ترك الشّرك ـ أُوحي إليّ من الله تعالى أنّ جماعة من الجنّ استمعوا القرآن، فقالوا للجنّ: إنّا سمعنا قرآنًا عجيبًا يهدي النّاس إلى الرُّشد، فآمنّا به، و تركنا الشّرك بربّنا ـ حسب ما

جاء في القرآن من الأمر بالتّوحيد ـ.

٣ـ و قالوا في ﴿إِلَى الرُّشْدِ﴾: إلى الحقّ و الهُدى و الصّواب: لا إله إلّا الله، فيه وجهان: مراشد الأُمور، ومعرفة الله، يهدي إلى ما فيه الرّشاد و الحقّ، إلى الصّواب من التّوحيد و الإيمان، يدعو إلى الصّواب، و قيل: إلى التّوحيد و الإيمان.

٤ـ و قال الطَّبْرِسيّ (٥: ٣٦٧): «أمر سبحانه نبيّه محمّدًا ﷺ أن يخبر قومه بما لم يكن لهم به علم، فقال: ﴿قُلْ﴾ يا محمّد ﴿أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ إنّما ذكره على لفظ ما لم يُسمّ فاعله، تفخيمًا و تعظيمًا، و لله سبحانه أوحى إليه، وأنزل الملك عليه.

﴿أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ﴾ أي استمع القرآن طائفة من الجنّ، و هم جيل رقاق الأجسام خفيفة على صورة مخصوصة، بخلاف صورة الإنسان و الملائكة، فإنّ الملك مخلوق من النّور، و الإنس من الطّين، و الجنّ من النّار.

﴿فَقَالُوا﴾ أي قالت الجنّ بعضها لبعض.

﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ و العجب ما يدعو إلى التّعجّب منه لخفاء سببه، و خروجه عن العادة في مثله، فلمّا كان القرآن قد خرج بتأليفه المخصوص عن العادة في الكلام، و خفي سببه عن الأنام، كان عجبًا لامحالة.

و أيضًا فإنّه مباين لكلام الخلق في المعنى، و الفصاحة و النّظام، لا يقدر أحد على الإتيان بمثله، و قد تضمّن أخبار الأوّلين و الآخرين، و ما كان و ما يكون، أجراه الله على يد رجل أُمّيّ من قوم أُمّيّين، فاستعظموه و سمّوه ﴿عَجَبًا﴾.

﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ أي يدلّ على الهدى، و يدعو إليه، و الرّشد: ضدّ الضّلال.

﴿فَآمَنَّا بِهِ﴾ أي صدّقنا بأنّه من عند الله.

﴿وَلَنْ نُشْرِكَ﴾ فيما بعد ﴿بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ فنوجّه العبادة إليه، بل نخلص العبادة لله تعالى.

و المعنى: أنّا قد بدأنا بأنفسنا، فقبلنا الرّشد و الحقّ، و تركنا الشّرك، و اعتقدنا التّوحيد.

و في هذا دلالة على أنّه ﷺ كان مبعوثًا إلى الجنّ و الإنس، و على أنّ الجنّ عقلاء مخاطبون، و بلغات العرب عارفون، و على أنّهم يميّزون بين المعجز و غير المعجز، و أنّهم دعوا قومهم إلى الإسلام، و أخبروهم بإعجاز القرآن، و أنّه كلام الله تعالى، لأنّ كلام العباد لايُتعجّب منه».

[ثمّ روى رواية في أنّ النّبيّ ﷺ لم يحدّث الجنّ، و لارآهم...و روايات أُخرى في تفسير الآية، فلاحظ]

و الثّانية: (١٧) الآية: ١٠، من هذه السّورة: ﴿وَ أَنَّا لَانَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾:

١ـ و محتواها أنّ الجنّ لمّا رأوا أنّ السّماء مُلئت حرسًا و شهبًا، و أنّهم إذا أرادوا سماع كلام الملائكة مُنعوا منه، قالوا: إنّا لاندري هل الله تعالى أراد بأهل الأرض خيرًا أو شرًّا.

٢ـ و قالوا في ﴿رَشَدًا﴾: هُدًى و صوابًا و خيرًا، هداية إلى الحقّ، خيرًا من عذاب، أو رحمةً

من خذلان أو توفيق، و نحوها.

٣ــ و قال الطّبرسيّ (٥: ٣٦٩): «﴿وَاَنَّا لَانَدْرى اَشَرٌّ اُرِيدَ بِمَنْ فِى الْاَرْضِ﴾ أي بحدوث الرّجم بالشّهب و حراسة السّماء، جوّزوا هجوم انقطاع التّكليف، أو تغيير الأمر بتصديق نبيّ من الأنبياء، و ذلك قوله: اَمْ اَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ أي صلاحًا.

و قيل: معناه: أنّ هذا المنع لانَدْرى العذاب سينزل بأهل الأرض، أم لنبيّ يُبعَث، و يهدي إلى الرّشد. فإنّ مثل هذا لايكون إلّا لأحد هذين الأمرين. و سمّي العذاب شرًّا، لأنّه مضرّة، و سمّي بعثة الرّسول رَشَدًا، لأنّه منفعة».

و الثّالثة: (١٨) الآية: ١٤، منها: ﴿...فَمَنْ اَسْلَمَ فَاُولٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾:

١ــ و جاء فيهما ﴿رَشَدًا﴾ بدل «رُشْدًا» ــ كما سبق في الآية: ٢١، منها ــ رعاية لرويّ الآيات، فإنّ رويّها جميعًا في السّورة «فَعَلًا».

٢ــ و محتواها أنّ الجنّ لمّا سمعوا القرآن قالوا: إنّا مختلفون في الإيمان و الكفر به، فمنّا المسلمون، و منّا الجائرون و الكافرون.

٣ــ و قال الطّبرسيّ (٥: ٣٧٠) في «اللّغة»: «و القاسط: الجائر، و المقسط: العادل، و نظيره: التّرب الفقير. و المترب: الغنيّ، و أصله التّراب. فالأوّل ذهب ماله حتّى لصق بالتّراب، و الآخر كثر ماله حتّى صار بعدد التّراب.

و كذلك القاسط: هو العادل عن الحقّ، و المقسط: العادل إلى الحقّ». [ثمّ استشهد بأشعار]

٤ــ و قال في «المعنى»: «﴿وَاَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ﴾ الّذين استسلموا لما أمرهم اللّه سبحانه به، و انقادوا لذلك.

﴿وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ﴾ أي الجائرون عن طريق الحقّ.

﴿فَمَنْ اَسْلَمَ﴾ لما أمره اللّه به. ﴿فَاُولٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ أي توجّهوا الرّشد، و التمسوا الثّواب و الهدى، و تعمّدوا إصابة الحقّ. و ليسوا كالمشركين الّذين ألفوا ما يدعوهم إليه الهوى، و زاغوا عن طريق الهدى».

المحور الرّابع: التّشريع، آية واحدة (١٩):

و هي الآية: ٦، من سورة النّساء: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامٰى حَتّٰى اِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ...﴾.

١ــ و هي ثالثة الآيات في اليتامى في هذه السّورة. و أولاها: الآية الثّانية منها: ﴿وَاٰتُوا الْيَتَامٰى اَمْوَالَهُمْ وَلَاتَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ...﴾.

٢ــ و محتواها خطاب للمؤمنين بأنّه يجب عليهم ابتلاء اليتامى، فإذا علموا أنّ اليتامى بلغوا سنّ النّكاح وجب عليهم دفع أموال اليتامى إليهم، إذا آنسوا منهم رُشدًا، و أن لايأكلوها إسرافًا و بدارًا...

٣ــ و قالوا في ﴿رُشْدًا﴾: صلاحًا في الدّين و حفظًا في المال، رُشدًا في حالهم، و الإصلاح في أموالهم، صلاح في الدّين و إصلاح في المال، الصّلاح في العقل و حفظ المال، الرُّشد: العقل، رُشدًا في

الدّين و صلاحًا و حفظًا للمال، العقل و إصلاح المال، صلاحًا في عقله و دينه، عقولًا و صلاحًا، العقل و الصّلاح في الدّين، صلاحًا و علمًا بما يصلحه، و نحوها.

٤ ـ و قد ذكر الطّبريّ اختلافهم فيه بنحو ما ذكر، ثمّ قال: «و أولى هذه الأقوال عندي بمعنى الرُّشد في هذا الموضع: العقل و إصلاح المال، لإجماع الجميع على أنّه إذا كان كذلك، لم يكن ممّن يستحقّ الحَجْر عليه في ماله، و حَوْز ما في يده عنه، و إن كان فاجرًا في دينه».

٥ ـ و قال الطّبْرسيّ (٢: ٨) في «اللُّغة»: «الإيناس: الإبصار من قوله: ﴿آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا﴾ القصص: ٢٩، أخذ من: إنسان العين، و هو حدقتها الّتي تُبصَر بها، و آنَسْتُ به أُنسًا: ألِفته» ثمّ ذكر باقي لغاتها».

٦ ـ و قال في «المعنى» ﴿وَ ابْتَلُوا الْيَتَامٰى﴾: «هذا خطاب لأولياء اليتامى، أمرهم الله أن يختبروا عقول اليتامى في أفهامهم، و صلاحهم في أديانهم، و إصلاحهم في أموالهم، و هو قول قَتادَة، و الحسَن، و السُّدّيّ، و مُجاهِد، و ابن عبّاس.

﴿حَتّٰى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾: معناه: حتّى يبلغوا الحدّ الّذي يقدرون معه على المواقعة، و ينزلون، و ليس المراد بالبلوغ الاحتلام، لأنّ في النّاس من لايحتلم، أو يتأخّر احتلامه، و هو قول أكثر المفسّرين.

فمنهم من قال: إذا كمل عقله، و أُونس منه الرُّشد سُلّم إليه ماله، و هو الأولى.

و منهم من قال: لايُسلّم إليه ماله و إن كان عاقلًا، حتّى يبلغ خمس عشرة سنة.

قال أصحابنا: حدّ البلوغ إمّا كمال خمس عشرة سنة، أو بلوغ النّكاح، أو الإنبات.

و قوله: ﴿فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا﴾: معناه فإن وجدتم منهم رُشدًا، أو عرفتموه.

و اختُلف في معنى قوله: ﴿رُشْدًا﴾:

فقيل: عقلًا و دينًا و صلاحًا، عن قَتادَة، و السُّدّيّ.

و قيل: صلاحًا في الدين، و إصلاحًا في المال، عن الحسَن، و ابن عبّاس.

و قيل: عقلًا، عن مُجاهِد، و الشّعبيّ، قالا: لايُدفَع إلى اليتيم ماله، و إن أخذ بلحيته، و إن كان شيخًا حتّى يؤنس منه رُشد العقل.

و الأقوى أن يُحمَل على أنّ المراد به: العقل، و إصلاح المال، على ما قاله ابن عبّاس، و الحسَن، و هو المرويّ عن الباقر عليه السلام، للإجماع على أنّ من يكون كذلك لايجوز عليه الحَجْر في ماله، و إن كان فاجرًا في دينه، فكذلك إذا بلغ ـ و هو بهذه الصّفة ـ وجب تسليم ماله إليه.

و فيه أيضًا دلالة على جواز الحَجْر على العاقل، إذا كان مفسدًا لماله: من حيث إنّه إذا جاز أن يُمنَع المال عند البلوغ إذا كان مفسدًا له، فكذلك يجوز الحَجْر عليه إذا كان مفسدًا له بعد البلوغ، و هو المشهور في أخبارنا». [ثمّ فسّر باقي الآية فلاحظ]

و يلاحظ ثانيًا: أنّ اثنتين من الآيات التّسع عشرة: واحدة (١) من المحور الأوّل، و واحدة من المحور الثّاني، و هما من سورة البقرة، و كذلك آية التّشريع (١٩) هذه الثّلاث مدنيّة. و الباقي من المحاور الثّلاثة من آيات التّوحيد و الكفر و القصص، مكّيّة، كما هي الغالب في آيات الكفر و الإيمان و آيات القصص.

و ثالثًا: من نظائر هذه المادّة في القرآن:

الهدى: ﴿ذٰلِكَ الْكِتَابُ لَارَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ البقرة: ٢

الاستقامة: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا اُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا اِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ هود: ١١٢

الدّلالة: ﴿يَا اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا هَلْ اَدُلُّكُمْ عَلٰى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ اَلِيمٍ﴾ الصّفّ: ١٠

السّداد: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ النّساء: ٩

التّوفيق: ﴿فَلَمَّا جَاءَ اَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ اٰمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ اِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ هود: ٦٦

ر ص د

٥ ألفاظ، ٦ مرّات: ٤ مكّيّة، ٢ مدنيّتان

في ٤ سور: ٣ مكّيّة، ١ مدنيّة

مَرْصَد ١ : ـ ١ | رَصَدًا ٢ : ٢
المِرْصاد ١ : ١ | إرْصادًا ١ : ـ ١
مِرْصادًا ١ : ١

النُّصوص اللُّغويّة

الزُّهْريّ: المِرْصاد: المكان الّذي يرصد الرّاصد فيه العَدُوّ. (الواحديّ ٤ : ٤١٣)

الخَليل: المَرْصَد: موضع الرَّصْد.

والرَّصَد: هم القوم الّذين يَرْصُدُون كالحرَس.

والرَّصْد: الفعل.

والرَّصَد: كَلأٌ قليل في أرض يُرْجَى بها حَيا الرّبيع، وتقول: بها رَصَد من حَيًا.

وأرض مُرْصِدَة: بها شيء من رَصَد؛ ومنه إرصاد الإنسان في المُكافَأة والخير. يقال: أنا مُرْصِد لك بإحسانك حتّى أكافِئَك به. [ثمّ استشهد بشعر] (٧ : ٩٦)

الكِسائيّ: رَصَدْت فلانًا أرْصُدُه: إذا تَرقّبْته.

وأرْصَدْتُ له شيئًا أرْصُده: أعْدَدْت له.

مثله الأصمَعيّ. (الأزهَريّ ١٢ : ١٣٦)

ابن شُمَيْل: أرض مُرْصِدَة، وهي الّتي مُطرت، وهي تُرجَى لأن تُنبت.

وإذا مُطرت الأرض في أوّل الشّتاء فلا يقال لها: مَرَتْ، لأنّ بها حينئذ رَصَدًا، والرَّصَد حينئذ: الرّجاء لها، كما تُرجَى الحاملة. (الأزهَريّ ١٢ : ١٣٦)

أبو زَيْد: رَصَدتُه بالخير وغيره أرْصُدُه رَصَدًا وأنا راصده، وأرْصَدْتُ له بالخير وغيره إرصادًا، وأنا مُرْصِد له. (ابن قُتَيْبَة : ١٩٢)

الأصمَعيّ: من أسماء المطر: الرَّصْدُ؛ واحدتها: رَصْدَة، وهي المطرة تقع أوّلًا لما يأتي بعدها.

يقال: قد كان قبل هذا المطر له رَصْدَة، والعِهاد نحو منها؛ واحدتها: عِهْدَة. (الأزهَريّ ١٢ : ١٣٦)

أبو عُبَيْد: في حديث محمّد بن سيرين: «كانوا لايرصدون الثّمار في الدَّين، و ينبغي أن يرصدوا العين في الدّين». من حديث ابن المبارك، بلغني عنه عن طلحة بن النّضر، قال: سمعت ابن سيرين يقول ذلك.

قال: فسّره ابن المبارك أنّه أراد إذا كان على الرّجل الدّين و عنده من العين مثله، لم تجب الزّكاة، لأنّ ذلك الدّين يكون قصاصًا بالعين. و إن كان عليه دَيْنٌ و له ثمار ممّا يُخرج الأرض الّتي عليها العُشْر، فإنّ ذلك الدّين الّذي عليه لايكون قصاصًا بالدّين، و لكن يؤخذ منه عُشْر أرضه، لأنّ حكم الأرضين غير حكم الأموال. فهذا الّذي أراد ابن سيرين، و قد كان غيره يُفتي بغير هذا، يقول: لاتكون عليه زكاة في أرضه أيضًا، إذا كان عليه دَيْنٌ بقدر ذلك. (٢: ٤٤٠)

يقال: قد كان قبل هذا المطر له رَصْدَة.

(ابن سيده ٨: ٢٨٧)

ابن الأعرابيّ: الرَّصْدَة: ترصُد وليًّا من المطر.

(الأزهَريّ ١٢: ١٣٦)

الرَّصَد: العِهَاد تَرْصُد مطرًا بعدها، فإن أصابها مطر فهو العُشْب. و يَنْبُتُ البَقْل حينئذ مُقترحًا صُلْبًا.

(ابن سيده ٨: ٢٨٧)

رصَدْت و أرصَدْت: في الخير و الشّرّ جميعًا.

(الطُّرَيحيّ ٣: ٥٢)

الدِّيْنَوَريّ: أرض مُرْصِدَة: مُطرتْ و هي تُرجَى لأن تُنبت، و الرَّصَد حينئذ الرّجاء، لأنّها تُرجَى كما تُرجَى الحامل. و جمع الرَّصَد: أرصاد و رصاد.

(ابن سيده ٨: ٢٨٧)

ابن دُرَيْد: و الرَّصْد و الرَّصَد واحد، من قولهم: أصابت الأرض رَصْدَة من مطر؛ و الجمع: رصاد و أرصاد.

و الأرض مَرْصُودة، إذا أصابتها الرَّصْدَة من المطر، أي قليل.

و قال بعض أهل اللُّغة: لايقال: مَرْصُودة، إنّما يقال: أصابها رَصْد و رَصَد.

و الرّاصد للشّيء: الرّاقب له، رَصَدَه يَرْصُده رَصْدًا.

و الرَّصَد: القوم الرّاصدون، كما قالوا: طَلَب للطّالبين، و جَلَب للجالبين.

و السّبع الرّصيد: الّذي يَرْصُد ليَثِب. [ثمّ استشهد بشعر]

و فلان لفلان بَمْرصَد، و بمِرصاد، أي بحيث يرقبه و يرى فعله؛ و الجمع: مراصد.

و يقال: قد أرْصَدْتُ لفلان كذا و كذا، إذا هيّأته له، و المِرْصاد في التّنزيل من هذا إن شاء الله. (٢: ٢٤٦)

ابن الأنباريّ: في قولهم: «فلان يَرْصُد فلانًا»، معناه: يقعد له على طريقه. و المَرْصَد و المرصاد عند العرب: الطّريق. (الأزهَريّ ١٢: ١٣٧)

الأزهَريّ: المرصاد: المكان الّذي يرصد به الرّاصد العدوّ و هو مثل المضمار: الموضع الّذي تُضمّر فيه الخيل للسّباق من مَيْدان و نحوه.

و المَرْصَد مثل المرصاد؛ و جمعه: المراصد.

و يقال للحيّة الّتي ترصد المارّة على الطّريق: رصيد.

و قال عرّام: الرّصائد و الوصـائد: مصـايد تُعَدّ للسّباع. (١٢: ١٣٦)

الصّاحِب: المَرْصَد: موضِع الرّصَد، و الرّصَد أيضًا: القوم يَرْصُدون، و هو الفعل أيضًا.

و أنا أرْصُدُه رَصادًا، أي رَصَدًا.

و رَصَادِ رَصَادِ ـ مَعدُولتَين ـ أي ارْصُدْ.

و الرّصَد: الكَلأ القليل في أرض يُرجَى لها حَيا الرّبيع، و أرض مُرْصِدَة.

و من هناك إرصاد الإنسان في المُكافاة و التّخيّر، هو مُرْصِد بالإحسان.

و أصابت الأرضَ رَصْدَةَ غَيْث، و هي أوّل مطر؛ و جمعها: رَصَدٌ.

و في المثل: « قَصْدَةَ على رَصْدَة » يُضْرَب مثلًا للسّيل الضّعيف الّذي يجيء من مطر كان قبله.

ويسمّى الوَسْميّ: رَصْدَة.

و يقولون: لا تُخطِئُك منّي رَصَدات خير أو شرّ، أي أكافِئُك كما يكون منك.

و فلان يُرْصِد الزّكاة في صلة إخوانه، إذا كان يُعِدّ ما يصل به إخوانه من زكاة ماله.

و قال ابن سيرين: « كانوا لا يُرصِدون الثّمار في الدّين، و ينبغي أن يُرْصِدوا العين في الدّين »، و هو الاعتداد بالشّيء للشّيء الآخر. (٨: ١١٠)

الجَوهَريّ: الرّاصِد للشّيء: المُراقِب له. تقول: رَصَدَه يَرْصُده رَصْدًا و رَصَدًا.

و التّرَصُّد: التّرَقّب.

و الرّصيد: السّبُع الّذي يَرْصُد ليَثِب.

و الرُّصُود من الإبل: الّتي تَرْصُد شُرب الإبل، ثمّ تشرب هي.

و الرّصَد: القوم يَرْصُدون، كالحرَس، يستوي فيه الواحد و الجمع و المؤنّث، و ربّما قالوا: أرْصاد.

و المَرْصَد: موضع الرّصْد. و في الحديث: « إلّا أن أرْصُدَه لدَيْن عليّ ».

و المِرصاد: الطّريق.

و الرُّصْدَة بالضّمّ: الزُّبْيَة.

و الرَّصْدَة بالفتح: الدُّفْعَة من المطر؛ و الجمع: رِصاد. تقول منه: رُصِدَت الأرض فهي مَرْصُودة.

و الرّصَد بالتّحريك: القليل من الكلإ و المطر. يقال: بها رَصَد من حيًا، و الجمع: أرصاد. (٢: ٤٧٤)

ابن فارس: الرّاء و الصّاد و الدّال أصل واحد، و هو التّهيُّؤ لِرِقْبَةِ شيء على مَسْلكِه، ثمّ يُحمَل عليه ما يشاكله.

يقال: أرْصَدْتُ له كذا، أي هيّأته له، كأنّك جعَلته على مَرْصَده. و في الحديث: « إلّا أن أُرْصِدَه لدَيْن عليّ ».

و المَرْصَد: موقع الرَّصْد.

و الرّصَد: القوم يَرْصُدُون؛ و الرَّصْد: الفعل.

و الرُّصُود من الإبل: الّتي تَرْصُد شُرب الإبل ثمّ تَشرَب هي.

و يقال إنّ الرُّصْدَة: الزُّبْيَة، كأنّها للسّبُع لمِفع فيها.

و يقال الرّصيد: السّبُع الّذي يَرْصُد ليَثِب.

و شَذّت عن الباب كلمة واحدة، يقال الرَّصْد: أوّل المطر. و الله أعلم بالصّواب. (٢: ٤٠٠)

ابن سيده: رصَدَه بالخير و غيره يَرْصُدُه رَصْدًا: تَرَقَّبه، و رَصَدَه بالمكافأة كذلك.

و قال بعضهم: أرْصَدَ له بالخير و الشّرّ. لايقال إلّا بالألف.

و قيل: تَرَصّدَه: تَرَقَّبَه.

و أرْصَدَ له الأمر: أعَدّه. و الارتصاد: الرُّصْد.

و الرُّصْد المُرتَصِدُون، و هو اسم للجمع.

و في التّنزيل: ﴿فَاِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ الجنّ: ٢٧، أي إذا نزل الملَك بالوحي أرسل الله معه رَصَدًا يحفظون الملَك، من أن يأتي أحد من الجنّ، فيستمع الوحي، فيُخبر به الكهنة، و يُخبروا به النّاس، فيساووا الأنبياء.

و المَرْصَد: كالرّصَد.

و المِرْصاد و المَرْصَد: موضع الرّصَد.

و مَراصِد الحيّات: مكامنها.

و ذيبٌ رصيد: يَرْصُد لِيَثِب.

و الرّصْد و الرّصَد: المطر يأتي بعد المطر.

و قيل: هو المطر يقع أوّلًا لما يأتي بعده.

و قيل: هو أوّل المطر؛ واحدته: رَصَدَة و رَصْدَة؛ الأخيرة عن ثَعْلَب.

و أرض مَرْصُودة و مُرْصِدَة: أصابتها الرّصْدَة

و قال بعض أهل اللّغة: لايقال: مَرْصُودة و لامُرْصِدَة، إنّما يقال: أصابها رَصْدٌ و رَصَدٌ.

و الرّصَد: القليل من الكَلإ في أرض يُرجَى لها حيا الرّبيع.

و أرض مُرْصِدَة: فيها رَصَد من كلإ. [و استشهد بالشّعر مرّتين] (٨: ٢٨٦)

الرّاغِب: الرّصَد: الاستعداد للتّرقّب، يقال: رصَد له، و تَرَصّد، و أرصَدتُه له. قال عزّ و جلّ: ﴿وَ اِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَ رَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ التّوبة: ١٠٧، و قوله عزّ و جلّ: ﴿اِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ الفجر: ١٤، تنبيهًا أنّه لاملجأ و لامَهْرَب.

و الرّصَد يقال: للرّاصد الواحد، و للجماعة الرّاصدين، و للمرصود، واحدًا كان أو جمعًا.

و قوله تعالى: ﴿يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ الجنّ: ٢٧، يحتمل كلّ ذلك.

و المَرْصَد: موضع الرّصَد، قال تعالى: ﴿وَ اقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ التّوبة: ٥، و المرصاد نحوه، لكن يقال للمكان الّذي اختصّ بالترصّد، قال تعالى: ﴿اِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ النّبأ: ٢١، تنبيهًا أنّ عليها مجاز النّاس، و على هذا قوله تعالى: ﴿وَ اِنْ مِنْكُمْ اِلَّا وَارِدُهَا﴾ مريم: ٧١. (١٩٦)

نحوه الفيروزاباديّ. (بصائر ذوي التّمييز ٣: ٧٦)

الزّمَخْشَريّ: رَصَدتُه و ارتَصَدتُه و تَرَصّدتُه، نحو رقبته و ارتقبته و ترقّبته: قعدت له على طريقه أترقّبه.

و راصَدْته: راقَبْتُه.

و تراصَد الرّجلان.

و قعدت له بالمَرْصَد و المرصاد و المُرْتَصَد و الرّصَد.

وقوم رَصَد: جمع راصد، نحو حَرَس و خَدَم ﴿فَاِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ الجنّ: ٢٧.

و فلان يخاف رَصَدًا من قُدّامه و طلبًا من ورائه، أي عدوًّا يرصده ﴿فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا﴾ الجنّ: ٩. و سَبُع رصيد: يَرْصَد ليثب.

و ناقة رَصُود: تُرْصُد شرب الإبل، ثمّ تشرب.

و من المجاز: أنا لك بالمَرْصَد و المرصاد، أي لاتفوتني، ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ الفجر: ١٤.

و المنايا للرّجال بَمَرْصَد.

و قد أرْصَدْتُ هذا الجيش للقتال، و هذا الفرس للطّراد، و هذا المال لأداء الحقوق، إذا أعدَدْتَه لذلك، و جعلته بسبيل منه.

و أرْصَدْتَ لك خيرًا أو شرًّا، و أرْصَدْت لك العقوبة.

و أنا لك مُرْصِد بإحسانك إليّ حتّى أكافئك.

و فلان يَرْصُد الزّكاة في صلة إخوانه، أي يضعها فيها، على أنّه يعتدّ بصلتهم من الزّكاة.

و لاتُخطئك منّي رصَدات خير أو شرّ، أي أكافئك بما يكون منك، و هي المرّات من الرّصَد الّذي هو مصدر رصَدَه بالمكافأة. و يجوز أن يكون جمع الرّصْدة و هي المطرة. [و استشهد بالشّعر مرّتين]

(أساس البلاغة: ١٦٤)

ابن سيرين ﷺ تعالى: «كانوا لايرصدون الثّمار في الدَّيْن، و ينبغي أن يرصدوا العين في الدَّيْن».

تقول: رصَدْتُه إذا قعدت له على طريقه تترقّبه، و أرْصَدْت له العقوبة، إذا أعددتها له. و حقيقته جعلتها على طريقه كالمترقّبة له.

و يحذف المفعول كثيرًا فيقال: فلان مُرْصِد لفلان، إذا رصد له، و لايذكر ما أرصد له؛ و منه قوله تعالى: ﴿وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ التّوبة: ١٠٧. [ثمّ استشهد بشعر]

و يقال: إنّ فلانًا ليَرْصِد الزّكاة في صلة إخوانه، إذا وصلهم، و اعتدّ بذلك من زكاة ماله، لأنّه إذا اعتدّ به منها فقد أعدّه لها؛ و منه قول ابن سيرين، يعني أنّه إذا ركب الرّجل دَيْنٌ و له من العين مثله، فلازكاة عليه، و إن أخرجَتْ أرضه ثمرة يجب فيها العُشْر لم يسقط عنه العُشْر من أجل الدَّيْن. (الفائق ٢: ٦٢)

الطَّبْرِسيّ: المَرْصَد: الطّريق، و مثله المَرْقَب و المَرْبا، و رَصَده يرصده رصَدًا. (٣: ٦)

ابن الأثير: في حديث أبي ذرّ: «قال له عليه الصّلاة و السّلام: ما أُحبّ عندي مثل أُحُدٍ ذهبًا، فأُنفقه في سبيل الله، و تُمسي ثالثةٌ و عندي منه دينار، إلّا دينارًا أُرْصِده لِدَيْن»، أي أُعِدّه.

يقال: رَصَدْتُه إذا قعدْت له على طريقه تترقّبه، و أرْصَدْتُ له العقوبة، إذا أعْدَدْتَها له. و حقيقته جعلتها على طريقه كالمُترقّبة له.

و منه الحديث: «فأرْصَدَ الله على مَدْرَجَته مَلَكًا»، أي وكّله بحفظ المدْرَجَة، و هي الطّريق، و جعله رَصَدًا، أي حافظًا مُعَدًّا.

و منه حديث الحسن بن عليّ، و ذكر أباه فقال: «ما خلّف من دُنياكم إلّا ثلاثمئة درهم كان أرْصَدها لشراء خادم».

و في حديث ابن سيرين: «كانوا لايُرْصِدُون

الثّمار في الدَّيْن، و ينبغي أن يُرْصدوا العين في الدَّيْن»، أي إذا كان على الرّجل دَيْنٌ و عنده من العين مثله، لم تجب عليه الزّكاة، فإن كان عليه دَيْنٌ و أخرجَتْ أرضه ثمرًا، فإنّه يجب فيه العُشْر، و لم يَسْقُط عنه في مقابلة الدّين، لاختلاف حكمهما، و فيه بين الفقهاء خلاف. (٢: ٢٢٦)

الصَّغانيّ: الرّصائد و الوصائد: مصايد تُعَدّ للسّباع.

و الرّاصد: الأسد.

و المرصاد: المكان الّذي يُرْصَد فيه العدوّ، و هو مثل المضمار، الّذي تُضَمّر فيه الخيل للسّباق، من مَيْدان و نحوه.

و الإرصاد: المُكافأة بالخير، و قد جعله بعضهم بالشّرّ أيضًا.

وأرض مُرْصِدَة: فيها شيء من رَصَد.

رُصَد: قرية من بَعْدان، بِمِخْلاف من مخاليف اليمن.

و الرُّصْدَة: حلقة من صُفْرٍ أو فضّة، في حِمالة السّيف، يقال رَصَدْتُ لها رُصْدَة. (٢: ٢٣٤)

الفَيُّوميّ: الرّصَد: الطّريق؛ و الجمع: أرْصاد، مثل: سبب و أسباب.

و رَصَدْتُه رَصْدًا، من باب « قتل»: قعَدْتُ له على الطّريق، و الفاعل: راصِد. و ربّما جُمع على رَصَد، مثل: خادم و خَدَم.

و الرَّصَديّ نسبة إلى الرّصَد، و هو الّذي يَقعُد على الطّريق ينتظر النّاس، ليأخذ شيئًا من أموالهم، ظُلمًا و عُدوانًا.

و قعد فلان بالمَرْصَد و زان جعفر، و بالمرصاد بالكسر، و بالمُرْتَصَد أيضًا، أي بطريق الارتقاب و الانتظار.

و ربّك لك بالمرصاد، أي مُراقبك، فلايخفى عليه شيء من أفعالك، و لاتفوته. (١: ٢٢٨)

الفيروزاباديّ: رَصَده رَصْدًا و رَصَدًا: رقبه، كتَرَصَّده.

و الرّاصد: الأسد.

و الرّصيد: السّبُع يَرْصُد الوُثوب.

و الرَّصُود: ناقة تَرْصُد شُرب غيرها لتشرب هي.

و أرْصَدْتُ له: أعْدَدْتُ، و كافأته بالخير أو بالشّرّ.

و المرصاد: الطّريق، و المكان يُرْصَد فيه العدوّ.

و الرُّصْدَة، بالضّمّ: الزُّبْيَة، و حلْقة من صُفْر أو فضّة في حمائل السّيف، و بالفتح: الدُّفعَة من المطر.

و الرّصَد، محرّكة: الرّاصدون، و القليل من الكلإ و المطر؛ جمعه: أرْصاد.

و أرض مُرْصِدَة، كمُحسِنَة: بها شيء من رَصَد، أو الّتي مُطرت و تُرجَى لأن تُنبت.

و رُصَد، بضمّ الرّاء و سكون الصّاد المشدّدة: قرية باليمن. (١: ٣٠٥)

الطُّرَيحيّ: يقال رَصَدْتُه رصَدًا، من باب «قتل»، إذا قعَدْتَ له على طريقه تترقّبه.

و الرّصَد: الطّريق؛ و الجمع: أرصاد مثل سبب و أسباب.

قوله: ﴿وَ اِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللّٰهَ﴾ التّوبة: ١٠٧، أي ترقّبًا. يقال أرْصَدْتُ له الشّيء، إذا جعلت له عُدّة.

و الإرصاد في الشرّ.

قوله: ﴿وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ التوبة : ٥، هو كجعفر، موضع الرّصَد و الترقّب؛ و جمعه: مراصد، أي كونوا لهم رصَدًا.

و أخذ علينا بالرّصَد، أي الترقّب، و هو جمع راصد.

و في الحديث القدسيّ: «من حارب لي وليًّا فقد أرصد لمحاربتي» أي استند لمحاربتي.

و فيه: «يَرْصَد بشاهدَيْ عدل».

و فيه أيضًا: «و قد ضربه على أُذُنه قال: يترصّد»، أي يترقّب. و الترَصّد: الترقّب.

و فيه: «لا تكن ظالمًا، فإنّ الظّالم رصيد حتّى أُديل منه المظلوم»، أي مَرْصُود.

و الرّاصد: الحافظ؛ و منه قوله ﷺ: «ثلاثمئة درهم أرصدها لشراء خادم»، أي حفظها. (٣: ٥٢)

مَجْمَعُ اللُّغة: ١ ـ رَصَدَه يَرْصُده رَصْدًا و رَصَدًا: قعد له على الطّريق يرقبه، فهو راصد.

و الرّصَد: الحرَس، اسم جمع، يقال للواحد و لجماعة الرّاصدين.

٢ ـ المَرْصَد: مكان الرّصَد و كذلك المرصاد.

٣ ـ أرْصَد يُرْصِد إرْصادًا: ترقّب و انتظر، أو أعَدّ. يقال: أرصَدْتُه، أي انتظرته، و أرْصَدْتُ له كذا، أي أعدَدْتُه له. (١: ٤٨٣)

العَدْنانيّ: أرْصَد مالًا، رَصَد مالًا

و يقولون: رصَدَتِ الحكومة مِلْيُون دينارًا لتعبيد الطّرُقات.

و الصّواب: أرْصَدَت الحكومة مبلغ كذا، أي أعَدَّتْ لتعبيد الطّرُقات مِلْيُون دينارًا.

و في الحديث: «إنّي أُرْصِده لدَيْن عليّ».

و قد ذكر الحسن بن عليّ رضي الله عنهما عن أبيه: «ما خلّف من دنياكم إلّا ثلاثمئة درهم كان أرصَدَها لشراء خادم».

و من معاني الفعل أرْصَدَ:

١ ـ أرْصَد الحساب: أظهره و أحصاه.

٢ ـ أرْصَدَ الرّقيب: نصبه في الطّريق، جاء في الآية ١٠٧، من سورة التّوبة: ﴿وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ﴾.

٣ ـ أرْصَدَ له خيرًا أو شرًّا، مجاز: كافأه.

أمّا الفعل رَصَد يَرْصُدُ رَصْدًا و رَصَدًا، فمعناه:

١ ـ رَصَدَه: قعَد له على طريقه ليوقع به.

٢ ـ رَصَدَه: رقبَه، يقال: رَصَد النّجم.

أجازت لجنة الأساليب في مجمع القاهرة لنا أن نقول: رَصَد مالًا أيضًا. (معجم الأخطاء الشّائعة: ١٠٤)

محمّد إسماعيل إبراهيم: رصَدَه رَصْدًا: رقبه، و قعد له على طريقه ليوقع به.

و أرْصَدْتُه له: أعدَدْتُه، و رصَدْتُه و أرصَدْتُه: في الخير، و أرْصَدْتُ له في الشّرّ.

و أرْصَد الحساب: أحصاه و أحضره.

و الرّصَد: القوم يرصدون و يحرسون كالخَدَم و الحرَس.

و الإرصاد: الترقّب.

و المرصاد: موضع رصد و ترقّب.

و هو لك بالمرصاد: يراقبك، و لاتفوته. (١: ٢٢٣)

محمود شيت: ١ ـ أ ـ رصَدَه رَصْدًا: رقبَه.

ب ـ أرْصَدَت الأرض: كان بها رَصَد من كلإ أو مطر، و يُرْجى أن تُنبت.

و الشّيء أعدّه. يقال: أرْصَدْتُ الجيش للقتال، و الفرس للطِّراد.

ج ـ راصَدَه: راقبَه.

د ـ الرّاصد من يَرْصُد النّجوم. و الأسد؛ جمعه: رَصَدٌ، و رُصّاد، و هي: راصدة.

هـ ـ الرّصَد: الطّريق، و الرّاصد.

و ـ و الرُّصْدَة: حَلْقَة من صُفْر أو فضّة في حمائل السّيف؛ جمعه: رُصَد.

ز ـ الرّصيد: الرّاصد، و ما يبقى للمُودِع في المصرف من حسابه الجاري.

ح ـ المرصاد: طريق الرّصْد و المراقبة، أو موضعه.

ط ـ المِرْصَد: طريق الرّصْد و المراقبة، أو موضعه؛ جمعه: مَراصد.

٢ـ أ ـ الرّاصد: من يرصد حركات العدوّ. يقال: الجنديّ فلان راصد، و الباقي راحة: فلان راصد و الآخرون في الرّاحة.

ب ـ المَرْصَد: موضع المراقبة للعدوّ. و يكون عادةً في محلّ مرتفع.

ج ـ المِرْصَد آلة لمراقبة العدوّ. (١: ٢٩٩)

المُصْطَفَويّ: و التّحقيق أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة، هو التّهيّؤ و الانتظار لشيء. و هذا المعنى قريب من التّرقّب في طريق أمر و مقدّماته. و بهذه المناسبة: تفسّر المادّة بالتّرقّب، و الطّريق، و الانتظار، و أمثالها، إلّا أنّ الأصل ما ذكرناه.

و الفرق بين هذه المادّة و موادّ: الحفظ، الحسب، التّرقّب، الرّعاية، الحرَس، الانتظار، المواظبة، المهيمن: أنّ الحفظ مطلق الرّعاية و الضّبط، و يقابله الإضاعة.

و الرّعاية نقيض الإهمال، و هو حفظ حدود الشّيء، و التّوجّه إلى لوازمه.

و المواظبة: هو المداومة في الملازمة للشّيء.

و المراقبة: هو المواظبة مع التّحقيق و التّفتيش عنه.

و الحرَس: هو مراقبة و حفظ مستمرّ، و يختصّ بذوي العقلاء.

و الحسب: هو الإشراف على الشّيء بقصد الاطّلاع.

و المهيمن: هو القائم على الشّيء بالتّدبير.

و الانتظار: هو المطاوعة في النّظر و الإبصار صبرًا، أي اختيار النّظر.

فالانتظار في مادّة الرّصد بقصد التّرقّب و التّفتيش، لامطلقًا.

راجع كلّ واحدة من الموادّ المذكورة في مواردها.

[إلى أن قال:]

ثمّ إنّ التّرصّد يُستعمل بالنّسبة إلى جهات ضعيفة، و في موارد المؤاخذة، فلايقال: إنّ الله تعالى لبالمرصاد بالنّسبة إلى المتّقين، أو إنّ الجنّة كانت مرصادًا لأهلها.

(٤: ١٤٣)

النُّصوص التّفسيريّة

مَرْصَد

فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلٰوةَ وَآتَوُا الزَّكٰوةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ. التّوبة: ٥

ابن عبّاس: على كلّ طريق يذهبون و يجيئون فيه للتّجارة. (١٥٣)

مُقاتِل: يقول: و ارْصُدُوهم بكلّ طريق و هم كفّار. (٢: ١٥٧)

الفَرّاء: يقول: على طرقهم إلى البيت. (١: ٤٢١)

أبو عُبَيْدَة: المراصد: الطّرق. [ثمّ استشهد بشعر] (١: ٢٥٣)

الأخفش: «على» محذوفة.

المعنى: اقعدوا لهم على كلّ مَرْصَد. [ثمّ استشهد بشعر] (الزّجّاج ٢: ٤٣٠)

الطَّبَريّ: يعني: كلّ طريق و مَرْقَب. و هو «مَفْعَل»، من قول القائل: «رَصَدْت فلانًا أرْصُده رَصْدًا» بمعنى رقبته. (٦: ٣٢٠)

الزّجّاج: ﴿كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ ظرف، كقولك: ذهبت مَذْهبًا، و ذهبت طريقًا، و ذهبت كلّ طريق. فلستَ تحتاج أن تقول في هذا إلّا ما تقوله في الظّروف، مثل خلف و أمام و قُدّام. (٢: ٤٣١)

الثّعلبيّ: أي على كلّ طريق و مَرْقَب. يقال: رصَدْت فلانًا أرْصُدُه رَصْدًا إذا رقبته. [ثمّ استشهد بشعر] (٥: ١٢)

الماوَرْديّ: فيه وجهان:

أحدهما: أن يطلبوا في كلّ مكان، فيكون القتل إذا وجدوا، و الطّلب إذا بعدوا.

و الثّاني: أن يفعل بهم كلّ ما أرْصَدَه الله تعالى لهم، فيما حكم به تعالى عليهم من قتل أو استرقاق أو مفاداة، أو مَنّ، ليعتبر فيها فعل الأصلح منها. (٢: ٣٤١)

الواحديّ: أي على كلّ طريق يأخذون فيه. و المَرْصَد: الموضع الّذي يرقب فيه العدوّ. (٢: ٤٧٩)

البغويّ: أي على كلّ طريق. و المَرْصَد: الموضع الّذي يرقب فيه العدوّ، من رَصَدْت الشّيء أرْصُدُه، إذا ترقّبته، يريد: كونوا لهم رصدًا لتأخذوهم من أيّ وجه توجّهوا.

و قيل: اقعُدوا لهم بطريق مكّة، حتّى لا يدخلوها. (٢: ٣١٨)

الزّمَخْشَريّ: كلّ ممرّ و مجتاز ترصدونهم به. و انتصابه على الظّرف، كقوله: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ الأعراف: ١٦. (٢: ١٧٥)

نحوه النّسَفيّ (٢: ١١٦)، و البُرُوسَويّ (٣: ٣٨٧).

ابن عَطيّة: معناه: في مواضع الغرّة حيث يرصدون. [ثمّ استشهد بشعر]

و نصب ﴿كُلَّ﴾ على الظّرف، و هو اختيار الزّجّاج، أو بإسقاط الخافض، التّقدير: في كلّ مَرْصَد، أو على كلّ مَرْصَد. و حكى سيبَوَيه: ضرب الظّهر و البطن. (٣: ٨)

نحوه الثّعالبيّ. (٢: ٣٧)

الطَّبْرِسيّ: أي بكلّ طريق، و بكلّ مكان تظنّون

أنّهم يمرّون فيه، و ضيّقوا المسالك عليهم، لتمكّنوا من أخذهم.

و قوله: ﴿لَهُمْ﴾ معناه لقتلهم و أسرهم. (٣: ٧)

نحوه شبّر. (٣: ٥٢)

الفخر الرّازيّ: المَرْصَد: الموضع الّذي يرقب فيه العدوّ، من قولهم: رصَدْت فلانًا أرْصُدُه، إذا ترقّبته.

قال المفسّرون: المعنى: اقعدوا لهم على كلّ طريق يأخذون فيه إلى البيت، أو إلى الصّحراء، أو إلى التّجارة. (١٥: ٢٢٥)

العُكْبَريّ: المَرْصَد «مَفْعَل» من رصدت، و هوهنا مكان، و ﴿كُلَّ﴾ ظرف لـ ﴿اقْعُدُوا﴾.

و قيل: هو منصوب على تقدير حذف حرف الجرّ، أي على كلّ مرصد أو بكلّ... (٢: ٦٣٥)

القُرطُبيّ: المَرْصَد: الموضع الّذي يرقب فيه العدوّ. يقال: رصدت فلانًا أرْصُده، أي رقبته، أي اقعدوا لهم في مواضع الغرّة حيث يرصدون.

و في هذا دليل على جواز اغتيالهم قبل الدّعوة. و نُصب ﴿كُلَّ﴾ على الظّرف، و هو اختيار الزّجّاج. و يقال: ذهبت طريقًا و ذهبت كلّ طريق. أو بإسقاط الخافض، التّقدير: في كلّ مرصد و على كلّ مرصد، فيُجعَل المرصد اسمًا للطّريق.

و خطّأ أبو عليّ الزّجّاج في جعله الطّريق ظرفًا. و قال: الطّريق مكان مخصوص كالبيت و المسجد، فلايجوز حذف حرف الجرّ منه، إلّا فيما ورد فيه الحذف سماعًا، كما حكى سيبَوَيه: دخلت الشّام و دخلت البيت. [و استشهد بالشّعر مرّتين] (٨: ٧٣)

البَيْضاويّ: كلّ ممرّ لئلّا يتبسّطوا في البلاد. و انتصابه على الظّرف. (١: ٤٠٦)

نحوه الشّربينيّ (١: ٥٩٠)، و الكاشانيّ (٢: ٣٢٢)، و المشهديّ (٤: ١٣٣).

أبو حَيّان: قال القُرطُبيّ في قوله: ﴿وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ دلالة على جواز اغتيالهم قبل الدّعوة، لأنّ المعنى: اقعدوا لهم مواضع الغِرّة، و هذا تنبيه على أنّ المقصود إيصال الأذى إليهم بكلّ طريق: إمّا بطريق القتال، و إمّا بطريق الاغتيال. و قد أجمع المسلمون على جواز السّرقة من أموال أهل الحرب، و إسلال خيلهم، و إتلاف مواشيهم إذا عجز عن الخروج بها إلى دار الإسلام، إلّا أن يصالحوا على مثل ذلك.

قال الزّمَخْشَريّ: ﴿كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ كلّ ممرّ و مجتاز ترصدونهم فيه، و انتصابه على الظّرف، كقوله: ﴿لَاَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ الأعراف: ١٦، انتهى. و هذا الّذي قاله الزّجّاج قال: ﴿كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ ظرف، كقولك: ذهبت مذهبًا. و ردّه أبو عليّ، لأنّ المَرْصَد المكان الّذي يُرْصَد فيه العدوّ، فهو مكان مخصوص لايُحذَف الحرف منه إلّا سماعًا، كما حكى سيبَوَيه: «دخلت البيت»،

و * كما عسل الطّريق الثّعلب * انتهى.

و أقول: يصحّ انتصابه على الظّرف، لأنّ قوله: ﴿وَاقْعُدُوا لَهُمْ﴾ ليس معناه حقيقة القعود، بل المعنى ارصدوهم في كلّ مكان يُرْصَد فيه. و لمّا كان بهذا المعنى جاز قياسًا أن يُحذَف منه «في» كما قال:

* و قد قعدوا اتفاقها كلّ مقعد *

فمتى كان العامل في الظّرف المختصّ عاملًا من لفظه أو من معناه، جاز أن يصل إليه بغير واسطة « في »، فيجوز جلست مجلس زيد، و قعدت مجلس زيد، تريد في مجلس زيد. فكما يتعدّى الفعل إلى المصدر من غير لفظه إذا كان بمعناه، فكذلك إلى الظّرف.

و قال الأخفش: معناه على كلّ مَرْصَد، فحذف و أعمل الفعل. و حَذْف « على »و وصول الفعل إلى مجرورها فتنصبه، يخصّه أصحابنا بالشّعر. [ثمّ استشهد بشعر] (٥: ١٠)

السّمين: قوله: ﴿كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ في انتصابه وجهان: أحدهما: أنّه منصوب على الظّرف المكانيّ. قال الزّجّاج:نحو: ذهبت مذهبًا. و قد ردّ الفارسيّ عليه هذا القول، من حيث إنّه ظرف مكان مختصّ، و المكان المختصّ لايصل إليه الفعل بنفسه بل بواسطة « في »، نحو: صلّيت في الطّريق، و في البيت. و لا يصل بنفسه إلّا في ألفاظ محصورة بعضها ينقاس و بعضها يُسمَع. و جعل هذا نظير ما فعل سيبَوَيه في بيت ساعِدة:

لَدْن بهزّ الكفّ يعسل متنه

فيه كما عسل الطّريق الثّعلب

و هو أنّه جعله ممّا حُذف فيه الحرف اتّساعًا لاعلى الظّرف، لأنّه ظرف مكان مختصّ.

قال الشّيخ: إنّه يُنتصَب على الظّرف، لأنّ معنى ﴿وَاقْعُدُوا﴾ لايُراد به حقيقة القعود، و إنّما يُراد: ارصُدُوهم، و إذا كان كذلك فقد اتّفق العامل و الظّرف في المادّة، و متى اتّفقا في المادّة لفظًا أو معنًى وصل إليه بنفسه، تقول: جلست مجلس القاضي، و قعدت مجلس القاضي، و الآية من هذا القبيل.

و الثّاني: أنّه منصوب على إسقاط حرف الجرّ، و هو « على » أي على كلّ مَرْصَد، و هذا قول الأخفش.

و هذا لاينقاس بل يُقتصَر فيه على السّماع، كقوله تعالى: ﴿لَاَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ الأعراف: ١٦، أي على صراطك، اتّفق الكلّ على أنّه على تقدير « على ».

و قال بعضهم: هو على تقدير الباء، أي بكلّ مَرْصَد، نقله أبوالبقاء: و حينئذ تكون الباء بمعنى « في » فينبغي أن يُقدّر « في » لأنّ المعنى عليها.

و المَرْصَد: « مَفْعَل » من رصَده يَرْصُده، أي رقبَه يَرْقُبه، و هو يصلح للزّمان و المكان و المصدر.

و المِرصاد: المكان المختصّ بالتّرصّد، و الرّصَد يقع على الرّاصد سواء كان مفردًا أم مثنّى أم مجموعًا، و كذلك يقع على المرصود، و قوله تعالى: ﴿فَاِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ الجنّ: ٢٧، يحتمل كلّ ذلك، و كأنّه في الأصل مصدر، فلذلك التُزم فيه الإفراد والتّذكير. [و استشهد بالشّعر ٣مرّات] (٣: ٤٤٣)

أبو السُّعود: أي كلّ ممرّ و مجتاز يجتازون منه في أسفارهم. و انتصابه على الظّرفيّة، أي ارصدوهم و ارقبوهم حتّى لايمرّوا به. و فائدته على التّفسير

الثّاني دفع احتمال أن يراد بالحصر المحاصرة المعهودة. (٣: ١٢٣)

الشّوكانيّ: المَرْصَد: الموضع الّذي يرقب فيه العدوّ. يقال: رصَدْت فلانًا أرْصُده، أي رقبته، أي اقعدوا لهم في المواضع الّتي ترتقبونهم فيها. [ثمّ استشهد بشعر]

و ﴿كُلَّ﴾ في ﴿كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ منتصب على الظّرفيّة، وهو اختيار الزّجّاج. وقيل: هو منتصب بنزع الخافض، أي في كلّ مرصد، وخطّأ أبو عليّ الفارسيّ الزّجّاج في جعله ظرفًا. (٢: ٤٢٣)

الآلوسيّ: أي كلّ ممرّ ومجتاز يجتازون منه في أسفارهم. وانتصابه عند الزّجّاج ومن تبعه على الظّرفيّة، وردّه أبو عليّ بأنّ المَرْصَد المكان الّذي يُرْصَد فيه العدوّ، فهو مكان مخصوص لا يجوز حذف «في» منه، ونصبه على الظّرفية إلّا سماعًا.

وتعقّبه أبو حيّان بأنّه لا مانع من انتصابه على الظّرفية، لأنّ قوله تعالى: ﴿وَاقْعُدُوا لَهُمْ﴾ ليس معناه حقيقة القعود، بل المراد ترقّبهم وترصّدهم، فالمعنى: ارصدوهم كلّ مَرْصد يُرصَد فيه. والظّرف مطلقًا ينصبه بإسقاط «في» فعل من لفظه أو معناه، نحو جلست وقعدت مجلس الأمير، والمقصور على السّماع ما لم يكن كذلك. و ﴿كُلَّ﴾ وإن لم يكن ظرفًا، لكن له حكم ما يضاف إليه، لأنّه عبارة عنه.

وجوّز ابن المنير أن يكون مرصدًا مصدرًا ميميًّا، فهو مفعول مطلق والعامل فيه الفعل الّذي بمعناه كأنّه قيل: وأرصدوهم كلّ مرصد، ولا يخفى بُعْده.

وعن الأخفش أنّه منصوب بنزع الخافض، والأصل: على كلّ مرصد، فلمّا حُذف «على» انتصب، وأنت تعلم أنّ النّصب بنزع الخافض غير مَقيس خصوصًا إذا كان الخافض «على» فإنّه يقلّ حذفها، حتّى قيل: إنّه مخصوص بالشّعر. (١٠: ٥١)

المَراغيّ: أي مراقبتهم في كلّ مكان يمكن الإشراف عليهم فيه، ورؤية تجوالهم وتقلّبهم في البلاد. (١٠: ٥٨)

ابن عاشور: والمَرْصَد: مكان الرُّصْد، والرَّصْد: المراقبة وتتبّع النّظر.

و ﴿كُلَّ﴾ مستعملة في تعميم المراصد المظنون مرورهم بها، تحذيرًا للمسلمين من إضاعتهم الحراسة في المراصد، فيأتيهم العدوّ منها، أو من التّفريط في بعض ممارّ العدوّ، فينطلق الأعداء آمنين، فيستخفّوا بالمسلمين، ويتسامع جماعات المشركين أنّ المسلمين ليسوا بذوي بأس ولا يقظة، فيؤول معنى ﴿كُلَّ﴾ هنا إلى معنى الكثرة، للتّنبيه على الاجتهاد في استقصاء المراصد. [ثمّ استشهد بشعر]

وانتصب ﴿كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ إمّا على المفعول به، بتضمين ﴿اقْعُدُوا﴾ معنى الزمُوا، كقوله تعالى: ﴿لَاَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ الأعراف: ١٦، وإمّا على التّشبيه بالظّرف، لأنّه من حقّ فعل القعود أن يتعدّى إليه بـ«في» الظّرفيّة، فشُبّه بالظّرف وحُذفت «في» للتوسّع. (١٠: ٢٣)

مَغْنيّة: والمراد بالمَرْصَد هنا: الممرّ والمجاز الّذي يُرصَد فيه. وظهر عليه غلبه وظفر به...

﴿كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ منصوب على الظّرفيّة، متعلّقًا بـ﴿اقْعُدُوا﴾، تمامًا كالصّراط في قوله: ﴿لَاَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ الأعراف: ١٦، ﴿وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ راقبوهم و ترصدوهم في كلّ طريق يمرّون به. (٤: ١١)

محمود صافي: ﴿مَرْصَدٍ﴾، اسم مكان، من فعل رصَد يَرْصُد باب «نصر» وزنه «مَفْعَل» بفتح الميم و العين.

الفوائد:

فائدة حول كلمة ﴿كُلَّ﴾: ورد قوله تعالى في الآية: ﴿وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾. تضاربت الأقوال في إعرابها إلى وجوه هي:

١ـ ظرف مكان.

٢ـ نائب مفعول مطلق بتقدير: و ارصُدوهم كلّ مَرْصَد.

٣ـ منصوب بنزع الخافض، و التّقدير: و اقعدوا لهم بكلّ مَرْصَد.

و قد رجّح الزّجّاج و العُكْبَريّ أنّها ظرف مكان.

و كلمة ﴿كُلَّ﴾ اسم معرب حسب موقعه من الجملة، لكنّه يأتي أحيانًا توكيدًا، بشرط أن يُسبَق بمؤكّد، و أن يشتمل على ضمير يعود على المؤكّد، كقوله تعالى: ﴿فَسَجَدَ الْمَلٰئِكَةُ كُلُّهُمْ اَجْمَعُونَ﴾ الحجر: ٣٠، و أحيانًا يكتسب إعرابه من الاسم الّذي يضاف إليه. فإن أضيف إلى الظّرف أعرب ظرفًا، مثل: سأزورك كلّ صباح، سرت كلّ الأميال. و إذا أُضيف إلى مصدر من لفظ الفعل أعرب نائب مفعول مطلق، كقوله تعالى:

﴿فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ﴾ النّساء: ١٢٩. (١٠: ٢٨٤)

حسنين مخلوف: أي في كلّ طريق يجتازون منه في أسفارهم، حتّى تأخذهم من أيّ وجهة توجّهوا.

المَرْصَد: الموضع الّذي يُرقب فيه العدوّ، يقال: رصَدْت الشّيء أرصُده رَصْدًا و رَصَدًا، إذا ترقّبته. (١: ٣١٢)

المُصْطَفَويّ: التّعبير بالمَرْصَد ـ و هو اسم مكان ـ دون المرصاد، ليناسب بكلمة ﴿كُلَّ﴾ أي و اقعدوا لهم في كلّ مكان قابل للتّرصّد و إن لم يكن مرصادًا. و هذا التّشديد من جهة قلع الكفر و قمع الفساد، فإنّ الحجّة قد تمّت عليهم. (٤: ١٤٥)

المِرْصَاد

اِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ. الفجر: ١٤

ابن مَسعود: من وراء الصّراط جسور: جسر عليه الأمانة، و جسر عليه الرّحم، و جسر عليه الرّبّ عزّ و جلّ. (الشّوكانيّ ٥: ٥٤٠)

الإمام عليّ ﷺ: معناه: إنّ ربّك قادر على أن يجزي أهل المعاصي جزاءهم. (الطّبْرسيّ ٥: ٤٨٧)

ابن عبّاس: يقول: عليهم ممرّهم و ممرّ سائر الخلق، و يقال: إنّ ملائكة ربّك على الصّراط يحبسون العباد في سبع مواطن، و يسألونهم عن سبع خصال. (٥١٠)

يقول: يَرَى و يسمع. (الطّبَريّ ١٢: ٥٧٢)

إنّ على جهنّم سبع مجاسر، يُسأل العبيد عند أوّلهنّ عن شهادة أن لا إله إلّا الله، فإن جاء بها تامّة جاز بها إلى الثّاني، فيُسأل عن الصّلاة، فإن جاء بها

تامّةً جاز إلى الثّالث، فيُسأل عن الزّكاة، فإن جاء بها تامّة جاز إلى الرّابع، فيُسأل عن الصّوم، فإن جاء به تامًّا جاز إلى الخامس، فيُسأل عن الحجّ، فإن جاء به تامًّا جاز إلى السّادس، فيُسأل عن العمرة، فإن جاء بها تامّة جاز إلى السّابع، فيُسأل عن المظالم فإن خرج منها وإلّا يقال: انظروا، فإن كان له تطوّع أكمل به أعماله، فإذا فرغ به انطلق به إلى الجنّة.

(الثّعلبيّ ١٠: ٢٠٠)

عِكْرِمَة: تُرْصَد أعمال بني آدم.

(الثّعلبيّ ١٠: ٢٠٠)

نحوه الحسَن. (الطّبَريّ ١٢: ٥٧٢)

الضّحّاك: يَرْصَد لأهل الظّلم والمعصية.

(الثّعلبيّ ١٠: ٢٠٠)

إذا كان يوم القيامة يأمر الرّبّ بكرسيّه فيُوضع على النّار، فيستوي عليه، ثمّ يقول: أنا الملك الدّيّان، وعزّتي وجلالي لايتجاوز اليوم ذو مظلمة بظلامته ولو ضربة بيد، فذلك قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾.

(الدّرّ المنثور ٨: ٥٠٨)

عطاء: لايفوته أحد. يمان: لامحيص عنه.

(الثّعلبيّ ١٠: ٢٠٠)

يعني يُجازي كلّ واحد، وينتصف من الظّالم للمظلوم. (الطّبْرسيّ ٥: ٤٨٧)

السُّدّيّ: أرْصَد النّار على طرقهم حتّى تهلكهم.

(الثّعلبيّ ١٠: ٢٠٠)

الكَلْبيّ: يقول: عليه طرق العباد لايفوته أحد.

(الواحديّ ٤: ٤٨٢)

الإمام الصّادق عليه السّلام: المرصاد: قنطرة على الصّراط، لايجوزها عبد بمظلمة عبد.

(الطّبْرسيّ ٥: ٤٨٧)

مُقاتِل: يعني بالصّراط، وذلك أنّ جهنّم عليها سبع قناطر، كلّ قنطرة مسيرة سبعين عامًا، على كلّ قنطرة ملائكة قيام، وجوههم مثل الجمر، وأعينهم مثل البرق، بأيديهم المحاسر والمحاجن والكلاليب، يُسألون في أوّل قنطرة عن الإيمان، وفي الثّانية يُسألون عن الصّلوات الخمس، وفي الثّالثة يُسألون عن الزّكاة، وفي الرّابعة يُسألون عن صوم رمضان، وفي الخامسة يُسألون عن حجّ البيت، وفي السّادسة يُسألون عن العمرة، وفي السّابعة يُسألون عن مظالم النّاس، فذلك قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾.

(٤: ٦٨٩)

ترصد النّاس على الصّراط، فجعل رصدًا من الملائكة معهم الكلاليب والمحاجن والحسك.

[وعنه أيضًا] ممرّ النّاس عليه. (الثّعلبيّ ١٠: ٢٠٠)

الثّوريّ: يعني جهنّم عليها ثلاث قناطر: قنطرة فيها الرّحمة، وقنطرة فيها الأمانة، وقنطرة فيها الرّبّ تبارك وتعالى. (الطّبَريّ ١٢: ٥٧٢)

الطّبَريّ: يقول تعالى ذكره لنبيّه محمّد صلّى الله عليه وآله ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ يا محمّد لهؤلاء الّذين قصصتُ عليك قصصَهم، ولضُربائهم من أهل الكفر، ﴿لَبِالْمِرْصَادِ﴾ يرصدهم بأعمالهم في الدّنيا وفي الآخرة، على قناطر جهنّم، ليُكردسهم فيها إذا وردوها يوم القيامة.

واختلف أهل التّأويل في تأويله، فقال بعضهم:

معنى قوله: ﴿لَبِالْمِرْصَادِ﴾ بحيث يرى و يسمع.

و قال آخرون: يعني بذلك أنّه بَرْصَد لأهل الظّلم. (١٢: ٥٧٢)

الزّجّاج: أي يرصد من كفر به و عبد غيره بالعذاب. (٥: ٣٢٢)

القُمّيّ: أي قائم حافظ على كلّ ظالم. (٢: ٤٢٠)

الثّعلبيّ: قيل: معناه: مرجع الخلق و مصيرهم إلى حكمه و أمره. (١٠: ٢٠٠)

الماوَرْديّ: فيه وجهان:

أحدهما: بالطّريق.

الثّاني: بالانتظار. (٦: ٢٧٠)

الطُّوسيّ: معناه: إنّ ربّك يا محمّد لايفوته شيء من أعمال العباد، كما لايفوت من بالمرصاد. و المرصاد «مِفْعَال» من رصَده يَرصَده رصدًا، فهو راصد إذا راعى ما يكون منه، ليقابله بما يقتضيه. و قيل لأمير المؤمنين عليه السلام أين كان ربّنا قبل أن يخلق السّماوات و الأرض؟ فقال: «أين» سؤال عن مكان، و كان اللّه و لامكان. و قيل لأعرابيّ: أين ربّك ياأعرابيّ؟ ا قال: بالمرصاد.

و قال ابن عبّاس: معناه إنّه يسمع و يرى أعمال العباد. و قال الحسَن و الضّحّاك: ﴿لَبِالْمِرْصَادِ﴾ بإنصاف المظلوم من الظّالم. و معناه لايجوزه ظلم ظالم حتّى ينصف المظلوم منه. (١٠: ٣٤٣)

الواحديّ: المعنى: لايفوته شيء من أعمال العباد، كما لايفوت مَن بالمرصاد. (٤: ٤٨٢)

نحوه البغَويّ. (٥: ٢٥١)

الزّمَخْشَريّ: ﴿الْمِرْصَادِ﴾: المكان الّذي يترقّب فيه الرّصد «مِفْعَال» من رصده، كالميقات من وقته، و هذا مثل لإرصاده العصاة بالعقاب، و أنّهم لايفوتونه.

و عن بعض العرب أنّه قيل له: أين ربّك؟ فقال: بالمرصاد.

عن عمرو بن عُبَيْد أنّه قرأ هذه السّورة عند بعض الظّلمة حتّى بلغ هذه الآية، فقال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ يا فلان عرض له في هذا النّداء بأنّه بعض من توعّد بذلك من الجبابرة. فللّه درّه، أي أسد فراس كان بين توبيه يدقّ الظّلمة بإنكاره، و يقصع أهل الأهواء و البدع باحتجاجه. (٤: ٢٥١)

نحوه الشّربينيّ. (٤: ٥٣٣)

ابن عَطيّة: و ﴿الْمِرْصَادِ﴾ موضع الرّصد، قاله اللُّغويّون، أي إنّه عند لسان كلّ قائل و مَرْصَد لكلّ فاعل، و على هذا التّأويل في المرصاد جواب عامر بن عبد قيس لعثمان، حين قال له: أين ربّك يا أعرابي؟ قال: بالمرصاد. و يحتمل أن يكون ﴿الْمِرْصَادِ﴾ في الآية اسم فاعل، كأنّه قال: لبالرّاصد، فعبّر بالمبالغة.

و روي في بعض الحديث أنّ على جسر جهنّم ثلاث قناطر: على إحداها الأمانة، و على إحداها الرّحم، وعلى الأخيرة الرّبّ، تبارك وتعالى، فذلك قوله: ﴿لَبِالْمِرْصَادِ﴾. (٥: ٤٧٩)

الطَّبْرِسيّ: قيل لأعرابيّ: أين ربّك؟ قال: بالمرصاد. و ليس يريد به المكان. فقد سُئل عليّ عليه السلام أين كان ربّنا قبل أن خلق السّماوات و الأرض؟ فقال:

«أين» سؤال عن مكان، و كان الله و لامكان.

(٥: ٤٨٧)

ابن الجَوْزيّ: أي يرصد من كفر بـه بالعـذاب.

و المَرْصَد: الطّريق. (٩: ١١٨)

الفخر الرّازيّ: نقول: ﴿الْمِرْصَادِ﴾ المكان الّـذي يترقّب فيه الرّاصد «مِفْعَال» من رصَده كالميقات من وقته، و هذا مثَل لإرصاده العُصاة بالعقـاب، و أنّهـم لايفوتونه.

و عن بعض العرب أنّه قيل له: أين ربّـك؟ فقـال: بالمرصاد، و للمفسّرين فيه وجُوه أحدها: قال الحسَن: يرصد أعمال بني آدم.

و ثانيها: قال الفرّاء: إليه المصير، و هذان الوجهان عامّان للمؤمنين و الكافرين.

و من المفسّرين من يخصّ هذه الآيـة إمّـا بوعيـد الكفّار، أو بوعيد العصاة.

أمّا الأوّل: فقال الزّجّاج: يرصد من كفر به و عدل عن طاعته بالعذاب.

و أمّا الثّاني: فقال الضّحّاك: يرصد لأهـل الظّلـم و المعصية، و هذه الوجُوه متقاربة. (٣١: ١٦٩)

القُرطُبيّ: [نقـل أقـوال المتقـدّمين و بعـد قـول الثّوريّ «قنطرة فيها الرّبّ» و قال:]

قلت: أي حكمـه و إرادتـه و أمـره، و الله أعلـم، و عن ابن عبّـاس، أيضًـا ﴿لَبِالْمِرْصَـادِ﴾ أي يسـمع و يرى.

قلت: هذا قول حسَن،«يـسمع» أقوالهم و نجواهم، و «يرى» أي يعلم أعمالهم و أسرارهم، فيجازي كـلًّا بعمله. و عن بعض العرب أنّه قيل له: أين ربّك؟ فقال: بالمرصاد. و عن عمرو بن عُبَيْد أنّه قرأ هـذه السّـورة عند المنصور حتّى بلغ هذه الآيـة، فقـال: ﴿إِنَّ رَبَّـكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ يا أباجعفر. قال الزّمَخْشَريّ: عرض لـه في هذا النّداء، بأنّه بعض من توعّد بذلك من الجبـابرة، فللّه درّه، أي أسد فراس كان بين يديه؟ يـدقّ الظّلمـة بإنكاره، و يقمع أهل الأهواء و البدع باحتجاجه.

(٢٠: ٥٠)

البَيْضاويّ: إلى المكان الّذي يترقّب فيه الرّصـد «مِفْعَال» من رصَده، كالميقات من وقته، و هـو تمثيـل لإرصاده العُصاة بالعقاب. (٢: ٥٥٧)

نحوه النّسَفيّ (٤: ٣٥٥)، و الكاشانيّ (٥: ٣٢٥)، و المشهديّ (١١: ٣٤٣)،و شُبّر (٦: ٤٠٧).

أبوحيّان: المرصاد و المَرْصَد: المكان الّذي يترقّب فيـه الرّصَـد، «مِفْعَـال» مـن رصَـده، و هـذا مثـل لإرصادها العصاة بالعقاب، و أنّهم لايفوتونه.

قال ابن عَطيّة: و يحتمل أن يكون ﴿الْمِرْصَادِ﴾ في الآية اسم فاعل، كأنّه قـال: لبـالرّاصـد، فعبّربنـاء المبالغة، انتهى. و لو كان كمـا زعـم، لم تـدخل البـاء، لأنّها ليست في مكان دخولها، لازائدة و لاغير زائدة.

(٨: ٤٧٠)

السّمين: [نقـل ردّ أبي حيّـان علـى ابـن عَطيّـة و أضاف:]

قلت: قد ورَدَت زيادتها في خبر «إنّ» كهذه الآية في قول امرئ القيس:

* فإنّك ممّا أحدثتْ بالمجرّب * (٦: ٥٢٠)

ابن كثير: قال ابن عبّاس: يسمع و يرى، يعني يرصد خلقه فيما يعملون، و يجازي كُلًّا بسعيه في الدّنيا و الأُخرى، و سيُعرَض الخلائق كلّهم عليه، فيحكم فيهم بعدله، و يقابل كُلًّا بما يستحقّه، و هو المنزّه عن الظّلم و الجور. [إلى أن قال:]

عن أيفع عن ابن عبد الكلاعيّ، أنّه سمعه وهو يعظ النّاس يقول: إنّ لجهنّم سبع قناطر و الصّراط عليهنّ. فيحبس الخلائق عند القنطرة الأولى فيقول: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ الصّافّات: ٢٤، فيحاسَبون على الصّلاة و يُسألون عنها، فيهلك فيها من هلك و ينجو من نجا. فإذا بلغوا القنطرة الثّانية حُوسبوا على الأمانة كيف أدّوها و كيف خانوها ، فيهلك من هلك و ينجو من نجا، فإذا بلغوا القنطرة الثّالثة سُئلوا عن الرّحم كيف وصلوها و كيف قطعوها، فيهلك من هلك و ينجو من نجا، و الرّحم يومئذ متدلّية إلى الهوى في جهنّم تقول: اللّهمّ من وصلني فَصِلْه و من قطعني فاقْطَعْه، و هي الّتي يقول الله عزّ و جلّ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ هكذا أورد هذا الأثر، و لم يذكر تمامه. (٧: ٢٨٧)

الثّعالبيّ: المرصاد و المَرْصَد: موضع الرّصد، قاله بعض اللُّغويّين، أي: أنّه تعالى عند لسان كلّ قائل و مرصد لكلّ فاعل. و إذا علم العبد أنّ مولاه له بالمرصاد و دامت مراقبته في الفؤاد، حضره الخوف و الحذر لامحالة. ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ البقرة: ٢٣٥

قال أبو حامد في «الإحياء»: و بحسب معرفة العبد بعيوب نفسه، و معرفته بجلال ربّه و تعاليه و استغنائه، و أنّه لايُسأل عمّا يفعل تكون قوّة خوفه. فأخوف النّاس لربّه أعرفهم بنفسه و بربّه، و لذا قال ﷺ: «أنا أخوفكم لله »، و لذلك قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمٰؤُا﴾ فاطر: ٢٨، ثمّ إذا كملت المعرفة أورثت الخوف و احتراق القلب، ثمّ يفيض أثر الحرقة من القلب على البدن، فتنقمع الشّهوات، و تحترق بالخوف، و يحصل في القلب الذّبول و الخشوع و الذّلّة و الاستكانة، و يصير العبد مستوعب الهمّ بخوفه و النّظر في خطر عاقبته فلايتفرّغ لغيره، و لايكون له شغل إلّا المراقبة و المحاسبة و المجاهدة و الضّنّة بالأنفاس و اللّحظات، و مؤاخذة النّفس في الخطرات و الخطوات و الكلمات، ثمّ قال: و اعلم أنّه لاتنقمع الشّهوات بشيء كما تنقمع بنار الخوف، انتهى. (٥: ٤٧٨)

أبو السُّعود: تعليل لما قبله، و إيذان بأنّ كفّار قومه عليه الصّلاة و السّلام سيصيبهم مثل ما أصاب المذكورين من العذاب، كما ينبئ عنه التّعرّض لعنوان الرّبوبيّة، مع الإضافة إلى ضميره عليه الصّلاة و السّلام.

و قيل: هو جواب القسم و ما بينهما اعتراض. و ﴿الْمِرْصَادِ﴾ المكان الّذي يُترقّب فيه الرّصد «مِفْعَال» من رصده، كالميقات من وقته. و هذا تمثيل لإرصاده تعالى بالعصاة، و أنّهم لايفوتونه. (٦: ٤٢٦)

نحوه البُرُوسَويّ. (١٠: ٤٢٧)

الآلوسيّ: [نحو أبي السُّعود و أضاف:]

و في الكلام استعارة تمثيليّة، شبّه كونه تعالى

حافظًا لأعمال العُصاة ـ على ما روي عن الضّحّاك مترقّبًا لها و مجازيًا على نقيرها و قطميرها؛ بحيث لاينجو منه سبحانه أحد منهم ـ بحال من قعد على الطّريق مترصّدًا لمن يسلكها، ليأخذه فيوقع به ما يريد، ثمّ أطلق لفظ أحدهما على الآخر.

و الآية على هذا وعيد للعصاة مطلقًا، و قيل: هي وعيد للكفرة، و قيل: وعيد للعصاة و وعد لغيرهم، و هو ظاهر قول الحسن، أي يرصد سبحانه أعمال بني آدم.

و جوّز ابن عَطيّة: كون المرصاد صيغة مبالغة كالمطعام و المطعان، و تعقّبه أبوحيّان بأنّه لو كان كما زعم لم تدخل الباء، لأنّها ليست في مكان دخولها، لازائدة و لاغير زائدة، و أُجيب بأنّها على ذلك تجريديّة. نعم يلزمه إطلاق المرصاد على الله عزّ و جلّ، و فيه شيء. (٣٠: ١٢٥)

نحوه القاسميّ. (١٧: ٦١٥١)

المَراغيّ: أي إنّ شأن ربّك ألّا يفوته من شؤون عباده نقير و لاقطمير، و لايهمل أمّة تعدّت في أعمالها حدود شرائعه القويمة، بل يأخذها بذنوبها أخذ العزيز المقتدر، كما يأخذ الرّاصد القائم على الطّريق من يمرّ به بما يريد من خير أو شرّ، لايفرّط فيما رصد له. (٣٠: ١٤٤)

سيدقُطْب: يرى و يحسب و يحاسب و يجازي، وفق ميزان دقيق لايُخطئ و لايظلم، و لايأخذ بظواهر الأُمور، لكن بحقائق الأشياء. فأمّا الإنسان فتُخطئ موازينه و تضلّ تقديراته، و لايرى إلّا الظّواهر، ما لم يتّصل بميزان الله. (٦: ٣٩٠٤)

ابن عاشور: جملة: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ تذييل و تعليل لإصابتهم بسوط عذاب، إذا قُدّر جواب القسم محذوفًا. و يجوز أن تكون جواب القسم كما تقدّم آنفًا.

فعلى كون الجملة تذييلًا، تكون تعليلًا لجملة ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ الفجر: ١٣، تثبيتًا للنّبيّ ﷺ بأنّ الله ينصر رسله، و تصريحًا للمعاندين بما عرض لهم به من توقّع معاملته إيّاهم، بمثل ما عامل به المكذّبين الأوّلين، أي إنّ الله بالمرصاد لكلّ طاغ مُفسد.

و على كونها جواب القسم، تكون كناية عن تسليط العذاب على المشركين؛ إذ لايراد من الرّصد إلّا دفع المعتدي من عدوّ و نحوه، و هو المقسم عليه، و ما قبله اعتراضًا تفنّنًا في نظم الكلام؛ إذ قُدّم على المقصود بالقسم ما هو استدلال عليه، و تنظير بما سبق من عقاب أمثالهم من الأُمم، من قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ...﴾ الفجر: ٦. و هو أُسلوب من أساليب الخطابة؛ إذ يُجعَل البيان و التّنظير بمنزلة المقدّمة و يُجعَل الغرض المقصود بمنزلة النّتيجة و العلّة إذا كان الكلام صالحًا للاعتبارين، مع قصد الاهتمام بالمقدّم و المبادرة به.

و العدول عن ضمير المتكلّم أو اسم الجلالة إلى ﴿رَبُّكَ﴾ في قوله: ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ الفجر: ١٣، و قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ إيماء إلى أنّ فاعل ذلك ربّه الّذي شأنه أن ينتصر له، فهو مؤمّل

بأن يُعذّب الّذين كذّبوه، انتصارًا له انتصار المولى لوليّه.

و ﴿الْمِرْصَادِ﴾: المكان الّذي يُترَقّب فيه الرّصد، أي الجماعة المراقبون شيئًا، و صيغة «مِفْعَال» تأتي للمكان و للزّمان كما تأتي للآلة. فمعنى الآلة هنا غير محتمل، فهو هنا إمّا للزّمان أو المكان إذ الرّصَد التّرقّب.

و تعريف ﴿الْمِرْصَادِ﴾ تعريف الجنس، و هو يفيد عموم المتعلّق، أي بالمرصاد لكلّ فاعل، فهو تمثيل لعموم علم الله تعالى، بما يكون من أعمال العباد و حركاتهم، بحال اطّلاع الرّصَد على تحرّكات العدوّ و المغيرين. و هذا المثَل كناية عن مجازاة كلّ عامل بما عمله و ما يعمله؛ إذ لايُقصَد الرّصَد إلّا للجزاء على العدوان. و في ما يفيده من التّعليل إيماء إلى أنّ الله لم يظلمهم فيما أصابهم به.

و الباء في قوله: ﴿لَبِالْمِرْصَادِ﴾ للظّرفيّة.

(٣٠: ٢٨٥)

مَغْنيّة: هذا جواب القسم في أوّل السّورة، و قيل: الجواب محذوف، و التّقدير: ليعذّبنّ المجرمين. و النّتيجة واحد على التّقديرين، و المعنى واضح، و هو أنّه تعالى يعلم مقاصد العباد و أفعالهم، و يجازيهم بحسبها. (٧: ٥٦١)

الطّباطَبائيّ: ﴿الْمِرْصَادِ﴾: المكان الّذي يرصد منه و يرقب، و كونه تعالى على المرصاد استعارة تمثيليّة، شبّه فيها حفظه تعالى لأعمال عباده، بمن يقعد على المرصاد يرقب من يراد رقوبه، فيأخذه حين يمرّ به، و هو لايشعر. فالله سبحانه رقيب يرقب أعمال عباده، حتّى إذا طغوا و أكثروا الفساد أخذهم بأشدّ العذاب.

و في الآية تعليل ما تقدّم من حديث تعذيب الطّغاة المكثرين للفساد من الماضين. و في قوله: ﴿رَبَّكَ﴾ بإضافة الرّبّ إلى ضمير الخطاب، تلويح إلى أنّ سُنّة العذاب جارية في أمّته ﷺ على ما جرت عليه في الأمم الماضين. (٢٠: ٢٨١)

عبد الكريم الخطيب: ﴿الْمِرْصَادِ﴾: المكان العالي، الّذي يقوم فيه الرّاصد، ليرقب ما يجري هنا و هناك.

و في هذا إشارة إلى أن الله سبحانه و تعالى رقيب على أعمال النّاس، يرى كلّ ما يعملون، و سيحاسبهم على ما عملوا، دون أن يفلت أحد منهم، لأنّ الله سبحانه متمكّن منهم، بهذا العلوّ الّذي لا يدانى.

(١٥: ١٥٥٤)

المُصْطَفَويّ: ﴿الْمِرْصَادِ﴾: صيغة اسم آلة، و هي تدلّ على ما يُستعان به لفعل، و يكون وسيلة لعمل. و قد يكون هذا مكانًا. و التّرصّد يكون في الأغلب في مكان مخصوص مناسب به. فيسمّى ذلك المكان بالمرصاد، و يُعبّر عنه بالفارسيّة بكلمة «كمينگاه».

و كون الرّبّ تعالى بالمرصاد: عبارة عن ترقّبه و توجّهه و محاسبته العباد من جهة الطّاعة و العصيان، فيأخذهم إذا طغوا، كما قال: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا * لِلطَّاغِينَ مَآبًا﴾ النّبأ: ٢١، ٢٢.

فيُستعان بها في مجازاة الطّاغين و أخذهم،

و الدّفاع عن عتوّهم و ظلمهم و إفسادهم. ثمّ إنّ المترصّدين بها الملائكة الموكّلون المأمورون في الأخذ و حفظ الأمن و النّظم للمظلومين، و دفع الشّرّ و التّجاوز عنهم. (٤: ١٤٣)

مكارم الشّيرازيّ: أين جواب القسم؟

ثمّة احتمالان، هما:

الأوّل: قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾.

الثّاني: جواب القسم محذوف، و تدلّ عليه الآيات التّالية، الّتي تتحدّث عن عقاب الطّغاة، و التّقدير: قسمًا بكلّ ما قلناه، لنعذّبنّ الكافرين و الطّغاة. (٢٠: ١٦٥)

فضل الله: فهو المهيمن على الواقع كلّه، و على الأمر كلّه، و الرّاصد لكلّ أعمال الطّغاة و أوضاعهم. و ستبقى مسألة الطّغيان تفرض نفسها على الواقع المتجدّد، و ستبقى إرادة الله تلاحق كلّ الطّغاة لتنزل عليهم العذاب بشكل مباشر، في ما يخلقه الله من وسائل العذاب، أو بشكل غير مباشر، في ما يتحرّك به المستضعفون بوسائلهم الخاصّة، ليعملوا على القضاء عليهم أو إضعافهم.

و هكذا يقف الدّعاة إلى الله، و المستضعفون في الأرض، لينفتحوا على الأمل الكبير، عندما تضيق بهم الحياة، و تشتدّ عليهم الضّغوط، و تزحف نوازع البأس إلى حياتهم، فإذا بالله في قدرته و رصده و إشرافه على أوضاع عباده، يوحي لهم بمتابعة طريق الدّعوة و الجهاد في سبيله، و الأخذ بأسباب الحرّيّة، ليقول لهم: إنّي معكم، و ليقول كلّ واحد لصاحبه: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا﴾ التّوبة: ٤٠، فيزدادون قوّة و ثباتًا، و اندفاعًا في حركة الصّراع. (٢٤: ٢٤٥)

مِرْصَادًا

إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا. النّبأ: ٢١

ابن عبّاس: محبسًا أو مسجنًا (٤٩٩)

الحسن: ألا إنّ على الباب الرّصد، فمن جاء بجواز جاز، و من لم يجئ بجواز احتبس. (الطّبريّ ١٢: ٤٠٣)

لا يدخل الجنّة أحد حتّى يجتاز النّار. (الطّبريّ ١٢: ٤٠٣)

قتادة: يُعلِمُنا أنّه لا سبيل إلى الجنّة حتّى يقطع النّار. (الطّبريّ ١٢: ٤٠٣)

إنّ المرصاد وعيد أوعد الله به الكفّار. (الماوَرْديّ ٦: ١٨٥)

مُقاتِل: مَرْصدًا: محبسًا يحبس فيه النّاس. (الطّبْرسيّ ٥: ٤٢٤)

الثّوريّ: عليها ثلاث قناطر. (الطّبريّ ١٢: ٤٠٢)

المُبرِّد: مرصادًا يرصدون به، أي هو مُعدّ لهم يرصد بها خزنتها الكفّار. (الواحديّ ٤: ٤١٣)

الطّبريّ: يعني تعالى ذكره بقوله: إنّ جهنّم كانت ذات رَصْد لأهلها، الّذين كانوا يكذّبون في الدّنيا بها، و بالمعاد إلى الله في الآخرة، و لغيرهم من المصدّقين بها.

و معنى الكلام: أنّ جهنّم كانت ذات ارتقاب ترقّب من يجتازها و ترصُدهم. (١٢: ٤٠٢)

الزّجّاج: أي يرصد أهل الكفر و من حقّ عليه العذاب. (٥: ٢٧٣)

الماوَرْديّ: فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: يعني أنّها راصدة فجازتهم بأعمالهم، قاله أبوسنان

الثّاني: [قول الحسَن المتقدّم]

الثّالث: [قول قَتادَة المتقدّم] (٦: ١٨٥٩)

الطُّوسيّ: إخبار منه تعالى بأنّ جهنّم تكون يومئذ مرصادًا. و المرصاد هو المُعدّ لأمر على ارتقابه الوقوع فيه، و هو «مِفْعَال» من الرّصد.

و قيل: المعنى ذات ارتقاب لأهلها تراصدهم بنكالها. و الرّصد عمل ما يترقّب به الاختطاف. (١٠: ٢٤٣)

القُشَيْريّ: أي ممرًّا. و يقال ذات ارتقاب لأهلها. (٦: ٢٤٥)

أنّ المرصاد المكان الّذي يرصد فيه الواحد العدوّ، نحو المضمار: الموضع الّذي تُضمّر فيه الخيل. أي هي مُعدّة لهم؛ فالمرصاد بمعنى المحلّ، فالملائكة يرصدون الكفّار حتّى ينزلوا بجهنّم. (القُرطُبيّ ١٩: ١٧٥)

البغَويّ: طريقًا و ممرًّا، فلاسبيل لأحد إلى الجنّة حتّى يقطع النّار.

و قيل: كانت مرصادًا، أي مُعدّة لهم. يقال: أرصَدْت له الشّيء إذا أعددته له.

و قيل: هو من رصَدْت الشّيء أرْصُده إذا ترقّبته. و المرصاد: المكان الّذي يرصد الرّاصد فيه العدوّ. و قوله: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ أي ترصد الكفّار. (٥: ٢٠٠)

المَيْبُديّ: أي طريقًا و ممرًّا، فلاسبيل إلى الجنّة حتّى تقطع النّار. و قيل: محبسًا و موضع رصد، كالمضمار لحلبة الخيل. الحلبة خيل تُجمَع للسّباق من كلّ أوْب، و المضمار: الموضع. (١٠: ٣٥٤)

الزّمَخْشَريّ: المرصاد: الحدّ الّذي يكون فيه الرّصد. و المعنى: أنّ جهنّم هي حدّ الطّاغين الّذي يُرصَدون فيه للعذاب، و هي مآبهم.

أو هي مرصاد لأهل الجنّة، ترصدهم الملائكة الّذين يستقبلونهم عندها، لأنّ مجازهم عليها، و هي مآب للطّاغين. و عن الحسَن و قَتادَة نحوه قالا: طريقًا و ممرًّا لأهل الجنّة. (٤: ٢٠٩)

نحوه النّسَفيّ. (٤: ٣٢٦)

ابن عَطيّة: موضع الرّصد؛ و منه قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ الفجر: ١٤، و قد روي عن الحسن بن أبي الحسن أنه قال: لايدخل أحد الجنّة حتّى يجوز على جهنّم، فمن كانت عنده أسباب نجاة نجا و إلّا هلك. و قال قَتادَة: تعلمنّ أنّه لاسبيل إلى الجنّة حتّى تقطع النّار.

و في الحديث الصّحيح: «إنّ الصّراط جسر يُنصَب على متن جهنّم، ثمّ يجوز عليه النّاس فناج، ومُكردس».

و قال بعض المتأوّلين: ﴿مِرْصَادًا﴾ «مِفْعَال» بمعنى راصد. (٥: ٤٢٥)

الطَّبْرِسيّ: و قيل: طريقًا منصوبًا على العاصين، فهو موردهم و منهلهم. و هذا إشارة إلى أنّ جهنّم للعصاة على الرّصد لايفوتونها. (٥: ٤٢٤)

الفَخر الرّازيّ: فيه مسائل:

المسألة الأولى: قرأ ابن يعمر (أنَّ جَهَنَّمَ) بفتح الهمزة، على تعليل قيام السّاعة، بأنّ جهنّم كانت مرصادًا للطّاغين، كأنّه قيل: كان كذلك لإقامة الجزاء.

المسألة الثّانية: كانت مرصادًا، أي في علم الله تعالى، وقيل: صارت. وهذان القولان نقلهما القفّال رحمه الله تعالى. وفيه وجه ثالث ذكره القاضي، فإنّا إذا فسّرنا المرصاد بالمرتقب، أفاد ذلك أنّ جهنّم كانت كالمنتظرة لقدمهم من قديم الزّمان، وكالمستدعية والطّالبة لهم.

المسألة الثّالثة: في المرصاد قولان:

أحدهما: أنّ المرصاد اسم للمكان الّذي يُرصَد فيه، كالمضمار اسم للمكان الّذي يُضمّر فيه الخيل، والمنهاج اسم للمكان الّذي يُنهَج فيه. وعلى هذا الوجه فيه احتمالان:

أحدهما: أنّ خزنة جهنّم يرصدون الكفّار.

والثّاني: أنّ مجاز المؤمنين وممرّهم كان على جهنّم، لقوله: ﴿وَاِنْ مِنْكُمْ اِلَّا وَارِدُهَا﴾ مريم: ٧١، فخزنة الجنّة يستقبلون المؤمنين عند جهنّم، ويرصدونهم عندها.

القول الثّاني: أنّ المرصاد «مِفْعَال» من الرّصد، وهو التّرقّب، بمعنى أنّ ذلك يكثر منه، والمفعال من أبنية المبالغة كالمعطار والمعمار والمطعان.

قيل: إنّها ترصد أعداء الله وتشقّ عليهم، كما قال تعالى: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾ الملك: ٨، قيل: ترصد كلّ كافر ومنافق.

والقائلون بالقول الأوّل استدلّوا على صحّة قولهم بقوله تعالى: ﴿اِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ الفجر: ١٤، ولو كان المرصاد نعتًا لوجب أن يقال: إنّ ربّك لمرصاد. (٣١: ١٢)

القُرطُبيّ: «مِفْعَال» من الرّصد، والرّصد: كلّ شيء كان أمامك.

وقيل: ﴿مِرْصَادًا﴾ ذات أرصاد على النّسب، أي ترصد من يمرّ بها. وقيل: طريقًا وممرًّا، فلاسبيل إلى الجنّة حتّى يقطع جهنّم. [إلى أن قال:]

قلت: فجهنّم مُعدّة مترصّدة، متفعّل من الرّصد وهو التّرقّب، أي هي متطلّعة لمن يأتي. والمرصاد «مِفْعَال» من أبنية المبالغة، كالمعطار والمغيار، فكأنّه يكثر من جهنّم انتظار الكفّار. (١٩: ١٧٥)

البَيْضاويّ: ﴿مِرْصَادًا﴾: موضع رصد يَرْصُد فيه خزنة النّار الكفّار، أو خزنة الجنّة المؤمنين، ليحرسوهم من فيحها في مجازهم عليها، كالمضمار، فإنّه الموضع الّذي تُضمّر فيه الخيل أو مُجدّة في ترصّد الكفرة، لئلّا يشذّ منها واحد كالمطعان. وقرئ (أنّ) بالفتح، على التّعليل لقيام السّاعة. (٢: ٥٣٣)

نحوه الشّربينيّ (٤: ٤٧١)، والمشهديّ (١١: ١٦٥).

أبوحَيّان: «مِفْعَال» من الرّصد، ترصد من حقّت عليه كلمة العذاب. و«مِفْعَال» للمذكّر والمؤنّث بغير تاء، وفيه معنى النّسب، أي ذات رصد. وكلّ ما جاء من الأخبار والصّفات على معنى النّسب فيه التّكثير واللّزوم. (٨: ٤١٣)

الثّعالبيّ: موضع الرّصد، و قيل: ﴿مِرْصَادًا﴾ بمعنى واحد. (٣: ٤٣٣)

أبو السّعود: شروع في تفصيل أحكام الفصل الّذي أُضيف إليه اليوم، إثر بيان هوله، و وجه تقديم بيان حال الكفّار غنيّ عن البيان. و المرصاد: اسم للمكان الّذي يُرصَد فيه، كالمضمار الّذي هو اسم للمكان الّذي يُضمّر فيه الخيل، و المنهاج: اسم للمكان الّذي يُنهَج فيه، أي إنّها كانت في حكم الله تعالى و قضائه، موضع رصد يرصد فيه خزنة النّار الكفّار، ليعذّبوهم فيها. (٦: ٣٥٩)

الكاشانيّ: موضع رصَد. (٥: ٢٧٥)

نحوه شبّر. (٦: ٣٥٠)

البُرُوسَويّ: [نحو أبي السّعود و أضاف:]

كأنّه عمّم المرصاد: حيث إنّ الصّراط محبس للأعداء و ممرّ للأولياء. و الأوّل أولى، لأنّ التّرصّد في مثل ذلك المكان الهائل إنّما هو للتّعذيب، و هو للكفّار و الأشقياء. (١٠: ٣٠٢)

الشَّوْكانيّ: معنى الآية: أنّ جهنّم كانت في حكم الله و قضائه، موضع رصد يرصد فيه خزنة النّار الكفّار، ليعذّبوهم فيها، أو هي في نفسها متطلّعة لمن يأتي إليها من الكفّار، كما يتطلّع الرّصد لمن يمرّ به و يأتي إليهم. و المرصاد: « مِفْعَال » من أبنية المبالغة، كالمعطار و المعمار، فكأنّه يكثر من جهنّم انتظار الكفّار. (٥: ٤٤٩)

الآلوسيّ: شروع في تفصيل أحكام الفصل الّذي أُضيف إليه اليوم [أي قوله: قبلها في الآية ١٧ منها ﴿إِنَّ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾] إثر بيان هوله.

و المرصاد: اسم مكان كالمضمار، للموضع الّذي تُضمّر فيه الخيل، و « مِفْعَال » يكون كذلك ـ على ما صرّح به الرّاغب و الجَوهَريّ و غيرهما ـ كما يكون اسم آلة و صفة مشبّهة للمبالغة. و الظّاهر أنّه حقيقة في الجميع، أي موضع رصد و ترقّب ترصد فيه خزنة النّار الكفّار، ليعذّبوهم.

و قيل: ترصد فيه خزنة الجنّة المؤمنين، ليحرسوهم من فيحها في مجازهم عليها.

و قيل: ترصد فيه الملائكة عليهم السّلام الطّائفتين لتعذّب[1] إحداهما و هي المؤمنة، و تُعذّب الأُخرى و هي الكافرة.

و جُوّز أن يكون صيغة مبالغة كمنحار، أي مُجدّة في ترصّد الكفرة، لئلّا يشذّ منهم واحد، أو مجدّة في ترصّد المؤمنين لئلّا يتضرّر أحد منهم من فيحها، أو مجدّة في ترصّد فيه الطّائفتين، على نحو ما سمعت آنفًا.

و إسناد ذلك إليها مجاز، أو على سبيل التّشبيه.

و في « البحر »: أنّ ﴿مِرْصَادًا﴾ معنى النّسب، أي ذات رصد، و قد يفسّر المرصاد بمطلق الطّريق، و هو أحد معانيه، فيكون للطّائفتين. و من هنا قال الحسن، كما أخرج عنه ابن جرير و ابن المنذر و عبد بن حميد في الآية: لا يدخل الجنّة أحد حتّى يجتاز النّار. و قال قَتادَة كما أخرج هؤلاء عنه أيضًا: اعلموا أنّه لا سبيل

---

(١) جاء في الهامش « قوله: لتعذّب إحداهما و هي المؤمنة هكذا في خطّ المؤلّف، و لعلّ صوابه لتُنقَذ. و انظره. انتهى»

إلى الجنّة حتّى تقطع النّار. (٣٠: ١٤)

القاسميّ: أي موضع رصد، يرصد فيه خزنتها من كان يُكذّب بها و بالمعاد. على أنّ ﴿مِرْصَادًا﴾ اسم مكان. أو مُجدّة في ترصّدهم و ارتقاب مقدمهم. على أنّه صيغة مبالغة. (١٧: ٦٠٣٧)

الحائريّ: أي إنّها في حكم الله موضع رصَد يُرصَد فيه، و خزنة جهنّم يرصدون الكفّار ليعذّبوهم فيها. فالمرصاد اسم للمكان الّذي يُرصَد فيه، و يُستعمل للمحلّ الّذي اختصّ بالتّرغيب، و الجواز عليه. (١٢: ٤٨)

المَراغيّ: أي إنّ دار العذاب ـ و هي جهنّم ـ مكان يرتقب فيه خزنتها من يستحقّها بسوء أعماله، و خُبث عقيدته و فعاله. (٣٠: ١٣)

ابن عاشور: المرصاد: مكان الرّصد، أي الرّقابة، و هو بوزن «مِفْعَال» الّذي غلب في اسم آلة الفعل، مثل مضمار للموضع الّذي تُضمّر فيه الخيل، و منهاج للموضع الّذي يُنْهَج منه.

و المعنى: أنّ جهنّم موضع يرصد منه الموكّلون بها، و يترقّبون من يُزجَى إليها من أهل الطّغيان، كما يترقّب أهل المرصاد من يأتيه من عدوّ.

و يجوز أن يكون «مرصاد» مصدرًا على وزن «المفعال» أي رصدًا. و الإخبار به عن جهنّم للمبالغة حتّى كأنّها أصل الرّصد، أي لاتُفلت أحدًا ممّن حقّ عليهم دخولها.

و يجوز أن يكون «مرصاد» زنة مبالغة للرّاصد الشّديد الرّصد، مثل صفة مغيار و معطار، وُصفت به جهنّم على طريقة الاستعارة، و لم تلحقه «ها» التّأنيث، لأنّ جهنّم شُبّهت بالواحد من الرّصد بتحريك الصّاد، و هو الواحد من الحرس الّذي يقف بالمَرْصَد، إذ لا يكون الحارس إلّا رجلًا.

و متعلّق: ﴿مِرْصَادًا﴾ محذوف، دلّ عليه قوله: ﴿لِلطَّاغِينَ مَآبًا﴾. و التّقدير: مرصادًا للطّاغين. و هذا أحسن، لأنّ قرائن السّورة قصار، فيحسن الوقف عند ﴿مِرْصَادًا﴾ لتكون قرينة. (٣٠: ٣١)

عبد الكريم الخطيب: هو تهديد للمشركين المكذّبين بيوم القيامة، و بما فيه من حساب وجزاء، فهذه جهنّم على موعد معهم، قد أُعدّت لهم و رصدت للقائم. (١٥: ١٤٢٠)

مكارم الشّيرازيّ: المِرْصَاد: اسم مكان يختفي فيه للمراقبة. و يقول الرّاغِب في «مفرداته»: المَرْصَد موضع الرّصد، و المرصاد نحوه، لكن يقال: للمكان الّذي أُختصّ بالتّرصّد.

و قيل: إنّه صيغة مبالغة، و يطلق على الّذي يكمن كثيرًا للرّصَد، مثل المعمار الّذي يكثر من البناء و العمران.

و المعنى الأوّل أشهر و أنسب، و لكن من سيقوم بعمليّة الرّصد في جهنّم؟

قيل: هم ملائكة العذاب، بدلالة الآية: ٧١، من سورة مريم الّتي تحكي عن مرور جميع النّاس صالحهم و طالحهم من جانب جهنّم أو من فوقها: ﴿وَ اِنْ مِنْكُمْ اِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلٰى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾، و خلال ذلك المشهد تقوم ملائكة العذاب برصد أهل النّار،

و التقاتهم من بين الخلق.

و أمّا لو قلنا في تفسير الآية: بأنّها صيغة المبالغة، فسيكون جهنّم هي المرصاد للطّاغين، و تقوم بعمليّة جذب أهل النّار إليها حال مرور الخلق و اقترابهم منها. وعلى أيّة حال، فلايستطيع أيّ من الطّاغين من تخطّي ذلك المعبر المحتوم، فإمّا أن تخطفه ملائكة العذاب أو تجذبه جهنّم. (١٩: ٣٠٣)

فضل الله: فهي تنتظر و تترقّب و ترصد لاستقبال القادمين إليها، لتكون دار الإقامة الأخيرة لهم، بعد أن طوّفوا بالأرض و قطعوا المراحل الكثيرة من الزّمن، حتّى وصلوا إليها في المرحلة الّتي توقّفت في محطّة الموت، لتواصل مسيرتها في الحياة الجديدة (٢٤: ٢٠)

رَصَدًا

١ـ وَاَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْاٰنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا. الجنّ: ٩

مُقَاتِل: من الملائكة. (٤: ٤٦٣)

ابن قُتَيْبَة: الّذي قد أُرصد به للرّجم. (٤٨٩)

الطَّبَريّ: يعني شهاب نار قد رصد له به. (١٢: ٢٦٥)

الزّجّاج: أي حفظة تمنع من الاستماع. (٥: ٢٣٤)

الماوَرْديّ: يعني بالشّهاب: الكوكب المحرق، و الرّصد: من الملائكة. (٦: ١١٢)

الواحديّ: أرصد له ليرمي به. (٤: ٣٦٥)

مثله البغويّ (٥: ١٦٠)، و الشّربينيّ (٤: ٤٠١).

المَيْبُديّ: أي نجمًا قد أرصد له يزجره عن الاستماع. (١٠: ٢٥٣)

الزّمَخْشَريّ: و الرّصد: مثل الحرَس، اسم جمع للرّاصد، على معنى ذوي شهاب راصدين بالرّجم، و هم الملائكة الّذين يرجمونهم بالشّهب و يمنعونهم من الاستماع.

و يجوز أن يكون صفة للشّهاب، بمعنى الرّاصد، أو كقوله: و معي جياعًا، يعني يجد شهابًا راصدًا له و لأجله. (٤: ١٦٨)

نحوه النّسفيّ (٤: ٣٠٠)، و الآلوسيّ (٢٩: ٨٧).

ابن عَطيّة: نعت لشهاب، و وصفه بالمصدر. (٥: ٣٨١)

الطَّبْرِسيّ: يرمي و يرصد له، و ﴿شِهَابًا﴾ مفعول به، و ﴿رَصَدًا﴾ صفته. (٥: ٣٦٩)

ابن الجَوْزيّ: معنى ﴿رَصَدًا﴾ قد أرصد له المرميّ به. (٨: ٣٨٠)

الفَخْر الرّازيّ: في قوله: ﴿شِهَابًا رَصَدًا﴾ وجوه:

أحدها: قال مُقاتِل: يعني رميًا من الشّهب و رصدًا من الملائكة، و على هذا يجب أن يكون التّقدير: شهابًا و رصدًا، لأنّ الرّصد غير الشّهاب، و هو جمع راصد.

و ثانيها: قال الفرّاء: أي شهابًا قد أرصد له ليرجم به، و على هذا الرّصد نعت للشّهاب، و هو فعل بمعنى مفعول.

و ثالثها: يجوز أن يكون ﴿رَصَدًا﴾ أي راصدًا، و ذلك لأنّ الشّهاب لـمّا كان معدًّا له، فكأنّ الشّهاب راصد له، و مترصّد له.

و اعلم أنّا قد استقصينا في هذه المسألة في تفسير

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ الملك: ٥، فإن قيل: هذه الشّهب كانت موجودة قبل المبعث، و يدلّ عليه أمور:

أحدها: أنّ جميع الفلاسفة المتقدّمين تكلّموا في أسباب انقضاض هذه الشّهب؛ و ذلك يدلّ على أنّها كانت موجودة قبل المبعث.

و ثانيها: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ ذكر في خلق الكواكب فائدتين، التّزيين، و رجم الشّياطين.

و ثالثها: أنّ وصف هذا الانقضاض جاء في شعر أهل الجاهليّة. قال أوس بن حجر:

فانقض كالدّريّ يتبعه * نقع يثور تخاله طنبًا

و قال عوف بن الخرع:

يرد علينا العير من دون إلفه

أو الثّور كالدّري يتبعه الدّم

(٣٠: ١٥٧)

العُكْبَريّ: أي مرصدًا، أو ذا إرصاد. (٢: ١٢٤٤)

القُرطُبيّ: يعني بالشّهاب الكوكب المحرق.

(١٩: ١١)

البَيْضاويّ: أي شهابًا راصدًا له، و لأجله يمنعه عن الاستماع بالرّجم، أو ذوي شهاب راصدين، على أنّه اسم جمع للرّاصد. (٢: ٥١٠)

نحوه الكاشانيّ (٥: ٢٣٥)، و المشهديّ (١١: ٣٥)، و شبّر (٦: ٢٩٦)، و البُرُوسَويّ (١٠: ١٩٣).

أبوحَيّان: المعنى: فمن يقع منه استماع في الزّمان الآتي يجد له شهابًا رصدًا، أي يرصده فيحرقه. هذا لمن استمع. (٨: ٣٤٩)

السّمين: ﴿رَصَدًا﴾: إمّا مفعول له، و إمّا صفة لـ ﴿شِهَابًا﴾، أي ذا رَصَد. و جعل الزّمخشريّ الرّصد اسم جمع كحرَس، فقال: و الرّصَد: اسم جمع للرّاصد كحرَس على معنى ذوي شهاب راصدين بالرّجم، و هم الملائكة. و يجوز أن يكون صفةً للشّهاب، بمعنى الرّاصد. [ثمّ استشهد بشعر] (٦: ٣٩٢)

أبوالسُّعود: أي شهابًا راصدًا له، ولأجله يصدّه عن الاستماع بالرّجم، أو ذوي شهاب راصدين له، على أنّه اسم مفرد في معنى الجمع كالحرس. قيل حدث هذا عند مبعث النّبيّ عليه الصّلاة و السّلام، و الصّحيح أنّه كان قبل البعث أيضًا، لكنّه كثر الرّجم بعد البعثة، و زاد زيادة حتّى تنبّه لها الإنس و الجنّ، و منع الاستراق أصلاً، فقالوا: ما هذا إلّا لأمر أراده الله تعالى بأهل الأرض. (٦: ٣١٥)

الشَّوْكانيّ: أي أرصد له ليرمي به، أو لأجله لمنعه من السّماع، و قوله: ﴿الْآنَ﴾ هو ظرف للحال و استعير للاستقبال، و انتصاب ﴿رَصَدًا﴾ على أنّه صفة لـ ﴿شِهَابًا﴾، أو مفعول له، وهو مفرد. و يجوز أن يكون اسم جمع كالحرَس. (٥: ٣٧٤)

المَراغيّ: أي فمن يَرُم أن يسترق السّمع اليوم يجد له شهابًا مرصدًا، لا يتخطّاه و لا يتعدّاه، بل يهلكه و يمحقه. (٢٩: ٩٩)

ابن عاشور: و الرّصَد: اسم جمع راصد، و هو الحافظ للشّيء، و هو وصف لـ ﴿شِهَابًا﴾، أي شهبًا

راصدة. و وصفها بالرّصَد استعارة شُبّهت بالحُرّاس الرّاصدين.

و هذا إشارة إلى انقراض الكهانة، إذ الكاهن يتلقّى من الجنّيّ أنباء بجملة بما يتلقّفه الجنّيّ من خبر الغيب تلقّف اختطاف ناقصًا، فيُكمله الكاهن بحدسه بما يُناسب مجاري أحوال قومه و بلده. و في الحديث: «فيزيد على تلك الكلمة مائة كَذْبة».

وأمّا اتّصال نفوس الكُهّان بالنّفوس الشّيطانيّة، فيجوز أن يكون من تناسب بين النّفوس، و مُعظمُه أوهام. و سُئل رسول الله ﷺ عن الكُهّان فقال: «ليسوا بشيء». (٢٩: ٢١٣)

المُصْطَفَويّ: الرّصد صيغة صفة كحسَن، أي يشاهد شهابًا مترصّدًا له و في رصده.

فإنّ العوالم العلويّة ذات مراتب و مقامات، و لكلّ مرتبة أهل و حدّ محدود، لا يسبق أحد من المرتبة النّازلة إلى العالية، كما أنّ العالم الجسمانيّ أيضًا كذلك. (٤: ١٤٦)

مكارم الشّيرازيّ: «رصد» على وزن «حسد» و هو التّهيّؤ لانتظار شيء، و يُعبّر عنه بـ«الكمين» و تعني أحيانًا اسم فاعل بمعنى الشّخص أو الشّيء الّذي يكمن، و هذا ما أُريد به في هذه الآيات. (١٩: ٨١)

٢ـ إِلَّا مَنِ ارْتَضٰى مِنْ رَسُولٍ فَاِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا. الجنّ: ٢٧

ابن عبّاس: حرسًا من الملائكة يحفظونه من الجنّ و الشّياطين و الإنس، لكي لا يستمعوا قراءة جبرئيل ؑ. (٤٨٩)

نحوه ابن زَيْد. (الماوَرْديّ ٦: ١٢٢)

هي معقّبات من الملائكة يحفظون النّبيّ ﷺ من الشّيطان، حتّى يتبيّن الّذي أرسل به إليهم؛ و ذلك حين يقول: ﴿لِيَعْلَمَ اَنْ قَدْ اَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ﴾ الجنّ: ٢٨. (الطّبَريّ ١٢: ٢٧٦)

النَّخَعيّ: الملائكة رصد من بين يديه و من خلفه يحفظونه من الجنّ. (الطّبَريّ ١٢: ٢٧٦)

نحوه قَتادَة. (الطّبَريّ ١٢: ٢٧٦)

ابن المُسَيَّب: أربعة من الملائكة حفظة. (الثّعلبيّ ١٠: ٥٦)

نحوه قَتادَة. (الماوَرْديّ ٦: ١٢٢)

الضّحّاك: كان النّبيّ ﷺ إذا بُعث إليه الملَك بالوحي بُعث معه ملائكة يحرسونه من بين يديه و من خلفه، أن يتشبّه الشّيطان على صورة الملَك. (الطّبَريّ ١٢: ٢٧٦)

السُّدّيّ: إنّهم يحفظون الوحي فما جاء من الله قالوا: إنّه من عند الله، و ما ألقاه الشّيطان قالوا: إنّه من الشّيطان. (الماوَرْديّ ٦: ١٢٢)

مُقاتِل: كان إذا بعث الله عزّ و جلّ نبيًّا أتاه إبليس على صورة جبريل، و بعث الله تعالى من بين يدي النّبيّ ﷺ و من خلفه رصدًا من الملائكة، فلا يسمع الشّيطان حتّى يفرغ جبريل ؑ من الوحي إلى النّبيّ ﷺ فإذا جاء إبليس أخبرته به الملائكة، و قالوا: هذا إبليس، و إذا جاء جبرئيل قالوا: هذا رسول

ربّك.[1] (٤: ٤٦٦)

الفرّاء: ذكروا أنّ جبريل صلّى الله عليه كان إذا نزل بالرّسالة إلى النّبيّ ﷺ نزلت معه ملائكة من كلّ سماء، يحفظونه من استماع الجنّ الوحي ليسترقوه، فيلقوه إلى كهنتهم، فيسبقوا به النّبيّ ﷺ. فذلك الرّصد من بين يديه و من خلفه. (٣: ١٩٦)

ابن قُتَيْبَة: من الملائكة يدفعون عنه الجنّ أن يسمعوا ما ينزل به الوحي، فيلقوه إلى الكهنة قبل أن يُخبر به النّبيّ ﷺ النّاس. (٤٩٢)

الطّبَريّ: يقول: فإنّه يُرسل من أمامه و من خلفه حرسًا و حفظة يحفظونه. (١٢: ٢٧٦)

الزّجّاج: إذا نزل الملَك بالوحي أرسل الله معه رصَدًا يحفظون الملك من أن يأتي أحد من الجنّ فيستمع الوحي، فيُخبر به الكهنة، فيخبروا به النّاس، فيُساؤوا الأنبياء. فأعلم الله أنّه يسلك من بين يدي الملك و من خلفه رَصَدًا. (٥: ٢٣٨)

أبومسلم الأصفهانيّ: الطّريق، و يكون معناه: فإنّه يجعل له إلى علم بعض ما كان قبله و ما يكون بعده طريقًا. (الماوَرْديّ ٦: ١٢٢)

الثّعلبيّ: حفظة من الملائكة يحفظونه من الشّياطين و استماع الجنّ، لئلّا يسترقوه، فيلقوه إلى كهنتهم. (١٠: ٥٦)

الطُّوسيّ: معناه: إنّ الله إذا نزل الملَك بالوحي أرسل معه رصدًا يحفظون الملك، من أن يأتي أحد من الجنّ و يسمع الوحي. و نُصب ﴿رَصَدًا﴾ على المفعول، كأنّه قال يجعل رصدًا يسلك من بين يديه و من خلفه. (١٠: ١٥٨)

الواحديّ: أي بين يديه و خلفه مَر صدًا من الملائكة، يحوطون الوحي من أن يسترقه الشّياطين، فيُلقوه إلى الكهنة، و الرّصد من الملائكة يدفعون الجنّ من أن يستمع ما ينزل من الوحي. (٤: ٣٦٩)

نحوه البغَويّ. (٥: ١٦٤)

المَيْبُديّ: أي حرسًا. و قيل: لئلّا يطّلع عليه الكهنة قبل الوصول إلى النّبيّ المرسَل إليه، فيكون الرّسول هو أوّل من يتكلّم به.

و قيل: كان جبرئيل عليه السلام إذا بُعث إلى نبيّ من الأنبياء انحدر معه أهل كلّ سماء إلى الّتي تليها، و انحدر معه ملائكة السّماء الدّنيا إلى الأرض، فيحيطون به و بالوحي و بالنّبيّ حتّى يفرغ من أدائه. (١٠: ٢٥٨)

الزّمَخْشَريّ: حفظة من الملائكة يحفظونه من الشّياطين يطردونهم عنه، و يعصمونه من وساوسهم و تخاليطهم حتّى يبلغ ما أُوحي به إليه. (٤: ١٧٣)

نحوه النّسَفيّ. (٤: ٣٠٢)

ابن عَطيّة: لإبليس و حزبه، من الجنّ و الإنس. (٥: ٣٨٥)

الطّبْرِسيّ: و الرّصَد: الطّريق. أي يجعل له إلى علم ما كان قبله من الأنبياء و السّلف، و علم ما يكون بعده طريقًا.

و قيل: معناه أنّه يحفظ الّذي يطّلع عليه الرّسول، فيجعل من بين يديه و من خلفه رصدًا من الملائكة،

---

(١) هكذا نقل الثّعلبيّ عن مُقاتِل (١٠: ٥٦).

يحفظون الوحي من أن تسترقه الشّياطين، فتُلقيه إلى الكهنة. و قيل: رصدًا من بين يدي الرّسول و من خلفه، و هم الحفظة من الملائكة، يحرسونه عن شرّ الأعداء و كيدهم، فلايصل إليه شرّهم.

و قيل: المراد به جبرائيل عليه السلام أي يجعل من بين يديه و من خلفه رصَدًا كالحجاب، تعظيمًا لما يتحمّله من الرّسالة. كما جرت عادة الملوك بأن يضمّوا إلى الرّسول جماعة من خواصّهم، تشريفًا له. و هذا كما روي أنّ سورة الأنعام نزلت و معها سبعون ألف ملَك. (٥: ٣٧٤)

ابن الجَوْزيّ: أي: يجعل له حفظة من الملائكة يحفظون الوحي من أن يسترقه الشّياطين، فتُلقيه إلى الكهنة، فيتكلّمون به قبل أن يُخبر النّبيّ ﷺ النّاس.

و قيل: يسلك من بين يدي الوحي. فالرّصد من الملائكة يدفعون الشّياطين عن أن تستمع ماينزل من الوحي. (٨: ٣٨٦)

الفَخْر الرّازيّ: فالمعنى: أنّه يسلك من بين يدي من ارتضى للرّسالة، ﴿وَ مِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ أي حفظة من الملائكة يحفظونه من وساوس شياطين الجنّ و تخاليطهم، حتّى يبلّغ ما أُوحي به إليه، و من زحمة شياطين الإنس حتّى لايؤذونه و لايضرّونه. (٣٠: ١٦٩)

القُرطُبيّ: يعني ملائكة يحفظونه عن أن يقرب منه شيطان، فيحفظ الوحي من استراق الشّياطين، و الإلقاء إلى الكهنة. (١٩: ٢٨)

البَيْضاويّ: حُرّاسًا من الملائكة يحرسونه من اختطاف الشّياطين و تخاليطهم. (٢: ٥١٢)

نحوه الكاشانيّ (٥: ٢٣٨)، و شُبّر (٦: ٣٠١)، و الآلوسيّ (٢٩: ٩٦).

أبوالسُّعود: تقرير و تحقيق للإظهار المستفاد من الاستثناء و بيان لكيفيّته، أي فإنّه يسلك من جميع جوانب الرّسول ﷺ - عند إظهاره على غيبه - حرسًا من الملائكة يحرسونه من تعرّض الشّياطين لما أظهره عليه من الغيوب المتعلّقة برسالته. (٦: ٣١٨)

الشَّوْكانيّ: أي حفظة يحفظون النّبيّ ﷺ من أمامه و ورائه من الجنّ و الشّياطين. (٥: ٣٨٣)

المَراغيّ: الرّصَد: القوم يرصدون كالحرَس، و الرّاصد للشّيء: الرّاقب له، و التّرصّد: التّرقّب، و المراد بهم هنا الملائكة الحفظة، أي فإنّه يسلك من بين يدي من ارتضى من رسله، و من خلفهم حفظة من الملائكة، يحفظونهم من وساوس شياطين الجنّ و تخاليطهم، حتّى يبلّغوا ما أُوحي به إليهم، و من زحمة شياطين الإنس حتّى لايؤذونهم و لايضرّونهم. (٢٩: ١٠٧)

ابن عاشور: أي ملائكة يحفظون الرّسول ﷺ من إلقاء الشّياطين إليه ما يخلط عليه، ما أطلعه الله عليه من غيبه. [إلى أن قال:]

و الرّصَد: اسم جمع، كما تقدّم آنفًا في قوله: ﴿يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا﴾ الجنّ: ٩، و انتصب ﴿رَصَدًا﴾ على أنّه مفعول به لفعل ﴿يَسْلُكُ﴾. (٢٩: ٢٣٢)

مَغْنيّة: الّذي تبادر إلى فهمنا من هذه الآية، هو أنّ الله سبحانه يصون الأنبياء، و هم يبلّغون عنه

و يؤدّون رسالاته. يصونهم و يحفظهم من كلّ شيء، يمنعهم عن تأدية الرّسالة على وجهها، سواء أكان هذا الشّيء من الدّاخل كالذّهول و النّسيان، أم من الخارج كتشويش الأعداء، و ما إلى ذلك من محاولاتهم. و بكلمة إنّ هذه الآية تثبت العصمة للأنبياء في تأدية الوحي. (٧: ٤٤٢)

الطّباطبائيّ: ضميرا ﴿يَدَيْهِ﴾ و ﴿خَلْفِهِ﴾ للرّسول، و الرّاصد: المراقب للأمر الحارس له، و الرّصد: الرّاصد يطلق على الواحد و الجماعة، و هو في الأصل مصدر. و المراد بما بين يدي الرّسول: ما بينه و بين النّاس المرسل إليهم، و بما خلفه: ما بينه و بين مصدر الوحي الّذي هو اللّه سبحانه.

و قد اعتبر في هذا التّصوير ما يوهمه معنى الرّسالة، من امتداد متوهّم يأخذ من المرسل اسم فاعل، و ينتهي إلى المرسَل إليه يقطعه الرّسول، حتّى ينتهي إلى المرسَل إليه، فيؤدّي رسالته.

و الآية تصف طريق بلوغ الغيب إلى الرّسول، و هو الرّسالات الّتي توحي إليه، كما يشير إلى ذلك قوله: ﴿لِيَعْلَمَ اَنْ قَدْ اَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ﴾ الجنّ: ٢٨.

و المعنى: فإنّ اللّه يسلك ما بين الرّسول و من أرسل إليه، و ما بين الرّسول و مصدر الوحي مراقبين حارسين من الملائكة. و من المعلوم أنّ سلوك الرّصد من بين يديه و من خلفه، لحفظ الوحي من كلّ تخليط و تغيير بالزّيادة و النّقصان، يقع فيه من ناحية الشّياطين بلاواسطة أو معها. (٢٠: ٥٤)

حجازيّ: فإنّه يسلك من بين يدي الرّسول و من خلفه حرسًا شدادًا يحفظونه من الوساوس و الاختلاط، و الذّهول و النّسيان حتّى لايترك بعض ما أوحي إليه، أو يقصر في تبليغه ﴿اِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَ قُرْاٰنَهُ﴾ القيمة: ١٧، و هذا ما يسمّى في عُرف علماء التّوحيد بالأمانة و العصمة. (٢٩: ٥١)

عبد الكريم الخطيب: و الرّصد هو الاستعداد، و التّرقّب للأمر، و الرّصد يقال: للواحد الرّاصد، و الجماعة الرّاصدين، و للشّيء المرصود، أي المُعَدّ.

و المراد بالرّصد في الآية الكريمة ـ و اللّه أعلم ـ هو المعالم المنصوبة بين يدي الرّسول، و من خلفه، ممّا يقصّه اللّه سبحانه و تعالى على الرّسول من قصص الرّسول السّابقين، و المعاصرين لهذا الرّسول، و بما يطلّعه عليه من بعض أنباء الغيب، ممّا سيقع له على طريق دعوته.

و هذا ما يشير إليه قوله تعالى مخاطبًا النّبيّ الكريم، بعد أن قصّ عليه قصّة يوسف: ﴿ذٰلِكَ مِنْ اَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ اِلَيْكَ وَ مَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ اِذْ اَجْمَعُوا اَمْرَهُمْ وَ هُمْ يَمْكُرُونَ﴾ يوسف: ١٠٢. (١٥: ١٢٤٤)

المصطفويّ: الرّصد: مصدر، و الضّمير في ﴿فَاِنَّهُ﴾: يرجع الى اللّه عالم الغيب، و نصب الرّصد بلحاظ كونه مفعولًا لأجله، أو التّقدير: سلوكًا رصدًا.

و الرّسول أعمّ من الأنبياء، و يشمل كلّ من يوظّف برسالة من إنسان أو ملك، و أمّا استثناء الرّسول: فإنّ الرّسول يلازم أن يكون مطّلعًا على الغيب في الجملة، و في حدود رسالته شدّةً و ضعفًا.

و أمّا سلوكه تعالى و ترقّبه له: إشارة أنّ الرّسول

في رسالته واقع تحت الرّقبة و المواظبة و السّلطة التّامّة. (٤: ١٤٣)

مكارم الشّيرازيّ: رصَد: في الأصل مصدر، و يراد به الاستعداد للمراقبة من شيء، و يطلق على اسم الفاعل و المفعول، و يُستعمل في المفرد و الجمع، أي يطلق على المراقب و الحارس، أو على المراقبين و الحرَس.

و يراد به هنا: الملائكة الّذين يبعثهم الله مع الوحي إلى رسول الله ﷺ ليحيطوه من كلّ جانب، و يحفظوا الوحي من شرّ شياطين الجنّ و الإنس و وساوسهم، و من كلّ شيء يخدش أصالة الوحي، ليوصلوا الرّسالات إلى العباد من دون خدش أو زيادة أو نقصان. و هذا هو دليل من الأدلّة على عصمة الأنبياء عليهم السلام المحفوظين من الزّلّات و الخطايا، بالإمداد الإلهيّ و القوّة الغيبيّة، و الملائكة. (١٩: ٩٨)

فضل الله: رعاية الله لرسوله

ربما كان هذا شاهدًا على أنّ الغيب الّذي يُظهر الله رسوله عليه هو الوحي الّذي يُمثّل حالةً غيبيّةً، بلحاظ طبيعته و طبيعة الملائكة الّذين ينزلون به، و طبيعة الأجواء المحيطة بذلك كلّه، و بعض المفاهيم القرآنيّة المتّصلة بالغيب في ما يتّصل بالدّنيا و الآخرة.

و هذا هو الّذي يضع الله له الرّصد الّذي يحفظه من بين يديه و من خلفه، لحمايته من الضّياع و من التّحريف و من الخطإ، ليكون ذلك أساسًا في الرّقابة الدّائمة الّتي تحمي الرّسول في وعيه للرّسالة، و قدرته على إبلاغها، و تحمي الرّسالة من كلّ زيادة أو نقصان أو تحريف، في ما يمكن أن يعرض لها من الطّوارئ و العوارض المتنوّعة في ذلك كلّه. (٢٣: ١٦٩)

إرْصَادًا

وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنٰى وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ. التّوبة: ١٠٧

ابن عبّاس: انتظارًا. (١٦٦)

ابن قُتَيْبَة: أي ترقّبًا بالعداوة. يقال: رصدته بالمكافأة أرصده، إذا ترقّبته، و أرصَدْت له في العداوة. (١٩٢)

الطّبَريّ: يقول: و إعدادًا له، لأبي عامر الكافر الّذي خالف الله و رسوله و كفر بهما، و قاتل رسول الله. (٦: ٤٧٠)

الزّجّاج: كان رجل يقال له: أبو عمرو [1] الرّاهب حارب النّبيّ ﷺ و مضى إلى هِرَقْل، و كان أحد المنافقين، فقالوا: نبني هذا المسجد و ننتظر أبا عامر حتّى يجيء، فيصلّي فيه. فالإرصاد: الانتظار. (٢: ٤٦٨)

الثّعلبيّ: انتظارًا و إعدادًا (٥: ٩٣)

نحوه البَغَويّ. (٢: ٣٨٧)

الماوَرْديّ: في الإرصاد وجهان:

أحدهما: أنّه انتظار سوء يُتوقّع.

---

(١) و الظّاهر: أبو عامر.

الثّاني: الحفظ المقرون بفعل. (٢: ١٠٤)

الطُّوسيّ: معناه: اتّخذوا له ليكون متى أراد الاجتماع معهم حضره وأنس به، وهو رجل يقال له: أبوعامر الرّاهب، لحق بقيصر فتنصّر وبعث إليهم: سآتيكم بجُند، فأخرج به محمّدًا وأصحابه. فبنوه يترقّبونه، وهو الّذي حزب الأحزاب وحارب مع المشركين، فلمّا فُتحت مكّة هرب إلى الطّائف، فلمّا أسلم أهل الطّائف لحق بالشّام وخرج إلى الرّوم وتنصّر، وابنه عبدالله[1] قُتل يوم أُحُد وهو غسيل الملائكة ذهب إليه أكثر المفسّرين كابن عبّاس ومُجاهِد وقَتادَة.

وأصل الرّصاد الارتقاب، تقول: رصده يرصده رصدًا وأرصد له وراصده مراصدة وتراصد تراصُدًا وارتصده ارتصادًا. (٥: ٣٤٤)

المَيْبُديّ: أي ترقّبًا وانتظارًا، أصله من الرّصد وهو الطّريق، تقول: أرصده إذا وقف في طريقه يترقّبه. (٤: ٢١٢)

الزّمَخْشَريّ: إعدادًا. (٢: ٢١٤)

نحوه الفخر الرّازيّ (١٦: ١٩٤)، والنّسفيّ (٢: ١٤٥)، وشُبّر (٣: ١١٧).

ابن العَرَبيّ: يقال: أرصدتُ كذا لكذا، إذا أعددته مرتقبًا له به. (٢: ١٠١٣)

نحوه القُرطُبيّ. (٨: ٢٥٧)

ابن عَطيّة: الإعداد والتهيئة. (٣: ٨٢)

نحوه ابن عاشور. (١٠: ٢٠٣)

الطَّبْرِسيّ: أي أرصدوا ذلك المسجد واتّخذوه، وأعدّوا لأبي عامر الرّاهب. (٣: ٧٢)

البَيْضاويّ: ترقّبًا. (١: ٤٣٢)

نحوه الشِّربينيّ. (١: ٦٤٩)

أبو السُّعود: إعدادًا وانتظارًا وترقّبًا. (٣: ١٩١)

نحوه البُرُوسَويّ (٣: ٥٠٦)، والآلوسيّ (١١: ١٨)، والقاسميّ (٨: ٣٢٦١).

المُصْطَفَويّ: أي اتّخذوا المسجد بهذه النّيّات الفاسدة. والإرصاد: جعل شخص راصدًا ومترصّدًا في مقابل المؤمنين، وجعل المسجد مَرْصَدًا ومرصادًا للمحارب المخالف لله ورسوله. والنّصب في الكلمات: على أنّها مفاعيل لأجلها، فإنّ ﴿ضِرارًا﴾ مفعول، والبواقي معطوفة عليه. (٤: ١٤٥)

الأُصول اللُّغويّة

١ ـ الأصل في هذه المادّة: الرّصَد، أي الرّقابة. يقال: رَصَدتُ فلانًا أرْصُده رَصْدًا ورَصَدًا، إذا ترَقّبتَه؛ ومنه: حديث الإمام عليّ عليه السلام: «اعلموا عباد الله أنّ عليكم رَصَدًا من أنفسكم».[2]

وفلان يَرْصُد فلانًا: يقعد له على طريقه.

وأرْصَدتُه، إذا قعَدْتَ له على طريقه ترقبه.

ويقال للحيّة الّتي تَرْصُد المارّة على الطّريق لتلسع: رصيد.

---

(١) والصّحيح حنظلة.

(٢) نهج البلاغة ـ الخطبة: (١٥٧).

و الرّصيد: السّبع الّذي يَرْصُد ليَثِب.

و الرَّصُود من الإبل: الّتي تَرْصُد شرب الإبل ثمّ تشرب هي.

و المَرْصَد: موضع الرَّصَد، و الجمع: مراصِد، و هو المِرْصاد أيضًا. يقال: فلان لفلان بمَرْصَد و بمِرْصاد، أي بحيث يرقبه و يرى فعله.

و مَراصِد الحيّات: مكامنها.

و الرَّصائد و الوصائد: مصايد تُعَدّ للسّباع.

و الرُّصْدَة: الزُّبْيَة.

و الرَّصَد: القوم يَرْصُدون كالحرس، يستوي فيه الواحد و الجمع و المؤنّث، و ربّما قالوا: أرصاد.

و الارتصاد: الرَّصَد.

و التَّرَصّد: التّرقّب. يقال: تَرَصّدَه، أي ترقّبه.

و الرّاصد بالشّيء: الرّاقب له. يقال: رَصَدَه بالخير يَرْصُده رَصْدًا و رَصَدًا، أي رقبه، و رَصَدَه بالمكافأة كذلك.

و الإرصاد: المكافأة بالخير، و قد جعله بعضهم في الشّرّ أيضًا. يقال: أرْصَدَ له، بالخير و الشّرّ.

و الإرصاد: الانتظار و الإعداد. يقال: أرْصَدْتُ له شيئًا، أي أعْدَدْتُ له، و في حديث الحسن بن عليّ و ذكر أباه: «ما خلّف من دنياكم إلاّ ثلاثمئة درهم كان أرْصَدَها لشراء خادم».

و أرْصَدتُ له العقوبة، إذا أعْدَدتها له، و حقيقته جعلتها له على طريقه كالمترقّب له.

و الرُّصْد و الرَّصَد: أوّل المطر يَرْصُد مطرًا بعده. يقال: رُصِدَت الأرض فهي مرصودة.

و الرَّصْدَة: الدّفعة من المطر، و الجمع: رصاد. يقال: أصابت الأرض رَصْدَة من مطر، و قد كان قبل هذا المطر له رَصْدَة.

و أرض مرصودة و مُرْصَدة: أصابتها الرَّصْدَة.

و أرض مُرْصِدة: مطرت و هي تُرجى لأن تنبت.

و أرض مُرْصِدة أيضًا، إذا كان بها شيء من رَصَد. يقال: بها رَصَد من حيا.

و الرَّصَد: القليل من الكلإ في أرض يُرجى لها حَيا الرّبيع.

٢ ـ و المَرْصَد عند الفلكيّين: الموضع الّذي يَرْصُدون فيه الكواكب بواسطة آلة دقيقة يُطلِقون عليها اسم «المِرْصَد». و قد تطوّرت المَراصِد هذه الأيّام، و استُعملت في أغراض شتّى، كرَصْد الزّلازل و البراكين و الظّواهر الجوّيّة، كالحرارة و الرّطوبة و الضّغط، و حركة الرّياح و سقوط الأمطار.

غير أنّ ما يستعمله الفلكيّون في رَصْد الكواكب و ينصبونه في موضع ثابت يسمّى «مَرْصَدًا» كما في اللُّغة.

و ما يستعملونه في رَصْدها، و ينصبونه في المركبات الفضائيّة يُسمّونه «مِرْصَدًا» أو «مِسْبارًا»، و هو لفظ مولّد.

الاستعمال القرآنيّ

جاء منها مجرّدًا الوصف: (رَصَد)، و اسم الآلة: (مِرْصَاد) كلّ منهما مرّتين، و اسم مكان (مَرْصَد) مرّة، و مزيدًا المصدر (إرْصَادًا) مرّة أيضًا، في ٦ آيات:

القصّة:

١ـ ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا﴾ الجنّ: ٩

٢ـ ﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ الجنّ: ٢٧

٣ـ ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ النّبأ: ٢١

السّاعة:

٤ـ ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ الفجر: ١٤

المنافقون:

٥ـ ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ التّوبة: ١٠٧

التّشريع:

٦ـ ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلٰوةَ وَآتَوُا الزَّكٰوةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ التّوبة: ٥

ويلاحظ أوّلًا: أنّها أربعة محاور: القصّة، والسّاعة، والمنافقون، والتّشريع:

أمّا المحور الأوّل: «القصّة»، فآيتان:

الأولى: (١) الآية: ٩، من سورة الجنّ: ﴿فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا﴾:

١ـ وهذه من جملة آيات الجنّ في هذه السّورة الّتي تستمرّ إلى الآية: ١٩، منها.

٢ـ ومحتواها قول الجنّ إنّنا كنّا ـ من قبل أن مُلئت السّماء حرسًا وشُهُبًا ـ نقعد منها مقاعد سماع ما أُوحي إلى الملائكة، لكنّا لو أردنا السّمع الآن يرصدنا شهاب يمنعنا من السّماع.

٣ـ وقالوا في ﴿رَصَدًا﴾ و﴿شِهَابًا﴾: رصدًا من الملائكة، الّذي قد أرصد به للرّجم، شهاب نار قد رُصد له به، حَفَظَةٌ تمنع من الاستماع، الشّهاب: الكوكب المُحرق، والرّصد: من الملائكة، أرصد له ليرمي به نجمًا قد أرصد له يزجره عن الاستماع، يرمي ويرصد له مَرْصَدًا أو ذا إرصاد، شهابًا راصدًا، ولأجله يمنعه عن الاستماع بالرّجم، أو ذوي شهاب راصدين، ونحوها.

٤ـ وقالوا في إعرابها ومعناها: الرَّصَد مثل الحرَس اسم جمع للرّاصد، على معنى ذوي شهاب راصدين بالرّجم، وهم الملائكة الّذين يرجمون بالشُّهب، ويمنعونهم من الاستماع، أو صفة للشّهاب بمعنى الرّاصد، أو هي مثل «معي جياعٌ» يعني يجد شهابًا راصدًا له ولأجله.

٥ـ وقد ذكر الفخر الرّازيّ فيها وجوهًا، ثمّ حوّل قارئيه على تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ المُلك: ٥، ثمّ طرح سؤالًا بأنّ الشُّهب كانت موجودة قبل المبعث، وأجاب عنه، فلاحظ.

٦ـ وقال الطَّبْرسيّ (٥: ٣٦٩) ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ﴾: «أي لاستراق السّمع، أي كان يتهيّأ لنا فيما قبل القعود في مواضع الاستماع، فنسمع منها صوت الملائكة وكلامهم. ﴿فَمَنْ يَسْتَمِعِ﴾ منّا

﴿الْآنَ﴾ ذلك ﴿يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا﴾ يُرمى به، و يرصد له.و ﴿شِهَابًا﴾ مفعول به و ﴿رَصَدًا﴾ صفته».

[ثمّ ذكر أنّ الشّهب كانت في الجاهليّة نقلًا عن الزّهريّ، فلاحظ]

والثّانية: (٢) الآية: ٢٧، من سورة الجنّ أيضًا: ﴿...فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾:

١ـ و هذه من جملة ما جاءت من الآيات في آخر سورة الجنّ، خطابًا إلى النّبيّ ﷺ بعد آيات الجنّ بدءً بالآية: ٢٠، منها: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ إلى آخر السّورة.

٢ـ و محتواها: أنّ الله تعالى أمر النّبيّ ﷺ بأن يقول كلمة التّوحيد، لاأدعوا إلّا ربّي الله تعالى، و لاأشرك به أحدًا، و إنّي لاأملك لكم أيّها النّاس ضرًّا و لانفعًا.

٣ـ و قالوا في ﴿رَصَدًا﴾: حرسًا من الملائكة، يحفظونه من الجنّ و الشّياطين و الإنس، لكي لايستمعوا قراءة جبرئيل ﷺ، هي معقّبات من الملائكة يحفظون النّبيّ ﷺ من الشّيطان، حتّى يتبيّن الّذي أرسل به إليهم الملائكة رصدٌ من بين يديه و من خلفه، يحفظونه من الجنّ أربعة من الملائكة، و نحوها.

٤ـ و قال الطّبرسيّ (٥: ٣٧٣) في «اللّغة»: «الرّصد جمع راصد، و هو الحافظ».

٥ ـ و قال في «المعنى»: «أي هو عالم الغيب يعلم متى تكون القيامة ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ أي لايطّلع على الغيب أحدًا من عباده. ثمّ استثنى فقال: ﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾ يعني الرّسل، فإنّه يستدلّ على نبوّتهم بأن يخبروا بالغيب، لتكون آية معجزة لهم. و معناه: أنّ من ارتضاه و اختاره للنّبوّة و الرّسالة، فإنّه يطّلعه على ما شاء من غيبه، على حسب ما يراه من المصلحة، و هو قوله: ﴿فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾.

و الرّصد: الطّريق، أي يجعل له إلى علم ما كان قبله من الأنبياء و السّلف، و علم ما يكون بعده طريقًا.

و قيل: معناه: أنّه يحفظ الّذي يطّلع عليه الرّسول، فيجعل من بين يديه و من خلفه رصدًا من الملائكة، يحفظون الوحي من أن تسترقه الشّياطين، فتُلقيه إلى الكهنة.

و قيل: رصدًا من بين يدي الرّسول و من خلفه، و هم الحفَظَة من الملائكة، يحرسونه عن شرّ الأعداء و كيدهم، فلايصل إليه شرّهم.

و قيل: المراد به جبرائيل، أي يجعل من بين يديه و من خلفه رصدًا كالحجاب، تعظيمًا لما يتحمّله من الرّسالة، كما جرت عادة الملوك بأن يضمّوا إلى الرّسول جماعة من خواصّهم، تشريفًا له.

و هذا كما رُوي أنّ سورة الأنعام نزلت و معها سبعون ألف ملك».

و أمّا المحور الثّاني: «السّاعة» ففيه آيتان أيضًا:

الأولى: (٣) الآية: ٢١، من سورة النّبإ ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾.

١ـ وهذه الآية من تتمّة الفصل الثّاني من سورة النّبإ الّذي هو في بيان يوم الفصل و العذاب، بدءً بالآية: ١٧، منها: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾

و ختمًا بالآية: ٢٠، ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾.

و الفصل الأوّل منها ــ بعد خمس آيات هي كالمقدّمة لهذه السّورة ــ في آيات الخلقة، و هي ١١ آيةً، بدءً من الآية السّادسة ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا﴾ و ختمًا بالآية: ١٦، ﴿وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾.

و الفصل الثّالث منها في المتّقين و جزائهم، في ٦ آيات، بدءً بالآية: ٣١، ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾، و ختمًا بالآية: ٣٧، ﴿رَبِّ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾.

و الفصل الرّابع منها في يوم القيامة بدءً بالآية: ٣٨، ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ...﴾ إلى الآية: ٤١، ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ...﴾ و هي آخر السّورة.

٢ ــ و محتواها أنّ جهنّم ــ و نارها ــ هي المكان الّذي يُرْصَد فيه المكذّبون.

٣ ــ و قالوا في ﴿مِرْصَادًا﴾: محبسًا أو مسجنًا، إنّ المرصاد وعيد أوعد الله به الكفّار، محبسًا يُحبَس فيه النّاس، مِرْصادًا يُرْصدون به، أي هو مُعَدّ لهم يرصد بها خزنتها الكفّار، ذات رصَد لأهلها الّذين كانوا يكذّبون في الدّنيا بها، و بالمعاد إلى الله في الآخرة، إنّ جهنّم كانت ذات ارتقاب ترقب من يجتازها و ترصدهم، يرصد أهل الكفر و من حقّ العذاب، و المِرْصاد: هو المُعدّ لأمر على ارتقابه الوقوع فيه، و هو «مِفْعال» من الرّصَد، المكان الّذي يرصد فيه الواحد العدوّ، طريقًا و ممرًّا، مُعدًّا لهم، يقال: أرْصَدْتُ له الشّيء، إذا أعددته له.

و قيل: هو من رَصَدْتُ الشّيء أرْصُده، إذا ترقّبته. و المِرْصاد: المكان الّذي يرصد الرّاصد فيه العدوّ، و موضع الرّصَد، و نحوها.

٤ ــ و قال الزّمَخْشَريّ: «المِرْصاد: الحدّ الّذي يكون فيه الرّصَد، و المعنى: أنّ جهنّم هي حدّ الطّاغين الّذي يرصدون فيه للعذاب، و هي مآبهم.

أو هي مرصاد لأهل الجنّة، ترصدهم الملائكة الّذين يستقبلونهم عندها، لأنّ مجازهم عليها و هي مآب للطّاغين.

و عن الحسَن و قَتادَة نحوه قالا: طريقًا و ممرًّا لأهل الجنّة».

٥ ــ و قد ذكر الطّبْرِسيّ (٥: ٤٢٤) جملة ممّا ذكروه من الوجوه، فلاحظ.

و الثّانية: (٤) الآية: ١٤، من سورة الفجر: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾.

١ ــ و هذه الآية جاءت خاتمةً لآيات عذاب عاد و ثمود و فرعون الطّاغين في البلاد. فقال تعالى بعد بيان عذابهم: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾.

٢ ــ و قالوا في معنى الآية نحوًا ممّا قالوه في الآية الأُولى فلاحظ النّصوص.

٣ ــ و قال الطّبْرِسيّ (٥: ٤٨٢) في معنى الآية: «أي عليه طريق العباد، فلا يفوته أحد، عن الكَلْبيّ و الحسَن و عِكْرِمَة. و المعنى: أنّه لايفوته شيء من أعمالهم، لأنّه يسمع و يرى جميع أقوالهم و أفعالهم، كما لايفوت من هو بالمرصاد.

و روي عن عليّ عليه السلام أنّه قال: معناه: أنّ ربّك قادر على أن يجزي أهل المعاصي جزاءهم.

و عن الصّادق عليه السلام أنّه قال: المرصاد: قنطرة على

الصّراط، لايجوزها عبد بظلمة عبد.

و قال عطاء: يعني يجازي كلّ واحد، و ينتصف من الظّالم للمظلوم.

و قيل لأعرابيّ: أين ربّك؟ قال: بالمرصاد. و ليس يريد به المكان. فقد سُئل عليّ عليه السلام أين كان ربّنا قبل أن خلق السّماوات و الأرض؟ فقال: «أين» سؤال عن مكان، و كان الله و لامكان». [ثمّ ذكر روايات أخرى]

و أمّا المحور الثّالث: «المنافقون» فآية واحدة (٥) و هي الآية: ١٠٧، من سورة التّوبة: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا... وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللهَ...﴾.

١ ـ و هي الآية الأولى من الآيات الأربع من هذه السّورة في «مسجد ضرار». و آخرها الآية: ١١٠، ﴿لَايَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ...﴾.

٢ ـ و محتواها أنّ المنافقين اتّخذوا مسجدًا، ضرارًا بالإسلام و المسلمين، و كفرًا بالله و الرّسول، و تفريقًا بين المؤمنين، و إرصادًا لمن حارب الله و رسوله من قبل بناء هذا المسجد.

٣ ـ و قالوا في ﴿إِرْصَادًا﴾: انتظارًا، ترقّبًا بالعداوة. يقال: رصَدْتُه بالمكافأة أرْصُدُه، إذا ترقّبته، و أرصَدْتُ له في العداوة، و إعدادًا لأبي عامر الكافر الّذي خالف الله و رسوله، و كفر بهما و قاتل رسول الله. الإرصاد: الانتظار، انتظارًا و إعدادًا، فيه وجهان: انتظار سوء يتوقّع، و الحفظ المقرون بفعل، و أصل الرّصاد: الارتقاب، ترقّبًا وانتظارًا، أصله من الرّصَد و هو الطّريق، تقول: أرْصَدَه إذا وقف في طريقه يترقّبه، الإعداد و التّهيئة، و نحوها.

٤ ـ و قد ذكر الطّبْرسيّ (٣: ٧٢) في «النّزول»: «إنّ بني عمرو بن عوف اتّخذوا «مسجد قباء»، و بعثوا إلى رسول الله صلّى الله عليه و آله، أن يأتيهم، فأتاهم و صلّى فيه، فحسدهم جماعة من المنافقين من بني غنم بن عوف، فقالوا: نبني مسجدًا، فنصلّي فيه، و لانحضر جماعة محمّد، و كانوا اثني عشر رجلًا، و قيل: خمسة عشر رجلًا، منهم ثعلبة بن حاطب، و معتب بن قشير، و نبتل بن الحرث. فبنوا مسجدًا إلى جنب مسجد قباء، فلمّا فرغوا منه، أتوا رسول الله صلّى الله عليه و آله ـ و هو يتجهّز إلى تبوك ـ فقالوا: يارسول الله! إنّا قد بنينا مسجدًا لذي العلّة و الحاجة، و اللّيلة المطيرة، واللّيلة الشّاتية، و إنّا نحبّ أن تأتينا فتصلّي فيه لنا، و تدعو بالبركة. فقال صلّى الله عليه و آله: إنّي على جناح سفر، و لو قدمنا آتيناكم إن شاء الله، فصلّينا لكم فيه. فلمّا انصرف رسول الله من «تبوك» نزلت عليه الآية في شأن المسجد».

٥ ـ و قال في «المعنى»: «ثمّ ذكر سبحانه جماعة أخرى من المنافقين بنوا مسجدًا للتّفريق بين المسلمين، و طلب الغوائل للمؤمنين، فقال: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا﴾ و المسجد: موضع السّجود في الأصل، و صار بالعرف إسمًا لبُقعة مخصوصة بُنيت للصّلاة، فالإسم عرفيّ فيه معنى اللّغة.

﴿ضِرَارًا﴾ أي مضارّةً، يعني للضّرر بأهل «مسجد قباء» أو «مسجد الرّسول صلّى الله عليه و آله» ليقلّ الجمع فيه ﴿وَكُفْرًا﴾ أي و لإقامة الكفر فيه.

و قيل: أراد أنّه كان اتّخاذهم ذلك كفرًا بالله.

و قيل: ليكفروا فيه بالطّعن على رسول الله ﷺ، و الإسلام.

﴿وَ تَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي لاختلاف الكلمة، و إبطال الألفة، و تفريق النّاس عن رسول الله ﷺ.

﴿وَ إِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَ رَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ أي أرصدُوا ذلك المسجد، و اتّخذوه، و أعدّوا لأبي عامر الرّاهب، و هو الّذي حارب الله و رسوله من قبل». [ثمّ ذكر قصّته و تفسير الآية]

و أمّا المحور الرّابع «التّشريع»: ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَ خُذُوهُمْ وَ احْصُرُوهُمْ وَ اقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ...﴾:

١ـ و هذه من تتمّة آيات البراءة عن المشركين في هذه السّورة الّتي سمّيت بأسامي منها: «البراءة» بدءً من أوّلها: ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ وَ رَسُولِهِ...﴾، إلى الآية: ١٩، منها: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَ عِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ...﴾.

٢ـ و محتواها أنّه ـ بعد أن أجاز للمشركين في الآية الثّانية منها أن يسيحوا في أرض مكّة أربعة أشهر ـ قال في هذه: ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ﴾ أي ذي الحجّة و ما بعدها إلى المحرّم ثمّ رجب، فلابدّ للمؤمنين قتل المشركين حيث وجدوهم ـ في مكّة أو غيرها ـ و أن يحصروهم، ويقعدوا لهم كلّ مَرْصد حتّى إذا تابوا عن الشّرك، و صلّوا و آتوا الزّكاة، خلّوا سبيلهم...

٣ـ و قالوا في ﴿كُلَّ مَرْصَدٍ﴾: على كلّ طريق يذهبون و يجيؤون فيه للتّجارة، و ارْصُدُوهم بكلّ طريق عن طرقهم إلى البيت، المراصد: الطّرق، كلّ طريق و مَرْقَب و هو «مَفْعَل» من قول القائل: «رَصَدْتُ فلانًا أَرصُدُه رَصدًا» بمعنى رقبته، ﴿كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ ظرف كقولك: ذهبتُ مذهبًا، و ذهبتُ طريقًا، ذهبتُ كلّ طريق، على كلّ طريق يأخذون فيه.

و المَرْصَد: الموضع الّذي يُرقَب فيه العدوّ، و اقعدوا لهم بطريق مكّة، حتّى لا يدخلوها كلّ ممرّ و مجتاز ترصدونهم به في مواضع الغرّة؛ حيث يرصدون بكلّ طريق و بكلّ مكان تظنّون أنّهم يمرّون فيه، و ضيّقوا المسالك عليهم لتمكّنون من أخذهم، و نحوها.

٤ـ و أكثرهم قالوا: إنّ ﴿كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ ظرف، و أنكره بعضهم، و قال: إنّه مجرور بحرف «على» و حُذفت.

٥ـ و قال الطّبرسيّ (٣: ٦) في «اللّغة»: «الانسلاخ: خروج الشّيء ممّا لابسه، و أصله من سلخ الشّاة، و هو نزع الجلد عنها. و سلخنا شهر كذا، نسلخه، سَلْخًا، و سُلُوخًا.

و الحَصْر: المنع من الخروج عن محيط. و الحصر، و الحبس، و الأسر، نظائر.

و المَرْصَد: الطّريق، و مثله المَرْقَب، و المَرْبأ. و رَصَدَه يَرْصُده رَصَدًا».

٦ـ و قال (٣: ٧) في «المعنى»: «ثمّ بيّن سبحانه الحكم في المشركين بعد انقضاء المدّة، فقال: ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ﴾.

قيل: هي الأشهر الحرم المعروفة: ذو القعدة، و ذو الحجّة، و المحرّم، و رجب، ثلاثة سَرْد، و واحد

فَرْد، عن جماعة.

و قيل: هي الأشهر الأربعة الّتي حُرِّم القتال فيهـا، و جعل الله للمشركين أن يسيحوا في الأرض آمنين، على ما ذكرناه من اختلاف المفسّرين فيها.

و على هذا فمنهم من قال: معناه: فإذا انسلخ الأشهر بانسلاخ المحرّم، لأنّ المشركين من كان منهم لهم عهد، أمهلوا أربعة أشهر من حين نزلت « براءة »، و نزلت في شوّال.

و من لا عهد لهم، فأجلهم من يوم نزول النّداء، و هو يوم عرفة، أو يوم النّحر، إلى تمام الأشهر الحرم، و هي بقيّة ذي الحجّة، و المحرّم كلّه، فيكون ذلك خمسين يومًا. فإذا انقضت هذه الخمسون يومًا، انقضى الأجلان، و حلّ قتالهم سواء كان لهم عهد خاصّ، أو عامّ.

و منهم من قال: معناه: إذا انسلخ الأشهر الأربعة الّتي هي عشرون من ذي الحجّة، و المحرّم، و صفر، و شهر ربيع الأوّل، و عشر من شهر ربيع الآخر: إذ حرّمنا فيها دماء المشركين، و جعلنا لهم أن يسيحوا فيها آمنين.

﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ أي فضعوا السّيف فيهم حيث كانوا في الأشهر الحُرُم و غيرها، في الحلّ، أو في الحرم، و هذا ناسخ لكلّ آية وردت في الصّلح، و الإعراض عنهم » ثمّ فسّر باقي الآية.

٧ـ و الّذي يلفت النّظر في هذه الآيات السّتّ، أنّ مادّة « ر ص د » قد جاءت في آيتي الجنّ ﴿رَصَدًا﴾ ـ رعايةً للرّويّ فيهما ـ و المراد بها الرّاصد. و الرّاصد في الأولى هو الشّهاب ـ و هو من غير ذوي العقول ـ و في الثّانية ملك من الملائكة ـ و هنّ من ذوي العقول ـ

و جاءت في الآيتين (٣ و ٤) بدل « الرّصد » « مرصاد »، و هو اسم آلة في الأصل، و لكنّها جاءت فيهما بمعنى اسم المكان ـ آلة الرّصد ـ و المراد به فيهما « جهنّم » فقد جاءت في (٤) خبرًا لـ« كان » و اسمها ﴿جَهَنَّمَ﴾: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾.

و جاءت في (٣) مكانًا لرصد الرّبّ ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ و المراد بها جهنّم أيضًا، فإنّ الملائكة الرّاصدين للنّاس من قبل الرّبّ، مواضعهم هي أبواب جهنّم يرصدون كلّ من يدخلها ـ و هم كلّ النّاس: المؤمنون و الكافرون ـ.

و جاءت نكرةً في (٣) ﴿مِرْصَادًا﴾ و في (٤) معرفةً بألف العهد، فإنّ ﴿جَهَنَّمَ﴾ كانت معهودة للنّاس في الآيات، بأنّها مدخل و مرصد للنّاس جميعًا.

و جاءت في (٥) مصدرًا من باب « الإفعال » في جملة الأغراض السّوء الأربعة للمنافقين من بناء مسجدهم، و الأغراض الأربعة حسب التّرتيب في الآية هي: الإضرار بالمسلمين، و إظهار الكفر بالله تعالى، و التّفريق بين المؤمنين، و الإرصاد لمن حارب الله من قبل ـ و هو أبو عامر الرّاهب ـ الّذي فرّ إلى الرّوم، و كان المنافقون ينتظرون رجوعه، ليكون إمامًا لهم للصّلاة في هذا المسجد.

و أمّا في الآية السّادسة، فجاءت اسم مكان نكرةً تعميمًا ﴿كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ إمّا ظرفًا لـ﴿وَاقْعُدُوا لَهُمْ﴾،

أو مجرورًا بـ«على» متعلّقًا به.

و يلاحظ ثانيًا: أنّ أربعًا منها مكّيّة، و هي ماجاءت في القصّة و السّاعة، و مواضعهما في القرآن حسب الأغلب هي السّور المكّيّة، كما أنّ الآيتين (٥ و ٦) جاءتا في النّفاق و التّشريع، و مواضعهما هي السّور المدنيّة، إلّا القليل منهما.

و ثالثًا: من نظائر هذه المادّة في القرآن:

الرّقابة: ﴿فَأَصْبَحَ فِى الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِى اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُبِينٌ﴾ القصص: ١٨

ر ص ص

مَرْصُوصٌ

لفظ واحد، مرّة واحدة، في سورة مدنيّة

النُّصوص اللُّغويّة

الخَليل: رَصَصْتُ البُنيان رَصًّا، إذا ضَمَمْتَ بعضه إلى بعض.

و رجل أرَصُّ الأسنان، أي ركب بعضها بعضًا؛ و منه: التَراصّ في الصّفّ.

و الرُّصّاصة و الرُّصْراصَة: حِجارة لازقة بحَوالي العَيْن الجارية. [ثمّ استشهد بشعر]

و رَصَصْتُ قِتبَي البعير، إذا قارَبْتَ قيدهما، إذا سَمِعْتَ له قَعْقَعةً.

و الرَّصاص معروف، ويقال: الرِّصاص. (٧: ٨٣)

الكِسائيّ: رُوي عن النّبيّ ﷺ أنّه قال: «تراصّوا في الصّلاة». التّراصّ أن يلصق بعضهم ببعض حتّى لايكون بينهم خلل؛ و منه قول الله جلّ و عزّ: ﴿بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ الصّفّ: ٤. (الأزهَريّ ١٢: ١١١)

أبوعمرو الشّيبانيّ: الرَّصيص: نقاب المرأة إذا أدْنَتْهُ من عينيها. (الأزهَريّ ١٢: ١١١)

الفَرّاء: الرَّصاص أكثر من الرِّصاص.

رَصّصَ إذا ألحّ في السّؤال، و رصّصَ النّقاب أيضًا. (الأزهَريّ ١٢: ١١١)

أبوزَيْد: النّقاب على مارن الأنف. و التّرصيص: ألّايُرَى إلّا عيناها. و تميم تقول: هو التّوصيص بالواو، و قد رَصّصَتْ و وَصّصَتْ. (الأزهَريّ ١٢: ١١١)

ابن الأعرابيّ: رَصْرَصَ، إذا ثبت في المكان. (الأزهَريّ ١٢: ١١١)

ابن السّكّيت: قالت العامريّة: التّرصيص لِبْسَة عُقَيل. (٦٦٥)

ابن دُرَيْد: رَصّ بناءه إذا أحكَم عملَه.

و البناء مَرْصُوصٌ و رَصيصٌ.

و كلّ شيء أُحْكِمَ فقد رُصّ. و أحسب أنّ اشتقاق الرّصاص من هذا لتداخل أجزائه، و هو عربيٌّ صحيح. [ثمّ استشهد بشعر]

و أوّل من أسْقَط بالرّصاص من ملوك العرب: ثعلبة بن امرئ القيس بن مازن من الأزْد. (١: ٨٢)

رَصّ البناء و رَصْرَصَه، إذا أحكَمَه و سدّ خَلَلَه.

و بناء رصيص و مرصوص. (١: ١٤٤)

الرَّصَصُ: تداخل الشّيء في الشّيء، رَصَصْتُ البناء، و بناء رَصيصٌ و مَرصُوصٌ. و أحسب اشتقاق الرَّصاص من هذا. (٣: ١٩١)

الصّاحِب: رَصَصْتُ البُنيان رَصًّا، إذا ضَمَمْتَ بعضها إلى بعض.

و رجل أرَصّ: مُجتَمِعُ المَنْكِبَيْن. و كذلك المتقارب الأسنان؛ و منه: التّراصّ في الصّفّ.

و إذا رَفَعَ المُتنَقِّب نقابه حتّى لايُرى إلّاعيناه فهو التّرصيص.

و فَخِذ رَصّاء، إذا التزَقَتْ بصاحبتها.

و الرَّصّاصَة و الرَّصْراصَة: حِجارة لازمة[1] لحَوالي العَيْن الجارية؛ و منه يقال للرّجل البخيل: رَصّاصة.

و المَرْصُوصة من الرَّكايا: الّتي طُوِيَت بالرَّصّاصَة، و هي حِجارة يَقْفَنَ في الوادي فتحبس الماء.

و الرُّصاص: معروف، و يقال: رصاص.

و الأُرْصُوصة من القلانس: كالبطّيخة.

و رَصّت الدَّجاجة بيضها: إذا سَوّته بمنقارها.

و البَيْضُ رَصيص. (٨: ٨٥)

الخَطّابيّ: في حديث النّبيّ ﷺ: «قال: أتشهد أنّي رسول الله؟ فنظر إليه ابن صيّاد، فقال: أشهد أنّك رسول الأُمّيّين. ثمّ قال ابن صيّاد له: أتشهد أنّي رسول الله؟ فرصّه رسول الله، و قال: آمنت بالله و رُسله».

قوله: «رَصّه» أي ضغطه و ضمّ بعضه إلى بعض؛ و منه رَصّ البناء، و هو إلصاق بعضه ببعض. قال الله تعالى: ﴿كَاَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ الصّفّ: ٤.

و منه التّراصّ في الصّفوف، و هو التّقارب و التّداني. (١: ٦٣٣)

الجَوهَريّ: رَصَصْتُ الشّيء أرُصّه رَصًّا، أي ألصقتُ بعضه ببعض؛ و منه: ﴿بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ الصّفّ: ٤، و كذلك التّرْصيص.

و التَّرْصيص أيضًا: أن تَنتَقِبَ المرأة فلايُرى إلّا عيناها.

و تَراصّ القوم في الصّفّ، أي تلاصَقوا.

و الرَّصاص بالفتح: معروف، و العامّة تقوله بكسر الرّاء.

و شيء مُرَصّص: مطليّ به. (٣: ١٠٤١)

ابن فارس: الرّاء و الصاد أصل واحد، يدلّ على انضمام الشّيء إلى الشّيء بقوّة و تداخل، تقول: رَصَصْتُ البُنيان بعضه إلى بعض. قال الله تعالى: ﴿كَاَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ الصّفّ: ٤.

---

(١) في الخليل مضى لازقة.

و هذا كأنّه مشتقّ من الرُّصاص، و الرُّصاص أصل الباب.

و يقال: تَراصّ القوم في الصّفّ.

و حُكي عن الخليل: الرَّصْراص: الحجارة تكون مَرْصُوصةً حول عين الماء.

و من الباب التّرصيص: أن تَنتقِب المرأة فلايُرى إلّا عيناها. و هو التّوصيص أيضًا.

و يقولون: الرَّصْراصة: الأرض الصُّلْبة.

و الباب كلّه منقاس مطّرد. (٢: ٣٧٤)

الهَرَويّ: قوله تعالى: ﴿بُنْيانٌ مَرْصُوصٌ﴾ الصّفّ: ٤، أي لاصق البعض بالبعض، يقال: رَصَصْتُ البناء.

و في الحديث: «لَصُبّ عليكم العذاب صَبًّا ثمّ لَرُصّ رَصًّا»، أي لأُلصق بعضه ببعض.

و منه الحديث: «تَراصُّوا في الصُّفوف»، أي تلاصقوا، حتّى لايكون بينكم فُرَجٌ. (٣: ٧٤٦)

ابن سيده: رَصّ البنيان يَرُصّه رَصًّا، فهو مَرْصُوص و رَصيصٌ.

و رَصّصه و رَصْرَصه: أحكمه و جمعه و كُلّ ما أُحكِم و ضُمّ فهو رَصٌّ. و في التّنزيل: ﴿كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ الصّفّ: ٤، و تَراصّ القوم: تضامّوا.

و الرَّصَص، و الرِّصاص، و الرُّصاص: من المعدنيّات، مشتقّ من ذلك لِتداخُل أجزائه.

و الرِّصاصة و الرُّصاصة: حِجارة لازمة لما حَوالي العين الجارية. [ثمّ استشهد بشعر]

و الرَّصُوص في الأسنان: كاللَّصَص، رجل أرَصّ و امرأة رَصّاء.

و الرَّصّاء، و الرَّصُوص من النّساء: الرَّتقاء.

و رَصّصَتِ المرأة، إذا أدنَتْ نقابها حتّى لايُرى إلّا عيناها، كـ«وَصْوصَتْ». (٨: ٢٦٦)

الرّاغِب: قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ الصّفّ: ٤، أي محكم، كأنّما بُني بالرُّصاص، و يقال: رَصَصتُه و رَصّصتُه.

و تَراصُّوا في الصّلاة، أي تضايقوا فيها.

و تَرْصيص المرأة: أن تُشدّد التّنقّب، و ذلك أبلغ من التّرصّص. (١٩٦)

الزّمَخْشَريّ: بنيان مَرْصُوص و مُرَصّص.

و قد ارتَصّت الجنادل و تَرَصّصَتْ.

و في أسنانه رَصَصٌ.

و رجل أرَصّ و امرأة رَصّاء.

و تَراصُّوا في الصّلاة و ارتَصّوا.

و رَصّت الدَّجاجة و النّعامة بيضها: سَوّته بمنقارها و رجليها لتقعُد عليه. و بَيْض رَصيص. [ثمّ استشهد بشعر]

و امرأة رَصّاء الفخذين: خلاف بدّاء.

و رُصّت على القبر الرَّصائص: رُكِمَتْ عليه الحجارة، جمع رَصاصة.

و من المجاز: إنّ فلانًا لرَصّاصة إذا كان بخيلًا، يُشبَّه بالحجر أو بهذا الجوهر، كما قيل: رجل فلزّ. (أساس البلاغة: ١٦٤)

ابن الأثير: فيه: «تَراصُّوا في الصّفوف» أي

تلاصقوا حتّى لاتكون بينكم فُرَجٌ. و أصله: تراصَصُوا، من رَصّ البناء يَرُصّه رَصًّا، إذا ألصق بعضه ببعض، فأدغم. (٢: ٢٢٧)

الفَيُّوميّ: رَصَصْتُ البُنيان رَصًّا، من باب «قَتَلَ»: ضَمَمْتَ بعضه إلى بعض.

و تراصّ القوم في الصّفّ.

و الرَّصاص بالفتح؛ و القِطعَة منه: رَصاصَة. (١: ٢٢٨)

الفيروزاباديّ: رَصّه: ألزَق بعضه ببعض، و ضمّ، كرَصّصه، و الدَّجاجَة بيضها: سَوّتها بمنقارها.

و الرَّصاص، كسحاب معروف، و لايُكسَر، ضربان أسود و هو الأُسْرُبّ و الإبار، و أبيض و هو القَلعيّ.

و القَصدير، إن طُرح يسير منه في قِدْر، لم يَنْضَج لحمُها أبدًا، و إن طُوّقَتْ شجرة بطَوْق منه، لم يَسْقُط ثمرها و كثر.

و شيء مُرَصّص: مَطْليّ به.

و المرصُوصَة: البئر طُوِيَتْ به.

و الرَّصيص: البَيْض بعضه فوق بعض، و نقاب المرأة إذا أدْنَتْهُ من عينيها، و قد رَصّصَتْ.

و الأرَصّ: المتقارب الأسنان.

و فَخِذ رَصّاء: التَصَقَتْ بأُختها.

و الأُرصُوصَة: قَلَنْسُوة كالبطّيخة.

و الرَّصّاصَة، مُشَدّدةً: البخيل، و حجارة لازقة بحوالي العين الجارية، كالرَّضراضَة، و هي الأرض الصُّلْبَة.

و رَصْرَص البناء: أحْكمَه، و شدّده، و في المكان: ثبت.

و تَراصُّوا في الصّفّ: تلاصقُوا، و انضمّوا. (٢: ٣١٦)

الطُّرَيحيّ: و تَراصّ القوم في الصّفّ، أي تلاصقوا و تَراصُّوا في الصّفوف حتّى لاتكون بينكم فُرَجٌ. و الأصل في ذلك: رَصّ البناء.

و الرَّصاص بالفتح: معروف منه أسود و منه أبيض، و القطعة منه: رَصاصَة. قال الجَوهَريّ: و العامّة تقول: بكسر الرّاء. (٤: ١٧٢)

مَجْمَعُ اللُّغة: رَصّ البُنيان يَرُصّه رَصًّا: أحْكمَه و جمعه، و ضمّ بعضه إلى بعض، فالبُنيان مَرْصُوص. (١: ٤٨٤)

العَدْنانيّ: الرَّصاص و الرِّصاص

و يُطلقون على المَعْدِن المعروف، أو البُنْدُق يُرمى به من البُنْدُقيّة و المُسَدّس و نحوهما، اسم: الرِّصاص أو الرَّصاص.

و كُتبُ اللُّغة تُنكر الرِّصاص، و يقول بعضها: إنّ الرَّصاص وحده هو الصّواب كالصّحاح، و المُغرِب، و المختار، و المصباح، و القاموس، و التّاج، و محيط المحيط، و أقرب الموارد.

و قال الصّحاح و المختار: إنّ العامّة هم الّذين يكسرون الرّاء، و قال القاموس و التّاج: إنّ راء الرَّصاص لاتُكسَر.

و يقول أبوحَيّان في «تذكرته»: إنّ الرَّصاص هو الصّواب.

و يُجيز الرُّصاص و الرَّصاص كليهما كلّ من أبي حاتم السِّجستانيّ، و المحكم، و اللّسان. الفتح أعلى، و المدّ أو الكسر، عاميّ. و المتن. الكسر لغة أو هو عاميّ غير فصيح، و الوسيط الّذي ذكر أنّ مجمع اللُّغة العربيّة بالقاهرة قد أطلق كلمتي الرُّصاص و الرَّصاص على المَعْدِن و البُنْدُق كليهما. فقطعت جهيزة بذلك قول كلّ خطيب. (٢٦٢)

المُصْطَفَويّ: و التحقيق أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو إلصاق الأشياء بعضها ببعض بشدّة، و تداخل ممكن و إحكام تامّ. و هذا هو الفرق بينها و بين مادّة الرّصف و الرّصع. فإنّ الرّصف مطلق الضمّ و الإلصاق، و الرّصع عقد شيء ثانويّ بشيء كالتزيين و التحلية.

فالتّضعيف و التّشديد في مادّة الرّصّ: يدلّ على الشّدّة و الإحكام، كما أنّ التّكرار في حروف الرّصراص: يدلّ على امتداد الالتصاق، كضمّ الحجارة بعضها ببعض حول عين الماء. (٤: ١٤٧)

النُّصوص التّفسيريّة

مَرْصُوصٌ

إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ. الصّفّ: ٤

ابن عبّاس: ملتزق، قد رُصّ بعضه إلى بعض. (٤٦٩)

سعيد بن جُبَيْر: هذا تعليم من الله تعالى للمؤمنين، كيف يكونون عند قتال عدوّهم.

(القُرطُبيّ ١٨: ٨١)

الفَرّاء: بالرّصاص، حثّهم على القتال. (٣: ١٥٣)

ابن قُتَيْبَة: أي يثبتون في القتال و لا يبرحون، فكأنّهم بناء قد رُصّ. (٤٦٤)

المُبَرِّد: هو من رَصَصْتُ البناء إذا لاأمْتَ بينه و قاربت، حتّى يصير كقطعةٍ واحدةٍ.

(القُرطُبيّ ١٨: ٨١)

القُمّيّ: يصطفّون كالبنيان الّذي لا يزول. (٢: ٣٦٥)

الواحديّ: يقال: رَصَصْتُ البناء أرُصّه رَصًّا، إذا ضَمَمتَ بعضه إلى بعض...

أعلم الله أنّه يُحبّ من يثبت في القتال، و يلزم مكانه كثبوت البناء المرصوص. (٤: ٢٩١)

القُرطُبيّ: قيل: هو من الرّصيص، و هو انضمام الأسنان بعضها إلى بعض. و التّراصّ: التّلاصق: و منه: و تراصّوا في الصّفّ.

و معنى الآية: يُحبّ من يُثبت في الجهاد في سبيل الله، و يلزم مكانه كثبوت البناء. (١٨: ٨١)

البَيْضاويّ: في تراصهم من غير فُرجَة حال من الحال الأولى. و الرّصّ: اتّصال بعض البناء بالبعض و استحكامه. (٢: ٤٧٣)

النّسَفيّ: لاصقٌ بعضه ببعض. و قيل: أُريد به استواء نيّاتهم في حرب عدوّهم، حتّى يكونوا في اجتماع الكلمة كالبنيان الّذي رُصّ بعضه إلى بعض، و هو حال أيضًا. (٤: ٢٥٢)

المَراغيّ: أي إنّ الله يُحبّ الّذين يَصفّون أنفسهم حين القتال، و لايكون بينهم فُرَجٌ فيه، كأنّهم بنيان متلاحم الأجزاء، كأنّه قطعة واحدة قد صُبّت صبًّا. و على هذه الطّريقة تسير الجيوش في العصر الحاضر. (٢٨: ٨١)

ابن عاشور: و المرصوص: المتلاصق بعضه ببعض. و التّشبيه في الثّبات و عدم الانفلات، و هو الّذي اقتضاه التّوبيخ السّابق، في قوله: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَاتَفْعَلُونَ﴾ الصّفّ: ٢. (٢٨: ١٥٨)

مَغْنيّة: أي محكمٌ ثابتٌ كأنّه بُني بالرّصاص، و نُقل عن علماء الآثار أنّهم عثروا على أبنية قديمة بُنيت بالرّصاص، و قال تعالى حكاية عن ذي القرنين: ﴿آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ الكهف: ٩٦، و القِطْر: الرّصاص أو النّحاس المُذاب.

و من نافلة القول: إن الله سبحانه يُحبّ تماسك الجماعة و تعاضدها، في كلّ ما يعود عليها بالخير و الصّلاح. (٧: ٣١٣)

المُصْطَفَويّ: أي لازم أن تكون جبهة المسلمين كالصّفّ الواحد من جهة موقعيّة المبارزة و النّظم، و الوحدة في الحكم و العمل و المرتبة و العنوان، بطرح الاختلاف و حذف العناوين الشّخصيّة و الأغراض المختلفة، و الإعراض عن التّشتّت و الانحرافات، ثمّ يكون ارتباطهم و التصاقهم و اتّحادهم في تمام الإحكام و كمال الشّدّة، كالبنيان المحكم المنضمّ أجزاؤه بعضها ببعض؛ بحيث يصير واحدًا.

فمحبّة الله تعالى إنّما يتعلّق بهؤلاء المبارزين الّذين هم في صفّ واحدٍ، و في اتّصال و انتظام تامّ و في وحدة و استقامة كاملة، لامطلقًا.

و أيضًا لازم أن يكون الهدف: السّلوك و العمل في سبيل الله و لوجهه، لافي سبيل الهوى و الشّيطان. ﴿وَلَاتَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ الأنعام: ١٥٣. (٤: ١٤٧)

مكارم الشّيرازيّ: ﴿مَرْصُوصٌ﴾ من مادّة «رصاص» بمعنى معدن الرّصاص، و لأنّ هذه المادّة توضع بعد تذويبها بين طبقات البناء من أجل استحكامه، و جعله قويًّا و متينًا للغاية، لذا أُطلقت هذه الكلمة هنا على كلّ أمر قويّ و محكم.

و المقصود هنا أن يكون وقوف و ثبات المجاهدين أمام العدوّ قويًّا راسخًا تتجسّد فيه وحدة القلوب و الأرواح و العزائم الحديدة و التّصميم القويّ، بصورة تعكس أنّهم صفّ متراصّ، ليس فيه تصدّع أو تخلخل.

يقول عليّ بن إبراهيم في تفسيره موضّحًا مقصود هذه الآية: «يصطفّون كالبنيان الّذي لايزول».

و جاء في حديث عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام أنّه عند ما كان يُهيّء أصحابه للقتال بصفّين، قال: «إنّ الله تعالى قد أرشدكم إلى هذه المسؤوليّة؛ حيث قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾، و على هذا فاحكموا صفوفكم كالبُنيان المرصوص، و قدّموا الدّارع،

و أخّروا الحاسر، و عضّوا على الأضراس، فإنّه أنبى للسّيوف عن إلهام، و التوُوا في أطراف الرّماح، فإنّه أمْوَر للأسنّة، و غُضّوا الأبصار، فإنّه أربَط للجأش، و أسكن للقلوب، و أميتوا الأصوات، فإنّه أطرد للفشل، و رايتكم فلاتميلوها و لاتخلوها، و لاتجعلوها إلّا بأيدي شُجعانكم». (١٨: ٢٦٢)

و فيها بحُوث راجع: ب ن ي: «بُنيان».

الأصول اللّغويّة

١ ـ الأصل في هذه المادّة: الرّصّ، أي الضّمّ و الإحكام. يقال: رَصّ البنيان يَرُصّه رَصًّا، إذا أحكم بناءه، فهو مَرْصُوص و رصيص.

و رَصّصَه و رصْرَصَه: أحكمه، و جمعه و ضمّ بعضه إلى بعض.

و الرَّصَص: تداخل الشّيء في الشّيء. يقال: رَصَصْتُ قتبي البعير، إذا قارَبتَ قيدها.

و رَصَصْتُ الشّيء أرُصّه رَصًّا: ألصقتُ بعضه ببعض، و كذلك التّرصيص.

و الرَّصَص في الأسنان: كاللّصَص، و هو تقاربها و سدّ خللها. يقال: رجل أرَصّ و امرأة رَصّاء.

و الرّصّاء و الرّصُوص من النّساء: الرّتقاء، و هي المنضمّة الفَرْج، فلايستطاع جماعها.

و بيض رَصيص: بعضه فوق بعض.

و تَراصّ القوم: تضامّوا و تلاصقوا، و في حديث النّبيّ ﷺ: «تَراصّوا في الصّلاة»، و هو أن يلصق بعضهم ببعض حتّى لايكون بينهم خلل.

و التّرصيص: أن تنتقب المرأة فلايُرى إلّا عيناها. يقال: رَصّصَت المرأة، إذا أدنت نقابها حتّى لايُرى إلّا عيناها.

و الرّصيص: نقاب المرأة إذا أدنته من عينيها.

و رَصّصَ، إذا ألحّ في السّؤال.

و الرَّصَص و الرَّصاص و الرّصاص: من المعادن، مشتقّ من ذلك لتداخل أجزائه.

و التّرصيص: طلاء الكوز و غيره بالرَّصاص.

و شيء مُرَصَّص: مطليّ به.

و الرَّصّاصة و الرَّصْراصة: حجارة لازمة لما حوالي العين الجارية، على التّشبيه بالرَّصاص.

٢ ـ و يطلق الرَّصاص اليوم على البُندق الّذي يُرمى به بواسطة الرَّشاش و البُندُقيّة و المُسدّس و غيرها؛ الواحدة: رَصاصَة. يقال: أطلق عليه الرّصاص.

و قلم الرَّصاص: قلم ذو لُبّ صُلْب يُكتَب به دون مداد.

و الرَّصاصيّ: نسبة إلى الرَّصاص، و هو لون داكن يشبه لون الرّماد.

الاستعمال القرآنيّ

جاء منها اسم المفعول: ﴿مَرْصُوصٌ﴾ وصفًا لـ ﴿بُنْيَانٌ﴾ في آية:

﴿اِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِهِ صَفًّا كَاَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ الصّفّ: ٤

و يلاحظ أوّلًا: أنّها جاءت مرّة في الآية: ٤، من سورة الصّفّ و بها سمّيت، و فيها بُحُوثٌ:

١ ـ و هذه الآية في هذه السّورة منفصلة عمّا قبلها و بعدها.

فقد جاءت قبلها ـ بعد تسبيح الله في الآية الأولى كالمقدّمة للسّورة، بقوله: ﴿سَبَّحَ لِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ...﴾ ـ آيتان في النّهي عن القول بما لا يفعلونه: ﴿يَا اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ اَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾.

و جاءت بعدها: ﴿وَاِذْ قَالَ مُوسٰى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي...﴾.

٢ ـ و لعلّ مناسبتها لما قبلها من جهة أنّ بعض المؤمنين عاهدوا قولًا بأن يقاتلوا في سبيل الله، و لم يعملوا بقولهم، فتخلّوا عن القتال، فحبّب الله لهم القتال بهذه الآية الدّالّة على أنّ الله يحبّ الّذين يُقاتلون في سبيل الله، بدل أن يأمرهم بالقتال، أو يعنفهم بترك القتال. و فيها تحبيب و دعاء إلى ما تحكم به عواطفهم من اكتساب حبّ الله تعالى، فكأنّ بناء التّشريع على العواطف أدعى إلى الطّاعة من الأمر و النّهي تشريعًا. و يأتي نحوه عن ابن عاشور.

٣ ـ و البناء على العاطفة هو وجه المناسبة بين هذه الآية و ما بعدها أيضًا ـ و قد أشار إليه الطّبرسيّ أيضًا في نصّه الآتي ـ و هو قصّة موسى عليه السلام خطابًا لقومه خطابًا عاطفيًّا: ﴿وَاِذْ قَالَ مُوسٰى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ اَنِّي رَسُولُ اللهِ اِلَيْكُمْ...﴾.

٤ ـ و قالوا في معنى الآية: و كلمة ﴿مَرْصُوصٌ﴾: مُلتزق، قد رُصّ بعضه إلى بعض، هذا تعليم من الله تعالى للمؤمنين، كيف يكونون عند قتال عدوّهم، فحثّهم بالرّصاص على القتال، يثبتون و لا يبرحون، فكأنّهم بناء قد رُصّ، هو من «رَصَصْتُ البناء» إذا لاءمْت بينه و قاربت حتّى يصير كقطعة واحدة، يصطفّون كالبنيان الّذي لا يزول.

أعلم الله أنّه يحبّ من يثبت في القتال، لاصق بعضه ببعض. قيل: هو من الرّصيص، و هو انضمام الأسنان بعضها إلى بعض، و التّراصّ: التّلاصق؛ و منه: و تراصّوا في الصّفّ، و نحوها.

٥ ـ و قال الطّبْرسيّ (٥: ٢٧٧) في «اللّغة»: «و الرّصّ: إحكام البناء. يقال: رصصْتُ البناء، أي أحكمته. وأصله من الرّصاص، أي جعلته كأنّه بُني بالرّصاص. لتلاؤمه و شدّة اتّصاله».

٦ ـ و قال في «المعنى»: ﴿اِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا﴾: «أي يصفّون أنفسهم عند القتال صفًّا.

و قيل: يقاتلون في سبيله مصطفّين.

﴿كَاَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ كأنّه بُني بالرّصاص لتلاؤمه، و شدّة اتّصاله.

و قيل: كأنّه حائط ممدود على رصّ البناء في إحكامه و اتّصاله و استقامته.

أعلم الله سبحانه أنّه يحبّ من ثبت في القتال،

و يلزم مكانه، كثبوت البناء المرصوص.

و معنى «محبّة الله إيّاهم» أنّه يريد ثوابهم و منافعهم. ثمّ ذكر سبحانه حديث موسى عليه السلام في صدق نيّته، و ثبات عزيمته على الصّبر في أذى قومه، تسلية للنّبيّ صلى الله عليه وآله في تكذيبهم إيّاه»، و هذا بيان المناسبة بين الآية و ما بعدها.

٧ـ و قال ابن عاشور: «المرصوص: المتلاصق بعضه ببعض. و التّشبيه في الثّبات و عدم الانفلات، و هو الّذي اقتضاه التّوبيخ السّابق في قوله: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ الصّفّ: ٢».

٨ـ و قال مَغْنيّة: «أي محكم ثابت، كأنّه بُني بالرّصاص» ثمّ حكى عن علماء الآثار أنّهم عثروا على أبنية قديمة بُنيت بالرّصاص، و استشهد بـ ﴿اٰتُونِى اُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ الكهف: ٩٦.

و يلاحظ ثانيًا: أنّ الآية ترغيب إلى القتال في سورة مدنيّة، إذ القتال لم يُشرّع قبل الهجرة، و إنّما شُرّع بعد الهجرة، و جاءت آياته الكثيرة في السّور المدنيّة.

و ثالثًا: من نظائر هذه المادّة في القرآن:

الإحكام: ﴿الٓرٰ كِتَابٌ اُحْكِمَتْ اٰيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾. هود: ١

الإبرام: ﴿اَمْ اَبْرَمُوا اَمْرًا فَاِنَّا مُبْرِمُونَ﴾. الزّخرف: ٧٩

الضّمّ: ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ اِلٰى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ اٰيَةً اُخْرٰى﴾. طٰه: ٢٢

الثّبات: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا اَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾. النّحل: ٩٤

رضع

١٠ ألفاظ، ١١ مرّة: ٢ مكّيّتان، ٩ مدنيّة
في ٥ سور: ١ مكّيّة، ٤ مدنيّة

الرَّضاعة ٢ : ـ ٢	فسترضع ١ : ـ ١	
أرْضَعَتْ ١ : ـ ١	أرْضِعيه ١ : ١	
أرْضَعْنَ ١ : ـ ١	مُرْضِعةً ١ : ـ ١	
أرضعنكُم ١ : ـ ١	المَراضع ١ : ١	
يُرْضِعْنَ ١ : ـ ١	تَسْتَرْضِعُوا ١ : ـ ١	

النُّصوص اللُّغويّة

الخَليل: رَضِع الصَّبيّ رِضاعًا و رَضاعَةً، أي مَصّ الثَّدي و شرب.

و أرْضَعَتْه أمّه، أي سقته، فهي مُرضِعَة بفعلها، و مُرْضِعٌ، أي ذات رضيع.

و يُجمَع الرَّضيع على: رُضَّع، و راضع على: رُضَّع. قال النّبيّ ﷺ: «لولا بَهائمُ رُتَّعٌ، و أطفال رُضَّعٌ، و مشايخ رُكَّعٌ لصُبّ عليكم العذاب صبًّا».

و يقال: رضيع و راضع.

و يقال: الرُّضاعة من المجاعة، أي إذا جاع أشبعَه اللّبن لا الطّعام.

و رَضُع الرّجل يَرْضُعُ رَضاعَةً، فهو رضيع راضع: لئيم، و قوم راضعون و رَضَعَة. يقال: لأنّه يرضع لبن ناقته من لُؤمه.

و الرّاضعتان من السّنّ: اللّتان شرب عليهما اللّبن، و هما الثّنيّتان المتقدّمتا الأسنان كلّها.

و الرّواضع: الأسنان الّتي تطلع في فم المولود في وقت رَضاعه. (١ : ٢٧٠)

امرأة مُرضِع: ذاتُ رضيع، كما يقال: امرأة مُطْفِل: ذات طفل، بلاهاء، لأنّك لا تصِفها بفعل منها واقع أو لازم.

فإذا وصفتها بفعل هي تفعله قلت: مُفْعِلة، كقول الله تعالى: ﴿ تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ ﴾

الحجّ: ٢، وصفها بالفعل فأدخل الهاء في نعتها، ولو وصفها بأنّ معها رضيعًا قال: مُرضِع.

(الأزهَريّ ١: ٤٧٢)

الكِسائيّ: هو الرِّضاع والرُّضاع. [بمعنى واحد].
(إصلاح المنطق: ١٠٥)

الأُمَويّ: الرَّضُوعَة من الغنم: الّتي تُرْضِع.

ويقال: رَضاع ورِضاع، ورَضاعَة ورِضاعَة.

(الأزهَريّ ١: ٤٧٣)

أبو زَيْد: الرّاضِعة: كلّ سنّ سَقطت من مَقادمه.
(الفَيُّوميّ ١: ٢٢٩)

الأصمَعيّ: رَضَع الصّبيّ يَرْضِع، ورضِعَ يَرْضَع. [ثمّ استشهد بشعر]
(الأزهَريّ ١: ٤٧٣)

أبو عُبَيْد: في حديث أبي ميسرة: «لو رأيت رجلًا يَرْضَع فسَخرتُ منه أن أكون مثله».

قوله: «يَرضَع» يعني أن يرضع الغنم من ضُروعها ولا يحلب اللّبن في الإناء.

وكانت العرب تُعير بهذا الفعل، ولهذا قيل للرّجل: لئيم راضع، أي أنّه يرضع الغنم من لُؤمه.

وإنّما يفعل ذلك، لأن لايُسمَع صوت الحلب فيُطلَب منه اللّبن.
(٢: ٣٩١)

ابن الأعرابيّ: الرّاضع والرّضِع: الخسيس من الأعراب، الّذي إذا نزل به الضّيف رَضَع شاته بفمه، لئلّا يسمعه الضّيف. ويقال: منه رَضِع يَرْضَع رَضْعًا.

وقال بعضهم: لو عَيّرتُ رجلًا بالرّضع لخَشيتُ أن يَحُور بي داؤه.

والرّضَع: صِغار النّحل، واحده: رَضَعَة.

وامرأة مُرضِع: معها رضيع.

وامرأة مَرضِعَةٌ: تَدْيُها في فم ولدها.

(الأزهَريّ ١: ٤٧٣)

ابن السِّكّيت: ويقال: لئيمٌ راضع يَرْضَع الشّاة والنّاقة من خِلْفها ولا يحتلبها.
(٧٥)

ويقال: امرأة مُرضِع، إذا كان لها لبَن رضاع.

وامرأة مُرضِعَة إذا كانت تُرْضِع ولدها.

(إصلاح المنطق: ٣٤١)

المُبرِّد: قبّحَ الإله وجوه قوم رُضّع، فهو جماعة راضع. وقوم يقولون: هو توكيد للّئيم، كما يقولون: جائع نائع، وحَسَنٌ بَسَنٌ، وعطشان نَطْشان، وأجمَعُ أكتَعُ.

وقوم يقولون: الرّاضع هو الّذي يرتضع من الضّرع لئلّا يسمع الضّيف أو الجار صوت الحَلَب فيَطلُبَ منه.
(١: ٣٤٨)

كُراع النّمل: والرّضَع: سِفاد الطّائر.

(ابن سيدة ١: ٤٠٥)

ابن دُرَيْد: الرّضْع: مصدر رَضِعَ يَرْضَع رَضْعًا ورَضاعًا، هذه اللّغة العالية، فأمّا أهل نجد فيقولون: رَضَع يَرْضِع. [ثمّ استشهد بشعر]

وقالوا: «لئيمٌ راضعٌ» وكان هذا الحديث في العَمالقة، وكثر حتّى صار كلّ لئيم راضعًا، فعَل ذلك أو لم يفعله.

وأصل الحديث: أنّ رجلًا من العماليق طرقه ضيف ليلًا، فمَصّ ضرع شاته لئلّا يسمع الضّيف صوت اللّبن إذا شخب.

و يقال: فلان أخي من الرُّضاعة، بفتح الرّاء لاغير.

و في الحديث: «انظُرنَ ما إخوانُكنّ، فإنّ الرُّضاعة من المجاعة». يريد ﷺ أنّ الرَّضاعة إنّما هو من المشّرب حتّى يَرْوى لامن المصّة و المصّتين، و إنّما أُريد هاهنا الجوع نفسه، أي يرضع حتّى يشبع من جوعه.

و الرِّضاع: مصدر راضَعتُه رضاعًا و مُراضَعةً. و فلان رضيع فلان، إذا راضَعَه لِبان أُمّه، أخرج مَخرَج الرّسيل و الأكيل و الزّميل. (٢: ٣٦١)

الأزهَريّ: روي عن النّبيّ ﷺ أنّه قال: «انظُرن إخوانكنّ، فإنّما الرَّضاعة من المَجاعة».

و تفسيره: أنّ الرَّضاع الّذي يُحرّم رضاع الصّبيّ، لأنّه يُشبعه و يَغذُوه و يسكّن جَوْعتَه. فأمّا الكبير فرضاعُه لايُحرّم، لأنّه لاينفعه من جوع و لايغنيه من طعام، و لايَغذُوه اللّبن كما يغذو الصّغير الّذي حياته به. (١: ٤٧٢)

الصّاحِب: رَضِعَ الصّبيّ و رَضَع رَضاعةً و رَضاعًا، و هو راضِع و رضيع. و الأُمّ مُرْضِع و مُرْضِعَة.

و استأجَرْنا مُرْضِعًا أي ظِئْرًا، كأنّه اسم لها، بغير هاء.

و لئيمٌ راضع و رضيع و رَضّاع، و قد رَضُعَ يَرْضُعُ رَضاعَة، و رَضَعَ بالفتح أيضًا، و نُعِتَ به لأنّه يَرْضَع النّاقة لئلّا يُسْمَعَ شُخبُ اللّبن فيُستَقى.

و قيل: لئيم راضِع، هو الّذي يَرْضَعُ النّاس، أي يسألهم.

و الرّاضِعتان من الأسنان: اللّتان شُرب عليهما اللّبن.

و الرَّضُوعَة: الّتي تُرْضِع كالحَلُوبَة.

و الرَّضاعَة: اسم للدَّبور، و قيل: لِريح بين الدَّبور و الجَنوب؛ و ذلك لأنّها إذا هبّتْ على اللِّقاح رَضِعَتْ ألبانها أي قَلّتْ.

و الرَّضْع: شجَر تَرْعاه الإبل. (١: ٣٠٤)

الخَطّابيّ: في حديث النّبيّ ﷺ: «... و قالت عجوز منهم: أسلمَها الرُّضّاع، و تركوا المِصاع».

«الرُّضّاع»: اللّئام، جمع: راضع، من قولهم: لئيم راضع، و هو الّذي لايحلب الغنم، لكن يَرْضَعها لئلّا يُسمَع صوت الحَلَب. و يقال: بل هو الّذي رَضِع اللُّؤم من أُمّه، أي وُلد لئيمًا. (١: ٥٧٩)

في حديث النّبيّ ﷺ: «... و اليوم يوم الرُّضَّع»

قوله: «اليوم يوم الرُّضَّع»، يريد اليوم يوم هلاك اللِّئام، من قولهم: لئيم راضع، و هو الّذي يَرْضَع الغنم لايحلبها فيُسمَع صوت الحَلَب. (١: ٦١٧)

في قصّة إبراهيم بن القبطيّة: «أنّ له مُرضِعًا في الجنّة».

يُروى على وجهين: مُرْضِعًا، من أرضَعَتِ المرأة فهي مُرضِع، و المُرضع: ذات اللّبن. فأمّا المُرضِعَة: فهي الّتي لها ولدٌ.

و يُروى أيضًا: مَرْضَعًا، مفتوح الميم، أي رضاعًا. (٣: ٢٤٥)

الجَوهَريّ: رَضِعَ الصّبيّ أُمّه يَرْضَعُها رَضاعًا،

مثل سَمِعَ يَسْمَع سَماعًا. و أهل نجد يقولون: رَضَعَ يَرْضِعُ رَضْعًا، مثال: ضَرَبَ يَضرِب ضَرْبًا.

و أرْضَعَتْه أمّه.

و امرأة مُرْضِع، أي لها ولد تُرْضِعُه، فإن وصفتها بإرضاع الولد قلت: مُرْضِعَة.

و الرَّضُوعَة: الشّاة الّتي تُرْضِع.

و يقال: رَضاع و رِضاع، لغتان.

و الرّاضِعَتان: ثنيّتا الصّبيّ اللّتان يُشرَب عليهما اللّبن. يقال: سقطَتْ رواضِعُه.

و قولهم: لئيمٌ راضع، أصله زعموا رجل كان يَرْضَع إبله و غنمه و لا يحلُبها، لئلّا يُسْمَع صوت الشّخْب فيُطْلَبَ منه. ثمّ قالوا: رَضُعَ الرّجل بالضّمّ يَرْضُع رَضاعَة، كأنّه كالشّيء يُطبَع عليه.

و تقول: هذا أخي من الرَّضاعَة بالفتح، و هذا رضيعي، كما تقول: أكيلي و رَسيلي.

و راضَعَ فلان ابنه، أي دفعه إلى الظِّئْر.

و ارْتَضَعَتِ العنز، أي شربت لبن نفسها [و استشهد بالشّعر ثلاث مرّات] (٣: ١٢٢٠)

ابن فارس: الرّاء و الضّاد و العين أصل واحد، و هو شُرْب اللّبن من الضّرع أو الثّدي. تقول: رَضِع المولود يَرْضَع.

و يقال: «لئيم راضع»، و كأنّه من لُؤمه يرضع إبلَه لئلّا يُسْمَع صوت حَلْبه.

و يقال امرأة مُرْضِع، إذا كان لها ولد تُرْضِعُه. فإن وصفتَها بإرضاعها الولد، قلت: مُرْضِعَة. قال الله جلّ ثناؤه: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ الحج: ٢.

و الرّاضعتان: الثّنيّتان اللّتان يُشرَب عليهما.

و ذكر بعضهم أنّ أهل نجد يقولون: رَضَع يَرْضِع على وزن فعَل يَفْعِل. [ثمّ استشهد بشعر]

و الرِّضاع: مصدر راضَعْتُه. و هو رضيعي، كالرّسيل، و الأكيل.

و الرَّضُوعَة: الشّاة الّتي تُرضِع. (٢: ٤٠٠)

الهَرَويّ: في الحديث: «إنّما الرَّضاعَة من المَجاعَة».

الرَّضاعَة و الرِّضاعَة: الاسم من الإرضاع.

و الرَّضاعَة: اللُّؤم مفتوح لاغير، و قد رَضُع يَرْضُع.

و منه الحديث: «خذها و أنا ابن الأكوع، و اليوم يوم الرُّضَّع»، أي يوم هلاك اللّئام. و قوله: «خُذها» يعني الرّمْيَة. و أمّا الصّبيّ فيقال له: رَضِع أمّه و رضَعَها.

و في الحديث، حين ذكر الإمارة فقال: «نعْمَت المُرْضِعَة، و بئسَتِ الفاطمة».

ضرب المُرْضِعَة مثلًا للإمارة، و ما تُوصله إلى صاحبها من الأحلاب، و المنافع. و الفاطمة مثلًا للموت الّذي يقدم عليه لذاته، و يقطع منافعها دونه. (٣: ٧٤٨)

أبوسَهْل الهَرَويّ: و قد رَضِع المولود يَرْضَع إذا مَصّ اللّبن من ثدي أمّه و شربه.

(التّلويح في شرح الفصيح: ٨)

و امرأة مُرْضِعٌ: ذات لبن يُرتَضَع.

(التّلويح في شرح الفصيح: ٧٤)

ابن سيده: رضَعَ الصّبيّ وغيره يَرْضَع، ورَضِع رَضْعًا، ورَضَعًا، ورَضِعًا، ورضاعًا، ورَضاعًا ورِضاعَةً، ورَضاعَةً، فهو راضع؛ والجمع: رُضَّع، ورَضِع؛ والجمع: رُضَّع. وجمع السّلامة في الأخيرة أكثر، على ما ذهب إليه سيبَوَيه في هذا البناء من الصّفة.

وارتَضَع كـرَضَع.

والرّضيع: المُرْضَع.

وراضَعَه مُراضَعَة ورِضاعًا: رضَعَ معه.

والرّضيع: المُراضِع؛ والجمع: رُضَعاء.

وامرأة مُرْضِع: ذات رضيع، أو لبن رَضاع؛ والجمع: مَراضع، على ما ذهب إليه سيبَوَيه في هذا النّحو.

وقال ثَعْلَب: المُرْضِعَة: الّتي تُرْضِع، إن لم يكن لها ولد، أو كان لها ولد. والمُرْضِع: الّتي ليس معها ولد، وقد يكون معها ولد.

وقال مرّة: إذا أدخل الهاء أراد الفعل، وجعله نعتًا، وإذا لم يدخل الهاء: أراد الاسم.

واستعار أبوذؤيب المَراضيع للنّحل، فقال:

تظلّ على الثّمراء منها جوارس
مراضيع صُهْب الرّيش زُغبٌ رقابها

والرَّضُوعَة: الّتي تُرْضِع ولدها، وخصّ أبوعُبَيْد به الشّاة.

ولئيم راضِع: يَرْضَع الإبل والغنم من ضُروعها بغير إناء من لُؤمه.

وقيل: هو الّذي رضع اللُّؤم من ثَدْي أمّه.

وقيل: هو الّذي يأكل خُلالتَه شَرَهًا، وليس هذا القول بقويّ.

وقيل: معنى قولهم: «لئيمٌ راضع» أنّ رجلًا كان يرضع الإبل والغنم ولا يَحلُبها، لئلّا يُسمَع صوت الحلب، فقيل ذلك لكلّ لئيم، إذا أرادوا توكيد لُؤمه، والمبالغة في ذمّه.

وقد رَضُع رَضاعَةً فهو رضيع؛ والاسم: الرِّضع والرَّضَع.

والرّاضعتان: الثّنيّتان المتقدّمتان، اللّتان يُشرَب عليهما اللّبن.

وقيل: الرّواضع ما نبت من أسنان الصّبيّ، ثمّ سقط في عهد الرّضاع.

وقيل: الرّواضع ستّ من أعلى الفَم، وستّ من أسفله.

والرّاضِعَة: كلّ سنّ تُثْغَر.

والرَّضُوعَة من الغنم: الّتي تُرْضِع.

والرَّضَع: سِفاد الطّائر، عن كُراع. والمعروف بالصّاد. (١: ٤٠٥)

الطُّوسيّ: تقول: رَضُع يَرْضَع، ورضِعَ يَرْضَع رَضاعَةً، وأرضَعَتْه أُمّه إرضاعًا، وارتضاعًا، واسترضَع استرضاعًا، وراضعَه رضاعًا، ومراضَعَة.

ولئيمٌ راضع، لأنّه يرضع لبن ناقته من لُؤمه، لئلّا يسمع الضّيف صوت الشُّخْب.

والرّاضعتان: الثّنيّتان: مقدّمتا الأسنان، لأنّه يُشرَب عليهما اللّبن. وأصل الباب: الرّضع: مَصّ الثّدي، لشرب اللّبن منه. (٢: ٢٥٥)

الرّاغِب: يقال: رَضَع المولود يَرْضِع، و رَضِع يَرْضَع رَضاعًا و رَضاعَةً. و عنه استُعير: لئيمٌ راضع، لمن تناهى لُؤمُه، و إن كان في الأصل لمن يَرْضَع غنمه ليلًا، لئلّا يُسمَع صوت شَخْبه، فلمّا تُعُورف في ذلك قيل: رَضُع فلان، نحو: لَؤُم.

و سمّي الثّنيّتان من الأسنان الرّاضعتين، لاستعانة الصّبيّ بهما في الرّضع، قال تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ اَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ اَرَادَ اَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ البقرة: ٢٣٣، ﴿فَاِنْ اَرْضَعْنَ لَكُمْ فَاٰتُوهُنَّ اُجُورَهُنَّ﴾ الطّلاق: ٦.

و يقال: فلان أخو فلان من الرّضاعة، و قال ﷺ: «يحرم من الرّضاع ما يحرم من النّسب».

و قال تعالى: ﴿وَاِنْ اَرَدْتُمْ اَنْ تَسْتَرْضِعُوا اَوْلَادَكُمْ﴾ البقرة: ٢٣٣، أي تسوموهنّ إرضاع أولادكم. (١٩٦)

الزّمَخْشَريّ: رضِعَ الصّبيّ الثّدي و ارتضَعَه رَضْعًا و رَضِعًا كخَنِق و سَرِق، و رَضاعًا و رَضاعَةً.

و صبيّ راضع، و صبيان رُضّع.

و أرضعته أمّه، و هي مُرْضِع و مُرْضِعَة، و هنّ مراضع.

﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ﴾ القصص: ١٢.

و هو رضيعي. و راضَعتُه و تراضَعْنا.

و راضَعَ ولده رضاعًا: دفعه إلى الظّئر.

و استَرضَع ولده: طلب إرضاعه. ﴿وَاِنْ اَرَدْتُمْ اَنْ تَسْتَرْضِعُوا اَوْلَادَكُمْ﴾ البقرة: ٢٣٣.

و ارْتضَعَتِ العَنْزُ: رَضَعَتْ نفسها.

و من المجاز: فلان يرضع الدّنيا و يذمّها.

و فلان رضيع اللُّؤم، و هم رُضَعاء اللُّؤم.

و بينهما رضاع الكأس.

و لئيمٌ راضع و رَضّاعٌ: مبالغ في اللّؤم، و أصله: أن يَرْضَع شاته لئلّا يُسمَع صوت حلبه.

و لمّا نقلوه إلى معنى المبالغة في اللّؤم بنوا فعله على «فَعُل» فقالوا: رَضُع رَضاعَةً فهو رضيع.

و يقال للشّحاذ: الرّاضع، لأنّه يَرْضَع النّاس بسؤاله. و ما حمله على ذلك إلّا اللّؤم و الرّضاعة و إلّا اللُّؤم و الرّضع.

و تقول: استعذ من الرّضاعة، كما تستعيذ من الضّراعة: من الذُّلّ.

و هبّت الرّضاعة، و هي ريح بين الدّبور و الجَنُوب، تسمّى: المُصَيريّة، لأنّه يُغرّز عنها المال، كأنّها ترضع ألبانها فتذهب بها. [و استشهد بالشّعر خمس مرّات] (أساس البلاغة: ١٦٦)

أبوميسرة: «لو رأيت رجلًا يَرْضَع فسَخِرْت منه خشيت أن أكون مثله»، أي يَرْضَع الغنم من لُؤمه.

و في أمثالهم: «الأمّ من راضع»، و هو مثبت في كتاب «المستقصى» بشرحه. (الفائق ٢: ٦٤)

المَدينيّ: في الحديث: «لاتأخذ من راضع لبن».

قيل: «الرّاضع»: ذات الدَّرّ، و الأشبه أنّ الرّاضع: الصّغير الّذي هو بَعْدُ يَرْضَع أمّه، إلّا أن يُقدّر فيه شيء محذوف.

و في حديث ثقيف: «أسلمها الرُّضّاع و تركوا

المِصاع».

«الرُّضّاع»: اللِّئام، جمع راضع. قيل: سمّي به لأنّه للؤمه يَرْضَع الغنم و لايَحلُبها ليلًا، لئلّايُسمَع صوت اللّبن. و قيل: لأنّه يَرْضَع النّاس، أي يسألهم.

و منه في رَجَز يُروى لفاطمة رضي الله عنها:

* ما بيَ من لُؤم و لارَضاعَه *

و الفعل منه رَضُع بالضّمّ، و المِصاع: المضاربة بالسّيوف.

في حديث قُسّ: «رَضيع أيهُقان»، أي السّباع في ذلك المكان تَرْتَع هذا النّبت و تَمصّه، بمنزلة اللّبن لشدّة نُعومة نبتِ ذلك المكان، و كثرة مائه.

(١: ٧٦٨)

ابن الأثير: فيه: «فإنّما الرَّضاعة من المَجاعة».

«الرَّضاعة» بالفتح و الكسر: الاسم من الإرضاع، فأمّا من اللُّؤم فالفتح لاغير.

يعني أنّ الإرضاع الّذي يُحَرّم النّكاح إنّما هو في الصّغر عند جُوع الطّفل، فأمّا في حال الكِبَر فلايُريد أنّ رِضاع الكبير لايحرّم.

و في حديث سُويد بن غَفَلة: «فإذا في عهد رسول الله ﷺ أن لايأخذ من راضع لبن».

أراد بالرّاضع ذاتَ الدَّرّ و اللّبن.

و في الكلام مضاف محذوف تقديره: ذات راضع. فأمّا من غير حذف فالرّاضع الصّغير الّذي هو بَعْدُ يَرْضَع. و نَهيُه عن أخذها، لأنّها خيار المال، و «من» زائدة، كما تقول: لاتأكل من الحرام، أي لاتأكل الحرام.

و قيل: هو أن يكون عند الرّجل الشّاة الواحدة أو اللِّقحة قد اتّخذها للدَّرّ، فلايُؤخذ منها شيء.

و في حديث ثقيف: «أسْلَمها الرُّضّاعَ و تركوا المِصاع».

«الرُّضّاع»: جمع راضِع و هو اللّئيم، سُمّي به، لأنّه للؤمه يَرْضَع إبلَه أو غنمه ليلًا، لئلّايُسْمَع صوت حَلبه.

و قيل: لأنّه لايَرْضَع النّاس أي يسألهم. و في المثل: «لئيم راضِع». و المِصاع: المُضاربة بالسّيف.

و منه حديث أبي مَيْسَرة: «لو رأيتُ رجلًا يَرضَع فسَخِرْتُ منه خَشيتُ أن أكون مثله»، أي يَرْضَع الغنم من ضُروعها، و لا يَحْلُب اللّبن في الإناء للُؤمه، أي لو عَيّرته بهذا خَشيتُ أن أُبتَلى به.

(٢: ٢٢٩)

الفَيّوميّ: رَضِع الصّبيّ رَضَعًا، من باب «تَعِب» في لغة نَجْد، و رَضَع رَضْعًا من باب «ضَرَب» لغةٌ لأهل تِهامَة، و أهل مكّة يتكلّمون بها.

و بعضهم يقول: أصل المصدر من هذه اللُّغة كَسْر الضّاد، و إنّما السّكون تخفيف، مثل: الحَلِف و الحَلْف.

و رَضُع يَرْضُع بفتحتين ـ لغة ثالثة ـ رَضاعًا و رَضاعةً بفتح الرّاء، و أرْضَعَتْه أُمّه فارْتَضَع فهي مُرْضِع و مُرْضِعَة أيضًا.

و قال الفَرّاء و جماعة: إن قُصد حقيقة الوصف بالإرضاع فـ «مُرْضِعٌ» بغير هاء، و إن قُصد مجاز الوصف، بمعنى أنّها محلّ الإرضاع فيما كان أو

سيكون فبالهاء. و عليه قوله تعالى: ﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ الحجّ: ٢.

و نساء مَراضِع و مَراضيع، و راضعْته مُراضَعَةً و رِضَاعًا و رِضَاعَةً بالكسر، و هو رَضِيعي.

و الرّاضعتان: الثّنيّتان اللّتان يُشْرَب عليهما اللّبن.

و يقال: الرّاضِعَة: الثّنيّة إذا سَقَطَتْ؛ و الجمع: الرّواضِع.

و يُقال: لَؤُمَ و رَضُعَ على الازدواج؛ و ذلك إذا مَصّ من الخِلْف مخافة أن يعلم به أحد إذا حَلَب، فيَطْلُبَ منه شيئًا، فهو راضِع و لو أُفْرِد قيل: رَضِعَ مثل: ثَعِبَ أو ضَرَبَ؛ و الجمع: رُضّع (١: ٢٢٩)

الفيروزاباديّ: رضع أمّه، كسَمِع و ضَرَب رَضْعًا و يُحرّك، و رَضاعًا و رَضاعَةً، و يُكسران، و رَضِعًا كـ كتف، فهو راضع؛ جمعه: كـ رُكّع، و رَضِعٌ كـ كتف؛ جمعه: كعُنُق: امتصّ ثَدْيَها.

و الرَّضُوعَة: الشّاة تُرْضِع.

و الرّاضعتان: ثنيّتا الصّبيّ، الجمع: رواضِع

و رَضُع، كـ كَرُم و منع، رضاعَةً، فهو راضع و رضيع، و رضّاعٌ كـ شدّاد من رُضّع، كـ رُكّع و كفّار: لَؤُم؛ و الاسم: الرّضع محرّكةً، و كـ كتف.

أو الرّاضع: اللّئيم الّذي رَضَع اللّؤم من ثَدْي أمّه.

و الرّاعي لايُمسك معه مِحْلَبًا، فإذا سُئل اللّبن اعتلّ بذلك، و من يأكل الخُلالَة من بين أسنانه لئلّايفوته شيء.

و من يَرْضَع النّاس أي يسألهم.

و قولهم: «لئيمٌ راضع»، أصله: أنّ رجلًا كان يَرضع إبله، لئلّايُسمَع صوت حَلْبه فيُطلَب منه.

و الرَّضاعَة كـ سحابةٍ: الدَّبُور، أو ريح بينها و بين الجَنُوب.

و الرِّضْع، بالكسر: شجر تَرْعاه الإبل.

و رضيعك: أخوك من الرَّضاعَة.

و الرَّضَع، محرّكةً: صغار النّحل، كـ الرُّضَع.

و أرضَعتِ المرأة فهي مُرْضِع: لها ولد تُرضِعُه. فإن وصفتها بإرضاع الولد قلت: مُرْضِعَة.

و راضَع ابنَه: دفعه إلى الظِّئْر.

و ارتَضَعتِ العَنْز: شَرِبَتْ لبن نفسها.

و استَرْضَع: طلب مُرضِعَة.

و المُراضعة: أن يَرْضع الطّفل أمّه، و في بطنها ولدٌ، و أن يَرْضع معه آخر كـ الرِّضاع. (٣: ٣٠)

الطُّرَيحيّ: و يقال: امرأة مُرْضِع بلاهاء، إذا أُريد الصّفة، مثل حائض و حامل. فإذا أُريد الفعل قالوا: مُرْضعة بالهاء، فلذلك قال عزّ من قائل: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ الحجّ: ٢. أي كلّ مشتغلة بالإرضاع عمّا هي مرضعة إيّاه، بالفعل عن إرضاعها إيّاه، و لعلّه تمثيل لشدّة الهول فلاتراد الحقيقة.

و في الحديث: «لارضاع بعد فطام» و معناه ـ على ما في الرّواية ـ إذا رَضع الصّبيّ حولين كاملين ثمّ شرب بعد ذلك من امرأة أخرى ما شرب لم يُحرّم ذلك الرّضاع، لأنّه رضاع بعد فطام.

و قد تكرّر فيه ذكر الرّضيع، و المراد به في كلام

أكثر الفقهاء: من لم يتغذّ بالطّعام كثيراً بحيث يساوي اللّبن، فلايضرّ القليل، سواء نقص عن الحولين أو بلغهما.

قيل: ولايلحق به المُرضعة في نزح البئر لعدم النّصّ.

وقال ابن إدريس: المراد بالرّضيع من كان في الحولين وإن اغتذى بالطّعام، ومن جاوز الحولين نُزح لبوله سبع وإن لم يتغذّ بالطّعام. (٤: ٣٣٦)

مَجْمَعُ اللّغة: رَضِع المولود يَرْضَع رَضْعًا ورَضاعًا ورَضاعةً، ورَضَع يَرْضَع: امتصّ لبن الثّدي.

أرضَعتِ الأنثى الطّفل: جعلته يرضعها، فهي مُرضِعة. ويقال: أرضعت للوالد، أي أرضعت ولده لأجل ما عنده.

المراضع: جمع مُرْضِع، وهي ذات اللّبن وإن لم تُرْضِع.

استرضع الرّجل المراضع أولاده: طلب منهنّ إرضاعهم، أو طلب المزيد من الرّضاع. (١: ٤٨٤)

العَدْنانيّ: المُرضِع والمُرضِعَة

إذا رأى النّاس امرأة في الشّارع، قالوا: «مُرضِعَة» إذا كان لها ولد تُرْضِعه في البيت. ويقول مُعظم أئمّة اللّغة: إنّ هذا خطأ، والصّواب أن نقول: «مُرْضِعٌ». ولايُجيزون أن نقول عن الأمّ ذات الطّفل الرّضيع: هذه مُرْضِعَةٌ، إلّا عندما تكون حَلَمة ثَدْيها في فم طِفلها.

ومن هذا قوله تعالى في هَوْل يوم القيامة، في آية: ٢ من سورة الحجّ: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾، أي الّتي تكون في حالة إرضاع طارئ، تُلقِم ولدها ثَدْيها. ولو قال: «مُرْضِع» بحذف التّاء، لكان المراد: الّتي من شأنها ومن غرائزها الإرضاع، لأنّها تُمارسه وقت التّكلّم فعلًا، أو في وقت مُحدّدٍ مُعيّن.

ويُجيز نُحاة آخرون أن نحذف التّاء استحسانًا من كلمة «مُرْضِع» إن أُريد بها الّتي من شأنها، وبمقتضى طبيعتها الجسميّة أن تكون صالحةً للإرضاع، ولولم تُزاوله فعلًا. وكذا المرأة المنسوبة للإرضاع، كالّتي تتّخذه حِرْفَةً، أو تشتهر به.

ويُجيزون أن نقول: «مُرْضِعَة» أيضًا. ولكنّ حذف التّاء عند أمن اللّبس أقوى وأبلغ.

ولايرى «المعجم الوسيط» بأسًا بأن نطلق كلمتي: «المُرْضِع والمُرْضِعَة» على الأمّ الّتي لها رضيع في كِلتا حالَيْ إرضاعه، أو كفّه عن الرّضاعة. (معجم الأخطاء الشّائعة: ١٠٤)

النُّصوص التّفسيريّة

مُرْضِعَة ـ أَرْضَعَتْ

يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ. الحجّ: ٢

ابن عَبّاس: والدة ﴿عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ عن ولدها. (٢٧٦)

الحسَن: تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام،

و تضع الحامل ما في بطنها لغير تمام.

(الواحديّ ٣: ٢٥٧)

الفرّاء: و المرضعة: الأمّ. و المُرضع: الّتي معها صبيّ تُرْضعُه. و لو قيل في الأمّ: مُرْضع، لأنّ الرّضاع لايكون إلّا من الإناث، فيكون مثل قولك: طامث و حائض. و لو قيل في الّتي معها صبيّ: مُرْضعَة كان صوابًا. (٢: ٢١٤)

المُبرّد: (ما) بمعنى المصدر، أي تذهل عن الإرضاع. و هذا يدلّ على أنّ هذه الزّلزلة في الدّنيا؛ إذ ليس بعد البعث حمل و إرضاع إلّا أن يقال: من ماتت حاملًا تُبعَث حاملًا، فتضع حملها للهول. و من ماتت مرضعة بُعثَت كذلك. (القرطبيّ ١٢: ٤)

الطّبريّ: و في إثبات الهاء في قوله: ﴿كُلُّ مُرْضِعَةٍ﴾ اختلاف بين أهل العربيّة، و كان بعض نحويّي الكوفيّين يقول: إذا أُثبتت الهاء في المرضعة فإنّما يراد أمّ الصّبيّ المُرْضع، و إذا أُسقطت فإنّه يراد المرأة الّتي معها صبيّ تُرضعه، لأنّه[1] أريد الفعل بها.

قالوا: و لو أُريد بها الصّفة فيما يُرى لقال: مُرْضع. و كذلك كلّ مُفْعِل أو فاعل يكون للأنثى و لايكون للذّكر، فهو بغير هاء، نحو: مُقْرِب، و مُوقِر، و مُشْدن، و حامل، و حائض.

و هذا القول عندي أولى بالصّواب في ذلك، لأنّ العرب من شأنها إسقاط هاء التّأنيث من كلّ فاعل و مفعل إذا وصفوا المؤنّث به، و لو لم يكن للمذكّر فيه حظّ. فإذا أرادوا الخبر عنها أنّها ستفعله و لم تفعله، أثبتوا هاء التّأنيث ليُفرّقوا بين الصّفة و الفعل. و منه قول الأعشى فيما هو واقع و لم يكن وقع قبل:

أيا جارتا بيني فإنّك طالِقه

كذاك أُمُور النّاس غادٍ و طارقَه

و أمّا فيما هو صفة، نحو قول إمرئ القيس:

فمثلُكِ حُبْلى قَدْ طَرَقْتُ و مُرْضِعٍ

و ربّما أثبتوا الهاء في الحالتين و ربّما أسقطوها فيهما، غير أنّ الفصيح من كلامهم ما وصفت.

فتأويل الكلام إذن: يوم ترون أيّها النّاس زلزلة السّاعة، تنسى و تترك كلّ والدة مولود ترضع و لدها عمّا أرضعت. (٩: ١٠٧)

الزّجّاج: ﴿مُرْضِعَةٍ﴾ جار على «المُفعِل» على ما أرضعت. و يقال: امرأة مُرْضِع، أي ذات رضاع أرضعت ولدها، أو أرضعت غيره. و القصد قصد مُلْبِن، أي ذات لُبُون و لبَن. (٣: ٤٠٩)

الثّعلبيّ: يعني ذات ولد رضيع. و المُرضع: المرأة الّتي لها صبيّ ترضعه لغيرها، هذا قول أهل الكوفة.

و قال أهل البصرة: يقال: امرأة مُرْضع، إذا أُريد به الصّفة، مثل مُقْرب و مشرق و حامل و حائض، فإذا أرادوا الفعل أدخلوا الهاء، فقيل: مرضعة الّتي تُرضع ولدها. (٧: ٦)

نحوه البغويّ. (٣: ٣٢٢)

الطّوسيّ: قال الفرّاء و الكوفيّون: يجوز أن يقال: مُرْضع بلاهاء، لأنّ ذلك لايكون في الرّجال،

---

(١) كذا و الظّاهر: لا أنّه !!.

فهو مثل حائض و طامث.

و قال الزّجّاج و غيره من البصريّين: إذا أجريته على الفعل قلت: أرضعت فهي مرضعة، فإذا قالوا مُرْضع، فالمعنى أنّها ذات رضاع. و قيل في قولهم: حائض و طامث معناه: أنّها ذات حيض و طمث.

و قال قوم: إذا قلت: مرضعة، فإنّه يُراد بها أمّ الصّبيّ المرضع. و إذا أسقطت الهاء، فإنّه يراد بها المرأة الّتي معها صبيّ مرضعة لغيرها. (٧: ٢٨٨)

الزّمَخْشَريّ: فإن قلت: لم قيل: مرضعة دون مرضع؟

قلت: المرضعة الّتي هي في حال الإرضاع، ملقمة ثديها الصّبيّ.

و المُرْضع: الّتي شأنها أن تُرْضع و إن لم تباشر الإرضاع في حال وصفها به، فقيل: مرضعة، ليدلّ على أنّ ذلك الهول إذا فوجئت به هذه و قد ألقمت الرّضيع ثديها، نزعته عن فيه لما يلحقها من الدّهشة، عمّا أرضعت عن إرضاعها أو عن الّذي أرضعته و هو الطّفل. (٣: ٤)

نحوه الفخر الرّازيّ (٢٣: ٤)، و النّسفيّ (٣: ٩٢)، و القاسميّ (١٢: ٤٣٢٢).

ابن عَطيّة: و ألحق الهاء في «مُرْضع» لأنّه أراد فاعلات ذلك في ذلك اليوم، فأجراه على الفعل. و أمّا إذا أخبرت عن المرأة بأنّ لها طفلًا تُرْضعه فإنّما تقول: مُرْضع مثل حامل.

قال عليّ بن سليمان: هذه الهاء في «مُرْضعة» تردّ على الكوفيّين قولهم: إنّ الهاء لا تكون فيما لا تلبس له بالرّجال. و حكى الطّبَريّ أنّ بعض نحويّي الكوفة قال: أمّ الصّبيّ مُرْضعة. (٤: ١٠٦)

العُكْبَريّ: المُرْضِعة: جاء على الفعل، و لو جاء على النّسَب لقال: مُرْضع.

و (مَا) بمعنى «من»، و يجوز أن تكون مصدريّة. (٢: ٩٣١)

أبو حَيّان: [حكى كلام الزّمَخْشَريّ ثمّ قال:]

خصّ بعض نحاة الكوفة أمّ الصّبيّ بـ«مُرْضعة» و المستأجرة بـ«مُرْضع» و هذا باطل بقول الشّاعر:

* كمُرْضعةٍ أولاد أخرى و ضيّعت *

فهذه «مُرْضعة» بالتّاء، و ليست أمًّا للّذي تُرْضع و قول الكوفيّين: «إنّ الوصف الّذي يختصّ بالمؤنّث لا يحتاج فيه إلى التّاء، لأنّها إنّما جيء بها للفرق» مردود بقول العرب: مُرْضعة و حائضة و طالقة. (٦: ٣٥٠)

البُرُوسَويّ: المُرْضعة: المرأة المباشرة للإرضاع بالفعل، و بغير التّاء هي الّتي من شأنها الإرضاع، لكن لم تلابس الفعل، و مثلها حائض و حائضة. (٦: ٢)

الآلوسيّ: [نحو أبي حيّان و أضاف:]

و التّعبير به هنا، ليدلّ على شدّة الأمر و تفاقم الهول. و الظّاهر أنّ (مَا) موصولة، و العائد محذوف، أي عن الّذي أرضعته. و التّعبير بـ(مَا) لتأكيد الذّهول، و كون الطّفل الرّضيع بحيث لا يخطر ببالها أنّه ماذا، لأنّها تعرف شيئيّته، لكن لا تدري من هو

بخصوصه.

و قيل: مصدريّة، أي تذهل عن إرضاعها.

و الأوّل دلّ على شدّة الهول و كمال الانزعاج، و الكلام على طريق التّمثيل، و أنّه لو كان هناك مُرْضعة و رضيع، لذهلت المرضعة عن رضيعها في حال إرضاعها إيّاه، لشدّة الهول، و كذا ما بعد.

و هذا ظاهر إذا كانت الزّلزلة عند النّفخة الثّانية، أو في يوم القيامة حين أمر آدم عليه السلام ببعث: بعث النّار و بعث الجنّة، إن لم نقل بأنّ كلّ أحد يُحشَر على حاله الّتي فارق فيها الدّنيا فتُحشَر المرضعة مُرْضعةً و الحامل حاملة، كما ورد في بعض الآثار.

و أمّا إذا قلنا بذلك أو بكون الزّلزلة في الدّنيا، فيجوز أن يكون الكلام على حقيقته، و لا يضرّ في كونه تمثيلًا، أنّ الأمر إذ ذاك أشدّ و أعظم و أهول، ممّا وُصف، و أطمّ لشيوع ما ذُكر في التّهويل، كما لا يخفى على المنصف النّبيل. (١٧: ١١٢)

ابن عاشور: و التحقت هاء التّأنيث بوصف ﴿مُرْضِعَةٍ﴾ للدّلالة على تقريب الوصف من معنى الفعل، فإنّ الفعل الّذي لا يوصف بحدثه غير المرأة تلحقه علامة التّأنيث، ليفاد بهذا التّقريب أنّها في حالة التّلبّس بالإرضاع، كما يقال: هي ترضع. و لولا هذه النّكتة لكان مقتضى الظّاهر أن يقال: كلّ مرضع، لأنّ هذا الوصف من خصائص الأُنثى، فلا يحتاج معه إلى الهاء الّتي أصل وضعها للفرق بين المؤنّث و المذكّر خيفة اللّبس.

و هذا من دقائق مسائل نحاة الكوفة، و قد تلقّاها الجميع بالقبول، و نظمها ابن مالك في أرجوزته «الكافية» بقوله:

و ما من الصّفات بالأُنثى يخصّ
عن تاء استغنى لأنّ اللّفظ نصّ

و حيث معنى الفعل تنوي التّاء زد
كذي غدت مُرْضعة طِفلًا وَلِد

و المراد: أنّ ذلك يحصل لكلّ مُرْضعة موجودة في آخر أيّام الدّنيا. فالمعنى الحقيقيّ مراد، فلم يقتض أن يكون الإرضاع واقعًا، فأطلق ذهول المرضع و ذات الحمل، و أُريد ذهول كلّ ذي علق نفيس عن عِلقه، على طريقة الكناية.

و زيادة كلمة ﴿كُلُّ﴾ للدّلالة على أنّ هذا الذّهول يعتري كلّ مُرْضع و ليس هو لبعض المراضع باحتمال ضعف في ذاكرتها. ثمّ تقتضي هذه الكناية كناية عن تعميم هذا الهول لكلّ النّاس، لأنّ خصوصيّة هذا المعنى بهذا المقام، أنّه أظهر في تصوير حالة الفزع و الهلع، بحيث يذهل فيه من هو في حال شدّة التّيقّظ، لوفرة دواعي اليقظة.

وذلك أنّ المرأة لشدّة شفقتها، كثيرة الاستحضار لما تشفق عليه، و أنّ المُرْضع أشدّ النّساء شفقةً على رضيعها، و أنّها في حال ملابسة الإرضاع أبعد شيء عن الذّهول، فإذا ذهلت عن رضيعها في هذه الأحوال، دلّ ذلك على أنّ الهول العارض لها هول خارق للعادة.

و هذا من بديع الكناية عن شدّة ذلك الهول، لأنّ استلزام ذهول المُرْضع عن رضيعها لشدّة الهول،

يستلزم شدّة الهول لغيرها بطريق الأولى، فهو لزوم بدرجة ثانية. و هذا النّوع من الكناية يسمّى الإيماء.

و (مَا) في ﴿عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ موصولة ما صدقها الطّفل الرّضيع. و العائد محذوف، لأنّه ضمير متّصل منصوب بفعل، و حَذْفُ مثله كثير.

و الإتيان بالموصول و صلته في تعريف المذهول عنه دون أن يقول عن ابنها، للدّلالة على أنّها تذهل عن شيء هو نصب عينها، و هي في عمل متعلّق به و هو الإرضاع، زيادة في التّكنّي عن شدّة الهول.

(١٧: ١٣٨)

المُصْطَفَويّ: الذّهول هو الخلاء عن أمر بدهشة. و الإرضاع آية أشدّ علاقة و أعظم محبّة، فإنّ المُرضعة تُرضع من جزء بدنها و تُفدي نفسها للمرتضع، و مع هذا فهو تذهل عنه في القيامة.

(٤: ١٤٩)

مكارم الشّيرازيّ: نعلم أنّ كلمة المُرضع، تطلق في اللّغة العربيّة على المرأة الّتي تُرضع ولدها، إلّا أنّ مجموعة من المفسّرين و بعض اللّغويّين يقولون: إنّ هذه الكلمة تُستخدم بصيغةٍ مؤنّثة ﴿مُرْضِعَةٍ﴾ لتشير إلى لحظة الإرضاع، أي يطلق على المرأة الّتي يمكنها إرضاع طفلها كلمة «المرضع» و كلمة «المرضعة» خاصّة بالمرأة الّتي هي في حالة إرضاع طفلها.

و لهذا التّعبير في الآية أهمّيّة خاصّة، فشدّة زلزال البعث، و رُعبه بدرجة كبيرة، يدفعان المرضعة إلى سحب ثديها من فم رضيعها، و نسيانه دون وعي منها. (١٠: ٢٤٧)

و فيها مباحث راجع: ذ هـ ل: «تَذْهَلُ».

أَرْضَعْنَ ـ فَسَتُرْضِعُ

﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى﴾.

الطّلاق: ٦

و فيها مباحث راجع: أ ج ر: «أُجُورَهُنَّ»، و: أ خ ر: «أُخْرَى».

أَرْضَعْنَكُمْ ـ الرَّضَاعَةِ

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ...﴾

النّساء: ٢٣

الطُّوسيّ: و المحرّمات بالسّبب: الأمّهات من الرّضاعة، و الأخوات أيضًا من الرّضاعة، و كلّ من يحرم بالنّسب يحرم مثله بالرّضاع، لقوله ﷺ: «يحرم من الرّضاع ما يحرم من النّسب». (٣: ١٥٧)

الفاضل المقداد: الرّضاع له شرائط، بمعرفتها يتقيّد إطلاق الآية، و هي إمّا بحسب المقدار، فعند الأكثر منّا خمس عشرة رَضعَة، أو ما أنبت اللّحم و شدّ العظم، أو رضاع يوم و ليلة، لأصالة الحلّ، و ما ذكرناه مُجْمَع على تحريمه النّكاح، و لتضافر روايات أهل البيت ﷺ.

و اكتفى الشّافعيّ و أحمد: بخمس لاأقلّ، و من الصّحابة من قال: بثلاث، و اكتفى مالك و أبو حنيفة: بالرّضعة الواحدة.

و أمّا بحسب الزّمان، فهو أن يكون في الحولين، لقوله ﷺ: «لا رضاع بعد فصال» فلو وقع بعضه في الحولين و بعضه خارجًا عنهما لم ينشر حرمةً، و به قال الشّافعيّ و هو أحد قولي مالك. و الآخر خمسة و عشرون شهرًا. و قال أبو حنيفة: ثلاثون شهرًا، و قال زُفر: ثلاث سنين.

و أمّا بحسب كيفيّة الرّضعة، فهو أن يلتقم من ثدي المرأة الحيّة المنكوحة، و يشرب منه لبنًا خالصًا حتّى يَرْوَى و يتركه باختياره، فلو وجر أو سعط به أو حقن لم ينشر. و قال الفقهاء: ينشر.

و في الرّضاع مسائل كثيرة تُذكر في كتب الفقه.

(٢: ١٨٣)

المُصْطَفَويّ: المصرّح في الآية الكريمة تحريم المرضعة و أخوات المرتضع من الرّضاعة، و لمّا كان هذا الارتباط و القرابة طبيعيًّا بالرّضاع، كما ورد أنّ الرّضاع لُحمَة كلحمة النّسب، فالحرمة في الأمّ و الأخت رضاعًا تنشر الحرمة في الطّبقة الأولى منها و في الطّبقة الثّانية، و هؤلاء معدودة من الأقارب عرفًا بلا إشكال. و أمّا غيرها فيحتاج إلى إثباتها بدليل قاطع، و إلّا فيُنفى بالأصل.

و قد ورد «يحرم من الرّضاع ما يحرم من النّسب»، و «يحرم من الرّضاع ما يحرم من القرابة» و هذا المضمون متواترٌ معنويّ، فيثبت ما صرّح به في الآية الكريمة من الأمّهات و البنات و الأخوات و العمّات و الخالات و بنات الأخ و بنات الأُخت، فينشر الحرمة في العمّات أيضًا، فيتّسع مفهوم النّشر، و يشمل الطّبقة الثّالثة أيضًا، راجع الكتب الفقهيّة.

(٤: ١٥٠)

و فيها مباحث راجع: أ م م: «أُمَّهَاتُكُمْ»، و: أ خ و: «أَخَوَاتُكُمْ»، و: ح ر م: «حُرِّمَتْ».

أَرْضِعِيهِ

وَاَوْحَيْنَا اِلٰى اُمِّ مُوسٰى اَنْ اَرْضِعِيهِ فَاِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَاَلْقِيهِ فِى الْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِى اِنَّا رَادُّوهُ اِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ. القصص: ٧

لاحظ: و ح ي: «أَوْحَيْنَا» و: خ و ف: «خِفْتِ».

الْمَرَاضِعَ

وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ اَدُلُّكُمْ عَلٰى اَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ. القصص: ١٢

المُصْطَفَويّ: أي جعلنا موسى من قبل التقاطه ممنوعًا، من شرب ألبان أخر غير لبن أمّه، و ﴿الْمَرَاضِعَ﴾: جمع مرضع بصيغة اسم المكان، فيشمل جميع الأثدى. (٤: ١٥٠)

و فيها مباحث راجع: ح ر م: «حَرَّمْنَا».

يُرْضِعْنَ ـ الرَّضَاعَةَ ـ تَسْتَرْضِعُوا

وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ اَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ اَرَادَ اَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ اِلَّا

وُسْعَهَا لَاتُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَامَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَاجُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَاجُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ. البقرة: ٢٣٣

ابن عبّاس: إنّها تُرضع حولين كاملين، و إذا وضعت لسبعة أشهر أرضعت ثلاثة و عشرين لتمام ثلاثين شهرًا، و إذا وضعت لتسعة أشهر أرضعت واحدًا و عشرين شهرًا.

[و في رواية] جعل الله سبحانه الرّضاع حولين كاملين لمن أراد أن يتمّ الرّضاعة.

[و في رواية] إنّ الله تعالى ذكره يقول: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ و لانرى رضاعًا بعد الحولين يُحرّم شيئًا.

[و في رواية] ليس يحرّم من الرّضاع بعد التّمام، إنّما يُحرّم ما أنبت اللّحم و أنشأ العظم.

[و في رواية] لارضاع بعد فصال السّنتين.

[و في رواية] لارضاع إلّا في هذين الحولين.

(الطّبريّ ٢: ٥٠٤ــ٥٠٦)

الشّعبيّ: ما كان من وجور أو سَعُوط أو رضاع في الحولين فإنّه يُحرّم، و ما كان بعد الحولين لم يُحرّم شيئًا. (الطّبريّ ٢: ٥٠٥)

مُجاهِد: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ﴾ خيفة الضّيعة على الصّبيّ ﴿فَلَاجُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾. (الطّبريّ ٢: ٥٢٢)

الضّحّاك: ليس للمرأة أن تترك ولدها بعد أن يصطلحا على أن تُرضع، و يُسلّمان و يُجبران على ذلك. فإن تعاسروا عند طلاق أو موت في الرّضاع، فإنّه يُعرَض على الصّبيّ المَراضع. فإن قبل مُرضِعًا جاز ذلك و أرضعته، و إن لم يقبل مرضعًا فعلى أُمّه أن ترضعه بالأجر إن كان له مال أو لعصبته. فإن لم يكن له مال و لا لعصبته، أُكرهت على رضاعه.

(الطّبريّ ٢: ٥٢٢)

عَطاء: إن أرادت أُمّه أن تقصّر عن حولين كان عليها حقًّا أن تبلغه، لا أن تزيد عليه إلّا أن يشاء.

(الطّبريّ ٢: ٥٠٥)

قَتادَة: قوله: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ ثمّ أنزل الله اليسر و التّخفيف بعد ذلك، فقال تعالى ذكره: ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾. (الطّبريّ ٢: ٥٠٦)

السُّدّيّ: إن قالت المرأة: «لاطاقة لي به، فقد ذهب لبني» فتُستَرضع له أُخرى.

(الطّبريّ ٢: ٥٢٢)

الرّبيع: يعني المطلّقات يُرضعن أولادهنّ حولين كاملين. ثمّ أنزل الرّخصة و التّخفيف بعد ذلك، فقال: ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾.

(الطّبريّ ٢: ٥٠٦)

الإمام الصّادق عليه السلام: «مادام الولد في الرّضاع فهو بين الأبوين بالسّويّة، فإذا فُطِم فالأب أحقّ من الأمّ. فإذا مات الأب فالأمّ أحقّ به من العَصَبة، و إن وجد الأب من يُرضعه بأربعة دراهم،

و قالت الأمّ: لا أُرضِعُه إلّا بخمسة دراهم، فإنّ له أن ينزعه منها، إلّا أنّ ذلك خير له و أقدم و أرفق به أن يُترَك مع أُمّه». (العيّاشيّ ١: ٢٣٦)

الثّوريّ: و التّمام الحولان. فإذا أراد الأب أن يفطمه قبل الحولين و لم ترضَ المرأة، فليس له ذلك. و إذا قالت المرأة: «أنا أفطمه قبل الحولين»، و قال الأب: لا، فليس لها أن تفطمه حتّى يرضى الأب، حتّى يجتمعا. فإن اجتمعا قبل الحولين فطماه، فإذا اختلفا لم يفطماه قبل الحولين؛ و ذلك قوله: ﴿فَاِنْ اَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَ تَشَاوُرٍ﴾.

(الطّبريّ ٢: ٥٠٥)

إذا أبت الأمّ أن ترضعه، فلاجناح على الأب أن يسترضع له غيرها. (الطّبريّ ٢: ٥٢٢)

ابن زَيْد: إذا رضيت الوالدة أن تسترضع ولدها، و رضي الأب أن يسترضع ولده، فليس عليهم جناح. (الطّبريّ ٢: ٥٢٢)

الفَرّاء: القرّاء تقرأ بفتح الرّاء. و زعم الكِسائيّ أنّ من العرب من يقول: الرِّضاعة بالكسر. فإن كانت فهي بمنزلة الوكالة و الوَكالة و الدِّلالة و الدَّلالة و مهرت الشّيء مِهارة و مَهارة؛ و الرِّضاع و الرَّضاع فيه مثل ذلك، إلّا أنّ فتح الرّاء أكثر، و مثله الحِصاد و الحَصاد. (١: ١٤٩)

الطّبَريّ: يعني تعالى ذكره بذلك: و النّساء اللّواتي بِنّ من أزواجهنّ، و لهنّ أولاد قد ولدنهم من أزواجهنّ قبل بينونتهنّ منهم بطلاق، أو ولدنهم منهم، بعد فراقهم إيّاهنّ، من وطء كان منهم لهنّ قبل البينونة. ﴿يُرْضِعْنَ اَوْلَادَهُنَّ﴾ يعني بذلك: أنّهنّ أحقّ برضاعهم من غيرهم.

و ليس ذلك بإيجاب من الله تعالى ذكره عليهنّ رضاعهم، إذا كان المولود له والدٌ حيًّا موسرًا. لأنّ الله تعالى ذكره قال في سورة النّساء القُصرى: ﴿اِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ اُخْرٰى﴾ الطّلاق: ٦، فأخبر تعالى ذكره: أنّ الوالدة و المولود له إن تعاسرا في الأجرة الّتي تُرضع بها المرأة ولدها، أنّ أُخرى سواها تُرضعه، فلم يوجب عليها فرضًا رَضاع ولدها. فكان معلومًا بذلك أنّ قوله: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ اَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ﴾، دلالة على مبلغ غاية الرَّضاع الّتي متى اختلف الوالدان في رضاع المولود بعده، جعل حدًّا يُفصل به بينهما، لادلالة على أنّ فرضًا على الوالدات رضاع أولادهنّ. [ثمّ بحث عن حولين كاملين و أدام:]

ثمّ اختلف أهل التّأويل في الّذي دلّت عليه هذه الآية، من مبلغ غاية رضاع المولودين: أهو حدّ لكلّ مولود، أو هو حدّ لبعض دون بعض؟

فقال بعضهم: هو حدّ لبعض دون بعض.

و قال آخرون: بل ذلك حدّ رضاع كلّ مولود اختلف والداه في رضاعه، فأراد أحدهما البلوغ إليه، و الآخر التّقصير عنه.

و قال آخرون: بل دلّ الله تعالى ذكره بقوله: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ اَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾، على أن لارضاع بعد الحولين، فإنّ الرّضاع إنّما هو ماكان في الحولين.

و قال آخرون: بل كان قوله: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾، دلالة من الله تعالى ذكره عباده، على أنّ فرضًا على الوالدات المولودين أن يرضعنهم حولين كاملين، ثمّ خفّف تعالى ذكره ذلك بقوله: ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ فجعل الخيار في ذلك إلى الآباء و الأمّهات، إذا أرادوا الإتمام أكملوا حولين، و إن أرادوا قبل ذلك فطْم المولود، كان ذلك إليهم على النّظر منهم للمولود.

وأولى الأقوال بالصّواب في قوله: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾، القول الّذي رواه عليّ بن أبي طلحة عن ابن عبّاس، و وافقه على القول به عطاء و الثّوريّ، و القول الّذي روي عن عبد الله بن مسعود و ابن عبّاس و ابن عمر: و هو أنّه دلالة على الغاية الّتي ينتهي إليها في رضاع المولود إذا اختلف والداه في رضاعه، و أنّ لا رضاع بعد الحولين يُحرّم شيئًا، و أنّه معنيّ به كلّ مولود لستّة أشهر كان ولاده أو لسبعة أو لتسعة.

فأمّا قولنا: إنّه دلالة على الغاية الّتي ينتهي إليها في الرّضاع عند اختلاف الوالدين فيه، فلأنّ الله تعالى ذكره لما حدّ في ذلك حدًّا، كان غير جائز أن يكون ما وراء حدّه موافقًا في الحكم ما دونه، لأنّ ذلك لو كان كذلك، لم يكن للحدّ معنى معقول.

و إذ كان ذلك كذلك، فلاشكّ أنّ الّذي هو دون الحولين من الأجل، لما كان وقت رضاع كان ماوراءه غير وقت له، و أنّه وقت لترك الرّضاع، و أنّ تمام الرّضاع لما كان تمام الحولين، و كان التّامّ من الأشياء لامعنى إلى الزّيادة فيه، كان لامعنى للزّيادة في الرّضاع على الحولين، و أنّ ما دون الحولين من الرّضاع لمّا كان محرّمًا كان ما وراءه غير محرّم.

و إنّما قلنا: هو دلالة على أنّه معنيّ به كلّ مولود، لأيّ وقت كان ولاده، لستّة أشهر أو سبعة أو تسعة، لأنّ الله تعالى ذكره عمّ بقوله: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾، و لم يُخصّص به بعض المولودين دون بعض.

و قد دلّلنا على فساد القول بالخصوص، بغير بيان الله تعالى ذكره ذلك في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ في كتابنا «كتاب البيان عن أصول الأحكام» بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

فإن قال لنا قائل: فإنّ الله تعالى ذكره، قد بيّن ذلك بقوله: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ الأحقاف: ١٥، فجعل ذلك حدًّا للمعنيين كليهما، فغير جائز أن يكون حملٌ و رضاعٌ أكثر من الحدّ الّذي حدّه الله تعالى ذكره، فما نقص من مدّة الحمل عن تسعة أشهر، فهو مزيد في مدّة الرّضاع، و ما زيد في مدّة الحمل، نقص عن مدّة الرّضاع. و غير جائز أن يجاوز بهما كليهما مدّة ثلاثين شهرًا، كما حدّه الله تعالى ذكره.

قيل له: فقد يجب أن يكون مدّة الحمل -على هذه المقالة- إن بلغت حولين كاملين، أن لا يُرضع

المولود إلّا ستّة أشهر، و إن بلغت أربع سنين، أن يبطل الرّضاع فلا يُرضَع، لأنّ الحمل قد استغرق الثّلاثين شهرًا و جاوز غايته. أو يزعم قائل هذه المقالة: أنّ مدّة الحمل لن تجاوز تسعة أشهر، فيخرج من قول جميع الحجّة، و يكابر الموجود و المشاهد، و كفى بهما حجّة على خطإ دعواه إن ادّعى ذلك، فإلى أيّ الأمرين لجأ قائل هذه المقالة، وضح لذوي الفهم فساد قوله.

فإن قال لنا قائل: فما معنى قوله ـ إن كان الأمر على ما وصفت ـ: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلٰثُونَ شَهْرًا﴾ و قد ذكرت آنفًا أنّه غير جائز أن يكون ما جاوز حدّ الله تعالى ذكره، نظير مادون حدّه في الحكم؟ و قد قلت: إنّ الحمل و الفصال قد يجاوزان ثلاثين شهرًا؟

قيل: إنّ الله تعالى ذكره لم يجعل قوله: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلٰثُونَ شَهْرًا﴾، حدًّا تُعبّد عباده بأن لا يجاوزوه، كما جعل قوله: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ حدًّا لرضاع المولود التّابت الرّضاع، و تُعبّد العباد بحمل والديه عند اختلافهما فيه، و إرادة أحدهما الضّرار به. و ذلك أنّ الأمر من الله تعالى ذكره إنّما يكون فيما يكون للعباد السّبيل إلى طاعته بفعله و المعصية بتركه. فأمّا ما لم يكن لهم إلى فعله و لا إلى تركه سبيل، فذلك ممّا لا يجوز الأمر به و لا النّهي عنه و لا التّعبّد به.

فإذا كان ذلك كذلك، و كان الحمل ممّا لا سبيل للنّساء إلى تقصير مدّته و لا إلى إطالتها، فيضعنه متى شئن، و يتركن وضعه إذا شئن، كان معلومًا أنّ قوله: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلٰثُونَ شَهْرًا﴾ إنّما هو خبر من الله تعالى ذكره، عن أنّ من خلقه من حملته أمّه و ولدته و فصلته في ثلاثين شهرًا، لا أمرٌ بأن لا يتجاوز في مدّة حمله و فصاله ثلاثون شهرًا، لما وصفنا. و كذلك قال ربّنا تعالى ذكره في كتابه: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلٰثُونَ شَهْرًا﴾ الأحقاف: ١٥.

فإن ظنّ ذو غباء أنّ الله تعالى ذكره إذ وصف أنّ من خلقه من حملته أمّه و وضعته و فصلته في ثلاثين شهرًا، فواجب أن يكون جميع خلقه ذلك صفتهم، و أنّ ذلك دلالة على أنّ حمل كلّ عباده و فصاله ثلاثون شهرًا، فقد يجب أن يكون كلّ عباده صفتهم أن يقولوا إذا بلغوا أشدّهم و بلغوا أربعين سنة: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾ الأحقاف: ١٥، على ما وصف الله به الّذي وصف في هذه الآية.

و في وجودنا من يستحكم كفره بالله، و كفرانه نعَم ربّه عليه، و جرأته على والديه بالقتل و الشّتم و ضروب المكاره، عند استكماله الأربعين من سنيه و بلوغه أشدّه، ما يعلم أنّه لم يعن الله بهذه الآية صفة جميع عباده، بل يعلم أنّه إنّما وصف بها بعضًا منهم دون بعض، و ذلك ما لا ينكره و لا يدفعه أحد، لأنّ

من يولد من النّاس لسبعة أشهر، أكثر ممّن يولد لأربع سنين و لسنتين؛ كما أنّ من يولد لتسعة أشهر، أكثر ممّن يولد لستّة أشهر و لسبعة أشهر.

و اختلفت القرأة في قراءة ذلك، فقرأه عامّة أهل المدينة و العراق و الشّام ﴿لِمَنْ اَرَادَ اَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ بـ«الياء» في ﴿يُتِمَّ﴾ ونصب ﴿الرَّضَاعَةَ﴾ بمعنى: لمن أراد من الآباء و الأمّهات أن يتمّ رضاع و لده. و قرأه بعض أهل الحجاز: (لِمَنْ اَرَادَ اَنْ تَتِمَّ الرَّضَاعَةُ) بـ« التاء » في (تَتِمَّ)، و رفع (الرَّضَاعَةَ) بصفتها.

و الصّواب من القراءة في ذلك عندنا، قراءة من قرأ بـ« الياء » في ﴿يُتِمَّ﴾ و نصب ﴿الرَّضَاعَةَ﴾، لأنّ الله تعالى ذكره قال: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ اَوْلَادَهُنَّ﴾، فكذلك هنّ يتممنها إذا أردن هنّ و المولود له إتمامها، و أنّها القراءة الّتي جاء بها النّقل المستفيض الّذي تثبت به الحجّة، دون القراءة الأخرى.

و قد حُكي في ﴿الرَّضَاعَةَ﴾ سماعًا من العرب كسر الرّاء الّتي فيها. فإن تكن صحيحة، فهي نظيرة: الوكالة و الوَكالة و الدِّلالة و الدَّلالة، و مهرت الشّيء مَهارة و مِهارة، فيجوز حينئذ «الرَّضاع» و «الرِّضاع» كما قيل: الحَصاد و الحِصاد. و أمّا القراءة فبالفتح لاغير. (٢: ٥٠٣)

﴿وَاِنْ اَرَدْتُمْ اَنْ تَسْتَرْضِعُوا اَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ اِذَا سَلَّمْتُمْ مَا اٰتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ يعني تعالى ذكره بذلك، و إن أردتم أن تسترضعوا أولادكم مَراضع غير أمّهاتهم، إذا أبت أمّهاتهم أن يرضعنهم بالّذي يرضعنهم به غيرهنّ من الأجر، أو من خيفة ضيعة منكم على أولادكم بانقطاع ألبان أمّهاتهم، أو غير ذلك من الأسباب، فلاحرج عليكم في استرضاعهنّ، إذا سلّمتم ما آتيتم بالمعروف.

(٢: ٥٢٢)

الزّجّاج: اللّفظ لفظ الخبر، و المعنى الأمر. كما تقول: حسبك درهم، فلفظه لفظ الخبر، و معناه اكتف بدرهم، و كذلك معنى الآية لتُرضع الوالدات.

يقال: أرضعت المرأة فهي مرضعة، قولهم: امرأة مرضع بغير هاء، معناه ذات إرضاع. فإذا أردتم اسم الفاعل على أرضَعَتْ، قلتَ: مرضعة لاغير.

و يقال: رَضِعَ المولود يَرْضَع، و رَضَعَ يرْضِع، والأولى أكثر وأوضح. و يقال: الرَّضاعة و الرِّضاعة ـ بالفتح و الكسر ـ و الفتح أكثر الكلام و أصحّه، و عليه القراءة: ﴿لِمَنْ اَرَادَ اَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾.

و روى أبوالحسن الأخفش أنّ بعض بني تميم تقول: الرِّضاعة بكسر الرّاء، و روى الكسر أيضًا غيره. و يقال: الرَّضاع و الرِّضاع، و يقال: ما حمله على ذلك إلّا اللُّؤم و الرَّضاعة بالفتح لاغير هاهنا.

و يقال: ما حمله عليه إلّا اللُّؤم و الرَّضْع، مثل: الحِلْف و الرَّضْع، يقالان جميعًا. (١: ٣١٢)

الجَصّاص: قال الله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ اَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ ظاهره الخبر، و لكنّه معلوم من مفهوم الخطاب أنّه لم يُرد به الخبر، لأنّه لو كان خبرًا لوُجد مخبره، فلمّا كان في

الوالدات من لايُرضع عُلم أنّه لم يُرد به الخبر، ولا خلاف أيضًا في أنه لم يُرد به الخبر.

وإذا لم يكن المراد حقيقة اللّفظ الّذي هو الخبر، لم يخل من أن يكون المراد إيجاب الرّضاع على الأمّ وأمرها به؛ إذ قد يرد الأمر في صيغة الخبر، كقوله: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلٰثَةَ قُرُوءٍ﴾ البقرة: ٢٢٨.

وإن يريد به إثبات حقّ الرّضاع للأمّ وإن أبى الأب، أو تقدير ما يلزم الأب من نفقة الرّضاع، فلمّا قال في آية أخرى: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَاٰتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ... وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرٰى﴾ الطّلاق: ٦، دلّ ذلك على أنّه ليس المراد الرّضاع شاءت الأمّ أو أبت، وأنّها مخيّرة في أن ترضع أو لاترضع.

فلم يبق إلّا الوجهان الآخران، وهو أنّ الأب إذا أبى استرضاع الأمّ أجبر عليه، وأنّ أكثر ما يلزمه في نفقة الرّضاع للحولين، فإن أبى أن ينفق نفقة الرّضاع أكثر منهما لم يُجبَر عليه. ثمّ لايخلو بعد ذلك قوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾ من أن يكون عمومًا في سائر الأمّهات مطلّقات كنّ أو غير مطلّقات، أو أن يكون معطوفًا على ما تقدّم ذكره من المطلّقات مقصور الحكم عليهنّ.

فإن كان المراد سائر الأمّهات المطلّقات منهنّ والمزوّجات، فإنّ النّفقة الواجبة للمزوّجات منهنّ هي نفقة الزّوجيّة وكسوتها لا للرّضاع، لأنّها لاتستحقّ نفقة الرّضاع مع بقاء الزّوجيّة، فتجتمع لها نفقتان إحداهما للزّوجيّة والأخرى للرّضاع.

وإن كانت مطلّقة فنفقة الرّضاع أيضًا مستحقّة بظاهر الآية، لأنّه أوجبها بالرّضاع، وليست في هذه الحال زوجة ولامعتدّة منه، لأنّه يكون معطوفًا على قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾ البقرة: ٢٣٢، فتكون منقضية العدّة بوضع الحمل، وتكون النّفقة المستحقّة أجرة الرّضاع. وجائز أن يكون طلّقها بعد الولادة، فتكون عليها العدّة بالحيض. [ثمّ أدام بحثًا مستوفًا في وجوب نفقة الرّضاع ووقته ونفقة العدّة فراجع] (١: ٤٠٣)

الماوَرْديّ: يعني لأولادكم، فحذف اللّام، اكتفاء بأنّ الاسترضاع لايكون للأولاد، وهذا عند امتناع الأمّ من إرضاعه، فلاجناح عليه أن يسترضع له غيرها ظِئرًا. (١: ٣٠١)

البغويّ: ﴿يُرْضِعْنَ﴾ خبر بمعنى الأمر، وهو أمر استحباب لاأمر إيجاب، لأنّه لايجب عليهنّ الإرضاع إذا كان يوجد من ترضع الولد، لقوله تعالى في سورة الطّلاق: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَاٰتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ الطّلاق: ٦، فإن رغبت الأمّ في الإرضاع فهي أولى من غيرها. (١: ٣١٢)

الزّمَخْشَريّ: ﴿يُرْضِعْنَ﴾ مثل ﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾ في أنّه خبر في معنى الأمر المؤكّد. [إلى أن قال:]

وقرئ: (الرِّضَاعَة) بكسر الرّاء، و(الرَّضْعَة). و(أَنْ تُتِمُّ الرَّضَاعَة) و(أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاع) برفع الفعل تشبيهًا لـ(أَنْ) بـ(مَا) لتآخيهما في التّأويل.

﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ أراد أنّه يجوز النّقصان. و عن الحسن: ليس ذلك بوقت لاينقص منه بعد أن لايكون في الفطام ضرر.

و قيل: اللّام متعلّقة بـ ﴿يُرْضِعْنَ﴾ كما تقول: أرضعت فلانة لفلان ولده، أي يرضعن حولين لمن أراد أن يتمّ الرّضاعة من الآباء، لأنّ الأب يجب عليه إرضاع الولد دون الأمّ، و عليه أن يتّخذ له ظِئْرًا إلّا إذا تطوّعت الأمّ بإرضاعه، و هي مندوبة إلى ذلك و لاتُجبَر عليه.

و لايجوز استئجار الأمّ عند أبي حنيفة ما دامت زوجة أو معتدّة من نكاح، و عند الشّافعيّ يجوز. فإذا انقضت عدّتها جاز بالاتّفاق.

فإن قلت: فما بال الوالدت مأمورات بأن يرضعْن أولادهن؟

قلت: إمّا أن يكون أمرًا على وجه النّدب، و إمّا على وجه الوجوب إذا لم يقبل الصّبيّ إلّا ثدي أمّه، أو لم توجد له ظِئْرٌ أو كان الأب عاجزًا عن الاستئجار.

و قيل: أراد الوالدات المطلّقات، و إيجاب النّفقة و الكسوة لأجل الرّضاع. [إلى أن قال:]

«استرضع»: منقول من «أرضع». يقال: أرضعت المرأة الصّبيّ و استرضعتها الصّبيّ، لتعدّيه إلى مفعولين، كما تقول: أنجح الحاجة و استنجحته الحاجة. و المعنى أن تسترضعوا المَراضع أولادكم، فحذف أحد المفعولين للاستغناء عنه، كما تقول: استنجحت الحاجة، و لاتذكر من استنجحته، و كذلك حكم كلّ مفعولين لم يكن أحدهما عبارة عن الأوّل. (١: ٣٦٩)

نحوه النّسفيّ. (١: ١١٧)

ابن عَطيّة: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾ خبر معناه الأمر على الوجوب لبعض الوالدات، و الأمر على جهة النّدب و التّخيير لبعضهنّ. فأمّا المرأة الّتي في العصمة، فعليها الإرضاع، و هو عُرف يلزم إذ قد صار كالشّرط، إلّا أن تكون شريفة ذات ترفُّه، فعُرفها أن لاترضع و ذلك كالشّرط.

فإن مات الأب و لامال للصّبيّ، فمذهب مالك في المدوّنة أنّ الرّضاع لازم للأمّ بخلاف النّفقة.

و في كتاب ابن الجلّاب: «رضاعه في بيت المال».

و قال عبد الوهّاب: «هو من فقراء المسلمين و أمّا المطلّقة طلاق بينونة فلارضاع عليها، و الرّضاع على الزّوج إلّا أن تشاء هي، فهي أحقّ به بأجرة المثل».

هذا مع يُسر الزّوج، فإن كان مُعدمًا لم يلزمها الرّضاع، إلّا أن يكون المولود لايقبل غيرها، فتُجبر حينئذ على الإرضاع، و لها أجر مثلها في يُسر الزّوج و كلّ ما يلزمها الإرضاع، فإن أصابها عذر يمنعها منه عاد الإرضاع على الأب.

و روي عن مالك: أنّ الأب إذا كان مُعدمًا و لامال للصّبيّ، فإنّ الرّضاع على الأمّ، فإن كان بها عذر و لها مال فالإرضاع عليها في مالها.

و هذه الآية هي في المطلّقات، قاله السُّدّيّ و الضّحّاك و غيرهما. جعلها الله حدًّا عند اختلاف

الزّوجين في مدّة الرّضاع، فمن دعا منهما إلى إكمال الحولين فذلك له.

و قال جمهور المفسّرين: إنّ هذين الحولين لكلّ واحد، و روي عن ابن عبّاس أنّه قال: «هي في الولد الّذي يمكث في البطن ستّة أشهر، فإن مكث سبعة أشهر فرضاعه ثلاثة و عشرون شهرًا، فإن مكث ثمانية أشهر فرضاعه اثنان و عشرون شهرًا، فإن مكث تسعة أشهر فرضاعه أحد و عشرون شهرًا».

كأنّ هذا القول انبنى على قوله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلٰثُونَ شَهْرًا﴾ الأحقاف: ١٥، لأنّ ذلك حكم على الإنسان عمومًا، و سمّي العام حولًا لاستحالة الأمور فيه في الأغلب، و وصفهما بـ﴿كَامِلَيْنِ﴾ إذ ممّا قد اعتيد تجوّزًا أن يقال: في حول و بعض آخر حولين، و في يوم و بعض آخر مشيت يومين، و صبرت عليك في دينى يومين و شهرين.

و قوله تعالى: ﴿لِمَنْ اَرَادَ اَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ مبنيّ على أنّ الحولين ليسا بفرض لا يتجاوز.

و قرأ السّبعة: ﴿اَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ بضمّ الياء و نصب ﴿الرَّضَاعَةَ﴾.

و قرأ مُجاهِد و ابن مُحَيْصن و حُمَيْد و الحسَن و أبورجاء: (تتمّ الرَّضَاعَةُ) بفتح التّاء الأولى و رفع (الرَّضَاعَةُ) على إسناد الفعل إليها.

و قرأ أبوحَيْوَة و ابن أبي عَبْلَة و الجارود بن أبي سبرة كذلك، إلّا أنّهم كسروا الرّاء من ﴿الرَّضَاعَةَ﴾ و هي لغة كالحَضارة و الحِضارة، و غير ذلك.

و روي عن مُجاهِد أنّه قرأ (الرَّضعَة) على وزن الفَعلَة، و روي عن ابن عبّاس أنّه قرأ أن (يُكْمِلَ الرَّضَاعَة) بالياء المضمومة.

و انتزع مالك رحمه الله و جماعة من العلماء من هذه الآية: أنّ الرّضاعة المحرّمة الجارية مجرى النّسب إنّما هي ما كان في الحولين، لأنّ بانقضاء الحولين تمّت الرّضاعة فلا رضاعة.

و روي عن قَتادَة أنّه قال: «هذه الآية تضمّنت فرض الإرضاع على الوالدات ثمّ يُسّر ذلك و خُفّف بالتّخيير الّذي في قوله: ﴿لِمَنْ اَرَادَ﴾». و هذا قول متداع. (١: ٣١٠)

نحوه القُرطُبيّ. (٣: ١٦١)

الطَّبْرِسيّ: ﴿يُرْضِعْنَ اَوْلَادَهُنَّ﴾ صيغته صيغة الخبر، و المراد به الأمر، أي ليُرضعن أولادهنّ، كقوله: ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِاَنْفُسِهِنَّ﴾ البقرة: ٢٢٨.

و جاز ذلك التّصرّف في الكلام مع رفع الإشكال، إذ لو كان خبرًا لكان كذبًا، لجواز أن يُرضعن أكثر من حولين أو أقلّ. و قولك: حسبك درهم، معناه: اكتف بدرهم تامّ.

و قيل: هو خبر بمعنى الأمر، و تقديره: و الوالدات يُرضعن أولادهن حولين كاملين في حكم الله الّذي أوجبه على عباده، فحُذف للدّلالة عليه. و هذا أمر استحباب لا أمر إيجاب.

و المعنى: إنّهنّ أحقّ برضاعهم من غيرهنّ،

بدليل قوله: ﴿إِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى﴾ الطّلاق: ٦. (١: ٣٣٤)

الفخر الرّازيّ: أمّا قوله تعالى: ﴿يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾ ففيه مسألتان:

المسألة الأولى: هذا الكلام و إن كان في اللّفظ خبرًا إلّا أنّه في المعنى أمر، و إنّما جاز ذلك لوجهين:

الأوّل: تقدير الآية: و الوالدات يُرضعن أولادهنّ في حكم الله الّذي أوجبه، إلّا أنّه حُذف لدلالة الكلام عليه.

و الثّاني: أن يكون معنى ﴿يُرْضِعْنَ﴾ ليُرضعن، إلّا أنّه حُذف ذلك للتّصرّف في الكلام، مع زوال الإيهام.

المسألة الثّانية: هذا الأمر ليس أمر إيجاب، و يدلّ عليه وجهان:

الأوّل: قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ الطّلاق: ٦، و لو وجب عليها الرّضاع لما استحقّت الأجرة.

و الثّاني: أنّه تعالى قال بعد ذلك: ﴿وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى﴾ الطّلاق: ٦، و هذا نصّ صريح، و منهم من تمسّك في نفي الوجوب عليها بقوله تعالى: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ﴾ البقرة: ٢٣٣، و الوالدة قد تكون مطلّقة، فلم يكن وجوب رزقها على الوالد إلّا بسبب الإرضاع، فلو كان الإرضاع واجبًا عليها لما وجب ذلك.

و فيه البحث الّذي قدّمناه. إذا ثبت أنّ الإرضاع غير واجب على الأمّ فهذا الأمر محمول على النّدب؛ من حيث إنّ تربية الطّفل بلبن الأمّ أصلح له من سائر الألبان، و من حيث إنّ شفقة الأمّ عليه أتمّ من شفقة غيرها. هذا إذا لم يبلغ الحال في الولد إلى حدّ الاضطرار، بأن لا يوجد غير الأمّ، أو لا يرضع الطّفل إلّا منها، فواجب عليها عند ذلك أن ترضعه، كما يجب على كلّ أحد مواساة المضطرّ في الطّعام. (٦: ١٢٥)

البيضاويّ: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾ أمر عبّر عنه بالخبر للمبالغة، و معناه النّدب أو الوجوب، فيخصّ بما إذا لم يرتضع الصّبيّ إلّا من أمّه، أو لم يوجد له ظِئْر أو عجز الوالد عن الاستئجار. [إلى أن قال:]

﴿أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ﴾ أي تسترضعوا المراضع لأولادكم. يقال: أرضعت المرأة الطّفل و استرضعتها إيّاه، كقولك: أنجح الله حاجتي و استنجحته إيّاها، فحذف المفعول الأوّل للاستغناء عنه. (١: ١٢٣)

أبوحيّان: ﴿يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾ صورته خبر محتمل أن يكون معناه خبرًا، أي في حكم الله تعالى الّذي شرعه، فالوالدات أحقّ برضاع أولادهنّ، سواء كانت في حيالة الزّوج أو لم تكن، فإنّ الإرضاع من خصائص الولادة، لا من خصائص الزّوجيّة.

و يحتمل أن يكون معناه الأمر، كقوله: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ﴾، لكنّه أمر ندب لا إيجاب؛

إذ لو كان واجبًا لما استحقّ الأجرة. و قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرٰى﴾.

فوجوب الإرضاع إنّما هو على الأب لاعلى الأمّ، و عليه أن يتّخذ له ظِئْرًا إلّا إذا تطوّعت الأمّ بإرضاعه، و هي مندوبة إلى ذلك، و لاتُجبَر عليه. فإذا لم يقبل ثديها، أو لم يوجد[1] له ظِئْرًا، و عجز الأب عن الاستئجار، وجب عليها إرضاعه، فعلى هذا يكون الأمر للوجوب في بعض الوالدات.

و مذهب الشّافعيّ: أنّ الإرضاع لايلزم إلّا الوالد أو الجدّ، و إن علا. و مذهب مالك: أنّه حقّ على الزّوجة لأنّه كالشّرط، إلّا أن تكون شريفة ذات نسب، فعُرفها أن لاتُرضع. [إلى أن قال:]

و «استرضع» فيه خلاف هل يتعدّى إلى مفعولين بنفسه أو إلى مفعولين الثّاني بحرف جرّ؟ قولان:

فالأوّل قول الزّمخشريّ [الّذي تقدّم]. و هو نقلٌ من نقل، الأصل: رضع الولد، ثمّ تقول: أرضعت المرأة الولد، ثمّ تقول: استرضعت المرأة الولد، و استفعل هنا للطّلب، أي طُلبت من المرأة إرضاع الولد، كما تقول: استسقيت زيدًا الماء، و استطعمت عمرًا الخُبز، أي طلبت منه أن يسقيني و أن يُطعمني، فكما أنّ الخُبز و الماء منصوبان و ليسا على إسقاط الخافض، كذلك: ﴿أَوْلَادَكُمْ﴾ منصوب لاعلى إسقاط الخافض.

و الثّاني: قول الجمهور، و هو أن يتعدّى إلى اثنين، الثّاني بحرف جرّ، و حُذف من قوله: ﴿أَوْلَادَكُمْ﴾، و التّقدير: لأولادكم، و قد جاء استفعل أيضًا للطّلب مُعدّى بحرف الجرّ في الثّاني، و إن كان في أفعل، مُعدّى إلى اثنين. تقول: أفهمني زيد المسألة، و استفهمت زيدًا عن المسألة، فلم يجئ: استطعمت، و يصير نظير: استغفرت الله من الذّنب. و يجوز حذف: «مِن» فتقول: الذّنب، و ليس في قولهم: كان فلان مسترضعًا في بني فلان، دليل على أنّه مفعول بنفسه، أو بحرف جرّ. ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ هذا جواب الشّرط، و قبله جملة حذفت لفهم المعنى، التّقدير: فاسترضعتم أو فعلتم ذلك، فلاجناح عليكم في الاسترضاع ﴿إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ﴾. هذا خطاب للرّجال خاصّة، و هو من تلوين الخطاب.

و قيل: هو خطاب للرّجال و النّساء، و يتّضح ذلك في تفسير قوله: ﴿مَا آتَيْتُمْ﴾. و ﴿إِذَا سَلَّمْتُمْ﴾ شرط. قالوا: و جوابه ما يدلّ عليه الشّرط الأوّل و جوابه، و ذلك المعنى هو العامل في: (إذا) و هو متعلّق بما تعلّق به: ﴿عَلَيْكُمْ﴾، انتهى.

و ظاهر هذا الكلام خطأٌ، لأنّه جعل العامل في (إذا) أوّلًا المعنى الّذي يدلّ عليه الشّرط و جوابه، ثمّ قال ثانيًا: إنّ (إذا) تتعلّق بما تعلّق به ﴿عَلَيْكُمْ﴾، و هذا يناقض ما قبله.

و لعلّ قوله: و «هو متعلّق»، سقطت منه ألف، و كان: «أو هو متعلّق»، فيصحّ إذ ذاك

---

(١) كذا و الظّاهر: «لم يجد» أو «لم يُوجد له ظئر».

المعنى، و لاتكون إذ ذاك شرطًا، بل تتمحّض للظّرفيّة. (٢: ١١ ٢)

المُصْطَفَويّ: يُعلم منها أنّ الطّفل لااقتضاء في بدنه و مزاجه أن يتغذّى بغير اللّبن من مختلف الأطعمة، و هذا إرشاد إلى أمر طبيعيّ حافظ لصحّة مزاج الطّفل.

و تدلّ الآية الكريمة على أنّ الوالدة موظّفة بقبول هذا التّكليف، و أصل الإرضاع في نفسه واجبة لها، فإنّ إدامة حياة الولد متوقّفة عليه، إلّا أن يستثنى عموم الحكم بعناوين و جهات ثانويّة، في موارد مخصوصة.

كما أنّ الوالدة المرضعة لها أن تطلب أجرة من الوالد أو من الوليّ أو من مال الولد إذا شاءت، و حينئذ يجب تأدية حقّ عملها هذا، و لكنّ هذا لايوجب جواز ترك الإرضاع للولد مطلقًا.

و من الأجرة يمكن أن يحاسب ما على الأب في حقّ الأمّ: ﴿وَ عَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَ كِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَاتُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَاتُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَ لَامَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَ عَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذٰلِكَ﴾.

فإنّ هذه الجملة متمّمة الآية المذكورة، و يُصرّح فيها بالمقابلة و المعادلة، و هذا في صورة وجود المولود له، و إعطاء الرّزق و الكسوة لها.

و يؤيّد هذه الأحكام ﴿فَاَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتّٰى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَاِنْ اَرْضَعْنَ لَكُمْ فَاٰتُوهُنَّ اُجُورَهُنَّ وَ أْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَ اِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ اُخْرٰى﴾ الطّلاق: ٦، فإنّ المطلّقة بعد وضع حملها ليست لها كسوة و لانفقة على الزّوج، و هي موظّفة على إرضاع الولد إذا لم تضارّ، و حينئذ يجوز لها أن تطلب أجرة في مقابل إرضاعها ﴿فَاٰتُوهُنَّ اُجُورَهُنَّ﴾.

و هذا كما في وجوب التّعليمات الدّينيّة و التّبليغات الأحكاميّة على الواجد بشرائطه، و مع هذا له أن يُطالب من بيت المال ما يؤمّن معاشه، فهذا أجر و جزاء لعمله و فعّاليّته، و إن لم يكن أجرة اصطلاحيّة.

هذا وظيفة الأمّ الوالدة، و أمّا الوالد فهو مختار في تعيين المرضعة لولده، إذا رأى تساهلًا من جانب الأمّ، و وظيفة و اجبة له إذا شاهد الامتناع منها في الإرضاع ﴿فَاِنْ اَرَادَا فِصَالًا... وَ اِنْ اَرَدْتُمْ اَنْ تَسْتَرْضِعُوا اَوْلَادَكُمْ فَلَاجُنَاحَ عَلَيْكُمْ اِذَا سَلَّمْتُمْ مَا اٰتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾. (٤: ١٤٩)

و هكذا جاء في أكثر التّفاسير. و فيها مباحث راجع ح و ل: «حَوْلَيْن»، و: و ل د: «الْوَالِدَات - اَوْلَادَهُنَّ - اَوْلَادَكُمْ».

الأُصول اللُّغويّة

١ - الأصل في هذه المادّة: الرَّضَاع، أي امتصاص الثّدي أو الضّرع. يقال: رَضِع الصّبيّ و غيره يَرْضَع رَضْعًا و رَضَعًا و رَضِعًا و رَضَاعًا و رِضاعًا و رَضَاعَةً و رِضَاعَةً، فهو راضع و رضيع؛ و جمع راضع: رُضّع، و جمع رضيع: رُضَع.

و الرَّضيع: المُراضِع؛ و الجمع: رُضَعاء، و هو أن يَرْضَع الطِّفل أُمّه و في بطنها ولد. و يقال للجنين: مُراضَع. يقال: راضَعَه مُراضَعةً و رِضاعًا، أي رَضَع معه.

و راضَعَ فلان ابنَه: دفعَه إلى الظِّئر.

و أرْضَعَته أُمُّه: سَقَتْه، فهي مُرضِعَة بفعلها.

و ارْتَضَعَ: رَضِع.

و ارتَضعَت العنز: شربت لبن نفسها.

و استَرضَعتُ المرأةَ ولدي: طلَبْتُ منها أن تُرضِعَه.

و امرأة مُرْضِع: ذات رضيع أو لبن رَضاع؛ و الجمع: مَراضيع و مَراضِع.

و المُرْضِع: الّتي ليس معها ولد، و قد يكون معها ولد.

و المُرْضِع أيضًا: الّتي دنا لها أن تُرْضِع و لم تُرْضِع بعد.

و المُرْضِعَة: الّتي تُرْضِع و إن لم يكن لها ولد، أو كان لها ولد.

و المُرضِعَة أيضًا: الّتي تُرْضِع و ثديها في في[1] ولدها.

و الرُّضُوعَة: الّتي تُرضِع ولدها، و كذلك الرُّضُوعَة من الغنم.

و الرّاضِع و الرَّضيع: الخسيس من الأعراب الّذي إذا نزل به الضّيف رَضَعَ بفيه شاته لئلّا يسمعه الضّيف. يقال: رَضُعَ يَرْضُع رَضاعَةً؛ و الاسم: الرَّضَع و الرَّضِع.

و لئيم راضِع: الّذي رَضَعَ اللُّؤْمَ من ثدي أُمّه، يريد أنّه وُلد في اللُّؤْم.

و لئيم راضِع: الّذي يأكل خلالته شرَهًا من لؤمه حتّى لا يفوته شيء.

و الرّاضعتان: الثّنيّتان المتقدّمتان اللّتان يُشرَب عليهما اللّبن.

و الرّواضِع: ما ثبت من أسنان الصّبيّ، ثمّ سقط في عهد الرِّضاع. يقال: سقطت رَواضِعُه.

و الرّاضِعَة: كلّ سنّ سقطت من مقادمه.

و الرَّضَع: صغار النّحل؛ واحدتها: رَضَعَة، على التّشبيه.

٢ ـ و شاعت منذ مدّة الرِّضاعة الصِّناعيّة، و هي إرضاع أولاد النّاس و الحيوانات بآلة سمّاها المولّدون: الرُّضّاعَة، أو المِرْضَعة، و جمعوها على: مَراضِع، مثل: مِحْبَرة و مَحابر.

و شاعت هذه الطّريقة في الحلب أيضًا، و هي تقتصر على الحيوان، و خاصّة البقر، فتُثبَّت أقماع المِحْلَب في ضروعه و يُستَحلب اللّبن منها آليًّا.

الاستعمال القرآنيّ

جاء منها مزيدًا ـ من باب الإفعال ـ الماضي (أَرْضَعْتُ) و (أَرْضَعْنَ) ٣ مرّات، و المضارع (يُرْضِعْنَ) و (سَتُرْضِعُ) مرّتين، و الأمر (أَرْضِعيهِ) مرّة، و الوصف (الْمَرَاضِعَ) ـ جمع مُرْضِعَة ـ مرّة،

(١) في: بمعنى: فم.

و المصدر (الرَّضَاعَةِ) مرّتين، و من باب الاستفعال المضارع (تَسْتَرْضِعُوا) مرّةً في ٦ آيات:

القصّة:

١ ـ ﴿وَ اَوْحَيْنَا اِلَىٰ اُمِّ مُوسٰى اَنْ اَرْضِعِيهِ فَاِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَاَلْقِيهِ فِى الْيَمِّ وَ لَا تَخَافِى وَ لَا تَحْزَنِى اِنَّا رَادُّوهُ اِلَيْكِ وَ جَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ القصص: ٧

٢ ـ ﴿وَ حَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ اَدُلُّكُمْ عَلَىٰ اَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَ هُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ القصص: ١٢

الآخرة:

٣ ـ ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا اَرْضَعَتْ وَ تَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَ تَرَى النَّاسَ سُكَارٰى وَ مَا هُمْ بِسُكَارٰى وَ لٰكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ﴾ الحجّ: ٢

التشريع: الرّضاع

٤ ـ ﴿وَ الْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ اَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ اَرَادَ اَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَ عَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَ كِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ اِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَ لَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَ عَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذٰلِكَ فَاِنْ اَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَ تَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَ اِنْ اَرَدْتُمْ اَنْ تَسْتَرْضِعُوا اَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ اِذَا سَلَّمْتُمْ مَا اٰتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَ اتَّقُوا اللهَ وَ اعْلَمُوا اَنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ البقرة: ٢٣٣

٥ ـ ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ اُمَّهَاتُكُمْ وَ بَنَاتُكُمْ وَ اَخَوَاتُكُمْ وَ عَمَّاتُكُمْ وَ خَالَاتُكُمْ وَ بَنَاتُ الْاَخِ وَ بَنَاتُ الْاُخْتِ وَ اُمَّهَاتُكُمُ الّٰتِى اَرْضَعْنَكُمْ وَ اَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَ اُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَ رَبَائِبُكُمُ الّٰتِى فِى حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ الّٰتِى دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَاِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَ حَلَائِلُ اَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ اَصْلَابِكُمْ وَ اَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْاُخْتَيْنِ اِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ اِنَّ اللهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾

النّساء: ٢٣

٦ ـ ﴿اَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَ لَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَ اِنْ كُنَّ اُولَاتِ حَمْلٍ فَاَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتّٰى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَاِنْ اَرْضَعْنَ لَكُمْ فَاٰتُوهُنَّ اُجُورَهُنَّ وَ اْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَ اِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ اُخْرٰى﴾ الطّلاق: ٦

و يلاحظ أوّلًا: أنّها ثلاثة محاور: القصّة و الآخرة و التّشريع:

المحور الأوّل: القصّة: آيتان، و كلاهما في موسى عليه السلام:

الأولى (١) الآية: ٧، من سورة القصص: ﴿وَ اَوْحَيْنَا اِلَىٰ اُمِّ مُوسٰى اَنْ اَرْضِعِيهِ...﴾:

١ ـ و هذه من جملة قصّة موسى و فرعون في هذه السّورة: بدءً من الآية الثّالثة منها: ﴿نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَاِ مُوسٰى وَ فِرْعَوْنَ...﴾، و ختمًا بالآية: ٤٦، ﴿وَ مَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ اِذْ نَادَيْنَا...﴾.

٢ ـ و محتواها أنّ الله سبحانه أوحى إلى أمّ موسى بأن تُرضع موسى، فإذا خافت عليه فتُلقيه في اليمّ ـ و هو النّيل ـ و لا تخاف و لا تحزن عليه، فإنّ الله يردّه إليها، و يجعله من المرسلين. لاحظ: و ح ي:

«أوحينا»، و: خ و ف: «خِفتِ».

٣ـ و قال الطَّبْرِسيّ (٤: ٢٤٠) في «الحجّة»: «الحُزْن و الحَزَن: لغتان مثل البُخْل و البَخَل، و العُرْب و العَرَب، و العُجْم و العَجَم».

٤ ـ و قال في «المعنى»: «﴿وَ اَوْحَيْنَا اِلٰى اُمِّ مُوسٰى﴾ أي ألهمناها و قذفنا في قلبها، و ليس بوحي نبوّة، عن قَتادَة و غيره.

و قيل: أتاها جبرائيل عليه السّلام بذلك، عن مُقاتِل.

و قيل: كان هذا الوحي رؤيا منام، عبّر عنها من يثق به من علماء بني إسرائيل، عن الجُبّائيّ.

﴿اَنْ اَرْضِعِيهِ﴾ ما لم تخافي عليه الطّلب.

﴿فَاِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ﴾ في القتل الّذي أمر به فرعون في أبناء بني إسرائيل.

﴿فَاَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ أي في البحر، و هو النّيل.

﴿وَ لَا تَخَافِي﴾ عليه الضّيعة.

﴿وَ لَا تَحْزَنِي﴾ من فراقه.

﴿اِنَّا رَادُّوهُ اِلَيْكِ﴾: سالمًا عن قريب.

﴿وَ جَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ و الأنبياء.

و في هذه الآية أمران و نهيان، و خبران و بشارتان. و حُكي أنّ بعضهم سمع بَدَويّةً تنشد أبياتًا، فقال لها: ما أفصحك! فقالت: الفصاحة للّه تعالى، و ذكرت هذه الآية و ما فيها.

قال وَهْب بن مُنبِّه: لـمّا حملت أمّ موسى بموسى، كتمت أمرها عن جميع النّاس، فلم يطّلع على حملها أحد من خلق اللّه، و ذلك شيء ستره اللّه تعالى، لـمّا أراد أن يمنّ به على بني إسرائيل. فلمّا كانت السّنة الّتي يولد فيها موسى، بعث فرعون القوابل، و تقدّم إليهنّ أن يُفتّشنّ النّساء تفتيشًا لم يفتّشنه قبل ذلك. و حملت أمّ موسى بموسى، فلم ينب بطنها، و لم يتغيّر لونها، و لم يظهر لبنها، فكانت القوابل لايعرضن لها. فلمّا كانت اللّيلة الّتي وُلد فيها موسى، ولدته أمّه، و لا رقيب عليها، و لا قابلة، و لم يطّلع عليها أحد إلّا أخته مريم. فأوحى اللّه تعالى إليها ﴿اَنْ اَرْضِعِيهِ﴾ الآية». و ذكر باقي القصّة.

و الثّانية: (٢) الآية: ١٢، من سورة القصص أيضًا: ﴿وَ حَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ...﴾.

١ ـ و هذه من تتمّة الآية الأُولى في ولادة موسى و أمّها عليهما السّلام.

٢ـ و محتواها ـ بعد أن حكى اللّه تعالى قبلها التقاط آل فرعون موسى، و أنّ امرأة فرعون قالت له: قرّة عين لي و لك لاتقتله، و بعد أن أصبح فؤاد أمّ موسى حزينًا عليه و ربط اللّه على قلبها، و بعد أن قالت لأُخت موسى أن تقصّ موسى، و قالت لهم: هل أدلّكم على من يرضعه؟ بعد كلّ ذلك قال تعالى: إنّا قد حرّمنا على موسى المراضع من قبل، فلم يكن موسى يمسّ ثدي امرأة تريد أن ترضعه، فردّ اللّه موسى إلى أمّه...

٣ ـ و قالوا في ﴿وَ حَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ﴾، أي جعلنا موسى من قبل التقاطه ممنوعًا من شرب ألبان أخر غير لبن أمّه. و فيها مباحث لاحظ: ح ر م: «حَرَّمْنَا».

٤ ـ و قال الطّبْرسيّ (٤: ٢٤٣) في «المعنى» ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ﴾: «المعنى: أنّه لا يؤتى بمرضع فيقبلها، و تأويله: منعناهنّ منه، و بغضناهنّ إليه، عن ابن عبّاس.

و قيل: هو جمع مُرضِع، بمعنى الرّضاع، أي منعناه من الرّضاع. فهذا تحريم منْع، لأنّ هناك نهيًا عن الفعل. [ثمّ استشهد بشعر]

و يقال: فلان حرّم على نفسه كذا، أي امتنع منه كما يمتنع بالنّهي. ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ أي من قبل مجيء أخته. و قيل: من قبل ردّه على أمّه». ثمّ فسّر باقي الآية و حكى باقي القصّة، فلاحظ.

و المحور الثّاني: الآخرة آية واحدة (٣):

١ ـ و هي الآية: ٢، من سورة الحجّ: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ...﴾، و هي من تتمّة الآية الأولى منها: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ ثمّ انصرف الكلام إلى من يُجادل في الله بغير علم.

٢ ـ و محتواها: أنّ الله سبحانه أمر النّاس بتقوى ربّهم، تحذيرًا لهم عن زَلْزَلة السّاعة، و أنّها لشدّة عذابها تمنع كلّ مُرْضعَة عمّا أرضعَتْ، و تضع بها كلّ ذات حمل حملها، و أنّ النّاس يوم ذاك كالسُّكارى، و ما هم بسُكارى إلّا أنّ عذاب الله شديد.

٣ ـ و قالوا في ﴿مُرْضِعَةٍ﴾ و ﴿أَرْضَعَتْ﴾ والدة ﴿عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ ولدها، تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام. و المُرضِعَة: الأمّ، و المُرضِع: الّتي معها صبيّ تُرْضعُه، و لو قيل في الأمّ: مُرْضِع ـ يعني مذكّرًا ـ لأنّ الرّضاع لا يكون إلّا من الأنثات، فيكون مثل قولك: «طامث و حائض»، و لو قيل في الّتي معها صبيّ مُرْضِعَة كان صوابًا، (ما) بمعنى المصدر، أي تذهل عن الإرضاع و نحوها.

و في «المُرضِعَة و المُرْضع»، خلاف بينهم: فقال بعضهم: إذا ثبتت «الهاء» فيها فيُراد أمّ الصّبيّ، و إذا أسقطت فيراد بها المرأة الّتي معها صبيّ تُرْضِعُه، فلاحظ.

٥ ـ و قال الطّبْرسيّ (٤: ٦٩) في «اللّغة»: «الزّلْزَلة و الزّلزال: شدّة الحركة على الحال الهائلة.

و قيل: إنّ أصله: «زلّ» فضُوعف للمبالغة. و أباه البصريّون. قال: إنّ «زلّ» ثلاثيّ، و «زلزل» رباعيّ، و إن اتّفق بعض الحروف في الكلمتين، لأنّه لا يمتنع مثل هذا. ألا ترى أنّهم يقولون: دَمَث و دِمَثْر، و سَبَط و سَبْطَر، و ليس أحدهما مأخوذًا من الآخر، و إن كان معناهما واحدًا، لأنّ الزّاي ليست من حروف الزّيادة. و «الزّلزال» بالفتح: الاسم. [ثمّ استشهد بشعر]

و الذُّهول: الذّهاب عن الشّيء دهشًا و حيرةً. يقال: ذهَل عنه يَذْهَل ذُهُولًا و ذَهِل بمعنى. و الذُّهْل: السُّلُو. قال: «صحا قلبه يا عزّ أو كاد يذهل».

و الحَمْل: بفتح الحاء: ما كان في بطن أو على رأس شجرة. و الحِمْل: بكسر الحاء: ما كان على ظهر، أو على رأس».

٦ ـ و قال في «المعنى» «ص ٧٠» ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا﴾ «معناه: يوم ترون الزّلزلة، أو السّاعة

﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾، أي تشغل كلّ مرضعة عن ولدها و تنساه. و قيل: تسلو عن ولدها.

﴿وَ تَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾ أي تضع الحُبالى ما في بطونها.

و في هذا دلالة على أنّ الزّلزلة تكون في الدّنيا، فإنّ الرّضاع، و وضع الحمل، إنّما يتصوّر في الدّنيا.

قال الحسَن: تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام. و تضع الحامل ما في بطنها بغير تمام.

و من قال: إنّ المراد به: يوم القيامة قال: إنّه تهويل لأمر القيامة، و تعظيم لما يكون فيه من الشّدائد، أي لو كان ثمّ مرضعة لذَهَلَت، أو حامل لوَضَعَت، و إن لم يكن هناك حامل، و لا مرضعة.

﴿وَ تَرَى النَّاسَ سُكَارٰى﴾ من شدّة الخوف و الفزع ﴿وَ مَا هُمْ بِسُكَارٰى﴾ من الشّراب.

و قيل: معناه: كأنّهم سكارى من ذهول عقولهم، لشدّة ما يمرّ بهم، لأنّهم يضطربون اضطراب السَّكْران.

ثمّ علّل سبحانه ذلك، فقال: ﴿وَ لٰكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ﴾ فمن شدّته يصيبهم ما يصيبهم».

و المحور الثّالث: التّشريع: ٣ آيات في ٣ سور:

الأولى: (٤) الآية: ٢٣٣، من سورة البقرة: ﴿وَ الْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ...﴾.

١ـ و هذه الآية في تلك السّورة تتمّة لأحكام النّكاح و الطّلاق فيها، بدءً من الآية: ٢٢١، ﴿وَ لَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتّٰى يُؤْمِنَّ...﴾، و ختمًا بالآية: ٢٤١ و ٢٤٢، ﴿وَ لِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ... * كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

٢ـ و قد اجتمعت في هذه الآية الطّويلة ثلاث كلمات من هذه المادّة: ﴿يُرْضِعْنَ﴾ و ﴿الرَّضَاعَةَ﴾ و ﴿تَسْتَرْضِعُوا﴾ ونبحثها جميعًا.

٣ـ و قالوا في ﴿حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾: إنّها تُرضع حولين كاملين، و إذا وضعت لسبعة أشهر أرضعت ثلاثة و عشرين لتمام ثلاثين شهرًا، و إذا وضعت لتسعة أشهر أرضعت واحدًا و عشرين شهرًا. جعل الله سبحانه الرَّضاع حولين كاملين لمن أراد أن يُتمّ الرَّضاعة، لانرى رَضاعًا بعد الحولين يُحرّم شيئًا، ليس يحرّم من الرّضاع بعد التّمام إنّما يحرّم ما أنبت اللّحم و أنشأ العظم، ما كان من وُجور أوسَعُوط أو رَضاع في الحولين، فإنّه يُحرّم، و ما كان بعد الحولين لم يُحرّم. إن أرادت أُمّه أن تقصّر عن حولين كان عليها حقًّا أن تبلغه لاأن تزيد عليه إلّا أن يشاء، ثمّ أنزل الله اليُسر و التّخفيف بعد ذلك، فقال تعالى ذكره: ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ و نحوها.

٤ـ و قالوا في ﴿وَ إِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ﴾ خيفة الضّيعة على الصّبيّ، إذ أبت الأمّ أن تسترضعه، فلاجناح على الأب أن يسترضع له غيرها، إلى غير ذلك من النُّصوص ـ و هي كثيرة ـ فلاحظ.

و الثّانية: (٥) الآية: ٢٣، من سورة النّساء ﴿...وَ أُمَّهَاتُكُمُ الّٰتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَ أَخَوَاتُكُمْ مِنَ

الرَّضَاعَةِ...﴾:

١ـ و هذه الآية الطّويلة شاملة للمحرّمات من الأمّ و البنات و الأخوات و الأعمام و الخالات و غيرهنّ. و من جملتهنّ صنفان من المحرّمات بالرّضاع، و هما الأمّ و الأخوات من الرّضاعة، إلّا أنّ الفقهاء يلحقون بهنّ سائر المحرّمات بالرّضاع، مستدلّين بقول النّبيّ ﷺ: «يحرم من الرّضاع ما يحرم بالنّسب».

٢ـ و هي من جملة ما جاءت في هذه السّورة بشأن النّكاح و الطّلاق، بدءً من الآية: ١٩، منها: ﴿يَاءَيُّهَا الَّذِينَ امَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ اَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا اتَيْتُمُوهُنَّ...﴾، و ختمًا بالآية: ٢٥، منها الطّويلة أيضًا: ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا اَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ اَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ...﴾.

و بعدها منفصلة عنها آيات أخرى أيضًا في النّكاح و الطّلاق في هذه السّورة. و علاوة على ذلك، فإنّها شاملة لكثير من شؤون النّساء، و لذلك سُمّيت بـ«سورة النّساء».

٣ـ و جاء في النّصوص ذكر سائر المحرّمات بالرّضاع، و شرائط الرّضاع المحرّم و نحوها، فلاحظ.

٤ ـ و قال الطّبرسيّ (٢: ٢٨) ﴿وَاُمَّهَاتُكُمُ الّتِي اَرْضَعْنَكُمْ﴾: «سمّاهن «أمّهات» للحرمة، و كلّ أنثى انتسبت إليها باللّبن فهي أمّك، فالّتي أرضعتك، أو أرضعت امرأة أرضعتك، أو رجلًا أرضعت بلبانه من زوجته، أو أمّ ولد له، فهي أمّك من الرّضاعة. و كذلك كلّ امرأة ولدت امرأةً أرضعتك، أو رجلًا أرضعك، فهي أمّك من الرّضاعة.

﴿وَاَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ﴾ يعني بنات المرضعة، و هنّ ثلاث:

الصّغيرة الأجنبيّة الّتي أرضعتها أمّك بلبان أبيك، سواء أرضعتها معك، أو مع ولدها قبلك، أو بعدك.

و الثّانية: أختك لأمّك دون أبيك، و هي الّتي أرضعتها أمّك بلبان غير أبيك.

و الثّالثة: أختك لأبيك دون أمّك، و هي الّتي أرضعتها زوجة أبيك بلبن أبيك، و أمّ الرّضاعة، و أخت الرّضاعة، لولا الرّضاعة لم تحرما، فإنّ الرّضاعة سبب تحريمهما، و كلّ من تحرم بالنّسب من اللّاتي مضى ذكرهنّ، تُحرم أمثالهنّ بالرّضاع، لقول النّبيّ ﷺ: «إنّ الله حرّم من الرّضاعة ما حرّم من النّسب». فثبت بهذا الخبر أنّ السّبع من المحرّمات بالنّسب ـ على التفصيل الّذي ذكره ـ محرّمات بالرّضاع. و الكلام في الرّضاع يشتمل على ثلاثة فصول»، و قد شرحها، فلاحظ.

و الثّالثة: (٦) الآية: ٦، من سورة الطّلاق: ﴿...فَإِنْ اَرْضَعْنَ لَكُمْ فَاتُوهُنَّ اُجُورَهُنَّ وَاْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَاِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ اُخْرٰى﴾:

١ـ و هذه الآية من جملة ما جاءت في هذه السّورة في أحكام الطّلاق ـ و به سمّيت ـ بدءً من

أوّلها: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ...﴾، و ختمًا بالآية: ٧، منها: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ...﴾.

٢ـ و في الآية جملة من أحكام المطلّقات مثل حقّ إسكانهنّ، و عدم الإضرار بهنّ و إنفاقهنّ حتّى يضعن حملهنّ، و أخيرًا حقّ إرضاعهنّ بأنّهنّ إن أرضعن أولادكم فآتوهنّ أجورهنّ بالمعروف، و إن تعاسرتم فسترضع له امرأة أخرى.

و جاء في الآية بعدها مقدار الإنفاق عليهنّ ممّن له سعة أو ضيق في الرّزق.

٣ـ و جاءت في هذه الآية كلمتان من هذه المادّة: ﴿أَرْضَعْنَ﴾ و ﴿فَسَتُرْضِعُ﴾.

٤ـ و قال الطّبرسيّ (٥: ٣٠٨) في «المعنى» ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾: «أي فإن أرضعن الولد لأجلكم بعد البينونة، فأعطوهنّ أجر الرّضاع، يعني أجرة المثل.

﴿وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ﴾ هذا خطاب للرّجل و المرأة. و الائتمار: قبول الأمر و ملاقاته بالتّقبّل.

أمر الله تعالى المرضعة و المرضع له بالتّلقّي لأمره عزّ و جلّ، و لأمر صاحبه إذا كان حسنًا.

و قيل: معناه: و ليأمر بعضكم بعضًا بالجميل في إرضاع الولد، أي بتراضي الوالد و الوالدة بعد وقوع الفرقة في الأجرة على الأب، و إرضاع الولد؛ بحيث لا يضرّ بمال الوالد، و لا بنفس الولد، و لا يزاد على الأجر المتعارف، و لا ينقص الولد عن الرّضاع المعتاد.

قال الكسائيّ: أصله التّشاور، و منه: ﴿يَأْتَمِرُونَ بِكَ﴾ القصص: ٢٠، أي يتشاورون.

و الأقوى عندي أن يكون المعنى: دبّروا بالمعروف بينكم في أمر الولد، و مراعاة أمّه، حتّى لا يفوت الولد شفقتها، و غير ذلك. [ثمّ استشهد بشعر]

﴿وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى﴾ و المعنى: فإن اختلفتم في الرّضاع و في الأجر، فسترضع له امرأة أخرى أجنبيّة، أي فليسترضع الوالد غير والدة الصّبيّ...». و يلاحظ ثانيًا: أنّ الأوليين من هذه الآيات السّتّ قصّة في سورة مكّيّة، و الثّالثة عقيدة في سورة مختلف فيها ـ سورة الحجّ ـ و الثّلاث الأخيرة تشريع في سورتين مدنيّتين ـ البقرة و النّساء ـ.

و ثالثًا: ليس لهذه المادّة نظائر في القرآن.

ر ض و

٣١ لفظًا، ٧٣ مرّة: ١٩ مكّيّة، ٥٤ مدنيّة
في ٣٢ سورة: ١٦ مكّيّة، ١٦ مدنيّة

رَضِيَ ٦: ١ـ٥
رَضُوا ٩: ١ـ٨
رَضِيتُمْ ٢: ـ٢
رَضِيتُ ١: ـ١
يَرْضَى ٥: ٣ـ٢
يَرْضَهُ ١: ١
يَرْضَوْنَه ١: ـ١
لِيَرْضَوْه ١: ١
يَرْضَيْنَ ١: ـ١
تَرْضَى ٤: ٢ـ٢
تَرْضاه ٢: ١ـ١
تَرْضاها ١: ـ١
تَرْضَوْا ٢: ـ٢
تَرْضَوْن ١: ـ١
تَرْضَوْنَها ١: ـ١
إِرْتَضَى ٣: ٢ـ١

يُرْضُوه ١: ـ١
يُرْضُونَكُمْ ١: ـ١
يُرْضُوكُمْ ١: ـ١
راضِيَةٌ ٤: ٤
مَرْضِيًّا ١: ١
مَرْضِيَّةً ١: ١
رَضِيًّا ١: ١
مَرْضاتِ ٤: ـ٤
مَرْضاتي ١: ـ١
رِضْوان ٨: ـ٨
رِضْوانًا ٣: ـ٣
رِضْوانَه ٢: ـ٢
تَراضَوْا ١: ـ١
تَراضَيْتُمْ ١: ـ١
تَراضٍ ٢: ـ٢

النُّصوص اللُّغويّة

الخَليل: يقال في لغة: رجل مَرْضُوّ عنه، لأنّ الرِّضا في الأصل من بنات الواو، وشاهِده: الرِّضْوان، و هو اسم موضوع من الرِّضا، قال تعالى: ﴿إِلَّا ابْتِغاءَ رِضْوانِ اللهِ﴾ الحديد: ٢٧.

و الرِّضى، مقصور، والمُراضاة: من اثنين.

و رَضْوى: جبل. (٧: ٥٧)

أبو عُبَيْد: راضاني فلان فرَضَوْتُه.

(ابن فارس ٢: ٤٠٢)

ابن الأعرابيّ: الرَّضِيّ: المطيع، و الرَّضيّ: المحبّ. و الرَّضيّ: الضّامن. (الأزهَريّ ١٢: ٦٤)

ابن السِّكّيت: و يقال: كان مرضيًّا و مرضُوًّا.

(إصلاح المنطق: ١٣٩)

ابن دُرَيْد: و ما رُضا في معنى: ما رضي، و هي لغة لطَيِّئ، و قد تكلّم بها بعض العرب، كما قالوا: بقى و فنى و رضى، في معنى بقِي و فنِي و رضِي، يقال: بفتح

الرّاء و ضمّها. (٢: ١٤٣)

و رَضْوَى: جبل معروف، و أحسب اشتقاقه من الرّضا، لأنّ أصل الرّضا الواو، تقول: رضْوان و رَضْوَى، في وزن «شَكْوَى» و شَكْوَى «فَعْلى» من الشّكاية. (٢: ٣٦٨)

و الرّضى مقصور: ضدّ الغضب.

و الرّضاء، ممدود: مصدر راضيتُه مراضاةً و رضاءً. (٣: ٢٤٩)

و تقول العرب: الرّضْوان و الرُّضْوان، و الرّفعان و الرُّفعان إلى السّلطان، و الإخوان و الأُخوان.

[و ذكر أمثالهما] (٣: ٤٥٢)

الأزهَريّ: قال اللّيث: رضِي فلان يَرْضى رضًى.

و الرّضيّ: المرضيّ، و الرّضى مقصور.

قلت: و إذا جعلت «الرّضا» مصدر راضَيْتُه رضاءً ومُراضاةً فهو ممدود، و إذا جَعلتَه مصدر رَضِي يَرْضى رضًى فهو مقصور.

و من أسماء النّساء: رُضَيّا بوزن الثُّريّا، وتكبيرها رَضْوَى وثَرْوَى.

و رَضْوَى: اسم جبل بعينه.

و المَرْضاة و الرّضوان: مصدران.

ويقال: فلان مَرْضيّ، و من العرب مَن يقول: مَرْضُوّ، لأنّه من بنات الواو، و الله أعلم. (١٢: ٦٤)

الصّاحِب: رضِي يَرْضى رضًى و رضاءً بالمدّ أيضًا، و الرّضا: المرضيّ، ويقال: مَرْضُوٌّ.

و المَرْضاة و الرّضوان: واحد.

و رضِي فلان كذا يرضاه رضوةً.

و الرُّضا و الرُّضا و الرِّضا يُمدّ و يُقصر. و قد رُضِيَ مذهبه، أي رُضِيَ، لغة طيّئ.

و قد رضاك النّاس، بمعنى رضيك.

و ما كان مرضُوًّا.

و راضاني فرَضَوتُه أرضُوه. (٨: ٤٢)

الجَوهَريّ: الرّضوان: الرّضا، و كذلك الرُّضْوان بالضّمّ. و المَرْضاة مثله.

و رضِيتُ الشّيء وارْتضَيتُه فهو مرضيّ، و قد قالوا: مَرْضُوٌّ، فجاؤوا به على الأصل و القياس.

و رضيت عنه رضى مقصور، و هو مصدر محض. و الاسم: الرّضاء ممدود، عن الأخفش. و سمع الكِسائيّ رضَوان و حِمَوان في تثنية الرّضا و الحِمى. قال: و الوجه حِمَيان و رضَيان، و من العرب من يقولهما بالياء على الأصل، و الواو أكثر.

و عيشة راضية، أي مرضيّة، كقولهم: هَمٌّ ناصب، لأنّه يقال: رُضِيت معيشته، على ما لم يُسمّ فاعله، و لا يقال رَضِيَتْ.

و يقال: رضِيتُ به صاحبًا.

و ربّما قالوا: رضيتُ عليه، بمعنى رضيتُ به و عنه. وأنشد الأخفش:

إذا رضِيَتْ علَيّ بنو قُشَيْر

لعمر الله أعجبني رضاها

وأرْضَيْتُه عنّي و رَضّيْتُه بالتّشديد أيضًا، فرَضِي.

وترضّيْتُه: أرضَيْتُه بعد جهد. و استرضَيْتُه فأرضاني.

و راضاني فلان فرضوته أرضوه بالضّمّ، إذا غَلبتَه

فيه، لأنّه من الواو.

و إنّما قالوا: رضيت عنه رضًا و إن كان من الـواو، كما قالوا: شبع شِبَعًا.

و قالوا: رضي لمكـان الكسـر، و حقّـه أن يقـال: رَضُوَ.

و رَضْوَى: جبل بالمدينة، و النّسبة إليه: رَضَوِيّ. (٦: ٢٣٥٧)

ابن فارس: الرّاء و الضّاد و الحرف المعتلّ أصـل واحد، يدلّ على خلاف السُّخط. تقول رضي يرضـى رضًى، و هو راض، و مفعوله مرضيّ عنه.

و يقال: إنّ أصله الواو، لأنّه يقال منه: رضْوان.

و رَضْوَى: جبل، و إذا نُسب إليه: رَضَـوِيّ. (٢: ٤٠٢)

أبو هلال: الفرق بـين الإرادة و الرّضـا: أنّ إرادة الطّاعة تكون قبلها، و الرّضا بها يكون بعدها أو معهـا، فليس الرّضا من الإرادة في شيء.

و عند أبي هاشم رحمه الله: أنّ الرّضا ليس بمعـنى، و نحن وجدنا المسـلمين يرغبـون في رضـا الله تعـالى، و لا يجوز أن يرغب في لا شيء.

و الرّضا أيضًا: نقيض السُّخط، و السُّخط مـن الله تعالى إرادة العقاب، فينبغي أن يكون الرّضا منه إرادة الثّواب، أو الحكم به. (١٠٠)

ابن سيده: الرّضا: ضدّ السّخط، و تثنيته: رِضَوان و رِضَـيان ـ الأُولى علـى الأصـل، و الأُخـرى علـى المعاقبة. و كأنّ هذا إنّما ثُنّي على إرادة الجنس ـ رضـي رِضًا و رُضًا و رِضْـوانًـا و رُضْـوانًـا، الأخـيرة عـن سيبَوَيه، و نظّره بشُـكْران و رُجْحـان و مَرْضـاةً، فهـو راض من قوم رُضاة، و رَضِيّ من قوم أرضِياء و رُضَـاة ـ الأخيرة عن اللِّحيانيّ و هـي نـادرة، أعـني تكسـير رضيّ على رُضاة و عنـدي أنّـه جمـع راض لا غـير ـ و رَضٍ من قوم رضين عن اللِّحيانيّ.

و قال سيبَوَيه: و قالوا: رَضْيُو كما قالوا: غَـزْيَـا. أسكن العين و لو كسرها لحُذف، لأنّه لا يلتقي ساكنان حيث كانت لا تدخلها الضّمّة و قبلها كسـرة، و راعـوا كسرة الضّاد في الأصل، و لذلك أقرّوها ياءً، و هي مـع ذلك كلّه نادرة.

و رضيت عنك و عليك، قال القُحَيْف العُقَيْليّ:

إذا رضِيَتْ عليّ بنـو قُشَيْر ... لعـمر الله أعجبني رضاها

عدّاه بـ« على »، لأنّهـا إذا رضِيَتْ عنـه أحبّتـه و أقبَلَتْ عليه، فلذلك استُعمل « على » بمعْنى « عن ».

قال ابن جنّيّ: و كـان أبـو عليّ يستحسـن قـول الكِسـائيّ في هذا، لأنّه قال: لـمّـا كـان رضـيت ضـدّ سخِطْت عُدّي رضيت بـ« على » حملًا للشّـيء علـى نقيضه، كما يُحمَل على نظيره.

و قد سلك سيبَوَيه هذه الطّريق في المصادر كـثيرًا فقال: و قالوا: كذا كمـا قـالوا: كـذا، و أحـدهما ضـدّ الآخر. و قوله تعالى: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ﴾ المائدة: ١١٩، التّوبة: ١٠٠، المجادلة: ٢٢، البيّنة: ٨.

تأويله: أنّ الله رضي عنهم أفعالهم و رضوا عنه مـا جازاهم به.

و أرضاه: أعطاه ما يرضى به.

و ترضّاه: طلب رضاه.

و رضيه لذلك الأمر، فهو مَرْضُوٌّ و مرضيّ.

و ارتضاه: رآه له أهلاً.

و رجل رضًى من قوم رضًى: قُنعان مرضيّ، وصفوا بالمصدر.

و أرضاني مَرْضاةً فرَضَوتُه: كنت أشدّ رضًا منه.

و لا يُمدّ «الرّضا» إلّا على ذلك. قال سيبَوَيه: و قالوا: عيشة راضية على النّسب، أي ذات رضًا.

ورَضْوَى: اسم جبل، و به سُمّيت المرأة، و لا أحمله على باب «تقوى»، لأنّه ليس في الكلام «ر ض ي»، فيكون هذا محمولًا عليه.

و رَضْوَى: فرس سعد بن شجاع. [و استشهد بالشّعر مرّتين] (٨: ٢٤٣)

الرّاغِب: يقال: رضي يرضى رَضًا، فهو مرضيّ و مَرْضُوّ.

و رضا العبد عن الله: أن لا يكره ما يجري به قضاؤه.

و رضا الله عن العبد هو أن يراه مؤتمرًا لأمره، ومنتهيًا عن نهيه. [ثمّ ذكر بعض الآيات و قال:]

و الرِّضْوان: الرّضا الكثير، و لمّا كان أعظم الرّضا رضا الله تعالى خُصّ لفظ الرّضوان في القرآن بما كان من الله تعالى، قال عزّ و جلّ: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللهِ﴾ الحديد: ٢٧، و قال تعالى: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا﴾ الفتح: ٢٩، و قال: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ﴾ التوبة: ٢١، و قوله تعالى: ﴿إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ البقرة: ٢٣٢، أي أظهر كلّ واحد منهم الرّضا بصاحبه و رضيه. (١٩٧)

الزّمَخْشَريّ: فعَل ذلك ابتغاء رضوان الله و رضاه و مرضاته.

و طلب مراضي الله فيما فعل.

و رضيتُه و رضيتُ به صاحبًا.

و هذا شيء رضًا: مَرْضيّ.

و ما فعلته إلّا عن رِضْوة فلان. [ثمّ استشهد بشعر]

و أعطاه حتّى أرضاه و رضّاه.

واسترضيتُه: طلبت رضاه.

و ترضّيتُه بمال، إذا طلبت رضاه بجهد منك.

و استرضيتُه: طلبت إليه أن يُرضيني.

و ارتضاه لصحبته و لخدمته.

و تراضياه و وقع به التّراضي.

(أساس البلاغة: ١٦٦)

ابن الأثير: و في حديث الدّعاء: «اللّهمّ إنّي أعوذ برضاك من سخطك، و بمعافاتك من عقوبتك، و أعوذ بك منك، لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك».

و في رواية: بدأ بالمعافاة ثمّ بالرّضا، إنّما ابتدأ بالمعافاة من العقوبة، لأنّها من صفات الأفعال كالإماتة و الإحياء، و الرّضا والسّخط من صفات الذّات. و صفات الأفعال أدنى رتبة من صفات الذّات، فبدأ بالأدنى مترقّيًا إلى الأعلى.

ثمّ لمّا ازداد يقينًا و ارتقاء ترك الصّفات و قصر نظره على الذّات، فقال: أعوذ بك منك، ثمّ لمّا ازداد

قُربًا استحيا معه من الاستعاذة على بساط القرب، فالتجأ إلى الثّناء، فقال: لا أُحصي ثناء عليك، ثمّ علم أنّ ذلك قصور، فقال: أنت كما أثنيْتَ على نفسك.

و أمّا على الرّواية الأُولى فإنّما قدّم الاستعاذة بالرّضا على السّخط، لأنّ المعافاة من العقوبة تحصل بحصول الرّضا، و إنّما ذكرها لأنّ دلالة الأُولى عليها دلالة تضمين، فأراد أن يدلّ عليها دلالة مطابقة، فكنّى عنها أوّلًا، ثمّ صرّح بها ثانيًا، و لأنّ الرّاضي قد يُعاقب للمصلحة، أو لاستيفاء حقّ الغير. (٢: ٢٣٢)

الفَيُّوميّ: رضيت الشّيء و رضيت به رضًا: اخترته، و ارتضَيْتُه مثله.

و رضيت عن زيد و رضيت عليه، لغة لأهل الحجاز.

و الرّضوان بكسر الرّاء و ضمّها: لغة قيس و تميم، بمعنى الرّضا، و هو خلاف السُّخط.

و شيء مرضيّ أكثر من مَرْضُوّ.

و قول الفقهاء: تشهد على رضاها، أي على إذنها، جعلوا الإذن رضًا، لدلالته عليه.

و أرضَيْتُه إرضاءً و راضَيْتُه مُراضاةً و رضاءً مثل: وافقته موافقة و وفاقًا وزنًا ومعنًى. (١: ٢٢٩)

الفيروز اباديّ: و رضي عنه و عليه يرضى رضًا و رضوانًا و يُضمّان، و مَرْضاةً: ضدّ سَخِط، فهو راضٍ من رُضاة، و رضيّ من أرضياء و رُضاة، و رَضٍ من رضين.

و أرضاه: أعطاه ما يُرضيه.

و استرضاه و ترضّاه: طلب رضاه. و رضيتُه و به، فهو مرضيّ و مرضيّ و ارتضاه لصُحبته و خدمته.

و تراضَيَاه: وقع به التّراضي. واسترضاه: طلب إليه أن يرضيه. و ما فعلته إلّا عن رضوَته بالكسر: رضاه.

و الرِّضاء: المُراضاة و بالقصر: المَرْضاة، و يثنّى: رضوان و رضَيان.

و عيشة راضية: مرضيّة. و رُضِيت معيشته كـعُنيَت، لا رَضِيت بالفتح.

و راضاني فرَضَوْته أرضوه: غلبته.

و رجل رضًا: مرضيّ.

و الرّضيّ: الضّامن و المحبّ، و والد غنيّة التّابعيّة، و لقب عليّ بن موسى بن جعفر، و لقب جعفر بن دبوقا المقرئ.

و رُضًا كسُدًى: ابن زاهر.

و عبدُ رُضًا الخولانيّ: له صُحبة.

و رُضًا: بيت صنم لربيعة.

و رَضْوَى كسَكْرى: فرس و جبل بالمدينة.

و ذو رضوان: جبل، و خازن الجنّة. (٤: ٣٣٦)

الطُّريحيّ: و في الحديث: «سبحان الله رضا نفسه»، أي ما يقع منه سبحانه موقع الرّضا، أو ما يرضاه لنفسه.

و في الدّعاء: «و خذ لنفسك رضاءً من نفسي»، أي اجعل نفسي راضية بكلّ ما يرد عليها منك، هكذا نقل عن بعض العارفين.

و في حديث الشّيعة مع مخالفيهم: «أرضوا ما رضي الله منهم من الضّلال»، أي أقرّوهم على ما أقرّهم الله عليه، و ليس المراد حقيقة الرّضا.

و في حديث من قال: «الحمد لله منتهى علمه» لا تقولنّ: منتهى علمه، و قُل: منتهى رضاه».

و في حديث عليّ عليه السلام: «أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى» أي في استخلافه على ذرّيّته و أهله و قومه.

و «رضيت بالشّيء رضًى»: اخترته، و «ارتضيتُه» مثله.

و «رضيت عن زيد»: و «رضيت عليه» لغةٌ، والاسم: الرّضاء بالمدّ.

و «رضيت بالله ربًّا»: قنعت به، و لا أطلب معه غيره.

و في الحديث: «من رضي بالقليل من الرّزق قبل الله منه اليسير من العمل، و من رضي باليسير من الحلال خفّت مؤنته و تنعّم أهله، و بصّره الله داء الدّنيا و دواءها، و أخرجه منها سالمًا إلى دار السّلام».

و «الرّاضي»: الّذي لا يسخط بما قُدّر عليه، ولا يرضى لنفسه بالقليل من العمل.

و «الرّضا»: هو عليّ بن موسى عليه السلام، و إنّما لُقّب بذلك، لأنّه كان رضًى الله في سمائه، و رضًى الرّسول صلّى الله عليه و آله في أرضه، و رضًى للأئمّة عليهم السلام من بعده، و رضي به المخالفون من أعدائه كما رضي به الموافقون من أوليائه، و لم يكن ذلك لأحد من آبائه عليهم السلام، و ولد سنة ثمانٍ و أربعين و مائة. و قُبض و هو ابن خمس و خمسين سنة، كذا في «الكافي».

و في رواية: و قُبض و هو ابن تسع و أربعين سنة و أشهر.

و قول الفقهاء: «أشهدْ على رضاها»، أي إذنها، جعلوا الإذن رضًى، لدلالته عليه.

و في الحديث: «الصّلاة رضوان الله»، أي سبب رضوانه، أو مبالغة، كزيد عدل.

و «الرّضوان» بكسر الرّاء و ضمّها: أعلى مراتب الرّضا.

و «بلّغ بي رضوانك»، أي أبلغني منتهى رضاك.

و قوله: «حتّى ترضى و بعد الرّضا» قيل: هو كناية عن دخول الجنّة، و يمكن أن يكون كناية عن كمال الحمد، أو إنّي لا أقطع شكري لك بعد حصول رضاك.

و رضوان: خازن الجنان.

و رَضْوَى: جبل بالمدينة.

و راضَيْتُه مراضاةً و رضاءً مثل وافقته موافقة و وفاقًا، وزنًا و معنًى.

و «شهادة أن لا إله إلّا الله مرضاة للرّحمان»، أي محلّ رضاه. (١: ١٨٥)

مَجْمَعُ اللُّغة: ١ـ رضيه و رضي به: اختاره أو طابت نفسه به.

و رضي به: قنع به و طابت نفسه به.

و رضي عنه و عليه: أحبّه و أقبل عليه بودّه.

رضي يَرْضى رضًا و رضوانًا و مَرْضاة، و اسم الفاعل: راضٍ و هي راضية، و اسم المفعول: مرضيّ و هي مرضيّة. و يقال: هو رضيّ، أي مرضيّ.

و رضا الله عن العبد: أن يجزل له ثواب ما عمل.

و رضا العبد عن الله: أن تطيب نفسه بما جُوزي به.

و رضي له الشيء: اختاره له.

٢ـ أرضاه يُرْضيه: جعله يرضى.

٣ـ تراضيا يتراضيان تراضيًا: اتّفق مع آخر على شيء يُرْضي كُلًّا منهما.

٤ـ ارتضى الشيء يرتضيه ارتضاء: رضيه.

(١ : ٤٨٥)

العَدْنانيّ: رضيَتِ الأمّة العربيّة رضًا عظيمًا عن حَرْب رمضان.

و يقولون: رَضِيَتِ الأمّة العربيّة رضاءً عظيمًا عن حرب رمضان، و الصّواب: رضًا عظيمًا، لأنّ «الرّضاء» اسم، كما ذكر الأخفش و الصّحاح، و المختار، و ليس مصدرًا، أو هو أحد مصدرَي الفعل راضاه القياسيّين: رضاءً و مُراضاةً، و ليس من مصادر الفعل رَضي، الّتي منها:

١ـ رضًا: معجم ألفاظ القرآن الكريم، و الألفاظ الكتابيّة للهمذانيّ «باب الموافقة و الرّضا» و الصّحاح، و معجم مقاييس اللُّغة، و مفردات الرّاغِب الأصفهانيّ، و الحريريّ «في المقامة التِّنّيسيّة»، و الأساس، و المختار، و اللّسان، و القاموس، و التّاج، و دُوزي، و أقرب الموارد، و المتن، و الوسيط.

و جاء في النّهاية: في حديث الدّعاء: «اللّهمّ إنّي أعوذ برضاك من سخطك، و بمعافاتك من عقوبتك، و أعوذ بك منك، لا أحصي ثناءً عليك، أنت، كما أثنيت على نفسك»، قدّم الاستعاذة بالرّضا على السُّخط، لأنّ المُعافاة من العقوبة تحصل بحصول الرّضا.

٢ـ و رضًى: الألفاظ الكتابيّة «باب القناعة»، و المحكم، و المصباح، و المدّ، و محيط المحيط.

٣ـ و رُضًا: اللّسان، و القاموس، و التّاج، و أقرب الموارد.

٤ـ و رُضًى: المحكم، و المدّ.

٥ـ و رِضْوان: قال تعالى في الآية: ١٦٢، من آل عمران: ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللهِ وَ مَأْوٰيهُ جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ﴾، و ذكر المصدر «رضوان» أيضًا كلٌّ من مفردات الرّاغِب الأصفهانيّ، و الأساس، و المختار، و اللّسان، والمصباح «لُغة قيس»، و القاموس، و التّاج، و المدّ، و محيط المحيط، و دوزي، و أقرب الموارد، و المتن، و الوسيط.

٦ـ و رُضْوان: سيبَوَيه، و المختار، و اللّسان، و المصباح «لُغة تميم»، و القاموس، و التّاج، و المدّ، و محيط المحيط، و أقرب الموارد، و المتن.

٧ـ و مَرْضاة: معجم ألفاظ القرآن الكريم، و المحكم، و الأساس، و المختار، و اللّسان، و القاموس، و التّاج، و المدّ، و محيط المحيط، و أقرب الموارد، و المتن، و الوسيط.

و انفرد «الوسيط» بذكر المصدر «رضاء» بين مصادر الفعل «رَضي»، و هو خطأ.

رضيه، رضي عنه، رضي عليه، رضي به.

و يخطّئون من يقول: رضي عليه، و يقولون: إنّ الصّواب هو: رضي عنه.

و لكن:

كِلا حرفي «عن و على» صحيح بعد الفعل، و إن كانت جملة «رضي عنه» أعلى من جملة «رضي

عليه». أمّا «رضي عنه» فقد جاء في الآية: ١١٩، من سورة المائدة: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾، وورد حرف الجرّ «عن» بعد الفعل «رضي» ٢٢ مرّة أخرى في آي الذّكر الحكيم.

وممّن ذكر «رضي عنه»: معجم ألفاظ القرآن الكريم، والصّحاح، ومعجم مقاييس اللّغة، والمحكم، ومفردات الرّاغب الأصفهانيّ، والمختار، واللّسان، والمصباح، والقاموس، والتّاج، والمدّ، ومحيط المحيط، وأقرب الموارد، والمتن، والبُستان، والوسيط.

وممّن ذكر «رضي عليه»: معجم ألفاظ القرآن الكريم، والصّحاح، «ربّما قالوا: رضيت عليه»، والمحكم، والمختار، واللّسان، والمصباح «لُغة لأهل الحجاز»، والقاموس، والتّاج «قليل»، والمدّ، ومحيط المحيط، وأقرب الموارد، والمتن، والبُستان «نادرة جدًّا»، والوسيط.

وهنالك الفعلان رضيه: قبل به، ورضي به: اختاره وقنع به. جاء في الآية الثّالثة من سورة المائدة: ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ وقد ذكر الفعل «رضي» متعدّيًا عشر مرّات أخرى في آي الذّكر الحكيم.

وممّن ذكر الفعل «رضي» متعدّيًا أيضًا: معجم ألفاظ القرآن الكريم، والصّحاح، ومفردات الرّاغب الأصفهانيّ، والأساس، والمختار، واللّسان، والمصباح، والقاموس، والتّاج، والمدّ، ومحيط المحيط، وأقرب الموارد، والمتن، والوسيط.

وجاء في الآية: ٣٨، من سورة التّوبة: ﴿أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ﴾، وقد ورد الفعل «رضي به» خمس مرّات أخرى في القرآن الكريم.

وممّن ذكر الفعل «رضي به» أيضًا: معجم ألفاظ القرآن الكريم، والصّحاح، والأساس، والمختار، واللّسان، والمصباح، والقاموس، والتّاج، والمدّ، ومحيط المحيط، وأقرب الموارد، والمتن، والوسيط.

أمّا فعله فهو: رضي يرضى رضًى، ورُضًى، ورضوانًا، ورُضوانًا «قيسيّة» ومَرْضاة.

رَضّاه ترضيةً فرضي

ويخطّئون من يقول: عملت على ترضية سامر، اعتمادًا على:

أ ـ إهمال المصباح ذكر الفعل: رَضّى.

ب ـ وذكر القاموس الفعل «رضي» ومشتقّاته: «أرضى، وراضَى، وتَرَضّى، وتراضَى، وارتضَى، واسترضَى» وإهماله ذكر الفعل «رضّى» الّذي مصدره: ترضية.

ج ـ وحَذا محيط المحيط حَذْوَ المصباح والقاموس في إهمال ذكر الفعل «رَضّى».

ولكن:

١ ـ قال الصّحاح: أرضيتُه عنّي و«رضّيتُه»، ونقلها عنه اللّسان والمدّ.

٢ ـ وقال الأساس: أعطاه حتّى أرضاه و«رضّاه».

٣ ـ وقال مختار الصّحاح: رضّيتُه تَرْضيةً فرَضي.

٤ ـ وقال التّاج في مستدركه: رَضّاه تَرْضِيةً: أرضاه.

٥ ـ و قال المتن: رضّاه تَرْضِيَةً: أعطاه ما يُرضيه.

٦ ـ و قال الوسيط: رضّاه أرضاه.

لذا قُل: رضّاه تَرْضِيَةً، كما قال أُولئك الأعلام الثّمانية. (٢٦٢)

محمّد إسماعيل إبراهيم: رضيه و رضي به: اختاره و طابت نفسه به.

و رضي عنه و عليه: أحبّه و أقبل عليه.

و رضي الله عن عبده: قبله و أراد ثوابه.

و رضا العبد عن الله: أن تُطيب نفسه بما جوزي به.

و أرضاه: جعله يرضى، و أعطاه ما يُرضيه.

و تراضى القوم الشّيء: ارتضى كلّ منهم به.

و الرّضوان: الرّضاء، و الرّضيّ: المرضيّ، و المطيع.

و العيشة الرّاضية: هي المرضيّة.

و ابتغاء مرضاتي: طلبًا لرضائي. (١: ٢٢٤)

المُصْطَفَويّ: إنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو موافقة الميل بما يجري عليه و يواجهه.

و الفرق بين هذه المادّة و موادّ الوفاق و الحبّ و الطّاعة و الإذن و السّرور و الاختيار: أنّ الوفاق هو أعمّ من أن يكون مطابق الميل أم لا، فهو مطلق الموافقة في مقابل الخلاف.

و الحبّ وداد شديد في مقابل البُغض سواء كان موافقًا لأمر أم لا.

و الطّاعة في مقابل العصيان، سواء كان مطابقًا لميله أم لا.

و الإذن اطّلاع بقيد الموافقة.

و السّرور مطلق حصول فرح.

و الاختيار هو انتخاب أمر مع تفضيله على أُمور أُخر.

ثمّ إنّ الرّضا قد يُستعمل متعلّقًا بالمفعول بلاواسطة حرف كما في: ﴿رَضُوا مَا آتٰيهُمُ اللهُ﴾ التّوبة: ٥٩، ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضٰيهَا﴾ البقرة: ١٤٤، ﴿وَ مَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا﴾ التّوبة: ٢٤، ﴿وَ أَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضٰيهُ﴾ النّمل: ١٩، فيراد مطلق تحقّق الرّضا في هذا المورد.

و قد يستعمل بواسطة الباء، كما في: ﴿أَرَضِيتُمْ بِالْحَيٰوةِ الدُّنْيَا﴾ التّوبة: ٣٨، ﴿إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ التّوبة: ٨٣، ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾ التّوبة: ٩٣، فيُستفاد منها التّأكيد، و يدلّ على شدّة التّمايل و التّعلّق.

و قد يُستعمل بحرف «عن» كما في: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ﴾ المائدة: ١١٩، ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الفتح: ١٨، ﴿وَ لَنْ تَرْضٰى عَنْكَ الْيَهُودُ﴾ البقرة: ١٢٠، فدلّ على الرّضا عن جميع أعماله و آثاره المطلقة، من دون متعلّق مخصوص.

و قد يُستعمل من دون تعلّق بشيء، كما في: ﴿يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضٰى﴾ الضّحى: ٥، ﴿فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا﴾ التّوبة: ٥٨، ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلٰى * وَ لَسَوْفَ يَرْضٰى﴾ اللّيل: ٢٠، ٢١، فيدلّ على مطلق تحقّق الرّضا من دون خصوصيّة من جهة المتعلّق.

و أمّا صيغة المصدر على «فعلان»: فتدلّ على رضًى كثيرٍ و توافق شديد، كما في: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا

مِنَ اللهِ وَ رِضْوَانًا ﴾ الفتح : ٢٩، ﴿ وَ رِضْوَانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ ﴾ التوبة : ٧٢، ﴿ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ ﴾ المائدة : ١٦، و على هذا يُستعمل فيما يُنسب إلى الله المتعال.

و أمّا المَرْضاة: فمصدر ميميّ على « مفعل » قد لحقه التاء، و يدلّ على الرّضا المستديم، كما في: ﴿ اِبْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ ﴾ البقرة : ٢٠٧، ﴿ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ ﴾ التحريم : ١، أي استدامة الرّضا، و هذا من جهة الزّيادة في الأوّل و الآخر.

و لنعم ما في « مصباح الشّريعة » باب ٨٩: و الرّضا شعاع نور المعرفة، و الرّاضي فانٍ عن جميع اختياره، و الرّضا: اسم يجتمع فيه معاني العبوديّة.

و عن الباقر عليه السلام: « تعلّق القلب بالموجود شرك و بالمفقود كفر، و هما خارجان من سنّة الرّضا ».

و أمّا الإرضاء: فهو جعل شخص راضيًا ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ ﴾ التوبة : ٦٢.

و أمّا الارتضاء: فهو اختيار الرّضا، أي الرّضا طوعًا و رغبةً ﴿ إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ ﴾ الجنّ: ٢٧، ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى ﴾ الأنبياء : ٢٨، أي من يختاره و يرضى عنه. (٤ : ١٥٢)

النُّصوص التّفسيريّة

رَضِيَ ـ رَضُوا

١ ـ قَالَ اللهُ هٰذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ.

المائدة : ١١٩

مُقَاتِل: ﴿ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ﴾ بالطّاعة ﴿ وَ رَضُوا عَنْهُ ﴾ بالثّواب. (١ : ٥٢٢)

الطَّبَريّ: القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ ﴾ يقول تعالى ذكره: رضي الله عن هؤلاء الصّادقين الّذين صدقوا في الوفاء له، بما وعدوه من العمل بطاعته و اجتناب معاصيه، ﴿ وَ رَضُوا عَنْهُ ﴾ يقول: و رضوا هم عن الله تعالى في وفائه لهم بما وعدهم على طاعتهم إيّاه، فيما أمرهم و نهاهم من جزيل ثوابه. (٥ : ١٤٢)

القُشَيْريّ: و رضاء الحقّ سبحانه: إثبات محلّ لهم، و ثناؤه عليهم و مدحه لهم، و تخصيصهم بأفضاله و فنون نواله. و رضاؤهم عن الحقّ سبحانه في الآخرة: وصولهم إلى مناهم، فهو الفوز العظيم و النّجاة الكبرى. (٢ : ١٥٣)

المَيْبُديّ: حقيقة الرّضا: أن يتواضع و يقبل على التّقدير، و أن يسدّ لسانه من الاعتراض، و لم يعترض على حكم الله. و قال أبو عليّ الدّقّاق: « ليس الرّضا أن لا تحسّ بالبلاء، إنّما الرّضا أن لا تعترض على الحكم و القضاء ».

أوحى الله على موسى: « يا ابن عمران رضائي في رضاك بقضائي ». قال أبو عبد الله الخفيف: الرّضا على قسمين: رضًا به و رضًا عنه، فالرّضا به مدبّرًا، و الرّضا عنه فيما يقضي.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: « ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًّا ».

و الخلاف بين علماء الطّريقة و أرباب المعارف: أنّ

الرّضا من جملة المقامات أم من الأحوال؟

و الخراسانيّون على أنّه من جملة المقامات، يعني أنّه نهاية التّوكّل و اكتساب العبد.

و العراقيّون على أنّه من جملة الأحوال، و لااكتساب العبد، يعني أنّه نازلة من الغيب على القلب، والقلب يطمئنّ به.

و قال قوم: بداية الرّضا مكتَسَب و من جملة المقامات، و نهايته غير مكتسب و من جملة الأحوال.

و قال: الرّضا: سكون القلب تحت مجاري الأحكام، و سرور القلب بمرّ القضاء. (۳: ۲۸۰)

الطَّبْرسيّ: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ﴾ بما فعلوا ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ بما أعطاهم من الجزاء و الثّواب.

(۲: ۲۷۰)

الفَخْر الرّازيّ: و أمّا قوله تعالى: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ فهو إشارة إلى التّعظيم. هذا ظاهر قول المتكلّمين. و أمّا عند أصحاب الأرواح المشرقة بأنوار جلال الله تعالى، فتحت قوله: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ أسرار عجيبة، لاتسمح الأقلام بمثلها، جعلنا الله من أهلها.

و قوله: ﴿ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ الجمهور على أنّ قوله: ﴿ذٰلِكَ﴾ عائد إلى جملة ما تقدّم، من قوله: ﴿لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي﴾ إلى قوله: ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾. و عندي أنّه يحتمل أن يكون ﴿ذٰلِكَ﴾ مختصًّا بقوله: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾، فإنّه ثبت عند أرباب الألباب أنّ جملة الجنّة بما فيها بالنّسبة إلى رضوان الله كالعدم بالنّسبة إلى الوجود، و كيف و الجنّة مرغوب الشّهوة، و الرّضوان صفة الحقّ، و أيّ مناسبة بينهما. و هذا الكلام يشمئزّ منه طبع المتكلّم الظّاهريّ، و لكن كلّ ميسّر لما خُلق له. (۱۲: ۱۳۸)

القُرطُبيّ: ثمّ بيّن تعالى ثوابهم، و أنّه راض عنهم رضًا لايغضب بعده أبدًا. ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ أي عن الجزاء الّذي أثابهم به. (٦: ۳۸۰)

أبوحَيّان: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ﴾ قيل: بقبول حسناتهم، ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ بما آتاهم من الكرامة.

و قيل: بطاعتهم، و رضوا عنه في الآخرة بثوابه. و قال التّرمذيّ: بصدقهم، ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ بوفاء حقّهم.

و قيل: في الدّنيا و رضوا عنه في الآخرة. [ثمّ نقل كلام الفخر و قال:]

و هو كلام عجيب، شبيه بكلام أهل الفلسفة و التّصوّف. (٤: ٦٤)

الفيروزاباديّ: اعلم أنّ العلماء قد أجمعوا على أنّ الرّضا مستحبّ، مؤكّد استحبابه.

واختلفوا في وجوبه على قولين. و الأكثر على تأكّد استحبابه، فإنّه لم يرد الأمر به كما ورد في الصّبر، وإنّما جاء [الثّناء] على أصحابه. و أمّا ما يُروى من الأثر: «من لم يرض بقضائي، ولم يصبر على بلائي، فليتّخذ ربًّا سواي» فهذا أثر إسرائيليّ لم يصحّ عن النّبيّ ﷺ، و لاسيّما عند من يَرى أنّه من جملة الأحوال الّتي ليست مكتسبة، و أنّه موهبة محضة. فكيف يُؤمر به و ليس مقدورًا!!

و هذه مسألة اختلف فيها السّالكون على طرق ثلاث: فقال شيوخ خراسان: إنّه من جملة المقامات

و هو نهاية التوكّل. و قال آخرون: هو من جملة الأحوال. يعني هذا لايمكن أن يتوصّل إليه العبد، بل هو نازلة تحلّ بالقلب كسائر الأحوال. و الفرق بين المقامات و الأحوال، أنّ المقامات عندهم من المكاسب، و الأحوال مجرّد المواهب.

و حكمت فرقة ثالثة بين الطّائفتين، منهم الشّيخ القدوة صاحب الرّسالة و غيره. فقالوا: يمكن الجمع بينهما بأن يقال: مبدأ الرّضا مكتسَب للعبد فهو من جملة المقامات، و نهايته من جملة الأحوال، فليست مكتسبة.

و احتجّ شيوخ خراسان و من قال بقولهم: بأنّ الله تعالى مَدَح أهله و أثنى عليهم وندَبهم إليه، فدلّ على أنّه مقدور لهم. و قال النّبيّ ﷺ: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًّا و بالإسلام دينًا و بمحمّد رسولًا».

و رأيت من أصحابنا من نزّل هذا الحديث على جميع معاني سورة الأنبياء حرفًا حرفًا. و قال: «من قال حين يسمع النّداء: رضيتُ بالله ربًّا و بالإسلام دينًا و بمحمّد رسولًا غُفرت له ذنوبه»

و هذان الحديثان عليهما مدار مقامات الدّين، و قد تضمّنا الرّضا بربوبيّته سبحانه و ألوهيّته، و الرّضا برسوله و الانقياد له، و الرّضا بدينه والتّسليم له. و من اجتمعت له هذه الأربعة فهو الصّدّيق حقًّا. و هي سهلة بالدّعوى و اللّسان، و من أصعب الأمور عند الحقيقة و الامتحان، و لاسيّما إذا ما خالف هوى النّفس و مرادها، فحينئذ يتبيّن أنّ الرّضا كان على رسالة، لاعلى حالة.

فالرّضا بإلاهيّته متضمّن للرّضا بمحبّته وحده، و خوفه و رجائه و الإنابة إليه، و التّبتّل إليه، و انجذاب قُوَى الإرادة و الحبّ كلّها إليه، فعل الرّاضي بمحبوبه كلّ الرّضا؛ و ذلك يتضمّن عبادته و الإخلاص له. و الرّضا بربوبيّته يتضمّن الرّضا بتدبيره لعبده، و يتضمّن إفراده بالتوكّل عليه و الاستعانة و الثّقة به و الاعتماد عليه، و أن يكون راضيًا بكلّ ما يفعله. فالأوّل: يتضمّن رضاه بما يأمر به، و الثّاني: يتضمّن رضاه بما يُقدّره عليه.

و أمّا الرّضا بنبيّه رسولًا، فيتضمّن كمال الانقياد له و التّسليم المطلق إليه؛ بحيث يكون أولى به من نفسه، فلايتلقّى الهدى إلّا من مواقع كلماته، و لايُحاكم إلّا إليه، و لايحكّم عليه غيره، و لايرضى بحكم غيره ألبتّة، لا [في] شيء من أسماء الرّبّ و صفاته و أفعاله، و لافي شيء من أذواق حقائق الإيمان و مقاماته، و لا في شيء من أحكامه ظاهره و باطنه، و لايرضى إلّا بحكمه. فإن عجز عنه كان تحكيمه غيره من باب غذاء المضطرّ إذا لم يجد ما يُقيت إلّا من الميتة و الدّم، و أحسن أحواله أن يكون من باب التّراب الّذي إنّما يُتيمّمُ به عند العجز من استعمال الماء للطُّهور.

و أمّا الرّضا بنبيّه، فإذا قال أو حكم أو أمر أو نهى، رضي كلّ الرّضا، و لم يبق في قلبه حَرَج من حكمه، و سلّم لله تسليمًا، و لو كان مخالفًا لمراد نفسه و هواها، و قول مقلّده و شيخه و طائفته.

و هاهنا توحشك النّاس كلّهم إلّا الغرباء في العالم،

فإيّاك أن تستوحش من الاغتراب والتفرّد، فإنّه ـ والله ـ عين العزّ والصّحبة مع الله تعالى و رسوله، و روح الأنس به، و الرّضا به ربًّا و بمحمّد رسولاً و بالإسلام دينًا. بل الصّادق كلّما وجد سرّ الاغتراب و ذاق حلاوته و تنسّم رَوْحه قال: اللّهمّ زدني اغترابًا أو وحشةً في العالم و أُنسًا بك. و كلّما ذاق حلاوة هذا الاغتراب و التفرّد، رأى الوحشة عين الأنس بالنّاس، و الذُّلّ عين العزّ بهم، و الجهل عين الوقوف مع آرائهم و زُبالة أذهانهم، و الانقطاع عين التعبُّد برسومهم و أوضاعهم، فلم يُؤثر بنصيبه من الله أحدًا من الخلق، و لم يبع حَظّه من الله بموافقتهم فيما لا يُجدي عليه إلّا الحرمان. و غايته مودّة بينهم في الحياة الدّنيا.

فإذا انقطعت الأسباب، وحقّت الحقائق، و بُعثر ما في القبور، و حُصّل ما في الصّدور، تبيّن له حدّ مواقع الرّبح من الخسران، و الله المستعان.

و التحقيق في المسألة: أنّ الرّضا كسبيّ باعتبار سببه، وَهْبيّ باعتبار حقيقته، فيمكن أن يقال بالكسب لأسبابه، فإذا تمكّن في أسبابه و غرَس شجرته، اجتنى منها ثمرة الرّضا فإنّ الرّضا أخو التوكّل. فمن رسخ قَدَمُه في التوكّل و التسليم و التفويض، حصل له الرّضا و لابدّ. و لكن لعزّته و عدم إجابة أكثر النفوس له و صعوبته عليها، لم يوجبه الله على خَلْقه رحمةً بهم و تخفيفًا عنهم. لكن ندبهم إليه و أثنى على أهله، و أخبر أنّ ثوابه رضاه عنهم الّذي هو أعظم و أكبر و أجلّ من الجنّات و ما فيها، فمن رضي عن ربّه رضي الله عنه.

بل رضا العبد عن الله علامة رضا الله عنه و من نتائجه، فهو محفوف بنوعين من رضا الله عن عبده: رضًا قَبْله أوجب له أن يرضى عنه، و رضًا بعده و هو ثمرة رضاه عنه، و لذلك كان الرّضا باب الله الأعظم، و جنّة الدّنيا، و محلّ راحة العارفين، و حياة المحبّين، و نعيم العابدين، و قُرّة عين المشتاقين.

و من أعظم أسباب حصول الرّضا أن يلزم ما جعل الله رضاه فيه، فإنّه يوصله إلى مقام الرّضا و لابدّ. قيل ليحيى بن معاذ رحمه الله: متى يبلغ العبد مقام الرّضا؟ قال: إذا أقام نفسه على أربعة أُصول فيما يعامل به ربّه، فيقول: إن أعطيتني قَبِلْت، و إن منعتني رضيت، و إن تركتني عبدت، و إن دعوتني أجبت.

و ليس الرّضا و المحبّة كالرّجاء و الخوف، فإنّ الرّضا و المحبّة حالان من أحوال أهل الجنّة، لا يفارقان في الدّنيا و لا في البَرْزَخ و لا في الآخرة، بخلاف الخوف و الرّجاء فإنّهما يفارقان أهل الجنّة لحصول ما كانوا يرجونه، و أمنهم ممّا كانوا يخافونه. و إن كان رجاؤهم لما ينالون من كراماته دائمًا، لكنّه ليس رجاءً مَشُوبًا بشكّ، بل رجاء واثق بوعد صادق من حبيب قادر. فهذا لون، و رجاؤهم في الدّنيا لون.

و اعلم أنّه ليس من شروط الرّضا ألّا يحسّ بالألم و المكاره، بل ألّا يعترض على الحكم و لا يسخط، فإنّ وجود التألّم و كراهة النّفس لا ينافي الرّضا، كرضا المريض بشرب الدّواء الكريه، و رضا الصّائم في اليوم الشّديد الحرّ بما يناله من ألم الجوع و الظّمإ.

و طريق الرّضا طريق مختصرة قريبة جدًّا موصلة

إلى أجلّ غاية، و لكنّ فيها مشقّة، و مع ذلك فليست مشقّتها بأصعب من مشقّة طريق المجاهدة، و لافيها من المفاوز و العقبات ما فيها، و إنّما عقبتها همّة عالية و نفس زكيّة، و توطين النّفس على كلّ ما يَرِد عليها من الله، و يسهّل ذلك على العبد علمُه بضعفه و عجزه، و رحمة ربّه و برّه به. فإذا شهد هذا و هذا و لم يطرح نفسه بين يديه، و يرض به و عنه، و ينْجَذِبْ دواعي حبّه و رضاه كلّها إليه، فنفسه نفس مطرودة عن الله، بعيدة عنه، غير مؤهّلة لقربه و موالاته، أو نفس ممتحنة مبتلاة بأصناف البلايا و المحن. فطريق الرّضا و المحبّة تُسيّر العبد و هو مُستَلْق على فراشه، فيُصبح أمام الرّكب بمراحل. و ثمرة الرّضا: الفرح و السّرور بالله تعالى.

و قال الواسطيّ: استعمل الرّضا جهدك، و لاتدع الرّضا يستعملك، فتكون محجوبًا بلذّته و رؤيته عن حقيقته. و هذا الّذي أشار إليه عقبة عظيمة عند القوم، و مقطع لهم، فإنّ السّكون إلى الأحوال و الوقوف عندها استلذاذًا و محبّةً حجابٌ بينهم و بين ربّهم، و هي عُقبَى لايقطعها إلّا أولو العزائم. و من كلامه: إيّاكم و استحلاء الطّاعات فإنّها سُمُوم قاتلة. فهذا معنى قوله: «استَعمِل الرّضا و لاتدَع الرّضا يستعملك» أي لايكون عملك لأجل حصول حلاوة الرّضا؛ بحيث تكون هي الباعثة لك عليه، بل اجعله آلةً لك و سببًا مُوصلا إلى مقصودك، و مطلوبك، و هذا لايختصّ بالرّضا، بل هو عامّ في جميع الأحوال و المقامات القلبيّة الّتي يسكن إليها القلب.

و سئل أبوعثمان عن قول النّبيّ ﷺ «أسألك الرّضا بعد القضاء». فقال: لأنّ الرّضاء قبل القضاء عزم على الرّضا، و الرّضا بعد القضاء هو الرّضا. و قيل: الرّضا: ارتفاع الجزَع في أيّ حكم كان، و قيل: رفع الاختيار، و قيل: استقبال الأحكام بالفرح. و قيل: سكون القلب تحت مجاري الأحكام. و قيل: نظر العبد إلى قدَم اختيار الله تعالى للعبد.

و قيل للحسين بن عليّ رضي الله عنهما: إنّ أباذرّ يقول: «الفقر أحبّ إليّ من الغنى، و السّقم أحبّ إليّ من الصّحّة». فقال: «رحم الله أبا ذرّ، أمّا أنا فأقول: «من اتّكل على حسن اختيار الله له لم يُحِبّ غير ما اختاره الله له».

و الرّضا ثلاثة أقسام: رضا العوامّ بما قسمه الله، و رضا الخواصّ بما قدّره الله و قضاه، و رضا خواصّ الخواصّ به بدلًا عن كلّ ماسواه، و الله أعلم.

(بصائر ذوي التّمييز ٣: ٧٨)

أبوالسُّعود: استئناف آخر لبيان أنّه عزّ و جلّ أفاض عليهم غير ما ذكر من الجنّات ما لاقدر لها عنده، و هو رضوانه الّذي لاغاية وراءه، كما ينبئ عنه قوله تعالى: ﴿وَ رَضُوا عَنْهُ﴾ إذ لاشيء أعزّ منه حتّى يمتدّ إليه أعناق الهِمَم، و ذلك إشارة إلى نيل رضوانه تعالى، و قيل: إلى نيل الكلّ. (٢: ٣٤٦)

البُرُوسَويّ: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ﴾ بالطّاعة ﴿وَ رَضُوا عَنْهُ﴾ بنيل الكرامة و الرّضوان فيض زائد على الجنّات، لاغاية وراءه. (٢: ٤٦٧)

الشّوكانيّ: أي رضي عنهم بما عملوه من

الطّاعات الخالصة له، و رضوا عنه بما جازاهم بـه ممّـا لايخطر لهم على بال و لا تتصوّره عقولهم. و الرّضا منه سبحانه هـو أرفـع درجـات النّعـيم و أعلـى منـازل الكرامة، و الإشارة بذلك إلى نيل ما نالوه من دخـول الجنّة و الخلود فيها أبدًا، و رضوان الله عنهم. (٢: ١٢٠)

الآلوسيّ: و قوله سبحانه: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ﴾ بيان لكونه تعالى أفاض علـيهم غـير مـا ذكـر و هـو رضوانه عزّ و جلّ الّذي لاغاية وراءه، كما ينبـئ عـن ذلك قوله سبحانه: ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ إذ لا شـيء أعـزّ منه حتّى تُمدّ إليه أعناق الآمال. (٧: ٧٢)

القـاسميّ: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ﴾ لصـدقهم ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ تحقيقًا لصدقهم، فلم يسخطوا لقضائه في الدّنيا. (٦: ٢٢٢٧)

رشيد رضا: هي بيان للنّعيم الرّوحانيّ بعد ذكـر النّعيم الجثمانيّ، فإنّ رضا الله تعـالى عنـهم ورضـاهم عنه، هو غاية السّعادة الأبديّة في نفسه، وفيما يترتّـب عليه من عطاياه تعالى و إكرامه. و من كونهم يكونون ناعمين بذلك الإكرام مغتـبطين بـه؛ إذ لامطلـب لهـم أعلى منه، فتمتدّ أعناقهم إليه وتستشرف قلوبهم لـه، حتّى يتوقّف رضاهم عليه.

وأمّا كونه سعادة في نفسه فيُعلَم من حال كلّ مـن كان في كنف إنسان: والد أو أُستاذ أو قائد أو رئيس أو سلطان، فإنّ علمه برضاه عنه يجعله في غبطة و هنـاء و طمأنينة قلب، و يكون سروره وزهوّه بذلك على قـدر مقام رئيسه الرّاضي عنه، على حدّ البيت الّذي يتمثّل به الصّوفية:

قوم تخالجهم زهو بسيّدهم

و العبد يزهى على مقدار مولاه

على أنّ مرضاة رؤساء الـدّنيا لا يسـتلزم رضـاء المرؤسين دائمًا، لأنّ منهم الظّـالمين الّـذين لا يوفـون أحدًا حقّه وإن كـانوا راضـين عنـه، و رضـاء أكـرم الأكرمين يستلزم رضاء من رضي هو عنه، لأنّه يُعطيه أضعاف ما يستحقّ، و فوق ما يُؤمّل و يرجو، كما قال تعالى في سـورة آلم السّجدة: ١٧ ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ و رضوانه تعالى فوق كلّ شـيء، كمـا قـال في سـورة التّوبة بمعنى ما هنا: ﴿وَعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ ذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ التوبة: ٧٢. (٧: ٢٧٣)

المراغيّ: و رضي الله عنهم و رضوا عنـه، و هـذا غاية السّعادة الأبديّة؛ إذ لامطلب لهم أعلى منه حتّـى تمتدّ أعناقهم إليه، و تتطلّع نفوسهم لبلوغه، كمـا قـال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ السّجدة: ١٧. (٧: ٦٦)

سيّد قطب: درجـات بعـد درجـات الجنّـات و الخلود، و رضا الله و رضاهم بما لقوا مـن ربّهـم مـن التّكريم. (٢: ١٠٠٢)

ابن عاشور: و معنى: ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ المسـرّة الكاملة بما جازاهم به من الجنّـة و رضـوانه. و أصـل الرّضا: أنّه ضدّ الغضب، فهو المحبّة و أثرها من الإكـرام و الإحسان. فرضى الله مستعمل في إكرامه و إحسانه،

مثل محبّته في قوله: ﴿يُحِبُّهُمْ﴾ المائدة: ٥٤، و رضى الخلق عن الله هو محبّته و حصول ما أمّلوه منه بحيث لا يبقى في نفوسهم متطلّع. (٥: ٢٧٦)

مَغْنِيَّة: و رضي الله عن عبده جنّات و نعيم، و مقام كريم، و رضي العبد عن ربّه أن يفرح بما آتاه الله من فضله. قال الرّازي: «في رضى لله أسرار عجيبة تخرس الأقلام عن مثلها، جعلنا الله من أهلها». و لن يكون أحد من أهلها إلّا بعد أن يدفع الثّمن، و الثّمن أن يكون شعار المشتري «لا إله إلّا الله» في كلّ شيء، أي أن لا يغضبه في شيء، حتّى و لو قُرض بالمقاريض، و نُشر بالمناشير، تمامًا كما قال سيّد الكونين: «إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي»، و كما قال سبطه الحسين الشّهيد ﷺ: «رضى الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه، و يوفّينا أجور الصّابرين». (٣: ١٥٣)

الطَّباطَبائيّ: قوله: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ﴾ يدلّ على أنّ الله يرضى عن أنفسهم، و من المعلوم أنّ الرّضى لا يتعلّق بأنفسهم ما لم يحصل غرضه جلّ ذكره من خلقهم، و قد قال تعالى: ﴿وَ مَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْاِنْسَ اِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ الذّاريات: ٥٦، فالعبوديّة هو الغرض الإلهيّ من خلق الإنسان، فالله سبحانه إنّما يرضى عن نفس عبده إذا كان مثالًا للعبوديّة، أي أن يكون نفسه نفس عبد لله الّذي هو ربّ كلّ شيء فلا يرى نفسه و لا شيئًا غيره إلّا مملوكًا لله، خاضعًا لربوبيّته لا يئوب إلّا إلى ربّه، و لا يرجع إلّا إليه، كما قال تعالى في سليمان و أيّوب: ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ اِنَّهُ اَوَّابٌ﴾ ص: ٤٤، و هذا هو الرّضى عنه.

و هذا من مقامات العبوديّة، و لازمه طهارة النّفس عن الكفر بمراتبه و عن الاتّصاف بالفسق، كما قال تعالى: ﴿وَ لَا يَرْضٰى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ الزّمر: ٧، و قال تعالى: ﴿فَاِنَّ اللهَ لَا يَرْضٰى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ التّوبة: ٩٦.

و من آثار هذا المقام أنّ العبوديّة إذا تمكّنت من نفس العبد، و رأى ما يقع عليه بصره و تبلغه بصيرته مملوكًا لله خاضعًا لأمره، فإنّه يرضى عن الله، فإنّه يجد أنّ كلّ ما آتاه الله، فإنّما آتاه من فضله من غير أن يتحتّم عليه، فهو جود و نعمة، و أنّ ما منعه فإنّما منعه عن حكمة.

على أنّ الله سبحانه يذكر عنهم و هم في الجنّة بقوله: ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاؤُنَ﴾ النّحل: ٣١، الفرقان: ١٦، و من المعلوم أنّ الإنسان إذا وجد كلّ ما يشاؤه لم يكن له إلّا أن يرضى.

و هذا غاية السّعادة الإنسانيّة بما هو عبد، و لذلك ختم الكلام بقوله: ﴿ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾. (٦: ٢٥٢)

عبد الكريم الخطيب: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ﴾ بما كان منهم من صدق في القول و العمل، ﴿وَ رَضُوا عَنْهُ﴾ بما أحسن إليهم من جزاء، و أفاض عليهم من نعيم...

و في قوله تعالى: ﴿وَ رَضُوا عَنْهُ﴾ لفتة كريمة من ربّ كريم، إلى عباده المكرمين؛ حيث يرضى عنهم و يرضون عنه، حتّى لكأنّه رضًى متبادل بين الخالق و المخلوقين، و المعبود و العابدين، فسبحانه من ربّ كريم، برّ رحيم.

شاهت وجوه من يتّجهون إلى وجه غير وجهه، و خسئ و خسر من يلوذون بجناب غير جنابه. و يطوفون بحمًى غير حماه. (٤: ٨٦)

مكارم الشّيرازيّ: و هؤلاء الصّادقون ﴿لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ و خير من هذه النّعمة المادّيّة أنّهم ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ﴾ و لاشكّ أنّ هذه النّعمة الكبرى الّتي تجمع بين النّعم المادّيّة و النّعم المعنويّة شيء عظيم: ﴿ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

يلفت النّظر أنّ الآية، بعد ذكر بساتين الجنّة و نعمها الكثيرة، تذكر نعمة رضى الله عن عباده، و رضى عباده عنه، و تصف ذلك بأنّه الفوز العظيم، و هذا يدلّ على مدى أهمّيّة هذا الرّضى المتبادل، فقد يكون امرؤ غارقًا في أرفع نعم الله، و لكنّه إذا أحسّ بأنّ مولاه و معبوده و محبوبه ليس راضيًا عنه، فإنّ جميع تلك النّعم و الهبات تصير علقمًا في ذائقة روحه.

كما يمكن أن يتوفّر لامرئ كلّ شيء، و لكنّه لايكون راضيًا و لا قانعًا بما عنده، فمن الواضح أنّ هذه النّعم بأجمعها غير قادرة على إسعاد تلك الرّوح، بل تكون دائمًا معرّضة لعذاب قلق غامض و اضطراب نفسيّ مستمرّ، يقضيان على الرّاحة النّفسيّة الّتي هي من أعظم نعم الله.

ثمّ إذا كان الله راضيًا عن امرئ فإنّه يعطيه كلّ ما يريد، فإذا أعطاه كلّ ما يريد فإنّه يكون راضيًا عن ربّه أيضًا. من هنا فإنّ أعظم النّعم هي أن يرضى الله عن الإنسان، و يرضى الإنسان عن ربّه. (٤: ١٨٧)

فضل الله: فقد أطاعوا الله في حياتهم فنالوا رضاه بذلك، و قد عاشوا الشّعور الدّائم بالاطمئنان لقضاء الله و قدره، فهم راضون عند الشّدّة، و راضون عند الرّخاء، و هم مرتاحون للعافية، كما هم مرتاحون للبلاء، لأنّهم يعرفون، من موقع إيمانهم، أنّ الله لا يقضي لهم إلّا بما يصلح أمرهم و يرفع درجتهم. و هكذا يعيشون الرّضى عن الله في الآخرة في ما يغدقه عليهم من لطفه و رحمته. (٨: ٤٠٩)

٢ـ ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ﴾. التّوبة: ١٠٠

سيأتي في: س ب ق: «السّابقون».

٣ـ ﴿لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمٰنُ وَ رَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾. طه: ١٠٩

الطّبريّ: و أدخل في الكلام له دليلًا على إضافة القول إلى كناية «مَن» و ذلك كقول القائل الآخر: رضيت لك عملك، و رضيته منك. (الطّبريّ ٨: ٤٦٠)

الطّوسيّ: و رضي قوله فيها: من الأنبياء و الأولياء و الصّدّيقين و المؤمنين. (٧: ٢١٠)

الميبديّ: في أن يشفع له، و هم المسلمون الّذين رضى الله سبحانه قولهم، لأنّهم قالوا لا إله إلّاالله و هو معنى قوله: ﴿وَ رَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ و هذا يدلّ على أنّه لا يشفع لغير المؤمنين. (٦: ١٧٨)

الزّمخشريّ: ﴿وَ رَضِيَ لَهُ﴾ لأجله. أي أذن للشّافع و رضى قوله لأجله. و نحو هذه اللّام اللّام في

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ الأحقاف: ١١، أي يعلم ما تقدّمهم من الأحوال و ما يستقبلونه (٢: ٥٥٤)

الطّبْرسيّ: أي لا تنفع ذلك اليوم شفاعة أحد في غيره إلّا شفاعة من أذن الله له في أن يشفع و رضي قوله فيها: من الأنبياء و الأولياء و الصّالحين و الصّديقين و الشّهداء (٤: ٣١)

الفخر الرّازيّ: قال صاحب «الكشّاف»: (مَن) يصلح أن يكون مرفوعًا و منصوبًا فالرّفع على البدل من الشّفاعة بتقدير حذف المضاف إليه أي لا تنفع الشّفاعة إلّا شفاعة مَن أذن له الرّحمن و النّصب على المفعوليّة، و أقول: الاحتمال الثّاني أولى لوجوه:

الأوّل: أنّ الأوّل يحتاج فيه إلى الإضمار و تغيير الإعراب. و الثّاني: لا يحتاج فيه إلى ذلك.

و الثّاني: أنّ قوله تعالى: ﴿لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ﴾ يراد به من يشفع بها و الاستثناء يرجع إليهم فكأنّه قال: لا تنفع الشّفاعة أحدًا من الخلق إلّا شخصًا مرضيًّا.

و الثّالث: و هو أنّ من المعلوم بالضّرورة أنّ درجة الشّافع درجة عظيمة فهي لا تحصل إلّا لِمَن أذن الله له فيها و كان عند الله مرضيًّا، فلو حملنا الآية على ذلك صارت جارية مجرى إيضاح الواضحات، أمّا لو حملنا الآية على المشفوع له لم يكن ذلك إيضاح الواضحات فكان ذلك أولى، إذا ثبت هذا فنقول: المعتزلة قالوا: الفاسق غير مرضيّ عند الله تعالى فوجب أن لا يشفع الرّسول في حقّه لأنّ هذه الآية دلّت على أنّ المشفوع له لا بدّ و أن يكون مرضيًّا عند الله.

و اعلم أنّ هذه الآية من أقوى الدّلائل على الشّفاعة في حقّ الفُسّاق لأنّ قوله: ﴿وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ يكفي في صدقه أن يكون الله تعالى قد رضي له قولًا واحدًا من أقواله، و الفاسق قد ارتضى الله تعالى قولًا واحدًا من أقواله، و هو: شهادة أن لا إله إلّا الله. فوجب أن تكون الشّفاعة نافعة له لأنّ الاستثناء من النّفي إثبات.

فإن قيل: إنّه تعالى استثنى عن ذلك النّفي بشرطين:

أحدهما: حصول الإذن.

و الثّاني: أن يكون قد رضي له قولًا، فهب أنّ الفاسق قد حصل فيه أحد الشّرطين و هو أنّه تعالى قد رضي له قولًا، لكن لم قلتم إنّه أذن فيه، و هذا أوّل المسألة؟

قلنا: هذا القيد و هو أنّه رضي له قولًا كاف في حصول الاستثناء بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ الأنبياء: ٢٨، فاكتفى هناك بهذا القيد و دلّت هذه الآية على أنّه لا بدّ من الإذن فظهر من مجموعهما أنّه إذا رضي له قولًا يحصل الإذن في الشّفاعة، و إذا حصل القيدان حصل الاستثناء و تمّ المقصود. (٢٢: ١١٨)

القُرطُبيّ: أي رضي قوله في الشّفاعة. و قيل: المعنى، أي إنّما تنفع الشّفاعة لمن أذن له الرّحمن في أن يشفع له، و كان له قول يرضى. قال ابن عبّاس: هو قول لا إله إلّا الله. (١١: ٢٤٧)

أبو حيّان: (مَنْ) مفعول بقوله: (لا تَنْفَعُ) و (لَـهُ) معناه لأجله، و كـذا في ﴿وَرَضِيَ لَـهُ﴾ أي لأجلـه، و يكون مَن للمشفوع له أو بدل مـن الشّـفاعة علـى حذف مضاف أي إلّا شفاعة من أذن لـه. أو منصـوب على الاستثناء على هذا التّقـدير، أو اسـتثناء منقطـع فنصب على لغة الحجاز، و رفع على لغة تميم، و يكـون (مَنْ) في هذه الأوجه، للشّافع. و القول المرضـيّ عـن ابن عبّاس «لا إله إلّا الله». (٦: ٢٦٠)

الشّربينيّ: لا تنفع الشّفاعة أحدًا ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمٰنُ﴾ أن يشفع له ﴿وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ و لو الإيمان المجرّد. قال ابن عبّاس: يعني قال: لا إلـه إلّا الله، فهـذا يدلّ على أنّه لا يشفع لغير المؤمن. (٢: ٤٨٥)

أبو السّعود: أي و رضي لأجله قول الشّـافع في شأنه، أو رضي قوله لأجله و في شأنه. و أمّا مـن عـداه فلا تكاد تنفعه، و إن فـرض صـدورها عـن الشّـفعاء المتصدّين للشّفاعة للنّاس كقوله تعالى: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ المدّثّر: ٤٨، فالاستثناء كمـا تـرى من أعمّ المفاعيل، و أمّا كونه اسـتثناء مـن الشّـفاعة، على معنى لا تنفـع الشّـفاعة إلّا شـفاعة مـن أذن لـه الرّحمان، أن يشفع لغيره كما جوّزوه فلا سبيل إليه لمـا أنّ حكم الشّفاعة، ممّن لم يـؤذن لـه أن لا يملكهـا، و لا تصدر هي عنه أصلًا كما في قوله تعالى: ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمٰنِ عَهْدًا﴾، و قولـه تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ الأنبيـاء: ٢٨، فالإخبار عنها بمجرّد عدم نفعها للمشـفوع لـه، ربّمـا يوهم إمكان صدورها عمّن لم يؤذن لـه مـع إخلالـه بمقتضى مقام تهويل اليوم. و أمّـا قولـه تعـالى: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ﴾ البقرة: ٤٨، فمعنـاه عـدم الإذن في الشّفاعة لا عدم قبولها بعد وقوعها. (٤: ٣١٠)

البُرُوسَويّ: أي و رضي لأجله قول الشّـافع في شأنه و أمّا مَـن عـداه فـلا تكـاد تنفعـه و إن فـرض صدورها عن الشّـفعاء المتصـدّين للشّـفاعة للنّـاس كقوله تعالى: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ المدّثّر: ٤٨، فالاستثناء من أعمّ المفاعيل. (٥: ٤٢٩)

الآلوسيّ: أي و رضي لأجله قول الشّـافع و في شأنه، أو رضي قول الشّافع لأجله و في شأنه، فـالمراد بالقول على التّقديرين قول الشّافع، و جوّز فيه أيضًـا أن لا يكون للتّعليل، و المعنى و رضي قولًا كائنًـا لـه، فالمراد بالقول قول المشفوع و هو على ما روي عن ابن عبّاس لا إله إلّا الله، و حاصـل المعـنى عليـه لا تنفـع الشّفاعة أحدًا إلّا من أذن الرّحمن في أن يشفع له و كان مؤمنًا، و المراد على كلّ تقدير أنّـه لا تنفـع الشّـفاعة أحدًا إلّا من أذن الرحمن في أن يشفع له و كان مؤمنًـا، و المراد على كلّ تقدير أنّه لا تنفع الشّـفاعة أحـدًا إلّا من ذكر و أمّا من عداه فـلا تكـاد تنفعـه و إن فـرض صدورها عن الشّـفعاء المتصـدّين للشّـفاعة للنّـاس كقوله تعالى: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ المـدّثّر: ٤٨. (١٦: ٢٦٥)

القاسميّ: و المعنى يومئذ لا يستطيع أحد أن يشفع لأحد، إلّا إذا أذن الله له. و لا يأذن إلّا لمـن علـم أنّـه سيجاب.

قال بعض المحقّقين: و إنّما يكون الكلام ضربًا مـن

التّكريم، لمن يأذن الله له به، يختصّ به من يشاء. و لا أثر له فيما أراد الله ألبتة. (١١: ٤٢١١)

المراغيّ: أي يومئذ لا تنفع الشّفاعة أحدًا إلّا شفاعة من أذن له الرّحمن أن يشفع، و رضي له قولًا صدر منه.

و الفاسق قد قال قولًا يرضاه الرّحمن فقد قال لا إله إلّا الله كما روي عن ابن عبّاس.

و الخلاصة إنّ الشّفاعة لا تكون نافعة للمشفوع له إلّا بشرطين:

١ـ إذن الله للشّافع بالشّفاعة.

٢ـ رضا الله عن قول صدر من المشفوع له، ليأذن بشفاعة الشّافع له.

و قصارى ذلك إنّما تنفع الشّفاعة لمن أذن له الرّحمن في أن يشفع له، و كان له قول يرضى. (١٦: ١٥٢)

ابن عاشور: و قوله: ﴿وَ رَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ عائد إلى ﴿مَنْ اَذِنَ لَهُ الرَّحْمٰنُ﴾ و هو الشّافع. و اللّام الدّاخلة على ذلك الضّمير لام التّعليل، أي رضي الرّحمان قول الشّافع لأجل الشّافع، أي إكرامًا له كقوله تعالى: ﴿اَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ الشّرح: ١، فإنّ الله ما أذن للشّافع بأن يشفع إلّا و قد أراد قبول شفاعته، فصار الإذن بالشّفاعة و قبولها عنوانًا على كرامة الشّافع عند الله تعالى. و المجرور متعلّق بفعل ﴿رَضِيَ﴾ و انتصب ﴿قَوْلًا﴾ على المفعوليّة لفعل ﴿رَضِيَ﴾ لأنّ ﴿رَضِيَ﴾ هذا يتعدّي إلى الشّيء المرضيّ به بنفسه و بالباء. (١٦: ١٨٤)

الطّباطبائيّ: الاستثناء يدلّ على أنّ العناية في الكلام متعلّقة بنفي الشّفعاء لا بتأثير الشّفاعة في المشفوع لهم و المراد الإذن في الكلام للشّفاعة كما يبيّنه قوله بعده: ﴿وَ رَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ فإنّ التّكلّم يومئذ منوط بإذنه تعالى، قال: ﴿يَوْمَ يَاْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ اِلَّا بِاِذْنِهِ﴾ هود: ١٠٥ و قال: ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ اِلَّا مَنْ اَذِنَ لَهُ الرَّحْمٰنُ وَ قَالَ صَوَابًا﴾ النّبأ: ٣٨. و قد مرّ القول في معنى الإذن في التّكلّم في تفسير سورة هود في الجزء العاشر من الكتاب.

و أمّا كون القول مرضيًّا فمعناه أن لا يخالطه ما يسخط الله من خطإ أو خطيئة قضاءً لحقّ الإطلاق، و لا يكون ذلك إلّا ممّن أخلص الله سريرته من الخطإ في الاعتقاد، و الخطيئة في العمل، و طهّر نفسه من رجس الشّرك و الجهل في الدّنيا، أو من ألحقه بهم، فإنّ البلاء و الابتلاء اليوم مع السّرائر قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ و للبحث ذيل طويل سيمرّ بك بعضه إن شاء الله تعالى. (١٤: ٢١١)

عبد الكريم الخطيب: أي في هذا اليوم لا تنفع الإنسان شفاعة في نفسه إلّا من أذن له الرّحمن بالقول، و المحاجّة عن نفسه. ثمّ كان قوله هذا مقبولًا عند الله، مرضيًّا عنه.

و المراد بالقول، هو القول الّذي يعرض فيه الإنسان أعماله في الدّنيا، من خير و شرّ، و حسن و قبيح. و هذا ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَ الْمَلٰئِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ اِلَّا مَنْ اَذِنَ لَهُ الرَّحْمٰنُ وَ قَالَ صَوَابًا﴾ النّبأ: ٣٨. (٨: ٨٢٨)

فضل الله: لأنّه المهيمن على الجميع، فلا يملك أحد منه شيئًا، فله الحكم الفصل و القضاء العدل الّذي يحاصر الجميع في دائرة مسئوليّاتهم، فيحيط بكلّ ما فعلوه، و يجازي كلّ واحد منهم بعمله، و لا يقبل من أحد رجاء و لا شفاعة في حقّ نفسه أو في حق غيره، لأنّ أيّ واحد منهم لا يملك حقًّا ذاتيًّا في ذلك كلّه ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمٰنُ﴾ النبأ: ٣٨، في الشّفاعة فأراد الله أن يكرمه بها ليجعل له الكرامة باستنقاذ من يريد الله أن ينقذه من النّار، و يرحمه برحمته، و ذلك هو الّذي رضي الله قوله في ما يعبّر عنه القول من العقيدة الصّافية الحقّة، و الرّوح الرّاضية المرضيّة، و العمل الخالص الّذي يتحرّك في رضا الله من خلال وعي الإيمان، و طهر الإخلاص. (١٥: ١٥٧)

٤ـ لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا. الفتح: ١٨

الطّبريّ: يقول تعالى ذكره: لقد رضي الله يا محمّد عن المؤمنين ﴿إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ يعني بيعة أصحاب رسول الله ﷺ رسول الله بالحُديبيّة حين بايعوه على مناجزة قريش الحرب، و على أن لا يفرّوا، و لا يولّوهم الدّبر تحت الشّجرة، و كانت بيعتهم إيّاه هنالك فيما ذُكر تحت شجرة. و كان سبب هذه البيعة ما قيل: إنّ رسول الله ﷺ كان أرسل عثمان بن عفّان رضي الله عنه برسالته إلى الملإ من قريش، فأبطأ عثمان عليه بعض الإبطاء، فظنّ أنّه قد قُتل، فدعا أصحابه إلى تجديد البيعة على حربهم على ما وُصفت، فبايعوه على ذلك. و هذه البيعة الّتي تسمّى بيعة الرّضوان، و كان الّذين بايعوه هذه البيعة فيما ذكر في قول بعضهم: ألفًا و أربعمئة، و في قول بعضهم: ألفًا و خمسمئة، و في قول بعضهم: ألفًا و ثلاثمئة. (١١: ٣٤٧)

نحوه الزّمخشريّ. (٣: ٥٤٦)

الثّعلبيّ: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ ...﴾ بالحُديبيّة على أن يناجزوا قريشًا، و لا يفرّوا. (٩: ٤٧)

الطّوسيّ: إخبار من الله تعالى أنّه رضي عن الّذين بايعوا تحت الشّجرة النّبيّ ﷺ و كانوا مؤمنين في الوقت الّذي بايعوه. (٩: ٣٢٨)

القُشَيريّ: هذه بيعة الرّضوان، و هي البيعة تحت الشّجرة بالحُديبيّة، و سمّيت بيعة الرّضوان لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾. (٥: ٤٢٦)

ابن عَطيّة: و قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ...﴾ تشريف و إعلام برضاه عنهم حين البيعة، و بهذا سُمّيت بيعة الرّضوان. و الرّضى بمعنى الإرادة، فهو صفة ذات. و من جعل (إذْ) مسبّبة، بمعنى لأنّهم بايعوا تحت الشّجرة، جاز أن يجعل ﴿رَضِيَ﴾ بمعنى إظهار النّعم عليهم بسبب بيعتهم، فالرّضي على هذا صفة فعل، و قد تقدّم القول في المبايعة و معناها. [و أدام الكلام في سبب المبايعة فراجع.] (٥: ١٣٣)

الطّبْرسيّ: يعني بيعة الحُديبيّة و تسمّى بيعة الرّضوان لهذه الآية، و رضاء الله سبحانه عنهم هو إرادته تعظيمهم و إثابتهم. و هذا إخبار منه سبحانه أنّه رضي عن المؤمنين إذ بايعوا النّبيّ ﷺ في الحُديبيّة

تحت الشّجرة المعروفة، و هي شجرة السّمرة.(٥: ١١٦)

ابن الجوزيّ: ثمّ ذكر الّذين أخلصوا نيّتهم و شهدوا بيعة الرّضوان بقوله: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ و قد ذكرنا سبب هذه البيعة آنفًا. و إنّما سمّيت بيعة الرّضوان، لقوله: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ اِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾. (٧: ٤٣٤)

الفخر الرّازيّ: قال: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ...﴾ من الصّدق، كما علم ما في قلوب المنافقين من المرض ﴿فَاَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ حتّى بايعوا على الموت. و فيه معنى لطيف، و هو أنّ الله تعالى قال قبل هذه الآية ﴿وَ مَنْ يُطِعِ اللهَ وَ رَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ﴾ الفتح: ١٧، فجعل طاعة الله و الرّسول علامة لإدخال الله الجنّة في تلك الآية، و في هذه الآية بيّن أنّ طاعة الله و الرّسول وُجدت من أهل بيعة الرّضوان. أمّا طاعة الله فالإشارة إليها بقوله: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ و أمّا طاعة الرّسول فبقوله: ﴿اِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ بقي الموعود به و هو إدخال الجنّة أشار إليه بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لأنّ الرّضا يكون معه إدخال الجنّة، كما قال تعالى: ﴿وَ يُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ﴾ المجادلة: ٢٢.

ثمّ قال تعالى: ﴿فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ و الفاء للتّعقيب، و علم الله قبل الرّضا، لأنّه علم ما في قلوبهم من الصّدق فرضي عنهم، فكيف يُفهم التّعقيب في العلم؟

نقول: قوله: ﴿فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ متعلّق بقوله: ﴿اِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ كما يقول القائل: فرحت أمس إذ كلّمت زيدًا فقام إليّ، أو إذ دخلت عليه فأكرمني، فيكون الفرح بعد الإكرام ترتيبًا كذلك، هاهنا قال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ...﴾ من الصّدق إشارة إلى أنّ الرّضا لم يكن عند المبايعة فحسب، بل عند المبايعة الّتي كان معها علم الله بصدقهم. و الفاء في قوله: ﴿فَاَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ للتّعقيب الّذي ذكرته، فإنّه تعالى رضي عنهم، فأنزل السّكينة عليهم. (٢٨: ٩٥)

القرطبيّ: هذه بيعة الرّضوان، و كانت بالحديبيّة. و هذا خبر الحُديبيّة على اختصار: و ذلك أنّ النّبيّ ﷺ أقام مُنصرفه من غزوة بني المُصطلق في شوّال، و خرج في ذي القعدة معتمرًا، واستنفر الأعراب الّذين حول المدينة فأبطأ عنه أكثرهم، و خرج النّبيّ ﷺ بمن معه من المهاجرين و الأنصار و من اتّبعه من العرب، و جميعهم نحو ألف وأربعمئة، و قيل: ألف و خمسمئة، و قيل غير هذا، على ما يأتي. و ساق معه الهَدْي، فأحرم رسول الله ﷺ ليُعلم النّاس أنّه لم يخرج لحرب. [ثمّ أطال البحث حول بيعة الرّضوان فراجع] (١٦: ٢٧٤)

أبو حيّان: لمّا ذكر تعالى حال من تخلّف عن السّفر مع الرّسول ﷺ، ذكر حال المؤمنين الخُلّص الّذين سافروا معه. و الآية دالّة على رضا الله تعالى عنهم، و لذا سُمّيت: بيعة الرّضوان، و كانوا فيما روي ألفًا و خمسمئة و عشرين. و قال ابن أبي أوفى: و ثلاثمئة. [ثمّ أطال البحث حول بيعة الرّضوان فراجع]

(٨: ٩٥)

أبو السُّعود: هم الّذين ذكر شأن مبايعتهم، و بهذه الآية سمّيت: بيعة الرّضوان، و قوله تعالى: ﴿إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ منصوب بـ ﴿رَضِيَ﴾ و صيغة المضارع لاستحضار صورتها، و ﴿تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ متعلّق به أو بمحذوف هو حال من مفعوله.

(٦: ١٠٣)

البُرُوسَوِيّ: رضَى العبد عن اللّه: أن لا يكره ما يجري به قضاؤه، و رضَى اللّه عن العبد، هو أن يراه مؤتمرًا لأمره، منتهيًا عن نهيه، و هم الّذين ذكر شأن مبايعتهم. و كانوا ألفًا و أربعمئة على الصّحيح، و قيل ألفًا و خمسمئة و خمسة و عشرين، و بهذه الآية سُمّيت بيعة الرّضوان.

و قال بعض الكبار: سُمّيت بيعة الرّضوان، لأنّ الرّضى فناء الإرادة في إرادته تعالى، و هو كمال فناء الصّفات؛ و ذلك أنّ الذّات العليّة محتجبة بالصّفات، و الصّفات بالأفعال، و الأفعال بالأكوان و الآثار، فمَن تجلّت عليه الأفعال بارتفاع حُجُب الأكوان توكّل، و من تجلّت عليه الصّفات بارتفاع حُجُب الأفعال رضي و سلّم، و من تجلّت عليه الذّات بانكشاف حُجُب الصّفات فنى في الواحدة فصار موحّدًا مطلقًا، فاعلًا ما فعل، و قارئًا ما قرأ ما دام هذا شهوده، فتوحيد الأفعال مقدّم على توحيد الصّفات، و توحيد الصّفات مقدّم على توحيد الذّات، و إلى هذه المراتب الثّلاث أشار ﷺ بقوله في سجوده: «و أعوذ بعفوك من عقابك، و أعوذ برضاك من سخطك، و أعوذ بك منك».

فاعلم ذلك، فإنّه من لباب المعرفة. (٩: ٣٣)

الشّوكانيّ: أي رضي اللّه عنهم وقت تلك البيعة، و هي بيعة الرّضوان، و كانت بالحُديبيّة. [إلى أن قال:]

و كانت البيعة على أن يقاتلوا قريشًا و لا يفرّوا. و روي أنّه بايعهم على الموت، و قد تقدّم ذكر عدد أهل هذه البيعة قريبًا، و القصّة مبسوطة في كتب الحديث و السّير. (٥: ٦٠)

الآلوسيّ: و لمّا ذكر سبحانه حال من تخلّف عن السّفر مع رسول اللّه ﷺ ذكر عزّ و جلّ حال المؤمنين الخُلّص الّذين سافروا معه عليه الصّلاة و السّلام، بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللّهُ...﴾ و هم أهل الحديبيّة إلّا جدّ بن قيس فإنّه كان منافقًا و لم يبايع.

و أصل هذه البيعة ـ و تسمّى بيعة الرّضوان ـ لقول اللّه تعالى فيها: ﴿لَقَدْ رَضِيَ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ...﴾. [ثمّ أدام القصّة]

(٢٦: ١٠٦)

القاسميّ: يعني بيعة أصحاب رسول اللّه ﷺ بالحديبيّة، حين بايعوه على مناجزة قريش الحرب، و على أن لا يفرّوا، و لا يولّوهم الدّبر، تحت شجرة هناك. (١٥: ٥٤١٦)

المَراغيّ: أخبر سبحانه عن رضاه عن المؤمنين الّذين بايعوا تحت الشّجرة بيعة الرّضوان، و قد عرفت أنّهم كانوا أربع عشرة مائة، كما عرفت أسباب هذه البيعة. (٢٦: ١٠٢)

سيّد قُطْب: هذا الدّرس كلّه حديث عن المؤمنين، و حديث مع المؤمنين. مع تلك المجموعة

الفريدة السّعيدة الّتي بايعت رسول الله ﷺ تحت الشّجرة. و الله حاضر البيعة و شاهدها و موثقها، و يده فوق أيديهم فيها. تلك المجموعة الّتي سمعت الله تعالى يقول عنها لرسوله ﷺ: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ...﴾ و سمعت رسول الله ﷺ يقول لها: «أنتم اليوم خير أهل الأرض».

حديث عنها من الله سبحانه و تعالى إلى رسوله ﷺ و حديث معها من الله سبحانه و تعالى: يبشّرها بما أعدّ لها من مغانم كثيرة و فتوح، و ما أحاطها به من رعاية و حماية في هذه الرّحلة، و فيما سيتلوها، و فيما قدّر لها من نصر موصول بسنّته الّتي لا ينالها التّبديل أبدًا، و يُندّد بأعدائها الّذين كفروا تنديدًا شديدًا.

و يكشف لها عن حكمته في اختيار الصّلح و المهادنة في هذا العام، و يؤكّد لها صدق الرّؤيا الّتي رآها رسول الله ﷺ عن دخول المسجد الحرام، و أنّ المسلمين سيدخلونه آمنين لا يخافون، و أنّ دينه سيظهر على الدّين كلّه في الأرض جميعًا.

و يختم الدّرس و السّورة بتلك الصّورة الكريمة الوضيئة لهذه الجماعة الفريدة السّعيدة من أصحاب رسول الله ﷺ، وصفتها في التّوراة وصفتها في الإنجيل، و وعد الله لها بالمغفرة، و الأجر العظيم.

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ...﴾.

و إنّني لأحاول اليوم من وراء ألف و أربعمئة عام أن أستشرف تلك اللّحظة القدسيّة الّتي شهد فيها الوجود كلّه، ذلك التّبليغ العلويّ الكريم من الله العليّ العظيم إلى رسوله الأمين عن جماعة المؤمنين، أحاول أن أستشرف صفحة الوجود في تلك اللّحظة و ضميره المكنون، و هو يتجاوب جميعه بالقول الإلهيّ الكريم، عن أُولئك الرّجال القائمين إذ ذاك في بقعة معيّنة من هذا الوجود، و أحاول أن أستشعر بالذّات شيئًا من حال أُولئك السّعداء الّذين يسمعون بآذانهم أنّهم هم، بأشخاصهم و أعيانهم، يقول الله عنهم: لقد رضي عنهم، و يُحدّد المكان الّذي كانوا فيه، و الهيئة الّتي كانوا عليها حين استحقّوا هذا الرّضى: ﴿إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ يسمعون هذا من نبيّهم الصّادق المصدوق، على لسان ربّه العظيم الجليل.

يا لله! كيف تلقّوا أُولئك السّعداء تلك اللّحظة القدسيّة، و ذلك التّبليغ الإلهيّ؟ التّبليغ الّذي يشير إلى كلّ أحد في ذات نفسه، و يقول له: أنت. أنت بذاتك. يبلّغك الله. لقد رضي عنك. و أنت تبايع تحت الشّجرة و علم ما في نفسك، فأنزل السّكينة عليك.

إنّ الواحد منّا ليقرأ أو يسمع ﴿اَللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ اٰمَنُوا﴾ البقرة: ٢٥٧، فيسعد يقول في نفسه: أ لست أطمع أن أكون داخلًا في هذا العموم؟ و يقرأ أو يسمع ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ البقرة: ١٥٣، فيطمئنّ يقول في نفسه: أ لست أرجو أن أكون من هؤلاء الصّابرين؟ و أُولئك الرّجال يسمعون و يبلّغون واحدًا واحدًا أنّ الله يقصده بعينه و بذاته، و يبلّغه: لقد رضي عنه، و علم ما في نفسه. و رضي عمّا في نفسه. يا لله! إنّه أمر مهول.

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾.

علم ما في قلوبهم من حميّة لدينهم لا لأنفسهم. و علم ما في قلوبهم من الصّدق في بيعتهم، و علم ما في قلوبهم من كظم لانفعالاتهم تجاه الاستفزاز، و ضبط لمشاعرهم ليقفوا خلف كلمة رسول الله ﷺ طائعين مسلمين صابرين. (٦: ٣٣٢٥)

ابن عاشور: عود إلى تفصيل ما جازى الله به أصحاب بيعة الرّضوان المتقدّم إجماله، في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ﴾ الفتح: ١٠، فإنّ كون بيعتهم الرّسول ﷺ تُعتبَر بيعة لله تعالى، أومأ إلى أنّ لهم بتلك المبايعة مكانة رفيعة من خير الدّنيا و الآخرة، فلمّا قطع الاسترسال في ذلك بما كان تحذيرًا من النّكث و ترغيبًا في الوفاء، بمناسبة التّضادّ، و ذكر ما هو وسط بين الحالين و هو حال المخلّفين، و إبطال اعتذارهم و كشف طويّتهم، و إقصائهم عن الخير الّذي أعدّه الله للمبايعين و أرجائهم إلى خير يسنح من بعد، إن هم صدقوا التّوبة و أخلصوا النّيّة.

فقد أنال الله المبايعين رضوانه، و هو أعظم خير في الدّنيا و الآخرة قال تعالى: ﴿وَ رِضْوَانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ﴾ التّوبة: ٧٢، و الشّهادة لهم بإخلاص النّيّة، و إنزاله السّكينة قلوبهم، و وعدهم بثواب فتح قريب، و مغانم كثيرة.

و في قوله: ﴿عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ﴾ إيذان بأنّ من لم يبايع ممّن خرج مع النّبيّ ﷺ ليس حينئذ بمؤمن، و هو تعريض بـ«الجدّ بن قيس» إذ كان يومئذ منافقًا، ثمّ حسُن إسلامه.

و قد دُعيت هذه البيعة بيعة الرّضوان، من قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾، و ﴿إِذْ يُبَايِعُونَكَ﴾ ظرف متعلّق بـ ﴿رَضِيَ﴾.

و في تعليق هذا الظّرف بفعل الرّضى ما يُفهَم أنّ الرّضى مسبّب عن مفاد ذلك الظّرف الخاصّ بما أُضيف هو إليه، مع ما يعطيه توقيت الرّضى بالظّرف المذكور من تعجيل حصول الرّضى بحدثان ذلك الوقت، و مع ما في جعل الجملة المضاف إليها الظّرف فعليّة مضارعيّة من حصول الرّضى، قبل انقضاء الفعل بل في حال تجدّده. فالمضارع في قوله: ﴿يُبَايِعُونَكَ﴾ مستعمل في الزّمان الماضي، لاستحضار حالة المبايعة الجليلة، و كون الرّضى حصل عند تجديد المبايعة، و لم ينتظر به تمامها، فقد علمت أنّ السّورة نزلت بعد الانصراف من الحديبية. (٢٦: ١٤٦)

مَغْنِيّة: يشير سبحانه بهذا إلى بيعة الرّضوان تحت الشّجرة، و أنّه راض عنها و عن أهلها. و سبق الكلام عن هذه البيعة عند تفسير الآية: ١٠، من هذه السّورة بعنوان «خلاصة القصّة فراجع». (٧: ٩٤)

الطَّباطَبائيّ: الرّضا هيئة تطرأ على النّفس من تلقّي ما يلائمها و تقبّله من غير دفع، و يقابله السّخط، و إذا نُسب إلى الله سبحانه كان المراد الإثابة و الجزاء الحسن، دون الهيأة الطّارئة و الصّفة العارضة الحادثة، لاستحالة ذلك عليه تعالى، فرضاه سبحانه من صفات الفعل لا من صفات الذّات.

و الرّضا كما ـ قيل ـ يستعمل متعدّيًا إلى المفعول بنفسه، و متعدّيًا بـ«عن» و متعدّيًا بـ«الباء». فإذا عُدّي بنفسه جاز دخوله على الذّات، نحو: رضيت

زيدًا، و على المعنى، نحو: رضيت إمارة زيد. قال تعالى: ﴿وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ المائدة: ٣، و إذا عُدّي بـ«عن» دخل على الذّات، كقوله: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ﴾ البيّنة: ٨، و إذا عُدّي بالباء دخل على المعنى، كقوله تعالى: ﴿أَرَضِيتُمْ بِالْحَيٰوةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ﴾ التّوبة: ٣٨.

و لـمّا كان الرّضا المنسوب إليه تعالى صفة فعل له، بمعنى الإثابة و الجزاء، و الجزاء إنّما يكون بإزاء العمل دون الذّات، ففيما نُسب من رضاه تعالى إلى الذّات و عُدّي بـ«عن» كما في الآية: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ نوع عناية، استدعى عدّ الرّضا و هو متعلّق بالعمل متعلّقًا بالذّات. و هو أخذ بيعتهم الّتي هي متعلّقة الرّضا ظرفًا للرّضى، فلم يسع إلّا أن يكون الرّضا متعلّقًا بهم أنفسهم.

فقوله: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ إخبار عن إثابته تعالى لهم بإزاء بيعتهم له ﷺ تحت الشّجرة.

و قد كانت البيعة يوم الحديبيّة تحت شجرة سمرة بها بايعه ﷺ مَن معه من المؤمنين، و قد ظهر به أنّ الظّرف في قوله: ﴿إِذْ يُبَايِعُونَكَ﴾ متعلّق بقوله: ﴿لَقَدْ رَضِيَ﴾، و اللّام للقسم. (١٨: ٢٨٤)

عبد الكريم الخطيب: المؤمنون الّذين رضي الله عنهم، و شملهم بهذا الرّضوان العظيم، هم الّذين كانوا مع النّبيّ في الحديبيّة، و الّذين بايعوه على قتال المشركين، حين جاءت أخبار من مكّة تقول: إنّ المشركين قد نالوا عثمان رضي الله عنه، بسوء، و قد كان الرّسول صلوات الله و سلامه عليه بعثه إليهم، ليخبرهم بأنّ الرّسول و أصحابه إنّما جاؤوا معتمرين زائرين للبيت الحرام، و لم يجيئوا لقتال. (١٣: ٤١٧)

مكارم الشّيرازيّ: رضي الله عن المشركين في بيعة الرّضوان

ذكرنا آنفًا أنّه في الحديبيّة جرى حوار بين ممثّلي قريش و النّبيّ ﷺ و كان من ضمن السّفراء «عثمان ابن عفّان» الّذي تشدّه أواصر القربى بأبي سفيان. و لعلّ هذه العلاقة كان لها أثر في انتخابه ممثّلًا عن النّبيّ ﷺ فبعثه إلى أشراف مكّة و مشركي قريش ليُطلعهم على أنّ النّبيّ لم يكن يقصد الحرب و القتال، بل هدفه زيارة بيت الله و احترام الكعبة المشرّفة بمعيّة أصحابه، إلّا أنّ قريشًا أوقفت عثمان مؤقّتًا، و شاع على أثر ذلك بين المسلمين أنّ عثمان قد قُتل.

فقال النّبيّ ﷺ: لا أبرح مكاني هذا حتّى أقاتل عدوّي.

ثمّ جاء إلى شجرة هناك فطلب من المسلمين تجديد البيعة تحتها، و طلب منهم أن لا يقصّروا في قتالهم المشركين و أن لا يولّوا أدبارهم من ساحات القتال. فبلغ صدى هذه البيعة مكّة، و اضطربت قريش من ذلك بشدّة، و أطلقوا عثمان.

و كما نعرف فإنّ هذه البيعة عُرفت ببيعة الرّضوان، و قد أفزعت المشركين، و كانت منعطفًا في تاريخ الإسلام.

فالآيتان محلّ البحث تتحدّثان عن هذه القصّة. فتقول الأولى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ

يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾.

و الهدف من هذه البيعة الانسجام أكثر فأكثر بين القوى، و تقوية المعنويّات، و تجديد التّعبئة العسكريّة، و معرفة الأفكار، و اختبار ميزان التّضحية من قبل المخلصين الأوفياء. و هذه البيعة أعطت روحًا جديدًا في المسلمين، لأنّهم أعطوا أيديهم إلى النّبيّ، و أظهروا وفاءهم من أعماق قلوبهم.

فأعطى الله هؤلاء المؤمنين المضحّين و المؤثرين على أنفسهم نفس رسول الله في هذه اللّحظة الحسّاسة و الّذين بايعوه تحت الشّجرة أعطاهم أربعة أجور، و من أهمّ تلك الأجور و الإثابات الأجر العظيم، و هو «رضوانه» كما عبّرت عنه الآية: ٧٢، من سورة التوبة: ﴿وَ رِضْوَانٌ مِنَ اللهِ اَكْبَرُ﴾ أيضًا. (١٦: ٤٢٠)

فضل الله: بيعة الشّجرة و رضى الله

و هذا فصل جديد من السّورة يتحدّث عن بيعة الرّضوان، و عن رضي الله عن الّذين قاموا بها، و كيف عاشوا السّكينة الرّوحيّة في داخلهم و حصلوا على الثّواب الإلهيّ، بالفتح القريب الّذي كانوا يتمنّونه و ينتظرونه، و كيف وصل المسلمون إلى مستوى من القوّة، كانوا فيه قادرين على هزيمة المشركين، لولا إرادة الله الّتي لم تجد حكمة في القتال في تلك الفترة.

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ اِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ لأنّ البيعة كانت موقفًا صارخًا في وجه المشركين الّذين كانوا يستغلّون قدراتهم الذّاتيّة و تحالفاتهم مع القوى الأخرى، لمنع الدّعوة من التّحرّك بحرّيّة في ساحة الصّراع، كي يبقى موقف المسلمين موقفًا خائفًا قلقًا، خاصّة إذا تعلّق الأمر بمهاجمة قريش داخل مكّة، الّتي تسيطر على كلّ مواقع القوّة فيها.

لهذا كان موقف البيعة محطّ رضى الله، لأنّ المسلمين فيه تمرّدوا على كلّ عوامل الضّعف، و واجهوا مواقف التّحدّي بروحيّة التّضحية و الشّهادة. (٢١: ١١٧)

٥- ...رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ اُولٰئِكَ حِزْبُ اللهِ اَلَا اِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ. المجادلة: ٢٢

الطّبَريّ: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ﴾ بطاعتهم إيّاه في الدّنيا، ﴿وَ رَضُوا عَنْهُ﴾ في الآخرة بإدخاله إيّاهم الجنّة. (١٢: ٢٦)

الطُّوسيّ: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ﴾ بإخلاص الطّاعة منهم، ﴿وَ رَضُوا عَنْهُ﴾ بثواب الجنّة. (٩: ٥٥٧)

المَيْبُديّ: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ﴾ في الدّنيا بطاعاتهم، ﴿وَ رَضُوا عَنْهُ﴾ في الآخرة بالجنّة و الثّواب.

و قيل: رضوا عنه بما قضى عليهم في الدّنيا من غير كراهية. (١٠: ٢٦)

الطَّبْرِسيّ: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ﴾ بإخلاص الطّاعة و العبادة منهم، ﴿وَ رَضُوا عَنْهُ﴾ بثواب الجنّة.

و قيل: رضوا عنه بقضائه عليهم في الدّنيا فلم يكرهوه. (٥: ٢٥٥)

الفَخْر الرّازيّ: قوله تعالى: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ﴾ و هي نعمة الرّضوان، و هي أعظم النّعم، و أجلّ المراتب. (٢٩: ٢٧٧)

القُرطُبيّ: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ﴾ أي قبل أعمالهم،

﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾: فرحوا بما أعطاهم. (١٧: ٣٠٩)

البَيْضاويّ: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ﴾ بطاعتهم. ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ بقضائه أو بما وعدهم من الثّواب. (٢: ٤٦٣)

ابن كثير: في قوله تعالى: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ سرّ بديع، و هو أنّه لمّا سخطوا على القرائب و العشائر في الله تعالى، عوّضهم الله بالرّضا عنهم، و أرضاهم عنه بما أعطاهم من النّعيم المقيم، و الفوز العظيم، و الفضل العميم. (٦: ٥٩٢)

أبو السُّعود: و قوله تعالى: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ﴾ استئناف جار مجرى التّعليل، لما أفاض عليهم من آثار رحمته العاجلة والآجلة، و قوله تعالى: ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ بيان لابتهاجهم بما أُوتوه عاجلًا و آجلًا. (٦: ٢٢١)

مثله الآلوسيّ (٢٨: ٣٦)، و نحوه الشّوكانيّ (٥: ٢٣٨).

المَراغيّ: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ﴾ أي أغدق عليهم من رحمته العاجلة و الآجلة، فأدخلهم جنّات تجري من تحتها الأنهار، ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ لابتهاجهم بما أُوتوه عاجلًا و آجلًا، فإنّهم لمّا سخطوا على الأقارب.

[و ذكر مثل ابن كثير] (٢٨: ٢٩)

سيّد قُطْب: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ و هذه صورة و ضيئة راضية مطمئنّة، ترسم حالة المؤمنين هؤلاء، في مقام عال رفيع، و في جوّ راض وديع، ربّهم راض عنهم و هم راضون عن ربّهم. انقطعوا عن كلّ شيء و وصلوا أنفسهم به، فتقبّلهم في كنفه، و أفسح لهم في جنابه، و أشعرهم برضاه، فرضوا. رضيت نفوسهم هذا القرب، و أنست به، و اطمأنّت إليه. (٦: ٣٥١٥)

مَغْنِيّة: و معنى رضى الله عن العبد هو أن يُعطيه من فضله، و معنى رضى العبد عنه تعالى، هو أن يرضى بما أعطاه. و قال ابن عربيّ في «الفتوحات»: «يرضى الله باليسير من عمل عباده، و هم أيضًا يرضون باليسير من ثوابه، لأنّ الله مهما أعطى فعطاؤه أقلّ القليل بالنّسبة إلى ما عنده». و لكنّ هذا الّذي أسماه ابن عربيّ أقلّ القليل بالنّسبة إليه تعالى، هو أكثر الكثير بالنّسبة إلى العباد. (٧: ٢٧٨)

الطَّباطَبائيّ: و قوله: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ استئناف يعلّل قوله: ﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ...﴾، و رضا الله سبحانه عنهم رحمته لهم لإخلاصهم الإيمان له، و رضاهم عنه و ابتهاجهم بما رزقهم من الحياة الطّيّبة و الجنّة. (١٩: ١٩٧)

عبد الكريم الخطيب: فقد ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ﴾ و تقبّل منهم أعمالهم، فكان جزاؤهم عنده هذا الرّضوان، و ذلك النّعيم المقيم، و قد أرضاهم هذا النّعيم، فحمدوا ربّهم و شكروا له.

و في قوله تعالى: ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ ما يكشف عن بعض لطف الله بعباده و إكرامه لأهل وُدّه، و إغداق الإحسان عليهم، حتّى تطيب نفوسهم و تمتلئ غبطة و رضى، و هذا ما يُشير إليه سبحانه و تعالى في خطابه لنبيّه الكريم: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضٰى﴾ الضّحى: ٥. و ماذا يملك العبد حتّى يكون لرضاه عن

ربّه أو سخطه، وزن أو قدر؟. إنّه لاشيء.

و لكن هكذا فضل الله على عباده، و إحسانه على أوليائه، إنّهم أرضوا الله بإيمانهم، و إحسانهم. فكان جزاؤهم عند الله أن يعطيهم حتّى يرضوا عنه. إنّه رضًى متبادل بين الله و أوليائه. حيث يطلب العبد رضًى سيّده و مولاه، فإن رضي عنه سيّده، فعل به ما يُرضيه عنه، و كما يكون الرّضا المتبادل بين لله و أوليائه، يكون الحبّ المتبادل بين الله و أحبابه ﴿يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُ﴾ المائدة: ٥٤. (١٤: ٨٤٥)

مكارم الشّيرازيّ: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ﴾ إنّ أعظم ثواب معنويّ و جزاء روحانيّ لأصحاب الجنّة في مقابل النّعم المادّيّة العظيمة في القيامة، من جنان و حور و قصور، هو شعورهم و إحساسهم أنّ الله راض عنهم، و أنّ رضًى مولاهم و معبودهم يعني أنّهم مقبولون عنده، و في كنف حمايته و أمنه، حيث يجلسهم على بساط قربه، وهذا أعظم إحساس ينتابهم، و نتيجته رضاهم الكامل عن الله سبحانه.

نعم، لاتصل أيّ نعمة إلى هذا الرّضا ذي الجانبين المادّيّ و المعنويّ، و الّذي هو مفتاح للهبات و العطايا الإلهيّة الأُخرى، لأنّه سبحانه عند ما يرضى عن عبد، فإنّه يعطيه ما يطلب منه، فهو القادر و الكريم. و ما أروع التّعبير القرآنيّ: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ﴾ أي إنّ مقامهم رفيع إلى درجة، بحيث إنّ أسماءهم تكون مقترنة باسمه، و رضاهم إلى جانب رضاه تعالى. (١٨: ١٤٤)

فضل الله: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ﴾ بما آمنوا به، و بما أطاعوه، ﴿وَ رَضُوا عَنْهُ﴾ بما أفاض عليهم من نعمه في كلّ وجودهم، و في كلّ مفردات حياتهم العمليّة في حركة الوجود. و هذا هو الهدف الّذي يريد الله للمؤمنين أن يتابعوا السّير نحوه، و هو الرّضا المتبادل بينهم و بينه، فينفتحون عليه في الرّضا بقضائه، و يحصلون على رضاه عنهم، بإيمانهم و تقواهم، لتكون حياتهم له و معه في جميع الحالات. (٢٢: ٨٨)

٦- ﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ ذٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾. البيّنة: ٨

الإمام الصّادق عليه السلام: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ﴾ بما كان سبق لهم من العناية و التّوفيق، ﴿وَ رَضُوا عَنْهُ﴾ بما منّ عليهم بمتابعتهم لرسوله، و قبولهم ما جاءهم به، أي إنّ بيان رضا الخلق عن الله رضاهم بما يرد عليهم من أحكامه، و رضاه عنهم أن يوفّقهم للرّضا عنه.

(الثّعلبيّ ١٠: ٢٦٢)

مُقاتِل: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ﴾ بالطّاعة ﴿وَ رَضُوا عَنْهُ﴾ بالثّواب. (٤: ٧٨١)

الطّبَريّ: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ﴾ بما أطاعوه في الدّنيا، و عملوا لخلاصهم من عقابه في ذلك، ﴿وَ رَضُوا عَنْهُ﴾ بما أعطاهم من الثّواب يومئذ، على طاعتهم ربّهم في الدّنيا، و جزاهم عليها من الكرامة.

(١٢: ٦٥٨)

الثّعلبيّ: محمّد بن الفضيل: الرَّوْح و الرّاحة في الرّضا و اليقين، و الرّضا باب الله الأعظم، و مستراح

العابدين.

محمّد بن حقيق: الرّضا ينقسم قسمين: رضًا بـه، و رضًا عنه. فالرّضا به: ربًّا و مدبّرًا، و الرّضا عنه: فيما يقضي و يُقدّر.

و قيل: الرّضا رفع الاختيار.

ذي النّون: الرّضا: سرور القلب لمرّ القضاء.

حارث: الرّضا سكون القلب تحت جريان الحكم.

أبو عمرو الدّمشقيّ: الرّضا نهاية الصّبر.

أبوبكر بن طاهر: الرّضا خـروج الكراهيّة مـن القلب حتّى لا يكون إلّا فرح و سرور.

الواسطي: هو النّظر إلى الأشياء، يعني الرّضا حتّى لا يسخطك شيء إلّاما يسخط مولاك.

ابن عطاء: هو النّظر إلى قديم إحسان للّه للعبـد، فيترك السّخط عليه.

سمعت السّهميّ يقول: إذا كنت لاترضـى عـن الله فكيف تسئله الرّضا عنك؟ (١٠: ٢٦٢)

الطُّوسيّ: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ﴾ أي رضي أفعالهم، ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ بما فعل بهم من الثّواب.

و الرّضا هو الإرادة، إلّا أنّها لاتسمّى بذلك إلّا إذا وقع مرادها، و لم يتعقّبها كراهية، فتسمّى حينئذ رضًا. فأمّا الإرادة لـما يقع في الحـال أو فيما يُفعَل بعـد، فلاتسمّى رضًا، فرضَي الله عن العبـاد: إرادتـه منـهم الطّاعات الّتي فعلوها، و رضاهم عنه: إرادتهم الثّواب الّذي فعـله بهم. (١٠: ٣٩١)

القُشَيْريّ: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ فلم تبق لهم مطالبة إلّا حقّقها لهم. (٦: ٣٢٢)

المَيْبُديّ: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ﴾ بجميل ثنائـه و جزيـل إنعامـه علـيهم و إرادتـه الإحسـان بهـم، ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ حيث فرحوا بما آتاهم من الثّواب.

و قيل: ﴿رَضِيَ﴾ أعمالهم و ﴿رَضُوا﴾ ثوابه.

و قيل: رضا الخلق عن الله: رضاهم بما يـرد عليـه من أحكامه، و رضاه عنهم: أن يوفّقهم للرّضا عنه.

و قيل: الرّضا ينقسم قسمين: رضًا به، و رضًا عنه. فالرّضا به: ربًّا و مدبّرًا، و الرّضـا عنـه: فيمـا يقضـي و يقدّر.

و قال السّريّ: إن كنت لاترضى عـن الله، فكيـف تسأله الرّضا عنك؟! (١٠: ٥٧٢)

ابن عَطيّة: قيل: ذلك في الدّنيا، فرضاه عنهم، هو ما أظهره عليهم من أمارات رحمته و غفرانه، و رضاهم عنه، هو رضاهم بجميع ما قسم لهم من جميع الأرزاق و الأقدار.

قال بعض الصّالحين: رضَى العباد عن الله: رضاهم بما يرد من أحكامه، و رضاه عنهم: أن يوفّقهم للرّضَـى عنه.

و قال أبوبكر بن طاهر: الرّضَـى عـن الله خـروج الكراهيّة عن القلب حتّى لا يكون إلّا فرح و سرور.

و قال السّريّ السّقطيّ: إذا كنت لاترضَى عن الله فكيف تطلب منه الرّضا عنك؟

و قيل: ذلك في الآخرة، فرضاهم عنه: رضاهم بما منّ به عليهم من النّعم، و رضاهم عنه[١]: هو مـا روي

(١) هكذا في الأصل...و الظّاهر: و رضاه عنهم...

أنّ الله تعالى يقول لأهل الجنّة: هل رضيتم بما أعطيتُكم؟ فيقولون: نعم ربّنا، و كيف لانرضى و قد أعطيتنا ما لم تُعط أحدًا من العالمين. فيقول: أنا أُعطيكم أفضل من كلّ ما أعطيتُكم رضواني، فلاأسخط عليكم أبدًا. (٥: ٥٠٩)

الطّبْرسيّ: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ﴾ بما قدّموه من الطّاعات، ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ بما جازاهم من الثّواب و قيل: رضي الله عنهم إذ وحّدوه و نزّهوه عمّا لايليق به، و أطاعوه و رضوا عنه؛ إذ فعل بهم ما رجوا من رحمته و فضله. (٥: ٥٢٤)

الفَخْرالرّازيّ: اعلم أنّ التفسير ظاهر، و نحن نذكر ما فيها من اللّطائف في مسائل: [و ذكرها إلى أن قال:]

المسألة الثّامنة: اعلم أنّه تعالى لمّا وصف الجنّة أتبعه بما هو أفضل من الجنّة، و هو الخلود أوّلًا و الرّضا ثانيًا، و روي أنّه ﷺ قال: «إنّ الخلود في الجنّة خير من الجنّة، و رضا الله خير من الجنّة».

أمّا الصّفة الأولى: و هي الخلود، فاعلم أنّ الله وصف الجنّة مرّة بجنّات عدن، و مرّة بجنّات النّعيم، و مرّة بدار السّلام، و هذه الأوصاف الثّلاثة إنّما حصلت لأنّك ركّبت إيمانك من أمور ثلاثة: اعتقاد و قول و عمل.

و أمّا الصّفة الثّانية: و هي الرّضا، فاعلم أنّ العبد مخلوق من جسد و روح، فجنّة الجسد هي الجنّة الموصوفة، و جنّة الرّوح هي رضا الرّبّ، و الإنسان مبتدأ أمره من عالم الجسد و منتهى أمره من عالم العقل و الرّوح، فلاجرم ابتدأ بالجنّة، و جعل المنتهى هو رضا الله. ثمّ إنّه قدّم رضي الله عنهم على قوله: ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ لأنّ الأزليّ هو المؤثّر في المُحدَث، و المُحدَث لايؤثّر في الأزليّ.

المسألة التّاسع: إنّما قال: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ﴾ و لم يقل: رضي الرّبّ عنهم و لاسائر الأسماء، لأنّ أشدّ الأسماء هيبةً و جلالةً لفظ «الله»، لأنّه هو الاسم الدّالّ على الذّات و الصّفات بأسرها، أعني صفات الجلال و صفات الإكرام، فلو قال: رضي الرّبّ عنهم، لم يشعر ذلك بكمال طاعة العبد، لأنّ المربّي قد يكتفي بالقليل. أمّا لفظ «الله» فيفيد غاية الجلالة و الهيبة، و في مثل هذه الحضرة لايحصل الرّضا إلّا بالفعل الكامل و الخدمة التّامّة، فقوله: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ﴾ يفيد تطرية فعل العبد من هذه الجهة.

المسألة العاشرة: اختلفوا في قوله: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ﴾ فقال بعضهم: معناه رضي أعمالهم، و قال بعضهم: المراد رضي بأن يمدحهم و يُعظّمهم، قال: لأنّ الرّضا عن الفاعل غير الرّضا بفعله، و هذا هو الأقرب. و أمّا قوله: ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ فالمراد أنّه رضوا بما جازاهم من النّعيم و الثّواب. (٣٢: ٥٢، ٥٥، ٥٦)

القُرطُبيّ: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ﴾ أي رضي أعمالهم، كذا قال ابن عبّاس. ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ أي رضوا هم بثواب الله عزّ و جلّ. (٢٠: ١٤٦)

الشِّرْبينيّ: ﴿رَضِيَ اللهُ﴾ أي بما له من نعوت الجلال و الجمال ﴿عَنْهُمْ﴾، أي بما كان سبق لهم من العناية و التّوفيق. ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ لأنّهم لم يبق لهم

أمنيّة إلّا أعطاهموها مع علمهم، أنّه تفضّل في جميع ذلك، لايجب عليه لأحد شيء، و لا يقدره أحد حقّ قدره، فلو أخذ الخلق بما يستحقّونه لأهلكهم، كما قال تعالى: ﴿لَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلٰى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ فاطر: ٤٥. (٤: ٥٧٢)

أبو السّعود: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ﴾ استئناف مبيّن لـما يتفضّل عليهم، زيادة على ما ذكر من أجزية أعمالهم. ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ حيث بلغوا من المطالب قاصيتها، و ملكوا من المآرب ناصيتها، وأُتيح لهم ما لاعين رأت و لاأذن سمعت، و لاخطر على قلب بشر. (٦: ٤٥٧)

البُرُوسَوِيّ: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ﴾ استئناف مبيّن لمايتفضّل به عليهم، زيادةً على ما ذكر من أجزية أعمالهم، أي استئناف إخبار، كأنّه قيل: تزاد لهم، أو استئناف دعاء من ربّهم، فلذا فصّل، و قد يُجعَل خبرًا بعد خبر و حالاً، بتقدير «قد».

قال ابن الشّيخ: لـمّا كان المكلّف مخلوقًا من جسد و روح، و أنّه اجتهد بهما في طاعة ربّه، اقتضت الحكمة أن يجزيه بما يتنعّم و يستريح به كلّ واحد منهما، فجنّة الجسد هي الجنّة الموصوفة، و جنّة الرّوح هي رضى الرّبّ. ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ حيث بلغوا من المطالب قاصيتها و ملكوا من المآرب ناصيتها و أُبيح لهم ما لاعين رأت و لاأذن سمعت و لاخطر على قلب بشر لاسيّما أنّهم أعطوا لقاء الرّبّ الّذي هو المقصد الأقصى. (١٠: ٤٩١)

الآلوسيّ: و قوله تعالى: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ﴾ استئناف نحويّ، و إخبار عمّا تفضّل عزّ و جلّ به، زيادة على ما ذكر من أجزية أعمالهم. و يجوز أن يكون بيانيًّا جوابًا لمن يقول: ألهم فوق ذلك أمر آخر؟ و جوّز أن يكون خبرًا بعد خبر، أو حالًا بتقدير «قد» أو بدونه، و جوّز أن يكون دعاءً لهم من ربّهم، و هو مجاز عن الإيجاد مع زيادة التّكريم، و هو خلاف الظّاهر، و يبعده عطف قوله تعالى: ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ عليه. و علّل رضاهم بأنّهم بلغوا من المطالب قاصيتها و من المآرب ناصيتها، و أُتيح لهم ما لاعين رأت و لاأذن سمعت و لاخطر على قلب بشر. (٣٠: ٢٠٦)

القاسميّ: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ﴾ أي بما أطاعوه في الدّنيا، و عملوا لخلوصهم من عقابه في ذلك، ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ لأنّهم بحسن يقينهم يرتاحون إلى امتثال ما يأمر به في الدّنيا، فهم راضون عنه. ثمّ إذا ذهبوا إلى نعيم الآخرة، وجدوا من فضل الله ما لامحلّ للسّخط معه، فهم راضون عن الله في كلّ حال. أفاده الإمام. (١٧: ٦٢٣٠)

المَراغيّ: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ أي إنّهم حازوا رضا الله بالتزام حدود شريعته، فحمدوا مغبّة أعمالهم، و نالوا ما يُرضيهم في دنياهم و آخرتهم. (٣٠: ٢١٧)

سيّد قُطْب: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ هذا الرّضا من الله، و هو أعلى و أندى من كلّ نعيم، و هذا الرّضا في نفوسهم عن ربّهم. الرّضا عن قدره فيهم، و الرّضا عن إنعامه عليهم، و الرّضا بهذه الصّلة بينه و بينهم، الرّضا الّذي يغمر النّفس بالهدوء،

و الطّمأنينة و الفرح الخالص العميق.

إنّه تعبير يُلقي ظلاله بذاته ﴿رَضِيَ اللهُ عَنهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ﴾ حيث يعجز أيّ تعبير آخر عن إلقاء مثل هذه الظّلال. (٦: ٣٩٥٣)

ابن عاشور: و جملة: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنهُمْ﴾ حال من ضمير ﴿خَالِدِينَ﴾، أي خالدين خلودًا مقارنًا لرضى الله عنهم، فهم في مدّة خلودهم فيها محفوفون بآثار رضى الله عنهم؛ و ذلك أعظم مراتب الكرامة، قال تعالى: ﴿وَ رِضْوَانٌ مِنَ اللهِ اَكْبَرُ﴾ التّوبة: ٧٢، و رضى الله تعلّق إحسانه و إكرامه لعبده.

و أمّا الرّضى في قوله: ﴿وَ رَضُوا عَنْهُ﴾ فهو كناية عن كونهم نالهم من إحسان الله ما لا مطلب لهم فوقه كقول أبي بكر في حديث الغار: «فشرب حتّى رضيت»، و قول مخرمة حين أعطاه رسول الله ﷺ قباء: «رضي مخرمة». و زاده حسن وقع هنا ما فيه من المشاكلة (٣٠: ٤٢٩)

مَغْنِيّة: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنهُمْ﴾ رضي عنهم لأنّهم عملوا بمرضاته، فأثابهم بملك دائم، و نعيم قائم، ﴿وَ رَضُوا عَنْهُ﴾ بما أفاضه عليهم من فضله و نعمه. و تقدّم مثله في الآية: ١١٩، من سورة المائدة، و الآية: ١٠٠، من سورة التّوبة، و الآية: ٢٢، من سورة المجادلة. (٧: ٥٩٦)

الطّباطَبائيّ: و قوله: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنهُمْ﴾ الرّضى منه تعالى صفة فعل، و مصداقه الثّواب الّذي أعطاهموه، جزاءً لإيمانهم و عملهم الصّالح. (٢٠: ٣٤٠)

عبد الكريم الخطيب: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنهُمْ﴾ فأدخلهم في جنّاته، و أفاض عليهم من نعيمه. ﴿وَ رَضُوا عَنْهُ﴾ أي رضوا عن ربّهم، و حمدوه، و شكروا له هذا النّعيم الّذي هم فيه. (١٦: ١٦٤٦)

مكارم الشّيرازيّ: هذه الآية تحدّثت عن الجزاء المادّيّ الّذي ينتظر المؤمنين، و عن الجزاء المعنويّ الرّوحي لهم، و هو رضا الله عنهم و رضاهم عنه. إنّهم راضون عن الله، لأنّ الله أعطاهم ما أرادوه، و الله راض عنهم، لأنّهم أدّوا ما أراده منهم، و إن كانت هناك زلّة فقد غفرها بلطفه و كرمه. و أيّة لذّة أعظم من أن يشعر الإنسان أنّه نال رضا المحبوب و وصاله و لقاؤه. نعم، نعيم جسد الإنسان: جنّات الخلد، و نعيم روحه رضا الله و لقاؤه. (٢٠: ٣٣٤)

فضل الله: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنهُمْ﴾ بإيمانهم به و طاعتهم له، ﴿وَ رَضُوا عَنْهُ﴾ في ما أفاض عليهم من نعمة الوجود، و في ما منحهم من نعمه الظّاهرة و الباطنة، في كلّ تفاصيل حياتهم. (٢٤: ٣٦٤)

رَضُوا

١ - وَ مِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَاِنْ اُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَ اِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا اِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ.

التّوبة: ٥٨

الطّبَريّ: يقول: ليس بهم في عيبهم إيّاك فيها و طعنهم عليك بسببها الدّين، و لكنّ الغضب لأنفسهم، فإن أنت أعطيتهم منها ما يُرضيهم رضوا عنك، و إن أنت لم تعطهم منها سخطوا عليك و عابوك. (٦: ٣٩٣)

الطّوسيّ: يعني من الصّدقات، رضوا بذلك

و حمدوك عليه. ﴿وَ إِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ يعني إذا لم يُعطَوْا ما طلبوه من الصّدقات سخطوا و غضبوا. و الصّدقة محرّمة على من كان غنيًّا. (٥: ٢٨٢)

المَيْبُديّ: أي إن كثرت لهم من ذلك فرحوا، و إن أعطيتهم قليلًا سخطوا، أي إنّما دينهم و سخطهم و رضاهم لدنياهم. (٤: ١٥٠)

الزّمخشريّ: وصفهم بأنّ رضاهم و سخطهم لأنفسهم، لا للدّين و ما فيه صلاح أهله، لأنّ رسول الله ﷺ استعطف قلوب أهل مكّة يومئذ بتوفير الغنائم عليهم، فضجر المنافقون منه. (٢: ١٩٧)

الطّبْرسيّ: و أقرّوا بالعدل. (٣: ٤١)

أبو السُّعود: رضوا بما وقع من القسمة و استحسنوها. (٣: ١٦١)

القاسميّ: فجعلوه عدلًا. (٨: ٣١٧٨)

سيّد قُطْب: و لم يُبالوا الحقّ و العدل و الدّين. (٣: ١٦٦٧)

ابن عاشور: و لم يذكر متعلّق ﴿رَضُوا﴾، لأنّ المراد صاروا راضين، أي عنك. (١٠: ١٢٥)

مَغْنيّة: كان النّبيّ ﷺ يوزّع الصّدقات، كما بيّنها الله في الآية التّالية، فيرضى المؤمنون، و يسخط المنافقون، و يلمزونه في قسمته. و الحقّ أنّ أكثر النّاس على حقّ، و الآية تشمل كلّ من لا يرضى بنصيبه، و لو رضي كلّ إنسان بما يستحقّ لعاش الجميع في أمن و رخاء. (٤: ٥٨)

٢ـ ﴿وَ لَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَيهُمُ اللهُ وَ رَسُولُهُ وَ قَالُوا حَسْبُنَا اللهُ سَيُؤْتِينَا اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ رَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللهِ رَاغِبُونَ﴾. التّوبة: ٥٩

المَيْبُديّ: جواب (لَوْ) هاهنا محذوف، و تقدير الآية: لو رضوا بذلك و توكّلوا على الله لكان خيرًا لهم، و العرب كثيرًا يحذفون جواب (لَوْ) في الكلام. (٤: ١٥١)

الزّمَخْشَريّ: جواب (لَوْ) محذوف، تقديره: و لو أنّهم رضوا لكان خيرًا لهم. و المعنى: و لو أنّهم رضوا ما أصابهم به الرّسول من الغنيمة، و طابت به نفوسهم و إن قلّ نصيبهم، و قالوا: كفانا فضل الله و صنعه، و حسبنا ما قسم لنا سيرزقنا الله غنيمة أخرى، فيؤتينا رسول الله ﷺ أكثر ممّا آتانا اليوم. (٢: ١٩٧)

ابن عَطيّة: وصف للحال الّتي ينبغي أن يكون عليها المستقيمون، يقول تعالى: و لو أنّ هؤلاء المنافقين رضوا قسمة الله الرّزق لهم و ما أعطاهم على يدي رسوله، و رجوا أنفسهم فضل الله و رسوله، و أقرّوا بالرّغبة إلى الله، لكان خيرًا لهم و أفضل ممّا هم فيه. و حُذف الجواب من الآية، لدلالة ظاهر الكلام عليه، و ذلك من فصيح الكلام و إيجازه. (٣: ٤٧)

الطّبْرسيّ: معناه: و لو أنّ هؤلاء المنافقين الّذين طلبوا منك الصّدقات و عابوك بها، رضوا بما أعطاهم الله و رسوله. (٣: ٤١)

الفَخْر الرّازيّ: [نحو الزّمَخْشَريّ و أضاف:]

و اعلم أنّ جواب (لَوْ) محذوف، و التّقدير: لكان خيرًا لهم و أعود عليهم؛ و ذلك لأنّه غلب عليهم النّفاق، و لم يحضر الإيمان في قلوبهم، فيتوكّلوا على الله

حقّ توكّله. و ترك الجواب في هذا المعرض أدلّ على التّعظيم و التّهويل، و هو كقولك للرّجل: لو جئتنا، ثمّ لاتذكر الجواب، أي لو فعلت ذلك لرأيت أمرًا عظيمًا.
(١٦ : ٩٨)

أبو حيّان: هذا وصف لحال المستقيمين في دينهم، أي رضوا قسمة الله و رسوله، و قالوا: كفانا فضل الله، و علّقوا آمالهم بما سيؤتيه الله إيّاهم، و كانت رغبتهم إلى الله لاإلى غيره.

و جواب (لَوْ) محذوف، تقديره: لكان خيرًا لهم في دينهم و دنياهم. و كان ذلك الفعل دليلًا على انتقالهم من النّفاق إلى محض الإيمان، لأنّ ذلك تضمّن الرّضا بقسم الله، و الإقرار بالله و بالرّسول؛ إذ كانوا يقولون: سيؤتينا الله من فضله و رسوله.

و قيل: جواب (لَوْ) هو قوله: ﴿وَ قَالُوا﴾ على زيادة الواو، و هو قول كوفيّ. (٥ : ٥٦)

البُرُوسَويّ: أي ما أعطاهم الرّسول من الصّدقات طيّبي النّفوس به و إن قلّ، و ذكر الله تعالى للتّعظيم و التّنبيه على أنّ ما فعله الرّسول ﷺ كان بأمره سبحانه، فلااعتراض عليه، لكون المأمور به موافقًا للحكمة و الصّواب. (٣ : ٤٥٢)

الآلوسيّ: أي ما أعطاهم رسول الله من الصّدقات طيّبي النّفوس به و إن قلّ فـ(مَا) و إن كانت من صيغ العموم، إلّا أنّ ما قبل و ما بعد قرينة على التّخصيص، و بعض أبقاها على العموم، أي ما أعطاهم من الصّدقة أو الغنيمة. قيل: لأنّه الأنسب، و ذكر الله عزّ و جلّ للتّعظيم و للتّنبيه على أنّ ما فعله الرّسول عليه الصّلاة و السّلام كان بأمره سبحانه.
(١٠ : ١٢٠)

سيّد قُطْب: فهذا هو أدب النّفس و أدب اللّسان، و أدب الإيمان: الرّضا بقسمة الله و رسوله، رضا التّسليم و الاقتناع، لارضا القهر و الغلب. و الاكتفاء بالله، و الله كاف عبده.

و الرّجاء في فضل الله و رسوله و الرّغبة في الله خالصة من كلّ كسب مادّيّ، و من كلّ طمع دنيويّ، ذلك أدب الإيمان الصّحيح الّذي ينضح به قلب المؤمن. و إن كانت لاتعرفه قلوب المنافقين، الّذين لم تخالط بشاشة الإيمان أرواحهم، و لم يشرق في قلوبهم نور اليقين. (٣ : ١٦٦٨)

ابن عاشور: و «رضي» إذا تعدّى إلى المفعول دلّ على اختيار المرضيّ، و إذا عُدّي بالباء دلّ على أنّه صار راضيًا بسبب ما دخلت عليه الباء، كقوله: ﴿أَ رَضِيتُمْ بِالْحَيٰوةِ الدُّنْيَا مِنَ الْاٰخِرَةِ﴾ التّوبة: ٣٨.

و إذا عُدّي بـ«عن» فمعناه أنّه تجاوز عن تقصيره أو عن ذنبه ﴿فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللهَ لَا يَرْضٰى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ التّوبة: ٩٦.

فالقول هنا مراد به الكلام مع الاعتقاد، فهو كناية عن اللّازم مع جواز إرادة الملزوم، فإذا أضمروا ذلك في أنفسهم، فذلك من الحالة الممدوحة، و لكن لمّا وقع هذا الكلام في مقابلة حكاية اللّمز في الصّدقات، و اللّمز يكون بالكلام دلالة على الكراهية، جُعل ما يدلّ على الرّضا من الكلام كناية عن الرّضى.
(١٠ : ١٢٦)

الطَّباطَبائيّ: كأنّ الرّضى ضمن معنى الأخذ، و لذا عُدّي بنفسه، أي أخذوا ذلك راضين به، أو رضوا آخذين ذلك. (٩: ٣١٠)

عبدالكريم الخطيب: هو بيان لما ينبغي أن يكون عليه المسلمون جميعًا، إزاء كلّ ما يقول الرّسول أو يعمل، و هو الرّضا المطلق، و التّسليم المطلق بكلّ ما يقضي به، فهو صلوات الله و سلامه عليه، الأمين الّذي ائتمنه الله على دين الله، و القيّم الّذي أقامه الله على عباد الله، و أنّه ﷺ لاينطق عن الهوى، و لايحكم إلّا بما أراه الله، فمن آمن بالله، فلن يكون مؤمنًا حتّى يؤمن ممّا يقضي به رسول الله.

و في ذكر الرّسول الكريم مرّتين في هذا الموضع، مع ذكر الله سبحانه و تعالى ما يكشف عن مقام الرّسول الكريم عند ربّه، و يؤكّد منزلته الرّفيعة عنده. (٥: ٨٠٥)

٣ـ رَضُوا بِاَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَ طُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَايَفْقَهُونَ. التّوبة: ٨٧

راجع: خ ل ف: «الخَوالِفِ».

٤ ـ اِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَاطْمَاَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اٰيَاتِنَا غَافِلُونَ. يونس: ٧

راجع: ط م ن: «اطْمَاَنُّوا»

رَضِيتُ

اَلْيَوْمَ اَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ اَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْاِسْلَامَ دِينًا. المائدة: ٣

الطَّبَريّ: يعني بذلك جلّ ثناؤه: و رضيت لكم الاستسلام لأمري و الانقياد لطاعتي، على ما شرعت لكم من حدوده و فرائضه و معالمه دينًا، يعني بذلك: طاعة منكم لي.

فإن قال قائل: أو ما كان الله راضيًا الإسلام لعباده، إلّا يوم أنزل هذه الآية؟

قيل: لم يزل الله راضيًا لخلقه الإسلام دينًا، و لكنّه جلّ ثناؤه لم يزل يصرف نبيّه محمّدًا ﷺ و أصحابه في درجات الإسلام و مراتبه درجةً بعد درجةٍ و مرتبةً بعد مرتبةٍ و حالًا بعد حال، حتّى أكمل لهم شرائعه و معالمه، و بلغ بهم أقصى درجاته و مراتبه، ثمّ قال حين أنزل عليهم هذه الآية: ﴿وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْاِسْلَامَ دِينًا﴾ بالصّفة الّتي هو بها اليوم، و الحال الّتي أنتم عليها اليوم منه دينًا، فألزموه و لاتفارقوه. (٤: ٤٢١)

نحوه الطُّوسيّ (٣: ٤٣٦)، و الطَّبْرِسيّ (٢: ١٥٩).

المَيْبُديّ: أي اخترت لكم الإسلام، فليس دين أرضى عند الله عزّ و جلّ من الإسلام، يقول الله عزّ و جلّ: ﴿وَ مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْاِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ آل عمران: ٨٥. (٣: ١٩)

الزَّمَخْشَريّ: يعني اخترتُه لكم من بين الأديان، و آذنتكم بأنّه هو الدّين المرضيّ وحده ﴿وَ مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْاِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ آل عمران: ٨٥، ﴿اِنَّ هٰذِهِ اُمَّتُكُمْ اُمَّةً وَاحِدَةً﴾ المؤمنون: ٥٢. (١: ٥٩٣)

ابن عَطيّة: يحتمل «الرّضا» في هذا الموضع أن يكون بمعنى الإرادة، و يحتمل أن يكون صفة فعل عبارة

عن إظهار الله إيّاه، لأنّ الرّضى من الصّفات المتردّدة بين صفات الذّات و صفات الأفعال، و الله تعالى قد أراد لنا الإسلام و رضيه لنا، و ثمّ أشياء يريد الله تعالى وقوعها و لا يرضاها، و الإسلام في هذه الآية هو الّذي في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ﴾ آل عمران: ١٩، و هو الّذي تفسّر في سؤال جبريل النّبيّ ﷺ و هو الإيمان و الأعمال و الشّعب. (٢: ١٥٥)

الفخر الرّازيّ: ثمّ قال تعالى: ﴿وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ و المعنى: أنّ هذا هو الدّين المرضيّ عند الله تعالى، و يؤكّده قوله تعالى: ﴿وَ مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ آل عمران: ٨٥.

(١١: ١٤٠)

القرطبيّ: أي أعلمتكم برضاي به لكم دينًا، فإنّه تعالى لم يزل راضيًا بالإسلام لنا دينًا، فلا يكون لاختصاص الرّضا بذلك اليوم فائدة إن حملناه على ظاهره. و ﴿دِينًا﴾ نصب على التّمييز، و إن شئت على مفعول ثان. و قيل: المعنى و رضيت عنكم إذا انقدتم لي بالدّين الّذي شرعته لكم.

و يحتمل أن يريد ﴿وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ أي و رضيت إسلامكم الّذي أنتم عليه اليوم دينًا باقيًا بكماله إلى آخر الآية، لا أنسخ منه شيئًا. و الله أعلم.

(٦: ٦٣)

البيضاويّ: اخترته لكم دينًا من بين الأديان، و هو الدّين عند الله لا غير. (١: ٢٦٢)

نحوه أبو السّعود. (٢: ٢٣٨)

أبو حيّان: [نقل كلام ابن عطيّة ثمّ قال:]

و كلامه يدلّ على أنّ الرّضا إذا كان من صفات الذّات فهو صفة تغاير الإرادة...

و قيل: رضيت عنكم إذا تعبّدتم لي بالدّين الّذي شرعته لكم. (٣: ٤٢٦)

البروسويّ: [نحو البيضاويّ و أضاف:]

و يجوز أن يكون ﴿رَضِيتُ﴾ بمعنى صيّرت، فقوله: ﴿دِينًا﴾ مفعول ثان له. (٢: ٣٤٣)

الآلوسيّ: أي اخترته لكم من بين الأديان، و هو الدّين عند الله تعالى لا غير. و هو المقبول و عليه المدار.

و قد نُظر في الرّضا معنى الاختيار، و لذا عُدّي باللّام، و منهم من جعل الجارّ صفة لدين قُدّم عليه فانتصب حالًا، و ﴿الْإِسْلَامَ﴾ و ﴿دِينًا﴾ مفعولا ﴿رَضِيتُ﴾ إن ضمّن معنى «صيّر»، أو ﴿دِينًا﴾ منصوب على الحاليّة من ﴿الْإِسْلَامَ﴾ أو تمييز من ﴿لَكُمُ﴾ و الجملة على ما ذهب إليه الكرخيّ مستأنفة لا معطوفة على ﴿أَكْمَلْتُ﴾ و إلّا كان مفهوم ذلك أنّه لم يرض لهم الإسلام قبل ذلك اليوم دينًا.

و ليس كذلك إذ الإسلام لم يزل دينًا مرضيًّا لله تعالى و للنّبيّ ﷺ و أصحابه رضي الله تعالى عنهم منذ شُرع. و الجمهور على العطف، و أُجيب عن التّقييد بأنّ المراد برضاه سبحانه: حكمه جلّ و علا باختياره حكمًا أبديًّا، لا ينسخ وهو كان في ذلك اليوم. (٣: ٢٣٤)

القاسميّ: يعني اخترته لكم من بين الأديان، و آذنتكم بأنّه هو الدّين المرضيّ وحده ﴿وَ مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ آل عمران: ٨٥، أو معناه: الانقياد لأمري فيما شرعت لكم من الفرائض

و الأحكام و الحدود و معالم الدّين الّذي أكملته لكم. و معلوم أنّ الإسلام لم يزل مرضيًّا للحقّ تعالى منذ القِدَم. إلّا أنّ المعنيّ به في الآية: الصّفة الّتي هو اليوم بها، و هي نهاية الكمال و البلوغ به أقصى درجاته، أي فالزموه و لا تفارقوه ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ﴾ آل عمران: ١٩. (٦: ١٨٣١)

سيّد قُطْب: و يقف المؤمن أمام ارتضاء الله الإسلام دينًا للّذين آمنوا، يقف أمام رعاية الله سبحانه و عنايته بهذه الأُمّة، حتّى ليختار لها دينها و يرتضيه، و هو تعبير يشي بحبّ الله لهذه الأُمّة و رضاه عنها، حتّى ليختار لها منهج حياتها.

و إنّ هذه الكلمات الهائلة لتلقي على عاتق هذه الأُمّة عبئًا ثقيلًا، يكافئ هذه الرّعاية الجليلة. أستغفر الله. فما يكافئ هذه الرّعاية الجليلة من الملك الجليل شيء تملك هذه الأُمّة بكلّ أجيالها أن تقدّمه، و إنّما هو جهد الطّاقة في شكر النّعمة، و معرفة المنعم، و إنّما هو إدراك الواجب ثمّ القيام بما يُستطاع منه، و طلب المغفرة و التّجاوز عن التّقصير و القصور فيه.

إنّ ارتضاء الله الإسلام دينًا لهذه الأُمّة، ليقتضي منها ابتداءً أن تُدرك قيمة هذا الاختيار، ثمّ تحرص على الاستقامة على هذا الدّين جهد ما في الطّاقة من وسع و اقتدار، و إلّا فما أنكد و ما أحمق من يهمل ــ بله أن يرفض ــ ما رضيه الله له، ليختار لنفسه غير ما اختاره الله. و إنّها ــ إذن ــ لجريمة نكدة لا تذهب بغير جزاء، و لا يترك صاحبها يمضي ناجيًا أبدًا و قد رفض ما ارتضاه له الله. و لقد يترك الله الّذين لم يتّخذوا الإسلام دينًا لهم، يرتكبون ما يرتكبون و يمهلهم إلى حين، فأمّا الّذين عرفوا هذا الدّين ثمّ تركوه أو رفضوه، و اتّخذوا لأنفسهم مناهج في الحياة غير المنهج الّذي ارتضاه لهم الله، فلن يتركهم الله أبدًا و لن يمهلهم أبدًا، حتّى يذوقوا و بال أمرهم و هم مستحقّون.

و لا نملك أن نمضي أكثر من هذا في هذه الوقفات أمام تلك الكلمات الهائلة. فالأمر يطول. فنقنع بهذه اللّمحات، في هذه الظّلال، و نمضي مع سياق السّورة إلى مقطع جديد. (٢: ٨٤٥)

ابن عاشور: الرّضى بالشّيء: الرّكون إليه و عدم النّفرة منه، و يقابله السُّخط: فقد يرضى أحد شيئًا لنفسه فيقول: رضيت بكذا، و قد يرضى شيئًا لغيره، فهو بمعنى اختياره له، و اعتقاده مناسبته له، فيعدّى باللّام، للدّلالة على أنّ رضاه لأجل غيره، كما تقول: اعتذرت له. و في الحديث: «إنّ الله يرضى لكم ثلاثًا» و كذلك هنا، فلذلك ذكر قوله: ﴿لَكُمْ﴾ و عُدّي ﴿رَضِيتُ﴾ إلى الإسلام بدون الباء. و ظاهر تناسق المعطوفات: أنّ جملة ﴿رَضِيتُ﴾ معطوفة على الجملتين اللّتين قبلها، و أنّ تعلّق الظّرف بالمعطوف عليه الأوّل سار إلى المعطوفين، فيكون المعنى: و رضيت لكم الإسلام دينًا اليوم.

و إذ قد كان رضي الإسلام دينًا للمسلمين ثابتًا في علم الله ذلك اليوم و قبله، تعيّن التّأويل في تعليق ذلك الظّرف بـ ﴿رَضِيتُ﴾، فتأوّله صاحب «الكشّاف» بأنّ المعنى: آذنتكم بذلك في هذا اليوم، أي أعلمتكم يعني أي هذا التّأويل مستفاد من قوله ﴿الْيَوْمَ﴾، لأنّ

الّذي حصل في ذلك اليوم هو إعلان ذلك، و الإيذان به، لاحصول رضى الله به دينًا لهم يومئذ، لأنّ الرّضى به حاصل من قبل، كما دلّت عليه آيات كثيرة سابقة لهذه الآية.

فليس المراد أنّ ﴿رَضِيتُ﴾ مجاز في معنى «أذنت» لعدم استقامة ذلك، لأنّه يزول منه معنى اختيار الإسلام لهم، و هو المقصود، و لأنّه لايصلح للتعدّي إلى قوله: ﴿الْإِسْلَامَ﴾. و إذا كان كذلك فدلالة الخبر على معنى الإيذان من دلالته على لازم من لوازم معناه بالقرينة المعيّنة، فيكون من الكناية في التركيب. و لو شاء أحد أن يجعل هذا من استعمال الخبر في لازم الفائدة، فكما استُعمل الخبر كثيرًا في الدّلالة على كون المخبر عالمًا به، استُعمل هنا في الدّلالة على الإعلام و إعلانه.

و قد يدلّ قوله: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ على أنّ هذا الدّين دين أبديّ، لأنّ الشّيء المختار المدّخر لا يكون إلّا أنفس ما أظهر من الأديان، و الأنفس لايبطله شيء؛ إذ ليس بعده غاية، فتكون الآية مشيرة إلى أنّ نسخ الأحكام، قد انتهى. (٥: ٣٤)

الطّباطبائيّ: ما معنى قوله تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ و تقديره: اليوم رضيت لو كان المراد بالكلام الامتنان بما ذُكر في الآية من المحرّمات يوم عرفة من السّنة العاشرة؟ و ما وجه اختصاص هذا اليوم بأنّ الله سبحانه رضي فيه الإسلام دينًا، و لاأمر يختصّ به اليوم ممّا يناسب هذا الرّضا؟.

و بعد ذلك كلّه يرد على هذا الوجه أكثر الإشكالات الواردة على الوجوه السّابقة، أو ما يقرب منها ممّا تقدّم بيانه، و لانطيل بالإعادة.

أو أنّ المراد بـ﴿الْيَوْمَ﴾ واحد من الأيّام الّتي بين عرفة و بين ورود النّبيّ ﷺ المدينة، على بعض الوجوه المذكورة في معنى يأس الكفّار، و معنى إكمال الدّين، و فيه من الإشكال ما يرد على غيره على التّفصيل المتقدّم.

فهذا شطر من البحث عن الآية بحسب السّير فيما قيل، أو يمكن أن يقال في توجيه معناها، و لنبحث عنها من طريق آخر يناسب طريق البحث الخاصّ بهذا الكتاب. (٥: ١٧٤)

مكارم الشّيرازيّ: و قد وردت في الآية: ٥٥، من سورة النّور، نقطة مهمّة جديرة بالانتباه، فالآية تقول: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾، و الله سبحانه و تعالى يقطع في هذه الآية وعدًا على نفسه بأن يرسخ دعائم الدّين، الّذي ارتضاه للمؤمنين في الأرض.

و لـمّا كان نزول سورة النّور قبل نزول سورة المائدة، و نظرًا إلى جملة ﴿رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ الواردة في الآية الأخيرة موضوع البحث، و الّتي نزلت في حقّ عليّ بن أبي طالب ﷺ، لذلك كلّه نستنتج أنّ حكم الإسلام يتعزّز و يترسّخ في الأرض إذا اقترن بالولاية، لأنّ الإسلام هو الدين الّذي ارتضاه الله و وعد بترسيخ دعائمه و تعزيزه، و بعبارة أوضح أنّ

الإسلام إذا أريد له أن يعمّ العالم كلّه يجب عدم فصله عن ولاية أهل البيت عليهم السلام.

أمّا الأمر الثّاني الّذي نستنتجه من ضمن الآية الواردة في سورة النّور إلى الآية الّتي هي موضوع بحثنا الآن، فهو أنّ الآية الأولى قد أعطت للمؤمنين وعودًا ثلاثة:

أوّلها: الخلافة على الأرض.

و الثّاني: تحقق الأمن و الاستقرار، لكي تكون العبادة للّه وحده.

و الثّالث: استقرار الدّين الّذي يرضاه اللّه في الأرض.

و لقد تحقّقت هذه الوعود الثّلاثة في «يوم غدير خم» بنزول آية: ﴿اَلْيَوْمَ اَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ...﴾ فمثال الإنسان المؤمن الصّالح هو عليّ عليه السلام الّذي نُصب وصيًّا للنّبيّ صلى الله عليه و آله و دلّت عبارة: ﴿اَلْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ...﴾ على أنّ الأمن قد تحقّق بصورة نسبيّة لدى المؤمنين، كما بيّنت عبارة: ﴿وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ أنّ اللّه قد اختار الدّين الّذي يرتضيه، و أقرّه بين عباده المسلمين. (٣: ٥٢٩)

رَضِيتُمْ

١- ﴿اَرَضِيتُمْ بِالْحَيٰوةِ الدُّنْيَا مِنَ الْاٰخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا فِي الْاٰخِرَةِ اِلَّا قَلِيلٌ﴾ التّوبة: ٣٨

الطّبريّ: يقول جلّ ثناؤه، أرضيتم بحظّ الدّنيا و الدّعة فيها عوضًا من نعيم الآخرة و ما عند اللّه للمتّقين في جنانه؟ (٦: ٣٧٢)

الماورْديّ: يعني بمنافع الدّنيا بدلًا من ثواب الآخرة. و الفرق بين الرّضا و الإرادة: أنّ الرّضا لما مضى، و الإرادة لما يأتي. (٢: ٣٦٢)

الطّوسيّ: قال اللّه تعالى لهم على جهة التّوبيخ، و التّعنيف: أرضيتم بالحياة الدّنيا على الآخرة، آثرتم الحياة الدّنيا الفانية على الحياة الآخرة الباقية. و هو استفهام، و المراد به الإنكار. و الرّضا هو الإرادة، غير أنّها لا توصف بذلك إلّا إذا تعلّقت بما مضى من الفعل و الإرادة توصف بما لم يوجد. (٥: ٢٥٥)

القُشَيْريّ: هل يجمل بالعابد أن يختار دنياه على عقباه؟

و هل يحسن بالعارف أن يُؤْثر هواه على رضا مولاه؟ (٣: ٢٥)

ابن عَطيّة: و قوله: ﴿اَرَضِيتُمْ﴾ تقرير: يقول: أرضيتم نزر الدّنيا على خطير الآخرة و حظّها الأسعد، ثمّ أخبر فقال: إنّ الدّنيا بالإضافة إلى الآخرة قليل نزر. فتُعطي قوّة الكلام التّعجّب من ضلال من يرضى النّزر بدل الكثير الباقي. (٣: ٣٤)

الطَّبْرِسيّ: هذا استفهام يراد به الإنكار، و معناه: آثرتم الحياة الدّنيا الفانية على الحياة في الآخرة الباقية، في النّعيم الدّائم. (٣: ٣٠)

نحوه الكاشانيّ (٢: ٣٤٣)، و شبّر (٣: ٧٤).

الفَخْر الرّازيّ: المعنى: كأنّه قيل قد ذكرنا الموجبات الكثيرة الدّاعية إلى القتال، و قد شرحنا المنافع العظيمة الّتي تحصل عند القتال، و بيّنّا أنواع فضائحهم و قبائحهم الّتي تحمل العاقل على مقاتلتهم، فتركتم جميع هذه الأمور، أليس أنّ معبودكم يأمركم

بمقاتلتهم، و تعلمون أنّ طاعة المعبود توجب الثّواب العظيم في الآخرة؟ فهل يليق بالعاقل ترك الثّواب العظيم في الآخرة، لأجل المنفعة اليسيرة الحاصلة في الدّنيا؟

و الدّليل على أنّ متاع الدّنيا في الآخرة قليل، أنّ لذّات الدّنيا خسيسة في أنفسها، و مشوبة بالآفات و البليّات، و منقطعة عن قريب لامحالة، و منافع الآخرة شريفة عالية خالصة عن كلّ الآفات، و دائمة أبديّة سرمديّة، و ذلك يوجب القطع بأنّ متاع الدّنيا قليل حقير خسيس. (١٦ : ٥٩)

القُرطُبيّ: معنى ﴿أَرَضِيتُمْ بِالْحَيٰوةِ الدُّنْيَا...﴾ أي بدلًا، التّقدير: أرضيتم بنعيم الدّنيا بدلًا من نعيم الآخرة؟ فـ (مِنْ) تتضمّن معنى البدل، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلٰئِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾ الزّخرف: ٦٠، أي بدلًا منكم. [ثمّ استشهد بشعر]

عاتبهم الله على إيثار الرّاحة في الدّنيا على الرّاحة في الآخرة، إذ لا تنال راحة الآخرة إلّا بنصب الدّنيا. (٨ : ١٤١)

أبو حَيّان: و في قوله: ﴿أَرَضِيتُمْ﴾ نوع من الإنكار و التّعجّب، أي أرضيتم بالنّعيم العاجل في الدّنيا الزّائل بدل النّعيم الباقي؟ و (مِنْ) تظافرت أقوال المفسّرين على أنّها بمعنى بدل، أي بدل الآخرة. (٥ : ٤١)

نحوه أبو السّعود (٣ : ١٤٨)، و البُرُوسَويّ (٣ : ٤٢٩)، و الآلوسيّ (١٠ : ٩٥).

المَراغيّ: أي أرضيتم بلذّات الدّنيا النّاقصة الفانية بدلًا من سعادة الآخرة الكاملة الباقية؟ و من يفعل ذلك فقد استبدل الّذي هو أدنى بالّذي هو خير. (١٠ : ١٢٠)

سيّد قُطْب: و ما يحجم ذو عقيدة في الله عن النّفرة للجهاد في سبيله، إلّا و في هذه العقيدة دخل، و في إيمان صاحبها بها وَهْن. لذلك يقول الرّسول ﷺ: «من مات و لم يغز، و لم يُحدّث نفسه بغزو مات على شعبة من شعب النّفاق». فالنّفاق ـ و هو دخل في العقيدة يعوّقها عن الصّحّة و الكمال ـ هو الّذي يقعد بمن يزعم أنّه على عقيدة عن الجهاد في سبيل الله، خشية الموت أو الفقر، و الآجال بيد الله، و الرّزق من عند الله. (٣ : ١٦٥٥)

ابن عاشور: و الاستفهام في ﴿أَرَضِيتُمْ بِالْحَيٰوةِ الدُّنْيَا﴾ إنكاريّ توبيخيّ، إذ لا يليق ذلك بالمؤمنين.

و (مِنْ) في ﴿مِنَ الْآخِرَةِ﴾ للبدل، أي كيف ترضون بالحياة الدّنيا بدلًا عن الآخرة.

و مثل ذلك لا يرضى به. و المراد بالحياة الدّنيا، و بالآخرة: منافعهما، فإنّهم لمّا حاولوا التّخلّف عن الجهاد، قد آثروا الرّاحة في الدّنيا على الثّواب الحاصل للمجاهدين في الآخرة.

و اختير فعل ﴿رَضِيتُمْ﴾ دون نحو «آثرتم» أو «فضّلتم»: مبالغة في الإنكار، لأنّ فعل: رضي بكذا، يدلّ على انشراح النّفس. (١٠ : ٩٦)

مَغْنِيّة: أي هل يليق بإيمانكم و عقولكم أن تؤثروا نعيم الدّنيا الحقير الزّائل على نعيم الآخرة العظيم الدّائم؟ (٤ : ٤٤)

الطَّباطَبائيّ: كأنّ الرّضا أشرب معنى القناعة فعدّي بـ(مِنْ) كما يقال: رضيت من المال بطيّبه، و رضيت من القوم بخلّة فلان، و على هذا ففي الكلام نوع من العناية المجازيّة، كأنّ الحياة الدّنيا نوع حقير من الحياة الآخرة قنعوا بها منها، و يشعر بذلك قوله بعده: ﴿فَمَا مَتَاعُ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا فِى الْاٰخِرَةِ اِلَّا قَلِيلٌ﴾.

فمعنى الآية: يا أيّها الّذين آمنوا ما لكم إذا قال لكم النّبيّ ﷺ ـ لم يصرّح باسمه صونًا و تعظيمًا ـ اخرجوا إلى الجهاد، أبطأتم كأنّكم لا تريدون الخروج، أقنعتم بالحياة الدّنيا راضين بها من الآخرة، فما متاع الحياة الدّنيا بالنّسبة إلى الحياة الآخرة إلّا قليل.

و في الآية و ما يتلوها عتاب شديد للمؤمنين، و تهديد عنيف، و هي تقبل الانطباق على غزوة تبوك كما ورد ذلك في أسباب النّزول. (٩: ٢٧٨)

مكارم الشّيرازيّ: فكيف يتسنّى للإنسان العاقل أن يساوم مساومة الخسران؟ و كيف يعوّض متاعًا غاليًا لا يزول بمتاع زائل لا يُعَدّ شيئًا؟ ثمّ تتجاوز الآية مرحلة الملامة و العتاب إلى لهجة أشدّ و أسلوب تهديديّ جديد، فتقول: ﴿اِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا اَلِيمًا﴾. (٦: ٥١)

فضل الله: و استسلمتم لها في عمليّة استبدال و اقتناع بنتائجها، كما لو كانت كلّ شيء في حركة الحياة ﴿مِنَ الْاٰخِرَةِ﴾ أي بدلًا عن الآخرة. (١١: ١١١)

٢ ـ ...اِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ اَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ. التّوبة: ٨٣

راجع: ق ع د: «القُعُودِ» و: خ ل ف: «الخَالِفِينَ».

يَرْضٰى

١ ـ ...وَ هُوَ مَعَهُمْ اِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضٰى مِنَ الْقَوْلِ... النّساء: ١٠٨

راجع: ب ي ت: «يُبَيِّتُونَ».

٢ ـ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَاِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَاِنَّ اللهَ لَا يَرْضٰى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ. التّوبة: ٩٦

الطَّبَريّ: يقول: فإن أنتم أيّها المؤمنون رضيتم عنه و قبلتم معذرتهم، إذا كنتم لا تعلمون صدقهم من كذبهم، فإنّ رضاكم عنهم غير نافعهم عند لله، لأنّ الله يعلم من سرائر أمرهم ما لا تعلمون، و من خفيّ اعتقادهم ما تجهلون، و أنّهم على الكفر بالله، يعني أنّهم الخارجون من الإيمان إلى الكفر بالله و من الطّاعة إلى المعصية. (٦: ٤٥٠)

الطُّوسيّ: بيّن الله تعالى أنّ هؤلاء المنافقين يقسمون بالله طلبًا لمرضاتكم عنهم ﴿فَاِنْ تَرْضَوْا﴾ أيّها المؤمنون ﴿فَاِنَّ اللهَ لَا يَرْضٰى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ الخارجين من طاعته إلى معصيته. و المعنى: أنّه لا ينفعهم رضاكم مع سخط الله عليهم و ارتفاع رضاه عنهم، رضي المؤمنون عنهم أو لم يرضوا. و إنّما علّق هاهنا بذلك لئلّا يتوهّم أنّه إذا رضي المؤمنون فقد رضي الله عنهم أيضًا، فذكر ذلك ليزول هذا الإلباس، و لأنّ المراد بذلك إنّه إذا كان الله لا يرضى عنهم، فينبغي لكم أيضًا أن لا ترضوا عنهم. (٥: ٣٢٧)

القُشَيْريّ: من كان مسخوط الحقّ لا ينفعه أن يكون مرضيّ الخلق، و ليست العبرة بقول غير الله، إنّما المدار على ما سبق من السّعادة في حكم الله.

(٣ : ٥٦)

الْمَيْبُدِيّ: ﴿فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ﴾ يريد فلا ترضوا عنهم. ﴿فَإِنَّ اللهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ بل يسخط عليهم و أنتم ترضون عنهم، و لله لا يرضى عنهم بل الله ساخط عليهم. (٤ : ١٩٤)

الزَّمَخْشَرِيّ: ﴿لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ﴾ أي غرضهم في الحلف بالله طلب رضاكم، لينفعهم ذلك في دنياهم ﴿فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ﴾، فإنّ رضاكم وحدكم لا ينفعهم إذا كان الله ساخطًا عليهم، و كانوا عُرضة لعاجل عقوبته و آجلها.

و قيل: إنّما قيل: ذلك لئلّا يتوهّم متوهّم أنّ رضا المؤمنين يقتضي رضا الله عنهم. (٢ : ٢٠٩)

ابن عَطِيّة: هذه الآية و الّتي قبلها مخاطبة للمؤمنين مع الرّسول، و المعنى: يحلفون لكم مُبطلين و مقصدهم أن ترضوا، لا أنّهم يفعلون ذلك لوجه الله و لا للبرّ. و قوله: ﴿فَإِنْ تَرْضَوْا﴾ إلى آخر الآية، شرط يتضمّن النّهي عن الرّضى عنهم، و حكم هذه الآية يستمرّ في كلّ مغموص عليه ببدعة و نحوها، فإنّ المؤمن ينبغي أن يبغضه و لا يرضى عنه، لسبب من أسباب الدّنيا. (٣ : ٧٣)

الطَّبْرِسيّ: أي طلبًا لمرضاتكم عنهم أيّها المؤمنون ﴿فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ﴾ لجهلكم بحالهم ﴿فَإِنَّ اللهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ الخارجين من طاعته إلى معصيته لعلمه بحالهم. و معناه: أنّه لا ينفعهم رضاكم عنهم مع سخط الله عليهم، و ارتفاع رضاه عنهم. و إنّما قال سبحانه ذلك لئلّا يتوهّم أنّه إذا رضي المؤمنون فقد رضي الله، و المراد بذلك: أنّه إذا كان الله لا يرضى عنهم، فينبغي لكم أيضًا أن لا ترضوا عنهم. و في هذا دلالة على أنّ من طلب بفعله رضا النّاس و لم يطلب رضا الله سبحانه، فإنّ الله يسخط النّاس عليه. (٣ : ٦١)

الفَخْر الرّازيّ: و لـمّا بيّن في الآية أنّهم يحلفون بالله ليُعرض المسلمون عن إيذائهم، بيّن أيضًا أنّهم يحلفون ليرضى المسلمون عنهم، ثمّ إنّه تعالى نهى المسلمين عن أن يرضوا عنهم، فقال: ﴿فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ و المعنى: أنّكم إن رضيتم عنهم مع أنّ الله لا يرضى عنهم، كانت إرادتكم مخالفة لإرادة الله، و أنّ ذلك لا يجوز.

و أقول: إنّ هذه المعاني مذكورة في الآيات السّالفة، و قد أعادها الله هاهنا مرّة أخرى، و أظنّ أنّ الأوّل خطاب مع المنافقين الّذين كانوا في المدينة، و هذا خطاب مع المنافقين من الأعراب و أصحاب البوادي، و لـمّا كانت طرق المنافقين متقاربة سواء كانوا من أهل الحضر أو من أهل البادية، لاجرم كان الكلام معهم على مناهج متقاربة. (١٦ : ١٦٤)

البَيْضاويّ: أي فإنّ رضاكم لا يستلزم رضا الله، و رضاكم وحدكم لا ينفعهم إذا كانوا في سخط الله و بصدد عقابه، أو إن أمكنهم أن يلبسوا عليكم لا يمكنهم أن يلبسوا على الله، فلا يهتك سترهم و لا ينزل الهوان بهم. و المقصود من الآية النّهي عن الرّضا عنهم، و الاغترار بمعاذيرهم بعد الأمر بالإعراض، و عدم الالتفات نحوهم. (١ : ٤٢٩)

أبو حَيّان: و غرضهم في الحلف رضا الرّسول و المؤمنين عنهم لنفعهم في دنياهم، لأنّ مقصدهم وجه الله تعالى. و المراد هي أيمان كاذبة، و أعذار مختلقة لاحقيقة لها. و في الآية قبلها لـمّا ذكر حلفهم لأجل الإعراض، جاء الأمر بالإعراض نصًّا، لأنّ الإعراض من الأمور الّتي تظهر للنّاس، و هنا ذكر الحلف لأجل الرّضا، فأبرز النّهي عن الرّضا في صورة شرطيّة، لأنّ الرّضا من الأمور القلبيّة الّتي تُخفى، و خرج مخرج المتردّد فيه، و جعل جوابه انتفاء رضا الله عنهم، فصار رضا المؤمنين عنهم أبعد شيء في الوقوع، لأنّه معلوم منهم أنّهم لايرضون عمّن لايرضى لله عنهم.

و نصّ على الوصف الموجب لانتفاء الرّضا و هو الفسق، و جاء اللّفظ عامًّا، فيحتمل أن يُراد به الخصوص، كأنّه قيل: فإنّ الله لايرضى عنهم، و يحتمل بقاؤه على العموم فيندرجون فيه، و يكونون أولى بالدّخول؛ إذ العامّ إذا نزل على سبب مخصوص، لايمكن إخراج ذلك السّبب من العموم بتخصيص و لاغيره. (٥: ٩٠)

الشِّرْبينيّ: أي فإن رضيتم عنهم أيّها المؤمنون بما حلفوا إليكم و قبلتم عذرهم ﴿فَإِنَّ اللهَ لَا يَرْضٰى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ لأنّه تعالى يعلم ما في قلوبهم من النّفاق والشّكّ فلا يرضى عنهم. والمقصود من الآية عدم الرّضا عنهم، و الاغترار بمعاذيرهم بعد الأمر بالإعراض عنهم، و عدم الالتفات نحوهم. (١: ٦٤٣)

أبو السُّعود: أي فإنّ رضاكم عنهم لايجديهم نفعًا، لأنّ الله ساخط عليهم، ولاأثر لرضاكم عند سخطه سبحانه. و وضع ﴿الْفَاسِقِينَ﴾ موضع ضميرهم للتّسجيل عليهم بالخروج عن الطّاعة المستوجب لما حلّ بهم من السّخط و للإيذان بشمول الحكم لمن شاركهم في ذلك. و المراد به نهي المخاطبين عن الرّضا عنهم، و الاغترار بمعاذيرهم الكاذبة على أبلغ وجه و آكده، فإنّ الرّضا عمّن لايرضى عنه الله تعالى ممّا لايكاد يصدر عن المؤمن.

و قيل ذلك: لئلّايتوهّم متوهّم أنّ رضا المؤمنين من دواعي رضا الله تعالى. (٣: ١٨٢)

الآلوسيّ: أي فرضاكم لا ينتج لهم نفعًا، لأنّ الله تعالى ساخط عليهم، و لاأثر لرضا أحد مع سخطه تعالى. و جوّز بعضهم كون الرّضا كناية عن التّلبيس، أي إن أمكنهم أن يلبسوا عليكم بالأيمان الكاذبة حتّى يرضوكم، لايمكنهم أن يلبسوا على الله تعالى بذلك حتّى يرضى عنهم، فلايهتك أستارهم و لايهينهم، و هو خلاف الظّاهر. [ثمّ أدام مثل أبي السُّعود] (١١: ٤)

القاسميّ: ﴿لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ﴾ أي باعتقاد طهارة ضمائرهم و إخلاصهم ﴿فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللهَ لَايَرْضٰى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ فيه تبعيد عن الرّضا عنهم على أبلغ وجه و آكده، فإنّ الرّضا عمّن لايرضى الله تعالى عنه، ممّا لا يكاد يصدر عن المؤمن. (٨: ٣٢٣٧)

سيّد قُطْب: إنّهم يطلبون ابتداءً من المسلمين أن يعرضوا عن فعلتهم صفحًا و عفوًا. ثمّ يتدرّجون من هذا إلى طلب رضى المسلمين عنهم، ليضمنوا السّلامة في المجتمع المسلم بهذا الرّضى، و يضمنوا أن يظلّ

المسلمون يعاملونهم بظاهر إسلامهم، كما كانوا يعاملونهم و لايجاهدونهم و يغلظون عليهم، كما أمرهم الله في هذه السّورة أن يفعلوا محدّدًا بذلك العلاقات النّهائيّة بين المسلمين و المنافقين فيهم.

و لكنّ الله سبحانه يقرّر أنّهم فسقوا عن دين الله بهذا القعود النّاشئ عن النّفاق، و أنّ الله لايرضى عن القوم الفاسقين، حتّى و لو استطاعوا أن يحلفوا و يعتذروا حتّى يرضى عنهم المسلمون، و حكم الله فيهم هو الحكم. و رضا النّاس ــ و لو كانوا هم المسلمين في هذه الحالة ـ لايغيّر من غضب الله عليهم، و لايُجديهم فتيلًا. إنّما السّبيل إلى إرضاء الله هو الرّجوع عن هذا الفسق، و العودة إلى دين الله القويم.

و هكذا كشف الله هؤلاء القاعدين من غير عذر في الجماعة المسلمة، و قرّر العلاقات النّهائيّة بين المسلمين و المنافقين، كما قرّرها من قبل بين المسلمين و المشركين، و بين المسلمين و أهل الكتاب، و كانت هذه السّورة هي الحكم النّهائيّ الأخير. (٣: ١٦٩٦)

ابن عاشور: ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ...﴾ هذه الجملة بدل اشتمال من جملة: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ التّوبة: ٩٥، لأنّهم إذا حلفوا لأجل أن يُعرض عنهم المسلمون فلايلُوموهم، فإنّ ذلك يتضمّن طلبهم رضى المسلمين.

و قد فرّع الله على ذلك أنّه إن رضي المسلمون عنهم و أعرضوا عن لومهم، فإنّ الله لا يرضى عن المنافقين. و هذا تحذير للمسلمين من الرّضى عن المنافقين بطريق الكناية، إذ قد علم المسلمون أنّ ما لا يرضى الله لا يكون للمسلمين أن يرضوا به.

و القوم الفاسقون هم هؤلاء المنافقون. و العدول عن الإتيان بضمير «هُمْ» إلى التّعبير بصفتهم، للدّلالة على ذمّهم و تعليل عدم الرّضى عنهم. فالكلام مشتمل على خبر و على دليله، فأفاد مفاد كلامين، لأنّه ينحلّ إلى فإن ترضوا عنهم فإنّ الله لايرضى عنهم، لأنّ الله لا يرضى عن القوم الفاسقين. (١٠: ١٨٦)

مَغْنِيّة: إنّ رضا المؤمن من رضا الله، و الله لايرضى عن الفاسقين، فكيف يرضى المؤمن عنهم؟ و من ادّعى الإيمان بالله، و هو راض على من غضب الله عليه فإنّه منافق، ما في ذلك ريب. (٤: ٩٠)

الطَّباطَبائيّ: أي هذا الحلف منهم كما كان للتّوسّل إلى صرفكم عنهم، ليأمنوا الذّمّ و التّقريع، كذلك هو للتّوسّل إلى رضاكم عنهم. أمّا الإعراض فافعلوه، لأنّهم رجس لاينبغي لنزاهة الإيمان و طهارته أن تتعرّض لرجس النّفاق و الكذب و قذارة الكفر و الفسق. و أمّا الرّضى فاعلموا أنّكم إن ترضوا عنهم، فإنّ الله لايرضى عنهم لفسقهم، و الله لايرضى عن القوم الفاسقين.

فالمراد أنّكم إن رضيتم عنهم فقد رضيتم عمّن لم يرض الله عنه، أي رضيتم بخلاف رضى الله، و لاينبغي لمؤمن أن يرضى عمّا يُسخط ربّه، فهو أبلغ كناية عن النّهي عن الرّضا عن المنافقين. (٩: ٣٦٣)

فضل الله: و هذه هي المرحلة الثّانية الّتي يفكّرون في الوصول إليها، فإذا لم يذكّرهم المسلمون بسوء، كان ذلك ضمانة لهم ليدخلوا إلى عواطفهم من أقرب

طريق، ليحصلوا على الرّضا عنهم، و لكن الله يقول للمسلمين: إنّهم إذا أرادوا تحريك عواطفهم في خطّ رضاه، فينبغي أن لا يرضوا إلّا عمّن يرضى الله عنه. فإذا ابتعدوا عن ذلك، فلايغيّرون شيئًا من الموضوع ﴿فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ ...﴾ الّذين لم يقف بهم الفسق عند حدود الجانب العمليّ من الخطيئة، بل تعدّي ذلك إلى الجانب الفكريّ في خطّ العقيدة: حيث تحوّل إلى كفر بالله و رسوله و اليوم الآخر، فكيف يمكن أن يحصلوا على رضا الله، في هذا الجوّ و كيف يمكن للمسلمين أن يفكّروا بالرّضا عنهم، في الخطّ الّذي لا يرضى به الله عنهم في حساب الدّنيا و الآخرة؟. (١١: ١٩١)

٣ـ ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى...﴾ الزّمر: ٧

ابن عبّاس: يعني الكفّار الّذين لم يرد الله أن يطهّر قلوبهم، فيقولوا: لا إله إلّا الله، ثمّ قال: ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ و هم عباده المخلصون الّذين قال فيهم: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ الحجر: ٤٢، فألزمهم شهادة أن لا إله إلّا الله، و حبّبها إليهم.

(الطّبريّ ١٠: ٦١٧)

السُّدّيّ: ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ لا يرضى لعباده المؤمنين أن يكفروا.

﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ إن تطيعوا يرضه لكم. (الطّبريّ ١٠: ٦١٧)

الطّبريّ: اختلف أهل التّأويل في تأويل قوله: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللهَ﴾ فقال بعضهم: ذلك لخاصّ من النّاس، و معناه: إن تكفروا أيّها المشركون بالله، فإنّ الله غنيّ عنكم، و لا يرضى لعباده المؤمنين الّذين أخلصهم لعبادته و طاعته الكفر.

و قال آخرون: بل ذلك عامّ لجميع النّاس، و معناه: أيّها النّاس إن تكفروا، فإنّ الله غنيّ عنكم، و لا يرضى لكم أن تكفروا به.

و الصّواب من القول في ذلك ما قال الله جلّ و عزّ: إن تكفروا بالله أيّها الكفّار به، فإنّ الله غنيّ عن إيمانكم و عبادتكم إيّاه، و لا يرضى لعباده الكفر، بمعنى و لا يرضى لعباده أن يكفروا به، كما يقال: لست أحبّ الظّلم، و إن أحببت أن يظلم فلان فلانًا فيعاقب.

و قوله: ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ يقول: و إن تومنوا بربكم و تُطيعوه يرض شكركم له؛ و ذلك هو إيمانهم به و طاعتهم إيّاه، فكنّى عن الشّكر و لم يذكر، و إنّما ذكر الفعل الدّالّ عليه؛ و ذلك نظير قوله: ﴿اَلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾ آل عمران: ١٧٣، بمعنى فزادهم قول النّاس لهم ذلك إيمانًا. (١٠: ٦١٧)

نحوه البغويّ. (٤: ٨٠)

الطّوسيّ: ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ و في ذلك دلالة على أنّ الكفر ليس من فعل الله، و لا بإرادته، لأنّه لو كان مريدًا له لكان راضيًا به، لأنّ الرّضا هو الإرادة إذا وقعت على وجهه. ثمّ قال: ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ أي إن تشكروا نعمه و تعترفوا بها يرضه لكم و يريده منكم و يُثيبكم عليه.

و إشباع الهاء أجود، لأنّ الهاء أوّلها متحرّك مثل ﴿شَرًّا يَرَهُ﴾ و ﴿خَيْرًا يَرَهُ﴾ الزّلزال: ٧، ٨، و الهاء إذا انفتح ما قبلها في نحو الفعل، لم يجز إلّا الإشباع، كقولهم: كَهْلُهُو، و الهاء في ﴿يَرْضَهُ﴾ كناية عن المصدر الّذي دلّ عليه ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا﴾ كقولهم: من كذب كان شرًّا له، أي كان الكذب شرًّا له. و من أسكن الهاء قال أبوالحسن: هي لغة كقول الشّاعر:

* و نضواي مشتاقان له أرقان *

فعلى هذه اللّغة يُحمَل دون أن يجري الوصل مجرى الوقف. (٩: ٩)

المَيْبُديّ: ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ﴾ أي لعباده المؤمنين ﴿الْكُفْرَ﴾ و هم الّذين قال الله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ الحجر: ٤٢، فيكون عامًّا في اللّفظ خاصًّا في المعنى، كقوله: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ﴾ الدّهر: ٦، يعني بعض عباد الله. و أجراه قوم على العموم، و هو قول السّلف، قالوا: كفر الكافر غير مرضيّ لله عزّ و جلّ و إن كان بإرادته، و أفعال العباد كلّها خيرها و شرّها مخلوقة لله عزّ و جلّ و إن كان بإرادته، و أفعال العباد مرادة له لاتجري في الملك و الملكوت طرفة عين و لا فلتة خاطر و لا لفتة ناظر إلّا بقضاء الله و قدره و بإرادته و مشيئته، و لاراد لقضائه و لامعقّب لحُكمه، يضلّ من يشاء و يهدي من يشاء لايُسأل عمّا يفعل و هم يُسألون. [و أضاف أفعال العباد كلّها خيرها و شرّها بيدالله إلى أن قال:]

﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ يرضه لكم فيُثيبكم عليه. قرأ أبوعمرو: (يَرْضَهْ) ساكنة الهاء، و يختلسها أهل المدينة، و عاصم و حمزة و الباقون بالإشباع. (٨: ٣٨٢)

الزّمَخْشَريّ: ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ رحمة لهم، لأنّه يوقعهم في الهلكة، ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ﴾ أي يرض الشّكر لكم، لأنّه سبب فوزكم و فلاحكم، فإذن، ما كره كُفركم و لارضي شكركم لكم و لصلاحكم، لا لأنّ منفعة ترجع إليه، لأنّه الغنيّ الّذي لايجوز عليه الحاجة.

و لقد تمحّل بعض الغُواة ليثبّت لله تعالى ما نفاه عن ذاته من الرّضا لعباده الكفر، فقال: هذا من العامّ الّذي أُريد به الخاصّ. [إلى آخر ماتقدّم عن المَيْبُدي]

و قرئ ﴿يَرْضَهُ﴾ بضمّ الهاء بوصل و بغير وصل، و بسكونها. (٣: ٣٨٨)

ابن عَطيّة: و اختلف المتأوّلون من أهل السّنّة في تأويل قوله: ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ فقالت فرقة: الرّضى بمعنى الإرادة، و الكلام ظاهره العموم و معناه الخصوص، فيمن قضى الله له بالإيمان و حتّمه له، و «عِبَادَهُ» على هذا ملائكته و مؤمنو البشر و الجنّ، و هذا يتركّب على قول ابن عبّاس.

و قالت فرقة: الكلام عموم صحيح، و الكفر يقع ممّن يقع بإرادة الله، إلّا أنّه بعد وقوعه لا يرضاه دينًا لهم، فهذا يتركّب على الاحتمال الّذي تقدّمك آنفًا. و معنى لايرضاه، لايشكره لهم و لايثيبهم به خيرًا. فالرّضى على هذا هو صفة فعل لمعنى القبول و نحوه. و تأمّل الإرادة فإنّها حقيقة، إنّما هي فيما لم يقع بعد، و الرّضى فإنّما حقيقة فيما قد وقع، و اعتبر هذا في

آيات القرآن تجده، و إن كانت العرب قد تستعمل في أشعارها على جهة التّجوّز هذا يدل هذا.

و قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ عموم، و الشّكر الحقيقيّ في ضمنه الإيمان.

و قرأ ابن كثير و أبوعمرو و الكِسائيّ: ﴿يَرْضَهُ﴾ بضمّة على الهاء مُشبعة. و قرأ ابن عامر و عاصم ﴿يَرْضَهُ﴾ بضمّة على الهاء غير مُشبعة، و اختلف عن نافع و أبي عمرو. و قرأ عاصم في رواية أبي بكر: (يَرْضَهْ) بسكون الهاء. قال أبو حاتم: و هو غلط لايجوز. (٤: ٥٢١)

الطّبْرسيّ: ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ و في هذا أوضح دلالة على أنّه سبحانه لايريد الكفر الواقع من العباد، لأنّه لو أراده لوجب متى وقع أن يكون راضيًا به لعبده، لأنّ الرّضاء بالفعل ليس إلّا ما ذكرناه؛ ألا ترى أنّه يستحيل أن نريد من غيرنا شيئًا و يقع منه على ما نريده فلا نكون راضين به، أو أن نرضى شيئًا و لم نرده ألبتّة؟ ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ أي و إن تشكروا الله تعالى على نعمه و تعترفوا بها يرضه لكم و يرده منكم و يُثبكم عليه. و الهاء في ﴿يَرْضَهُ﴾ كناية عن المصدر الّذي دلّ عليه ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا﴾ و التّقدير يرضى الشّكر لكم، كقولهم: من كذب كان شرًّا له، أي كان الكذب شرًّا له. (٤: ٤٩١)

الفخر الرّازيّ: قال تعالى بعده: ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ يعني أنّه و إن كان لاينفعه إيمان و لايضرّه كفران، إلّا أنّه لايرضى بالكفر. و احتجّ الجُبّائيّ بهذه الآية من وجهين:

الأوّل: أنّ المجبّرة يقولون: إنّ الله تعالى خلق كفر العباد و إنّه من جهة ما خلقه حقّ و صواب، قال: و لو كان الأمر كذلك لكان قد رضي الكفر من الوجه الّذي خلقه، و ذلك ضدّ الآية.

و الثّاني: لو كان الكفر بقضاء الله تعالى لوجب علينا أن نرضى به، لأنّ الرّضا بقضاء الله تعالى واجب، و حيث اجتمعت الأُمّة على أنّ الرّضا بالكفر كفر، ثبت أنّه ليس بقضاء الله، و ليس أيضًا برضاء الله تعالى.

و أجاب الأصحاب عن هذا الاستدلال من وجوه:

الأوّل: أنّ عادة القرآن جارية بتخصيص لفظ «العباد» بالمؤمنين، قال الله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ الفرقان: ٦٣، و قال: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ﴾ الدّهر: ٦، و قال: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ الحجر: ٤٢، فعلى هذا التّقدير قوله: ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ و لا يرضى للمؤمنين الكفر، و ذلك لايضرّنا.

و الثّاني: أنّا نقول: الكفر بإرادة الله تعالى و لانقول: إنّه برضا الله، لأنّ الرّضا عبارة عن المدح عليه و الثّناء بفعله، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الفتح: ١٨، أي يمدحهم و يُثني عليهم.

و الثّالث: كان الشّيخ الوالد ضياء الدّين عمر رحمه الله يقول: الرّضا عبارة عن ترك اللّوم و الاعتراض، و ليس عبارة عن الإرادة، و الدّليل عليه قول ابن دُرَيْد:

رضيت قسرًا و على القسر رضًا

من كان ذا سخط على صرف القضا

أثبت الرّضا مع القسر، و ذلك يدلّ على ما قلناه.

و الرّابع: هَبْ أنّ الرّضا هو الإرادة إلّا أنّ قوله: ﴿وَلَا يَرْضٰى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ عامّ، فتخصيصه بالآيات الدّالّة على أنّه تعالى يريد الكفر من الكافر، كقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاؤُنَ اِلَّا اَنْ يَشَاءَ اللهُ﴾ الدّهر: ٣٠، و الله أعلم.

ثمّ قال تعالى: ﴿وَاِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ﴾ و المراد أنّه لمّا بيّن أنّه لا يرضى الكفر بيّن أنّه يرضى الشّكر، و فيه مسائل:

المسألة الأولى: اختلف القرّاء في هاء ﴿يَرْضَهُ﴾ على ثلاثة أوجُه:

أحدها: قرأ نافع و أبوعمرو و ابن عامر و عاصم و حمزة بضمّ الهاء مختلسة غير متبعة.

و ثانيها: قرأ أبوعمرو و حمزة في بعض الرّوايات (يَرْضَهْ) ساكنة الهاء للتّخفيف.

و ثالثها: قرأ نافع في بعض الرّوايات و ابن كثير و ابن عامر و الكِسائيّ مضمومة الهاء مشبعة، قال الواحديّ رحمه الله من القرّاء: من أشبع الهاء حتّى ألحق بها واوًا، لأنّ ما قبل الهاء متحرّك فصار بمنزلة «ضربه» و «له»، فكما أنّ هذا مشبع عند الجميع كذلك (يَرْضَه). و منهم من حرّك الهاء و لم يُلحق الواو، لأنّ الأصل: يرضاه، و الألف المحذوفة للجزم ليس يلزم حذفها فكانت كالباقية، و مع بقاء الألف لا يجوز إثبات الواو، فكذا هاهنا. (٢٦: ٢٤٦)

القُرطُبيّ: ﴿وَلَا يَرْضٰى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ أي أن يكفروا، أي لا يحبّ ذلك منهم.

و قال ابن عبّاس و السُّدّيّ: معناه لا يرضى لعباده المؤمنين الكفر، و هم الّذين قال الله فيهم: ﴿اِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ الإسراء: ٦٥، و كقوله: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ﴾ الدّهر: ٦، أي المؤمنون. و هذا على قول من لا يفرّق بين الرّضا و الإرادة.

و قيل: لا يرضى الكفر و إن أراده، فالله تعالى يريد الكفر من الكافر و بإرادته كفر، لا يرضاه و لا يحبّه، فهو يريد كون ما لا يرضاه، و قد أراد الله عزّ و جلّ خلق إبليس و هو لا يرضاه، فالإرادة غير الرّضا. و هذا مذهب أهل السُّنّة.

قوله تعالى: ﴿وَاِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ﴾ أي يرضى الشّكر لكم، لأنّ ﴿تَشْكُرُوا﴾ يدلّ عليه. و قد مضى القول في الشّكر في البقرة، و غيرها. و ﴿يَرْضٰى﴾ بمعنى يُثيب و يُثني، فالرّضا على هذا إمّا ثوابه، فيكون صفة فعل ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَاَزِيدَنَّكُمْ﴾ إبراهيم: ٧، و إمّا ثناؤه فهو صفة ذات. و (يَرْضَهْ) بالإسكان في الهاء قرأ أبوجعفر و أبوعمرو و شيبة و هبيرة عن عاصم. و أشبع الضّمّة ابن ذكوان و ابن كثير و ابن محيصن و الكِسائيّ و ورش عن نافع، و اختلس الباقون. (١٥: ٢٣٦)

أبوحَيّان: و الرّضا بمعنى الإرادة، فعلى هذا هي صفة ذات. و قيل: المراد العموم، كما دلّ عليه اللّفظ، و الرّضا مغاير للإرادة، عبّر به عن الشّكر و الإثابة، أي لا يشكره لهم دينًا و لا يُثيبهم به خيرًا. فالرّضا على

هذا صفة فعل بمعنى القبول و الإثابة. [ثمّ نقل قول الزّمخشريّ و ابن عطيّة إلى قال:]

﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾، قال ابن عبّاس: يضاعف لكم، و كأنّه يريد ثواب الشّكر. و قيل: يقبله منكم. قال صاحب «التّحرير»: قوّة الكلام تدلّ على أن معنى ﴿تَشْكُرُوا﴾: تؤمنوا حتّى يصير بإزاء الكفر، و الله تعالى قد سمّى الأعمال الصّالحة و الطّاعات شكرًا في قوله: ﴿اِعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ سبأ: ١٣، انتهى.

و تقدّم الكلام على هذه الآية في «سبأ». و قرأ النّحويّان، و ابن كثير ﴿يَرْضَهُ﴾ بوصل ضمّة الهاء بواو، و ابن عامر و حفص: بضمّة فقط، و أبوبكر: بسكون الهاء، قال أبو حاتم: و هو غلط لايجوز، انتهى. و ليس بغلط، بل ذلك لغة لبني كلاب و بني عقيل.

(٧: ٤١٧)

الشّربينيّ: ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ﴾ أي لأحد منهم ﴿الْكُفْرَ﴾ أي بالإقبال على ما سواه، وأنتم لا ترضون ذلك لعبيدكم، مع أنّ ملككم لهم في غاية الضّعف. و معنى عدم الرّضا به: لا يفعل فعل الرّاضي، بأن يأذن فيه و يقرّ عليه و يُثيب فاعله و يمدحه، بل يفعل فعل السّاخط بأن ينهى عنه ويذمّ عليه ويعاقب مرتكبه و إن كان بإرادته؛ إذ لايخرج شيء عنها، وهذا قول قَتادة، و السّلف أجروه على عمومه. [ثمّ نقل كلام ابن عبّاس إلى أن قال:]

﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا﴾ الله تعالى، أي فتؤمنوا بربّكم و تطيعوه ﴿يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ أي فيُثيبكم عليه، لأنّه سبب فلاحكم. و قرأ السّوسيّ في الوصل بسكون الهاء، و للدّوريّ و هشام وجهان: السّكون و الضّمّ، و صلة الهاء بواو للدّوريّ، و ابن كثير و ابن ذكوان و الكسائيّ و الباقون بالسّكون، و هو لغة فيه. (٣: ٤٣٤)

أبوالسُّعود: ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ أي عدم رضاه بكفر عباده، لأجل منفعتهم و دفع مضرّتهم، رحمةً عليهم لا لتضرّره تعالى به. ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ أي يرض الشّكر لأجلكم و منفعتكم، لأنّه سبب لفوزكم بسعادة الدّارين، لا لانتفاعه تعالى به. و إنّما قيل ﴿لِعِبَادِهِ﴾ لا لكم، لتعميم الحكم و تعليله، بكونهم عباده تعالى. (٥: ٣٨١)

البُرُوسَويّ: ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ و إن تعلّقت به إرادته تعالى من بعضهم، أي عدم رضاه بكفر عباده، لأجل منفعتهم و دفع مضرّتهم رحمةً عليهم، لا لتضرّره به تعالى.

و إنّما قيل: ﴿لِعِبَادِهِ﴾ لا «لكم» لتعميم الحكم للمؤمنين و الكافرين، و تعليله بكونهم عباده.

و اعلم أنّ الرّضى: ترك السّخط، و الله تعالى لايترك السّخط في حقّ الكافر، لأنّه لسخطه عليه أعدّ له جهنّم، و لايلزم منه عدم الإرادة؛ إذ ليس في الإرادة ما في الرّضى من نوع استحسان، فالله تعالى مريد الخير و الشّرّ، و لكن لا يرضى بالكفر و الفسوق، فإنّ الرّضى إنّما يتعلّق بالحسن من الأفعال دون القبيح، و عليه أهل السّنّة، و كذا أهل الاعتزال.

و قال ابن عبّاس رضي الله عنهما: و الّذي لا يرضى لعباده المؤمنين الكفر، و هم الّذين ذكرهم في قوله: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ الحجر:

٤٢، فيكون عامًّا مخصوصًا، كقوله: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ﴾ الدّهر: ٦، يريد بعض العباد. و عليه بعض الماتريديّة؛ حيث قالوا: إنّ الله يرضى بكفر الكافر و معصية العاصي، كما أنّه يريدهما، صرّح بذلك الجصّاص[1] في «أحكام القرآن». و نقل أنّ هشام بن عبد الملك إنّما قتل غيلان القدريّ، بإشارة عُلماء الشّام بقوله: ﴿وَلَا يَرْضٰى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾. قال هشام: إن لم يكن الله قادرًا على دفع الكفر عن الكافر يكون عاجزًا فلايكون إلهًا، و إن قدر فلم يدفع يكون راضيًا. فأفحم غيلان.

و في «الأسئلة المقحمة»: فإن قيل: هل يقولون: بأنّ كفر الكافر قد رضيه الله تعالى للكافر؟

قلنا: إنّ الله تعالى خلق كفر الكافر و رضيه له، و خلق إيمان المؤمن و رضيه له، و هو مالك الملك على الإطلاق. و تكلّف بعض أهل الأصول، فقال: إنّ الله تعالى لا يرضى بكون الكفر حسنًا و دينًا، لأنّه تعالى يرضى وجوده و هو حسن و لا يخلقه و هو حسن، و على هذا معنى قوله تعالى: ﴿وَاللهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ البقرة: ٢٠٥. و الأليق بأهل الزّمان و الأبعد عن التّشنيع، و الأقرب أن لا يرضى من عباده الكفر مؤمنًا كان أو كافرًا.

يقول الفقير: إنّ رضى الله بكفر الكافر و معصية العاصي، اختياره و إرادته له في الأزل، فلذا لم يتغيّر حكمه في الأبد، لامدحه و ثناؤه و ترك السّخط عليه، فارتفع النّزاع. و من تعمّق في إشارة قوله تعالى: ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ اٰخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلٰى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ هود: ٥٦، انكشف له حقيقة الحال ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا﴾ تؤمنوا به تعالى و توحّدوه، يدلّ عليه ذكره في مقابلة الكفر.

﴿يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ أصله: يرضاه، على أنّ الضّمير عائد إلى الشّكر، حذف الألف علامة للجزم، و هو باختلاس ضمّة الهاء عند أهل المدينة و عاصم و حمزة، و بإسكان الهاء عند أبي عمرو، و بإشباع ضمّة الهاء عند الباقين، لأنّها صارت بخلاف الألف موصولة بمتحرّك، و المعنى: يرضى الشّكر و الإيمان لأجلكم و منفعتكم، لأنّه سبب لفوزكم بسعادة الدّارين، لا لانتفاعه تعالى به.

و في «التّأويلات النّجميّة»: يعني لا يرضى لكفركم ،لأنّه موجب للعذاب الشّديد، و يرضى لشكركم، لأنّه موجب لمزيد النّعمة؛ و ذلك لأنّ رحمته سبقت غضبه. يقول: يا مسكين أنا لا أرضى لك أن لاتكون لي، يا قليل الوفاء، كثير التّجنّي، فإن أطعتني شكرتك و إن ذكرتني ذكرتك. (٨: ٧٦)

الآلوسيّ: ﴿وَلَا يَرْضٰى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ لما فيه من الضّرر عليهم، ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ﴾ أي الشّكر ﴿لَكُمْ﴾ لما فيه من نفعكم. و من قال بالحُسن و القبح العقليّين قال: عدم الرّضا بالكفر لقُبحه العقليّ، و الرّضا بالشّكر لحُسنه العقليّ. و الرّضا إمّا بمعنى المحبّة أو بمعنى الإرادة مع ترك الاعتراض، و يقابله السّخط، كما في شرح «المسايرة»، فـ ﴿عِبَادِهِ﴾ على

[1] في الأصل الخصّاف.

ظاهره من العموم. و منهم من فسّره بالإرادة مِن غير قيد و يقابله الكُره، و هؤلاء يقولونه قد يرضى بالكفر، أي يريده لبعض النّاس كالكفرة. و نقله السّخاويّ عن النّوويّ في كتابه «الأصول و الضّوابط». و ابن الهمام عن الأشعريّ و إمام الحرمين. كذا قاله الخفاجيّ في حواشيه على تفسير البَيْضاويّ.

و الّذي رأيته في «الضّوابط» و هي نسخة صغيرة جدًّا ما نصّه: مسألة مذهب أهل الحقّ، الإيمان بالقدر و إثباته، و أنّ جميع الكائنات خيرها و شرّها بقضاء اللّه تعالى و قدره، و هو مريد لها كلّها، و يكره المعاصي مع أنّه سبحانه مريد لها لحكمة يعلمها جلّ و علا.

و هل يقال: إنّه تعالى يرضى المعاصي و يحبّها؟ فيه مذهبان لأصحابنا المتكلّمين، حكاهما إمام الحرمين و غيره. قال إمام الحرمين في «الإرشاد»: ممّا اختلف فيه أهل الحقّ إطلاق المحبّة و الرّضا، فقال بعض أصحابنا: لا يطلق القول بأنّ اللّه تعالى يحبّ المعاصي و يرضاها، لقوله تعالى: ﴿وَ لَا يَرْضٰى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾.

و من حقّق من أئمّتنا لم يلتفت إلى تهويل المعتزلة، بل قال اللّه تعالى: يريد الكفر و يحبّه و يرضاه، و الإرادة و المحبّة و الرّضا بمعنى واحد، قال: و المراد بـ﴿عِبَادِهِ﴾ في الآية: الموفّقون للإيمان، و أضيفوا إلى ﴿اللّٰه﴾ تعالى تشريفًا لهم، كما في قوله تعالى: ﴿يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللّٰهِ﴾ الدّهر: ٦، أي خواصّهم لا كلّهم، انتهى. فلا تغفل عن الفرق بينه و بين ما ذكره الخفاجيّ، و حُكي تخصيص العباد في «البحر» عن ابن عبّاس.

و قيل: يجوز مع ذلك حمل «العباد» على العموم، و يكون المعنى: و لا يرضى لجميع عباده الكفر، بل يرضاه و يريده لبعضهم، نظير قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ الأنعام: ١٠٣، على قول.

و لعلّامة الأعصار صاحب «الكشف» تحقيق نفيس في هذا المقام لم أره لغيره من العلماء الأعلام، و هو: أنّ الرّضا يقابل السّخط و قد يستعمل بـ«عن» و «الباء» و يعدّى بنفسه، فإذا قلت: رضيت عن فلان، فإنّما يدخل على العين لا المعنى، و لكن باعتبار صدور معنى منه يوجب الرّضا، و في مقابله: سخطت عليه.

و بينهما فرقان: أنّك إذا قلت: رضيت عن فلان بإحسانه، لم يتعيّن «الباء» للسّببيّة، بل جاز أن يكون صلة، مثله في: رضيت بقضاء اللّه تعالى. و إذا قلت: سخطت عليه بإساءته، تعيّن السّببيّة، فكان الأصل هاهنا ذكر الصّلة، لكنّه كثر الحذف في الاستعمال، بخلافه ثَمّت إذ لا حذف.

و إذا قيل: رضيت به، فهذا يجب دخوله على المعنى، إلّا إذا دخل على الذّات تمهيدًا للمعنى ليكون أبلغ، تقول: رضيت بقضاء اللّه تعالى، و رضيت باللّه عزّ و جلّ ربًّا و قاضيًا. و قريب منه: سمعت حديث فلان و سمعته يتحدّث.

و إذا عُدّي بنفسه جاز دخوله على الذّات، كقولك: رضيت زيدًا و إن كان باعتبار المعنى، تنبيهًا على أنّ كلّه مرضيّ بتلك الخصلة، و فيه مبالغة. و جاز دخوله على المعنى، كقولك: رضيت إمارة فلان. و الأوّل أكثر استعمالًا، و هو على نحو قولهم: حمدت زيدًا و حمدت علمه. و أمّا إذا استُعمل باللّام تعدّى

بنفسه، كقولك: رضيت لك هذا، فمعناه ما سيجيء إن شاء الله تعالى قريبًا.

و إذا تمهّد هذا، لاح لك أنّ «الرّضا» في الأصل متعلّقة المعنى، و قد يكون الذّات باعتبار تعلّقه بالمعنى أو باعتبار التّمهيد، فهذه ثلاثة أقسام حقّقت بأمثلتها، و أنّه في الحقيقة حالة نفسانيّة تعقب حصول ملائم مع ابتهاج به و اكتفاء، فهو غير الإرادة بالضّرورة، لأنّها تسبق الفعل و هذا يعقبه، و هذا المعنى في غير المستعمل باللّام من الوضوح بمكان، لايخفى على ذي عينين.

و أمّا فيه فإنّما اشتبه الأمر، لأنّك إذا قلت: رضيت لك التّجارة، فالرّاضي بالتّجارة هو مخاطبك، و إنّما أنت بيّنت له أنّ التّجارة ممّا يحقّ أن يُرضى به، و ليس المعنى رضيت بتجارتك، بل المعنى استحمادك التّجارة له. فالملاءمة هاهنا بين الواقع عليه الفعل و الدّاخل عليه اللّام. ثمّ إنّه قد يرضى بما ترضاه له إذا عُرف وجه الملاءمة، و قد لايرضى. و فيه تجوّز، إمّا لجعل الرّضا مجازًا عن الاستحماد، لأنّ كلّ مرضيّ محمود، أو لأنّك جعلت كونه مرضيًّا له بمنزلة كونه مرضيًّا لك.

فاعلم أنّ الرّضا في حقّ الله تعالى شأنه محال، لأنّه سبحانه لا يحدث له صفة عقيب أمر ألبتّة ، فهو مجاز، كما أنّ الغضب كذلك: إمّا من أسماء الصّفات إذا فسّر بإرادة أن يُثيبهم إثابة من رضي عمّن تحت يده ، و إمّا من أسماء الأفعال إذا أريد الاستحماد، و أنّ مثل قوله تعالى: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ﴾ المائدة: ١١٩، إمّا من باب المشاكلة، و إمّا من باب المجاز المذكور، و أنّ مثل قوله سبحانه: ﴿رَضِيتُ لَكُمُ الْاِسْلَامَ دِينًا﴾ المائدة: ٣، متعيّن أن يكون من ذلك الباب بالنّسبة إلى من يصحّ اتّصافه بالرّضا حقيقة أيضًا.

فإذن قوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْضىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ كلام وارد على نهجه من غير تأويل، دالّ على أنّه جلّ شأنه لايستحمد الكفر لعباده، كما يستحمد الإسلام لهم و يرتضيه. و أمّا أنّه لايريد الكفر أن يوجد، فليس من هذا الباب في شيء، و لاهو من مقتضيات هذا التّركيب، و أنّ الخروج إلى تخصيص العباد من ضيق العطن. و أنّ قول المحقّقين رضي الله تعالى عنهم: إنّ الطّاعات يرضى الله تعالى، و المعاصي ليست كذلك، ليس لهذه الآية بل لأنّ الرّضا بالمعنى الأصليّ يستحيل عليه تعالى، و قد أخبر أنّه رضي عن المؤمنين بسبب طاعتهم، في مواضع عديدة من كتابه الكريم.

و الزّمخشريّ عامله الله تعالى بعدله، فسّر «الرّضا» في نحوه بالاختيار، و هو لا ينفكّ عن الإرادة، و أنت تعلم سقوطه ممّا حقّق هذا.

ثمّ إنّا نقول: لمّا أرشد سبحانه إلى الحقّ، و هدّد على الباطل إكمالًا للرّحمة على عباده كلّهم الفريقين، بقوله تعالى: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا﴾ إلى قوله سبحانه: ﴿يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ تنبيهًا على الغنيّ الذّاتيّ، و أنّه سبحانه تعالى أن يكون أمره بالخير لانتفاعه به، و نهيه عن الشّرّ لتضرّره منه. ثمّ في العدول عن مقتضى الظّاهر من الخطاب إلى قوله تعالى: ﴿وَ لَا يَرْضىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ ما ينبّه على أنّ عبوديّتهم و ربوبيّته جلّ شأنه يقتضي أن لا يرضى لهم ذلك. و فيه أنّهم إذا اتّصفوا بالكفر، فكأنّهم قد

خرجوا عن رتبة عبوديّته تعالى و بقوا في الذّلّ الدّائم، ثمّ قيل: ﴿يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ للتّنبيه على مزيد الاختصاص.

فهذا هو النّظم السّرّيّ الّذي يحار دون إدراك طائفة من لطائفه الفكر البشريّ. و الله أعلم، انتهى.

و هو كلام رصين و بالقبول قمين، إلّا أنّه ربّما يقال: إنّه لايتمشّى على مذهب السّلف؛ حيث إنّهم لايؤوّلون الرّضا في حقّه تعالى، و كونه عبارة عن حالة نفسانيّة، إلى آخر ما ذكر في تفسيره، إنّما هو فينا، و حيث إنّ ذاته تعالى مباينة لسائر الذّوات، فصفاته سبحانه كذلك، فحقيقة الرّضا في حقّه تعالى مباينة لحقيقته فينا، و أين التّراب من ربّ الأرباب؟!

و قد تقدّم الكلام في هذا المقام على وجه يروي الأوام و يُبرئ السّقام. فنقول: عدم التّأويل لايضرّ فيما نحن بصدده، فالرّضا إن أوّل أو لم يُؤوّل غير الإرادة، لحديث السّبق و التّأخّر السّابق. و ممّن صرّح بذلك ابن عَطيّة قال: «تأمّل الإرادة فإنّ حقيقتها إنّما هي فيما لم يقع بعد. و الرّضا حقيقته إنّما هي فيما وقع. و اعتبر هذا في آيات القرآن تجده، و إن كانت العرب قد تستعمل في أشعارها على جهة التّجوّز هذا بدل هذا».

و قد ذهب إلى المغايرة بينهما بما ذكر هنا ابن المنير أيضًا، إلّا أنّه أوّل الرّضا، و ذكر أنّه لا يتأتّى حمله في الآية على الإرادة، و شنّع على الزّمخشريّ في ذلك، جزاء ما تكلّم على بعض أهل السّنّة المخالفين للمعتزلة، في زعمهم اتّحاد الرّضا و الإرادة، و أنّه تعالى قد يُريد ما لا يفعله العبد و قد يفعل العبد ما لايريده عزّ و جلّ. فقال:

هَبْ أنّ المصرّ على هذا المعتقد على قلبه رَيْن أو في ميزان عقله غَبْن، أليس يدّعي أو يُدّعى له أنّه الحَرِّيت في معابر العبارات، فكيف هام عن جادّة الإجادة في يَهْماء، و أعار منادي الحذاقة أذنًا صمّاء، اللّهمّ إلّا أن يكون الهوى إذا تمكّن أرى الباطل حقًّا و غطّى على مكشوف العبارة، فسُحقًا سُحقًا. أليس مقتضى العربيّة فضلًا عن القوانين العقليّة، أنّ المشروط مرتّب على الشّرط، فلايُتصوّر وجود المشروط قبل الشّرط عقلًا، و لامضيّه و استقبال الشّرط لغةً و نقلا، و استقرّ باتّفاق الفريقين ـ أهل السّنّة و أهل البدعة ـ أنّ إرادة الله تعالى لشكر العباد مثلًا مقدّمة على وجود الشّكر منهم، فحينئذ كيف ينساغ حمل الرّضا على الإرادة، و قد جعل في الآية مشروطًا و جزاءً، و جعل وقوع الشّكر شرطًا و مُجزيًا، و اللّازم من ذلك عقلًا تقدّم المراد، و هو الشّكر على الإرادة و هي الرّضا، و لغةً تقدّم المشروط على الشّرط. فإذا ثبت بطلان حمل الرّضا على الإرادة عقلًا و نقلًا، تعيّن الحمل الصّحيح له، و هو المجازاة على الشّكر بما عهد أن يجازي به المرضيّ عنه من الثّواب و الكرامة، فيكون معنى الآية ـ و الله تعالى أعلم ـ و إن تشكروا يجازكم على شكركم جزاء المرضيّ عنه. و لاشكّ أنّ المجازاة مستقبلة بالنّسبة إلى الشّكر، فجرى الشّرط و الجزاء على مقتضاهما لغةً و انتظم ذلك بمقتضى الأدلّة العقليّة على بطلان تقدّم المراد على الإرادة عقلًا، و مثل هذا

يقال في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْضٰى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ أي لايجازي الكافر مجازاة المرضيّ عنه، بل مجازاة المغضوب عليه من النّكال و العقوبة، انتهى.

لا يقال: حيث كان قوله تعالى: ﴿فَاِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ﴾ جزاءً باعتبار الأخبار ـ كما أُشير إليه فيما سلف ـ فليكن قوله تعالى: ﴿يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ جزاءً بذلك الاعتبار، فحينئذ لايلزم أن يكون نفس الرّضا مؤخّرًا، لأنّا نقول: مثل هذا الاعتبار شائع في الجملة الاسميّة المتحقّق مضمونها قبل الشّرط، نحو: ﴿وَاِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ الأنعام: ١٧، و في الفعل الماضي إذا وقع جزاءً، نحو: ﴿اِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ اَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ يوسف: ٧٧، و أمّا في الفعل المضارع فليس كذلك، و الذّوق السّليم يأبى هذا الاعتبار فيه. و مع هذا أيّ حاجة تدعو إلى ذلك هنا و لا أراها إلّا نصرة الباطل، و العياذ بالله تعالى.

ثمّ إنّه يُعلَم من مجموع ما قدّمنا حقّيّة ما قالوا من أنّه لاتلازم بين الإرادة و الرّضا، كما أنّ الرّضا ليس عبارة عن حقيقة الإرادة، لكن ابن تيميّة و تلميذه ابن القيّم قسّما الإرادة إلى قسمين: تكوينيّة و شرعيّة، و ذكرا أنّ المعاصي كالكفر و غيره واقعة بإرادة الله تعالى التّكوينيّة دون إرادته سبحانه الشّرعيّة، و على هذا فالرّضا لاينفكّ عن الإرادة الشّرعيّة، فكلّ مراد لله تعالى بالإرادة الشّرعيّة مرضيّ له سبحانه، و هذا التّقسيم لاأتعقّله إلّا أن تكون الإرادة الشّرعيّة هي الإرادة الّتي يرتضي المراد بها فتدبّر هذا.

و قرأ ابن كثير و نافع في رواية، و أبوعمرو و الكسائيّ ﴿يَرْضَهُ﴾ بإشباع ضمّة الهاء، و القاعدة في إشباع الهاء، و عدمه أنّها إن سكّن ما قبلها لم تُشبَع، نحو: «عليه» و «إليه» و إن تحرّك أُشبعت نحو «به» و «غلامه». و هاهنا قبلها ساكن تقديرًا، و هو الألف المحذوفة للجازم، فإن جُعلت موجودة حُكمًا لم تُشبَع، كما في قراءة ابن عامر و حفص، و إن قُطع النّظر عنها أُشبعت، كما في قراءة من سمعت، و هذا هو الفصيح. و قد تُشبَع و تختلس في غير ذلك، و قد يحسن إشباعها مع فقد الشّرط لنكتة.

و قرأ أبوبكر (يَرْضَهْ) بسكون الهاء، و لم يرضه أبوحاتم، و قال: هو غلط لايجوز، و فيه أنّه لغة لبني كلاب و بني عقيل إجراء للوصل مجرى الوقف.

(٢٣: ٢٤١)

المَراغيّ: ﴿وَلَا يَرْضٰى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ أي لايحبّه و لايأمر به، لأنّه مانع من ارتقاء النّفوس البشريّة، بجعلها ذليلة خاضعة للأرباب المتعدّدة و المعبودات الحقيرة من الخشب و النّصب، و ممّن يأكل الطّعام و يمشي في الأسواق.

﴿وَاِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ لأنّه على مقتضى السّنن القويم، و الصّراط العادل المستقيم، كما قال: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَاَزِيدَنَّكُمْ﴾ إبراهيم: ٧. (٢٣: ١٤٩)

ابن عاشور: ﴿وَلَا يَرْضٰى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ و الرّضى حقيقته: حالة نفسانيّة تعقب حصول ملائم مع ابتهاج به، و هو على التّحقيق فيه معنى ليس في معنى الإرادة، لما فيه من الاستحسان و الابتهاج، و يُعبّر عنه بترك الاعتراض، و لهذا يقابَل الرّضى بالسُّخط،

و تقابل الإرادة بالإكراه، و الرّضى آئل إلى معنى المحبّة.

و الرّضى يترتّب عليه نفاسة المرضيّ عند الرّاضي و تفضيله و اختياره. فإذا أُسند الرّضى إلى الله تعالى، تعيّن أن يكون المقصود لازم معناه الحقيقيّ، لأنّ الله منزّه عن الانفعالات، كشأن إسناد الأفعال و الصّفات الدّالّة في اللّغة على الانفعالات، مثل: الرّحمان و الرّؤوف، و إسناد الغضب و الفرح و المحبّة، فيؤوّل الرّضى بلازمه من الكرامة و العناية و الإثابة إن عُدّي إلى النّاس، و من النّفاسة و الفضل إن عُدّي إلى أسماء المعاني.

و قد فسّره صاحب «الكشّاف» بالاختيار في قوله تعالى: ﴿وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْاِسْلَامَ دِينًا﴾ في سورة المائدة: ٣.

و فعل الرّضى يُعدّى في الغالب بحرف «عَنْ»، فتدخل على اسم عين، لكن باعتبار معنى فيها هو موجب الرّضى. و قد يُعدّى بالباء فيدخل غالبًا على اسم معنى، نحو: رضيت بحكم فلان، و يدخل على اسم ذات باعتبار معنى يدلّ عليه تمييز بعده، نحو: رضيت بالله ربًّا، أو نحوه مثل: ﴿أَرَضِيتُمْ بِالْحَيٰوةِ الدُّنْيَا مِنَ الْاٰخِرَةِ﴾ التّوبة: ٣٨، أو قرينة مقام، كقول قريش في وضع الحجر الأسود: هذا محمّد قد رضينا به، أي رضينا به حَكَمًا؛ إذ هم قد اتّفقوا على تحكيم أوّل داخل.

و يُعدّى بنفسه، و لعلّه يراعي فيه التّضمين، أو الحذف و الإيصال، فيدخل غالبًا على اسم معنى، نحو: رضيت بحكم فلان، بمعنى أحببت حكمه. و في هذه الحالة قد يعدّى إلى مفعول ثان بواسطة لام الجرّ، نحو: ﴿وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْاِسْلَامَ دِينًا﴾ المائدة: ٣، أي رضيته لأجلكم و أحببته لكم، أي لأجلكم، أي لمنفعتكم و فائدتكم. و في هذا التّركيب مبالغة في التّنويه بالشّيء المرضيّ لدى السّامع، حتّى كأنّ المتكلّم يرضاه لأجل السّامع.

فإذا كان قوله: ﴿لِعِبَادِهِ﴾ عامًّا غير مخصوص، و هو من صيغ العموم، ثار في الآية إشكال بين المتكلّمين في تعلّق إرادة الله تعالى بأفعال العباد؛ إذ من الضّروريّ أنّ من عباد الله كثيرًا كافرين، و قد أخبر الله تعالى أنّه لا يرضى لعباده الكفر، و ثبت بالدّليل أنّ كلّ واقع هو مراد الله تعالى؛ إذ لا يقع في ملكه إلّا ما يريد، فأنتج ذلك بطريقة الشّكل الثّالث أن يقال: كفر الكافر مراد لله تعالى، لقوله تعالى: ﴿وَ لَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ الأنعام: ١١٢، و لا شيء من الكفر بمرضيّ لله تعالى، لقوله: ﴿وَ لَا يَرْضٰى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾، ينتج القياس بعض ما أراده الله ليس بمرضيّ له، فتعيّن أن تكون الإرادة و الرّضى حقيقتين مختلفتين، و أن يكون لفظاهما غير مترادفين، و لهذا قال الشّيخ أبو الحسن الأشعريّ: إنّ الإرادة غير الرّضى، و الرّضى غير الإرادة و المشيئة، فالإرادة و المشيئة بمعنى واحد، و الرّضى و المحبّة و الاختيار بمعنى واحد، و هذا حمل لهذه الألفاظ القرآنيّة على معان يمكن معها الجمع بين الآيات.

قال التّفتازانيّ: و هذا مذهب أهل التّحقيق، و ينبني عليها القول في تعلّق الصّفات الإلهيّة بأفعال العباد، فيكون قوله تعالى: ﴿وَ لَا يَرْضٰى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾

راجعًا إلى خطاب التّكاليف الشّرعيّة، و قوله: ﴿وَ لَوْ شاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ الأنعام: ١١٢، راجعًا إلى تعلّق الإرادة بالإيجاد و الخلق.

و يتركّب من مجموعهما و مجموع نظائر كلّ منهما الاعتقاد بأنّ للعباد كسبًا في أفعالهم الاختياريّة، و أنّ الله تتعلّق إرادته بخلق تلك الأفعال الاختياريّة عند توجّه كسب العبد نحوها، فالله خالق لأفعال العبد غير مكتسب لها. و العبد مكتسب غير خالق، فإنّ الكسب عند الأشعريّ هو الاستطاعة المفسّرة عنده بسلامة أسباب الفعل و آلاته، و هي واسطة بين القدرة و الجبر، أي هي دون تعلّق القدرة و فوق تسخير الجبر، جمعًا بين الأدلّة الدّينيّة النّاطقة بمعنى أنّ الله على كلّ شيء قدير، و أنّه خالق كلّ شيء، و بين دلالة الضّرورة على الفرق بين حركة المرتعش و حركة الماشي، و جمعًا بين أدلّة عموم القدرة و بين توجيه الشّريعة خطابها للعباد بالأمر بالإيمان و الأعمال الصّالحة، و النّهي عن الكفر و السّيّئات، و ترتيب الثّواب و العقاب.

و أمّا الّذين رأوا الاتّحاد بين معاني الإرادة و المشيئة و الرّضى، و هو قول كثير من أصحاب الأشعريّ و جميع الماتريديّة، فسلكوا في تأويل الآية محمل لفظ ﴿لِعِبَادِهِ﴾ على العامّ المخصوص، أي لعباده المؤمنين، و استأنسوا لهذا المحمل بأنّه الجاري على غالب استعمال القرآن في لفظة «العباد» لاسم الله، أو ضميره، كقوله: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ﴾ الدّهر: ٦. قالوا: فمن كفر فقد أراد الله كفره، و من آمن فقد أراد الله إيمانه، و التزم كلا الفريقين ـ الأشاعرة و الماتريديّة ـ أصله في تعلّق إرادة الله و قدرته بأفعال العباد الاختياريّة المسمّى بالكسب، و لم يختلفا إلّا في نسبة الأفعال للعباد: أهي حقيقيّة أم مجازيّة؟ و قد عدّ الخلاف في تشبيه الأفعال بين الفريقين لفظيًّا.

و من العجيب تهويل الزّمخشريّ بهذا القول؛ إذ يقول: «و لقد تمحّل بعض الغُواة ليُثبت لله ما نفاه عن ذاته من الرّضى بالكفر، فقال: هذا من العامّ الّذي أُريد به الخاصّ إلخ». فكان آخر كلامه ردًّا لأوّله، و هل يُعَدّ التّأويل تضليلًا أم هل يُعَدّ العامّ المخصوص بالدّليل من النّادر القليل؟

و أمّا المعتزلة فهم بمعزل عن ذلك كلّه، لأنّهم يُثبتون القدرة للعباد على أفعالهم و أنّ أفعال العباد غير مقدورة لله تعالى، و يحملون ما ورد في الكتاب من نسبة أفعال من أفعال العباد إلى الله أو إلى قدرته، أنّه على معنى أنّه خالق أُصولها و أسبابها، و يحملون ما ورد من نفي ذلك كما في قوله: ﴿وَ لَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ على حقيقته، و لذلك أوردوا هذه الآية للاحتجاج بها. و قد أوردها إمام الحرمين في «الإرشاد» في فصل حشر فيه ما استدلّ به المعتزلة من ظواهر الكتاب.

و قوله: ﴿وَ إِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ عطف على جملة ﴿إِنْ تَكْفُرُوا﴾، و المعنى: و إن تشكروا بعد هذه الموعظة، فتقلعوا عن الكفر، و تشكروا الله بالاعتراف له بالوحدانيّة و التّنزيه يرض لكم الشّكر، أي يجازيكم بلوازم الرّضى. و الشّكر يتقوّم من اعتقاد

و قول و عمل جزاء على نعمة حاصلة للشّاكر من المشكور. و الضّمير المنصوب في قوله: ﴿يَرْضَهُ﴾ عائد إلى الشّكر المتصيّد من فعل ﴿وَاِنْ تَشْكُرُوا﴾.

(٢٤: ٢٨)

مَغْنِيّة: قال الأشاعرة: إنّ اللّه مريد لجميع الكائنات حتّى كفر الكافر و زنى الزّاني و قتل القاتل ظلمًا و عدوانًا، لأنّه خالق كلّ شيء، و مع ذلك فهو ينهى عن الكفر و الزّنى و القتل «المواقف: ج ٨ ص: ١٧٣». أمّا التّكليف بما لا يطاق فجائز عند الأشاعرة، لأنّ اللّه لا يجب عليه شيء، و لا يقبح منه شيء «نفس المصدر ص: ٢٠٠». و لا شيء أوضح في الدّلالة على بطلان هذا المذهب، من قوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْضٰى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾.

﴿وَاِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾، و ما يرضاه لنا فهو أمان و رحمة. (٦: ٣٩٧)

الطَّباطَبائيّ: و قوله: ﴿وَلَا يَرْضٰى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ دفع لما ربّما يمكن أن يتوهّم من قوله: ﴿فَاِنَّ اللّٰهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ﴾ أنّه إذا لم يتضرّر بكفر و لم ينتفع بإيمان، فلا موجب له أن يريد منّا الإيمان و الشّكر، فدفعه بأنّ تعلّق العناية الإلهيّة بكم، يقتضي أن لا يرضى بكفركم و أنتم عباده.

و المراد بالكفر: كفر النّعمة الّذي هو ترك الشّكر، بقرينة مقابلة قوله: ﴿وَاِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ و بذلك يظهر أنّ التّعبير بقوله: ﴿لِعِبَادِهِ﴾ دون أن يقول: لَكُمْ للدّلالة على علّة الحكم، أعني سبب عدم الرّضا.

و المحصّل أنّكم عباد مملوكون للّه سبحانه، منغمرون في نعمه. و رابطة المولويّة و العبوديّة ـ و هي نسبة المالكيّة و المملوكيّة ـ لا تلائمه أن يكفر العبد بنعمة سيّده، فينسى ولاية مولاه، و يتّخذ لنفسه أولياء من دونه، و يعصي المولى و يطيع عدوّه، و هو عبد عليه طابع العبوديّة، لا يملك لنفسه نفعًا و لا ضرًّا.

و قوله: ﴿وَاِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ الضّمير للشّكر، نظير قوله تعالى: ﴿اِعْدِلُوا هُوَ اَقْرَبُ لِلتَّقْوٰى﴾ المائدة: ٨، المعنى و إن تشكروا اللّه بالجري على مقتضى العبوديّة و إخلاص الدّين له، يرض الشّكر لكم و أنتم عباده، و الشّكر و الكفر المقابل له ينطبقان على الإيمان و الكفر المقابل له.

و ممّا تقدّم يظهر أنّ العباد في قوله: ﴿وَلَا يَرْضٰى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ عامّ يشمل الجميع، فقول بعضهم: إنّه خاصّ أريد به من عناهم في قوله: ﴿اِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ اِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ الحجر: ٤٢ ـ و هم المخلصون أو المعصومون على ما فسّره الزّمخشريّ، و لازمه أنّ اللّه سبحانه رضي الإيمان لمن آمن و رضي الكفر لمن كفر، إلّا المعصومين، فإنّه أراد منهم الإيمان، و صانهم عن الكفر ـ سخيف جدًّا، و السّياق يأباه كلّ الإباء؛ إذ الكلام مشعر حينئذ برضاه الكفر للكافر، فيؤول معنى الكلام إلى نحو من قولنا: إن تكفروا فإنّ اللّه غنيّ عنكم، و لا يرضى للأنبياء مثلًا الكفر لرضاه لهم الإيمان، و إن تشكروا أنتم يرضه لكم، و إن تكفروا يرضه لكم. و هذا ـ كما ترى ـ معنى رديء ساقط و خاصّة، من حيث وقوعه

في سياق الدّعوة.

. على أنّ الأنبياء مثلًا داخلون فيمن شكر، و قد رضي لهم الشكر و الإيمان و لم يرض لهم الكفر، فلاموجب لإفرادهم بالذّكر، و قد ذكر الرّضا عمّن شكر.

كلام في معنى الرّضا و السّخط من الله

الرّضا من المعاني الّتي يتّصف بها أولو الشّعور و الإرادة و يقابله السّخط، و كلاهما وصفان وجوديّان.

ثمّ الرّضا يتعلّق بالمعاني من الأوصاف و الأفعال دون الذّوات، يقال: رضي له كذا و رضي بكذا، قال تعالى: ﴿وَلَوْ اَنَّهُمْ رَضُوا مَا اٰتٰيهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ﴾ التوبة: ٥٩، و قال: ﴿وَرَضُوا بِالْحَيٰوةِ الدُّنْيَا﴾ يونس: ٧، و ما ربّما يتعلّق بالذّوات، فإنّما هو بعناية مّا، و يؤول بالآخرة إلى المعنى، كقوله: ﴿وَلَنْ تَرْضٰى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارٰى﴾ البقرة: ١٢٠.

و ليس الرّضا هو الإرادة بعينها و إن كان كلّما تعلّقت به الإرادة، فقد تعلّق به الرّضا بعد وقوعه بوجه؛ و ذلك لأنّ الإرادة ـ كما قيل ـ تتعلّق بأمر غير واقع، و الرّضا إنّما يتعلّق بالأمر بعد وقوعه أو فرض وقوعه؛ فإذن كون الإنسان راضيًا بفعل كذا، كونه بحيث يلائم ذلك الفعل و لا ينافره، و هو وصف قائم بالرّاضي دون المرضيّ.

ثمّ الرّضا لكونه متعلّقًا بالأمر بعد وقوعه، كان متحقّقًا بتحقّق المرضيّ حادثًا بحدوثه، فيمتنع أن يكون صفة من الصّفات القائمة بذاته، لتنزّهه تعالى عن أن يكون محلًّا للحوادث، فما نُسب إليه تعالى من الرّضا صفة فعل قائم بفعله منتزع عنه، كالرّحمة و الغضب و الإرادة و الكراهة، قال تعالى: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ البيّنة: ٨، و قال: ﴿وَاَنْ اَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضٰيهُ﴾ النّمل: ١٩، و قال: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْاِسْلَامَ دِينًا﴾ المائدة: ٣.

فرضاه تعالى عن أمر من الأُمور ملائمة فعله تعالى له، و إذ كان فعله قسمين تكوينيّ و تشريعيّ انقسم الرّضا منه أيضًا إلى تكوينيّ و تشريعي، فكلّ أمر تكوينيّ و هو الّذي أراد الله و أوجده، فهو مرضيّ له رضا تكوينيًّا بمعنى كون فعله ـ و هو إيجاده عن مشيئته ـ ملائمًا لما أوجده، و كلّ أمر تشريعيّ و هو الّذي تعلّق به التّكليف من اعتقاد أو عمل كالإيمان و العمل الصّالح، فهو مرضيّ له رضًا تشريعيًّا، بمعنى ملاءمة تشريعه للمأتيّ به.

و أمّا ما يقابل هذه الأُمور المأمور بها ممّا تعلّق به نهي، فلا يتعلّق بها رضًا ألبتّة لعدم ملاءمة التّشريع لها، كالكفر و الفسوق، كما قال تعالى: ﴿اِنْ تَكْفُرُوا فَاِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضٰى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾، و قال: ﴿فَاِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَاِنَّ اللهَ لَا يَرْضٰى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ التّوبة: ٩٦. (١٧: ٢٣٩)

عبد الكريم الخطيب: و هنا أمور:

فأوّلًا: قوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْضٰى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ ما معنى رضا الله هنا؟ و إذا كان سبحانه لا يرضى شيئًا، فكيف يقع ما لا يرضاه؟

المراد بالرّضا هنا: القبول، و يكون معنى أنّ الله

لا يرضى لعباده الكفر، أنّه سبحانه لا يقبله منهم، لأنّه تعالى، طيّب، لا يقبل إلّا طيّبًا، و الكفر نجس، و خبث.

و وجه آخر في هذه الآية: و هو أنّ المراد بالعباد هنا هم المؤمنون، و لهذا أضافهم الله سبحانه و تعالى إليه في قوله تعالى: ﴿لِعِبَادِهِ﴾، و يكون معنى الرّضا على حقيقته، و هو أنّ الله سبحانه لا يرضى لعباده الّذين أراد لهم الإيمان أن يكفروا، فهو سبحانه يهديهم إلى الإيمان، و ييسّر لهم السّبيل إليه، و هذا ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ المائدة: ٣، و على هذا يكون قوله تعالى: ﴿وَ لَا يَرْضٰى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ دعوة للمؤمنين ـ و كلّهم عباد الله ـ أن يكونوا بالمكان الّذي يرضاه الله لهم، و يقبله منهم، و أن ينأوا عمّا لا يرضاه الله لهم، فإنّهم عباده.

و ثانيًا: قوله تعالى: ﴿وَ إِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾. ما المراد بالشّكر هنا؟ و هل هو الإيمان المقابل للكفر؟ أم هو أمر آخر وراء الإيمان؟

الشّكر هنا ـ و الله أعلم ـ هو أمر مترتّب على الإيمان و هو مطلوب من المؤمنين الّذين هداهم الله إلى الإيمان، و يسّر لهم سبله، فكانوا في المؤمنين، و يجب بعد هذا أن يكونوا من الشّاكرين، أن هداهم الله إلى الإيمان.

و ثالثًا: ما ذا عن الّذين كفروا؟ أرضي الله لهم الكفر، و ذلك بمفهوم المخالفة لقوله تعالى: ﴿وَ لَا يَرْضٰى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ على أنّ المراد بعباده هم المؤمنون خاصّة؟

الجواب ـ و الله أعلم ـ: أنّ كفر الكافرين ـ و إن كان إرادة لله سبحانه فيهم، و مشيئة له ـ غالبة عليهم، فإنّه مطلوب منهم أن يعملوا إرادتهم، و يحرّكوا مشيئتهم إلى الإيمان، لأنّهم لا يدرون ما إرادة الله فيهم و لا مشيئته بهم، و تلك هي الحجّة القائمة عليهم.

أمّا أنّ مشيئة الله هي النّافذة، و إرادته هي الغالبة، فهذا أمر لم يمنع العقلاء من أن يعملوا في كلّ ميدان من ميادين العمل، ثمّ هم صائرون حتمًا إلى مشيئة الله و قدره ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَ هُمْ يُسْئَلُونَ﴾ الأنبياء: ٢٣.

و هذا هو موضوع قد عرضنا له أكثر من موضع من هذا التّفسير، و أفردناه ببحث خاصّ، تحت عنوان «القضاء و القدر». (١٢: ١١٢٢)

٤ ـ وَ كَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمٰوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَ يَرْضٰى. النّجم: ٢٦

راجع: ش ف ع «شَفَاعَتُهُمْ».

٥ ـ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلٰى * وَ لَسَوْفَ يَرْضٰى. اللّيل: ٢٠، ٢١

الطّبريّ: يقول: و لسوف يرضى هذا المؤتي ماله في حقوق الله عزّ و جلّ، يتزكّى بما يثيبه الله في الآخرة عوضًا ممّا أتى في الدّنيا في سبيله، إذا لقي ربّه تبارك و تعالى. (١٢: ٦٢٠)

الماوَرْديّ: يحتمل وجهين:

أحدهما: يرضى بما أعطيه لسعته.

الثّاني: يرضى بما أعطيه لقناعته، لأنّ من قنع بغير عطاء كان أطوع لله. (٦: ٢٩٠)

الطُّوسيّ: معناه: أنّ هذا العبد الّذي فعل ما فعله لوجه الله، سوف يرضى بما يعطيه الله على ذلك من الثّواب و جزيل النّعيم يوم القيامة. (١٠: ٣٦٦)

القُشَيْريّ: يرضى الله عنه، و يرضى هو بما يُعطيه. (٦: ٣٠٦)

المَيْبُديّ: أي يرضى الله عنه و يرضى بما يُعطيه الله عزّ و جلّ في الآخرة من الجنّة و الكرامة، جزاءً على ما فعل. لم ينزل هذا الوعد إلّا لرسول الله ﷺ في قوله: ﴿وَ لَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضٰى﴾ الضّحى: ٥. (١٠: ٥١٧)

الزَّمَخْشَريّ: موعد بالثّواب الّذي يُرضيه و يُقرّ عينه.

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة و اللّيل، أعطاه الله حتّى يرضى، و عافاه من العُسر و يسّر له اليُسر». (٤: ٢٦٢)

ابن عَطيّة قرئ (يُرْضٰى) بضمّ الياء على بناء الفعل للمفعول، و هذه الآية تُشبه الرّضى في قوله تعالى: ﴿اِرْجِعِى إِلٰى رَبِّكِ رٰاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾ الفجر: ٢٨، انتهى. (٥: ٤٩٣)

الطَّبْرِسيّ: أي و لسوف يُعطيه الله من الجزاء و الثّواب ما يرضى به، فإنّه يُعطيه كلّ ما تمنّى و لم يخطر بباله، فيرضى به لامحالة. (٥: ٥٠٣)

الفَخْرالرّازيّ: أمّا قوله: ﴿وَ لَسَوْفَ يَرْضٰى﴾، فالمعنى: أنّه وعد أبابكر أن يُرضيه في الآخرة بثوابه، و هو كقوله لرسوله ﷺ: ﴿وَ لَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضٰى﴾ الضّحى: ٥. و فيه عندي وجه آخر، و هو أنّ المراد أنّه ما أنفق إلّا لطلب رضوان الله، و لسوف يرضى الله عنه. و هذا عندي أعظم من الأوّل، لأنّ رضا الله عن عبده أكمل للعبد من رضاه عن ربّه. و بالجملة فلابدّ من حصول الأمرين على ما قال: ﴿رٰاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾ الفجر: ٢٨، و الله سبحانه و تعالى أعلم. (٣١: ٢٠٧)

القُرطُبيّ: أي سوف يعطيه في الجنّة ما يرضى؛ و ذلك أنّه يعطيه أضعاف ما أنفق. (٢٠: ٨٩)

البَيْضاويّ: وعد بالثّواب الّذي يُرضيه. (٢: ٥٦٣)

نحوه الشِّرْبينيّ. (٤: ٥٤٧)

أبوحَيّان: وعد بالثّواب الّذي يرضاه. و قرأ الجمهور: ﴿يَرْضٰى﴾ بفتح الياء، و قرئ: بضمّها، أي يرضى فعله، يرضاه الله و يجازيه عليه. (٨: ٤٨٤)

أبوالسُّعود: جواب قسم مضمر، أي و بالله لسوف يرضى، و هو وعد كريم بنيل جميع ما يبتغيه على أكمل الوجوه و أجملها، إذ به يتحقّق الرّضا. و قرئ (يُرْضٰى) مبنيًّا للمفعول من الإرضاء. (٦: ٤٣٨)

البُرُوسَويّ: جواب قسم مضمر، أي و بالله لسوف يرضى ذلك الأتقى الموصوف بما ذُكر، و هو وعد كريم بنيل جميع ما يبتغيه، على أكمل الوجوه و أجملها، إذ به يتحقّق الرّضى. قال بعضهم: أي يرضى الله عنه و يرضى هو بما يُعطيه الله في الآخرة من الجنّة و الكرامة و الزُّلفى، جزاء على ما فعل. و لم ينزل هذا

الوعد إلّا لرسول الله ﷺ في قوله: ﴿وَ لَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضٰى﴾ الضّحى: ٥، ...

قال البقليّ هذا الرّضى لايكون من المعارف حتّى يفنى في المعروف، و يتّصف بصفاته حتّى يكون نعته في الرّضى نعت الحقّ سبحانه و تعالى. (١٠: ٤٥٢)

الآلوسيّ: جواب قسم مضمر، أي و بالله لسوف يرضى، و الضّمير فيه للأتقى لحدث[1] عنه، و هو وعد كريم بنيل جميع ما يبتغيه على أكمل الوجوه و أجملها؛ إذ به يتحقّق الرّضا. و جوّز الإمام كون الضّمير للرّبّ تعالى؛ حيث قال بعد أن فسّر الجملة: على رجوعه للأتقى. و فيه عندي وجه آخر، و هو أنّ المراد أنّه ما أنفق إلّا لطلب رضوان الله تعالى و لسوف يرضى الله تعالى عنه. و هذا عندي أعظم من الأوّل، لأنّ رضا الله سبحانه عن عبده أكمل للعبد من رضاه عن ربّه عزّ و جلّ. و بالجملة فلابدّ من حصول الأمرين كما قال سبحانه: ﴿رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾ الفجر: ٢٨، انتهى.

و الظّاهر هو الأوّل، و قد قرئ (وَ لَسَوْفَ يُرْضٰى) بالبناء للمفعول من الإرضاء، و ما أشار إليه في معنى ﴿رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾ غير متعيّن كما سمعت. و في هذه الجملة كلام يُعلم ممّا سيأتي قريبًا، إن شاء الله تعالى. (٣٠: ١٥٣)

القاسميّ: [نقل كلام الطّبريّ و قال:]

ففيه وعد كريم بنيل جميع ما يبتغيه على أكمل الوجوه و أجملها؛ إذ به يتحقّق الرّضا. و هذا على أنّ ضمير ﴿يَرْضٰى﴾ لـ﴿الْأَتْقَى﴾ لا للرّبّ. قال الشّهاب: و هو الأنسب بالسّياق، و اتّساق الضّمائر.

و ذهب بعضهم إلى الثّاني، و منهم الإمام، قال: أي و لسوف يرضى الله عن ذلك الأتقى الطّالب بصفة رضاه، ثمّ قال: و التّعبير بـ﴿سَوْفَ﴾ لإفادة أنّ الرّضا يحتاج إلى بذل كثير، و لايكفي القليل من المال، لأن يبلغ العبد درجة الرّضا الإلهيّ. (١٧: ٦١٧٨)

المراغيّ: أي و لسوف يُرضيه ربّه في الآخرة بثوابه و عظيم جزائه.

و في قوله: ﴿وَ لَسَوْفَ﴾ إيماء إلى أنّ الرّضا يحتاج إلى بذل كثير، و لايكفي القليل من المال، لأن يبلغ العبد منزلة الرّضا الإلهيّ. (٣٠: ١٨٠)

سيّد قُطْب: ﴿وَ لَسَوْفَ يَرْضٰى﴾. إنّه الرّضى ينسكب في قلب هذا الأتقى. إنّه الرّضى يغمر روحه، إنّه الرّضى يفيض على جوارحه، إنّه الرّضى يشيع في كيانه، إنّه الرّضى يندى حياته.

و يا له من جزاء، و يا لها من نعمة كبرى، ﴿وَ لَسَوْفَ يَرْضٰى﴾ يرضى بدينه، و يرضى بربّه. و يرضى بقدره، و يرضى بنصيبه، و يرضى بما يجد من سرّاء و ضرّاء. و من غنى و فقر. و من يُسْر و عُسْر. و من رخاء و شدّة. يرضى فلايقلق و لايضيق، و لايستعجل و لايستثقل العبء، و لايستبعد الغاية. إنّ هذا الرّضى جزاء جزاء أكبر من كلّ جزاء جزاء يستحقّه، مَن يبذل له نفسه و ماله، من يُعطي ليتزكّى، و من يبذل ابتغاء وجه ربّه الأعلى.

إنّه جزاء لايمنحه إلّا الله، و هو يسكبه في القلوب

---

(١) كذا والظّاهر: الحدَث عنه.

الّتي تخلص له، فلاترى سواه أحدًا.

﴿وَ لَسَوْفَ يَرْضٰى﴾ يرضى و قد بذل الثّمن، و قد أعطى ما أعطى.

إنّها مفاجأة في موضعها هذا، و لكنّها المفاجأة المرتقبة لمن يبلغ ما بلغه ﴿الْأَتْقَى * الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ * وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ * إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ * وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾. (٦: ٣٩٢٣)

ابن عاشور: و قوله: ﴿وَ لَسَوْفَ يَرْضٰى﴾ وعد بالثّواب الجزيل الّذي يُرضي صاحبه. و هذا تتميم لقوله: ﴿وَ سَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾ لأنّ ذلك ما أفاد إلّا أنّه ناج من عذاب النّار، لاقتضاء المقام الاقتصار على ذلك، لقصد المقابلة مع قوله: ﴿لَا يَصْلٰيهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾، فتمّم هنا بذكر ما أعدّ له من الخيرات.

و حرف ﴿سَوْفَ﴾ لتحقيق الوعد في المستقبل، كقوله: ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾ يوسف: ٩٨، أي يتغلغل رضاه في أزمنة المستقبل المديد. و اللّام لام الابتداء لتأكيد الخبر.

و هذه من جوامع الكلم، لأنّها يندرج تحتها كلّ ما يرغب فيه الرّاغبون. و بهذه السّورة انتهت سورة وسط المفصّل. (٣٠: ٣٤٦)

مَغْنِيّة: ﴿وَ لَسَوْفَ يَرْضٰى﴾ يُعطي الله من أنفق لوجهه كلّ ما يرضيه، و فوق ما كان يرجو و يأمل. و قيل: الضّمير في ﴿يَرْضٰى﴾ يعود إلى الله لا إلى ﴿الْأَتْقَى﴾، و المعنى واحد على التّقديرين، لأنّ الله إذا رضي على عبده، أرضاه لامحالة.

و قال الشّيخ محمّد عبده: روى المفسّرون هنا أسبابًا للنّزول، و أنّ الآيات نزلت في أبي بكر، و متى وجد شيء من ذلك في الصّحيح لم يمنعنا من التّصديق به مانع، و لكن معنى الآيات لا يزال عامًّا. (٧: ٥٧٦)

الطّباطبائيّ: أي و لسوف يرضى هذا الأتقى بما يؤتيه ربّه الأعلى من الأجر الجزيل، و الجزاء الحسن الجميل. (٢٠: ٣٠٧)

عبد الكريم الخطيب: أرضاه[1] لله و أقرّ عينه بما عمل، إنّه أرضى ربّه، فكان حقًّا على الله أن يُرضيه. (١٦: ١٥٩٧)

مكارم الشّيرازيّ: و في خاتمة السّورة ذكر بعبارة موجزة لما ينتظر هذه المجموعة من أجر عظيم تقول الآية: ﴿وَ لَسَوْفَ يَرْضٰى﴾.

نعم، و لسوف يرضى، فهو قد عمل على كسب رضا الله، و الله سبحانه سوف يُرضيه إرضاءً مطلقًا غير مشروط، إرضاءً واسعًا غير محدود، إرضاءً عميق المعنى يستوعب كلّ النّعم، إرضاءً لايمكننا اليوم حتّى تصوّره، و أيّ نعمة أكبر من هذا الرّضى.

نعم، الله أعلى، و جزاؤه أعلى، و لا أعلى من رضا العبد رضًا مطلقًا.

احتمل بعض المفسّرين أن يكون الضّمير في ﴿يَرْضٰى﴾ عائدًا إلى الله سبحانه، أي إنّ الله سوف يرضى عن هذه المجموعة، و هذا الرّضا أيضًا نعمة ما بعدها نعمة نعمة رضا الله عن هذا العبد بشكل مطلق غير مشروط، و من المؤكّد أنّ هذا الرّضا يتبعه رضا

---

(١) كذا والظّاهر: أرضاه الله.

العبد الأتقى.

فالإثنان متلازمان، و قد جاء في الآية : ٨، من سورة البيّنة قوله سبحانه: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ و قوله تعالى في الآية : ٢٨، من سورة الفجر : ﴿رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾ لكنّ التّفسير الأوّل أنسب.

(٢٠: ٢٤٢)

فضل الله: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ فإنّ الله يمنح رضوانه للأتقياء الّذين يعيشون الحياة كلّها خوفًا من الله، و محبّةً له، و إخلاصًا لمقامه العظيم. و هذا ما ينبغي للإنسان أن يعيشه في وعيه و في داخل ذاته، ليعرف كيف يحرّك كلّ نشاطاته في سبيل رضى الله.

(٢٤: ٣٠٠)

يَرْضَوْنَهُ

لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ. الحجّ: ٥٩

راجع: د خ ل: «مُدْخَلًا».

يَرْضَيْنَ

...وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَلِيمًا. الأحزاب : ٥١

قَتادَة: إذا علمن أنّ هذا جاء من الله لرخصة، كان أطيب لأنفسهنّ، و أقلّ لحزنهنّ. (١٠: ٣١٦)

الطّبَريّ: و إنّما معنى الكلام: و يرضين كلّهنّ، فإنّما هو توكيد لما في ﴿يَرْضَيْنَ﴾ من ذكر النّساء، و إذا جُعل توكيدًا للهاء الّتي في ﴿آتَيْتَهُنَّ﴾ لم يكن له معنى، و القراءة بنصبه غير جائزة لذلك، و لإجماع الحجّة من القرّاء على تخطئة قارئه كذلك. (١٠: ٣١٦)

الطّوسيّ: ﴿وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ﴾ رفع ﴿كُلُّهُنَّ﴾ على تأكيد الضّمير، و هو النّون في ﴿يَرْضَيْنَ﴾ لا يجوز غير ذلك، لأنّ المعنى عليه. (٨: ٥٥)

الزّمَخْشَريّ: ﴿كُلُّهُنَّ﴾ تأكيد لنون ﴿يَرْضَيْنَ﴾ و قرأ ابن مَسعود: (و يرضين كلّهنّ بما آتيتهنّ) على التّقديم. و قرأ (كلّهنّ)، تأكيدًا لـ(هنّ) في ﴿آتَيْتَهُنَّ﴾. (٣: ٢٧٠)

ابن عَطيّة: و قرأ جمهور النّاس ﴿كُلُّهُنَّ﴾ بالرّفع على التّأكيد للضّمير في ﴿يَرْضَيْنَ﴾ و لم يُجوّز الطّبَريّ غير هذا. و قرأ جويريّة بن عابد بالنّصب على التّأكيد في ﴿آتَيْتَهُنَّ﴾.

و المعنى: أنّهنّ يُسلّمن لله و لحكمه، و كنّ قبل لا يتسامحن بينهنّ للغيرة، و لا يسلّمن للنّبيّ ﷺ أنفة، نحا إلى هذا المعنى ابن زَيْد و قَتادَة. (٤: ٣٩٣)

نحوه النّيسابوريّ (٢٢: ٢٥)، و أبوحَيّان (٧: ٢٤٣).

الطّبْرِسيّ: معناه أنّهنّ إذا علمن أنّ له ردّهنّ إلى فراشه بعد ما اعتزلهنّ، قرّت أعينهنّ و لم يحزنّ، و يرضين بما يفعله النّبيّ ﷺ من التّسوية و التّفضيل، لأنّهنّ يعلمن أنّهنّ لم يُطلّقن، عن ابن عبّاس و مُجاهِد.

و قيل: معناه ذلك أطيب لنفوسهنّ و أقلّ لحزنهنّ، إذا علمن أنّ لك الرّخصة بذلك من الله تعالى، و يرضين بما يفعله النّبيّ ﷺ من التّسوية و التّفضيل، عن قَتادَة. (٤: ٣٦٧)

الفَخرالرّازيّ: ﴿وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ﴾ من الإرجاء و الإيواء؛ إذ ليس لهنّ عليك شيء حتّى لا يرضين. (٢٥: ٢٢١)

القُرطُبيّ: توكيد للضّمير، أي و يرضين كلّهنّ.

و أجاز أبو حاتم و الزّجّاج ﴿وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلَّهُنَّ﴾ على التّوكيد للمضمر الّذي في ﴿آتَيْتَهُنَّ﴾.

والفرّاء لا يجيزه، لأنّ المعنى ليس عليه؛ إذ كان المعنى: و ترضى كلّ واحدة منهنّ، و ليس المعنى: بما أعطيتهنّ كلّهن. النّحّاس: والّذي قاله حسَنٌ. (١٤: ٢١٨)

أبو السُّعود: أي أقرب الى قُرَّة عيونهنّ ورضاهنّ جميعًا، لأنّه حكم كلّهنّ فيه سواء، ثمّ إن سوّيتَ بينهنّ وجدن ذلك تفضّلًا منك، وإن رجّحت بعضهنّ علمن أنّه بحكم الله، فتطمئنّ به نفوسهنّ.

وقرئ (تُقِرّ) بضمّ التّاء و نصب (أعْيُنَهُنَّ)، و (تُقَرُّ) على البناء للمفعول و ﴿كُلُّهُنَّ﴾ تأكيد لنون ﴿يَرْضَيْنَ﴾ و قرئ بالنّصب على أنّه تأكيد لـ (هُنّ). (٥: ٢٣٤)

البُرُوسَويّ: قوله: ﴿كُلُّهُنَّ﴾ بالرّفع تأكيد لفاعل ﴿وَيَرْضَيْنَ﴾ و هو النّون، أي أقرب إلى قرّة عيونهنّ و قلّة حزنهنّ و رضاهنّ جميعًا، لأنّه حكم كلّهن فيه سواء، ثمّ إن سوّيتَ بينهنّ وجدن ذلك تفضّلًا منك، و إن رجّحت بعضهنّ علمن أنّه بحكم الله، فتطمئنّ به نفوسهنّ، و يذهب التّنافس و التّغاير فرضين بذلك، فاخترنه على الشّرط. و لذا قصّره الله عليهنّ و حرّم عليه طلاقهنّ و التّزوّج بسواهنّ، و جعلهنّ أمّهات المؤمنين، كما في تفسير الجلالين. (٧: ٢٠٨)

الآلوسيّ: ﴿كُلُّهُنَّ﴾ بالرّفع في جميع ذلك، و هو توكيد لنون ﴿يَرْضَيْنَ﴾

و قرأ أبو إياس جويّة بن عائذ (كُلَّهُنَّ) بالنّصب تأكيدًا لضميره في ﴿آتَيْتَهُنَّ﴾ قال ابن جنّي: و هذه القراءة راجعة إلى معنى قراءة العامّة ﴿كُلُّهُنَّ﴾ بضمّ اللّام، و ذلك أنّ رضاهنّ كلّهنّ بما أوتين كلّهنّ على انفرادهنّ و اجتماعهنّ، فالمعنيان إذن واحد إلّا أنّ للرّفع معنًى؛ و ذلك أنّ فيه إصراحًا من اللّفظ بأن يرضين كلّهن، و الإصراح في القراءة الشّاذّة إنّما هو في إتيانهنّ، و إن كان محصول الحال فيهما واحدًا مع التّأويل، انتهى.

و قال الطّيّبيّ: في توكيد الفاعل دون المفعول إظهار لكمال الرّضا منهنّ و إن لم يكن الإيتاء كاملًا سويًّا، و في توكيد المفعول إظهار أنّهنّ مع كمال الإيتاء غير كاملات في الرّضا. و الأوّل أبلغ في المدح، لأنّ فيه معنى التّتميم و ذلك أنّ المؤكّد يرفع إيهام التّجوّز عن المؤكّد، انتهى. فتأمّل. (٢٢: ٦٣)

ابن عاشور: و في قوله: ﴿وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ﴾ إشارة إلى أنّ المراد الرّضى الّذي يتساوين فيه، و إلّا لم يكن للتّأكيد بـ ﴿كُلُّهُنَّ﴾ نكتة زائدة، فالجمع بين ضمير (هُنّ) في قوله: ﴿كُلُّهُنَّ﴾ يومئ إلى رضى متساو بينهنّ. (٢١: ٣٠١)

مَغْنِيّة: ذلك إشارة إلى تفويض الأمر إلى مشيئة النّبيّ ﷺ، و المعنى: أنّهن متى علمن أنّ الأمر إليك لا إليهن في التّسوية بينهنّ، رضيت كلّ واحدة بما تُعطيها من المعاشرة قليلًا كان أو كثيرًا لعلمها بأنّ ذلك

تفضّل منك، و ليس بواجب عليك. و مع هذا فقد كـان النّبيّ يساوي بين أزواجه. (٦: ٢٣٢)

مكارم الشّيرازيّ: و ذلك لأنّ هذا الحكم عـامّ يشملهنّ جميعًـا، و لا يتفـاوتن فيهـا أوّلًا. و ثانيًـا: إنّ الحكم الّذي يشرع من جانب الله سبحانه إنّما يشـرع لمصلحة مهمّة، و بناء على هـذا فيجـب الإذعـان لـه برغبة و رضًا، فينبغي مضافًا إلى عدم القلق و التّأثّر أن يفرحن لذلك. لكن النّبيّ ﷺ ـ و كما أشرنا إلى ذلك ـ كان يراعي تقـسيم أوقاته بينهنّ بعدالة قدر المسـتطاع، إلّا في الظّـروف الخاصّـة الّـتي كانـت توجـب عـدم التّسوية و تحتّمه، و كان هذا بحدّ ذاته مطلبًا آخر يبعث على ارتياحهنّ، لأنّهنّ كنّ يرين أنّ النّبيّ ﷺ يسـعى للتّسـوية بينهنّ مع كونه مخيّرًا. (١٣: ٢٩١)

فضل الله: لأنّهن يشعرن بأنّ الله عنـد مـا جعـل الأمر إليك، فإنّه جعل لهنّ ضمانة كـبيرة في الحصـول على الحيـاة الكريمـة الرّحيمـة، و المعاملـة الحسـنة، و الميزان العادل الّذي لن تختار فيه إلّا مـا يحقّـق لهـنّ الرّضا و الطّمأنينة و قرّة العين، لأنّ إنسانيّة الرّسالة في عمق شخصيّتك، و روحانيّة الشّعور الرّحيم في قلبك، لا تتحرّكان إلّا بالخير كلّه، و الإحسان كلّـه، و العـدل كلّه. (١٨: ٣٣٥)

تَرْضٰى

١ ـ وَ لَنْ تَرْضٰى عَنْكَ الْيَهُودُ وَ لَا النَّصَارٰى حَتّٰى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ... البقرة: ١٢٠

الطّبريّ: و ليست اليهود يا محمّد و لا النّصـارى براضية عنك أبدًا، فدع طلب ما يُرضـيهم و يـوافقهم، و أقبل على طلب رضا الله في دعائهم إلى ما بعثك الله به من الحقّ، فإنّ الّذي تدعوهم إليه من ذلك لهو السّبيل إلى الاجتماع فيه معك، على الأُلفـة و الـدّين القـيّم. و لا سبيل لك إلى إرضائهم باتّباع ملّتهم، لأنّ اليهوديّة ضدّ النّصرانيّة، و النّصرانيّة ضدّ اليهوديّـة، و لا تجتمـع النّصرانيّة و اليهوديّة في شخص واحد في حال واحدة، و اليهود و النّصارى لا تجتمع على الرّضـا بـك، إلّا أن تكون يهوديًّا نصرانيًّا، و ذلك ممّا لا يكون منـك أبـدًا، لأنّك شخص واحد، و لن يجتمع فيك دينان متضادّان في حال واحدة. و إذا لم يكن إلى اجتماعهمـا فيـك في وقت واحد سبيل، لم يكن لـك إلى إرضـاء الفـريقين سبيل. و إذا لم يكن لك إلى ذلك سبيل، فالزم هدى الله الّذي لجميع الخلق إلى الأُلفة عليه سبيل. (١: ٥٦٥)

الزّجّاج: و ﴿تَرْضٰى﴾ يقال في مصـدره رضـي يرضى رضًا و مرضاةً، و رضوانًا و رُضوانًـا. و يـروى عـن عاصـم في كـلّ مـا في القـرآن مـن «رضـوان» الوجهان جميعًا. فأمّا ما يرويه عنه أبو عمرو «فرضوان» بالكسر و ما يرويه أبو بكر بـن عيّـاش: «فَرُضْـوان»، و المصادر تأتي على فِعْلان و فُعْلان» فأمّـا فَعْـلان، فقولك عرفته عِرْفانًا، و حسبته حسبانًا. و أمّا فُعْـلان، كقولك: غفرانك لا كفرانك. (١: ٢٠١)

الطّوسيّ: قيل: في معنى هذه الآية قولان:

أحدهما: أنّ النّبيّ ﷺ كان مجتهـدًا في طلـب مـا يُرضيهم، ليقبلوا إلى الإسلام و يتركوا القتال، فقيل له: دَعْ ما يُرضـيهم إلى ما أمر الله به من مجاهدتهم.

قال الزّجّاج: كانوا يسـألونه ﷺ الهدنة و المسالمة

و يرونه أنّه إن أمهلهم أسلموا. فأعلمه الله أنّهم لن يرضوا عنه حتّى يتّبع ملّتهم. و هذه الآية تدلّ أنّه لايصحّ إرضاء اليهود و لاالنّصارى على حال، لأنّه تعالى علّقه بأنّ اليهودلايرضون عنه حتّى يكون ﷺ يهوديًّا، و النّصارى لايرضون عنه حتّى يكون نصرانيًّا، فاستحال أن يكون يهوديًّا نصرانيًّا في حال، و استحال إرضاؤهم بذلك. (١: ٤٣٩)

نحوه الطّبْرسيّ. (١: ١٩٧)

القُشَيْريّ: لاتبال برضاء الأعداء بعد ما حصل لك رضانا، فإنّهم لايرضون عنك إلّا بمتابعة أديانهم، و دون ذلك لهم حظّ القتال، فأعلن التّبرّي منهم، و أظهر الخلاف معهم، و انصب العداوة لهم، و اعلم أنّ مساكنتهم إلى ما يرضون سبب الشّقاوة المؤبّدة، فاحرص ألّايخطر ذلك ببالك، و ادع إلى البراءة عنهم و عن طريقتهم أمّتك، و كن بنا لنا، متبرّئًا عمّن سوانا، واثقًا بنصرتنا، فإنّك بنا و لنا. (١: ١٣٠)

الزّمَخْشَريّ: كأنّهم قالوا: لن نرضى عنك و إن أبلغت في طلب رضانا حتّى تتّبع ملّتنا، إقناطًا منهم لرسول الله ﷺ عن دخولهم في الإسلام، فحكى الله عزّ و جلّ كلامهم. (١: ٣٠٨)

الفَخْرالرّازيّ: اعلم أنّه تعالى لمّا صبّر رسوله بما تقدّم من الآية، و بيّن أنّ العلّة قد انزاحت من قبله لامن قبلهم، و أنّه لاعذر لهم في الثّبات على التّكذيب به، عقّب ذلك بأنّ القوم بلغ حالهم في تشدّدهم في باطلهم و ثباتهم على كفرهم، أنّهم يريدون مع ذلك أن يتّبع ملّتهم، و لايرضون منه بالكتاب، بل يريدون منه الموافقة لهم فيما هم عليه، فبيّن بذلك شدّة عداوتهم للرّسول، و شرح ما يوجب اليأس من موافقتهم. (٤: ٣٤)

القُرطُبيّ: المعنى: ليس غرضهم يا محمّد بما يقترحون من الآيات أن يؤمنوا، بل لو أتيتهم بكلّ ما يسألون لم يرضوا عنك، و إنّما يُرضيهم ترك ما أنت عليه من الإسلام و اتّباعهم. يقال: رضي يرضى رِضًا و رُضًا و رضوانًا و رُضوانًا و مَرْضاة، و هو من ذوات الواو، و يقال في التّثنية: رضَوان، و حكى الكِسائيّ: رضيان. و حكي رضاء ممدود، و كأنّه مصدر راضى يُراضي مُراضاةً و رِضاءً. (٢: ٩٢)

أبوحَيّان: و الظّاهر أنّ قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضٰى﴾ خطاب للنّبيّ ﷺ علّق رضاهم عنه بأمر مستحيل الوقوع منه ﷺ، و هو اتّباع ملّتهم. و المعلّق بالمستحيل مستحيل، سواء فسّرنا الملّة بالشّريعة، أو فسّرناها بالقبلة، أو فسّرناها بالقرآن.

و قيل: هو خطاب له، و هو تأديب لأمّته، فإنّهم يعلمون قدره عند ربّه، و إنّما ذلك ليتأدّب به المؤمنون، فلايوالون الكافرين، فإنّهم لايُرضيهم منهم إلّا اتّباع دينهم.

و قيل: هو خطاب له، و المراد أمّته، لأنّ المخاطب لايمكن ما خوطب به أن يقع منه، فيُصرف ذلك إلى من يمكن ذلك منه، مثل قوله: ﴿لَئِنْ اَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ الزّمر: ٦٥، و يكون تنبيهًا من الله على أنّ اليهود و النّصارى يخادعونكم بما يُظهرون من الميل و طلب المهادنة و الوعد بالموافقة، و لايقع رضاهم إلّا

بإتّباع ملّتهم. (١: ٣٦٨)

أبو السّعود: بيان لكمال شدّة شكيمة هاتين الطّائفتين، خاصّة إثر بيان ما يعمّهما و المشركين من الإصرار على ما هم عليه إلى الموت. و إيراد «لا» النّافية بين المعطوفين لتأكيد النّفي، لما مرّ من أن تصلّب اليهود في أمثال هذه العظائم أشدّ من النّصارى، و الإشعار بأنّ رضى كلّ منهما مباين لرضى الأُخرى، أي لن ترضى عنك اليهود و لو خلّيتهم و شأنهم حتّى تتّبع ملّتهم، و لا النّصارى و لو تركتم و دينهم حتّى تتّبع ملّتهم، فأوجز النّظم ثقة بظهور المراد.

و فيه من المبالغة في إقناطه ﷺ من إسلامهم ما لا غاية وراءه، فإنّهم حيث لم يرضوا عنه ﷺ و لو خلّاهم يفعلون ما يفعلون، بل أمّلوا منه ما لا يكاد يدخل تحت الإمكان من اتّباعه ﷺ لملّتهم، فكيف يتوهّم اتّباعهم لملّته ﷺ و هذه حالتهم في أنفسهم و مقالتهم فيما بينهم. و أمّا إنّهم أظهروها للنّبيّ وشافهوه بذلك، و قالوا: لن ترضى عنك و إن بالغت في طلب رضانا حتّى تتّبع ملّتنا ـ كما قيل ـ، فلا يساعده النّظم الكريم، بل فيه ما يدلّ على خلافه.

(١: ١٨٩)

البُرُوسَويّ: إقناط له ﷺ من طمعه في إسلامهم: حيث علّق رضاهم عنه بما لا سبيل إليه و ما يستحيل وجوده، و إذا لم يرضوا عنه فكيف يتّبعون ملّته، أي دينه، أي لن ترضى عنك اليهود إلّا بالتّهوّد و الصّلاة إلى قبلتهم و هي المغرب، و لا النّصارى إلّا بالتّنصّر و الصّلاة إلى قبلتهم و هي المشرق. (١: ٢١٨)

الآلوسيّ: بيان لكمال شدّة شكيمتي هاتين الطّائفتين إثر بيان ما يعمّهما، و المشركين ممّا تقدّم. و لا بين المعطوفين لتأكيد النّفي، و للإشعار بأنّ رضا كلّ منهما مباين لرضا الأُخرى. و الخطاب للنّبيّ ﷺ و فيه من المبالغة في إقناطه ﷺ من إسلامهم ما لا غاية وراءه، فإنّهم حيث لم يرضوا عنه عليه الصّلاة و السّلام، و لو خلّاهم يفعلون ما يفعلون، بل أمّلوا ما لا يكاد يدخل دائرة الإمكان، و هو الاتّباع لملّتهم الّتي جاء بنسخها، فكيف يتصوّر اتّباعهم لملّته ﷺ و احتيج لهذه المبالغة لمزيد حرصه ﷺ على إيمانهم، على ما روي أنّه كان يلاطف كلّ فريق رجاء أن يسلموا فنزلت. (١: ٣٧١)

القاسميّ: أي لأنّهم يريدون أن يكونوا متبوعين على الإطلاق. و فيه مبالغة في الإقناط من إسلامهم، و تنبيه على أنّه لا يُرضيهم إلّا ما لا يجوز وقوعه منه ﷺ. (٢: ٢٤١)

المَراغيّ: و في الآية تيئيس له ﷺ من طمعه في إسلامهم؛ إذ علّق رضاهم عنه بما هو مستحيل أن يكون، و هو اتّباع ملّتهم و الدّخول في دينهم، لأنّهم اتّخذوا الدّين جنسيّة لا يرضون عن أحد إلّا إذا دخل في حظيرتها، و انضوى تحت لوائها. (١: ٢٠٣)

ابن عاشور: عطف على قوله: ﴿وَ لَا تُسْئَلُ عَنْ اَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ البقرة: ١١٩، أو على ﴿اِنَّا اَرْسَلْنَاكَ﴾ البقرة: ١١٩، و قد جاء هذا الكلام المؤيس من إيمانهم بعد أن قدّم قبله التّأنيس و التّسلية، على نحو مجيء العتاب بعد تقديم العفو في قوله تعالى: ﴿عَفَا

اللهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ﴾ التوبة: ٤٣، و هذا من كرامة الله تعالى لنبيّه ﷺ.

و النّفي بـ(لَنْ) مبالغة في التّأييس، لأنّها لنفي المستقبل و تأبيده. (١: ٦٧٤)

مَغْنِيَّة: [نقل كلام الطَّبْرِسيّ و قال:]

و الحقيقة أنّ أكثر أهل الأديان و الأحزاب على هذه النّزعة، و لا خصوصيّة لليهود و النّصارى في ذلك، بل إنّ بعض النّاس لا يرضى عنك إلّا إذا جعلت من نفسك عبدًا له، و قد استنكر القرآن الكريم هذه النّزعة البغيضة، و دعا الى التّعايش الدّينيّ مع جميع أهل الأديان، و قدّس جميع الرّسل و الأنبياء، و ذكرهم بكلّ خير، و أوجب على أتباعه الاعتراف بهم و الإيمان بنبوّتهم، و هذا من أقوى البواعث للتّآخي بين أهل الملل و النّحل، و تعاون بعضهم مع بعض.

و على أيّة حال، فإنّ الله خصّ اليهود و النّصارى بالذّكر، كي ييأس النّبيّ و يقنط من متابعتهم له، كما قال صاحب «المجمع». (١: ١٩١)

الطَّباطَبائيّ: رجوع إلى الطّائفتين بعد الالتفات إلى غيرهم، و هو بمنزلة جمع أطراف الكلام على تفرّقها و تشتّتها، فكأنّه بعد هذه الخطابات و التّوبيخات لهم يرجع إلى رسوله و يقول له: هؤلاء ليسوا براضين عنك، حتّى تتبع ملّتهم الّتي ابتدعوها بأهوائهم و نظّموها بآرائهم. (١: ٢٦٥)

عبد الكريم الخطيب: هذا هو مقطع الفصل فيما تحدّثت به الآيات السّابقة، عن الكيد الّذي يكيد به أهل الكتاب و خاصّة اليهود للنّبيّ و لرسالته، في صدّ النّاس عنه، و إلقاء الشّبه و الضّلالات بين يدي المسلمين، إنّهم لن يرضوا عن النّبيّ و لن يهادنوه، حتّى يترك دعوته، و يطوي رسالته، و يدخل فيما هم فيه. (١: ١٣٦)

مكارم الشّيرازيّ: إرضاء هذه المجموعة محالٌ الآية السّابقة رفعت المسؤوليّة عن النّبيّ ﷺ إزاء الضّالّين المعاندين. و الآية أعلاه تواصل الموضوع السّابق و تخاطب الرّسول بأن لا يحاول عبثًا في كسب رضا اليهود و النّصارى، لأنّه ﴿وَ لَنْ تَرْضٰى عَنْكَ الْيَهُودُ وَ لَا النَّصَارٰى حَتّٰى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾. (١: ٣١٥)

فضل الله: المفسّرون في أسباب نزول هذه الآية إنّ النّبيّ كان مجتهدًا في طلب ما يُرضيهم ليدخلوا في الإسلام، فقيل له: دع ما يُرضيهم إلى ما أمرك الله به من مجاهدتهم. و قالوا في مجال آخر: كان اليهود يسألون النّبيّ ﷺ الهُدنة و يرونه أنّه إن هادنهم و أمهلهم اتّبعوه، فآيسه الله تعالى من موافقتهم.

إنّنا نعتقد أنّ ما يذكره هؤلاء المفسّرون، هو نوع من أنواع الاجتهاد في استيحاء القصّة الّتي يفرضون وجودها، في كلّ آية من الآيات الّتي يخاطب الله فيها نبيّه في كلّ قضيّة من القضايا المتعلّقة بموقف النّبيّ من العلاقات المتّصلة بالآخرين. و لكنّنا لا نرى ضرورة في ذلك، بل الظّاهر هو أنّ الله كان يريد أن يقدّم للمسلمين من خلال النّبيّ الوعي العميق للواقع الّذي يُحيط بهم، سواء في ذلك الواقع المتمثّل بالأشخاص الّذين يخالفونهم في الدّين، أو المتمثّل بالأحداث و الأوضاع المحيطة بهم، ليكونوا على معرفة عميقة

شاملة لما حولهم، ممّا يجنّبهم خطر الوقوع في تجربة المعرفة الّتي قد تُعرّضهم للهلاك، و تدفعهم إلى السّير في وضوح الرّؤية، بعيدًا عن الانفعالات السّريعة، و الأوهام الطّائرة.

و قد يكون الأساس في اختيار النّبيّ للخطاب، ثمّ اتّباع أقسى الأساليب شدّةً في خطاب الله له، هو الإيحاء بأنّ هذه القضيّة هي من القضايا الّتي تبلغ مرحلة كبيرة من الأهمّيّة و الخطورة، بالمستوى الّذي لا يمكن فيها مراعاة جانب أيّ شخص، و إن كان في مستوى عظمة النّبيّ محمّد ﷺ، لأنّ عظمة الأشخاص و قداستهم مستمدّة من طاعتهم لله في ما يريد و في ما لا يريد، فإذا انحرفوا عن الخطّ و لن ينحرفوا عنه، سقطت عظمتهم و تحوّلوا إلى أشخاص عاديّين خاطئين، لايملكون لأنفسهم من دون الله وليًّا و لانصيرًا.

و يعتبر هذا الأسلوب من الأساليب البارزة في القرآن في القضيّة الّتي تتّخذ جانب الخطورة على أساس العقيدة و صدقها و سلامتها من الانحراف؛ و ذلك كما في قوله تعالى: ﴿لَئِنْ اَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ الزّمر: ٦٥، و قوله سبحانه و تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْاَقَاوِيلِ * لَاَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنْكُمْ مِنْ اَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ الحاقّة: ٤٤-٤٧.

أمّا هذه الآية، فقد عالجت قضيّة من أخطر القضايا الّتي قد تواجه العاملين في سبيل الله، في علاقتهم بالكافرين و المنافقين و الفاسقين، فقد يستسلم العاملون لحالة نفسيّة طاهرة، يعيشون فيها الأمل الكبير بهداية هؤلاء المعادين للإسلام، من خلال الأساليب الّتي يتّبعونها إزاء المسلمين، في ما يقدّمونه من تبريرات، و في ما يُثيرونه من انفعالات و عواطف، و في ما يوحون به من أفكار حميمة توحي بقربهم إلى الحقّ؛ و ذلك من خلال بعض المواقف الّتي يتقدّمون بها في بعض مراحل الطّريق، ممّا يخلق انطباعًا بأنّهم يتقدّمون إلى الحقّ، و قد تخلق هذه الحالة حالة أخرى، و هي الرّغبة في إرضاء هؤلاء ببعض الكلمات و المواقف، طمعًا في الحصول على صداقتهم أو رضاهم، ممّا يستدعي من المسلمين تقديم تنازلات فكريّة أو عمليّة في حالات معيّنة.

و قد وقع الكثيرون من العاملين في هذا الشّرك الشّيطانيّ الّذي ينصبه أعداء الله، فاستطاعوا أن يجرّوهم إلى تقديم بعض التّنازلات على حساب سلامة الإسلام في عقيدته و شريعته و مواقعه، ممّا أعطاهم في نظر البُسطاء من المسلمين صفة الشّرعيّة لمبادئهم، و أغراهم بالتّالي بالمطالبة بتنازلات جديدة تبعًا لحاجة الظّروف الموضوعيّة لذلك، و كانت النّتيجة هي إعطاء أعداء الدّين فرصة للتّقدّم و للحصول على الشّرعيّة، و خسارة المسلمين لكثير من المواقع الفكريّة و العمليّة، من خلال الفكرة الّتي أوحت بها هذه التّنازلات، و هي أنّ من الممكن للمسلم المحافظة على إسلامه، مع التّنازل عن بعض جوانب عقيدته و شريعته.

و ما زال الأعداء يساومون، و ما زال الكثيرون

منّا يقدّمون التّنازلات، ليحصلوا على رضاهم من أجل الحصول على هدايتهم، ثمّ تحوّلت القضيّة إلى الهزيمة النّفسيّة الّتي عاشها المسلمون، من خلال الهزيمة الفكريّة و السّياسيّة و العسكريّة، ممّا جعلنا نلهث في سبيل الحصول على رضاهم، كما يلهث الضّعفاء في الحصول على رضى الأقوياء للحصول على الحماية و المكاسب، و الحاجات الصّغيرة في الحياة.

و تلك هي النّتيجة الّتي حذّر منها القرآن في أسلوبه الحاسم في خطابه للنّبيّ محمّد ﷺ: ﴿وَ لَنْ تَرْضٰى عَنْكَ الْيَهُودُ وَ لَا النَّصَارٰى حَتّٰى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾، إنّ عليك يا محمّد أن لا تجعل هدفك في مسيرتك هو الحصول على رضاهم، لأنّ القضيّة ليست قضيّة خصومة شخصيّة طارئة، ليمكنك الوصول إلى تبديل حالة الخصومة بحالة الصّداقة من خلال بعض التّنازلات الشّخصيّة، بل هي قضيّة اعتبار هؤلاء أنّهم على الحقّ و أنّك على الباطل، ممّا يجعل من تقديم التّنازلات تشجيعًا لهم على موقفهم، و إغراءً لهم بالثّبات على عقيدتهم، ليجرّوك إلى مواقع جديدة من التّنازلات، و هكذا، لارتباط الحصول على رضاهم بالوصول إلى التّنازل الأخير و هو اتّباع ملّتهم، فذلك هو السّبيل الوحيد لربح ثقتهم بك. (٢: ١٩٣)

٢ ـ قَالَ هُمْ اُولَاءِ عَلٰى اَثَرِى وَ عَجِلْتُ اِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضٰى. طٰه: ٨٤

ابن زَيْد: لأرضيك. (الطّبريّ ٨: ٤٤٢)

الطّبَريّ: يقول: و عجلت أنا فسبقتهم ربّ، كيما ترضى عنّي. (٨: ٤٤٢)

القُشَيْريّ: أي ما خلّفتهم لتضييعي أيامي، و لكنّي عجلت إليك لترضى.

قال: يا موسى إنّ رضائي في أن تكون معهم و ألّا تسبقهم، فكونك مع الضّعفاء الّذين استصحبتهم في معاني حصول رضائي أبلغ من تقدّمك عليهم. (٤: ١٤٢)

المَيْبُديّ: أي لتزداد عنّي رضًا. (٦: ١٦٢)

ابن عَطيّة: و أعلمه موسى ﷺ أنّه إنّما استعجل طلب الرّضى فأعلمه الله تعالى أنّه قد فتن بني إسرائيل، أي اختبرهم بما صنعه السّامريّ. (٤: ٥٧)

الطَّبْرِسيّ: أي سبقتهم إليك حرصًا على تعجيل رضاك، أي لأزداد رضًا إلى رضاك. (٤: ٢٤)

الفَخْر الرّازيّ: قوله: ﴿لِتَرْضٰى﴾ يدلّ على أنّه ﷺ إنّما فعل ذلك لتحصيل الرّضا للّه تعالى و ذلك باطل من وجهين:

أحدهما: أنّه يلزم تجدّد صفة للّه تعالى.

و الآخر: أنّه تعالى قبل حصول ذلك الرّضا، وجب أن يقال: إنّه تعالى ما كان راضيًا عن موسى، لأنّ تحصيل الحاصل محال، و لمّا لم يكن راضيًا عنه وجب أن يكون ساخطًا عليه، و ذلك لا يليق بحال الأنبياء ﷺ.

الجواب: المراد تحصيل دوام الرّضا، كما أنّ قوله: ﴿ثُمَّ اهْتَدٰى﴾ المراد دوام الاهتداء. (٢٢: ٩٨)

القُرطُبيّ: كُنّي عن ذكر الشّوق و صدقه إلى ابتغاء الرّضا. و عن قَتادَة: قال: شوقًا. (١١: ٢٣٢)

البَيْضاويّ: فإنّ المسارعة إلى امتثال أمرك والوفاء بعهدك توجب مرضاتك. (٢: ٥٧)

أبوحَيّان: من طلبه رضا الله تعالى في السّبق إلى ما وعده ربّه، ومعنى ﴿إلَيْكَ﴾ إلى مكان وعدك، ﴿ولِتَرْضٰى﴾ أي ليدوم رضاك ويستمرّ، لأنّه تعالى كان عنه راضيًا. (٦: ٢٦٧)

البُرُوسَويّ: ﴿لِتَرْضٰى﴾ عنّي بمسارعتي إلى الامتثال بأمرك، واعتنائي بالوفاء بعهدك. وفي الآيتين إشارة إلى معاني مختلفة، منها: ليعلم أنّ السّائر لا ينبغي أن يتوانى في السّير إلى الله، ويرى أنّ رضى الله في استعجاله في السّير، والعجلة ممدوحة في الدّين، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلٰى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ آل عمران: ١٣٣، والأصل الطّلب. (٥: ٤١٣)

المَراغيّ: أي وعجلت إليك ربّ لتزداد عنّي رضًا، بالمسارعة إلى امتثال أمرك، والوفاء بعهدك. (١٦: ١٣٨)

الطَّباطَبائيّ: أي والسّبب في عجلي، هو أن أحصّل رضاك يا ربّ. (١٤: ١٩٠)

مكارم الشّيرازيّ: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضٰى﴾ فليس شوق المناجاة وسماع كلامك لوحده قد سلب قراري، بل كنت مشتاقًا إلى أن آخذ منك أحكام التّوراة بأسرع ما يمكن لأؤدّيها إلى عبادك، ولأنال رضاك عنّي بذلك، أجل إنّي عاشق لرضاك، ومشتاق لسماع أمرك. (١٠: ٤٧)

٣ـ وَمِنْ اٰنَائِ الَّيْلِ فَسَبِّحْ وَاَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضٰى. طٰهٰ: ١٣٠

ابن جُرَيْج: بما تعطي. (الطّبَريّ ٨: ٤٧٨)

ابن زَيْد: الثّواب، ترضى بما يُثيبك الله على ذلك. (الطّبَريّ ٨: ٤٧٨)

الطّبَريّ: يقول: كي ترضى. وقد اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامّة قرّاء المدينة والعراق: ﴿لَعَلَّكَ تَرْضٰى﴾ بفتح التّاء. وكان عاصم والكِسائيّ يقرآن ذلك (لَعَلَّكَ تُرْضٰى) بضمّ التّاء، وروي ذلك عن أبي عبد الرّحمان السُّلَميّ، وكأنّ الّذين قرؤوا ذلك بالفتح، ذهبوا إلى معنى: إنّ الله يعطيك حتّى ترضى عطيّته وثوابه إيّاك.

وكذلك تأوّله أهل التّأويل على ذلك. وكأنّ الّذين قرؤوا ذلك بالضّمّ، وجّهوا معنى الكلام إلى لعلّ الله يُرضيك من عبادتك إيّاه، وطاعتك له.

والصّواب من القول في ذلك عندي: أنّهما قراءتان، قد قرأ بكلّ واحدة منهما علماء من القرّاء، وهما قراءتان مستفيضتان في قراءة الأمصار، متّفقتا المعنى، غير مختلفتيه: وذلك أنّ الله تعالى ذكره إذا أرضاه، فلاشكّ أنّه يرضى، وأنّه إذا رضي فقد أرضاه الله، فكلّ واحدة منهما تدلّ على معنى الأُخرى، فبأيّتهما قرأ القارئ فمصيب الصّواب. (٨: ٤٧٨)

الطُّوسيّ: وقوله ﴿لَعَلَّكَ تَرْضٰى﴾ معناه افعل ما أمرتك به، لكي ترضى بما يعطيك الله من الثّواب على ذلك. ومن ضمّ التّاء أراد: لكي نفعل معك من الثّواب ما ترضى معه، وقيل: لكي ترضى بالشّفاعة. والمعاني متقاربة، لأنّه إذا أرضى لله النّبيّ ﷺ فإنّه يرضى. (٧: ٢٢٣)

المَيْبُـديّ: ثوابـه في الميعـاد، و قيـل: مرضـيّ بالشّفاعة و مثلـه قولـه: ﴿وَ لَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضٰى﴾ الضّحى: ٥. و قرأ الكِسائيّ و أبـوبكر عـن عاصم. (تُرْضٰى) بضم التّاء، أي يُرضيك الله بكرامته.
(٦: ١٩٧)

الزَّمَخْشَريّ: أي: أذكـر الله في هـذه الأوقـات، طمعًا و رجاء أن تنال عند الله مـا بـه ترضـى نفسـك و يسرّ قلبك. و قرئ (تُرْضٰى) أي يُرضيك ربّك.
(٢: ٥٥٩)

ابن عَطيّة: و قرأ الجمهور ﴿لَعَلَّكَ تَرْضٰى﴾ بفتح التّاء، أي لعلّك تُثاب على هذه الأعمال بما ترضى بـه. و قرأ الكِسائيّ و أبوبكر عن عاصم (لَعَلَّـكَ تُرْضٰـى) أي لعلك تُعطى ما يُرضيك. (٤: ٧٠)

الطَّبْرِسيّ: قرأ الكِسائي و أبوبكر (تُرْضٰى) بضمّ التّاء و الباقون بفتحها.

حجّة من فتح التّاء قوله: ﴿وَ لَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضٰى﴾ الضّحى: ٥. و حجّة من ضـمّ التّاء أنه جـاء في صفة بعض الأنبياء ﴿وَ كَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ مريم: ٥٥. و كان معنى ترضى لفعلـك مـا أمـرت بـه مـن الأفعال الّتي يرضـاها الله، أو ترضـى بمـا تُعطـاه مـن الدّرجة الرّفيعة، و ترضى بما يعطيكه الله من الدّرجـة العالية و الرّتبة المرضيّة...

﴿لَعَلَّكَ تَرْضٰى﴾ بالشّفاعة و الدّرجـة الرّفيعـة. و قيل: بجميع ما وعدك الله به من النّصر و إعزاز الدّين في الدّنيا، و الشّفاعة و الجنّة في الآخرة. (٤: ٣٥، ٣٦)

الفَخْر الرّازيّ: أمّا قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكَ تَرْضٰى﴾ ففيه وجوه:

أحدها: أنّ هذا كما يقول الملك الكبير: يـا فـلان اشتغل بالخدمة فلعلّك تنتفع به، و يكـون المـراد إنّـي أوصلك إلى درجة عالية في النّعمة، و هـو إشـارة إلى قوله: ﴿وَ لَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضٰى﴾ الضّحى: ٥. و قوله: ﴿عَسٰى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ الإسراء: ٧٩.

و ثانيها: لعلّك ترضى ما تنال من الثّواب.

و ثالثها: لعلّك ترضى ما تنال من الشّفاعة.

و قرأ الكِسائيّ و عاصم: (لَعَلَّكَ تُرْضٰى) بضمّ التّاء، و المعنى: لايختلف، لأنّ الله تعالى إذا أرضاه فقـد رضيه، و إذا رضيه فقد أرضاه. (٢٢: ١٣٤)

القُرطُبيّ: قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكَ تَرْضٰى﴾ بفتح التّاء، أي لعلّك تُثاب على هذه الأعمال بما ترضى بـه. و قرأ الكِسائيّ و أبوبكر عن عاصـم (تُرْضٰى) بضـمّ التّاء، أي لعلّك تُعطى ما يُرضيك. (١١: ٢٦١)

البَيْضاويّ: ﴿لَعَلَّكَ تَرْضٰى﴾ متعلّق بـ ﴿سَبِّحْ﴾ أي سبّح في هذه الأوقات طمعًا أن تنال عند الله مـا بـه ترضي نفسـك. و قـرأ الكِسـائيّ و أبـو بكـر بالبنـاء للمفعول، أي يُرضيك ربّك. (٢: ٦٥)

أبوحَيّان: أي تُثاب على هذه الأعمال بـالثّواب الّذي تراه. و أبرز ذلـك في صـورة الرّجـاء و الطّمـع لاعلى القطع. و قيل: «لعل» من الله واجبة.

و قرأ أبوحَيْـوَة و طلحـة و الكِسـائيّ و أبـوبكر و أبان و عصمة و أبوعمارة عن حفص، و أبوزَيْد عـن المفضّل، و أبوعُبَيْـد، و محمّـد بـن عيسـى الأصـبهانيّ

(تُرْضى) بضمّ التّاء، أي يُرضيك ربّك. (٦: ٢٩٠)

البُرُوسَويّ: ﴿لَعَلَّكَ تَرْضٰى﴾ متعلّق بـ﴿سَبِّحْ﴾ أي سبّح في هذه الأوقات، رجاء أن تنال عنده تعالى ما ترضى به نفسك و يسرّ به قلبك. (٥: ٤٤٥)

الآلوسيّ: [قال نحو البُرُوسَويّ و أضاف:]

و جوّز أن يكون متعلّقًا بالأمر بالصّبر و الأمر بالصّلاة، و المراد ﴿لَعَلَّكَ تَرْضٰى﴾ في الدّنيا بحصول الظّفر و انتشار أمر الدّعوة، و نحو ذلك. (١٦: ٢٨٣)

القاسميّ: أي رجاء أن تنال ما به ترضى نفسك، من رفع ذكرك. و تقهرك على عدوّك و بلوغ أُمنيّتك من ظهور توحيد ربّك، و هذا كقوله تعالى: ﴿عَسٰى اَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ الإسراء: ٧٩، و قوله تعالى: ﴿وَ لَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضٰى﴾ الضّحى: ٥. (١١: ٤٢٣٥)

سيّد قُطْب: إنّ التّسبيح باللّه اتّصال، و النّفس الّتي تتّصل تطمئنّ و ترضى، ترضى و هي في ذلك الجوار الرّضيّ، و تطمئنّ و هي في ذلك الحمى الآمن.

فالرّضى ثمرة التّسبيح و العبادة، و هو وحده جزاء حاضر ينبت من داخل النّفس، و يترعرع في حنايا القلب. (٤: ٢٣٥٧)

ابن عاشور: و قرأ الجمهور: ﴿لَعَلَّكَ تَرْضٰى﴾ بفتح التّاء بصيغة البناء للفاعل، أي رجاء لك أن تنال من الثّواب عند اللّه ما ترضى به نفسك.

و يجوز أن يكون المعنى: لعلّ في ذلك المقدار الواجب من الصّلوات ما ترضى به نفسك دون زيادة في الواجب، رفقًا بك و بأُمّتك. و يبيّنه قوله ﷺ: «و جعلت قرّة عيني في الصّلاة». و قرأ الكِسائيّ، و أبو بكر، عن عاصم: (تُرْضى) بضمّ التّاء، أي يرضيك ربّك، و هو محتمل للمعنيين. (١٦: ٢٠٥)

مَغْنِيّة: ﴿لَعَلَّكَ تَرْضٰى﴾ و كلّ من أرضى اللّه في الدّنيا أرضاه اللّه في الآخرة ﴿رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ﴾ المائدة: ١١٩. (٥: ٢٥٤)

الطَّباطَبائيّ: و قوله: ﴿لَعَلَّكَ تَرْضٰى﴾ السّياق السّابق، و قد ذكر فيه إعراضهم عن ذكر ربّهم، و نسيانهم آياته و إسرافهم في أمرهم و عدم إيمانهم، ثمّ ذكر تأخير الانتقام منهم، و أمره بالصّبر و التّسبيح و التّحميد، يقضي أن يكون المراد بالرّضا: الرّضا بقضاء اللّه و قدره. و المعنى: فاصبر و سبّح بحمد ربّك، ليحصل لك الرّضا بما قضى اللّه سبحانه، فيعود إلى مثل معنى قوله: ﴿وَ اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَ الصَّلٰوةِ﴾ البقرة: ٤٨.

و الوجه فيه: أنّ تكرار ذكره تعالى بتنزيه فعله عن النّقص و الشّين، و ذكره بالثّناء الجميل و المداومة على ذلك، يوجب أُنس النّفس به و زيادته، و زيادة الأُنس بجمال فعله و نزاهته، تُوجب رسوخه فيها و ظهوره في نظرها، و زوال الخطورات المشوّشة للإدراك و الفكر. و النّفس مجبولة على الرّضا بما تحبّه و لاتحبّ غير الجميل المنزّه عن القبح و الشّين، فإدامة ذكره بالتّسبيح و التّحميد تُورث الرّضا بقضائه.

و قيل: المراد لعلّك ترضى بالشّفاعة و الدّرجة الرّفيعة عند اللّه. و قيل: لعلّك ترضى بجميع ما وعدك اللّه به من النّصر و إعزاز الدّين في الدّنيا، و الشّفاعة

و الجنّة في الآخرة. (١٤: ٢٣٨)

مكارم الشّيرازيّ: و الجدير بالذّكر أنّ جملة ﴿لَعَلَّكَ تَرْضٰى﴾ في الحقيقة نتيجة حمد اللّه و تسبيحه، و الصّبر و التّحمّل في مقابل قول أولئك، لأنّ هذا الحمد و التّسبيح و صلوات اللّيل و النّهار تُحكّم الرّابطة بين الإنسان و ربّه إلى درجة لايفكّر فيها بأيّ شيء سواه، فلايخاف من الحوادث الصّعبة، و لايخشى عدوًّا باعتماده على هذا السّند و العماد القويّ، و بهذا سيملأ الهدوء و الاطمئنان وجوده. (١٠: ٩٦)

فضل اللّه: ﴿لَعَلَّكَ تَرْضٰى﴾ و تطمئنّ و ترتاح إلى اتّصالك بالمبدإ الأعلى في تسبيح و تحميد و تمجيد و مناجاة موصولة باللّه، في رعايته و لطفه و رضوانه، ممّا يجعلك راضيًا بكلّ شيء يحدث لك من حلو الحياة و مُرّها، و بؤسها و نعيمها، و سعادتها و شقائها، لأنّ ذلك لايمثّل مشكلة للمؤمن ما دام يتحرّك في محبّة اللّه و رضاه. (١٥: ١٧٦)

٤ ـ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضٰى. الضّحى: ٥

راجع: ع ط ي: «يُعْطِيكَ».

تَرْضٰيهُ

وَاَنْ اَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضٰيهُ وَاَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ. النّمل: ١٩

راجع: ص ل ح: «صَالِحًا».

تَرْضٰيهَا

قَدْ نَرٰى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضٰيهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ... البقرة: ١٤٤

الطّبريّ: فإنّه يعني فلنصرفنّك عن بيت المقدس إلى قبلة ترضاها، تهواها و تحبّها. (٢: ٢٣)

الزّجّاج: و قيل في قوله: ﴿تَرْضٰيهَا﴾ قولان:

قال قوم: معناه تحبّها، لا أنّ النّبيّ ﷺ لم يكن راضيًا بتلك القبلة، لأنّ كلّ ما أمر اللّه الأنبياء عليهم السلام به فهي راضية به، و إنّما أحبّها النّبيّ ﷺ لأنّها كانت فيما يُروى قبلة الأنبياء.

و قيل: لأنّها كانت عنده أدعى لقومه إلى الإيمان. (١: ٢٢٢)

الماوَرْديّ: يعني الكعبة كان رسول اللّه ﷺ يرضاها و يختارها، و يسأل [ربّه] أن يُحوّل إليها.

و اختُلف في سبب اختياره لذلك على قولين:

أحدهما: مخالفة اليهود و كراهة لموافقتهم، لأنّهم قالوا: تتّبع قبلتنا و تخالفنا في ديننا؟ و به قال مُجاهِد، وابن زَيْد.

و الثّاني: أنّه اختارها، لأنّها كانت قبلة أبيه إبراهيم، و به قال ابن عبّاس.

فإن قيل: أكان رسول اللّه ﷺ غير راض ببيت المَقْدِس أن يكون له قبلة، حتّى قال تعالى له في الكعبة ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضٰيهَا﴾؟

قيل: لايجوز أن يكون رسول اللّه غير راض ببيت المقدس، لمّا أمره اللّه تعالى به، لأنّ الأنبياء يجب عليهم الرّضا بأوامر اللّه تعالى. لكن معنى ﴿تَرْضٰيهَا﴾ أي تحبّها و تهواها. و إنّما أحبّها مع ما ذكرنا من القولين الأوّلين، لما فيها من تألّف قومه و إسراعهم إلى إجابته. و يحتمل أن يكون قوله: ﴿تَرْضٰيهَا﴾ محمولًا

على الحقيقة، بمعنى ترضى ما يحدث عنها من التأليف، و سرعة الإجابة. (١: ٢٠٢)

الطُّوسيّ: قوله: ﴿تَرْضٰيهَا﴾ تحبّها، و الرّضاء ضدّ السّخط، و هو إرادة الثّواب، و السّخط إرادة الانتقام. (٢: ١٤)

المَيْبُديّ: نولّينّك إلى جهة تشاء و ترضاها. (١: ٣٩٩)

الزّمَخْشَريّ: تحبّها و تميل إليها لأغراضك الصّحيحة الّتي أضمرتها، و وافقت مشيئة اللّه و حكمته. (١: ٣١٩)

ابن عَطيّة: ﴿تَرْضٰيهَا﴾ معناه تحبّها و تقرّبها عينك. و كان رسول اللّه ﷺ يحبّ الكعبة و التّحوّل عن بيت المقدس لوجوه ثلاثة رويت: فقال مُجاهِد: لقول اليهود: ما علم محمّد دينه حتّى اتّبعنا، و قال ابن عبّاس: و ليصيب قبلة إبراهيم ﷺ، و قال الرّبيع و السُّدّيّ: و ليستألف العرب لمحبّتها في الكعبة. (١: ٢٢١)

الطَّبْرِسيّ: أي فلنصرفنّك إلى قبلة تريدها و تحبّها. و إنّما أراد به محبّة الطّباع، لا أنّه كان يسخط القبلة الأُولى. (١: ٢٢٧)

الفَخْرالرّازيّ: قوله: ﴿تَرْضٰيهَا﴾ فيه وجوه:

أحدها: ﴿تَرْضٰيهَا﴾: تحبّها و تميل إليها، لأنّ الكعبة كانت أحبّ إليه من غيرها بحسب ميل الطّبع. قال القاضي: هذا لا يجوز، فإنّه من المحال أن يقول اللّه تعالى: فلنولّينّك قبلة يميل طبعك إليها، لأنّ ذلك يقدح في حكمته تعالى فيما يُكلّف، و يقدح في حال النّبيّ عليه الصّلاة و السّلام فيما يريده في حال التّكليف.

و هذا الاعتراض ضعيف، لأنّ الطّعن إنّما يتوجّه لو قال اللّه تعالى: إنّا حوّلناك إلى القبلة الّتي مال طبعك إليها بمجرّد ميل طبعك، فأمّا لو قال: إنّا حوّلناك إلى القبلة الّتي مال طبعك إليها، لأجل أنّ الحكمة و المصلحة وافقت ميل طبعك، فأيّ ضرر يلزم منه، و قال عليه الصّلاة و السّلام: «و جعلت قُرّة عيني في الصّلاة». فكان طبعه يميل إلى الصّلاة، مع أنّ المصلحة كانت موافقة لذلك.

و ثانيها: ﴿قِبْلَةً تَرْضٰيهَا﴾ أي تحبّها بسبب اشتمالها على المصالح الدّينيّة.

و ثالثها: قال الأصمّ: أي كلّ جهة وجّهك اللّه إليها فهي لك رضًا، لا يجوز أن تسخط، كما فعل من انقلب على عقبيه من العرب الّذين كانوا قد أسلموا، فلمّا تحوّلت القبلة ارتدّوا.

و رابعها: ﴿تَرْضٰيهَا﴾ أي ترضى عاقبتها، لأنّك تعرف بها من يتّبعك للإسلام، ممّن يتّبعك لغير ذلك من دنيا يصيبها أو مال يكتسبه. (٤: ١٢٥)

نحوه ملخّصًا. (النّيسابوريّ ٢: ١٦)

أبوحَيّان: و وصفها بأنّها مرضيّة له لتقرّبها من التّعيين، لأنّ متعلّق الرّضا هو القلب، و هو كان يُؤثر أن تكون الكعبة، و إن كان لا يصرّح بذلك. قالوا: و رضاه لها، إمّا لميل السّجيّة، أو لاشتمالها على مصالح الدّين. و المعنى: لنجعلنّك تلي استقبال قبلة مرضيّة لك، و لنمكّننّك من ذلك. (١: ٤٢٨)

أبوالسُّعود: ﴿تَرْضٰيهَا﴾ تحبّها و تشتاق إليها

لمقاصد دينيّة، وافقت مشيئته تعالى و حكمته. (۱: ۲۱۵)

البُرُوسَوِيّ: ﴿تَرْضٰيهَا﴾ مجاز عن المحبّة و الاشتياق، لأنّه عليه السلام لم يكن ساخطًا للتوجّه إلى بيت المَقْدِس كارهًا له غير راض، أي تحبّها و تتشوّق إليها، لا لهوى النّفس و الشّهوة الطّبيعيّة بل لمقاصد دينيّة وافقت مشيئة اللّه تعالى. (۱: ۲۵۱)

الآلوسيّ: و قوله تعالى: ﴿تَرْضٰيهَا﴾ أي تحبّها و تميل إليها للأغراض الصّحيحة الّتي أضمرتها، و وافقت مشيئة اللّه تعالى و حكمته، في موضع نصب صفة لـ ﴿قِبْلَةً﴾، و نكّرها لأنّه لم يجر قبلها ما يقتضي أن تكون معهودة فتُعرّف باللّام، و ليس في اللّفظ ما يدلّ على أنّه صلّى اللّه عليه و آله كان يطلب قبلة معيّنة. (۲: ۸)

القاسميّ: أي لنعطينّك أو لنوجّهنّك إلى قبلة تحبّها و تميل إليها. و دلّ على أنّ مرضيّه الكعبة بفاء السّبب في قوله: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾. (۲: ۳۰۰)

ابن عاشور: فإن قلت: ما فائدة قوله: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضٰيهَا﴾ قبل قوله: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ﴾، و هلّا قال: ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ﴾ إلخ؟

قلت: فائدته إظهار الاهتمام برغبة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و أنّها بحيث يعتني بها، كما دلّ عليه وصف القبلة بجملة ﴿تَرْضٰيهَا﴾. (۲: ۲۹)

عبد الكريم الخطيب: يخبر اللّه سبحانه في هذه الآية عن الحال الّتي كان يعانيها النّبيّ الكريم، حين هاجر إلى المدينة و قلبه معلّق بمكّة و البيت الحرام، و وجهه يتردّد في السّماء بين مطالع المسجدين: المسجد الحرام و المسجد الأقصى، و هما على سمت واحد، فقطع اللّه عليه طريق التّردّد، و أمسك وجهه على القبلة الّتي تهفو إليها نفسه ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضٰيهَا...﴾. (۱: ۱٦۷)

الطّباطبائيّ: إنّ الرّضا بشيء لا يوجب السّخط بخلافه، بل اليهود ـ على ما في الرّوايات الواردة في شأن نزول الآية ـ كانوا يُعيّرون المسلمين في تبعيّة قبلتهم، و يتفاخرون بذلك عليهم، فحزن رسول اللّه ذلك، فخرج في سواد اللّيل يقلّب وجهه إلى السّماء، ينتظر الوحي من اللّه سبحانه، و كشف همّه، فنزلت الآية.

و لو نزلت على البقاء بالقبلة السّابقة لكانت حجّة له صلّى اللّه عليه و آله على اليهود، و ليس و لم يكن لرسول اللّه و لا للمسلمين عار في استقبال قبلتهم؛ إذ ليس للعبد إلّا الإطاعة و القبول، لكن نزلت بقبلة جديدة، فقطع تعييرهم و تفاخرهم، مضافًا إلى تعيين التّكليف، فكانت حجّة و رضى. (۱: ۳۲۵)

مكارم الشّيرازيّ: هل الهدف من هذا التّغيير تحقيق رضى النّبيّ؟

عبارة ﴿قِبْلَةً تَرْضٰيهَا﴾ قد تُوهّم أنّ هذا التّغيير تمّ إرضاءً للنّبيّ صلّى اللّه عليه و آله و يزول هذا التّوهّم لو علمنا أنّ بيت المَقْدِس كان قبلة مؤقّتة، و أنّ النّبيّ كان ينتظر القبلة النّهائيّة، و بصدور أمر التّغيير وُضع حدّ لطعن اليهود من جهة، و توفّرت أرضيّة استمالة أهل الحجاز المرتبطين ارتباطًا خاصًّا بالكعبة نحو الإسلام من جهة

أخرى، كما أنّ إعلان بيت المقدس كقبلة أولى أزال عن الإسلام الطّابع القوميّ، و أسقط اعتبار الأصنام المتواجدة في الكعبة. (١: ٣٦٥)

فضل الله: إنّ الظّاهر من قوله تعالى في الآية التّالية: ﴿قَدْ نَرٰى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضٰيهَا﴾ أنّ الكعبة كانت تمثّل رغبة النّبيّ ﷺ في أن يوجّهه الله إليها، لتكون قبلة المسلمين في صلاتهم، ممّا يوحي بأنّه لم يسبق لها أن كانت قبلة سابقًا. (٣: ٨٣)

تَرْضَوْا

يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللهَ لَا يَرْضٰى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ. التّوبة: ٩٦

مضى في: «يَرْضٰى».

تَرْضَوْنَ

...فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ... البقرة: ٢٨٢

الطّبَريّ: يعني من العدول المرتضى دينهم و صلاحهم. (٣: ١٢٣)

الزّجّاج: أي ممّن ترضون مذهبه. و دلّ بهذا القول أنّ في الشّهود من ينبغي ألّا يرضى. (١: ٣٦٣)

الماوَرْديّ: فيه قولان:

أحدهما: أنّهم الأحرار المسلمون العدول، و هو قول الجمهور.

و الثّاني: أنّهم عدول المسلمين و إن كانوا عبيدًا، وهو قول شريح، و عثمان البتّيّ، و أبي ثور. (١: ٣٥٦)

الطُّوسيّ: فيه ذكر يعود إلى الموصوفين الّذين هم ﴿فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ﴾. (٢: ٣٧٧)

الزّمَخْشَريّ: ممّن تعرفون عدالتهم. (١: ٤٠٣)

ابن العَرَبيّ: فيها اثنتين و خمسون مسألة: [إلى أن قال:]

المسألة الموفية العشرون: قوله تعالى: ﴿تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾.

هذا تقييد من الله سبحانه على الاسترسال على كلّ شاهد، و قصر الشّهادة على الرّضا خاصّة، لأنّها ولاية عظيمة؛ إذ هي تنفيذ قول الغير على الغير، فمن حكمه أن يكون له شمائل ينفرد بها، و فضائل يتحلّى بها حتّى يكون له مزيّة على غيره، توجب له تلك المزيّة رتبة الاختصاص بقبول قوله على غيره، و يقضي له بحسن الظّنّ، و يحكم بشغل ذمّة المطلوب بالحقّ بشهادته عليه، و يغلب قول الطّالب على قوله بتصديقه له في دعواه.

المسألة الحادية و العشرون: قوله: ﴿مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ دليل على تفويض القبول في الشّهادة إلى الحاكم، لأنّ الرّضا معنى يكون في النّفس بما يظهر إليها من الأمارات عليه، و يقوم من الدّلائل المبيّنة له، و لا يكون غير هذا، فإنّا لو جعلناه لغيره لما وصل إليه إلّا بالاجتهاد، و اجتهاده أولى من اجتهاد غيره.

المسألة الثّانية و العشرون: قال علماؤنا: هذا دليل على جواز الاجتهاد و الاستدلال بالأمارات و العلامات على ما خفي من المعاني و الأحكام.

المسألة الثّالثة و العشرون: هذا دليل على أنّه لايكتفي بظاهر الإسلام في الشّهادة، حتّى يقع البحث عن العدالة، و به قال الشّافعيّ.

و قال أبوحنيفة: يكتفي بظاهر الإسلام في الأموال دون الحدود، و هذه مناقضة تُسقط كلامه، و تفسد عليه مرامه، فيقول: حقّ من الحقوق، فلايكتفي في الشّهادة عليه بظاهر الدّين كالحدود، و قد مهّدت المسألة في مسائل الخلاف. [ثمّ أدام الكلام في الشّهادة، فلاحظ] (١: ٢٥٤)

الطّبْرسيّ: ﴿مِمَّنْ تَرْضَوْنَ﴾ عدالته، و هذا يدلّ على أنّ العدالة شرط في الشّهود، و يدلّ أيضًا على أنّا لم نتعبّد بإشهاد مرضيّين على الإطلاق، لقوله: ﴿مِمَّنْ تَرْضَوْنَ﴾ و لم يقل: من المرضيّين، لأنّه لاطريق لنا إلى معرفة من هو مرضيّ عند الله تعالى، و إنّما تعبّدنا بإشهاد من هو مرضيّ عندنا في الظّاهر، و هو من نرضى دينه و أمانته، و نعرفه بالسّتر و الصّلاح.

(١: ٣٩٨)

ابن عَطيّة: و قوله تعالى: ﴿مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ رفع في موضع الصّفة، لقوله عزّ و جلّ: ﴿فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ﴾.

قال أبوعليّ: و لايدخل في هذه الصّفة قوله: ﴿شَهِيدَيْنِ﴾ اختلاف الإعراب.

و هذا حكم لفظيّ، و أمّا المعنى فالرّضى شرط في الشّهيدين، كما هو في الرّجل و المرأتين.

قال ابن بكير و غيره: قوله: ﴿مِمَّنْ تَرْضَوْنَ﴾ مخاطبة للحكّام.

و هذا غير نبيل، إنّما الخطاب لجميع النّاس، لكن المتلبّس بهذه القضيّة إنّما هم الحُكّام، و هذا كثير في كتاب الله، يعمّ الخطاب فيما يتلبّس به البعض، و في قوله: ﴿مِمَّنْ تَرْضَوْنَ﴾ دليل على أنّ في الشّهود من لايُرضى، فيجيء من ذلك أنّ النّاس ليسوا بمحمولين على العدالة حتّى تثبت لهم. (١: ٣٨١)

الفَخْرالرّازيّ: قال: ﴿مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ و هو كقوله تعالى في الطّلاق: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ الطّلاق: ٢.

و اعلم أنّ هذه الآية تدلّ على أنّه ليس كلّ أحد صالحًا للشّهادة، و الفقهاء قالوا: شرائط قبول الشّهادة عشرة: أن يكون حرًّا، بالغًا، مسلمًا، عدلًا، عالمًا بما شهد به، و لم يجرّ بتلك الشّهادة منفعة إلى نفسه، و لايدفع بها مضرّة عن نفسه، و لايكون معروفًا بكثرة الغلط، و لابترك المروأة، و لايكون بينه و بين من يشهد عليه عداوة. (٧: ١٢١)

القُرطُبيّ: فيه اثنتان و خمسون مسألة: [إلى أن قال:]

الحادية و الثّلاثون قوله تعالى: ﴿مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ في موضع رفع على الصّفة لـ« رجل و امرأتين ». قال ابن بكير وغيره. [إلى قوله:]

الثّانية و الثّلاثون: لمّا قال الله تعالى: ﴿مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ دلّ على أنّ في الشّهود من لايُرضى، فيجيء من ذلك أنّ النّاس ليسوا محمولين على العدالة حتّى تثبت لهم، و ذلك معنى زائد على الإسلام، و هذا قول الجمهور. و قال أبوحنيفة: كلّ

مسلم ظاهر الإسلام مع السّلامة من فسق ظاهر، فهو عدل و إن كان مجهول الحال. و قال شريح و عثمان البتّيّ و أبو ثور: هم عدول المسلمين و إن كانوا عبيدًا.

قلت: فعمّموا الحكم، و يلزم منه قبول شهادة البدويّ على القرويّ إذا كان عدلًا مرضيًّا، و به قال الشّافعيّ و من وافقه، و هو من رجالنا و أهل ديننا. و كونه بدويًّا ككونه من بلد آخر، و العمومات في القرآن الدّالّة على قبول شهادة العدول تسوّي بين البدويّ و القرويّ، قال الله تعالى: ﴿مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ قال تعالى: ﴿وَ اَشْهِدُوا ذَوَىْ عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ الطّلاق: ٢، فـ ﴿مِنْكُمْ﴾ خطاب للمسلمين.

و هذا يقتضي قطعًا أن يكون معنى العدالة زائدًا على الإسلام ضرورة، لأنّ الصّفة زائدة على الموصوف، و كذلك ﴿مِمَّنْ تَرْضَوْنَ﴾ مثله، خلاف ما قال أبو حنيفة، ثمّ لايُعلم كونه مرضيًّا حتّى يُختبر حاله، فيلزمه ألّا يكتفي بظاهر الإسلام. و ذهب أحمد ابن حنبل و مالك في رواية ابن وهب عنه إلى ردّ شهادة البدويّ على القرويّ لحديث أبي هريرة عن النّبيّ ﷺ أنّه قال: لاتجوز شهادة بدويّ على صاحب قرية» و الصّحيح جواز شهادته إذا كان عدلًا مرضيًّا، على ما يأتي بيانه في «النّساء» و «براءة» إن شاء الله تعالى.

و ليس في حديث أبي هريرة فرق بين القرويّ في الحضر أو السّفر، و متى كان في السّفر فلاخلاف في قبوله. قال علماؤنا: العدالة هي الاعتدال في الأحوال الدّينيّة، و ذلك يتمّ بأن يكون مجتنبًا للكبائر، محافظًا على مروءته و على ترك الصّغائر، ظاهر الأمانة غير مغفّل. و قيل: صفاء السّريرة و استقامة السّيرة في ظنّ المعدّل، و المعنى متقارب. (٣: ٣٩٥)

أبو حيّان: ﴿مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ قيل: هذا في موضع الصّفة، لقوله: ﴿فَرَجُلٌ وَ امْرَاَتَانِ﴾. و قيل: هو بدل من قوله: ﴿رِجَالِكُمْ﴾، على تكرير العامل، و هما ضعيفان، لأنّ الوصف يشعر باختصاصه بالموصوف، فيكون قد انتفى هذا الوصف عن شهيدين، و لأنّ البدل يؤذن بالاختصاص بالشّهيدين الرّجلين، فعرى عنه ﴿رَجُلٌ وَ امْرَاَتَانِ﴾. و الّذي يظهر أنّه متعلّق بقوله: ﴿وَ اسْتَشْهِدُوا﴾، أي و استشهدوا ممّن ترضون من الشّهداء، ليكون قيدًا في الجميع، و لذلك جاء متأخّرًا بعد ذكر الجميع. و الخطاب في ﴿تَرْضَوْنَ﴾ ظاهره أنّه للمؤمنين، و في ذلك دلالة على أنّ في الشّهود من لايُرضى، فيدلّ هذا على أنّهم ليسوا محمولين على العدالة حيث تثبت لهم.

و قال ابن بكير و غيره: الخطاب للحكّام، و الأوّل أولى لأنّه الظّاهر، و إن كان المتلبّس بهذه القضايا هم الحكّام، و لكن يجيء الخطاب عامًّا و يتلبّس به بعض النّاس. و قيل: الخطاب لأصحاب الدّين.

و اختلفوا في تفسير قوله: ﴿مِمَّنْ تَرْضَوْنَ﴾ فقال ابن عبّاس: من أهل الفضل و الدّين و الكفاءة. و قال الشّعبيّ: ممّن لم يُطعَن في فرج و لابطن، وفُسّر قوله: بأنّه لم يقذف امرأةً و لارجلًا، و لم يُطعَن في نسب. و روي: من لم يطعن عليه في فرج و لابطن، و معناه: لايُنسَب إلى ريبة، و لا يقال إنّه ابن زنى. و قال الحسن: من لم تُعرَف له خربة. و قال النّخعيّ: من لاريبة فيه. و قال

الخصّاف: من غلبت حسناته سيّآته مع اجتناب الكبائر. [ثمّ ذكر كلام الفخر الرّازيّ و أضاف:]

و ذكر بشر بن الوليد عن أبي يوسف: أنّ من سَلِم من الفواحش الّتي يجب فيها الحدود، و ما يجب فيها من العظائم، و أدّى الفرائض، و أخلاق البرّ فيه أكثر من المعاصي الصّغار، قُبلت شهادته، لأنّه لايسلم عبد من ذنب. [ثمّ بسط الكلام في شرائط الشّاهدفراجع]

(٢: ٣٤٧)

أبو السُّعود: ﴿مِمَّنْ تَرْضَوْنَ﴾ متعلّق بمحذوف وقع صفة لـ ﴿رَجُلٌ وَامْرَاَتَانِ﴾ أي كائنون مرضيّين عندكم. وتخصيصهم بالوصف المذكور مع تحقّق اعتباره في كلّ شهيد، لقلّة اتّصاف النّساء به. و قيل نعت لـ ﴿شَهِيدَيْنِ﴾ أي كائنين ممّن ترضون. ورُدّ بأنّه يلزم الفصل بينهما بالأجنبيّ. و قيل: بدل من ﴿رِجَالِكُمْ﴾ بتكرير العامل. ورُدّ بما ذُكر من الفصل. و قيل: متعلّق بقوله تعالى: ﴿فَاسْتَشْهِدُوا﴾ فيلزم الفصل بين اشتراط المرأتين و بين تعليله. (١: ٣٢٠)

مثله البُرُوسَويّ. (١: ٤٤١)

الآلوسيّ: ﴿مِمَّنْ تَرْضَوْنَ﴾ متعلّق بمحذوف وقع صفة لـ ﴿رَجُلٌ وَامْرَاَتَانِ﴾ أي كائنون ممّن ترضونهم. و التّصريح بذلك هنا مع تحقّق اعتباره في كلّ شهيد لقلّة اتّصاف النّساء به. فلايرد ما في «البحر» من أن جعله صفة للمذكور يشعر بانتفاء هذا الوصف عن ﴿شَهِيدَيْنِ﴾، و قيل: هو صفة لـ ﴿شَهِيدَيْنِ﴾، و ضُعّف بالفصل الواقع بينهما، و قيل: بدل من ﴿رِجَالِكُمْ﴾ بتكرير العامل، و ضُعّف بالفصل أيضًا، و اختار أبو حيّان تعلّقه بـ ﴿اسْتَشْهِدُوا﴾ ليكون قيدًا في الجميع، و يلزمه الفصل بين اشتراط المرأتين و تعليله هو كما ترى، و الخطاب للمؤمنين. و قيل: للحكّام، و لم يقل: من المرضيّين، لإفهامه اشتراط كونهم كذلك في نفس الأمر، و لاطريق لنا إلى معرفته، فإنّ لنا الظّاهر، والله تعالى يتولّى السّرائر. (٣: ٥٨)

رشيد رضا: أي ممّن ترضون دينهم و عدالتهم حال كونهم من الشّهداء. وإنّما وُصف الرّجل مع المرأتين بهذا الوصف لضعف شهادة النّساء، وقلّة ثقة النّاس بها: و لذلك وكّل الأمر فيه إلى رضا المستشهدين. (٣: ١٢٣)

سيّد قُطْب: و الرّضى يشمل معنيين:

الأوّل: أن يكون الشّاهدان عدلين مرضيّين في الجماعة.

و الثّاني: أن يرضى بشهادتهما طرفا التّعاقد، و لكن ظروفًا معيّنة قد لاتجعل وجود شاهدين أمرًا ميسورًا. فهنا يُيَسّر التّشريع، فيستدعي النّساء للشّهادة، و هو إنّما دعا الرّجال لأنّهم هم الّذين يزاولون الأعمال عادةً في المجتمع المسلم السّويّ، الّذي لاتحتاج المرأة فيه أن تعمل لتعيش، فتجور بذلك على أمومتها و أنوثتها و واجبها في رعاية أثمن الأرصدة الإنسانيّة و هي الطّفولة النّاشئة الممثّلة لجيل المستقبل، في مقابل لُقيمات أو دُريهمات تنالها من العمل، كما تضطرّ إلى ذلك المرأة في المجتمع النّكد المنحرف الّذي نعيش فيه اليوم. فأمّا حين لايوجد رجلان فليكن رجل واحد و امرأتان. و لكن لما ذا امرأتان؟ إنّ النّص

لايدعنا نحدس، ففي مجال التّشريع يكون كلّ نصّ محدّدًا واضحًا معلّلًا. (١: ٣٣٦)

عبد الكريم الخطيب: أي ممّن رأيتم فيهما، الاستقامة والسّلامة، من بين أهل الاستقامة والسّلامة. (٢: ٣٨١)

مكارم الشّيرازيّ: تضع هذه الآية -الّتي هي أطول آيات القرآن- ثمانية عشر بندًا من التّعليمات الّتي تنظّم الشّؤون الماليّة، نذكرها على التّوالي: [إلى أن قال:]

١٣- لابدّ أن يكون الشّاهدان موضع ثقة ﴿مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ يتبيّن من هذه الآية أنّ الشّهود يجب أن يكونوا ممّن يطمإنّ إليهم من جميع الوجوه، وهذه هي «العدالة» الّتي وردت في الأخبار أيضًا. (٢: ٣٥٤)

فضل الله: الظّاهر من ذلك هو الرّضا بلحاظ حالة الوثاقة الّتي تحصل من العدالة الّتي هي الاستقامة على الخطّ الشّرعيّ الّذي يبعث على الصّدق ويمنع عن الكذب. (٥: ١٧٤)

تَرْضَوْنَهَا

...وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا اَحَبَّ اِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا... التّوبة: ٢٤

الطّبريّ: ﴿وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا﴾ فسكنتموها. (٦: ٣٣٩)

الثّعلبيّ: تعجبكم. (٥: ٢٢)

الماوَرْديّ: وهذا نزل في قوم أسلموا بمكّة فأقاموا بها ولم يهاجروا، إشفاقًا على فراق ما ذكره الله تعالى ميلًا إليه وحبًّا له، فذمّهم الله تعالى على ذلك. (٢: ٣٤٩)

المَيْبُديّ: ومنازل تعجبكم الإقامة بها. (٤: ١١١)

نحوه القُرطُبيّ (٨: ٩٥)، وأبو السُّعود (٣: ١٣٥)، والبُرُوسَويّ (٣: ٤٠٣)، والآلوسيّ (١٠: ٧١)، والقاسميّ (٨: ٣٠٩١).

الطَّبْرِسيّ: أي مساكن اخترتموها لأنفسكم، ويعجبكم المقام فيها. (٣: ١٦)

أبوحَيّان: ومعنى ﴿تَرْضَوْنَهَا﴾: تختارون الإقامة بها. (٥: ٢٢)

الشِّربينيّ: أي تستوطنونها راضين بسكناها. (١: ٥٩٨)

المَراغيّ: وبتفصيل ما تقدّم في الآية نجد أنّها حوت أمورًا ثمانية من أفضل مايُحَبّ. [إلى أن قال:]

حبّ المساكن الطّيّبة المرضيّة، وقد كان لبعض المسلمين دور حسنة في مكّة، كانوا يتمتّعون فيها بالإقامة والسّكنى، لما فيها من المرافق وأسباب الرّاحة. (١٠: ٨٣)

يُرْضُوهُ

يَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللهُ وَرَسُولُهُ اَحَقُّ اَنْ يُرْضُوهُ اِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ. التّوبة: ٦٢

الفَرّاء: وحّد ﴿يُرْضُوهُ﴾ ولم يقل: يرضوهما، لأنّ المعنى -والله أعلم- بمنزلة قولك: ما شاء الله وشئت، إنّما يقصد بالمشيئة قصد الثّاني، وقوله: «ما شاء الله» تعظيم لله مقدّم قبل الأفاعيل، كما تقول

لعبدك: قد أعتقك الله و أعتقتك. و إن شئت أردت: يرضوهما، فاكتفيت بواحد كقوله:

نحن بما عندنا و أنت بما

عندك راض و الرّأي مختلف

و لم يقل: راضون. (١: ٤٤٥)

الطّبريّ: يقول تعالى ذكره للمؤمنين به و برسوله ﷺ يحلف لكم أيّها المؤمنون هؤلاء المنافقون بالله، ليرضوكم فيما بلغكم عنهم من أذاهم رسول الله ﷺ، و ذكرهم إيّاه بالطّعن عليه، و العيب له، و مطابقتهم سرًّا أهل الكفر عليكم بالله، و الأيمان الفاجرة أنّهم مافعلوا ذلك، و أنّهم لعلى دينكم و معكم على من خالفكم، يبتغون بذلك رضاكم. يقول الله جلّ ثناؤه: ﴿وَاللهُ وَرَسُولُهُ اَحَقُّ اَنْ يُرْضُوهُ﴾ بالتّوبة و الإنابة ممّا قالوا و نطقوا. (٦: ٤٠٧)

الزّجّاج: قال بعض النّحويّين إنّ هذه اللّام بمعنى القسم، أي يحلفون بالله لكم ليرضُنّكم. و هذا خطأ، لأنّهم إنّما حلفوا أنّهم ما قالوا ما حُكي عنهم ﴿لِيُرْضُوكُمْ﴾ باليمين، و لم يحلفوا أنّهم يُرضُون فيما يستقبل. و قوله: ﴿اَحَقُّ اَنْ يُرْضُوهُ﴾، و لم يقل: يُرضُوهما، لأنّ المعنى يدلّ عليه، فحذف استخفافًا. المعنى: و الله أحقّ أن يُرضُوه، و رسوله أحقّ أن يُرضُوه، كما قال الشّاعر:

نحن بما عندنا و أنت بما

عندك راض و الأمر مختلف

المعنى: نحن بما عندنا راضون، وأنت بما عندك راض. (٢: ٤٥٨)

الطّوسيّ: ﴿لِيُرْضُوكُمْ﴾ و معناه: يريدون بذلك رضاكم لتحمدوهم عليه. ثمّ قال تعالى ﴿وَاللهُ وَرَسُولُهُ اَحَقُّ اَنْ يُرْضُوهُ﴾ أي الله و رسوله أولى بأن يطلبوا مرضاتهما.

و قيل: في ردّ ضمير الواحد في قوله: ﴿وَاللهُ وَرَسُولُهُ اَحَقُّ اَنْ يُرْضُوهُ﴾ قولان:

أحدهما: أنّه لـمّا كان رضى رسول الله رضى الله ترك ذكره، لأنّه دالّ عليه، و التّقدير: و الله أحقّ أن يُرضوه و رسوله أحقّ أن يُرضوه. [ثمّ استشهد بشعر]

و الثّاني: أنّه لايُذكَر على طريق الجمل مع غيره، تعظيمًا له بإفراد الذّكر المعظّم بما لا يجوز إلّا له، و لذلك قال النّبيّ ﷺ لمن سمعه يقول: «مَن أطاع الله و رسوله هدى، و من يَعصِه فقد غوى». و إنّما أراد ما قلناه. (٥: ٢٨٩)

المَيْبُديّ: ﴿لِيُرْضُوكُمْ﴾ بحلفهم ﴿وَاللهُ وَرَسُولُهُ اَحَقُّ اَنْ يُرْضُوهُ اِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾، أي إن كانوا على ما يظهرون، فكان ينبغي أن لايعيبوا النّبيّ ﷺ فيكونوا بتولّيهم النّبيّ ﷺ و ترك عيبه، مؤمنين. (٤: ١٦٢)

الزّمَخْشَريّ: ﴿لِيُرْضُوكُمْ﴾ الخطاب للمسلمين، و كان المنافقون يتكلّمون بالمطاعن، أو يتخلّفون عن الجهاد، ثمّ يأتونهم فيعتذرون إليهم، و يؤكّدون معاذيرهم بالحلف، ليعذروهم و يرضوا عنهم، فقيل لهم: إن كنتم مؤمنين كما تزعمون فأحقّ من أرضيتم الله و رسوله بالطّاعة و الوفاق. و إنّما وحّد الضّمير لأنّه لاتفاوت بين رضا الله و رضا رسوله ﷺ، فكانا في حكم مرضيّ واحد، كقولك: إحسان زيد و إجماله

نعشني و جبر منّي. أو و الله أحقّ أن يُرضوه، و رسوله كذلك. (۲: ۱۹۹)

ابن عَطيّة: و قوله ﴿وَاللهُ﴾ مذهب سيبَوَيه أنّهما جملتان، حُذفت الأُولى لدلالة الثّانية عليها، و التّقدير عنده: و الله أحقّ أن يُرضوه و رسوله أحقّ أن يُرضوه [ثمّ استشهد بشعر]

و مذهب المُبَرّد أنّ في الكلام تقديمًا و تأخيرًا، و تقديره: و الله أحقّ أن يُرضوه و رسوله. قال: و كانوا يكرهون أن يُجمَع الرّسول مع الله في ضمير. حكاه النّقّاش عنه. و ليس هذا بشيء، و في مصنّف أبي داود أنّ النّبيّ ﷺ قال:[1] «من يطع الله و رسوله فقد رشد و من يعصهما...» فجمع في ضمير، و قوله ﷺ في الحديث الآخر: «بئس الخطيب أنت»، إنّما ذلك وقف في يعصهما، فأدخل العاصي في الرّشد. و قيل: الضّمير في ﴿يُرْضُوهُ﴾ عائد على المذكور، كما قال رؤبة:

فيها خطوط من سواد و بلق

كأنّه في الجلد توليع البهق

(۳: ٥۳)

الطَّبْرسيّ: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ﴾ أخبر سبحانه أنّ هؤلاء المنافقين يُقسمون بالله أنّ الّذي بلغكم عنهم باطل، اعتذارًا إليكم و طلبًا لمرضاتكم. ﴿وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ﴾ أي و الله و رسوله أحقّ و أولى بأن يطلبوا مرضاتهما. (۳: ٤٥)

الفَخْر الرّازيّ: و المعنى: أنّهم حلفوا على أنّهم ما قالوا ما حُكي عنهم، ليرضوا المؤمنين بيمينهم، و كان من الواجب أن يرضوا الله بالإخلاص و التّوبة، لا بإظهار ما يستسرّون خلافه، و نظيره قوله: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ اٰمَنُوا قَالُوا اٰمَنَّا﴾ البقرة: ۷٦.

و أمّا قوله: ﴿يُرْضُوهُ﴾ بعد تقدّم ذكر الله و ذكر الرّسول، ففيه وجوه:

الأوّل: أنّه تعالى لا يُذكَر مع غيره بالذّكر المجمل، بل يجب أن يُفرَد بالذّكر، تعظيمًا له.

و الثّاني: أنّ المقصود بجميع الطّاعات و العبادات هو الله، فاقتصر على ذكره. و يروى أنّ واحدًا من الكفّار رفع صوته، و قال: إنّي أتوب إلى الله و لا أتوب إلى محمّد، فسمع الرّسول ﷺ ذلك، و قال: «وضع الحقّ في أهله».

الثّالث: يجوز أن يكون المراد: يرضوهما، فاكتفى بذكر الواحد، كقوله:

نحن بما عندنا و أنت بما

عندك راض و الرّأي مختلف

و الرّابع: أنّ العالِم بالأسرار و الضّمائر هو الله تعالى، و إخلاص القلب لا يعلمه إلّا الله، فلهذا السّبب خصّ تعالى نفسه بالذّكر.

الخامس: لـمّا وجب أن يكون رضا الرّسول

---

(۱) ذكره البُرُوسَويّ ـ الّذي سيأتي ـ أنّه من قول رجل قام خطيبًا عند النّبيّ (ص) و ليس حديثًا من الرّسول (ص) و يؤيّده قوله عليه السّلام: «بئس الخطيب أنت».

مطابقًا لرضا الله تعالى و امتنع حصول المخالفة، بينهما، وقع الاكتفاء بذكر أحدهما، كما يقال: إحسان زيد و إجماله نعشني و جبرني.

السّادس: التّقدير: و الله أحقّ أن يُرضوه و رسوله كذلك. (١٦: ١١٨)

القُرطُبيّ: قوله تعالى: ﴿وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ﴾ ابتداء و خبر. و مذهب سيبَوَيه أنّ التّقدير: و الله أحقّ أن يُرضوه و رسوله أحقّ أن يُرضوه، ثمّ حُذف.

و قال محمّد بن يزيد: ليس في الكلام محذوف، و التّقدير: و الله أحقّ أن يُرضُوه و رسوله، على التّقديم و التّأخير.

و قال الفرّاء: المعنى و رسوله أحقّ أن يرضوه، ﴿وَاللهُ﴾ افتتاح كلام، كما تقول: ما شاء الله و شئت.

قال النّحّاس: قول سيبَوَيه أولاها، لأنّه قد صحّ عن النّبيّ ﷺ النّهي عن أن يقال: ما شاء الله و شئت، و لايُقدّر في شيء تقديم و لا تأخير، و معناه صحيح.

قلت: و قيل إنّ الله سبحانه جعل رضاه في رضاه؛ ألا ترى أنّه قال: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ﴾ النّساء: ٨٠. (٨: ١٩٣)

البَيْضاويّ: ﴿لِيُرْضُوكُمْ﴾ لترضوا عنهم، و الخطاب للمؤمنين. ﴿وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ﴾ أحقّ بالإرضاء بالطّاعة و الوفاق، و توحيد الضّمير لتلازم الرّضاءين، أو لأنّ الكلام في إيذاء الرّسول ﷺ و إرضائه، أو لأنّ التّقدير: و الله أحقّ أن يُرضُوه و الرّسول كذلك. (١: ٤٢١)

أبوحَيّان: و اللّام في ﴿لِيُرْضُوكُمْ﴾ لام كي، و أخطأ من ذهب إلى أنّها جواب القسم، و أفرد الضّمير في ﴿أَنْ يُرْضُوهُ﴾ لأنّهما في حكم مرضيّ واحد؛ إذ رضا الله هو رضا الرّسول، أو يكون في الكلام حذف.

قال ابن عَطية: مذهب سيبَوَيه أنّهما جملتان، حذفت الأُولى لدلالة الثّانية عليها، و التّقدير عنده: و الله أحقّ أن يُرضُوه، و رسوله أحقّ أن يُرضُوه. [ثمّ استشهد بشعر]

و مذهب المُبَرّد: أنّ في الكلام تقديمًا و تأخيرًا، و تقديره: و الله أحقّ أن يُرضُوه و رسوله. و قيل: الضّمير عائد على المذكور، كما قال رؤبة: [ثمّ ذكر شعره المتقدّم]

فقوله: مذهب سيبَوَيه أنّهما جملتان حذفت الأُولى لدلالة الثّانية عليها، إن كان الضّمير في أنّهما عائدًا على كلّ واحدة من الجملتين، فكيف تقول: حُذفت الأُولى و لم تحذف الأُولى؟ إنّما حُذف خبرها. و إن كان الضّمير عائدًا على الخبر و هو ﴿أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ﴾، فلايكون جملة، إلّا باعتقاد كون ﴿أَنْ يُرْضُوهُ﴾ مبتدأ و ﴿أَحَقُّ﴾ المتقدّم خبره. لكن لايتعيّن هذا القول؛ إذ يجوز أن يكون الخبر مفردًا بأن يكون التّقدير: أحقّ بأن يُرضُوه. و على التّقدير الأوّل يكون التّقدير: و الله إرضاؤه أحقّ. و قدّره الزّمَخشَريّ: و الله أحقّ أن يُرضُوه و رسوله كذلك ﴿إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ كما يزعمون، فأحقّ من يُرضُونه الله و رسوله ﷺ

بالطّاعة و الوفاق. (٥: ٦٤)

الشِّرْبينيّ: ﴿لِيُرْضُوكُمْ﴾ أي لترضوا عنهم، ﴿وَاللهُ وَرَسُولُهُ اَحَقُّ اَنْ يُرْضُوهُ﴾ أي بالإرضاء بالطّاعة و الوفاق. و إنّما وحّد الضّمير، لأنّه لاتفاوت بين رضا الله ورضا رسوله ﷺ لتلازمهما، كقولك: إحسان زيد وإجماله نعشني وجبر منّي. أو أنّ العالم بالأسرار و الضّمائر هو الله تعالى، و إخلاص القلب لايعلمه إلّا الله تعالى، و لهذا السّبب خصّ الله تعالى نفسه بالذّكر، أو لأنّ الكلام في إيذاء الرّسول و إرضائه، أو خبر ﴿اللهُ﴾ أو ﴿رَسُولُهُ﴾ محذوف، و في كلام البَيْضاويّ: إشارة إلى أنّ المذكور خبر الأوّل، لأنّه المتبوع، و في كلام سيبَوَيه أنّه للثّاني، لكونه أقرب مع السّلامة، من الفصل بين المبتدإ والخبر. (١: ٦٢٦)

أبوالسُّعود: ﴿لِيُرْضُوكُمْ﴾ بذلك، و إفراد إرضائهم بالتّعليل، مع أنّ عمدة أغراضهم إرضاء الرّسول ﷺ و قد قبل ﷺ ذلك منهم ولم يكذّبهم، للإيذان بأنّ ذلك بمعزل من أن يكون وسيلة إلى إرضائه ﷺ و أنّه ﷺ إنّما لم يكذّبهم رفقًا بهم وسترًا لعيوبهم، لاعن الرّضا بما فعلوا، كما أُشير إليه ﴿وَاللهُ وَرَسُولُهُ اَحَقُّ اَنْ يُرْضُوهُ﴾، أي أحقّ بالإرضاء، و لايتسنّى ذلك إلّا بالطّاعة و المتابعة، و إيفاء حقوقه ﷺ في باب الإجلال و الإعظام مشهدًا و مغيبًا. و أمّا ما أتوا به من الأيمان الفاجرة، فإنّما يرضى به من انحصر طريق علمه في الأخبار إلى أن يجيء الحقّ و يزهق الباطل.

والجملة نصب على الحاليّة من ضمير ﴿يَحْلِفُونَ﴾ أي يحلفون لكم لإرضائكم، و الحال أنّه تعالى و رسوله أحقّ بالإرضاء منكم، أي يعرضون عمّا يهمّهم و يجديهم، و يشتغلون بما لايعنيهم. و إفراد الضّمير في ﴿يُرْضُوهُ﴾ إمّا للإيذان بأنّ رضاه ﷺ مندرج تحت رضاه سبحانه، و إرضاؤه ﷺ إرضاء له تعالى، لقوله تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ اَطَاعَ اللهَ﴾ النّساء: ٨٠، و إمّا لأنّه مستعار لاسم الإشارة الّذي يُشار به إلى الواحد والمتعدّد بتأويل المذكور، كما في قول رؤبة:

فيها خطوط من سواد وبلق
كأنّه في الجلد توليع البهق

أي كأنّ ذلك، لايقال أيّ حاجة إلى الاستعارة بعد التّأويل المذكور، لأنّا نقول: لولا الاستعارة لم يتسنّ التّأويل، لما أنّ الضّمير لايتعرّض إلّا لذات ما يرجع إليه، من غير تعرّض لوصف من أوصافه الّتي من جملتها المذكوريّة، و إنّما المتعرّض لها اسم الإشارة، و إمّا لأنّه عائد إلى ﴿رَسُولُهُ﴾ و الكلام جملتان حُذف خبر الأولى لدلالة خبر الثّانية عليه، كما ذهب إليه سيبَوَيه، ومنه قول من قال:

نحن بما عندنا و أنت بما
عندك راض والرّأي مختلف

أو إلى ﴿اللهُ﴾ على أنّ المذكور خبر الجملة الأولى، و خبر الثّانية محذوف، كما هو رأي المُبَرِّد. (٣: ١٦٤)

البُرُوسَويّ: [نحو أبي السّعود و أضاف:]

قال الحدّاديّ: لم يقل: يرضوهما، لأنّه يُكرَه الجمع

بين ذكر اسم الله و ذكر اسم رسول له في كناية واحدة، كما روي أنّ رجلًا قام خطيبًا عند النّبيّ صلى الله عليه وسلم فقال: من يطع الله و رسوله فقد رشد، و من يعصهما فقد غوى. فقال صلى الله عليه وسلم «بئس الخطيب أنت، هلّا قلت: و من يعص الله و رسوله». قال في أبكار الأفكار: إنّما أراد بذلك تعليم الأدب في المنطق، و كراهة الجمع بين اسم الله و اسم غيره تحت حرف الكناية، لأنّه يتضمّن نوعًا من التّسوية. [ثمّ استشهد بشعر للسّعديّ]

و في الحديث: «لاتقولوا ما شاء الله و شاء فلان، و لكن قولوا: ما شاء الله ثمّ شاء فلان». قال الخطّابيّ: و هذا إرشاد إلى الأدب، لأنّ الواو للجمع و التّشريك، و «ثمّ» للعطف مع التّرتيب و التّراخي، فأرشدهم صلى الله عليه وسلم إلى تقديم مشيئة الله على مشيئة من سواه. و من هذا قال النّخعيّ: يُكرَه أن يقول الرّجل: أعوذ بالله و بك، و يجوز أعوذ بالله ثمّ بك، و يقال: لولا الله ثمّ فلان لفعلت كذا، و لايقال: لولا الله و فلان، و إنّما يقال: من يطع الله و رسوله، لأنّ الله تعبّد العباد بأن فرض عليهم طاعة رسول الله، فإذا أُطيع رسول الله، فقد أُطيع الله بطاعة رسوله. (۳: ٤٥٧)

الآلوسيّ: ﴿يَحْلِفُونَ...﴾ أي يحلفون لكم أنّهم ما قالوا ما نقل عنهم ممّا يورث أذاة النّبيّ صلى الله عليه وسلم ﴿لِيُرْضُوكُمْ﴾ بذلك. و عن مُقاتِل و الكلبيّ أنّها نزلت في رهط من المنافقين، تخلّفوا عن غزوة تبوك، فلمّا رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم منها أتوا المؤمنين يعتذرون إليهم من تخلّفهم، و يعتلّون و يحلفون.

و أنكر بعضهم هذا مقتصرًا على الأوّل، و لعلّه رأى ذلك أوفق بالمقام. و إنّما أفرد إرضاءهم بالتّعليل، مع أنّ عُمدة أغراضهم إرضاء الرّسول صلى الله عليه وسلم للإيذان بأنّ ذلك بمعزل عن أن يكون وسيلة لإرضائه عليه الصّلاة و السّلام، و أنّه صلى الله عليه وسلم إنّما لم يكذّبهم رفقًا بهم و سترًا لعيوبهم، لاعن رضى بما فعلوا، و قبول قلبيّ لما قالوا: ﴿وَاللهُ وَرَسُولُهُ اَحَقُّ اَنْ يُرْضُوهُ﴾ أي أحقّ بالإرضاء من غيره، و لايكون ذلك إلّا بالطّاعة و الموافقة لأمره، و إيفاء حقوقه عليه الصّلاة و السّلام، في باب الإجلال و الإعظام حضورًا و غيبةً. و أمّا الأيمان فإنّما يرضى بها من انحصر طريق علمه في الأخبار إلى أن يجيء الحقّ و يزهق الباطل، و الجملة في موضع الحال من ضمير ﴿يَحْلِفُونَ﴾، و المراد: ذمّهم بالاشتغال فيما لايعنيهم، و الإعراض عمّا يهمّهم و يُجديهم.

و توحيد الضّمير في: ﴿يُرْضُوهُ﴾ مع أنّ الظّاهر بعد العطف بالواو التّثنية، لأنّ... [ثمّ أدام البحث نحو ما تقدّم عن أبي السّعود وغيره] (۱۰: ۱۲۸)

القاسميّ: [بعد نقل كلام الزّمخشريّ قال:]

و لـمّا كان الظّاهر بعد العطف بالواو التّثنية، و قد أفرد، وجّهوه، بأنّ إرضاء الرّسول إرضاء لله تعالى، لقوله تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ اَطَاعَ اللهَ﴾ النّساء: ۸۰، فلتلازمهما جُعلا كشيء واحد، فعاد عليهما الضّمير المفرد، و ﴿اَحَقُّ﴾ على هذا، خبر عنهما من غير تقدير.

أو بأنّ الضّمير عائد إلى الله تعالى، و ﴿اَحَقُّ﴾ خبره لسبقه، و الكلام جملتان، حُذف خبر الجملة

الثّانية، لدلالة الأولى عليه، أي و لله أحقّ أن يُرضوه و رسوله كذلك.

و سيبَوَيه جعله للثّاني، لأنّه أقرب، مع السّلامة من الفصل بين المبتدإ و الخبر. [ثمّ استشهد بشعر]

أو بأنّ الضّمير لهما بتأويل ما ذُكر، أو كلّ منهما، و أنّه لم يُثنّ تأدّبًا، لئلّا يجمع بين الله و غيره في ضمير تثنية، و قد نُهي عنه، على كلام فيه.

أو بأنّ الكلام في إيذاء الرّسول ﷺ و إرضائه، فيكون ذكر الله تعظيمًا له و تمهيدًا، فلذا لم يخبر عنه، و خصّ الخبر بالرّسول.

قال الشّهاب: و فيه تأمّل، انتهى.

و قد عهد لهم القول بمثله في آيات كثيرة، و جواب الشّرط مقدّر يدلّ عليه ما قبله، و قراءة التّاء على الالتفات، للتّوبيخ. (٨: ٣١٩٠)

رشيد رضا: فقوله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ﴾ خطاب للمؤمنين في بعض شؤون هؤلاء المنافقين معهم في غزوة تبوك، أخبرهم بأنّهم شعروا بما لم يكونوا يشعرون من ظهور نفاقهم، فكثر اعتذارهم و حلفهم للمؤمنين في كلّ ما يعلمون أنّهم متّهمون به من قول وعمل؛ ليرضوهم فيطمئنّوا لهم، فتنتفي داعية إخبار الرّسول ﷺ بما ينكرون منهم، وقد ردّ الله تعالى عليهم بقوله: ﴿وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ﴾ أي و الحال أنّ الله و رسوله أحقّ بالإرضاء من المؤمنين، فإنّ المؤمنين قد يصدّقونهم فيما يحلفون عليه إذا لم يكن كذبهم فيه ظاهرًا معلومًا باليقين، ولكنّ الله لا يخفى عليه شيء، فهو يعلم خائنة الأعين و ما تُخفي الصّدور، وهو يُوحي إلى رسوله من أمور الغيب ما فيه المصلحة.

و كان الظّاهر أن يقال: «يُرْضُوهُمَا» و نكتة العدول عنه إلى ﴿يُرْضُوهُ﴾ الإعلام بأنّ إرضاء رسوله من حيث إنّه رسوله عين إرضائه تعالى، لأنّه إرضاء له في اتّباع ما أرسله به، و هذا من بلاغة القرآن في الإيجاز. و لو قال: يُرضُوهما لما أفاد هذا المعنى؛ إذ يجوز في نفس العبارة أن يكون إرضاء كلّ منهما في غير ما يكون به إرضاء الآخر، وهو خلاف المراد هنا، و كذلك لو قيل: و الله أحقّ أن يُرضوه و رسوله أحقّ أن يُرضوه، لا يفيد هذا المعنى أيضًا، وفيه ما فيه من الرّكاكة و التّطويل.

و قد خرّجه علماء النّحو على قواعدهم، فقال بعضهم كأبي السّعود: إنّ الضّمير المفرد هنا يعود إلى ما فُهم ممّا قبله الّذي يُفسّر باسم الإشارة، أو ما ذُكر كقول رؤبة:

فيها خطوط من سواد و بلق

كأنّه في الجلد توليع البهق

يعني كأنّ ذلك أو كأنّ ما ذُكر، و هو تخريج ضعيف لا يظهر في المثنّى.

و قال بعضهم: إنّ الضّمير عائد إلى اسم الجلالة، و يقدّر مثله للرّسول. و قال بعضهم: إنّه للرّسول وحده، لأنّ الكلام في إيذائه، و هو أضعف ممّا قبله، و أقرب الأقوال إلى قواعدهم قول سيبَوَيه: إنّ الكلام جملتان حَذْفُ خبر إحديهما لدلالة خبر الأُخرى عليه. [ثمّ استشهد بشعر]

فهذا لاتكلّف فيه من ناحية التّركيب العربيّ، و لكن تفوت به النّكتة الّتي ذكرناها، و هي من بلاغة القرآن الّتي يجب على أهل البيان اقتباسها، و استعمال مثل هذا التّعبير في كلّ ما كان مثله في المعنى، و لولا هذا التّنبيه لما عنينا بنقل أقوالهم في الإعراب، لأنّه مخالف لمنهاجنا. (١٠: ٥٢٣)

المَراغيّ: هذا خطاب للمؤمنين، أي يحلفون لكم إنّهم ما قالوا ما نُقل عنهم ممّا يورث أذاة النّبيّ ﷺ ليُرضوكم، و قد كان من دأبهم أن يتكلّموا بما لاينبغي أن يقال، ثمّ يأتونهم فيعتذرون إليهم، و يؤكّدون معاذيرهم بالأيمان، ليعذروهم و يرضوا عنهم.

و في كثرة الاعتذار و الحلف للمؤمنين في كلّ ما يعلمون، أنّهم متّهمون به من قول أو فعل ليُرضوهم، فلايخبروا الرّسول ﷺ دليل على أنّهم شعروا بظهور نفاقهم، و افتضاح أمرهم.

﴿وَاللّٰهُ وَرَسُولُهُ اَحَقُّ اَنْ يُرْضُوهُ﴾ أي و الحال أنّ الله و رسوله أحقّ بالإرضاء من المؤمنين، فإنّ المؤمنين قد يصدّقونهم فيما يحلفون عليه إذا لم يكن كذبهم فيه ظاهرًا معلومًا باليقين، و لكنّ الله لايخفى عليه شيء في الأرض و لا في السّماء، و يعلم خائنة الأعين و ما تُخفي الصّدور، فيُوحي إلى رسوله ﷺ من أمور الغيب ما فيه المصلحة للمؤمنين.

و في التّعبير بـ ﴿يُرْضُوهُ﴾ دون «يرضوهما» إشعار بأنّ إرضاء رسوله هو عين إرضائه تعالى، لأنّه إرضاء له في اتّباع ما أرسله به. (١٠: ١٤٩)

سيّدقُطْب: يحلفون بالله لكم ليرضوكم، على طريقة المنافقين في كلّ زمان، الّذين يقولون ما يقولون، و يفعلون ما يفعلون من وراء الظّهور، ثمّ يجبنون عن المواجهة، و يضعفون عن المصارحة، فيتضاءلون و يتخاذلون للنّاس ليرضوهم، ﴿وَاللّٰهُ وَرَسُولُهُ اَحَقُّ اَنْ يُرْضُوهُ اِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾.

فماذا يكون النّاس؟ و ماذا تبلغ قوّتهم؟ و لكن الّذي لايؤمن بالله عادة و لايعنو له، يعنو لإنسان مثله و يخشاه، و لقد كان خيرًا أن يعنو لله الّذي يتساوى أمامه الجميع، و لايذلّ من يخضع له، إنّما يذلّ من يخضع لعباده، و لايصغر من يخشاه، إنّما يصغر من يُعرضون عنه، فيخشون من دونه من عباد الله. (٣: ١٦٧١)

ابن عاشور: كاف الخطاب للمسلمين، و ذلك يدلّ على أنّ المنافقين يحلفون على التّبرّي، ممّا يبلغ المسلمين من أقوالهم المؤذية للرّسول عليه الصّلاة و السّلام؛ و ذلك يغيظ المسلمين و ينكرهم عليهم، و النّبيّ ﷺ يُغضي عن ذلك، فلذلك قال الله تعالى: ﴿وَاللّٰهُ وَرَسُولُهُ اَحَقُّ اَنْ يُرْضُوهُ﴾ أي أحقّ منكم بأن يُرضُوهما ـ و سيأتي تعليل أحقّيّة الله و رسوله بأن يرضوهما في الآية الّتي بعدها ـ فإرضاء الله بالإيمان به و برسوله و تعظيم رسوله، و إرضاء الرّسول بتصديقه و محبّته و إكرامه.

و إنّما أُفرد الضّمير في قوله: ﴿اَنْ يُرْضُوهُ﴾ مع أنّ المعاد اثنان، لأنّه أُريد عود الضّمير إلى أوّل الاسمين، و اعتبار العطف من عطف الجمل بتقدير: و الله أحقّ أن يُرضوه و رسوله كذلك، فيكون الكلام بجملتين،

ثانيتهما كالاحتراس، و حذف الخبر إيجاز. و من نكتة ذلك: الإشارة إلى التّفرقة بين الإرضاءين، و منه قول ضابئ بن الحارث:

و من يك أمسى بالمدينة رحله

فإنّي و قيّار بها لغريب

التّقدير: فإنّي لغريب و قيّار بها غريب أيضًا، لأنّ إحدى الغربتين مخالفة لأخراهما.

و الضّمير المنصوب في ﴿يُرْضُوهُ﴾ عائد إلى اسم الجلالة، لأنّه الأهمّ في الخبر، و لذلك ابتدئ به؛ ألا ترى أنّ بيت ضابئ قد جاء في خبره المذكور لام الابتداء الّذي هو من علائق «إنّ» الكائنة في الجملة الأولى، دون الجملة الثّانية، و هذا الاستعمال هو الغالب. (١٠: ١٣٦)

مَغْنِيّة: و الخطاب في ﴿لَكُمْ﴾ و في ﴿لِيُرْضُوكُمْ﴾ للنّبيّ و المؤمنين، فلقد أخبرهم الله تعالى في هذه الآية أنّ المنافقين حين علموا باطّلاعكم على ما قالوه في حقّ النّبيّ ﷺ خافوا منكم، فالتجأوا إلى اليمين الكاذبة ليُرضوكم، و كان الأولى بهم أن يُرضوا الله و رسوله بالتّوبة و الإخلاص. و في الحديث: «من حلف على يمين، و هو يعلم أنّه كاذب، فقد بارز الله بالمحاربة».

و في التّعبير بـ ﴿يُرْضُوهُ﴾ دون يرضوهما إشعار بأنّ إرضاء الرّسول هو عين إرضاء الله، كما أنّ إيذاءه عين إيذائه. (٤: ٦٢)

الطّباطبائيّ: و قد حوّل الله الخطاب في الآية عن نبيّه ﷺ إلى المؤمنين التفاتًا، و كأنّ الوجه فيه التّلويح لهم بما يشتمل عليه قوله: ﴿وَ اللهُ وَ رَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ من الحكم، و هو أنّ من الواجب على كلّ مؤمن أن يُرضي الله و رسوله، و لا يحادّ الله و رسوله، فإنّ فيه خزيًا عظيمًا، نار جهنّم خالدًا فيها.

و من أدب التّوحيد في الآية ما في قوله: ﴿أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ﴾ من إفراد الضّمير، و لم يقل: أحقّ أن يُرضوهما، صونًا لمقامه تعالى من أن يعدل به أحد، فإنّ أمثال هذه الحقوق و كذا الأوصاف الّتي يشاركه تعالى غيره من حيث الإطلاق و الإجراء، له تعالى بالذّات و لنفسه و لغيره بالتّبع أو بالعرض، و من جهته كوجوب الإرضاء و التّعظيم و الطّاعة و غيرها، و كالاتّصاف بالعلم و الحياة و الإحياء و الإماتة و غيرها.

و قد روعي نظير هذا الأدب في القرآن في موارد كثيرة، فيما يشارك النّبيّ ﷺ غيره من الأمّة من الشّؤون، فأُخرج النّبيّ ﷺ من بينهم و أُفرد بالذّكر، كما في قوله: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى اللهُ النَّبِىَّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ التّحريم: ٨، و قوله: ﴿فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ الفتح: ٢٦، و قوله: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ البقرة: ٢٨٥، و غير ذلك. (٩: ٣١٧)

عبد الكريم الخطيب: هو تسفيه لموقف هؤلاء المنافقين الّذي يتّخذونه من المؤمنين، حين يجيئون إليهم معتذرين، عمّا شاع عنهم من قولهم المنكر في رسول الله، فهم يدفعون عن أنفسهم هذا الاتّهام الّذي يتّهمهم به المؤمنون، بالحلف كذبًا أنّهم ما قالوا شيئًا

يمسّ رسول الله، و هم في هذا كاذبون منافقون، لأنّهم لو كانوا مؤمنين حقًّا لكان أوّل ما يعنيهم من أمرهم، هو براءة ساحتهم عند الله؛ و ذلك بإخلاص إيمانهم، و سلامة قلوبهم، و إخلاء ضمائرهم من النّفاق الّذي يموج فيها، فلو أنّهم فعلوا هذا لكانوا مؤمنين حقًّا، و لرضي الله عنهم و رسوله، و لما كان بهم من حاجة إلى استرضاء المؤمنين و الحلف لهم، لأنّ المرء إذا لم يكن متّهمًا عند نفسه، لايجد داعية إلى دفع اتّهام هو منه بريء، كما لايجد داعية إلى الحلف، إن هو أراد دفع هذا الاتّهام.

و في مخالفة النّظم في قوله تعالى: ﴿وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ﴾ لما يقتضيه السّياق، و هو أن يعود الضّمير على الله و الرّسول هكذا: «يرضوهما» في هذه المخالفة ما يشعر بأنّ في رضى الله رضى الرّسول، و أنّ في رضى الرّسول رضى الله سبحانه و تعالى؛ إذ ليس فيما يرضى الله ما لا يرضى الرّسول، و لا فيما يرضى الرّسول ما لا يرضى الله.

و لو جاء النّظم على ما يقتضيه ظاهر السّياق، فجاء هكذا: «و الله و رسوله أحقّ أن يُرضوهما» لكان من معنى هذا أنّ الله سبحانه و تعالى ما يُرضيه من عباده، و أنّ للرّسول صلوات الله و سلامه عليه ما يُرضيه منهم، و أنّ هذا الّذي يرضى الله، و ذلك الّذي يرضى الرّسول، قد يتّفقان، و قد يختلفان.

أمّا الّذي جاء عليه النّظم القرآنيّ، فإنّه لا يدع مجالًا لهذا الاحتمال، بل يجعل التّوافق تامًّا مطلقًا، بين ما يُرضي الله، و يُرضي رسول الله، و في هذا فوق أنّه تكريم للرّسول، و تنويه بقدره، و تشريف للرّسالة الكريمة الّتي يحملها هو إعجاز من القرآن، في إحكام نظمه، و صدق أدائه، و وزن كلماته و حروفه، بمعيار لا تستطيع قوّة بشريّة أن تمسك به، لدقّته، و علوّه عن مستوى الحواسّ و المدركات.

و من جهة أخرى، فإنّه لو عاد الضّمير على الله و الرّسول معًا، لكان فيه إخلال بمقام الأُلوهيّة، و تسوية الخالق بمخلوق من مخلوقاته، و الله سبحانه و تعالى منزّه عن أن يشاركه في جلاله بشر، و لو كان أكرم الخلق عليه، فاقتضى هذا المقام أن يجيء الضّمير مفردًا، يعود إلى الله سبحانه، و كفى الرّسول الكريم شرفًا أن يجيء تابعًا لله سبحانه فيما يُرضيه، و على هذا جاء قوله تعالى: ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ التّوبة: ٣، و لم يجئ النّظم هكذا: «أنّ الله و رسوله بريئان من المشركين» فهذا و ذاك على سواء.

(٥: ٨٢٥)

مكارم الشّيرازيّ: المنافقون و التّظاهر بالحقّ:

إنّ إحدى علامات المنافقين و أعمالهم القبيحة و الّتي أشار إليها القرآن مرارًا هي إنكارهم الأعمال القبيحة و المخالفة للدّين و العُرف، و هم إنّما ينكرونها من أجل التّغطية على واقعهم السّيّئ و إخفاء الصّورة الحقيقيّة لهم، و لمّا كان المجتمع يعرفهم و يعرف كذبهم في هذا الإنكار، فقد كانوا يلجؤون إلى الأيمان الكاذبة من أجل مخادعة النّاس و إرضائهم.

و في الآيات السّابقة الذّكر نرى أنّ القرآن المجيد يكشف السّتار عن هذا العمل القبيح، ليفضح هؤلاء من جهة، و يُحذّر المسلمين من تصديق الأيمان الكاذبة من جهة أُخرى.

في البداية يخاطب القرآن الكريم المسلمين و ينبّههم إلى أنّ هدف هؤلاء من القسم هو إرضاؤكم ﴿يَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ﴾، و من الواضح إذن أنّ هدف هؤلاء من هذه الأيمان لم يكن بيان الحقيقة، بل إنّهم يَسْعَون عن طريق المكر و الخديعة إلى أن يصوّروا لكم الأشياء و الواقع على غير صورته الحقيقية، و يصلون عن هذا الطّريق إلى مقاصدهم، و إلّا فلو كان هدفهم هو إرضاء المؤمنين الحقيقيّين عنهم، فإنّ إرضاء الله و رسوله أهمّ من إرضاء المؤمنين، غير أنّا نرى أنّهم بأعمالهم هذه قد أسخطوا الله و رسوله، و لذا عقّبت الآية، فقالت: ﴿وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾.

ممّا يلفت النّظر أنّ الجملة المذكورة لمّا كانت تتحدّث عن الله و رسوله، فعلى القاعدة النّحويّة ينبغي أن يكون الضّمير في ﴿يُرْضُوهُ﴾ ضمير التّثنية، غير أنّ المستعمل هنا هو ضمير المفرد، و هذا الاستعمال و التّعبير يُشير إلى أنّ رضا النّبيّ ﷺ من رضا الله. بل أنّه لا يرتضي من الأعمال إلّا ما يرتضيه الله سبحانه، و بعبارة أُخرى: فإنّ هذا التّعبير يُشير إلى حقيقة «توحيد الأفعال»، لأنّ النّبيّ الأكرم ﷺ لا يملك استقلاليّة العمل في مقابل الله، بل إنّ غضبه و رضاه و كلّ أعماله تنتهي إلى الله، فكلّ شيء من أجل الله و في سبيله. (٦: ٩٩)

فضل الله: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ﴾ في مواقف الشّكّ الّذي توجّهونه نحوهم، و في مجالات العتاب الّذي تُثيرونه في وجوههم، و يلهثون وراءكم من أجل أن يؤكّدوا لكم أنّهم في مستوى الثّقة، فيحلفون لكم بالأيمان المغلّظة، ليحصلوا على رضاكم عنهم، و ثقتكم بهم. و تلك هي صفة المنافقين الّذين يعيشون الهمّ الكبير، لأقلّ بادرة شكّ في سلوكهم لدى الآخرين، لأنّ القضيّة عندهم هي الحصول على رضا المجتمع. فإذا فقدوا ذلك، فقدوا الأساس الّذي يرتكزون عليه في حياتهم العامّة ﴿وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ﴾ لأنّه هو الضّمانة الوحيدة للنّجاة في الدّنيا و الآخرة، في ما تمثّله قضيّة المصير الّتي ترتبط بالخطّ الّذي يتّصل بالله و رسوله، و يحقّق رضاهما عن السّائرين عليه.

أمّا رضا النّاس، فإنّه لايمثّل شيئًا حقيقيًّا في ميزان القيمة الرّوحيّة، كما أنّه لايشكّل أيّة ضمانة كبيرة على مستوى الآخرة؛ و ذلك هو ما يمثّله موقف الإيمان الّذي لايتطلّع فيه المؤمن إلّا إلى الله، لأنّ قيمة النّاس عنده لاتخضع إلّا لعلاقتهم بالله، فهو الأساس لأيّة علاقة بكلّ ما عداه، فمنه تنطلق الفكرة، و عنده تتحرّك العاطفة، و في رحابه تنشأ العلاقة بالآخرين.

(١١: ١٤٨)

يُرْضُونَكُمْ

كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَايَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَاذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ

فَاسِقُونَ. التّوبة : ٨

الطَّبَريّ: فإنّه يقول: يُعطُونكم بألسنتهم من القول، خلاف ما يُضمرونه لكم في نفوسهم من العداوة والبغضاء. (٦ : ٣٢٧)

الثّعلبيّ: يُعطُونكم ويرونكم بألسنتهم، خلاف ما في قلوبهم، مثل قول المنافقين. (٥ : ١٥)

الماوَرْديّ: يحتمل ثلاثة أوجُه:

أحدها: يُرضونك بأفواههم في الوفاء، وتأبى قلوبهم إلّا الغدر.

والثّاني: يُرضونكم بأفواههم في الطّاعة، وتأبى قلوبهم إلّا المعصية.

والثّالث: يُرضونكم بأفواهم في الوعد بالإيمان، وتأبى قلوبهم إلّا الشّرك. لأنّ النّبيّ ﷺ لا يُرضيه من المشركين إلّا بالإيمان. (٢ : ٣٤٣)

الطّوسيّ: معناه: يقولون قولًا يُرضيكم بذلك في الظّاهر وتأبى قلوبهم أن يذعنوا لكم، بتصديق ما يبدونه لكم. (٥ : ٢٠٩)

القُشَيْريّ: أي لاعجب من طبعهم، فإنّهم في حقّنا كذلك يفعلون: يُظهرون لباس الإيمان ويُضمرون الكفر. وإنّهم لذلك يعيشون معكم في زيّ الوفاق، ويستبطنون عين الشّقاق وسوء النّفاق. (٣ : ١٠)

المَيْبُديّ: بالوعد بالإيمان، والطّاعة والوفاء بالعهد. (٤ : ٩٤)

الزّمَخْشَريّ: ﴿يُرْضُونَكُمْ﴾ كلام مبتدأ في وصف حالهم من مخالفة الظّاهر الباطن، مقرّر لاستبعاد الثّبات منهم على العهد. وإباء القلوب مخالفة ما فيها من الأضغان، لما يجرونه على ألسنتهم من الكلام الجميل. (٢ : ٢٥٠)

الطَّبْرِسيّ: معناه: يتكلّمون بكلام الموالين لكم لترضوا عنهم، وتأبى قلوبهم إلّا العداوة والغدر ونقض العهد. (٣ : ٩)

الفَخْرالرّازيّ: أي يقولون بألسنتهم كلامًا حُلْوًا طيّبًا، والّذي في قلوبهم بخلاف ذلك، فإنّهم لايضمرون إلّا الشّرّ والإيذاء إن قدروا عليه. (١٥ : ٢٣١)

القُرطُبيّ: أي يقولون بألسنتهم ما يُرضي ظاهره. (٨ : ٨٠)

البَيْضاويّ: استئناف لبيان حالهم المنافية لثباتهم على العهد، المؤدّية إلى عدم مراقبتهم عند الظّفر. ولايجوز جعله حالًا من فاعل ﴿لَايَرْقُبُوا﴾ فإنّهم بعد ظهورهم لايرضون، ولأنّ المراد إثبات إرضائهم المؤمنين بوعد الإيمان والطّاعة والوفاء بالعهد في الحال، واستبطان الكفر والمعاداة بحيث إن ظفروا لم يبقوا عليهم والحاليّة تنافيه. (١ : ٤٠٧)

الخازن: يعني يطيعونكم بألسنتهم بخلاف ما في قلوبهم. (٣ : ٥٢)

أبوحَيّان: ولـمّا ذكر حالهم مع المؤمنين إن ظهروا عليهم، ذكر حالهم معهم إذا كانوا غير ظاهرين، فقال: ﴿يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ واستأنف هذا الكلام أي، حالهم في الظّاهر يخالف لباطنهم. وهذا كلّه تقرير واستبعاد لثبات قلوبهم على العهد، وإباء القلب مخالفته لمايجري على اللّسان من القول الحسن.

و قيل: يُرضونكم بأفواههم في العدة بالإيمان، و تأبى قلوبهم إلّا الكفر. و قيل: يُرضونكم في الطّاعة، و تأبى قلوبهم إلّا المعصية. (٥: ١٣)

أبو السُّعود: ﴿يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ حيث يُظهرون الوفاء و المصافاة و يعدون لكم بالإيمان والطّاعة، و يؤكّدون ذلك بالأيمان الفاجرة و تُعلّلون عند ظهور خلافه بالمعاذير الكاذبة. و نسبة الإرضاء إلى الأفواه، للإيذان بأنّ كلامهم مجرّد ألفاظ يتفوّهون بها من غير أن يكون لها مصداق في قلوبهم. (٣: ١٢٧)

البُرُوسَوِيّ: استئناف بيانيّ، كأنّه قيل: بأيّ وجه لا يراعون الحلف أو القرابة، فكيف يقدمون على عدم المراعاة. فأجيب بأنّهم يُرضونكم بأفواههم. [ثمّ أدام الكلام مثل أبي السُّعود] (٣: ٣٩٠)

الآلوسيّ: استئناف للكشف عن حقيقة شؤونهم الجليّة و الخفيّة، دافع لما يُتوهّم من تعليق عدم رعاية العهد بالظّفر، أنّهم يراعونه عند عدم ذلك؛ حيث بيّن فيه أنّهم في حالة العجز أيضًا ليسوا من الوفاء في شيء، و أنّ ما يُظهرونه أخفاهم الله تعالى مداهنة. لامهادنة، و كيفيّة إرضائهم المؤمنين أنّهم يُبدون لهم الوفاء و المصافاة، و يعدونهم بالأيمان و الطّاعة، و يؤكّدون ذلك بالأيمان الفاجرة، و المؤمن غرّ كريم إذا قال: صدق، و إذا قيل له: صدّق، و يتعلّلون لهم عند ظهور خلاف ذلك بالمعاذير الكاذبة.

و تقييد الإرضاء بالأفواه، للإيذان بأنّ كلامهم مجرّد ألفاظ يتفوّهون بها، من غير أن يكون لها مصداق في قلوبهم، و أكّد هذا بمضمون الجملة الثّانية. و زعم بعضهم أنّ الجملة حاليّة من فاعل ﴿يَرْقُبُوا﴾ لااستئنافيّة. و رُدّ بأنّ الحال تقتضي المقارنة و الإرضاء قبل الظّهور الّذي هو قبل عدم الرّقوب الواقع جزاء، فأين المقارنة!

و أيضًا إنّ بين الحالتين منافاة ظاهرة، فإنّ الإرضاء بالأفواه حالة إخفاء الكفر و البغض مداراة للمؤمنين و حالة عدم المراعاة، و الوقوف حالة مجاهرة بالعداوة لهم، و حيث تنافيا لامعنى لتقييد إحداهما بالأخرى. (١٠: ٥٦)

المَراغيّ: أي هم يخادعونكم حال الضّعف بما يفوّهون به من كلام معسول، يرون أنّه يُرضيكم، سواء أكان عهدًا أم وعدًا أم أيمانًا مؤكّدة، و قلوبهم مملوءة ضغنًا و حقدًا ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ الفتح: ١١، فهم إن ظهروا عليكم نكثوا العهود و حنثوا بالأيمان و فتكوا بكم بقدر ما يستطيعون. (١٠: ٦٣)

نحوه رشيد رضا. (١٠: ١٨٥)

ابن عاشور: استئناف ابتدائيّ، أي هم يقولون لكم ما يُرضيكم، كيدًا، و لو تمكّنوا منكم لم يرقبوا فيكم إلًّا و لاذمّة، من يسمع كلامًا فيأباه. (١٠: ٣١)

الطَّباطَبائيّ: قوله: ﴿يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ من المجاز العقليّ نسب فيه الإرضاء إلى الأفواه، و هو في الحقيقة منسوب إلى القول و الكلام الخارج من الأفواه المكوّن فيها.

و قوله: ﴿يُرْضُونَكُمْ﴾ الآية تعليل لإنكار وجود العهد للمشركين، و لذلك جيء به بالفصل، و التّقدير: كيف يكون لهم عهد و هم يُرضونكم بأفواههم، و تأبى

قلوبهم و أكثرهم فاسقون. (٩ : ١٥٧)

عبد الكريم الخطيب: هـو كشف للمؤمنين عمّا في نفوس المشركين من عداوة و بغضاء لهم، و أنّهـم إذا ألانوا الكلام مع المـؤمنين، و أسمعـوهم طيّـب الكلـم و معسول القول، فإنّ ما في صدورهم على خلاف هذا. (٥ : ٧٠٨)

مكارم الشّيرازيّ: و تُضيف الآية معقبّة، بـأنّ هؤلاء يريدون أن يخدعوكم بألفاظهم المزوّقة، فقالت: ﴿يُرْضُونَكُمْ بِاَفْوَاهِهِمْ وَتَـاْبٰى قُلُـوبُهُمْ﴾ لأنّ قلـوبهم مليئة بالحقد و القسوة و طلب الانتقام، و عدم الاعتناء بالعهد و علاقة القربى، و إن أظهروا المحبّة بألسنتهم.

و في نهاية الآية إشارة إلى جـذر هـذا الموضـوع و أساسه، و هو فسقهم، فتقول: ﴿وَاَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾. (٥ : ٤٩٠)

فضل الله: في ما يُثيرونه أمامكم مـن الأسـاليب الخادعة، و ما يوجّهونـه إلـيكم مـن الكـلام المـزوّق المزخرف الخادع الّذي يُظهرون لكم فيـه الإخـلاص و المحبّة. (١١ : ٣٨)

يُرْضُوكُمْ

يَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللهُ وَرَسُـولُهُ اَحَـقُّ اَنْ يُرْضُوهُ اِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ. التّوبة : ٦٢

راجع: ر ض و: «يُرْضُوهُ».

رَاضِيَةٍ

١ـ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ. الحاقّة : ٢١

الفَـرّاء: و قولـه: ﴿فِي عِيشَـةٍ رَاضِـيَةٍ﴾ فيهـا الرّضاء، و العرب تقول: هذا ليـل نـائم، و سـرّ كـاتم، و ماء دافق، فيجعلونه فاعلًا، و هو مفعول في الأصـل، و ذلك: أنّهم يريدون وجه المـدح أو الـذّمّ، فيقولـون ذلك، لا على بناء الفعل، و لو كان فعلًا مصرّحًا لم يُقَـل ذلك فيه، لأنّه لا يجوز أن تقول للضّـارب: مضـروب، و لا للمضروب: ضارب، لأنّه لا مدح فيه، و لا ذمّ. (٣ : ١٨٢)

الطّبَريّ: يقول تعالى ذكره: فالّذي وصفت أمره، و هو الّذي أُوتي كتابه بيمينـه، في عيشـة مرضـيّة، أو عيشة فيها الرّضا، فوصـفت العيشـة بالرّضـا و هـي مرضيّة، لأنّ ذلك مدح للعيشة. [ثمّ قال نحو الفرّاء] (١٢ : ٢١٨)

الثّعلبيّ: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ مرضيّة، كقوله: ﴿مَاءٍ دَافِقٍ﴾ الطّارق : ٦، و قيل: ذات رضًا مثل لابـن و تامر. (١٠ : ٣٠)

المـاوَرْديّ: ﴿فَهُـوَ فِي عِيشَـةٍ رَاضِـيَةٍ﴾ بمعـنى مرضيّة. قال أبوهريرة و أبو سعيد الخُـدريّ يرفعانـه: «إنّهم يعيشـون فلا يموتون أبدًا، و يصحّون فلا يمرضـون أبـدًا، ويتنعّمـون فلا يـرون بُؤسًـا أبـدًا، و يشـبّون فلا يهرمون أبدًا». (٦ : ٨٣)

الطّوسيّ: أي في عيشة مرضـيّة، تقـول: عـاش يعيش عيشًا و عيشةً، و هي الحالـة الّـتي تسـتمرّ بهـا الحياة، و منه المعاش الّذي يطلب التّصـرّف لـه بعائـد النّفع عليه، و ﴿رَاضِـيَةٍ﴾ معناه مرضيّة، فـ«فاعلـة» بمعنى «مفعولة» لأنّه في معنى ذات رضًـا، كمـا قيـل: لابن و تامر، أي ذو لبن و ذو تمر. قال النّابغة:

كليني لهم يا أميمة ناصب

و ليل أقاسيه بطيء الكواكب

أي ذو نصب. فكأنّ العيشة أُعطيت حتّى رضيت، لأنّها بمنزلة الطّالبة، كما أنّ الشّهوة بمنزلة الطّالبة للمشتهي. و قيل: هو كقولهم: ليل نائم و سرّ كاتم و ماء دافق، على وجه المبالغة في الصّفة من غير التباس في المعنى، فعلى هذا جاء ﴿عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ و لا يجوز على هذا القياس زيد ضارب بمعنى مضروب، لأنّه يلتبس به. (١٠: ١٠٦)

القُشَيْريّ: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ القوم غدًا في عيشة راضية، أي مرضيّة لهم، و هؤلاء القوم اليوم في عيشة راضية، و الفرق بينهما أنّهم غدًا في عيشة راضية، لأنّه قد قضيت أوطارهم، و ارتفعت مآربهم، و حصلت حاجاتهم، و هم اليوم في عيشة راضية؛ إذ كفّوا مآربهم، فدفع عن قلوبهم حوائجهم، فليس لهم إرادة شيء، و لا تمسّهم حاجة، و إنّما هم في روح الرّضا. فعيش أُولئك في العطاء، و عيش هؤلاء في الرّضاء، لأنّه إذا بدا علم من الحقيقة أو معنى من معانيها، فلا يكون ثمّة حاجة و لا سؤال. (٦: ١٩٤)

المَيْبُديّ: أي في حياة مرضيّة يرضى بها صاحبها، و خرجت مخرج سائر رؤوس الآي. (١٠: ٢١٢)

الزّمَخْشَريّ: ﴿رَاضِيَةٍ﴾ منسوبة إلى الرّضا، كالدّارع و النّابل. و النّسبة نسبتان: نسبة بالحرف، و نسبة بالصّيغة. أو جعل الفعل لها مجازًا و هو لصاحبها. (٤: ١٥٣)

ابن عَطيّة: و ﴿رَاضِيَةٍ﴾ معناه ذات رضًى، فهو بمعنى مرضيّة، و ليست بناء اسم فاعل. (٥: ٣٦٠)

الطَّبْرِسيّ: أي في حالة من العيش راضية يرضاها، بأن لقي الثّواب و آمن العقاب. (٥: ٣٤٦)

الفَخْر الرّازيّ: و فيه مسألتان:

المسألة الأُولى: وصف العيشة بأنّها راضية، فيه وجهان:

الأوّل: المعنى أنّها منسوبة إلى الرّضا كالدّارع و النّابل، و النّسبة نسبتان: نسبة بالحروف، و نسبة بالصّيغة.

و الثّاني: أنّه جعل الرّضا للعيشة مجازًا مع أنّه صاحب العيشة.

المسألة الثّانية: ذكروا في حدّ الثّواب أنّه لابدّ و أن يكون منفعة، و لابدّ و أن تكون خالصة عن الشّوائب، و لابدّ و أن تتكوّن دائمة، و لابدّ و أن تكون مقرونة بالتّعظيم، فالمعنى إنّما يكون مرضيًّا به من جميع الجهات لو كان مشتملاً على هذه الصّفات، فقوله: ﴿عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ كلمة حاوية لمجموع هذه الشّرائط الّتي ذكرناها. (٣٠: ١١٢)

القُرطُبيّ: أي في عيش يرضاه لا مكروه فيه. و قال أبوعُبَيْدَة و الفَرّاء: ﴿رَاضِيَةٍ﴾ أي مرضيّة، كقولك: ماء دافق، أي مدفوق. و قيل: ذات رضًا، أي يرضى بها صاحبها، مثل لابن و تامر، أي صاحب اللّبن و التمر. و في الصّحيح عن النّبيّ ﷺ: «أنّهم يعيشون فلايموتون أبدًا و يصحّون فلايمرضون أبدًا و ينعمون فلايرون بؤسًا أبدًا و يشبّون فلايهرمون أبدًا». (١٨: ٢٧٠)

البَيْضاويّ: ذات رضًا على النّسبة بالصّيغة. أو جعل الفعل لها مجازًا؛ و ذلك لكونها صافية عن الشّوائب، دائمة مقرونة بالتّعظيم. (٢: ٥٠٠)

الشِّربينيّ: فيه ثلاثة أوجُه:

أحدها: أنّه على النّسب، أي ذات رضًا، نحو لابن و تامر لصاحب اللّبن و التّمر، أي ثابت لها الرّضا و دائم لها، لأنّها في غاية الحسن و الكمال. و العرب لاتعبّر عن أكبر السّعادات بأكثر من العيشة الرّاضية بمعنى أنّ أهلها راضون بها، و المعتبر في كمال اللّذّة الرّضا.

الثّاني: أنّه على إظهار جعل العيشة راضية لمحلّها، وحصولها في مستحقّها، و أنّه لو كان للعيشة عقل لرضيت لنفسها بحالتها.

الثّالث: قال أبو عُبَيْدَة و الفرّاء: إنّ هذا ممّا جاء فيه فاعل بمعنى مفعول، نحو ماء دافق، بمعنى مدفوق، كما جاء مفعول بمعنى فاعل، كما في قوله تعالى: ﴿حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ الإسرا: ٤٥، أي ساترًا. [ثمّ ذكر الحديث النّبويّ الّذي تقدّم عند القرطبيّ] (٤: ٣٧٥)

أبو السُّعود: ذات رضًا، على النّسبة بالصّيغة، كما يقال: دارع، في النّسبة بالحرف، أو جعل الفعل لها مجازًا و هو لصاحبها؛ و ذلك لكونها صافية عن الشّوائب، دائمة مقرونة بالتّعظيم. (٦: ٢٩٦)

البُرُوسَويّ: ﴿رَاضِيَةٍ﴾ ذات رضًى يرضاها من يعيش فيها، على النّسبة بالصّيغة، فإنّ النّسبة نسبتان: نسبة بالحرف كمكّيّ و مدنيّ، و نسبة بالصّيغة كلابن و تامر، بمعنى ذي لبن و ذي تمر.

و يجوز أن يُجعَل الفعل لها و هو لصاحبها، فيكون من قبيل الإسناد المجازيّ، و مآل الوجهين كون العيشة مرضيّة. و إلى ما ذكرنا يرجع قول من قال: راضية في نفسها، فكأنّها لرغادتها قد رضيت بما هي فيه مجازًا أو بمعنى مرضيّة كماء دافق، أي مدفوق، انتهى.

و في «التّأويلات النّجميّة»: راضية هنيئة مريئة، صافية عن شوائب الكدر، طاهرة عن نوائب الحذر، و ذلك أي كون العيشة مرضيّة لاشتمالها على أُمور ثلاثة:

الأوّل: كونها منفعة صافية عن الشّوائب.

و الثّاني: كونها دائمة لايترقّب زوالها و انقطاعها.

و الثّالث: كونها بحيث يقصد بها تعظيم من رضي بها و إكرامه، و ألّا يكون استهزاء و استدراجًا، و عيشة من أعطى كتابه بيمينه جامعة لهذه الأُمور فتكون مرضيًّا بها كمال الرّضى. (١٠: ١٤٢)

القاسميّ: أي ذات رضًا، ملتبسة به، فيكون بمعنى: مرضيّة.

أو الأصل: راض صاحبها، فأسند الرّضا إليها، لجعلها لخلوصها عن الشّوائب، كأنّها نفسها راضية مجازًا و يجوز أن يكون فيه استعارة مكنيّة و تخييليّة، كما فصّل في «المطوّل». (١٦: ٥٩١٦)

المَراغيّ: أي فهو يعيش عيشة مرضيّة، خالية ممّا يُكدّر مع دوامها، و ما فيها من إجلال و تعظيم. (٢٩: ٥٧)

ابن عاشور: و وصف ﴿عِيشَةٍ﴾ بـ﴿رَاضِيَةٍ﴾ مجاز عقليّ لملابسة العيشة حالة صاحبها و هو

العائش، ملابسة الصّفة لموصوفها.

و الرّاضي: هو صاحب العيشة لا العيشة، لأنّ ﴿رَاضِيَةٍ﴾ اسم فاعل رضيت إذا حصل لها الرّضى، و هو الفرح و الغبطة.

و العيشة ليست راضية، و لكنّها لحسنها رضي صاحبها، فوصفها بـ ﴿رَاضِيَةٍ﴾ من إسناد الوصف إلى غير ما هو له و هو من المبالغة، لأنّه يدلّ على شدّة الرّضى بسببها حتّى سرى إليها، و لذلك الاعتبار أرجع السّكّاكيّ ما يسمّى بالمجاز العقليّ إلى الاستعارة المكنيّة، كما ذكر في عالم البيان. (٢٩: ١٢٣)

مَغْنِيّة: أي مرضيّة، و هي الّتي لا يُنغّصها شيء. (٧: ٤٠٧)

الطَّباطَبائيّ: أي يعيش عيشة يرضاها، فنسبة الرّضا إلى العيشة من المجاز العقليّ. (١٩: ٣٩٩)

عبد الكريم الخطيب: هو بيان لحال من أوتي كتابه بيمينه، و للجزاء الحسن الّذي يلقاه يوم القيامة.

إنّه سيكون في عيشة راضية، أي في حياة طيّبة، يجد فيها الرّضا كلّه، في جميع أحواله.

و في وصف العيشة بأنّها هي الرّاضية، إشارة إلى أنّ حقيقة هذه العيشة هي الرّضا نفسه، الّذي يسع النّفوس جميعًا، على اختلاف مقاماتها و منازعها. و هذا أبلغ في مقام الرّضا من أن يكون الوصف بالرّضا لمن يعيش في المعيشة، فقد يرضى الإنسان بلون من المعيشة، هي في حقيقتها معيشة تافهة حقيرة، تأباها كثير من النّفوس الكبيرة، و تراها شقاء و بلاء إذا هي حملت عليها.

فمن النّاس من تكفيه اللّقمة يُشبع بها بطنه، و يراها أملًا مرجوًّا، إذا تحقّق له، سعد به، و رضي عنه، و إن كان ذلك من فُتات موائد القمار، و العهر، أو من شباك النّصب و الاحتيال، أو من صدقات المتصدّقين، و إحسان المحسنين. على حين أنّ كثيرًا من النّاس لا يُرضيهم من العيش إلّا أن يكونوا في مقام الصّدارة و السّيادة، و إلّا أن يضعوا في أيديهم كلّ أسباب المُلك و السّلطان.

و هكذا تبدو المسافة بعيدة غاية البُعد، بين ما يحقّق الرّضا لبعض النّفوس، و ما يحقّقه لبعض آخر منها، و قد تداول هذا المعنى كثير من الشّعراء.

فعن النّفوس النّازلة الّتي يُرضيها التّافه الحقير من نفايات الحياة، يقول المتنبّيّ:

و في النّاس من يرضى بميسور عيشه
و مركوبه رجلاه و النّعل جلده

و عن النّفس العالية الكبيرة الّتي لا يُرضيها إلّا أن تأخذ مكانها مع مطالع النّجوم و مسارات الكواكب، يقول المتنبّيّ أيضًا و يعني نفسه:

و شرّ ما قنصته راحتي قنَص
شهب البُزاة سواء فيه و الرّخم

فوصف المعيشة بأنّها عيشة راضية، كما جاء بها النّظم القرآنيّ، في قوله تعالى: ﴿فِى عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ وصفها بأنّها هي العيشة الرّاضية، هو الوصف الّذي يحقّق الرّضا لجميع النّفوس، صغيرها و كبيرها. فلا يجد الإنسان، أي إنسان حيث تقلّب في هذه العيشة، إلّا الرّضا المطلق، الّذي لا يتكلّف له جُهدًا، و هي

معيشة تُنزل النّاس جميعًا منزلةً عاليةً، و ترتفع بنفوسهم عن كلّ ما هو دون محتقر.

أمّا ما يذهب إليه علماء البلاغة: من تخريج هذا المعنى، على ما يُخرّجون عليه من قولهم: إنّ اسم الفاعل ﴿رَاضِيَةٍ﴾ هو معدول به عن اسم المفعول «مرضيّ» أي مرضيّ عنها، ففيه إفساد للمعنى الّذي تحمله المعجزة القرآنيّة في كلمة ﴿رَاضِيَةٍ﴾، و حُجُب لوجهها المعجز الّذي رأيناها عليه، فقد تكون المعيشة مرضيّة، و هي في حقيقتها تافهة، لاتتعلّق بها إلّا النّفوس الصّغيرة. (١٥: ١١٤١)

المُصْطَفَويّ: و رضا العيش بأن يكون منطبقًا عليه و مطابقًا و موافقًا بحاله، فيكون العيش على ما هو عليه، و هذا أوكد و أبلغ من كون الشّخص راضيًا عن العيش، فإنّه لا يدلّ على تمام الموافقة، و كمال الانطباق. (٤: ١٥٣)

مكارم الشّيرازيّ: ...ثمّ يُبيّن الله تعالى في الآيات اللّاحقة جانبًا من جزاء و أجر هؤلاء الأشخاص: حيث يقول: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾.

و بالرّغم من أنّ الجملة أعلاه تُجسّد كلّ ما يستحقّ أن يقال في هذا الموضوع، إلّا أنّه سبحانه يضيف للتّوضيح الأكثر: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾.(١٨: ٥٣٥)

فضل الله: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ تمنحه الرّضى الرّوحيّ و القلبيّ؛ بحيث لايشعر بأيّ نوع من الأذى الّذي ينغّص عيشه، أو القلق الّذي يُمزّق مشاعره، و بذلك كانت راضية، لأنّها لاتحمل أيّ عنصر من العناصر الّتي تُرهق صاحبها. (٢٣: ٧٥)

٢ـ ﴿لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾. الغاشية: ٩

سيأتي في: س ع ي: «لِسَعْيِهَا».

٣ـ ﴿ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾. الفجر: ٢٨

ابن عبّاس: رضيت بثواب الله، و رضي بعملها. (الماوَرْديّ ٦: ٢٧٢)

الحسَن: رضيت عن الله و رضي عنها. (الماوَرْديّ ٦: ٢٧٢)

الثّعلبيّ: ﴿رَاضِيَةً﴾ عن الله بما أعدّ لها. ﴿مَرْضِيَّةً﴾ رضي عنها ربّها. (١٠: ٢٠٤)

القُشَيْريّ: ﴿رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾ راضية عن الله، مرضيّة من قبل الله. (٦: ٢٩٦)

الطُّوسيّ: ﴿رَاضِيَةً﴾ بثواب الله و جزيل عطائه، ﴿مَرْضِيَّةً﴾ الأفعال من الطّاعات.(١٠: ٣٤٨)

الزّمَخْشَريّ: ﴿رَاضِيَةً﴾ بما أوتيت ﴿مَرْضِيَّةً﴾ عند الله. (٤: ٢٥٤)

الطَّبْرِسيّ: ﴿رَاضِيَةً﴾ بثواب الله ﴿مَرْضِيَّةً﴾ أعمالها الّتي عملتها. و قيل: ﴿رَاضِيَةً﴾ عن الله بما أعدّ الله لها، ﴿مَرْضِيَّةً﴾ رضي عنها ربّها بما عملت من طاعته. و قيل: ﴿رَاضِيَةً﴾ بقضاء الله في الدّنيا حتّى رضي الله عنها، و رضي بأفعالها و اعتقاده. (٥: ٤٨٩)

الفَخْر الرّازيّ: أمّا قوله تعالى: ﴿رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾ فالمعنى: راضية بالثّواب، مرضيّة عنك في الأعمال الّتي عملتها في الدّنيا. (٣١: ١٧٩)

البَيْضاويّ: ﴿رَاضِيَةً﴾ بما أوتيته، ﴿مَرْضِيَّةً﴾ عند الله. (٢: ٥٥٩)

نحوه أبو حيّان (٨: ٤٧٢)، و القاسميّ (١٧: ٦١٥٧).

الشِّربينيّ: ﴿رَاضِيَةً﴾ أي بما أُوتيته، ﴿مَرْضِيَّةً﴾ أي، عند اللّٰه تعالى بعملك، أي جامعة بين الوصفين، لأنّه لا يلزم من أحدهما الآخر، وهما حالان. قال القفّال: هذا و إن كان أمرًا في الظّاهرة فهو خبر في المعنى، و التّقدير: أنّ النّفس إذا كانت مطمئنّة رجعت إلى اللّٰه تعالى في القيامة بسبب هذا الأمر. (٤: ٥٣٦)

أبو السُّعود: ﴿رَاضِيَةً﴾ بما أُوتيت من النّعيم المقيم ﴿مَرْضِيَّةً﴾ عند اللّٰه عزّ و جلّ. (٦: ٤٢٩)

البُرُوسَويّ: ﴿اِرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ في حال الرّضى، أي إذا تمّ لك كمال الصّفات فلا تسكني إليه، و ارجعي إلى الذّات في حال الرّضى الّذي هو كمال مقام الصّفات، و الرّضى عن اللّٰه لا يكون إلّا بعد رضى للّٰه عنها، كما قال: ﴿رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ...﴾ البيّنة: ٨.

و في «التّأويلات النّجميّة»: ﴿اِرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ بالفناء فيه بعد قطع المنازل و المقامات، ﴿رَاضِيَةً﴾ من نتائج السّلوك إلى اللّٰه و السّير في اللّٰه، ﴿مَرْضِيَّةً﴾ عند للّٰه بالبأسى خلعة البقاء عليها. (١٠: ٤٣٣)

الآلوسيّ: ﴿رَاضِيَةً﴾ أي بما تؤتينه من النّعم الّتي لا تتناهى، و قد يقال: ﴿رَاضِيَةً﴾ بما تلتيه من خفّة الحساب و قبول الأعمال؛ و ليس بذاك. ﴿مَرْضِيَّةً﴾ أي عند اللّٰه عزّ و جلّ. قيل: المراد ﴿رَاضِيَةً﴾ عن ربّك ﴿مَرْضِيَّةً﴾ عنده. و زُعم أنّه الأظهر، و اعترض بأنّه غير مناسب للسّياق، و فيه نظر. و الوصفان منصوبان على الحال، و الظّاهر أنّ الحال الأُولى مقدّرة، و قيل: مقارنة، و ذِكْر الحال الثّانية من باب التّرقّي، فقد قال سبحانه و تعالى: ﴿وَ رِضْوَانٌ مِنَ اللّٰهِ أَكْبَرُ﴾ التّوبة: ٧٢. (٣٠: ١٣١)

المَراغيّ: ﴿رَاضِيَةً﴾ عمّا عملت في الدّنيا، مرضيًّا عنك؛ إذ لم تكوني ساخطة لا في الغنى و لا في الفقر، و لم تتجاوزي حدود الشّرع فيما لك من حقّ، و ما عليك من واجب. (٣٠: ١٥٤)

سيّد قُطْب: ﴿رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾ بهذه النّداوة الّتي تفيض على الجوّ كلّه، بالتّعاطف و بالرّضى. (٦: ٣٩٠٧)

ابن عاشور: و الرّاضية: الّتي رضيت بما أعطيته من كرامة، و هو كناية عن إعطائها كلّ ما تطمح إليه.

و المرضيّة: اسم مفعول، و أصله: مرضيًّا عنها، فوقع فيه الحذف و الإيصال، فصار نائب فاعل بدون حرف الجرّ. و المقصود من هذا الوصف زيادة الثّناء مع الكناية عن الزّيادة في إفاضة الإنعام، لأنّ المرضيّ عنه يزيده الرّاضي عنه من الهبات و العطايا، فوق ما رضي به هو.

و فرّع على هذه البُشرى الإجماليّة تفصيل ذلك بقوله: ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَ ادْخُلِي جَنَّتِي﴾ فهو تفصيل بعد الإجمال، لتكرير إدخال السّرور على أهلها. (٣٠: ٣٠٣)

الطَّبَاطَبائيّ: و توصيفها بالرّاضية، لأنّ اطمئنانها إلى ربّها يستلزم رضاها بما قدّر و قضى تكوينًا، أو حكم به تشريعًا، فلا تسخطها سانحة و لا تزيغها معصية، و إذا رضي العبد من ربّه رضي الرّبّ منه، إذ

لا يسخطه تعالى إلّا خروج العبد من زيّ العبوديّة، فإذا لزم طريق العبوديّة استوجب ذلك رضى ربّه، و لذا عقّب قوله: ﴿رَاضِيَةً﴾ بقوله: ﴿مَرْضِيَّةً﴾.
(٢٠: ٢٨٥)

عبد الكريم الخطيب: أي راضية بما أرضاها الله سبحانه به من فضله، مرضيًّا عنها من ربّها، فالكلمتان حالان من أحوال النّفس، و قد دعيت من ربّها إلى الرّجوع إليه إنّها ترجع إلى ربّها، و قد رضيت بما لقيها به ربّها من إكرام و إحسان، و قد رضي ربّها عنها بما قدّمت من أعمال طيّبة.

فالله سبحانه و تعالى يرضي و يرضى، يرضى عن عباده المحسنين، و يُرضيهم بإحسانه، كما يقول سبحانه: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَ أَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ الفتح: ١٨. و في الجمع بين صفة الرّضا للنّفس، و الرّضا من الله عنها، إشارة إلى أنّ هذا الرّضا الّذي تجده النّفس هو رضًا دائم متّصل، لأنّه مستمدّ من رضا الله عنها، و أنّه ليس مجرّد شعور يطرقها، أو خاطر يطوف بها، ثمّ يذهب هذا الشّعور، و يغيب هذا الخاطر، مع موجات الخواطر، و المشاعر الّتي تموج في كيان الإنسان، كلّا إنّه رضًا لا ينقطع أبدًا.
(١٦: ١٥٦٣)

مكارم الشّيرازيّ: ﴿رَاضِيَةً﴾ لما ترى من تحقّق الوعود الإلهيّة بالثّواب و النّعيم بأكثر ممّا كانت تتصوّر، و شمول العبد برحمة و فضل الله، سيُدخل في قلبه الرّضا بكلّ ما يحمل الرّضا من معان و أكثر، ﴿مَرْضِيَّةً﴾ لرضا الله تبارك و تعالى عنها. (٢٠: ١٨٤)

فضل الله: ﴿رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾ في هذه العلاقة الرّوحيّة بين العبد و ربّه الّتي تحرّكت في مواقع الرّضى، فهي راضية بما قضى و قدّر، و بما حكم و شرّع، لأنّها ترى أنّها ملك الله، و له أن يتصرّف في ملكه بما يشاء، و يحكم بما يريد، و هي مرضيّة عنده سبحانه، بما آمنت به، و بما قامت به من فروض الطّاعة لديه، و العمل على الحصول على محبّته، و بذلك عاشت السّعادة و الطّمأنينة في حبّها لله، و حبّ الله لها.

و هذا هو ما تستهدفه التّربية القرآنيّة الإسلاميّة، في أن يعمل الإنسان على تربية نفسه على الرّضى بقضاء الله من موقع الوعي برحمته و علمه و حكمه، و على السّعي للحصول على رضاه في موقع الالتزام بطاعته في أوامره و نواهيه. (٢٤: ٢٥٥)

مَرْضِيًّا

وَ كَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلٰوةِ وَ الزَّكٰوةِ وَ كَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا. مريم: ٥٥

الفرّاء: و لو أتت: «مرضوًّا» كان صوابًا، لأنّ أصلها الواو. ألا ترى أنّ الرّضوان بالواو. و الّذين قالوا: ﴿مَرْضِيًّا﴾ بنوه على رضيت، و «مرضوٌّ» لغة أهل الحجاز. (٢: ١٦٩)

الطّبريّ: عمله، محمودًا فيما كلّفه ربّه، غير مقصّر في طاعته. (٨: ٣٥٢)

الزّجّاج: أصله: مَرْضُوًّا، و هو جائز في اللّغة غير جائز في القرآن، لأنّه مخالف للمصحف. و الخليل

و سيبَوَيه و جميع البصريّين يقولون: فلان مَرْضُوّ و مَرْضيّ، و أرض مَسْنُوّة و مَسنيّة، إذا سقيت بالسّواني أو بالمطر. و الأصل الواو إلّا أنّها قُلبت عند الخليل لأنّها طرف قبلها واو ساكنة ليس بحاجز حصين، و كأنّها «مَفْعُل» بضمّ العين، ومفعُل من أدوات الواو يُقلب إلى مَفعِل، لأنّ الواو لاتكون طرفًا و قبلها متحرّك في الأسماء.

و أمّا غير سيبَوَيه و البصريّين فلهم فيه قولان:

قال بعضهم: لمّا كان الفعل منه رضيتُ، فانتقل من الواو إلى الياء، صار مرضيًّا. و قيل: إنّ بعض العرب يقول في تثنية رضًى: رضيان و رضوان. فمن قال: رضيان لم يكن من قوله إلّا: مرضيّ، ومن قال: رضوان في التّثنية، جاز أن يقول: فلان مَرْضوٌّ و مرضيٌّ. (٣: ٣٣٤)

الثّعلبيّ: صالحًا زاكيًا. (٦: ٢١٩)

الماوَرْديّ: و رضي بثوابه و فوّض أمرهم إليه في عفوه أو عقوبته. (٣: ٣٧٧)

الطُّوسيّ: قد رضي أعماله «لأنّها كلّها طاعات، لم يكن فيها قبائح. و إنّما أراد بذلك أفعاله الواجبات و المندوبات دون المباحات، لأنّ المباحات لايرضاها الله ولايسخطها. و أصل مرضيّ: مرضُوّ فقلبت الضّمّة كسرة و الواو ياء، و أُدغمت في الياء. (٧: ١٣٣)

القُشَيْريّ: ﴿وَ كَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ و كان هذا أشرف خصاله، و أجلّ صفاته. (٤: ١٠٦)

المَيْبُديّ: ﴿وَ كَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ لأنّه قام بطاعته. (٦: ٥٥)

ابن عَطيّة: و قوله: ﴿مَرْضِيًّا﴾ أصله: مرضُويًا، لقيت الواو و هي ساكنة الياء، فأبدلت ياء و أُدغمت، ثمّ كسرت الضّادّ للتّناسب في الحركات. و قرأ ابن أبي عَبْلَة (وَ كَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضُوًّا). (٤: ٢١)

الطَّبْرِسيّ: قد رضي أعماله، لأنّها كلّها طاعات لم تكن فيها قبائح. و قيل: ﴿مَرْضِيًّا﴾ معناه صالحًا زكيًّا رضيًّا، فحصل له عنده المنزلة العظيمة. (٣: ٥١٨)

الفَخْرالرّازيّ: و هو في نهاية المدح، لأنّ المرضيّ عند الله هو الفائز في كلّ طاعاته بأعلى الدّرجات. (٢١: ٢٣٢)

القُرطُبيّ: أي رضيًّا زاكيًا صالحًا.

قال الكِسائيّ و الفَرّاء: من قال: مرضيّ بناه على رضيت، قالا: و أهل الحجاز يقولون: مرضوّ.

و قال الكِسائيّ و الفَرّاء: من العرب من يقول: رضوان و رضيان، فرضوان على مرضُوّ، و رضيان على مرضيّ. و لايُجيز البصريّون أن يقولوا إلّا: رضوان و ربوان.

قال أبو جعفر النّحّاس: سمعت أبا إسحاق الزّجّاج يقول: يخطئون في الخطّ فيكتبون «ربًا» بالياء، ثمّ يخطئون فيما هو أشدّ من هذا، فيقولون: ربيان، و لايجوز إلّا ربوان و رضوان، قال الله تعالى: ﴿وَ مَا اٰتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَا فِى اَمْوَالِ النَّاسِ﴾ الرّوم: ٣٩. (١١: ١١٦)

البَيْضاويّ: لاستقامة أقواله و أفعاله. (٢: ٣٦)

أبو حَيّان: قرأ الجمهور ﴿مَرْضِيًّا﴾ و هو اسم مفعول، أي مرضووٌ و فأُعلّ بقلب واوه ياء، لأنّها

طرف بعد واو ساكنة. و السّاكن ليس بحاجز حصين، فكأنّها وليت حركة. و لو بُنيت من ذوات الواو مَفْعلًا لصار مفعلًا. لأنّ الواو لاتكون طرفًا و قبلها متحرّك في الأسماء المتمكّنة غير المتقيّدة بالإضافة. ألاترى أنّهم حين سمّوا بيغزو الغازي من الضّمير قالوا: بغز حين صار اسمًا. و هذا الإعلال أرجع من التّصحيح، و لأنّه اعتلّ في رضي و في رضيان تثنية رضي.

و قرأ ابن أبي عَبْلَة: (مَرْضُوًّا) مصحّحًا. و قالت العرب: أرض مَسْنيّة و مَسْنُوّة، و هي الّتي تُسقى بالسّواني. (٦: ١٩٩)

الشِّرْبينيّ: و هذا في نهاية المدح، لأنّ المرضيّ عند الله هو الفائز في كلّ طاعة بأعلى الدّرجات، فاقتدِ أنت به، فإنّه من أجلّ آبائك لتجمع بين طهارة القول و البدن و المال، فتنال رتبة الرّضا. (٢: ٤٣٣)

أبو السُّعود: ﴿وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ لاتّصافه بالنّعوت الجليلة الّتي من جملتها ما ذُكر من خصاله الحميدة. (٤: ٢٤٦)

نحوه القاسميّ. (١١: ٤١٥١)

البُرُوسَويّ: في الأقوال و الأفعال و الأحوال. و في «الجلالين» ﴿مَرْضِيًّا﴾ لأنّه قد قام بطاعته. انتهى.

و عن بعض الصّالحين أنّه قال: نزل عندي أضياف، و علمت أنّهم من أبدال، فقلت لهم أوصوني بوصيّة بالغة حتّى أخاف الله، قالوا: نوصيك بستّة أشياء:

أوّلها: من كثر نومه فلايطمع في رقّة قلبه. و من كثر أكله فلايطمع في قيام اللّيل. و من اختار صحبة ظالم فلايطمع في استقامة دينه. و من كان الكذب و الغيبة عادته فلايطمع في أن يخرج من الدّنيا مع الإيمان. و من كثر اختلاطه بالنّاس فلايطمع في حلاوة العبادة. و من طلب رضى النّاس فلايطمع في رضى الله تعالى.

و اعلم أنّ المرضيّ المطلق، هو الإنسان الكامل الجامع لجميع الكمالات، المحيط بحقائق جميع الأشياء و الصّفات، و أمّا من دونه فمرضيّ بوجه دون وجه و على حال دون حال. نسأل الله سبحانه أن يجعلنا من أهل الرّضى و اليقين و السّكون و التّمكين آمين. (٥: ٣٤٢)

الآلوسيّ: لاستقامة أقواله و أفعاله. و هو اسم مفعول، و أصله: مرضوو، فأُعلّ بقلب واوه ياء، لأنّها طرف بعد واو ساكنة، فاجتمعت الواو و الياء، و سبقت إحداهما بالسّكون، فقلبت الواو ياء، و أدغمت الياء في الياء، و قُلبت الضّمّة كسرة.

و قرأ ابن أبي عَبْلَة (مَرْضُوًّا) من غير إعلال، و عن العرب أنّهم قالوا: أرض مَسْنيّة و مَسْنوّة و هي الّتي تسقى بالسّواني. (١٦: ١٠٥)

المَراغيّ: عمله، محمودًا فيما كلّفه به، غير مقصّر في طاعته، فاقتدِ أيّها الرّسول به، لأنّه من أجلّ آبائك. (١٦: ٦٣)

سيّدقُطْب: ثمّ يثبت له أنّه كان عند ربه مرضيًّا و الرّضى سمة من سمات هذه السّورة البارزة في جوّها، و هي شبيهة بسمة الرّحمة، و بينهما قرابة. (٤: ٢٣١٣)

الطّباطَبائيّ: و المراد بكونه ﴿عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ كون نفسه مرضيّة دون عمله، كما ربّما فسّره به بعضهم، فإنّ إطلاق اللّفظ لا يلائم تقييد الرّضا بالعمل. (١٤: ٦٣)

مكارم الشّيرازيّ: النّقطة الأُخرى الّتي تستحقّ الذّكر هنا، أنّ وصف إسماعيل بكونه مرضيًّا، إشارة في الواقع إلى هذه الحقيقة، و هي أنّه قد حاز رضى الله في كلّ أعماله، و لا توجد نعمة أجلّ من أن يرضى المعبود و المولى و الخالق عنه، و لهذا تقول الآية «١١٩» من سورة المائدة بعد أن بيّنت نعمة الجنّة الخالدة لعباد الله المخلصين: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾. (٩: ٤١٧)

فضل الله: ﴿وَ كَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ من خلال إيمانه الكبير و عمله الصّالح، و جهاده القويّ بين يدي الله. (١٥: ٥٧)

مَرْضِيَّةً

اِرْجِعي اِلٰى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً. الفجر: ٢٨

راجع: «رَاضِيَةً».

رَضِيًّا

يَرِثُني وَ يَرِثُ مِنْ اٰلِ يَعْقُوبَ وَ اجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا. مريم: ٦

الطّبَريّ: و قوله: ﴿وَ اجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ يقول: و اجعل يا ربّ الوليّ الّذي تهبه لي مرضيًّا ترضاه أنت، و يرضاه عبادك دينًا و خَلقًا و خُلقًا. و الرّضيّ: فعيل، صُرف من مفعول إليه. (٨: ٣٠٩)

الثّعلبيّ: أي صالحًا برًّا تقيًّا مرضيًّا. و قال أبو صالح: معناه: اجعله نبيًّا، كما جعلت أباه نبيًّا. (٦: ٢٠٦)

الماوَرْديّ: فيه وجهان:

أحدهما: مرضيًّا في أخلاقه و أفعاله.

الثّاني: راضيًا بقضائك و قدرك.

و يحتمل ثالثًا: أن يريد نبيًّا. (٣: ٣٥٦)

الطّوسيّ: و معنى ﴿وَ اجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ أي اجعل ذلك الوليّ الّذي يرثني مرضيًّا عندك، ممتثلًا لأمرك، عاملًا بطاعتك. (٧: ١٠٦)

القُشَيْريّ: رضيّ: فعيل بمعنى مفعول، أي ترضى عنه، فيكون مرضيًّا لك. و يحتمل أن يكون مبالغة من الفاعل، أي راضيًا منك، و راضيًا بتقديرك. (٤: ٩٢)

المَيْبُديّ: أي مرضيًّا ترضاه أنت. و قيل: راضيًا بحكمك. و قيل: اجعله نبيًّا كما جعلت آباءه نبيًّا. (٦: ٩)

ابن عَطيّة: و ﴿رَضِيًّا﴾ معناه: مرضيّ. فهو فعيل بمعنى مفعول. (٤: ٥)

الطَّبْرِسيّ: أي اجعل يا ربّ ذلك الوليّ الّذي يرثني مرضيًّا عندك، ممتثلًا لأمرك. (٤: ٥٠٣)

الفَخْر الرّازيّ: و اعلم أنّهم ذكروا في تفسير الرّضيّ وجوهًا:

أحدها: أنّ المراد: و اجعله رضيًّا من الأنبياء، و ذلك لأنّ كلّهم مرضيّون، فالرّضيّ منهم مفضّل على جملتهم، فائق لهم في كثير من أُمورهم. فاستجاب الله تعالى له ذلك، فوهب له سيّدًا و حصورًا و نبيًّا من

الصّالحين لم يعص و لم يهمّ بمعصية، و هذا غاية ما يكون به المرء رضيًّا.

و ثانيها: المراد بالرّضيّ: أن يكون رضيًّا في أُمّته، لايتلقّى بالتّكذيب، و لا يواجه بالرّدّ.

و ثالثها: المراد بالرّضيّ: أن لايكون متّهمًا في شيء، و لايوجد فيه مطعن، و لايُنسب إليه شيء من المعاصي.

و رابعها: أنّ إبراهيم و إسماعيل عليهما السلام قالا في الدّعاء: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ البقرة: ١٢٨، و كانا في ذلك الوقت مسلمين، و كأنّ المراد هناك: ثبّتنا على هذا، أو المراد: اجعلنا فاضلَين من أنبيائك المسلمين فكذا هاهنا. و احتجّ أصحابنا في مسألة خلق الأفعال بهذه الآية، لأنّه إنّما يكون رضيًّا بفعله، فلمّا سأل الله تعالى جعله رضيًّا، دلّ على أنّ فعل العبد مخلوق لله تعالى.

فإن قيل: المراد منه أن يلطف له بضروب الألطاف، فيختار ما يصير مرضيًّا، فينسب ذلك إلى الله تعالى. و الجواب من وجهين:

الأوّل: أن جعله رضيًّا، لو حملناه على جعل الألطاف، و عندها يصير المرء باختياره رضيًّا، لكان ذلك مجازًا و هو خلاف الأصل.

و الثّاني: أن جعل تلك الألطاف واجبة على الله تعالى لايجوز الإخلال به، و ما كان واجبًا، لايجوز طلبه بالدّعاء و التّضرّع. (٢١: ١٨٥)

القُرطُبيّ: قوله تعالى: ﴿وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ أي مرضيًّا في أخلاقه و أفعاله. و قيل: راضيًا بقضائك و قدرك. و قيل: رجلًا صالحًا ترضى عنه. (١١: ٨٢)

أبو السُّعود: مرضيًّا عندك قولًا و فعلًا. (٤: ٢٢٩)

مثله البُرُوسَويّ (٥: ٣١٥)، و القاسميّ (١١: ٤١٢٧).

الآلوسيّ: أي مرضيًّا عندك قولًا و فعلًا. و قيل: راضيًا. و الأوّل أنسب يكون على هذا تأكيدًا، لأنّ النّبيّ شأنه أن يكون كذلك. (١٦: ٦٣)

سيّد قُطْب: ﴿وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ لاجبّارًا و لاغليظًا، و لامتبطّرًا و لاطموعًا.

و لفظة «رضيّ» تلقي هذه الظّلال. فالرّضيّ الّذي يَرْضى و يُرْضي. و ينشر ظلال الرّضى فيما حوله و من حوله.

ذلك دعاء زكريّا لربّه في ضراعة و خفية، و الألفاظ و المعاني و الظّلال و الإيقاع الرّخي، كلّها تشارك في تصوير مشهد الدّعاء. (٤: ٢٣٠٢)

الطَّباطَبائيّ: الرّضيّ بمعنى المرضيّ، و إطلاق الرّضا يقتضي شموله للعلم و العمل جميعًا، فالمراد به: المرضيّ في اعتقاده و عمله، أي اجعله ربّ محلّى بالعلم النّافع و العمل الصّالح. (١٤: ٩)

المُصْطَفَويّ: أي متّصفًا بالرّضا، بحيث تكون هذه الصّفة ثابتة و راسخة في قلبه، و يكون في مقابل التّقديرات و الحوادث، و الابتلاءات الظّاهريّة و الباطنيّة، و التّكاليف الإلهيّة راضيًا و موافقًا. (٤: ١٥٣)

فضل الله: ﴿وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ مرضيًّا عندك

من خلال إيمانه و عمله الصّالح، و جهاده في سبيلك، و دعوته إليك، لتكون حياته في مستوى الرّضا لديك.

(١٥: ١٧)

مَرْضَاتِ

١ ـ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ وَاللهُ رَؤُفٌ بِالْعِبَادِ. البقرة: ٢٠٧

الطّبريّ: و أمّا قوله: ﴿ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ﴾ فإنّه يعني أنّ هذا الشّاري يشري إذا اشترى طلب مرضاة الله. (٢: ٣٣٢)

الزّجّاج: نصب ﴿ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ﴾ على معنى المفعول له، المعنى: يشريها لابتغاء مرضاة الله. (١: ٢٧٩)

الطّوسيّ: معناه: طلب مرضات الله، و مثله ﴿حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ البقرة: ١٩. [ثمّ استشهد بشعر]

و لا يجوز قياسًا على ذلك: فعله زيدًا، أي لزيد. و يجوز: فعله خوفًا، لأنّ في ذكر المصدر دليلًا على العرض الدّاعي إلى الفعل، و ليس كذلك ذكر زيد.

و المرضاة و الرّضى واحد و هو ضدّ السُّخط.

(٢: ١٨٤)

القُشَيْريّ: أولئك الّذين أدركتهم خصائص الرّحمة، و نعتتهم سوابق القسمة، فآثروا رضاء الحقّ على أنفسهم، و استسلموا بالكلّيّة لمولاهم. (١: ١٨٣)

المَيْبُديّ: طلبًا لمرضاه. (١: ٥٥٤)

نحوه الشّربينيّ (١: ١٣٥)، و أبو السُّعود (١: ٢٥٥)، و البُرُوسَويّ (١: ٣٢٤)، و القاسميّ (٣: ٥١١).

ابن عَطيّة: ﴿ابْتِغَاءَ﴾ مفعول من أجله، و وقف حمزة على ﴿مَرْضَاتِ﴾ بالتّاء و الباقون بالهاء. قال أبو عليّ: «وجه وقف حمزة بالتّاء إمّا أنّه على لغة من يقول: طلحت و علقمت، و منه قول الشّاعر:

* بل جوز تيهاء كظهر الحجفت *

و إمّا أنّه لمّا كان المضاف إليه في ضمن اللّفظة و لا بدّ أثبت التّاء كما تثبت في الوصل، ليعلم أنّ المضاف إليه مراد. (١: ٢٨٢)

الطّبْرسيّ: أي لابتغاء رضاء الله، و إنّما أطلق عليه اسم البيع، لأنّه إنّما فعل ما فعل لطلب رضاء الله، كما أنّ البائع يطلب الثّمن بالبيع. (١: ٣٠١)

الفَخْر الرّازيّ: في الآية مسائل:

المسألة الأولى: في سبب النّزول روايات، أحدها: روى ابن عبّاس أنّ هذه الآية نزلت في صهيب بن سنان...

و الرّواية الثّانية: أنّها نزلت في رجل أمر بمعروف و نهى عن منكر...

و الرّواية الثّالثة: نزلت في عليّ بن أبي طالب بات على فراش رسول الله ﷺ ليلة خروجه إلى الغار، و يُروى أنّه لمّا نام على فراشه قام جبريل ﷺ عند رأسه، و ميكائيل عند رجليه، و جبريل ينادي: بخّ بخّ من مثلك يا ابن أبي طالب يباهي الله بك الملائكة و نزلت الآية. (٥: ٢٢٣)

القُرطُبيّ: [قال مثل ابن عَطيّة و أضاف:]

و «المرضاة»: الرّضا، يقال: رضي يرضى رَضًا و مَرْضاةً. (٣: ٢٢)

أبو حَيّان: و انتصاب ﴿ابْتِغَاءَ﴾ على أنّه مفعول من أجله، أي الحامل لهم على بيع أنفسهم، إنّما هو

طلب رضى الله تعالى، و هو مستوف لشروط المفعول من أجله، من كونه مصدرًا متّحد الفاعل و الوقت.

و هذه الإضافة، أعني إضافة المفعول من أجله، هي محضة، خلافًا للجرميّ، و الرّياشيّ، و المُبَرِّد، و بعض المتأخّرين، فإنّهم يزعمون أنّها إضافة غير محضة، و هذا مذكور في كتب النّحو.

و ﴿مَرْضَاتِ﴾ مصدر بُني على التّاء: كـ«مدعاة» و القياس تجريده عنها، كما تقول: مرميّ و مغزيّ، و أمال الكِسائيّ: ﴿مَرْضَاتِ﴾، و عن ورش خلاف في إمالة: ﴿مَرْضَاتِ﴾، و قرأنا له بالوجهين، و وقف حمزة عليها بالتّاء، و وقف الباقون بالهاء.

فأمّا وقف حمزة بالتّاء، فيحتمل وجهين.

أحدهما: أن يكون على مذهب من يقف من العرب على: طلحة، و حمزة، بالتّاء، كالوصل، و هو كان القياس دون الإبدال. [ثمّ استشهد بشعر]

و قد حكى هذه اللُّغة سيبَوَيه.

و الوجه الآخر: أن تكون على نيّة الإضافة، كأنّه نوى تقدير المضاف إليه، فأراد أن يُعلِم أنّ الكلمة مضافة، و أنّ المضاف إليه مراد، كإشمام من أشمّ الحرف المضموم في الوقف، ليُعلِم أنّ الضّمّة مرادة.

و في قوله: ﴿ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ﴾ إشارة إلى حصول أفضل ما عند الله للشّهداء، و هو رضاه تعالى.

(٢ : ١١٩)

الآلوسيّ: و ﴿مَرْضَاتِ﴾ مصدر بُني ــ كما في «البحر» ــ على التّاء، كمدعاة، و القياس تجريده منها، و كُتب في المصحف بالتّاء، و وُقف عليه بالتّاء و الهاء. (٢ : ٩٦)

المَراغيّ: أي و من النّاس فريق يبيع نفسه لله، لايبغي ثمنًا لها غير مرضاته، و لايتحرّى إلّا صالح العمل و قول الحقّ، مع الإخلاص فيهما، فلايتكلّم بلسانين، و لايقابل النّاس بوجهين، و لايُؤثر عرض الدّنيا و زخرفها على ما عند ربّه. (٢ : ١١٢)

سيّد قُطْب: و ﴿يَشْرِي﴾ هنا معناها يبيع. فهو يبيع نفسه كلّها لله و يُسلّمها كلّها لايستبقي منها بقيّة، و لايرجو من وراء أدائها و بيعها غايةً إلّا مرضاة الله. ليس له فيها شيء، و ليس له من ورائها شيء. بيعة كاملة لاتَرَدُّد فيها و لاتلفّت و لاتحصيل ثمن، و لااستبقاء بقيّة لغير الله.

و التّعبير يحتمل معنى آخر، يؤدّي إلى نفس الغاية. يحتمل أن يشتري نفسه بكلّ أعراض الحياة الدّنيا، ليعتقها و يقدّمها خالصة لله، لا يتعلّق بها حقّ آخر إلّا حقّ مولاه. فهو يُضحّي كلّ أعراض الحياة الدّنيا، و يخلص بنفسه مجرّدة لله. (١ : ٢٠٥)

ابن عاشور: و ﴿مَرْضَاتِ اللهِ﴾: رضاه، فهو مصدر رَضِي على وزن المفعل، زيدت فيه التّاء سماعًا، كالمَدْعاة و المَسْعاة. [ثمّ أدام الكلام في سبب النّزول]

(٢ : ٢٥٧)

مَغْنِيّة: أي أنّ بعض المؤمنين يقبلون على الجهاد، و يُحبّون الموت في سبيل الله، تمامًا كما يحبّ غيرهم الحياة، و لادافع لهم إلّا مرضاة الله و ثوابه. (١ : ٣١٠)

الطَّباطَبائيّ: بيان أنّ هناك رجلًا آخر باع نفسه من الله سبحانه، لايريد إلّا ما أراده الله تعالى، لاهوى

له في نفسه و لااعتزاز لـه إلّا بربّـه، و لاابتغـاء لـه إلّا لمرضاة الله تعالى، فيصلح به أمر الدّين و الدّنيا، و يحيـا به الحقّ، و يطيب به عيش الإنسـانيّة، و يدرّ بـه ضـرْع الإسلام، و بذلك يظهر ارتباط الذّيل بالصّـدر، أعـني قوله تعالى: ﴿وَاللهُ رَؤُفٌ بِالْعِبَادِ﴾. (٢: ٩٨)

مكارم الشّيرازيّ: الطّائفة السّابقة الّتي تحدّثنا عنـها، هـي مجموعـة مـن الأشـخاص المعانـدين والمغرورين و الأنانيّين، الّذين يحاولون أن يُحقّقوا لهـم بـين المجتمـع عـزّة و كرامـة عـن طريـق النّفـاق، و يتظاهرون بالإيمان بأقوالهم، بينما أعمالهم ليس فيها سوى الإفساد في الأرض، و إهلاك الحرث و النّسل.

أمّا هذه الطّائفة الثّانية فتعاملـهم مـع الله وحـده؛ حيث يقدّمون أرواحهم رخيصة في سبيله، و لايبتغون سـوى رضـاه، و لا يطلبـون عـزّة و رفعـة إلّا بـالله، و بتضـحيات هـؤلاء يصـلح أمـر الـدّين و الـدّنيا، و يستقيم شأن الحقّ و الحقيقة، و تصفو حياة الإنسـان و تثمر شجرة الإسلام. (٢: ٤٧)

فضل الله: و هناك صورة أُخرى لنموذج جديـد مشرق في داخل الحياة و خارجهـا، تتمثّـل بالإنسـان الّذي شرى نفسه لله، من أجل الحصـول علـى رضـاه ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغَـاءَ مَرْضَـاتِ اللهِ﴾ الأمر الّذي يجعله يشعر أنّه لايملك نفسه و لايـرى لهـا حرّيّة مطلقة بعيدًا عن إرادة الله و طاعته.

و لذلك فهو يعيش الإحساس العميق بـأنّ عليـه أن يبذل كلّ طاقاته الفكريّة و الرّوحية و الجسديّة في سبيل الله، فلامجال للتّرف الفكـريّ في الأجـواء الّـتي تتحرّك فيها التّحدّيات الفكريّـة ضـدّ الفكـر الحـقّ، و لاموقع للخيال أمام حاجة الواقع إلى التّعامـل مـع الظّروف الموضوعيّة المطروحة في السّـاحة، ولاوقـت للفراغ في المجالات الّتي يشعر فيهـا الإنسـان بـالزّمن يضيق عن المطامح الكبرى، للقضايا الأساسيّة الحيّـة في واقع الإنسان و الحياة. و هكذا تنطلق حياته لتتحـرّك من موقع الحقّ المتحرّك في أكثـر مـن اتّجـاه، ضـدّ خطوات الباطل الّتي تُطلِق التّحدّي في أكثر من مجال.

إنّه نموذج الرّساليّين الّذين يعيشون رسـالتهم في كلّ مظهر لحركة الحياة من حولهم، و يعيشون حيـاتهم من أجل رسالتهم في الخطّ المستقيم، فلاينحرفون أمام كلّ محاولات الإغراء، و لايستسلمون لكـلّ عوامـل الضّغط، بل يظلّـون في الموقـع الصّـلب، في سـاحات التّحدّي الصّعب، ليُشهدوا الله على أنّهم صدقوا العهد و أكّـدوا الميثـاق بجهـادهم و تضـحياتهم في سـبيله، و لم تأخذهم فيه لومة لائم. (٤: ١٢٠)

٢ـ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ اَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَـاتِ اللهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ اَنْفُسِهِمْ... البقرة: ٢٦٥

الطّبَريّ: يعني بذلك جلّ ثنـاؤه: و مثـل الّـذين ينفقون أموالهم فيصدّقون بها و يحملون عليها في سبيل الله، و يقوّون بها أهل الحاجة من الغُزاة و المجاهدين في سـبيل الله، و في غـير ذلـك مـن طاعـات الله طلـب مرضاته. (٣: ٦٩)

الزّجّاج: أي ليطلب مرضاة الله. (١: ٣٤٧)

الثّعلبيّ: طلب رضا الله. (٢: ٢٦٣)

نحوه الطَّبْرِسيّ (١: ٣٠١)، و أبو السُّعود (١: ٣٠٨)، و البُرُوسَويّ (١: ٤٢٤)، و الآلوسيّ (٣: ٣٥).

الماوَرْديّ: يحتمل وجهين:

أحدهما: في نُصرة أهل دينه من المجاهدين.

و الثّاني: في معونة أهل طاعته من المسلمين. (١: ٣٣٩)

الطُّوسيّ: و هذا مَثَل ضربه الله لمن أنفق ماله ابتغاء مرضاة الله، أي طلبًا لرضاه. (٢: ٣٣٨)

المَيْبُديّ: هذا مثَل آخر ضرب الله المؤمنين الّذين ينفقون أموالهم لأجل الله و مرضاته، و لا يتّبعون المنّ والأذى، و ينفقون في طلب مرضاة الله و يريدون به وجه الله. (١: ٧٢٤)

ابن عاشور: انتصب ﴿ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ وَ تَثْبِيتًا﴾ على الحال بتأويل المصدر بالوصف، أي مبتغين مرضاة الله، و مثبّتين من أنفسهم. و لا يحسن نصبهما على المفعول له. أمّا قوله: ﴿ابْتِغَاءَ﴾ فلأنّ مفاد الابتغاء هو مفاد اللّام الّتي ينتصب المفعول لأجله بإضمارها، لأن يؤول إلى معنى: لأجل طلبهم مرضاة الله. (٢: ٥٢٢)

مَغْنيّة: إنّه إشارة إلى أمرين:

الأوّل: أنّ المؤمنين يطلبون مرضاة الله من الإنفاق.

الثّاني: أنّ هذا الإنفاق كان بدافع من أنفسهم، لابدافع خارجيّ. (١: ٤١٦)

الطَّباطَبائيّ: ابتغاء المرضاة هو طلب الرّضاء، و يعود إلى إرادة وجه الله، فإنّ وجه الشّيء هو ما يواجهك و يستقبلك به، و وجهه تعالى بالنّسبة إلى عبده الّذي أمره بشيء و أراده منه، هو رضاؤه عن فعله و امتثاله. فإنّ الآمر يستقبل المأمور أوّلًا بالأمر، فإذا امتثل استقبله بالرّضاء عنه، فمرضاة الله عن العبد المكلّف بتكليف هو وجهه إليه، فابتغاء مرضاة الله هو إرادة وجهه عزّ و جلّ. (٢: ٣٩٠)

مكارم الشّيرازيّ: جملة ﴿ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ وَ تَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ تبيّن دوافع الإنفاق الإلهيّ السّليم، و هما دافعان: ابتغاء مرضاة الله، و تقوية روح الإيمان و الاطمئنان في القلب.

هذه الآية تقول: إنّ المنفقين الحقيقيّين هم الّذين يكون دافعهم رضا الله و تربية الفضائل الإنسانيّة و تثبيتها في قلوبهم، و إزالة الاضطراب و القلق اللّذين يحصلان في نفس المرء، بإزاء مسؤوليّته نحو المحرومين. (٢: ٢١٥)

٣ـ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَ اللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ. التّحريم: ١

لاحظ: ب غ ي: «تَبْتَغِي» و: ح ر م: «تُحَرِّمُ».

رِضْوَانٌ

١ـ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَ أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَ رِضْوَانٌ مِنَ اللهِ وَ اللهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ.

آل عمران: ١٥

الطَّبَريّ: و قوله: ﴿وَ رِضْوَانٌ مِنَ اللهِ﴾ يعني و رضا الله، و هو مصدر من قول القائل: رضي الله عن

فلان، فهو يَرْضى عنه رضًا ـ منقوص ـ و رضوانًا و رُضْوانًا و مَرْضاة. فأمّا الرُّضْوان بضمّ الرّاء فهو لغة قيس، و به كان عاصم يقرأ.

و إنّما ذكر الله جلّ ثناؤه فيما ذكر الّذين اتّقوا عنده من الخير رضوانه، لأنّ رضوانه أعلى منازل كرامة أهل الجنّة. (٣: ٢٠٦)

الزّجّاج: أكثر القراءة كسر الرّاء. و روى أبوبكر ابن عيّاش عن عاصم (وَ رُضْوَانٌ مِنَ اللهِ) بضمّ الرّاء في كلّ القرآن، و يقال: رَضيتُ الشّيء أرضاه رضًا ومَرْضاةً ورضوانًاورُضوانًا. (١: ٣٨٤)

الثّعلبيّ: قرأ العامّة بكسر الرّاء. و روى أبوبكر عن عاصم: بضمّ الرّاء من «الرّضوان» في جميع القرآن، و هو لغة قيس و غيلان، و هما لغتان كالعِدْوان و العُدْوان و الطِّغيان و الطُّغيان. (٣: ٢٩)

الطّوسيّ: قرأ عاصم وحده في رواية أبي بكر (وَ رُضْوَان) بضمّ الرّاء، الباقون بكسرها، فالضّمّ لغة قيس و تميم، و الكسر لغة أهل الحجاز. [إلى أن قال:]

و الرّضا و المرضاة: معنًى واحد. (٢: ٤١٣)

المَيْبُديّ: [قال مثل الطّوسيّ في القراءة و أضاف:]

يقال: رضي يَرْضى رضًى و مَرْضاةً و رضوانًا و رُضْوانًا. قال موسى: «يا إلهي دلّني على عمل إذا عملته رضيت عنّي»، و قال ربّ العالمين: «يا موسى لاتُطيق» فسجد موسى و تضرّع، و قال ربّ العالمين: «يا بن عمران رضائي في رضاك بقضائي». (٢: ٤٠)

ابن عَطيّة: و الرّضوان: مصدر من الرّضى، و في الحديث عن النّبيّ ﷺ: «أنّ أهل الجنّة إذا استقرّوا فيها و حصل لكلّ واحد منهم ما لاعين رأت و لاأُذن سمعت و لاخطر على قلب بشر، قال الله لهم: أتريدون أن أُعطيكم ما هو أفضل من هذا؟ قالوا: يا ربّنا و أيّ شيء أفضل من هذا؟ فيقول الله تعالى: «أُحلّ عليكم رضواني فلاأسخط عليكم أبدًا». (١: ٤١١)

نحوه القُرطُبيّ. (٤: ٣٨)

الطّبْرِسيّ: قرأ أبوبكر عن عاصم (وَ رُضْوَان) بضمّ الرّاء كلّ القرآن، و الباقون بكسر الرّاء.

الرّضوان: مصدر، فمن كسره جعله كالرّ نمان و الحِرْمان، و من ضمّه جعله كالرُّجحان و الشُّكران و الكُفران. (١: ٤١٨)

الفَخْرالرّازيّ: فيه مسألتان:

المسألة الأُولى: قرأ عاصم (وَ رُضْوَانٌ) بضمّ الرّاء، و الباقون بكسرها. أمّا الضّمّ فهو لغة قيس و تميم، و قال الفرّاء: يقال رضيت رضًا و رضوانًا، و مثل الرّضْوان بالكسر الحِرْمان و القِرْبان، و بالضّمّ الطُّغيان و الرُّجحان و الكُفران و الشُّكران.

المسألة الثّانية: قال المتكلّمون: الثّواب له ركنان أحدهما: المنفعة، و هي الّتي ذكرناها، و الثّاني: التّعظيم، و هو المراد بالرّضوان؛ و ذلك لأنّ معرفة أهل الجنّة مع هذا النّعيم المقيم بأنّه تعالى راض عنهم، حامد لهم، مُثْنٍ عليهم، أزيد في إيجاب السّرور من تلك المنافع.

و أمّا الحكماء فإنّهم قالوا: الجنّات بما فيها إشارة إلى الجنّة الجسمانيّة، و الرّضوان فهو إشارة إلى الجنّة الرّوحانيّة، و أعلى المقامات إنّما هو الجنّة الرّوحانيّة، و هو عبارة عن تجلّي نور جلال الله تعالى في روح

العبد، و استغراق العبد في معرفته، ثمّ يصير في أوّل هذه المقامات راضيًا عن الله تعالى، و في آخرها مرضيًّا عند الله تعالى، و إليه الإشارة بقوله: ﴿رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾ الفجر: ٢٨، و نظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَ مَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَ رِضْوَانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ ذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ التوبة: ٧٢.

(٧: ٢١٤)

أبو حيّان: بدأ أوّلًا بذكر المقرّ، و هو الجنّات الّتي قال فيها: ﴿وَ فِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَ تَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾ الزّخرف: ٧١، ثمّ انتقل من ذكرها إلى ذكر ما يحصل به الأنس التّامّ من الأزواج المطهّرة، ثمّ انتقل من ذلك إلى ما هو أعظم الأشياء و هو رضا الله عنهم، فحصل بمجموع ذلك اللّذّة الجسمانيّة و الفرح الرّوحانيّ؛ حيث علم برضا الله عنه. [إلى أن قال:]

و قال أبوبكر: (وَ رُضْوَان) بالضّمّ حيث وقع إلّا في ثاني العقود، فعنه خلاف. و باقي السّبعة بالكسر، و قد ذكرنا أنّهما لغتان. (٢: ٣٩٩)

البُرُوسَويّ: ﴿وَ رِضْوَانٌ﴾ أي رضوان و أيّ رضوان لايقادر قدره كائن ﴿مِنَ اللهِ﴾. قال الحكماء: الجنّات بما فيها إشارة إلى الجنّة الجسمانيّة، و الرّضوان إشارة إلى الجنّة الرّوحانيّة، و أعلى المقامات الجنّة الرّوحانيّة، و هي عبارة عن تجلّي نور جلال الله تعالى في روح العبد، و استغراق العبد في معرفة الله، ثمّ يصير في أوّل هذه المقامات راضيًا عن الله، و في آخرها مرضيًّا عنده تعالى، و إليه الإشارة بقوله: ﴿رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾ الفجر: ٢٨. (٢: ١٠)

الآلوسيّ: ﴿وَ رِضْوَانٌ﴾ أي رضًا عظيم على ما يشعر به التّنوين، و قرأه عاصم بضمّ الرّاء، و هما لغتان و قراءتان سبعيّتان في جميع القرآن، إلّا في قوله تعالى: ﴿مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾ المائدة: ١٦، فإنّه بالكسر بالاتّفاق. و قيل: المكسور اسم و المضموم مصدر، و هو قول لاثبت له. (٣: ١٠١)

محمّد عبده: و أكبر من هذه اللّذّات كلّها رضوان الله تعالى، و هذا يدلّنا على أنّ أهل الجنّة طبقات و مراتب كما نراهم في الدّنيا، فمن النّاس من لايفهم معنى رضوان الله تعالى، و لايكون باعثًا له على ترك الشّرّ، و لاعلى فعل الخير، و إنّما يفهمون معنى اللّذّات الحسّيّة الّتي جرّبوها، فكانت أحسن الأشياء موقعًا من نفوسهم، فهم فيها يرغبون، و لأجلها يعملون، و لكن جميع المتّقين يعرفون في الآخرة هذه اللّذّة الّتي لم يكونوا يعقلون لها معنًى في الدّنيا.

(رشيد رضا ٣: ٢٤٩)

القاسميّ: التّنوين للتّفخيم، أي رضوان و أيّ رضوان لايقدر قدره. و هذه اللّذّة الرّوحانيّة تتمّة ما حصل لهم من اللّذّات الجسمانيّة و أكبرها، كما قال تعالى في: ﴿وَ رِضْوَانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ﴾ التّوبة: ٧٢، أي أعظم ما أعطاهم من النّعيم المقيم. (٤: ٨٠٧)

رشيد رضا: «الرّضوان»: فهو مصدر بمعنى الرّضا، مع ما في زيادة المبنى من المبالغة في المعنى، فكأنّه قال: و رضوان عظيم من الله لايشوبه و لايعقبه سخط. و في سورة التّوبة: ٧٢: ﴿وَعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ

وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ ذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾، و في هذا من تفضيل الرّضوان على نعيم الجنّات، و ما فيها ما لاغاية وراءه، و في سورة الحديد: ٢٠، ﴿إِعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرٰيهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ و هذه الآية أوجز من الآية الّتي نفسّرها، على أنّها في موضوعها، وفيها من زيادة الفائدة بيان جزاء المسرفين و المعتدين في هذه الشّهوات الدّنيويّة الّتي تشغلهم عن حقوق الله، و تحملهم على هضم حقوق خلقه، و جزاء المقتصدين الّذين يتّقون الله في تمتّعهم، و لا ينسون الله و لا الدّار الآخرة. و لعلّنا إذا أمهل الزّمان و بلغنا سورة الحديد نبيّن ما في الآية. (٣: ٢٤٨)

المَراغيّ: أي للّذين أخبتوا إلى ربّهم و أنابوا إليه نوعان من الجزاء:

أحدهما: جسمانيّ، و هو الجنّات و ما فيها من النّعيم و الخيرات، و الأزواج المبرّأة من العيوب الّتي في نساء الدّنيا خلقًا و خُلقًا.

و ثانيهما: روحانيّ عقليّ، و هو رضوان الله الّذي لا يشوبه سخط و لا يعقبه غضب، و هو أعظم اللّذّات كلّها في الآخرة عند المتّقين. [ثمّ قال نحو ما تقدّم عن محمّد عبده] (٣: ١١٤)

سيّد قُطْب: ﴿رِضْوَانٌ﴾ يعدل الحياة الدّنيا و الحياة الأُخرى كليهما، و يُرجّح رضوان بكلّ ما في لفظه من نداوة و بكلّ ما في ظلّه من حنان. (١: ٣٧٥)

ابن عاشور: و عطف ﴿رِضْوَانٌ مِنَ اللهِ﴾ على ما أعدّ للّذين اتّقوا عند الله، لأنّ رضوانه أعظم من ذلك النّعيم المادّيّ، لأنّ رضوان الله تقريب روحانيّ، قال تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ﴾ التّوبة: ٧٢.

و قرأ الجمهور ﴿رِضْوَانٌ﴾ بكسر الرّاء، و قرأه أبوبكر عن عاصم بضمّ الرّاء، و هما لغتان.

و أظهر اسم الجلالة في قوله: ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ﴾ دون أن يقول: و رضوان منه، أي من ربّهم: لما في اسم الجلالة من الإيماء إلى عظمة ذلك الرّضوان. (٣: ٤٢)

مَغْنِيَّة: هذه الثّلاثة هي خير من النّساء و المال و البنين، و هي حُسن المآب:

الأوّل: منها جنّات لا تزول، كالحرث و الخيل و الأنعام.

الثّاني: أزواج مطهّرة من الحيض و الأحداث و الأخباث، و من كلّ ما تنفر النّفوس منه.

الثّالث: رضوان الله، و هو أكبر و أعظم من الدّنيا و الآخرة مجتمعتين. كلّ ذلك جعله الله جزاءً لمن خاف مقام ربّه، و نهى النّفس عن الهوى. (٢: ٢٣)

الطَّباطَبائيّ: و أمّا الرّضوان بكسر الرّاء و ضمّها، فهو الرّضا، و هو أن يلائم الأمر الواقع نفس صاحبه، من غير أن يمتنع منه و يدافعه، و يقابله السُّخط.

و قد تكرّر في القرآن ذكر رضى الله سبحانه، و هو منه تعالى كما يُتصوّر بالنّسبة إلى فعل عباده في باب

الطّاعة، كذلك يُتصوّر بالنّسبة إلى غير باب الطّاعة، كالأوصاف و الأحوال و غير ذلك، إلّا أنّ جُلّ الموارد الّتي ذُكر فيها أو كلّها من قبيل الرّضا بالطّاعة، و لذلك ربّما قوبل بينه و بين رضا العبد، فرضاه عن عبده لطاعته، و رضى العبد عنه لجزائه الحسن أو لحكمة، كقوله تعالى: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ البيّنة: ٨، و قوله تعالى: ﴿يَاءَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾ الفجر: ٢٧، ٢٨، و قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ...﴾ التّوبة: ١٠٠.

و ذكر الرّضوان هاهنا، أعني في عداد ما هو خير للنّاس من مشتهيات الحياة الدّنيا، يدلّ على أنّه نفسه من مشتهيات الإنسان، أو يستلزم أمرًا هو كذلك، عنى بذكره في مقابل الجنّات و الأزواج في هذه الآية، و كذا في مقابل الفضل و المغفرة و الرّحمة، في قوله: ﴿فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا﴾ المائدة: ٢، و قوله: ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٌ﴾ الحديد: ٢٠، قوله: ﴿بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ﴾ التّوبة: ٢١.

و لعلّ الّذي يكشف عن هذا الّذي أبهمته هذه الآية، هو التّدبّر في المعنى الّذي ذكرناه، و في قوله تعالى: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ﴾ المائدة: ١١٩، و قوله: ﴿رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾ الفجر: ٢٨؛ حيث علّق رضاه بأنفسهم، و الرّضا عن أنفسهم غير الرّضا عن أفعالهم، فيعود المعنى إلى أنّه لايمنعهم عن نفسه فيما يسألونه فيؤول إلى معنى قوله: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا﴾ ق: ٣٥، ففي رضوان الله عن الإنسان المشيئة المطلقة للإنسان.

و من هنا يظهر: أنّ الرّضوان في هذه الآية قوبل به من الشّهوات المذكورة في الآية السّابقة، أنّ الإنسان يحسب أنّه لو اقتناها و خاصّة القناطير المقنطرة من بينها، أفادته إطلاق المشيئة، و أعطته سعة القدرة، فله ما يشاء، و عنده ما يريد. و قد اشتبه عليه الأمر فإنّما يتمّ ذلك برضا الله الّذي إليه أمر كل شيء. (٣: ١٠٦)

مكارم الشّيرازيّ: هذه الآية توضّح الخطّ البيانيّ الصّاعد، لتكامل الحياة الإنسانيّة الّذي أشير إليه في الآية السّابقة. تقول الآية: هل أُخبركم بحياة أرفع و أسمى من هذه الحياة المادّيّة المحدودة في الدّنيا، تلك الحياة فيها كلّ ما في هذه الحياة من النّعم، لكنّها صورتها الكاملة الخالية من أيّ نقص و عيب خاصّة بالمتّقين. بساتينها، لاكبساتين الدّنيا، لاينقطع الماء عن الجريان بجوار أشجارها ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ و نعمها دائمة أبديّة، لاكنعم الدّنيا السّريعة الزّوال: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾، نساؤها خلافًا لكثير من غواني هذه الدّنيا، ليس في أجسامهنّ و لاأرواحهنّ نقطة ظلام و خبث ﴿وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾.

كلّ هذا بانتظار المتّقين، و أسمى من ذلك كلّه، النّعم المعنويّة الّتي تفوق كلّ تصوّر، و هي ﴿رِضْوَانٌ مِنَ اللهِ﴾. (٢: ٣٠٧)

فضل الله: إنّ الله يقول للمؤمنين الّذين تلحّ عليهم شهوات الحياة الدّنيا بالمعصية، في استجابتهم لنداء الجنس الحرام و المال الحرام، و العلاقة المحرّمة الّتي يُراد بها الحصول على رضا النّاس، بعيدًا عن

رضا الله: هل أعرّفكم أفضل من ذلك كلّه، و بذلك تواجهون الموقف من موقع المقارنة الواعية الّتي توازن بين المال الزّائل و المال الخالد، و بين الشّهوة الدّنسة الفانية و الشّهوة الطّاهرة الخالدة، و بين رضا النّاس الّذي لايُحقّق للإنسان نفعًا و لايدفع عنه ضرًّا، على المدى الطّويل، و رضا الله الّذي يحيط بالإنسان من بين يديه و من خلفه و عن يمينه و شماله، القادر على كلّ شيء، و خالق كلّ مخلوق، و رازق كلّ مرزوق، مالك الحياة و الموت، و الضّرّ و النّفع، فهل تختارون الزّائل الّذي تقفون من خلال نتائجه موقف الخزي و الذّلّ و العار و العذاب، أم تختارون الخالد الّذي قد يفرض عليكم بعض الصّبر، و لكنّه ينتهي بكم إلى الخير الكبير و الرّضوان العظيم عند الله؟ إنّ الله يترك للعاقل أن يفكّر لئلّا يقع في أسر الشّهوات المحرّمة، و يُفضّل الدّنيا على الآخرة. (٥: ٢٦٧)

٢ ـ اَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللهِ وَمَاْوٰيهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ. آل عمران: ١٦٢

الضّحّاك: في قوله: ﴿اَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللهِ﴾ من لم يغلّ ﴿كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللهِ﴾ كمن غلّ.
(الطّبريّ ٣: ٥٠٤)

نحوه الحسَن (الطّوسيّ ٣: ٣٦)، و الثّعلبيّ (٣: ١٩٩)، و المَيْبُديّ (٢: ٣٣٦).

﴿اَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللهِ﴾ مَن أدّى الخمس.
(الطّبريّ ٣: ٥٠٤)

ابن إسحاق: ﴿اَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللهِ﴾ على ما أحبّ النّاس و سخطوا ﴿كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللهِ﴾ لرضى النّاس و سخطهم؟. (الطّبريّ ٣: ٥٠٤)

في العمل بطاعته على ما كره النّاس، ﴿كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللهِ﴾ في العمل بمعصيته على ما أحبّوا.
(الطّوسيّ ٣: ٣٦)

الجُبّائيّ: ﴿اَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللهِ﴾ بالجهاد في سبيله، ﴿كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللهِ﴾ بالفرار منه رغبةً عنه. (الطّوسيّ ٣: ٣٦)

الطّبَريّ: اختلف أهل التّأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك: ﴿اَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللهِ﴾ في ترك الغلول، ﴿كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللهِ﴾ بغلوله ما غلّ.

و قال آخرون في ذلك بقول: أفمن كان على طاعتي، فثوابه الجنّة و رضوان من ربّه، كمن باء بسخط من الله، فاستوجب غضبه، و كان مأواه جهنّم و بئس المصير؟ أسواء المثلان؟ أي فاعرفوا.

و أولى التّأويلين بتأويل الآية عندي، قول الضّحّاك بن مزاحم، لأنّ ذلك عقيب و عيد الله على الغلول و نهيه عباده عنه، ثمّ قال لهم بعد نهيه عن ذلك و وعيده: أسواء المطيع لله فيما أمره و نهاه، و العاصي له في ذلك، أي أنّهما لايستويان و لاتستوي حالتاهما عنده، لأنّ لمن أطاع الله فيما أمره و نهاه: الجنّة، و لمن عصاه فيما أمره و نهاه: النّار.

فمعنى قوله: ﴿اَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللهِ﴾ إذًا أفمن ترك الغلول و ما نهاه الله عنه عن معاصيه، و عمل بطاعة الله في تركه ذلك و في

غيره ممّا أمره به و نهاه من فرائضه، متّبعًا في كلّ ذلك رضا الله، و مجتنبًا سخطه. (٣: ٥٠٤)

الزّجّاج: يُقرأ ﴿رِضْوَانٌ﴾ بكسر الرّاء، و (رُضْوَان) بضمّ الرّاء، و قد رويتا جميعًا عن عاصم.

يُروى أنّ النّبيّ ﷺ حين أمر المسلمين في أُحد باتّباعه اتّبعه المؤمنون، و تخلّف عنه جماعة من المنافقين، فأعلم الله جلّ و عزّ: أنّ من اتّبع النّبيّ ﷺ فقد اتّبع رضوان الله، ومن تخلّف عنه فقد باء بسخط من الله. (١: ٤٨٦)

القُشَيْريّ: لا يستوي من رضي عنه في آزاله و من سخط عليه، فخذله في أحواله، و جعله متّكلًا على أعماله، ناسيًا لشهود أفضاله. و اتّباع الرّضوان بمفارقة ما زجر عنه، و معانقة ما أمر به، فمن تجرّد عن المزجور، و تجلّد في اعتناق المأمور فقد اتّبع الرّضوان، و استوجب الجنان. (١: ٣٠٥)

ابن عَطيّة: و قوله تعالى: ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللهِ﴾ الآية، توقيف على تباين المنزلتين و افتراق الحالتين، و الرّضوان: مصدر، و قرأه عاصم فيما روي عنه بضمّ الرّاء، و قرأ جميعهم بكسرها. و حكى أبوعمرو الدّاني عن الأعمش، أنّه قرأها بكسر الرّاء و ضمّ الضّاد، و هذا كلّه بمعنى واحد مصدر من الرّضى، و المعنى، اتّبعوا الطّاعة الكفيلة برضوان الله، ففي الكلام حذف مضاف. (١: ٥٣٧)

الفَخْر الرّازيّ: و في الآية مسائل:

المسألة الأُولى: للمفسّرين فيه وجوه:

الأوّل: ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللهِ﴾ في ترك الغلول ﴿كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللهِ﴾ في فعل الغلول، و هو قول الكلبيّ و الضّحّاك.

الثّاني: ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللهِ﴾ بالإيمان به و العمل بطاعته. ﴿كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللهِ﴾ بالكفر به، و الاشتغال بمعصيته.

الثّالث: ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللهِ﴾ وهم المهاجرون، ﴿كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللهِ﴾ و هم المنافقون.

الرّابع: قال الزّجّاج: لـمّا حمل المشركون على المسلمين دعا النّبيّ ﷺ أصحابه إلى أن يحملوا على المشركين، ففعله بعضهم و تركه آخرون، فقال: ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللهِ﴾ و هم الّذين امتثلوا أمره. ﴿كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللهِ﴾ و هم الّذين لم يقبلوا قوله.

و قال القاضي: كلّ واحد من هذه الوجوه صحيح، و لكن لا يجوز قصر اللّفظ عليه، لأنّ اللّفظ عامّ، فوجب أن يتناول الكلّ، لأنّ كلّ من أقدم على الطّاعة فهو داخل تحت قوله: ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللهِ﴾ و كلّ من أخلد إلى متابعة النّفس و الشّهوة، فهو داخل تحت قوله: ﴿كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللهِ﴾، أقصى ما في الباب أنّ الآية نازلة في واقعة معيّنة، لكنّك تعلم أنّ عموم اللّفظ لا يبطل لأجل خصوص السّبب. (٩: ٧٤)

نحوه الشِّرْبينيّ. (١: ٢٦١)

القُرطُبيّ: قوله تعالى: ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللهِ﴾ يريد بترك الغلول و الصّبر على الجهاد، ﴿كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللهِ﴾ يريد بكفر أو غلول أو تولّ عن النّبيّ ﷺ في الحرب. (٤: ٢٦٢)

أبو حَيّان: هذا الاستفهام معناه النّفي، أي ليس

من اتّبع رضا الله فامتثل أوامره و اجتنب مناهيه، كمن عصاه فباء بسخطه. و هذا من الاستعارة البديعيّة. جعل ما شرّعه الله كالدّليل الّذي يتّبعه من يهتدي به، و جعل العاصي كالشّخص الّذي أمر بأن يتّبع شيئًا عن اتّباعه، و رجع مصحوبًا بما يخالف الاتّباع.

و في الآية من حيث المعنى حذف و التّقدير: أ فمن اتّبع ما يؤول به إلى رضا الله عنه، فباء برضاه، كمن لم يتّبع ذلك فباء بسخطه.

و قال سعيد بن جُبَيْر و الضّحّاك و الجمهور: أ فمن اتّبع رضوان الله فلم يغلّ كمن باء بسخط من الله حين غلّ.

و قال الزّجّاج: أ فمن اتّبع رضوان الله باتّباع الرّسول يوم أُحد، كمن باء بسخط من الله بتخلّفه، و هم جماعة من المنافقين. و قال أيضًا: رضوان الله الجهاد، و السّخط الفرار. و قيل: رضا الله: طاعته، و سخطه: عقابه. و قيل: سخطه: معصيته، قاله ابن إسحاق. و يعسر ما يزعم الزّمَخْشَريّ من تقدير معطوف بين همزة الاستفهام و بين حرف العطف في مثل هذا التّركيب، و تقديره متكلّف جدًّا فيه، فيترجّح إذ ذاك مذهب الجمهور، من أنّ الفاء محلّها قبل الهمزة، لكن قُدّمت الهمزة، لأنّ الاستفهام له صدر الكلام. و تقدّم اختلاف القرّاء في ﴿رِضْوَانَ﴾ في أوائل هذه السّورة، و الظّاهر استئناف. (٣: ١٠١)

أبو السُّعود: أي سعى في تحصيله و انتحى نحوه، حينما كان بفعل الطّاعات و ترك المنكرات، كالنّبيّ و من يسير بسيرته. (٢: ٥٧)

نحوه البُرُوسَويّ (٢: ١١٩)، و الآلوسيّ (٤: ١١١).

المَراغيّ: أي أ فمن اتّقى و سعى في تحصيل رضا الله بفعل الطّاعات، و ترك الغلول و غيره من الفواحش و المنكرات، حتّى زكت نفسه و صفا روحه، يكون جزاؤه كجزاء من انتهى أمره إلى سخط الله، و عظيم غضبه، بفعل ما يُدسّي نفسه من الخطايا من سرقة و غلول و سلب و قتل، و ترك ما يُطهّرها من فعل الخيرات و عمل الصّالحات؟ (٤: ١٢١)

سيّد قُطْب: هذه هي القيم، و هذا هو مجال الطّمع، و مجال الاختيار. و هذا هو ميدان الكسب و الخسارة. و شتّان بين من يتّبع رضوان الله فيفوز به، و من يعود و في وطابه سخط الله، يذهب به إلى جهنّم و بئس المصير، هذه درجة و هذه درجة، و شتّان شتّان ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللهِ﴾ و كلّ ينال درجته باستحقاق، فلا ظلم و لا إجحاف، و لا محاباة و لا جزاف. (١: ٥٠٦)

رشيد رضا: أي جعل ما يُرضيه من فعل و ترك إمامًا له، فجدّ و اجتهد في الخيرات و الأعمال الصّالحات، و اتّقى الغلول و غيره من الفواحش و المنكرات، حتّى زكّت نفسه و ارتقت روحه، فوفّى جزاءه الحسن، و كان عند ربه في جنّات عدن، ﴿كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللهِ﴾ أي انتهى إلى مباءته في الآخرة، مصاحبًا و مقترنًا بغضب عظيم من الله عزّ و جلّ لتدسية نفسه بما خفي من الخطايا كالسّرقة و الغلول، و تدنيسها بما ظهر منها كالسّلب و النّهب، و إهمال تطهيرها بالعبادات، و عمل الخيرات. (٤: ٢١٨)

ابن عاشور: و الاستفهام إنكار للمماثلة

المستفادة من كاف التّشبيه، فهو بمعنى لا يستوون. و الاتّباع هنا بمعنى التّطلّب، شبّه حال المتوخّي بأفعاله رضى الله بحال المتطلّب لطلبة فهو يتّبعها حيث حلّ ليقتنصها. و في هذا التّشبيه حسن التّنبيه على أنّ التّحصيل على رضوان الله تعالى محتاج إلى فرط اهتمام. (٣: ٢٧٦)

الطّباطبائيّ: ذكر أنّ رمي النّبيّ بالخيانة قياس جائر مع الفارق، فإنّه متّبع رضوان الله لا يعدو رضا ربّه، و الخائن باء بسخط عظيم من الله و مأواه جهنّم و بئس المصير، و هذا هو المراد بقوله: ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللهِ﴾ الآية و يمكن أن يكون المراد به التّعريض للمؤمنين، بأنّ هذه الأحوال من التّعرّض لسخط الله، و الله يدعوكم بهذه المواعظ إلى رضوانه، و ما هما سواء. (٤: ٥٧)

عبد الكريم الخطيب: هنا مقابلة بين من استجاب لله، و انقاد لما يُرضيه، فرجع مزوّدًا برحمة الله و رضوانه، و بين من مكر بالله، و كفر بآياته، فانقلب موقرًا بسخط الله و غضبه. و بين الطّرفين المتقابلين بُعد بعيد، و اختلاف شديد؛ فالطّرف الأوّل يمثّله الرّسول و من كان معه من المؤمنين، و الطّرف الآخر يمثّله عبد الله بن أُبيّ بن سلول و من اتّبع سبيله من المنافقين.

و الطّرف الأوّل من رضى الله، في رحمة و مغفرة في الدّنيا، و إلى جنّات و نعيم في الآخرة.

و الطّرف الآخر، من سخط الله و غضبه، في غيظ و كمد في الدّنيا، و إلى جهنّم و عذاب السّعير في الآخرة.

و في قوله تعالى: ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللهِ﴾ إشارة إلى أنّ الله سبحانه و تعالى قد تقبّل من النّبيّ ما كان منه من استجابته لأمر ربّه، و تلبيته ما دعاه إليه، من الصّفح الجميل عن أصحاب الهفوات من أصحابه، و إخلاء نفسه من كلّ عوارض الغيظ أو الكظم ممّا كان منهم، و في هذا اتّباع لما يرضى الله، و يزيد في مرضاته، و هو ما عبّر عنه هنا بالرّضوان. (٢: ٦٣٣)

فضل الله: و تستمرّ الآيات في توضيح الميزان الّذي يرفع الله به درجات عباده أو يُنزلها. فليس هناك إلّا اتّباع رضى الله و الابتعاد عن سخطه، فلا يمكن أن يتساوى الطّائعون و العاصون أمام الله الّذي يعلم خفاياهم في صغائر الأمور و كبائرها، بل يجعل لكلّ منهم درجته من المغفرة أو من العقوبة على أساس علمه و عدله.

﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللهِ﴾ ما أمره الله به أو نهاه عنه في الخطّ العامّ للشّريعة بأحكامها العامّة و الخاصّة، و ما أمره به رسوله في خطّ الدّعوة و الجهاد، فكان همّه الحصول على رضى الله و الوصول إلى موقع القرب منه. ﴿كَمَنْ بَاءَ﴾ أي رجع من مواقعه الحركيّة في حركة الإسلام في ساحة التّحدّي و المواجهة للشّرك و أهله، ﴿بِسَخَطٍ مِنَ اللهِ﴾ بما يمثّله ذلك من إبعاده عن ساحة رحمته و استحقاقه لعذابه، لأنّه لم يأخذ بأسباب الطّاعة لله و للرّسول، في ما أمراه به أو نهياه عنه، في الحياة العامّة، و في مواقع الجهاد. (٦: ٣٥٨)

٣ـ ...وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللهِ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ.
آل عمران: ١٧٤

لاحظ: ت ب ع: «اتَّبَعُوا».

٤ـ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ. التّوبة: ٢١

الطُّوسيّ: و ﴿رِضْوَانٍ﴾ و هو معنًى يستحقّ بالإحسان، يدعو إلى الحمد على ما كان، و يضادّ سخط الغضبان، تقول: رضي رضًا و رضوانًا، و أرضاه إرضاءً و ترَضّاه ترَضّيًا، و ارتضاه ارتضاءً، و استرضاه استرضاءً و تراضوه تراضيًا. (٥: ٢٢٥)

الفخر الرّازيّ: و قوله: ﴿وَرِضْوَانٍ﴾ لهم المراد منه، كونه تعالى راضيًا عنهم حال كونهم في الحياة الدّنيا. (١٦: ١٥)

تمام الكلام مضى في: ب ش ر: «يُبَشِّرُهُمْ».

٥ـ ...وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ. التّوبة: ٧٢

الطّبريّ: و ابتُدئ الخبر عن رضوان الله للمؤمنين و المؤمنات، أنّه أكبر من كلّ ما ذكر جلّ ثناؤه، فرفع، و إن كان الرّضوان فيما قد وعدهم، و لم يعطف به في الإعراب على الجنّات و المساكن الطّيّبة، ليُعلم بذلك تفضيل الله رضوانه عن المؤمنين على سائر ما قسم لهم من فضله، و أعطاهم من كرامته، نظير قول القائل في الكلام الآخر: أعطيتك و وصلتك بكذا، و أكرمتك، و رضاي بَعدُ عنك أفضل لك. (٦: ٤١٩)

الثّعلبيّ: رفع على الابتداء، أي رضا الله عنهم أكبر من ذلك كلّه. (٥: ٦٨)

الطُّوسيّ: و قوله: ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ﴾ قال الرُّمّانيّ: الرّضوان معنى يدعو إلى الحمد بالإجابة يستحقّ مثله بالطّاعة فيما تقتضيه الحكمة. و إنّما رُفع ﴿رِضْوَانٌ﴾ لأنّه استأنفه للتّعظيم، كما يقول القائل: أعطيتك و وصلتك، ثمّ يقول: و حسن رأيي فيك و رضاي عنك خير من جميع ذلك. (٥: ٣٠٠)

القُشَيْريّ: و أمارة أهل الرّضوان: وجدان طعمه، فهم في روح الأُنس، و روح الأُنس لايتقاصر عن راحة دار القُدس، بل هو أتمّ و أعظم. (٢: ٤٦)

الزّمَخْشَريّ: و شيء من رضوان الله أكبر من ذلك كلّه، لأنّ رضاه هو سبب كلّ فوز و سعادة، و لأنّهم ينالون برضاه عنهم تعظيمه و كرامته، و الكرامة أكبر أصناف الثّواب، و لأنّ العبد إذا علم أنّ مولاه راض عنه، فهو أكبر في نفسه ممّا وراءه من النّعم، و إنّما تتهنّأ له برضاه، كما إذا علم بسخطته تنغّصت عليه و لم يجد لها لذّة و إن عظُمت.

و سمعت بعض أولي الهمّة البعيدة و النّفس المرّة من مشايخنا يقول: لاتطمح عيني و لا تنازع نفسي إلى شيء ممّا وعد الله في دار الكرامة، كما تطمح و تنازع إلى رضاه عنّي، و أن أُحشر في زمرة المهذّبين المرضيّين عنده. (٢: ٢٠٢)

ابن عَطيّة: روي فيه أنّ الله عزّ و جلّ يقول: لعباده إذا استقرّوا في الجنّة: هل رضيتم؟ فيقولون: و كيف لانرضى يا ربّنا؟ فيقول: «إنّي سأعطيكم

أفضل من هذا كلّه، رضواني أرضى عليكم فلاأسخط عليكم أبدًا»، الحديث. و قوله: ﴿أَكْبَرُ﴾ يريد أكبر من جميع ما تقدّم، و معنى الآية و الحديث متّفق.

و قال الحسن بن أبي الحسن: وصل إلى قلوبهم برضوان الله من اللّذّة و السّرور، ما هو ألذّ عندهم و أقرّ لأعينهم من كلّ شيء أصابوه من لذّة الجنّة.

و يظهر أن يكون قوله تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ﴾ إشارة إلى منازل المقرّبين الشّاربين من تسنيم، و الّذين يرون كما يرى النّجم الغائر في الأُفق، و جميع من في الجنّة راضٍ و المنازل مختلفة، و فضل الله تعالى متّسع. (٣: ٥٨)

الطُّبْرِسيّ: ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ﴾ رفع على الابتداء، أي و رضا الله تعالى عنهم أكبر من ذلك كلّه.

قال الجُبّائيّ: إنّما صار الرّضوان أكبر من الثّواب، لأنّه لايُوجد شيء منه إلّا بالرّضوان، و هو الدّاعي إليه الموجب له.

و قال الحسن: لأنّ ما يصل إلى القلب من السّرور برضوان الله أكبر من جميع ذلك. [ثمّ أدام مثل الطُّوسيّ] (٣: ٥٠)

الفَخْر الرّازيّ: المعنى: أنّ رضوان الله أكبر من كلّ ما سلف ذكره. و اعلم أنّ هذا هو البرهان القاطع على أنّ السّعادات الرّوحانيّة أشرف و أعلى من السّعادات الجسمانيّة، و ذلك لأنّه إمّا أن يكون الابتهاج بكون مولاه راضيًا عنه، و أن يتوسّل بذلك الرّضا إلى شيء من اللّذّات الجسمانيّة، أو ليس الأمر كذلك، بل علمه بكونه راضيًا عنه يوجب الابتهاج و السّعادة لذاته، من غير أن يتوسّل به إلى مطلوب آخر.

و الأوّل باطل، لأنّ ما كان وسيلة إلى الشّيء لايكون أعلى حالًا من ذلك المقصود، فلو كان المقصود من رضوان الله أن يتوسّل به إلى اللّذّات الّتي أعدّها الله في الجنّة من الأكل و الشّرب، لكان الابتهاج بالرّضوان ابتهاجًا بحصول الوسيلة، و لكان الابتهاج بتلك اللّذّات ابتهاجًا بالمقصود، و قد ذكرنا أنّ الابتهاج بالوسيلة لابدّ و أن يكون أقلّ حالًا من الابتهاج بالمقصود، فوجب أن يكون رضوان الله أقلّ حالًا و أدون مرتبة من الفوز بالجنّات و المساكن الطّيّبة. لكن الأمر ليس كذلك، لأنّه تعالى نصّ على أنّ الفوز بالرّضوان أعلى و أعظم و أجلّ و أكبر؛ و ذلك دليل قاطع على أنّ السّعادات الرّوحانيّة أكمل و أشرف من السّعادات الجسمانيّة.

و اعلم أنّ المذهب الصّحيح الحقّ وجوب الإقرار بهما معًا، كما جمع الله بينهما في هذه الآية. (١٦: ١٣٣)

البَيْضاويّ: ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ﴾ لأنّه المبدأ لكلّ سعادة و كرامة و المؤدّي إلى نيل الوصول و الفوز باللّقاء. (١: ٤٢٣)

أبوحَيّان: و قرأ الأعمش و (رُضْوَانٌ): بضمّتين.

قال صاحب «اللّوامح»: و هي لغة، و ﴿وَرِضْوَانٌ﴾ مبتدأ. و جاز الابتداء به، لأنّه موصوف بقوله: ﴿مِنَ اللهِ﴾، و أتى به نكرةً، ليدلّ على مطلق، أي و شيء من رضوانه أكبر من كلّ ما ذكر. [بعد نقل قول ابن عَطيّة و الزّمَخْشَريّ قال:]

والإشارة بذلك إلى جميع ما سبق، أو إلى الرّضوان قولان، والأظهر الأوّل. (٥: ٧٢)

أبو السُّعود: أي وشيء يسير من رضوانه تعالى ﴿أَكْبَرُ﴾؛ إذ عليه يدور فوز كلّ خير وسعادة، وبه يُناط نيل كلّ شرف وسيادة، ولعلّ عدم نظمه في سلك الوعد مع عزّته في نفسه، لأنّه متحقّق في ضمن كلّ موعود، ولأنّه مستمرّ في الدّارين. (٣: ١٧٠)

نحوه البُرُوسَويّ. (٣: ٤٦٤)

الآلوسيّ: ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ﴾ أي وقدر يسير من رضوانه سبحانه ﴿أَكْبَرُ﴾، ولقصد إفادة ذلك عدل عن رضوان الله الأخصر إلى ما في النّظم الجليل. وقيل: إفادة العدول كون ما ذُكر أظهر في توجّه الرّضوان إليهم. ولعلّه إنّما لم يُعبّر بالرّضا تعظيمًا لشأن لله تعالى في نفسه، لأنّ في الرّضوان من المبالغة ما لايخفى؛ ولذلك لم يُستَعمل في القرآن إلّا في رضاء الله سبحانه، وإنّما كان ذلك أكبر، لأنّه مبدأ لحلول دار الإقامة، ووصول كلّ سعادة وكرامة، وهو غاية إرب المحبّين، ومنتهى أُمنيّة الرّاغبين.

ولعلّ عدم نظم هذا الرّضوان في سلك الوعد على طرز ما تقدّم مع عزّته في نفسه، لأنّه متحقّق في ضمن كلّ موجود، ولأنّه مستمرّ في الدّارين. (١٠: ١٣٧)

القاسميّ: [نقل قول أبي السُّعود وقال:]

وإيثار رضوان لله على ما ذُكر، إشارة إلى إفادة أنّ قدرًا يسيرًا منه خير من ذلك. (٨: ٣٢٠٢)

رشيد رضا: قوله تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ﴾ بعد ذكر جنّات عدن، يراد به أعلى درجات الرّضوان، وما هو إلّا مقام رؤية الرّبّ تعالى الّتي تكمل بها معرفة الرّحمان، وتتمّ سعادة الإنسان.

فالإنسان جسد وروح، ففي الجنّات ومساكنها أعلى النّعيم الجسمانيّ، ورضوان الله الأكبر هو أعلى النّعيم الرّوحانيّ. فالتّنوين فيه للتّعظيم، والدّليل على ما حرّرته أنّه لم يعطف مفردًا على ما قبله، ممّا وُعدوا به على الإيمان وأعماله؛ لأنّه فوق كلّ جزاء، كما أُشير إليه في قوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ يونس: ٢٦، بل جاء مرفوعًا في اللّفظ كرفعة معناه، في جملة مستقلّة تقديرها: وهنالك رضوان من الله أكبر وأعظم من تلك الجنّات وما فيها، لايقدَر قدره، ولايُكتَنه سرّه.

فهذا ما يُفهَم بمعونة الحديث من اختلاف إعرابه، ووصفه باسم التّفضيل ﴿أَكْبَرُ﴾ وقد ورد لفظ ﴿وَرِضْوَانٌ﴾ معطوفًا على ما قبله غير موصوف بهذا الوصف، ولا موصولًا بكونه من الله في آية: ٢١، ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ﴾ من هذه السّورة، وذكرت في تفسيرها ما ورد من قوله تعالى في سورة آل عمران: ١٥ ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ﴾ معطوفًا على الجنّات والأزواج، فهل يجوز في بلاغة القرآن أن يكون ما هنا من اختلاف الإعراب ووصف ﴿أَكْبَرُ﴾ بغير فائدة؟ وهل نجد له من الفائدة ما هو أليق به ممّا ورد في الحديث الصّحيح من نعمة الرّؤية؟ كلّا ولم يُبيّن هذا بنصّ صريح في القرآن، لئلّا يكون فتنة لمن لم تسم أرواحهم إلى إدراك هذه المعاني، فحكمته الرّحمة بضعف الإنسان، واللّبيب يفهم

بالإشارة ما لا يفهمه الغبيّ بأفصح عبارة، أفلم تر كيف اختلف الألبّاء في فهم قوله سبحانه: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ القيامة: ٢٢، ٢٣.(١: ٥٤٦)

المراغيّ: رضوان الله، هو مقام رؤيته تعالى الّتي تكمل بها معرفته، و الإنسان جسد و روح، ففي الجنّات و مساكنها أعلى النّعيم الجسمانيّ، و رضوان الله هو أعلى النّعيم الرّوحانيّ. (١٠: ١٦٢)

سيّد قُطْب: و إنّ الجنّة بكلّ ما فيها من نعيم، لتتضاءل و تتوارى في هالات ذلك الرّضوان الكريم.

﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ﴾ إنّ لحظة اتّصال بالله، لحظة شهود لجلاله، لحظة انطلاق من حبسة هذه الأمشاج، و من ثقلة هذه الأرض و همومها القريبة، لحظة تنبثق فيها في أعماق القلب البشري شعاعة، من ذلك النّور الّذي لا تُدركه الأبصار.

لحظة إشراق تُنير فيها حنايا الرّوح بقبس من روح الله، إنّ لحظة واحدة من هذه اللّحظات الّتي تتّفق للنّدرة القليلة من البشر في و مضة صفاء، ليتضاءل إلى جوارها كلّ متاع، و كلّ رجاء، فكيف برضوان من الله يغمر هذه الأرواح، و تستشعره بدون انقطاع؟!.

(٣: ١٦٧٦)

ابن عاشور: و جملة: ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ﴾ معطوفة على جملة ﴿وَعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ﴾. و الرّضوان بكسر الرّاء و يجوز ضمّها، و كسر الرّاء لغة أهل الحجاز، و ضمّها لغة تميم.

و قرأه الجمهور بكسر الرّاء، و قرأه أبو بكر عن عاصم بضمّ الرّاء، و نظيره بالكسر قليل في المصادر ذات الألف و النّون. و هو مصدر كالرّضى، و زيادة الألف و النّون فيه تدلّ على قوّته، كالغفران و الشّكران.

و التّنكير في ﴿رِضْوَانٌ﴾ للتّنويع، يدلّ على جنس الرّضوان، و إنّما لم يُقرَن بلام تعريف الجنس، ليُتوسّل بالتّنكير إلى الإشعار بالتّعظيم، فإنّ رضوان الله تعالى عظيم. (١٠: ١٥٣)

مَغْنِيّة: و كلّ من أرضى الله في أعماله و مقاصده، فالله يرضى عنه. (٤: ٦٩)

الطَّباطَبائيّ: و قوله: ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ﴾ أي رضى الله سبحانه عنهم أكبر من ذلك كلّه، على ما يفيده السّياق، و قد نُكّر ﴿رِضْوَانٌ﴾ إيماءً إلى أنّه لا يُقدّر بقدر، و لا يحيط به و هم بشر، أو لأنّ رضوانًا ما منه ـ و لو كان يسيرًا ـ أكبر من ذلك كلّه، لا لأنّ ذلك كلّه ممّا يتفرّع على رضاه تعالى و يترشّح منه، و إن كان كذلك في نفسه، بل لأنّ حقيقة العبوديّة الّتي يندب إليها كتاب الله هي عبوديّته تعالى حبًّا له، لا طمعًا في جنّة، أو خوفًا من نار، و أعظم السّعادة و الفوز عند المحبّ أن يستجلب رضى محبوبه دون أن يسعى لإرضاء نفسه. (٩: ٣٣٩)

عبد الكريم الخطيب: و قوله سبحانه: ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ﴾ هو نعيم فوق هذا النّعيم الّذي يناله أصحاب الجنّة، بما يُفيض الله سبحانه و تعالى عليهم من رضوانه، و ما يُضْفيه عليهم من رضاه، فكلّ نعيم و إن عظم هو قليل إلى رضوان الله، الّذي يناله من رضي الله عنهم. ثمّ إنّ كلّ نعيم هو تبع

لهذا الرّضا، و نسمة من أنسامه الطّيّبة المباركة، و لهذا جاء قوله تعالى: ﴿وَ رِضْوَانٌ مِنَ اللهِ اَكْبَرُ﴾ مستأنفًا، غير معطوف على ما قبله، حتّى لكأنّه إضراب عمّا سبقه، بمعنى «بل» و على هذا يكون التّقدير: «بل و رضوان من الله أكبر». (٥: ٨٤٤)

فضل الله: و ذلك في مقابل إيمانهم و عملهم الصّالح، في ما يمثّله الثّواب من جزاء مادّيّ، و لكن هناك ثوابًا روحيًّا يفوق ذلك، و لا يفهمه إلّا المؤمنون الّذين يعيشون الآفاق الرّوحيّة للإيمان، فينعمون برضا الله، أكثر ممّا ينعمون بجنّته. و قد يجدون الجنّة مظهرًا لرضاه، قبل أن تكون موقعًا للنّعيم، ﴿وَ رِضْوَانٌ مِنَ اللهِ اَكْبَرُ﴾ لأنّه غاية كلّ مؤمن، و مصدر كلّ خير، لأنّ الله إذا رضي عن عبده المؤمن، أعطاه كلّ شيء، و منحه كلّ خير. (١١: ١٦٢)

٦ـ اَفَمَنْ اَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلٰى تَقْوٰى مِنَ اللهِ وَ رِضْوَانٍ خَيْرٌ اَمْ مَنْ اَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلٰى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ...

التّوبة: ١٠٩

راجع: و ق ي: «تقوى».

رِضْوَانًا

١ـ ...يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَ رِضْوَانًا...

المائدة: ٢

ابن عبّاس: يعني أنّهم يترضّون الله بحجّهم.

(الطّبريّ ٤: ٤٠١)

مُجاهِد: يبتغون الأجر و التّجارة.

(الطّبريّ ٤: ٤٠١)

قَتادَة: هم المشركون يلتمسون فضل الله و رضوانه فيما يصلح لهم دنياهم. (الطّبريّ ٤: ٤٠١)

الرّبيع: التّجارة في الحجّ، و الرّضوان في الحجّ.

(الطّبريّ ٤: ٤٠١)

الطّبَريّ: الرّضوان: رضا الله عنهم، فلا يحلّ بهم من العقوبة في الدّنيا ما أحلّ بغيرهم من الأمم في عاجل دنياهم بحجّهم بيته. (٤: ٤٠١)

الثّعلبيّ: ﴿وَ رِضْوَانًا﴾ معناه ـ على زعمهم ـ و عدهم، لأنّ الكافر لا نصيب له في الرّضوان، و هذا كقوله: ﴿وَ انْظُرْ اِلٰى اِلٰهِكَ﴾ طٰه: ٩٧، فلا يرضى الله تعالى عنهم حتّى يسلموا. (٤: ٩)

الماوَرْديّ: ﴿وَ رِضْوَانًا﴾ يعني رضى الله عنهم بنسكهم. (٢: ٧)

الطُّوسيّ: يعني و إن ترضى عنهم منسكهم. نهى الله تعالى أن يحلّ و يمنع من هذه صورته، فأمّا من قصد البيت ظلمًا لأهله، وجب منعه و دفعه عنهم. (٣: ٤٢١)

القُشَيْريّ: و الرّضوان بتوقّي موجبات السُّخط، و مجانبة العصيان. (٢: ٩٣)

المَيْبُديّ: ﴿رِضْوَانًا﴾ للمؤمنين على الخصوص، و المشركون يحجّون في بداية الاسلام و قبل النّسخ، لطلب الرّزق في الدّنيا، و أمّا المسلمون يحجّون لطلب الفضل في هذا العالم، و طلب رضوان الحقّ في الآخرة.

(٣: ١٠)

الزّمَخْشَريّ: ﴿وَ رِضْوَانًا﴾ و أن يرضى عنهم، أي لا تتعرّضوا لقوم هذه صفتهم، تعظيمًا لهم و استنكارًا أن يتعرّض لمثلهم. قيل: هي محكمة. (١: ٥٩١)

ابن عَطيّة: قال فيه جمهور المفسّرين: معناه يبتغون الفضل في الأرباح في التّجارة، و يبتغون مع ذلك رضوانه في ظنّهم و طمعهم. و قال قوم: إنّما الفضل و الرّضوان في الآية في معنى واحد، و هو رضا الله و فضله بالرّحمة و الجزاء. فمن العرب من كان يعتقد جزاء بعد الموت، و أكثرهم إنّما كانوا يرجون الجزاء و الرّضوان في الدّنيا و الكسب و كثرة الأولاد، و يتقرّبون رجاء الزّيادة في هذه المعاني. و قرأ الأعمش (وَ رُضْوانًا) بضمّ الرّاء. (٢: ١٤٧)

الطَّبْرِسيّ: ﴿فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَ رِضْوَانًا﴾ أي أرباحًا في تجاراتهم من الله، و إن يرضى عنهم بنسكهم على زعمهم، فلا يرضى الله عنهم و هم مشركون.

و قيل: يلتمسون رضوان الله عنهم بأن لا يحلّ بهم ما حلّ بغيرهم من الأمم، من العقوبة في عاجل دنياهم، عن قَتادة و مُجاهِد.

و قيل: فضلًا من الله في الآخرة و رضوانًا منه فيها.

و قيل فضلًا في الدّنيا و رضوانًا في الآخرة.

و قال ابن عبّاس: إنّ ذلك في كلّ من توجّه حاجًّا، و به قال الضّحّاك و الرّبيع. (٢: ١٥٥)

الفَخْر الرّازيّ: في تفسير الفضل و الرّضوان وجهان:

الأوّل: يبتغون فضلًا من ربّهم بالتجارة المباحة لهم في حجّهم، كقوله: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾ البقرة: ١٩٨، قالوا: نزلت في تجاراتهم أيّام الموسم، و المعنى: لا تمنعوهم فإنّما قصدوا البيت لإصلاح معاشهم و معادهم، فابتغاء الفضل للدّنيا، و ابتغاء الرّضوان للآخرة.

قال أهل العلم: إنّ المشركين كانوا يقصدون بحجّهم ابتغاء رضوان الله و إن كانوا لا ينالون ذلك، فلا يبعد أن يحصل لهم بسبب هذا القصد نوع من الحرمة.

و الوجه الثّاني: أنّ المراد بفضل الله: الثّواب، و بالرّضوان: أن يرضى عنهم؛ و ذلك لأنّ الكافر و إن كان لا ينال الفضل و الرّضوان، لكنّه يظنّ أنّ بفعله طالب لهما، فيجوز أن يوصف بذلك بناء على ظنّه، قال تعالى: ﴿وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ﴾ طه: ٩٧، و قال: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ الدّخان: ٤٩. (١٢: ١٣٠)

القُرطُبيّ: قال فيه جمهور المفسّرين: معناه: يبتغون الفضل و الأرباح في التّجارة، و يبتغون مع ذلك رضوانه في ظنّهم و طمعهم.

و قيل: كان منهم من يبتغي التّجارة، و منهم من يطلب بالحجّ رضوان الله و إن كان لا يناله، و كان من العرب من يعتقد جزاء بعد الموت، و أنّه يُبعَث، و لا يبعد أن يحصل له نوع تخفيف في النّار. (٦: ٤٤)

البَيْضاويّ: أن يُثيبهم و يرضى عنهم. و الجملة في موضع الحال من المستكنّ في ﴿آمِّينَ﴾ و ليست صفة له، لأنّه عامل، و المختار أنّ اسم الفاعل الموصوف لا يعمل، و فائدته استنكار تعرّض من هذا شأنه، و التّنبيه على المانع له.

و قيل: معناه يبتغون من الله رزقًا بالتّجارة و رضوانًا بزعمهم. (١: ٢٦١)

نحوه الكاشانيّ (٢: ٧)، و شُبّر (٢: ١٣٧).

أبو حَيّان: و أمّا الرّضوان فإنّهم كانوا يقصدونه و إن كانوا لا ينالونه، و ابتغاء الشّيء لا يدلّ على حصوله.

و قيل: هو توزيع على المشركين، فمنهم من كان يبتغي التّجارة إذ لا يعتقد معادًا، و منهم من يبتغي الرّضوان بالحجّ إذ كان منهم من يعتقد الجزاء بعد الموت و أنّه يُبعث، و إن كان لا يحصل له رضوان الله، فأخبر بذلك على بناء ظنّه.

و قيل: كان المسلمون و المشركون يحجّون، فابتغاء الفضل منهما، و ابتغاء الرّضوان من المؤمنين.

و قال قَتادَة: هو أن يُصلح معايشهم في الدّنيا، و لا يُعجّل لهم العقوبة فيها.

و قال قوم: الفضل و الرّضوان في الآية في معنى واحد، و هو رضا الله تعالى و فضله بالرّحمة. نهى تعالى أن يتعرّض لقوم هذه صفتهم، تعظيمًا لهم، و استنكارًا أن يتعرّض لمثلهم. (٣: ٤٢٠)

الشِّرْبينيّ: ﴿وَرِضْوَانًا﴾ أي و أن يرضى عنهم. و الجملة في موضع الحال من المستكنّ في ﴿آمِّينَ﴾، أي لا تتعرّضوا لقوم هذه صفتهم، تعظيمًا لهم، واستنكارًا أن يتعرّض لمثلهم.

و قيل: معناه: يبتغون من الله رزقًا بالتّجارة و رضوانًا بزعمهم، لأنّهم كانوا يظنّون ذلك فوصفوا به بناء على ظنّهم، و لأنّ الكافر لا نصيب له في الرّضوان. (١: ٣٥١)

أبو السُّعود: و تنكير ﴿فَضْلًا﴾ و ﴿رِضْوَانًا﴾ للتّفخيم، و ﴿مِنْ رَبِّهِمْ﴾ متعلّق بنفس الفعل أو بمحذوف وقع صفة لـ ﴿فَضْلًا﴾ مغنية عن وصف ما عُطف عليه بها، أي فضلًا كائنًا من ربّهم و رضوانًا كذلك، و التّعرّض لعنوان الرّبوبيّة مع الإضافة إلى ضميرهم، لتشريفهم و الإشعار بحصول مبتغاهم. (٢: ٢٣٤)

نحوه الآلوسيّ. (٦: ٥٤)

البُرُوسَويّ: حال من المستكنّ في ﴿آمِّينَ﴾ أي قاصدين زيارته حال كونهم طالبين الرّزق بالتّجارة و الرّضوان، أي على زعمهم، لأنّ الكافر لا نصيب له في الرّضوان، أي رضى الله تعالى ما لم يُسلم. (٢: ٣٣٨)

نحوه القاسميّ. (٦: ١٨٠١)

رشيد رضا: أي يطلبون بأمّهم البيت وقصده التّجارة والحجّ معًا، أو ربحًا في التّجارة ورضاءً من الله، يحول بينهم وبين عقوبته في الدّنيا، فلا يحلّ بهم ما حلّ بغيرهم في عاجل دنياهم، و بهذا فسّره ابن جرير و رواه عن أهل الأثر، بناء على أنّ المراد بالكلام هنا المشركون. [ثمّ نقل أقوال المتقدّمين و بحث في أنّ هل الآية منسوخة أم لا؟] (٦: ١٢٦)

المَراغيّ: أي يطلبون ربحًا في التّجارة و رضًا من الله، يحول بينهم و بين عقوبته في الدّنيا، لئلّا يحلّ بهم ما حلّ بغيرهم في عاجل دنياهم.

و هذا كلام مع المشركين، كما روي عن قَتادَة أنّه قال: هم المشركون يلتمسون فضل الله و رضوانه فيما يُصلح لهم دنياهم. و في رواية أُخرى عنه: و الرّضوان الّذي يبتغون أن يُصلح لهم معايشهم في الدّنيا، و ألا

يعجّل لهم العقوبة. (٦: ٤٥)

سيّد قُطْب: يبتغون فضلًا من ربّهم و رضوانًا، و هم الّذين يقصدون البيت الحرام للتّجارة الحلال، و طلب الرّضوان من الله، حُجّاجًا أو غير حجّاج، و أعطاهم الأمان في حرمة بيته الحرام. (٢: ٨٣٨)

ابن عاشور: و الرّضوان: رضى الله تعالى عنهم، و هو ثواب الآخرة. (٥: ١٨)

فضل الله: و في ختام ذلك نهي عن الاعتداء على الّذين يؤمّون البيت الحرام و يقصدونه، ابتغاء رزق الله عن طريق التّجارة، أو الحصول على رضى الله وفق أساليبهم العباديّة الخاصّة لله، و إن كانت غير خالصة له. (٨: ٢٤)

٢ ـ ...تَرٰيهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا... الفتح: ٢٩

الطّبَريّ: ﴿وَرِضْوَانًا﴾ يقول: و أن يرضى عنهم ربّهم. (١١: ٣٦٩)

مثله الثّعلبيّ. (٩: ٦٥)

الطّوسيّ: و يطلبون مرضاته من طاعة و ترك معصية. (٩: ٣٣٦)

نحوه الطّبْرِسيّ. (٥: ١٢٧)

القُشَيْريّ: يطلبون من الله الفضل و الرّضوان. (٥: ٤٣٢)

المَيْبُديّ: أن يتقبّل أعمالهم الّتي أتوا بها على قدر إمكانهم. و قيل: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا﴾ أن يدخلهم الجنّة، ﴿وَرِضْوَانًا﴾ أن يرضى عنهم. (٩: ٢٣١)

ابن عَطيّة: كأنّه قال: علامتهم في تحصيلهم الرّضوان يوم القيامة. (٥: ١٤١)

القُرطُبيّ: أي يطلبون الجنّة، و رضا الله تعالى الثّانية. (١٦: ٢٩٣)

أبو حَيّان: و قرأ عمرو بن عُبَيْد (وَرُضْوَانًا)، بضمّ الرّاء. (٨: ١٠٢)

ابن كثير: وصفهم بكثرة العمل و كثرة الصّلاة، و هي خير الأعمال، و وصفهم بالإخلاص فيها لله عزّ و جلّ، و الاحتساب عند الله تعالى جزيل الثّواب، و هو الجنّة المشتملة على فضل الله عزّ و جلّ و هو سعة الرّزق عليهم و رضاه تعالى عنهم، و هو أكبر من الأوّل، كما قال جلّ و علا: ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ﴾ التّوبة: ٧٢. (٦: ٣٦٤)

الشِّرْبينيّ: ﴿وَرِضْوَانًا﴾ أي رضًا منه عظيمًا بما نالهم من رحمته الّتي هيّأهم بها للإحسان إلى عياله، فنزعوا الهوى من صدورهم، فصاروا يرونه وحده سيّدهم المحسن إليهم، لا يرون سيّدًا غيره، ولا محسن سواه. (٤: ٥٧)

أبو السُّعود: و قوله تعالى: ﴿سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا﴾ أي ثوابًا و رضًا، إمّا خبر آخر أو حال من ضمير ﴿تَرٰيهُمْ﴾ أو من المستتر في ﴿رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ أو استئناف مبنيّ على سؤال نشأ من بيان مواظبتهم على الرّكوع و السّجود، كأنّه قيل: ماذا يريدون بذلك، فقيل: يبتغون فضلًا من الله...(٦: ١٠٨)

نحوه الآلوسيّ. (٢٦: ١٢٤)

البُرُوسَويّ: ﴿وَرِضْوَانًا﴾ أي ثوابًا و رضًى

و قال بعض الكبار: قصدهم في الطّاعة و العبادة الوصول و الوصال؛ و ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

قال الرّاغب: الرّضوان: الرّضى الكثير. (٩ : ٥٧)

سيّد قُطْب:... و اللّقطة الثّالثة مثلها، و لكنّها لقطة لبواطن نفوسهم و أعماق سرائرهم ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَ رِضْوَانًا﴾، فهذه هي صورة مشاعرهم الدّائمة الثّابتة. كلّ ما يشغل بالهم، و كلّ ما تتطلّع إليه أشواقهم، هو فضل الله و رضوانه، و لا شيء وراء الفضل و الرّضوان يتطلّعون إليه و يشتغلون به.

(٦ : ٣٣٣٢)

مَغْنِيّة: و المعنى: أنّ الصّحابة ركعوا و سجدوا رغبة في مرضاة الله و ثوابه، و خوفًا من غضبه و عقابه.

(٧ : ١٠٣)

الطَّباطَبائيّ: الرّضوان أبلغ من الرّضا.

(١٨ : ٢٩٩)

مكارم الشّيرازيّ:... أمّا الوصف الرّابع الّذي تذكره الآية عن هؤلاء الأصحاب، فهو بيان نيّتهم الخالصة الطّاهرة، فتقول: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا﴾ فهم لا يعملون رياء و لا يبتغون من الخلق الثّواب، بل هدفهم رضا الله و فضله فحسب، و الباعث على تحرّكهم في حياتهم جميعًا هو هذا الهدف، ليس إلّا. (١٦ : ٤٩٦)

رِضْوَانَهُ

١ ـ يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ.

المائدة: ١٦

الطَّبَريّ: و اختُلف في معنى الرّضا من الله جلّ و عزّ، فقال بعضهم: الرّضا منه بالشّيء: القبول له، و المدح و الثّناء. قالوا: فهو قابل الإيمان و مُزكّ له، و مُثْنٍ على المؤمن بالإيمان، و واصف الإيمان بأنّه نور و هُدًى و فصل.

و قال آخرون: معنى الرّضا من الله جلّ و عزّ معنى مفهوم، هو خلاف السُّخط، و هو صفة من صفاته على ما يعقل من معاني الرّضا، الّذي هو خلاف السُّخط. و ليس ذلك بالمدح، لأنّ المدح و الثّناء قول، و إنّما يُثني و يمدح ما قد رضي، قالوا: فالرّضا معنى، و الثّناء و المدح معنى ليس به. (٤ : ٥٠٣)

الزّجّاج: ﴿رِضْوَانَهُ﴾ بالكسر و الضّمّ.(٢ : ١٦١)

الثّعلبيّ: ﴿رِضْوَانَهُ﴾: رضاه، و معنى رضاه بالشّيء: قبوله و مدحه له فأثابه عليه، و هو خلاف السُّخط و الغضب. (٤ : ٣٩)

الطُّوسيّ: يعني رضا الله، و الرّضوان و الرّضا من الله ضدّ السُّخط، و هو إرادة الثّواب لمستحقّه.

و قال قوم: هو المدح على الطّاعة و الثّناء.

و قال الرُّمّانيّ: هو جنس من الفعل يقتضي وقوع الطّاعة الخالصة ممّا يبطلها، و يضاف الغضب. قال: لأنّ الرّضا بما كان يصحّ، و إرادة ما كان لا يصحّ؛ إذ قد يصحّ أن يرضى بما كان، و لا يصحّ أن يريد ما كان.

و هذا الّذي ذكره ليس بصحيح، لأنّ الرّضا عبارة عن إرادة حدوث الشّيء من الغير، غير أنّها لا تسمّى بذلك إلّا إذا وقع مرادها، و لم يتخلّلها كراهة، فتسميتها بالرّضا موقوفة على وقوع المراد، إلّا أنّ بعد وقوع المراد بفعل إرادة، هي رضًا لما كان. فسقط ما

قاله. (٣: ٤٧٥)

المَيْبُديّ: من اتّبع ما رضيه الله من تصديق محمّد ﷺ. (٣: ٧٠)

الزّمَخشَريّ: ﴿مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ﴾ من آمن به. (١: ٦٠١)

الطَّبْرسيّ: أي من اتّبع رضاء الله في قبول القرآن والإيمان وتصديق النّبيّ ﷺ واتّباع الشّرائع. (٢: ١٧٥)

الفَخْر الرّازيّ: ﴿مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ﴾ من كان مطلوبه من طلب الدّين اتّباع الدّين الّذي يرتضيه الله تعالى، فأمّا من كان مطلوبه من دينه تقرير ما ألفه ونشأ عليه وأخذه من أسلافه، مع ترك النّظر والاستدلال، فمن كان كذلك فهو غير متّبع رضوان الله تعالى. (١١: ١٩٠)

القُرطُبيّ: أي ما رضيه الله. (٦: ١١٨)

الشِّربينيّ: أي رضاه بأن آمن. (١: ٣٦٣)

أبو السُّعود: أي رضاه بالإيمان به. (٢: ٢٥١)

مثله البُرُوسَويّ (٢: ٣٦٩)، والآلوسيّ (٦: ٩٨)، والقاسميّ (٦: ١٩٢١).

سيّد قُطْب: لقد رضي الله الإسلام دينًا، وهو يهدي من يتّبع رضوانه هذا، ويرتضيه لنفسه كما رضيه الله له. (٢: ٨٦٢)

مَغْنِيّة: أي من رغب في مرضاة الله وحده، وطلب الحقّ لوجه الحقّ، فإنّه يجد في الإسلام بُغيته ومرامه. (٣: ٣٤)

وسيأتي تمام الكلام في: هـ د ى: « يَهْدِي ».

٢ ـ ذٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ. محمّد: ٢٨

الطَّبَريّ: يقول: وكرهوا ما يرضيه عنهم من قتال الكفّار به، بعد ما افترضه عليهم. (١١: ٣٢٣)

الزّجّاج: المعنى ـ والله أعلم ـ ذلك جزاؤهم بأنّهم اتّبعوا الشّيء الّذي أسخط الله، ﴿وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾ أي اتّبعوا من خالف النّبيّ ﷺ ومن خالف الشّريعة، وكرهوا الإيمان بالنّبيّ ﷺ واتّباع شريعته. (٥: ١٤)

الطُّوسيّ: أي كرهوا سبب رضوانه من الإيمان والطّاعات، والامتناع من القبائح. (٩: ٣٠٥)

المَيْبُديّ: أي ما فيه رضوان الله من الإيمان والطّاعة، ونصرة المؤمنين. (٩: ١٩٥)

الزّمَخشَريّ: و﴿رِضْوَانَهُ﴾ الإيمان برسول الله. (٣: ٥٣٧)

ابن عَطيّة: والرّضوان هنا: الشّرع والحقّ المؤدّي إلى رضوان. (٥: ١٢٠)

الطَّبْرسيّ: أي سبب رضوانه من الإيمان وطاعة الرّسول. (٥: ١٠٦)

الفَخْر الرّازيّ: [له كلام سيأتي في: « س خ ط ».] (٢٨: ٦٨)

القُرطُبيّ: يعني الإيمان. (١٦: ٢٥١)

البَيْضاويّ: ما يرضاه من الإيمان والجهاد وغيرهما من الطّاعات. (٢: ٣٩٧)

أبو حَيّان: وهو الإيمان بالله واتّباع دينه. (٨: ٨٤)

الشِّربينيّ: بكراهتهم أعظم أسباب رضاه وهو الإيمان، فهم لما دونه بالقعود عن الطّاعات أكره، لأنّ

ذلك ظاهر غاية الظّهور في أنّ فاعله غير معذور في ترك النّظر فيه. (٤: ٣٢)

أبو السُّعود: أي ما يرضاه من الإيمان و الطّاعة؛ حيث كفروا بعد الإيمان، و خرجوا عن الطّاعة بما صنعوا من المعاملة مع اليهود. (٦: ٩٢)

مثله البُرُوسَويّ. (٨: ٥١٩)

الآلوسيّ: [نقل مثل أبي السُّعود و أضاف:]

و قيل: ما أسخط الله كتمان نعت الرّسول ﷺ و رضوانه ما يرضيه سبحانه من إظهار ذلك، و هو مبنيّ على أنّ ما تقدّم إخبار عن اليهود، و قد سمعت ما فيه. (٢٦: ٧٦)

القاسميّ: أي في معاداتهم، فأدّى بهم إلى الرّدّة. (١٥: ٥٣٨٩)

ابن عاشور: و في ذكر اتّباع ما أسخط الله و كراهة رضوانه محسّن الطّباق مرّتين، للمضادّة بين السُّخط و الرّضوان، و الاتّباع و الكراهية. و الجمع بين الإخبار عنهم باتّباعهم ما أسخط الله و كراهتهم رضوانه، مع إمكان الاجتزاء بأحدهما عن الآخر، للإيماء إلى أنّ ضرب الملائكة وجوه هؤلاء مناسب لإقبالهم على ما أسخط الله، و أنّ ضربهم أدبارهم مناسب لكراهتهم رضوانه، لأنّ الكراهة تستلزم الإعراض و الإدبار، ففي الكلام أيضًا محسّن اللّفّ و النّشر المرتّب. (٢٦: ١٠٠)

مَغْنِيّة: يعذّبهم الله سبحانه عند الموت و بعده أيضًا، لأنّهم آثروا سخطه على رضوانه. (٧: ٧٥)

الطَّباطَبائيّ: و السّخط و الرّضا من صفاته تعالى الفعليّة، و المراد بهما العقاب و الثّواب. (١٨: ٢٤٢)

مكارم الشّيرازيّ: لأنّ رضى الله سبحانه هو شرط قبول الأعمال و كلّ سعي و جهد، و بناءً على هذا، فمن الطّبيعيّ أن تحبط أعمال أولئك الّذين يصرّون على إغضاب الله عزّ و جلّ و إسخاطه، و يخالفون ما يرتضيه، و يودّعون هذه الدّنيا و هم خالو الوفاض، قد أثقلتهم أوزارهم، و أرهقتهم ذنوبهم.

إنّ حال هؤلاء القوم يخالف تمامًا حال المؤمنين الّذين تستقبلهم الملائكة بوجوه ضاحكة، عند ما يُشرفون على الموت، و تُبشّرهم بما أعدّ الله لهم: ﴿اَلَّذِينَ تَتَوَفّٰيهُمُ الْمَلٰئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلاٰمٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ النّحل: ٣٢.

و ممّا يلفت النّظر أنّ الجملة فعليّة في مورد غضب الله تعالى: ﴿مٰا أَسْخَطَ اللّٰهَ﴾ و هي اسميّة في مورد رضاه: ﴿رِضْوٰانَهُ﴾. و قال بعض المفسّرين: إنّ هذا التّفاوت في التّعبير يتضمّن نكتة لطيفة، و هي أنّ غضب الله قد يحدث و قد لا يحدث، أمّا رضاه و رحمته فهي مستمرّة دائمة.

و واضح أيضًا أنّ غضب الله تعالى و سخطه لا يعني التّأثّر النّفسيّ، كما أنّ رضاه سبحانه لا يعني انبساط الرّوح و انشراح الأسارير، بل هما كما ورد في حديث الإمام الصّادق عليه السلام: «غضب الله عقابه، و رضاه ثوابه». (١٦: ٣٥٢)

فضل الله: ﴿وَ كَرِهُوا رِضْوٰانَهُ﴾ و التّكامل مع

المؤمنين في خطّ الإيمان، و العمل بطاعة الله، و السّير على منهجه، و قتال أعدائه. (٢١ : ٧٥)

تَرَاضَوْا

وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ.... البقرة : ٢٣٢

الماوَرْديّ: تأويلان:

أحدهما: إذا تراضى الزّوجان.

و الثّاني: إذا رضيت المرأة بالزّوج الكافي. قال الشّافعيّ: و هذا بيّن في كتاب الله تعالى يدلّ على أنّ ليس للمرأة أن تنكح بغير وليّ. (١ : ٢٩٨)

تمام الكلام سيأتي في: ع ر ف: «بالْمَعْرُوفِ».

تَرَاضَيْتُمْ

...فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا. النّساء : ٢٤

ابن عبّاس: و التّراضي أن يوفّيها صداقها، ثمّ يخيّرها. (الطّبريّ ٤ : ١٦)

لاجناح عليكم فيما تراضيتم به ودفعتموه أن يعود إليكم عن تراض. (الماوَرْديّ ١ : ٤٧١)

الحسَن: أي تراضيتم به من حطّ بعض الصّداق أو تأخيره، أو هبة جميعه.

و مثله ابن زَيْد. (الطّوسيّ ٣ : ١٦٧)

السُّدّيّ: إن شاء أرضاها من بعد الفريضة الأولى ـ يعني الأجرة الّتي أعطاها على تمتّعه بها ـ قبل انقضاء الأجل بينهما، فقال: أتمتّع منك أيضًا بكذا و كذا، فازداد قبل أن يستبرئ رحمها، ثمّ تنقضي المدّة، و هو قوله : ﴿فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ﴾. (الطّبريّ ٤ : ١٦)

لاجناح عليكم أيّها النّاس فيما تراضيتم أنتم والنّساء اللّواتي استمتعتم بهنّ إلى أجل مسمّى، إذا انقضى الأجل بينكم أن يزدنكم في الأجل و تزيدوهنّ في الأجر قبل أن يستبرئن أرحامهنّ. (الماوَرْديّ ١ : ٤٧١)

ابن زَيْد: إن وضعت لك منه شيئًا فهو لك سائغ. (الطّبريّ ٤ : ١٦)

الطّبَريّ: اختلف أهل التّأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك: لا حرج عليكم أيّها الأزواج إن أدركتكم عسرة بعد أن فرضتم لنسائكم أجورهنّ فريضة فيما تراضيتم به، من حطّ و براءة، بعد الفرض الّذي سلف منكم لهنّ ما كنتم فرضتم...زعم حضرميّ أنّ رجالًا كانوا يفرضون المهر، ثمّ عسى أن تدرك أحدهم العُسرة، فقال الله: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ﴾.

و قال آخرون: معنى ذلك: و لاجناح عليكم أيّها النّاس فيما تراضيتم أنتم و النّساء اللّواتي استمتعتم بهنّ إلى أجل مسمّى، إذا انقضى الأجل الّذي أجّلتموه بينكم و بينهنّ في الفراق، أن يزدنكم في الأجل و تزيدوا من الأجر و الفريضة، قبل أن يستبرئن أرحامهنّ.

و قال آخرون: معنى ذلك: و لاجناح عليكم أيّها

النّاس فيما تراضيتم به أنتم و نساؤكم، بعد أن تؤتوهنّ أُجورهنّ على استمتاعكم بهنّ من مقام و فراق.

و قال آخرون: بل معنى ذلك: و لاجناح عليكم فيما وضعت عنكم نساؤكم من صدقاتهنّ من بعد الفريضة.

و أولى هذه الأقوال بالصّواب، قول من قال: معنى ذلك: و لاحرج عليكم أيّها النّاس فيما تراضيتم به أنتم و نساؤكم، من بعد إعطائهنّ أُجورهنّ على النّكاح الّذي جرى بينكم و بينهنّ، من حطّ ما وجب لهنّ عليكم، أو إبراء أو تأخير و وضع؛ و ذلك نظير قوله جلّ ثناؤه: ﴿وَ اٰتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَاِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾ النّساء: ٤.

فأمّا الّذي قاله السُّدّيّ، فقول لامعنى له لفساد القول بإحلال جماع امرأة بغير نكاح، و لاملك يمين.

(٤: ١٥)

الزّجّاج: أي لاإثم عليكم في أن تهب المرأة للرّجل مهرها، أو يهب الرّجل للمرأة الّتي لم يدخل بها نصف المهر الّذي لايجب إلّا لمن دخل بها. (٢: ٣٩)

الثّعلبيّ: يعني فيما تفتدي به المرأة نفسها.

(٣: ٢٨٩)

الماوَرْديّ: فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: معناه: لاحرج عليكم أيّها الأزواج إن أعسرتم بعد أن فرضتم لنسائكم مهرًا عن تراض أن ينقصنكم منه و يتركنكم، و هذا قول سليمان بن المعتمر. (١: ٤٧١)

الطُّوسيّ: قال السُّدّيّ و قوم من أصحابنا: معناه: لاجناح عليكم فيما تراضيتم به من استئناف عقد آخر، بعد انقضاء المدّة الّتي تراضيتم عليها، فتزيدها في الأجر، و تزيدك في المدّة. (٣: ١٦٧)

القُشَيْريّ: إذا حافظت الحدود، و راعيت العهود، و حصل التّراضي بين النّساء بحكم الشّرع، فما لايكون فيه للخلق خصيمة، و لامن الحقّ سبحانه منه تبعة، فذلك مباح طلق. (٢: ١٩)

المَيْبُديّ: يعني من حطّ من المهر و إبراء من بعض الصّداق أو كلّه، أي لا إثم عليكم في أن تهب المرأة للرّجل مهرها، أو يهب الرّجل للمرأة إن لم يدخل بها نصف المهر الّذي لايجب لها إلّا بالدّخول. و قيل: لابأس أن ترضى المرأة من النّفقة بدون نفقة مثلها.

(٢: ٤٧٠)

الزّمخشريّ: فيما تحطّ عنه من المهر، أو تهب له من كلّه، أو يزيد لها على مقداره. و قيل: فيما تراضيا به من مقام أو فراق. و قيل: نزلت في المتعة الّتي كانت ثلاثة أيّام، حين فتح الله مكّة على رسوله عليه الصّلاة و السّلام، ثمّ نُسخت، كان الرّجل ينكح المرأة وقتًا معلومًا ليلة أو ليلتين أو أُسبوعًا بثوب أو غير ذلك، و يقضي منها وطره ثمّ يسرّحها. سمّيت متعة لاستمتاعه بها، أو لتمتيعه لها بما يُعطيها. (١: ٥١٩)

ابن عَطيّة: قال القائلون بأنّ الآية المتقدّمة أمر بإيتاء مهور النّساء إذا دخل بهنّ. إنّ هذه إشارة إلى ما يتراضى به من حطّ أو تأخير بعد استقرار الفريضة، فإنّ ذلك الّذي يكون على وجه الرّضا جائز ماض.

و قال القائلون بأنّ الآية المتقدّمة هي أمر المتعة، إنّ الإشارة بهذه إلى أنّ ما تراضيا عليه من زيادة في مدّة المتعة و زيادة في الأجر، جائز سائغ. (٢: ٣٦)

الطّبْرسيّ: من قال: إنّ المراد بالاستمتاع: الانتفاع و الجماع، قال: المراد به لاحرج و لا إثم عليكم فيما تراضيتم به من زيادة مهر أو نقصانه، أو حطّ أو إبراء أو تأخير.

و قال السُّدّيّ: معناه لاجناح عليكم فيما تراضيتم به من استئناف عقد آخر بعد انقضاء مدّة الأجل المضروب في عقد المتعة، يزيدها الرّجل في الأجر، و تزيده في المدّة. و هذا قول الإماميّة و تظاهرت به الرّوايات عن أئمّتهم. (٢: ٣٣)

الفخر الرّازيّ: و فيه مسائل:

المسألة الأولى: الّذين حملوا الآية المتقدّمة على بيان حكم النّكاح، قالوا: المراد أنّه إذا كان المهر مقدّرًا بمقدار معيّن، فلا حرج في أن تحطّ عنه شيئًا من المهر أو تبرئه عنه بالكلّيّة. فعلى هذا المراد من التّراضي: الحطّ من المهر أو الإبراء عنه، و هو كقوله تعالى: ﴿فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَىْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾ النّساء: ٤، و قوله: ﴿إِلَّآ أَنْ يَعْفُونَ اَوْ يَعْفُوَا الَّذِى بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾ البقرة: ٢٣٧.

و قال الزّجّاج: معناه: لاإثم عليكم في أن تهب المرأة للزّوج مهرها، أو يهب الزّوج للمرأة تمام المهر إذا طلّقها قبل الدّخول.

و أمّا الّذين حملوا الآية المتقدّمة على بيان المتعة قالوا: المراد من هذه الآية أنّه إذا انقضى أجل المتعة لم يبق للرّجل على المرأة سبيل ألبتّة. فإن قال لها: زيديني في الأيّام و أزيدك في الأجرة كانت المرأة بالخيار، إن شاءت فعلت، و إن شاءت لم تفعل، فهذا هو المراد من قوله: ﴿وَ لَاجُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ﴾ أي من بعد المقدار المذكور أوّلًا من الأجر و الأجل.

المسألة الثّانية: قال أبو حنيفة رضي الله عنه: إلحاق الزّيادة في الصّداق جائز، و هي ثابتة إن دخل بها أو مات عنها، أمّا إذا طلّقها قبل الدّخول بطلت الزّيادة، و كان لها نصف المسمّى في العقد. و قال الشّافعيّ رحمة الله عليه: الزّيادة بمنزلة الهبة، فإن أقبضها ملكته بالقبض، و إن لم يقبضها بطلت.

احتجّ أبو بكر الرّازي لأبي حنيفة بهذه الآية، فقوله: ﴿وَ لَاجُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ﴾ يتناول ما وقع التّراضي به في طرفي الزّيادة و النّقصان، فكان هذا بعمومه يدلّ على جواز إلحاق الزّيادة بالصّداق. قال: بل هذه الآية بالزّيادة أخصّ منها بالنّقصان، لأنّه تعالى علّقه بتراضيهما، و البراءة و الحطّ لايحتاج إلى رضا الزّوج، و الزّيادة لاتصحّ إلّا بقبوله، فإذا علّق ذلك بتراضيهما جميعًا، دلّ على أنّ المراد هو الزّيادة.

و الجواب: لم لايجوز أن تكون الزّيادة عبارة عمّا ذكره الزّجّاج؟ و هو أنّه إذا طلّقها قبل الدّخول، فإن شاءت المرأة أبرأته عن النّصف، و إن شاء الزّوج سلّم إليها كلّ المهر، و بهذا التّقدير يكون قد زادها عمّا وجب عليه تسليمه إليها. و أيضًا عندنا أنّه لاجناح في

تلك الزّيادة إلّا أنّها تكون هبة. و الدّليل القاطع على بطلان هذه الزّيادة أنّ هذه الزّيادة لو التحقت بالأصل لكان إمّا مع بقاء العقد الأوّل، أو بعد زوال العقد. و الأوّل باطل، لأنّ العقد لمّا انعقد على القدر الأوّل، فلو انعقد مرّة أخرى على القدر الثّاني، لكان ذلك تكوينًا لذلك العقد بعد ثبوته، و ذلك يقتضي تحصيل الحاصل و هو محال. و الثّاني باطل لانعقاد الإجماع على أنّ عند إلحاق الزّيادة لا يرتفع العقد الأوّل، فثبت فساد ما قالوه و الله أعلم. (١٠ : ٥٤)

القُرطُبيّ: أي من زيادة و نقصان في المهر، فإنّ ذلك سائغ عند التّراضي بعد استقرار الفريضة. و المراد: إبراء المرأة عن المهر، أو توفية الرّجل كلّ المهر إن طلّق قبل الدّخول.

و قال القائلون بأنّ الآية في المتعة: هذا إشارة إلى ما تراضيا عليه من زيادة في مدّة المتعة في أوّل الإسلام. فإنّه كان يتزوّج الرّجل المرأة شهرًا على دينار مثلًا، فإذا انقضى الشّهر، فربّما كان يقول: زيديني في الأجل أزدك في المهر. فبيّن أنّ ذلك كان جائزًا عند التّراضي. (٥ : ١٣٥)

أبو حَيّان: لمّا أمروا بإيتاء أجور النّساء المستمتع بهنّ، كان ذلك يقتضي الوجوب، فأخبر تعالى أنّه لاحرج و لا إثم في نقص ما تراضوا عليه، أو ردّه، أو تأخّره، أعني الرّجال و النّساء من بعد الفريضة. فلها أن تردّه عليه، و أن تنقص، و أن تؤخّر، هذا ما يدلّ عليه سياق الكلام، و هو نظير: ﴿فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾ النّساء : ٤، و إلى هذا ذهب الحسن و ابن زيد.

و قال السُّدّيّ: هو في المتعة، و المعنى: فيما تراضيتم به من بعد الفريضة زيادة في الأجل، و زيادة في المهر، قبل استبراء الرّحم. و قال ابن عبّاس: في ردّ ما أعطيتموهنّ إليكم. و قال ابن المعتمر: فيما تراضيتم به من النّقصان في الصّداق إذا أعسرتم.

و قيل: معناه إبراء المرأة عن المهر، أو توفيته، أو توفية الرّجل كلّ المهر إن طلّق قبل الدّخول. و قيل: فيما تراضيتم به من بعد فرقة، أو إقامة بعد أداء الفريضة، و روي عن ابن عبّاس. و قد استدلّ على الزّيادة في المهر بقوله: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ﴾، قيل: لأنّ (ما) عموم في الزّيادة و النّقصان و التّأخير و الحطّ و الإبراء، و عموم اللّفظ يقتضي جواز الجميع، و هو بالزّيادة أخصّ منه بغيرها ممّا ذكرناه، لأنّ المرأة و الحطّ و التّأجيل لا يحتاج في وقوعه إلى رضا الرّجل، و الاقتصار على ما ذكر دون الزّيادة، يسقط فائدة ذكر تراضيهما.

و ذهب أبو حنيفة، و أبو يوسف، و محمّد: إلى أنّ الزّيادة في الصّداق بعد النّكاح جائزة، و هي ثابتة إن دخل بها أو مات عنها. و إن طلّقها قبل الدّخول بطلت الزّيادة.

و قال مالك: تصحّ الزّيادة، فإن طلّقها قبل الدّخول رجع ما زادها إليه، و إن مات عنها قبل أن يقبض فلاشيء لها.

و قال الشّافعيّ و زفر: الزّيادة بمنزلة هبة مستقبلة

إن أقبضها جازت، و إلّا بطلت. (٣ : ٢١٩)

أبو السّعود: أي لا إثم عليكم فيما تراضيتم به، من الحطّ عن المهر أو الإبراء منه، على طريقة قوله تعالى: ﴿فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ﴾ النّساء: ٤، إثر قوله تعالى: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ﴾ النّساء: ٤، و قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ﴾ البقرة: ٢٣٧، و تعميمه للزّيادة على المسمّى لا يساعده رفع الجناح عن الرّجال، لأنّها ليست مظنّة الجناح، إلّا أن يُجعَل الخطاب للأزواج تغليبًا، فإنّ أخذ الزّيادة على المسمّى مظنّة الجناح على الزّوجة.

و قيل: فيما تراضيتم به من نفقة و نحوها، و قيل: من مقام أو فراق، و لا يساعده قوله تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ﴾ إذ لا تعلّق لهما بالفريضة إلّا أن يكون الفراق بطريق المخالعة.

و قيل: نزلت في المتعة الّتي هي النّكاح إلى وقت معلوم من يوم أو أكثر، سمّيت بذلك، لأنّ الغرض منها مجرّد الاستمتاع بالمرأة و استمتاعها بما يُعطى، و قد أبيحت ثلاثة أيّام حين فتحت مكّة شرّفها الله تعالى، ثمّ نُسخت لما روي أنّه ﷺ أباحها، ثمّ أصبح يقول: يا أيّها النّاس إنّي كنت أمرتكم بالاستمتاع من هذه النّساء إلّا أنّ الله حرّم ذلك إلى يوم القيامة. و قيل: أُبيح مرّتين و حُرّم مرّتين. و روي عن ابن عبّاس رضي الله عنهما: أنّه رجع عن القول بجوازه عند موته، و قال: «اللّهمّ إنّي أتوب إليك من قولي بالمتعة، و قولي في الصّرف». (٢ : ١٢٣)

البُرُوسَويّ: أي في أن تراضيتم بعد النّكاح، على زيادة المهر من جانب الزّوج، أو على الحطّ من المهر من جانب الزّوجة، و أن تهب لزوجها جميع مهرها. (٢ : ١٨٩)

الآلوسيّ: ﴿وَلَا جُنَاحَ﴾ أي لا إثم ﴿عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ﴾ من الحطّ عن المهر أو الإبراء منه أو الزّيادة على المسمّى، و لا جناح في زيادة الزّيادة، لعدم مساعدة ﴿وَلَا جُنَاحَ﴾ إذا جُعل الخطاب للأزواج تغليبًا، فإن أخذ الزّيادة مظنّة ثبوت المنفيّ للزّوجة ﴿مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ﴾ أي الشّيء المقدّر. و قيل: ﴿فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ﴾ من نفقة و نحوها، و قيل: من مقام أو فراق. و تعقّبه شيخ الإسلام بأنّه لا يساعده ذكر الفريضة، إذ لا تعلّق لهما بها إلّا أن يكون الفراق بطريق المخالعة.

و قيل: الآية في المتعة، و هي النّكاح إلى أجل معلوم من يوم أو أكثر، و المراد: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ﴾ من استئناف عقد آخر بعد انقضاء الأجل المضروب في عقد المتعة، بأن يزيد الرّجل في الأجر و تزيده المرأة في المدّة، و إلى ذلك ذهبت الإماميّة، و الآية أحد أدلّتهم على جواز المتعة، و أيّدوا استدلالهم بها بأنّها في حرف أُبيّ (فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى) و كذلك قرأ ابن عبّاس و ابن مسعود رضي الله تعالى عنهم، و الكلام في ذلك شهير، و لا نزاع عندنا في أنّها أُحلّت ثمّ حُرّمت. [ثمّ أدام الكلام في حلّيّة المتعة و عدمها فراجع: م ت ع: «استمتعتم»] (٥ : ٥)

رشيد رضا: أي لا حرج و لا تضييق عليكم منه

تعالى إذا تراضيتم بعد الفريضة على الزّيادة فيها، أو النّقص منها: أو حطّها كلّها، فإنّ الغرض من الزّوجيّة أن تكونوا في عيشة راضية ومودّة و رحمة تصلح بها شؤنكم، وترتقي بها أُمّتكم، و الشّرع يضع لكم قواعد العدل، و يهديكم مع ذلك إلى الإحسان والفضل. [إلى أن قال:]

هذا هو المتبادر من نظم الآية، فإنّها قد بيّنت ما يحلّ من نكاح النّساء، في مقابلة ما حرّم فيما قبلها و في صدرها، و بيّنت كيفيّته، و هو أن يكون بمال يُعطى للمرأة، و بأن يكون الغرض المقصود منه الإحصان دون مجرّد التّمتّع بسفح الماء. [ثمّ أطال الكلام في عدم جواز المتعة راجع: م ت ع: «اسْتَمْتَعْتُمْ»] (٥ : ١٢)

المراغيّ: أي و لا تضييق عليكم إذا تراضيتم على النّقص في المهر بعد تقديره، أو تركه كلّه أو الزّيادة فيه؛ إذ ليس الغرض من الزّوجيّة إلّا أن يكونا في عيشة راضية يستظلّان فيها بظلال المودّة و الرّحمة و الهدوء و الطّمأنينة، و الشّارع الحكيم لم يضع لكم إلّا ما فيه سعادة الفرد و الأُمّة، و رقّي الشّؤون الخاصّة و العامّة. (٥ : ٧)

سيّد قُطب: فلا حرج عليهما في أن تتنازل الزّوجة عن مهرها كلّه أو بعضه بعد بيانه و تحديده. و بعد أن أصبح حقًّا لها خالصًا تتصرّف فيه، كما تتصرّف في سائر أموالها بحرّيّة، و لا جناح عليهما في أن يزيدها الزّوج على المهر، أو يزيدها فيه. فهذا شأنه الخاصّ. و هذا شأنهما معًا، يتراضيان عليه في حرّيّة و سماحة. (٢ : ٦٢٥)

ابن عاشور: و أمّا نكاح التّفويض: و هو أن ينعقد النّكاح مع السّكوت عن المهر، و هو جائز عند جميع الفقهاء، فجوازه مبنيّ على أنّهم لا يفوّضون إلّا و هم يعلمون معتاد أمثالهم. و يكون ﴿فَرِيضَةً﴾ بمعنى تقديرًا، و لذلك قال: ﴿وَ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ﴾، أي فيما زدتم لهنّ أو أسقطن لكم عن طيب نفس. فهذا معنى الآية بيّنًا، لا غبار عليه. [ثمّ أدام الكلام في حلّيّة المتعة و عدمها] (٤ : ٨٨)

مَغْنِيّة: إذا جرى الزّواج على مهر مبيّن محدّد في متن العقد يُصبح حقًّا لازمًا للزّوجة، تتصرّف فيه كيفما تشاء. و لكن هذا لا يمنع أن يتراضى الزّوجان بعد ذلك على ترك المهر كلًّا أو بعضًا، أو الزّيادة عليه، كما أنّه لا مانع أن يتراضيا على نوع النّفقة و مقدارها، أو تركها من الأساس، أو يتراضيا على الطّلاق، أو على الرّجوع بعد الطّلاق، أو بعد انقضاء أمد المتعة، و ما إلى ذلك ضمن الحدود الشّرعية. (٢ : ٢٩٩)

عبد الكريم الخطيب: دعوة إلى المياسرة بين الزّوجين في المهر، فللمرأة بعد أن يُعطيها الرّجل المهر المناسب لها، أن تنزل عنه أو عن بعضه له. و للرّجل بعد أن يُعطي المهر المطلوب منه، أن يزيد فيما أعطى. و في هذا و ذاك تبادل لعواطف المودّة و المعروف بين الزّوجين الأمر الّذي ينتظم به شمل الأُسرة، و تقوم عليه سعادتها. (٣ : ٧٣٩)

مكارم الشّيرازيّ: [له بحث طويل ذيل هذه الآية راجع: م ت ع: «اسْتَمْتَعْتُمْ»] (٣ : ١٥٩)

فضل الله: [راجع: م ت ع: «اسْتَمْتَعْتُمْ»] (٧ : ١٨١)

تَرَاضٍ

١ ـ ...فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَ تَشَاوُرٍ فَلَاجُنَاحَ عَلَيْهِمَا... البقرة: ٢٣٣

راجع: ش و ر: «تَشَاوُر» و: ف ص ل: «فِصَالًا».

٢ ـ يَاءَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَاتَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَاتَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا. النساء: ٢٩

الزّجّاج: فاعلم أنّ التّجارة تصحّ برضا البيّع والمشتري. (٢: ٤٤)

رشيد رضا: المعنى إلّا أن توجد تجارة عن تراض منكم، والاستثناء منقطع. قالوا: والمعنى: لاتقصدوا إلى أكل أموال النّاس بالباطل، ولكن اقصدوا أن تربحوا بالتّجارة الّتي تكون صادرة عن التّراضي منكم. وتخصيصها بالذّكر دون سائر أسباب المِلْك لكونها أكثر وقوعًا، وأوفق لذوي المروءات.

وروى ابن جرير عن الحسَن وعِكْرِمَة أنّهما قالا: كان الرّجل يتحرّج أن يأكل عند أحد من النّاس بهذه الآية، فنُسخ ذلك بالآية الّتي في سورة النّور: ٦١ ﴿وَلَا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾.

وروى ابن أبي حاتم والطّبَرانيّ بسند صحيح عن ابن مَسعود أنّه قال في هذه الآية: إنّها مُحكمة ما نُسخت ولاتُنسخ إلى يوم القيامة.

الأستاذ الإمام: قالوا: إنّ الآية دليل على تحريم ما عدا ربح التّجارة من أموال النّاس ـ أي كالهديّة والهبة ـ ثمّ نُسخ ذلك بآية النّور المُبيحة للإنسان أن يأكل من بيوت أقاربه وأصدقائه. وهو افتراء على الدّين لاأصل له ـ أي لم تصحّ روايته عمّن عُزي إليه ـ إذ لايعقل أن تكون الهبة محرّمة في وقت من الأوقات، ولاما في معناها كإقراء الضّيف، وإنّما يكون التّحريم فيما يمانع فيه صاحب المال فيؤخذ بدون رضاه، أو بدون علمه، مع العلم أو الظّنّ بأنّه لا يسمح به. وإنّما استثنى الله التّجارة من عموم الأموال الّتي يجري فيها الأكل بالباطل، أي بدون مقابل، لأنّ معظم أنواعها يدخل فيها الأكل بالباطل، فإنّ تحديد قيمة الشّيء، وجعل عوضه أو ثمنه على قدره بقسطاس الحقّ المستقيم، عزيز وعسير إن لم يكن محالًا.

فالمراد من الاستثناء التّسامح بما يكون فيه أحد العوضين أكبر من الآخر، وما يكون سبب التّعاوض فيه براعة التّاجر في تزيين سلعته وترويجها بزُخرف القول، من غير غشّ ولاخداع، ولا تغرير، كما يقع ذلك كثيرًا. فإنّ الإنسان كثيرًا ما يشتري الشّيء من غير حاجة شديدة إليه، وكثيرًا ما يشتريه بثمن يعلم أنّه يمكن ابتياعه بأقلّ منه من مكان آخر، ولايكون سبب ذلك إلّا خِلابة التّاجر وزخرفه، وقد يكون ذلك من المحافظة على الصّدق، واتّقاء التّغرير والغشّ فيكون من باطل التّجارة الحاصلة بالتّراضي، وهو المستثنى، والحكمة في إباحة ذلك الترغيب في التّجارة، لشدّة حاجة النّاس إليها، وتنبيه النّاس إلى استعمال ما أُوتوا من الذّكاء والفطنة في اختبار الأشياء، والتّدقيق في المعاملة حفظًا لأموالهم الّتي جعلها الله لهم قيامًا أن يذهب شيء منها بالباطل، أي

بدون منفعة تقابلها. فعلى هذا يكون الاستثناء متّصلًا خرج به الرّبح الكثير الّذي يكون بغير غشّ و لا تغرير، بل بتراض لم تنخدع فيه إرادة المغبون، و لو لم يُبَحْ مثل هذا لما رغب في التّجارة، و لااشتغل بها أحد من أهل الدّين، على شدّة حاجة العمران إليها، و عدم الاستغناء عنها؛ إذ لايمكن أن تتبارى الهمم فيها مع التّضييق في مثل هذا. و قد شعر النّاس منذ العصور الخالية بما يلابس التّجارة من الباطل، حتّى أنّ اليونانيّين جعلوا للتّجارة و السّرقة إلهًا أو ربًّا واحدًا، فيما كان عندهم من الآلهة و الأرباب، لأنواع المخلوقات و كلّيّات الأخلاق و الأعمال، انتهى ما قاله في الدّرس، مع زيادة و إيضاح.

و قد علمت أنّ الجمهور على أنّ الاستثناء منقطع، أي إنّ المقام مقام الاستدراك لا الاستثناء، و المعنى: لاتكونوا من ذوي الطّمع الّذين يأكلون أموال النّاس بغير مقابل لها من عين أو منفعة، و لكن كلوها بالتّجارة الّتي قوام الحلّ فيها التّراضي، فذلك هو اللّائق بأهل الدّين و المروءة إذا أرادوا أن يكونوا من أهل الدّثور و الثّروة. و قال البقاعيّ: إنّ الاستدراك لايجيء في النّظم البليغ بصورة الاستثناء، أي الّذي يسمّونه الاستثناء المنقطع إلّا لنكتة. و قال: إنّ النّكتة هنا هي الإشارة إلى أنّ جميع ما في الدّنيا من التّجارة، و ما في معناها من قبيل الباطل، لأنّه لاثبات له و لابقاء، فينبغي ألّا يشتغل به العاقل عن الاستعداد للدّار الآخرة الّتي هي خير و أبقى.

و في الآية من الفوائد أنّ مدار حلّ التّجارة عن تراضي المتبايعين، و الغشّ و الكذب من المحرّمات المعلومة من الدّين بالضّرورة، و كلّ ما يُشترط في البيع عند الفقهاء فهو لأجل تحقيق التّراضي من غير غشّ، و ما عدا ذلك فلاعلاقة له بالدّين. (٥: ٤١)

ابن عاشور: و قوله: ﴿عَنْ تَراضٍ مِنْكُمْ﴾ صفة لـ﴿تِجَارَةً﴾، و (عَنْ) فيه للمجاوزة، أي صادرة عن التّراضي، و هو الرّضا من الجانبين، بما يدلّ عليه من لفظ أو عرف. و في الآية ما يصلح أن يكون مستندًا لقول مالك من نفي خيار المجلس، لأنّ الله جعل مناط الانعقاد هو التّراضي، و التّراضي يحصل عند التّبايع بالإيجاب و القبول. (٤: ١٠١)

عبد الكريم الخطيب: هو استثناء متّصل، و ليس استثناء منفصلًا، كما ذهب إلى ذلك الزّمخشريّ، و أكثر المفسّرين.

فالتّجارة: هي من تلك المائدة الممدودة بين النّاس ﴿أَمْوَالَكُمْ﴾ بل هي الوجه الواضح من هذه المائدة؛ إذ كانت أكثر الأموال دائرة في فلك التّجارة، متداولة بين أيدي النّاس عن طريقها.

و في عمليّات التّجارة، ربح و خسارة. و في جانب الرّبح، قد يحصل كثير من النّاس على أموال طائلة. و هذه الأموال الّتي ربحها الرّابحون هي خسارة قد خسرها آخرون، و الصّورة في جانب الرّبح تبدو و كأنّها أكل لأموال النّاس بالباطل، ذلك الأكل الّذي ورد صدر الآية الكريمة بالنّهي عنه.

فهل هذا المال مال الرّبح في التّجارة أيًّا كان من الكثرة، هل هو داخل في هذا المال المنهيّ عن أكله

بالباطل؟ و هل يتناوله الحكم الواقع عليه؟ هذا ما استثناه الله تعالى في قوله: ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾.

فهذا المال ليس من الباطل في شيء، هو مال حلال؛ إذ جاء عن عمليّات بيع و شراء، لاقهر فيها، و لاتدليس أو غشّ بين البائعين و المشترين. (٣: ٧٧١)

و مضى باقي المطالب في: ت ج ر: «تِجَارَةً».

ارْتَضَى

١ـ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ. الأنبياء: ٢٨

ابن عبّاس: هم أهل شهادة أن لا إله إلّا الله.

(الثّعلبيّ ٦: ٢٧٣)

مُجاهِد: لمن رضي عنه. (الطّبَريّ ٩: ١٨)

قَتادَة: قوله: ﴿إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ يوم القيامة.

(الطّبَريّ ٩: ١٨)

الطّبَريّ: يقول: الّذين ارتضى لهم شهادة أن لا إله إلّا الله. (٩: ١٨)

الرُّمّانيّ: لمن ارتضى عمله. (الماوَرْديّ ٣: ٤٤٣)

الطُّوسيّ: قال أهل الوعيد: معناه: لايشفع هؤلاء الملائكة إلّا لمن ارتضى لله جميع عمله، قالوا: و ذلك يدلّ على أنّ أهل الكبائر لايُشفَع فيهم، لأنّ أعمالهم ليست رضًا لله.

و هذا الّذي ذكروه ليس في الظّاهر، بل لايمتنع أن يكون المراد: لايشفعون إلّا لمن رضي الله أن يشفع فيه، كما قال تعالى ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ البقرة: ٢٥٥، و المراد: أنّهم لايشفعون إلّا من بعد إذن الله لهم، فيمن يشفعون فيه. و لو سلّمنا أنّ المراد إلّا لمن رضي عمله، لجاز لنا أن نحمل على أنّه رضي إيمانه، و كثيرًا من طاعاته.

فمن أين أنّه أراد: إلّا لمن رضي جميع أعماله؟ و معنى رضا الله عن العبد، إرادته لفعله الّذي عُرِض به للثّواب. (٧: ٢٤١)

القُشَيْريّ: دلّ على أنّهم يشفعون لقوم، و أنّ الله يتقبّل شفاعتهم. (٤: ١٧١)

المَيْبُديّ: أي لمن رضيه الله، و قال: لا إله إلّا الله محمّد رسول الله. (٦: ٢٢٩)

الزّمَخْشَريّ: و من تحفّظهم أنّهم لايجسرون أن يشفعوا إلّا لمن ارتضاه الله و أهّله للشّفاعة في ازدياد الثّواب و التّعظيم. (٢: ٥٦٩)

الفَخْر الرّازيّ: أي لمن هو عند الله مرضيّ.

(٢٢: ١٦٠)

أبو حَيّان: [مثل الزّمَخْشَريّ و أضاف:]

و قيل: شفاعتهم في القيامة. و في الصّحيح أنّهم يشفعون في الدّنيا و الآخرة. (٦: ٣٠٧)

ابن كَثير: و قوله: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ كقوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ البقرة: ٢٥٥، و قوله: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ سبأ: ٢٣، في آيات كثيرة في معنى ذلك.

(٤: ٥٥٨)

الشِّرْبينيّ: فلاتطمعوا في شفاعتهم لكم بغير رضاه تعالى. قال ابن عبّاس و الضّحّاك: ﴿إِلَّا لِمَنِ

ارْتَضَى ﴾، أي لمن قال: لا إله إلّا الله. فسقط بذلك قول المعتزلة: إنّ الشّفاعة في الآخرة لا تكون لأهل الكبائر. (٢: ٥٠٢)

البُرُوسَوِيّ: أن يشفع له من أهل الإيمان مهابةً منه تعالى. [إلى أن قال:]

قال في «الأسئلة المقحمة»: هذا دليل على أن لا شفاعة لأهل الكبائر، لأنّه لا يرضى لهم.

و الجواب: قد ارتضى العاصي لمعرفته و شهادته و إن كان لا يرتضيه لفعله، لأنّه أطاعه من وجوه و إن عصاه من وجوه أُخر، فهو مرتضاه من وجوه الطّاعة له، و لهذا قال ابن عبّاس رضي الله عنهما: الّذي ارتضاهم هم أهل شهادة أن لا إله إلّا الله. (٥: ٤٦٨)

القاسميّ: أي أن يشفع له، مهابةً منه تعالى.

قال المهايميّ: كيف يخرجون عن عبوديّته و لا يقدرون على أدنى وجوه معارضته. لأنّهم لا يشفعون إلّا لمن ارتضى؛ إذ الشّفاعة لغير المرتضى نوع معارضة معه، و كيف يعارضونه ﴿وَ هُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ﴾ أي قهره ﴿مُشْفِقُونَ﴾ أي خائفون.؟!

(١١: ٤٢٦٤)

المَراغيّ: أي و هم لا يشفعون إلّا لمن رضي عنه، فلا تطمعوا في شفاعتهم لكم بغير رضاه تعالى.

(١٧: ٢٢)

ابن عاشور: و حذف مفعول ﴿ارْتَضَى﴾ لأنّه عائد صلة منصوب بفعل، و التّقدير: لمن ارتضاه، أي ارتضى الشّفاعة له بأن يأذن الملائكة أن يشفعوا له، إظهارًا لكرامتهم عند الله، أو استجابةً لاستغفارهم لمن في الأرض، كما قال تعالى ﴿وَ الْمَلٰئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَ يَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْاَرْضِ﴾ الشّورى: ٥، و ذلك الاستغفار من جملة ما خُلقوا لأجله، فليس هو من التّقدّم بالقول. (١٧: ٣٨)

مَغْنِيَّة: هذا ردّ على من عبد نبيًّا أو وليًّا أو ملَكًا طمعًا في أن يشفع له عند الله، و وجه الرّدّ أنّ العباد المكرمين يشفعون للموحّدين المرضيّين عند الله، لا للمشركين المغضوب عليهم. (٥: ٢٧١)

مكارم الشّيرازيّ: و من المسلّم أنّ رضى الله و إذنه في الشّفاعة، لا يمكن أن يكون أيّ منهما اعتباطيًّا، بل لا بدّ أن يكون من أجل الإيمان الحقيقيّ، أو الأعمال الّتي تحفظ علاقة الإنسان بالله.

و بتعبير آخر، فإنّ من الممكن أن يتلوّث الإنسان بالمعصية، إلّا أنّه إذا لم يقطع علاقته بالله و أوليائه تمامًا، فإنّ الشّفاعة تؤمّل في حقّه. أمّا إذا قطع علاقته تمامًا من ناحية الاتّجاه الفكريّ و العقائديّ، أو أنّه غرق في المعاصي و الانحراف من النّاحية العمليّة، إلى الحدّ الّذي يفقد معه لياقة الشّفاعة أو استحقاقها، ففي هذه الحال سوف لا يشفع له أيّ نبيّ مرسل أو ملك مقرّب.

إنّ هذا هو نفس المطلب الّذي أوردناه في بحث فلسفة الشّفاعة ضمن البحوث السّابقة، بأنّ الشّفاعة هي طريق لتهذيب الإنسان، و وسيلة لإرجاع المذنبين إلى الصّراط المستقيم، و المنع من اليأس أو القنوط، و الّذي هو بنفسه عامل للانزلاق و الغرق في الانحراف و المعصية.

إنّ الإيمان بمثل هذه الشّفاعة يبعث على بقاء

ارتباط المذنبين بالله و رسله و الأئمّة، و لايهدّموا كلّ الجسور خلفهم، و يحفظوا خطّ الرّجعة.

ثمّ إنّ هذه الجملة تُجيب ضمنًا أولئك الّذين يقولون: إنّنا نعبد الملائكة لتشفع لنا عند الله، فيقول القرآن لهم: إنّ هؤلاء لايقدرون على فعل شيء من تلقاء أنفسهم، و كلّ ما تريدونه يجب أن تطلبوه من الله مباشرة، و حتّى إذن شفاعة الشّافعين. (١٠ : ١٣٥)

فضل الله: من خلقه، في ما يعلمونه من مواقع رضاه. (١٥ : ٢١٣)

٢ ـ ... وَ لَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَ لَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ اَمْنًا... النّور: ٥٥

سيأتي في: م ك ن: «لَيُمَكِّنَنَّ».

٣ ـ اِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَاِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا. الجنّ: ٢٧

ابن عبّاس: فأعلم الله سبحانه الرّسل من الغيب الوحي، و أظهرهم عليه بما أوحي إليهم من غيبه، و ما يحكم الله، فإنّه لايعلم ذلك غيره. (الطّبريّ ١٢ : ٢٧٥)

سعيد بن جُبَيْر: إلّا من ارتضى من رسول الله هو جبريل. (الماوَرْديّ ٦ : ١٢٢)

قَتادَة: فإنّه يصطفيهم، و يطّلعهم على ما يشاء من الغيب. فإنّه يُظهره من الغيب على ما شاء إذا ارتضاه. (الطّبَريّ ١٢ : ٢٧٥)

إلّا من ارتضى من نبيّ فيما يطّلعه عليه من غيب. (الماوَرْديّ ٦ : ١٢٢)

ابن زَيْد: يُنزل من غيبه ما شاء على الأنبياء أنزل على رسول الله ﷺ الغيب القرآن، و حدّثنا فيه بالغيب بما يكون يوم القيامة. (الطّبَريّ ١٢ : ٢٧٦)

الفَرّاء: فإنّه يطّلعه على غيبه. (٣ : ١٩٥)

الطّبَريّ: يعني بعالم الغيب: عالم ما غاب عن أبصار خلقه، فلم يروه فلايُظهر على غيبه أحدًا، فيُعلمه أو يُريه إيّاه، إلّا من ارتضى من رسول، فإنّه يُظهره على ما شاء من ذلك. (١٢ : ٢٧٥)

الثّعلبيّ: اصطفى ﴿مِنْ رَسُولٍ﴾ فإنّه يصطفيه و يطّلعه على ما يشاء من الغيب. (١٠ : ٥٦)

القُشَيْريّ: فيطّلعه بقدر مايريده. (٦ : ٢٠٨)

الواحديّ: يعني الرّسل، لأنّه يستدلّ على نبوّتهم بالآية المعجزة بأن يخبروا بالغيب. و المعنى: أنّ من ارتضاه للرّسالة و النّبوّة، فإنّه يطّلعه على ماشاء من غيبه و في هذا دليل على أنّ من النّجوم ما يدلّه على ما يكون من حادث، فقد كفر بما في القرآن. (٤ : ٣٦٩)

المَيْبُديّ: أي إلّا رسول قد ارتضاه لعلم بعض الغيب، ليكون إخباره عن الغيب معجزة له. و قيل: هذا الرّسول هو جبرئيل ﷺ. (١٠ : ٢٥٨)

الزّمَخْشَريّ: تبيين لمن ارتضى، يعني أنّه لايطّلع على الغيب إلّا المرتضى الّذي هو مصطفى للنّبوّة خاصّة، لاكلّ مرتضى. و في هذا إبطال للكرامات، لأنّ الّذين تُضاف إليهم و إن كانوا أولياء مرتضين، فليسوا برسل، و قد خصّ الله الرّسل من بين المرتضين بالاطّلاع على الغيب، و إبطال الكهانة

و التّنجيم، لأنّ أصحابهما أبعد شيء من الارتضاء و أدخله في السُّخط. (٤: ١٧٢)

ابن عَطيّة: معناه: فإنّه يُظهره على ما شاء ممّا هو قليل من كثير. (٥: ٣٨٥)

الطَّبْرِسيّ: يعني الرّسل، فإنّه يستدلّ على نبوّتهم، بأن يخبروا بالغيب لتكون آية معجزة لهم. و معناه: أنّ من ارتضاه و اختاره للنّبوّة و الرّسالة فإنّه يطّلعه على ما شاء من غيبه على حسب ما يراه من المصلحة. (٥: ٣٧٤)

الفَخْر الرّازيّ: لفظة (مِنْ) في قوله: ﴿مِنْ رَسُولٍ﴾ تبيين لمن ارتضى، يعني أنّه لا يطّلع على الغيب إلّا المرتضى الّذي يكون رسولًا. [ثمّ نقل كلام الزّمَخْشَريّ و الواحديّ] (٣٠: ١٦٨)

القُرطُبيّ: فيه مسألتان:... فإنّه يُظهره على ما يشاء من غيبه، لأنّ الرّسل مؤيّدون بالمعجزات، و منها الأخبار عن بعض الغائبات، و في التّنزيل: ﴿وَ اُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَاْكُلُونَ وَ مَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ﴾ آل عمران: ٤٩، و قال ابن جُبَيْر: ﴿اِلَّا مَنِ ارْتَضٰى مِنْ رَسُولٍ﴾ هو جبريل عليه السلام، وفيه بُعْدٌ.

و الأولى: أن يكون المعنى: أي لا يُظهر على غيبه إلّا من ارتضى، أي اصطفى للنّبوّة، فإنّه يطّلعه على ما يشاء من غيبه ليكون ذلك دالًّا على نبوّته.

الثّانية: قال العلماء رحمة اللّه عليهم: لمّا تمدّح سبحانه بعلم الغيب، و استأثر به دون خلقه، كان فيه دليل على أنّه لا يعلم الغيب أحد سواه، ثمّ استثنى من ارتضاه من الرّسل، فأودعهم ما شاء من غيبه بطريق الوحي إليهم، و جعله معجزة لهم ودلالة صادقة على نبوّتهم. و ليس المنجّم و من ضاهاه ممّن يضرب بالحصى و ينظر في الكتب و يزجر بالطّير، ممّن ارتضاه من رسول، فيطّلعه على ما يشاء من غيبه، بل هو كافر باللّه مفتر عليه بحدسه وتخمينه و كذبه. (١٩: ٢٦)

الشِّرْبينيّ: أي إلّا من يصطفيه لرسالته و نبوّته، فيُظهره على ما يشاء من الغيب، و تارةً يكون ذلك الرّسول ملكًا، و تارةً يكون بشرًا، و تارةً يُظهره على ذلك بواسطة ملك، و تارةً بغير واسطة كموسى عليه السلام في أوقات المناجاة، و محمّد صلّى اللّه عليه و آله ليلة المعراج في العالم الأعلى، في حضرة قاب قوسين أو أدنى. (٤: ٤٠٨)

أبو السُّعود: أي إلّا رسولًا ارتضاه لإظهاره على بعض غيوبه المتعلّقة برسالته، كما يُعرب عنه بيان من ارتضى بالرّسول تعلّقًا تامًّا: إمّا لكونه من مبادئ رسالته، بأن يكون معجزة دالّة على صحّتها، وإمّا لكونه من أركانها و أحكامها، كعامّة التّكاليف الشّرعيّة الّتي أمر بها المكلّفون، و كيفيّات أعمالهم وأجزيتها المترتّبة عليها في الآخرة، و ما تتوقّف هي عليه من أحوال الآخرة الّتي من جملتها قيام السّاعة و البعث، و غير ذلك من الأُمور الغيبيّة الّتي بيّنها من وظائف الرّسالة.

و أمّا ما لا يتعلّق بها على أحد الوجهين من الغيوب الّتي من جملتها وقت قيام السّاعة، فلا يُظهر عليه أحدًا أبدًا على أنّ بيان وقته مخلّ بالحكمة التّشريعيّة الّتي عليها يدور فلك الرّسالة. و ليس فيه ما يدلّ على نفي كرامات الأولياء، المتعلّقة بالكشف،

فإنّ اختصاص الغاية القاصية من مراتب الكشف بالرّسل، لا يستلزم عدم الحصول مرتبة ما من تلك المراتب لغيرهم أصلًا، و لا يدّعي أحد لأحد من الأولياء ما في رتبة الرّسل عليهم السلام من الكشف الكامل الحاصل بالوحي الصّريح. (٦: ٣١٨)

نحوه البُرُوسَويّ. (١٠: ٢٠٢)

الآلوسيّ: أي لكن الرّسول المرتضى يُظهره جلّ و علا على بعض الغيوب المتعلّقة برسالته، كما يُعرب عنه بيان من ارتضى بالرّسول تعلّقًا مّا، إمّا لكونه من مبادئها بأن يكون معجزة، و إمّا لكونه من أركانها و أحكامها، كعامّة التكاليف الشرعية و كيفيّات الأعمال و أجزيتها، و نحو ذلك من الأمور الغيبيّة الّتي بيانها من وظائف الرّسالة، بأن يسلك من جميع جوانبه عند اطّلاعه على ذلك. (٢٩: ٩٩)

القاسميّ: [بعد نقل قول الزّمخشريّ و جواب أبي السُّعود عليه قال:]

و ملخّصه تقييد الغيب بما هو معجزة، أو من وظائف الرّسالة. و هكذا نحا النّسفيّ في الجواب، مع بيان الفارق و عبارته، أي إلّا رسولًا قد ارتضاه لعلم بعض الغيب، ليكون إخباره عن الغيب معجزة له، فإنّه يطّلعه على غيبه ما شاء ﴿مِنْ رَسُولٍ﴾ بيان ﴿مَنِ ارْتَضٰى﴾، و الوليّ إذا أخبر بشيء فظهر، فهو غير جازم عليه، و لكنّه أخبر بناء على رؤياه، أو بالفراسة. على أنّ كلّ كرامة للوليّ فهي معجزة للرّسول. انتهى. (١٦: ٥٩٥٣)

المَراغيّ: أي عالم ما غاب عن أبصار خلقه، فلم يروه، و هذا لا يعلم به أحد إلّا من ارتضى من الرّسل صلوات اللّه عليهم، فإنّه يطّلعهم على ما شاء منه.

و نحو الآية قوله: ﴿وَ لَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ البقرة: ٢٥٥.

و في الآية إيماء إلى إبطال الكهانة و التّنجيم و السّحر، لأنّ أصحابها أبعد النّاس عن الارتضاء و أدخلهم في السُّخط و إلى أنّ من ادّعى أنّ النّجوم تدلّه على ما يكون من حياة أو موت أو غير ذلك، فقد كفر بالقرآن، و فيها أيضًا إبطال للكرامات، لأنّ من تُضاف إليهم و إن كانوا أولياء مرتضين فليسوا رسلًا، و قد خصّ اللّه الرّسل من بين المرتضين بالاطّلاع على الغيب. (٢٩: ١٠٦)

سيّد قُطْب: فالرّسل الّذين يرتضيهم اللّه لتبليغ دعوته، يطّلعهم على جانب من غيبه، هو هذا الوحي: موضوعه، و طريقته، و الملائكة الّذين يحملونه، و مصدره، و حفظه في اللّوح المحفوظ إلى آخر ما يتعلّق بموضوع رسالتهم، ممّا كان في ضمير الغيب لا يعلمه أحد منهم. (٦: ٣٧٣٨)

مغنيّة: الغيب للّه و لمن ائتمنه سبحانه على وحيه، و اصطفاه من عباده لرسالته، فإنّه يعلم من الغيب ما علّمه اللّه ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ البقرة: ٣٢، و قال جماعة من المفسّرين، منهم الرّازيّ و المَراغيّ: إنّ غير الرّسول قد يعلم الغيب و يخبر به.

و لا يتّفق هذا مع ظاهر قوله: ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلٰى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضٰى مِنْ رَسُولٍ﴾.

أجل، إنّ ذوي الأفهام يتنبّؤون بالمستقبل،

و يصدّقون في الكثير من ظنونهم و فراستهم، و لكنّهم يستخرجونها من قرائن و أمارات تُظهر لهم و تخفى على من دونهم فهمًا و علمًا، و أين هذا من علم الغيب الّذي لايظهره الله إلّا على الرّسل و الأنبياء ؟.

(٧: ٤٤٢)

الطَّباطَبائيّ: قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضٰى مِنْ رَسُولٍ﴾ استثناء من قوله: ﴿أَحَدًا﴾ و ﴿مِنْ رَسُولٍ﴾ بيان لقوله: ﴿مَنِ ارْتَضٰى﴾ فيفيد أنّ الله تعالى يُظهر رسله على ما شاء من الغيب المختصّ به، فالآية إذا انضمّت إلى الآيات الّتي تخصّ علم الغيب به تعالى، كقوله: ﴿وَ عِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ الأنعام: ٥٩، و قوله: ﴿وَ لِلّٰهِ غَيْبُ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ﴾ النّحل: ٧٧، و قوله: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللّٰهُ﴾ النّمل: ٦٥، أفاد ذلك معنى الأصالة و التّبعيّة، فهو تعالى يعلم الغيب لذاته، و غيره يعلمه بتعليم من الله.

فهذه الآيات نظيرة الآيات المتعرّضة للتّوفّي، كقوله: ﴿اللّٰهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ﴾ الزّمر: ٤٢، الدّالّ على الحصر، و قوله: ﴿قُلْ يَتَوَفّٰيكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ الم السّجدة: ١١، و قوله: ﴿حَتّٰى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ الأنعام: ٦١، فالتوفّي منسوب إليه تعالى على نحو الأصالة، و إلى الملائكة على نحو التّبعيّة، لكونهم أسبابًا متوسّطة مسخّرة له تعالى.

(٢٠: ٥٣)

عبد الكريم الخطيب: فقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضٰى مِنْ رَسُولٍ﴾ هو استثناء من قوله تعالى: ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلٰى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ أي إنّه سبحانه قد استأثر وحده بعلم الغيب، و أنّه سبحانه لايطّلع أحدًا على هذا الغيب إلّا من ارتضى، أي اختار من بعض رُسله.

و (مِنْ) في قوله تعالى: ﴿مِنْ رَسُولٍ﴾ للتّبعيض، للإشارة إلى أنّه ليس كلّ رسل الله يطّلعهم الله على الغيب، و إنّما يختار الله سبحانه من يشاء منهم، فيطّلعه على ما يأذن لهم به من الغيب، فإنّ الّذي يُوحيه الله سبحانه و تعالى إلى بعض رسله، هو من بعض هذا الغيب؛ حيث لايعلم هذا الموحي به إلّا الرّسول، كما أوحى الله سبحانه إلى نوح بغرق قومه، و كما أوحي إلى إبراهيم بهلاك قوم لوط، و كما أوحي إلى صالح بهلاك قومه بعد ثلاثة أيّام من عقر النّاقة. فهذا من الغيب الّذي أطّلع الله سبحانه بعض رسله عليه.

و الرّسول صلوات الله و سلامه عليه كان يعلم ممّا علّمه الله، كثيرًا من الأحداث الّتي تقع على مسيرة دعوته، سواء أكان ذلك عن طريق الفهم الخاصّ لرسول الله، بما ضمّت عليه آيات القرآن من أسرار، أو كان هذا عن وحي خاصّ من الله سبحانه إلى النّبيّ صلوات الله و سلامه عليه. (١٥: ١٢٤٢)

فضل الله: فإنّه يُلقي إليه بالوحي الّذي هو من عالم الغيب كما يلقي إليه ما يتوقّف عليه من الأمور الّتي قد يحتاج إليها في أمر الرّسالة. و لكن هل يجعل لديه ملكة العلم بالغيب، حتّى إذا أراد علم شيء علّمه، أو يُحدّد له بعض الأشياء بشكل خاصّ تفصيليّ، أو يُلهمه علم ما يحتاج إليه في بعض حالات

الضّرورة أو التّحدّي؟

هناك وجوه عديدة في المسألة، و قد يأخذ بكلّ وجه قائل معيّن. (٢٣: ١٦٨)

الوجوه و النّظائر

الحيريّ: باب الرّضا على وجهين:

أحدهما: الرّضا بعينه، كقوله: ﴿وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ﴾ البقرة: ٢٠٧، و قوله: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ اَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ﴾ البقرة: ٢٦٥، و قوله: ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَاِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَاِنَّ اللهَ لَا يَرْضٰى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ التّوبة: ٩٦.

الثّاني: الاشتهاء، كقوله: ﴿وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا﴾ التّوبة: ٢٤.

باب الرّضوان على وجهين:

أحدهما: الرّضا، كقوله: ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ اَكْبَرُ﴾ التّوبة: ٧٢.

و الثّاني: دين الاسلام، كقوله: ﴿يَهْدِى بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾ المائدة: ١٦. (٢٧٧)

الأصول اللّغويّة

١ ـ الأصل في هذه المادّة: الرّضوان: القناعة، و هو الرُّضوان و المَرْضاة و الرِّضا أيضًا. يقال: رَضِيَ فلان يَرْضَى رِضًى، أي قنع، فهو راض، و هم رُضاة.

و رَضيتُ الشّيء و ارْتَضَيتُه: قنعتُ به.

و عيشةٌ راضِيَةٌ: مَرْضيّة. يقال: رُضيَتْ معيشتُه.

و رَضِيتُ عن فلان و عليه رِضًى، فهو مَرضِيّ و مَرْضُوٌّ عنه.

و رَضِيتُ به صاحبًا.

و رَضِيَه لذلك الأمر، فهو مَرْضُوٌّ و مَرضِيّ.

و رجل رِضًى: مَرضيّ، و هم رِضًى أيضًا.

و الرَّضيّ: المَرضيّ، و هم أرضياء.

و أرضاه: أعطاه ما يَرْضَى به.

و أرْضَيتُه عنّي و رَضّيتُه فرَضِي.

و أرضاني مَرْضاةً فرَضَوتُه: كنت أشدّ رِضًى منه.

و راضيتُه مُراضاةً و رِضاءً.

و راضاني فلان فرَضَوتُه أرضُوه، إذا غلبتُه فيه.

و ارتضاه: رآه له أهلًا.

و ترضّاه: طلب رضاه.

و ترضّيتُه: أرْضَيتُه بعد جهد.

و استَرْضَيتُه فأرضاني.

٢ ـ و الرِّضا: لقب ثامن أئمّة أهل البيت عليّ بن موسى عليه السلام المدفون بمدينة مشهد، من محافظة خراسان في إيران، و النّسبة إليه رِضَويّ، بكسر الرّاء، مثل: رِبَويّ، و الشّائع الفتح، و هو من لحن العامّة.

و روى الطّبريّ أنّ المأمون جعله سنة (٢٠١) للهجرة وليّ عهد المسلمين و الخليفة من بعده، و سمّاه الرّضا من آل محمّد صلّى الله عليه و آله.[١] و لكنّ الصّدوق روى بإسناده عن الإمام الجواد عليه السلام أنّه قال: «بل الله تبارك و تعالى سمّاه الرّضا، لأنّه كان رضى الله عزّ و جلّ في

---

(١) تاريخ الأمم و الملوك: (٧: ١٣٩).

سماه، و رضي لرسوله و الأئمّة من بعده صلوات الله عليهم في أرضه »[١]

و رأينا بعد البحث و التنقيب أنّه لم يُلقّبه بهذا اللّقب أحد قبل إشخاصه إلى المأمون؛ إذ نودي به خلال إقامته في خراسان. بيد أنّ الجمع بين القولين أمر سهل الملتمَس، فلعلّه كان من ألقابه غير المشهورة في المدينة، ثمّ اشتهر به بعدما نوّه به المأمون، و سائر النّاس في ذلك الصّقع الثّاني، و الله أعلم.

الاستعمال القرآنيّ

و جاء منها مجرّدًا الماضي ١٣ مرّة، و المضارع ١٧ مرّة، و اسم الفاعل ٤ مرّات، و اسم المفعول مرّتين، والصّفة (رضيًّا) مرّة، و المصدر (رضوان) ١٣ مرّة، و (مَرْضات) ٥ مرّات.

و مزيدًا من باب الإفعال المضارع ٣ مرّات، و من باب الافتعال الماضي ٣ مرات، و من باب التّفاعل الماضي و المصدر، كلّ منهما مرّتين، في ٦٣ آية:

و يلاحظ أوّلًا أنّها ثلاثة محاور:

المحور الأوّل: رضي الله و رُسله و المؤمنين، و هو أقسام:

القسم الأوّل: رضي الله عنهم و رضوا عنه ٤ آيات، و كلّها مدنيّة:

١ـ ﴿قَالَ اللهُ هٰذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا اَبَدًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

المائدة: ١١٩

٢ـ ﴿وَ السَّابِقُونَ الْاَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْاَنْصَارِ وَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِاِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ وَ اَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا الْاَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا اَبَدًا ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ التوبة: ١٠٠

٣ـ ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَ الْيَوْمِ الْاٰخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَ رَسُولَهُ وَ لَوْ كَانُوا اٰبَاءَهُمْ اَوْ اَبْنَاءَهُمْ اَوْ اِخْوَانَهُمْ اَوْ عَشِيرَتَهُمْ اُولٰئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ الْاِيمَانَ وَ اَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَ يُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ اُولٰئِكَ حِزْبُ اللهِ اَلَا اِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ المجادلة: ٢٢

٤ـ ﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا اَبَدًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ ذٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ البيّنة: ٨

الأُولى: الآية ١١٩ من سورة المائدة بشأن الصّادقين يوم القيامة: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ فعدّ الله رضاه عنهم و رضاهم عنه فوزًا عظيمًا.

الثّانية: الآية ١٠٠ من سورة التّوبة بشأن الأوّلين من المهاجرين و الأنصار: ﴿وَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِاِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ...﴾ مثل الأُولى.

الثّالثة: الآية ٢٢ من سورة المجادلة بشأن المؤمنين الّذين لا يوادّون من حادّ الله و رسوله و لو كانوا من أقربائهم: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ اُولٰئِكَ حِزْبُ

---

(٢) عيون أخبار الرّضا: (٢: ٢٢).

الله ألآ إنّ حِزْبَ الله هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ فعدّهم حزب الله المفلحين.

الرّابعة: الآية ٨ من سورة البيّنة بشأن الّذين آمنوا و عملوا الصّالحات الّذين هم خير البريّة: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ ذٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ فحصرهم في ﴿لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ بدل ما جاء في الآيات الثّلاث قبلها من الفوز العظيم، و كونهم حزب الله المفلحين.

١ ـ فتبيّن أوّلاً: أنّ هذه المزيّة ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ﴾ تختصّ بجماعة من المؤمنين في المدينة، من المهاجرين و الأنصار.

و ثانيًا: أنّ هؤلاء كلّهم يدخلون جنّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ﴿أَبَدًا﴾، كما جاء في (١ و ٢ و ٤) دون (٣).

و ثالثًا: أنّ لكلّ منهم مزيّة، و هي كونهم صادقين ـ كما جاء في (١) ـ و كونهم من المهاجرين و الأنصار و من تبعهم بإحسان ـ كما جاء في (٢) ـ و أنّه كتب في قلوبهم الإيمان، و أيّدهم بروح منه ـ كما جاء في (٣) ـ و أنّهم آمنوا و عملوا الصّالحات، و أنّهم خير البريّة ـ كما جاء في (٤) ـ.

٢ ـ و للمفسّرين أبحاث طويلة ذيل هذه الآيات الأربع نُفهرسها في أمور:

الأوّل: تكبيرهم و تعظيمهم هذا الوصف لأهله، ذيل الآيات الأربع، نذكرها مع مستنداتها اهتمامًا بها:

فقال القُشَيْريّ: «رضاء الحقّ سبحانه: إثبات مَحَلّ لهم، و ثناؤه عليهم و مدحه لهم، و تخصيصهم بأفضاله وفنون نواله، و رضاؤهم عن الحقّ سبحانه في الآخرة وصولهم إلى مناهم، فهو الفوز العظيم و النّجاة الكبرى».

و قال الفَخْر الرّازيّ ذيل الآية الأولى: «أمّا قوله: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ...﴾ فهو إشارة إلى التّعظيم. هذا ظاهر قول المتكلّمين، و أمّا عند أصحاب الأرواح المشرقة بأنوار جلال الله تعالى، فتحت قوله: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ﴾ أسرار عجيبة لا تسمح الأقلام بمثلها، جعلنا الله من أهلها».

و قال ذيل الآية الثّالثة: «و هي نعمة الرّضوان، و هي أعظم النّعم و أجلّ المراتب».

و قد ذكر ذيل الآية الرّابعة لطائف خلال عشر مسائل، فلاحظ.

و قال ابن كثير: «سرّ بديع، و هو أنّه لمّا سخطوا على القرائب و العشائر في الله تعالى، عوّضهم الله بالرّضا عنهم، و أرضاهم عنه بما أعطاهم من النّعيم المقيم، و الفوز العظيم، و الفضل العميم».

و قال أبو السُّعود: «استئناف آخر لبيان أنّه عزّ و جلّ أفاض عليهم غير ما ذكر من الجنّات ما لا قدر لها عنده، و هو رضوانه الّذي لا غاية وراءه، كما يُنبئ عنه قوله تعالى: ﴿وَ رَضُوا عَنْهُ﴾ إذ لا شيء أعزّ منه حتّى يمتدّ إليه أعناق الهِمَم؛ و ذلك إشارة إلى نيل رضوانه تعالى. و قيل: إلى نيل الكلّ». و نحوه الآلوسيّ.

و قال البُرُوسَويّ: «و الرّضوان فيض زائد على الجنّات، لا غاية وراءه».

و قال الشّوكانيّ: «و الرّضا منه سبحانه هو أرفع درجات النّعيم، و أعلى منازل الكرامة، و الإشارة بذلك إلى نيل ما نالوه من دخول الجنّة، و الخلود فيها أبدًا، و رضوان الله عنهم».

و قال رشيد رضا: «هي بيان للنّعيم الرّوحانيّ بعد ذكر النّعيم الجثمانيّ، فإنّ رضاء الله تعالى عنهم ورضاءهم عنه، هو غاية السّعادة الأبديّة في نفسه، و فيما يترتّب عليه من عطاياه تعالى و إكرامه، و من كونهم يكونون ناعمين بذلك الإكرام مغتبطين به؛ إذ لامطلب لهم أعلى منه، فتمتدّ أعناقهم إليه، و تستشرف قلوبهم له، حتّى يتوقّف رضاهم عليه.

و أمّا كونه سعادة في نفسه، فيُعلم من حال كلّ من كان في كَنف إنسان: والد أو أستاذ أو قائد أو رئيس أو سلطان، فإنّ علمه برضاه عنه يجعله في غبطة و هناء و طمأنينة قلب، و يكون سروره و زهوه بذلك على قدر مقام رئيسه الرّاضي عنه، على حدّ البيت الّذي يتمثّل به الصّوفيّة:

قوم تخالجهم زَهوٌ بسيّدهم

و العبد يزهى على مقدار مولاه

على أنّ رضاء رؤساء الدّنيا لايستلزم رضاء المرؤوسين دائمًا...».

و قال المَراغيّ: «و هذا غاية السّعادة الأبديّة؛ إذ لامطلب لهم أعلى منه، حتّى تمتدّ أعناقهم إليه، و تتطلّع نفوسهم لبلوغه، كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ السّجدة: ١٧».

و قال سيّد قُطْب: «درجات بعد درجات الجنّات و الخلود، و رضا الله و رضاهم بما لقوا من ربّهم من التّكريم».

و قال مَغْنيّة: «و رضي الله عن عبده جنّات و نعيم، و مقام كريم، و رضى العبد عن ربّه أن يفرح بما آتاه الله من فضله.

ثمّ ذكر قول الرّازيّ: «في رضى الله أسرار عجيبة تخرس الأقلام عن مثلها...».

و قال الطَّباطَبائيّ: «...فالعبوديّة هو الغرض الإلهيّ من خلق الإنسان، فالله سبحانه إنّما يرضى عن نفس عبده إذا كان مثالًا للعبوديّة، أي أن يكون نفسه نفس عبد لله الّذي هو ربّ كلّ شيء، فلايرى نفسه و لاشيئًا غيره إلّا مملوكًا لله، خاضعًا لربوبيّته، لايئوب إلّا إلى ربّه، و لايرجع إلّا إليه، كما قال تعالى في سليمان و أيّوب: ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ ص: ٤٤، و هذا هو الرّضى عنه.

و هذا من مقامات العبوديّة، و لازمه طهارة النّفس عن الكفر بمراتبه، و عن الاتّصاف بالفسق...

و من آثار هذا المقام أنّ العبوديّة إذا تمكّنت من نفس العبد...[إلى أن قال:]

و هذا غاية السّعادة الإنسانيّة بما هو عبد، و لذلك ختم الكلام بقوله: ﴿ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾».

و قال عبد الكريم الخطيب: «... و في قوله تعالى: ﴿وَ رَضُوا عَنْهُ﴾ لفتة كريمة من ربّ كريم إلى عباده المكرمين، حيث يرضى عنهم و يرضون عنه، حتّى لكأنّه رضًى متبادل بين الخالق و المخلوقين، و المعبود

والعابدين، فسبحانه من ربّ كريم، برّ رحيم.

شاهت وجوه من يتّجهون إلى وجه غير وجهه، و خسئ و خسر من يلوذون بجناب غير جنابه. و يطوفون بحمى غير حماه».

و قال مكارم الشّيرازيّ: «...و لاشكّ أنّ هذه النّعمة الكبرى الّتي تجمع بين النّعم المادّيّة و النّعم المعنويّة شيء عظيم: ﴿ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾. [إلى أن قال:]

و هذا يدلّ على مدى أهمّيّة هذا الرّضى المتبادل، فقد يكون امرؤ غارقًا في أرفع نعم الله، و لكنّه إذا أحسّ بأنّ مولاه و معبوده و محبوبه ليس راضيًا عنه، فإنّ جميع تلك النّعم و الهبات تصير علقمًا في ذائقة روحه...».

و قال ذيل الآية الثّالثة: «إنّ أعظم ثواب معنويّ و جزاء روحانيّ لأصحاب الجنّة، في مقابل النّعم المادّيّة العظيمة في القيامة، من جنان و حور و قصور، هو شعورهم و إحساسهم أنّ الله راض عنهم، و أنّ رضى مولاهم و معبودهم، يعني أنّهم مقبولون عنده، و في كنف حمايته و أمنه؛ حيث يُجلسهم على بساط قربه، و هذا أعظم إحساس ينتابهم، و نتيجته رضاهم الكامل عن الله سبحانه. نعم، لاتصل أيّ نعمة إلى هذا الرّضا ذي الجانبين...».

و قال فضل الله ذيل الآية الثّانية: «و هذا فصل جديد من السّورة يتحدّث عن بيعة الرّضوان، و عن رضى الله عن الّذين قاموا بها، و كيف عاشوا السّكينة الرّوحيّة في داخلهم، و حصلوا على الثّواب الإلهيّ بالفتح القريب الّذي كانوا يتمنّونه و ينتظرونه، و كيف وصل المسلمون إلى مستوى من القوّة، كانوا فيه قادرين على هزيمة المشركين، لولا إرادة الله الّتي لم تجد حكمة في القتال في تلك الفترة...».

و قال ذيل الآية الثّالثة: «و هذا هو الهدف الّذي يريد الله للمؤمنين أن يتابعوا السّير نحوه، و هو الرّضا المتبادل بينهم و بينه، فينفتحون عليه في الرّضا بقضائه، و يحصلون على رضاه عنهم، بإيمانهم و تقواهم، لتكون حياتهم له و معه في جميع المجالات» إلى سائر النّصوص ذيل الآيات الأربع.

الثّاني: اختلاف علماء الطّريقة و أرباب المعارف في أنّ رضى العبد بالله من جملة المقامات أم من الأحوال؟

فقال المَيْبُديّ: «الخراسانيّون على أنّه من جملة المقامات، يعني أنّه نهاية التّوكّل و اكتساب العبد.

و العراقيّون على أنّه من جملة الأحوال، و لااكتساب العبد، يعني أنّه نازلة من الغيب على القلب، و القلب يطمئنّ به.

و قال قوم: بداية الرّضا مكتسب و من جملة المقامات، و نهايته غير مكتسب من جملة الأحوال.

و قال: الرّضا سكون القلب تحت مجاري الأحكام، و سرور القلب بمرّ القضاء».

و نحوه عن الفيروز آباديّ «بصائر ذوي التّمييز» و أضاف: «و احتجّ شيوخ خراسان و من قال بقولهم: بأنّ الله تعالى مدح أهله و أثنى عليهم و ندبهم إليه، فدلّ على أنّه مقدور لهم.

و قال النّبيّ ﷺ: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًّا و بالإسلام دينًا و بمحمّد رسولًا غُفرت له ذنوبه.

[ثمّ بحث حول هذا الحديث و حديث آخر إلى أن قال:]

و التّحقيق في المسألة: أنّ الرّضا كسبيّ باعتبار سببه، وَهْبيٌّ باعتبار حقيقته، فيمكن أن يقال بالكسب لأسبابه، فإذا تمكّن في أسبابه و غرس شجرته اجتنى منها ثمرة الرّضا، فإنّ الرّضا آخر التوكّل، فمن رسخ قَدَمُه في التوكّل و التّسليم و التّفويض، حصل له الرّضا و لابدّ، و لكن لعزّته و عدم إجابة أكثر النّفوس له و صعوبته عليها، لم يوجبه الله على خلْقه رحمةً بهم و تخفيفًا عنهم. [إلى أن قال:]

بل رضا العبد عن الله علامة رضا الله عنه و من نتائجه، فهو محفوف بنوعين من رضا الله عن عبده: رضًا قَبْلَه أوجب له أن يرضى عنه، و رضًا بعده و هو ثمرة رضاه عنه، و لذلك كان الرّضا باب الله الأعظم، و جنّة الدّنيا، و محلّ راحة العارفين، و حياة المحبّين، و نعيم العابدين، و قُرّة عين المشتاقين...». و له أبحاث طويلة في مسألة الرّضا، فلاحظ.

الثّالث: لهم بحث في أنّ الرّضا عن الله واجب على العبد أو مستحبّ، و قد بدء الفيروزابادي كلامه السّابق بقوله: «اعلم أنّ العلماء قد أجمعوا على أنّ الرّضا مستحبّ، مؤكّد استحبابه.

و اختلفوا في وجوبه على قولين، و الأكثر على تأكّد استحبابه، فإنّه لم يرد الأمر به كما ورد في الصّبر، وإنّما جاء [الثّناء] على أصحابه.

و أمّا ما يُروى من الأثر: «من لم يرض بقضائي، و لم يصبر على بلائي، فليتّخذ ربًّا سواي» فهذا أثر إسرائيليّ لم يصحّ عن النّبيّ ﷺ، و لاسيّما عند من يرى أنّه من جملة الأحوال الّتي ليست مكتسبة، و أنّه موهبة مَحْضَة. فكيف يؤمر به و ليس مقدورًا!». ثمّ بدء كلامه السّابق: «هذه مسألة اختلف فيها السّالكون».

الرّابع: أنّه جاء في النّصوص عقيب كلّ من: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْه﴾ ما يتعلّق بهما مثل ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ﴾ بالطّاعة ﴿وَ رَضُوا عَنْهُ﴾ بالثّواب، ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ﴾ بما فعلوا ﴿وَ رَضُوا عَنْهُ﴾ بما أعطاهم من الجزاء و الثّواب. ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ﴾ رضًا لايغضب بعده أبدًا ﴿وَ رَضُوا عَنْهُ﴾ بما آتاهم من الكرامة، ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ﴾ بصدقهم ﴿وَ رَضُوا عَنْهُ﴾ بوفاء حقّهم، ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ﴾ في الدّنيا ﴿وَ رَضُوا عَنْهُ﴾ في الآخرة، إلى غيرها، ممّا لااختلاف كثيرًا في معانيها.

الخامس: ـ و هو مهمّ جدًّا ـ معنى الرّضا من الله و من العبد:

فقال المَيْبُديّ: «حقيقة الرّضا من العبد أن يسرّ على التّقدير، و أن يسدّ لسانه من الاعتراض، و لم يعترض على حكم الله.

و قال أبوعليّ الدّقّاق: ليس الرّضا أن لاتحسّ بالبلاء، إنّما الرّضا أن لاتعرض على الحكم و القضاء.

أوحى الله على موسى: يا ابن عمران رضائي في رضاك بقضائي.

قال أبوعبد الله الخفيف: الرّضا على قسمين، قال:

رضًا به، و رضًا عنه. فالرّضا به مدبّرًا، و الرّضا عنه فيما يقضي.

قال رسول الله ﷺ: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًّا».

و قال الفيروزآباديّ خلال كلامه السّابق: «و اعلم أنّه ليس من شروط الرّضا ألّا يحسّ بالألم و المكاره، بل ألّا يعترض على الحكم و لا يسخط، فإنّ وجود التألّم و كراهة النّفس لا ينافي الرّضا، كرضا المريض بشرب الدّواء الكريه، و رضا الصّائم في اليوم الشّديد الحرّ بما يناله من ألم الجوع و الظّمإ...».

و له كلام طويل فيها، و قال في آخره: «و الرّضا ثلاثة أقسام: رضا العوامّ بما قسمه الله، و رضا الخواصّ بما قدّره الله و قضاه، و رضا خواصّ الخواصّ به بدلًا عن كلّ ما سواه، و الله أعلم».

و قال ابن عاشور: «و معنى: ﴿وَ رَضُوا عَنْهُ﴾ المسرّة الكاملة بما جازاهم به من الجنّة و رضوانه.

و أصل الرّضا أنّه ضدّ الغضب، فهو المحبّة و أثرها من الإكرام و الإحسان. فرضى الله مستعمل في إكرامه و إحسانه، مثل محبّته في قوله: ﴿يُحِبُّهُمْ﴾ المائدة: ٥٤، و رضى الخلق عن الله هو محبّته و حصول ما أمّلوه منه؛ بحيث لا يبقى في نفوسهم متطلّع».

و قال مَغْنيّة: «و رضي الله عن عبده جنّات و نعيم، و مقام كريم، و رضى العبد عن ربّه أن يفرح بما آتاه الله من فضله».

القسم الثّاني: رضوان الله ١٢ آية:

٥ - ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَ أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَ رِضْوَانٌ مِنَ اللهِ وَ اللهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾

آل عمران: ١٥

٦ - ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللهِ وَ مَأْوٰيهُ جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ آل عمران: ١٦٢

٧ - ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَ فَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَ اتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللهِ وَ اللهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾

آل عمران: ١٧٤

٨ - ﴿يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَ يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَ يَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ المائدة: ١٦

٩ - ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَ رِضْوَانٍ وَ جَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ﴾ التّوبة: ٢١

١٠ - ﴿وَعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَ مَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَ رِضْوَانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ ذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ التّوبة: ٧٢

١١ - ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللهِ وَ رِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَ اللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾

التّوبة: ١٠٩

١٢ - ﴿ذٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللهَ وَ كَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ محمّد: ٢٨

١٣ - ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَ الَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرٰيهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَ رِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ

ذٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرٰيةِ وَ مَثَلُهُمْ فِي الْاِنْجيلِ كَزَرْعٍ اَخْرَجَ شَطْئَهُ فَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوٰى عَلٰى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللهُ الَّذينَ اٰمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَ اَجْرًا عَظيمًا ﴾

الفتح: ٢٩

١٤ـ ﴿اِعْلَمُوا اَنَّمَا الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَ لَهْوٌ وَ زينَةٌ وَ تَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَ تَكَاثُرٌ فِي الْاَمْوَالِ وَ الْاَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ اَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهيجُ فَتَرٰيهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَ فِي الْاٰخِرَةِ عَذَابٌ شَديدٌ وَ مَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَ رِضْوَانٌ وَ مَا الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا اِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾

الحديد: ٢٠

١٥ـ ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلٰى اٰثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَ قَفَّيْنَا بِعيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَ اٰتَيْنَاهُ الْاِنْجيلَ وَ جَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذينَ اتَّبَعُوهُ رَاْفَةً وَ رَحْمَةً وَ رَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ اِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَاٰتَيْنَا الَّذينَ اٰمَنُوا مِنْهُمْ اَجْرَهُمْ وَ كَثيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾

الحديد: ٢٧

١٦ـ ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرينَ الَّذينَ اُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَ اَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَ رِضْوَانًا وَ يَنْصُرُونَ اللهَ وَ رَسُولَهُ اُولٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾

الحشر: ٨

و فيها بُحُوثٌ:

١ ـ و قد جاء في خمس منها «اتّباع رضوان الله أو تقوى الله قبال سخط الله، أو كراهة رضوانه».

ففي الآية (٦): ﴿اَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللهِ...﴾، و في (٧): ﴿وَ اتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللهِ...﴾، و في (٨): ﴿يَهْدي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ...﴾، و في (١١): ﴿اَفَمَنْ اَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلٰى تَقْوٰى مِنَ اللهِ وَ رِضْوَانٍ خَيْرٌ اَمْ مَنْ اَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلٰى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ...﴾، و في (١٢): ﴿ذٰلِكَ بِاَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا اَسْخَطَ اللهَ وَ كَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَاَحْبَطَ اَعْمَالَهُمْ﴾.

فالرّضوان فيها عمل من العبد كالتّقوى، و ما يضادّه من الأعمال.

٢ ـ أمّا الرّضوان في بقيّة الآيات، فهو جزاء عمل في الآخرة، بمنزلة الغفران و الجنّة و ما فيها دون عمل خير في الدّنيا.

فجاء في الآية (٥): ﴿لِلَّذينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْري مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهَارُ خَالِدينَ فيهَا وَ اَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَ رِضْوَانٌ مِنَ اللهِ﴾، و في (٩): ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَ رِضْوَانٍ وَ جَنَّاتٍ لَهُمْ فيهَا نَعيمٌ مُقيمٌ﴾، و في (١٠): ﴿جَنَّاتٍ تَجْري مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهَارُ خَالِدينَ فيهَا وَ مَسَاكِنَ طَيِّبَةً في جَنَّاتِ عَدْنٍ وَ رِضْوَانٌ مِنَ اللهِ اَكْبَرُ ذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظيمُ﴾، و في (١٣): ﴿تَرٰيهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَ رِضْوَانًا...﴾، و في (١٤): ﴿وَ فِي الْاٰخِرَةِ عَذَابٌ شَديدٌ وَ مَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَ رِضْوَانٌ﴾، و هكذا في باقي الآيات.

٣ ـ و إطلاق الرّضوان تارةً على العمل، و تارةً على جزاء العمل، يشعر بأنّ الجزاء هو نفس العمل كمًّا و كيفًا، أي إنّ العمل يتبدّل إلى الجزاء، إن خيرًا فخيرًا و إن شرًّا فشرًّا، و له شواهد في الآيات، فلاحظ.

القسم الثّالث: مرضاة الله ٤ آيات:

١٧ ـ ﴿وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ وَ اللهُ رَؤُفٌ بِالْعِبَادِ﴾ البقرة : ٢٠٧

١٨ ـ ﴿وَ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ اَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ وَ تَثْبِيتًا مِنْ اَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ اَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ اُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَاِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ البقرة : ٢٦٥

١٩ ـ ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوٰيهُمْ اِلَّا مَنْ اَمَرَ بِصَدَقَةٍ اَوْ مَعْرُوفٍ اَوْ اِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَ مَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ اَجْرًا عَظِيمًا﴾

النّساء : ١١٤

٢٠ ـ ﴿يَا اَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَ عَدُوَّكُمْ اَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ اِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَ قَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَ اِيَّاكُمْ اَنْ تُؤْمِنُوا بِاللهِ رَبِّكُمْ اِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ اِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَ اَنَا اَعْلَمُ بِمَا اَخْفَيْتُمْ وَ مَا اَعْلَنْتُمْ وَ مَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾

الممتحنة : ١

١ ـ و قد جاء في ثلاث منها ﴿ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ﴾، و في واحدة (٢٠): ﴿ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي﴾، و كلّها جاء عقيب الأعمال الصّالحة كغرض و غاية لها.

فجاء في الآية (١٧): ﴿وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ﴾.

و في (١٨): ﴿يُنْفِقُونَ اَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ وَ تَثْبِيتًا مِنْ اَنْفُسِهِمْ﴾.

و في (١٩): ﴿اِلَّا مَنْ اَمَرَ بِصَدَقَةٍ اَوْ مَعْرُوفٍ اَوْ اِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَ مَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ اَجْرًا عَظِيمًا﴾.

و في (٢٠): ﴿اِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي﴾.

٢ ـ و قال الطّوسيّ: «و المرضاة و الرّضى واحد، و هو ضدّ السّخط».

و قال ابن عطيّة: «وقف حمزة على ﴿مَرْضَاتِ﴾ بالتّاء و الباقون بالهاء...».

و قال أبوحيّان: «و ﴿مَرْضَاتِ﴾ مصدر بُني على التّاء: كمَدْعاة، و القياس تجريده عنها، كما تقول: مرميّ و مغزيّ...».

٣ ـ و قالوا: انتصاب ﴿ابْتِغَاءَ﴾ على أنّه مفعول من أجله لما قبله، و معناه: طلب مرضاة الله. أو حال بتأويل المصدر بالوصف، أي مبتغين مرضاة الله.

٤ ـ و ابتغاء مرضاة الله و إن كان الهدف من الأعمال في الدّنيا، إلّا أنّ مرضاة الله يترتّب عليها في الآخرة، أو في الدّنيا و الآخرة معًا.

القسم الرّابع: ارتضى الله ٣ آيات:

٢١ ـ ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ اَيْدِيهِمْ وَ مَا خَلْفَهُمْ وَ لَا يَشْفَعُونَ اِلَّا لِمَنِ ارْتَضٰى وَ هُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ الأنبياء : ٢٨

٢٢ ـ ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْاَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ لَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضٰى لَهُمْ وَ لَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ اَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَ مَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذٰلِكَ فَاُولٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ النّور : ٥٥

٢٣ ـ ﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضٰى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ الجنّ: ٢٧

أولاها: الآية (٢١) وهي الآية ٢٨ من سورة الأنبياء: ﴿...وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضٰى...﴾:

١ ـ وهي من تتمّة ما جاء قبلها بشأن الملائكة بزعم المشركين، وعند الله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمٰنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضٰى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾.

٢ ـ وحاصلها أنّ الملائكة ليسوا وُلد الرّحمان بل هم عباد له، مكرمون عنده، مطيعون له قولًا وعملًا، ولا يشفعون إلّا لمن ارتضى الله عنه، وهم في نفس الوقت خائفون منه.

٣ ـ وقال الطَّبْرِسيّ (٤: ٤٤) في «المعنى»: «أي ما قدّموا من أعمالهم، وما أخّروا منها. يعني ما عملوا، وما هم عاملون ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضٰى﴾ الله دينه.

وقال مُجاهِد: إلّا لمن رضي الله عنه.

وقيل: إنّهم أهل شهادة أن لا إله إلّا الله، عن ابن عبّاس.

وقيل: هم المؤمنون المستحقّون للثّواب، وحقيقته: أنّهم لا يشفعون إلّا لمن ارتضى الله أن يشفع فيه، فيكون في معنى قوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ البقرة: ٢٥٥.

﴿وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ﴾ أي من خشيتهم منه، فأضيف المصدر إلى المفعول ﴿مُشْفِقُونَ﴾ خائفون وجلون من التّقصير في عبادته».

والثّانية: الآية (٢٢) وهي الآية ٥٥ من سورة النّور: ﴿...وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضٰى لَهُمْ﴾:

١ ـ وهذه الآية جاءت خلال آيات بشأن المؤمنين والمشركين والمنافقين، فقبلها: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ...﴾.

وبعدها: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلٰوةَ وَآتُوا الزَّكٰوةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ...﴾.

٢ ـ أمّا هذه الآية فصدرها وعد للّذين آمنوا وعملوا الصّالحات، وذيلها وعيد للكافرين.

٣ ـ وقال الطَّبْرِسيّ (٤: ١٥٢) في «المعنى»: «﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾ أي صدقوا بالله وبرسوله، وبجميع ما يجب التّصديق به ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أي الطّاعات الخالصة لله.

﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي ليجعلنّهم يخلفون من قبلهم. والمعنى: ليورثنّهم أرض الكافر من العرب والعجم، فيجعلهم سكّانها وملوكها ﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ ـ وقد حكى تفصيلًا عن مُقاتِل أنّهم: بنو إسرائيل، وعن أُبيّ بن كعب: أنّهم مهاجرون، وعن المقداد بن أسود عن النّبيّ ﷺ: أنّه لا يبقى في الأرض بيت إلّا أدخله الله تعالى كلمة الإسلام. فلاحظ. ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ أي وليُصيرنّهم ـ بعد أن كانوا خائفين بمكّة ـ آمنين بقوّة الإسلام وانبساطه.

قال مُقاتِل: و قد فعل الله ذلك بهم، و بمن كان بعدهم من هذه الأُمّة: مكّن لهم في الأرض، و أبدلهم أمنًا من بعد خوف، و بسط لهم في الأرض، فقد أنجز وعده لهم.

و قيل: معناه: و ليبدّلنّهم من بعد خوفهم في الدّنيا أمنًا في الآخرة. [ثمّ ذكر حديثًا عن النّبيّ ﷺ يعضده]

﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ هذا استئناف كلام في الثّناء عليهم، و معناه: لا يخافون غيري، عن ابن عبّاس.

و قيل: معناه: لا يراؤون بعبادتي أحدًا.

و في الآية دلالة على صحّة نبوّة نبيّنا ﷺ من جهة الإخبار عن غيب لا يُعلم إلّا بوحي من الله عزّ و جلّ.

﴿وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذٰلِكَ﴾ أي بعد هذه النّعم ﴿فَأُولٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ذكر الفسق بعد الكفر، مع أنّ الكفر أعظم من الفسق، لأنّ الفسق في كلّ شيء هو الخروج إلى أكثره. فالمعنى: أُولئك هم الخارجون إلى أقبح وجوه الكفر و أفحشه.

و قيل: معناه: من جحد تلك النّعمة بعد إنعام الله تعالى بها، فأُولئك هم العاصون لله، عن ابن عبّاس.

و اختُلف في الآية فقيل: إنّها واردة في أصحاب النّبيّ ﷺ.

و قيل: هي عامّة في أُمّة محمّد ﷺ عن ابن عبّاس، و مُجاهِد.

و المرويّ عن أهل البيت عليهم السّلام: «أنّها في المهديّ من آل محمّد ﷺ».

ثمّ روى خلال عدّة أبحاث أحاديث عن عليّ بن الحسين السّجّاد، و أبي جعفر الباقر، و أبي عبد الله الصّادق عليهم السّلام، و منها حديث الثّقلين المتواتر عن النّبيّ ﷺ، فلاحظ.

و الثّالثة: الآية (۲۳) و هي الآية ۲۷ من سورة الجنّ: ﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضٰى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾:

۱ ـ و سورة الجنّ تحكي صدرها شهادة الجنّ على صدق النّبيّ ﷺ إلى الآية ۱۵: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾. ثمّ يبدأ قول الله تعالى في الآيات بعدها إلى آخر السّورة، و فيها خطابات منه تعالى إلى النّبيّ ﷺ بلفظ ﴿قُلْ﴾ أربع مرّات:

﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي...﴾، ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ...﴾، ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي...﴾، ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِي...﴾.

۲ ـ و هذه الآية تتمّة للخطاب الأخير منها و نصّه: ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا * عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلٰى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضٰى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾.

۳ ـ و قال الطّبْرِسيّ (۵: ۳۷٤) في «اللّغة»: «و الرّصد جمع راصد و هو الحافظ». و عندنا أنّ ﴿رَصَدًا﴾ اسم مصدر كما يظهر من الطّبْرِسيّ أيضًا حيث قال في معناه: الرّصد: الطّريق.

٤ ـ و قال في «المعنى»: «﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلٰى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ أي لا يطّلع على الغيب أحدًا من عباده. ثمّ استثنى، فقال: ﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضٰى مِنْ رَسُولٍ﴾ يعني

الرّسل، فإنّه يستدلّ على نبوّتهم بأن يخبروا بالغيب، لتكون آية معجزة لهم.

و معناه: إنّ من ارتضاه و اختاره للنّبوّة و الرّسالة، فإنّه يُطلِعه على ما شاء من غيبه، على حسب ما يراه من المصلحة، و هو قوله: ﴿فَاِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾.

و الرّصَد: الطّريق، أي يجعل له إلى علم ما كان قبله من الأنبياء و السّلف، و علم ما يكون بعده طريقًا.

و قيل: معناه: أنّه يحفظ الّذي يطّلع عليه الرّسول، فيجعل من بين يديه و من خلفه رصدًا من الملائكة، يحفظون الوحي من أن تسترقه الشّياطين، فتلقيه إلى الكهنة.

و قيل: ﴿رَصَدًا﴾ من بين يدي الرّسول و من خلفه، و هم الحفظة من الملائكة، يحرسونه عن شرّ الأعداء و كيدهم، فلايصل إليه شرّهم.

و قيل: المراد به جبرائيل عليه السلام، أي يجعل من بين يديه و من خلفه رصدًا كالحجاب، تعظيمًا لما يتحمّله من الرّسالة، كما جرت عادة الملوك بأن يضمّوا إلى الرّسول جماعة من خواصّهم، تشريفًا له...». و في المراد بـ«الرّسول» خلاف، لاحظ: ر س ل: «رسول».

٥ ـ فظهر ممّا سبق أنّ فاعل فعل ﴿ارْتَضٰى﴾ في الآيات الثّلاث هو الله تعالى.

٦ ـ بقي الكلام في الفرق بين «رضى» و «ارتضى» أي بين المجرّد و المزيد.

أمّا «الرّضى» مجرّدًا، فهو بمعناه المعروف. و أمّا المزيد «ارتضى» فجاء في نصّ الثّعلبيّ ﴿ارْتَضٰى﴾: اصطفى.

و جاء في نصّ الزّمَخشَريّ: «لايطّلع على الغيب إلّا المرتضى الّذي هو مصطفى للنّبوّة». و في نصّ القُرطُبيّ: ﴿مَنِ ارْتَضٰى﴾، أي اصطفى للنّبوّة»، و نحوها في نصّ الشّربينيّ و غيره.

و على هذه الأقوال فليس المراد بـ﴿ارْتَضٰى﴾ الرّضا القلبيّ بل الاصطفاء العمليّ. لاحظ: «ر س ل» و: «غ ي ب».

القسم الخامس و السّادس: رضيّ و مرضيّ آيتان:

٢٤ ـ ﴿يَرِثُنِى وَ يَرِثُ مِنْ اٰلِ يَعْقُوبَ وَ اجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ مريم: ٦

٢٥ ـ ﴿وَ كَانَ يَاْمُرُ اَهْلَهُ بِالصَّلٰوةِ وَ الزَّكٰوةِ وَ كَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ مريم: ٥٥

و فيهما بُحُوثٌ:

١ ـ هما الآيتان ٦ و ٥٥ من سورة مريم:

الأُولى: من قصّة زكريّا و يحيى، بدء من الآية ٢: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾، و ختمًا بالآية ١٥: ﴿وَ سَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَ يَوْمَ يَمُوتُ وَ يَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ و قبلها حكايةً عن زكريّا: ﴿وَ اِنِّى خِفْتُ الْمَوَالِىَ مِنْ وَرَاۤئِى وَ كَانَتِ امْرَاَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِى وَ يَرِثُ مِنْ اٰلِ يَعْقُوبَ...﴾.

٢ ـ و قال الطّبْرِسيّ (٣: ٥٠٢) في الأُولى: ﴿اٰلِ يَعْقُوبَ﴾: «و هو يعقوب بن ماتان، و أخوه عمران بن ماتان، أبومريم، عن الكَلْبيّ، و مُقاتِل.

و قيل: هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، لأنّ زكريّا كان متزوّجًا بأخت أمّ مريم بنت عمران،

و نسبها يرجع إلى يعقوب، لأنّها من وُلد سليمان بن داود ﷺ، و هو من وُلد يهوذا بن يعقوب، و زكريّا من وُلد هارون، و هو من وُلد لاوي بن يعقوب، عن السُّدّيّ.

ثمّ اختُلف في معناه، فقيل: معناه: يرثني مالي، و يرث من آل يعقوب النّبوّة، عن أبي صالح.

و قيل: معناه: يرث نبوّتي، و نبوّة آل يعقوب، عن الحسَن، و مُجاهِد.

و استدلّ أصحابنا بالآية على أنّ الأنبياء يورثون المال، و أنّ المراد بالإرث المذكور فيها: المال دون العلم والنّبوّة، بأن قالوا: إنّ لفظ «الميراث» في اللّغة و الشّريعة، لايُطلَق إلّا على ما ينتقل من الموروث إلى الوارث كالأموال، و لايستعمل في غير المال إلّا على طريق المجاز و التّوسّع، و لايعدل عن الحقيقة إلى المجاز بغير دلالة أيضًا. فإنّ زكريّا ﷺ قال في دعائه: ﴿وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ أي اجعل يا ربّ ذلك الوليّ الّذي يرثني مرضيًّا عندك، ممتثلًا لأمرك. و متى حملنا الإرث على النّبوّة، لم يكن لذلك معنًى، و كان لغوًا عبثًا. ألاترى أنّه لايحسن أن يقول أحد: اللّهمّ ابعث لنا نبيًّا، و اجعله عاقلًا مرضيًّا في أخلاقه، لأنّه إذا كان نبيًّا، فقد دخل الرّضا و ما هو أعظم من الرّضا في النّبوّة.

و يقوّي ما قلناه: أنّ زكريّا صرّح بأنّه يخاف بني عمّه بعده بقوله: ﴿وَإِنّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي﴾ مريم: ٥، و إنّما يطلب وارثًا لأجل خوفه، و لايليق خوفه منهم إلّا بالمال دون النّبوّة و العلم، لأنّه ﷺ كان أعلم بالله تعالى من أن يخاف أن يبعث نبيًّا من ليس بأهل للنّبوّة، و أن يورّث علمه و حكمته من ليس لهما بأهل...».

٣ـ و قال (٣: ٥١٨) في الثّانية: «﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ﴾ الّذي هو القرآن ﴿إِسْمٰعِيلَ﴾ بن إبراهيم أيضًا ﴿إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾ إذا وعد بشيء وفى به، و لم يخلف، ﴿وَكَانَ﴾ مع ذلك ﴿رَسُولًا نَبِيًّا﴾ إلى جُرْهُم، و قد مضى معناه.

قال ابن عبّاس: إنّه واعد رجلًا أن ينتظره في مكان، و نسي الرّجل، فانتظره سنة، حتّى أتاه الرّجل، و ذلك مرويّ عن أبي عبد الله ﷺ.

و قيل: أقام بنتظره ثلاثة أيّام، عن مُقاتِل.

و قيل: إنّ إسماعيل بن إبراهيم ﷺ مات قبل أبيه إبراهيم ﷺ، و إنّ هذا هو إسماعيل بن حزقيل، بعثه الله إلى قومه، فسلخوا جلدة وجهه، و فَرْوَة رأسه، فخيّره الله فيما شاء من عذابهم، فاستعفاه، و رضي بثوابه، و فوّض أمرهم إلى الله تعالى في عفوه و عقابه، و رواه أصحابنا عن أبي عبد الله ﷺ...».

القسم السّابع: رضي لله و رسوله و المؤمنين، و عدم رضاهم ١١ آية:

٢٦ـ ﴿وَلَنْ تَرْضٰى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارٰى حَتّٰى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدٰى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ اَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذى جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ البقرة: ١٢٠

٢٧ـ ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللهِ وَهُوَ مَعَهُمْ اِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضٰى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ

اللهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴾ النّساء: ١٠٨

٢٨ـ ﴿وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾ الأنعام: ١١٣

٢٩ـ ﴿قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ طٰه: ٨٤

٣٠ـ ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ طٰه: ١٠٩

٣١ـ ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ النّمل: ١٩

٣٢ـ ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ الزّمر: ٧

٣٣ـ ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ الأحقاف: ١٥

٣٤ـ ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ الفتح: ١٨

٣٥ـ ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمٰوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ﴾ النّجم: ٢٦

٣٦ـ ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ * إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ * وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ اللّيل: ١٩ـ ٢١

و فيها مباحث:

الأولى: الآية (٢٦) و هي الآية ١٢٠ من سورة البقرة: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ...﴾:

و هذه من جملة آيات كثيرة قبلها و بعدها في هذه السّورة، بشأن أهل الكتاب و مخالفاتهم، و لا سيّما موقفهم أمام النّبيّ ﷺ.

و الثّانية: الآية (٢٧) و هي الآية ١٠٨ من سورة النّساء: ﴿...إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ...﴾:

١ـ و هي من جملة الآيات في ذمّ الكفّار، بدءً من الآية ١٠٥: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ و ختمًا بالآية ١٢١: ﴿أُولٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾.

٢ـ و قبلها: ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾، فهذه الآية تتمّة لما قبلها، بأنّهم يتستّرون من النّاس، و لا يتشعّرون من الله، و هو معهم.

٣ـ و قال الطّبرسيّ (٢: ١٠٦) في «اللّغة»: في ﴿يُبَيِّتُونَ﴾: «و التّبييت: التّدبير للشّيء باللّيل، لأنّ ذلك يكون في وقت رواح النّاس إلى بيوتهم».

و قال في «المعنى»: «﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ﴾

أي يكتمون عن النّاس ﴿وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللهِ وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ يعني الّذين مشوا في الدّفع، عن ابن أُبيرق ـ وقد ذكر قصّته ـ ومعناه: يتستّرون عن النّاس بمعاصيهم في أخذ الأموال، لئلا يفتضحوا في النّاس، ولا يتستّرون من الله، وهو مطّلع عليهم.

وقيل: معناه: يستحيون من النّاس، ولا يستحيون من الله وعلمه معهم. فيكون معناه: يخفون الخيانة عن النّاس، ويطلبون إخفاءها حياءً منهم، ولا يتركونها حياءً من الله، وهو عالم بأفعالهم.

﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ﴾ أي يدبّرون باللّيل قولًا لا يرضاه الله.

وقيل: يغيّرون القول من جهته، ويكذبون فيه.

وقيل: إنّه قول ابن أبيرق في نفسه باللّيل: أرمي بهذا الدّرع في دار اليهوديّ، ثمّ أحلف أنّي بريءٌ منه، فيصدّقني المسلمون، لأنّي على دينهم، ولا يُصدّقون اليهوديّ، لأنّه ليس على دينهم.

وقيل: إنّه رمى بالدّرع إلى دار لبيد بن سهل.

﴿وَكَانَ اللهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ قال الحسن: حفيظًا لأعمالهم.

وقال غيره: عالمًا بأعمالهم، لا يخفى عليه شيء منها.

وفي هذه الآية تقريع بليغ لمن يمنعه حياء النّاس وحشمتهم، عن ارتكاب القبائح، ولا يمنعه خشية الله عن ارتكابها، وهو سبحانه أحقّ أن يُراقَب، وأجدر أن يُحذَر.

وفيها أيضًا توبيخ لمن يعمل قبيحًا، ثمّ يقرف غيره به، سواءٌ كان ذلك الغير مسلمًا، أو كافرًا».

والثّالثة: الآية (٢٨) وهي الآية ١١٣ من سورة الأنعام: ﴿...وَلِيَرْضَوْهُ...﴾:

١ـ وهي من جملة آيات ذمّ المشركين، بدءً بالآية ١٠٦: ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾، وختمًا بالآية ١١٧: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾.

٢ـ وهي تتمّة لما قبلها: ﴿وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلٰى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ فمعنى الآية: أنّ أفئدة الّذين لا يؤمنون تصغي إلى ما يوحي بعض الشّياطين إلى بعض، ويرضون به.

٣ـ وقال الطّبرسيّ (٢: ٣٥٠) في «اللّغة» في ﴿وَلِتَصْغَى﴾: «وصَغَوتُ إليه أصغى صَغْوًا وصُغُوًّا، وصغيًا، وصَغيتُ أصغي ـ بالياء أيضًا ـ وأصغيتُ إليه إصغاءً بمعنًى ـ ثمّ استشهد بشعر، وقال: ـ ويقال: أصغيتُ الإناء، إذا أملته ليجتمع ما فيه. ومنه الحديث: كان رسول الله ﷺ يصغي الإناء للهرّة.

والأصل فيه: الميل إلى الشّيء لغرض من الأغراض».

وقال في ﴿لِيَقْتَرِفُوا﴾: «والاقتراف: اكتساب الإثم. ويقال: خرج يقترف لأهله، أي يكتسب لهم، وقارف فلان هذا الأمر، إذا واقعه وعمله. وقرف الذّنب واقترفه: عمله، وقرفه بما ادّعاه عليه، أي رماه

بالرّيبة. وقرف القرحة، أي قشر منها، واقترف كذبًا».

٤ ـ وقال في «المغني»: «﴿وَلِتَصْغٰى اِلَيْهِ﴾ أي ولتميل إلى هذا الوحي بزُخرف القول، أو إلى هذا القول المزخرف ﴿اَفْئِدَةُ﴾ أي قلوب ﴿الَّذِينَ لَايُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾.

والعامل في قوله: ﴿وَلِتَصْغٰى﴾ قوله: ﴿يُوحِىْ﴾، ولايجوز أن يكون العامل فيه ﴿جَعَلْنَا﴾ لأنّ الله سبحانه لايجوز أن يريد إصغاء القلوب إلى الكفر ووحي الشّياطين، إلّا أن تجعلها لام العاقبة، كما في قوله: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ القصص: ٨.

على أنّه غير معلوم أنّ كلّ من أرادوا منه الصّغو، قد صغى إلى كلامهم. ولم يصحّ ذلك أيضًا في قوله: ﴿وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَاهُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾ لأنّه غير معلوم حصول ذلك.

وعلى ما قلناه: يكون جميع ذلك معطوفًا بعضه على بعض.

والمراد بالأفئدة: أصحاب الأفئدة، ولكن لمّا كان الاعتقاد في القلب، وكذلك الشّهوة، أسند الصّغو إلى القلب.

﴿وَلِيَرْضَوْهُ﴾ أي وليرضوا ما أُوحي إليهم من القول المزخرف.

﴿وَلِيَقْتَرِفُوا﴾ أي وليكتسبوا من الإثم والمعاصي.

﴿مَاهُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾ أي مكتسبون في عداوة النّبيّ ﷺ والمؤمنين، عن ابن عبّاس، والسُّدّيّ.

وقال أبوعليّ الجُبّائيّ: إنّ اللّام في قوله: ﴿وَلِتَصْغٰى﴾ وما بعده، لام الأمر، والمراد بها التّهديد، كما قال سبحانه: ﴿اِعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ فصّلت: ٤٠، ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ﴾ الإسراء: ٦٤.

وهذا غلط فاحش، لأنّه لو كان كذلك، لقال: ولتصغ، فحذف الألف.

وقال البلخيّ: اللّام في ﴿وَلِتَصْغٰى﴾ لام العاقبة، وما بعده لام الأمر الّذي يراد به التّهديد، وهذا جائز إلّا أن فيه تعسّفًا، فالأصحّ ما ذكرناه».

والرّابعة: الآية (٢٩) وهي الآية ٨٤ من سورة طٰه: ﴿قَالَ هُمْ اُولَاءِ عَلٰى اَثَرِى وَعَجِلْتُ اِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضٰى﴾:

١ ـ وهي من جملة قصص موسى الطّويلة في هذه السّورة، بدءً من الآية ٩: ﴿وَهَلْ اَتٰيكَ حَدِيثُ مُوسٰى﴾، وختمًا بالآية ٩٩: ﴿كَذٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ اَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا﴾.

٢ ـ وقد جاء خلالها قصص موسى وأُمّه، وموسى وهارون، وموسى وفرعون، وموسى والسّحرة وغيرها.

٣ ـ وهذه الآية جاءت تحمل ذهاب موسى إلى الوادي المقدّس طُوًى، وتفتين سامريّ قومه، وبعدها: ﴿قَالَ فَاِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَاَضَلَّهُمُ السَّامِرِىُّ﴾.

والخامسة: الآية (٣٠) وهي الآية ١٠٩ من سورة طٰه أيضًا: ﴿...اِلَّا مَنْ اَذِنَ لَهُ الرَّحْمٰنُ وَرَضِىَ لَهُ قَوْلًا﴾:

۱ــ و هي من جملة الآيات بشأن يوم القيامة، بدءً من الآية ۱۰۰ منها: ﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ وِزْرًا﴾، و ختمًا بالآية ۱۱۳ منها: ﴿وَكَذٰلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾.

۲ــ و محتواها البشارة بالشّفاعة، لمن أذن له الرّحمان بالشّفاعة، و رضي له قولًا.

۳ــ و قال الطّبرسيّ (٤: ۳۱) ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ...﴾: «أي لا تنفع ذلك اليوم شفاعة أحد في غيره إلّا شفاعة من أذن الله له في أن يشفع، و رضي قوله فيها من الأنبياء و الأولياء، و الصّالحين و الصّدّيقين و الشّهداء...».

و السّادسة: الآية (۳۱) و هي الآية ۱۹ من سورة النّمل: ﴿...وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضٰيهُ...﴾:

۱ــ و هذه من جملة قصّة داود و سليمان عليهما السلام في هذه السّورة، بدءً بالآية ۱٥ منها: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمٰنَ عِلْمًا...﴾، و ختمًا بالآية ٤٤ منها: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ...وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمٰنَ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

۲ــ و هذه أطول الآيات من قصّة سليمان في القرآن، و محتواها أنّ سليمان لمّا سمع قول النّملة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ...﴾ تبسّم ضاحكًا من قولها، و شكر ربّه على هذه النّعمة الّتي أنعمها عليه و على والديه، و تمنّى أن يعمل عملًا يرضاه الله تعالى، و أن يدخله في عباده الصّالحين.

۳ــ و قال الطّبرسيّ (٤: ۲۱٥): «و سبب ضحك سليمان التّعجّب، و ذلك أنّ الإنسان إذا رأى ما لا عهد له به، تعجّب و ضحك.

و قيل: إنّه تبسّم بظهور عدله؛ حيث بلغ عدله في الظّهور مبلغًا عرفه النّمل.

و قيل: إنّ الرّيح أطارت كلامها إليه من ثلاثة أميال حتّى سمع ذلك، فانتهى إليها، و هي تأمر النّمل بالمبادرة فتبسّم من حذرها.

و ﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي﴾ أي ألهمني ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ بأن علّمتني منطق النّمل، و أسمعتني قولها من بعيد، حتّى أمكنني الكفّ، و أكرمتني بالنّبوّة، و المُلك.

﴿وَعَلٰى وَالِدَيَّ﴾ أي أنعمت على والديّ بأن أكرمته بالنّبوّة، و فصل الخطاب، و ألنت له الحديد، و على والدتي بأن زوّجتها نبيّك، و جعل النّعمة عليهما نعمة لله سبحانه عليه يلزمه شكرها.

﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضٰيهُ﴾ أي وفّقني لأن أعمل صالحًا في المستقبل ترضاه...».

و السّابعة: الآية (۳۲) و هي الآية ۷ من سورة الزّمر: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضٰى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ...﴾:

۱ــ و هذه من جملة آيات تأكيد التّوحيد، و التّجنيب عن الشّرك معًا في هذه السّورة، من أوّلها إلى آخرها ــ كما هو سياق أكثر السّور المكّيّة ــ و في صدرها و خلالها آيات بشأن القرآن، فلاحظ.

۲ــ وقد جاءت في هذه الآية كلمتان من مادّة الرّضا نفيًا و إثباتًا: ﴿وَلَا يَرْضٰى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾

و ﴿وَ إِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ فلا يرضى الله عن الكفر و يرضى عن الشكر. فالكفر قبال الشكر، هو ترك الشكر و تحقير النعمة، و عدم الالتفات إليها.

٣ـ و قال الطّبرسيّ (٤: ٤٩١): «﴿إِنْ تَكْفُرُوا﴾ أي تجحدوا نعمة الله تعالى، و لم تشكروه ﴿فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ﴾ و عن شكركم، فلا يضرّه كفركم.

﴿وَ لَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ و في هذا أوضح دلالة على أنّه سبحانه لا يريد الكفر الواقع من العباد، لأنّه لو أراده لوجب متى وقع أن يكون راضيًا به لعبده، لأنّ الرّضا بالفعل ليس إلّا ما ذكرناه. ألا ترى أنّه يستحيل أن نريد من غيرنا شيئًا، و يقع منه على ما نريده، فلا نكون راضين به، أو أن نرضى شيئًا، و لم نرده ألبتّة.

﴿وَ إِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ أي و إن تشكروا الله تعالى على نعمه، و تعترفوا بها، يَرضَه لكم، و يرده منكم، و يثبكم عليه. و الهاء في ﴿يَرْضَهُ﴾ كناية عن المصدر الّذي دلّ عليه ﴿وَ إِنْ تَشْكُرُوا﴾ و التّقدير: يرضى الشّكر لكم، كقولهم: «من كذب كان شرًّا له» أي كان الكذب شرًّا له». ثمّ فسّر باقي الآية.

و الثّامنة: الآية (٣٣) و هي الآية ١٥ من سورة الأحقاف: ﴿وَ وَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ... وَ أَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَيهُ...﴾:

١ـ و هذه الآية و الّتي بعدها توصيف لأهل الجنّة. و الآيات قبلهما و بعدهما في أهل النّار.

٢ـ و محتواهما أنّ الله وصّى الإنسان بوالديه إحسانًا، و ذكر حمله و فصاله، و قوله حين بلغ أربعين سنة: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَ عَلَى وَالِدَيَّ وَ أَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَيهُ وَ أَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي...﴾.

٣ـ و قال الطّبرسيّ (٥: ٨٥) في «اللّغة»: «و ﴿أَوْزِعْنِي﴾: امنعني عن الانصراف عن ذلك باللّطف؛ و منه قول الحسن: لابدّ للنّاس من وَزَعة.

و قال أبو مسلم: الإيزاع: إيصال الشّيء إلى القلب».

٤ـ و قال في «المعنى»: «﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي﴾ أي ألهمني ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ...﴾ قد مرّ تفسيره في سورة النّمل.

﴿وَ أَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾ أي اجعل ذرّيّتي صالحين، عن الزّجّاج.

قيل: إنّه دعا بإصلاح ذرّيّته لبرّه و طاعته، لقوله: ﴿أَصْلِحْ لِي﴾.

و قيل: إنّه الدّعاء بإصلاحهم لطاعة الله، عزّ و جلّ و هو عبادته و هو الأشبه، لأنّ طاعتهم لله من برّه، لأنّ اسم الذّرّيّة يقع على من يكون بعده. و قيل: معناه: اجعلهم لي خلف صدق، و لك عبيد حقّ، عن سهل بن عبد الله...».

و التّاسعة: الآية (٣٤) و هي الآية ١٨ من سورة الفتح: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ...﴾:

١ـ و سورة الفتح نزلت بعد بيعة الحُديبيّة ـ أو صُلح الحُديبيّة ـ الّذي عدّه الله في الآية الأولى منها ﴿فَتْحًا قَرِيبًا﴾، و بهذا سمّيت السّورة.

٢ـ و قد كُرّرت كلمة الفتح فيها ثلاث مرّات: مرّة

في الآية الأولى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾، و مرّتين في الآيتين (۱۸ و ۲۷): ﴿فَتْحًا قَرِيبًا﴾.

كما كُرّرت كلمة ﴿يُبَايِعُونَ﴾ فيها ثلاث مرّات أيضًا: مرّتين في الآية ۱۰: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ﴾ و مرّة في الآية ۱۸ آيتنا هذه: ﴿إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾. لاحظ: ف ت ح: «فتحًا»، و: ب ي ع: «يُبايعون».

۳ـ و قال الطّبرسيّ (۵: ۱۱٦) في ﴿يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾: «يعني بيعة الحديبية و تسمّى بيعة الرّضوان لهذه الآية.

و رضا الله سبحانه عنهم هو إرادته تعظيمهم و إثابتهم. و هذا إخبار منه سبحانه أنّه رضي عن المؤمنين؛ إذ بايعوا النّبيّ ﷺ في الحديبيّة تحت الشّجرة المعروفة، و هي شجرة السّمرة...».

و قد حكى الطّبرسيّ هنا قصّة فتح الحُديبيّة، فلاحظ.

و العاشرة: الآية (۳۵) و هي الآية ۲٦ من سورة النّجم: ﴿...مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَ يَرْضَى﴾:

۱ ـ و هذه الآية إبطال لمزاعم المشركين أنّ أصنامهم يشفعون لهم عند الله تعالى، كما يستفاد من الآيات قبلها: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَ آبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ـ إلى أن قال: ـ وَ كَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمٰوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَ يَرْضَى﴾ يعني أنّ الملائكة لا يشفعون لأحد إلّا بإذن الله تعالى، فكيف تظنّون أنّ الأصنام يشفعون لكم، و هي مخلوقة لكم، لم يأذن الله لكم عبادتهم و أنتم تعبدونها شركاء لله تعالى؟

أو هي ردّ لقولهم: إنّ الملائكة يشفعون لهم، كما يستفاد من الآيات بعدها، فلاحظ.

۲ ـ و قال الطّبرسيّ (۵: ۱۷۷): «﴿وَ كَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمٰوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا﴾ جمع الكناية، لأنّ المراد بقوله: ﴿وَ كَمْ مِنْ مَلَكٍ﴾ الكثرة ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ﴾ لهم في الشّفاعة ﴿لِمَنْ يَشَاءُ وَ يَرْضَى﴾ لهم أن يشفعوا فيه، أي من أهل الإيمان و التّوحيد.

قال ابن عبّاس: يريد لا تشفع الملائكة إلّا لمن رضي الله عنه، كما قال: ﴿وَ لَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ الأنبياء: ۲۸».

و الحادية عشرة: الآية (۳٦) و هي الآية ۲۱ من سورة اللّيل: ﴿وَ لَسَوْفَ يَرْضَى﴾:

۱ ـ و هي آخر آيات هذه السّورة جاءت بعد آيات أهل النّار، بشأن أهل الجنّة.

و آيات أهل النّار هي ۱٤ ـ ۱٦: ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى * لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى * الَّذِي كَذَّبَ وَ تَوَلَّى﴾.

و آيات أهل الجنّة هي ۱۷ ـ ۲۱: ﴿وَ سَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى * الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى * وَ مَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى * إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى * وَ لَسَوْفَ يَرْضَى﴾.

۲ ـ و الّذي يلفت النّظر هو الفرق البيّن فيها بين أهل النّار و أهل الجنّة:

أوّلًا: إنذار أهل النّار بثلاث آيات تحقيرًا لهم، و تبشير أهل الجنّة بخمس آيات تكريمًا لهم.

و ثانيًا: أنّه وصف أهل النّار بـ ﴿الْاَشْقَى﴾ و وصف أهل الجنّة بـ ﴿الْاَتْقَى﴾، و كلاهما تفضيل، تنبيهًا على أنّهما بلغا في الصّلاح و الفساد، و في التّقوى و الشّقاء غايتهما، تشديدًا بالإنذار و العُنف.

و ثالثًا: أنّه نصّ على لفظ «النّار» تشديدًا بالإنذار و العنف، و لم ينصّ على لفظ «الجنّة» تكريمًا لها؛ حيث أبهم عنها إبهامًا.

و رابعًا: أنّه أتى بأهل الجنّة كالمستثنى من أهل النّار، إشعارًا بقلّتهم و كثرة أهل النّار؛ حيث قال بعد ذكر النّار: ﴿وَ سَيُجَنَّبُهَا الْاَتْقَى﴾.

و خامسًا: أنّه اكتفى في خطايا أهل النّار باثنتين: التّكذيب و التّولّي - و هما رأس كلّ خطيئة - كما سكت عن متعلّق التّكذيب و التّولّي - و هو الحقّ - تعميمًا، أو تكثيرًا و تعظيمًا ﴿اَلَّذى كَذَّبَ وَ تَوَلّٰى﴾، لكنّه وسّع في حسنات أهل الجنّة بأربعة - ضعف أهل النّار -: التّزكّي بالمال: ﴿اَلَّذى يُؤْتى مَالَهُ يَتَزَكّٰى﴾ و من دون جزاء لأحد: ﴿وَ مَا لِاَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزٰى﴾ بل لمجرّد ابتغاء وجه الله تعالى ﴿اِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْاَعْلٰى﴾، و هو سيرضى عن الله أو عن ثوابه: ﴿وَ لَسَوْفَ يَرْضٰى﴾ و هذا رأس حسناته، كما أنّ رضا الله عن أحد رأس كراماته له.

٣- و قال الطّبْرسيّ (٥: ٥٠٢) في «المعنى»: «﴿فَاَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظّٰى﴾ أي خوّفتكم نارًا تتلهّب، و تتوهّج و تتوقّد.

﴿لَا يَصْلٰيهَا﴾ أي لا يدخل تلك النّار، و لا يلزمها ﴿اِلَّا الْاَشْقَى﴾ و هو الكافر بالله ﴿اَلَّذى كَذَّبَ﴾ بآيات الله و رسله، ﴿وَ تَوَلّٰى﴾ أي أعرض عن الإيمان، ﴿وَ سَيُجَنَّبُهَا﴾ أي سيُجنّب النّار، يجعل منها على جانب ﴿الْاَتْقَى﴾ المبالغ في التّقوى ﴿اَلَّذى يُؤْتى مَالَهُ﴾ أي ينفقه في سبيل الله، ﴿يَتَزَكّٰى﴾ يطلب أن يكون عند الله زكيًّا، لا يطلب بذلك رياءً، و لا سمعة - إلى أن قال: - و قيل: إنّ ﴿الْاَتْقَى﴾ و ﴿الْاَشْقَى﴾ المراد بهما: التّقيّ و الشّقيّ - ثمّ استشهد بشعر -.

ثمّ وصف سبحانه: ﴿الْاَتْقَى﴾ فقال: ﴿وَ مَا لِاَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزٰى﴾ أي و لم يفعل الأتقى ما فعله من إيتاء المال، و إنفاقه في سبيل الله، ليَد أُسديت إليه يكافئ عليها، و لا ليد يتّخذها عند أحد من الخلق.

﴿اِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْاَعْلٰى﴾ أي و لكنّه فعل ما فعل يبتغي به وجه الله و رضاه و ثوابه. و إنّما ذكر الوجه طلبًا لشرف الذّكر. و المعنى: إلّا الله، و لابتغاء ثواب الله.

﴿وَ لَسَوْفَ يَرْضٰى﴾ أي و لسوف يعطيه الله من الجزاء و الثّواب، ما يرضى به، فإنّه يعطيه كلّ ما تمنّى، و لم يخطر بباله، فيرضى به لا محالة».

المحور الثّاني: الرّضا بالحياة الدّنيا و الآخرة ٨ آيات:

الحياة الدّنيا:

٣٧- ﴿قُلْ اِنْ كَانَ اٰبَاؤُكُمْ وَ اَبْنَاؤُكُمْ وَ اِخْوَانُكُمْ وَ اَزْوَاجُكُمْ وَ عَشِيرَتُكُمْ وَ اَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَ تِجَارَةٌ

تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ التوبة: ٢٤

٣٨ ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾ يونس: ٧

الحياة الآخرة:

٣٩ ـ ﴿لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ الحجّ: ٥٩

٤٠ ـ ﴿هُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ الحاقّة: ٢١

٤١ ـ ﴿لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾ الغاشية: ٩

٤٢ ـ ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾ الفجر: ٢٧، ٢٨

٤٣ ـ ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ الضّحى: ٥

٤٤ ـ ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ القارعة: ٧

و فيها بُحُوثٌ:

الأولى: (٣٧) هي الآية ٢٤ من سورة التّوبة: ﴿...وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا﴾:

١ ـ قال الماوَرْديّ: «و هذا نزل في قوم أسلموا بمكّة، فأقاموا بها، و لم يهاجروا إشفاقًا على فراق ما ذكره الله تعالى، ميلًا إليه و حبًّا له، فذمّهم الله تعالى على ذلك»، و نحوها قال المَراغيّ.

و هذا لا يوافق سياق الآيات، فإنّ سورة التّوبة من أواخر ما نزل من القرآن أثناء غزوة تبوك، و الخطاب في الآية إلى المنافقين الّذين لم يشتركوا في هذه الغزوة، و سكنوا بيوتهم. و قبلها الآية ٢٠ ـ ٢٢: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ...﴾ إلى ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

ثمّ قال في ٢٣: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ...﴾، و في ٢٤: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا...﴾.

٢ ـ و قالوا في ﴿مَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا﴾ فسكنتموها، و منازل تُعجبكم الإقامة بها، مساكن اخترتموها لأنفسكم و يعجبكم المقام فيها، تختارون الإقامة بها، تستوطنونها راضين بسكناها.

و الثّانية: (٣٨) هي الآية ٧ من سورة يونس: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا...﴾. لاحظ: ط م ن: «اطْمَأَنُّوا».

و الثّالثة: (٣٩) هي الآية ٥٩ من سورة الحجّ: ﴿لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ...﴾: لاحظ: د خ ل: «لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا».

و الرّابعة: (٤٠) ـ و هي و ما بعدها من الرّضا بالحياة الآخرة ـ و هي الآية ٢١ من سورة الحاقّة: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾:

و هي جواب (مَنْ) في الآيتين قبلها: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ * إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾:

١ ـ قال الفرّاء: « ﴿فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ فيها

الرّضاء، و العرب تقول: هذا ليل نائم، و سرّ كاتم، و ماء دافق، فيجعلونه فاعلًا، و هو مفعول في الأصل؛ و ذلك: أنّهم يريدون وجه المدح أو الذّمّ، فيقولون ذلك لاعلى بناء الفعل، و لو كان فعلًا مصرّحًا لم يقل ذلك فيه، لأنّه لايجوز أن تقول للضّارب: مضروب، و لا للمضروب: ضارب، لأنّه لامدح فيه و لاذمّ».

و نحوه الطّبريّ و غيره، فلاحظ النُّصوص.

٢ ـ و قال البَيْضاويّ في ﴿رَاضِيَةٍ﴾: «ذات رضًا على النّسبة بالصّيغة، أو جعل الفعل لها مجازًا، و ذلك لكونها صافية عن الشّوائب دائمة مقرونة بالتّعظيم».

و قال الشّرْبينيّ: «فيه ثلاثة أوجه ـ و ذكر الوجهين المذكورين في الأوّل و الثّالث، و أضاف: ـ الثّاني: أنّه على إظهار جعل العيشة راضية لمحلّها و حصولها في مستحقّها، و أنّه لو كان للعيشة عقل لرضيت لنفسها بحالتها».

و الخامسة: (٤١) هي الآية ٩ من سورة الغاشية: ﴿لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾ لاحظ: س ع ي: «سَعْيِهَا».

و السّادسة: (٤٢) هي الآية ٢٨ من سورة الفجر: ﴿رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾:

١ ـ قالوا في معناها: رضيت بثواب الله و رضي بعملها. رضيت عن الله و رضي عنها. ﴿رَاضِيَةً﴾ عن الله بما أعدّ لها ﴿مَرْضِيَّةً﴾ رضي عنها ربّها. ﴿رَاضِيَةً﴾ بثواب الله و جزيل عطائه، ﴿مَرْضِيَّةً﴾ الأفعال من الطّاعات و نحوها.

٢ ـ و قال البُرُوسَويّ: «﴿ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ﴾ في حال الرّضى، أي إذا تمّ لك كمال الصّفات فلاتسكني إليه، و ارجعي إلى الذّات في حال الرّضى الّذي هو كمال مقام الصّفات. و الرّضى عن الله لايكون إلّا بعد رضى الله عنها، كما قال: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ﴾ المائدة: ١١٩، و غيرها.

و في «التّأويلات النّجميّة»: ارجعي إلى ربّك بالفناء فيه، بعد قطع المنازل و المقامات. ﴿رَاضِيَةً﴾ من نتائج السّلوك إلى الله و السّير في الله، ﴿مَرْضِيَّةً﴾ عند الله بالبأس[1] خلعة البقاء عليها».

٣ ـ و قال الآلوسيّ: «﴿رَاضِيَةً﴾ أي بما تؤتينه من النّعم الّتي لاتتناهى.

و قد يقال: ﴿رَاضِيَةً﴾ بما نلتيه من خفّة الحساب و قبول الأعمال، و ليس بذاك ﴿مَرْضِيَّةً﴾ أي عند الله عزّ و جلّ.

قيل: المراد ﴿رَاضِيَةً﴾ عن ربّك، مرضيّة عنده، و زعم أنّه الأظهر. و اعترض بأنّه غير مناسب للسّياق، و فيه نظر.

و الوصفان منصوبان على الحال، و الظّاهر أنّ الحال الأُولى مقدّرة. و قيل: مقارنة. و ذكر الحال الثّانية من باب التّرقّي، فقد قال سبحانه و تعالى: ﴿رِضْوَانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ﴾ التّوبة: ٧٢».

٤ ـ وقال سيّد قُطْب: «﴿رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾ بهذه النّداوة الّتي تفيض على الجوّ كلّه بالتّعاطف و بالرّضى».

---

(١) كذا في الأصل، و الظّاهر: بإلباس خلعة البقاء عليها.

٥ ـ الطّباطبائيّ: «و توصيفها بالرّاضية، لأنّ اطمئنانها إلى ربّها، يستلزم رضاها بما قدّر و قضى تكوينًا، أو حكم به تشريعًا، فلا تسخطها سانحة، و لا تزيغها معصية، و إذا رضي العبد من ربّه رضي الرّبّ منه؛ إذ لا يسخطه تعالى إلّا خروج العبد من زيّ العبوديّة...»، و نحوها الآخرون.

و السّابعة: (٤٣) هي الآية ٥ من سورة الضّحى: ﴿وَ لَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضٰى﴾:

١ ـ و هذه عطف على جواب القسم، الّذي هو ﴿وَ الضُّحٰى * وَ الَّيْلِ إِذَا سَجٰى﴾، و جوابه ثلاث آيات بعده، و هي: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَ مَا قَلٰى * وَ لَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولٰى * وَ لَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضٰى﴾.

٢ ـ و هذه الآيات الخمس هي الشّطر الأوّل من السّورة، و الشّطر الأخير منها ستّ آيات بعدها، كالدّليل على ما قبلها، و هي: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَاٰوٰى﴾ إلى ﴿وَ أَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾.

و الثّامنة: (٤٤) هي الآية ٧ من سورة القارعة و هي جواب (مَنْ) في قوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾، و الكلام فيها مثل ما في الآية الرّابعة.

المحور الثّالث: الرّضا بالتّشريع ١٩ آية:

الصّلاة:

٤٥ ـ ﴿فَاصْبِرْ عَلٰى مَا يَقُولُونَ وَ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَ قَبْلَ غُرُوبِهَا وَ مِنْ اٰنَاءِ الَّيْلِ فَسَبِّحْ وَ أَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضٰى﴾ طٰه: ١٣٠

٤٦ ـ ﴿قَدْ نَرٰى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضٰيهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَ حَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَ مَا اللّٰهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ البقرة: ١٤٤

الصّدقات:

٤٧ و ٤٨ ـ ﴿وَ مِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَ إِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ * وَ لَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا اٰتٰيهُمُ اللّٰهُ وَ رَسُولُهُ وَ قَالُوا حَسْبُنَا اللّٰهُ سَيُؤْتِينَا اللّٰهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ رَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللّٰهِ رَاغِبُونَ﴾ التّوبة: ٥٨، ٥٩

الحجّ:

٤٩ ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللّٰهِ وَ لَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَ لَا الْهَدْيَ وَ لَا الْقَلَائِدَ وَ لَا اٰمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَ رِضْوَانًا وَ إِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَ تَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَ التَّقْوٰى وَ لَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَ الْعُدْوَانِ وَ اتَّقُوا اللّٰهَ إِنَّ اللّٰهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ المائدة: ٢

الجهاد:

٥٠ ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللّٰهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيٰوةِ الدُّنْيَا مِنَ الْاٰخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا فِي الْاٰخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ التّوبة: ٣٨

٥١ ـ ﴿يَحْلِفُونَ بِاللّٰهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَ اللّٰهُ وَ رَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ التّوبة: ٦٢

٥٢ - ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللهَ لَا يَرْضٰى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ التوبة : ٩٦

٥٣ - ﴿فَإِنْ رَجَعَكَ اللهُ إِلٰى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾ التوبة : ٨٣

٥٤ - ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلٰى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ التوبة : ٨٧

٥٥ - ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللهُ عَلٰى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ التوبة : ٩٣

التّجارة:

٥٦ - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلٰى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرٰى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلٰى أَجَلِهِ ذٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنٰى أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ البقرة : ٢٨٢

٥٧ - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ النّساء : ٢٩

المحرّمات:

٥٨ - ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذٰلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

المائدة : ٣

النّكاح والطّلاق:

٥٩ و ٦٠ - ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذٰلِكُمْ أَزْكٰى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذٰلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا

ائْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ... ﴿...آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ البقرة: ٢٣٢، ٢٣٣

٦١ ـ ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ النساء: ٢٤

٦٢ ـ ﴿تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾
الأحزاب: ٥١

٦٣ ـ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾
التحريم: ١

و فيها بُحُوثٌ:

الأولى: الآية (٤٥) و هي الآية ١٣٠ من سورة طٰه : ﴿...فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾:

١ ـ هذه الآية كالرّدّ و التّلافي للآيات قبلها، الحاكية عذاب المشركين، بدءً من الآية ١٢٤: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾، و ختمًا بالآية ١٢٩: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى﴾.

٢ ـ ثمّ أوصى النّبيّ ﷺ تلافيًا كقوله: ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾.

٣ ـ و قد أدام الله هذه التّوصيات إلى الآية ١٣٢: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا...﴾.

و الثّانية: الآية (٤٦) و هي الآية ١٤٤ من سورة البقرة : ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا...﴾:

١ ـ و هي من جملة آيات القبلة في هذه السّورة، بدءً بالآية ١٤٢ منها: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا...﴾، و ختمًا بالآية ١٥٠ منها: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ...﴾.

٢ ـ و محتواها أنّ الله تعالى رأى تقلّب وجه النّبيّ في السّماء تمنّيًا قبلة يرضاها ـ و هي الكعبة بدل بيت المَقدِس ـ فبشّره بأنّه يولّينه إلى هذه القبلة، فأمره بأن يُولّي وجهه شطر المسجد الحرام، و كذلك أمر المؤمنين بأن يُولّون وجوههم شطره حيث ما كانوا، و أنّ أهل الكتاب ليعلمون أنّه الحقّ ـ كما أخبرهم أنبيائهم ـ.

٣ ـ و ذكر الزّجّاج في ﴿تَرْضَاهَا﴾ قولين: إنّما أحبّها، لأنّها كانت قبلة الأنبياء، أو لأنّها كانت عنده أدى لقومه إلى الإيمان.

و ذكر الماوَرْديّ قولين أيضًا: لأنّها كانت مخالفة لقبلة اليهود، أو لأنّها كانت قبلة أبيه إبراهيم ﷺ. ثمّ نبّه على أنّ النّبيّ ﷺ لم يكن كارهًا غير راض عن بيت المَقدِس، و إنّما أحبّ الكعبة لما فيها من تآلف قومه و إسراعهم إلى إجابته، و نحوها عن الآخرين. فلاحظ النّصوص، لاسيّما النّصّ الفَخر الرّازيّ.

٤ ـ و أمّا الطّبْرسيّ (١: ٢٢٦) فذكر في «اللّغة»

معنى الرّؤية و التقلّب و التولّي و الرّضا و الشّطر تفصيلا ـ فلاحظ موادّها ـ ثمّ قال في «المعنى»: « ﴿قَدْ نَرٰى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ﴾ يا محمّد ﴿فِى السَّمَاءِ﴾ لانتظار الوحي في أمر القبلة.

و قيل: في سبب تقليب النّبيّ وجهه في السّماء قولان:

أحدهما: أنّه كان وعد بتحويل القبلة عن بيت المَقْدِس، فكان يفعل ذلك انتظارًا و توقّعًا للموعود، كما أنّ من انتظر شيئًا، فإنّه يجعل بصره إلى الجهة الّتي يتوقّع وروده منها.

و الثّاني: أنّه كان يكره قبلة بيت المَقْدِس، و يهوي قبلة الكعبة، و كان لايسأل الله تعالى ذلك، لأنّه لايجوز للأنبياء أن يسألوا الله تعالى شيئًا من غير أن يؤذن لهم فيه، لأنّه يجوز أن لايكون فيه مصلحة، فلايجابون إلى ذلك، فيكون فتنة لقومهم.

و اختُلف في سبب إرادته تحويل القبلة إلى الكعبة:

فقيل: لأنّ الكعبة كانت قبلة أبيه إبراهيم ﷺ، و قبلة آبائه عن ابن عبّاس.

و قيل: لأنّ اليهود قالوا: يخالفنا محمّد ﷺ في ديننا، و يتّبع قبلتنا، عن مُجاهِد.

و قيل: إنّ اليهود قالوا: ما درى محمّد ﷺ و أصحابه أين قبلتهم حتّى هديناهم، عن ابن زَيْد.

و قيل: كانت العرب يحبّون الكعبة، و يعظّمونها غاية التّعظيم، فكان في التّوجّه إليها استمالة لقلوبهم، ليكونوا أحرص على الصّلاة إليها. و كان ﷺ حريصًا على استدعائهم إلى الدّين.

و يحتمل أن يكون إنّما أحبّ ذلك لجميع هذه الوجوه، إذ لاتنافي بينها.

و قوله: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضٰيهَا﴾ أي فلنصرفنّك إلى قبلة تريدها و تحبّها. و إنّما أراد به محبّة الطّباع، لا أنّه كان يسخط القبلة الأُولى.

﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي حوّل نفسك نحو المسجد الحرام، لأنّ وجه الشّيء نفسه.

و قيل: إنّما ذكر الوجه، لأنّ به يظهر التّوجّه.

و قال أبو عليّ الجُبّائيّ: أراد بالشّطر النّصف، فأمره الله تعالى بالتّوجّه إلى نصف المسجد الحرام، حتّى يكون مقابل الكعبة. و هذا خطأ، لأنّه خلاف أقوال المفسّرين.

﴿وَ حَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ أي أينما كنتم من الأرض، في برّ أو بحر، سهل أو جبل، فولّوا وجوهكم نحوه.

فالأوّل: خطاب للنّبيّ ﷺ و أهل المدينة، و الثّاني: خطاب لجميع أهل الآفاق. و لو اقتصر على الأوّل لجاز أن يُظنّ أنّ ذلك قبلتهم فحسب، فبيّن سبحانه أنّه قبلة لجميع المصلّين في مشارق الأرض و مغاربها.

و ذكر أبو إسحاق الثّعلبيّ في كتابه عن ابن عبّاس، أنّه قال: البيت كلّه قبلة، و قبلة البيت الباب، و البيت قبلة أهل المسجد، و المسجد قبلة أهل الحرم، و الحرم قبلة أهل الأرض كلّها. و هذا موافق لما قال أصحابنا: «إنّ الحرم قبلة من نأى عن الحرم من أهل الآفاق».

و قوله: ﴿وَ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ أراد به

علماء اليهود. و قيل: علماء اليهود و النّصارى.

﴿لَيَعْلَمُونَ اَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ أي يعلمون أنّ تحويل القبلة إلى الكعبة حقّ مأمور به من ربّهم. و إنّما علموا ذلك، لأنّه كان في بشارة الأنبياء لهم، أن يكون نبيّ من صفاته كذا و كذا، و كان في صفاته أنّه يصلّي إلى القبلتين...».

و الثّالثة و الرّابعة: (٤٧ و ٤٨) الآيتان ٥٨ و ٥٩ من سورة التّوبة و جاء فيهما: ﴿فَاِنْ اُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا﴾ و ﴿وَلَوْ اَنَّهُمْ رَضُوا مَا اٰتٰيهُمُ اللّٰهُ وَ رَسُولُهُ﴾:

١ ـ و هاتان الآيتان جاءتا ذمًّا للمنافقين بموقفهم في الصّدقات، فإنّهم يُلزمون الرّسول ـ وهو نبيّنا ﷺ ـ في الصّدقات، فإن أُعطوا منها رضوا عنه، و إن لم يُعطَوا منها يسخطون عليه. و إنّهم لو رضوا بما آتاهم الله و رسوله، و قالوا: حسبنا الله و نعم الوكيل، لرضي الله عنهم، و لكان حقًّا و حسنًا.

٢ ـ و قال الزّمخشريّ في «الثّالثة»: «وصفهم بأنّ رضاهم و سخطهم لأنفسهم، لا للدّين و ما فيه صلاح أهله، لأنّ رسول الله ﷺ استعطف قلوب أهل مكّة يومئذ بتوفير الغنائم عليهم، فضجر المنافقون منه».

٣ ـ و قال الطّبرسيّ: «و أقرّوا بالعدل». و قال أبو السُّعود: «رضوا بما وقع من القسمة و استحسنوها».

و قال سيّد قُطب: «و لم يبالوا الحقّ و العدل و الدّين».

٤ ـ و قال مَغْنيّة: «كان النّبيّ ﷺ يوزّع الصّدقات، كما بيّنها الله في الآية التّالية، فيرضى المؤمنون، و يسخط المنافقون، و يلمزونه في قسمته. و الحقّ أنّ أكثر النّاس على حقّ، و الآية تشمل كلّ من لا يرضى بنصيبه، و لو رضي كلّ إنسان بما يستحقّ، لعاش الجميع في أمن و رخاء».

٥ ـ و قال المَيْبُديّ في «الرّابعة»: «جواب (لَوْ) هاهنا محذوف، و تقدير الآية: لو رضوا بذلك و توكّلوا على الله لكان خيرًا لهم. و العرب كثيرًا ما يحذفون جواب (لَوْ) في الكلام». و نحوه الزّمخشريّ و أضاف: «و لو أنّهم رضوا ما أصابهم به الرّسول من الغنيمة، و طابت به نفوسهم و إن قلّ نصيبهم، و قالوا: كفانا فضل الله و صنعه، و حسبنا ما قسّم لنا، سيرزقنا الله غنيمة أُخرى، فيؤتينا رسول الله ﷺ أكثر ممّا آتانا اليوم».

و نحوها الآخرون، و منهم أبوحيّان و أضاف: «و قيل: جواب (لَوْ) هو قوله: ﴿وَ قَالُوا﴾ على زيادة الواو، و هو قول كوفيّ...».

و الخامسة: (٤٩) هي الآية ٢ من سورة المائدة: ﴿...يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَ رِضْوَانًا...﴾:

١ ـ و هذه كالآية الأُولى من هذه السّورة في أحكام الحجّ. فقد جاء في الأُولى حرمة الصّيد خلال أعمال الحجّ، في قوله: ﴿غَيْرَ مُحِلِّى الصَّيْدِ﴾.

٢ ـ و جاءت في هذه حرمة إحلال شعائر الله في الحجّ. و منها إحلال الشّهر الحرام، و الهَدْي، و القلائد و غيرها.

٣ ـ و من جملتها رعاية حال الحجّاج: حيث قال: ﴿وَلَا اٰمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ

وَرِضْوَانًا﴾ فالمراد بـ ﴿آمِّينَ﴾ الحجّاج الّذين يبتغون بعملهم هذا فضلًا و رضوانًا من ربّهم.

و السّادسة: (٤٩) هي الآية ٣٨ من سورة التّوبة: ﴿أَرَضِيتُمْ بِالْحَيٰوةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ﴾:

١ ـ قالوا في: ﴿أَرَضِيتُمْ بِالْحَيٰوةِ الدُّنْيَا﴾: حظّ الدّنيا و الدّعة فيها، عوضًا من نعيم الآخرة، و ما عند الله للمتّقين في جنانه بمنافع الدّنيا بدلًا من ثواب الآخرة. آثرتم الحياة الدّنيا الفانية على الحياة الآخرة الباقية. هل يجمل بالعابد أن يختار دنياه على عقباه؟ و هل يحسن بالعارف أن يؤثر هواه على رضا مولاه؟ أرضيتم نزر الدّنيا على خطير الآخرة و حظّها الأسعد؟ ثمّ أخبر فقال: إنّ الدّنيا بالإضافة إلى الآخرة قليل نزر. هذا استفهام يراد به الإنكار، و معناه: آثرتم الحياة الدّنيا الفانية على الحياة في الآخرة الباقية في النّعيم الدّائم. فهل يليق بالعاقل ترك الثّواب العظيم في الآخرة، لأجل المنفعة اليسيرة الحاصلة في الدّنيا؟

و الدّليل على أنّ متاع الدّنيا في الآخرة قليل، إنّ لذّات الدّنيا خسيسة في أنفسها و مشوبة بالآفات والبليّات، و منقطعة عن قريب لامحالة، و منافع الآخرة شريفة عالية خالصة عن كلّ الآفات، و دائمة أبديّة سرمديّة؛ و ذلك يوجب القطع بأنّ متاع الدّنيا قليل حقير خسيس.

أي بدلًا. التّقدير: أرضيتم بنعيم الدّنيا بدلًا من نعيم الآخرة فـ(من) تتضمّن معنى البدل، كقوله تعالى: ﴿وَ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلٰئِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾ الزّخرف: ٦٠، أي بدلًا منكم. [ثمّ استشهد بشعر]

عاتبهم الله على إيثار الرّاحة في الدّنيا على الرّاحة في الآخرة؛ إذ لاتنال راحة الآخرة إلّا بنصب الدّنيا، و نحوها، فلاحظ النّصوص.

٢ ـ و قال الطّباطبائيّ: «كأنّ الرّضا أشرب معنى القناعة، فعُدّي بـ(مِن) كما يقال: رضيت من المال بطيبه، و رضيت من القوم بخلّة فلان، و على هذا ففي الكلام نوع من العناية المجازيّة. كأنّ الحياة الدّنيا نوع حقير من الحياة الآخرة قنعوا بها منها، و يشعر بذلك قوله بعده: ﴿فَمَا مَتَاعُ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾.

فمعنى الآية: يا أيّها الّذين آمنوا ما لكم إذا قال لكم النّبيّ ﷺ ـ لم يصرّح باسمه صونًا و تعظيمًا ـ اخرجوا إلى الجهاد أبطأتم، كأنّكم لاتريدون الخروج، أقنعتم بالحياة الدّنيا راضين بها من الآخرة؟ فما متاع الحياة الدّنيا بالنّسبة إلى الحياة الآخرة إلّا قليل».

٣ ـ و قال فضل الله: «و استسلمتم لها في عمليّة استبدال و اقتناع بنتائجها، كما لو كانت كلّ شيء في حركة الحياة ﴿مِنَ الْآخِرَةِ﴾ أي بدلًا عن الآخرة».

٤ ـ و قال الماورديّ: «و الفرق بين الرّضا و الإرادة: أنّ الرّضا لما مضى، و الإرادة لما يأتي».

و قال الطّوسيّ: «و الرّضا هو الإرادة، غير أنّها لاتوصف بذلك إلّا إذا تعلّقت بما مضى من الفعل، و الإرادة توصف بما لم يوجد».

السّابعة و الثّامنة: (٥١ و ٥٢) و هما الآيتان ٦٢ و ٩٦ من سورة التّوبة: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ

لِيُرْضُوكُمْ...﴾، و ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ...﴾.

١ ـ و هاتان من جملة آيات القتال و النّفاق معًا في هذه السّورة، بدءً من الآية ٣٨: ﴿يَاءَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ...﴾، و استدامةً إلى آخر السّورة.

و في خلالها آيات بشأن المؤمنين الصّادقين، من المهاجرين و الأنصار، و الّذين اتّبعوهم بإحسان.

و هذه الآيات هي معظم الآيات الحاكية عن المنافقين في القرآن، بأقوالهم و أعمالهم، و هم الّذين تخلّفوا عن النّفر إلى غزوة «تبوك» مع النّبيّ ﷺ و المؤمنين.

و جاء فيها أشدّ العقوبات لهم، و قد نصّ سبحانه على كفرهم في الآية ٥٤: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ...﴾، و الآية ٨٠: ﴿ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ...﴾.

و قد جمع بينهم و بين الكفّار في الآية ٦٨: ﴿وَعَدَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ...﴾، و الآية ٧٣: ﴿يَاءَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ...﴾.

كما جاء فيها أكبر الفضائل للمؤمنين الصّادقين:

منها قوله في الآية ١٠٠: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ...﴾ بما في هذه ـ كما سبق ـ من الفضل عند الله تعالى.

و منها جمعهم مع النّبيّ ﷺ مدحًا لهم في آيات:

منها الآية ٨٨: ﴿لٰكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

و الآية ١١٣: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾.

و الآية ١١٧: ﴿لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ...﴾.

و الآية ١٠٥: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ...﴾، إلى غيرها من الفضائل.

٢ ـ و قد بدء الله هاتين الآيتين (٥٠ و ٥١) بحلفهم بالله كذبًا و خديعةً، ليرضى المؤمنون عنهم، فقال في أولاهما: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ...﴾، و في الثّانية: ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ...﴾.

و من ذلك يُعلم أنّ من عادات المنافقين الحلف بالله كذبًا، دفعًا لاتّهامهم بالنّفاق من قبل المؤمنين، و طلبًا لرضاهم.

٣ ـ و قد جاء حلفهم بالله في آيات أُخرى من هذه السّورة أيضًا:

منها الآية ٤٢: ﴿...وَسَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ...﴾.

و الآية ٥٦: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ...﴾.

و الآية ٧٤: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ...﴾.

و الآية ٩٥: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ...﴾.

و الآية ١٠٧ ـ آية مسجد الضّرار ـ: ﴿وَلَيَحْلِفُنَّ

إن أردنا إلّا الحسنى...﴾.

٤ ـ و ممّا يلفت النّظر أنّه جاء «الرّضى» بصيغه المختلفة في سورة التّوبة ـ النّازلة في وصف المنافقين و الكفّار و المؤمنين الصّادقين ـ ١٨ مرّة، و أكثرها في المنافقين، دفاعًا عن أنفسهم تهمة النّفاق.

٥ ـ هذا كلّه راجع إلى مجموعة آيات القتال و النّفاق. أمّا ما يتعلّق بهاتين الآيتين: (٥١ و ٥٢).

فقد جاء فيهما من مادّة الرّضى خمس كلمات: في الأولى كلمتان، و في الثّانية ثلاث كلمات، مع تفاوت بينها مجرّدًا و مزيدًا.

٦ ـ فجاءت في الأولى (٥١) مزيدة: ﴿لِيُرْضُوكُمْ﴾ و ﴿يُرْضُوهُ﴾ أي المنافقون يحلفون باللّه لكم ليرضوكم عن أنفسهم، مع أنّ إرضاء اللّه و رسوله أحقّ و أوجب عليهم لو كانوا مؤمنين، و لكنّهم ليسوا مؤمنين، فاهتمّوا حلفًا باللّه بإرضائكم عنهم دون إرضاء اللّه تعالى.

و الإرضاء فيهما فعل المنافقين، و المرضيّ في إحداهما المؤمنون إثباتًا، و في الأخرى هو اللّه نفيًا.

٧ ـ و جاءت في الثّانية (٥٢) مجرّدة ﴿لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ﴾، و ﴿فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ﴾ و ﴿لَا يَرْضَى﴾.

و الرّضى في الأوليين منها منسوب إلى المؤمنين إيجابًا، و في الأخيرة إلى اللّه تعالى سلبًا.

أي إنّ المنافقين يحلفون باللّه لكم لترضوا أنتم عنهم ـ و لكن لا ينبغي أن ترضوا عنهم ـ فإن ترضوا عنهم تأثيرًا بحلفهم لكم، فإنّ اللّه تعالى لا يرضى عنهم، لأنّهم قوم فاسقون، يحلفون لكم خديعةً، و لا إيمانًا باللّه تعالى حقًّا.

٨ ـ و الآية الثّانية تكرار للآية قبلها في السّورة: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ وهي بيان للاعتذار الّذي ذكره سبحانه في الآية قبلها: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ...﴾.

فالآيات الثّلاث (٩٤ ـ ٩٦) إخبار بالغيب من اللّه تعالى للمؤمنين الّذين نفروا مع النّبيّ ﷺ إلى تلك الغزوة، بأنّكم إذا انقلبتم إليهم يعتذرون و يحلفون لكم ﴿لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ و قد اعتذروا و حلفوا بعد رجوع المؤمنين، كما أخبر اللّه تعالى.

و سبب حلفهم فيها هو إعراض المؤمنين عنهم فلا يعاقبوهم، فأمرهم اللّه بإعراضهم عنهم.

٩ ـ ثمّ ذكر في هذه الآية مرّةً أخرى أنّهم يحلفون لكم ﴿لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ﴾ بدل ﴿لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾، و الرّضا عنهم لازم الإعراض عنهم، و إنّما ذكره تعالى نهيًا عن الرّضى عنهم، و تمهيدًا لقوله: ﴿فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾.

١٠ ـ و قال الطّبرسيّ (٣: ٦١) في معنى هاتين الآيتين ـ و قد ذكر قبله وجه النّزول فلاحظ ـ: «﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللّهِ لَكُمْ﴾ أي سيقسم هؤلاء المنافقون و المتخلّفون فيما يعتذرون به إليكم أيّها المؤمنون ﴿إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ أنّهم إنّما تخلّفوا لعذر ﴿لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ أي لتصفحوا عن جرمهم، و لا توبّخوهم، و لا تعنفوهم.

ثمّ أمر اللّه سبحانه نبيّه ﷺ و المؤمنين، فقال: ﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ أي إعراض ردّ و إنكار،

و تكذيب، ومقت.

ثمّ بيّن عن سبب الإعراض فقال: ﴿إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾ أي نجس، و معناه: أنّهم كالشّيء المنتن الّذي يجب الاجتناب عنه، فاجتنبوهم كما تجتنب الأنجاس.

﴿وَمَأْوٰيهُمْ جَهَنَّمُ﴾ أي مصيرهم، و مآلهم، و مستقرّهم جهنّم.

﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أي مكافأة على ما كانوا يكسبونه من المعاصي.

﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ﴾ أي طلبًا لمرضاتكم عنهم أيّها المؤمنون.

﴿فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ﴾ لجهلكم بحالهم.

﴿فَإِنَّ اللهَ لَا يَرْضٰى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ الخارجين من طاعته إلى معصيته، لعلمه بحالهم، و معناه: أنّه لاينفعهم رضاكم عنهم، مع سخط الله عليهم، و ارتفاع رضاه عنهم.

و إنّما قال سبحانه ذلك، لئلّا يُتوهّم أنّه إذا رضي المؤمنون فقد رضي الله، و المراد بذلك: أنّه إذا كان الله لايرضى عنهم، فينبغي لكم أيضًا أن لاترضوا عنهم.

و في هذا دلالة على أنّ من طلب بفعله رضا النّاس، و لم يطلب رضا الله سبحانه، فإنّ الله يُسخط النّاس عليه، كما جاء في الحديث عن النّبيّ ﷺ: أنّه قال: من التمس رضا الله بسخط النّاس، رضي الله عنه، و أرضى عنه النّاس، و من التمس رضا النّاس بسخط الله، سخط الله عليه، و أسخط عليه النّاس ».

١٠ ــ قال الطُّوسيّ في الآية (٥٢): « و المعنى: أنّه لاينفعهم رضاكم مع سخط الله عليهم و ارتفاع رضاه عنهم ــ رضي المؤمنون عنهم أو لم يرضوا ــ و إنّما علّق هاهنا بذلك، لئلّا يُتوهّم أنّه إذا رضي المؤمنون فقد رضي الله عنهم أيضًا، فذكر ذلك ليزول هذا الإلباس، و لأنّ المراد بذلك أنّه إذا كان الله لايرضى عنهم، فينبغي لكم أيضًا أن لاترضوا عنهم ».

١٢ ــ و قال القُشَيْريّ: « من كان مسخوط الحقّ لاينفعه أن يكون مرضيّ الخلق، و ليست العبرة بقول غير الله، إنّما المدار على ما سبق من السّعادة في حكم الله ».

١٣ ــ و قال ابن عَطيّة: « و المعنى: يحلفون لكم مُبطلين و مقصدهم أن ترضوا، لأنّهم يفعلون ذلك لوجه الله و لا للبرّ.

و قوله: ﴿فَإِنْ تَرْضَوْا﴾ إلى آخر الآية، شرط يتضمّن النّهي عن الرّضى عنهم، و حكم هذه الآية يستمرّ في كلّ مغموص عليه ببدعة و نحوها، فإنّ المؤمن ينبغي أن يبغضه و لايرضى عنه لسبب من أسباب الدّنيا ».

١٤ ــ و قال الطَّبْرِسيّ: « ﴿فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ﴾ لجهلكم بحالهم ﴿فَإِنَّ اللهَ لَا يَرْضٰى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ الخارجين من طاعته إلى معصيته، لعلمه بحالهم، و معناه: أنّه لاينفعهم رضاكم عنهم مع سخط الله عليهم و ارتفاع رضاه عنهم، و إنّما قال سبحانه ذلك، لئلّا يُتوهّم أنّه إذا رضي المؤمنون فقد رضي الله...».

١٥ ــ و قال الفَخْر الرّازيّ: « إنّ هذه المعاني مذكورة في الآيات السّالفة، و قد أعادها الله هاهنا مرّة

أخرى، و أظنّ أنّ الأوّل خطاب مع المنافقين الّذين كانوا في المدينة، و هذا خطاب مع المنافقين من الأعراب و أصحاب البوادي. و لمّا كانت طرق المنافقين متقاربة سواء كانوا من أهل الحضر أو من أهل البادية، لاجرم كان الكلام معهم على مناهج متقاربة».

١٦ ـ و قال البَيْضاويّ: «و المقصود من الآية النّهي عن الرّضا عنهم، و الاغترار بمعاذيرهم، بعد الأمر بالإعراض و عدم الالتفات نحوهم»، و نحوها الآخرون.

و التّاسعة: (٥٣) هي الآية ٨٣ من سورة التّوبة: ﴿اِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ اَوَّلَ مَرَّةٍ...﴾:

١ ـ هذه و ما بعدها من جملة آيات الجهاد في هذه السّورة ذمًّا للمنافقين، بدءً بالآية ٨١: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللهِ...﴾، و ختمًا بالآية ٨٧: ﴿رَضُوا بِاَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ...﴾، و يلحق بها الآية ٩٤: ﴿يَعْتَذِرُونَ اِلَيْكُمْ اِذَا رَجَعْتُمْ اِلَيْهِمْ...﴾، و ما بعدها.

٢ ـ لاحظ: ق ع د: «القُعُود».

و العاشرة: (٥٤) هي الآية ٨٧ من سورة التّوبة أيضًا: ﴿رَضُوا بِاَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ...﴾ لاحظ: خ ل ف: «الخوالف».

و الحادية عشرة: (٥٥) هي الآية ٩٣ من سورة التّوبة: ﴿...وَهُمْ اَغْنِيَاءُ رَضُوا بِاَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ...﴾:

١ ـ هذه الآية أيضًا من جملة آيات تبوك في هذه السّورة، بدءً من الآية ٣٨: ﴿يَا اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا مَا لَكُمْ اِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ...﴾، و ختمًا بالآية ١٢٣: ﴿يَا اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ...﴾، و أكثرها تعنيف لمن تخلّف عن الجهاد في هذه الغزوة، و في خلالها مسائل أُخرى.

٢ ـ و هي إعراض و استثناء ممّا ذكره الله عذرًا مقبولًا في الآيتين قبلها: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضٰى﴾ ـ إلى ـ ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ اِذَا مَا اَتَوْكَ...﴾ فليس على هؤلاء سبيل ﴿اِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَاْذِنُونَكَ وَهُمْ اَغْنِيَاءُ...﴾.

و الثّانية عشرة: (٥٦) هي الآية ٢٨٢ من سورة البقرة: ﴿...وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَاِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَاَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ...﴾ و ﴿اِلَّا اَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ...﴾:

١ ـ و هاتان الجملتان جاءتا خلال آية الدّين ـ و هي أطول آيات القرآن ـ بدءً بـ ﴿يَا اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا اِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ اِلٰى اَجَلٍ مُسَمًّى...﴾ و ختمًا بـ ﴿وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

٢ ـ و جاء فيها جملة من أحكام الدَّين، مثل كتابته، و الإشهاد عليه. و استُثني منهما التّجارة الحاضرة بين اثنين، و هذه كالاستثناء المنقطع، لأنّها خارجة من الدّين.

٣ ـ و قد أمر الله فيها بالتّقوى مرّتين: مرّة في صدرها: ﴿وَلْيَتَّقِ اللهَ رَبَّهُ﴾، و مرّة في ذيلها: ﴿وَاتَّقُوا اللهَ﴾.

و قد جاء اسم الجلالة ﴿الله﴾ فيها ستّ مرّات: مرّتين في صدرها: ﴿كَمَا عَلَّمَهُ اللهُ﴾، و ﴿وَلْيَتَّقِ اللهَ رَبَّهُ﴾، و مرّة في وسطها: ﴿ذٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللهِ﴾، و ثلاث مرّات في ذيلها: ﴿وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، كلّ ذلك اهتمامًا بأمر الدّين.

٤ ـ و جاء فيها «الرّضى» مرّة في وسطها: ﴿فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾.

و الثّالثة عشرة: (٥٧) هي الآية ٢٩ من سورة النّساء: ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾:

١ ـ و هذه الآية جاءت ـ خلال الآيات المتقدّمة ـ في خصوص النّهي عن أكل المال بالباطل، فنهى الله عنه، و استثنى منه بقوله: ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾ أي إلّا أكل شخص مال غيره بسبب تجارة بينهما؛ حيث ينتقل شرعًا مال كلّ منهما بالتّجارة إلى الآخر مبيعًا و ثمنًا.

٢ ـ و أعقبه الله في نصّ الآية بحكم: قتل النّفس المحرّم أكيدًا؛ حيث قال بعدها عطفًا عليها: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا * وَمَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذٰلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا﴾.

كما أكّده أيضًا بأنّه جاء عقيب حكم تحريم النّساء على غير النّكاح.

و الظّاهر أنّ قوله: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ﴾ راجع إلى القتل، و يحتمل رجوعه إلى أكل المال بالباطل، و قتل النّفس ظلمًا كليهما. و في هذا تعنيف كبير بأكل المال بالباطل أيضًا.

و قال الطّبرسيّ (٢: ٣٧): «لمّا بيّن سبحانه تحريم النّساء على غير الوجوه المشروعة، عقّبه بتحريم الأموال في الوجوه الباطلة، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي صدّقوا الله و رسوله، ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ﴾ ذكر الأكل و أراد سائر التّصرّفات، و إنّما خصّ الأكل، لأنّه معظم المنافع.

و قيل: لأنّه يُطلَق على وجوه الإنفاقات: اسم الأكل. يقال: أكل ماله بالباطل، و إن أنفقه في غير الأكل. و معناه: لا يأكل بعضكم أموال بعض.

و في قوله: ﴿بِالْبَاطِلِ﴾ قولان:[1]

أحدهما: أنّه الرّبا، و القمار، و البخس، و الظّلم، عن السُّدّيّ، و هو المرويّ عن الباقر ﷺ.

و الآخر: أنّ معناه: بغير استحقاق من طريق الإعواض، عن الحسَن. قال: و كان الرّجل منهم يتحرّج عن أن يأكل عند أحد من النّاس، بعد ما نزلت هذه الآية، إلى أن نُسخ ذلك بقوله في سورة النّور الآية ٦١: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمٰى حَرَجٌ...أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ ـ إلى قوله: ـ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا...﴾.

و الأوّل هو الأقوى، لأنّ ما أُكل على وجه مكارم الأخلاق، لا يكون أكلًا باطلًا.

و ثالثها: أنّ معناه: أخذه من غير وجهه، و صرفه فيما لا يحلّ له.

﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً﴾: أي مبايعة، ثمّ وصف التّجارة فقال: ﴿عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾: أي يرضى كلّ

---

(١) قد ذكر ثلاثة أقوال!!

واحد منكما بذلك.

و قيل: في معنى «التّراضي في التّجارة» قولان:

أحدهما: إنّه إمضاء البيع بالتّفرّق، أو التّخاير، بعد العقد، و هو قول شُرَيح، و الشّعبيّ، و ابن سيرين، ومذهب الشّافعيّ، و الإماميّة، لقوله ﷺ: البيّعان بالخيار، ما لم يتفرّقا، أو يكون بيع خيار. و ربّما قالوا: أو يقول أحدهما: اختر.

و الثّاني: أنّه البيع بالعقد فقط، عن مالك و أبي حنيفة.

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ فيه أربعة أقوال: و ذكرها لاحظ: ق ت ل: «لا تقتلوا».

و الرّابعة عشرة: (٥٨) و هي الآية ٣ من سورة المائدة: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ...وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا...﴾:

١ـ و هي الآية الثّالثة من آيات المحرّمات و الطّيّبات في هذه السّورة، بدءً بالآية الأُولى منها: ﴿...أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ...﴾، و ختمًا بالآية ٥: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ...﴾.

٢ـ و هذه الآية بيان لقوله في الآية الأُولى من هذه السّورة: ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ من المحرّمات العشر: ﴿الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ ـ إلى ـ مَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾.

٣ـ و صدرها بيان للمحرّمات، و ذيلها بيان لحكم من اضطرّ إلى أكلها؛ حيث قال: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

٤ـ و جاء في روايات الشّيعة و غيرها: أنّ المراد بقوله خلالها: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾، يوم غدير خمّ، و أنّ جبرائيل قرأها على النّبيّ ﷺ في هذا اليوم، إشعارًا بأنّ مسألة الإمامة هي المصداق الأتمّ لإكمال الدّين و إتمام النّعمة.

٥ـ و قال الطّبْرسيّ (٢: ١٥٤) ـ و قد ذكر الأقوال في نزولها، و منها ما هو المرويّ عن الإمامين أبي جعفر الباقر، و أبي عبد الله الصّادق ﵉، و عن أبي سعيد الخُدْريّ و غيره في نزولها في ولاية عليّ بن أبي طالب ﵇ ـ: «ثمّ عاد الكلام إلى القضيّة المتقدّمة في التّحريم و التّحليل، و إنّما ذكر قوله: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾ إلى قوله: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ اعتراضًا.

٦ـ و لو قيل: إنّها نزلت مرّتين: في الأُولى لبيان التّحريم و التّحليل، و في الثّانية تأويلًا لبيان أكمل مصاديق: «إكمال الدّين و إتمام النّعمة»، لما كان بعيدًا؟ لاحظ: ح ر م: «حرّمت».]

و الخامسة عشرة: (٥٩) هي الآية ٢٣٢ من سورة البقرة: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾:

١ـ و هذه من جملة آيات النّكاح و الطّلاق في هذه السّورة، بدءً من الآية ٢٢١: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ...﴾، و ختمًا بالآية ٢٤١ و ٢٤٢: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ * كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

٢ـ و المراد بها النّهي عمّا كان دائرًا بين النّاس؛ حيث كان الزّوج يُطلّق زوجته، فإذا بلغت أجلها

يرجع إليها لئلاّ تزوّج زوجًا آخر. هذا أحد المعاني، و فيها خلاف.

٣ـــ فقال الطّبْرسيّ: « ﴿فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ أي انقضت عدّتهنّ ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ أي لاتمنعوهنّ ظلمًا عن التزوّج.

و قيل: المراد به التّخلية.

و قيل: هو خطاب للأولياء، و منع لهم من عضلهنّ.

و قيل: خطاب للأزواج، يعني أن تُطلّقوهنّ في السّرّ، و لاتُظهروا طلاقهنّ كيلايتزوّجن غيرهم، فيبقين لاممسكات إمساك الأزواج، و لامخلّيات تخلية الطّلاق، أو تُطوّلوا العدّة عليهنّ.

﴿أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾ أي من رضين بهم أزواجًا لهنّ.

و قيل: الّذين كانوا أزواجًا لهنّ من قبل...».

و السّادسة عشرة: (٦٠) هي الآية ٢٣٣ من سورة البقرة: أيضًا: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَ تَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾:

١ ــ و هذه الفقرة قد جاءت خلال آية بعد الآية الأولى، تتضمّن حكم الرّضاع حولين كاملين على الوالدات، و حكم الرّضاع لو أراد الزّوجان الانفصال عن الزّوجيّة قبل إتمام الحولين.

٢ ـــ فقال الطّبْرسيّ (١: ٣٣٥): « ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا﴾ أي قبل الحولين، عن مُجاهِد و قَتادَة، و هو المرويّ عن أبي عبد الله عليه السلام.

و قيل: قبل الحولين، أو بعدهما، عن ابن عبّاس.

﴿عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا﴾ أي من الأب و الأمّ.

﴿وَ تَشَاوُرٍ﴾ يعني اتّفاق منهما و مشاورة.

و إنّما شرط تراضيهما و تشاورهما مصلحة للولد، لأنّ الوالدة تعلم من تربية الصّبيّ ما لايعلمه الوالد، فلو لم يتفكّرا و يتشاورا في ذلك أدّى إلى ضرر الصّبيّ.

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ أي لاحرج عليهما إذا تماسك الولد، فإن تنازعا رجعا إلى الحولين».

٣ ـ و قد أكّد الله في هذه الآية تأكيدًا كبيرًا رضاع الولد من قبل الوالدات، أو من قبل المسترضعات.

و السّابعة عشرة: (٦١) الآية ٢٤ من سورة النّساء: ﴿وَ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ﴾:

١ ـ هذه الآية من جملة آيات كثيرة، من أوّل السّورة إلى الآية ٣٥ منها، في أحكام النّساء و الرّجال إرثًا و زواجًا و شقاقًا، و أحكام الأيتام و غيرها. و في هذه الآية قبل هذه الفقرة قوله: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ...﴾، و فيها خلاف كثير في أنّ المراد بالاستمتاع: عقد المُتعة، كما يقوله الإماميّة، أو التّلذّذ بهنّ و الجماع في النّكاح الدّائم، كما يقوله أهل السّنّة. لاحظ: م ت ع: «استمتعتم».

٢ ـ و قال الطّبْرسيّ (٢: ٣٣): « و قوله: ﴿وَ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ﴾ من قال: إنّ المراد بالاستمتاع: الانتفاع و الجماع، قال: المراد به: لاحرج و لاإثم عليكم، فيما تراضيتم به من زيادة مهر، أو نقصانه، أو حطّ، أو إبراء، أو تأخير.

و قال السُّدّيّ: معناه: لاجناح عليكم فيما

تراضيتم به من استئناف عقد آخر، بعد انقضاء مدّة الأجل المضروب في عقد المتعة، يزيدها الرّجل في الأجر، و تزيده في المدّة. و هذا قول الإماميّة، و تظاهرت به الرّوايات عن أئمّتهم...».

و الثّامنة عشرة: (٦٢) الآية ٥١ من سورة الأحزاب: ﴿وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ﴾:

١ ـ و هذه من جملة آيات نساء النّبيّ ﷺ في هذه السّورة، بدءً من الآية ٢٨ منها: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ...﴾ إلى الآية ٥٩: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ...﴾، و خلالها آيات في مواضيع أخرى.

٢ ـ و جاء في صدرها أنّه لاجناح على النّبيّ ﷺ إرجاء من يشاء من أزواجه، و إيواء من يشاء منهنّ، و أنّ ذلك أدنى أن تُقرّ أعينهنّ و لايحزنّ و يرضين بما آتيتهنّ.

٣ ـ و قال الطّبرسيّ (٤: ٣٦٥) في «اللّغة»: «الإرجاء هو التّأخير، و يكون من تبعيد وقت الشّيء عن وقت غيره؛ و منه الإرجاء في فسّاق أهل الصّلاة، و هو تأخير حكمهم بالعقاب إلى الله تعالى.

و الإيواء: ضمّ القادر غيره من الأحياء، الّذين هم من جنس ما يعقل إلى ناحيته. يقال: آويت الإنسان أُوويه إيواء...».

٤ ـ و قال في معنى ﴿تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾: «أي تؤخّر و تُبعد من تشاء من أزواجك، و تضمّ إليك من تشاء منهنّ.

و اختُلف في معناه على أقوال:؟... و ذكرها.

و قال في معنى ﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ...﴾: «معناه: أنّهنّ إذا علمن أنّ له ردّهنّ إلى فراشه بعدما اعتزلهنّ، قرّت أعينهنّ، و لم يحزنّ، و يرضين بما يفعله النّبيّ ﷺ من التّسوية و التّفضيل، لأنّهن يعلمن أنّهنّ لم يُطلّقن، عن ابن عبّاس، و مُجاهد.

و قيل: معناه: ذلك أطيب لنفوسهنّ، و أقلّ لحزنهنّ، إذا علمن أنّ لك الرّخصة بذلك من الله تعالى، و يرضين بما يفعله النّبيّ ﷺ من التّسوية و التّفضيل، عن قَتادة. و قرّة العين عبارة عن السّرور.

و قيل: ذلك المعرفة منهنّ بأنّك إذا عزلت واحدة، كان لك أن تؤويها بعد ذلك أدنى بسرورهنّ، و قرّة أعينهنّ، عن الجُبّائيّ.

و قيل: معناه: نزول الرّخصة من الله تعالى، أقرّ لأعينهنّ، و أدنى إلى رضاهنّ بذلك، لعلمهنّ بما لهنّ في ذلك من الثّواب في طاعة الله تعالى، و لو كان ذلك من قبلك، لحزنّ و حملن ذلك على ميلك إلى بعضهنّ».

و التّاسعة عشرة: (٦٣) الآية ١ من سورة التّحريم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ...﴾:

١ ـ نزلت في تحريم النّبيّ ﷺ بعض أزواجه «مارية القبطيّة»، أو حرّم العسل على نفسه ابتغاء مرضات أزواجه ـ و به سمّيت السّورة ـ و استدامت أحكامهنّ إلى الآية ٥ منها: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ...﴾.

٢ ـ و قد أطال الطّبرسيّ (٥: ٣١٣) اختلاف المفسّرين في نزولها، و قال في «المعنى»: «﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ...﴾ ناداه سبحانه بهذا النّداء تشريفًا له، و تعليمًا

لعباده، كيف يخاطبونه في أثناء محاوراتهم، و يذكرونه في خلال كلامهم ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ﴾ من الملاذّ ﴿تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾ أي تطلب به رضاء نسائك، و هنّ أحقّ بطلب مرضاتك منك.

و ليس في هذا دلالة على وقوع ذنب منه، صغير أو كبير، لأنّ تحريم الرّجل بعض نسائه، أو بعض الملاذّ، لسبب أو لغير سبب، ليس بقبيح، و لا داخلًا في جملة الذّنوب، و لا يمتنع أن يكون خرج هذا القول مخرج التّوجّع له؛ إذ بالغ في إرضاء أزواجه، و تحمّل في ذلك المشقّة...». و قد أطال في دفع الذّنب عن النّبيّ ﷺ.

٣ـ و قد سبق الكلام في كلمة «المرضاة» فلاحظ.

و يلاحظ ثانيًا: أنّ ١٩ آية منها مكّيّة و أكثرها راجع إلى العقيدة أو البعث، و الباقي مدنيّة. و هي: إمّا تشريع، أو غزوة، أو نحوها.

و ثالثًا: من نظائر هذه المادّة في القرآن:

القبول: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَ يَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَ أَنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾

التّوبة: ١٠٤

و القناعة: ﴿وَ الْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَ أَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَ الْمُعْتَرَّ كَذٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الحجّ: ٣٦

فهرس الأعلام المنقول عنهم بلا واسطة وأسماء كتبهم

---

(١) هذه الأرقام تاريخ الوفيات بالهجريّـة.

الأماليّ، ط: دار المعرفة، بيروت.

ابن شهراشوب: محمّد (٥٨٨)

متشابه القرآن، ط: طهران.

ابن عاشور: محمّد طاهر (١٣٩٣)

التحرير والتنوير، ط: مؤسّسة التاريخ، بيروت.

ابن العَرَبيّ: عبدالله (٥٤٣)

أحكام القرآن، ط: دار المعرفة، بيروت.

ابن عربيّ: مُحيي الدّين (٦٢٨)

تفسير القرآن، ط: دار اليقظة، بيروت.

ابن عَطيّة: عبدالحقّ (٥٤٦)

المحرّر الوجيز، ط: دار الكتب العلميّة، بيروت.

ابن فارس: أحمد (٣٩٥)

١ـ المقاييس، ط: طهران.

٢ـ الصّاحبيّ، ط: المكتبة اللّغويّة، بيروت.

ابن قُتَيْبَة: عبدالله (٢٧٦)

١ـ غريب القرآن، ط: دار إحياء الكتب، القاهرة

٢ـ تأويل مشكل القرآن، ط: المكتبة العلميّة، القاهرة.

ابن القيّم: محمّد (٧٥١)

التّفسير القيّم، ط: لجنة التراث العربيّ، لبنان.

ابن كثير: إسماعيل (٧٧٤)

١ـ تفسير القرآن، ط: دار الفكر، بيروت.

٢ـ البداية و النّهاية، ط: المعارف، بيروت.

ابن منظور: محمّد (٧١١)

لسان العرب، ط، دار صادر، بيروت.

ابن ناقيا: عبدالله (٤٨٥)

الجُمّان، ط: المعارف، الاسكندريّة.

ابن هشام: عبدالله (٧٦١)

مغني اللّبيب، ط: المدنيّ، القاهرة.

أبو البركات: عبد الرّحمان (٥٧٧)

البيان، ط: الهجرة، قم.

أبو حاتِم: سهل (٢٤٨)

الأضداد، ط: دار الكتب، بيروت.

أبو حَيّان: محمّد (٧٤٥)

البحر المحيط، ط: دار الفكر، بيروت.

أبو رزق:... (معاصر)

معجم القرآن، ط: الحجازيّ، القاهرة.

أبو زُرْعَة: عبد الرّحمان (٤٠٣)

حجّة القراءات، ط: الرّسالة، بيروت.

أبو زُهرة: محمّد (١٣٩٥)

المعجزة الكبرى، ط: دار الفكر، بيروت.

أبو زَيْد: سعيد (٢١٥)

النّوادر، ط: الكاثوليكيّة، بيروت.

أبو السُّعود: محمّد (٩٨٢)

إرشاد العقل السّليم، ط: مصر.

أبو سهل الهَرَويّ: محمّد (٤٣٣)

التّلويح، ط: التّوحيد، مصر.

أبو عُبَيْد: قاسم (٢٢٤)

غريب الحديث، ط: دار الكتب، بيروت.

أبو عُبَيْدَة: مَعْمَر (٢٠٩)

مجاز القرآن، ط: دار الفكر، مصر.

أبو عمرو الشّيبانيّ: إسحاق (٢٠٦)

الجزائريّ: نور الدّين (١١٥٨)
فروق اللّغات، ط: فرهنگ إسلامی، طهران.

الجصّاص: أحمد (٣٧٠)
أحكام القرآن، ط: دار الكتاب، بيروت.

جمال الدّين عيّاد (معاصر)
بحوث في تفسير القرآن، ط: المعرفة، القاهرة.

الجواليقيّ: موهُوب (٥٤٠)
المعرّب، ط: دار الكتب: مصر.

الجوهريّ: اسماعيل (٣٩٣)
صحاح اللّغة، ط: دار العلم، بيروت.

الحائريّ: سيّد علي (١٣٤٠)
مقتنيات الدّرر، ط: الحيدريّة، طهران.

الحجازيّ: محمّد محمود (معاصر)
التّفسير الواضح، ط: دار الكتاب، مصر.

الحربيّ: إبراهيم (٢٨٥)
غريب الحديث، ط: دار المدنيّ، جدّة.

الحريريّ: قاسم (٥١٦)
دُرّة الغوّاص، ط: المثنّى، بغداد.

حسنين مخلوف (معاصر)
صفوة البيان، ط: دار الكتاب، مصر.

حِفنيّ: محمّد شرف (معاصر)
إعجاز القرآن البيانيّ، ط: الأهرام، مصر.

الحمويّ: ياقوت (٦٢٦)
معجم البلدان، ط: دار صادر، بيروت.

الحيريّ: إسماعيل (٤٣١)
وجوه القرآن، ط: مؤسّسة الطّبع للآستانة الرّضويّة المقدّسة، مشهد.

الخازن: عليّ (٧٤١)
لباب التّأويل، ط: التّجاريّة، مصر.

الخطّابيّ: حَمْد (٣٨٨)
غريب الحديث، ط: دار الفكر، دمشق.

الخليل: بن أحمد (١٧٥)
العين، ط: دار الهجرة، قم.

خليل ياسين (معاصر)
الأضواء، ط: الأديب الجديدة، بيروت.

الدّامغانيّ: حسين (٤٧٨)
الوجوه والنّظائر، ط: جامعة تبريز.

الدّميريّ: محمّد (٨٠٨)
حياة الحيوان، ط: منشورات الرّضيّ، قم.

الرّازيّ: محمّد (٦٦٦)
مختار الصّحاح، ط: دار الكتاب، بيروت.

الرّاغب: حسين (٥٠٢)
المفردات، ط: دار المعرفة، بيروت.

الرّاونديّ: سعيد (٥٧٣)
فقه القرآن، ط: الخيّام، قم.

رشيد رضا: محمّد (١٣٥٤)
المنار، ط: دار المعرفة، بيروت.

الزّبيديّ: محمّد (١٢٠٥)
تاج العروس، ط: الخيريّة، مصر.

الزّجّاج: إبراهيم (٣١١)
١ـ معاني القرآن، ط: عالم الكتب، بيروت.
٢ـ فعلت و أفعلت، ط: التّوحيد، مصر.

صدر المتألّهين: محمّد (١٠٥٩)

تفسير القرآن، ط: بيدار، قم.

الصّدوق: محمّد (٣٨١)

التّوحيد، ط: النّشر الإسلاميّ، قم.

طه الدُّرّة: محمّد علي

تفسير القرآن الكريم وإعرابه و بيانه، ط: دار الحكمة، دمشق.

الطّالقانيّ: محمود. (١٤٠٠)

پرتوى از قرآن، ط: شركت سهامى انتشار.

الطّباطبائيّ: محمّد حسين (١٤٠٢)

الميزان، ط: إسماعيليان، قم.

الطّبْرسيّ: فضل (٥٤٨)

مجمع البيان، ط: الإسلاميّة، طهران.

الطّبَريّ: محمّد (٣١٠)

١ـ جامع البيان، ط: دار الكتب العلميّة، بيروت.

٢ـ اخبار الأُمَم و المُلُوك، ط: الاستقامة، القاهرة.

الطُّرَيحيّ: فخر الدّين (١٠٨٥)

١ـ مجمع البحرين، ط: المرتضويّة، طهران.

٢ـ غريب القرآن، ط: النّجف.

طنطاوي: جوهريّ (١٣٥٨)

الجواهر، ط: مصطفى البابيّ، مصر.

الطُّوسيّ: محمّد (٤٦٠)

التّبيان، ط: النّعمان، النّجف.

عبد الجبّار: أحمد (٤١٥)

١ـ تنزيه القرآن، ط: دار النّهضة، بيروت.

٢ـ متشابه القرآن، ط: دار التّراث، القاهرة.

عبد الرّزّاق نوفَل (معاصر)

الإعجاز العدديّ، ط: دار الشّعب، القاهرة.

عبد الفتّاح طبّارة (معاصر)

مع الأنبياء، ط: دار العلم، بيروت.

عبد الكريم الخطيب (معاصر)

التّفسير القرآنيّ، ط: دار الفكر، بيروت.

عبد اللّطيف البغداديّ (٦٢٩)

ذيل الفصيح، ط: التّوحيد، القاهرة.

عبد المنعم الجمّال: محمّد (معاصر)

التّفسير الفريد، ط: بإذن مجمع البحوث الإسلاميّ الأزهر.

العَدْنانيّ: محمّد (١٣٦٠)

١ـ معجم الأغلاط، ط: مكتبة لبنان، بيروت.

٢ـ معجم الأخطاء الشّائعة، ط: مكتبة لبنان، بيروت.

العَرُوسيّ: عبد عليّ (١١١٢)

نور الثّقلين، ط: إسماعيليان، قم.

عزّة دروزة: محمّد (١٤٠٠)

تفسير الحديث، ط: دار إحياء الكتب القاهرة.

العُكْبَريّ: عبد الله (٦١٦)

التّبيان، ط: دار الجيل، بيروت.

علي أصغر حكمت (معاصر)

نه گفتار در تاريخ أديان، ط: أدبيّات، شيراز.

العيّاشيّ: محمّد (نحو ٣٢٠)

التّفسير، ط: الإسلاميّة، طهران.

الفارسيّ: حسن (٣٧٧)

محمود شيت خطّاب (معاصر)
المصطلحات العسكريّة، ط: دار الفتح، بيروت.
محمود صافي (١٤٠٥)
الجدول في إعراب القرآن و صرفه و بيانه: ط: دار الرّشيد.
المَدَنيّ: عليّ (١١٢٠)
أنوار الرّبيع، ط: النّعمان، نجف.
المَدينيّ: محمّد (٥٨١)
المجموع المغيث، ط: دار المدنيّ، جدّة.
المَراغيّ: محمّد مصطفى (١٣٦٤)
١ـ تفسير سورة الحجرات، ط: الأزهر، مصر.
٢ـ تفسير سورة الحديد، ط: الأزهر، مصر.
المَراغيّ: أحمد مصطفى (١٣٧١)
تفسير القرآن، ط: دار إحياء التّراث، بيروت.
مشكور: محمّدجواد (معاصر)
فرهنگ تطبيقى، ط: كاويان، طهران.
المشهديّ: محمّد (١١٢٥)
كنزالدّقائق، مؤسّسة النّشر الإسلاميّ، قم.
المُصْطَفَويّ: حسن (معاصر)
التّحقيق، ط: دار التّرجمة، طهران.
معرفة: محمّدهادى (١٤٢٧)
التّفسير و المفسّرون، ط: الجامعة الرّضوية، مشهد.
مغنيّة: محمّد جواد (١٤٠٠)
التّفسير الكاشف، ط: دار العلم للملايين، بيروت.
مُقاتِل: ابن سليمان (١٥٠)
١ـ تفسير مقاتل، ط: دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت.
٢ـ الأشباه والنّظائر، ط: المكتبة العربيّة، مصر.
المَقْدِسيّ: مُطهّر (٣٥٥)
البدء و التّاريخ، ط: مكتبة المثنّى، بغداد.
مكارم الشّيرازيّ: ناصر (معاصر)
الأمثل في تفسير كتاب الله المُنزَل، ط: بيروت.
المَيْبُديّ: أحمد (٥٢٠)
كشف الأسرار، ط: أمير كبير، طهران.
الميلانيّ: محمّد هادي (١٣٨٤)
تفسير سورتي الجمعة و التّغابن، ط: مشهد.
النّحّاس: أحمد (٣٣٨)
معاني القرآن، ط: مكّة المكرّمة.
النّسَفيّ: أحمد (٧١٠)
مدارك التّنزيل، ط: دار الكتاب، بيروت.
النّهاونديّ: محمّد (١٣٧٠)
نفحات الرّحمان، ط: سنگى، علمى [طهران].
النّيسابوريّ: حسن (٧٢٨)
غرائب القرآن، ط: مصطفى البابيّ، مصر.
هارون الأعور: ابن موسى (٢٤٩)
الوجوه والنّظائر، ط: دار الحرّيّة، بغداد.
هاكس: الإمريكيّ (معاصر)
قاموس كتاب مقدّس ط: مطبعة الإمريكيّ بيروت
الهَرَويّ: أحمد (٤٠١)
الغريبين، ط: دار إحياء التّراث.
الهَمَذانيّ: عبدالرّحمان (٣٢٩)
الألفاظ الكتابيّة، ط: دار الكتب، بيروت.

فهرس الأعلام المنقول عنهم بالواسطة